



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه  
صباح  
الرمضان

www.ghaemiyeh.com  
www.ghaemiyeh.org  
www.ghaemiyeh.net  
www.ghaemiyeh.ir

مستدرکات

# عیان السبعین

بیت القریب

« ۳ »

دار المعارف الطبوعات

پونہ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# مستدرکات اعیان الشیعه

کاتب:

محسن امین عاملی

نشرت فی الطباعة:

دار التعارف للمطبوعات

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبيوتریة

## الفهرس

٥	الفهرس
٣٢	مستدركات أعيان الشيعة المجلد ٣
٣٢	اشاره
٣٢	اشاره
٣٤	ابش خاتون بنت الأتابك سعد بن أبي بكر الزنكى
٣٤	المولى أتشى المراغى
٣٤	آتونى حياه الهروى
٣٥	السيد المير آزاد بن السيد المير عبد الباقي بن السيد المير محمد صالح
٣٥	الأميره آغا بيگم الملقبه بأغاباجى:
٣٥	أزروئى خانم السمرقنديه:
٣٧	أسيه أم فتح على الشاه القاجارى:
٣٧	أشوبى التنزى
٣٧	الأميره آغا كوچك بنت الأمير سيف الله ميرزا سردار مفخم القاجارى
٣٨	أغنه دوست و يقال آغا دوست بنت درويش قيام السبزواريه:
٣٨	السيد أفات حسين ابن السيد مقصود حسين الرضوى:
٣٨	أمنه الصدر المعروفه ب بنت الهدى بنت السيد حيدر بن السيد إسماعيل
٤٠	السيد إبراهيم بن محسن بن زين العابدين الحسينى الجورسرى الرامسرى.
٤٠	الشيخ إبراهيم بن المولى الشيخ عبد الرسول الحموزى النجفى
٤٠	الشيخ إبراهيم بن الشيخ مهدي بن الشيخ محمد بن الشيخ حسين بن
٤٤	الشيخ أبو تراب الشهيدى القزوينى ابن الشيخ الميرزا أبو القاسم ابن
٤٥	السيد أبو جعفر الامام بن المير محمد حسين الآخوندى التنكابنى:
٤٦	أمنه بنت عباد بن على بن حمزه الطباطبائى العلوى الأصفهانى:
٤٦	أمنه بنت أبي محمد الشريف قريش بن السبيع بن المهنا بن السبيع بن المهنا
٤٦	أمنه بنت فتح على خان دولوى القاجارى:

- ٤٧ ..... السيد إبراهيم بن أبو الحسن بن هادي بن محمد رضا الحسيني التنكابني
- ٤٧ ..... الميرزا إبراهيم بن الميرزا شاه حسين الأصفهاني القزويني
- ٤٩ ..... الميرزا أبو الحسن بن حسين بن تقي الكلان محله اى الرانكوهي
- ٤٩ ..... السيد أبو الحسن بن هادي بن محمد رضا الحسيني التنكابني:
- ٥٠ ..... السيد أبو الحسن الرفيعي القزويني:
- ٥١ ..... أبو الحسن كوشيار بن لبان
- ٥٣ ..... الشيخ أبو الحسن المشكيني:
- ٥٣ ..... السيد الميرزا أبو الحسن الأنكجي:
- ٥٤ ..... الشريف السيد أبو القاسم عبد الله:
- ٥٥ ..... السيد أبو القاسم التنكابني:
- ٥٥ ..... أحمد بن الجزار:
- ٥٥ ..... اشاره
- ٥٦ ..... أحمد بن الجزار
- ٦٥ ..... أحمد الطبيب التنكابني بن الحسين بن أحمد:
- ٦٥ ..... احمد بن الحسين الممتني
- ٦٥ ..... اشاره
- ٧٣ ..... الاستعاره عند الحاتمي
- ٧٦ ..... موقف الحاتمي من القدم و الحدائه
- ٧٧ ..... السرقات عند الحاتمي
- ٨٢ ..... أحمد أبو العلاء المعري
- ٨٢ ..... اشاره
- ٨٥ ..... انعكاسات البواعث على رساله المعري
- ٨٥ ..... بواعث كوميديا دانتي
- ٩١ ..... بين أبي العلاء و الوزير المغربي
- ١٠٠ ..... السيد أحمد الحسيني التنكابني:
- ١٠١ ..... الشيخ أحمد بن الشيخ حمد الله:

- ١٠٤ ..... الشيخ أحمد
- ١٠٥ ..... الشيخ ميرزا أحمد:
- ١٠٦ ..... السيد أحمد الغريفي بن السيد علوى البحراني:
- ١٠٦ ..... السيد أحمد بن فضل الله الحسيني الإشكوري:
- ١٠٦ ..... الشيخ أحمد بن الشيخ محمد التألهي القزويني:
- ١٠٧ ..... أبو بكر احمد بن محمد بن السري:
- ١٠٧ ..... الملا أحمد الرمل بن محمد:
- ١٠٩ ..... السيد أحمد بن محمد حسين شريف الحسيني التنكابني:
- ١٠٩ ..... الشيخ أحمد بن الشيخ مهدي نصر الله:
- ١٠٩ ..... اشاره -
- ١١٠ ..... بلدته -
- ١١٢ ..... شعره و أدبه -
- ١١٥ ..... حياته -
- ١١٩ ..... الأمير أردشير ميرزا:
- ١٢٠ ..... أسامه بن منقذ:
- ١٢١ ..... الشيخ إسحاق ابن الشيخ آقا محمد إمام الجمعه ابن الشهيد البرغاني
- ١٢١ ..... أسد الله بن نظر علي خان التنكابني:
- ١٢٢ ..... السيد أسد الله بن عبد الحسين الموسوي النبوي الدرفولي الدرفولي
- ١٢٢ ..... أسماء و يقال حبابه بنت السيد صالح بن السيد مهدي القزويني.
- ١٢٤ ..... أبو العتاهيه إسماعيل بن القاسم:
- ١٢٤ ..... اشاره -
- ١٤٠ ..... يحتال أبو العتاهيه لتقبيل يد عتبه -
- ١٤٥ ..... إسماعيل الصفوي:
- ١٥٢ ..... السيد إسماعيل بن كاظم بن مير محمد مقيم الحسيني الرامسري التنكابني:
- ١٥٤ ..... أم كلثوم بنت الشيخ كريم الروغني القزويني.
- ١٥٤ ..... أم كلثوم -

- ١٥٤ ..... الشيخ آغا التفات القزويني:
- ١٥٥ ..... أم نزار الملائكة:
- ١٥٨ ..... الأميره أوراق سلطان بيگم:
- ١٥٨ ..... الحاج باقر اللاهيجي:
- ١٦٠ ..... الشيخ باقر نجل الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر:
- ١٦٠ ..... پروين اعتصامي
- ١٦١ ..... المولى بهرام الطالقاني التنكابني:
- ١٦٢ ..... الشيخ جابر الكعبي:
- ١٦٤ ..... جابر بن حيان:
- ١٦٤ ..... اشاره
- ١٦٦ ..... مصادر الشكوك
- ١٦٦ ..... أدله الشك
- ١٦٩ ..... نشاته و سيرته
- ١٧٠ ..... صلته بجعفر الصادق
- ١٧٢ ..... منزلته العلميه
- ١٧٢ ..... الكيمياءى العربى الأول
- ١٧٥ ..... الايمان بالعلم
- ١٧٥ ..... نظريه المعرفة
- ١٧٨ ..... الوجود الموضوعى للكون
- ١٧٩ ..... منهج البحث العلمى
- ١٨١ ..... فلسفه الكيمياء
- ١٨٢ ..... عقل الفيلسوف
- ١٨٢ ..... شهاده الحاضرين
- ١٨٣ ..... العثور على معمل جابر بن حيان
- ١٨٤ ..... مصطلحات العرب القديمه
- ١٨٤ ..... مواد حضرها العملاقان



- ١٨٦ ..... نقطه تحول فى العصر الوسيط
- ١٨٧ ..... الشيخ جعفر التنكابنى:
- ١٨٧ ..... السيد جلال الدين الطهرانى:
- ١٨٨ ..... أبو ذر الغفارى جندب بن جناده:
- ١٨٨ ..... اشاره
- ١٩٠ ..... إسلام أبى ذر
- ١٩٣ ..... صفات أخرى للرجل
- ١٩٧ ..... تحولات عهد عثمان
- ٢٠٢ ..... اتهام مردود
- ٢٠٥ ..... الصدام مع عثمان و معاويه
- ٢٠٥ ..... فى المدينه:
- ٢٠٦ ..... فى الشام
- ٢٠٩ ..... فى المدينه.. مره ثانيه
- ٢١٢ ..... السيد جواد بن إبراهيم بن محسن الحسينى الرامسى:
- ٢١٣ ..... الشيخ جواد بن الشيخ على بن الشيخ محمد "حميد" بن الشيخ محمد
- ٢١٤ ..... الشيخ جواد بن قاسم المجد الابكائى كلائى الرامسى:
- ٢١٥ ..... الشيخ جواد بن محمد بن رحيم بن منصور بن رحيم السمامى الرامسى:
- ٢١٥ ..... المولى حبيب الله بن المولى قربان على بن عبد الله بن منصور بن رحيم
- ٢١٥ ..... حسن بن أبى الحسن التنكابنى:
- ٢١٥ ..... السيد حسن بن جواد بن إبراهيم بن محسن الحسينى التشيرسرى
- ٢١٦ ..... السيد حسن بن السيد عبد الله الموسوى الأحسانى الجبيلى البصرى.
- ٢١٨ ..... الشيخ حسن بن الشيخ على نقى بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد
- ٢١٩ ..... الشيخ حسين بن إبراهيم بن حمزه بن خليل التنكابنى:
- ٢١٩ ..... الشيخ حسين بن إبراهيم التنكابنى:
- ٢٢٠ ..... الشيخ جمال الدين أبو محمد الحسين بن بدر بن أياز بن عبد الله البغدادى
- ٢٢١ ..... الحاج حسين الحرباوى:

- ٢٢٥ ..... الشيخ حسين الشنب غازانى التبريزى:
- ٢٢٥ ..... الميرزا حسين الجلالى بن على أكبر السمامى:
- ٢٢٥ ..... الحاج الشيخ حسين بن محمد كاظم الآخوند الخراسانى النجفى:
- ٢٢٥ ..... الشيخ حسين بن محمد على القارى البهستى:
- ٢٢٦ ..... السيد حسين العلوى بن محمد على:
- ٢٢٩ ..... السيد حسين بن السيد محمد بن السيد على بن السيد حسين بن السيد ..:
- ٢٣١ ..... السيد حسين بن السيد محمد على بن السيد نوازش على بن السيد مظفر ..:
- ٢٣١ ..... الشيخ حسين بن محمد التنكابنى:
- ٢٣١ ..... السيد حسين بن السيد نعمه الله بن السيد محمد حسين بن السيد حسن ..:
- ٢٣٢ ..... نور الدين حمزه:
- ٢٣٤ ..... الشيخ حمزه قفطان بن الشيخ مهدى:
- ٢٣٤ ..... اشاره ..:
- ٢٣٦ ..... شعره ..:
- ٢٥٧ ..... المولى الخواجه حيدر على بن الخواجه على بخش:
- ٢٥٧ ..... السيد مير خير الله بن السيد رحمه الله بن السيد أبو تراب الهندى القزوينى ..:
- ٢٥٩ ..... السيد خير الدين بن السيد مير خير الله بن السيد رحمه الله الهندى الإله ..:
- ٢٦٠ ..... الخليل بن أحمد الفراهيدى:
- ٢٦٠ ..... اشاره ..:
- ٢٦٠ ..... كتاب العين ..:
- ٢٦٢ ..... الخليل مبتكر لا مقلد ..:
- ٢٦٤ ..... نسبه كتاب العين ..:
- ٢٧٠ ..... السيد خليفه بن السيد على بن السيد أحمد بن السيد محمد بن السيد على بن ..:
- ٢٧٠ ..... دعبل الخزاعى:
- ٢٨٠ ..... الشيخ راغب حرب:
- ٢٨١ ..... ميرزا رحيم خان بهستى:
- ٢٨١ ..... الأغا الميرزا رضى الزنوزى التبريزى:

- ٢٨٢ ..... الامام السيد روح الله بن السيد مصطفى بن السيد أحمد الموسوي الخميني
- ٢٨٢ ..... اشاره
- ٢٨٢ ..... أسرته
- ٢٨٣ ..... في طريق العلم
- ٢٨٤ ..... التدريس
- ٢٨٤ ..... المرجعيه
- ٢٨٥ ..... حياته الثوريه
- ٢٨٦ ..... بعض مشايخه في إجازته نقل الروايه
- ٢٨٦ ..... مؤلفاته
- ٢٨٨ ..... زبيده بنت الفيلسوف الشهير صدر المتألهين محمد بن إبراهيم بن يحيى
- ٢٨٨ ..... زينب بنت الفيلسوف الشهير المولى محمد بن إبراهيم بن يحيى الشيرازي
- ٢٩٠ ..... زينب بنت الشاه مرتضى بن الشاه محمود الكاشاني
- ٢٩٠ ..... الأمير أبو النصر سام ميرزا بن الشاه إسماعيل الأول الصفوي
- ٢٩٠ ..... السيد سعد صالح
- ٢٩٢ ..... السيد سعيد بن حسين الحسيني التنكابني
- ٢٩٢ ..... الشيخ سلطان محمد بن حيدر محمد بن سلطان محمد بن دوست محمد بن نور
- ٣٠٤ ..... المولى سليمان بن محمد الجيلاني التنكابني
- ٣٠٤ ..... المولى سليمان الرامسري التنكابني
- ٣٠٤ ..... سويد بن سعيد بن سهل بن شهريار
- ٣١١ ..... السيد شبر بن علي بن محمد المشعل الموسوي الستري الغريفي البحراني
- ٣١٢ ..... شرف النساء بنت أبي طالب بن مكرم العلوي الحسنی البغدادي
- ٣١٣ ..... الشيخ شريف بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ محمد حسن صاحب
- ٣١٣ ..... الشيخ صادق بن الشيخ باقر بن الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر
- ٣١٤ ..... الشيخ صادق بن الشهيد البرغاني القزويني آل الشهيدي
- ٣١٥ ..... الشيخ صالح بن عبد الكريم البحراني
- ٣١٥ ..... صالح بن شريف النفري الرندي المعروف بأبي البقاء

- ٣١٥ ..... اشاره
- ٣١٨ ..... كنيته
- ٣١٨ ..... نسبته
- ٣١٩ ..... أسرته
- ٣١٩ ..... مشيخته
- ٣١٩ ..... رحلاته و تغربه عن رنده
- ٣٢١ ..... جوانبه و اهتماماته
- ٣٢١ ..... شخصيه الرندى
- ٣٢٢ ..... صلته بدوله بنى نصر
- ٣٢٢ ..... مؤلفاته
- ٣٢٣ ..... الرندى شاعرا
- ٣٢٥ ..... أغراض شعر الرندى
- ٣٢٧ ..... الغزل
- ٣٢٨ ..... الوصف
- ٣٣٠ ..... الرثاء
- ٣٣٢ ..... الجهاديات
- ٣٣٤ ..... القصيده
- ٣٣٩ ..... متى نظمت القصيده؟
- ٣٤٧ ..... تشيع الرندى
- ٣٤٩ ..... كتابه
- ٣٥٤ ..... الشيخ صالح بن الشيخ زين الدين بن إبراهيم بن صقر بن إبراهيم بن
- ٣٥٧ ..... الشيخ صدر الدين محمد بن أبى القاسم التنكابنى.
- ٣٥٧ ..... الشيخ ملا صفر على اللاهيجانى القزوينى.
- ٣٥٩ ..... الميرزا طاهر بن فرج الله التنكابنى.
- ٣٥٩ ..... الشيخ أبو المظفر عامر بن عامر البصرى.
- ٣٦٠ ..... عبادته بن الصامت.

- أبو سعيد عباد بن يعقوب الدواجني الرواجني الكوفي. ٣٦٠
- الشيخ عباس بن محمد الفيض القمي. ٣٦٢
- عباس أبو الطوس ابن مهدي. ٣٦٢
- اشاره - ٣٦٢
- شعره - ٣٦٢
- الشاه عباس الكبير الصفوي. ٣٦٦
- اشاره - ٣٦٦
- فتح لار و البحرين في سنة ١٠٠٩. ٣٦٧
- الحرب مع العثمانيين - ٣٦٩
- الاستيلاء على قشم و هرمز في سنة ١٠٣١ هـ. ٣٧٠
- وفاه الشاه عباس - ٣٧٣
- الشاه عباس و ادارته للبلاد - ٣٧٦
- الصفويون و البرتغاليون - ٣٧٨
- السيد عباس شبر بن محمد - ٣٨١
- السيد عباس المعروف بالمدرسي آل الحاج السيد جوادي بن السيد - ٣٨٨
- الحاج ميرزا عباس قلي صادق پور وجدى - ٣٨٩
- الدكتور عبد الباقي كلبنارلى بن أحمد. ٣٨٩
- اشاره - ٣٩٠
- مؤلفاته - ٣٩١
- عبادته - ٣٩٢
- من مزاياه - ٣٩٢
- السيد عبد الجواد. ٣٩٤
- الشيخ عبد الحسين الحويزى المعروف بالخياط ابن الشيخ عمران - ٣٩٤
- الشيخ عبد الحسين القرملى ابن الشيخ محمد. ٤٠٢
- الدكتور عبد الحسين فيلسوف. ٤٠٤
- الشيخ عبد الحسين بن الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر. ٤٠٥

- ٤٠٥ ..... السيد عبد الرؤوف فضل الله بن السيد نجيب بن السيد محيي الدين.
- ٤٠٥ ..... اشاره
- ٤٠٧ ..... موهبته الأدبيه و الشعريه.
- ٤٠٨ ..... مراتيه
- ٤١٦ ..... عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي.
- ٤١٧ ..... عبد الرحمن الكواكبي:
- ٤١٧ ..... اشاره
- ٤٣٢ ..... الكواكبي المصلح الاجتماعي
- ٤٤٣ ..... الشيخ عبد الرسول بن الشيخ شريف بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ
- ٤٤٣ ..... المهندس عبد الرزاق البغائري بن المولى محسن بن المولى محرم على
- ٤٤٤ ..... عبد الرزاق بن همام بن نافع.
- ٤٤٥ ..... عبد السلام الهروي
- ٤٤٧ ..... الشيخ عبد الصاحب بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد حسن صاحب
- ٤٤٧ ..... الشيخ عبد الصمد الخامنئي.
- ٤٤٧ ..... الشيخ أبو محمد عبد العزيز بن ابى نصر المبارك بن أبي القاسم محمود
- ٤٤٩ ..... الشيخ عبد العزيز بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ عبد على بن الشيخ
- ٤٤٩ ..... الشيخ عبد الكريم بن الشيخ مهدي بن محمد باقر بن الشيخ على
- ٤٥٠ ..... الشيخ عبد اللطيف بن شمس الدين على الواعظ البيرجندي
- ٤٥٠ ..... الشيخ عبد اللطيف بن الحاج عباس على بن شاه نظر بن محمد بن
- ٤٥٢ ..... الشيخ عبد الله بن الشيخ احمد الاحسائي مؤسس الفرقة الشيعيه ابن
- ٤٥٣ ..... المولى عبد الله بن المولى محمد الكسكرى التنكابني.
- ٤٥٣ ..... عبد المطلب الأمين
- ٤٥٨ ..... عبيد الله بن موسى العيسى.
- ٤٥٩ ..... الشيخ عبد المنعم بن عبد المحسن الخاقاني.
- ٤٥٩ ..... الميرزا عبد الهادي القزويني.
- ٤٥٩ ..... عبد الواسع بن محمد قاسم الجيلاني الرامسري.

- ٤٦٠ ..... عبد الواسع بن موسى بن حسين النحوى الرامسرى.
- ٤٦٠ ..... الشيخ الميرزا عبد الوهاب الشريف بن الشيخ محمد على بن الشيخ
- ٤٦٢ ..... عطا الله المرشدى التنكابنى الشهير ب آقا بزرگ.
- ٤٦٢ ..... الشيخ علاء الدين ابن الشيخ رضا بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ ملا
- ٤٦٢ ..... الشيخ ميرزا علامه بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد صالح الحائرى
- ٤٦٤ ..... الشيخ ملا على بن إبراهيم الهمدانى المعصومى
- ٤٦٥ ..... الشيخ على نقى بن الشيخ احمد الاحسانى مؤسس الفرقة الشيخيه
- ٤٦٥ ..... الشيخ أبو الحسن على بن احمد بن محمد بن داود بن موسى بن بيان
- ٤٦٧ ..... السيد على بن السيد إسماعيل الموسوى القزوينى.
- ٤٧٠ ..... الدكتور على أصغر حكمت بن الميرزا أحمد على مستوفى حشمه
- ٤٧١ ..... الحاج ميرزا على آقا التبريزى.
- ٤٧١ ..... على بن الحسين المسعودى:
- ٤٧٦ ..... على سيف الدوله الحمدانى:
- ٤٧٦ ..... اشاره
- ٤٨٠ ..... فى المدح
- ٤٨٠ ..... فى الوصف
- ٤٨٢ ..... سيف الدوله الناقد
- ٤٨٧ ..... ميرزا على خان أديب خلوت.
- ٤٨٧ ..... الشيخ على بن الشيخ باقر بن الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر.
- ٤٨٨ ..... الشيخ على نقى ابن الشيخ حسن ابن الشيخ محمد صالح الحائرى
- ٤٨٩ ..... على بن الحسين أبو الفرج الأصفهانى.
- ٤٨٩ ..... اشاره
- ٤٨٩ ..... أبو الفرج الأصبهانى موسوعى كبير
- ٤٩٠ ..... متى ولد أبو الفرج، و متى مات؟
- ٤٩٠ ..... أين ولد أبو الفرج؟
- ٤٩٠ ..... انتساب أبى الفرج

- ٤٩٢ ..... أبو الفرج بغدادى المنشأ
- ٤٩٢ ..... السنه التى أصبح فيها أبو الفرج مؤلفا
- ٤٩٢ ..... اللهو و الاقذاع و القذر فى حياه أبى الفرج
- ٤٩٣ ..... أبو الفرج مؤلف متعدد الجوانب
- ٤٩٣ ..... كتاب الأغانى
- ٤٩٥ ..... الواعظ المحسن الشهير أبو الحسن على بن الحسين الغزنوى
- ٤٩٦ ..... السيد على بن الحسين الهاشمى
- ٤٩٧ ..... على بن رثاب التميمى
- ٤٩٧ ..... الأمير نظام الدين على شيرين كنجينه بهادر الجغتائى الهروى
- ٤٩٨ ..... الشيخ على رضا بن المولى كمال الدين حسين الأردكانى الشيرازى
- ٤٩٩ ..... الشيخ على مراد بن حسين بن سبز على السيارستاقى التنكابنى
- ٤٩٩ ..... السيد على نقى السياوزرى التنكابنى
- ٤٩٩ ..... الشيخ على الخوئى بن على رضا الخاكرمردانى
- ٥٠١ ..... الميرزا على آقا المجتهد التبريزى بن المولى عبد العظيم
- ٥٠١ ..... الميرزا محمد على المدرس الخيابانى
- ٥٠١ ..... الحاج الميرزا على آقا الشيرازى
- ٥٠١ ..... الآغا على أشرف بن الآغا على ناصر بن الآغا إسماعيل بن الآغا
- ٥٠٢ ..... الشيخ على أكبر بن على أكبر الكيلانى الاشكورى المتخلص فى شعره
- ٥٠٣ ..... الشيخ على القوجانى ابن الشيخ قاسم
- ٥٠٣ ..... السيد على بن محمد بن حسين الحسنى التنكابنى
- ٥٠٣ ..... الحاج مولى على بن سلطان محمد الجنابدى الملقب بنور على شاه
- ٥٠٤ ..... الشيخ على "علاوى" بن الشيخ محمد "حميد" بن الشيخ محمد
- ٥٠٤ ..... أبو القاسم، على بن القاضى أبى على المحسن بن على التنوخى
- ٥٠٥ ..... الشيخ على الكنبدى الهمدانى
- ٥٠٥ ..... الشيخ على نقى الخالصى
- ٥٠٦ ..... الشيخ على القمى



- ٥١٠ ..... علي نقى بن محمد بن سليمان التنكابنى الشهير بالمجتهد
- ٥١٠ ..... ميرزا علي ثقة الإسلام ابن موسى.
- ٥١١ ..... سديد الملك أبو الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ
- ٥١٨ ..... علي بن المقرب الاحسائي:
- ٥٢١ ..... علي بن هاشم.
- ٥٢٢ ..... جمال الدين أبو الحسن علي بن يحيى المخرمى.
- ٥٢٢ ..... علي بن موسى بن الحسين، ابن السمسار الدمشقى.
- ٥٢٣ ..... الأفضل أبو الحسن علي بن يوسف صلاح الدين الايوبى.
- ٥٢٤ ..... عمرو بن دينار الجمحى مولاهم المكى الاشرم.
- ٥٢٤ ..... عوف بن أبى جميله أبو سهل الاعرابى البصرى.
- ٥٢٤ ..... الشيخ عيسى بن صالح الجزائرى.
- ٥٢٨ ..... غزوه بنت السيد راضى بن السيد جواد بن السيد حسن بن السيد احمد
- ٥٢٨ ..... السيد غلام رضا السعيدى.
- ٥٢٩ ..... فاطمه أشرف السادات بنت السيد محمد بن السيد مرتضى بن السيد
- ٥٣٠ ..... فاطمه المكناه بام سلمه بنت الشيخ محمد علم الهدى بن ملا محسن
- ٥٣٠ ..... فاطمه بنت أبى محمد الشريف قريش بن السبيع بن المهنا بن السبيع
- ٥٣١ ..... فاطمه بنت السيد حسين القزوينى صاحب كتاب براهين السداد ابن
- ٥٣١ ..... الفتح بن أبى منصور البغدادى:
- ٥٣٣ ..... الشيخ فتح الله بن علوان الكعبى القبانى الدورقى:
- ٥٣٣ ..... اشاره
- ٥٣٤ ..... اساتذته و مشايخه
- ٥٣٤ ..... آثاره العلميه و الأدبيه
- ٥٤٤ ..... الميرزا فضل علي المولوى المتخلص بصفاء
- ٥٤٤ ..... الشيخ فضل الله بن صدر الدين محمد بن أبى القاسم التنكابنى:
- ٥٤٤ ..... الشيخ فضل الله الصادقى الأشتيانى:
- ٥٤٤ ..... الشيخ فصيح الدين محمد بن الشيخ عبد الكريم البسطامى الدشت

- ٥٤٦ ..... الملا فضة ابنه الشيخ أحمد البلاغي:
- ٥٤٧ ..... الشيخ فيض الله البغدادي الحائري البرمكي
- ٥٤٧ ..... أبو عبد الله القاسم بن الفضل بن أحمد بن أحمد بن محمود الثقفي
- ٥٤٩ ..... الشريف أبو محمد قريش بن السبيع بن المهنا بن السبيع بن المهنا بن
- ٥٥١ ..... قيس بن سعد بن عبادة:
- ٥٥١ ..... اشاره
- ٥٥٨ ..... قيس بن سعد
- ٥٦٠ ..... فشل محاوله احتوائه
- ٥٦٢ ..... عزله
- ٥٦٣ ..... الولاء المطلق لعلی ع
- ٥٦٥ ..... موقف قيس من التحكيم
- ٥٦٦ ..... مشاركته في حرب الخوارج
- ٥٦٧ ..... واليا على "أذربيجان"
- ٥٦٨ ..... قائدا في جيش الحسن ع
- ٥٦٨ ..... رفضه إغراءات معاوية المتجدده
- ٥٧٠ ..... معارضته للصالح
- ٥٧١ ..... قيس آخر المبايعين لمعاوية
- ٥٧٣ ..... الشيخ كاظم بن صفی الله التنكابنی:
- ٥٧٣ ..... الشيخ كاظم الصحاف ابن الشيخ علی
- ٥٧٥ ..... الشيخ كاظم الهجرى ابن الشيخ عمران ابن الشيخ حسن السليم:
- ٥٧٦ ..... كثير عزه:
- ٥٧٦ ..... اشاره
- ٥٧٨ ..... نسبه
- ٥٧٨ ..... نشاته و حياته
- ٥٨٠ ..... شخصيته
- ٥٨٤ ..... وفاته

٥٨٥	حبه عزه
٥٩٠	عقيدته
٥٩٣	كثير الشاعر
٥٩٣	مصادر شعره:
٥٩٤	موضوعات شعره:
٥٩٤	الغزل العذرى
٥٩٧	شعره السياسى
٦٠٣	الخصائص العامه لشعر كثير
٦٠٦	منزلته
٦٠٨	الأميره كردوتشين بنت منكوتيمور بن هولاکو:
٦٠٨	الآغا كريم الروغنى القزوينى:
٦٠٩	الأميره كلين خانم المكناه بام سلمه بنت فتح على الشاه القاجارى:
٦٠٩	مبارک بن حامد بن أبى الفرغ تقى الدين الحداد الحلى.
٦٠٩	الشيخ الميرزا مجتبى بن الشيخ الميرزا احمد التنكابنى القزوينى
٦١١	الشيخ مجتبى القزوينى بن الشيخ احمد بن الميرزا حسين الطبيب
٦١١	مجتبى مينوى
٦١١	اشاره
٦١٥	مقالاته
٦١٥	القاضى التنوخى أبو على المحسن بن على بن أبى الفهم داود بن
٦١٥	اشاره
٦١٨	المرحله الثانيه من عمره
٦٢٠	المرحله الثالثه من حياته
٦٢١	شيوخه
٦٢٣	٤ - آثاره:
٦٢٤	شعره
٦٢٤	الاقا محسن بن عبد الكريم بن محمد بن محسن المرشد التنكابنى

- الشيخ محسن بن الشيخ محمد الحوزى الحائرى المعروف بأبى ..... ٦٢٥
- الشيخ ملا محسن القزوينى الأصل البروجردى المولد و المسكن ..... ٦٢٧
- الشيخ محسن بن الشيخ محمد حسن بن الشيخ محسن الكبير بن ..... ٦٢٨
- اشاره - ..... ٦٢٨
- شعره ..... ٦٢٩
- الأغا الميرزا محسن المجتهد التبريزى: ..... ٦٢٩
- محيى الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبى طريف محمد بن على ..... ٦٣٠
- محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازى ..... ٦٣٠
- اشاره - ..... ٦٣٠
- مراحل حياه صدر المتألهين - ..... ٦٣١
- مصادر الإلهام فى فكر صدر المتألهين ..... ٦٣٢
- منهج صدر المتألهين الفلسفى ..... ٦٣٢
- آثار و مؤلفات صدر المتألهين - ..... ٦٣٩
- سيره ملا صدرا ..... ٦٤٥
- مبنى آثار ملا صدرا ..... ٦٥١
- فلسفه المعاد - ..... ٦٥٩
- محمد بن أبى حرب بن محمد الحسينى أبو جعفر ..... ٦٦٣
- محمد بن أبى على بن أبى نصر النوقانى ..... ٦٦٤
- الشيخ أبو منصور محمد بن أبى العباس احمد بن يحيى بن زيد بن ناقيه ..... ٦٦٤
- السيد محمد بن احمد بن حسن بن حسين الحسينى ..... ٦٦٤
- السيد محمد بن أبى طالب بن السيد محمد شيخ الإسلام الحسينى ..... ٦٦٤
- أبو القاسم محمد بن احمد بن مهدى العلوى ..... ٦٦٦
- محمد بن احمد بن حمدان المعروف بالخجاز البلدى ..... ٦٦٦
- شرف الدين محمد بن احمد بن يعلى الهاشمى ..... ٦٦٧
- محمد بن احمد بن محمد الملقب ذو البراعين ..... ٦٦٧
- محمد بن احمد بن محمد بن خلف أبو الحسن بن الفحام ..... ٦٦٧

- ٦٦٧ ----- محمد بن احمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن إبراهيم بن جعفر بن
- ٦٦٨ ----- محمد بن احمد الحيرى
- ٦٦٩ ----- محمد أولجايتو خدابنده بن ارغون بن أبقا بن هولكو
- ٦٨٤ ----- محمد بن إسماعيل بن الفضل الحسينى بن العلوى السيد أبو البركات
- ٦٨٤ ----- محمد بن إسماعيل بن أميرك بن إسماعيل بن أميرك بن إسماعيل بن
- ٦٨٥ ----- محمد بن جعفر بن محمدا جعفر القصار الرازى
- ٦٨٥ ----- مجد الدين أبو عبد الله محمد بن جعفر بن محمد بن معيه العلوى
- ٦٨٥ ----- السيد محمد المحقق الشهير بالداماد ابن السيد جعفر
- ٦٨٦ ----- محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله المصرى
- ٦٨٧ ----- الشيخ محمد بن حبيب الله العزيزى الشهير بالسبزوارى النجفى
- ٦٨٧ ----- ميرزا محمد حسين النيسابورى المشهور بنظيرى
- ٦٩٠ ----- مجد الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن احمد بن أبى القاسم
- ٦٩٠ ----- محمد بن الحسن بن محمد بن مهدى بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن
- ٦٩٠ ----- مجد الدين أبو عبد الله محمد بن عز الدين الحسين بن محمد بن عز
- ٦٩٠ ----- محمد بن الحسن القمى
- ٦٩١ ----- محمد بن الحسن بن محمد بن على بن احمد بن إبراهيم الخزاعى
- ٦٩١ ----- مجير الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن أبى القاسم محمد بن
- ٦٩١ ----- المنتجب أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مسعود بن احمد الموصلى
- ٦٩٢ ----- محبى الدين أبو طاهر محمد بن كمال الدين أبى الفتوح حيدر بن محمد
- ٦٩٣ ----- محمد بن محمد بن طرخان الفارابى
- ٦٩٣ ----- اشاره
- ٦٩٣ ----- بدأ حياته متفلسفا، و ختمها متصوفا
- ٦٩٣ ----- علمه بالموسيقى
- ٦٩٤ ----- فلسفته:
- ٦٩٤ ----- التوفيق بين أفلاطون و أرسطو
- ٦٩٦ ----- التوفيق بين

- ٦٩٦ ..... الفيلسوف الكامل
- ٦٩٧ ..... المدينة الفاضله أو الدوله المثاليه
- ٦٩٩ ..... السعاده العليا أو الخير الاسمى
- ٧٠٠ ..... خاتمه
- ٧٠٠ ..... محمد باقر المعروف بالفاضل السبزوارى.
- ٧٠٠ ..... الشيخ محمد باقر بن محمد جعفر الأصفهانى الفشاركى.
- ٧٠١ ..... السيد محمد باقر بن السيد على صاحب حاشيه القوانين المشهوره
- ٧٠٢ ..... السيد محمد باقر إبراهيم بن السيد على.
- ٧٠٦ ..... السيد محمد باقر بن السيد مهدي بن السيد محمد على الرضوى
- ٧٠٦ ..... الشيخ محمد تقى و يقال محمد بن الشيخ احمد الاحسائى مؤسس
- ٧٠٨ ..... ميرزا محمد تقى المتخلص: بنير.
- ٧٠٨ ..... محمد تقى بن محمد قاسم الجيلانى التنكابنى.
- ٧٠٨ ..... المولى محمد تقى بن فقيه على التنكابنى اليوشى.
- ٧٠٨ ..... الشيخ محمد تقى التنكابنى بن محمد بن رحيم بن منصور بن رحيم
- ٧٠٩ ..... السيد محمد تقى الجلالى الحسينى ابن السيد محسن.
- ٧١٠ ..... الميرزا محمد تقى بن محمد صالح الحكيم التنكابنى.
- ٧١١ ..... شمس الدين محمد المعروف بحافظ الشيرازى.
- ٧٢٧ ..... الشيخ محمد حسن التنكابنى الشاهرودى.
- ٧٢٧ ..... محمد حسن الفانى الزنوزى ابن الحاج مير عبد الرسول.
- ٧٢٨ ..... ميرزا محمد حسين نجاه بن عبد الغفار التبريزى.
- ٧٢٨ ..... السيد محمد حسن القوجانى المعروف بأغا نجفى القوجانى.
- ٧٢٩ ..... محمد حسن فروزانفر الشهير بديع الزمان.
- ٧٣١ ..... محمد بن الحسن بن باكير الشيرازى كاتب السبيعى
- ٧٣١ ..... محمد بن الحسن بن محمد بن القاسم بن المسور أبو الحسن الجهنى
- ٧٣٢ ..... السيد محمد حسن الشخص بن احمد.
- ٧٣٣ ..... آقا رضى الدين محمد بن حسن القزوينى.

- ٧٣٣ ..... الشيخ محمد حسن بن الشيخ محسن بن الشيخ محمد الحوزي
- ٧٣٣ ..... الشيخ محمد حسن بن الشيخ احمد بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ
- ٧٣٤ ..... محمد بن الحسن بن يعصن القصار.
- ٧٣٤ ..... محمد بن الحسين البغدادي مقرئ العراق.
- ٧٣٤ ..... الشيخ محمد حسين الدهاقاني
- ٧٣٥ ..... الشيخ محمد حسين الغريب التنكابني الشهير بالشيخ حسين الرامسري
- ٧٣٦ ..... محمد بن الحسين بن حمزه بن جعفر بن العباس بن إبراهيم الاعرابي
- ٧٣٦ ..... محمد بن الحسين بن إسحاق بن موسى بن إسحاق بن الحسين بن
- ٧٣٦ ..... السيد محمد بن السيد حسين بن المير عبد المطلب الحسيني الرامسري
- ٧٣٧ ..... الشيخ محمد حسين بن الشيخ سليمان بن ولي الله بن امر الله بن
- ٧٣٧ ..... الشيخ محمد حسين بن محمد جعفر التنكابني.
- ٧٣٧ ..... الشيخ محمد بن الحسين بن مهدي المهدي السعدي اللاهيجي.
- ٧٣٩ ..... الشيخ محمد رضا التنكابني.
- ٧٣٩ ..... محمد بن حماد بن سلمان بن المحسن أبو غالب العلوي
- ٧٣٩ ..... محمد بن حمزه بن إسماعيل بن الحسين بن علي بن الحسين بن
- ٧٤٠ ..... الشيخ محمد رضا الطبسي النجفي ابن عباس.
- ٧٤٠ ..... المولى محمد زمان بن حاجي مراد خان التنكابني الديلمي.
- ٧٤٠ ..... مجد الدين أبو الحسن محمد بن زكي الدين الحسن بن أبي الفتوح
- ٧٤١ ..... أبو منصور محمد بن زيد بن محمد بن محمد بن زيد بن احمد أمير
- ٧٤١ ..... الشيخ الكبير العالم المعمر مسند وقته أبو علي محمد بن سعيد بن
- ٧٤٣ ..... محمد صادق بن حاجي مراد التنكابني.
- ٧٤٣ ..... الحاج الشيخ محمد صالح المجتهد التنكابني.
- ٧٤٣ ..... الشيخ محمد صالح بن محمد باقر القزويني المعروف بالروغني.
- ٧٤٤ ..... مولانا محمد صالح الترشيزي
- ٧٤٤ ..... الشيخ محمد صالح قفطان بن الشيخ مهدي.
- ٧٤٤ ..... اشاره

- ٧٤٤ ----- شعره
- ٧٤٧ ----- الشيخ محمد بن صدر الدين محمد بن أبو القاسم التنكابني الشهير
- ٧٤٨ ----- الميرزا محمد طاهر بن ظفر خان أحسن بن الخواجه أبو الحسن
- ٧٤٩ ----- الشيخ محمد بن عبد الحسين الرشتي النجفي
- ٧٤٩ ----- معين الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق بن محمد الجعفری
- ٧٥٠ ----- مختص الدين أبو عبد الله محمد بن عزيز الدين شرف شاه بن محمد
- ٧٥٠ ----- محمد بن عمرو السوسی الكوفی
- ٧٥٠ ----- السيد محمد بن السيد عبد الكريم الشهير بمولانا
- ٧٥٢ ----- الأمير عز الملك محمد بن عبد الله بن احمد الحراني
- ٧٥٢ ----- الأفضل محمد بن عبد الكريم بن احمد الشهرستاني أبو الفتوح
- ٧٥٥ ----- محمد بن عبد الله بن عمر بن محمد بن الحسن الفارس أبو الحياه
- ٧٥٦ ----- محمد بن علي بن احمد بن الناقد أبو السعادات البغدادي
- ٧٥٦ ----- أبو احمد محمد بن علي بن عبدك الشيعي العبدكي
- ٧٥٨ ----- محمد بن عبد الفتاح سراب التنكابني
- ٧٥٩ ----- محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن علي بن الحسن بن الحسين
- ٧٥٩ ----- شرف الساده أبو الحسن محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن علي بن الحسن بن الحسين بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن
- ٧٦٠ ----- مجد الدين محمد بن عبيد الله بن الكوفي الصدر العالم
- ٧٦٠ ----- محيي الدين محمد بن عبد القاهر بن عبد الرحمن بن حسن بن
- ٧٦٢ ----- السيد محمد علي الغريفي البحراني بن السيد عدنان
- ٧٦٢ ----- اشاره
- ٧٧١ ----- مؤلفاته
- ٧٧٢ ----- السيد محمد علي آل خير الدين بن السيد حسين بن السيد محمد علي
- ٧٧٤ ----- السيد محمد الحجّه التبريزي
- ٧٧٤ ----- الشريف أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن
- ٧٧٧ ----- أبو غالب فخر الملك محمد بن علي بن خلف
- ٧٨٦ ----- السيد محمد الأمين بن السيد علي



- ٧٨٦ - ..... اشاره
- ٧٩٣ - ..... الجوله الدعائيه
- ٧٩٣ - ..... اهتمام الدول الأجنبيه بحركه الاستقلال الشاميه
- ٧٩٤ - ..... الشيخ محمد علي الشهير ب الحاج الشيخ آقا بزرگ الشاهرودي
- ٧٩٥ - ..... السيد محمد بن فضل الله الحسيني الاشكوري الجيلاني
- ٧٩٦ - ..... الشيخ محمد فليح
- ٨٠٠ - ..... محمد كاظم بن محمد جعفر الشيرازي المتخلص ب آشفته
- ٨٠٠ - ..... المولى الآخوند ملا محمد الكاشاني الاصفهاني
- ٨٠١ - ..... المولى محمد كاظم بن سليمان التنكابني الكلام وري
- ٨٠١ - ..... الشيخ محمد كاظم بن عبد العلي التنكابني
- ٨٠١ - ..... محمد كريم بن صفى الله بن علي التنكابني
- ٨٠١ - ..... الشيخ محمد كريم بن المولى الشيخ فصيح الدين محمد بن الشيخ
- ٨٠٢ - ..... المولى آغا مير محمد مؤمن بن جمال الدين مصطفى الأنجداني
- ٨٠٣ - ..... السيد محمد بن محمد حسين بن مير محمد رضا الحسيني التنكابني
- ٨٠٤ - ..... الشيخ أبو منصور محمد بن محمد بن المبارك الكرخي
- ٨٠٤ - ..... محمد بن محمد بن عدنان بن عبد الله بن عمر العلوي الحسنى الكوفي
- ٨٠٤ - ..... مجد الدين أبو الحسن محمد بن محمد بن محمد بن الضحاک القرشي
- ٨٠٥ - ..... محمد بن محمد بن أسعد بن علي بن معمر بن عمر بن علي بن أبي
- ٨٠٥ - ..... المولى الشيخ محمد مراد بن درويش علي بيك الأشتياني القمي
- ٨٠٦ - ..... محيى الدين أبو عبد الله محمد بن المرتضى بن عبد الله الحسنى
- ٨٠٦ - ..... المولى محمد بن محمد طاهر الكلبيجاني التنكابني
- ٨٠٧ - ..... السيد محمد بن محمد يوسف الحسيني التنكابني
- ٨٠٧ - ..... مجد الدين محمد بن محمد بن أبي مضر بن سالم بن علي العلوى
- ٨٠٧ - ..... محمد بن أبي الهيجاء بن محمد
- ٨٠٧ - ..... محمد بن محمد بن احمد بن السلال الكرخي
- ٨٠٨ - ..... السيد محمد المعروف بالسيد القصير ابن ميرزا معصوم

- ٨٠٨ ..... الشيخ محمود بن الشيخ مرتضى بن الشيخ حسن الأشثيانى
- ٨٠٩ ..... آغا محمد هاشم بن آغا محمد إسماعيل الشيرازى.
- ٨٠٩ ..... محمد بن موسى الفطرى.
- ٨١٠ ..... أبو عبد الله محمد بن ناصر بن مهدي بن حمزه العلوى الحسنى.
- ٨١٠ ..... تاج الدين محمد بن نصر بن صلاحيا
- ٨١١ ..... السيد محمد هادى الميلانى.
- ٨١٢ ..... السيد محمد هاشم بن محمد حسين بن المير محمد رضا الحسينى.
- ٨١٣ ..... أبو البركات محمد بن هبه الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبى
- ٨١٤ ..... أبو طاهر محمد بن يحيى بن ظفر بن الداعى بن مهدي بن محمد بن
- ٨١٤ ..... مجد الشرف أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله العلوى الكوفى
- ٨١٤ ..... مجد الدين أبو الفتح محمد بن تاج الدين أبى منصور يحيى بن المظفر
- ٨١٤ ..... محمد بن يحيى بن ظفر بن الداعى بن مهدي بن محمد بن جعفر بن
- ٨١٥ ..... أبو العلاء محمد بن جعفر بن هبه الله بن يحيى بن الحسن بن احمد بن
- ٨١٦ ..... أبو الحسن محمد بن هبه الله بن محمد بن الحسين الحسنى.
- ٨١٦ ..... الميرزا محمد اليزدى.
- ٨١٧ ..... الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عبید الله النيسابورى البغدادى
- ٨١٧ ..... السيد محمد يوسف الحسينى التنكابنى.
- ٨١٧ ..... جمال الدين أبو المكارم الحافظ أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى بن
- ٨١٧ ..... اشاره
- ٨١٩ ..... مذهبه
- ٨١٩ ..... شعره
- ٨٢٠ ..... مؤلفاته
- ٨٢٠ ..... مقتله
- ٨٢١ ..... الشيخ أبو عقيل محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف النوقارزى
- ٨٢٢ ..... السيد محمود بن السيد سلطان على المرعى التسترى.
- ٨٢٢ ..... السيد مرتضى الخسرشاهى بن السيد احمد بن السيد محمد

- ٨٢٢ ..... السيد مرتضى بن هادى بن محمد رضا الحسينى الرامسى.
- ٨٢٣ ..... الشيخ مرتضى بن الشيخ حسن بن الشيخ جعفر بن ميرزا محمد
- ٨٢٣ ..... السيد مرتضى الكشميرى.
- ٨٢٣ ..... اشاره
- ٨٢٣ ..... مؤلفاته
- ٨٢٥ ..... مشايخه فى الروايه
- ٨٢٦ ..... تلامذته
- ٨٢٦ ..... وفاته
- ٨٢٦ ..... عقبه
- ٨٢٧ ..... السيد مسلم الحلّى النجفى
- ٨٢٧ ..... الحاج ميرزا مصطفى مجتهدى
- ٨٢٧ ..... الشيخ مصطفى بن الشيخ حسن بن الشيخ جعفر بن الشيخ محمد
- ٨٢٨ ..... أبو منصور المظفر بن أردشير المروزى العبادى و يلقب بالأمير.
- ٨٢٩ ..... السيد مظفر على بن السيد خير الدين بن السيد مير خير الله الهندى
- ٨٣٠ ..... معصومه خاتون بنت الفيلسوف الشهير صدر المتألهين محمد بن
- ٨٣٠ ..... منصور بن إسماعيل.
- ٨٣١ ..... الشيخ منصور المرهون:
- ٨٣٢ ..... الملا مهدي بن الملا عبد على الشويكى الفلاحى.
- ٨٣٤ ..... السيد مهدي الحكيم بن السيد محسن.
- ٨٣٤ ..... اشاره
- ٨٣٥ ..... مرآته
- ٨٣٨ ..... الشيخ مهدي بن الشيخ جعفر المعروف بأغا ميرزا كوچك بن الشيخ
- ٨٣٨ ..... السيد موسى بن السيد على بن السيد مهدي بن السيد المير بزرگ بن
- ٨٣٩ ..... الشيخ موسى العصامى بن محسن.
- ٨٣٩ ..... اشاره
- ٨٣٩ ..... شعره

- ٨٤١ ..... الشيخ موسى الهر بن جعفر.
- ٨٤٣ ..... قادر نادر ميرزا القاجارى.
- ٨٤٤ ..... السيد ناصر بن احمد البحرانى.
- ٨٤٥ ..... السيد ناصر بن السيد هاشم بن السيد احمد بن السيد حسين آل السيد.
- ٨٤٨ ..... ناصيف النصار.
- ٨٤٨ ..... اشاره.
- ٨٥٣ ..... الشيخ ناصيف النصار الإنسان.
- ٨٥٦ ..... ناصيف النصار: زعامه الأسره.
- ٨٦٦ ..... معركة كفر رمان.
- ٨٧١ ..... تحرير صيدا.
- ٨٧٤ ..... ناصيف النصار و الجزائر.
- ٨٨٠ ..... ناصيف النصار و الجزائر:
- ٨٨١ ..... معركة يارون الاثنين ٥ شوال ١١٩٥/:
- ٨٨٤ ..... ماسى الجزائر فى جبل عامل.
- ٨٨٦ ..... المقاومه العامليه للجزار.
- ٨٨٧ ..... جبل عامل فى عهد الشيخ ناصيف النصار.
- ٨٩٥ ..... المولد و النشأه.
- ٨٩٦ ..... الصراع مع ظاهر العمر.
- ٨٩٨ ..... تسلم ولايه صيدا.
- ٨٩٨ ..... الحاكم المطلق فى الشام.
- ٨٩٩ ..... جنون و صواب و قسوه.
- ٩٠٢ ..... ترتيب الديار المصريه:
- ٩٠٤ ..... فوضى الحكومه.
- ٩٠٥ ..... البكوات المماليك.
- ٩٠٧ ..... على بك الكبير.
- ٩٠٨ ..... تاريخ على بك.

- ٩٠٨ ..... شياخته
- ٩١٠ ..... استقلال على بك:
- ٩١١ ..... الشيخ ظاهر
- ٩١٣ ..... على بك و فتح بلاد العرب
- ٩١٣ ..... الحمله على الشام
- ٩١٤ ..... المحالفه مع روسيا:
- ٩١٤ ..... سقوط دمشق
- ٩١٤ ..... نهايه على بك
- ٩١٩ ..... نهايه أبى الذهب
- ٩١٩ ..... الفوضى المملوكيه:
- ٩٢٠ ..... احمد باشا الجزائر
- ٩٢٢ ..... الحمله العثمانيه و فشلها
- ٩٢٢ ..... الشيخ نصر الله بن الشيخ هدايه الله الشهير بالحاج مجتهد بن الشيخ
- ٩٢٣ ..... ملا نظر على بن محسن الكيلاني
- ٩٢٣ ..... السيد هادى الحسينى التبريزى
- ٩٢٥ ..... السيد هادى بن المير محمد رضا بن المير محمد حسين الحسينى
- ٩٢٥ ..... السيد هبه الله بن السيد أبو القاسم بن السيد حسين بن السيد مطهر بن
- ٩٢٥ ..... الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعه
- ٩٢٥ ..... اشاره
- ٩٢٨ ..... أزواجه و أولاده
- ٩٣٢ ..... شخصيته
- ٩٣٤ ..... وفاته
- ٩٣٤ ..... صلته بالحكام
- ٩٤٠ ..... الفرزدق و الشعراء:
- ٩٤١ ..... الديوان
- ٩٤٣ ..... التناقض

- ٩٤٩ ..... فنونه الشعريه:
- ٩٤٩ ..... الفخر
- ٩٥١ ..... الهجاء
- ٩٥٣ ..... الغزل و النسيب
- ٩٥٤ ..... الوصف
- ٩٥٤ ..... المدح
- ٩٥٧ ..... الرثاء
- ٩٥٨ ..... الخصائص العامه
- ٩٦٢ ..... وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسى
- ٩٦٧ ..... أبو عباده الوليد بن عبيد الطائي البحتري
- ٩٦٧ ..... اشاره
- ٩٧٠ ..... اسمه و كنيته و لقبه
- ٩٧٠ ..... نشاته
- ٩٧١ ..... حبه علوه
- ٩٧٤ ..... شخصيته و أخلاقه
- ٩٧٨ ..... أسرته
- ٩٧٩ ..... عقيدته
- ٩٨٣ ..... صلته بالأعيان و الحكام
- ٩٨٤ ..... نتاجه
- ٩٨٨ ..... شعره
- ٩٨٨ ..... المدح
- ٩٩٥ ..... الفخر
- ٩٩٤ ..... العتاب
- ١٠٠١ ..... الغزل
- ١٠٠٥ ..... الرثاء
- ١٠٠٤ ..... الهجاء

- ١٠٠٧ ..... الحكمه
- ١٠١٠ ..... الخصائص العامه لشعر البحترى
- ١٠١٢ ..... البحترى شاعر الأطفاف
- ١٠١٨ ..... أبو تراب يحيى بن إبراهيم بن أبي تراب الكرخى اللويزى
- ١٠١٩ ..... أبو جعفر يحيى بن أبي زيد العلوى النقيب.
- ١٠٣٤ ..... يوسف اعتصامى
- ١٠٣٤ ..... يحيى بن أبي طى
- ١٠٣٥ ..... يحيى بن زيد بن على بن الحسين
- ١٠٣٨ ..... الشيخ يعقوب بن محمد بن رحيم بن منصور بن رحيم السمامى
- ١٠٣٨ ..... الميرزا يوسف آغا المجتهد التبريزى بن الميرزا على بن المولى محمد
- ١٠٣٩ ..... ملحق بالمستدركات
- ١٠٤٦ ..... مستدرک على المستدركات
- ١٠٤٦ ..... أحمد أبو العلاء المعرى:
- ١٠٤٦ ..... اشاره
- ١٠٥٢ ..... عن رحله المطهر
- ١٠٥٣ ..... عبد الرحمن الكواكبى
- ١٠٦٣ ..... تعريف مركز

## مستدرکات أعيان الشيعة المجلد ٣

### اشاره

عنوان : مستدرکات أعيان الشيعة

پديدآورندگان : امين و حسن و ١٨٨١-١٩٤٨ م. (پديدآور)

مشخصات ظاهري: ٧ ج

زبان : عربي

ناشر: دارالتعارف للمطبوعات بيروت - لبنان

ص: ١

### اشاره





## ابش خاتون بنت الأتابك سعد بن أبي بكر الزنكي

توفيت سنة ٦٨٥ هـ في تبريز ثم نقلت رفاتها إلى شيراز و دفنت في مدرسه (آبش خاتون) المعروفه باسمها.

ملكه جليله نشات و ترعرعت في بلاط أبيها و كانت ذات عقل راجح و رأى صائب ذات دين و صلاح و شجاعه و هي آخر ملكات آل الأتابك السلغرى في شيراز و بها انتهت حكومتهم في إيران و في سنة ٦٦٢ هجرية و بعد وفاه سلجوق شاه استولت على حكومه فارس و كانت عاصمتها مدينة شيراز كانت عالمه فاضله من ربات الفصاحه و البلاغه تلقت من العلم و الثقافه ما جعلها من أندر و أعلم نساء عصرها و كانت محبه للعلم، و تجالس العلماء كما أنها نشرت التشيع في ربوع حكومتها و يظهر انها كانت متأثره بأفكار السيد شرف الدين إبراهيم الذي ادعى بعد ذلك المهدويه و قام بسببه بعض الاضطرابات في ناحيه فارس و لم تقف آبش خاتون موقفا حازما أمامه فأثارت غضب أرغون خان فأمر بنفيها من شيراز إلى تبريز حتى توفيت سنة ٦٨٥ هـ في تبريز و دفنت في مقابر (جرنداب) و بعد مده من الزمن نقلت بنتها (کردوجين) رفاتها إلى شيراز و دفنت في مدرستها التي تعرف باسمها (مدرسه آبش خاتون) أو مدرسه خاتون قيامه و قد وقفت جميع أموالها و ثروتها على أن يصرف ريعها في سبيل الإسلام و نشر العلم: ذكرها أكثر المؤرخين و الكتاب منهم رشيد الدين فضل الله في جامع التواريخ و الآيتي في تاريخ الوصاف و حمد الله المستوفى في تاريخ كزیده و خواند مير في تاريخ حبيب السير و الفسائي في فارسنامه ناصري ج ١ ص ١٠٥ و ج ٢ ص ١١٩٢ و دانشنامه ایران و إسلام.(١)

## المولى آتشی المراغى

من الفقهاء المجتهدين في القرن الثالث عشر الهجرى شاعر أديب مؤلف محقق لم أقف على اسمه قال صاحب (حديقه الشعراء) كان شيخ الإسلام في عصر فتح على الشاه القاجارى بمراغه و من فحول الشعراء المشاهير في عصره له مؤلفات كثيره و لم يذكر اسماءها و اكتفى بذكر ديوان شعره و كان ينظم باللغتين التركيه و الفارسيه و معظم أشعار ديوانه باللغه التركيه، ذكره محمد على تربيت في كتابه (دانشمندان آذربايجان) و نقل عنه شيخنا آغا بزرگ الطهراني في الذريعه.(٢)

## آتونى حياه الهروى

أديبه فاضله من ربات الفصاحه و البلاغه و شاعره من شواعر هرات و خراسان في القرن العاشر الهجرى.

نشات في هرات و خراسان احدى المراكز العلميه آنذاك و تزوجها العالم الشاعر ملا بقائى و كانا من المقربين إلى الوزير الأمير نظام الدين على شير الجغتائى الهروى المتوفى سنة ٩٠٦ هـ و كان يستشيرها الوزير المذكور في إداره شئون المملكه و كانت ذات سلطه و نفوذ و عقل راجح و رأى صائب ذكرها معظم كتب التراجم و وصفوها بأنها من ربات الجمال البارع و الحسن الباهر لها اليد الطولى في الأدب و الشعر، بديعه النظم ذات لسان فصيح و منطوق مبين سريعه البديعه خفيفه الروح حسنه الحديث جميله الصحبه كانت تجالس العلماء و الشعراء و تمازجهم في شعر الغزل. و صفها المير على شيرلودى في كتابه (مرآه الخيال) ص ٣٣٦ قال إنها مشهوره باتونى و لم يذكر اسمها و أدرج قسما من شعرها و قال صاحب كتاب (جواهر العجائب) اسمها حياه و

هى من مدينه هرات و زوجه الشاعر ملا- بقائى ثم ذكر عن حياتها و نقل قسما من شعرها و أما الميرزا محمد ملك الكتاب الشيرازى فذكرها فى كتابه (تذكرة الخواتين) ص ٧٦، و لم يذكر اسمها و قال كانت تتخلص فى شعرها ب تونى ثم ترجم لها و ذكر قسما من شعرها و وصفها شيخنا الآغا بزرگ الطهرانى فى الذريعة ج ٩ قسم الأول ص ٢ بالفاضله الشاعره و نقل الأستاذ على أكبر المشير عن مجموعته مخطوطه فى مكتبه ملك الوطنيه بطهران أن اسمها بى بى آتونى ثم ترجم لها و ذكر أكثر أقوال المؤرخين. (٣)

### السيد المير آزاد بن السيد المير عبد الباقي بن السيد المير محمد صالح

ابن السيد المير محمد زمان الطالقانى القزوينى

من أعلام القرن الثالث عشر فقيه أصولى حكيم متأله أديب شاعر.

تخرج فى الفقه و الأصول على الشيخ محمد صالح البرغانى القزوينى الحائرى و شقيقه الشهيد و أخذ الحكمة و الفلسفه من الآخوند ملا آغا الحكيمى القزوينى ثم هاجر إلى الهند و سكن هناك و انقطعت أخباره و هو من سادات طالقان و تعرف أسرته اليوم فى قزوين ب آل الرفيعى من الأسر العلميه المشهوره نبغ منها اعلام و كان المترجم له ينظم باللغتين العربيه و الفارسيه ذكره المولوى محمد مظفر حسين فى كتابه (روز روشن) ص ٧ و أدرج قسما من شعره. (٤)

### الأميره آغا بيگم الملقيه بأغاباجى:

المتخلصه فى شعرها ب طوطى بنت إبراهيم خان بن بناه خان جوان شير عالمه فاضله أديبه شاعره عابده زاهده توفيت فى قم سنه ١٢٤٨ هـ و دفنت فيها.

قرأت على أكابر علماء آذربايجان و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى السلطان فتح على الشاه القاجارى و تحركت من آذربايجان نحو طهران مع موكب مهيب بلغ فيه عدد أفراد حاشيتها أكثر من مائتى شخص من خدم و جوارى، من جملتهم ملك بيك الذى كان مرافقها الخاص و قيل انها لم تعتن بالسلطان زوجها. و لها قصيده فى هجائه و كانت تكره الأمراء القاجاريين و تناهض البلاط. ثم هاجرت إلى مدينه قم و اعتكفت هناك و انصرفت إلى العباده و التبتل. كانت ذات طبع سليم و ذوق أدبى رائع و من ربات الفصاحه و البلاغه متكلمه خطيبه و لها ديوان شعر ذكرها الوزير محمد حسن خان اعتماد السلطنه فى كتابه خيرات حسان ج ١ ص ١١ و صاحب تذكرة الخواتين من ص ١١-١٢ و الأستاذ محمد على تربيت فى (دانشمندان آذربايجان) ص ٨ و غيرهم. (٥)

### آزروئى خانم السمرقنديه:

أديبه فاضله شاعره متكلمه من ربات الفصاحه و البلاغه فى القرن الحادى عشر للهجره فى سمرقند توفيت بعد سنه ١٠٥٢ هـ.

ذكرها صاحب تذكرة صبح گلشن و مير على شيرلودى فى كتابه مرآه الخيال ص ٣٣٧ و وصفها بأنها صاحبه جمال بارع و حسن باهر، و ان لها طبعاً موزوناً، وصلت إلى أعلى مراتب الكمال و المجد الأدبى، ذكرها شيخنا آغا بزرگ الطهرانى فى

---

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٥- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

سنة ١١٠٢ و ذكر شعرها و كذا في تذكره الخواتين ص ٥٩).

و ذكرها جمع من المؤرخين في مؤلفاتهم و أدرجوا شعرها منهم صاحب ریحانه الأدب ج ١ ص ٤٧ و الأستاذ علی أكبر مشیر السلیمی فی (زنان سخنور) ج ١ ص ٣ و غیرهم.(١)

### آسیه أم فتح علی الشاه القاجاری:

من أهل البر و الإحسان عابده زاهده توفیت سنة ١٢١٧ هـ و نقل جثمانها إلى العراق و دفنت فی الروضة الحیدریه بالنجف الأشرف.

كانت ملكه سیده ذات عقل و رأى و حکمه و معرفه و خبره فی الأمور لها صدقات جاریه تحب العلم و تسعى فی ترویجه و تجالس العلماء. من آثارها الباقیه حتى الیوم مدرسه دینیه فی طهران تعرف باسم مدرسه (مادر شاه) أى مدرسه (أم الشاه) جمعت فیها فحول العلماء للتدریس و كانت تدفع لهم رواتب شهریه و أسست دورا خاصه للسكن و أوقفتها علی المدرسین الذین یدرسون فی هذه المدرسه و من أشهر المدرسین فیها الشیخ محمد جعفر الأسترآبادی المتوفى سنة ١٢٦٣ هـ قال شیخنا آغا بزرك الطهرانی (.. فاجتمع (فتح علی الشاه) بالمرجم و عرف فضله فطلب منه المجيء إلى طهران فأجابہ و لما حلها عين له السلطان دارا متصله بدور السلطنه فی جنب (مدرسه الحكيم هاشم) التي عمرتها أم السلطان و تعرف تلك المدرسه من أجل ذلك ب (مدرسه مادر شاه..). (٢)

و وصفها الوزير الایرانی المیرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه فی كتابه (خیرات حسان) (.. صرفت جمیع عمرها فی بث الخیرات و الصدقات و قضاء حوائج الناس و العبادات..). (٣)

### آشوبی النطنزی

المتوفى قبل سنة ١٠٠٢ هـ.

كان أحد خطاطی الخط نستعلیق و شاعرا بلیغا فی القرن العاشر للهجرة فی أوائل حکومه الشاه عباس الأول الصفوی. و من آثاره دیوان شعر ذكره شیخنا الأستاذ آغا بزرك الطهرانی فی الذریعه إلى تصانیف الشیعه الجزء التاسع من القسم الأول ص ٧ عن كتاب گلشن ص ٦ و ذكره أيضا الدكتور مهدی البیانی فی كتابه (أحوال و آثار خوشنویسان) ج ١ ص ١ و لم أقف علی اسمه و سایر خصوصياته إلا أنه كان يعيش فی قزوین العاصمه فی العصر الصفوی قبل انتقال العاصمه إلى أصفهان(٤)

### الأمیره آغا کوچک بنت الأمير سيف الله میرزا سردار مفخم القاجاری

من ربات الفصاحه و البلاغه فی القرن الثالث عشر للهجرة. أديبه فاضله شاعره متكلمه ولدت فی البلاط القاجاری و ترعرعت فی سرادقات السلاطین و أخذت العلم علی جملة من أفاضل عصرها و نبغت فی الأدب و الشعر و كانت أمها الأمیره آغا بكم بنت المیرزا عبد الکریم من الأميرات الصفویات لذا ينتهی نسبها من جهة الأب إلى السلطان فتح علی شاه القاجاری و من جهة الأم إلى السلاطین الصفویه، و معتمد الدوله میرزا عبد الوهاب المتوفى سنة ١٢٤٤ هـ من أعظم شعراء العصر القاجاری و مؤسس

جميعه نهضة التجدد الأدبي و احياء السبك الخراساني في الشعر الفارسي في أصفهان من أقرباء أمها، "ترجم لها الوزير ميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنة في كتابه (خيرات حسان) ج ١ ص ١١ و ذكرها الأستاذ علي أكبر مشير سليمي في (زنان سخور) ج ١ ص ٨ و المحلاتي في (رياحين الشريعة) ج ٣ ص ٣٢٢. (٥)

### آغنه دوست و يقال آغا دوست بنت درويش قيام السبزواريه:

وصفها صاحب مرآه الخيال في ص ٣٣٧ بأنها كانت عالمة فاضله، نابغه عصرها في علم العروض و القوافي و لها أشعار جيده ذكر ديوانها شيخنا آغا بزرگ الطهراني في الذريعة قال (ديوان آغنه دوست بنت درويش قيام السبزواري الفاضله الشاعره العالمه بالعروض و الشعر...) و ذكرها الأستاذ علي أكبر مشير سليمي في كتابه (زنان سخور) ج ١ ص ٨. و قد اعتبر الوزير الايراني ميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنة في كتابه (خيرات حسان) آغا دوست و آغنه دوست اثنتين حيث ترجم لآغا دوست في ج ١ ص ١٢ و ترجم لآغنه دوست في ج ١ ص ١٥٣ من كتابه (خيرات حسان) و أما الأشعار المذكوره في ترجمه كل منهما فواحده، فالصحيح اتحادهما كما ذكرنا. (٦)

### السيد آفات حسين ابن السيد مقصود حسين الرضوي:

ولد سنة ١٣١٢ و توفي في مدينه (بهاولنكر) في سنة ١٣٨٤ هـ و دفن بجوار المسجد الجامع بها.

ولد في مدينه بجنور التابعه للواء أوترپرداش في الهند ثم هاجر إلى العاصمه دهلي و أخذ العلوم الإسلاميه من الفقه و الأصول على علماء الشيعه هناك و منها توجه إلى لکنهو إحدى المراكز الشيعيه في الهند و تخرج في مدارسها الدينيه و أخذ الطب على الطبيب الشهير مني آغا ثم توجه إلى مدينه ملتان و استقر هناك و قام بالوظائف الشرعيه من الوعظ و التبليغ و الإرشاد فانتهت هناك إليه المرجعيه الدينيه. هذا و كان عمده وارداته من مهنته الطبيه (٧)

### آمنه الصدر المعروفه ب بنت الهدى بنت السيد حيدر بن السيد إسماعيل

الصدر:

ولدت في الكاظميه سنة ١٣٥٦ هـ و استشهدت مع أخيها السيد محمد باقر الصدر في بغداد ١٩ جمادى الأولى سنة ١٤٠٠ هـ.

فقدت والدها في أوائل عمرها و أخذت العلوم الإسلاميه عن أخيها و شريكها في النضال و الجهاد ضد الطغمه الفاسده في العراق السيد محمد باقر الصدر حتى حصلت من العلم و الثقافه العاليه ما جعلها من أندر و أعلم نساء عصرها و قد اشتغلت في مدارس الزهراء الأهليه للبنات فتره من الزمن و كانت تقود النساء المسلمات في العراق و لها نشاط إسلامي و علمي عظيم كتبت و نشرت في الصحف العراقيه مقالات بتوقيع - بنت الهدى - لها مؤلفات عديده مخطوطه و مطبوعه من كتبها المطبوعه أمنيه و دعوه للمرأة المسلمه، بطوله المرأة المسلمه، الفضيله تنتصر، كلمه و دعوه، المرأة مع النبي، المرأة و حديث المفاهيم الإسلاميه (طبع بتوقيع أم الولاء)، صراع و هو مجموعته قصصيه نشرتها بتوقيع - بنت الهدى - في النجف ١٩٧٠ م، و غير ذلك.

في يوم الثلاثاء ١٧ رجب سنة ١٣٩٩ هـ دخل ما يقارب المائتي مسلح من جماعه النظام بيت أخيها و القوا القبض عليها و على

أخيها السيد محمد باقر الصدر ثم أطلق سراحهما بعد مدة من الزمن و في جمادى الأولى سنة ١٤٠٠ هـ ألقى القبض عليهما ثانيه و  
استشهدت مع أخيها. (٨)

ص: ٤

- 
- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
  - ٢- آغا بزرك الطهرانى الكرام البرهه ج ١ ص ٢٥٤ الطبعه الأولى.
  - ٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
  - ٤- الصالحى.
  - ٥- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
  - ٦- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
  - ٧- الصالحى.
  - ٨- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

## السيد إبراهيم بن محسن بن زين العابدين الحسيني الجورسري الرامسري.

توفي في سنة ١٢٧٣ في رامسر.

ولد في رامسر(١) و تعلم المبادئ بها ثم ذهب إلى أصفهان و اشتغل بتحصيل الطب و برع في هذا العلم ثم رجع إلى موطنه و اشتهر بالحكيم له مؤلفات في الطب توجد عند أحفاده(٢)

## الشيخ إبراهيم بن المولى الشيخ عبد الرسول الحموزي النجفي

ولد في النجف سنة ١٣١٥ هـ و توفي في خارج مركز مدينة الناصريه ١٣٧٠ هـ فحمل إلى النجف الأشرف و دفن بها.

خطيب، فقيه، أديب، شاعر ولد في النجف و نشأ بها و درس على أبيه و على جملة من أكابر العلماء في النجف.

من شعره قوله يرثي الحسين (ع) من قصيده:

ظلماته عصابه الشرك ظلما و سقته الردى يد العدوان

منعوه من الورود لماء و بكفيه يلتقى البحران

و أثاروا عليه حربا عوانا و استثاروا كوامن الأضغان

حر قلبي له و روحى فداه من وحيد يجول فى الميدان

## الشيخ إبراهيم بن الشيخ مهدي بن الشيخ محمد بن الشيخ حسين بن

الشيخ محمد بن الشيخ أحمد أطيماش النجفي:

ولد في الشطره سنة ١٢٩٢ هـ و توفي في النجف الأشرف سنة ١٣٦٠ هـ.

آل أطيماش من الأسر النجفيه المعروفه نبع منها غير واحد من العلماء و الشعراء هاجر من لواء المنتفك بعض رجالها إلى النجف لطلب العلم و ترجم بنسبها إلى قبيله ربيعه احدى القبائل العراقيه الكبيره المتعدده الفروع و هم من أحد أفخاذها المعروفين ب (اليسارجه) و كان أول من هاجر إلى النجف و غرس بذره العلم فى هذه الأسره الشيخ أحمد أطيماش فى النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجره و يقال فى سبب تسميه هذه الأسره ب (أطيماش) انه كان أشهب اللون شديد البياض على خلاف ما كان عليه أفراد قبيلته من سمره اللون فعرف باطيماش على اللغه الشعبيه و وصف هذه الأسره الشيخ جعفر محبوبه فى كتابه ماضى النجف و حاضرها (.. كانت هجره بعض أولاده إلى النجف و كانوا موضع احترام و تجيل بين الطبقات النجفيه من أهل العلم و الأدب و لهم علاقته أكيدة و مصاهره مع آل الشيبى و بعض البيوت العلميه الأخرى و لا تزال دورهم فى محله البراق معروفه و



مشهوره و فيها بعض قبورهم و قد انتقل بعض دورهم إلى آل الشيبى بالإرث و لا تزال بأيديهم حتى اليوم و خلت النجف اليوم من آل أطمش و لهم بقيه فى الشطره و بعض الأنحاء العراقيه الأخرى(٣) و من اعلام هذه الأسره المترجم له كان من حمله العلم و أهل الفضل و الأدب و من الشعراء المجيدين ولد فى مدينه الشطره و فيها أخذ الأوليات فى العلوم من تعليم القرآن و الكتابه إلى غير ذلك ثم هاجر إلى النجف الأشرف و هو ابن خمس عشره سنه أخذ المقدمات و السطوح و الأدب على جملة من أفاضل النجف منهم الشيخ عبد الكريم الجزائرى و الشيخ جواد البلاغى و السيد محمد حسين القزوينى و تخرج فى الفقه و الأصول على الفاضل الإيروانى و الشيخ محمد الشريانى و الشيخ حسن المامقانى و السيد كاظم اليزدى و اختص أخيرا باستاذة الشيخ أحمد آل كاشف الغطاء فكان من الملازمين له برز و كان من شعراء النجف فى عصره أليفا لجمع من الأدباء كانوا يأنسون به و يأنس بهم.

و هناك شعر كثير نظمه فى المناسبات المختلفه منه قوله مؤرخا الضريح الذى وضع فى سنه ١٣٥٥ هـ على مرقد السيد أحمد بن هاشم الغريفى المشهور بالحمزه الشرقى:

مقامك يا بن حيدرہ مقام به الأملاك تنزل ثم تصعد

تبين به المعاجز كل يوم و ضوء الشمس باد ليس يجحد

عكوفاً حوله الزوار تتلو و خير الذكر " صل على محمد "

رقدت من النعيم بخير دار و أفضل بقعه و أجل مرقد

أضف عدد الأئمه ثم أرخ على أوج السماك ضريح أحمد

و له شعر راثيا الشيخ محمد طه نجف المتوفى سنه ١٣٢٣ هـ من قصيده:

لا تأمنن غدر الزمان العادى من بعد نازله بخير عماد

هيهات أن يصفو الزمان و خلقه سقم الكرام و صحه الأوغاد

شلت يد الدهر الخئون فإنها ذهبت من العلياء بالأمجاد

و انجاب عن أفق الهدايه بدرها الموفى السنا فخبأ ضياء النادى

يا ناعى الشرع الشريف و معدن الدين الحنيف و مقصد الوفاذ

أوحشت ريع العلم حتى لم يكن من رائح فيه و لا من غاد

و نعتت للأفق الرفيع كواكب الشرف المنيع و كل بدر هاد

من بعده يولى الندى لبنى الرجا كرما و ينقع من غليل الصادى

فهو الذى كانت مواهب فضله للناس كالأطواق فى الأجياد

ما خص فادحك الغرى و إنما سارت نوادبه بكل بلاد

و من نظمه مادحا الشيخ أحمد كاشف الغطاء:

رقت من الدهر يا بشرى أوقات للأنس فيها إعادات و عادات

و قد تجلت رياض البشر ناضره تجلى لخمير الصبا فيهن كاسات

ص: ٥

---

١- رامسر تقع على ساحل بحر الخزر (بحر قزوين) و كانت تسمى قبل حكومه رضا البهلوى ب (سخت سر) و هى من مدن تنكابن الواقعه بين مازندران و جيلان.

٢- الشيخ محمد السماوى من كتابه (بزرگان رامسر).

٣- الشيخ جعفر محبوبه ماضى النجف و حاضرها ج ٢ ص ١ المطبعه العلميه النجف سنه ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

و الورق تقصح عن لحن له رقصت من الحسان غداه اللهو قينات  
و الروض تضحك عن زهر خمائله مطلوله فوقها تبكى الغمامات  
يا حبذا زمن اللذات: إن به وافت إلى مع البرق البشارات  
مسره ترقص الأغصان بهجتها شوقا فكيف إذا وافت مسرات  
و الراح يسعى بها للصب ذو هيف و ما سوى ثغره المعسول راحات  
كان راحته فى راحه جهلت فما تبين لها فى الشرب جامات  
نعيم وجته كالنار ملتهب فأعجب لخد به نار وجنات  
يا بدر طالعت فى خديك لى شبعا كان خديك للراءين مرآه  
عليك أقسم فى لام العذار أما للصب منك بواو الصدغ عطفات  
أديم خدك مصقول أخال به عكسا بان خيال الهدب خالات  
بالله يا حكمى عطفًا على فلى إن جرت أحمد تخشاه الحكومات  
كأنه البدر فى أفق الفخار و قد دارت عليه من الطلاب هالات  
أنى يضل سبيل الرشده طالبهم و ذا محياه مصباح و مشكاه  
أجاب داعى الهدى لما أثناب به و للكرام إذا تدعى إجابات  
قرت بطلعته عين الكمال و كم له من الله عن نقص عنايات  
يفرق المال و التفريق سيئه لله كم أحسنت تلك الاساءات  
للفضل و الجود و التقوى أضيف فكم تتابعت منه فى العليا إضافات  
لا تعجبوا إن طغت كالبحر راحته فتلك أيدى نداء جعفریات  
علائم العلم شعت فى أسرته و للعلوم كما قالوا: علامات  
بالمسك يكتب فى طرس الهوى قلم سطورها حين تملى عنبریات

علامه العصر و الأحكام شاهده و ليس تنكر منهن الشهادات

سمعا أبا الفتح فالفتح المبين أبا تنمى لغيرك فى الدنيا الفتوحات

رايات فضلك يوم الفخر خافقه عنها نكصن من الحساد رايات

راموا سباقك للعليا و أذرهم عن قيد فترك لو قيست قصيرات

يا آل جعفر هذا عهد جدكم جدتموه و ذى تلك الزعامات

كشف الغطاء لكم ينمى فعلكم فى الدين و حى مبين و انكشافات

شمل العلى بينكم ما انفك مجتمعا و شمل وفركم للوفد أشتات

منكم (على) المعالى من سمت شرفا مناقب من مساعيه و ضيئات

أخبار فضلكم صحت روايتها نقلا فهن صحيحات صريحات

دمتم بدورا بأفاق الهدى سفرت و ليس تبعدكم عنها انتقالات

و ديوان شعر كبير فى عده مجلدات. (١)

## الشيخ أبو تراب الشهيدى القزوينى ابن الشيخ الميرزا أبو القاسم ابن

الشهيد الثالث آل الشهيدى:

ولد فى قزوین سنة ١٢٧٨ هـ و توفى فى سلخ ذى القعدة سنة ١٣٧٥ هـ فى طهران.

أخذ المقدمات و السطوح على جملة من علماء المدرسه الصالحيه بقزوین ثم هاجر إلى العراق قاصدا الحوزه العلميه الكبرى فحضر فى كربلاء المقدسه على مدرس الطف الشيخ الميرزا على تقى الحائرى آل الصالحي و الشيخ الميرزا علامه آل الصالحي ثم توجه إلى النجف و أخذ الفقه و الأصول عن الآخوند ملا- محمد كاظم الخراسانى صاحب الكفايه و السيد كاظم اليزدى صاحب العروه الوثقى و حصل على إجازات من مشايخه المذكورين و له إجازة من الشيخ فضل الله النورى مؤرخه ٥ ذى الحجه سنة ١٣٢٦ هـ ثم رجع إلى موطنه قزوین سنة ١٣٣٠ هـ و تصدر للتدريس و الفتيا و إداره الأمور الشرعيه و رجع إليه الناس ثم طلب منه أهالى طهران الهجره إليهم فأجاب و سكن طهران و كان من مراجع التقليد و اشترك فى الانقلاب الدستورى فى إيران (المشروطه) و كان من دعائمها و هو سبط الشيخ محمد صالح البرغانى شقيق جده المولى الشهيد الثالث و له مؤلفات منها تفسير للقرآن الكريم باسم (التبيين فى شرح آيات القرآن الحكيم) فى خمسة أجزاء ضخام فرغ من تبييض الجزء الخامس منها فى ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٦٥ هـ، و كتاب فى الاستصحاب و مباحث الألفاظ، و كتاب فى أقسام النجاسات و أحكامها، و رساله فى

الخراج و المقاسمه، و له مؤلفات مطبوعه منها رساله فى التوحيد، و تفسير آيه النور.

و بعد الحرب العالميه الأولى نرح إلى العراق و سكن كربلاء و ساهم فى الثوره العراقيه الكبرى على بريطانيا و حين أراد الإنكليز القبض عليه هرب إلى إيران ثانيه.(٢)

### السيد أبو جعفر الامام بن المير محمد حسين الآخوندى التنكابنى:

ولد فى حدود ١٢١٠ فى تنكابن و توفى بها قبل سنه ١٢٨٥.

درس المقدمات و السطوح فى موطنه ثم ذهب إلى الأعتاب المقدسه و حضر على أعلامها ثم رجع إلى موطنه و قام بالوظائف الشرعيه إلى أن توفى بها - و هو خال الميرزا محمد التنكابنى مؤلف كتاب قصص العلى [العلماء].(٣)

ص: ٦

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- الشيخ محمد السامى.

## آمنه بنت عباد بن علي بن حمزه الطباطبائي العلوي الأصفهاني:

عالمه فاضله محدثه ذات صلاح و دين و من ربات الفصاحه و البلاغه و المحدثات في أواخر القرن الخامس و مطلع القرن السادس للهجرة في أصفهان.

سمعت الحديث من أبي محمد رزق الله التميمي و تصدرت للتدريس باصفهان ذكرها الأستاذ عمر رضا كحاله في أعلام النساء عن كتاب التجير للسمعاني المخطوط قال (آمنه بنت عباد بن علي بن حمزه بن طباطبائي العلوي: محدثه من محدثات القرن الخامس و السادس للهجرة باصفهان سمعت على الامام أبي محمد رزق الله التميمي) و نقل عنه المحلاتي في رياحين الشريعة ج ٣ ص ٣٢٣. (١)

أقول أسرتها آل الطباطبائي في أصفهان من أشهر الأسر العلميه في أصفهان و أعرقها في الزعامه و الرئاسه و الجاه نبغ منها علماء أعلام و شعراء أفذاذ و تفرعت إلى بطون و فروع يطول علينا شرحها نرح قسم منهم إلى العراق و الخليج الفارسي و من أشهر هذه البطون في العراق آل الحكيم الذين نزحوا في العصر الصفوي إلى النجف الأشرف و آل بحر العلوم و آل الطباطبائي صاحب الرياض في كربلاء و آل البروجردي في قم و بروجرد و غيرهما من الفروع و البطون. (٢)

## آمنه بنت أبي محمد الشريف قريش بن السبيع بن المهنا بن السبيع بن المهنا

بن السبيع بن المهنا بن داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن

الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن

أبي طالب - ع - العلوي الحسيني المدني البغدادي.

كانت حيه في رجب سنه ٥٦٠ هـ.

عالمه فاضله محدثه فقيهه من أكابر نساء الشيعة في مطلع القرن السابع للهجرة في بغداد.

ولدت في بغداد و قرأت على أبيها الشريف قريش البغدادي المتوفى سنه ٦٢٠ هـ ثم حضرت على الشيخ أبو طالب المبارك بن علي بن محمد بن خصير الصيرفي البغدادي و قد قرأت عليه كتاب (فضل الكوفه) تأليف أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن عبد الرحمن الحسيني الشجري المتوفى سنه ٤٥٥ هـ و قد كتب أبوها الشريف قريش بخطه الشريف في آخر النسخه من كتاب (فضل الكوفه) في مجالس آخرها يوم الثلاثاء عاشر رجب سنه ٥٦٠ هـ و قرأت معه زوجته شرف النساء بنت أبي طالب أم المترجم لها الآتي ذكرها و أولاده محمد و آمنه (المترجم لها) و بنته الأخرى فاطمه (٣) الآتي ذكرها و هذه النسخه النفيسه من كتاب (فضل الكوفه) من مخطوطات المكتبه الظاهريه بدمشق و نسخه فتوغرافيه منها في مكتبه أمير المؤمنين العامه في النجف الأشرف. (٤)

## آمنه بنت فتح علي خان دولوي القاجاري:

من ربّات الفصاحة و البلاغه و عالمه فى الفنون العسكريه شجاعه توفيت سنه ١٢٣٠ هـ و نقل جثمانها إلى العراق و دفنت فى الروضه الحسينيه.

تزوجها فتح على الشاه القاجارى و هى أم ولى العهد عباس ميرزا قيل انها كانت تشارك مع ولدها عباس ميرزا فى الحروب بكل بساله و شجاعه و تبدى رأيها فى الفنون العسكريه و فى الأعياد و المناسبات الرسميه كانت فى مقدمه صفوف المستقبلين تقف بجانب زوجها فتح على الشاه القاجارى و كان الشاه يستشيرها فى إداره أمور الدوله و يأخذ برأيها.

ذكرها الأمير عضد الدوله سلطان أحمد ميرزا فى كتابه (تاريخ عضدى) ص ١٢ و ١٦٦ و ٣٠١ (٥).

### **السيد إبراهيم بن أبو الحسن بن هادى بن محمد رضا الحسينى التنكابنى**

القزوينى:

ولد حدود ١٢٥٥ و توفى بقزوین سنه ١٣٢٤.

مرت ترجمته فى الجزء الثانى / ١١٥ و نزيد عليها هنا ما يلى:

تنكابن - بضم التاء و سكون النون.. مقاطعه تقع بين مازندران و جيلان على ساحل بحر الخزر - بحر قزوین - طولها أكثر من خمسه عشر فرسخا و عرضها خمسه فراسخ تقريبا فيها عدده مدن و قرى.. منها، مدينه رامسر، و شهبسوار، و خرم آباد، جالوس.. و السيد إبراهيم قرأ المبادئ و المقدمات عند والده و بعض الأعلام فى مدينه قزوین ثم هاجر إلى النجف الأشرف و أدرك قليلا من درس الشيخ الأنصارى ثم حضر عند أعلامها و اختص بالميرزا حبيب الله الرشتى.

و فى أوائل القرن الرابع عشر رجع إلى قزوین بطلب من أهاليها و اشتغل فيها بالتدريس و التأليف و الامامه و بنى مدرسه هناك للطلاب و من مؤلفاته:

١ - منظومه فى أصول الفقه.

٢ - منظومه فى فنون البلاغه.

٣ - كتاب الأربعين (٤).

### **الميرزا إبراهيم بن الميرزا شاه حسين الأصفهانى القزوينى**

توفى فى قزوین سنه ٩٨٩ هـ و دفن فى سرداب الإيوان الشمالى من روضه شاه زاده حسين ابن الامام الرضا ع بقزوین.

شاعر أديب لغوى متبحر نحوى متفنن خطاط ماهر ولد فى أصفهان و أخذ العلم من أعلامها و كان والده الميرزا شاه حسين

المقتول في ٢٨ جمادى الأولى سنة ٩٢٩ هـ من كبار البلاط الصفوى و وزير الشاه إسماعيل الصفوى (٩٠٦ - ٩٣٠ هـ) و بعد قتل أبيه تدهورت حالته المعاشيه مما اضطره إلى الهجره فى سنة ٩٥٠ هـ إلى قزوین فاستقبله علماء و أدباء و شعراء و فضلاء قزوین و التفوا حوله و كان حاد الذكاء قوى الأسلوب فتمكن من التركيز فى المجامع العلميه و كانت له حوزة معموره و له نظم فى أسلوب بديع و ترك شعرا كثيرا.

و من آثاره ديوان شعر و كتاب فرهنگ إبراهيمى و يقال فرهنگ جهان گشا و يقال فرهنگ مختصر و يقال فرهنگ فارسى، كلها متحده منها نسختان فى مكتبه جامعه طهران و نسختان فى مكتبه سبهاسالار و مجلس الشورى (مجلس النواب) بطهران ذكره شيخنا الأستاذ الامام الطهرانى فى موسوعته الذريعه تاره بعنوان فرهنگ جهان گشا و طورا بعنوان فرهنگ فارسى ثم ذكر اتحادهما.

ذكر المترجم له صاحب كتاب (عالم آراى عباسى) و قال: له كتاب فرهنگ جمع فيه اللغات المتداوله فى شعر الشعراء القدماء و فسر معناها. و أشار إليه الدكتور مهدي البيانى فى كتابه (أحوال و آثار خوشنويسان) الجزء الأول صفحه ١٥-١٦ و ذكره من كبار الخطاطين فى العصر الصفوى. (٧)

ص: ٧

- 
- ١- عمر رضا كحاله: أعلام النساء ج ١ ص ١٤ الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م بيروت مؤسسه الرساله.
  - ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى، و هى منتزعه من كتابه المخطوط (رياحين الشيعه).
  - ٣- انظر الثقافات العيون فى سادس القرون ص ٢٣٧-٢٣٨ و الأنوار الساطعه فى المائه السابعه ص ١٣٦-١٣٧.
  - ٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى، و هى منتزعه من كتابه المخطوط (رياحين الشيعه).
  - ٥- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
  - ٦- الشيخ محمد السامى.
  - ٧- الشيخ عبد الحسين الصالحى.



## الميرزا أبو الحسن بن حسين بن تقي الكلان محله اى الرانكوهى

التنكابنى الشهير بالجيلانى

توفى بعد سنه ١٣١٣.

ولد فى (الكلان محله) و هى من قرى تنكابن الواقعه بين رودسر و رامسر. كانت تابعه لتنكابن و هى حاليا تتبع محافظه جيلان.

درس المقدمات و السطوح فيها و حضر عند الميرزا محمد التنكابنى مؤلف قصص العلماء برهه من الزمن ثم ذهب إلى طهران و من هناك ذهب إلى النجف الأشرف للدراسه و له مؤلفات منها.

١ - شرح قصيده الفرزدق الميميه ٢ - جامع المكاسب ٣ - ألغاز و مغالطه ٤ - الصيغ المشكله ٥ - سبب اختلاف الأخبار - ٦ - جامع المطالب ٧ - المعاد و التوبه ٨ - أحوال السيد محمد المجاهد ٩ - أحوال خواجه نصير الدين الطوسى ١٠ - و مجموعه جمعها سنه ١٣٠٥. (١)

## السيد أبو الحسن بن هادى بن محمد رضا الحسينى التنكابنى:

ولد حدود ١٢٢٢ فى رامسر.

و توفى فى ١٩ ربيع الأول ١٢٨٦ فى قزوین و تعلم المبادئ و المقدمات تحت رعايه والده ثم ذهب مع أخويه السيد مرتضى و السيد صادق إلى أصفهان و حضر فى الفلسفه على المولى على النورى و فى الفقه و الأصول على الشيخ إبراهيم الكلباسى فلما توفى استاذه النورى ذهب إلى طهران ثم إلى قزوین و اشتغل فى الفقه و الأصول و الفلسفه و التفسير و الكلام على السيد هاشم القزوينى و السيد قوام الدين و المولى عبد الوهاب. و السيد على القزوينى - و امره استاذه المولى عبد الوهاب بالمهاجره إلى العتبات المقدسه. فنزل النجف الأشرف و حضر بحث الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر مده ثم ذهب إلى كربلاء المقدسه و حضر بحث السيد إبراهيم القزوينى صاحب الضوابط و عند ما هجم نجيب باشا على مدينه كربلاء فى سنه ١٢٥٨ تفرق أهاليها و رجع مع أقاربه إلى إيران فسكن قزوین بدعوه من أهاليها و اشتهر صيته فصار مرجعا بها. و تخلف بأولاده السيد إبراهيم و السيد زين العابدين و السيد على و السيد أحمد و له مؤلفات منها:

١ - البضاعه المزجاء. و هى رساله فى الوجود الكلى.

٢ - شرح نتائج الأفكار - فى أصول الفقه ٣ - براهين الأحكام فى شرح شرائع الإسلام فى الفقه.

٤ - حقائق الأحكام.

٥ - خطب أهل البيت و أشعارهم و أنصارهم.

٦ - مصالحي المؤمنين.

٧ - دره تنكابنى.

٨ - باقيات صالحات - رساله فارسىه فى بعض الأدعيه و الزيارات توجد نسخه منها فى مكتبه السيد المرعى العامه فى مدينه قم. (٢)

### السيد أبو الحسن الرفيعى القزوينى:

ابن السيد الميرزا إبراهيم المعروف بالسيد الميرزا خليل بن السيد مير رفيع بن السيد مير على بن السيد مير عبد الباقي بن السيد مير محمد صالح بن السيد مير محمد زمان الطالقانى الأصل القزوينى المولد والمنشأ ولد فى قزوین سنه ١٣٠٦ هـ كما حدثنى بذلك و توفى فى اليوم الأول من محرم الحرام سنه ١٣٩٦ هـ فى طهران و نقل جثمانه إلى قم و دفن فى روضه السيده المعصومه داخل الحرم الشريف فى جامع فوق الرأس بجوار مرقد استاذه الشيخ عبد الكريم الحائرى كان من مراجع التقليد و أئمه الفتيا و علماء الحكمه و الفلسفه فى العقد الأخير من القرن الرابع عشر الهجرى و آل الرفيعى من البيوتات العلميه العريقه فى قزوین و ظهر منهم غير واحد من العلماء الأعلام ابتداء من القرن الحادى عشر الهجرى و اشتهروا بال الرفيعى منذ عهد جدهم السيد مير رفيع بن السيد مير على بن السيد مير عبد الباقي المتوفى سنه ١٢٧٢ هـ الذى كان من أعلام القرن الثالث عشر و من علماء هذا البيت فى القرن الثانى عشر السيد مير محمد صالح بن السيد مير محمد زمان الطالقانى القزوينى المولود سنه ١٠٨٩ و المتوفى ١١٧٥ هـ من تلاميذ الآغا جمال الخوانسارى. و من أكابر هذه الأسره أيضا فى القرن الثالث عشر السيد مير عبد الباقي بن السيد مير محمد صالح الطالقانى المولود فى سنه ١١٥٥ و المتوفى سنه ١٢٤٠ هـ و غيرهم أخذ المترجم له المقدمات على جملة من أساتذته قزوین ثم حضر فى السطوح على الشيخ ملا- على الطارمى و الخارج على الشيخ ملا- على أكبر السياه دانى فى المدرسه الصالحيه قزوین ثم هاجر إلى قم فالتحق بحوزه الشيخ عبد الكريم الحائرى المتوفى سنه ١٣٥٥ هـ و تخرج عليه فى الفقه و الأصول ثم أولع بالحكمه و الفلسفه على كوكبه من فحول علماء الفلسفه منهم الشيخ الميرزا حسن الكرمانشاهى و الميرزا إبراهيم الزنجانى و السيد محمد التنكابنى و الشيخ عبد النبى النورى و الشيخ محمد رضا النورى و الشيخ على الرشتى و الميرزا محمود الرضوانى القمى و الميرزا هاشم الإشكورى و غيرهم حتى عرف بالتحقيق و أصاله الرأى و غزاره الماده و الأفكار و نظرياته العميقه فى حل معضلات المسائل الفلسفيه المعقده و انتهى إليه كرسى تدريس الفلسفه العالیه فى قم فكان يدرس منظومه السبزوارى و الأسفار لصدر المتألهين الشيرازى فخرج عليه جمع غفير من العلماء و الفضلاء، و من أشهر تلامذته مؤسس الجمهوريه الإسلاميه فى إيران السيد روح الله الخمينى و الشيخ حسن زاده الأملى أحد مدرسى الفلسفه الآن فى قم و السيد جلال الدين الآشتيانى و غيرهم من الأعلام و الفضلاء.

و المترجم له من رواد مدرسه صدر المتألهين الشيرازى و مجدد هذه المدرسه فى العقد الثانى من القرن الرابع عشر و كان من أشد خصوم الشيخ أحمد الأحسانى المعادى لصدر المتألهين الشيرازى و يرد على الأحسانى بعنف فى حواش له على كتاب (جامع الكلم) للأحسانى.

و كان يربطنى مع المترجم له صله قرابه و عاشرته سنين فرأيته بحرا لا- ينال قعره و قد ترك مؤلفات قيمه و رسائل فلسفيه و

عرفانيه كثيره تدل على غزاره علمه و تبحره و رسوخه فى جميع أبواب العلم و فنون الإسلام منها حواشى على المنظومه للسيزوارى و حواشى على الأسفار لصدر المتألهين الشيرازى و حواشى على جامع الكلم للأحسائى ردا على الأحسائى و له كتب فقيهه تشتمل على كتاب الصلاه و الزكاه و الخمس و من مؤلفاته المطبوعه (اتحاد عاقل به معقول) تحقيق تلميذه الشيخ حسن زاده الآملى، الرجعه و المعراج، المعاد، هدايه الأنام، أسرار الحج حول عقائد الاماميه فى جزءين طبع مرارا، شرح دعاء السحر و له أيضا النظرية الجوهرية التي ترجمت إلى الفرنسية و له تفسير الحروف المقطعه للقرآن نشر منها تفسير (الر تلك آيات..). (٣).

## أبو الحسن كوشيار بن لبان

توفى بعد سنه ٣٥٠ [ ] بن الحسين بن عيسى بن مهدي الجبلى توفى بعد سنه ٣٥٠ حكيم رياضى من أعظم علماء الفلك، جامع العلوم و الفنون الإسلاميه.

ص: ٨

١- الشيخ محمد السامى.

٢- الشيخ محمد السماحى [السامى].

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

ولد في بيته شيعيه كيلان و نشا بها و كانت كيلان في القرن الثالث و الرابع احدى حصون الشيعة في إيران و اشتهر المترجم له في سنة ٣٥٠ هـ عصر الدولة البويهيه و قد هاجر من مسقط رأسه كيلان إلى قزوين و أخذ العلم عن جملة من علماء قزوين منهم علي بن أحمد بن يوسف القزويني و أحمد بن محمد بن رزقه القزويني و غيرهم ثم هاجر إلى بغداد و حضر على علمائها حتى برع في مختلف العلوم و انتهى إليه كرسى التدريس في بغداد. و ذكر الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ جملة من مشايخه في تاريخ بغداد و سرد نسبه هكذا (كوشيار بن لياليزور بن الحسين بن عيسى بن مهدي أبو علي الجبلي سكن بغداد و حدث بها..).

و يروى الخطيب البغدادي عنه بواسطة ثلاثه رجال من مشايخه، و وصفه كارل بروكلمان في تاريخ الأدب العربي قائلاً (كوشيار بن لبنان الجبلي اشتهر حوالي سنة ٣٥٠ هـ جريه - (٩٦٦ م) كان شيخاً لعلي بن أحمد النسوي و أخذ من مؤلفات أبي الوفاء و ابن الأعلم المتوفى ٣٧٥ هـ - (٩٨٥) مو ذكره البيروني). ذكر شيخنا الأستاذ آغا بزرك الطهراني مؤلفاته في أجزاء الذريعة، و قال صاحب لطائف الظرائف رصد المترجم له في سنة ٤٥٩ هـ و تبعه حاجي خليفه في كشف الظنون و تنبه شيخنا الأستاذ آغا بزرك الطهراني إلى هذا السهو فرد عليهم و قال (... و في لطائف الظرائف قال انه رصده في ٤٥٩ و تبعه في كشف الظنون، و لعل التاريخ غلط كما ياتي.. و يروى الخطيب المتوفى سنة ٤٦٣ هـ بواسطة ثلاثه رجال من مشايخه فتكون وفاته أوائل القرن الخامس و يكون ارضاده قبل سنة ٤٥٩ بكثير و ذكره في كشف الظنون.. و قال أرصده ٤٥٩..).

ذكره قطب الدين محمد اللاهجي الإشكوري في محبوب القلوب ص ١٥٤ و حاجي خليفه في كشف الظنون ج ٢ ص ٩٦٨ و ٩٧١ و ١٤٥٣ و ١٦٠٤ و ١٦٠٥ و ١٦٤٤ و ١٨٨٣ و وصفه البغدادي في هديه العارفين قائلاً (أبو الحسن كوشيار بن لبنان بن باشهري الجبلي بالياء المثناه و يقال الجبلي بالباء الموحده من جملة المنجمين سكن بغداد و مات في حدود سنة ٣٥٠ هـ صنف من الكتب..). (١)

ترك المترجم له مؤلفات هامه المعروف منها:

١ - الزيج الجامع و البالغ و يقال زيج كوشيار و عندنا منه نسخه قريبه من عصر المؤلف.

٢ - مقاله في الحساب.

٣ - الأسطرلاب.

٤ - تجريد أصول تركيب الجيوب.

٥ - أصول حساب الهند.

٦ - المدخل.

٧ - رساله الأبعاد و الأجرام.

و كلها من مخطوطات مكتبتنا في كربلاء. (٢)

### الشيخ أبو الحسن المشكيني:

وجدت ترجمته بخطه محفوظه عند السيد مرتضى الخليلي. قال:

أبو الحسن بن عبد الحسين المشكيني الأردبيلي:

ولد في قرية من قرى مشكين في ست و ثلاثمائة و ألف من الهجره النبويه على مهاجرها ألف سلام و تحيه أو خمسه.

و اشتغل بتحصيل العلم على صغر في السن و هاجر إلى بلده أردبيل في عشرين و ثلاثمائة و ألف لتحصيل العلم و فرغ من جميع السطوح في ست سنين مع أنه ما كان يتيسر له الإقامة و الاشتغال بالتحصيل في كل سنه منها إلا مقدار سبعة أشهر. و اشتغل بالدروس الخارجيه سنتين فمده إقامته في هذه البلده ثمان سنوات ثم هاجر منها في أواخر ثمان و عشرين و ثلاثمائة و ألف إلى النجف الأشرف زادها الله علوا و شرفا و كان يحضر بحث العلمين العلامةين آية الله الخراساني و شيخ الشريعة الأصفهاني أصولا و فقها و بعد ما توفي آية الله الخراساني طاب ثراه كان يحضر بحث تلميذه المحقق التقى و المدقق النقي حجة الإسلام و المسلمين الشيخ على القوجاني طاب ثراه أصولا- و فقها ثم هاجر في أول سنه سبع و ثلاثين إلى كربلاء و قطن فيها سنتين و حضر بحث الورع التقى العلامة العلامة آية الله في الأنام الآغا ميرزا محمد تقى الشيرازي و بعد وفاته في شهر ذى الحجه في الليله الثالثه منها سنه ثمان و ثلاثين رجع إلى النجف الأشرف و صار مشغولا بالتدريس و التأليف و خرج من قلمه إلى الآن و هو سبع و خمسون و ثلاثمائة و ألف من الهجره النبويه كتابه في الأصول علقها على كفايه الأصول و هو مجلدان و طبع المجلد الأول المتعلق بمباحث الأصول.. إلى آخره

### السيد الميرزا أبو الحسن الأنكجي:

ولد في تبريز سنه ١٢٨٢، و توفي فيها سنه ١٣٥٧.

اشتغل بالتحصيل في صغره ثم هاجر إلى العراق سنه ١٣٠٤ هـ و مكث في النجف الأشرف حتى سنه ١٣٠٨ هـ و تتلمذ لدى الأساتذه: الفاضل الشرياني و الميرزا حبيب الله الرشتي و الشيخ حسن المامقاني.

كان من كبار علماء تبريز في عصره و أعظم الفقهاء في إيران و كان مرجعا للتقليد و مفتيا بارعا، ذا وقار و سكينه و حافظه قويه و كثيرا ما كان يفتي من دون الرجوع إلى أى كتاب و نقل بعض من عصره و عاشره، غرائب و طرائف من قصص حافظته و كان في أواخر أيامه قليل الكلام. و في سنه ١٣٤٧ هـ وقعت فتنه بهلوى في إيران، تلك الفتنه التي عارضها العلماء الأحرار الدينيون و هو أحدهم و في طليعتهم. فاقصى إلى المشهد الرضوى ثم رجع إلى تبريز و مكث هناك بقيه عمره.

من آثاره في الفقه

ازاحه الالتباس عن المشكوك فيه من اللباس طبعت سنه ١٣١٣. (٣)

## الشريف السيد أبو القاسم عبد الله:

محمد بن محمد بن الحسين الحسيني البلخي

و ينتهي نسبه إلى أبي عبد الله الأعرج.

كان حيا سنة ٦٧٦ هـ.

من علماء الشيعة البارزين في بلخ و أكابر المحدثين في القرن السابع للهجرة.

آل البلخي

من الأسر العلوية الحسينيين المنتسبين إلى أبي عبد الله الأعرج نبغ منهم علماء أعلام و نقباء و زعماء كبار في بلخ و خراسان منهم الامام الأجل ضياء الدين أبو الحسن محمد بن الحسين الحسيني الأعرجي البلخي المتوفى سنة ٥٣٧ هـ والد نظام الدين محمد و الحسن رئيس خراسان و غيرهم و منهم المترجم له، كان من علماء بلخ و من آثاره المطبوعه ترجمه كتاب (فضائل بلخ) تأليف صفى الدين شيخ الإسلام أبي بكر عبد الله بن عمر بن محمد بن داود الواعظ البلخي ألفه بالعرييه في رمضان سنة ٦١٠ هـ و ترجمه إلى الفارسيه المترجم له سنة ٦٧٦ هـ و طبعت الترجمة الفارسيه بطهران

ص: ٩

١- إسماعيل باشا البغدادي: هديه العارفين ج ١ ص ٨٣٨.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

٣- السيد إبراهيم السيد علوي.

بتحقيق و تقديم عبد الحى الحبيبي الأفغانى و ذكره شيخنا الأستاذ آغا بزرك الطهرانى فى طبقات أعلام الشيعة و فصل عنه عبد الحى الحبيبي الأفغانى فى مقدمه الترجمة الفارسيه و ذكر تاريخ أسرته.(١)

## السيد أبو القاسم التنكابنى:

ولد فى تنكابن و نشأ بها ثم توفى حدود ١٣٥٥ هـ. ذهب إلى النجف الأشرف و حضر على أعلامها و اختص بالشيخ شعبان الجيلانى ثم انصرف إلى التدريس إلى أن توفى.(٢)

## أحمد بن الجزار:

### إشارة

ولد فى القيروان (تونس) سنة ٢٨٥ و مات فيها سنة ٣٦٩ و لا بد قبل الحديث عنه من الحديث عن أسرته، و هو ما كتبه عنه و عن الأسره المؤرخ التونسي حسن حسنى عبد الوهاب.

### بنو الجزار

فى أواخر الدوله الأغلبيه اشتهر بالقيروان أفراد بيت واحد برعوا فى علم الطب و احترفوا به فى حذق زائد و أمانه، و قد توارثوه خلفا عن سلف و تناقلوه ما يزيد عن المائه عام و هم:(بنو الجزار). و من دواعى الأسف أن أغفل أصحاب الطبقات تراجمهم و لم يذكروا لنا منهم سوى واحد و هو أحمد الذى غمرت شهرته بقيه الأسره.

أما (أبو بكر محمد بن أبى خالد بن الجزار) عم أحمد، فقد تلقى علم الطب فى صغره عن إسحاق بن عمران و عن تلميذه إسحاق الاسرائيلى كما أخذ عن زياد بن خلفون و عن غيرهم من أطباء بنى الأغب، و قد وصفه ابن أخيه و تلميذه أحمد فى تاليفه "نصائح الأبرار" فقال: "كان عمنا عالما بالطب حسن النظر فيه" - و ذكر فى كتابه هذا عدده أدويه و أشربه و معاجين و ترياقات ركبها عمه محمد، و قال: "و عالج بها ساده من ذوى الأقدار العاليه و أهل الترفه و النعمه" ثم قال: "قد جربتها فحمدتها" - و يقصد بأهل الأقدار الخلفاء و الأمراء من الفاطميين برفاده و المهديه. و نقل ابن حماد(٣): ان ابن الجزار - أبا بكر - عالج المهدي عبيد الله فى مرضه الذى مات به و سقاه دواء (حب السورنجان) لنقرس كان يشكوه - سنة ٣٢٢ هـ (٩٣٣ م) - و نعلم من ناحيه أخرى ان من كبار حرفاء أبى بكر بن الجزار الحاجب جعفر بن على البغدادي، حاجب المهدي، و يظهر من كلام ابن أخيه أحمد أن لأبى بكر هذا مؤلفات فى الطب و النبات و لم نقف على أعيانها و لا على أسمائها لفقدانها.

و كانت وفاه أبى بكر فى النصف الأول من القرن الرابع للهجره، و قد جاوز السبعين من العمر.

٢ - إبراهيم بن أبى خالد بن الجزار، هو أخو أبى بكر السالف و والد الطبيب أحمد.

كان ممن تعلم الصناعه الطبيه و زاول فنونها مع أخيه، و كان يباشر مهنة الكحاله فى القيروان فى آن واحد مع أخيه، و لا ندرى من أخباره إلا ما ساقه ابن جلجل فى ترجمه ولده أحمد حيث يقول: "هو طيب ابن طيب و عمه أبو بكر طيب" و فى يقيننا أن

شهره ابنه أحمد حولت أنظار الباحثين عن أخبار سلفه، و ذلك لنبوغه النادر و بعد صيته و كثره تصانيفه، و هو بلا ريب مفخره الأُسره.

## أحمد بن الجزار

هو الدرہ الفريده من القلاده و إحدى المفخر الدائمہ للعلوم للبلاد التونسيه بل للعالم العربي بأسره، و نعى به أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد بن الجزار. و يكنى بأبي جعفر، ثالث الأطباء من أسرته الفاضله. ولد بالقيروان على عهد الأمير إبراهيم الثاني من بني الأغلب، و أخذ عن عمه و أبيه.

و صحب كبير أطباء القيروان في عصره إسحاق بن سليمان الاسرائيلي و استفاد من تعليمه كثيرا كما يذكره في مصنفاته، و برع أحمد في غير ما علم لا سيما في الطب و الطبيعه و الفلسفه و التاريخ، و كان في زمن دراسته على غايه من الاجتهاد في البحث و حب الاطلاع و المواظبه. قال الطيب ابن جليجل:

"كان ابن الجزار من أهل الحفظ و التطلع و الدراسه للطب و سائر العلوم. حسن الفهم لها".

و لما آنس من نفسه حصوله على الملكة الكافيه و التدربه المطلوبه فتح باب داره لمعالجه المرضى، و ربما كان ذلك باشاره من أبيه و بالاجازه من معلميه.

يستفاد مما حكاه ابن جليجل و غيره انه كان قد بنى عند باب داره محلا مستقلا لعياده الزائرين، و اتخذ فيه قسما خاصا للصيدله أقعد فيه غلاما له يسمي "رشيقا" أعد بين يديه جميع الأدوية من معجونات و أشربه و مراهم و غير ذلك من المستحضرات، فإذا زاره المريض يفحصه مليا ثم يصف له ما يناسب من الأدوية و يكتب ذلك في ورقه يتحول بها المريض إلى "رشيق" فيعطيه الدواء المشار به و يقبض الثمن، و كان أحمد يتفقد في كل يوم قوارير الأدوية و يرى ما نقص منها و يخرج من داره إلى تابعه رشيق مقدار الأدوية الناقصه، و يحاسب غلامه على ما قبض من ثمن الأدوية المباعه، نزاهه بنفسه أن يأخذ من أحد شيئا.

قال ياقوت: "و كان له معروف كثير. و أدويه يفرقها على الفقراء" يعني يوزعها على المعوزين بغير ثمن احتسابا لله.

و حكى ابن جليجل: "حدثني عنه من أثق به قال: كنت عند ابن الجزار في دهليزه و قد غص بالناس إذ أقبل ابن أخي القاضي النعمان، و كان حدثا جليلا بإفريقيه يستخلفه القاضي إذا منعه مانع عن الحكم، فلم يجد في الدهليز موضعا يجلس فيه إلا مجلس أبي جعفر فخرج أبو جعفر فقام له ابن أخي القاضي على قدم فما أقعده و لا أنزله، و أراه قاروره ماء كانت معه لابن عمه ولد القاضي النعمان، و استوفى جوابه عليها و هو واقف، ثم نهض و ركب و ما كدح ذلك في نفسه، و جعل يكرر المجيء إليه بالماء في كل يوم حتى برئ العليل - ابن النعمان القاضي" - قال ابن جليجل: قال لي الذي حدثني: فكنت عنده ضحوه نهار إذ أقبل رسول النعمان القاضي بكتاب شكره فيه على ما تولى من علاج ابنه و معه منديل بكسوه هديه و ثلاثمائة مثقال، فقرأ ابن الجزار كتابه و جاوبه شاكرا و لم يقبض المال و لا الكسوه. فقلت له: "يا أبا جعفر، رزق ساقه الله إليك، فقال لي: - و الله، لا كان لرجال معد [معز] (الخليفة الفاطمي) - قبلي نعمه".



اتفقت كلمه من ترجم لأحمد بن الجزار انه كان قد أخذ لنفسه مأخذا عجيبا فى سمته و هديه. و إنه لم يحفظ عنه مده حياته زله قط. و لا أخلد إلى لذه. و كان يشهد الجنائز و الأعراس و لا يأكل فيها، و لا يركب قط لأحد من رجال الدوله و لا إلى سلطانهم، إلا إلى أبى طالب أحمد بن عبد الله المهدي، عم الخليفه المعز، و كان له صديقا قديما، فكان يركب إليه يوم الجمعة من كل أسبوع لا غير. و زاد ياقوت "إنه لم يكن يقصد أحدا إلى بيته" لعلو همته و صيانتته.

و لربما يفهم من ذلك انه كان متكبرا و معجبا بنفسه، بل الأمر الواقع انه كان على خلاف ذلك، و قد تقدم انه كان يشهد جنائز الفقراء و يحضر أعراسهم. و من عادته انه كان ينهض فى كل عام إلى المرابطه فيذهب إلى

ص: ١٠

---

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الشيخ محمد السامى.

٣- ابن حماد: كتاب أخبار بنى عبيد و سيرتهم، ط، الجزائر سنه ١٣٤٦ ص ١٥.

المنستير - و هو الرباط المشهور البركه - فيكون هناك طول أيام القيظ، ثم يعود منه إلى القيروان على ما جرت به عادة العلماء الزهاد المتواضعين.

و بالجمله لو أردنا استقصاء أخبار أحمد بن الجزار من الشيء القليل الذى وصل إلينا لطلال بنا الكلام و يكفى للدلاله ما نقلنا من كلام المتقدمين فيه و ما وصفوه به من الصفات النادره كقول ياقوت: "كان أحمد طبيبا حاذقا دارسا، كتبه جامعه لمؤلفات الأوائل، حسن الفهم لها، و كان مع حسن المذهب صائنا لنفسه".

و رأيت عبارته أوردتها المالكي عرضا فى كتابه. "رياض النفوس" تشير إلى أن ابن الجزار ربما كان يميل إلى شىء من التشيع. حيث قال: "كان ابن الجزار الطبيب على خلاف السنه" (1) و ربما كان ميله هذا لآراء الشيعة هو السبب الذى حمل أصحاب الطبقات من الأفارقة المالكيين على التغافل عن إيراد ترجمته فى مصنفاتهم، لأننا لم نر من بينهم من تكلم عليه لا بالكثير و لا بالقليل. و أول من أطال فى التعريف به هو الطبيب الأندلسى سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل، فجل أخباره منقوله عنه مع العلم بان ابن جلجل قرأ الطب على بعض تلاميذ ابن الجزار.

و مهما يكن من إهمال أصحاب الطبقات لترجمته فان الأطباء التونسيين لم يرتابوا فى تقدير علم ابن الجزار الواسع و تعظيم قدره، و بالآخر الانتفاع بفوائده الغزيره. فقد قال الطبيب أحمد الخميرى - من الأطباء التونسيين فى القرن العاشر للهجره - فى "تحفه القادم" من تاليفه:

"إن غالب المصنفات الكبيره التى تنظر فى علم الطب، مصنفوها من غير هذا الإقليم الإفريقى، كابن سينا و الرازى و المجوسى و غيرهم، و المناسب النظر فى هذا الإقليم فى تصانيف ابن الجزار لأنه إفريقى، أما سائر كتب الطب فلا ينبغى لغير الطبيب الماهر المداواه بنصها على ما هى عليه إلا- بعد مراعاة قدر اختلاف الطبائع و اعتبار الأقطار و تأثير الأدوية فى قطر دون قطر، بحسب اختلاف عروض الأقاليم و العادات.. إلى آخره".

و لا مشاحه أن تأليف ابن الجزار نالت شهره بعيدة المدى حتى فى مده حياته. فهذا كشاجم الشاعر المشهور - و لم يدخل القطر الإفريقى - يقول فى مدح أبى جعفر أحمد و يصف كتابه "زاد المسافر".

أبا جعفر أبقيت حيا و ميتا مفاخر فى ظهر الزمان عظاما

رأيت على "زاد المسافر" عندنا من الناظرين العارفين زحاما

فأيقنت أن لو كان حيا لوقته يحنا لما سمي التمام تماما

(2) ساحمد أفعالا لأحمد لم تزل مواقعها عند الكرام كراما

و الواقع ان من يستعرض ما صنفه ابن الجزار من الكتب فى غير المادة الطبيه و من أبحاثه فى التاريخ و الفلسفه و الأدب، يتبين ما كان لهذا الفذ النابغ من الثقافه الواسعه الأفق و من قوه العارضه مما يجعله مفخره من مفاخر عصره، و يكفيه مزيه عن أبناء العربيه أن مؤلفاته الطبيه - لا- سيما زاد المسافر - حازت من العناية بها فى القاره الأوربيه ما جعلها تترجم إلى سائر اللغات العلميه

المنتشره فيها حينئذ، و تتخذ أصلا متينا للبحوث من لدن أطباء الافرنج فى القرون الوسطى - فقد ترجمت إلى اليونانيه و اللاتينيه و العبريه. و أخيرا إلى الفرنسيه. كما ستراه عند ذكر مصنفاة.

و لا ننس أن ابن الجزار لم يفارق بلاده قط فيما علمنا و لم يتعلم فى غير وطنه، و الأمر الوحيد الذى نقل فى ترجمته انه كان هم فى وقت ما بالرحله إلى الأندلس. و لم ينفذ ذلك.

و عاش ابن الجزار موقرا محترما فى البيئه التى قضى فيها حياته الطويله و قد بلغ من العمر الثمانين و ربما جاوزها. و مات عتيا بالقيروان سنه ٣٦٩ هـ (٩٨٠ م) على ما رواه المحقق ابن العذارى نقلا عن الرقيق فيما أظن.

و قد حصل اضطراب كبير بين من عرفوا به فى تعيين تاريخ وفاته.

فقد قال ياقوت انه "كان فى أيام المعز لدين الله فى حدود سنه ٣٥٠ هـ أو ما قاربها" و قال الحاجى خليفه فى كشف الظنون و كررها مرارا "المتوفى بعد سنه ٤٠٠" و هذا لا يصح أصلا. و آخر من ذكر ذلك المستعرب بروكلمان و جعل موته فى سنه ٣٩٥ هـ - نقلا لا محاله عن غيره. و الصواب ما أثبتنا آنفا.

و ترك أحمد ثروه لا يستهان بها. قال ابن أبى أصيبعة: "وجد له أربعة و عشرون ألف دينار ذهبا. و عشرون قنطارا من الكتب بين طبيه و غيرها".

و من أشهر الأطباء الذين تلقوا العلم و العمل عن ابن الجزار (أبو حفص عمر بن بريق الأندلسى) فإنه قدم إلى القيروان و لازمه مده، و أخذ عنه الصناعه و روى عنه تليفه ثم عاد بعد ذلك إلى الأندلس، و خدم بالطب الأمراء الأمويين خصوصا عبد الرحمن الناصر الذى استخلصه لنفسه. و ابن بريق هذا هو الذى ادخل كتب استاذه إلى جزيره الأندلس فتلقاها عنه جماعه من الأخصائيين بالصناعه الطبيه ما بين مسلمين و يهود و نصارى - منهم سليمان بن جلجل المتقدم - فراجت كتبه بينهم أيما رواج و ترجمت إلى لغاتهم كما ياتى بيانه.

و لأحمد بن الجزار مصنفاة كثيره فى شتى العلوم و المواضيع و أهمها الطب، و هنا نذكر منها ما وصل إلينا خبره، آملين أن نتاح لنا أو لغيرنا الفرصه للوقوف على ما لم يذكر منها ليعرفوا بها.

فى الطب ١ - "زاد المسافر. و قوت الحاضر" فى علاج الأمراض، مجلداً و هو من أهم الكتب الطبيه العمليه التى وضعها المسلمون، و المظنون أن المؤلف أهداه إلى صديقه الأمير أبى طالب أحمد بن عبد الله المهدي كما يفهم من مقدمته الرائعه، و يوجد منه نسخ عديده فى المكتبات العموميه و الخصوصيه باروبا و بالمشرق، منها فى مكتبه الشعب بباريس و فى الجزائر و درسدن بالمانيا و فى البديله فى أكسفورد، و فى رنبر بالهند و مكتبه هافانا بهولاندا و غير ذلك.

و قد اتجهت عنايه الباحثين إليه من زمان قديم. و تقدمت الإشارة إلى ما مدحه به كشاجم الشاعر. و أول من عرفه إلى العالم العربى هو الحكيم قسطنطين المشهور بالإفريقي الآتى ذكره، فقد عمد إلى هذا الكتاب حينما كان يرأس كليه (ساليرنو) فى جنوب ايطاليا و ترجمه إلى اللاتينيه فى أواسط القرن الخامس للهجره (الحادى عشر للميلاد) بعنوان (Peregrinantis

(Viaticum) و هي ترجمه كلمه "زاد المسافر" بالحرف لكنه نسب الأصل إلى نفسه، كما ترجم إلى اللغة اليونانيه باسم (Ephodes) و يوجد من الترجمتين نسخ عديده بمكتبات أوروبا. منها في باريس، و في المتحف البريطاني، و فيورنسا بايطاليا. و أقدم هذه النسخ هي المحفوظه بمكتبه الفاتيكان في رومه و تاريخها أواخر القرن العاشر للميلاد يعني بعد وفاه ابن الجزار بقليل.

و نقل زاد المسافر إلى اللغة العبريه طبيب مشهور من يهود الأندلسه.

ص: ١١

- 
- ١- هذا القول من المالكي لا يدل على أن المترجم له ربما كان يميل إلى شيء من التشيع، بل يدل على انه كان من التشيع في الصميم. و عراقته في التشيع هي التي حملت أصحاب الطبقات من الأفارقة المالكيين على تجاهله و عدم ذكره "ح".
  - ٢- يشير إلى الطبيب البغدادي الطائر الصيت: يوحنا بن ماسويه.

يعرف بموسى بن طيبون. بعنوان (تزداد دراشم). و يوجد من هذا النقل أربع أو خمس نسخ بايطاليا و إنكلترا.

و نشر الحكيم شارل دارنبير (Darembert) الفرنساوى فى خلال عام ١٨٥١ بحثا طويلا- عن زاد المسافر تحت عنوان Recherches sur une ouvrage qui a pour titre:zad al moucafir en arabe-Ephodes,en grec-Viaticum,en latin-et qui est attribue dans le texte arabe et grec a Abou Gafaret (١) dans le texte latin a Constantin و كتب بعده المستعرب الفرنساوى كوستاف دوفا (Gustave Duga) مقاله ضافيه فى المجله الآسيويه فى عام ١٨٥٣ بحث فيها عن زاد المسافر و حلل فصوله و ابان فوائده و أهميته، و ترجم منه إلى الفرنسيه مقالتين و هما المتعلقتان بالعشق و بداء الكلب.(٢)

ثم جاء الحكيم التونسى أحمد الشريف و بعد أن عرف بابن الجزار ترجم إلى الفرنسيه أيضا من زاد المسافر ثلاث مقالات: فى أسباب سقوط الشعر، و فى الإغماء و علاجه، و فى دود المصران، نشرها فى أطروحته فى تاريخ الطب العربى بالقطر التونسى.(٣)  
٢ - "العدة، لطول المده" - قال ابن أبى أصيبعه "هو أكبر كتاب وجدناه له فى الطب" و لا نعرف عنه شيئا.

٣ - "الاعتماد" - فى الأدويه المفردة، ذكر فيه الأدويه المفردة التى عليها اعتماد الأطباء فى معالجه الأمراض، يشتمل على أربع مقالات و قد ألفه لصاحبه الأمير أبى طالب بن عبد الله المهدي، و هذه النسخه مؤرخه بسنه ٥٣٩هـ. و عدد أوراقها ١٤٠، و منه نسخه موجوده بالجزائر و فى أياصوفيا و فى المتحف البريطانى. و كان الطبيب الأندلسى المشهور عبد الرحمن بن إسحاق ابن الهيثم انتقد هذا الكتاب فى بعض فصوله و سمي اعتراضه: "الاقتصار و الإيجاد، فى خطأ ابن الجزار فى الاعتماد" و ليس لهذا الرد وجود اليوم. و قديما ترجم كتاب "الاعتماد" إلى اللغة اللاتينية نقله إليها قسيس اسباني هو (اسطيفان السرقسطى) فى سنه ١٣٣٣ م (٧٣٤هـ) و سمي الكتاب (Pantegni) و المؤلف (ابن زيرار) و عربيه إلى (Filius Carnificis) و هذه الترجمة توجد مخطوطه فى مكتبه ميونيخ بالمانيا. و كتاب "الاعتماد" نقل أيضا إلى اللغة العبريه بقلم الطبيب موسى بن طيبون المتقدم.

٤ - كتاب "البغيه" - فى الأدويه المركبه. لا نعلم عنه شيئا.

٥ - "نصائح الأبرار" - و قد رأيت النقل عنه فى كثير من كتب الطب، من ذلك فى رساله "طب المشايخ" الآتى.

٦ - "قوت المقيم" - و هو غير زاد المسافر و قوت الحاضر المتقدم ذكره. و قال ابن أبى أصيبعه: "حكى الصاحب جمال الدين بن القفطى انه رأى له بقفط - فى مصر - كتابا كبيرا فى الطب اسمه "قوت المقيم" و كان عشرين مجلدا".

٧ - "المعدة و أمراضها و مداواتها" - جزء ذكره ابن الجزار فى كتابه "طب المشايخ" الآتى و نقل عنه.

٨ - "أصول الطب" - ذكره المؤلف فى كتابه "طب المشايخ".

٩ - "مجربات" فى الطب - جزء.

١٠ - "المختبرات" - جزء. و هو غير المتقدم قبله.

١١ - "البلغه" - فى حفظ الصحه - جزء.

١٢ - "الفرق بين العلل التى تشتهب أسبابها و تختلف اعراضها" - جزء.

١٣ - "أبدال الأدوية" - رساله. موجوده بمجموعه طبيه فى خزانه السيد أحمد خيرى فى البحيره بمصر. و هو ياتى عقب "طب المشايخ" و منه نسخه مصوره فى مكتبتى.

١٤ - "التحذر من إخراج الدم من غير حاجه دعت إلى إخراجها" - رساله.

١٥ - "طب الفقراء و المساكين" و هو غريب فى باب، موجود فى مكتبه غوطه، و الأسكوريال و قديما فى خزانه السيد عبد الحى الكتانى بفاس. و قد ترجم إلى العبريه قديما.

١٦ - "النصح" ذكره - فى "طب المشايخ" و قال إنه جمع فيه أدويه الملوك و الخواص.

١٧ - "طب المشايخ" - رساله تخرج فى عشرين ورقه عالج فيها الحالات التى تعترى المسنين و المعمرين و ما يجب عليهم اتباعه للمحافظة على العافيه و استدامه صحتهم، و هو الفن المعروف اليوم عند الافرنج باسم (Geronthologie) و هذه الرساله لم يرد ذكرها فى قائمه مصنفاته التى جلبها ابن أبى أصيبعه. و يوجد أصلها فى مجموع طبي مخطوط محفوظ فى مكتبه أحمد خيرى من أعيان البحيره فى مصر. و قد أتيح لى استنساخها و جلبها إلى تونس. و عساها تنشر مع ترجمتها و التعليق عليها.

١٨ - "سياسه الصبيان و تدبيرهم" - موجود فى مكتبه ننيانه بالبندقية بايطاليا و فى الأسكوريال. و منه نسخه مصوره بمكتبتى.

١٩ - "الخواص" - و قد ترجم قديما إلى العبريه.

٢٠ - "الزكام" - و أسبابه و علاجه، رساله.

٢١ - "الجدام" - و أسبابه و علاجه، مقاله.

٢٢ - "الوباء و نعت الأسباب المولده له فى مصر، و طريق الحيله فى دفع ذلك و علاج ما يتخوف منه" - جزء.

٢٣ - "المقعد" و أوجاعها - رساله.

٢٤ - "الحمامات" - منافعها و مضارها - مقاله.

٢٥ - "أسباب الوفاة" - رساله.

و له فى التاريخ و الجغرافيه:

٢٦ - "التعريف بصحيح التاريخ" - قال ابن أبى أصيبعه:

"يشتمل على وفيات علماء زمانه و قطعه جميله من أخبارهم" و قال ياقوت:

" رأيت كتابه "التعريف بصحيح التاريخ" فى مجلدات تزيد على العشر" و قد ينقل عنه كثير من المؤرخين و أصحاب الطبقات كالقاضى عياض فى "المدارك" و ياقوت فى حوادث سنة ٢٠٨ هـ (معجم البلدان ج ٢ ص ٦١ اسم طنبنده) و غيرهما - و لا أثر اليوم لهذا الكتاب.

٢٧ - "تاريخ الدوله" - و قيل "أخبار الدوله" يعنى الدوله الفاطميه.

و هو تاريخ حافل بسط فيه القول عن ظهور عبد الله المهدي بإفريقيه و انتشار ٧٠

ص: ١٢

---

١- ظهر هذا البحث فى مجموعه: ١١١P.٤٩٠-T.١٨٥١- Les Archivesdes Missions scientifiques Paris.

٢- ٢٨٩.P.١٨٥٣ Journal Asiatique.Paris.

٣- ٥١٢٧٠.P.P.٩٠٨ Dr Ahmed Cherif-Histoire de la Medecine Arabe en Tunisie Tunis

دعوته بها و سقوط دوله بنى الأعلب و ما حصل من الأحداث فى تلك المده.

و عنه ينقل المقريزى فى كتابه "اتعاظ الحنفاء" و غيره من المؤرخين. و الغالب على الظن أن قطعه منه محفوظه فى مكتبه غوطا و هى التى ترجم منها المستعرب نيكلسون Nicholson بحثه المنشور فى سنه ١٨٤٠ بعنوان:

Anaccount of the establishment of the Fatimite dynasty in Africa و لا يبعد أن يكون هذا الكتاب موجودا كاملا فى بعض خزائن الإسماعيليين (البهره) بالهند.

٢٨ - "مغازى إفريقيه" - فى أخبار فتح العرب لبلاد تونس، و لم نر من بين المؤرخين من ذكره سوى أبى عبيد البكرى فى "مسالكه" فقد قال فيه: و قال أبو جعفر أحمد بن إبراهيم المتطبب القيروانى فى "مغازى إفريقيه" و لا شك أن البكرى نقل عن إبراهيم الرقيق الذى استفاد من هذه المغازى ما أورد من أخبار الفتح فى تاريخه الكبير لإفريقيه. (١)

٢٩ - "طبقات القضاء" - و كأنه مخصص لتراجم العلماء الذين تداولوا على قضاء إفريقيه إلى عصره. ينقل عنه القاضى عياض كثيرا فى المدارك فيقول: قال ابن الجزار فى كتابه "طبقات القضاء" و لم يرد فى جملة مؤلفاته عند ابن أبى أصيبه.

٣٠ - "عجائب البلدان" - و قيل "عجائب الأرض" و هو فى تقويم البلدان و وصفها، ورد ذكره مرارا فى الكتاب المعروف بجغرافيه المأمون المنسوب إلى الفزارى، و نقل عنه فصلا فى وصف مدينه روميه، كما نقل ابن البيطار فى ماده (زمرد) قال: "قال ابن الجزار فى كتاب "عجائب البلدان" جبل الزمرد من جبال البجاه موصول بالمقطم جبل مصر" (٢) و ذكره فى كشف الظنون باسمه المتقدم و لم يزد عليه، و قد أخبرت ممن أثق به انه يوجد منه نسخه فى خزانه كتب الباشا المصلوحى قائد بنى رزين من بلاد غماره فى ناحيه الريف من المغرب الأقصى.

و له فى الأدب و غيره:

٣١ - "المكمل" - فى الأدب و السياسه.

٣٢ - "الفصول" - فى سائر العلوم و البلاغات.

٣٣ - كتاب "الأحجار الكريمه" - و معادنها و منافعها و خواصها، ذكره مرات كثيره التيفاشى القفصى الآتى فى تصنيفه "أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار"، و من جملة ما نقل عنه العبارة الآتية. قال أحمد بن خالد المعروف بابن الجزار فى كتابه فى الأحجار: "و عالجت أنا و صيفا الخادم (الفاطمى) صاحب المظله من حصاه عظيمه كانت به و امتنع من الفتح عليها بالحديد. فلما فعلت به هذا الفعل (يعنى إدخال مرود من فضه ألصق برأسه حجر الماس فى مجرى البول) تشلخت الحصاه حتى صغرت و سهل عليه خروج ما بقى منها مع البول" و نقل عنه أيضا فى الكلام على حجر المغنطيس و على الفيروزج و فى غير ما [ ] موضع من كتابه المتقدم - و لم نقف له على أثر.

٣٤ - "العطر" ذكره عرضا فى كتابه "طب المشايخ" و يظهر انه خصصه لصناعه الروائح العطريه و طرائق تقطيرها من النباتات و العقاقير التى يستخرج منها.



٣٥ - "النفس و اختلاف الأوائل فيها" رساله. - "النوم و اليقظه" - رساله. قال الحاجى خليفه: كتبها إلى ابن أبى فضاله المتوفى سنه ٣٦٠هـ و هو شخص لا نعرفه و يظهر انه كان من أصدقائه.

٣٧ - "الاستهانه بالموت" رساله كتب بها أيضا إلى بعض أحبابه.

و نختم هذه القائمه الطويله بذكر مخطوط مجهول المؤلف موجود فى المكتبه الظاهريه بدمشق عنوانه "طبائع العقاقير على مذهب ابن الجزار" و لا ندرى ما اشتمل عليه.

و ليس من شك ان لابن الجزار غير ما حصرنا من المصنفات. و ان طبيينا هذا محتاج لأن يوضع بحث مستقل فى ترجمه حياته و تحليل مؤلفاته.

و هو الأمر الذى نتمنى أن يقوم به بعض شبابنا التونسى المثقف.

و مما تقدم من إحصاء مآثره المتنوعه الأغراض فى مختلف العلوم و الفنون يتضح لك أن ابن الجزار كان فى المرتبه الأولى بين أعلام عصره من أصحاب الثقافه الواسعه المحيطه. و انه كان فى الضفه الغريبه للعالم العربى بمثابه الفارابى و ابن سينا و البيرونى فى المشرق، فإنه درس مثلهم علم الأوائل - من إغريق و فرس و هنود و عرب - و هضم أقوالهم و استدرك عليها ما فاتهم و انتقدهم عند الحاجه، علاوه على ما استنبطته قريحته و دلته عليه تجاربه، و ساقته إليه اختبارات و فطنته الوقاده. و الله يؤتى الحكمه من يشاء.

### أحمد الطيب التنكابنى بن الحسين بن أحمد:

ولد حدود ١٢٥٠ فى تنكابن و توفى بعد سنه ١٢٩٧ نشا فى تنكابن و بعد أن تعلم القراءه و الكتابه انصرف إلى تعلم الطب و برع فى ذلك له مؤلفات منها:

ترتيب فصول أبقراط فى الطب. (٣)

### احمد بن الحسين المتنبى

#### اشاره

مرت ترجمته فى الصفحه ٥١٣ من المجلد الثانى، كما مرت دراسات عنه فى المجلد الثانى من المستدركات. و تنشر هنا بحثا عن رساله الحاتمى التى انتقد بها المتنبى، مكتوبا بقلم الدكتور عدنان قاسم:

اتجاه النقد فى رساله الموضحه لأبى على محمد بن الحسن الحاتمى لم تحظ رساله الحاتمى بكبير اهتمام من النقاد العرب المحددتين على الرغم من أنها أسهمت إسهما جادا فى تنشيط الحركه النقديه فى القرن الرابع الهجرى و ما بعده. كما أثارت

معظم القضايا النقدية التي عني بها الباحثون آنذاك.

ولما كانت هذه الرسالة النقدية تشكل مع بعض المؤلفات النقدية الأخرى - كالموازنة للآمدى و الوساطه للقاضى الجرجانى - الأسس الرئيسة التي يعتمد عليها الاتجاه الكلاسيكى المحافظ كان لا بد لنا أن نلقى مزيدا من الضوء تحليلا و تفصيلا حتى تتضح الرؤية النقدية التي ينطلق منها الحاتمي لتدعيم ذلك الاتجاه الذي كان يهيمن على النظرية الأدبية آنذاك، و يحتل فيها مكان الصدارة.

و لعل الذاتيه المسرفه و الأهواء المحمومه التي صدر عنها الحاتمي كانت من الأسباب التي أدت إلى عزوف الباحثين المحدثين عن العناية بهذا المؤلف. و لا- نحتاج إلى كبير عناء للوقوف على تلك الذاتيه الزاعقه بالهوى الشخصى. فالمؤلف يوفر علينا الجهد حين يستهل بحثه بتصويره المتنبى

ص: ١٣

---

١- البكرى - ص ٤٢ من الطبعة الثانية.

٢- كتاب جامع المفردات لابن البيطار ١٦٧:٢.

٣- الشيخ محمد السمامى.

متكبرا متعاليا مزهوا بنفسه يقول: "التحف [المتنبى] رداء الكبر، و أذال ذيول التيه.. و نأى بجانبه استكبارا، و ثنى عطفه جبريه و ازورارا، فكان لا- يلاقى أحدا إلا- أعرض عنه تيهها، و زخرف القول عليه تمويها يخيل عجا إليه، أن الأدب مقصور عليه، و أن الشعر بحر لم يرد نمير مائه غيره، و روض لم ير نواره سواه، فهو يجنى جناه، و يقتطف قطفه دون من يتعاطاه..". (١) الرساله الموضحة ٦.

الحاتمي (ت ٣٨٨ هـ) كاتب شاعر ناقد، شهد له مؤرخو الأدب بوفره الاطلاع، و غزاره العلم، نقل عنه عدد من النقاد منهم ابن رشيق (ت ٤٥٦) و ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦) و أسامه بن منقذ (ت ٥٨٤) و قد ترك كثيرا من الكتب منها: حليه المحاضر، المجاز، الموازنه، المعيار، عيون الكاتب و غير ذلك. كما ترك رسالتين في نقد الشعر هما:

الرساله الحاتميه و الموضحة و هى موضوع بحثنا..

و قد أدى ذلك التصور بالحاتمي إلى أن يحمل على المتنبى، بل إنه يفاخر حين يعلن تحديه له، فيقول "نهدت له متبعا عواره، و مقلما أظفاره، و مديعا أسراره، و ناشرا مطاويه، و منتقدا من نظمه ما تسمح به..".

بل لقد خرج الحاتمي عن النقد الأدبي بعامه حين عرض لثياب المتنبى و هيئته فقال: "و دخلت فاعظمت الجماعه قدرى، و أجلسنتى فى مجلسه، و إذا تحته أخلاق عباءه قد ألحت عليها الحوادث فهى رسوم دائره و أسلاك متناثره.. و حين لقيته تمثلت بقول الشاعر:

و فى الممشى إليك على عار و لكن الهوى منع القرارا

و إذا به لابس سبعة أقبية كل قباء منها لون، و كنا فى وغره القيط و جمره الصيف، و فى يوم تكاد و دائع الهامات تسيل فيه..".

و يكشف الحاتمي - كذلك - عن ذلك الجو النفسى الذى دارت فيه تلك المبارزه التى نقد فيها شعر المتنبى و حكم على شاعريته بالسقوط، فقد صور ذلك بقوله "فجلست مستوفزا و جلس متحفزا، و أعرض عنى لاهيا و أعرضت عنه ساهيا. أؤنب نفسى فى قصده، و أسخف رأيها فى تكلف ملاقاته. فغبر هنيهه ثانيا عطفه لا يعيرنى طرفه، و أقبل على تلك الزعنفه التى بين يديه، و كل يومى إليه و يوحى بطرفه، و يشير إلى مكاني بيده، يوقظه من سنه جهله، و يأبى إلا- ازورارا و نفاارا، و عتوا و استكبارا..". (١)

و قد كان لهذه الذاتيه المفرطه أثر كبير فى الحركه النقديه فى القرن الرابع و ما بعده، و حاول النقاد - من معاصرى الحاتمي - أن يكبحوا من جماح الهوى، و يضعوا القوانين الموضوعيه التى تضمن عدم الانحراف. كما أنهم نبهوا إلى خطوره العنصر الذاتى - إذا أسىء استغلاله - فى تعويق الفكر النقدى، و الوقوف فى طريق نضجه و اكتماله. و فى إطار ذلك دعا القاضى الجرجانى إلى الحكم العادل الذى لا يحيف عن الحق. يقول ".

ليس من شرط صله رحمك أن تحيف لها عن الحق، أو تميل فى نصرها عن القصد، فكذلك ليس من حكم مراعاة الأدب أن تعدل لأجله عن الإنصاف، أو تخرج فى بابه إلى الإسراف، بل تتصرف كيف صرفك، و تقف على رسمه كيف وقفك..".

و يبين القاضى الأسباب التى تكمن وراء هذه الدعوه إلى الإنصاف فى الحكم النقدى، و يرجعها إلى موقف النقاد من المتنبي، و يذهب إلى أنهم انقسموا إزاء المتنبي فئتين: فمنهم من أظن فى تقيظه و منهم من بالغ فى الانتقاص منه، ثم يرى أن كلا الفريقين إما ظالم له أو للأدب فيه.. " (٢) و كان لموقف الحاتمى من المتنبي أثر كبير على النقاد بعده، " فكان كثير مما استخرجه من الأبيات المستهجنه لدى المتنبي هو ما استخرجه الحاتمى.. و ستكون حجج المؤيدين له منتزعه من الحجج التى وضعها الحاتمى على لسانه، كما أن شواهد خصومه هى الشواهد التى استخرجها الحاتمى من شعره.. " (٣)

الحاتمى ناقد كلاسيكى محافظ

احتدم الصراع الأدبى حول شاعرين كبيرين فى العصر العباسى كانا نقطه تحول خطيره فى تاريخ الحركة الشعرية و النظرية الأدبية عند العرب هما أبو تمام و المتنبي، لأنهما حولتا مسيره الشعر العربى و واجها ذلك التيار القوى الذى كان يسيطر على الذوق الأدبى منذ أن عرف الشعر عند العرب. (٤)

و لعل أبا تمام كان أشدهما خطرا لأنه سابق زمنيا و كان من أوائل الشعراء الذين خرجوا على الأصول الفنيه الكلاسيكيه للشعر. و لكنه كان أولهم تعميقا لذلك الاتجاه و إبرازا له، بل و جعله مذهبا أدبيا عمل على ترسيخ أصوله. و قد عرف فيما بعد بالمذهب البديعى. و هو مذهب تجديدى. سار فى ركابه جمع من الشعراء و ساندته بعض النقاد، و إن كانوا قلة. و قد أدت نشأة المذهب البديعى إلى خلق بعض الظواهر النقدية التى لم تكن معروفه قبل ذلك من أهمها: القدم و الحداثه و ما يتصل بها من تفسير لعملية الخلق الفنى، منها ما يتعلق بالتقليد الذى يرتكز على ملء القوالب المعده سلفا التى ابتدعها الشعراء العرب منذ العصر الجاهلى أو التفرد الذى يخلو من كل تقليد و اتباع يلجا فيه الشاعر إلى ذاته و مكوناتها و طبعه المفطور.

كما وجدت ظاهره نقديه أخرى نقلت الصراع بين هذين الاتجاهين المتقابلين إلى دائره أخرى، دائره القوى المتحرره من أسر المنطق، و ما يفرضه من علاقات و القوى التى تعمل على استبداله بقوانين لا تخضع إلا للمنطق الخاص بالقلب الذى يحطم كل القوانين الخارجيه و يتمرد عليها تمردا محموما.

و كان الخيال محور ذلك الصراع، فالخيال الكلاسيكى خيال مصنوع حدوده ما يتقبله العقل و ما تقع عليه الحواس أو امكانيه وقوعها عليه. أما الخيال المحدث فهو الذى يفضى إلى خلق لون جديد من العلاقات المبتدعه التى تعلو فوق الواقع، بل و تشتط فى كثير من الأحيان، فتفلت من قبضه العقل، و تخرج من حدود مملكته.

و إذا كان قد وجد كثير من النقاد الذين يسندون الاتجاه الكلاسيكى - المتمثل فى عمود الشعر و ما ينضوى تحته من أصول فنيه - فان ناقدا واحدا فقط وقف إلى جانب الاتجاه المتحرر من أسر العمود هو عبد القاهر الجرجانى. (٥)

و يقف الحاتمى - فى مؤلفه الذى بين أيدينا - إلى جانب النقد الكلاسيكى فى مواجهه الاتجاه البديعى المحدث، ينتصر لعمود الشعر، يتخذ أصوله الفنيه قاعدته الصلبه فى تقييم الأعمال الشعرية التى يعرض لها. و استحق بذلك أن يوضع إلى جانب الآمدى و القاضى الجرجانى كأساطين للاتجاه الكلاسيكى فى النقد العربى القديم.

و مقاييس الجوده - عند الحاتمى - هى بعينها فى عمود الشعر كما سجله القاضى الجرجانى، الذى عاصره فى معظم سنى عمره.

يقول " ..

و حدود الشعر أربعه: و هى اللفظ و المعنى و الوزن و التقفيه. و يجب أن تكونف.

ص: ١٤

---

١- الرسالة الموضحه ١٠.

٢- انظر الوساطه ٣.

٣- تاريخ النقد الأدبى عند العرب ٢٧٠.

٤- عرف الشعر عند العرب قبل إمرئ القيس بمائتى سنه تقريبا.

٥- انظر "دلائل الاعجاز" و أسرار البلاغه " للمؤلف.

ألفاظه عذبه مصطحبه و معانيه لطيفه و استعاراته واقعه، و تشبيهاته سليمه. و أن يكون سهل العروض رشيق الوزن متخير القافيه،  
رائع الابتداء بديع الانتهاء". (١).

و فى إطار هذه المقاييس التى وضعها الحاتمى لوجوده الشعر، فقد عاب الألفاظ الجافيه عند المتنبى فى قوله:

أ يفطمه التوراب قبل فطامه و يأكله قبل البلوغ إلى الأكل

ثم يذهب إلى أن لفظه التوراب على سلامه مصدرها جافيه جدا". (٢).

و على ذلك فإنه يرى أن صحه اللفظ من حيث وضعه اللغوى لا يكفى لاستساغه استعماله و تذوقه. و هذا تحرك مرن فى دائره  
الاتجاه الكلاسيكى، لأن جفاء اللفظ لا يعنى عدم صلاحيته، بل قد يكون أكثر ملاءمه للمقام أو الموقف العاطفى أو الفكرى  
الذى تعبر عنه تلك الألفاظ. و قد ورد فى القرآن الكريم كثير من الألفاظ الخشنه التى يتعذر استبدالها بغيرها لعميق ارتباطها  
بالسياق ككلمه (ضيزى) فى قوله تعالى: ".قسمه ضيزى" أى جائره، و فى تلك الخشونه ما يتلاءم و طبيعه الجور.

و الشىء اللافت للنظر عند نقادنا العرب القدامى هو سلخ اللغه و غيرها من العناصر الأصلية فى البناء الأدبى عند التجربه الأديبه،  
ثم تقويمها و النظر إليها منفصله عن سياقها، لأن النظره هى التى تتحكم فى ذلك التقويم و توجهه. فالعمل الأدبى عمل فنى  
متكامل لا يمكن تقويم أى جزء فيه بدون النظر إلى الأجزاء الأخرى.

و النقد اللغوى يبرز فى نقد الكلاسيكيين بكثره و هو متوافر فى مواجهه الحاتمى للمتنبى. و لست أعترض على ذلك النمط  
النقدى و لكنى أرى أنه يظل جزئيا يدور فى فلك النقد الفنى بعامه. فكل لغه من اللغات لها قوانينها و قواعدها التى يمكن عن  
طريقها فهم العلاقات بين الكلمات، بل العلاقات بين الجمل المختلفه فى التراكيب اللغويه، و ينتج عن تجاوزها و إهمالها  
غموض اللغه و انحلالها، بل قد يؤدى ذلك إلى ذوبان كثير من خصائصها الجوهرية، و لكن هذه الأهميه التى نوليها للغه و  
تراكيبها لا يعنى أن نقف متسمرين عند القوالب اللغويه الجامده الجافه و أن نستهلك كل ما لدينا من إمكانيات فى تتبع هفوات  
الأدباء، و الوقوف عند تلك الوظيفه الفرعيه كما يفعل النقاد الكلاسيكيون.

و الحاتمى واحد من أولئك النقاد القدامى الذين عنوا بالنقد اللغوى عناية بالغه. و فى رسالته الموضحه وقف عند حد تتبع  
سقطات المتنبى و لم يضع أيدينا على تلك المواطن التى أجاد فى اختيار ألفاظها حتى نتمكن من اكتشاف الخصائص التى  
توفرها تتحقق الجوده. فقد عاب الحاتمى استعمال المتنبى لكثير من الألفاظ منها كلمه (كلوذا) فى قوله:

طلب الاماره فى الثغور و نشؤه ما بين كرخايا إلى كلوذا

ثم خاطب المتنبى قائلا "من أين لك هذه اللغه فى (كلوذا)؟ ما أحسبك أخذتها إلا عن الملاحين. و إنك أخطات فيها خطأ  
تعثرت فيه ضالاً- عن وجه الصواب، لأن الصواب كلوذا بكسر الكاف و إسكان اللام و إسقاط الياء. قال: و ما الكلوذا؟ قلت:  
تابوت التوراه بها سميت المدينه، و الدليل على ذلك قول الراجز:

كان أصوات الغبيط الشاذيزبر مهاريق على كلوذا

و الكلواذ: تابوت توراه موسى.

و الحقيقه أن العوده إلى التراث للاحتكام إليه و الاستناد عليه من سمات التفكير الكلاسيكى المحافظ الذى ينتمى إليه الحاتمى، فالاقتراب أو الابتعاد عن النماذج الفنيه و الأصول الأدبيه التى تم التواضع عليها هما جوهر الحكم.

و ثمة مثال آخر يدعم ما ذهبنا إليه. فقد خطأ الحاتمى المتنبى فى قوله:

وصلت إليك يد سواء عندها البازى الأشهب و الغراب الأبقع

ثم وجه إليه الخطاب " فانك شددت الياء فى (البازى) تشديدا لا وجه له، و وصلت ألف القطع فى الأشهب. و لا أعلم أحدا من الفصحاء شدد الياء فى البازى إلا البحترى، و عليه اعتمدت، و على لفظ بيته ركنت فى قوله:

و بياض البازى أحسن لونا إن تأملت من سواد الغراب

و قد رد هذا على البحترى و خطأ فى تشديده الياء.(٣)

و على الرغم من أن البحترى من الشعراء الذين يعتد باشعارهم و يستشهد بها لأنه يمثل العموديين فقد خطاه النقاد لخروجه عن القواعد الثابته للغه العربيه.

و قد أدى ذلك الموقف النقدى المتحجر - الذى يتصدى للتطور مهما كان طابعه - إلى توقف النمو و الازدهار للغه و مفرداتها.

و لم يكن خط موسيقى الشعر و قوافيه أكثر وفرة، لأن ما ورد عن العرب كان النموذج الأرقى و المثال المحتذى، فالقافيه - مثلا - لها أهميه كبيره - عنده - كما كان لها ذلك القدر عند العرب القدامى. و فى تطبيقه للمقاييس التى وضعها لجوده الشعر أخذ على المتنبى تكلف القافيه فى قوله:

و أظنه حسب الأسنه حلوه أو ظنها البرنى و الأزادا

و رأى أن كلمه (الأزادا) قافيه قلقه مجتذبه مجتلبه معلوله غير مقبوله.

ثم قال " و سبيل الشاعر أن يعنى بتهذيب القافيه فإنها مركز البيت حمدا كان ذلك الشعر أو ذما، و تشبيها كان أو نسيبا، و وصفا كان أو تشبيها. و أن يتأمل الغرض الذى يرميه فكره، فينظر فى أى الأوزان يكون أحسن استمرارا، و مع أى القوافى يكون أشد اطرادا، فيكسوه أشرف معارضه، و يبرزه فى أسلم عباراته، و يعتمد إقرار المعانى مقارها، و إيقاعها مواقعها، و قد حكى عن الحطيئه أنه قال: نقحوا القوافى فإنها حوافر الشعر. و يرى أنه شتان بين قول المتنبى (الأفخادا) فى البيت:

فغدا أسيرا قد بللت ثيابه بدم و بل ببوله الأفخادا

و بين قول الحطيئه:

هم القوم الذين إذا أَلمت من الأيام مظلّمه أضاءوا

فلقوله " أضاءوا " موقع لطيف و ذلك أنها لفظه لا يستطيع تبديلها بغيرها ٧.

ص: ١٥

---

١- الرسالة الموضحة ٢٥.

٢- المصدر السابق ٣١.

٣- الرسالة الموضحة ٥٧.



و لا تغييرها بما يسد مسدها..". (١).

و قد كان لهذا التفكير النقدي تأثير كبير على النقاد بعد الحاتمي كابن رشيق في موقفه من أهميه دور القافيه، كما تاثر الكلاسيكيون الجدد تأثرا كبيرا و كان على رأسهم مصطفى صادق الرافعي(٢) و استمر الأثر واضحا عند كل المدارس النقدية الحديثه في معظم الأقطار العربيه.

### الاستعاره عند الحاتمي

لم تختلف نظره الحاتمي - في رساله الموضحه - عن نظره كل من القاضي الجرجاني و الرماني و أبي هلال العسكري لمفهوم الاستعاره من حيث كونها "نقل كلمه من شيء قد جعلت له، إلى شيء لم تجعل له..". (٣) و هو من المؤسسين لفكره النقل التي حاربها عبد القاهر الجرجاني فيما بعد.(٤)

و قسم الحاتمي الاستعاره إلى ثلاثه أضرب:

أولها: الاستعاره المستحسنه و هي التي موقعها في البيان فوق موقع الحقيقه كقوله تعالى "إنا لما طغى الماء" [الحاقه ١١] فحقيقه طغى علا.

فلما قال تعالى طغى جعله علوا مفرطا، فصار لهذه الاستعاره حظ في البيان لم يكن للحقيقه و من الاستعاره المستحسنه قول الشاعر:(٥)

وردن لتغویر و قد وقد الحصى و ذاب لعاب الشمس فوق الجماجم

فاستعار للحصى وقده، إخبارا عن توقد الهاجره. و استعار للشمس اللعاب إخبارا عن شده الحر.

و على الرغم من أن الاستعاره في الآيه تصريحيه و في بيت الشعر مكنيه فهو لم يفرق بينهما، و وصفهما على حد سواء من حيث مبالغتهما في المعنى الحقيقي، و لم يتنبه - كما فعل عبد القاهر بعده - إلى ما تمتاز به الاستعاره المكنيه من حيث قدرتها على التشخيص و التجسيم، إلى جانب قدرتها - كاداه فيه - على خلق لون من الترابط و التجانس بين الأشياء التي يستطيع الأديب أن يكشفها بين الأشياء غير المتجانسه.

ثانيها: و هو الاستعاره المستهجنه، و يرى أنها استهجنه لأنهم استعاروا لما يعقل أسماء و ألفاظ ما لا يعقل كقول الشاعر:

فما برح الولدان حتى رأيت على البكر يمریه بساق و حافر

و يعقب بقوله " و هذا الشاعر إنما وصف رجلا أضيف و أكرم فقال: ما برح الإماء و الولدان يكرمنه حتى رأيت قد ركب راحلته و انصرف شاكرا عنهم فالمعنى في نهايه الحسن، إلا إنه قال في آخر البيت يمریه بساق و حافر" فقبح لما استعار للرجل موضع قدمه حافرا.

و ثمة حقيقتان تجدر الإشارة إليهما هنا أولا هما: أن النقاد لم يستهجنوا هذا النوع للأسباب التي ذكرها الحاتمي و هي استعاره ما لا يعقل لما يعقل بل ان العوامل الكامنه وراء الاستقباح ترجع بدرجة كبيره إلى انعدام الغرض الفني من ذلك النقل. أما الحقيقه الأخرى أن عبد القاهر تنبه إلى فساد ذوق الحاتمي و استدرك عليه خطاه حين أقر أن آخر البيت

"يمريه بساق و حافر"

ليس قبيحا و إنما جاء مشوبا بالأحاسيس ثم قال "فليس بالبعيد أن يكون فيه شوب مما مضى [وصفه بسوء الحال]، و أن يكون الذى أفضى به إلى ذكر "الحافر" قصده أن يصفه بسوء الحال فى مسيره، و تقاذف نواحي الأرض به، و أن يبالغ فى ذكره بشده الحرص على تحريك بكره، و استفراغ مجهوده فى نفسه..". (٤)

أما الضرب الثالث من الاستعاره أحسن من الثانى لأنهم استعاروا لما لا يعقل اسما لما يعقل كقول الراجز:

و هاطل الجرى أتى مقدمه ما لثمت كف الصعيد قدمه

فجعل له مكان حافره قدما". (٧)

و قد تاثر عبد القاهر الجرجاني - فى تقسيمه الاستعاره إلى قسمين:

مفيده و غير مفيده و ما يشته به الطرفان - بالحاتمي فى تقسيمه الاستعاره إلى مستحسنه و مستهجنه و ما يقف بينهما، بل إنه استشهد بالأمثله ذاتها التى أوردها الحاتمي. (٨) و لكن عبد القاهر لم يقف عند الحد الذى وقف عنده، بل طور ذلك تطورا جعل البلاغه تقفز قفزات رائعه فى ميدان الفن الأدبى.

و لعل الفارق بين عبد القاهر - كمثل لاتجاه ناثر - و بين الحاتمي كناقد كلاسيكى محافظ يتضح فى موقفيهما من حدود الخيال الذى تتحرك فى عالمه الصوره الاستعاريه، فبعد القاهر - على الرغم من اعتماده على العقل فى توليد الصوره الأدبيه - لكنه لم يحكمه فى قوانينها، بل جعل القلب مصدر الحكم عليها. أما الحاتمي فان حدود الخيال تقف عند الحدود التى يقبلها العقل. و هو الموقف ذاته الذى استمسك به الكلاسيكيون من معاصريه و على رأسهم الآمدى و القاضى الجرجاني (٩). فقد رأى الحاتمي أن الاستعاره فى بيت المتنبي التالى استعاره قبيحه:

أليس عجيبا أن وصفك معجز و أن ظنوني فى معاليك تظلع

و يقول مخاطبا الشاعر "استعرت الظلع لظنونك، و هي استعاره قبيحه، و تعجبت فى غير متعجب منه، لأن. من أعجز وصفه لم يستنكر قصور الظنون و تحيرها فى معاليه.. "ثم يعلل لحكم الاستعاره، فيذهب " إلى أنه ليس للظن فعل حقيقى استعرت الظلع موضعه. و إنما يقال ظن عازب، و ظن كاذب، و ظن ألمعى، و ظن مصيب. و هذه كلها استعارات واقعه. و لم يسمع شاعر فصيح و لا- عربى صريح: ظن ظالع، و استعاره الظلع للريح و إن كانت بعيده أولى و أقرب، من أجل أنه يقال: ريح حسرى، و ريح مريضه يراد كلالها و نقصان هبوبها، فجاز أن يوضع مكان الكلال الظلع، لأنه من جنس قصور الهبوب. و كذلك الظلع فى الريح موضوع فى غير موضعه، و إنما يقال فى هذا المعنى ريح حسرى، و حسرى ليست على الحقيقه إنما تورد استعاره. موقع تحسر

فى الببان أحسن من موقع تطلع.

فاستبدلت استعاره واقعه لطيفه.. باستعاره خافيه بعيده..(١٠)

ص: ١٦

- ١- الرساله الموضحه ٤٣.
- ٢- انظر وحى القلم، الجزء الثالث.
- ٣- الرساله الموضحه ٦٩ - يقول القاضى الجرجانى " وإنما الاستعاره ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل و نقلت العبارة فجعلت فى مكان غيرها". [الوساطه ٤١]. و يقول الرمانى "إنها تعليق العبارة على غير ما وضعت له فى أصل اللغه إلى غيره". [النكت فى إعجاز القرآن ٧٩] و يقول أبو هلال "الاستعاره نقل العبارة من موضع استعمالها فى أصل اللغه إلى غيره". [كتاب الصناعيين ٢٧٤].
- ٤- انظر أسرار البلاغه ٣٩٠ و ما بعدها.
- ٥- نسب الحاتمى هذا البيت خطأ إلى الحطيطه علما بان جل الكتب النقدية القديمه أثبتته للمزرد [للزمرد].
- ٦- أسرار البلاغه ١٣١.
- ٧- الرساله الموضحه ٧٢.
- ٨- انظر أسرار البلاغه ١٢٣ و ما بعدها.
- ٩- انظر الوساطه ٣٧ و ما بعدها - و انظر الموازنه ٢٢:١، ٢٤٥-٢٤٥.
- ١٠- الرساله الموضحه ٦٩ و ما بعدها.

و على ذلك فإنه يرى أنه لا بد لكل صورة خياليه من حقيقه واقعيه:

و ذلك ما يبرز الفارق بين الاتجاه الكلاسيكى و بين الاتجاه النائر الذى يمثله عبد القاهر الذى يذهب إلى أن التشبيه كلما كان أشد خفاء كانت الاستعاره أروع، و لذا فان الاستعاره المكنيه أقوى من الاستعاره التصريحيه لما فيها من الخيال الذى يجعل "الصور التى تحدث للمعانى بسببه، آنق و أعجب" (١).

و لأنها الأقدر على إعاده بناء العلاقات بين الأشياء عن طريق الكشف عن خصائص الأشياء و جواهرها. كما يرى النقد الحديث.

### موقف الحاتمي من القدم و الحدائنه

يقف الحاتمي إلى جانب الاتجاه الكلاسيكى القديم فى مواجهه الاتجاه المحدث، فإذا دعا المتنبي إلى أن يتجه الشاعر بكليته إلى طبعه، متجاوزا أحيانا الأصول الموروثة إذا اقتضى الأمر و استملح التجديد فان الحاتمي يأخذ على الشاعر قوله:

تمر الأنابيب الخواطر بيننا و تذكر إقبال الأمير فتحلولى

لأنه أتى فيه بيت مردف فى قصيده غير مردفه، و عد هذا شادا. و عند ما رد عليه المتنبي بان هذا الشعر "عذب على اللسان غير قلق فى الإنشاد" ذهب إلى أن "قوما لا علم لهم لا يرون هذا شادا، و لا يرون الواو المفتوح ما قبلها و لا الياء شادا ردفا، يزعمون أنهما ليسا بحرفى مد، لأن الصوت لا يمتد بهما كامتداده بالياء و الواو المكسوره و المضموم ما قبلها. و ذلك غلط من قائله. ثم يقول "فليس لمحدث أن يرتكب مثل ذلك، و لا يتسمح فى قوافيه بشيء من المعائب و إن كانت موجوده فى أشعارهم على طريق الشواذ" (٢).

و على ذلك فان الحاتمي لا يفسح مجالا واسعا للإبداع و التفنن، بل يقيس الأمور بمقياس كلاسيكى محافظ، يقوم على قدر قرب ذلك النتاج أو بعده عن الأصل النموذجى الموروث. و من أدلتنا على ذلك الموقف قوله معقبا على قول الشاعر:

شاحب باطن كصدر يمان صارم الوقع لف فى غير جفن

و متى ثم عاد عضبا حساما و جلا شفرتيه حد المسن

لم يكن عن جنايه لحقتنى عن يسارى و لا جنتها يمينى

بل جناها أخ و خل كريم و على أهلها براقش تجنى

ثم يعقب على هذه الأبيات متسائلا "أ فيجوز لمحدث أن ياتى بمثل هذا و يحتج به أو بمثله؟ كلا" فيقول المتنبي مؤكدا اتجاهه المضاد - و بالضد يظهر الضد - "قد أكثر القول فيما لا اعتد بشيء منه، و إنما أجرى على طبعى، و أقول ما يسوغه لسانى" (٣).

و هكذا يتضح موقفه فى مناصرته للقديم و مواجهته لكل حديث.

و يلجا الحاتمي - كذلك - إلى المقاييس الكلاسيكية في تقويم معاني الشعراء، ذلك المقياس الذي بينى على ما ألفه العرب من المعاني و ما تداولوه و تعارفوا عليه، دون أن يطلق العنان للشعراء كي يبدعوا و يضيفوا بذلك رصيذا هائلا إلى القيم الفنية و الفكرية التي تركها أسلافهم، لا- أن يقتفوا آثارهم و يعيشوا على فتاتهم يجتروا ما تصل إليه أيديهم، فهو يعقب على قول المتنبي:

خف الله و استر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق

و يذهب إلى أن هذا البيت مخالف للموروث من التعبيرات الجارية، ثم يقول "أ هكذا ينسب بالمحميين؟" (٤). و كذلك يعيب قول المتنبي في وصف الغيث:

لساحيه على الأحداث حفش كائدى الخيل أبصرت المخالى

و يقول "فاما أن يستسقى مستسقى للقبور غيشا يحفش تربها و ينبش ثراها، فلم يقله أحد. و إنما يستسقى لذيوار الأجه و لقبور الأعزّه لتكلى تلك الأرض، و تعشب تلك البلاد فتنتجع. فيتذكر أهلوها و يترحم على من واره الترب فيها، و ينتجع كل من ناى عنها ثم يحترسون فى السقيا من أن تدرس مغانيها و أثارها كما قال طرفه:

فسقى ديارك غير [غير] مفسدها صوب الربيع و ديمه تهيمى

(٥) و هذه دعوه صريحه إلى التحجر فى أطر القوالب التعبيرية الجاهزه التى ألفها الشعراء. و لعل تلك الدعوه قد وقفت حاجزا بين الشعر العربى و بين النماء و التقدم و الازدهار، و لبس الكسوه ذاتها مع بعض التزويق و الزخرفه الخارجيه طوال الفتره الممتده حتى الحرب العالميه الأولى.. إلى أن قامت ثوره عارمه على الاتجاه الكلاسيكى الجديد، تلك الثوره التى قادها فرسان مدرسه الديوان فى مصر العقاد و المازنى و شكرى، و إن كان قد سبقتهم دعوات بدأت مع نهايه القرن التاسع عشر و بدايه القرن العشرين من أمثال سليمان البستاني و إبراهيم اليازجى و خليل مطران و غيرهم من الذين تأثروا بالاتجاه الرومانسى فى الغرب.

## السرقاى عند الحاتمي

حظيت قضيه السرقاى الشعريه باهتمام كبير عند النقاد العرب القدامى من أمثال القاضى الجرجانى و الآمدى و أبى هلال العسكري و ابن طباطبا العلوى و غيرهم، و لم يخرج الحاتمي عن الدائره التى رسمها أولئك النقاد، و لكن الإسراف فى الذاتيه و التحامل المحموم الذى اتسمت به رساله الحاتمي هو الذى جعلها تأخذ طابعا خاصا. فقد اتفق معظم أولئك النقاد على أن النسخ سرقه لا مجال للتأويل فيها أو الدفاع عنها، و ذلك ما أكده الحاتمي حين أشار إلى إساءه المتنبي فى قوله:

الأديب المهذب الأصيد الضرب الذكى الجعد الرئيس الهمام

و يقول "فانك (أى المتنبي) نسخته نسخا من قول البحرى:

سالمتنى الأيام لما تحرمت بظل الرئيس ذى الأنعام

بالأديب المهذب الفاضل القدم الأبي الندب الوفى الهمام"

ثم يعقب على ذلك بقوله "و ما ظننت أحدا تجرأ على هذا اجتراءك

ص: ١٧

---

١- دلائل الاعجاز ٣٥٥.

٢- الرسالة الموضحة ٧٧.

٣- المصدر السابق نفس الصفحة.

٤- الرسالة الموضحة ١٤.

٥- المصدر السابق ٤١.

عليه، فإن أحداث المتأدين ممن يتعاطى نظم الشعر يترفع عن مثله.."<sup>(١)</sup> و لكن الحاتمي - و في ظل هجومه المندفع ضد المتنبي - يتهم الشاعر بالاغاره و السرقة لمجرد اتفاق معاني الشعراء الآخرين، أو لمجرد اتفاق وجود بعض ألفاظهم عنده، و كان المعجم الشعري الذي استخدمه أحدهم لا يحق للشعراء الآخرين أن يردوه. و عند ما قال المتنبي يرثي أم سيف الدوله:

مشى الأمراء حولها حفاه كان المرو من زف الرئال

و أبرزت الخدور مخبات يضعن النقس أمكنه الغوالي

أتتهن المصيبة غافلات فدمع الحزن فى دمع الدلال

فارجع الحاتمي البيت الأول إلى قول الصنوبري:

نؤوم الضحى أهب القنفاذ عنده إذا ما عراه النوم وجدته كالفنك

أو عن قول ابن الرومى:

لو أنها استلقت على شوك الحسك تحت الزباه وجدته كالفنك

و البيت الأخير ينظر فيه إلى قول العباس بن الأحنف نظرا خفيا، و هو من معانيه التي اخترعها:

بكت غير آسبه بالبكاء ترى الدمع فى مقلتيها غريبا

و المدقق فى هذا الاتهام و غيره من الاتهامات التي غصت بها رساله الحاتمي، تلك التي أنشأها لتتبع سرقات أبى الطيب و ساقط شعره، يجد أن فيها كثيرا من التعسف و التحامل لأن فيها تناسيا لعنصر التجربه الشعريه و الصدق الفنى الذى يغذيه، فالشاعر الصادق هو الذى يستمد معانيه و صورته من تجربته التي يرفدها ثقافته من أسفار و قراءه و ممارسات حياتيه و ميول و ذوق بلورته الخبره الفنيه. و تتجمع فى حصيلته الفكرية و الفنيه كثير من روافد الثقافه التي تتعدد منابعها و تختلف، و لكنها تنصهر فى بوتقه ذاته، و تصبح ملكا له. و بقدر ما تكون أسيره له على قدر ما يتحكم فيها و يوجهها بشخصيه مستقله قويه يكون نجاح ذلك الشاعر. أما إذا كان أسيرا لتلك الثقافات فإنه يكون فاقد الذات الفنيه المتفرده، متصنعا و هذه أمور تكشفها عمليه الإبداع الشعري.

و قد حاول الحاتمي أن يناقش قضيه السرقات و صلتها بثقافه الشاعر و أثرها فى الإبداع الشعري، و عرض ذلك بطريقه موضوعيه فى ظاهرها و ذهب إلى أن المتنبي دافع عن نفسه حين اتهم بالسرقة على أساس فكره التأثر بما يحفظ و يخاطب الحاتمي قائلا "أما ما نعيته على من السرق فما يدرك أنى اعتمده، و كلام العرب آخذ بعضه براقب بعض، و آخذ بعضه من بعض، و المعانى تعتلج فى الصدور، و تخطر للمتقدم تاره و للمتأخر أخرى، و الألفاظ مشتركه مباحه.. ثم يتساءل نافيا "فمن هذا الذى تعرى من الاتباع، و تفرد بالاختراع و الابتداء، لا أعلم شاعرا جاهليا و لا إسلاميا إلا و قد احتذى و اقتفى.."<sup>(٢)</sup> و

يناقشه الحاتمي فيما ذهب إليه و يقول " ..و إنما حكم لهم [للشعراء الجاهليين و الإسلاميين] بالفضل، و سلم إليهم خصله من أجل ما ابتدعوه من المعاني، و سبقوا إليه من الاستعارات، و ابتكروه من التشبيهات الواقعة و الأمثال الشارده، و ذلوه من طرق الشعر الحزنه و لما تعايروا بالسرق و الاجتلاب و النقل و الاجتذاب.. " ثم يقول " ..فلا يتسمح الشاعر بان يكون جمهور شعره عند التصفح مسترقا ملصقا، و مجموعا ملفقا، و لا أن يكثر الاعتماد في شعره، و يتناصر السرق في كلامه. و من سبيل المحتذى أن يأخذ المعنى دون اللفظ، ثم أن يطويه إن كان مكشوفاً، و يكشفه إن كان مستورا، و يحسن العبارة عنه، و يختار الوزن العذب له، حتى يكون بالأسماع عبقا و بالقلوب علقا.. " و يذكر الحاتمي العديد من الأمثله التي حدث فيها احتذاء و حدث مع الاحتذاء إجاده منها قول الأعشى:

و ذرنا و قوفا إن هم عمدوا لنا أبا ثابت و أقعد فانك طاعم

فأخذة الحطيئه، فأحسن العبارة عنه، و استوفى المعنى فيه، فصار أحق به من المخترع له بقوله:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها و اقصد فانك أنت الطاعم الكاسي

(٣) و على ذلك فإنه يقر بالاحتذاء لا على أنه نوع من النقل و السرقة الذي تتمحى فيه شخصيه الشاعر، بل على أنه نوع من التأثر بطريقه الشاعر و أسلوبه. و هذا ما أكده عبد القاهر و طوره تطورا ناضجا منحه طابعا فنيا راقيا، فقد لام النقاد القدامى الذين يعيرون على الشعراء المبتدئين احتذاءهم لأشعار غيرهم من المبرزين، و يرى أن ذلك سبيل المبتدئين و أنه طريقهم لتفتح شاعريتهم و صقلها و تدريبها على النظم، فالفرق بين الاحتذاء و السرقة كبير، و يعرف الاحتذاء بقوله " أن يبتدئ الشاعر من معنى له و غرض أسلوبا (و الأسلوب الضرب من النظم و الطريقه فيه) فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب، فيجىء به في شعره، فيشبه بمن يقطع من أديمه نعلا على مثال نعل قد قطعها صاحبها فيقال قد احتذى على مثاله " (٤) و يذهب الدكتور مصطفى هداره إلى أن الاحتذاء و الاقتداء الذي أشار إليه القدماء هو الاحتذاء الذي أقره المحدثون، يقول " لو أننا قارنا بين شروط السرقة الممدوحه كما قررها نقاد العرب، و شروط الاحتذاء الفنى كما قررها النقاد الأوروبيون، فسنجد التطابق بينهما شديدا. و ما ذاك إلا- لأن السرقة الممدوحه عند العرب إنما تعنى الاحتذاء بمعناه الفنى، و هى التى يرضى عنها نقاد العرب الذين لا يتعصبون للتقديم " (٥)

و فى النقد العربى الحديث عالج الدكتور محمد مندور هذه القضية معالجه دقيقه أوجب بمقتضاها التمييز بين أشياء هى:

١ - الاستيحاء: و هو أن ياتى الشاعر أو الكاتب بمعان جديده تستدعيها مطالعته فيما كتب الغير.

٢ - استعاره الهياكل: كان يأخذ الشاعر أو الكاتب موضوع قصيدته أو قصته عن اسطوره شعبيه أو خبر تاريخى و ينفث الحياه فى هذا الهيكل حتى ليكاد يخلقه من العدم.

٣ - التأثر: و هو أن يأخذ شاعر أو كاتب بمذهب غيره فى الفن أو ٣.



١- الموضحة ٨٨ و للاطلاع على أمثله أخرى انظر ١٣٦ و ما بعدها.

٢- الموضحة ١٤٨.

٣- المصدر السابق ١٥٣.

٤- دلائل الاعجاز ٣٦٠، ٣٦١.

٥- مشكله السرقات فى النقد العربى ٢٣٧، انظر رأى ابن طباطبا (عيار الشعر ورقه ١٣) نقلا عن مشكله السرقات ٩٣.

الأسلوب، وقد يكون هذا التأثير تلمذاً، كما قد يكون عن غير وعى، وإنما النقد هو الذى يكشف عنه.

٤ - و أخيراً هناك السرقات وهذه لا تطلق اليوم إلا على أخذ جمل أو أفكار أصلية و انتحالها بنصها دون الإشارة إلى ماخذها و فى نهاية هذا البحث يمكننا القول ان رساله الموضحه للحاتمى جديره بالعاينه و الدررس، فهى ركن أساسى من أركان الاتجاه الكلاسيكى المحافظ فى النقد من ناحيه. كما أنها أثارت قضايا على قدر كبير من الخطوره و الأهميه من ناحيه أخرى كما أوضحت. و فى النهايه هى لبنة من لبنات تراثنا النقدى العريق.

## أحمد أبو العلاء المعرى

### إشارة

مرت ترجمته فى مكانها، كما مرت عنه دراسات فى المستدركات و نضيف هنا إلى ذلك ما يلى مكتوبا بقلم أمينه عصفن أوجه التشابه و الاختلاف بين غفران أبى العلاء و كوميدىا دانتيبا إذا كانت المقارنه مصدرا خصبا من مصادر المعرفة الإنسانيه فان الإنسان فى مختلف دراساته اتخذ المقارنه سبيلا- للوصول إلى الحقائق الجوهرية المتعلقة بميادين بحثه. ففى علم الحيوان مثلا قارن الدارسون بين الحيوانات المختلفه فصنفوها إلى أجناس و أنواع. و كان هذا التصنيف مبنيا على الملاحظه و ملاحظه الخصائص الجوهرية لكل جنس من الأجناس و كل نوع من الأنواع المتباينه. و لقد خضعت اللغات و هى أدوات التعبير عن الأدب لمثل هذه الدراسه المقارنه، فكان لها أثرها العميق فى التعرف إلى أصولها، و الاحاطه بما تحقق لها من تطور خلال العصور. لقد طبقت الدراسه المقارنه على المفردات اللغويه، كما طبقت على المركبات، و كان من نتائج تطبيق الدراسه المقارنه على المفردات أن وجد لدينا علم اللغه بفروعه المتعدده، كما كان من نتائج تطبيقها على المركبات فى اللغات المختلفه، ذات الأصل الواحد، ان وجدت لدينا دراسات كثيره فى النحو المقارن، فادى ذلك إلى تصنيف لغات العالم إلى أسر لغويه تضم كل اسره منها مجموعه من اللغات يجمع بينها أصل واحد مشترك.

أما الأدب فيمثل مشكله قائمه بذاتها، تختلف عن الحالات السابقه التى أشرنا إليها. ان الدراسه الأدبيه المقارنه لا تتناول قضايا محسوسه بل هى تدور حول تأثيرات قد تتضح و قد تخفى. و لا يكون وضوحها بالضروره مقتبسا من مميزات الأعمال الأدبيه المقارنه، بقدر ما يكون مقتبسا من قرائن خارجيه على هذا التأثير. اما الاقتصار على مجرد المشابهه فكثيرا ما قاد إلى أخطاء كان منشؤها الاقتناع بظواهر الأمور بدون غوص إلى بواطنها.

و فى ضوء هذا الفهم، لا بد لنا، و نحن بصدد دراسه رحلتى أبى العلاء و دانتي من دراسه بواعث الرحلتين الظاهره و الخفيه، و الإشارة إلى نقطه انطلاق هذين الرحالين و تحديد محطه السفر الأولى، لأنه بحيث انطلق أبو العلاء من الجنه و أبدع فى تصويره لحياه الفردوس، انطلق دانتي فى المقابل من الجحيم الملغز، و النيران المتأججه هذا إلى جانب انطلاق أبى العلاء فى رحلته متقمصا شخصيه ابن القارح، فى حين ذهب دانتي بنفسه يستطلع و يستكشف.

و تعود كتابه " رساله الغفران " إلى أسباب مباشره و أخرى غير مباشره.

## ٢ - الأسباب الظاهره:

ظاهر الأمر ان رساله كتبت ردا على رساله بعث بها ابن القارح إلى أبي العلاء، فخرج بذلك إلى النور في وقت لم يسجله تقويم الزمن، من الربع الأول للقرن الخامس الهجرى، نص أدبى كتب له ان يخلد مع روائع الآثار الباقيات، فكانت "رساله الغفران".

## ٣ - التراسل كنوع أدبى:

غير أن وراء السبب الظاهر دواعى اخرى ان تخف على البعدين عن دراسه ذلك العصر، فلن تخفى على من تعرفوا حياه أهله، و عرفوا ولع أدبائه بالتراسل، لسبب و لغير سبب، سوى إظهار البراعه، و عرض البضاعه.

و رساله ابن القارح تأخذ في شكلها و ظاهرها صوره الرسائل الاخوانيه، لكن كاتبها الذى لم تكن تربطه بأبى العلاء معرفه سابقه، لم يعن بالمسائل الاخوانيه بقدر ما عناه سرد محفوظه من اللغه، و الأخبار و الأشعار، و الإعلان عن براعته، و التحدث عما لقي من الأئمه و الشيوخ.

و قد جرى أبو العلاء - مثل ابن القارح - على عادته عصره، و اقتفى أثر الأدباء قبله، و تبع سنتهم، فمضى مثلهم يعرض بضاعته، و يترجم بحديثه عن حاجه فى نفسه.

## الأسباب المباشره:

لكننا مع القبول بهذه الأسباب الظاهره، و مع فهمنا لروح العصر و تقديرنا لأثر أبى العلاء، قد نستغرب تلك الرحله الخياليه الطويله المثيره التى قاد صاحبه إليها، فطاف به فى ارجاء العالم الآخر، و أذاقه من ألوان النعيم ما لا عين رأت، و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر.

و يقربنا هذا الاستغراب إلى تعرف الأسباب المباشره، للقيام بهذه الرحله، و تقديمها بالشكل الذى قدمت به، و منها:

## أ - الخصائص الخاصه بحياه المعرى:

إذا قلنا ان أبا العلاء كان يعرض بضاعته من العلم و اللغه و الفن، فلقد كان إلى جانب هذا يحلم، و ينال من عالم الخيال ما لم ينله من عالم الواقع، خاصه إذا ما عرفنا ان حياه أبى العلاء قد انشطرت إلى شطرين واضحين و متميزين:

- كان فى أولهما يعيش فى دنيا الناس، و يأخذ فيما يأخذون فيه من لهو، و جد محاولا- ان يشارك فى حياتهم، و مناقلا بكفايته و امتيازه ليظفر بما كان له فيها.

- فى حين كان معتكفا فى دنياه منصرفا إلى التأمل و الإملاء فى عهده الثانى.

## ب - حاله أبى العلاء النفسيه:

و بتحديدنا للزمن الذى كتبت فيه الرساله، و هو فى أخريات الربع الأول للقرن الخامس الهجرى، يسهل علينا ان نتعرف إلى الحاله النفسيه لأبى العلاء حين أملاها. غير أننا لا نملك أن نحدد بالضبط مبدأ كل عهد من حياته و منتهاه، لأن العلائى انصرف بنفسه عن دنيا الناس، قبل ان ينسحب منها، و نفص يديه منها و هو لا يزال فيها، و فكر فى اعتزالها طويلا قبل ان يجمع أمره على العزله فى محبسه بمعره النعمان. لكننا نملك ان نقول انه كتب "رساله الغفران" فى صميم الشطر الثانى من حياته، و كان إذ ذاك يستهل العقد السابع من عمره.

ج - يأس أبى العلاء و نضجه:

و كتب العلائى "رساله الغفران" بعد أن هزم فى النضال مع الدنيا و نسا به مكانه بين الناس، كتبها بعد أن يئس من بلوغ ما اشتهاه من مجد

ص: ١٩

الحياه و نعيمها. و كتبها فى السبعين بعد ان أنضجته الأيام بتجاربها، و مصائبها و كشفت له عن أشواقه الكامنه، و جراحه التى لم تندمل قط، و طالت صحبته لنفسه حتى عرفها على حقيقتها، و أزال عنها حجب الوهم و أستار المداراه.

و أخيرا كتبها فى شيخوخته، بعد ان قطع مراحل الحياه الدنيا، و أشرف على العالم الآخر، و انصرفت نفسه إلى التأمل الحزين الطويل فى مصير الإنسان.

فى ذاك الجو القاتم ظهرت "رساله الغفران"، و فى تلك الحاله النفسيه الأليمه، أملى "أبو العلاء" رسالته، و انها لحاله تفسر لنا ما فى "الغفران" من أشواق مستثاره إلى الرغبات الماديه، و عرض متفنن لنعم الدنيا منقوله إلى العالم الآخر.

و تفسر لنا كيف جمع أبو العلاء، الأدباء و الشعراء فى جنته، و هو المعتزل المنفرد، و كيف حشد فيها ملذات الدنيا من نساء، و طعام و شراب، و هو الذى كفر بالخمير، و تجنب النساء، و حرم نفسه طيبات الطعام و الشراب.

و تفسر لنا كيف ملأ جنته حركه و انفعالا، من صيد و نزهه و رقص و مادب و مجالس و طرب و خمير، و هو الذى حكم على نفسه بالحبس فى منزله بمعره النعمان نحو نصف قرن من الزمان مقيدا سجيناً. لذا أطال الحديث عن الحياه الآخره، و تفنن فى تصويرها لغير ضروره ظاهره، و استمر حلمه الطويل حتى شغله عن الرد على ما جاء فى رساله "ابن القارح" و لم يشرع به إلا بعد أن أتم رحلته و فرغ من رسم صوره الحياه الأخرى.

## انعكاسات البواعث على رساله المعرى

جاءت رساله الغفران آيه من آيات المعرى. و كان سر عظمتها دلالتها الأمينه على نفس صاحبها و على الحياه من حوله. فلو لم نعرف صوره صاحبها لرسمت لنا صورته بينه السمات، و دللتنا على شخصيته، و عرفنا انه: أديب يائس معتزل محروم.

و لو لم نعرف الزمن الذى أملى فيه "الغفران" لحددت لنا الرساله ذلك الزمن، إذ ان فهم الحياه فهما ناموسيا، يجعلنا نطمئن إلى ان "التفات" أبى العلاء إلى العالم الآخر لا يكون إلا مع يأسه من هذه الدنيا، لأنه ما كان ليسرح إلى الأخرى هائما حالما و هو فى غمار الحياه و المجتمع قبل عزلته.

و ربما كانت هذه البواعث كافيه لأين يخترق أبو العلاء خط السير فى الممالك الإلهيه، فيبدأ من حيث يحلم، و تكون الجنه العالم الأول الذى يطالعنا به، و كان أبواب المرور من الأرض السفلى مفتوحه و على مصراعها على أبواب الجنه.

## بواعث كوميديا دانتي

لكن دانتي لم يخترق حيث اخترق أبو العلاء، و لم يبدل وجهات السير، و لم يغير مقاييس العالم الآخر، بل بدأ كتابته للكوميديا من حيث تبدأ الأديان، و انتهى إلى حيث تنتهى، و كان تقسيم الكوميديا تقسيما كلاسيكيا دينيا مسيحيا. كيف لا، و قد كان دانتي الإنسان المسيحى المؤمن، المشيع بقراءه التوراه و الإنجيل و الكتاب المقدس بخاصه. غير ان هذا التقسيم يبقى السبب الظاهر، فى كتابه الكوميديا بحيث تظالعنا أسباب أعمق و أبعد فى تصور الشاعر، و فى تاريخ حياته: الذاتيه، و السياسيه، و الوطنيّه... ربما كانت هى الباعث الأصدق و الأهم فى كتابتها.

وقد نورد هذه البواعث و الأسباب و لكن بايجاز، و ذلك بسبب اهميتها فى خلق جو الكوميديا الإلهيه العام، و فى جو من الينابيع، و المناهل التى استقى منها دانتى رائعته.

١ - و نبدأ أولا بحياه الشاعر الذاتيه الكل يعلم أن دانتى شرد و جرد من كل شىء: الأسره، و الأصدقاء، و المال، و الوطن، فاشند عليه المدد و أتعبه. و ربما أفاد كثيرا من حياته الشبيهه بالبوهيميه على فارق واحد أو أكثر، و هو أن البوهيمى قرير العين مرتاح إلى حياته لأنه ليس له أهداف، و ليست به طموح.

و من فوائد منفاه انه تنقل بين كثير من المقاطعات، فشاهد المدن، و القرى، و الجبال، و الأوديه، و الخمائيل، و الأرض القاحله. و كلها مناظر خلابه - من الأرض الايطاليه - مما عزاه بعض الشىء عما كان يلاقه من الحرمان، و قد ذكر أكثر تلك الأمكنه فى الكوميديا، و أدخلها فى طوبوغرافيه العالم الآخر، و جعلها قسما من جغرافيته.

٢ - المؤثرات الوطنيه و انعكاسها فى نفس دانتى كان النفسى كان ضروريا لدانتى، لأنه ضاعف فيه حبه لأرض وطنه الذى تحده جبال الألب من الشمال، و البحار من جميع الأطراف. و حمل دانتى بين حناياه فكره الوطن الواحد الموحد ايطاليه الكبرى. و قد كانت حتى الساعه - أى زمنه - نهبا مقسما بين عدده دويلات أجنبيه و وطنيه، و ملكيه و جمهوريه، و اقطاعيه و بابويه، و أشباه ذلك.

و ملك هذا الاحساس على دانتى جميع مشاعره و منافد الفكر منه، فكره الوطن الموحد. فلم يقتصر على رسم حدود وطنه المقدسه على حد قوله، بل كانت ذاكرته تزخر بامجاد روما و عظمتها، فحلم بمملكه عالميه تضم بتناغم مثالى الأمراء جميعهم، و الممالك كلها، و تسوسهم قوانين حكيمه عادله، و تعمل فى هذه المملكه العالميه الشامله جنبا لجنب السلطه البابويه و هى الروحيه و السلطه الامبراطوريه و هى السلطه الزمنيه. و أناط دانتى بهذه المملكه إنقاذ الإنسانيه التائهه فى أدغال الشك، و التى تنهشها الفوضى و البلبله. و ما ذلك اليوم بعيد عن روما مركز السلطتين الروحيه و الزمنيه، و عن ايطاليا كلها، جنه الامبراطوريه، و مهد الحضاره اللاتينيه الكبرى.

و كى يعد دانتى النفوس إلى تقبل هذه النبوءه الكبرى و الأمنيه الغاليه نشر بين الناس طرفته المسماه "الكوميديا الالهيه" حيث اتصل الزمن بالأبديه، و انعكس وجهها الفضيله و الرذيله على صفحه مرآه.

٣ - ثقافه دانتى و انعكاسها فى الكوميديا لقد وصف لنا دانتى فى بعض صفحات من كتابه "الوليمه" الصراع الداخلى الذى كان يعتمل فى نفسه عند ما اجتاز مرحله النظم فى الغزل، و النسيب و التشبيب بالحسان، إلى دراسه الفلسفه. فأكب على دراسه بوزيو و شيشرون، مما أجح فيه حب المعرفه، و دفعه ذلك إلى أن يقود خطاه نحو مدارس رجال الدين و تتبع جدال أهل العلم و الفلسفه.

فتردد على احدى الحلقات للأباء الدومينيكيين فى دير القديسه ماريا نوفلله، و بات من المؤكد أنه تابع الدراسات للاباء الفرنسيسكان فى سنت كروتشه، و درس أرسطو الذى بدأت مؤلفاته تروج و تنتشر. أما توما الاكوينى و بونا فنتورا فقد كانا منهله الفياض العذب. و عكف دانتى على دراسه القانون، و الطب، و الموسيقى، و التصوير، و النحت، و الفلسفه،



و الطبيعه، و الكيمياء، و الفلك، و السياسه، و التاريخ، و اللاهوت، و درس تراث اللاتين، و ألم بتراث اليونان و الشرق بطريق غير مباشر، و عرف ثقافه العصور الوسطى، و تعلم الفرنسيه و لغه البروفنس، و درس أدب التروبادور.

هكذا اجتمعت لدى دانتى الحكمة المشرقيه كلها، و بلاغه اليونان و محبه الله فى المسيحيه، و عظمه المدينه الرومانيه، و كان يحترم أرسطو، و يتبع توما الاكوينى، و لا يحجم عن الاطلاع على التراث العربى و فلاسفته و يستلهم مادته من التوراه و الإنجيل و ما أمكنه الاطلاع عليه من الفكر و التراث الإسلامى من هذا المضمرا. غير أن مرد التأليف بين الأضداد فى نفس دانتى يعود إلى قدره التوحيد الطبيعى فى عبقريته. و قد نفذت بشتى الثقافات.

و بفضل هذه الكونيه التامه التى كانت تؤاخذ بين الماضى و الحاضر و المستقبل استطاع دانتى ان يجعل من نفسه فى "الكوميديا" رمزا للجنس البشرى أجمع. و طرفه دانتى من الفها إلى يائها بطابعها الخاص و أهدافها، ليست إلا تكافؤا جميلا غريزيا لشقاوته و ضعفه.

استنادا إلى ما قدمنا من بواعث و أسباب مباشره و غير مباشره فى أوجه المقارنه فى رساله الغفران، و الكوميديا الالهيه، حق لنا اتهام النقاد بالتجنى على دانتى، و القول بأخذه فكره الرحله إلى الممالك الالهيه عن أبى العلاء، و محاكاته من ثم و تقليده.

كثيرون هم الجناه و المدعون، أمثال قسطاكي حمصى الذى قال "بسرقه دانتى لموضوع أبى العلاء و تخلفه عنه فى السمو و البيان" (١) و قول الدكتور عمر فروخ "ان المعرى سبق دانتى إلى بعض تخيلاته" (٢) و تعصب مصطفى آل عيال (٣) الذى لا يريد بدوره "ان ينقص من حق المعرى الذى هو بغنى عن ان يضاف إلى مجده مجد آخر"، و ذلك بتلقيبه "ملهم دانتى" أو قول زيدان "باقتباس دانتى فكره الكوميديا من "الغفران" أو قول "كرد على" ان شاعرنا كان معلما لنا بغه ايطاليا فى الشعر و الخيال.

فذلك و مثله ما يمكن حملة على محمل التعصب، و هو أيضا مما يمكن إغفاله و السكوت عنه، لأنه لم يأخذ سمه البحث العلمى.

غير أن المهم فى آراء النقاد هو كتاب "سيجويل اسين بلاسيوس".

و ليس بلاسيوس بالعربى، أو الشرقى، أو المسلم، حتى يحمل قوله على التعصب، و ليست دعواه، احكاما سريعه مرتجله حتى تقابل بالاستهانه.

انما هى شهاده من أهلها.

شهاده كاثوليكي، من الإسبان المعروفين بالتعصب.

و جاء بلاسيوس يقرر بعد دراسه واسعه متخصصه، قضى منها خمسا و عشرين سنه، باحثا منقبا فى التفكير الإسلامى فى العصور الوسطى - جاء يقرر " أن أصولا اسلاميه - من بينها الغفران - قد كونت أسس الكوميديا الالهيه تلك القصيده التى طبعت كل الثقافه الأوروبية المسيحيه فى العصور الوسطى".



و لكن بلاسيوس وقف فى مظاهر التشابه عند رسائل جزئيه غير ذات بال، و ظواهر سطحيه لا يمكن ان يحتكم إليها فى مثل تلك القضيه.

و من أمثله الحكم على دانتى بأخذه من أبى العلاء، فى رأى بلاسيوس، نورد المثلين الآتيين: (٤) ١ - لاحظ بلاسيوس مثلا ان آباء [أبا] العلاء لكى يحقق هدفه المزدوج، الأدبى و الدينى، يلقى الشعراء فى جهنم منفردين واحدا بعد الآخر، أما فى الجنه فيلقاهم جماعات. و كذلك فعل دانتى، فهذه الحلقات الأدبيه لأبى العلاء تعادل الحلقات و التيجان التى نظمها دانتى فى السماوات من رجال الدين و الجنود و القضاء و غيرهم.

و قد جاء بلاسيوس فى دليله بما يضعفه، فابو [أ] العلاء لا يلقى إلا الشعراء و لا يريد سواهم و دانتى يريد أقواما آخرين، أكثرهم لا يمتون إلى الشعر بسبب.

٢ - كذلك رأى بلاسيوس ان الطريقه التى كان أبو العلاء يلقى بها من أراد من الشعراء تشبه الطريقه التى اتبعها دانتى: "فهو اما ان يستعلم عن روح بعينها فيرشد إلى صاحبها، و اما ان تظهر له فجاه روح يخطئ معرفتها، فيسأل عن اسم صاحبها".

و بحسبنا فى التفريق ما بين الشعارين هنا، ان "ابن القارح" كان يلقى الأشخاص بأجسامهم، و لم يحدث قط ان لقى روحا أو تحدث إلى روح على حين لم يلق دانتى سوى الأرواح.

نكتفى بهذين المثلين شهاده على تجنى آسين بلاسيوس على دانتى، و ليس بوسعنا الاطاله، و كشف نقاط أخرى، و قد اعتمدنا فى ذلك على بنت الشاطى، لعجز منا فى قراءه نص بلاسيوس الإسبانى.

و كدراسه مقارنه، أؤيد أحكام بنت الشاطى فى بحثها الرصين المتعمق و الموضوعى، و يكفينى اثباتا ما قدمته من بواعث كتابه لرساله الغفران و الكوميديا الالهيه، إلى جانب دراسه وجوه التشابه و الاختلاف فى كل من الرحلتين، و هى وجوه نابعه من أصاله عالمين داخلين مختلفين، و من عمق ثقافتين متميزتين، و من غايتين مفارقتين - قصد إليهما الأديب و الشاعر:

- ان الفكره عند المعرى كانت بسيطه فى حد ذاتها. فقد أراد أن يسخر بعالم الأدياء، و قد أصاب الهدف إصابه محكمه.

و كان له أيضا هدف ثانوى ذكره طه حسين فى كتابه "مع أبى العلاء المعرى فى سجنه" حيث قال:

"لقد ألف أبو العلاء رساله الغفران ليبرهن عن واسع خياله و عظيم مقدرته بالعلوم اللسانيه و اللغويه، و غريب الشعر و الألفاظ و المفردات و معانيها المختلفه، و لم يكن همه العالم الأخرى، و لم يعنه تركيب هذا العالم، و لا سيما التركيب المعنوى و الخلقى للجنه و الجحيم. و لم يصف الصراعات التى تتاكل بين البشر تكالبا منهم على حطام الدنيا فى شتى المناحي و الميادين. لقد ركز همه فى الشعراء فقط و بغريب الأبيات من الشعر". و ما كان بهتان صوره و عبثيه و سخريته إلا لتأكيد ذلك.

- أما كوميديا دانتى، فى صورتها الأدبيه، فتعد عملا مبتكرا لم يسبق إليه الشاعر، كما ان هذا العمل استعصى نظيره على من جاء بعده فكثير من الشعراء حاول تقليده أو مجاراته فى هذا الميدان الذى فتحه، لكن ذلك كان بدون جدوى، فلم تكد الأعمال التى انبثقت من هذا التقليد تولد حتى تداعت و انزوت إلى ظلال كثيفه من النسيان.

و عد بحق الدكتور عبد السلام كفانى (٥) الكوميديا " بأنها ملحمه عن الإنسان و حياته و موقفه فى مواجهه العدالة الالهيه "

فى حين قال حسن عثمان (٤) " الكوميديا مرآه الحياه و قصيده الإنسان.

ص: ٢١

---

١- قسطاكى حمصى: المقال الرابع من مجله الرساله الصادره عن المجمع العلمى فى دمشق سنه ١٩٣٤.

٢- عمر فروخ: حكيم المعره - ص ٩٧.

٣- مصطفى آل عيال: سلسله اقرأ رقم ١٦٤ - ص ٩٥.

٤- الغفران: لعائشه عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ص ٣٢٨.

٥- الدكتور عبد السلام كفانى: " فى الأدب المقارن " ص ١٨١.

٦- مقدمه جحيم الكوميديا ص ٦٣ ترجمه حسن عثمان.

الكبرى. و هي فن رفيع يهدف إلى تغيير الإنسان و إصلاح المجتمع. و قصد دانتى ان يجعل منها بدايه لعصر جديد، و كأنه أراد بذلك أن يضع كتابا مقدسا جديدا يهدى البشر إلى سواء السبيل، و بدأ فيها دانتى أورفيو جديد لعالم جديد".

و فى حين تناول النقاد جوهر الكوميديا و مواضيعها، فقد تناول الشاعر و الناقد (T.S.ELIOT) ت.س. اليوت لغه الكوميديا فقال: "ان أول درس يستفاد من دراسه دانتى انه لا يوجد شاعر من مستواه بذل من العنايه و الجهد فى دراسه فن الشعر ما بذله دانتى و لا يستثن من هذا فرجيل". كما أن اليوت يقول "انه لا يعرف شاعرا انكليزيا قدم للغته من الخدمات مثل ما قدمه دانتى لايطاليا". و يكون أليوت قد رفع دانتى هنا إلى قمة البارناس الشعريه، و تجاوز به شكسبير و شعر شكسبير.

إذن، انطلاقا من دراستنا، و انطلاقا من آراء النقاد الجادين، و انطلاقا من الاحتكام إلى نص "الرساله" و "الكوميديا" نحكم بعدم وجود التشابه المدعى، لثؤكد التقاء الأثرين عند فكره واحده هي "الرحله الخياليه إلى العالم الآخر"، و هي فكره انسانيه مشتركه لم تنحصر فى حضاره، و لا قوم، و لا دين، فمنذ سمعت البشريه ان هناك عالما آخر، راحت تتمثل ذلك العالم، ثم جعلت تقوم برحله خياليه اليه.

و تصوير ذلك العالم قديم العهد، تحدثت به الأساطير قبل أن يولد "أبو العلاء" بدهور، و عرضته الأديان عرضا مفصلا لا يدع لنا سبيلا إلى إثارة "أبي العلاء" به.

## بين أبي العلاء و الوزير المغربي

قال الدكتور إحسان عباس:

تدور لزوميات أبي العلاء فى معظمها حول المشكلات الوجوديه و القضايا الميتافيزيقية: هنالك يجد المرء وقفات كثيره عند مشكله الجبر و القدر، و الخير و الشر، و النفس و الجسد، و التقوى و النفاق و العقل و الخمر، و المرأه و التناسل، و العدل و الجور، و الرعيه و الرعاه، و الدنيا و الإنسان، إلى غير ذلك من قضايا انسانيه و شئون كونييه، و لذلك فليس من الغريب أن يحس القارئ - مثلما أحسست - بمفاجاه لافته تستوقف النظر و تستثير التعجب، إذا وجد بين ذلك العدد الغزير من القصائد و المقطعات مقطوعه فى رثاء أحد الناس، إذ يكاد يكون عهد المعرى بالاهتمام بشئون الأفراد قد تولى مع فتره سقط الزند، و حل محله الاهتمام بالجماعه و المصير الإنساني فى اللزوميات. و التوقف عند رثاء فرد فى حومه ذلك الديوان الكبير لا بد أن يعنى أن ذلك الفرد الذى أخرج المعرى عن خطته الكبرى لا بد و أن يكون ذا مقام خاص فى نفسه، و لا بد من أن يكون فقدته عميق الأثر فى مشاعره.

أما ذلك الفرد فهو الوزير أبو القاسم المغربي الحسين بن على بن الحسين، و أما المقطوعه فهى قول المعرى:

ليس يبقى الضرب الطوال على الدهر ذو العباله الدرعايه

(١) يا أبا القاسم الوزير ترحلت و غادرتنى ثفال رحايه(٢)

و تركت الكتب الثمينه للناس و ما رححت عنهم بسحايه(٣)

ليتني كنت قبل أن تشرب الموت أصيلا شربته في ضحاياه

إن نحتك المنون قبلي فاني منتحاها و إنها منتحاياه

أم دفر تقول بعدك للذائق لا طعم لى فأين فحاياه

(٤) إن يخط الذنب اليسير حفيظاك فكم من فضيله محايه

هي أبيات قليلة - كما نرى - غير أنها، على تضاييق في القافيه يحول دون الاسترسال، مفعمه بالأسى لفقد ذلك الرجل، حتى ليحس أبو العلاء أنه أصبح بعده " ثفال رحايه "، محض خرقة تدور فوقها رحي الحياه، و أن الحياه قد فقدت طعمها الشهى بعد أن ترحل عنها ما كان منها بمكان الأفويه و التوابل.

و قبل أن نغادر هذه الأبيات علينا أن نتذكر أمورا هامه، قد تفيدنا كلما تقدمنا في غمره هذا البحث:

الأول: أن أبا القاسم الوزير ترك للناس كتباً ثمينه، و تقول مخطوطات اللزوميات إن ذلك يشير إلى كتب وقفها الوزير بمدينه ميافارقين، و قد تكون هذه الكتب مكتبته الخاصه، و قد تكون مجموعه ما ألفه من كتب.

الثاني: أن الوزير توفي سنه ٤١٨هـ، و هذه اللزوميه من أواخر ما جاء في الديوان، فان كانت اللزوميات قد نظمت ولاء بحسب القوافي، فهذا التاريخ يفيدنا في تحديد الزمن الذي انتهت فيه، و إلا فهو تاريخ صالح يدل على أن أبا العلاء كان معنيا بنظم جانب من اللزوميات في تلك الفتره.

الثالث: أن أبا العلاء كان مشغول الذهن بالنهايه التي سينتهي إليها الوزير في الآخره، فهو قد احتقب ذنوبا سجلها عليه الملك الحافظان، إلا أنها ذنوب يسيره تمحوها فضائله الكثير، و أن الغفران مرجو له.

فمن هو الوزير المغربي؟ و ما مدى صلته بأبي العلاء المعري؟ أما التعريف بالوزير المغربي فحسبى منه الإيجاز، إذ لست أزيد في هذا المقام على ما كتبه الدكتور سامي الدهان في مقدمته على رساله في السياسه للوزير نفسه، جمع في ختامها أيضا معظم ترجماته من المصادر المتيسره حينئذ، كما لا أستطيع أن أتجاوز تلك الترجمة المسهبه التي صدر بها شيخنا حمد الجاسر كتاب الوزير المغربي "أدب الخواص"، فالإيجاز هو الطريق السوي في هذا المقام.

يقول الوزير المغربي في إحدى رسائله: "... إذ كان أصلي من البصره، و انتقل سلفي عنها في فتنه البريدي إلى بغداد، و كان جد أبي - و هو أبو الحسن على بن محمد - يخلف على ديوان المغرب، فنسب به إلى المغربي، و ولد له جدي الأذني ببغداد في سوق العطش، و نشأ و تقلد أعمالا كثيرة، منها تدبير محمد بن ياقوت عند استيلائه على أمر المملكه... و أقام والدي و عمي بمدينه السلام و هما حدثان ". ثم يصف كيف انتقل الجد و أبناؤه إلى مصر ثم عادوا جميعا إلى حلب، و عاشوا في ظل سيف الدوله: " و استولى جدي على أمره استيلاء تشهد به مدائح أبي نصر ابن نباته فيه، ثم غلب أبي من بعده على أمره و أمر ولده غلبه تدل عليها مدائح أبي العباس النامي فيه، ثم شجر بينهما ما يتفق مثله بين المتصاحبين في الدنيا... " و أخيرا استقر الأب بمصر، و نقل إليها ابنه و سائر عائلته من حلب، و لقي حظوه بمصر إلى أن تغيرت الظروف.

فابو القاسم الحسين - إذن - ليس مغربيا، وإنما هو عراقي الأصل، يرتفع نسبه إلى الفرس. وقد ولد بحلب حين كان أبوه وزيرا لسيف الدولة.

ثم وزر لابنه من بعده. و بحلب نشأ و نال ثقافته. يقول أبوه في ذكر نشأته و ثقافته: " ولد - سلمه الله و بلغه مبلغ الصالحين - أول وقت طلوع الفجر، من ليله صباحها يوم الأحد الثالث عشر من ذى الحجة سنة سبعين و ثلاثمائة. و استظهر القرآن و عده من الكتب المجردة في اللغة و النحو،

ص: ٢٢

- 
- ١- الضرب: الرجل الخفيف اللحم، و ذو العباله: الغيظ الضخم، و الدر حايه: الكثير اللحم القصير السمين.
  - ٢- الثفال: الجلد الذى يبسط تحت رحي اليد ليقى الطحين من التراب.
  - ٣- السحايه أو السحاءه: قطعه من القرطاس.
  - ٤- أم دفر: الدنيا، الفحا (بفتح الفاء و كسرهما): التوابل و الأبخار.

و نحو خمسة عشر ألف بيت من مختار الشعر القديم. و نظم الشعر، و تصرف في النشر. و بلغ من الخط ما يقصر عنه نظراؤه، و من حساب المولد و الجبر و المقابلة و جميع الأدوات إلى ما يستقل بدونه الكاتب. و ذلك كله قبل استكماله أربع عشرة سنة. و اختصر هذا الكتاب [يعنى "إصلاح المنطق" لابن السكيت]، فتناهى باختصاره، و أوفى على جميع فوائده، حتى لم يفته شيء من ألفاظه، و غير من أبوابه ما أوجب التدبير تغييره للحاجه إلى الاختصار، و جمع كل نوع إلى ما يليق به، ثم ذكرت له نظمه بعد اختصاره، فابتدأ به، و عمل منه عدة أوراق في ليله. و كان جميع ذلك قبل استكماله سبع عشرة سنة. و أرغب إلى الله في بقائه و سلامته".

و على هذا، فان المعري كان يكبر أبا القاسم المغربي بما لا يقل عن ثماني سنوات، أى أنه كان في الخامسة و العشرين حين كان أبو القاسم في السابعة عشرة. و مع أن أبا القاسم انتقل بصحبه أبيه و سائر آل المغربي إلى مصر سنة ٣٨١ (أى و هو في سن الحادية عشرة)، فإنه كان شديد الحنين إلى عهد نشأته بحلب، فيقول في بعض شعره - من بعد :-

حن قلبى إلى معالم بابلا حنين الموله المشغوف

مطلب اللهو و الهوى و كناس الخرد العين و الظباء الهيف

حيث شطا قويق مسرح طرفى و الأسامى مؤانسى و أليفى

ليس من لم يسلم حنيننا إلى الأوطان إن شئت النوى بطريف

كما أنه يحن إلى معره النعمان، مما قد يدل على أنه عرفها قبل الرحله إلى مصر، و ليس بمستبعد أن يكون في تلك السن قد تعرف إلى أبى العلاء، و أعجب به، و قرر أن يشاء شاوه في المدرس و الاطلاع، إذ من المرجح أن يكون لوالده - و هو وزير سيف الدوله - صله قويه بالمعره، مما جعل أبا العلاء المعري يهتم باخباره، بل لعله سمع منه مباشرة أخبارا لم تضيعها ذاكرته القويه، فهو يروى في "رساله الصاهل و الشاحج" أن على بن الحسين المغربي حدث أنه كان مع سيف الدوله على بن حمدان، و هما خاليان، فسأله سيف الدوله عن الترويح، فقال له على بن الحسين:

لى بنت عم و أنا أنتظر قدومها على، فتلفت سيف الدوله يميننا و شمالا، هل بقربه من يسمع كلامه، ثم قال: لا تفعل، بنت العم نبت الغم. و مما يقوى القول بهذه العلاقه أن على بن الحسين لم يكذ يعود من مصر إلى ديار الشام على رأس جيش صد هجوما روميا عند حارم، حتى سجل أبو العلاء ذلك بقصيده له، مطلعها:

هو الهجر حتى ما يلم خيال و بعض صدود الزائرین وصال

أشاد فيها بانتصار ابن المغربى فى تلك الوقعه، و مدحه بقوله:

فلا زلت بدرا كاملا فى ضيائه على أنه عند النماء هلال

فما لخميس لم تقده عرامه و لا لزمان لست فيه جمال

وقد تمت هذه المعركة فى أيام العزيز بالله صاحب مصر (الذى توفى سنة ٣٨٦)، فهى قد حدثت قبل ذلك العام، بضع سنوات، وكان القائد الأعلى هو بنجوتكين التركى، وابن المغربى قد عين من قبله، غير أن القصيده لا تشير إلى القائد الأعلى ولا إلى العزيز، وإنما تقتصر على مدح الجيش المقاتل وقائده، وتكاد أن تقتصر على إعجابه الشخصى بعلى بن الحسين المغربى لما حققه من نصر، وهو إعجاب عاش مع الزمن، حتى أنه حين تذكره بعد وفاته بسنوات عديده قال فيه: "فقد كان ذلك الرجل سيدا، ولمن ضعف من أهل الأدب مؤيدا، ولمن قوى منهم وادا، ودونه للنوب محادا. وكان كما قال القائل:

و إذا رأيت صديقه و شقيقه لم تدر أيهما ذوو الأرحام

و كان كما قال الطائى:

كل شعب كنتم به آل وهب فهو شعبى و شعب كل أديب

و فى هذا البيت الأخير الذى استشهد به إشاره إلى أنه كان يعد آل المغربى "شعبه و شعب كل أديب"، مصرا على موالاتهم و محبتهم، رغم كل ما قد يقوله فيهم الشائون المبعضون.

لا-عجب إذن- و هذا الاعجاب متبادل - أن يكون أبو العلاء هو المرجع الكبير الذى يعرض عليه أول نتاج يحققه الفتى أبو القاسم المغربى - أعنى اختصاره "إصلاح المنطق" لابن السكيت. و إذا لم يكن ذلك بدافع من نصيحة الأب نفسه، فقد تم بدافع من إيمان الفتى أبى القاسم، لأنه - فيما يبدو - لم يكن يقل عن أبيه إعجابا بقدره أبى العلاء. و اختصار كتاب - مهما يبلغ من الجوده و الإتقان - لا- يعد عملا- إبداعيا، حتى يجرد له أبو العلاء المعرى همته و يملئ فيه رساله طويله نسييا، تعرف ب "الاغريضية" أو "رساله الإغريض"، افتتحها بقوله: "السلام عليك أيتها الحكمة المغربيه و الألفاظ العرييه، أى هواء رفاك، و أى غيث سفاك، برقه كالاحريض و ودقه مثل الإغريض" (و من هنا جاء اسم الرساله). فاهداء مختصر إصلاح المنطق لم يكن إلا سببا واحدا حدا إلى إملاء هذه الرساله من بين عدده أسباب، إذ يبدو أنها توكيد لاستمرار علاقه طيبه بال المغربى: "إن كاتبت فلا ملتمس جواب، و إن أسهبت فى الشكر فلا طالب ثواب، حسبى ما لدى من أياديه، و ما غمر من فضل السيد الأكبر أبيه، أدام الله لهما القدره ما دام الضرب الأول من الطويل صحيحا، و المنسرح خفيفا سريحا...".

و إن المراسله بين آل المغربى و المعرى كانت مستمره، فهو يذكر فى "الاغريضية" أنه استقبل رسولين من لدن ابن المغربى: أحدهما اسمه موسى، و الآخر هو الزهيرى. ثم إن الكتاب لم يصل وحده، و إنما وصل معه - فيما يبدو - قصيده أو قصائد من نظم أبى القاسم، و لذلك وقف أبو العلاء عند شعره يقرظه و يثنى على قدرته فى ممارسه مختلف الموضوعات، قبل أن يتحدث عن اختصاره "إصلاح المنطق". فلما عرض لهذا الكتاب بالغ فى الثناء: "...شرفا له تصنيفا شفى الريب، و كفى من ابن قريب، و دل على جوامع اللغه بالإيماء، كما دل المضممر على ما طال من الأسماء". حتى لقد فضله على أصل ابن السكيت. و أبرز ما فى الرساله أمرين: قدرته - أعنى أبا العلاء - على التصرف بالصور النحويه و اللغويه و العروضيه، و معرفته بكتاب "إصلاح المنطق" و بعيوبه، معرفه حفظ و درس، ثم ختم رسالته بالشكوى من أنه يقطن فى موطن لم تجده عهدا الأدب، و أما من حيث النشب فان لديه بلغتين: بلغه صبر، و بلغه وفر (أى أنه ليس فى حاجه إلى عون مادي). و اعتذر عن مكاتبه الابن بدلا من الأب بقوله: "و أنا فى مكاتبه حضره سيدنا الجليله، و الميل عن حضره سيدنا الأجل والده - أعز الله سلطانه - كسبا بن يعرب، لما ابتهل فى

التقرب إلى خالق النور، و مصرف الأمور، نظر فلم ير أشرف من الشمس يدا، فسجد لها تعبدا...".

إن هذه الرسالة التي أقدر أنها صدرت في حدود سنة ٣٣٨ [٣٨٣] هـ، لم تكن، على وجه التأكيد، أول رساله من المعري إلى الوزير المغربي، بل تشير الدلائل جميعها إلى أن "رساله المنيح" كتبت قبلها. و لم تكن "رساله المنيح" جوابا على رساله خص بها المعري، و إنما كانت جوابا عن رساله عامه بعث بها أبو القاسم المغربي إلى أهل المعره جمله: "و ذلك أنا معشر أهل هذه البلده وهب لنا شرف عظيم، و ألقى إلينا كتاب كريم، صدر عن حضره السيد الحبر، و مالك أعنه النظم و النثر، قراءته نسك، و ختامه بل سائره مسك، و في ذلك فليتنافس المتنافسون". و في رساله ابن المغربي

ص: ٢٣



سلام للمعري أدخل السرور على قلبه: "فحمل فؤادي من الطرب على روق اليعفور، بل فوق جناح العصفور، و كأنما رفعني الفلك، أو ناجاني الملك". و إنما أحكم بان هذه الرسالة قبل "الأغريضي"، لأنها جاءت جواباً عن رساله عامه لأهل المعره، و فيها يشير المعري إلى العهد الذي قضاه المغربي فيها، فكأنما هو حديث عهد بالرحاله عنها، "فطن و أرجه مقيم، و ارتحل و للثناء تخيم". كما أن "ترسم" المعري فيها في خطاب أبي القاسم يبدو و كأنه غير قادر على "رفع الكلفه" بينهما، فهو حين يقرأ ثناء ابن المغربي عليه يستشعر التواضع، و يقول: "و من أنا... هل أدبي في أدبه إلا كالقطره في المطره" - و عند ما يريد أن يسأله شيئاً من نظمه و نثره ينتحل التهيّب و يقول: "لقد هممت باسترفاد حضرته البهيه من بدائعه ما يفضل المال و يكون الجمال، فعداني عن ذلك إعظامي له و استحقاري نفسي، و ارعوت بي الهييه إلى إرامى و كفى، و أبى الله إلا أن يكون التفضل من قبله، فوعد التشريف بما سنع من المنثور و المنظوم". و في الرساله لفته لا نجد لها في "الأغريضي"، و هي تنويه المعري برعايه ابن المغربي للمعه "بكتاب حكمه يوفده، و عهد بصيره يعهده"، أو برعايه مزارعها و حمايه مزارعها، و يذكره بيؤس حال أهلها لاحاطه العدو بها، "فهم يتوقون كفه الحابل، و يتوقعون رشق النابل، و سالمهم هامه اليوم أو غد، و إن لم يكن ما خافوا فكان قد"، و كأنما المعري يخاطب في هذه الرساله المغربي الأب - أبا الحسن - لا ابنه أبا القاسم، و في هذا ما قد يشير إلى ما كان يعلقه المعري من آمال على آل المغربي، منذ أن أصبحوا ذوى مكانه عاليه في الدوله الفاطميه، للنظر إلى حال البلاد الحلييه، أو إن شئت الشام، و في مقدمتها المعره.

هذا من جانب المعري، أما من جانب أبي القاسم المغربي فلم أعثر إلا على رساله واحده موجهه إلى المعري و إلى شخص آخر، مبنيه على التشبيه: "سيدي"، و فيها تشوق كثير، و مراوحه بين النثر و النظم، و ليس فيها ما ينبى عن سبب باعث لكتابتها سوى ذلك، و فيها لمحه من شكوى الحال: "و أما حالي و ما أنا عليه فجملتها أنى أمسى و أصبح في غل التدبير، و أروح و أغدو في سجن المقادير، هدفا لسهام الليالى و الأيام، و عرضه لأسنه الأحوال و الأعوام، أجد ما لا أريد و أريد ما لا أجد". و هي شكوى عامه لا تحدد وضعاً، و ربما كانت أدل على مزيد من الطموح لا على بؤس الحال أو ترديها. و لا نجد لأبى العلاء جواباً عن هذه الرساله، و إنما نجد له قطعه تدل على أنها كانت في تاريخ متأخر، و لعلها كانت بعد خروج أبى القاسم من مصر بسنوات، و هذه هي القطعه: "كلما هم خبرى بالهمود، و أشرفت نارى على الخمود، نعشنى الله بسلام يرد من حضرته، يجعل أثرى كالروضه الحزنيه و البارقه المزنيه، و لو كنت عن نفسى راضياً لشرفتها بزياره حضرته، و لكنى عنها غير راض، و ما أقربنى إلى انقراض، و إنما أنا قصيص التمراد و متخلف المراد، فقد عدت في أناس قيل فيهم (تلك أمه قد خلت، لها ما كسبت و لكم ما كسبتم، و لا تسألون عما كانوا يعملون) و إن نعمت أو شقيت فدعائى يتصل بحضرته ما بقيت". فقولته:

"لشرفتها بزيارته"، لا- يمكن أن يعنى أن أبا العلاء كان ينوى زيارته في مصر، و إنما كان ابن المغربي منه دانيا حينئذ، إما في الرمله، و إما في بغداد، و إما في مكان آخر يسهل على مثله السفر اليه، و قوله: "و ما أقربنى إلى انقراض"، يشير إلى وهن في العزيمه و استشعار لوطاه العمر. و بين الياس الذى تنضح به هذه الرساله و الآمال العراض في "رساله المنيح" بون شاسع. فما السر في ذلك يا ترى؟.

أعتقد أن ذلك كله يعود إلى إخفاق الوزير المغربي في ثورته على الدوله الفاطميه، فقد ذهب العزيز و جاء الحاكم، فقتل والده و عمه و أخوين له، و هرب أبو القاسم إلى الشام مع بعض العربان، و حصل عند حسان بن المفرج - زعيم طيى - و استجار به، و أشار عليه بمباينه الدوله الفاطميه، و بمراسله أبى الفتوح الحسن بن جعفر العلوى أمير مكه و مبايعته، ليصبح خليفه. و ترسل أبو

القاسم بنفسه فى إنجاز هذا الأمر، و سار إلى العرب كلها من سليم و هلال و عوف بن عامر و غيرهم ليبايعوا أبا الفتوح خليفه عليهم بدلا من الفاطمى، ثم جاء بابن جعفر العلوى أمير مكه و دخل به الرمله، فتلقاه بنو الجراح، و قبلوا الأرض بين يديه، و سلموا عليه بامر المؤمنين.

و أمر بالمعروف و نهى عن المنكر، و خطب بذلك على المنبر. غير أن هذا التدبير لم يتم، إذ كتب الحاكم الفاطمى إلى حسان و إلى المفرج والد حسان، و بذل لهما من الوعود ما جعلهما يترددان فى نصره هذه الثورة، فضعف أمر أبى الفتوح، و عاد إلى موطنه مكه، و هدأت الثورة التى تريد قلب الدوله الفاطميه، كأنها لم تكن. و فى الوقت نفسه كتب الحاكم إلى أبى القاسم يقول له: "إنك آمن بأمان الله و رسوله محمد المصطفى و أينا على المرتضى و الأئمه من آلها مصابيح الدجى، و أمان أينا الأقرب نزار أبى المنصور العزيز بالله أمير المؤمنين... أمانا ماضيا لا يتعقب بتأويل، و لا يتبع بنسخ و لا بتديل". و شفع هذا كله بالأمان المؤكد. و لكن الوزير المغربى كان قد وصل قبل بلوغ الأمان إلى العراق يؤم فخر الملك أبا غالب وزير مشرف الدوله أبى على. و لكن الخليفه العباسى، القادر لم يكن مرتاحا لوروده، فاتهمه بنيه إفساد الدوله العباسيه.

إننى لن أحاول فى هذا المقام تتبع خطوات الوزير المغربى، و لكن يكفى من هذا أن أقول إنه أخفق فى زعزعه الدوله الفاطميه، و إن ثورته بنى الجراح الطائين لم تسعف على تغيير الأوضاع.

المهم أن هذه الثورة أو إخفاقها، و أكب عوده المعرى من بغداد، و هو الذى كان يعرف معرفه اليقين تلك الحركه البدويه، و دورها فى محاوله زعزعه الحكومات القائمه حينئذ، و هى التى يصورها بقوله، بعد العوده:

و ما أذهلتنى عن ودادك روعه و كيف و فى أمثالها يجب الغبط

و لا فتنه طائيه عامريه يحرق فى نيرانها الجعد و السبط

و قد طرحت حول الفرات جرانها إلى نيل مصر فالوساع بها تقطو

و لكن هذه الآمال التى واكبت عودته من بغداد، و ثوره الوزير المغربى، حينئذ، أوقعتة فى يأس عميق. و لقد كنا نقرأ من قبل أن أبا العلاء بعد عودته من بغداد خاطب أهل بلده بأنه مزعم على العزله، و لكننا حين نقرن ذلك بالإخفاق الذى منى به الوزير المغربى ندرى أن العزله لم تكن أربا شخصيا، و إنما لعلها كانت نتيجة لأحلام كان المعرى يعقدها على أبى القاسم المغربى و ثورته. و لهذا، فان الوزير حين كتب له بعد إخفاق تلك الثورة رسالته التى أشرت إليها أبو العلاء بما يشرح موقفه اليايس الذى لا يرجو له انتعاشا.

و تلف المعرى عزلته، و تتقلب الأيام بالوزير المغربى تقلبا ليس هذا موطن شرحه، و لكن التباعد بين الرجلين - الصديقين - لم يوقظه إلا ناقوس الموت، موت الوزير، فإذا بأبى العلاء يرثيه، و هو مشغول بالتحدث عن القضايا الإنسانيه لا عن الأفراد.

و لكن سخرية القدر لا- تقف عند هذا الحد. لقد مات الوزير المغربى و ابنه أبو العلاء على نحو لم يفعله مع أحد آخر، و أصبحت ذكراه موضع حديث طويل، بل أخذ أبو العلاء يقيس الناس بعلاقاتهم به، و تشاء الأقدار ذات يوم أن يذكروا على

مسمع منه رجلا اسمه ابن القارح فيقول أبو العلاء:

"أعرفه خبرا، و هو الذى هجا أبا القاسم بن الحسين بن على المغربى".

فيكتب ابن القارح رساله يتحدث فيها عن نفسه، و عن علاقته ببني المغربى، و عن الخطيئات و أصحابها على مر الزمن، و كأنما يسائل المعرى: أين يقع صاحبك الوزير المغربى بين أصحاب ذوى الخطيئات؟

ص: ٢٤

ذلك أنه صوره في رسالته امرؤ شديد الطموح، حتى كان والده نفسه يخاف مغبه طموحه، و أن أبا القاسم قال له يوما: ما نرضى بالخمول الذى نحن فيه. فقال له: و أى خمول هنا؟ تأخذون من مولانا - يعنى الخليفه الفاطمى - فى كل سنه ألف دينار، و أبوك من شيوخ الدوله، و هو معظم مكرم. فقال: أريد أن يصار إلى ديوان الكتاب، و المواكب و المقانب، و لا أرضى بان يجرى علينا كالولدان و النسوان. و يلمح ابن القارح إلى أن الوزير أبا القاسم كان يسر حسوا فى ارتغاء، و أنه كان يريد الثوره على الدوله الفاطميه، و أن أباه نفسه كان يتخوف هذه العاقبه، و يقول: "ما أخوفنى أن يخضب أبو القاسم هذه من هذه". و قبض على لحيته. و يمضى ابن القارح فيعدد سيئات أبى القاسم، و يصفه بأنه كان مجنوناً، و يقول: و كان أبو القاسم ملولاً و الملول ربما مل الملال. و لكنه كان يدرى أو لا يدرى محبه أبى العلاء لأبى القاسم، بل لعله كان يستثيره ليعلن رأيه فيه.

و لكن خاب فال ابن القارح، إذ رد أبو العلاء على كل ما جاء فى رسالته، و على أشياء لم تجيء فيها، فسخر منه سخره عريضه فى "رساله الغفران"، و وضعه فى مواضع مضحكه، و تهكم به و بفهمه لمعنى الذنوب و لمعنى المغفره تهكما لا- نظير له فى الأدب العربى، و كتب فى ذلك رساله تعد من روائع الأدب العالمى - لا الأدب العربى وحده - و لكنه سكت فيها عن كل إشاره لأبى القاسم لأنه كان قبل ست سنوات (و هى المده بين رثاء الوزير المغربى و كتابه رساله الغفران) قد قال:

إن يخط الذنب اليسير حفيظاك فكم من فضيله محايه كانت مشكله الغفران لدى أبى العلاء هاجسا مثيرا قبل أن يكتب اليه ابن القارح رسالته، حتى إنه فى "رساله المنيح" يقول: "أ فبلدتنا جنان أم وضح لأهلها الغفران"، فقد كانت تلك المشكله تلح على خاطره، فلما طالعه "دوخله" أعنى ابن القارح بالسؤال عن أصحاب ذوى الذنوب، كتب اليه "رساله الغفران"، ليسخر به، و سكت عن أى ذكر للوزير المغربى، كأنما يقول له: عليك أن تقرأ اللزوميات، لتعرف رأى فيه، فقد كان الوزير المغربى كغيره من البشر ذا هنات يسيره قيدها الحافظان، و لكن ما أقربها من الغفران. و لذلك يصدق فى رساله الغفران ما قلته فيها منذ زمن بعيد: "نخطئ كثيرا إذا اعتقدنا أن رساله ابن القارح إلى أبى العلاء هى التى دفعت فيلسوف المعره إلى إنشاء "الغفران" دفعه واحده، دون أن تكون مقدماتها حاضره فى نفسه منذ زمن بعيد. و لو أن ابن القارح لم يكتب رسالته، لكان لا بد لرساله الغفران أن تكتب على نحو ما حين بلغ التهيؤ النفسى حده الأقصى لابتداعها". هذا ما قتله بدافع الحدس القوى، و أنا اليوم أجد شواهد بالاستقراء، و خير شاهد على ذلك هذه العلاقه التى حاولت رسم خطوطها العريضه بينه و بين الوزير المغربى.

### السيد أحمد الحسينى التنكابنى:

ولد فى تنكابن حدود سنه ١٢٤٥ و توفى فيها حدود ١٣٠٠ و قرأ المقدمات و المبادئ فى تنكابن ثم ذهب إلى طهران و اشتغل بالتحصيل و فى شوال ١٢٤٧ ذهب إلى قاشان و بقى بها مشتغلا بالتحصيل حتى شعبان ١٢٤٨ ثم ذهب إلى أصفهان حتى سنه ١٢٧٣ و كان يحضر عند اعلامها. ثم عاد إلى موطنه و بقى فيه منشغلا بالتدريس و التأليف و قضاء حوائج العامه له مؤلفات منها:

١ - رساله فى المعاد.

٢ - رساله فى شرح بعض الأدعيه و الأحاديث.

٣ - الحاشيه على شرح الجعمنى فى الهيئه: فارسىه و أخرى عربيه. (١)

## الشيخ أحمد بن الشيخ حمد الله:

كان حيا سنه ١٢١١ هـ.

من شعراء القرن الثالث عشر المنسيين لم أقف على تاريخ حياته فى كتب السير و التراجم إلا أن الشيخ على آل كاشف الغطاء ذكره فى كتابه الحصون المنيعه فى طبقات الشيعة المخطوط و كان من معاصرى الشيخ جعفر الكبير صاحب كشف الغطاء المتوفى سنه ١٢٢٨ هـ و له قصيده فى تهنته عند عوده من الحج سنه ١٢١١ هـ قال صاحب الحصون المنيعه (الشيخ أحمد بن الشيخ حمد الله شاعر ماهر جيد القريحه كان فى أوائل القرن الثالث عشر للهجره لم أقف على شرح حاله و لا ترجمه أحواله سوى إني عثرت له فى بعض المجاميع العتيقه على قصيده نظمها فى تهنته جدى الشيخ جعفر عند مجيئه من الحج عام ١٢١١ ذكرنا بعضها، و على بعض مقاطع فى الغزل و النسيب منها قوله:

إليك اعتذرنا و الفتى يقبل العذرا فمن كان يمحو الذنب يكتسب الأجر

فلا تحسبن تركى الزياره جفوه و لا تحسبن تركى الوصال لكم هجرا

و حقك يوم واحد من فراقكم لدى إذا ما غبتم يعدل الدهرا

أحن إلى رؤياكم كل ساعه كما حنت الخنساء ذاكره صخرا

و انشق أنفاس النسيم لعلى أشم بها من طيب أنفاسكم عطرا

و أكنتم سرى فى هواكم مخافه و سيما الهوى تبدو و إن كنتم جهرا

و إني على العهد الذى تعهدونه حفيظ ذمام لا اذيع لكم سرا

هواكم بقلبي طائر يستفزنى و لم يتخذ إلا فؤادى له و كرا

فمنوا على الخل الوفى بنظره أسر بها يوما و إن وقعت شررا

هبونى إليكم قد أسات فأحسنوا فواحداه الإحسان تجزى بها عشرا

أسرت فؤادى فى هواكم محبه و دون التلاقى لن أفكك له أسرا

فلا ورد لى إلا جميل صفاتكم أردده شوقا و امعنه فكرا

و لا زال دهرى تعترينى همومه إذا ما أتت صبحا اتانى بها عصرا

فدمعى طليق فى هواكم مسلسل و قلبى بقيد اليبين قيدته قسرا

أغالط خلى فى هواكم مخافه و رب خليل يبطن الغش و الغدرا

و اعرض عمن فى هواكم يلومنى كان بسمعى عن ملامته وقرا

ص: ٢٥

---

١- الشيخ محمد السامى.

و ليس امتناعى عن مزارك رغبه و لكن لأمر أنت فى كتمه أدرى

يعز على مثلى فراقك ساعه و رب فراق فى الهوى يهدم العمرا

فلا أحسب الخسران فقدان درهم و لكن فراق الخل أحسبه خسرا

لعل زمانى أن يمن بعوده و يبدل ذاك العمر فى قربكم يسرا

و له قصيده يمدح فيها الشيخ جعفر الكبير صاحب كشف الغطاء عند ما رجع من سفر الحج سنه ١٢١١ هـ:

روت لنا سحرا ريح الصبا خيرا عن النسيم صحيح النقل معتبرا

اضحت تحدث عنه و هى صادقته و لم يكن بالذى قد حدثته مرا

أن البشير من الأحباب يخبرنا ان المهنا إلى أوطانه سفرا

فقلت أسعى قرير العين من فرح أجر ذيل الهنا عجلا من مبتدرا

ابشر النفس فيما كنت نائله و لن يضيع إلهى أجر من صبورا

فيا له خيرا تم السرور به و ضاع منه الشذا فى الكون و انتشرا

و الدهر أضحى يهينا و ينشدنا أهلا و سهلا بمن قد حج و اعتمرا

و من سعى طائفا بالمروتين و من نال المنى بمنى و العز و الظفرا

و من إلى مشعر البيت الحرام مضى و قد قضى بالصفى ما فيه قد أمرا

و من إلى عرفات قد مضى و جلا يبغى الوقوف لها لله مبتدرا

و من تجرد للأخرى و تاق لها شوقا إليها و للدنيا لقد هجرا

شمرت ذيل السرى لله منتدبا لم تخش أينا و لم ترهب له خطرا

لله نوق سرت فيكم ميممه بيتا مشيدا لمن قد حج و اعتمرا

تسابق الريح جريا فى السرى بكم إذا قفوت تراها لم تر الأثرا

على وصول إلى بيت يطوف به غر الملائك فى أفلاكها زمرا

حتى أنيخت باعتبار مقدسه غرثى البطون لها السير المجد برا

اعتاب قدس بها الأملاك محدقه طوبى لمن خده فى تربها عفرا

فبت فيها تناجى الله مبتهلا تدرى دموعا تحاكي الدر منتشرا

و له قوله:

ألا يا نسيم الوصل خذ لى تحيها لى العالم الحبر الذى ما له مثل

و من جر ذيل الفخر كهلا و يافعاو داست على هام الشريا له نعل

نتيجه آباء كرام اعزهلهم منزل سامى الذرى حيثما حلوا

و حقك إنى ما قطعت وصالكمو لا عافنى عن قرب نادىكم شغل

و لكن قضاء الله جل جلالهغدا مانعا و المرء يخطئه الفضل

و كيف أبث الوصل بينى و بينكمو إنى لكم فرع و أنتم لى الأصل

أحن إليكم فى الدجى كل ليلهحنين خليل شاقه الالف و الخل

و إنى على ما تعهدون من الوفاو ما شاب قلبى فى وداكم غل

و إنى و فى بالعهود و ما اعترىعقود مواثيق الوداد لكم حل

أروم وصالا و المقادير تلتويو يمنعى داء الخصاصه و القل

(١)

## الشيخ أحمد

ابن الشيخ عبد الامام بن صالح آل سيف الأحسائى البحرانى

وصفه فى (طبقات أعلام الشيعة) بقوله: (عالم فاضل) و والده الشيخ عبد الامام كان أيضا من العلماء.

ولد المترجم له فى (البحرين) و بها كان مسكنه و وفاته و لهذا يقال له (البحرانى). و أصله من (الأحساء)، و لا نعلم سنه مولده و



لا تاريخ وفاته غير أنه كتب بخطه بعض الكتب العلميه بتاريخ ١٢٣٣ هـ - كما فى (طبقات أعلام الشيعة) -.

و كان قد تلقى دروسه العلميه على يد علماء عصره الأعلام و منهم والده الذى له الروايه عنه أيضا.

و للمترجم له أخ عالم أيضا اسمه الشيخ على كان حيا سنه ١٢٠٧ هـ، و لا نعلم عن حال المترجم له أو أخيه شيئا غير هذا. (٢)

## الشيخ ميرزا أحمد:

ابن الشيخ ميرزا على أصغر بن الشيخ حسين بن الشيخ محمد

صالح القزوينى آل الصالحى

ولد حدود سنه ١٢٩٧ و توفى سنه ١٣٣٩.

كان من علماء عصره البارزين و أئمه الجماعه و الفتيا أخذ أوليات العلوم و شطرا من السطوح على اعلام رجال أسرته فى المدرسه الصالحيه فى قزوين ثم هاجر إلى العراق فحضر فى الفقه و الأصول فى كربلاء على ميرزا على نقى الصالحى الحائرى ثم استقر فى النجف و تخرج على الآخوند الملا- محمد كاظم الخراسانى صاحب الكفايه ثم رجع إلى موطنه قزوين بعد سنه ١٣٣٦ فانتهدت إليه الرئاسة و شغل كرسى التدريس و الفتوى و الامامه و رجع إليه الناس فى أمر التقليد. إلا إنه لم تطل أيامه فاختطفته يد المنون.

له فى الأصول مغنى الكفايه و فى الفقه كفايه الفقه من العبادات و بعض المعاملات..

ص: ٢٦

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- السيد هاشم الشخص.

و له حواشى على كفايه استاذہ الآخوند الخراسانى و غيرها

### السيد أحمد الغريفي بن السيد علوي البحراني:

ولد في المنامه (البحرين) سنة ١٣٦٥ هـ و توفي فيها سنة ١٤٠٥ بحادث سير في سن السابعه سحب والده في رحلته إلى مدينه النجف الأشرف حيث واصل أبوه الدراسه فيها و هناك أكمل المترجم الدراسه الابتدائيه و واصل دراسته فأكمل الثانويه ثم عاد مره ثانيه إلى العراق و التحق بكلية الفقه في النجف الأشرف و نال شهاده البكالوريوس في اللغه العربيه و العلوم الإسلاميه عام ١٩٧١ م. كما واصل الدراسه الحوزويه فحضر عند والده و عند السيد محيي الدين الغريفي و السيد على الفاني و السيد محمد باقر الصدر و السيد أبو القاسم الخوئي. ثم سافر إلى القاهره و هناك حصل على شهاده الماجستير في العلوم الإسلاميه سنة ١٩٧٩ م. ثم عاد إلى مسقط رأسه البحرين حيث حل فيها مرشدا هاديا فترك أثرا في محيطه. بما كان يلقيه من خطب و دروس و إرشاد و وعظ.

له من المؤلفات:

كتاب البراءه الأصلية في الشريعه، الإسلاميه و هو رسالته للماجستير، و كتاب ضم محاضراته التي كان يلقيها على الناس، و أغلبها في تفسير القرآن.(١)

### السيد أحمد بن فضل الله الحسيني الإشكوري:

كان حيا في أواخر القرن الثاني عشر.

كان من العلماء الفقهاء لم نعلم من حياته شيئا و قد رأيت من تأليفاته ترجمه لكتاب (الحيدريه) في الفقه - تدل على سعه علمه و اطلاعه.(٢)

### الشيخ أحمد بن الشيخ محمد التألهي القزويني:

ولد في قزوین سنة ١٣٢١ هـ كما حدثني به و توفي بها في سنة ١٣٨٦ هـ و دفن في مقبره آل الصالحی في روضه الشاه زاده حسين بن الامام الرضاع.

قرأ المقدمات على والده الشيخ محمد و النحو و الصرف و المطول على الشيخ يونس القزويني و أخذ السطوح عن الشيخ على الطارمی و الشيخ محمد الطارمی و حضر الفقه و الأصول على الشيخ يحيى المفیدی ثم التحق بحوزه السيد أبي الحسن الرفيعی القزويني و أخذ عنه الفقه و الأصول و الحكمه و الفلسفه في المدرسه الصالحيه و اختص باستاذة الرفيعی، ثم زوج ابنته لابن استاذة الرفيعی فتوطدت علاقتهما و أصبح من حواری استاذة المذكور.

تصدر للتدريس في مدرسه الالتفاته بقزوین و التف حوله جمع من الطلاب و الفضلاء فتخرج عليه جماعه من العلماء. نرح إلى العراق سنة ١٣٧٥ هـ و حل في دارنا بكربلاء عند والدي قدس سره و هذا أول لقاء لي معه و كان يحفظ من أخبار العرب و

قصصهم و أشعارهم الشيء الكثير و خاصة فى التاريخ و السير و صاهرتة على ابنته ثم سافر إلى النجف و حصل على إجازات من علمائها الأعلام. و له مؤلفات جميعها بالعربية(٣)

### أبو بكر احمد بن محمد بن السرى:

مرت ترجمته فى الصفحة ١١١ من المجلد الثالث، و نزيد عليها هنا ما يلى:

قال الذهبى فى سير أعلام النبلاء:

الامام الحافظ محدث الشيعة. كان موصوفا بالحفظ و المعرفة إلا إنه يترفض، قد ألف فى الحط على بعض الصحابه و هو مع ذلك ليس بثقه فى النقل. و قال محمد بن حماد الحافظ: كان مستقيم الأمر عانه دهره، ثم فى آخر أيامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب.

### الملا أحمد الرمل بن محمد:

ولد فى مدينه سوق الشيوخ (العراق) سنة ١٣٠٧ و توفى فى مسقط و دفن فى النجف الأشرف و آل الرمل عشيره شهيره فى البحرين.

درس النحو و الصرف و البيان فى سوق الشيوخ، و اتقن فن الخطابه الحسينيه و مارسها و احتذى فيها حذو أبيه الملا محمد فقد كان خطيبا حسينا. ثم انتقل إلى بلده (أبو الخصيب) من أقضيه مدينه البصره و أقام فيها حوالى العشر سنين ثم نرح إلى مدينه المحمره فى خوزستان و هناك لازم الخطيب الشهير السيد سلمان البحرانى المتوفى سنة ١٣٣٥ الذى كان قد انتقل من البحرين إلى المحمره، و أخذ بطريقته فى الخطابه حتى صار هو بنفسه ممن يشار إليهم بالبنان. و كان يمتاز بصوته الشجى الرقيق، و قد ظل خطيبا بارعا محببا إلى أهالى تلك المنطقه.

و إلى ذلك كان يجيد النكته و يستحضر الطرفه و يتقن صنعها و يحفظ الكثير من أمثالها، و كان سخيا كريما يساعد الفقراء و يعين الضعفاء، ذا عقيدته راسخه لا سيما فى الحسين ع، فكثيرا ما كان يرقى المنابر لا بداعى المال بل بداعى حبه للحسين ع خصوصا فى بيوت الفقراء.

كان فى المحمره ملازما بيت السيد عدنان الغريفى، و كانت له به و بانجاله بعده أكثر من علاقه صداقه.

من شعره قوله فى على ع:

أ ليس به النص يوم الغدير بلى رغم الناكر الغادر

فبيعتة فى رقاب الورى إلى يوم يحشرنا الحاشر

و قوله فى الزهراء ع:

أملى بنت محمد خير الورى أم الأئمه صفوه الجبار

إذ تسأل الرحمن إلحاقى بمن كانوا أخلائى بهذى الدار

و له قصيده طويله يمدح بها أبناء السيد عدنان الغريفى:

اهنيك عدنان فى فتيه كما طبت طابوا و طاب الخبر

اعادوك حيا و لولاهم فقدناك فقد الحقول المطر

و قال محمد بن محمد على جبران يمدح المترجم من قصيده:

ذاك ابن رمل أحمد بن محمد وقف الرجاء بابه المقصود

هو شمس أفق المكرمات و من له نظم بديع مزدر بعقود

ص: ٢٧

---

١- السيد على العدنانى.

٢- الشيخ محمد السامى.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

ان قال أحرص قس عند مقاله أو جاد أخرج حاتما فى الجود

## السيد أحمد بن محمد حسين شريف الحسينى التنكابنى:

ذكره فى أعيان الشيعة: ١٠٣/٣ فى ترجمه السيد أحمد بن المير محمد حسين الحسينى التنكابنى المذكور فى تميم أمل الآمل: ٦٣ ثم اعترض على صاحب الذريعة و قال: و العجب أن القزوينى يصفه بهذه الصفات و صاحب الذريعة يقتصر فى وصفه على الطبيب الماهر.

أقول: بل هما شخصان - الذى ذكره القزوينى فى تميم أمل الآمل هو من العلماء و توفى قبل تأليف تميم أمل الآمل (أى سنه ١١٩١) و أما مترجمنا فكان من الأطباء و كان طبيبا خاصا لفتح على شاه القاجارى (١٢١٢ - ١٢٥٠) و له مؤلفات منها.

١ - بدء الساعه - و هو مترجم عن كتاب الرازى و أهدها إلى فتح على شاه القاجارى طبع فى طهران طباعه حجرية.

٢ - مطلب السؤل - كتبه باسم محمد شاه حفيد فتح على شاه.

٣ - اسهاليه - فى مداواه مرض الاسهال.

٤ - شرح الصلوات على النبى. (١)

## الشيخ أحمد بن الشيخ مهدى نصر الله:

### إشارة

مرت له ترجمه فى مكانها من (الأعيان) و نعيدها هنا بتفاصيل أوسع مكتوبه بقلم الأستاذ محمد العوامى.

ولد فى مدينة القطيف.

و لا- يوجد فى المصادر المترجمه لحياته تاريخ دقيق لولادته. و لعله ولد فى العقد الخامس من القرن الثانى عشر الهجرى و بالتحديد فى الفتره ما بين ١٢٥٤ إلى ١٢٦٠ هـ و عله ذلك ان قصائده المسماه (العلويات السبع) كان قد أنشأها و هو ابن ٢٧ سنه حينما كان مبعدا عن البلاد كما يقول الشيخ البلادى و من خلال التتبع نعلم انه هجر البلاد مرتين الأولى و الثانيه إلى نهايه ١٢٨٧ و الفتره الأولى كانت أطول من الفتره الثانيه و لعله نظم شعره فى الفتره الأولى.

أسرته

عرفت أسرته فى الأوساط الاجتماعيه بتصديها للزعامه السياسيه و الاجتماعيه فى منطقه القطيف. فيهم الشعراء و الأدباء و العلماء:

\* منهم والده الشيخ مهدى بن أحمد نصر الله أبو السعود القطيفى كان وجه القطيف فى عهد الحاكم السعودى فيصل بن تركى.

توفى سنه ١٢٨١.

\* و منهم عمه الشيخ ناصر بن أحمد نصر الله أبو السعود القطيفي: له شعر كثير و له منظومه فى الأصول الخمسه.. توفى سنه ١٢٩٩ و أرخ بعض الأدباء وفاته بقوله

"تبكى المدارس فقد ناصرها"

\* و منهم الشيخ مهنا بن أحمد بن مهدي بن مهنا، أبى السعود.

المتوفى فى أواسط القرن الثالث عشر الهجرى.

صنفه المرحوم الحاج الملا- على بن رمضان الخطى فى قصيدته (ماضى القطيف و حاضرها) من النوايح و قال فيه فى تلك القصيده التى مطلعها:

يا خط يا وطن الكرام إلا اسمعى ما ذا يقول فتاك ذاك الالمعى

كم قد علوت على القرى بنوايح نبغوا و صاروا فى المقام الأرفع

إلى أن يقول..

مثل المهنا كان أكبر حاذق فى الطب ليس لفضله من مدفع

كم أبرات كفاء مضمئى مدنفا امسى كميئ لا يحس و لا يعى

و منهم ابن عمه الشيخ عبد الله بن الشيخ ناصر بن أحمد نصر الله أبو السعود القطيفي، له و كالات من كبار علماء عصره كالشيخ محمد طه نجف و الشيخ محمد حسين الكاظمي.

و فى سنه ١٣٢٣ هـ تولى رئاسه القضاء و الفتوى فى البلاد.(٢)

له شعر كثير، توفى سنه ١٣٤١ إلى غيرهم من رجال الأسره فى عصرنا هذا.

## بلدته

القطيف: مدينه كبيره، اشتق اسمها من القطف و هو القطف من العنب و نحوه، و كانت لها قبل الاحتلال السعودى واحه خضراء تمتاز بخصوبه أرضها، مما جعلها تنتج مختلف المحاصيل الزراعيه و تصدر انتاجها إلى - دول الخليج المجاوره.

- و تقع هذه المدينه على الساحل الغربى من الخليج، على بعد (٥٠) درجه من خطوط الطول شرقا، و ٢٦ درجه و ٣٢ دقيقه، من خطوط العرض شمالا.

و كان يطلق عليها اسم - "الخط" و فى بعض كتب التاريخ كان هذا الاسم يطلق على الساحل الشرقى من الجزيره العربيه الذى يبتدى من البصره شمالا و ينتهى إلى عمان جنوبا.

كانت القطيف فى الماضى عاصمه إقليم البحرين الذى كان يشمل الأحساء و القطيف و أوال (البحرين حاليا) و كان ذلك فى أدوار مختلفه فى القرن الأول و الثالث و التاسع الهجرى كانت عاصمه الإقليم، بل هى أزهى مدينه فيه، و إليها كانت تنسب الرماح الخطيه الشهيره، و قد تردد اسمها كثيرا فى الشعر العربى القديم، قال عمر بن اسوى:

و تركن عنتره يقاتل بعدها أهل القطيف قتال خيل ينقع

و قال حمد بن المعنى العبدى:

نصحت لعبد القيس يوم قطيفها و ما خير نصح بعد لم يتقبل

فقد كان فى أهل القطيف فوارس حماه إذا ما الحرب شدت يبذبل

امتازت هذه المنطقه بأنها كانت مهذا لشعوب عريقه فى الحضاره و بها من الآثار ما يدل على قدمها و حضارتها..

و سبق لها أن كانت عرضه للاحتلال البرتغالى و الهولندى و خضعت للسيطره العثمانيه قبل أن تخضع للاحتلال السعودى لما كانت تتمتع به من موقع جيد على الخليج، و لوجود الثروات الضخمه فى أراضيها حتى قبل أن يخرج البترول فيها.

ص: ٢٨

١- الشيخ محمد السمامى.

٢- كانت البلاد حينها تحت سلطه الدوله العثمانيه فى أواخر سنواتها حيث احتل عبد العزيز القطيف و الأحساء فى منتصف ١٣٣١ هـ.

الفوز و النجاح على رأسه و تربع على دست العز و الإمارة أخذت روحه الساميه تنازعه إلى إصلاح الوطن العزيز و كان عليه بالطبع قبل كل شيء بجمع زعماء الوطن على الرأى السديد و هذه ضالته المنشوده فاخذ يجد فى ذلك قولاً و فعلاً و يشهد بذلك تضمينه هذا البيت فى احدى قصائده التى يدعوهم فيها إلى اجتماع الكلمه:

ما ان تركت بأرض الخط من رجل ألا أحق بضرب الرأس من صنم

(١) و هكذا بقى الشيخ سيدها على البلاد حتى توفى فى الأول من ربيع الأول سنه ١٣٠٦ هـ و شيع تشيعاً كبيراً، و دفن فى مقبره الحباكه المعروفه إلى اليوم فى غرب مدينه القطيف و التى دفن فيها عشرات العلماء الأعلام.

بعد وفاه الشيخ تولى الزعامه صهره منصور بن جمعه ثم أخذه عبد الحسين بن جمعه الذى أعدمه الملك عبد العزيز حين احتل الإحساء و القطيف.

## شعره و أدبه

التصدى للعمل الاجتماعى و السياسى يأخذ الجزء الأوفر من الوقت مما يسبب فى إضعاف الاهتمام بالاولويات الأخرى.

الشيخ نصر الله رغم مشاغله كزعيم سياسى و اجتماعى لقومه يتصدى لاداره البلاد و العباد و يطمح فى حل مشاكلهم فإنه كان يولى الأدب و الشعر اهتماماً خاصاً.

فله قصائد مدح و رثاء و مجاراه و مناجاه كثيره منها:

السبع العلويات التى جارى فيها ابن أبى الحديد فى علوياته السبع.

و له مجارات المعلقات السبع لشعراء العصر الجاهلى.

و له قصائد فى الاحتجاج و المناقضات العقائديه.

و له قصائد كثيره فى مناجاه الله سبحانه و تعالى.

و له قصائد ينظمها لمجالس الامام الحسين ع و قد فاقت المائه قصيده و ذكر انه فى بعض السنين كان ينظم فى كل ليله من ليالى عاشوراء قصيده يعطيها لخطباء المنبر ليقروها.

و له أشعار فى مدح السلاطين العثمانيين كالسلطان عبد الحميد الثانى كما ذكر ذلك فى ترجمته فى كتاب (أنوار البدرين) الذى قال عنه إنه لم يكن يقصد فى شعره الجوائز إنما كان من أجل إبراز الصوت و إثبات الوجود.

و من شعره غير المنشور فى الأعيان قوله:

هى المعالم خف القاطنون بها فأصبحت بعد عهد القوم غيطانا



و كنت يوم رحيل الحى شاهدها أخفقت من غمرات الوجد و سنانا  
ترى هواج يحملن البدور ضحى و الشمس كاسره عنهن أجفانا  
كانت ديار لنا بالجزع فابتدرت لها الليالى فابلتهن عدوانا  
هى الحوادث كم أودت بذى شرف و شرفت حفدا منها و عبدانا  
أودت بال رسول الله فاقتنصت منها حباثلها صيدا و فرسانا  
فما رعت منهم حقا و لا حفظت لهم ذماما و لا راقبن حسابنا  
كم سيد لعبت أيدي المنون به و فارس أوردته الحتف لهفانا  
كابن البتوله مأوى كل مكرمه و مستفاض الندى منا و إحسانا  
فتى يرى الأسد أنعاما و إن مثلت عند الكريهه اسادا و فتيانا  
كم جحفل فر زحفا من صواعقه و الخيل تنعل فى الهيجاء جثمانا  
فى فتيه ملكوا الأماكن و اقتحموا إلى طلاع العلا شيبا و شبانا  
و أوردوا غمرات الموت أنفسهم مشى الوحا مرحا مثنى و وحدانا  
كم واصلوا بالمواضى خطوطهم و جلوا على حياض الردى للصيد خرصانا  
شم المعاطس أوابين ما غضبوا صفحا على من جنى منهم و أهوانا  
وفوا ذمام رسول الله فاتخذوا حذب المنايا لهم فى الوخذ بعرا  
حلوا من العزفى أعلى معاقده و ألبسوه من العلياء تيجانا  
و جاوروا المصطفى فى الخلد من نزلوا إلى جوار بنيه الغر كوفانا  
و أدركوا غايه الفضل الذى منحت به المكارم اعضادا و أركانا  
تحميمهم العذبات البيض مشرقه صحما من الوحش فى المثوى و ذوبانا  
و فى رؤوس القنا من هامهم غرر تكشف الليل أظلاما و أذجانا

كم البس الملاء الأعلى لهم حلالا من المنى و ثوى فى الوجد غيطانا  
صلى الإله عليهم كم قضا وطرا من العلا و شفوا فى العيش أشجانا  
لم يزعم القوم وردا المردي طمعا فى الخلد إلا هدى رشدا و عرفانا  
لم أنس خامس أصحاب الكساء فردا و منبرا نخذ الهيجاء عيدانا  
يغشاهم بكميت اللون منحرد قيد الأوابد يغشى الروع غضبانا  
اسمى من الفلك الأعلى مظاهره فيهم و أنكى من الأقدار إمكانا  
أساخ كل قرار ثابت بهم لو لا رأى من عزيز الملك برهانا  
يا منزل الغيث هلا هل وابه

ص: ٢٩

و أهم شىء امتازت به القطيف إنها كانت بلده علم و أدب و ثقافه منذ مئات السنين حيث خرج منها و لفترات طويله عشرات المجتهدين و مئات العلماء و الأدباء و سميت فى فتره من الفترات بالنجف الصغرى لأهميتها و مكانتها العلميه.

احتلها السعوديون عام ١٩١٣ م (١٣٣١ هـ)، و منذ ذلك التاريخ حتى الآن يمارس الحكم السعودى فيها الاضطهاد و الظلم و تلقى منه الإهمال فى شتى المجالات. إذ تقوم سياسه هذا الحكم على التمييز المذهبى البشع.

كما ان أبناءها قد حرموا من الوصول إلى المراتب المهمه فى السلطه فى جميع المجالات السياسيه و العسكريه و الاداريه و غيرها.

## حياته

تربى المترجم بالقرب من والده الذى كان عين أعيان منطقته القطيف(١) فى عهد الحاكم السعودى فيصل بن تركى بن عبد الله بن سعود الكبير مؤسس الدوله السعوديه فى دورها الثانى. و بحكم أن والده كان و جيهها سياسيا و اجتماعيا فقد ساعد ذلك أن يأخذ هو أيضا دورا مشابها. و بعد وفاه والده الشيخ مهدي سنة ١٢٨١ كان هو المقدم فى منطقته القطيف فتره من الزمن حتى حدثت خلافات بينه و بين الحاكم السعودى فيصل بن تركى(٢) مما دعى الحاكم إلى اعتقاله و نقله إلى سجن الإحساء و من هناك إلى سجن الرياض و صودرت أمواله و أملاكه.

ثم أرادوا إعادته إلى الإحساء و فى الطريق تمكن من الفرار. و سار فى الصحراء متوجها إلى قطر مستدلا بدليل يعرف الطريق ينام معه النهار و يسير الليل.

و من قطر توجه إلى البحرين و كان أخوه قد سبقه بالهرب إليها مع عائلته.

و فى البحرين حيث عائله آل خليفه الحاكمه كانت على خلاف مع الأسره السعوديه استطاع الاستقرار و مواصله كفاح السعوديين.

و قد عانى ما عاناه من المشاكل و المصاعب الكثيره فى نفسه و فى أهله و عائلته و تحمل و صبر أجمل الصبر.

و بقى فى البحرين قرابه العام.

و بعد وفاه الحاكم السعودى فيصل بن تركى سنة ١٨٦٥ م / (١٢٨٢ هـ) رجع إلى البلاد. و كان الصراع على الملك يزداد احتداما بين فئات الأسره السعوديه الحاكمه، فقد تناحر سعود و عبد الله أبناء تركى على الحكم و غلب عبد الله أخاه سعود بطريقه دمويه عنيفه. و استنصر سعود بأخواله العجمان كما استنصر أيضا بالشيخ أحمد نصر الله كقوه سياسيه تمثل الأهالى ليعينه على أخيه عبد الله و قد ابدى الشيخ تجاوبا مع الأمير المهزوم سعود.

و جرت معركه داميه فى الباديه قرب الأحساء بين جيش سعود و جيش أخيه عبد الله عرفت بمعركه الجوده و ذلك فى (رمضان ١٢٨٧ هـ) حتى أخذ سعود البلاد من أخيه بعد أن أسر أخاه محمدا (قائد جيش أخيه عبد الله) و أودعه سجن القطيف و ظل حتى

أطلق الأتراك سراحه سنة ١٢٨٨ هـ.

ذهب الشيخ إلى الأحساء مقر إقامة الحاكم الجديد ليتفاوض معه نيابه عن أهالي القطيف لعل يجد خيرا و لكن الحاكم تنكر له و صادر أمواله و أملاكه و أخذ في مضايقته مما اضطره إلى مغادره البلاد مره أخرى إلى البحرين و بعد فتره و جيزه اشتد الصراع من جديد بين الأخوين و زاد سعود في توسعه و احتل الرياض فى المحرم ١٢٨٨ و هرب حاكمها أخوه عبد الله إلى حائل ليستنجد بأميرها كما استنجد أيضا بوالى بغداد مدحت باشا الحاكم العثماني المشهور لمساعدته لانتزاع الملك من أخيه سعود.

و لم يضع الشيخ الفرصه هذه المره، فقد ذهب إلى بغداد و استحث الأتراك على انتزاع كافة البلاد من آل سعود جميعا، كحل جذرى للمشاكل المتفاقمه فى البلاد. (حيث المجاعه و ارتفاع الأسعار و صار الناس يأكلون جيف الحمير، و مات الكثيرون بسبب الجوع، و ترك الناس يواجهون الموت و المصائب و النهب و القتل و الفساد..

و فى بغداد اتفق مع واليها مدحت باشا على تخليص البلاد من يد آل سعود و توجه مع الأسطول التركى فى صفر ١٢٨٨ نحو القطيف و الإحساء.

و حول تلك الظروف و تلك الفتره يقول الأستاذ محمد سعيد المسلم:

تشاء الصدفة أن يكون أحمد بن مهدي نصر الله الشاعر المعروف الذى ورث الزعامه من أبيه سيئ العلاقه مع النجديين فيسعى هو الآخر إلى تفويض سلطانهم من هذه المنطقه، فقد قام بمغامراته المشهوره بين بوشهر (فى إيران) و البصره و اتصالاته بالمسؤولين الأتراك فشحجهم على الاستيلاء على هذه المنطقه، فصدرت الأوامر العليا من الدوله العثمانيه (كان ذلك فى عهد السلطان عبد العزيز بن السلطان محمود الثانى (١٢٧٧ - ١٢٩٣ هـ) إلى والى بغداد مدحت باشا، باحتلال القطيف و الإحساء و ضمها إلى حظيره الدوله العليه.

ففى سنة ١٢٨٨ هـ وجه والى بغداد حمله عسكريه بقياده محمد باشا نافذ الفريق يرافقه أحمد بن مهدي نصر الله، فأقلعت من ميناء البصره عبر الخليج، تقلها بآخرتان إلى ميناء القطيف، كما صدرت الأوامر إلى عبد الله بن صباح أمير الكويت (يومها كانت الكويت خاضعه لنفوذ الدوله العثمانيه) بان يشترك فى الحمله فجهز جيشا فى السفن و جيشا آخر سار عن طريق البر بقياده أخيه مبارك الصباح، فلما وصل الجيش العثماني إلى القطيف استقبلته البلاد بارتياح بالغ و فتحت أبوابها فى وجه القائد العثماني بسبب ما لاقته من ضروب الفوضى و اختلال الأمن فى عهد كانت الدوله تعتمد فى قوتها على مسانده قبائل البداه (٣) و تولى الشيخ أحمد السلطه كوال للسلطان العثماني على البلاد بعد أن تحقق له طرد السعوديين و أمرائهم المتناحرين منها.

و ينقل لنا الشيخ فرج العمران عن عبد الرسول الجشى تلك الحاله فيقول: فكان الحاكم المطلق ذا الهيبه و السلطان و بعد أن انعقدت أكاليل

ص: ٣٠

١- إلى ما قبل حوالى ٣٠ سنة لم يكن للمدن الكبرى المعروفه اليوم بالمنطقه الشرقيه كالدمام و الخبر و الظهران.. أى وجود و

كانت القطيف و ضواحيها المعروفه بالخط و الإحساء و ضواحيها بهجر تشكل ما يعرف اليوم بالمنطقه الشرقيه.

٢- هو فيصل بن تركى بن عبد الله (الأول) بن سعود الأول بن عبد العزيز بن محمد بن سعود كان آخر الذين نفاهم إبراهيم باشا إلى مصر، و فجاه ظهر فى الرياضسنة ١٢٤٢ هـ - ١٨٢٦ م و سلمه أبوه قياده جيشه، و وجهه إلى الإحساء، و بها سمع باغتيال أبيه فرجع، و أخذ بثاره، حكم البلاد مرتين: الأولى من سنة ١٢٥٠ - ١٢٥٤ هـ - ١٨٣٥ - ١٨٣٩ م. و فى هذه المده راح يتوسع و يفتح البلاد و يدخلها فى طاعته، فحاصره خورشيد باشا القائد المصرى فى بلاد الخرج حتى استسلم له، فنفاه إلى مصر، و ظل فيها أربع سنوات استطاع بعدها أن يهرب منها و يعود إلى الرياض حاكما ثانيه. و امتدت هذه المده سنة ١٢٥٨ هـ - ١٢٨٢ هـ - ١٨٤٢ م - ١٨٦٥ م، و فى هذه الحقبه انسحبت الجيوش المصريه من نجد نتيجة لمعاهده لندنسنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤١ م) فخلا الجو له. كف بصره فى أواخر أيامه، و توفى سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م)، و دفن بالرياض.

٣- تاريخ العربيه السعوديه لفاسلييف ص ٢٣٥.

عليك لا سقت الجرباء ثعبانا يا مانح الأرض بعد الجذب وابلها  
كيف انثيت بجنب النهر عطشانا و يا منيع الحمى و الدهر شانته  
كيف استباح لك الأيام أجنانا إليه برسول الله لو نظرت  
عيناه كيف وردت الموت ظمانا و كيف رضت قراك الخيل و انتعلت  
من شلو جسمك أوصالا و جسمانا إذا أقام عليك الدهر من وصب  
ماتما و ارتماه الخطب أسوانا من الفوارس يغشاها إذا اقتربت  
تحت العجاجة أقرانا فإقرانا و الخيل عابسه يجرى النجيع بها  
على الكواثب و اللبات غدرا هذى المكارم فى الحمراء من مضر  
امست تجر عرائنا و أذقانا هذى الجياد إلى الغارات صافنه  
تدعو من القوم فى الإلحاد أجنانا هذى الضيوف و قوف فى مجاثمها  
تبغى القرى فيشمن الوفد حيرانا اين العماد لهذى و المثير لذى  
و المستغاث لهذى أينما كانا فى معشر و طئوا هام العلا و جلوا  
من المعالى براهينا و تيانا امسوا تمج المواضى من نحورهم  
دما و تكسوهم الأرياح أكفانا و الهام فى قلل الخرصان مشرفه  
تتلو من الآى بين الركب قرآنا يا لهفتاه لا تراب محجبه  
بالمشرفيه عزا و القنا شاننا بين النبى و سبطيه و فاطمه  
و المرتضى لا ترى ذلا و أهوانا تسبى جهارا و ما لله منتصر  
فيها و تطوى بهن العيس و ديانا من كل بارزه كالشمس مفرقتها  
أضحت تقنع بعد الستر قضبانا كم حرمه هتكت فيها لفاطمه  
و كم حمى مستباح لابن عمرانا فأين عنها رسول الله ينظرها

مغانما لبني حرب و سفيانا بنو النبي خذوني في جواركم  
فقد سقيت من البأساء قدحانا و دونكم من قسيم المدح رائقه  
ولهاء تتلو من الأرزاء فرقانا تقبلوها بلطف من نوالكم  
فقد أتكتم تريد العفو إحسانا تهفو ولوعا على اعتاب مجدكم  
ترجو اقاتها صفحا و غفرانا يهديكموها بعيد الدار مغرب  
عن الأحبه أوطارا و أوطانا فاز (ابن مهدي) إن كنتم له سندا  
فقد تورط ليل الإثم حيرانا فلا تردوا يدي مما علقت به  
فقد رجوتكم غوثا و أعوانا في كل يوم لكم منى مغرده  
تجلو من المدح آيات و تبيان

### الأمير أردشير ميرزا:

و يقال آكاه ميرزا بن الأمير عباس ميرزا ولي العهد ابن السلطان فتح علي  
شاه القاجارى

المتخلص فى شعره باكاه و الملقب بركن الدوله ولد فى طهرانسنه ١٢١٩ و توفى فيها سنه ١٢٨٢.

ولد فى بلاط جده فتح علي شاه القاجارى و ترعرع فيه و أخذ العلم عن جمع من علماء طهران و برز فى الشعر و الأدب و الفنون  
الحربيه. له نظم رائق فى أسلوب متين عين فى عصر أبيه واليا على عده مناطق كروس و صائين قلعه، و بعد وفاه أبيه و جده فتح  
علي شاه انتهت الملكيه إلى عمه محمد شاه و فى سنه ١٢٥٢ هـ حينما ذهب السلطان محمد شاه لفتح هرات عينه فى طهران وصيا  
على العرش يخلفه فى إداره الدوله أثناء غيابه و عند عوده السلطان إلى طهران عينه على ولايه مازندران و بعد وفاه محمد شاه و  
تسلطن ناصر الدين شاه سنه ١٢٦٤ عينه الأمير الصدر الأعظم ميرزا محمد تقى خان الملقب بأمر كبير [كبير] واليا على لرستان و  
خوزستان و فى سنه ١٢٧٣ هـ لقبه السلطان ناصر الدين شاه بلقب ركن الدوله و فى سنه ١٢٧٥ هـ عين واليا على آذربايجان. ذكره  
جمع من المؤرخين منهم ميرزا رضا قلى خان الهدايه فى كتابه مجمع الفصحاء و وصفه قائلا: (.. برع فى المعقول و المنقول و  
نبغ فى العربيه و الأدب و الرياضيات و الحكمه، و الأخبار، و التاريخ، و السير، و الأخلاق، ذو خط جميل. و له نظم و نثر و كان  
من أعلام علم العروض و البديع و كان يقضى أوقات فراغه بنظم القصائد و الغزليات..) ثم نشر قسما من قصائده و غزلياته.

أقول: له مؤلفات و تحقيقات منها ديوان شعر مخطوط منه نسخه فى مكتبه ملك الوطنيه بطهران، و طبع له كتابه (مخزن مراثى)

## أسامه بن منقذ:

مرت ترجمته فى الصفحه ٢٥٢ من المجلد الثالث، كما مرت فى الصفحه ١٩ من المجلد الأول من المستدركات كلمه عن تشيعه. و تأخذ هنا ما ذكره الذهبى فى الصفحه ١٦٥ من الجزء ٢١ من كتاب (سير أعلام النبلاء):

ولد بشيزر سنه ثمان و ثمانين و اربع مائه. و سمع سنه ٤٩٩ نسخه أبى هديه من على بن سالم السنبسى و روى عنه ابن عساكر و ابن السمعانى و أبو المواهب و الحافظ عبد الغنى و البهاء عبد الرحمن و ابنه الأمير مرهفو عبد الصمد بن خليل الصائغ و عبد الكريم بن أبى سراقه و محمد بن عبد الكافى الصقلى.

و له نظم فى الذروه كايه. قال السمعانى: ذكر لى أنه يحفظ من شعر الجاهليه عشره آلاف بيت.

ص: ٣١

---

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.



قلت: سافر إلى مصر، و كان من امرائها الشيعة، ثم فارقها، و جرت له أمور، و حضر حروبا ألفها في مجلد فيه عبر.

قال يحيى بن أبي طيب في تاريخه: كان إماميا حسن العقيدة، إلا إنه كان يدارى عن منصبه و يتاقى، و صنف كتبها منها التاريخ البدرى، و له ديوان كبير.

قلت: عاش سبعا و تسعين سنة، و مات بدمشق في رمضان سنة أربع و ثمانين و خمس مائه.

و مات ابنه الأمير الكبير عضد الدوله مرهف بن أسامه في سنة ثلاث عشره و ست مائه عن ثلاث و تسعين سنة و له شعر رائع. روى عنه الزكى المنذرى، و القوصى، و جمع من الكتب ما لا يوصف. (انتهى ما أورده الذهبى).

و لعل في هذا القول ما يقنع جمال الدين الآلوسى بتشييع أسامه، و إن صاحب (أعيان الشيعة) لم يقل ذلك عن غير تحقيق.

### الشيخ إسحاق ابن الشيخ آقا محمد إمام الجمعة ابن الشهيد البرغانى

القزوينى الشهيدى آل قره العين

المتوفى حدود سنة ١٣١١ هـ.

أخذ العلوم الإسلاميه من والده الشيخ آقا محمد إمام الجمعة أمه قره العين و حضر فى الحكمة و الفلسفه على الشيخ ملا آغا الحكمى و الشيخ ملا يوسف الحكمى القزوينين و خاله الشيخ الميرزا عبد الوهاب البرغانى فى المدرسه الصالحيه ثم توجه إلى العراق قاصدا الحوزه العلميه الكبرى و أدرك الشيخ مرتضى الأنصارى و حضر على الشيخ علامه الحائرى البرغانى و مدرس الطف المولى الشيخ ميرزا على نقى الحائرى آل الصالحى ثم تخرج على الامام الشيرازى الميرزا محمد حسن المتوفى سنة ١٣١٢ هـ ثم رجع إلى موطنه قزوین فاستقبله كافة طبقاتها و انتهى إليه كرسى التدريس و الفتيا و رجع إليه الناس فى أمر التقليد و كان من أكابر علماء إيران و له حوزة تدريس معموره فى مدرسه جده الشهيد الثالث يحضرها جملة من الطلاب و الفضلاء و قد شارك فى نهضة تحريم التبناك و ثار ضد ناصر الدين الشاه القاجارى و معاهدات البلاط مع بريطانيا، له مؤلفات هامه بالعربيه و الفارسيه موجوده كلها عند أحفاده منها تفسير القرآن، تقارير استاذة الشيرازى فى الفقه و الأصول، تقارير استاذة مدرس الطف، ديوان شعر. و كان ينظم باللغتين الفارسيه و العربيه ذكره شيخنا آغا بزرگ الطهرانى فى نباء البشر قال (... تلمذ فى العراق على أعلام الدين كالمجدد الشيرازى و غيره و رجع إلى قزوین مع تأييد و تمجيد من المجدد فصار مرجعا للأمر إلى أن توفى حدود ١٣٠٧ و مر ذكر أخيه الشيخ إبراهيم و ياتى ذكر أخيه الشيخ المتوفى قبله ذكرت المترجم له فى "هديه الرازى" و جاء قريب من هذا الكلام فى كتابه (هديه الرازى إلى الامام المجدد الشيرازى).

أقول لم يتحقق لى سنة وفاته لأنه توفى قبل استاذة الامام الشيرازى بقليل. (١)

### أسد الله بن نظر على خان النكابنى:

هو من العلماء المؤلفين له تأليف منها رساله فى النصائح و التجارب.

و هي رساله فارسيه فى نصائح المعصومين ع و كتاب فى كلمات الأئمه و مائه كلمه - من كلام أمير المؤمنين ع أتمها فى سنه -  
توجد نسختها بخطه فى (مكتبه ملّى) بطهران - (٢).

## السيد أسد الله بن عبد الحسين الموسوى النبوى الدر فولى الدز فولى

ولد فى صفر ١٣١٣ توفى فى شعبان ١٤٠٣.

ولد فى مدينه دز فول و نشا بها و قرأ المقدمات و السطوح عند أعلامها ثم حضر بحث الشيخ محمد رضا الدز فولى أكثر من  
عشرين سنه فى الفقه و الأصول، ثم ذهب إلى النجف الأشرف و حضر على أعلامها منهم الشيخ محمد حسين الغروى  
الأصفهانى و الشيخ آغا ضياء العراقى فى الفقه و الأصول و السيد الباد كوبى و الشيخ حسين الوصيه الآستانه اى فى الفلسفه و  
العرفان ثم عاد إلى موطنه و قام بابعاء أمور العامه و التدريس و التأليف و قلده مئآت من أهالى خوزستان. و تخرج عليه عشرات  
من الفضلاء و المحققين و فى سنه ١٣٦٣ أنشا مدرسه علميه فى دز فول، كما أنشا فيها مستشفى و هو من أعظم مستشفيات  
خوزستان. و عند ما قامت الحرب العراقيه الإيرانيه هاجر إلى قم و بقى أياما إلى أن مرض و اشتد مرضه و ذهب مع ولده السيد  
محمد إلى لندن للتداوى و إجراء العمليه ثم رجع إلى طهران و بقى بها مدته ثم ذهب إلى بروجرد و دز فول و لكن عادت إليه  
الأمراض و اشتد مرضه و حمل إلى طهران و بقى بها أياما حتى توفى يوم الجمعة عشرين من شهر شعبان عند طلوع الشمس، و  
حمل جثمانه إلى قم و شيع تشييعا حافلا ثم حمل إلى دز فول بوصيه منه و دفن فى مدرسته العامره و من مؤلفاته:

١ - رساله عمليه لمقلديه بالفارسيه.

٢ - حاشيه الرسائل.

٣ - أصول الفقه.

٤ - كتاب الصلاه.

٥ - حاشيه على الشمسيه. و غير ذلك من الكتب و الرسائل (٣).

## أسماء و يقال حبابه بنت السيد صالح بن السيد مهدي القزوينى.

ولدت فى مدينه الحله بالعراق حدود سنه ١٢٨٣ هـ و توفيت بها سنه ١٣٤٢ هـ و نقل جثمانها إلى النجف الأشرف عالمه فاضله  
أديبه شاعره من ربات النفوذ ذات عقل راجح ولدت فى بيت علم و زعامه و أسرته آل القزوينى من الأسر العلميه المعروفه فى  
الحله و النجف نبغ منها علماء أعلام.

أخذت العلم و الأدب من والدها السيد صالح القزوينى و حين بلغت سن الرشد زفوها إلى ابن عمها السيد موسى بن السيد جعفر  
القزوينى و أولعت منذ صباها فى الأدب و الشعر و حضرت على جملة من رجال أسرتها حتى نبغت بذلك و لها نثر و شعر جيد.  
كما لها نظم باللغه المحكيه، و قد وصفها فى كتاب (أدب الطف) قائلا: (..) و نشات فى كنف والدها و كان للبيئه فى نفسها أثر

فى بلوره ذهنيها فالأجواء العلميه التي كانت تعيشها و المجالس الأدبيه التي تعقد فى مناسبات كانت تؤثر أثرها و تدفع بهذه الحره للشعر و الأدب فلا تفوتها النادره الأدبيه أو الشارده المستملحه فهى تكتب هذه و تحفظ تلك، و تتحدث بالكثير منها.. كانت واسطه لحل النزاعات العائليه فكثيرا ما قصدت العوائل المتنافره و لطفت الجو و أماتت النزاع و الخصام حتى ساد الوئام، و تتحدث عن أمها و ملكتها الأدبيه و تروى شعرها باللغتين الفصحى و الدارجة و اشتهر عنها انها تميزت بشخصيه قويه و بأسلوب جميل فى الحديث و كان مجلسها فى الحله عامرا بالمتادبات و ذوات المعرفه..)

ص: ٣٢

---

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- السامى.

٣- الشيخ محمد السامى.

## أبو العتاهيه إسماعيل بن القاسم:

### إشارة

مرت ترجمته في المجلد الثالث، و نشر هنا هذه الدراسة عنه، و هي بقلم الدكتور حسين مروه:

يدور هذا السؤال في نفسى منذ زمن ليس بالبعيد، هل كان أبو العتاهيه زاهدا بالحياه حقا؟ و كنت قبل هذا على يقين بان أبا العتاهيه شاعر زهد بالحياه حقا و اعتزل طبياتها اعتزال الناسك المتبتل دون ريب، غير أن هذا اليقين عندي كان مصدره التقليد و التلقين و المحاكاه ليس غير.

و قد تناقلت أجيالنا الأديبه كلها هذا الرأى الشائع بمحض التقليد و التلقين و المحاكاه كذلك، و بمحض النظر إلى ظاهر هذا الشعر الكثير الذى نظمه أبو العتاهيه في ذم دنياه، و فى إنذار الناس بالموت، و ترهيدهم بالحياه.

و لكنى أخذت أشك في هذا الرأى، مذ رأيت في سيره هذا الشاعر ما يدل ان الزهد و التنسك ليسا من طبيعته، و مذ اتيح لى أن أفهم ان إنسانا يزهد بالحياه هذا الزهد الذى ينسبونه إلى أبى العتاهيه، لا بد أن يكون على شىء من النقص في حيويته و إنسانيته، و ما وجدت أبا العتاهيه إلا إنسانا مستوفز الحس، مستكملا كل عناصر الكائن الحى المدرك، متأهبا ابدا لتذوق الحياه و الإقبال على ما تستطيع أن تقدمه إليه من صنوف الطيبات و متع الحس و النفس و العقل جميعا.

و لكن الشك في زهد أبى العتاهيه، لا بد أن يستتبع هذا السؤال:

ترى، كيف صح لهذا الشاعر، إذا لم يكن قد زهد حقا بالحياه، أن يقف معظم شعره على هذا اللون القاتم من الشعر، لا ينفك يذكر الموت فيه، و يردد أنه مصير كل حى، و إن أمجاد الحياه كلها صائره إلى الفناء؟ و جواب هذا السؤال، هو ما نريد أن نعالجه في هذا الفصل عن أبى العتاهيه.

و ليس يمكننا أن نبلغ القصد هذا، دون أن نرجع إلى نشاه الشاعر و ظروف زمنه و مجتمعه.

لقد ولد شاعرنا عام ١٣٠ هجرية (٧٤٨ م) في قرية عين التمر بالعراق، و هي الآن بلده إلى الغرب قليلا من مدينه كربلاء، ثم نشأ بالكوفه يصنع الجرار الخزفيه الخضصر هو و أهله، و قد ظل على هذه الصنعه عهدا طويلا من عمره، و فى بعض أخباره انه ظل فى صنعته هذه حتى بعد أن قال الشعر و اشتهر به، فقد روى الصولى عن عبد الحميد بن سريع مولى بنى عجل انه رأى أبا العتاهيه و هو جزار (أى يصنع الجرار) يأتيه الأحداث و المتأدبون، فينشدهم أشعاره، فيأخذون ما تكسر من الخزف فيكتبون فيه هذه الأشعار.

و فى الأغانى روايه أخرى تقول ان أبا العتاهيه، اجتاز فى أول أمره، و على ظهره قفص فيه فخار يدور به فى الكوفه، و يبيع منه، فمر بفتيان جلوس يتذاكرون الشعر و يتناشدونه، فسلم عليهم و وضع القفص عن ظهره، ثم قال:

- يا فتیان، أراکم تتذاکرون الشعر، فأقول شیئا منه فتجیزونه(٢) فان فعلتم فلکم عشره دراهم، و إن لم تفعلوا فعلیکم عشره دراهم.

فهزئ الفتیان منه، و قالوا: نعم. فاشترط أن یشتري بقیمه الرهان رطب یا کلونه معا حتى لا یكون قمارا، ثم أنشد هذا الشرط:

ساکنی الأجداث أنتم

و جعل بینه و بینهم وقتا، إذا مضى و لم یجیزوا البیت، فاز هو بالرهان و جعل یهزأ بهم حتى انقضى الوقت، فتممه:

ساکنی الأجداث أنتم مثلنا بالأمس کنتم

لیت شعری ما صنعتم أربحتم أم خسرتم

و مضى هكذا ینشد حتى قال قصیده طویلہ علی هذه المعانی، و سرجع إلى هذه القصه و القصیده نستفید منها أمرا آخر ذا شان.

و اسم شاعرنا إسماعیل بن القاسم، و تنتهی نسبته إلى عنزه بالولاء، فقد کان جده "کیسان" فی عین تمر حین غزاها خالد بن الولید، و کان یتیم صغیرا یکفله قرابه له من عنزه، فسباه خالد مع جماعه صبیان من أهل عین تمر، و بعث بهم إلى أبی بکر، و هناك أستوهبه عباد بن رفاعه العززی من الخلیفه، فوهبه إياه، ثم أعتقه (أی حرره من الأسر) فتولی کیسان عنزه منذ ذاک (أی صار موالیا لهم)، تقديرا لصنیع عباد هذا معه.

و قد نال أبا العتاهیه من أصله هذا، شر کثیر و غیره به کثیرون، و من ذلك ما قاله ابن الأعرابی حین أنشده أحدهم هجاء أبی العتاهیه لعبد الله بن معن بن زائده:

-

أعجب لعبد یهجو مولاه

(أی سیده).

و یبدو ان شاعرنا کان یتأذى بهذا، و کان یدفع عن نفسه تعبير الخصوم بمثل قوله:

ألا، إنما التقوی هو العز و الكرم و حبک الدنيا هو الفقر و العدم

و لیس علی عبد تقی نقیصه إذا صحح التقوی، و إن حاک أو حجم

و فی هذا إشارة إلى ما قیل من أن أباه القاسم کان حجاما، و قد ترکت هذه الصنعه فی نفسه أثرا بعد ذلك، فقد قیل انه حین التزم النسک فی أخريات عمره، أخذ یحجم الیتامی و الفقراء بالسییل (أی من غیر أجر).

و قد سئل عن سبب إيثاره هذا العمل، فقال:

- أردت أن أضع من نفسي حسبما رفعتني الدنيا، و أضع منها ليسقط عنها الكبر، و أكتسب بما فعلته الثواب.

و لكن الصولى يقول أن حمدويه الذى كان يتبع الزنادقة، أراد أن يقبض أبا العتاهيه بتهمه الزندقة، فستر بالحجامة.

و كنيته، بالأصل "أبو إسحاق" ثم كنى "أبا العتاهيه" لأن الخليفه العباسى المهدي، قال له يوماً: أنت إنسان متحذلق متعته.. فكنوه "أبا العتاهيه" و قيل ان سبب هذه الكنيه انه كان يحب الشهره و المجون و التعته (أى التظاهر بالجنون).

و قد عرف الناس شاعرنا فى الكوفه، و فى بغداد بعد ذلك، إنه رجل متخنث و قالوا إنه كان يحمل لبعض المتخنثين حاجاتهم و قالوا - إلى ذلك - إنه كان رشيق القامه أبيض اللون أسود الشعر، له وفره (٣) جعده، و هيئه حسنه، و لباقه، و حصانه.

و لعلهم نسبوا إليه التخنث لهذه الصفات فيه، و لأناقته و نظافته، رغم كونه عاملاً يصنع الجرار كما علمنا.

و فى سيره أبى العتاهيه، و فى شعره الكثير، دلالات ظاهره واضحه،

ص: ٣٣

١- شيخ محمد السامى.

٢- تجيزونه: يقصد تكملونه.

٣- الوفرة: الشعر المجتمع على مقدم الرأس.

على انه كان يحب المال حبا جما، و كان يحب المرأه كذلك، و قد عرف بهواه لعتابه الجاربه، و سعدى مولاه عبيد الله بن معن بن زائده، و شعره فى الحب بادهى الرقه، قوى العاطفه، مشرق الروح، و تروى نوادر كثيره عن شده بخله و حرصه.

أما حبه المال فيدل عليه مدحه للخلفاء الذين عاصرهم، و هم:

المهدى، و الهادى، و الرشيد، و المأمون، و طمعه بالجائزه منهم، ثم مطالبته لكثير من اصدقائه ذوى الشأن و السلطان فى الدوله بالهبات و الجوائز، و معاتبته إياهم، أو هجره لهم كلما قصروا عنه فى العطاء. و هناك روايات متواتره تقول انه كان يكتز الذهب و الفضة.

و لقد هجا عبد الله بن معن بن زائده هجاء عنيفا، رائعا، ثم مدحه حين أجزل له العطاء و رثى يزيد بن منصور فقال فى رثائه:

يا ساكن الحفره المهجور ساكنها بعد المقاصر، و الأبواب، و الحجر

وجدت فقدك فى مالى و فى نشبى وجدت فقدك فى شعرى و فى بشرى

فهو إنما يحس فقدان المال و النشب بفقدان صاحبه إذن!.

و من الشواهد على أثر الحب فى نفسه، قوله:

رأيت الهوى جمر الغضى غير انه على حره، فى صدر صاحبه حلو

أخلاقى بى شجوى، و ليس بكم شجوى و كل امرئ عن شجوى صاحبه خلو

و ما من محب نال ممن يحبه هوى صادقا، ألا سيدخله زهو

بليت، و كان المزح بدء بليتى فأحبيت حقا، و البلاء له بدو

و علقت من يزهو على تجبرا و إنى، فى كل الخصال، له كفو

ليس فى حياه أبى العتاهيه، ما يدل انه زاهد حقا بالحياه، فهو يحب المال، و يحب عيش الترف و الرخاء، و يكتز الذهب و الفضة، و يمدح للعطاء، و هو يحب المرأه و يحس لذعه الحب و غبطته معا، و هو يقبل على الجمال و يتذوقه و تتهلل له نفسه، و هو أنيق الهندام حسن الهيئه و المظهر بحيث اتهموه بالتخث، و من كان حاله كذلك، ليس يصح أن يذكر فى الزاهدين قطعاً.

و لكن كيف نظم هذا الشعر الكثير فى الزهد، و كيف أكثر من ذكر الموت فى شعره، و كيف حبسه الرشيد مرات، لأنه أبى أن ينظم له الغزل، زهدا بلهو الحياه و متاعها كما يقولون، و كيف احتمل ضيق محبسه و حجر حريته و امتهان كرامته، مؤثرا ذلك كله على أن يستجيب لرغبه الخليفه فينظم له أبياتا من الغزل يغنيها له إبراهيم الموصلى فى مجالس انسه؟.

ثم ان لهذا الشاعر منزله رفيعه عند الخلفاء الذين عاصرهم و عند الشعراء و الأدباء فى جميع العصور، فقد شهد له بالشاعريه

بشار، و أبو نواس، و أبو تمام و أضرابهم، و هم من أعلام الشعر العربى فى كل عصوره، فكيف اتفق لشاعر هذا المجد الأدبى و هو لا يمجّد إلا الموت؟.

و مضاف إلى هذا كله، أن أبا العتاهيه شاعر كسب شهرته و مجده الأدبى بصنع يده، فإنه لم يصل إلى بلاط الخلفاء إلا و هو شاعر مشهور، و إنما لم يستطع أن يكسب المال و الرفاه إلا من بلاط الخلفاء. فقد خرج من الكوفه هو و إبراهيم الموصلى ثم افترقا، فذهب شاعرنا إلى الحيره، و ذهب الموصلى إلى بغداد، ثم التقيا فى بلاط المهدي بعاصمه الخلافة بعد أن اشتهر أمر أبى العتاهيه الشاعر، و زال عنه اسم "أبو إسحاق الجرار" أو "الخزاف"، و خرج إلى النهايه من طبقه العمال و الكادحين.

و يجب أن نضيف إلى ذلك أيضا، ان أبا العتاهيه شاعر جماهيرى، من حيث بساطه تعبيره و سهوله فهمه عند الجماهير، و قد كان هو على وعى تام لهذه الخاصه فى شعره و هو يعللها تعليلا صحيحا فى ما جاءنا مع أخباره.

فقد قال يوما، لابن أبى الأبيض الشاعر: "إن الشعر ينبغى أن يكون مثل أشعار الفحول المتقدمين، أو مثل شعر بشار و ابن هرمه، فان لم يكن كذلك، فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه مما لا تخفى على جمهور الناس مثل شعرى، و لا سيما الأشعار التى فى الزهد، فان الزهد ليس من مذاهب الملوك و لا من مذاهب رواه الشعر و لا طلاب الغريب، و هو مذهب أشغف الناس به الزهاد و أصحاب الحديث و الفقهاء و أصحاب الرياء و العامه، و أعجب الأشياء إليهم ما فهموه".

و هذا كلام واضح، يدل أن أبا العتاهيه كان يقصد إلى السهوله و البساطه فى شعره قصدا، لكى يفهم جمهور الناس.. فلما ذا كان يهتم بان يفهم جمهور الناس شعره فى الزهد؟.

أحسب الآن، اننى قد رسمت، فى هذا الفصل، خطوطا واضحه من حياه الشاعر، و بقى أن نستهدى هذه الخطوط فى الاجابه عن الأسئلة المتقدمه.

و لكن يجب، قبل هذا، أن نضيف إلى هذه "الخطوط" كلها، "خطا" آخر يدل على حياه المجتمع فى عصر الشاعر، و أكبر الظن ان هذا لا يحتاج إلى إيضاح كثير، فقد يعرف قراء هذا الفصل ان المجتمع العباسى يومئذ، كان ممتحنا أشد امتحان بأحوال هذا الصراع السياسى العنيف، و آلام هذه الفوضى الاجتماعيه الطاحنه و آثام هذا التفاوت المهيمن بين طبقاته المتعدده.

و لسنا نحتاج إلى أكثر من هذه اللمحه، لنصل بين حياه الشاعر أبى العتاهيه و حياه هذا المجتمع الذى نشأ منه أول ما نشأ، فى غمار العمال و الكادحين.

فى ضوء هذه الخطوط جميعا نسط فى الفصل الآتى وجهه الرأى عندنا فى كيف اتفق لأبى العتاهيه أن يكون شاعر الزهد و هو ليس بزاهد.



أنشد أبو العتاهيه يوماً في مجلس حضره ثمامه بن الأشرس المعتزلى (أبو معن النميرى)، أبياتا قال فيها:

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه تملكه المال الذى هو مالكة

إلا إنما مالى، الذى أنا منفق و ليس لى المال الذى أنا تاركه

إذا كنت ذا مال، فبادر به الذى يحق، و إلا استهلكته مهالكه

فسأله ثمامه: من أين قضيت بهذا؟ قال أبو العتاهيه:

- من

قول رسول الله: "إنما لك من مالك ما أكلت فأفנית، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت".

ص: ٣٤

فقال ثمامه: أ تؤمن - يا أبا العتاهيه - بان هذا قول رسول الله، و إنه الحق؟.

قال: نعم. فقال ثمامه:

فلم تحبس عندك سبعا و عشرين بدره(١) فى دارك، و لا- تأكل منها، و تشرب، و لا تزكى، و لا تقدمها ذخرا ليوم فقرك و فاقتك؟.

فقال أبو العتاهيه: يا أبا معن و الله إن ما قلت لهو الحق، و لكنى أخاف الفقر و الحاجه إلى الناس.

قال ثمامه: و بم تزيد حال من افتقر على حالك، و أنت دائم الحرص، دائم الجمع، شحيح على نفسك، لا تشتري اللحم إلا من عيد إلى عيد(٢) و جاء فى "الأغانى":

كان على بن يقطين صديقا لأبى العتاهيه، و كان يبره فى كل سنه بير واسع، فأبطأ عليه بالبر فى إحدى السنين، و كان إذا لقيه أبو العتاهيه أو دخل عليه يسر به و يرفع مجلسه و لا يزيد على ذلك. فلقية ذات يوم، و هو يقصد دار الخليفه، فاستوقفه، فوقف له فأنشده:

حتى متى، ليت شعرى يا ابن يقطين اثنى عليك بما لا منك تولينى؟

إن السلام، و إن البشر من رجل فى مثل ما أنت فيه، ليس يكفينى

هذا زمان ألح الناس فيه على تيه(٣) الملوك و أخلاق المساكين

(٤) أ ما علمت، جزاك الله صالحه و زادك الله فضلا يا ابن يقطين

أنى أريدك للدنيا و عاجلها و لا أريدك، يوم الدين، للدين!؟

فقال على بن يقطين: لست و الله أبرح و لا تبرح من موضعنا هذا إلا راضيا.. و أمر له بما كان يبعث به إليه فى كل سنه.(٥)

فى هاتين القصتين نجد مفتاح المعضله التى نريد أن نعالجها، فى هذا الفصل، من أمر أبى العتاهيه، شاعر الزهد.

فهو - إذن - يعرف قدر المال معرفه إنسان و معرفه مفكر معا، و هو مدرك أعمق الإدراك - إذن - ان المال ضروره لا غناء عنها و لكنه ليس غايه لذاته، بل لا تزيد قيمه المال عنده عن كونه و سيله "يعتق بها نفسه"، أى يحرر بها إنسانيته من عبوديه الخوف: "خوف الفقر و الحاجه إلى الناس".

و لذلك يرى أبو العتاهيه ان المال الحق إنما هو المال الذى تتخذ منه هذه الوسيله، أى ما تنفقه أنت لحاجتك، لدفع الفقر عن نفسك، لتحرير ذاتك من هوان الطلب و ذل السؤال، فإذا ادخرته أو استعملته لغير هذه الوسيله، ذهبت عنه صفه المال، و انقلب من شىء تملكه أنت إلى شىء هو يملكك و يستعبد إنسانيتك.

و من هنا كان أبو العتاهيه يحب المال، و من هنا كان دائم الحرص عليه، دائم الجمع له، شحيحا على نفسه، لا يشتري اللحم إلا من عيد إلى عيد، كما يقول ثمامه بن الأشرس، و كما اعترف هو بذلك.

و إذا كان يبدو هذا الحرص، و هذا الجمع للمال، و هذا الشح البالغ على النفس - غريبا إلى حد الشذوذ، فان وراء ذلك أمرا يدل عليه حال أبي العتاهيه أوضح دلالة، و هو أن الرجل كان يعيش في زمن يبلغ به خوف الناس من بؤس الفقر و ذله الحاجه هذا المبلغ الرهيب، حتى ليضطّر شاعر مثل أبي العتاهيه، له جاه و صيت و صوله لسان، أن يحرص على المال و يدأب في جمعه، و يشح بإنفاقه على نفسه و يحرم اللحم على معدته إلا يوما في السنه أو يومين، لأن شبح الفقر لا يبرح خياله، و لأن ذل السؤال لا ينفك يساور نفسه، فما بالك بغير هذا الشاعر، السائر الذكر، من طبقات العمال الضعفاء و المغمورين و المنبوذين؟..

فإذا انتقلنا إلى قصه أبي العتاهيه مع علي بن يقطين، تزداد هذه الدلاله عندنا وضحوا، إذ نرى شاعرنا يعترض صديقه هذا، و هو في طريقه إلى دار الخليفه، فيبدي له الغضب إلى حد السخط، لأنه يثنى عليه منذ زمن فلا يلقى جواب الثناء إلا السلام و حسن اللقاء، و هو يريد له شيء غير هذا، يريد له دنياه، لحاجته العاجله في دنياه، لهذا البر الذي عوده إياه ابن يقطين في كل عام، و ليس يريد له أمر في دينه يدخره إلى يوم الدين! و أبو العتاهيه لا يترك ملامته اللاذعه يوجهها لصديقه الجليل ابن يقطين، دون أن يفصح عن سبب هذه الملامه، فهو يصف له حال مجتمعه و كأنه يعتذر إليه بان حال مجتمعه هذه هي التي تضطره أن يقصده بالثناء لغير شيء سوى البر و العطاء:

هذا زمان ألح الناس فيه على تيه الملوك، و أخلاق المساكين

فهو، إذن، في زمان ينقم الناس فيه من الملوك صلفهم و استكبارهم على العامه بما عندهم من أسباب الترف و النعمه و السلطان، على حين يعيش المساكين و الفقراء، أي جمهور الناس، في باليات الثياب و تافهات العيش.

و أبو العتاهيه، واحد من هؤلاء الناس الذين كانوا يلحون بالنقمه على تيه الملوك، و سوء حال المساكين، و هو - من هنا - لا يرى بأسا عليه أن يطلب إلى هذا الشيخ الجليل ابن يقطين جزاء الثناء، أمرا غير السلام و حسن اللقاء.

يتبين لنا من كل ما تقدم أن نظره أبي العتاهيه إلى المال، نظره واقعيه علميه سليمه لا غبار عليها، و انه بهذه النظره يختلف كل الاختلاف عن الزهاد في تقديرهم المال و نظرتهم إليه.

ثم يتبين لنا، من ذلك، أيضا ان خوف أبي العتاهيه من الفقر، و ما يتبع ذلك من لجاجه في طلب المال و حرص عليه شديد، إنما كان انعكاسا لحاله اجتماعيه واقعيه، هي انتشار الفقر في طبقات المجتمع و استثثار العليه و ذوى السلطان بالغنى و الترف، حتى كان من هذا و ذاك أن ساد جمهره الناس شعور بالقلق الدائم و استعبدهم هذا الخوف الشديد من الفقر و الإعواز، الذي كان يمتلك أبا العتاهيه نفسه.

و يتبين لنا، آخر الأمر، ان هذا الشاعر لم يتخذ شعر الزهد تعبيرا عن ذاته، و "فرديته"، أي عن حاله من التصوف أدركته، فانصرف عن طبيات الدنيا إلى التبتل و التقشف و التنسك، لأن نزعتة السلوكيه لم تكن كذلك قطعا.

- ١- البدره: عشره آلاف درهم.
- ٢- ضحى الإسلام جزء ٣ - ص ١٥٣.
- ٣- التيه: الكبر و الصلف و الضلال.
- ٤- أخلاق: جمع خلق، و هو البالى من الثياب.
- ٥- قطوف الأغانى ج ٥ - ص ٨٠.

كما رأينا.

و قد يقول لنا الكثيرون، ان هذا صحيح، لكن الزهد أدرك أبا العتاهيه فى أخريات عمره، و شعر الزهد عنده تعبير عن حالته هذه التى انتهى إليها فى هذه المرحلة من حياته.

قلنا فى جواب ذلك، إن هذا غير صحيح قطعاً، لأن شعر الزهد الذى عرف عن أبى العتاهيه، قد استغرق معظم شعره، إن لم نقل أنه استغرق كل شعره حتى المديح و شعر الهجاء، ليس بمعقول أن يكون قد نظم كل هذا الشعر فى المرحلة الأخيره وحدها من عمره، ثم لأن هناك ما يدلنا أن أبا العتاهيه كان يقول هذا الشعر الذى يسمونه شعر الزهد حتى فى أوائل عمره، و فى عنفوان قوته و فتوته.

و لعلك تذكر قصته، فى الفصل السابق، مع بعض فتیان الكوفه حين مر بهم، فى أوائل أمره - كما يقول الأغاني - و على ظهره قفص فيه فخار يدور به فى الكوفه و يبيع منه، فرآهم يتذكرون الشعر و يتناشدونه، فحياهم، ثم عرض عليهم أن يقول شطر بيت من الشعر و راهنهم بعشره دراهم أن يجيزوه، فان فعلوا دفع هو الرهان و إن عجزوا دفعوه هم، و قد رأيت أن الفتیان قد خسروا الرهان فأكمل هو الشعر، و كانت قصيده، و إذا موضوع القصيده، كلها يدور على الموت و الاعتبار بهذه الدنيا و مفارقتها بما بعد الموت، و يجب أن تتذكر هنا قول الأغاني، مره أخرى، بان هذا كان فى أوائل أمره، أى فى شباب عمره، لا فى آخر حياته، و لعلك تذكر أن الشطر الذى اقترح على الفتیان أن يجيزوه، كان نداء للأموات:

"يا ساكنى الأجدات أنتم"

. ثم أكمله هكذا:

يا ساكنى الأجدات أنتم مثلنا بالأمس كنتم

يا ليت شعرى، ما صنعتم أربحتم أم خسرتم؟

فقد كان أبو العتاهيه - إذن - منصرفاً إلى هذا اللون من الشعر، منذ بدأ يقول الشعر، و يبدو انه لم يقله، منذ أوائل أمره، فينصرف إليه و يكون غايه له "و عملاً" بعد ذلك، بل قاله و هو يصنع الجرار و يدور فى الكوفه و قفص الفخار على ظهره يبيع منه، أى انه قال الشعر تعبيراً عن إحساس هذه الطبقة التى عاش حياتها، و عانى ماساتها، و حمل ثقلها على ظهره و زنده و فى أعماق نفسه و فى مطاوى معدته...

ثم كان شعره تعبيراً عن كل هذه الطبقات الاجتماعيه التى كانت تمتحن امتحاناً شديداً بالفقر و كان يستعبد بها الخوف الدائم من الحاجة، حتى كان الموت أحب إليها من الحياه، لأنه كان للموت فى نفوسها و أذهانها معنى الراحة من المأساه الدائره على رؤوسها فى زمان كان "يلح الناس فيه على

تية الملوک و أخلاق المساكين

و يبدو لنا ان هذا الذى نقول، هو مصدر هذه البساطه و السهوله و الوضوح فى شعر أبى العتاهيه، فقد كان شعرا جماهيريا، لأن قائله كان فى أعماق الجماهير حين انبثق عنه الشعر أول الأمر، ثم صار طوال حياته يعبر عن روح مجتمعه، و عن نفسه جمهوره و عن إحساس عصر الترف المفرط إلى جانب الفقر المفرط، و هو إحساس بالخلل الاجتماعى أولا، ثم تطور فصار إحساسا بتفضيل الموت على حياه يسودها هذا الخلل الاجتماعى الفادح الفاحش.

و إنه ل يبدو لى ان أبا العتاهيه، قد وعى مهمته فى ذلك المجتمع، و إنه بعد أن كان يصدر "شعر الزهد" عن مجرد إحساس باطنى ينعكس عن إحساس جمهور الكادحين، صار يصدر هذا الشعر عن قصد إليه و عن وعى كامل واضح، و عن تطوع لنقد الملوک و ذوى الترف من أهل القصور و أهل السلطان، بهذا الأسلوب الجماهيرى، و بهذه الطريقه الرمزيه - إذا صح التعبير - لكى ينجو من أذى الملوک، و لكنه لم ينج من ذاك.

و لعل كل ما لقيه من أذى السجن، كان بسبب هذا، لا بسبب ما قيل مثلا من إباطه على الرشيد أن ينظم له شعر الغزل، أو بسبب تهمته بالزندقه، و قد يكون الرشيد قد حبسه فعلا لإباطه نظم الغزل، و هو يقصد أن يصرفه عن ذلك الشعر الذى يدس فيه سخط الناس و نقيمتهم على ما فى حياتهم من مكاره و ما فى مجتمعهم من خلل فادح فاحش، و قد تكون الزندقه أيضا، ليست إلا للانتقام منه ذلك لأن الرجل كان أبعد أهل زمانه عن الزندقه كما يدل شعره، و تدل سيرته.

و لدينا من سيرته مع الخلفاء الذين عاصرهم جميعا، ما يصح أن يكون دليلا على ما نقوله، و من ذلك ما رواه (1) لنا أبو العتاهيه نفسه من انه حين ماتت بنت الخليفه المهدي، و حزن عليها حزنا شديدا حتى امتنع عن الطعام و الشراب، جاءه - أى أبو العتاهيه - يعزيه عنها، فأنشده قصيده يخاطبه فيها:

لا تلعبن بك الدنيا، و أنت ترى ما شئت من عبر فيها، و أمثال

ما حيله الموت إلا كل صالحه أو لا، فما حيله فيه لمحتال

فكان الشاعر قد اغتنم الفرصه ليقرع سمع الخليفه بان الدنيا تلعب به، و قد كان هذا دأبه مع المهدي فى كثير من المناسبات، فقد روى لنا هو نفسه أيضا - كما فى الأغاني - إن المهدي أخرجته معه إلى الصيد مره، فابعد الخليفه فى الأرض و تفرق رجال الحاشيه فى طلبه، و كان الشاعر معه فاجتازا واديا فاجاهما فيه مطر شديد، و تدفق السيل فى الوادى، فإذا هناك ملاح يعبر الناس، فلجا الخليفه و الشاعر إليه، فأدخلهما فى كوخ له، و كاد المهدي يموت بردا، فغطاه الملاح بجبهه صوف له، و نام حتى أدركه رجال الحاشيه، فعرف الملاح منهم إنه الخليفه فهرب، و تبادل الغلمان فازاحوا لبداه الصوف عن المهدي، و القوا عليه الخبز و الوشى و الديباج، فلما انتبه و سال عن الملاح قيل له إنه هرب، فجعل يلوم نفسه على ما أغلظ له من القول حين لقيه، و طلب من أبى العتاهيه أن يهجوه جزاء ما فعل بالملاح، فأظهر أبو العتاهيه، أول الأمر، امتناعه عن هجو الخليفه، ثم قال، مغتتما هذه الفرصه، يخاطب الخليفه:

يا لابس الوشى على ثوبه ما أقبح الأشيب فى الراح

فقال المهدي: زدني بحياتي، فقال أبو العتاهيه:

لو شئت أيضا، جلت في خامه (٢). و في وشاحين و أوضاح (٣)

فانتفض المهدي هنا، لأنه أدرك ما يعني أبو العتاهيه، و قال له:

- ويلك! هذا معنى سوء يرويه عنك الناس، و أنا استاهل. زدني شيئا آخر، فقال أبو العتاهيه: "أخاف أن تغضب". فقال المهدي:

"لا و الله". فأنشد:

كم من عظيم القدر في نفسه قد نام في جبه ملاحل.

ص: ٣٦

---

١- قطوف الأغاني ج ٥ - ص ١١٨.

٢- يعني القماش الخام من القطن

٣- الأوضاح: حلى من فضه أو الخلاخيل.

فقال المهدي: معنى سوء عليك لعنه الله! أ ترى إلى هذا الشعر؟. إنه من طبيعه "شعر الزهد": شعر أبي العتاهيه فهل هو الزهد حقا، أو هي الفرصه السانحه يقرع فيها سمع الخليفه بحقيقه أمره؟.

ثم، أ ترى كيف انتفض الخليفه لهذه "الغمزه"، و كيف خشى الناس أن يرووا هذا "الهجاء" و ان يثير فيهم كوامن ما تنطوى عليه جوانحهم من غيظ؟ و قالوا إن أبا عبيد الله دخل على المهدي، و كان غاضبا منه، و أبو العتاهيه حاضر، فجعل المهدي يشتم أبا عبيد الله و يتغيظ عليه، ثم أمر به فجروه برجله و حبسوه، ثم أطرق المهدي طويلا، فلما سكنت نفسه أنشده أبو العتاهيه:

أرى الدنيا بمن هي في يديه عذابا كلما كثرت لديه

تهين المكرمين لها بصغر و تكرم كل من هانت عليه

إذا استغنيت عن شيء فدعه و خذ ما أنت محتاج إليه

فهذا شعر إذا جردته من هذه المناسبه، وجدته وعظا خالصا، يخيل لقارئه أو سامعه ان صاحبه شاعر يتزهد في الدنيا، و لكن كيف تراه في مناسبه هذه؟. أ يدللك على زهد الشاعر، أم يدللك ان الشاعر قد واتته المناسبه ليعث بصوت المجتمع إلى نفس الخليفه و هو يظلم رجلا من هذا المجتمع على هذا الوجه الذي عرفته؟ و هكذا كان موقف أبي العتاهيه من الهادي، و الرشيد، و المأمون، ينتهز مثل هذه الفرص السوانح، ليلقى إلى سرائرهم بهذا الصدى الذي يضج في نفوس الجماهير، ثم يجد وسيلته إلى التعبير عن نفسه في لسان شاعر تسنح له مثل هذه الفرص في لقاء الخلفاء و أهل السلطان و سائر العليه المستأثرين بالتترف و النعماء، و ما يمنعني عن سرد الشواهد على ما أقول غير تجنب الاطاله، و لكن شاهدا واحدا أراه يغالبني، فلا أستطيع رده:

قالوا إن القاسم بن الرشيد، مر في موكب عظيم، و أبو العتاهيه جالس مع قوم على قارعه الطريق، فقام أبو العتاهيه حين رآه، احتراما له، فلما اجتازه الموكب، أنشد:

يتيه ابن آدم من جهله كان رحي الموت لا تطحنه

فبلغ القاسم ذلك، فبعث إلى أبي العتاهيه و ضربه مائه مفرعه، - (أى مائه سوط) - و قال له: "أ تعرض بي في مثل ذلك الموضوع؟". ثم حبسه في داره، فذس أبو العتاهيه إلى زييده هذه الأبيات:

حتى متى ذو التيه في تيهه أصلحه الله، و عافاه

يتيه أهل التيه من جهلهم و هم يموتون، و إن تاهوا

من طلب العز ليبقى به فان عز المرء تقواه

لم يعتصم بالله، من خلقه، من ليس يرحوه و يخشاه

فالقاسم - إذن - قد غاظه أن يكون التعريض به في ذلك الموضوع حيث يسمع نفر من عامه الناس على قارعه الطريق، و هو



كذلك لا يرى بأسا عليه أن ينتقم لنفسه فيضرب شاعرا، كأبي العتاهيه، ذا قدر في الناس و منزله، مائه سوط، ثم يحبسه، و هل ذاك إلا- لأن هؤلاء "عليه" كانوا يخشون انتشار مثل هذا القول في الناس، و إلا لأن شعر أبي العتاهيه كان يسير في الناس و يشيع لأنه يعبر عنهم، لا عن ذاته "الفرديه" و لا عن نزعه سلوكيه إلى الزهد و كراهه الدنيا؟

غرام أبي العتاهيه ١

هذه قصه حب استغرقت من حياه صاحبها أكثر من عشرين سنه، و هو على هذا الحب مقيم، و لصاحبته في إلحاح مستديم، لقي في سبيله ألوانا من الاعنات و الإيلام، و تجشم من أجله صنوفا من المذله و الهوان، و على الرغم من ذلك كله لم يظفر بصاحبته، و لم تصل به جميع السبل التي طرقها إلى غايته منه.

في هذه القصه تصدق نظريه المحبين التي تقول ان الحب يبدأ مازحا عابثا، ثم لا يلبث أن يتحول إلى جد خالص و بلاء لازم، و التياح دائم، و الم دفين، و في ذلك يقول صاحبنا الشاعر المحب أبو العتاهيه:

بليت، و كان المزح بدء بليتى فأحبيت حقا، و البلاء له بدو

و الذين يعرفون أبا العتاهيه معرفه عابره انما يعرفون فيه الجانب الأشهر من حياته و سلوكه و شعره، و هو جانب الزهد الذي ترك فيه - على حد قول المؤرخين - نحو من عشرين ألف بيت من الشعر، لم تصلنا كلها بطبيعته الحال، و لكن وصلنا منها قدر يكفي أن يكون ديوانا لا بأس به من الشعر الزهدى. و مع ذلك فلأبي العتاهيه قصه غرام طويله مع احدى جوارى الخليفه المهدي، أو هي كانت - على وجه الدقه - جاريه للخيزران زوجه المهدي و أم الخليفتين الهادي و الرشيد.

و قصه الغرام هذه، بين شاعر الخليفه أبي العتاهيه و جاريته عتبه، ثمينه بالتسجيل و الوقوف عندها بالأقلام التي سجلت قصص غيره من الشعراء المحبين، ممن احتفل التاريخ بروعه حبهم، على اختلاف في نوع هذا الحب و درجته، تبعا لاختلاف الظروف و الملابسات و البيئات و الأجناس.

ان أبا العتاهيه، و هو الشاعر المتحضر في عصره، الذي نشأ في سهول العراق، و عاش في مدينه بغداد الكبيره، أحب واحده من الإماء تشبهه في جنسه و مكانه الهين من المجتمع حين ذاك.

و لم تخل قصه أبي العتاهيه من عناصر التضحيه و الروعه و الاستمرار و الإلحاح، بحيث كانت فريده في عصرها، فريده في بابها بين أترابه من شعراء ذلك العصر، إذ لا نكاد نظفر بواحد من هؤلاء الشعراء لم يحب، و لم يتيم بأكثر من واحده من الجوارى اللائى انتشرن في القصور و منازل الأمراء و القواد و الوجهاء، و دور اللهو و العبث، و امتزن بملاحه الوجه و مياسه القد و عذوبه الصوت و اتساع الثقافه أحيانا.

إن أبا العتاهيه لم يرد عنه أنه أحب واحده سوى عتبه، منذ رحل عن الكوفه و نزل بغداد، حيث رآها فاغرم بها - و نترك له الحديث ليروى لنا كيف "وقع" له حبها و كيف احتال فيه شتى الحيل - انه يقول:

"قدمنا من الكوفه ثلاثه فتیان شابا أديبا، و ليس لنا ببغداد من نقصده. فنزلنا بالقرب من الجسر. و كنا نبكر فنجلس في المسجد

الذى بباب الجسر فى كل غداه، فمرت بنا يوما امرأه راكبه معها خدم سودان، فقلنا: من هذه؟ قالوا: خالصه، فقال أحدنا: قد عشقت خالصه، و عمل فيها شعرا، فاعناه عليه. ثم لم نلبث أن مرت أخرى راكبه معها خدمدش

ص: ٣٧

بيضان، فقلنا: من هذه؟ فقالوا: عتبه، فقلت: قد عشقت عتبه. فلم نزل كذلك في كل يوم إلى أن التامت لنا أشعار كثيره. فدفع صاحبي بشعره إلى خالصه، و دفعت أنا بشعري إلى عتبه، و ألحنا إلحاحا شديدا، فمره تقبل أشعارنا و مره تطرد، إلى أن أجدوا في طردنا".

"فجلست عتبه يوما في أصحاب الجوهر، و مضيت فلبست ثياب راهب، و دفعت ثيابي إلى إنسان كان معي، و سألت عن رجل كبير من أهل السوق، فدلت على شيخ صائح، فجنث إليه، فقلت: إني قد رغبت في الإسلام على يدى هذه المرأة، فقام معي، و جمع جماعه من أهل السوق، و جاءها فقال لها: إن الله قد ساق إليك أجرا. هذا راهب قد رغب في الإسلام على يدك، فقالت: هاتوه. فدنوت منها، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله. و قطعت الزنار، و دنوت فقبلت يدها، فلما فعلت ذلك رفعت البرنس فعرفتنى، فقالت: نحوه لعنه الله، فقالوا:

لا- تلعنيه فقد أسلم! فقالت: إنما فعلت ذلك لقدره. فعرضوا على كسوه، فقلت: ليست لى حاجه إلى هذه، و إنما أردت أن أشرف بولائها، فالحمد لله الذى من على بحضوركم. و جلست، فجعلوا يعلموننى الحمد، و صليت معهم العصر، و أنا فى ذلك بين يديها انظر إليها لا تقدر لى على حيله.

فلما انصرفت لقيت خالصه فشكت إليها فقالت: ليس يخلو هذان من أن يكونا عاشقين أو مستأكلين. فصح عزمهما على امتحاننا بمال على أن ندع التعرض لهما، فان قبلنا المال فنحن مستاكلان، و ان لم نقبله فنحن عاشقان. فلما كان الغد مرت خالصه، فعرض لها صاحبها، فقال له الخدم: اتبعنا. فأتبعهم. ثم لم نلبث أن مرت عتبه فقال لى الخدم اتبعنا. فاتبعتهم، فمضت بى إلى منزل خليط لها بزاز، فلما جلست دعت بى فقالت لى: يا هذا! إنك شاب، و أرى لك أدبا، و أنا حرمه خليفه، و قد تانيتك، فان كفت و إلا أنهيت ذلك إلى أمير المؤمنين، ثم لم آمن عليك، قلت: فافعلى، بأبى أنت و أمى، فانك إن سفكت دمي أرحتنى، فأسألك بالله إلا فعلت ذلك، إذ لم يكن لى فيك نصيب، فاما الحبس و الحياه و لا أراك فأنت فى حرج من ذلك، فقالت: لا تفعل هذا و أبق على نفسك، و خذ هذه الخمس مائه دينار و اخرج عن هذا البلد. فلما سمعت ذكر المال وليت هاربا. فقالت: ردوه. فلم نزل تردنى. فقلت: جعلت فداك، ما أصنع بعرض من الدنيا و أنا لا أراك، و انك لتبتئين يوما واحدا عن الركوب فتضيق بى الأرض بما رحبت. و هى تأبى إلا ذكر المال حتى جعلت لى ألف دينار. فأبيت، و جاذبتها مجاذبه شديده، و قلت: لو أعطيتنى جميع ما يحويه الخليفه ما كانت لى فيه حاجه و أنا لا أراك بعد أن أجد السبيل إلى رؤيتك.

و خرجت فجنث الغرفه التى كنا ننزلها، فإذا صاحبي مورم الأذنين، و قد امتحن بمثل محنتى، فلما مد يده إلى المال صفعوه، و حلفت خالصه لئن رآته بعد ذلك لتودعنه الحبس، فاستشارنى فى المقام فقلت: اخرج و إياك أن تقدر عليك.

ثم التقتا، فأخبرت كل واحده صاحبتها بالخبر. و أحمدتنى عتبه، و صح عندها انى محب محق.. فلما كان بعد أيام جاءتنى عتبه، فقالت:

بحياتى عليك - إن كنت تعزها - الا- أخذت ما يعطيك الخدام فأصلحت به من شانك، فقد غمنى سوء حالك. فامتنعت. فقالت: ليس هذا ما تظن، و لكنى لا أحب أن أراك فى هذا الزى. فقلت: لو أمكنتنى أن ترينى فى زى المهدي لفعلت ذلك. فأقسمت على. فأخذت الصره، فإذا فيها ثلاثمائه دينار، فاكتمت كسوه حسنه و اشترت حمارا". و هذه القصة تعطينا صوره

واضح قويه للحال التي كان عليها أبو العتاهيه عند ما جاء بغداد، فهو في هذه الصورة الماجن المستهتر الذي يتخذ هو و صحبه المسجد مكانا لتدبير حماقاتهم، و يكررون ذلك كل يوم. بل انه ليعبث بالدين عبثا واضحا عند ما يتظاهر بأنه راهب رغب في الإسلام على يدى فتاه جاريه، فإذا دخل هو و القوم إلى المسجد لصلاه العصر، فهو لا يصلى و إنما يتخذ المسجد مسرحا لعبته و تحامقه، فالقوم يصلون بينما هو يظل ينظر إلى معشوقته، هذا فضلا عما تظهره فيه الصورة من رقه حاله و قدر منظره.

و القصة بعد هذا تدل دلالة قاطعه على انه على الرغم من انه بدأ مغالته عابثا، إلا أن هذا العبث استحال إلى حب حقيقى تتصل أسبابه بينه و بينها، و يرفض أن يأخذ منها مالا- مع حاجته اليه، و كلما الحت ازداد إباء و رفضا حتى تأكد لها أنه محب محق، فلان له قلبها، و مالت اليه، و كان المال الذى اخذه منها أخيرا، ليكتسى، دليلا على حبها و عربونا لما هما مقبلان عليه من غرام عنيف.

### يحتال أبو العتاهيه لتقبيل يد عتبه

و يظل أبو العتاهيه بعد ذلك يترصد لها ليظفر برؤيتها في الأماكن التي تتردد عليها، و هو في سبيل ذلك يتوسل بحيل شتى يعمى بها على الناس و يمنع عنها الحرج و الأذى. فمن ذلك انه جاءها في سوق النخاسين في زى متنسك فقال: جعلنى الله فداك! شيخ ضعيف كبير لا يقوى على الخدمه، فان رأيت أعزك الله شرائى و عتقى فعلت ماجوره. فأقبلت على صاحبها فقالت: إنى لأرى هيئه جميله و ضعفا ظاهرا، و لسانا فصيحاً و رجلا- بليغا، فاشتره و أعتقه. فقال: نعم. فقال أبو العتاهيه: أ تأذنين لى أصلحك الله فى تقبيل يدك. فأذنت له، فقبل و انصرف.

و لم يكن أبو العتاهيه - و هو المشبوب المدله - ليقف غرامه عند حد الاستمتاع بالنظر إلى محبوبته و تقبيل يدها، فى مسجد أو فى حانوت أو فى سوق، و إلا لكان ذلك منه حبا قاصرا و غراما فاترا، و انما هو يركب الصعب فى سبيل شىء أعز و أبعد منالا، هو الحصول على عتبه بروحها و جسدها، و يسعى فى ذلك سعيا حثيثا مستعينا فى سبيل مطلبه باصدقائه من مخالطى الخليفه و مجالسيه، مستعينا كذلك بفنه و شعره الذى تلهمه إياه حبيته. فهو مثلا يرجو صديقه الموسيقى المغنى يزيد حوراء أن يعمل لحنا فى قوله:

نفسى بشىء من الدنيا معلقه الله و القائم المهدي يكفيها

إنى لإياس منها ثم يطمعنى فيها احتقارك للدينا و ما فيها

و يغنى به المهدي الذى يعد بالنظر فى المسأله، ثم ينسى أو يتناسى، و يتعجل أبو العتاهيه الأمر، فيوعز إلى يزيد أن يغنى المهدي بهذين البيتين:

ليت شعرى ما عندكم ليت شعرى فلقد أحر الجواب لأمر

ما جواب أولى بكل جميل من جواب يرد من بعد شهر

قال يزيد: فغنىت به المهدي، فقال: على بعته، فأحضرت، فقال ان أبا العتاهيه كلمنى فيك فما تقولين، و لك و له عندى ما

تجبان مما لا تبلغه أمانيكما؟ فقالت له: لقد علم أمير المؤمنين ما أوجب الله على من حق مولاتي، و أريد أن أذكر لها هذا، قال: فافعلی.. قال و أعلمت أبا العتاهیه. و مضت أيام فسألنی معاوده المهدي، فقلت: قد عرفت الطريق، فقل ما شئت حتى أغنيه به، فقال:

أشربت قلبي من رجائك ما له عنق يخب إليك بي و رسيم  
و أملت نحو سماء جودك ناظري أرعى مخايل برقها و أشيم

ص: ٣٨

و لربما استيأست ثم أقول: لا ان الذى ضمن النجاح كريم

قال يزيد: فغنيته فقال: على بعته، فجاءت فقال: ما صنعت؟ فقالت ذكرت ذلك لمولاتى فكرهته و أبته، فليفعل أمير المؤمنين ما يريد، فقال: ما كنت لأفعل شيئا تكرهه.

و لم يكن سهلا، بل لعله كان مستحيلا أن تتخلص عتبه من مولاتها الخيزران التى كانت صاحبه شخصيه قويه و نفوذ شديد فى القصر و فى غير القصر حتى على الخليفه نفسه، و كانت تتمسك بجاريتها عتبه و تنزلها منزله خاصه.

و لكن أبا العتاهيه لا يصيبه على الرغم من ذلك كله ملل و لا يأس، و انما هو مقيم على حبه عتبه، و على إخلاصه لهذا الحب، لا يفتا يذكرها، و يردد ما يعانیه بسببها فى شعره، و لا يقف طلبه إياها من المهدي عند حد، بل انه ليقتمح عليه مجلسه الذى يضم عليه القوم من علماء و كبراء و شعراء، لعله يصيبه من ذلك بحرج عند ما يخاطبه بقوله:

ألا ان جاريه للإمام قد أسكن الحب سربالها

مشت بين حور قصار الخطا تجاذب فى المشى أكفالهها

و قد أتعب الله نفسى بها و أتعب باللوم عدالها

فيعجب الحاضرون من هذه الجراء و هذه الجساره أشد العجب، مما يدلنا على مقدار تعلقه بمحبوبته، حتى ليستهين فى سبيلها بكل خطير و صعب، و ضاق المهدي به و بالحاحه عليه بشأنها، و إكثاره من التشيبب بها بشعره السهل الرقيق الذى شاع بين الناس من عامه و خاصه، فأمر بإحضاره، و جلده نحو من حد، و أخرج مجلودا، فبكت عتبه حتى فاض دمعها. و صادفها المهدي باكيه عند الخيزران، فأراد أن يترضاها، فأمر لأبى العتاهيه بخمسين ألف درهم، ففرقها أبو العتاهيه على من بالباب، و لما ساله الخليفه فى ذلك قال: ما كنت لأكل ثمن من أحببت. و لم يمتنع أبو العتاهيه و لم يرتدع بعد هذا الذى لقيه من أجل معشوقته من بلاء و ضرب مبرح، بل ظل عاكفا على رغبته مما أثار المهدي مرات عدة، فسجنه أكثر من مره، و لما لم يمتنع نفاه عن بغداد إلى الكوفه، و هناك ظل يشبب بصاحبته و ينشد شعره فيها. و لقد أضر ذلك كله بصحته و بعينيه خاصه، حتى رثا الناس لحاله و أشفقوا عليه من اتصال و جع عينيه و ملازمته طبييا لعلاجهما، و لما سئل فى ذلك قال:

أيا ويح عيني ويحها ثم ويحها أ ما من خلاص من شباك الحبال؟

أيا ويح عيني قد أضر بها البكاء فلم يغن عنها طب ما فى المكاحل

كل ذلك من أجل عتبه، التى لا يستطيع أن يتخلى عن حبه إياها، مستعذبا فى حبه كل مر مقيما على إخلاصه لهذا الحب رغم ما ينزل به من أرزاء قاسيه، و محن بالغه، أنزلها به المهدي. بل ان المهدي يموت، و يخلفه الهادى، و يعقبهما الرشيد، و أبو العتاهيه لا يزال حافظا لهواه راعيا لحبه، و لا يفتا يكرر محاولاته فى سبيل الحصول على عتبه مع الرشيد فى غير فتور و لا يأس. و كان مما قوى عزمه، و أمد له فى حبال الأمل انه كانت بينه و بين الرشيد قبل ان يلى الخلافه علاقه قويه و مصاحبه فى مجالسه و نزواته، و قد حاول الرشيد فى هذه السبيل محاوله صادقه و لكن الخيزران كانت لا تزال تتمسك بجاريتها التى لم تكن تملك

من أمر نفسها شيئاً، و كانت قد عرفت رغبه مولاتها القويه و إصرارها عليها.

حدث أبو العباس ثعلب قال: كان أبو العتاهيه قد أكثر مساءله الرشيد فى عتبه، فوعده بتزويجهما، و أنه يسألها فى ذلك، فان أجابت جهازها و أعطاه مالا عظيما. ثم ان الرشيد سرح له شغل استمر به، فحجب أبو العتاهيه عن الوصول اليه، فدفع إلى مسرور الكبير ثلاث مرارح فدخل بها على الرشيد و هو يبتسم، و كان عليها ثلاثه أبيات من الشعر، قرأها الرشيد و قال: قاتله الله، ما أحسن ما قال! ثم دعا به و قال: ضمنت لك يا أبا العتاهيه، و فى غد نقضى لك حاجتك إن شاء الله.. و بعث إلى عتبه ان لى حاجه إليك، فانتظرينى الليله فى منزلك، فأكبرت ذلك و أعظمتها، و صارت اليه تستعفيه، فحلف ان لا يذكر لها حاجته إلا فى منزلها، فلما كان الليل سار إليها و معه جماعه من خواص خدمه، فقال لها: لست أذكر حاجتى أو تضمين قضاءها. قالت: أنا أمتك و أمرك نافذ فى ما خلا أمر أبى العتاهيه فانى حلفت لأبيك رضى الله عنه بكل يمين يحلف بها بر و فاجر، و بالمشى إلى بيت الله الحرام حافيه كلما انقضت عنى حجه و جبت على أخرى لا أقصر على الكفاره، و كلما أفدت شيئا تصدقت به إلا ما أصلى فيه. و بكت بين يديه، فرق لها و رحمها و انصرف عنها.. و غدا عليه أبو العتاهيه فقال له الرشيد: و الله ما قصرت فى أمرك، و مسرور و حسين و رشيد و غيرهم شهود لى بذلك، و شرح له الخبر..

قال أبو العتاهيه: فلما أخبرنى بذلك مكثت مليا لا أدرى أين أنا؟ قائم أو قاعد؟ و قلت: الآن يئس منها إذ ردتك، و علمت أنها لا تجيب أحدا بعدك.

فلبس أبو العتاهيه الصوف، و قال فى ذلك من أبيات:

قطعت منك حبال الآمال و حططت عن ظهر المطى رحالى

و وجدت برد الياص بين جوانحى فغنيت عن حل و عن ترحال

حين ذاك فقط تملكه الياص و اشتد به. هنالك بعد عشرين سنه أو نحوها من الحب الخالص العميق، و بعد صنوف من العذاب و ألوان من الأرزاء فيها الجلد و الحبس مرات، و النفى و التشريد، يصيب أبا العتاهيه ذهول شديد و قد يئس من الدنيا و من الحياه و من الأمل. كانت عتبه دنياه و حياته و أمله، فالتمس الفرار من هذه المصيبه الفادحه التى ألمت بنفسه و قلبه جميعا، إلى شىء ينشد فيه السلوان بعيدا عن الدنيا، بعيدا عن الناس، هنالك عزم على أن يتسكك و يلبس الصوف، و ينزع منزع الزاهدين و كانت لهذا المنزع فى نفسه آثار قديمه و جذور بعيده.

و مع هذا، فاننا نجد بعد ذلك مقيما على الوفاء لهذا الحب الذى أقام من قلبه قبرا له، يتطلع اليه بين الحين و الحين، حتى بعد تنسكه و زهده، ففراه يحن إلى تلك الذكرى حيننا شديدا مبتغيا إلى ذلك الوسائل، منتحلا له الأعدار.

قال لى أحمد و لم يدر ما بى أ تحب الغداه عتبه حقا

فتفتست ثم قلت نعم حبا جرى فى العروق عرقا فعرقا

و قد بلغ من شده شغفه بهذا الغناء و ما يحمل فى ثناياه من ذكريات حبيبه أن استعاده ثلاث مرات.

و حسينا ذلك، لنذل على أن قصه هذا الغرام العنيف الذي دفع صاحبه إلى ارتياد النسك و الزهد جديره بالاعتبار و الاحتفال، بين قصص الحب الخالده، و قد شقى بطلاها بها زمانا طويلا، أحسب ما لقياه فى سبيلها من عنت و التياح، و من ظروف قاهره قاسيه باعدت بين قلبيهما و أبت عليهما أن يلتثما طوال سنوات عديده، كان كفيلا بان يصيب قوتها و حرارتها بشيء من الوهن أو ببعض من الضعف و البروده، و لكنهما تذرعا بطويل الصبر، و عديد الحيل عليهما يلتثمان على وصال دائم، و لكن الظروف كانت أقوى منهما، و كانت الشيخوخه قد أدركتهما، فقبعت عتبه فى ذل

ص: ٣٩



و استكانه مغلوبه على أمرها، و ساح أبو العتاهيه فى تيه الحياه المسحور، و كان قد فزع إلى اللهو و المجانه لعله ينسى أو يتلهى، فلما لم يجد ذلك فى نفسه و حبه شيئا طلب التنسك لعله يكون أفعل فى نفسه، أو أقرب طريقا إلى ما يبتغيه من سلوان.

قال صاحب الأغاني، أبو الفرج فى ترجمته لأبى العتاهيه: " و لم أذكر هنا مع أخبار أبى العتاهيه أخباره مع عتبه، و هى من أعظم أخباره لأنها طويله، و فيها أغان كثيره، و قد طالت أخباره هاهنا، فافردتها". و لو أن أبا الفرج وفى بوعدده الذى قطعه بان يفرد لأخباره معها بابا خاصا "لكثره الصنعه فى تشبيهه بها، و انها اتسعت جدا"، أو لعله وفى و سقط هذا الباب من كتابه الكبير - إذن لاستوت لنا الحقيقه فى أمر حب أبى العتاهيه أنصع من ذلك كثيرا، و لوقفنا فى كثير من التفصيل على قصه ذلك الحب الكبير كامله.

## إسماعيل الصفوى:

مرت ترجمته فى المجلد الثالث. ثم ذكرنا تفاصيل أخرى عنه فى الصفحه ١٦ من المجلد الأول من المستدركات. ثم تفاصيل أوسع فى الصفحه ٥٠ من المجلد الثانى من المستدركات. و نشر عنه هنا ما يلى و هو ما عثرنا عليه بعد نشر ما نشر:

وردت فى كتاب (اعلام الورى بمن ولى نائبا من الأتراك<sup>(١)</sup>) بدمشق الشام الكبرى) لمؤلفه (محمد بن طولون الصالحى الدمشقى) نصوص ثمينه عن صدى قيام الدوله الصفويه فى بلاد الشام التى كانت محكومها يوم ذاك من المماليك، و من قانصوه الغورى منهم بالذات.

و كنا قد ذكرنا فيما كتبناه فى المجلد الثانى من المستدركات عن صدى قيام هذه الدوله بوجه عام، و إنه لمن المهم أن نعرف ما ذا كانت تتجارب به سائر البلاد من أصدية مدويه لنجاح إسماعيل الصفوى و تمكنه من السلطه.

و لعل ما نشره هنا من نصوص ماخوذه من (أعلام الورى) يرينا الصوره الصحيحه لعواطف الناس و انفعالهم من ذلك الحدث. و إذا كان المؤلف يتحدث عن دمشق وحدها فلا شك أن ما كان يتفاعل فى دمشق إنما هو مماثل لما كان يتفاعل فى غيرها من المناطق التى كانت تصل إليها أخبار الدوله الصفويه متقطعه و لكن مثيره.

و إنه لمن الطريف أن نعرف كيفيه انتشار الشائعات و وصول الأخبار بما يحدث فى بلاد بعيده.

جاء فى (أعلام الورى) فى الصفحه ١٤٥ عن أحداث سنه (٩٠٧):

"فى هذه الأيام (١٧ جمادى الآخره سنه ٩٠٧) شاع بدمشق ان رجلا اسمه حيدر الصفوى استولى على بلاد تمرلنك و غيرها و إنه ماش على البلاد".

فالمؤلف يستبدل بكلمه الصفوى كلمه الصوفى، و ليس مرد ذلك إلى ما كان معروفا عن أصول الصفويين الصوفيه، لأن مثل هذه التفاصيل لم تكن لتنتقل مع شائعه تدور على الأفواه من بلد بعيد إلى بلد أبعد، بل إن مرده إلى عدم ألفه الناس لكلمه الصفوى الجديده و لفهم لكلمه الصوفى العريقه، فالناقل الأول للاشاعه نقل الصفه - على الأغلب - على حقيقتها (الصفوى) لقربه من الحدث، و لكن تداول الألسنه لها من مكان إلى مكان حرفها، فوصلت إلى دمشق: (الصوفى).

و يبدو جليا ان معلومات المؤلف الجغرافيه ضعيفه كل الضعف، فكل ما يعرفه عن المنطقه التي ظهر فيها إسماعيل انها بلاد (تمرلنك). ثم إنه يحرف (تيمور لنك) إلى تمرلنك).

و الغريب فى هذه الشائعه انها تقول ان إسماعيل الصفوى ماش إلى بلاد الشام، مما يدل على رهبه عرت النفوس من قيام الدوله، حتى إن تلك النفوس لتتوقع أن يكتسح إسماعيل ما بعد بلاد (تمرلنك) حتى يصل بلاد الشام!..

ثم إنه يبدو جليا من الخبر التالى ان الأمر لم يكن مجرد تخيل بل كان فى نظر الحكام جدا كل الجد فقد جاء فى اعلام الورى ما يلى، و هو تابع لأحداث ١٩ صفر سنه ٩٠٨ أى بعد حوالى ثمانيه أشهر من انتشار الشائعه القائله بان إسماعيل ماش على البلاد:

"فى هذه الأيام رمى النائب على أهل دمشق مالا لأجل مشاه تخرج إلى حلب تجريده حرمة للبلاد لأجل ما قيل من أمر الخارجى حيدر الصوفى".

ما ورد فى الخبر الأول كان مجرد ترديد لشائعه لذلك لم يكن المؤلف منفعلا فلم يصف إسماعيل باى صفه قبيحه، و لكن عند ما بدا له أن الأمر قد اشتد لدرجه الاعداد لدفع لخطر هاج هائجه فوصف إسماعيل بأقبح وصف و هو وصف (الخارجى)، كما أن الصدمه أذهلته فنسى الاسم، و أطلق على إسماعيل اسم أبيه حيدر و الواقع إنه لأمر غريب أن يكون الحال قد وصل إلى إعداد النجدات فى دمشق، لارسالها إلى حلب لدفع ما بدا أنه خطر صفوى متوقع، و من البدهى [البديهى] أن الأمر لم يكن مقتصرًا على دمشق وحدها.

و يجب أن لا ننسى ان ما يحدث هو فى عصر (قانصوه الغورى) الذى افترض الناس فيه - بما تحدثوا به عنه بعد ذلك - حليفا لإسماعيل الصفوى. و إذا صح أمر التحالف، فإنه يبدو جليا انه لم يكن قد قام بعد، و سيتضح الأمر فيما ياتى من أخبار (اعلام الورى).

و ياتى شهر جمادى الآخره من سنه ٩٠٨ أى انه قد مضى على انتشار (الشائعه) سنه كامله فإذا ب (اعلام الورى) ينشر لنا الخبر الآتى:

"شرعوا باستخلاص بقيه المال الذى فرض برسم المشاه".

أى انه مضى قرابه أربعه أشهر بين فرض المال لاعداد المشاه و إرسالهم إلى حلب و بين تحصيل بقيه هذا المال.

و بعد شهرين من كتابه هذا الخبر يقول (إعلام الورى) عن أحداث شهر شعبان بعد أن ذكر فرض ضريبه جديده على الناس: "و هذه رميه أخرى غير الرميه التي أخذت بحجه مشاه إلى حلب لأجل حيدر الصوفى".

و هنا يستمر فى تغيير اسم إسماعيل إلى حيدر كما يكون مستمرا فى إبدال لقب الصفوى بالصوفى.

و تنتهى سنه ٩٠٨ و تليها سنه ٩٠٩ فسنة ٩١٠ فسنة ٩١١ فسنة ٩١٢ دون أن نسمع فى (إعلام الورى) أى خبر عن (الخارجى) و لا عن (المشاه) المرسلين إلى حلب.

أى ان أربع سنوات قد مضت دون ذكر أى شىء عما يجرى فى بلاد (تمرنك) و ما يمتد بعدها من بلاد غربا من وقائع و خطوب.

و فجاه يطلع علينا (الاعلام) و هو يتحدث عن أخبار ربيع الثانى سنه ٩١٣ بهذا الخبر:

"فى هذه الأيام أيضا شاع ان الخارجى حيدر الصوفى قد خرج على الأمير على دوله و تقاتلا و انه قرب من حلب".

و نحن لا نعلم - برغم تتبعنا لتاريخ إسماعيل - بأنه تقاتل مع من اسمه (على دوله) فمن اين جاء صاحب (الاعلام) بهذا الخبر؟.

ص: ٤٠

---

١- المقصود بالأتراك هنا: المماليك و مؤرخو تلك الفتره يسمون دوله المماليك بدوله الأتراك.

ربما كان الأمر قد اشتبه عليه بين (علاء الدوله) و بين (على دوله)، فان تقاطلا قد جرى بين علاء الدوله حفيد ناصر حاكم بلاد مرعش و بين أتباع الشاه إسماعيل لتحالفات بين علاء الدوله و آخرين بقصد الاستيلاء على ولايه ديار بكر، فقرر الشاه الحثول دون ذلك في تفاصيل ليس هنا مكان ذكرها.

و لكن مهما كان من أمر انتصارات الشاه إسماعيل على علاء الدوله فإنه يظل بعيدا جدا عن حلب مما لا يبرر شائعه قربه من حلب.

و في أخبار جمادى الآخره من السنه نفسها ٩١٣ نفاجا بالخبر الخطير التالى:

"مستهل جمادى الآخره برز النائب إلى مصطبه السلطان(١) و خرج معه القضاء و داوادر السلطان على نيه السفر و التجريد على الخارجى حيدر الصوفى.

و فى يوم الجمعه سابعه سافر.

و بعد عصر يوم الثلاثاء ثالث شعبان دخل النائب دمشق و قد مر على البلاد بعد رجوعه من تجريده الصوفى التى وصل فيها إلى حلب".

من هذا الخبر يبدو التصميم على حرب الدوله الصفويه تصميميا مصدره و لا شك المسئول الأول فى الدوله قانصوه الغورى، إذ ليس من المعقول أن يتفرد نائب دمشق بقرار الحرب الذى سيلزم الدوله كلها، و خرج التصميم إلى حيز التنفيذ بسوق جيش دمشقى لقتال من صار اسمه (الخارجى). و من هنا ندرك أن وقع قيام دوله شيعيه لم يكن مثيرا للعثمانيين فقط، بل كان مثيرا للمماليك أيضا، و أن إجماعا قام على عدم تمكين الشيعه من أن يكون لهم دوله يكونون فى ظلها مصونى الكرامه و الدم و المال و الحره. إجماعا قام دون أن يعد أحد لقيامه، و دون أن تتفق أطرافه فيما بينها، بل إن وحده النقمه هى التى جمعت إرادتهم دون أن يجتمعوا.

و حين نعود إلى لهجه (النهروالى)(٢) المتمثل فيها شعور العثمانيين، و نقارن بينها و بين لهجه ابن طولون المتمثل فيها شعور المماليك، نجد إن اللهجتين تنبعان من إحساس واحد هو إحساس النقمه و الغضب.

و إذا كان النهروالى قد قال ما قال فى جمل مبسطه طويله كثيره متعدده، فلأن كتابه كان مبسطا طويلا مسهبا. أما ابن طولون الموجز فى كتابه ما كتبه عن تاريخ تلك الفتره، فقد سار فى التعبير عن نقمته على طريق الإيجاز المتبع فى كتابه، فأكتفى عن كل تعابير الشتائم و الغضب بوصف الشاه إسماعيل بصفه (الخارجى)، و حسبها صفه شامله مزريه محرضه!.. و إذا كانت البلاغه - كما يعبرون عنها - بأنها مطابقيه الكلام لمقتضى الحال، فلا شك ان ابن طولون كان بليغا فى تعبيره هذا، و لا يمكن لمن كان فى ذهنه ابن طولون و ذهنه أبناء عصره أن يعبر عما يكتنه لقيام دوله للشيعه من الحقد و النقمه و التحريض عليها، بكلمه أبلغ من وصف مقيم تلك الدوله بوصف (الخارجى).

و قد كان يمكن أن يكون وقع هذا الوصف أخف على النفوس لو كان إسماعيل الصفوى قد قام بثورته على دوله المماليك،

فعند ذلك يمكن تفسير كلمه (الخارجي) بأنه الخارج على دولته. فاما و ثوره إسماعيل تبعد عن دوله المماليك ألوف الكيلومترات، و لا- مساس لها بسلطه المماليك، و لا أثر لها على دولتهم، فان كلمه (الخارجي) هنا إنما يعنى بها: الخارج على الإسلام!..

على أن الذى يحيرنا هو قول الكاتب بان (النائب) عاد إلى دمشق بعد غياب حوالى شهر فقط. و سبب الحيره هو ان الكاتب لم يوضح لنا عما إذا كان النائب قد عاد وحده و ترك التجريده فى حلب، أم عاد مع التجريده؟! و سواء عاد وحده أم عاد مع التجريده فان حربا لم تقع بين دوله المماليك و دوله الصفويين. بل إن الذى حدث هو شىء يناقض فكره الحرب كل المناقضه، و يكون له على القارئ وقع المفاجاه المذهله. إذ بعد مضى حوالى شهرين على عوده النائب من حلب يطلع علينا صاحب (الاعلام) بالنيا التالى:

"يوم السبت سابع عشر شوال دخل من مصر إلى دمشق قصاد الخارجى إسماعيل الصوفى، و تلقاهم النائب و أرباب الوظائف، و هم نحو الخمسين نفرا، و المتعين فيهم اثنان، و جميعهم بعائم بيض بوسطها طنابير حمر بارزه طويله نحو الذراع".

و فى هذه المره عاد إلى تسميه الشاه إسماعيل باسمه الصحيح و ترك اسم حيدر، و إن ظل يصر على وصفه بالخارجى.

و إذا كان صاحب (الاعلام) لم يوضح لنا ما ذا كانت مهمه هذا الوفد الصفوى فى مصر، فلسنا بحاجة إلى توضيحه بعد أن عرفنا أن الحرب لم تقع بين إسماعيل و بين قانصوه الغورى، و عرفنا ان الأمر بينهما قد عاد إلى تحالف و ثيق كانت له نتائج الخطيره.

و نستطيع أن نتصور الأمر على هذا الشكل:

بعد أن عرف الشاه إسماعيل بان دوله المماليك تعد لحربه، بعد أن كان قد عرف إعداد دوله العثمانيين لهذه الحرب، و هو مدرك ان لا مصالح مهده للعثمانيين تحملهم على هذه الحرب، و لا مصلحه كذلك للمماليك تحملهم عليها، و كل ما فى الأمر ان المدافع هو دافع مذهبى بحث لا يمت إلى المصالح الحقيقه بصله، و وازن بين إقناع العثمانيين بالعدول عن هذه الحرب و بين إقناع المماليك، فترجح لديه بان الأسهل هو إقناع المماليك و سلطانهم قانصوه الغورى، فأرسل إليه وفدا رفيعا مؤلفا من نحو خمسين شخصا كان البارز بينهم اثنان ففاوضه الوفد و بين له ان لا مطامع لإسماعيل فى بلاده، و انه لا يمكن أن يخشى شيئا من قيام الدوله الصفويه، و ان الاعتبارات المذهبيه لا يجوز أن تكون هى الفيصل فى مثل هذه المواقف المصيريه، و إن الطرفين: الصفوى و المماليكى يمكن أن ينتظرها خطرا).

ص: ٤١

١- المصطبه أو مصطبه السلطان: كانت دوله المماليك تعنى بالأمور الشكليه أو الأمور الظاهره مما يزيد فى هيبتها و يجعل العامه تؤمن بعظمه الدوله و كبريائها، و لذلك اتخذت أساليب العرض و المواكب العسكريه، فأقامت قبيل مدينه دمشق فى قريه (القوم) قبه تدعى قبه النصر و قبه يلغا. و كانت هذه المنطقه أعظم مدخل لدمشق فهى طرق بيت الله الحرام (بوابه الله) و طريق فلسطين و الأردن و حوران و طريق عاصمه المملكه (القاهره). و الطريق الآخر هو طريق رحبه مالك بن طوق و الجزيره الفراتيه

و طريق حمص و حماه و حلب و ما إلى ذلك، و اتخذت على هذا الطريق مصطبه تدعى مصطبه السلطان. و هى مصطبه عظيمه كانت فى سهل القابون بين القابون و برزه، كان الملووك و النواب و العظماء من القواد ينزلون فيها إذا قدموا من جهه حلب، ثم تخرج جيوش دمشق لملاقاتهم بها و يدخلون دمشق بموكب حافل. و كذلك شأنهم إذا أرادوا السفر إلى حلب و جهاتها. و يقول البدرى المتوفى سنه ٨٩٤ إنها قدر فدان يصعد إليها فى نيف و عشرين درجه من جهاتها الأربع، و فيها قصر حسن البناء ينزل به الملووك و السلاطين عند توجههم إلى الأسفار انتهى. و بقى شىء من آثارها إلى سنه ١٣٥٠ و قد شاهدها محقق كتاب (اعلام الورى) محمد أحمد دهمان الذى هو مصدرنا فى هذا الموضوع - شاهدها و هى تعلو عن الأرض نحو متر و قد أخذ الفلاحون فى هدمها و تسويتها بالأرض و أصبحت اليوم أرضا زراعيه. هذا و إن كلمه (النائب) هنا تعنى الوالى.

٢- راجع أقوال النهروالى فى المجلد الثانى من (المستدركات).

حقيقى واحد هو الخطر العثمانى. فاقنتع قانصوه الغورى بهذا المنطق و وقف الاعداد للحرب، بل وافق على ان يساند الشاه إسماعيل إذا تعرض للخطر العثمانى، و هو ما حصل بعد ذلك.

و هكذا استقبل الوفد الصفوى العائد من مصر فى دمشق استقبالا حكوميا و ديا فتلقيه النائب و أرباب الوظائف على حد تعبير صاحب كتاب (إعلام الورى) مرحبين به. و إذا كان الاستقبال الحكومى و ديا فان استقبال ابن طولون لم يكن كذلك فقد ظل يصير على إطلاق وصف (الخارجى) على الشاه إسماعيل.

و فى هذا الذى ذكره صاحب (الاعلام) شىء آخر مهم جدا لم يكن معروفا بين من يؤرخون لتلك الأيام و هو إرسال وفد صفوى بهذا العدد و هذا المستوى ليتولى المفاوضات السلميه بين الطرفين. و كل ما كان يذكر فى هذا الموضوع هو ان مراسلات كانت تدور، و كان يذكر ذلك بصوره مبهمه غامضه.

و قد تجلت الآن الأمور على هذا الوجه الواضح الذى أعلنه ابن طولون فيما أنبانا به فى يومياته الدمشقيه.

و هنا لا بد لنا من التساؤل عن الطريق الذى سلكه الوفد الصفوى فى ذهابه من إيران إلى مصر. أما عن طريق العوده فقد عرفنا من يوميات (الاعلام) انه كان مرورا ببلاد الشام و وصولا إلى دمشق و منها بالطبع إلى العراق فإيران.

و مروره ببلاد الشام كان لأنها أصبحت بلادا غير معاديه، فمر بها مرورا علينا مرحبا به و مستقبلا استقبالا فيه كل الود.

و حين نتساءل عن طريق الذهاب، فإنه لا يكون أمامنا واضحا إلا طريق المرحله الأولى، و هو طريق العراق مرورا ببغداد، و هو الطريق الطبيعى المستقيم لمن يود الوصول إلى مصر على مراحل متباعده.

و العراق كان يوم ذاك بحكم أحوال الشاه إسماعيل ملوك القطيع الأبيض (آق قويونلو)، و هم و إن كانوا يخالفونه فى المذهب، فلم يكونوا فى ذلك الوقت فى عدااء معه، لذلك فان وفده حين يمر فى العراق يمر فى بلاد غير معاديه مما يسهل مهمته.

و يبقى أمامنا طريق ما بعد العراق. و الطبيعى فى هذه الحاله أن يكون طريق بلاد الشام، و لكن بلاد الشام كانت معاديه كما رأينا، مثلها مثل بلاد العثمانيين، فكيف تسنى للوفد الصفوى الوصول إلى مصر و هو بهذه الكثره العديده الواضحه؟ ذلك ما لم يشر إليه ابن طولون، لأن الإشاره إليه ليست من مهمه يومياته المنصبه فى الأصل على التاريخ لولاه دمشق. و من الطبيعى أن لا أحد غيره قد أشار إلى ذلك.

و مما يلفت النظر و يشير إلى أن مفاوضات قد جرت بين قانصوه الغورى و بين السلطان سليم بعد معركة جالديران و انتصار سليم على الشاه عباس على ما ذكره ابن طولون و هو يذكر أحداث شهر ربيع الأول سنة ٩٢٠ حيث قال:

" و حضر القاصد الذى كان أرسله قانصوه الغورى إلى سلطان الروم المظفر سليم خان بن عثمان و عاد و جماعته "

و فى ذلك ما يجعلنا نستنتج ان الغورى قد أرسل وفدا إلى السلطان سليم لتنهته بالنصر و محاوله إزاله ما كان قد علق بنفسه من

النقمه على الغوري لما عرفه السلطان سليم من معاونات ذات أثر فعال قدمها الغوري للشاه إسماعيل كان أعظمها قطعه طرق موصلات الجيش العثماني بحيث حرمه من تلقى ما كان ينتظره من وصول قوافل المؤن إلى تبريز مما منع السلطان سليم من قطف ثمره نصره الحاسم واضطره للجلاء عن تبريز و عدم مطارده الشاه إسماعيل المنهزم و القضاء على دولته قضاء نهائيا، و هذا ما كان يهدف إليه السلطان سليم من زحفه على معاقل الشاه إسماعيل.

و هكذا عاد نصر جالديران و كأنه لم يكن و استطاع إسماعيل ترميم جيشه و استعادته قوته و السير قدما في تأسيس الدوله الشيعيه القويه.

و نحن لا ندرى شيئا من تفاصيل ما جرى للوفد المماليكي في العاصمه العثمانيه، و لا عما قوبل به هناك، و لا عن المعامله التي عومل بها.

و إن كنا نعلم علم اليقين بأنه فشل في مهمته...

و ابن طولون الذي يعيش في الحكم المماليكي، و تحت سياده الغوري، لا يخفى اعترازه بالنصر العثماني حيث يذكر في إيراد الخبر العبارة الآتيه: (سلطان الروم المظفر).

و قد كان بين النصر العثماني في جالديران و بين وصول وفد الغوري إلى دمشق عائدا من مقابله السلطان سليم: شهران، فمعركة جالديران كانت في ٢٢ المحرم سنه ٩٢٠ (١٩ آذار سنه ١٥١٤ م)، و وصول الوفد إلى دمشق كان في ١٧ ربيع الأول سنه ٩٢٠.

و يتابع ابن طولون سرد يومياته واصلا إلى ١٧ رجب سنه ٩٢٠ فيقول:

شاع أن قاصد الملك سليم خان بن عثمان ملك الروم وصل إلى دمشق و أخبر بان استاذته انتصر على الخارجي إسماعيل بن حيدر الصوفي و قتل من عسكره أكثر مما قتل من عسكر ملك الروم بكثير و إنه ملك (توريز) العجم ففرح الناس بذلك".

و في هذا يتبين لنا ان السلطان سليم أراد أن ينشر خبر انتصاره لا في بلاده وحدها بل في البلاد المجاوره لبلاده، فأوفد الرسل تحمل الخبر من بلد إلى بلد فوصل (قاصده) إلى دمشق بعد مرور ستة أشهر على معركة جالديران.

و نحسب ان هذا التأخير ناجم عن ان الرسول لم يقصد دمشق رأسا، بل إن مهمته كانت تقتضى التنقل من مدينه إلى مدينه مما أعاق وصوله إلى دمشق، فلم يصلها إلا بعد ستة أشهر.

و قد صور لنا ابن طولون حقيقه شعور الناس تجاه النصر العثماني و الهزيمه الصفويه بقوله: " ففرح الناس بذلك".

و إذا كان ابن طولون قد وصف الشاه إسماعيل بصفه الخارجي و هو لا يزال منتصرا، فمن الطبيعي أن يعود فيصفه بهذه الصفه و هو يذيع خبر هزيمته. و كما قلنا من قبل عن معلومات ابن طولون الجغرافيه، أنها واهيه، نقول الآن، فهو يصحف اسم تبريز إلى (توريز).

**السيد إسماعيل بن كاظم بن مير محمد مقيم الحسيني الرامسري التنكابي:**



ولد في ١٢٣٢ أو ١٢٣٣ في رامسر توفي بعد ١٣٠٦ في رامسر. تعلم في رامسر القراءه و الكتابه و المقدمات ثم أخذ الفقه و الأصول و الفلسفه عن السيد محمد هاشم الحسيني ثم ذهب إلى قزوين فتابع فيها الدراسه، و بعد ذلك هاجر إلى العراق فحضر في كربلاء عند السيد إبراهيم صاحب الضوابط و في حدود سنه ١٢٦٠ ذهب إلى النجف الأشرف فحضر بحث الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر و الشيخ مرتضى الأنصاري و الشيخ محمد حسين الكاظمي و الشيخ علي كاشف الغطاء و الشيخ حسن كاشف الغطاء.

و في حدود سنه ١٢٧٠ رجع إلى موطنه رامسر مشغلا [مشتغلا] بالتدريس و التأليف و قضاء حوائج الناس إلى أن توفي بها و خلف ولده السيد محمد كاظم و من

ص: ٤٢

١ - باب الأبواب - ٢ - نضره الناظرين و نزهه الباصرين - ذكره شيخنا الطهراني في الذريعة ١٢٩/٢٤ بعنوان نزهه الناظرين. (١)

### أم كلثوم بنت الشيخ كريم الروغنى القزوينى.

عالمه فاضله فقيهه محدثه من ربات التقى و الصلاح ولدت حدود سنه ١٢٤٣ هـ فى كربلاء و توفيت حدود سنه ١٣٢٠ هـ أخذت العلم على جملة من العلماء فى القسم النسائى من المدرسه الصالحيه بقزوين و حضرت الفقه و الأصول على الشيخ محمد صالح البرغانى و شقيقه الشهيد و أبيها الشيخ آغا كريم الروغنى الذى كان من المدرسين فى مدرسه الصالحيه و هاجرت إلى كربلاء و النجف و حضرت على جملة من أكابر علمائها و لما بلغت سن الرشد زفوها للشيخ إبراهيم بن إسحاق الزنجانى فرزقت منه أربعة أولاد كلهم من أهل العلم و الفضل و هم الشيخ يوسف و الشيخ إسحاق و الشيخ مصطفى و الشيخ عبد الكريم. و ذكرها صاحب تاريخ زنجان. (٢)

### أم كلثوم

بنت الفيلسوف الشهير صدر المتألهين محمد بن إبراهيم بن يحيى

المعروف بملا صدرا

ولدت فى ليله الأحد ١٨ شهر رمضان سنه ١٠١٩ هـ و توفيت حدود سنه ١٠٩٠ هـ.

أخذت العلم و الفلسفه عن والدها ملا صدرا المتوفى سنه ١٠٥٠ هـ و فى حدود سنه ١٠٣٤ هـ زفوها إلى عبد الرزاق بن على اللاهيجى القمى المشهور بالفياض المتوفى سنه ١٠٥١ هـ ثم قرأت على زوجها المذكور حتى برعت فى كثير من العلوم، يحكى إنها كانت تجالس العلماء و تبحث معهم بفصاحه و بلاغه، و هى والده الميرزا حسن المعروف بالكاشفى المتوفى سنه ١١٢١ هـ صاحب كتاب شمع اليقين و كتاب زواهر الحكم الموجودين عندنا فى نسختين من خطها و نسخه بخط المؤلف ذكرها السيد شهاب الدين المرعشى النجفى فى مقدمه كتاب (معادن الحكمة) بما يلى (الفاضله الأديبه الزاهده أم كلثوم بنت صدر المتألهين زوجه العلامة الفيلسوف المتأله المتكلم المولى عبد الرزاق بن على بن الحسين اللاهيجى القمى المشتهر بالفياض صاحب كتابى "الشوارق و كوه مراد" المتوفى سنه ١٠٥١ هـ و هى أم العلامة الزاهد الحاج الميرزا حسن المعروف بالكاشفى صاحب كتاب شمع اليقين فى معرفه الحق و اليقين المتوفى سنه ١١٢١ المدفون فى خارج صحن السيده الجليلة فاطمه المعصومه بنت الامام أبى إبراهيم موسى بن جعفر روى لها الفداء فى حاشيه الشارع العام و قد وفقنى الله سبحانه بتعمير قبره الشريف بعد الاندراس تعظيما للشعائر الدينيه و إحياء لذكر علمائنا الأبرار و رأيت فى مجموعه المواليد للمترجم لها أن أم كلثوم هذه ولدت ليله الأحد ١٨ شهر رمضان سنه ١٠١٩ ق) (٣)

### الشيخ آغا التفات القزوينى:

توفى بعد سنه ١٠٩٥.

كان من أكابر علماء الشيعة في العصر الصفوي و فحول فقهاء الاماميه في القرن الحادى عشر المنسبين قرأ المقدمات و السطوح على جماعه من أفاضل قزوين ثم تخرج فى الفقه و الأصول و الحديث على الشيخ محمد كاظم الطالقانى المتوفى سنه ١٠٩٤ هـ و أجز منه و له آثار و مآثر خالده فى قزوين حتى اليوم منها (المدرسه الالتفاتيه) و هى مدرسه دينيه ضخمه واقع فى الشارع الرئيسى قرب ساحه السعاده أمام السوق الكبير فى وسط مدينه قزوين و لا تزال تعرف باسمه حتى اليوم و هى من المدارس المعموره فى العصر الحاضر و حافله بطلاب العلوم الدينيه و قد قام بتعميرها أخيرا السيد الخوئى و فيها مكتبه تحتوى على مجموعه من نفائس المخطوطات و نوادر المطبوعات، و قد قامت بإنجاز هذا المشروع العالمه الفاضله العارفه السيده الأميره زينت بيگم بنت الشاه طهماسب الصفوى و يستفاد من الوقفيه الموجوده عندنا انه كان إتمام بناء هذه المدرسه فى حدود سنه ١٠٦٨ هـ و كان المترجم له من المدرسين فى مدرسته المذكوره و تخرج عليه جماعه من العلماء و الفضلاء و له مؤلفات منها تمام الفقه من الطهاره إلى الديات فى ثلاثه أجزاء كبيره.

و مما يجدر ذكره هنا ان ما ذكره السيد محمد على كلريز فى كتابه (مينودر) صحيفه [صفحه] ٥٦١ قائلًا- (... إن بناء هذه المدرسه فى عصر سلاطين المغول و قام بتأسيسها أحد أمرائهم باسم (الخواجه الالتفات) و عرفت باسمه حتى اليوم..) غير صحيح. و لم أعلم من أين نقل هذه الأقوال لأنه لم يشر إلى أى مصدر كما ان كلامه لا يتفق مع نص الوقفيه الموجوده عندنا فما ذكره خطأ محض و ليس له نصيب من الصحه جزما و قد أجمع علماء الآثار ان هذه المدرسه من الآثار الصفويه و يظهر ان صاحب مينودر كتب من تلقاء نفسه و تصوره الشخصى دون تحقيق و لم أجد للمترجم له أى ذكر فى كتب التراجم و السير إلا انه فى أعيان الشيعه أشار إلى مدرسته المذكوره فى غير واحد من مجلدات أعيان الشيعه منها فى ترجمه المولى الشيخ محمد باقر بن الغازى القزوينى أخى ملا- خليل القزوينى قال: (... عالم فاضل متكلم جليل كان مدرسا فى المدرسه الالتفاتيه بقزوين...)(٤).

## أم نزار الملائكه:

شاعره عراقيه اشتهرت بكنيتها ولدت سنه ١٩٠٨ م و توفيت سنه ١٩٥٣ م فى لندن أثر عمليه جراحيه و دفنت فى العراق. و هى والده الشاعر نازك الملائكه، و لها شعر كثير و لكننا لم نقع لها إلا على هذه القصيده التى نظمتها سنه ١٩٤٨ م أثناء دخول الجيوش العربيه إلى فلسطين:

شددى العنف على الباغين إذلالا و قهرا شددى الضيق على الطاغين زيدي القيد عسرا

لا تلينى لأفاع أمعنت لدغا و غدرا لا ترقى للمضلين و إن جاءوك أسرى

دمريهم حطمي طغيانهم حتى يخرا أرهقيهم أبدلى أحلامهم يأسا و خسرا

جرعهم اكؤسا من بغيهم تطفح مرا امنحيهم من فلسطين عناء مستمرا

أمه البأس أعيدي ربوات البأس حمرا أطبقى الكفين هدى الرجس تقتيلا و دحرا

لا ترقى لصهايين عتوا فى القدس شرا أبعدى الرأفة عند أفئده تطفح طهرا

ليس للرأفة بعد الآن أن تعقب خيرا قتليهم فالأذلاء يرون اللين خسرا

أظهرى الحق على الباطل تيانا و زجرا ليس ما تأتين إلا النبل و العدل الأغرا

ص: ٤٣

---

١- الشيخ محمد السمامى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

اذكري الأهوال تنهال على الساحات سكري اذكري الأطفال تساقط ارهابا و ذعرا

اسالى القدس ينبئك بما كان و مرا اساليه مسجدا مسترها يشكو و ديرا

اسالى الغمه و الليل الدجى المكفها اسألى الأشلاء فالأشلاء بالقصه أدرى

كيف مر الدهر بالقدس و كيف ارتد نكرا كيف رفت ومضات النور بالساحه حيرى

عاصف سوف يعم السوح تصخبا و ذعرا عاصف سوف يحيل الكون - أما اهتيج - قفرا

أى فلسطين ألا فلينشبو نابا و ظفرا و ليمدوا شرك الطغيان طيا ثم نشرا

و ليمنوا طغمه الشذاذ فى القدس مقرا ليس من شان دماء العرب أن تذهب هدرا

لن تكونى، كعبه الأسراء للعادين و كرا لن تصيرى للمغيرين على الأمجاد جسرا

أنت سجلت على غره بأس العرب سفرا أنت وطدت على الأمجاد حصنا مشمخرا

أنت أنت النصر و العزه أنت النيل طرا فليصموا مسمع الدنيا تفاهات و هجرا

من أباح الغاب للأغراب كى يهديه حكرا؟ من دعا الغربى أن يلعب فى الصحراء دورا

أيها الغرب دع الغدر فقد حملت أمرا خذ طريق الحق و أجنح للهدى و استدن غفرا

كيف خنت القدس فاستهدفته صدرا و نحرا كيف أغريت على سكب الدم الطاهر غدرا؟

هذه الدار لها أهل أرادوا العيش نضرا هذه السوح فراديس سمت عزا و طهرا

هذه الجنات كانت للهدى مغدى و مسرى كيف تنصاع إلى صهيون أو توليه أمرا

عالم الظلم استفق فالشرق يستوفز و ترا طال ليل العبث و اجتشت فروع الصبر قسرا

لم نعد نقوى على الطغيان تضليلا و سترا سوف نزجها لظى حمراء تصلى الغرب سعرا

كان ما قد فات من حلم سما بالعرب فخرا إنه الظلم يحيل القلب مهما لان صخرا

إنها الغمره تجتاح النهى ترديه سكرأ أى فلسطين و إن عانيت ارهاقا و جورا

إنها خاتمه آلام أشجاها ممرا للملمى الأشلاء و لتضفى على الغمه سترا

و لتجلى الطرف فى البيد ترى فى البيد أمراها هى الساحات أفواج توالى أثر أخرى

ها هى الأبطال قد ضجت إلى الهيجاء حرى فلتعديها فلسطين ليوم النصر ذخرا

ساحه الأسراء لن تلقى بك الفتنة بحرا لا تسائى لن يكون الهدى للشرك مقرا

أحمد منقذك الاسمى سيولى العرب نصرا فيك من أنوار عيسى ما يحيل الليل فجرا

و على آفاقك الزهر سنا النصر استقرا فاملئى الأكواب أضعافا و ردى السهم عشرا

و امنحى هذه الصهايين بقعر البحر قبرا أوردتها مورد الهلكه أو ترد حسرى

ادفنيها فى هوى الذل و ساءت مستقرا اقدفيها فى جحيم تحشر الغاوين حشرا

### الأميره أوراق سلطان بيگم:

بنت الأمير إسكندر بن قرا يوسف بن قرا محمد بن بيرام خواجه التركمانى

آل قراقوينلو

. كانت أديبه فاضله شاعره ذات عقل و رأى و حكمه كانت حيه فى سنه ٨٤٢ هـ.

ولدت و ترعرعت فى بلاط أبيها و هى من أسره آل قراقوينلو بطن من قبيله التركمان كان جدھا قرا محمد من مؤسسى اتحاديه

قبائل التركمان (دولت الخروف الأسود) و أبوها من أمراء طائفه قراقوينلو المقتول فى سنه ٨٤٢ هـ.

و كان منقوشا على خاتمها:

بود از جان محب آل حيدر أوراق سلطان بنت شه اسكندر

ذكر أختها الأميره آرايش بيگم فى أعيان الشيعه و لم يذكر أختها المترجم لها و وصف أختها (الأميره آرايش بيگم ابنه الأمير

إسكندر بن قرا يوسف بن قرا محمد بن بيرام خواجه التركمانى. كان أبوها من أمراء طائفه قراقوينلو التركمانيه و قتل سنه ٨٤١ هـ

أما هى و قد استدلت صاحب مجالس المؤمنين على تشيعها و تشيع عشيرتها بشعر كان منقوشا على خاتمها و هو:

در مشغله دنيا در معركة محشر از آل على گوید آرايش إسكندر

(١)

### الحاج باقر اللاهيجى:

ولد فى لاهيجان و نشا بها و بعد أن تعلم القراءه و الكتابه انصرف إلى التجاره و اشتهر بذلك ثم أنصرف عن التجاره و سلك طريق العباده و التنسك و له نظم راق فى رثاء الحسين و قصائده معروفه ب (هفت بند) تقرأ فى لاهيجان و نواحيها فى مجالس التعزیه الحسينيه توفى بلاهيجان و دفن فى داره الواقع بقرب من مسجد (جهار بادشاه). (٢)

ص: ٤٤

---

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الشيخ محمد السامى.

## الشيخ باقر نجل الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر:

توفى سنة ١٣١٧ كان أحد علماء وفضلاء هذا البيت و هو والد الشيخ على الجواهرى الشهير.

رثاه السيد محمد حسين الكيشوان بقصيده يمدح بها نجله الشيخ على:

هذا على الصادق الأقوال و الأفعال و الأخبار و الآثار

من معشر بيض الوجوه أماجد شم المعاطس فتيه أحرار

(١)

## پروين اعتصامی

(٢) الشاعره المثاليه ابنه يوسف اعتصامى الملقب ب (اعتصام الملك) الأشتياني و الكاتب الايراني [المتوفى ١٣٥٦ هـ] ولدت بمدينه تبريز سنه ١٩٠٦ م. و كان أبوها من الكتاب الأدباء و من فضلاء عصره و نشأت پروين و ترعرعت فى أسرہ كريمه، و كانت تميل منذ طفولتها إلى الأدب و الشعر الفارسى و العربى، و تتلمذت فى تعلم هاتين اللغتين على يد أساتذہ خصوصيين فى دار أبيها، ثم درست اللغه الإنجليزیه فى مدرسه البنات الأمريكیه فى طهران، و تقدمت فى تعلمها تقدما سريعا محسوسا، و بعد إكمالها للدراسه اشتغلت فى هذه المدرسه كعلمه تدرس الأدب، و كانت بطبعها و هى فى التاسعه من عمرها تميل إلى قول الشعر و إنشاده، و كانت تجمع القطع الشعريه التى تنظمها و قد نشرت أشعارها و هى فى ربيع عمرها، و تتصف الشاعره بحلاوه الحديث و صباحه المنظر و صفاء النفس و لم تنزع إلى ريبه و لم تنزلق إلى ماثمه و كانت من ألمع الشاعرات فى عصرها. و من أمعن النظر باحثا مدققا يجد من خلال شعرها الرقيق إنسانه مرهفه الشعور، نيره القلب، تحمل بين جنبيها قلبا رقيقا عاطفيا حساسا تثيره أدق الشجون، إن أبواب الشعر التى تطرقت إليها الشاعره كانت لها أهميه خاصه كبرى، و لم تظهر امرأه فى تاريخ الشعر و الأدب الفارسيين أعظم منها، كانت ذات علم وافر و أشعارها مترنه، تفصح فيها عن أحاسيس المحرومين و آمالهم، و ديوانها مجموعہ رقيقه عاطفيه من الشعر تصور لنا فيه شتى الحالات النفسيه.

كانت الشاعره مع أبيها (يوسف اعتصامى) فى أكثر أسفاره داخل إيران و خارجها، و كانت ارتباطاتها العلميه و الأدبيه بالفضلاء و الشعراء الايرانيين و غيرهم فى هذه الأسفار تزيدها غناء فى الأدب و الثقافه.

تزوجت پروين من ابن عمها سنه ١٣٥٣ هـ و بعد أربعه أشهر انتقلت إلى دار بعلها فى كرمانشاه لكن الزواج هذا لم يكن متناسبا و لم يدم أكثر من عدہ أشهر رجعت بعدها إلى دار أبيها (سنه ١٣٥٤ هـ) ثم انفصمت عرى الزوجيه بعد تسعه أشهر تقريبا. و لقد تقبلت الشاعره هذه النتيجة ببروده فائقه و لم تشك بثها فى شعرها إلا فى ثلاثه أبيات و هى:

أى گل، تو ز جمعیت گلزار چه دیدی جز سرزنش و بدسرى خار چه دیدی

أى لعل دل افروز، تو با این همه پرتو جز مشتری سفله بازار چه دیدی



رفتى بچمن، ليك قفس گشت نصيبت غير از قفس، اى مرغ گرفتار چه ديدى

و ترجمتها:

"أيتها الوردہ! ما كان حاصلک فى الروضه غير الشوک! أيتها الدرہ! لم یکن لک مشتر سوى سفله السوق.

ثم سرت إلى الحدیقه فإذا الحدیقه سجن.

و أنت حمامه فى القفص!"

طبعت ديوانها بعد الطلاق سنة ۱۳۵۴ هـ ثم طبع بعد ذلك خمس مرات، و فى سنة ۱۳۵۵ هـ أرسلت وزاره المعارف المداليه الثقافيه من الدرجه الثالثه للشاعره و لكنها لم تقبلها، و فى سنة ۱۳۶۰ هـ توفيت پروينبهران بمرض دام ثلاثه عشر يوما فقط و كان عمرها إذ ذاك خمسہ و ثلاثين عاما و دفنت إلى جوار قبر أبيها فى مدينه قم

آثارها

طبع لها غير الديوان: كلى جند از ديوان پروين اعتصامى، و طبعت مجموعه مقالات حول پروين تكريما لها بعد وفاتها. (۳)

قال السيد محمد جمال الهاشمى فى رثائها من قصيده:

رفرفى فى الخلود بين طيوره و أشربى من ندى الجمال و نوره

حرت فى فكرك الخصب و ما جاء به للعقول فى تصويره

امعانى الحياه و هى محيط غرق الكون ظامنا فى نميره

كيف صورت كنهها بنشيد ساحر فى أوزانه و بحوره

زهرة الفرس ليت شعرى أ ييكى روض إيران ازكى زهوره

قد تمشى الذبول فيك و أيار طرى فى حسنه و عبيره

و صحونا على نعيك نستمطر أجفانا بشؤم نذيره

فوداعا قيثاره الشعر فالأنغام تبقى فى الدهر طى عصوره

**المولى بهرام الطالقانى التنكابنى:**

توفى حدود ۱۳۳۰ و ولد فى طالقان و نشا بها ثم أخذ يتعلم القراءه و الكتابه و بعد ذلك انصرف إلى تعلم العلوم الدينيه فدرس

فى قروين و طهران. ثم هاجر إلى تنكابن و سكن بها و انصرف إلى الوعظ و الخطابه و اشتهر بذلك.

و كان عابدا زاهدا ناسكا ورعا جامعا للفضائل.(٤)

### الشيخ جابر الكعبى:

هو الشيخ جابر بن عبد الله بن عيسى بن غيث بن غضبان بن سلمان من شيوخ اماره كعب العرييه.

انتهت إليه رئاستها و هو فى ريعان الشباب و استطاع بفضل حنكته و دهائه أن يصبح سيدا مطاعا من قبل طوائف اماره كعب،  
بتمكنه من توحيدها و لم شملها بعد تشتتها إلى العراق و الكويت فقد تم له السيطرة عليهم و قتل من قتل منها بفعل الشيخ خزعل  
لقد سجل التاريخ للشيخ خزعل بأنه كعبى و المتيقن انه ليس من بيت آل بو ناصر الذى تولى زعامه كعب أبا عن جد و الذى  
ترضى به رئيسا عليها جميع طوائف كعب. ففى زمن الشيخ لفته بن مبادر (المتوفى ١٢٥٧ هـ) الذى كان يتولى زعامه إماره كعب  
كان الحاج جابر جد الشيخ خزعل منصوبا على منطقه الفيليه التابعه لمدينه المحمره من قبل الشيخ لفته الذى كان يسكن فى  
الفلاحيه مركز مدينه الدورق و كان الحاج جابر المذكور يجبى محاصيل الفيليه من التمور و غيرها و يرسل عائداتها إلى الشيخ  
لفته.

ثم إن الحاج جابر جد الشيخ خزعل كان على ما يبدو شخصا ذكيا انتهازيا إذ استغل الضعف الطارئ فى آل بو ناصر اثر مقتل  
الشيخ لفته على يد صهره و ابن عمه الشيخ جعفر بن فارس. و يقال فى سبب قتله ان الشيخ

ص: ٤٥

١- الشيخ محمد السمامى.

٢- پروين بالباء الفارسيه التى تلفظ كحرف P اللاتينى.

٣- الشيخ أبو ذر بيدار.

٤- الشيخ محمد السمامى.

لفته كان جبارا ظالما فى منتهى الجور فاتفق رؤساء طوائف كعب على قتله و التلخص منه فتامروا بواسطه الشيخ جعفر و وعدوه بالزعامة و الرئاسة عليهم فقبل الشيخ جعفر و نفذ المؤامره بمساعده زوجته بنت الشيخ لفته فقتل الشيخ لفته هو و ابنه الشيخ بشير الحاكم فى منطقه الجراحى فى ليله واحده. و بعد نجاح المؤامره ترأس الشيخ جعفر إماره كعب و لكن لفته قصيره إذ سرعان ما وقع الخلاف فى بيت آل بو ناصر و اشتغلوا بأنفسهم بعد ما خلعوا الشيخ جعفر. فاستغل الحاج جابر جد الشيخ خزعل هذا الضعف على بعد من أعين آل بو ناصر فجمع حوله أفرادا و شكل له شبه حكومه بما كان يصدق على جماعته من الأموال الطائله التى حصل عليها من بعض البواخر الإنجليزیه التى أصيب أفرادها بمرض الطاعون فقويت شوكته و اشتد عوده حتى صار ملجا لكل هارب و ساخط على بيت آل بو ناصر فأعلن نفسه شيخا و بقى على تلك الحاله حتى وفاته ثم انتقلت الرئاسة إلى ابنه مزعل ثم إلى أخيه خزعل بعد أن قتل مزعلا.

و فى هذه الفتره اتفق زعماء كعب على زعامه الشيخ عبد الله أبى الشيخ جابر المترجم له و لكنه كان ورعا فتحاشى الزعامه العشائريه لما تصحبه غالبا من الخروج على القوانين الإسلاميه و العمل بالظلم و الجور فبعد حمسه [خمسه] أشهر من الرئاسة تنازل عنها و انتقل إلى مدينه المحمره بعد أن ودع الفلاحيه مركز إماره كعب القوى حتى وافاه أجله فتوفى فى المحمره و نقل جثمانه إلى مدينه النجف الأشرف فخلفه الشيخ جابر المترجم له و هو فى سن الشباب و كان معاصرا للشيخ خزعل الذى كان يتولى إماره المحمره و نواحيها و تمكن من السيطرة حتى على مركز كعب و هو الفلاحيه بل على كافه الدورق و نواحيها.

كان الشيخ خزعل يعلم بأنه لو برزت شخصيه قويه ذات نفوذ فى بيت آل بو ناصر فسوف يكون مهددا فى زعامته و رئاسته و لذا حاول أن يبيد زعماء كعب حتى وصل الدور إلى الشيخ جابر و هو ذو مطامع و ذو همه عاليه و لذا استغله الإنجليز للضغط على الشيخ خزعل و تخويفه فدعا الإنجليز الشيخ جابر إلى العراق و لوحوا به للشيخ خزعل فرضخ لمطالبيهم بالنفط و تنازل لهم عن النصف فلما تم لهم ما أرادوا تخلوا عن الشيخ جابر فبقى الشيخ جابر مده فى العراق ثم عاد إلى المحمره و لم يصغ إلى من حذروه من الرجوع خوف البطش به من قبل الشيخ خزعل. فصار الشيخ خزعل يتحين الفرص للغدر به حتى واته الفرصه فى حفل زواج ابنه عبد الحميد الحاكم على مدينه الأهواز ففى حفله الزواج دس سما موضوعا فى (كوب) القهوة إلى الشيخ جابر فلما أحس الشيخ جابر بالسلم خرج فورا من الحفله و دعا طبيبا إنجليزيا كان يقوم بمهنه الطبابه بالاضافه إلى عمله الرسمى كقنصل بريطانى فى مدينه المحمره فعالجه الطبيب المذكور المدعو (لين كن) فتمكن من إنقاذ حياته و لكنه أصيب بشلل فى نصف بدنه و بقى مقعدا إلى آخر حياته. و لقد حالف الحظ جابر إذ أبعدت السلطه الإيرانيه الشيخ خزعل إلى طهران محجوزا [محجوزا] عليه و مفروضا عليه الإقامة الجبريه فى العاصمه الإيرانيه. فتألق نجم الشيخ جابر خصوصا بعد ما منحتة الحكومه الإيرانيه أوسمه و أحكاما مؤكده بذلك زعامته على كافه طوائف كعب فأصبح الشيخ جابر زعيما بلا منازع فى المنطقه و رئيسا مقتدرا فدعا قبائل كعب المشتتين فى العراق و الكويت و سائر أنحاء البلاد الإيرانيه فارجع عشيره (النصار) من الكويت و أسكنهم محلهم السابق فى منطقه (القصبه) و كذلك فعل بالنسبه إلى عشيره دريس (مخفف إدريس) حيث كانوا فى العراق فأسكنهم منطقه عبادان و بذلك فقد التام شمل عشائر كعب فى عبادان و المحمره و القصبه و الدورق و نواحيها و أصبح الشيخ جابر سيدا مطاعا نافذ الكلمه و مسموع القول هذا بالاضافه إلى صفاته الحميده من كرم و سخاء نفس و علو همه مع تواضع جم و كانت له صلوات و وثيقه مع العلماء سواء فى منطقته كالسيد عدنان الغريفى أو فى النجف الأشرف كالشيخ محمد رضا آل ياسين و السيد أبى الحسن الأصفهاني و الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء.

توفى الشيخ جابر فى يوم الأربعاء ٢١ من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٧٣ عن عمر ناهز السبعين فشيح تشيعا شعبيا و رسميا ثم نقل جثمانه إلى النجف الأشرف فدفن فى احدى غرف باب الطوسى من الصحن الحيدرى الشريف و قد خلف ثلاثة أولاد ذكور و هم: عبد الرزاق و بهادر و عباس و انتقلت رئاسه كعب من بعده إلى ابنه عبد الرزاق ثم إلى عبد الرحمن بن بهادر.

و قد رثى المترجم له جملة من الشعراء منهم الخطيب الملا مهدى الشويكى بقصيده منها:

فلا غرو أن تبكى له (آل ناصر) دموع دم تحكى السحاب إذا همى

و تغدو عليه (آل إدريس) نوحا ترى الحزن فرضا و السلو محرما

و تضحى له (النصار) قرحى قلوبها تجرعها الأحزان صابا و علقما

فقد كان فيهم طود عز و منعه فغادره صرف الردى متهدما

(١).

## جابر بن حيان:

### إشارة

مرت ترجمته فى الصفحة ٣٠ من المجلد الرابع و نشر عنه هذه الدراسة مكتوبه بقلم الدكتور حسين مروه:

شكوك و غموض

إن "جابر" رغم شهره اسمه و شهره آثاره العلميه فى الأوساط الأكاديميه العالميه، منذ عصر النهضة الأورويه حتى اليوم، قد أحيطت شخصيته، عن قصد أو غير قصد، بأستار من الشكوك لم تقتصر على ناحيه واحده، بل شملت أكثر من ناحيه.. فقد اختلف فى تاريخ مولده و مكانه، و اختلف فى أصله و مذهبه و مكان نشاته، و اختلف فى نسبه بعض مؤلفاته إليه، بل لقد اختلف حتى فى حقيقه شخصيته، هل هى شخصيه واقعيه أم خياليه!..

ليس نادرا فى تاريخ الفكر العربى ان تحاط بالتشكيك شخصيات اشتهرت اسمائها و آثارها فى الأدب أو الفلسفه أو العلم، كامرئ القيس، و ابن طفيل، كما حصل التشكيك بكثير من مشهور الكتب و الدواوين و القصائد فى تاريخنا الثقافى، من حيث نسبتها إلى شخصيات متعدده فى عصور متباعده.

و لعل هذه الظاهره نشات من اضطراب الأحداث التاريخيه و تداول الآثار الفكرية بين ذوى الخصومات فى الحكم و السياسه و المذاهب، و ضياع الكثير من الأسانيد و الوثائق الصحيحه و المؤلفات العديده الكاشفه، و تشتت الكثير من مخطوطاتها الأصلية أو المنسوخه فى بلدان الغرب و الشرق، أثناء عصور الفتح و الغزو و الاستعمار الأجنبى التى تتابعت على بلاد العرب.

و قد تعرض جابر بن حيان لخصومات سياسيه و مذهبيه و شخصيه، أثناء حياته ذاتها، فرضت عليه الاختفاء و التشرذم، و

تركت جرائرها تعمل فى آثاره العلميه تضييعا و تحريفا و تشكيكا بعد ذلك.

و مهما يكن من فعل هذه العوامل كلها، فان أسباب التشكيك بشخصيه جابر بن حيان و بنسبه بعض آثاره إليه، لا تقوى على الثبات أمام النقد العلمى الموضوعى، و لا- تستطيع أن تلمس حقيقه وجوده و شخصيته و حقيقه كونه هو مؤلف تلك الآثار العديده المنسوبه إليه.

ص: ٤٦

---

١- السيد على العدنانى الغريفى.

أما الشك بوجوده، فقد بدأ الحديث عنه منذ أوائل القرن الرابع الهجري، و كان ابن النديم صاحب كتاب "الفهرست" الذى عاش فى أواسط ذلك القرن، هو أول من تحدث عن هذا الشك فى كتابه المذكور، قائلا:

"..و قال جماعه من أهل العلم و أكابر الوراقين ان هذا الرجل - أى جابر بن حيان - لا أصل له و لا حقيقه. و بعضهم قال انه ما صنف، إن كان له حقيقه، إلا "كتاب الرحمه"، و إن هذه المصنفات صنفها الناس و نحلوها إياه".

و فى العصور الأخيره تحدث عن هذا الشك أيضا "بول كراوس" الذى جهد فى جمع بعض مخطوطات جابر من مختلف المكتبات فى أوروبا و نشرها فى كتاب بعنوان "مختار رسائل جابر بن حيان" و ألف مجلدين عنه و عن مؤلفاته و مذهبه. و لكن "كراوس" يرى ان هذه المؤلفات التى تنسب إلى جابر، إنما كتبت فى عصر متأخر عن الزمن الذى تقول الروايات ان جابر عاش فيه، و يرى انها كتبت فى نحو عام ٨٦٠ الميلادى أو فى نهايه القرن التاسع هذا، و ان مؤلف رسائل جابر ينبغى ان يكون قد عاش قبل عام ٩٨٧ م، أى قبيل تأليف الفهرست لابن النديم، و قبل "ابن وحشيه" صاحب كتاب "الزراعه النبطيه" المؤلف عام ٩٥٠ م، و ذلك لأن ابن النديم و ابن وحشيه قد ترجما لجابر و تحدثا عنه فى كتابيهما هذين، و يرى "كراوس" أخيرا أن المؤلفات المنسوبه إلى جابر هى من وضع القرامطه الإسماعيليين.

## أدله الشك

يعتمد "كراوس" فى شكه ذاك، على القرائن الآتية:

أولاً: انه إذا صحت نسبه الرسائل إلى جابر، فيلزم ان نغير نظرنا إلى تاريخ الإسلام، لأن ذلك يعنى ان جابرا كان أول من نقل علوم الأوائل إلى العرب، و انه وجدت فى ذلك الزمن شخصيه كشخصيه جابر أصليه ممتازه ذات استقلال عجيب و علم غزير مع معرفه فذه للأدب اليونانى، و انه إذا كانت هذه الرسائل غير متحله فيلزم أن يكون جابر هو الذى خلق اللغه العلميه و ذلكها قبل المترجمين الذين عاشوا فى القرن الثالث الهجرى و التاسع الميلادى، و أن رسائله هذه تمثل نموذجا من العلماء الذين لا نظير لهم فى الحقب الأولى الإسلاميه، فهو يعالج مسائل العلوم الطبيعيه بأسلوب يكاد لا ينتظر فى القرن الثانى للهجره و الثامن للميلاد و حسب، بل إن معلوماته فى الطبيعاه تركز على أسلوب فلسفى قائم بذاته، و متين أيضا، فضلا عن اننا نجد فى تلك الرسائل عدا النزعه الشيعيه الخاصه تعاليم معتزليه، مع ان مذهب الاعتزال لم يكن قد بلغ أشده، بعد، فى ذلك القرن.

ثانيا: إن صله جابر بن حيان بالإمام جعفر الصادق، تقضى بالقول ان التعابير العلميه فى المؤلفات المنسوبه إلى جابر لا صله لها بالإمام الصادق لا بأحد من معاصريه، و لا سيما ما جاء فيها عن تشريح العين، فان حنين بن إسحاق قد أورد سبع طبقات للعين تشبه اسمائها ما ذكره جابر بهذا الصدد، و ليس من المعقول - كما يقول كراوس - أن يكون حنين قد أخذ ذلك عن جابر، بل العكس هو المعقول.

ثالثا: إن رسائل جابر ذات طابع إسماعيلى، و ذلك يؤكد ان هناك علاقته شديده بين جابر و الإسماعيليه، و بين الإسماعيليه و رسائل جابر، ثم يذكر "كراوس" أمثله للتشابه بين تعابير جابر و تعابير الإسماعيليه فى فكره العدد و خاصه "السبعه"، و فى

النظريات الكيميائية، و في بعض التفسيرات الدينيه لعلاقه الأشياء بعضها مع بعض علاقته كيميائيه حتى في الجزئيات الصغيره.

نقد الشكوك يبدو، جليا، إن هذه القرائن التي استند إليها "كراوس" في شكه، إنما تدور على قضيه الشك بصحة نسبه مؤلفات جابر إليه، و لا- تشير مطلقا إلى قضيه الشك بوجوده. و لذلك يمكن القول ان الشك في أصل وجود جابر أو تأكيد عدم وجوده، أمر لم يذكر زاعموه دليلا عليه، لا مقنعا و لا غير مقنع.

و لكن نزيد عن هذا النقص السلبي نقضا إيجابيا نقيم به الأدله على وجوده أولا، و على كون المؤلفات المنسوبه إليه هي من تاليفه بالفعل، ثانيا:

١ - إن ابن النديم في "الفهرست"، و هو الذي كان أول من نقل القول بعدم وجوده، قد تصدى للرد على من ينفي وجوده، و أكد إن جابر بن حيان حقيقه لا شك فيها، و انه هو بالذات مؤلف تلك الرسائل الجليله الشأن. و هذا ما قاله ابن النديم بنصه:

"..و أنا أقول: إن رجلا فاضلا يجلس و يتعب، فيصنف كتابا يحتوى على ألفى ورقه، يتعب قريحته و فكره بإخراجه، و يتعب يده و جسمه بنسخه، ثم ينحله لغيره، اما موجودا أو معدوما، ضرب من الجهل، و إن ذلك لا يستمر على أحد، و لا يدخل تحته من تحلى ساعه واحده بالعلم. و أى فائده في هذا أو أى عائده؟. و الرجل له حقيقه، و أمره أظهر و أشهر، و تصانيفه أعظم و أكثر".

٢ - إن الحسين بن بسطام بن سابور الزيات و أخاه أبا عتاب عبد الله بن بسطام بن سابور - و هما من علماء الشيعة القدامى - قد وضعوا كتابا في الطب اسمياه "طب الأئمه" و روي فيه عن جابر بن حيان عن الامام جعفر الصادق.

٣ - إن الرازي - كما في الفهرست (ص ٥٠٠) - يقول في كتبه المؤلفه في الصنعه (الكيمياء): قال استأذنا أبو موسى (أى جابر بن حيان).

و قد نقل أبو بكر الرازي كتاب "الأئنين" لجابر إلى الشعر.

٤ - إن بعض كتب جابر بن حيان قد شرحها جماعه ممن عاشوا بعده بقليل، دون أن يظهر منهم الشك بامر نسبتها إليه أو بحقيقته هو نفسه، بل شرحوها على ان قضيه وجوده و قضيه كونه مؤلف هذه الكتب من الأمور المفروغ منها. و نذكر من هؤلاء الشراح: أبا جعفر (محمد بن على الشلمغاني) المعروف بابن العزاقر المتوفى عام ٣٢٢هـ، و قد شرح كتاب "الرحمه" لجابر.. و أبا قران من أهل نصيبين. شرح أيضا كتاب "الرحمه".

٥ - ورد ذكر جابر على لسان أبي حيان التوحيدى عند الكلام عن مسكويه. إذ قال:

"..و لكنه - أى مسكويه - كان مشغولا بطلب الكيمياء مع أبي الطيب الكيمياءى الرازى، منهوك الهمه فى طلبه و الحرص على إصابته، مفتونا بكتب أبي زكريا الرازى و جابر بن حيان".

٦ - إن المجريطى المتوفى عام ٣٩٥ هـ يصف فى كتابه "غايه الحكيم" بقوله: "إن (الجامع) كتاب جابر يحتوى على ألف باب و نيف، ذكر فيه من الأعمال العجيبه ما لم يسبقه إليه أحد".

٧- إن "كراوس" بنى شكه في صحه نسبه الرسائل العلميه إلى جابر بن حيان، على مجرد اعتقاده بان النسق العلمى المنهجى الذى تتسم به مؤلفات جابر غريب عن ذهنه العصر الذى عاش فيه، و أن القول بصحه نسبه هذه المؤلفات إليه، يستلزم تغيير نظره - أى كراوس - إلى "تاريخ

ص: ٤٧



الإسلام" ..و هو يعنى تاريخ الفكر العربى!.

و ظاهر أن هذه الحججه ناشئه عن ضعف الثقه عند أمثال هذا الباحث الغربى بقدره المفكرين العرب و المسلمين على أداء دورهم الحضارى فى عصر لم يبق شك لباحث منصف أنه كان عصر إبداع ثقافى كثير الخصب عظيم الأثر فى تطور التاريخ الإنسانى الحضارى، إذ قام المفكرون العرب و المسلمون فيه بمهمات رائعه من النقل و الترجمه و الإضاافه من ابداعهم إلى تراث الحضاره الفكرى و العلمى إضاافات تشهد بعظم طاقاتهم و جليل حرصهم على إغناء الفكر و الثقافه الإنسانين، و قد أغنوهما فعلا بثروات لا تزال شاهده خالده.

إن حججه "كراوس" لا- تنهض دليلا- علميا على نفى ما أراد نفيه من نسبه رسائل جابر بن حيان إلى هذا العالم المبدع. و ليس لازما باطلا- أن تؤدى صحه هذه النسبه إلى تغيير نظر الباحث الغربى المذكور فى تاريخ الفكر العربى، فما ذا يمنعه أن يلتزم بتغيير وجهه نظره؟.. و ما ذا يمنع من القول ان جابر بن حيان "أول من نقل علوم الأوائل إلى العرب"، ما دام قد ثبت عند الباحثين أن ترجمه علوم الأوائل قد بدأت قبل نحو قرن من عهد جابر، فضلا عن عهده بالذات، إذ ثبت ان ترجمه بدأت فى عهد عمر بن عبد العزيز الأموى، و ان العمل فى الكيمياء بالذات قد بدأ عند العرب فى محاولات خالد بن يزيد الأموى؟..

٨- و كيف يجوز فى منطق البحث العلمى ان يطلق "كراوس" حكمه السابق القائل بان أسماء طبقات العين عند حنين بن إسحاق "ليس من المعقول" أن يكون حنين قد أخذها عن جابر بن حيان، "بل العكس هو المعقول"؟.. كيف يجوز إطلاق هذا الحكم هكذا دون دليل علمى معقول مقنع؟.. ما ذا يمنع أن يكون جابر قد سبق حنين إلى هذا الكشف العلمى؟.. كيف يجوز الظن و الترجيح - فضلا عن الجزم - على غير أساس علمى فى نفى وجود شخصيه مشهوره مستفيضه الذكر، و فى نفى نسبه مؤلفاته إليه رغم شهره هذه النسبه و تأكيد الشواهد عليها؟..

٩- أما التعابير الوارده فى رسائل جابر و مشابهتها لتعابير الإسماعيليين المتأخرين عن عهده، فشانها كشان الحججه السابقه، لا تنهض دليلا- علميا معقولا- مقنعا، لأن هذه التعابير لم تكن من ابتكار الإسماعيليين المشار إليهم، بل هى وارده كثيرا فى المأثورات السابقه لوجودهم، و لا سيما تعابير "الظاهر" و "الباطن" التى جاءت فى القرآن الكريم، فضلا عن ورودها فى الشعر و الخطب و الرسائل قبل عهد الإسماعيليين هؤلاء.

منطق الفكر العلمى، إذن، يقضى بان يبقى القول بحقيقه جابر بن حيان الواقعيه و بصحه نسبه مؤلفاته إليه، قائما حتى ينهض الدليل الجازم على عكس ذلك.. و ما دام هذا الدليل لم يوجد بعد، فان جابر بن حيان حقيقه قائمه، و مؤلفاته هى مؤلفاته لم يكتبها غيره.

و على هذا نمضى فى الحديث عن الرجل.

و قبل أن نأخذ فى الحديث عن منهجه العلمى، لا بد من عرض لمحه عن:

**نشاته و سيرته**

المرجح أن جابر بن حيان ولد في مدينه "طوس" بخراسان عام ١٢٠ هـ (٧٣٧ م) و توفي في نحو عام ١٩٨ هـ (٨١٣ م) كما يقدر الأستاذ قدرى حافظ طوقان في كتابه (الخالدون العرب).

أما اسمه "جابر" فيقال انه سمي به لأنه هو الذى "جبر" العلم، أى أعاد تنظيمه. (١) و يكنى "أبا موسى" و جاء ذكره فى "الفهرست" لابن النديم (ص ٤٩٨) مكنيا بـ "أبى عبد الله جابر بن حيان"، و ربما كان له ولدان: موسى، و عبد الله. (٢)

و أما أصله فقد اختلف فيه، فبعض النصوص يصفه بالطوسى، و بعضها يصفه بالطرسوسى، بالاضافه إلى شهرته بالكوفى التى تتفق عليها النصوص جميعا. و يبدو ان صفه الكوفى جاءته من إقامته فى الكوفه بعد نكبه البرامكه فى بغداد حتى مماته. و أما صفه الطوسى فقد جاءته من كونه ولد فى مدينه طوس، كما ذكرنا. و اعتمادا على ما قرره "هولميارد" (Holmyard) فى كتابه (صانعو الكيمياء) نقول ان نسبه يرجع إلى قبيله الأزد (٣) التى نزلت من جنوبي الجزيره العربيه إلى الكوفه و استوطنت هناك، و يقرر "هولميارد" انه "قد انحدر من هذه القبيله رجل عرف باسم حيان كان يشتغل بالطياره، و لم يكن لهذا العطار شأن يذكر، إلى أن اتصل بالبلاط العباسى، فقد كان يقوم بالدعايه للخلفاء بجانب مهمته، و من أجل هذا الغرض أرسل إلى الفرس، فترج مع زوجته و ولده جابر إلى طوس من أعمال خراسان، قرب مدينه "مشهد" الحديثه. ثم أرسل جابر إلى الجزيره العربيه للاتصال بقبيلته، و بقى هناك إلى أن بلغ أشده، فأتقن العربيه، و تعلم القرآن و الحساب و علوما أخرى على يد رجل عرف باسم "حربى الحميرى" (٤)، و استقبل جابر فى بلاط الرشيد بحفاوه بالغه، و كانت صلته بالبرامكه قويه أيضا، و خاصه مع خالد بن يحيى الذى نجد ذكره فى "رسائله أيضا".

و المرجح أن جابرا شهد عهد المأمون.

### صلته بجعفر الصادق

لم يخل معظم مؤلفات جابر من ذكر جعفر الصادق، و كثيرا ما يعبر عنه أو يخاطبه بكلمه "سيدى". و قد اشتهر ان الامام الصادق كان استاذا لجابر، فضلا عن كونه شيعيا يعتقد بامامه جعفر الصادق و الرجوع إليه فى معظم علمه و معتقاداته. و قد توافرت المصادر التى تؤكد ان "جعفرا" هو المعنى دائما فى مؤلفات جابر حين يرد هكذا مجردا من الألقاب. ففى "كشف الظنون" للحاجى خليفه (ص ٣٤٣) حين يتحدث عن جابر إنه "تلميذ جعفر الصادق".

و يقول "كارادى فو" حين يتحدث عن جابر أيضا: "...و معلماه هما: خالد بن يزيد بن معاويه... و جعفر الصادق"، و جابر نفسه يقول فى مقدمه كتابه "الحاصل": "...و قد سميت كتاب الحاصل، ذلك ان سيدى جعفر بن محمد - ص - قال لى: فما الحاصل الآن بعد هذه الكتب - يقصد مؤلفات جابر - و ما المنفعه منها؟.. فعملت كتابى و سماه سيدى بكتاب الحاصل".

و يقول "هولميارد" فى كتابه السابق الذكر (صانعو الكيمياء):

"إن جابرا هو تلميذ جعفر الصادق و صديقه، و قد وجد فى إمامه الفذ سندا و معينا و رائدا ملهما، و موجهها لا يستغنى عنه، و قد حاول جابر أن يحرر الكيمياء بإرشاد أستاذه من أساطير الأولين التى علقت بها من الإسكندريه، فنجح فى هذا السبيل إلى حد بعيد. من أجل ذلك يجب أن يقرن اسم جابر مع أساطين هذا الفن فى العالم مثل "بديله" و "بريستله" و "لافوازيه"

١- "جابر بن حيان" للدكتور زكى نجيب محمود - ص ١٢.

٢- تاريخ الفكر العربى - إسماعيل مظهر.

٣- وردت "الأزد" فى كتاب هولميارد هكذا، "اليزد" و ليس من قبيله عربيه تعرف بهذا الاسم غير "الأزد" و الأرجح انه يريدھا.

٤- يحتمل الدكتور محمد يحيى الهاشمى فى كتابه "الصادق ملهم الكيمياء" أن هذا الرجل هو الذى يذكره جابر فى مؤلفاته أثناء الحديث عن الراهب الذى تلقن عنه بعض التجارب.

و غيرهم من الاعلام".

وقد ظن بعض الباحثين ان جابرا يقصد بكلمه "جعفر"، في كتبه، جعفرا البرمكى، و لكن هذه الظاهره من الإجلال البالغ التى يبديها حيال "جعفر"، دليل واضح على بطلان هذا الظن، و على أن المقصود دائما جعفر الصادق، ذلك مضافا إلى ان علاقته جابر بجعفر بن يحيى البرمكى، لم تكن علاقته رجل وضيع المنزل بمن هو أرفع منه، بل علاقته الند للند، لأن جابرا كان ذا مكانه ممتازه فى بلاط الرشيد.

### منزلته العلميه

تؤكد مختلف المراجع القديمه و الحديثه ان جابرا اشتغل بالفلسفه و المنطق و الطب و الرصد و الرياضيات و الكيمياء و الميكانيك و الفلك و سائر فروع المعرفه الإنسانيه فى عصره. غير أن اسمه اشتهر بارتباطه بالعلوم الطبيعیه، و علم الكيمياء بالأخص، حتى صح لأحد الباحثين العرب المعاصرين أن يطلق عليه لقب "إمام العلوم الطبيعیه عند العرب".

و المعروف ان جابرا ترك مئات الكتب من تاليفه، معظمها فى العلوم الطبيعیه، و لم يصلنا منها سوى قليل لا يزيد عن ثمانين رساله و كتابا، فقد ضاع أكثر كتبه، و بقى بعضها مخطوطات تحتفظ بها عدده مكنتات فى أوروبا، و ترجم بعضها إلى اللاتينيه. و كان من اشتهاره بمعالجه الكيمياء أن صار اسمه لا يذكر إلا مقترنا باسم هذا العلم، سواء فى بلدان العرب أم فى بلدان الغرب، حتى ان جامعات أوروبا كانت حتى القرن الخامس عشر تكاد لا تعرف مراجع ترس فى علم الكيمياء إلا كتب جابر بن حيان.

و يقرنه "برتيلو" (Berthelot) بارسطو، إذ يقول: "لجابر بن حيان فى الكيمياء، ما لأرسطو فى المنطق"، و يرى "برتيلو" ان جميع الباحثين العرب فى هذا العلم نقلوا عن جابر و اعتمدوا على تاليفه و بحوثه و إن "إليه يعود الفضل فى حمل عصبه من التلامذه المجتهدين على متابعه البحوث عدده قرون، فمهدوا بذلك لعصر العلم الحديث". و يعتبره "سارطون" من أعظم الذين برزوا فى ميدان العلم فى القرون الوسطى.

و بالرغم من أن جابرا قد وضع كتبا و رسائل عديده فى الطب (٥٠٠ كتاب) و الفلسفه (٣٠٠ كتاب) و علم الحيل (الميكانيك) (١٣٠٠ مؤلف) و فى الرصد و الفلك و الرياضيات و الوعظ و الزهد و غيرها - بالرغم من ذلك لم تنل مؤلفاته فى هذه الأنواع من المعرفه عنايه الباحثين، بل أنصبت كل عنايتهم على معارفه و كشوفه و بحوثه الكيمياءيه.

### الكيمياءى العربى الأول

يرى الباحثون ان جابرا هو أول كيمياءى عربى، و أول من اشتهر علم الكيمياء عنه، و أول من يستحق لقب "الكيمياءى" من المسلمين. و يبدو أن شهرته بهذا العلم أكسبته منزله اجتماعيه رفيه حتى كان له من ذلك أن نقم عليه ناس لحسد، و نقم عليه الخليفه الرشيد لعلاقته بالبرامكه، فاضطهد و اضطر للاختفاء متنقلا فى البلدان خوفا من الاضطهاد، و بالغ بامر بعض المؤرخين غير المحققين فوصفوه حيناً بأنه "ملك العرب" و حيناً بأنه "ملك العجم"، و حيناً بأنه "ملك الهند". و قال عنه القفطى أنه "كان متقدما فى العلوم الطبيعیه، بارعا منها فى صناعه الكيمياء، و له فيها تأليف كثيره و مصنفات مشهوره"، حتى ان الرازى على جلاله شأنه حين يذكره فى كتبه بالكيمياء يقول عنه: "قال أستاذنا أبو موسى جابر بن حيان".

و بالرغم من هذه الشهادات المستفيضة بالدلالة على مكانته العلمية و معرفه الأقدمين بقيمه أعماله فى حقل الكيمياء و سائر العلوم الطبيعىه، وجد فى القديم من يبخسه حقه و فضله قائلا فيه:

هذا الذى بمقالهغر الأوائل و الأواخر

ما أنت إلا كاسر كذب الذى سماك "جابر"

كما وجد فى العصر الحديث من مؤرخى العلم الغربيين من فعل مثل ذلك.. فهذا "برتلو" بالذات، لم يستطع أن يعترف لجابر و للعرب بفضل السبق إلى تلك النظريات الكيمياءيه التى شهدت أوروبه بقيمتها و بنسبتها إلى هذا العالم العربى العظيم، فزعم ان القسم الغنى بالدمس العلمى من أعمال جابر هو لمؤلف مجهول غيره ألفه باللاتينيه فى النصف الثانى من القرن ١٣ م و انتحل اسم "جابر" لاشتهار هذا الاسم، ثم زعم ان القسم الآخر الخالى من الدمس العلمى هو، فعلا، لجابر بن حيان! و ضرب "برتلو" كتاب "الخالص" مثلا على ذلك، لأن هذا الكتاب مترجم إلى اللاتينيه، فقال - أى "برتلو" - إن دارسه هذا الكتاب تدل على انه لا- ينتسب إلى الأصل عربى، لا- فى منهجه العلمى، و لا- فى الحقائق الوارده فيه، و لا فى مفرداته اللغويه، و لا فى الأشخاص الذين يرجع إليهم فى الفقرات المقتبسه. و قد سبق أن رددنا على هذا الشك المزعوم غير المستند إلى منطق علمى، بل كل سنده الشك فى قدره العرب على إنتاج ما انتجه جابر بن حيان فى عصره! ذلك بالرغم من تلك الشهاده الكبيره التى شهدها "برتلو" نفسه لجابر، (و ذكرناها سابقا) حين قال أن "لجابر فى الكيمياء كما لأرسطو فى المنطق".

و إن من ماثر جابر فى الكيمياء: كونه أول من استحضر "حامض الكبريتيك" بتقطيره من الشبهه، و سماه "زيت الزجاج"، و كان لعمله هذا فضل كبير فى تقدم الكيمياء و الصناعه. و استحضر جابر أيضا "حامض النتريك"، و هو أول من كشف "الصودا الكاويه"، و أول من استحضر "ماء الذهب"، و أول من أدخل طريقه فصل الذهب عن الفضة بالحل بواسطة الحامض، و أول من لاحظ ما يحدث من راسب "كلوريد الفضة" عند إضافه محلول ملح الطعام إلى محلول نترات الفضة، و ينسب إليه استحضر مركبات أخرى، مثل: كربونات البوتاسيوم، و كربونات الصوديوم، و قد استعمل ثانى أكسيد المنغنيز فى صنع الزجاج، و درس خصائص الزئبق و مركباته و استحضرها، و استعمل بعضها، فيما بعد، فى تحضير الأوكسيجن..

و معلوم أن جميع هذه المركبات ذات شان كبير فى عالم الصناعه، فبعضها يستعمل فى صنع المفرقات و الأصبغه، و بعضها يستعمل فى السماد الصناعى و الصابون و الحرير الصناعى.

و يعد جابر بن حيان أول من وضع نظريه عامه لتركيب المعادن مفادها أن المعادن جميعها مؤلفه من عنصرين أساسيين، هما الكبريت و الزئبق، و قد وضعت هذه النظرية قيد العمل طوال عده قرون. و قد أدخل فى الكيمياء ما أطلق عليه اسم "علم الموازين" و ألف فى هذا العلم كتبا معروفه، و يعنى بذلك معادله ما فى المعادن من الطبايع، فقد "جعل لكل من الطبايع ميزانا، و لكل جسد من الأجساد موازين خاصه بطبايعه".

و يرى "هولميارد" ان أهم كتب جابر فى الكيمياء كتاب "الخواص الكبير"، و فى مقاله الأولى من هذا الكتاب يقول جابر أن جملة ما كتبه فى الخواص واحد و سبعون كتابا "منها سبعون كتابا ترسم الخواص، و منها كتاب واحد يعرف بخواص الخواص،

و هو أشرف هذه الكتب".

لقد اقتضتنا ضروره التعريف العام بحقيقه جابر و حياته و نشاطه الثقافى الواسع الأفق، أن نطيل المقدمه السابقه، و عذرنا فى الاطاله اننا نكتب هذا الفصل للتعريف أكثر منه للبحث من أجل البحث بذاته.

و بعد، فاننا ننتقل الآن إلى تحديد المنهج العلمى الذى اتبعه جابر فى بحوثه و كشوفه و تجاربه، و تحديد قيمه هذا المنهج بالقياس إلى المناهج

ص: ٤٩

العلمية ذات الشأن فى الدراسات و البحوث المعروفه عند العلماء المنهجيين:

## الايمان بالعلم

يطالعنا جابر بن حيان فى كتابه "إخراج ما فى القوه إلى الفعل" (١) بهذا التساؤل: كيف يظن العجز بالعلم دون الوصول إلى الطبيعه و أسرارها؟..

ألم يكن فى مستطاع العلم أن يجاوز الطبيعه إلى ما ورائها؟.. فهل يعجز عن استخراج كوامن الطبيعه ما قد ثبتت قدرته على استخراج السر مما هو مستور وراء حجبها؟..

لقد جاء هذا التساؤل فى معرض الكلام على علم الكيمياء بالذات، أى العلم الذى يستطيع الكيمياءى بوسائله أن يبذل طبائع الأشياء تبديلا يحولها بعضها إلى بعض. و لكن المضمون الذى يحتويه هذا التساؤل لا يقتصر شأنه على علم بعينه، بل يكشف عن عمق إيمان الرجل بالعلم من حيث هو علم، و عن إيمانه - فى الوقت نفسه - بالعقل الإنسانى الذى يستنبط قواعد العلم و يستخدم وسائله فى كشف أسرار الطبيعه و الكون.

و يؤكد جابر ثقته بالعلم و اعتماده إياه سبيلا لاكتناه الأسرار الكونيه، بكلام رائع الدلاله على منهجيته السديقه، حين يقول: إن أسرار الطبيعه قد تمتنع على الناس لأحد سببين، فاما أن يكون ذلك لشده خفائها و عسر الكشف عنها، و أما أن يكون للطفه تلك الأسرار بحيث يتعذر الإمساك بها.

و سواء كان الأمر هو هذا أو ذاك، كان فى وسع الباحث العلمى أن يلتمس طريقا إلى تحقيق بغيته، فلا صعوبه الموضوع و لا لطفه و دقته مما يجوز أن تحول العلماء عن السير فى شوط البحث إلى غايته. (٢)

و فى هذا التقرير ما نرى من وضوح التفكير العلمى السديد، و من النظر إلى قضايا الكون الطبيعىه نظر الباحث عن الحقيقه الموضوعيه بمنظار اليقين بالحقيقه الموضوعيه هذه، دون اللجوء إلى الأحكام الميتافيزيقيه المطلقه عند اصطدامه بشعور العجز فى أول الطريق، أو فى بعض أشواطه البعيده عن الغايه.

## نظريه المعرفه

ما ذا يقول جابر فى مصدر العلم عند الإنسان، أى فى ما اصطللحنا على تسميته - " نظريه المعرفه "؟..

و السؤال هنا ذو شان هام فى تحديد منهجه العلمى. ذلك بان الرأى فى مصدر المعرفه هو المقياس الفاصل بين منهج و منهج، أو بين من يؤمن بالعقل الإنسانى و بالوجود الموضوعى للكون و الطبيعه و بين من لا يؤمن..

هل المعرفه، أو العلم، فطره كامنه فى الإنسان تحصل تلقائيا حين يتاح لها من الأسباب ما يظهرها من " القوه " إلى " الفعل "؟.. أم هى اكتساب من تجارب العقل و ممارسته كشف حقائق الوجود الخارجى و من تعلم الإنسان هذه الحقائق، أى إنها - فى هذا الحال - انعكاس للعالم الخارجى الموضوعى لدى القوى العقلية و الشعوريه فى الإنسان؟..

كان سقراط يقول بالرأى الأول، و هو الرأى الذى يدخل فى نطاق التفكير المثالى الميتافيزيقى الذى ينكر الوجود الموضوعى للكون.

لكى نستخلص رأيه كاملا فى هذه القضية، علينا أن لا نكتفى ببعض النصوص دون بعض، و لا بالنصوص ذاتها دون النظر إلى نشاطه العملى فى حقل العلم، و إن جابرا نفسه ليوصينا بهذه الطريقة، و هى بذاتها طريقه منهجيه سديده، حين يشترط على قارئى كتبه أن يجمعها كلها أولا، قبل أن يهتم بقراء بعضها، ليضيف ما فى كل كتاب منها إلى ما فى الآخر، لأن الكتاب الواحد قد ينفرد بمعنى لا يشاركه فيه غيره. (٣) كما يشترط على القارئ أن يقرأ كل كتاب من كتبه ثلاث قراءات متتاليه: قراءه للتثبت من صحه ألفاظ النص و من معانى تلك الألفاظ، و قراءه لدراسه هذا النص للوصول إلى مدلولاته البعيده الخفيه، و قراءه لتبويب المعانى و تصنيفها لعلنا نجمع الشبيه إلى الشبيه، أو نوازن بين المتباين منها تصنيفا و موازنه يبلغان بنا الغايه المرجوه من موضوع الدراسه. (٤)

هذه الوصيه، كما ترى، تدخل فى صميم المنهج العلمى السليم عند جابر، و إنما ذكرناها هنا استطرادا فى سبيل البحث عن رأيه فى نظريه المعرفة.

إذا رجعنا إلى النصوص نجد جابرا يقول فى رساله "التجميع" (مختارات كراوس ص ٣٧٧): إن "النفس لا- تكون عالمه أولا بالضروره"، أى إنها لا تولد مزوده بالعلم، بل هى "قادره فاعله جاهله" (ص ٣٧٨):

و هذا كلام صريح بان العلم عنده ليس قائما فى النفس بفطرتها، بل هو استعداد و قدره على اكتساب العلم من الخارج.

و لكن جابرا يقول، فى مقاله الحاديه و العشرين من "كتاب الخواص الكبير" (مختارات كراوس، ص ٣١٥): "تأخذ - يقصد كتبه - علم النبى و علم سيدى - يقصد جعفر الصادق - و ما بينهم من الأولاد، منقولا نقلا مما كان [و ما] هو كائن و ما يكون من بعد إلى أن تقوم الساعه" .. و يقول فى مقاله الرابعه و العشرين من الكتاب نفسه (ص ٣١٧): "فو الله ما لى فى هذه الكتب إلا تاليفها، و الباقي علم النبى ص ..."

فكيف نجمع بين القولين؟..

هناك مرجع آخر لاستخلاص مذهبه فى "نظريه المعرفة"، هو منهجه التجريبي فى حقل البحث و النشاط العملى، فما ذا نرى فى هذا المرجع؟..

نرى الرجل شديد التمسك بالمشاهده و التجربه العمليه بنفسه للوصول إلى المعرفة و الوثوق بها. و فى هذا الصدد يقول فى مقاله الأولى من كتاب "الخواص الكبير" (مختارات كراوس - ص ٢٣٢)، حين يتحدث عن الكتب التى بحث فيها خواص الأشياء: "إننا نذكر فى هذه الكتب خواص ما رأيناه فقط، دون ما سمعناه أو قيل لنا و قرأناه، بعد أن امتحناه و جربناه، فما صح أوردناه، و ما بطل رفضناه، و ما استخراجناه نحن أيضا و قايسناه على أقوال هؤلاء القوم".

و فى كتاب "التجميع" (مختارات كراوس - ص ٣٨١) حيث يوازن بين النبات و الحيوان من حيث الطباع، ثم يقسم عالم النبات



إلى أول، و بليد، و ذكى، يقول ما معناه: إننى لم أقسم النبات إلى هذه الأقسام الثلاثة لمجرد علمى بان الحيوان ينقسم إليها، بل إننى قسمته إلى هذه الأقسام لأننى وجدته كذلك. (٥)

و فى موضوع الخواص و الموازين، حيث يبحث خصائص الأشياء

ص: ٥٠

- 
- ١- نشر "كراوس" - ص ٧.
  - ٢- المصدر السابق - ص ٨ (تلخيص زكى نجيب محمود فى "جابر بن حيان" - ص ٤٣).
  - ٣- مقاله الثانيه و الستون من كتاب "الخواص الكبير" مختارات كراوس - ص ٣٣١ (تلخيص زكى نجيب محمود - ص ٥١).
  - ٤- المصدر السابق، ص ٣٢٩.
  - ٥- تلخيص زكى نجيب محمود - ص ١٦٤.

و حدودها، و بينى موازين الأشياء على أساس هذه الخصائص (تعد فكره الموازين هذه "أدق و أعسر و أهم فكره لجابر بن حيان") (١)، يصف لنا طريقته العمليه الخاصه فى صنع "الميزان الوزنى" و كيفيه استخدامه، و فى أى البحوث العلميه يستخدم، و استخلاص الوزن النوعى للمعادن، يصف ذلك بتفصيل بالغ الدقه (كتاب الأحجار على رأى بليناس، الجزء الثانى) (٢)، فإذا به هنا أيضا يعتمد التجربه العمليه بحرص شديد، و بمنهجيه رائعه، للوصول إلى النتائج العلميه.

كل هذه الأمثال من كلامه و نشاطه التجريبي، واضح الدلاله على أن جابرا يعتمد فى اكتساب المعرفه على تجارب الأشياء و استخلاص النتائج و القوانين الكونيه من هذه التجارب، لا على تلقن الوحي كما ظهر لنا من بعض نصوصه فهل تراه، إذن، وقع بالتناقض فى رأيه بمصدر المعرفه؟.

يتراءى لنا انه يمكن إخراجه من التناقض بحمل كلامه بصدد الوحي على انه يقصد بالمعرفه هناك معرفه الأحكام الشرعيه، و حمل كلامه بصدد التجربه على انه يقصد هنا معرفه العلوم الطبيعيه، أى خواص الأشياء و الأحياء من تصنيفه العلوم فى "كتاب الحدود" (مختارات كراوس)، فهو يقسم العلوم عامه إلى قسمين: علم الدين: و علم الدنيا، و حين يعرف علم الدين فى ذاته، يقول إنه: هو الأفعال المأمور بإتيانها للصالح فيما بعد الموت.. و حين يعرف علم الدنيا فى ذاته، يقول هو جميع ما فى عالم الكون من الحوادث، الضاره و النافعه، باى وجه كان ذلك فيها..

هذا التمييز لعلم الدين عن علم الدنيا، يكفى - إلى حد ما - فى دفع التناقض عنه من حيث رأيه بمصدر المعرفه، لأن الذى يعيننا - بالأقل - أن نعرف منه أن العلم بطبائع الأشياء و الأحياء ليس ذاتيا تلقائيا بل اكتسابا من الخارج، أى إنه يعترف بالوجود الخارجى الموضوعى للكون، و إن معرفه هذا الوجود تأتى من خارج الذات، لا من داخل الذات.

## الوجود الموضوعى للكون

فى ما تقدم من أمثله كلام جابر و من أمثله اعتماده التجربه العمليه، ما يلقي ضوءا على هذه القضيه فى رأيه، و لكننا نزيد الأمر توضيحا ببعض الأمثله الأخرى التى تؤكد أن الرجل، فى منهجه العلمى، يعتقد بالوجود الموضوعى للكون، و إنه يصدر فى هذا الاعتقاد عن منطلق علمى واع:

١ - نرجع إلى كتابه المسمى ب "كتاب التصريف"، أى تحويل الأشياء بعضها إلى بعض آخر، فنراه يحل الطبيعه إلى كيفيات أربع:

الحراره، و البروده، و اليبوسه، و الرطوبه.. و نراه يقول بان هذه الكيفيات لا وجود للواحد منها فى الطبيعه وجودا مفردا.. ثم نراه يصف علاقه الأشياء فى عالم الطبيعه بعالم الكلمات، فيقول:

"إن الأشياء كلها تقال على أربعة أوجه: الأول منها، أعيان الأمور و ذواتها و حقائقها، كالحراره فى ذاتها و البروده فى ذاتها، و إن كانا غير موجودين لنا.. ثم تصور ذلك بالعقل.. ثم النطق به، و ذلك بتقطيع الحروف.. ثم كتابتها" (٣).

فوجود "أعيان الأمور و ذواتها و حقائقها" قضيه مفروغ منها عند جابر كما ترى. فالأشياء لها، إذن، أعيان و ذوات و حقائق

مستقله، ثم يطرأ عليها تصور العقل، فتصبح داخله في علم الإنسان، ثم يطرأ عليها النطق بالحروف، فالكتابه. هذا التسلسل في حصول المعرفة للموجودات الواقعيه الموضوعيه، هو أيضا ظاهره منهجيه ليست غريبه عن منطق العلم الحديث.

٢ - جابر بن حيان من القائلين بان طبيعه اللغه، باحرفها و كلماتها و جملها، تشف عن طبائع الأشياء، فدراسه الاسم هي - في الوقت نفسه - دراسه للمسمى.. و حين تعترضه مشكله تعدد اللغات في المجتمعات البشريه، دون أن يغفل عن هذه المشكله، بل يتقصاها بتفصيل يدل أيضا على منهجيته العلميه، ينتهي إلى حل المشكله بأحد أمرين، و ليس يهمننا معرفه الحل بقدر ما يهمننا رأيه في هذا الصدد بان حقائق الأشياء ثابتة لا تتعدد بتعدد اللغات. (" كتاب الحاصل " مختارات كراوس، تلخيص زكي نجيب - ص ١٣٨).

فالقول بان حقائق الأشياء ثابتة لا تتعدد بتعدد اللغات، هو القول - صراحه لا ضمنا - بوجود الأشياء وجودا موضوعيا مستقلا عن العقل و عن أسماء هذه الأشياء.

٣ - في رأيه بمراحل تطور الكون، يقول بان أول ما كان في الأزل، هو العناصر الأوليه الأربعة: الحراره و البروده و اليوسه و الرطوبه. و يسمى هذه العناصر " أوائل الأمهات البسائط " (٤).. ثم طرأت على هذه البسائط حركه و سكون، فتكون منها تركيبات منوعه، و لو لا الحركه و السكون لظلت تلك الأصول الأولى مستقلا بعضها عن بعض.. ثم لا بد كذلك من مبدأ الكميه لتخرج هذه الكائنات التي نراها من حيوان و نبات و حجر.. فمراحل الوجود عنده إذن، هي: كيفيات، فحركه و سكون فكميه..

في هذا التصور لمراحل تطور الكائنات الماديه، منذ الأزل، نواه أوليه للتفكير بموضوعيه الكون المستقله عن إرادتنا و تأملاتنا.

## منهج البحث العلمى

لا بد لباحث يؤمن بالعلم، و يرى رأى جابر في مصدر المعرفة، و في الوجود الموضوعى للكون، أن يستهدى في طريق البحث العلمى منهجا سليما يتفق مع هذا الايمان و هذا الرأى.

نحن نعرف أن المنهج المعاصر للبحث العلمى القائم على الايمان بالعقل و العلم، و على كون الاكتساب من الوجود الخارجى هو مصدر المعرفة، و على موضوعيه وجود الكون، هو المنهج الذى يبدأ خطوته الأولى بمشاهده الجزئيات الخارجيه الماديه المراد تفسير ظاهراتها، ثم تكون الخطوه الثانيه باستنباط النظرية المجرده من هذه المشاهده، ثم تأتى الخطوه الثالثه و الأخيره بتطبيق النظرية على الجزئيات الخارجيه الماديه، أى بالعوده من النظر الذهنى التجريدى إلى الواقع المادى الجزئى لتجربه صدق النظرية المستنبطه.

فهنا استقراء أولا، فاستنباط، ثم استقراء.. أى إن هذا المنهج يحتوى كلا طريقي الاستقراء و الاستنباط (أو الاستنتاج).

فما طريق جابر في البحث؟..

لنقرأ هذه العبارة له في " كتاب الخواص " (المقاله الثانيه و الثلاثين، مختارات كراوس، ص ٣٢٢)، واصفا طريقته في البحث: " ..قد عملته بيدي و بعقلي من قبل، و بحثت عنه حتى صح، و امتحنته فما كذب " ..

فهذا كلام يجمل المنهج الاستقرائي الاستنباطي كلمات قليلة واضحه الدلاله.. فهو يمارس الجزئيات الماديه بيده يستقرئها، ثم يستخدم عقله مستنبطاً من الممارسه الجزئيه فكره أو نظريه، ثم يعود بالفكره أو النظرية إلى

ص: ٥١

- 
- ١- المصدر السابق، ص ٢١٥.
  - ٢- المصدر نفسه - ص ٢١٩-٢٢٠.
  - ٣- كتاب التصريف - ص ١٤٠.
  - ٤- رساله " إخراج ما فى القول إلى الفعل " - مختارات كراوس - ص ١٥-١٦.

الواقع مستقرًا ممتحنًا مجربًا حتى يخرج من هذه الخطوات المتواليه على نسق صحيح، بقانون يعتمد في تفسير سائر الظاهرات المشابهه للظاهرة التي وقع عليها البحث بطريقه المذكور.

## فلسفه الكيمياء

ننطلق الآن من هذه النظرة ذاتها، عند جابر، أى التي تقول "إن فى الأشياء كلها وجودا للأشياء كلها"، لتعرف أساس فلسفته بالكيمياء..

هذه النظرة تقول، كما عرفنا، إن فى كل شىء موجود بالفعل شيئًا موجودا بالقوه.. و هنا يأتى سؤال: هل كل ما هو موجود بالقوه سيكون موجودا بالفعل حتماً؟..

الجواب عن هذا السؤال يفسر الأساس التي تقوم عليه فلسفه الكيمياء عنده.

يجيب جابر بان الأشياء: اما بسيطه، و اما مركبه.. و كل ما نراه فى الطبيعه هو من الأشياء المركبه.. و هذه درجات: منها مركب أول، و منها مركب ثان، و منها مركب ثالث، أو مركب المركب.

الأشياء البسيطه: يستحيل أن يتحول كل ما فيها بالقوه إلى وجود بالفعل. لأن البسيط غير متناه، فهو إذن أبدي لا يفنى، و لو أن ما فيه بالقوه قد خرج إلى الفعل، لصار متناهيا، و المفترض انه غير متناه.

و أما الأشياء المركبه من الدرجات الأولى (الطبيعه بوجه عام) و الثانيه (النار و الهواء و الأرض و الماء)، و الثالثه (الحيوان و النبات و الحجر)، فكلها من الممكن أن يخرج ما فيها بالقوه إلى وجود بالفعل.

و لكن هناك حالات يمتنع فيها خروج كائن من كائن آخر.. ف "إن الأشياء التي يمتنع و يعسر خروجها من القوه إلى الفعل على ضربين: اما أن يرام من الأشياء ما ليس فيها بالقوه و لكن عسر خروجه إلى الفعل، كالذى يروم خروج الماء من النار من أول وهله" (١).. و يقصد انه يحتاج ذلك إلى عمل بترتيب و على دفعات متواليه بعضها مسبب عن بعض.. فهو يرى أن الأمر مقترن بأسبابه الطبيعه أو بظروفه العمليه القائمه على التدبير و "القصده المستقيم".

هنا نبلغ الأساس فى فلسفه الكيمياء عنده، فإنه يرى "الطبيعه عله خروج الطلع و خروج الرياحين البريه التي لا تعالج بالسقى و اللقاح و أمثال ذلك، فتخرج من القوه إلى الفعل بأنفسها و فى زمانها، و أما غير ذلك مما علتة إخراج التساير للأشياء (فهو محتاج إلى تدبير طريقه لإخراجه). (٢)

و على هذه القاعده يمكن للكيميائى أن يقتدى بالطبيعه فى إخراجها الأشياء من القوه إلى الفعل، فكل ما تصنعه الطبيعه من تحويل الأشياء بعضها إلى بعض آخر، يستطيع الكيميائى أن يصنع مثله إذا توفر عنده العلم و التبصر و الحذر و معرفه خصائص الأشياء و الخطوات المتدرجه التي يسير بها أثناء التجربه.

و هنا ننتهى إلى نتيجة مدهشه فى فلسفه جابر، فهو يرى أن "فى قوه الإنسان ان يعمل كعمل الطبيعه" (٣) و الإنسان هنا هو

الكيميائي في قصده، عمليا.

لكنما نرى جابر بن حيان في عصرنا هذا، يفكر بتفكير العلم الحديث المتطور.. و من شاء التوسع فليرجع إلى كتابه "التجميع" (مختارات كراوس، ص ٣٤٤-٣٤٩) أو كتاب "جابر بن حيان" للدكتور زكي نجيب محمود في سلسلة اعلام العرب.

## عقل الفيلسوف

و نرى، قبل أن نختم هذا الفصل، ضروره الإشاره إلى أن هذه السمات المنهجية التي رأيناها سائده في تفكير جابر بن حيان و طريقته في البحث و التجارب، مستفاده بالأصل لا من كونه عالما طبيعيا، أو كيميائيا و حسب، بل من كونه يقيم تفكيره كله على نظره فلسفيه للكون و الطبيعه، فهو مؤمن بالفلسفه إلى حد حمله على القول بصوره جازمه: "إنه ليس براق من أغفل صناعه الفلسفه، و لكنه راسب مضمحل إلى أسفل دائما"

بين جابر و الرازي

قال عبد الحلیم منتصر:

تهدف هذه الدراسة المبدئية، إلى تبيان دور الكيميائيين العرب، في تأسيس و تقدم علم الكيمياء، و وضع الكيميائيين العرب في مكانهم الصحيح بين علماء الأمم الأخرى، و إبراز دورهم في بناء النهضة العلمية، و الرد على مزاعم غير المنصفين من المؤرخين، الذين يتجاهلون دور العلماء العرب، في تنمية المعارف الإنسانية، و إلقاء الضوء على الفكر العلمي التجريبي، الذي اتبعه العرب، و الربط بين النظريات و الآراء التي قال بها العرب، و تلك التي يقول بها علماء العصر الحاضر، و بالجملة تصحيح تاريخنا العلمي.

و ليس من شك في أن تاريخ الكيمياء في العصر الإسلامي، مرتبط بتاريخها في العصر الإسكندري، و هذا بدوره متصل بالعصر الاغريقي، و تمتد جذوره إلى العصر المصري الفرعوني. فالفكر العلمي متصل على مر التاريخ و يتناقله و يتوارثه طلاب العلم جيلا بعد جيل.

## شهاده الحاضرين

عما صنع علماء الكيمياء

من العرب الغابرين

بيد أن الكيميائيين العرب و على رأسهم جابر و الرازي، لم يقفوا بالكيمياء عند النظريات و الآراء كما فعل اليونان، و انما كان لهم السبق في جعل الكيمياء علما تجريديا فقد كان جابر بن حيان "يدعو إلى التجربه و عدم التعويل إلا عليها مع دقه الملاحظه و اتباع التعليمات جيدا لأن لكل صنعه أساليبها" و يشهد "جوستاف لوريون" بان العرب توصلوا إلى كشف هامه لم يعرفها اليونان قبلهم كتحضير الكحول و زيت الزاج (حامض الكبريتيك) و ماء الفضة (حامض النيتريك) و ماء الذهب (الماء الملكي)،

كما انهم عرفوا من العمليات الكيمائية التقطير، و الترشيح، و التكليس، و الازابه، و التبلور، و التصعيد، و كذلك يشهد عدد من المستشرقين و المؤرخين من أمثال " سارتون Sarton " و " برثوليه BertholeT " و " هولميارد Holmyard " و " سيغفريد Siegfried " و غيرهم.

### العنور على معمل جابر بن حيان

و أن الدارس لبعض مخطوطات هذين العملاقين " جابر و الرازي " من أمثال كتاب السبعين و الخواص و الموازين، و الكامل، و الخواص الكبير.

و صندوق الحكمة، و الحدود و الإيضاح، و الرحمه، و سر الأسرار، و غيرها - ليجد الكثير مما يؤيد ما نذهب اليه من أثرها البالغ على علم الكيمياء.

و يذكر هولميارد في هذا الصدد أنه عثر على معمل جابر بن حيان في أثناء

ص: ٥٢

---

١- المصدر السابق - ص ٦ (تلخيص زكي نجيب).

٢- المصدر نفسه، ص ٧.

٣- كتاب السبعين - لجابر (مختارات كرواس) ص ٤٦٣.

الحفر فى انقراض منازل بالكوفه منذ قرنين من الزمان فقد كان أشبه بالقبو، بعيدا عن الأعين، فيه قليل من الأثاث، منضده، و قوارير، و موقد، و أفران، و هاون إلى جانب كثير من الأدوات من ماشق (ماسك)، و ملعقه، و مقراض، و مرجل، و مبرد، و قمع، و منجل، و راووق من خيش (مصفاة)، و كره معدنيه تستعمل للسحق، و أحواض، و مكسر، و سفنجه، و آله تكليس، و ميزان، و اجهزه تقطير، و بصله، و قطاره، و أنبيق، و غيرها مما يقرب من أربعين جهازا و أداه.

## مصطلحات العرب القديمه

و لا بد للدارس ان يلم بالمصطلحات التى كان يستعملها أمثال جابر و الرازى فى ذلك العصر للحضاره العلميه الإسلاميه مثل الجواهر، و الأجساد أو المعادن، و الأرواح، و الأملاح و الزاجات (بلورات)، و شب الألومنيوم، و شب البوتاس و المرقشيتا (اشابه من النحاس تشبه الذهب) فهناك المرقشيتا الذهبى، و المرقشيتا الفضى و الطلق الجمستى (الدولوميت) - و الزنجر (كبريتات النحاس) و الزنجفر (كبريتيد الزئبق) و الإسفيداج، و حامض الأترج (حامض الليمونيك) و الإثمد (كبريتيد الأنثيمون) و حجر جهنم (نترات الفضة)، و السلیمانى (كلوريد الزئبق) و زيت الزاج، و النيلج، و السناج، و ماء النار أو الماء المحلل (حمض النتريك) و الكحول و الزاج الأزرق (كبريتات النحاسيك) و حجر الفلاسفه أو الكبريت الأحمر أو الزنجفر.

كذلك لا بد ان يعرف ما كانوا يسمونه "التدابير" بمعنى العمليات أو التجارب الكيميائيه كالترجيح (التركيز) و التحليل أو الحل، و التشويه، و التشميع (أو تليين الشىء حتى يصير كالشمع) و التكليس (الأكسده) و الإلغام و الملغمه، و الإقامه (التصليد)، و التبييض (أو قصر الألوان) و العقد (أى تحضير المركبات الأكثر تعقيدا) و التبخير، و التصفيه، و المزج، و السحق، و التكرير، و التخمير، و التنقيير (أو التنقيه).

و عليه أن يلم بالموازين التى استعملها العرب من مثقال، و درهم، و دانق، و قيراط، و أوقيه، و رطل و حبه، و كيف أن علم الميزان عند جابر و الرازى، ما هو الا ما نسميه الآن قانون الأوزان المتكافئه.

و لا شك ان "جابر" فى مقدمه العلماء الذين أجروا التجارب على أساس علمى، هو الأساس الذى نسير عليه الآن فى المعامل و المختبرات، و كان يقول "ان المعرفه لا تحصل إلا بها"، و طلب من الذين يعنون بالعلوم الطبيعيه الا يحاولوا عمل شىء مستحيل أو عديم النفع، و عليهم أن يعرفوا السبب فى اجراء تجربه و ان يفهموا التعليمات جيدا، و طالبهم بالصبر و التأنى فى استنتاج النتائج. و يؤكد جابر فى كتابه التجريد "ان كمال الصنعه العمل و تجربه، فمن لم يعمل و لم يجرب لم يظفر بشىء أبدا"، و لا مرأى فى أن جابر من مؤسسى المنهج التجريبي.

## مواد حضرها العملاقان

و بعد قرن من زمان جابر، جاء كيميائى العرب الثانى، و هو أبو بكر الرازى، الذى أوضح مناهجه فى كتابه "سر الأسرار" فكان يتبدئ بوصف المواد التى يشتغل بها ثم يصف الطريقه التى يتبعها فى تحضير المركبات. و قد وصف الرازى أكثر من عشرين جهازا، منها الزجاجى، و منها المعدنى.

لقد حضر جابر حامض النتريك و كان يسميه الماء المحلل أو الماء الحاد، و ذلك بتقطير ملح البارود مع الشب و الزاج



القبرصى (كبريتات الحديد) و كان الشب بمثابه عامل و سيط. و بالتقطير البطيء فى حمام ملهى يمكن فصل حامض النيتريك عن كبريتات البوتاسيوم. كما حضر حامض الكوردوريك و كان يعرف باسم روح الملح و كان ممزوجا بحامض النيتريك، و قد سموا هذا المزيج "ماء الذهب" أو "الماء الملكى" لأنه يذيب ملك المعادن و هو الذهب، و قد حضره جابر بتقطير مخلوط من ملح الطعام و الزاج الأخضر أو الزاج القبرصى، و وصف الحامض بأنه نوع من المياه الحاده التى تذيب المعادن، و الزاج الأخضر هو بلورات كبريتات الحديدوز.

يقول: يجمع كلس البيض (أكسيد الكلسيوم) مع النوشادر (كلوريد الأميوم) فى برنيه (إناء فخار) وثيقه، و يركب عليها انبيق، و يوثق الوصل، فان النشارد يقطر و قد اكتسب كلس قشر البيض حده و حرافه.

و كذلك حضر الرازى حامض الكبريتيك و سماه "زيت الزاج".

و بذلك عرف جابر و الرازى الأحماض العضويه من خليك، و ليمونيك، و طرطريك، كما ميزا بين الأحماض و القلوبات، و قالـ بأنها تتعامل مع بعضها بعضا لتنتج الأملاح. و حضرا من مركبات النحاس، الزاج الأزرق (الزاج القبرصى)، و هو كبريتات النحاسيك و خلايت النحاسيك أو الزنجار، و الماء الذهبى أى كبريتيد النحاسيك (ماده براقه تستعمل فى الكتابه) و كلس النحاس (اكسيد النحاس الأحمر).

و من مركبات الرصاص حضر الكيمياءيون العرب الاسرنج الأحمر أو "السلقون" و هو ثانى اكسيد الرصاص الذى يستعمل فى الدهان. و المرتك الأصفر و هو أول اكسيد الرصاص، و لونه أصفر، و الإسفيداج أو كربونات الرصاص القاعدية.

و من مركبات الحديد، حضر العرب الزاج الأخضر (كبريتات الحديدوز)، و القلقطار (ثالث اكسيد الحديديك)، و من مركبات الزئبق عرفوا السليمانى (ثانى كلوريد الزئبق)، و الزنجفر (كبريتيد الزئبق) و الراسب الأحمر (أكسيد الزئبق)، كما حضر جابر ما نسميه كلوريد الزئبق بغلى الزئبق مع الملح العادى.

و من مركبات الزرنيخ عرف العرب الرهج (كبريتيد الزرنيخ) و كلس الزرنيخ (اكسيد الزرنيخ)، و الزرنيخ الأخضر، و الزرنيخ الأحمر و عرفوا كثيرا من مركبات البوتاسيوم و الصوديوم، و بينوا أوجه الشبه بين الكبريت و الزرنيخ مما جعلهم يسمونها بالتوأمين، فكلاهما يتسامى بالتسخين، و يتشابه اكسيدهما، و لهما رائحه نفاذه، كما ان ظاهره التأصل معروفه فى كليهما.

و لقد عرف الكيمياءيون العرب طريقه فصل الذهب عن الفضه بوساطه حامض النيتريك، و الحصول على الزرنيخ و الإثمد من كبريتيدهما و زاولوا ما يسمى الآن بالكيمياء الصيدليه و قالوا بزياده المعادن فى الوزن بعملية التكليلس أو التاكسد، و عرفوا ان النار يطفئها انعدام الهواء، و وصفوا علم الميزان الذى يقابل ما نسميه "الأوزان المتكافئه". كما عرفوا الاختزال.

و استخدموا ثانى اكسيد المنجنيز فى صناعه الزجاج، و ان النحاس يكسب الذهب لونا أزرق إلى الخضره و صنعوا الإشابات أو السبائك المعدنيه، و عرفوا التكليلس (أى تسخين المعدن) حتى يتحول إلى ماده بيضاء تشبه الكلس.

و قد ميز جابر و الرازى بين المحلول الحقيقى و غيره من حالات ذوبان المواد الصلبه فى السوائل من معلقات و غرويات. و

تحدثا عن طرق استخلاص الذهب و علاقته ذلك بحجر الفلاسفه، و الواقع انه لم يكن فى الأمر سحر و لا- شعوذه انما هو استخلاص للذهب من خاماته بالملغمه.

### نقطه تحول فى العصر الوسيط

و لا شك انه يمكن الربط بين مراحل الفكر العلمى عند الاغريق، ثم

ص: ٥٣

العصر الإسكندري ثم العصر العربي الإسلامي، ثم عصر النهضة الأوروبية ذلك عن طريق دراسته مقارنة لما قدمه هؤلاء و أولئك.

و مما لا ريب فيه ان أعمال هذين العملاقين " جابر و الرازي " في مجال العلوم الكيميائيه، كانت بمثابة نقطه تحول في العصر الوسيط إلى عصر النهضة الأوروبية الكبرى، التي يمكن ان يقال اننا نعيش في فيضها حتى الوقت الحاضر.

و من الإنصاف أن نعترف لهذين العملاقين باثرهما البالغ في الكيمياء تأسيسا و تقدما، و لعل أحدث دراسته تؤيد ما ذهبنا اليه تلك التي قدمها الأستاذ محمد جمعه الطوري في رساله مطوله تفصل بعض ما أجمعناه.

### الشيخ جعفر التنكابني:

توفي بعد سنه ١٢١٣.

ولد في تنكابن و أخذ الأوليات بها ثم انصرف إلى تعلم الفلسفه و برع بذلك و تقرب إلى السلطان آغا محمد خان القاجاري و أصبح من ندمائه و كان يقرأ له كتب الفلسفه و يفسرها.(١)

### السيد جلال الدين الطهراني:

ولد في عام ١٢٧٢ و توفي ١٤٠٨ في باريس و درس في طهران العلوم الإسلاميه في حوزتها العلميه. ثم سافر إلى مشهد خراسان حيث عهد اليه، بما اصطلح على تسميته باسم (منجم باشي)، و يقصد به: المسئول عن أعداد التقاويم و ما إلى ذلك من الشؤون الفلكيه.

و بعد عده سنين عاد إلى طهران و زاول الشؤون السياسيه. و في العام ١٣٥٥ سافر إلى أوروبا لمتابعه دراساته الفلكيه في كل من فرنسا و بلجيكا، ثم عاد إلى إيران متقلدا المناصب الحكوميه التاليه مره بعد مره:

(١) - معاون رئيس الوزراء (٢) وزير دوله (٣) وزير البرق و البريد و الهاتف (٤) نائب التوليه، و هو المنصب الذي يشرف صاحبه على مقام الامام الرضا ع و أوقافه و ما إلى ذلك من شؤون هامه، و هو من أكبر المناصب في إيران. (٥) حاكم مقاطعه خراسان (٦) سفير إيران في بلجيكا (٧) عضو مجلس الشيوخ.

و أخيرا لما اضطرت الثورة الإيرانيه الشاه محمد رضا لمغادره إيران مع أسرته اختير رئيسا لمجلس الوصايه على العرش. و لم يلبث أن سافر إلى باريس لمقابله الامام الخميني، فطلب اليه أن يستقيل فاستقال.

و مما يذكر أن الشاه رضا والد الشاه محمد رضا كان قد أوصى ولده أن يستشير المترجم له في كل شأن هام يعرض له. و كان أهم ما أشار به عليه أن لا- يقدم على إعدام السيد الخميني عند ما تحرك السيد حركته الأولى في قم و قبض عليه و أودع السجن، فقد كان عند الشاه اتجاه قوى لاعدامه، و لكن المترجم له أصر عليه أن يتحاشى ذلك فاستجاب الشاه.

له عده مؤلفات منها: كتب التقاويم في تسعه مجلدات، الإرشاد في شرح الصاحب بن عباد (باللغه العرييه)، أصفهان نصف جهان

(باللغة الفارسيه)، آثار قديمه فارسي (باللغة الفارسيه) رساله صور فلکی.

و قد حقق الكتب الآتیه:

حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تاريخ جهان گشای للجوينیفی ثلاثه أجزاء، محاسن أصفهان (باللغة العربيه)، فارسنامه بن بلخی، تاريخ قم، هیات، جامع التواريخ، لب التواريخ. اقتنى مكتبه ضمت ۴۵۰ مخطوطا و ۶۰۰۰ مطبوعا، أهداها إلى مكتبه الامام الرضا.

## أبو ذر الغفاری جندب بن جناده:

### إشارة

مرت ترجمته في المجلد الرابع، و نشر عنه هذه الدراسة بقلم الدكتور محمد عماره:

حياته في سطور

\* المشهور و الأصح أن اسمه: أبو ذر جندب بن جناده بن قيس بن عمرو بن مليل بن صعير بن حرام بن غفار، و ينسب إلى قبيلته غفار، فيقال:

أبو ذر الغفاری، و في اسمه هذا خلاف كثير، فالبعض يقول ان اسمه: أبو الذر، و البعض الآخر يقول: ان اسمه برير بن عبد الله، أو برير بن عشرقه، أو برير بن جندب، أو برير بن عبد، و منهم من يقول إنه: جندب بن السكن، أو جندب بن سفيان بن جناده بن عبيد بن الواقفه بن حرام بن غفار بن مليل بن صخره بن كنانه بن خزيمه بن مدركه بن الياس بن مضر بن نزار الغفاری.

\* أما اسم أمه فإنه لا خلاف فيه، فهي: رمله بنت الوقيعه، من بني غفار بن مليل.

\* ولد في قبيله غفار، في تاريخ غير معلوم، و كانت مضاربها على طريق مكة التجارى إلى الشام.

\* و كان أبو ذر أسمر اللون، طويلا، نحيف الجسم معروقا..

\* و لقد اهتدى إلى عقيدة التوحيد، فترك عباده الأصنام، و عبد الله وحده قبل بعثه الرسول محمد، ص، بثلاث سنوات، و كان قومه يعلمون عنه ذلك، و يسمونه، لترك دينهم و خروجه عليه:

الصابئ.

\* كان من السابقين إلى تصديق الرسول في رسالته، و هناك اتفاق على أنه أحد الخمسة الأوائل الذين أسلموا مبكرا، و الخلاف هل هو الرابع أو الخامس فيهم.

\* كان إسلامه و دعوه الإسلام لا تزال سرا بمكة، فولاه الرسول مسئولية قومه، فعاد و مكث فيهم يدعو للإسلام جهرا، فأسلم معه

كثير من قومه، و ظل فى موقعه هذا حتى هاجر إلى المدينه سنه ٥٥ هـ ٦٢٧ م.

\* أبرز ما يميز حياه أبى ذر علمه الغزير، حتى

قال عنه على بن أبى طالب - و هو من هو فى العلم -: "وعى أبو ذر علما عجز الناس عنه، ثم أوكا عليه فلم يخرج شيئا منه" .. و كذلك زهده و تواضعه، و

فى زهده يقول الرسول: "أبو ذر فى أمتى على زهد عيسى بن مريم، ع" .و لقد بلغ به التواضع أنه كان يقدم لامامه الصلاه - فى منفاه بالربذه - رقيقا اسمه "مجاشع"، و هو دونه فى كل الصفات و المؤهلات. و كذلك جرأته فى الحق التى فاق فيها أصحابه، حتى

قال عنه الرسول بصددها: " ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء أصدق لهجه من أبى ذر "!.

روى عن الرسول أحاديث كثيره، و منها أحاديث عديده ذات مضمون اجتماعى يدعو إلى المساواه و التكافل و ينفر من التفاوت فى الثروات، و روى هذه الأحاديث عن أبى ذر كوكبه من الصحابه و التابعين، منهم مثلا: أنس بن مالك، و عبد الله بن عباس، و أبو إدريس الخولانى، و زيد بن وهب الجهنى، و الأحنف بن قيس، و جبير بن نفير، و عبد الرحمن بن تميم، و سعيد بن المسيب، و خالد بن وهبان (أو: أهبان) - و هو ابن خاله أبى ذر، و قيل: ابن أخيه - و عبد الله بن الصامت، و خرشه بن الحر، و زيد بن ظبيان، و أبو أسماء الرحبى، و أبو عثمان النهدى، و أبو الأسود

ص: ٥٤

الدؤلى، و المعروف بن سويد، و يزيد بن شريك، و أبو مرواح الغفارى، و عبد الرحمن بن أبى ليلى، و عبد الرحمن بن حجيره، و عبد الرحمن بن شماسه، و امرأه أبى ذر، و عطاء بن يسار، و غيرهم كثيرون.

\* لم يشهد غزوه "بدر"، و لكن عمر بن الخطاب ألحقه بمن شهدها فى العطاء، اعترافا بفضله، و لأنه لم يكن يومها قد هاجر إلى المدينة.

\* اختلف مع عثمان بن عفان، لمحاباته أهله بعد توليه الخلافة، و ثار على خروج المجتمع الإسلامى عن نهج الرسول فى التقارب و التكافل الاجتماعى، و انتقد تسابق البعض على حيازه الثروات، و نفى بسبب ذلك أكثر من مره، من المدينة إلى الشام، و من الشام إلى المدينة، و أخيرا إلى قريه صحراويه على بعد ثلاثه أميال من المدينة تسمى الربذه و كان ذلك فى سنه ٣٠هـ.

\* فى تاريخ وفاته خلاف بين سنوات ٣١ و ٣٢ و ٢٤ هـ و الأصح هو التاريخ الأول.

\* لم يحضر وفاته سوى ابنته، و كان قد أمرها عند ما اقترب منه الموت أن تولم وليمه لأول ركب يفد إلى منفاه كى يجهزوه و يدفونه.. و قبل أن يسلم روحه قال لابنته: استقبلى بى الكعبه، ففعلت، و قال: بالله، و على مله رسول الله ص.. ثم أسلم الروح. و عند ما وفد على ابنته ركب قادم من الكوفه، و كان فيه عبد الله بن مسعود، قالت لهم:

رحمكم الله، اشهدوا أبا ذر، قالوا، و أين هو؟ فأشارت إليه - و قد مات - فجهزوه و صلوا عليه و دفنوه.. و لقد بكى ساعتها

ابن مسعود، و قال: صدق رسول الله، ص، لقد قال عن أبى ذر: "يعيش وحده، و يموت وحده، و يبعث وحده".

## إسلام أبى ذر

فى الأحاديث التى رويت عن الرسول، ع، كلمات تشهد لأبى ذر الغفارى بالتميز و التفرد ببعض الخصال و الصفات، سبقت إشارتنا إلى بعض من ذلك، و سيأتى الحديث عن بعضها الآخر بعد قليل.

و قصه العلاقه بين أبى ذر و بين الدين الإسلامى من أهم القسمات التى تميز أبا ذر عن غيره من الصحابه، سواء منهم الذين سبقوا إلى الإسلام أو الذين أبطأ بهم الايمان بالرسول حينما من الدهر، قل أو كثر ذلك الحين.

ففى شبه الجزيره العربيه كانت تتناثر، قبل بعثه الرسول، بعض المراكز الدينيه، و بعض القبائل التى آمنت بشريعه عيسى، ع، و كانت فى هذه الأرض كذلك بقايا لديانه إبراهيم الخليل، ع، تمثلت أساسا فى عقيدة التوحيد التى ترفض الأصنام، و تنكر على الناس عبادتها، و كانت هذه البقايا من عقيدة إبراهيم تسمى "الحنيفيه"، و أتباعها يسمون "الحنفاء".. و لقد كانوا أكثر الناس إحساسا، فى تلك البقعه و فى ذلك التاريخ، بشده حاجه تلك البيئه إلى رسول يوحد العرب حول عقيدة توحيديه، و ينتقل بهذا المجتمع إلى طور حضارى جديد..

و لقد كان أبو ذر الغفارى من هؤلاء الحنفاء، الذين اهتموا - ذاتيا و بالتأمل و التعمق فى التفكير - إلى عقيدة التوحيد، فدعا الله و عبده، بل و دعا إليه، قبل أن يبعث الرسول ع، بثلاث سنوات، و هذه ميزه يتفرد بها الرجل عن الذين شاركوه فى صحبه

الرسول. و هو يقص علينا ذلك السبق فى حوار دار بينه و بين ابن أخيه، يقول فيه: " - و قد صليت، يا ابن أخى، قبل أن ألقى رسول الله (ص)، بثلاث سنين..

قال: لمن؟ قلت: لله.

قال: فأين تتوجه؟ قلت: أتوجه حيث يوجهنى ربي!... " (1).

و فى الوقت الذى بدأ فيه الرسول الدعوه سرا إلى الإسلام، كان أبو ذر مع أخيه " أنيس " قد غادرا مع أمهما مضارب قبيلتهم غفار، سخطا على خروج القبيله عن تقاليد العرب التى تحرم الحرب فى الشهر الحرام، فنزلوا حينما من الدهر عند خال لهما، ثم غادروه و نزلوا على مقربة من مكه.. و فى هذا المكان سمع أبو ذر عن الرجل الذى يقول: إنه يتلقى وحى السماء، و يدعو إلى عقيدة التوحيد، فبعث بأخيه كى يتنسم له هذا الخبر الذى لم يكن بعد قد ذاع، و قال له: اركب إلى هذا الوادى، فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء، و اسمع من قوله، ثم ائتنى.. و عند ما عاد " أنيس " من رحلته، سأل أبو ذر:

" - ما صنعت؟ قال: لقيت رجلا بمكه على دينك، يزعم أن الله قد أرسله، يسمونه الصابئ.

قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر.. و لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، و لقد وضعت قوله على أقرأ الشعر فما يلتئم على لسان أحد بعدى أنه شعر، و الله إنه لصادق و إنهم لكاذبون".

و لكن هذا القدر من الحديث، و ذلك اليقين الذى تحدث به " أنيس " عن صادق محمد لم يكف لهفه أبى ذر و لم يشبع نهمه، و هو الذى ينتظر مثل ذلك اليوم منذ سنوات ثلاث.. فطلب من أخيه القيام على أمر أمهما و أمر معاشهم حتى يذهب بنفسه إلى مكه كى يباشر السماع و يقف بنفسه على حقيقه الموضوع.

و عند ما وصل إلى مكه اختار رجلا ضعيف البنيه من بين أهلها، كى يسأله عن مكان هذا الداعيه إلى نبذ عقيدة الأصنام، فقال للرجل: أين هذا الذى تدعونه الصابئ؟!.. ففزع الرجل، كيف شاع أمر الدعوه الجديده، التى يريد أهل مكه أن يقبروها فى مهدها، حتى بلغ خبرها إلى من هم خارج مكه، فجاء هذا الغريب يسأل عن مكان صاحبها!! و لذلك صرخ الرجل فى تعجب من سؤال أبى ذر، و قال: الصابئ؟!.. الصابئ؟!.. و يحكى أبو ذر كيف هجم عليه القوم و انهالوا عليه بالضرب حتى اصطبغت ملابسه و بشرته بدمائه، فيقول: فمال على أهل الوادى بكل قدره و عظم حتى خررت مغشيا على.. فارتفعت، حين ارتفعت كانى نصب أحمر!!..

و لكن ذلك لم يصرف أبى ذر عن ما جاء من أجله.. فذهب إلى ماء بئر زمزم فاغتسل من دمائه، و شرب من مائه، و دخل المسجد و اختفى خلف أستار الكعبه يترقب ما تأتى به الأيام من الأحداث.. و استمر فى مخبئه هذا يتسمع خمسه عشر يوما، و قيل ثلاثين يوما، لا طعام له سوى ماء زمزم!؟

١- صحیح مسلم ج ١٦ ص ٢٧ و ما بعدھا.



حتى كانت ليله مقمره أنصرف فيها رجال مكه إلى السمر عن الطواف بالأصنام المنصوبه حول الكعبه و فوقها، و جاءت امرأتان تطوفان بالأصنام، و تدعوان الصنم "إساف" و الصنم "نائله" بما هو مألوف عندهم من الدعاء... و قرر أبو ذر أن يسخر من المرأتين و من معبودهن - و "إساف" إله ذكر، - و "نائله" آلهه أنثى - فرفع أبو ذر صوته من مخبئه، و قال للمرأتين: أنكحا أحدهما الأخرى؟!.. و لكنهما استمرتتا فى دعاء الصنمين فقال: "هن مثل الخشبه"؟!.. و عند ذلك فرعت المرأتان، و غادرتا مكان الطواف فى اتجاه باب المسجد، و هما تصيحان: لو كان هاهنا أحد من أنفارنا؟؟؟! و صادف ذلك دخول الرسول ص إلى المسجد، للصلاه، فى تلك الليله التى خلا فيها المسجد من المشركين.. فسال المرأتين:

- ما بالكما؟ قالتا: الصابى بين الكعبه و أستارها..

- ما قال لكما؟ قالتا: إنه قال لنا كلمه تملأ الفم (أى غليظه فى فحشها، لا يمكن التلفظ بها).

و يحكى أبو ذر ما حدث بعد ذلك، و كيف "جاء رسول الله صحتى استلم الحجر، و طاف بالبيت، ثم صلى، فلما قضى صلاته، قلت: السلام عليك يا رسول الله، فقال، و عليك و رحمه الله.. ثم قال: من أنت؟ قلت: من غفار.. و يعلق أبو ذر على هذا اللقاء، و على إسلامه، دون أن يدعوه الرسول إلى الإسلام، فيقول "فكنت أنا أول من حياه بتحيه الإسلام".

فأخبره الرسول بتفكيره فى الهجره من مكه، و احتمال أن تكون "يثرب"، (المدينه) هى مكان هذه الهجره المرتقبه.. و طلب إليه أن يتولى أمر الدعوه إلى الإسلام فى قبيلته غفار.. و قال له لا "فهل أنت مبلغ عنى قومك، عسى الله أن ينفعهم بك، و يأجرک فيهم؟.. ارجع إلى قومك فأخبرهم، حتى يأتیک أمرى".

و لكن أبا ذر لم يشأ أن يغادر مكه سرا، و دون أن يتحدى أهلها فى ذلك الوقت المبكر الذى لم تكن فيه الدعوه الإسلاميه قد أعلنت بعد، و لم يكن فيه عدد المسلمين قد تجاوز أربعة، فقال للرسول ع:

"و الذى نفسى بيده لأصرخن بها بين ظهرايهم.. فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، و أن محمدا عبده و رسوله، فقام القوم إليه فضربوه حتى أضجعوه، و أتى العباس بن عبد المطلب فأكب عليه، و قال: ويلكم أ لستم تعلمون أنه من غفار؟! و أنه طريق تجارتكم إلى الشام؟! فأنقذه منهم" و تكرر هذا المشهد فى اليوم التالى حيث عاد أبو ذر لتحديهم علنا، فعادوا لضربه و أنقذه منهم ثانيه العباس، عم الرسول.

و هكذا تفرد أبو ذر مره أخرى بامر آخر عن غيره من الصحابه الذين أسلموا حتى ذلك التاريخ.

و عند ما عاد أبو ذر إلى قومه، تبعه فى العقيدته أخوه "أنيس"، و أمه. ثم أخذ فى الجهر بالدعوه إلى الإسلام، و فى السخرية من أصنام غفار و آلهتهم.. حتى دخلت أعداد كبيره من قبيلته فى الإسلام، و ظل بينهم داعيا إلى الدين الجديد حتى هاجر الرسول (ع) إلى المدينه، و قدم إليها أبو ذر فأسلم من بقى من قومه، و دعا لهم الرسول فقال: "غفار غفر الله لها" (1)... فكانت ميزه أخرى تميز بها هذا الداعيه إلى الإسلام بين قبيلته و قومه عن كثير من الذين أسلموا فى ذلك الحين.

**صفات أخرى للرجل**

و لم تكن هذه هي كل الصفات التي تميز بها هذا الصحابي الجليل.. بل كانت له صفات أخرى امتاز بها على الكثيرين...

\* ومن أولى هذه الصفات غزارة العلم و المعرفة.. فعلى الرغم من أن المشهور في الدراسات الإسلامية التي تناولت مركز الصحابه من العلم و المعرفة تكاد تجمع - و هي على حق في ذلك - على أن علي بن أبي طالب كان أبرز الصحابه في هذا الميدان، إلا أن تقييم أبي ذر في هذا الصدد يحتاج إلى تنبيه و جلاء و تفسير لبعض ما روى حوله في هذا الموضوع.

فلقد ذكرت في أوصاف الرجل أنه " كان يوازي ابن مسعود في العلم " (٢) و ابن مسعود من المبرزين و المقدمين في هذا الميدان.. و لكن الأمر الأهم الذي نود التنبيه إليه هو أن وصول أبي ذر إلى الايمان بعقيدته التوحيد قبل البعثة المحمديه، و قبل سماعه بالقرآن و الرسول، إنما يضعه بين أصحاب النظر العقلي و التحليل النظري و الفكر الفلسفي، و من ثم يعطى الرجل مكانا متميزا في هذا الميدان.. و يبدو.. أن الرجل قد كانت له آراء فلسفيه و نظرات عميقه حول عدد من القضايا الفكرية لم تكن البيئه الفكرية التي عاش فيها من سعه الصدر و رحابته بحيث تسمح له أن يلقي بكل ما عنده إلى الناس.. و يشهد بذلك

قول علي ابن أبي طالب عند ما سئل عن أبي ذر، فلقد قال: إنه " وعى علما فعجز فيه، و كان شحيحا حريصا:

شحيحا على دينه، حريصا على العلم " (٣)، فهو هنا يشير إلى "نوعه" علم أبي ذر، و أيضا إلى أن الرجل كان حريصا عليه و ضنينا باذاعته بين الناس.. و في

حديث آخر لعلى عن هذا الموضوع يقول فيه، كان "أبو ذر وعاء ملئ علما، ثم أو كئ عليه"؟! (٤) أى أن البيئه التي عاش فيها الرجل لم تشهد ما في وعاء علمه من قضايا و أفكار، لأن هذا الوعاء بعد أن ملئ بالعلم، حدث أن " أو كئ عليه "؟!.. و هناك

روايه أخرى لكلمات على هذه أكثر صراحه و أقطع في الدلاله عند ما يقول " وعى أبو ذر علما عجز الناس عنه، ثم أو كا عليه فلم يخرج شيئا منه "؟! (٥).

و لأبي ذر نفسه إشاره إلى أنه قد تحصلت له و امتلك عقله نظره شامله و متكامله للكون و الحياه، فهو يصف حالته الفكرية بعد أن اكتسب ما اكتسب من صحبه الرسول عليه الصلاه و السلام - و كان ملازما له منذ لحق به في المدينه - فيقول: " لقد تركنا رسول الله ص، و ما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علما؟! " (٦) فالرجل و لا بد كانت لديه قضايا و أفكار أكثر مما حفظته لنا كتب الحديث و التاريخ.

\* و زهد أبي ذر هو الآخر ميزه من الميزات التي تميز بها الرجل،

فالرسول ص و قد قال عنه: " أبو ذر في أمتي على زهد عيسى بن مريم ع " (٧)، و لكن زهد أبي ذر هذا لم يكن عزوفا عن الدنيا و إداره ظهر لمشاكلها و أحداثها، و إنما كان موقفا نضاليا يرفض صاحبه الانغماس في الملذات و الترف، و في نفس الوقت يكافح ضد الذين سلكوا هذا السبيل، فابو ذر كان يؤمن بان له في أموال المجتمع حقوقا مثل ما للآخرين، و أن استئثار الآخرين بهذه الأموال لا يعنى اختصاصهم بها دونه

- ١- صحيح مسلم ج ١٦ ص ٢٧ و ما بعدها، و أسد الغابه، ج ٥، ص ٨٧ و الاستيعاب ج ٤ ص ٦٤ و الاصابه ج ١ ص ٨٨.
- ٢- الاصابه ج ٤، ص ٦٥..
- ٣- طبقات ابن سعد ج ٢، ق ٢، ص ١١٢.
- ٤- الاصابه ج ٤، ص ٦٥ و هو حديث أخرجه أبو داود.
- ٥- الاستيعاب ج ٤، ص ٦٤.
- ٦- المصدر السابق ج ٤، ص ٦٤، ٦٥.
- ٧- المصدر السابق ج ٤، ص ٦٤.

و حتى فى منفاه "بالربذه"، وفد عليه "سلمه بن نباته" فحدثه عن تسابق أصحابه فى حيازه الأموال و تنمية الثروات، و قال له: "إن أصحابك قبلنا أكثر الناس مالا؟! فقال له أبو ذر: "أما إنهم ليس لهم فى مال الله حق إلا و لى مثله" (١) فهو لم يكن زاهدا زهد الإنسان الذى لا يرى لنفسه علاقه بالدنيا و مباحجها، و إنما كان زاهدا زهد المناضل ضد احتواء هذه المباحج لمملكاته و قدراته و تطويعها لمزاياه الثوريه التى اكتسبها من قبل و من بعد بعثه الرسول ع.. و الامام أحمد بن حنبل يروى بمسنده فى "كتاب الزهد" الحديث الذى يقول فيه أبو ذر "إنى لأقربكم مجلسا من رسول الله ص يوم القيامة، ذلك أنى

سمعت رسول الله صيقول: إن أقربكم منى مجلسا يوم القيامة من خرج من الدنيا كهيته يوم تركته فيها" ثم يستطرد أبو ذر فيقول: "و الله ما منكم أحد إلا و قد نشب فيها بشىء غيرى" (٢). فهو إذا نمط من الزهد أقرب إلى المواقف النضاليه منه إلى المعنى الشائع الآن عن الزهد و الزاهدين.. و لا شك أن هذه الميزه من ميزات أبى ذر سببرز أكثر و أكثر عند ما نعرض لمواقفه النضاليه من التحولات التى طرأت على الحياه الإسلاميه فى عهد عثمان بن عفان.

\* و ميزه أخرى للرجل لم يشترك معه فيها أحد من أصحابه، بشهاده الرسول ع، و هى "صدق اللهجه"، التى تعنى بلغه عصرنا أن الرجل كان أكثر الألسنه صدقا فى التعبير عن الرأى الحر، و أكثر الناس جرأه فى إعلان ما يعتقد حقا دون ما مواربه أو مداوره، و أن لسانه كان أكثر منابر العصر تعبيراً عن الحقائق التى شهدها هذا الصحابى الجليل.

أما شهاده الرسول لأبى ذر بهذه الميزه و ذلك الامتياز، فإنها قد جاءت فى

حديثه الذى يقول فيه ع: "ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء أصدق لهجه من أبى ذر" (٣) و هو حديث رواه أبو الدرداء، و رواه كذلك بنفس ألفاظه مع تقديم و تأخير عبد الله بن عمر بن الخطاب.. و لقد اشتهر أمر هذا الحديث حتى أصبح من الصفات الشائعه لأبى ذر فى كتب الطبقات الخاصه بالصحابه و المحدثين صفه "الصادق للهجه" (٤) و هو وصف لم يطلق على أحد غيره من صحابه رسول الله..

و أهميه هذه الصفه بالذات من بين صفات أبى ذر الغفارى أنها تعطى قيمه أكبر و أهميه أعظم لرأى الرجل و تقيمه للتطورات و الأحداث التى دار حولها الخلاف بينه و بين عثمان بن عفان و معاويه بن أبى سفيان و من ناصرهما من الصحابه، و هى الأمور التى سياتى حديثنا عنها بعد قليل..

فالقطف - بصدق للهجه الرجل، و اليقين بأنه أصدق أهل زمانه لهجه ينفى نفيا باتا ما حاول به البعض تجريح الرجل و النيل من إنصافه عند ما صوروه أداه لبعض من أسلم من اليهود، دفعوا به لمتاواه عثمان بن عفان و معاويه بن أبى سفيان، و من ثم فان هذه الصفه من صفات أبى ذر لا بد و أن تظل حاضره فى ذهن الباحث و الدارس و القارئ عند التعرض لأحداث ذلك الصراع الذى قام بينه و بين جهاز الدوله و الأغنياء فى ذلك الحين.

و هذه الصفه التى يتميز بها أبو ذر قد جعلت الرجل أثيرا إلى الرسول ع، قريبا منه، تدل على ذلك أحاديث كثيره مثل ذلك الذى أخرجه

الطبرانى من أحاديث أبى الدرداء، قال: "كان رسول الله صبيدئى أبا ذر إذا حضر، و يتفقده إذا غاب" أى أن منزله الرجل كانت

كبيره لدى الرسول.. بل و أكثر من ذلك.. فنحن نستطيع أن نقول: إن الرسول كان شديد الحرص على أن يجد أبا ذر دائما في المكان المرغوب لصفوه الصحابه و خيره المسلمين، و لقد حدث أن انتشر و شاع تخلف الناس عن الخروج للقتال مع الرسول في غزوه "تبوك"، و أخذ بعض الصحابه ينقلون إلى الرسول أخبار المتخلفين عن الاستعداد للقتال، فيقولون: يا رسول الله: تخلف فلان.. فيقول لهم: "دعوه.. فان يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم، و إن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه". فذهب هذا الحكم معيارا يميز الخارجين إلى القتال عن القاعدين عنه دون عذر مقبول.. و عند ما خرج الجيش المسلم عن المدينة، لم يكن فيه أبو ذر، لأن بعيره كان بطيء السير، و تفقد الرسول أبا ذر فلم يجده، فاخذ يتمنى على الله أن يكون أبو ذر في القاديين، حرصا منه على الرجل و مكانته في الإسلام و بين المسلمين و في نفس الرسول.. و في نفس هذه اللحظات كان أبو ذر - و قد استبطا بعيره - قد أخذ متاعه على ظهره، و تبع جيش الرسول مشيا على الاقدام.. " فنظر ناظر من المسلمين، فقال: إن هذا الرجل يمشى على الطريق، فقال رسول الله ص: "كن أبا ذر؟! و يكمل ابن مسعود روايه الحديث فيقول: " فلما تأملت القوم، قالوا: يا رسول الله هو و الله أبو ذر؟! ففرح رسول الله فرحا شديدا بتحقيق أمنيته في أن يكون أبو ذر في مكانه الطبيعي بين الذين جعل الله فيهم خيرا فالحقهم بجيش الذاهيين للقتال في "تبوك" و

قال: " يرحم الله أبا ذر، يعيش وحده و يموت وحده..

و يحشر وحده"؟(٥)!

## تحولات عهد عثمان

حتى نفهم موقف أبى ذر من التحولات التى طرأت على الحياه الإسلاميه أخريات حياته، لا بد أن نعرض لهذه التحولات، و حتى نحكم للرجل أو عليه لا بد من تقديم لمحاه تجسد لنا ما حدث فى الميدان الاجتماعى منذ ولى الخلافه عثمان بن عفان، فذلك هو السبيل الطبيعى للتقييم الأذق الذى نشده، و للتمييز بين وجهتى النظر المتعارضتين للمؤرخين القدامى الذين عرضوا لموقف هذا الصحابى الجليل من هذه التحولات..

و بادئ ذى بدء فنحن مع الذين يرون أنه قد حدثت بالفعل تحولات اجتماعيه فى الحياه الإسلاميه على عهد عثمان، لم تكن موجوده فى عهد البعثه و لافى زمن أبى بكر و خليفته عمر بن خطاب.. ففى عهد الرسول، لم تكن الفتوحات الإسلاميه الكبرى قد حدثت بعد، و من ثم فان ثروه المجتمع لم تكن ذات وزن كبير، حتى أن الدوله العربيه الإسلاميه التى قامت يومئذ لم تعرف نظاما مستقرا و مقننا لماليتها من حيث الضبط و التنظيم للواردات و المصروفات.. و عند ما لقي الرسول ربه خلف دينا عليه هو عباره عن قرض اقترضه لقضاء حاجات أهله المعاشيه.. و لم يختلف الحال كثيرا فى عهد أبى بكر.. لا من حيث الحدود التى امتد إليها الفتح العربى، تقريبا، و لا من حيث ثروه الدوله، بل لقد تأثرت بالانقسامات التى حدثت على سلطه أبى بكر القائمه فى "المدينه"، و استنفدت منها الحروب، التى سميت "بحروب الرده"، قدرا كبيرا من الجهد و النفقات، حتى أن بيت مال المسلمين - (خزانه الدوله) - عند وفاه أبى بكر، لم يكن بها سوى دينار واحد قد سقط و تخلف بطريق الخطا و النسيان؟!..

و فى عهد عمر بن الخطاب امتدت فتوحات الدوله حتى شملت المجتمعات الغنيه الثلاثه التى كانت أهم مصادر للثروه فى الامبراطوريه

- ١- تاريخ الأمم و الملوك ج ٥ ص ٦٧.
- ٢- الاصابه ج ٤، ص ٦٥.
- ٣- الاستيعاب ج ٤، ص ٦٤ ح ٦٥ و الاصابه ج ٤، ص ٦٥.
- ٤- الاصابه ج ٤، ص ٦٣.
- ٥- المصدر السابق ج ٤، ص ٦٥

العربييه: مصر، و الشام، و العراق.. و جاءت إلى عاصمه الدوله كنوز القياصره و الأكاسره، و فيها أكوام من التحف و العملات الذهبيه التي ذهل لمرآها كثيرون من الصحابه.

و يبدو أن الفرع الأموى، بزعامه أبى سفيان، قد رأى فى تولى عثمان الخلافه فرصه طالما انتظروها كى تعود لهم المكانه الأولى التي فقدوها منذ ظهور الإسلام على يد محمد بن عبد الله، من الفرع الهاشمى الفقير من بنى عبد مناف.. و لقد ذكر عمار بن ياسر أنه قد حدث "عقيب الوقت الذى بويح فيه عثمان، و دخل داره، و معه بنو أميه" أن قال لهم أبو سفيان، و كان قد كف بصره: "أ فيكم أحد من غيركم؟.. قالوا: لا.. قال: يا بنى أميه، تلقفوها تلقف الكره، فو الذى يحلف به أبو سفيان، ما زلت أرجوها لكم، و لتصيرن إلى صبيانكم وراثه، و نمى هذا القول إلى المهاجرين و الأنصار.

"فهو إذا انقلاب سياسى قد حدث، طالما رجاه و انتظره أبو سفيان و بنو أميه، و هى إذا بدايه حقبه من الحكم الأموى يعدون أنفسهم لتلقفه كالكره حتى تصير ملكا وراثيا يتولاه الصبيان.. لقد سنحت لهم الفرصه، و رأوا فى شخصيه عثمان المناخ المناسب كى يحققوا ما يريدون.. و لذلك كان حكم هذا الخليفه بدايه لأحداث و تطورات استحدثت فى الحياه الاجتماعيه الإسلاميه، سعى إليها البعض و اغتتمها البعض و ناضل ضدها البعض الآخر و من ثم كانت الصراعات التي برز فيها أبو ذر الغفارى و كانت "الفتنه" (الثوره) التي شهدها آخر عهد عثمان بن عفان..

\* فلقد انتشر كثير من الصحابه، فى الأمصار، و أقطعهم عثمان مساحات من الأرض التي كانت ملكيه عامه لبيت مال المسلمين، فوزعت عليهم الأرض التي كانت مملوكه لكسرى و قيصر و الأمراء و القواد الذين حاربوا ضد الفتح العربى لهذه البلاد، و هى التي كانت تسمى أرض "الصوافى"، و كان دخلها على عهد عثمان ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ درهم، كما كان عثمان أول من أقطع أرض العراق.

\* و تغير حال العمال و الولاه، فاستخدم عثمان الكثير من أقربائه، و حتى الذين كانوا يعملون على عهد عمر لم يعودوا يخشون شدة عمر، و استبدوا بالأمر من دون عثمان. و من حديث لعلى بن أبى طالب، عشيه الثوره على عثمان يعيب عليه فى ضعفه إزاء الولاه و العمال، يقول له فيه: "إن عمر كان يطأ على صماخ من ولى.. إن بلغه عنه حرف جلبه ثم بلغ به أقصى العقوبه، و أنت لا تفعل، ضعفت و رقت على أقربائك"، و عند ما يقول له عثمان، "و هم أقرباؤك أيضا؟! يقول له على: "أجل.. إن رحمهم منى لقريبه، و لكن الفضل فى غيرهم!" و عند ما يعترض عثمان و يحتج بأنه قد ولى معاويه بعد أن ولاه عمر من قبل، يرد على قائلاً: "أنشدك الله!! هل تعلم أن معاويه كان أخوف لعمر من "يرفا"، غلام عمر له؟! أما الآن "فان معاويه يقتطع الأمور دونك، و يقول للناس: هذا أمر عثمان، و أنت تعلم ذلك فلا تغير عليه؟!". (١)

\* و انعكست هذه التطورات السياسيه و الاداريه على الأوضاع الاقتصاديه و الاجتماعيه لدى عدد كبير من الولاه و الصحابه و العمال.. فسعيد بن العاص و الى عثمان على الكوفه، يسير فى الناس سيره منكروه، و يستبد بالأموال دونهم، و يقول عن أرض العراق إنها بستان قريش؟! فيعترض عليه الأشتر مالك بن الحارث النخعى قائلاً: "أ تجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا و مراكز رماحنا بستانا لك و لقومك؟!".

\* و تبدى مظاهر الثراء و البذخ على عدد كبير من الصحابه، فالزبير بن العوام يبنى له عده دور فخمه بالبصره، و الكوفه، و مصر،

و الإسكندريه، و عند ما تحضره الوفاه يحصون فى ثروته ٥٠,٠٠٠ دينار، و ألف فرس، و ألفا من العبيد و الإماماء.. إلى آخره..

\* و طلحه بن عبيد الله التميمى [التميمى] يبتنى لنفسه هو الآخر إحدى الدور الفخمه بالكوفه و أخرى بالمدينه يشيدها "بالآجر و الجص و الساج"، و يبلغ دخله من ممتلكاته بالعراق وحدها ألف دينار فى اليوم الواحد؟! " و قيل أكثر من ذلك، و بناحيه "الشراه" أكثر مما ذكرنا!!\* و عبد الرحمن بن عوف الزهرى، تصبغ ثروته مضرب الأمثال "فعلى مربطه مائه فرس، و له ألف بعير، و عشره آلاف شاه من الغنم" و عند ما توفى قدرت ثروته بأكثر من مليونين و نصف من الدراهم، و لقد بلغ حجم القدر الذى أحضر منها إلى عثمان بن عفان فى "البدر" و "الأكياس" قدرا من العظم جعله يحجب رؤيه عثمان عن الرجل الواقف أمامه؟!.

و يذكر سعيد بن المسيب أنه قد كان فى ثروه زيد بن ثابت - و كان من المدافعين عن عثمان حين ثار الناس عليه - يوم مات "من الذهب و الفضة ما كان يكسر بالفئوس، غير ما خلف من الأموال و الضياع بقيمه مائه ألف دينار".

\* أما يعلى بن منيه فإنه يخلف فى تركه ٥٠٠,٠٠٠ دينار، تضاف إليها عقارات و ديون له على الناس تقوم بمبلغ ٣٠٠,٠٠٠ دينار!.

\* و يشيع فى المدينه بناء الدور الفخمه الحديدته، و يتخذون لها الأماكن الجميله من "الضواحي" فعلى بعد أميال من المدينه يبنى "المقداد" - "بالجرف" دارا، "مخصصه الظاهر و الباطن"، و يجعل فى "أعلاها شرفات"، و يصنع مثله "بالعقيق"، "سعد بن أبى وقاص".

و يحصون لعثمان، يوم مقتله "عند خازنه من المال خمسين و مائه ألف دينار (١٥٠,٠٠٠)، و ألف ألف درهم" (١,٠٠٠,٠٠٠) و ذلك غير قيمه "ضياعه بوادى القرى و حنين"، تلك التى قدرت بمبلغ ١٠٠,٠٠٠ دينار، هذا عدا الخيل و الإبل و غيرها من الممتلكات و المقننات.

و نحن نود [نورد] قبل أن نتقل للحديث عن أثر هذه التحولات المستحدثه فى المجتمع الإسلامى، أن ننبه إلى أن صحبه هؤلاء الرجال لرسول الله ص، و سبق الكثير منهم إلى الإسلام، و بلاءهم الحسن فى نشر الإسلام و إقامة دعوته، لم يكن له أن يمنع سعيهم هذا الذى حدث فى سبيل الدنيا، لأن النفس البشريه عند ما تتاح لها الفرصه لذلك دون ما مانع من القانون و رادع من النظام، فقلما تحجم عن السعى فى هذا الطريق...

و من ثم استباح الكثيرون لأنفسهم و استحلوا هذا النمط من أنماط الحياه..

و لقد كانت للقوم شبهه حل تجعل لهم هذا الأمر مباحا لا حرج عليهم فيه..

يشهد لذلك قول عثمان بن عفان عن عبد الرحمن بن عوف عند ما أحضر له ما أحضر من أكياس دنانيه و دراهمه بعد وفاته: "إنى لأرجو لعبد الرحمن خيرا، لأنه كان يتصدق، و يقرى الضيف، و ترك ما ترون" .. أى أنه قد كانت هناك وجهه نظر تمثل موقفا فكريا يرى أنه لا حرج على الناس و لا على ضمائرهم من السعى فى هذا السبيل، و أن التقوى و الايمان لن ينقص منهما



جمع الأموال، بشرط أن يتصدق أصحابها و يكرموا الضيوف و يبذلوا منها قدرا معلوما في بعض وجوه البر و الإحسان..

بل لقد حدث أن استباح البعض ما حرمه الرسول على سبيل القطع في هذا الميدان، و

في (صحيح مسلم) نقرأ هذا الحديث الشاهد لما نقول:

- "حدثنا عبد الله بن مسلمه بن قعنب، حدثنا سليمان" يعني ابن بلال "عن يحيى" و هو ابن سعيد"، قال: كان سعيد بن المسيب يحدث أن معمرا قال:

قال رسول الله ص: من احتكر فهو خاطئ، فقيـل ٤.

ص: ٥٨

---

١- الكامل في التاريخ، لابن الأثير ج ٣، ص ٧٤.

لسعيد: فانك تحتكر!! قال سعيد، إن معمرا، الذى كان يحدث هذا الحديث كان يحتكر "!!؟ (1) فما بالناس باستحداث أمور كانت للبعث فيها شبهه جل؟! و لم يكن فى صف الذين أنكروها و حاربوها سوى سلاح الاجتهاد فى تفسير النصوص و قياس الأمر على كليات التعاليم و روح الشريعة الغراء..!؟.

و على أى الوجوه قلبنا الأمر، فلقد أثمرت هذه التحولات التى شهدتها عهد عثمان بن عفان مناخا اجتماعيا ولد و شهد العديد من التناقضات و الصراعات.. و من الكلمات الجيده التى تصف تلك الحاله الجديده قول جمال الدين الأفغانى: إنه "فى زمن قصير من خلافة عثمان، تغيرت الحاله الروحيه فى الأمه تغيرا محسوسا، و أشد ما كان منها ظهورا فى سيره سير العمال و الأمراء و ذوى القربى من الخليفه، و أرباب الثروه، بصوره صار يمكن معها الحس بوجود طبقه تدعى " أمراء " و طبقه " أشراف " و أخرى أهل ثروه و ثراء و بذخ "، و انفصل عن تلك الطبقات: طبقه العمال و أبناء المجاهدين، و من كان على شاكلتهم من أرباب الحميه و السابقه فى تأسيس الملك الإسلامى و فتوحاته، و نشر الدعوه، و صار يعوزهم المال الذى يتطلبه طرز الحياه و الذى أحدثته الحضاره الإسلاميه، إذ كانوا مع كل جريهم و سعيهم وراء تدارك معاشهم لا يستطيعون اللحاق بالمتتمين إلى رجال الدوله، و قد فشت العزه و الأثره و الاستطاله، و توفرت مهيئات الترف فى حاشيه الأمراء و أهل عصبيتهم، و فى الولاه و بمن استعملوه و ولوه من الأعمال..

إلى آخره.. فتتج من مجموع تلك المظاهر التى أحدثتها وجود الطبقات المتميزه عن طبقه العاملين و المستضعفين من المسلمين، تكون طبقه أخذت تتحسس بشىء من الظلم، و تتحفز للمطالبه بحقوقهم المكتسب من مورد النص.

و كان أول من تنبه لهذا الخطر الذى يتهدد الملك و الجامعه الإسلاميه، الصحابى الجليل أبو ذر الغفارى.. "

## اتهام مردود

و لقد كان طبيعيا أن تحدث تطورات مثل هذه اختلافا فى رأى و تباينا فى وجهات النظر بين كبار الصحابه و كثير من المسلمين فى ذلك الحين، و كان منطقيا و ضروريا أن تؤدى هذه التغيرات الاجتماعيه إلى اختلاف و تباين فى الزوايا التى ينظر منها الناس إلى الأمور.. و لذلك فاننا نؤيد النظر إلى اختلاف الآراء بين أبى ذر و بين عثمان و معاويه على أنه أمر طبيعى، و ننكر المحاولات التى تريد الانتقاص من قدر أبى ذر، بتصويره ضحيه فى مخطط يهودى استخدم الرجل فى تنفيذ مؤامره يهوديه ضد الإسلام و المسلمين؟!..

و أصحاب هذا الرأى الشاذ قد لجئوا إليه تحت وهم أنهم يدافعون بذلك عن عثمان بن عفان، فواقعهم مسلكتهم هذا فى منحدر وعر، لأنهم قد جرحوا صحابيا قال عنه الرسول ع: إنه أصدق أهل الأرض لهجه و مقالا.. و تنبأ بما حدث له، لأنه كان يعرف معدن الرجل، و يستشرف ما ستجره عليه لهجته الصادقه عند ما يلجا القوم إلى الدعوه و حب السلامه و الرفه، و عند ما يثور عليهم أبو ذر لسلوكهم هذا الطريق.

و لقد كانت دوافع أبى ذر إلى موقفه هذا موضع خلاف - منذ قرون - بين المؤرخين، فالطبرى يذكر أن المؤرخين الذين سبقوه قد ذكروا فى أسباب نفى أبى ذر من الشام إلى المدينه بامر من عثمان لمعاويه، بعد أن كاتب معاويه الخليفه بصنع أبى ذر و تحريضه الفقراء على الأغنياء..

يذكر الطبري أن بعض المؤرخين قد ذكر لذلك "النفي" و"الأشخاص" أسبابا كثيرة و"أشياء كثيرة و أمورا شنيعة كرهت ذكرها" و في مكان آخر يقول: - "كرهت ذكر أكثرها" (٢)... لأنه كان متعاطفا مع وجهه النظر التي وقف منها أبو ذر موقف العداة...

أما ابن الأثير - وهو من الناقلين عن الطبري - فإنه يشير إلى بعض هذه الأشياء التي ذكرها بعض المؤرخين، و التي كره الطبري ذكرها، مثل "سب معاوية" لأبي ذر، و تهديده بالقتل، و حمله إلى المدينة من الشام بغير وطاء - (فرش على ظهر الدابة) - و نفيه من المدينة على الوجه الشنيع .. يذكر ابن الأثير هذه الإشارة، ثم يقف نفس موقف الطبري فيعلن كراهته للتفصيل في هذا الأمر، لأنه "لا يصح النقل به، و لو صح لكان ينبغي أن يعتذر عن عثمان، فان للإمام أن يؤدب رعيته، و غير ذلك من الأعدار، لا أن يجعل ذلك سببا للطعن عليه" .. ثم يمضى ليذكر وجهه نظر الذين أيدوا عثمان و معاوية ضد أبي ذر، و نسبوا موقف أبي ذر إلى مخطط يهودي، كان ينفذه عبد الله بن سبا - (ابن السوداء) - فيقول: أما الذين يعتذرون عثمان في موقفه من أبي ذر، فإنهم قالوا: لما ورد ابن السوداء إلى الشام لقي أبا ذر، فقال يا أبا ذر، ألا تعجب من معاوية يقول: المال مال الله؟! ألا إن كل شيء لله؟! كأنه يريد أن يحتج به - (يختص به) - دون الناس، و يمحو اسم المسلمين!! فأتاه أبو ذر، (أى أتى معاوية)، فقال: ما يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين مال الله الساعه؟! قال: يرحمك الله يا أبا ذر، ألسنا عباد الله، و المال ماله؟! قال:

فلا تقله. قال: سأقول مال المسلمين.

و أتى ابن السوداء أبا الدرداء، فقال له مثل ذلك، فقال: أظنك يهوديا، فأتى "عبادة بن الصامت"، فتعلق به عباده، و أتى به معاوية، فقال: هذا و الله الذي بعث عليك أبا ذر (٣).

و نحن لا نميل إلى موقف ابن الأثير هذا، بل نرفضه لأسباب كثيرة، في مقدمتها:

أولاً: أنه لا يضع في اعتباره أن التطورات التي طرأت على الحياة العربية الإسلامية في ذلك التاريخ، من الطبيعي، بل و من الضروري أن تثير اختلافات في وجهات النظر بين الناس، و أن هذا الاختلاف طبيعي تماما، بل ضروري، خصوصا في بيئه يشجع الفكر الإسلامي فيها الناس على التفكير بحريه، و يرى أن الإنسان فيها حر مختار، و موقف ابن الأثير هذا يفضى - ضمن ما يفضى - إلى جعل التفكير الاجتماعي وقفا على اليهود، من دون العرب و المسلمين المخلصين لتعاليم الإسلام؟! و ثانيا: إن تصور ما حدث بين أبي ذر و عثمان على أنه اختلاف في وجهات النظر بين صحابه رسول الله ص، أكرم و أليق بهذه الصفوه من الناس، من تصور أبي ذر - و مكانته عاليه بشهادة الرسول - ألعبه في يد بعض الذين أسلموا من اليهود.

و ثالثا: إن قصه عبد الله بن سبا، برمتها، و من أساسها، موضع شك و جدل بين الباحثين في تاريخ هذه الفتره من فترات حكم الإسلام و المسلمين، و هناك من يراها مجرد "مشجب وهمي"، اخترعها البعض ليعلق عليها الأخطاء، و يصرف بها نظر البحث و الباحثين عن رؤيه التطورات التي حدثت في المجتمع و الخلافات التي ثارت فيه في ذلك الحين... (٤).

- ١- صحیح مسلم، بشرح النوډی ج ١١، ص ٤٣.
- ٢- تاریخ الأمم و الملوک ج ٥، ص ٤٦، ٤٧.
- ٣- الکامل فی التاریخ، ج ٣، ص ٥٥.
- ٤- د. طه حسین، کتاب الفتنه الکبری ج ١ (عثمان).

و رابعا: إن قصة الخلاف بين أبي ذر و عثمان حول قضايا المال و الفقر و الغنى سابقه على ذهاب أبي ذر إلى الشام، و على هذا اللقاء المزعوم بينه و بين ابن السوداء، كما سيتضح ذلك - من الأحداث و ترتيبها التاريخي - بعد قليل.. و هو أمر يهدم هذه الدعوى من الأساس و لذلك فنحن نميل إلى رأى الفريق الآخر من المؤرخين - المسعودى مثلا - الذى يصور الأحداث التى وقعت بين أبي ذر و بين عثمان و معاويه باعتبارها أمورا طبيعیه أثمرتها تطورات شهدتها حياه المجتمع يومئذ.. فهو مجتمع، و هم بشر، و الأليق بهم النظر إليهم و إلى خلافاتهم و صراعاتهم فى هذا الإطار و بهذا المنظار.

## الصدام مع عثمان و معاويه

### فى المدينة:

كان أبو ذر قد اتخذ لنفسه سبيلا قرر أن لا يحيد عنها، و هى الخروج من الدنيا فقيرا كحاله يوم ودع رسول الله ص عند ما مات، و كان دائم التردد

لحديث الرسول الذى يقول فيه: "إن أقربكم منى مجلسا يوم القيامة من خرج من الدنيا كهيئته يوم تركته فيها". و عند ما كان أبو ذر يردد هذا الحديث، كان ينظر إلى صحبه الذين أخذوا يجمعون الحظوظ من متاع الدنيا، و يغمزهم، و يقول لهم: "و الله ما منكم أحد إلا و قد نشب فيها بشىء غيرى!..". و كان أيضا دائم التحذير و الإنذار للذين يجمعون الأموال و يصرفون فى سبيلها جهدا كبيرا، فيذكر لهم قول الرسول صعن المكثرين من المال و كيف "أن الأ-كثرين هم الأقلون يوم القيامة"، إلا من أنفق ما تحصل له من المال ذات اليمين و ذات الشمال، دون كنز أو إمساك أو احتكار".

و لقد أخذت أقوال أبي ذر هذه و موافقه تؤذى الكثيرين، و رفعت إلى عثمان بن عفان العديد من الشكاوى ضد الرجل، فاصدر عثمان، أمرا إلى أبي ذر ينهاه فيه عن الجلوس "للفتوى" بين الناس.. و لكن أبا ذر عصى أمر عثمان، و استمر فى عقد المجالس للناس، يروى فيها الأحاديث و يفتى فيما يعرض عليه من الأمور، و يروى "ابن سعد" فى طبقاته كيف وقف رجل على أبي ذر فقال له: أ لم ينهك أمير المؤمنين عن الفتيا؟! فقال له أبو ذر: و الله لو وضعت الصمصامه - (السيف) - على هذه (و أشار إلى حلقة)، على أن أترك كلمه سمعتها من رسول الله ص لأنفذتها قبل أن يكون ذلك! "[1](#)".

و لم يكن تصدى أبي ذر للفتيا بالأمر الذى يحدث فقط بعيدا عن عثمان، بل و فى مجلسه و حضرته كذلك.. و لقد ثار النقاش و الجدل يوما فى مجلس عثمان حول أمرين يتعلقان بالأموال و الثروات..

أولهما: خاص بما على الإنسان فى ماله.. هل عليه الزكاه فقط؟ أم ما هو أكثر من ذلك؟! و ثانيهما: مدى حريه الخليفه و السلطه الحاكمه فى التصرف فى أموال الدوله بالأخذ و الإعطاء؟؟ و كان رأى أبي ذر إلى جانب فرض ما هو أكثر من الزكاه فى أموال الناس، و ضد إطلاق اليد لعثمان و ولاته فى التصرف بالأموال.. و وقف مع عثمان، ضد رأى أبي ذر، أناس تزعمهم "كعب الأخبار" الذى أغلظ له أبو ذر القول، و استخدم ضده عصاه، فدفع بها فى صدر "كعب"؟! و كان هذا الصدام أول موقف عنيف يقفه أبو ذر الغفارى من السلطه الممثله يومئذ فى عثمان بن عفان، مما أدى إلى غضب عثمان منه و عليه، فطلب منه مغادره المدينه، فخرج منها أبو ذر إلى الشام.. و المسعودى يحكى لنا ما حدث يومئذ فى مجلس عثمان، فيقول:

" قال عثمان: أ رأيتم من زكى ماله، هل فيه حق لغيره؟؟ فقال كعب: لا، يا أمير المؤمنين.

فدفع أبو ذر في صدر كعب، وقال له: كذبت يا بن اليهودى.. ثم تلا: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق و المغرب و لكن البر من آمن بالله و اليوم الآخر و الملائكة و الكتاب و النبيين و أتى المال على حبه ذوى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل و السائلين و فى الرقاب.. الآية)..

فقال عثمان: أ ترون بأسا أن نأخذ مالا- من بيت مال المسلمين فننقله فيما ينوبنا من أمورنا، و نعطيكموه؟ فقال كعب: لا بأس بذلك.

فرجع أبو ذر العصا، فدفع بها فى صدر كعب، و قال: يا بن اليهودى ما أجرأك على القول فى ديننا؟! فقال عثمان: ما أكثر أذاك لى!! غيب و جهك عنى فقد اذيتنا.. فخرج أبو ذر إلى الشام.. " (٢).

فهو إذا أول قرار يصدره عثمان بن عفان " بنفى " أبى ذر من المدينه..

و لم يحدد له عثمان المكان الذى يذهب إليه.. و اختار أبو ذر الشام، لحكمه لعلها أن الرجل قد كان يريد التشديد من حملته ضد التحولات الاجتماعيه التى كانت آخذة فى الظهور و التفشى يومئذ، و صد من كان يرى انحرافهم من ولاء عثمان على الأقاليم، و فى مقدمتهم والى الشام معاويه بن أبى سفيان.. فهو " نفى " عن المدينه العاصمه، و لكنها رحله نائر إلى ميدان أكثر خطرا و احتياجا إلى الثوار..

## فى الشام

و فى الشام وجد أبو ذر أن الأمر أخطر مما هو عليه فى المدينه فلم تكن بساطه الحياه العرييه هى الأمر السائد كما هو حال المدينه، و لم تكن القاعده هى الجماعيه، و المساواه، و الشذوذ هو الاستثار و التفاوت فى الثروات كما هو الحال فى العاصمه.. و إنما كان العكس هو السائد فى الشام.. فلقد كانت هذه الولايه قد تحولت إلى صورته " عربيه إسلاميه " لما كان عليه نظام الحكم، أبهه و فخامه، أيام قيصره الرومان البيزنطيين.

و لقد أتاح عهد عثمان لمعاويه فى الشام أن يستكمل كل أبهه الملك:

و أن يبلغ بالأمر كل المدى الذى أراد.. و وجد أبو ذر أن القضايا التى كانت لا تزال محل جدل فى المدينه قد حسمت فى الشام، فلقد كان معاويه يتصرف فى مال الاماره بحريه مطلقه، و يسميه " مال الله " ..و كانت قد نبتت بذور ترى فى الخليفه - و من ثم فى نوابه - ظللا- لله فى الأرض، و من ثم فإنهم أحرار فى تصرفاتهم، لا رقابه عليهم من البشر و لا قيود.. فاعترض أبو ذر على معاويه، و طلب إليه أن يتصرف كامير قد وكت إليه رعايه " أموال المسلمين " فهى لهم، و هم أصحاب الأمر و النهى فيها، و كان يعنف معاويه و يقول له: " يا معاويه.. لقد أغنيت الغنى و أفقرت الفقير! "

و مضى أبو ذر يحدث الأغنياء من الناس عن أن جمعهم للمال و حجه عن مصارفه إنما هو " كتر " و " احتكار " و إذا كان القرآن قد وعد (الذين يكتنون الذهب و الفضه و لا ينفقونها فى سبيل الله) بعذاب أليم، فلقد أخذ أبو ذر يخطب فى مجتمعات

الشام و يقول: " يا معشر الأغنياء: واسوا الفقراء.. بشر الذين يكتزون الذهب و الفضة و لا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار تكوى

ص: ٦٠

---

١- طبقات ابن سعد، ج ٢، ق ٢، ص ١١٢.

٢- مروج الذهب ج ٢، ص ٣٤٨، ٣٤٩.

بها جباههم و جنوبهم و ظهورهم " و استمر فى دعايته و إثارته هذه للفقراء ضد الأغنياء، حتى تبلورت حركة جماهيريه عمادها الفقراء، ثم استمر الأمر فى التصاعد حتى أخذ هؤلاء الفقراء بزعامه أبى ذر ينفذون أفكارهم و آراءهم بأيديهم، و يضعون تعاليم أبى ذر فى التطبيق و الممارسه رغما عن سلطه الدوله و جهاز حكم معاويه بن أبى سفيان.. و ابن الأثير يذكر ذلك بقوله:

" ما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك و أوجبه على الأغنياء و شكا الأغنياء ما يلغون منهم " .

و سلك معاويه مع أبى ذر سبيل التهديد، و قال له: يا أبأ ذر " خير لك أن تنتهى عما أنت فيه! " و لكن الرجل لم يعبا بهذا التهديد و قال لمعاويه:

" و الله لا- أنتهى حتى توزع الأموال على الناس كافه؟! " ..و عند ذلك لجأ معاويه إلى حيله أخرى أراد بها أن يفسد ما بين أبى ذر و بين أنصاره و حزبه من الفقراء، و ذلك فى محاوله لإيهامهم أن الرجل ممن يتلقى منه الهدايا و الصلوات، فبعث فى جنح الظلام أحد رسله يحمل ألف دينار لأبى ذر.

و فى الصباح، بعث إليه ثانيه نفس الرسول يخبره أن العطاء لم يكن له، و أنه قد أخطأ الطريق إليه، و يقول له: يا أبأ ذر " أنقذ جسدى من عقاب معاويه، فإنه أرسلنى إلى غيرك، و إنى أخطأت بك " ..و لكن أبأ ذر كان قد أنفق الدنانير الألف على الفقراء قبل أن يطلع عليها عنده الصباح - فطلب من رسول معاويه التأخير ثلاثه أيام حتى يجمعها له ممن أخذوها من الفقراء.. و عند ما عاد الرسول إلى معاويه بالقصه، أدرك أن الرجل عصى على أن تنال منه هذه الأساليب، و ذلك لأن " فعله يصدق قوله " فى قضايا الأموال و الثروات.

و عند ذلك قر قراره على ضروره إخراجة من الشام، فكتب إلى عثمان يصور له حال أبى ذر مع الفقراء، و كيف أصبحت الشام فى حاله ثوره حقيقه، فقال: " إن أبأ ذر قد ضيق على.. و قد كان كذا و كذا، للذى يقوله الفقراء.. تجتمع إليه الجموع، و لا آمن أن يفسدهم عليك. فان كان لك فى القوم حاجه فاحمله إليك؟! " ..فاستجاب عثمان لرجاء معاويه مخافه الثوره - (الفتنه) - فى الشام، و وافق على عوده أبى ذر ثانيه إلى المدينه و هو الذى طلب منه الخروج منها.. و كتب إلى معاويه يطلب معالجه الأمر برفق، فالثوره التى أشعلها أبو ذر على وشك الاندلاع، فقال: " إن الفتنه قد أخرجت خطمها - (أنفها) - و عينيها، و لم يبق إلا أن تشب، فلا- تنكأ القرح.. و كفكف الناس و نفسك ما استطعت...!! " ..و طلب عثمان من معاويه أن يجهز أبأ ذر، و أن يبعثه إلى المدينه بصحبه " مرافق "؟! ..

و اتخذ معاويه من أمر عثمان سبيلا للانتقام من أبى ذر، فاركبه بعيرا ضامرا على ظهره فراش يابس يرمى فخذى الراكب - " قتب يابس " - و أوصى به خمسه من الجنود الصقالبه ذوى المهاره فى العدو و مسابقه الريح " يطرون به، حتى أتوا المدينه و قد تسلخت بواطن أفخاذه، و كاد أن يتلف...!! " ..و أراد كذلك أن يسىء إلى سمعه الرجل و نزاهته، فاخرج أهله ليلحقوا به، و فى متاعهم جراب ثقيل يشد يد حامله، و جمع الناس ليروا أهل أبى ذر، حتى يوهمهم أن فى متاع الرجل أموالا يحملها ذووه، و قال للحضور: " انظروا إلى هذا الذى يزهد فى الدنيا؟!.. ما عنده؟!؟! " و لكن امرأه أبى ذر خاطبت الناس قائله: إن ما نحمل ليس دراهم و لا دنانير، و لكنها " فلوس " - (فكه) - بلغه عصرنا - كان أبو ذر يعطيها لبيته من عطائه الذى يناله من بيت مال المسلمين.



و عند ما لقي الناس أبا ذر بالمدينه، و هو على حافه الموت من رحلته القاسيه هذه، قال له بعضهم لا "إنك تموت من ذلك"، و لكن الرجل أنكر عليهم هذه النبوءه بالنهايه القريبه، و قال لهم إن طريق الجهاد لا يزال طويلا أمامه: "هيهات.. لن أموت حتى أنفى؟! ثم ذكر لهم أن أمامه من المتاعب أكثر من ذلك الذى وقع به حتى الآن!... (1)

## فى المدينه.. مره ثانيه

حاول عثمان أن يخفف عن أبى ذر، فاستضافه فى داره عدّه أيام، و أحسن إليه فيها، حتى استرد شيئا من عافيته.. و كان عثمان يرجو و يأمل أن يفتح بذلك صفحه جديده مع أبى ذر.. و لكن ذلك لم يحدث، فلقد تجدد النزاع و بدأ الصراع من جديد..

ففى أول جوله لأبى ذر فى المدينه بعد عودته إليها رأى تلك المباني الفخمه التى استحدثها الأغنياء فى شكل دور و قصور، و رأى امتدادات المباني و قد صنعت "ضواحي" للعاصمه، يسكنها هؤلاء الذين كانت حياتهم الجديده موضع نقده السديد. و عند ما تحقق أبو ذر أن المباني الجميله لقصور الأغنياء قد بلغت إلى مكان "جبل سلع" قفزت إلى ذاكرته نبوه الرسول ع، التى قال فيها لأبى ذر إن ذلك سيكون إيذانا باختلافه مع القوم، و إنكاره عليهم نمط حياتهم الجديده، و توالى الأحداث التى ستفضى به إلى منفاه حيث "يموت وحده".. فاخذ أبو ذر فى الطواف على مجتمعات العاصمه، محذرا قائلا: "بشر أهل المدينه بغاره شعواء و حرب مذكار؟!". و قرر الرجل أن يكرر بذل النصيح لعثمان، فدخل عليه يوما "فجلس على ركبتيه"، و أخذ يحدث عثمان عن تلك النبوءه التى طالما حذرت من صنيع بنى أميه إذا اجتمع لهم الأمر و زادت قوه عصبيتهم، و بلغ "ولد أبى العاصى ثلاثين رجلا" لأنهم عند ذلك سيتخذون "عباد الله خولا" - (خدما) -.

و وجد عثمان أن أبا ذر قد عاد إلى عهده القديم، و أنه قد أصبح يمارس فى المدينه ما كان يمارسه فيها قديما، و ما مارسه فى الشام من الاثاره و التحريض، ففتح معه الحديث عن ما أحدثه بالشام، و قال له: يا أبا ذر "ما لأهل الشام يشكون ذرب لسانك؟" و عند ما أخبره أبو ذر بدوافعه إلى موقفه هذا.. قال عثمان: "يا أبا ذر، على أن أقضى ما على و أن أدعو الرعيه إلى الاجتهاد و الاقتصاد و ما على أن أجبرهم على الزهد..". و لكن أبا ذر لم يرض بقول عثمان هذا، فلم يكن الأمر فى نظره أمر "زهد" لا يستطيع الخليفه أن "يجبر" الناس عليه، و إنما كان أمر أغنياء يزدادون غنى و فقراء يتسبب فى فقرهم هؤلاء الأغنياء، و أمر حقوق لهؤلاء الفقراء فى أموال الأغنياء تتعدى مقدار الزكاه، فقال لعثمان: إننى أرى "ألا- ترضوا من الأغنياء حتى يبذلوا المعروف و يحسنوا إلى الجيران و الاخوان و يصلوا القربات".

و تصادف فى لقاء أبى ذر هذا مع عثمان أن أحضرت إلى عثمان أكياس النقود التى أخذت من تركه عبد الرحمن بن عوف الزهرى، و كانت عظيمه بلغت من الكثره حدا جعلها تحجب الرؤيه بين عثمان و جلسائه..

و دار الحديث من حول هذه الثروه التى جمعها ابن عوف، و مدى تطابق سلوكه هذا مع السلوك النموذجى لصحابه رسول الله ص..

و انحاز عثمان و معه "كعب الأبحار" إلى صف الدفاع عن عبد الرحمن بن عوف، لأنه كان يؤدى فريضه الزكاه "و من أدى الفريضه فقد قضى ما عليه".. و اعترض أبو ذر على موقفهم هذا، و عند ما أمن "كعب الأبحار" على قول عثمان: إن الله قد أعطى لابن عوف خير الدنيا و الآخره، فقال:

" صدقت يا أمير المؤمنين "، غضب أبو ذر، و تحامل على آلامه، و رفع عصاه فضرب بها رأس "كعب الأخبار" و قال له: " يا بن اليهودى "، تقول لرجل مات و ترك هذا المال: إن الله أعطاه خير الدنيا و الآخرة؟! و تقطع على الله بذلك؟! و

أنا سمعت

ص: ٦١

---

١- الكامل، فى التاريخ، ج ٣، ص ٥٥، ٥٦ و مروج الذهب ج ٢، ص ٣٤٩.

النبى ص يقول. "ما يسرنى أن أموت و أدع ما يزن قيراطا"؟! فغضب عثمان من أبى ذر، و استرضى خاطر كعب الأحبار و طلب منه التنازل له عن ضرب أبى ذر له، ففعل.. ثم طلب، غاضبا، من أبى ذر أن يغادر المدينة، قائلا له: "وار عنى وجهك!!.."

"فقال أبو ذر: أسير إلى مكة؟ قال: لا و الله.

قال: فتمنعنى من بيت ربي أعبده فيه حتى أموت؟! قال: أى و الله.

قال: فإلى الشام؟ قال: لا و الله.

قال: البصره؟ قال: لا و الله، فاختر غير هذه البلدان.

قال: لا و الله ما أختار غير ما ذكرت لك، و لو تركتني فى دار هجرتي (المدينة) ما أردت شيئا من البلدان، فسيرني حيث شئت من البلدان.

فقال: فانى مسيرك إلى الربذه " (1)..

و روايه المسعودى هذه تختلف مع ابن الأثير.. ففيها ان عثمان هو الذى حدد لأبى ذر مكان منفاه، أما ابن الأثير فإنه يمثل وجهه النظر التى ترى أن أبا ذر هو الذى اختار لنفسه هذا المكان، و هو الذى "نفى نفسه إليه" احتجاجا على الأوضاع التى ثار عليها.. و ملابسات القضية و قرائن أحوالها تشهد لروايه المسعودى ضد ابن الأثير، و ذلك لأسباب منها:

أولاً: إن تسلسل الأحداث التى جرت بين أبى ذر و عثمان فى المدينة أولاً، و فى الشام مع معاويه، ثم فى المدينة ثانياً.. كلها تحكى أن أبا ذر كان يجبر - و أحيانا بالقوه القاهره - على مغادره المكان الذى يمارس فيه الموعظه و الاثاره و التحريض.

و ثانياً: إن شخصيه أبى ذر النضاليه ليست بالتى تنسحب من بين الناس إلى مكان منعزل فى الصحراء، حتى و لو كان هذا الانسحاب تعبيراً عن الاحتجاج و الغضب و الرفض لنمط الحياه الذى أخذ يسود فى ذلك الحين.. فلقد كان الرجل ولوعاً بجماهير الفقراء، كما ولعت به هذه الجماهير.

و ثالثاً: إن الربذه "كانت قريه معزوله عن قرى المدينة، و لم تكن الحياه بها مرغوبه و لا محبوبه، حتى لزاهد مناضل كأبى ذر.

و لقد روى ابن الأثير نفسه أن أبا ذر كان يخشى على نفسه من العيش فى "الربذه" أن يرتد - بفعل بيئتها - أعرابياً قد انسلخ عنه التطور الذى ألحقه الإسلام بعقول الناس و حياتهم، فكان يتردد على المدينة حتى يظل على صله بحضارتها.. و عبر ابن الأثير عن هذا الموقف بقوله: "و كان أبو ذر يتعاهد المدينة مخافه أن يعود أعرابياً!".

و لقد تلقى أبو ذر قرار عثمان هذا ببشر يعبر عن التحدى.. و أخبر عثمان بان الرسول ص قد تنبأ له بهذا المصير..

و لقد أمر عثمان الناس فى المدينة بتجنب أبى ذر حتى يغادرها، و أن يتجافوه، فلا يخرج أحد منهم لوداعه، و أمر أحد أقاربه (مروان) أن يكون فى صحبه أبى ذر و ابنته حتى يوصلهم إلى مستقرهم الجديد. و لكن بعض الصحابه قد غضبوا من موقف

عثمان هذا، فخرج نفر منهم خلف علي بن أبي طالب، وفيهم الحسن والحسين، وعقيل بن أبي طالب، وعبد الله بن جعفر، وعمار بن ياسر - لوداع أبي ذر، مخالفين بذلك أمر عثمان..

وعند ما التقى ركب علي بن أبي طالب هذا بركب أبي ذر، اعترض عليهم " مروان " فقال: يا علي، إن أمير المؤمنين، قد نهى الناس أن يصحبوا أبا ذر في مسيره ويشيعوه، فإن كنت لم تدر بذلك فقد أعلمتك.. فحمل عليه علي بن أبي طالب بالسوط، و ضرب بين أذني راحلته، وقال: تنح نحاك الله إلى النار!، ومضى مع أبي ذر فشيعة، ثم ودعه وانصرف.. فلما أراد الانصراف بكى أبو ذر تأثرا، وهو يبصر غياب ركب ابن عم الرسول!!.

و ذهب " مروان " فشكا إلى عثمان ما فعله به علي بن أبي طالب، فغضب عثمان، وشكا إلى من حضر مجلسه من المسلمين قائلا: " يا معشر المسلمين.. من يعذرني من علي؟! رد رسولي عما وجهته له، وفعل كذا؟! والله لنعطينه حقه!! " ..و ذهب الناس من عند عثمان إلى علي يخبرونه بغضبه عليه، فوصف علي هذا الغضب بأنه " غضب الخيل على اللجم " .

معللا بذلك موقفه من القضية برمتها، وكيف أن موقفه إنما هو موقف الناصح الأمين، وفعله إنما هو فعل " اللجم " تمنع الخيل من الجموح، فتحفظ للخيل سلامتها!.

و يروى المسعودي قصة اللقاء العاصف بين علي و عثمان حول هذا الموضوع، وهو اللقاء الذي اشتكى بعده عثمان من علي و قال: " إنه يعينني و يظهر من يعينني " ..و ظل علي على موقفه، وقال لعثمان: " ما أردت بتشيع أبي ذر إلا الله تعالى " .

و أخيرا استقر المقام بالثائر الكبير و الصحابي الجليل، و أصدق الناس لهجة و مقالا في " الربذه " منفاه الجديد و الأخير، و لم يعدم الأمر قافله تمر فيلقاه ركبها لسمع منهم و يسمعون عنه.. فبنى " بالربذه " مسجدا، و هناك عاش من سنة ٣٠ هـ حتى توفي في سنة ٣٢ هـ، محققا بذلك نبوه

رسول الله ص عند ما قال: يرحم الله أبا ذر، يعيش وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده " .. و محققا بذلك أيضا نموذج الإنسان المسلم الذي استطاع أن يوحد توحيدا نموذجيا، و يمزج مزجا رائعا ما بين سلوكه العملي في الحياه و الأفكار التي آمن بها و التي دعا إلى تطبيقها في هذه الحياه.

### السيد جواد بن إبراهيم بن محسن الحسيني الرامسري:

ولد في جمادى الثاني ١٢٥٠ في رامسر و توفي في رامسر بعد سنة ١٣٠٦.

ولد في تشبسر من ضواحي رامسر و نشأ بها ثم بدأ بقراءة المقدمات و بعد ذلك هاجر إلى أصفهان و انشغل بتعلم الفلسفه و الطب حتى أصبح طبيبا ماهرا ثم رجع إلى موطنه و انشغل بالطبابة و التأليف و من مؤلفاته:

١ - رساله في علاج مرض الطاعون.

٢ - شرح أطعمه المرضى لأبقراط.

٣ - رساله فى شرح ماهيه الوجود فى الفلسفه لم يتم.

٤ - رساله فى تقويم الأبدان.

٥ - رسائل متفرقه فى الطب.

و كان له عدّه أولاد منهم السيد حسن الحكيم (٢).

### الشيخ جواد بن الشيخ على بن الشيخ محمد "حميد" بن الشيخ محمد

حسن صاحب الجواهر:

توفى ليله الأحد الخامس و العشرين من صفر سنه ١٣٥٥ و دفن فى

ص: ٦٢

---

١- مروج الذهب ج ٢، ص ٣٤٩، ٣٥٠.

٢- الشيخ محمد السامى.

مقبرتهم. عالم فاضل رجل الأسره فى عصره و لسان النجف و ساعدها.

عمر مرقد جده صاحب الجواهر سنه ١٣٢٨ و ارخ ذلك بعض الأدباء بتاريخ منقوش بالحجر الكاشى:

بوركت من بقعه فيها زهت روضه الهادى على بن محمد

شادها الندب "جواد" فغدت فيه آثار على تتجدد

و هناك بيتان آخران:

بجدك يا أبا حسن "جواد" رفيع مقام جدك قد تسامى

كسبت علا فارخنا وفاء لأهل البيت حسنت المقاما

و عمر مسجد جده فارخ ذلك الشيخ جعفر محبوبه:

حاز الجواد الفضل من معشر هم منيه الراجى و هم أمنه

قد شاد بالعزم له مسجدا قام على هام السهى حصنه

تم بأقصى اليمن تاريخه (شيد على أس التقى ركنه)

و فيه إشاره إلى إضافه خمسين و هى النون.

رثاه شاعر العرب محمد مهدى الجواهرى بقصيده مطلعها:

هتفوا فاسندت اليدان ضلوعى و شرقت بالجمرات قبل دموعى

و رثاه الشيخ عبد المهدى مطر بقصيده مطلعها:

كيف ارتحالك و البلاء مرفرف و إلى م مفزعها قلوب وجف

و على م بعدك من عماد تتكى قلب يطير و مهجه تتخوف

(١)

**الشيخ جواد بن قاسم المجد الابكائى كلائى الرامسى:**

ولد حدود ١٢٩٥ و توفى ١٣٧٠ فى رامسر.

ولد في رامسر و أخذ المقدمات بها ثم ذهب إلى مشهد الرضا ع و بقى هناك منشغلا بالتحصيل عند اعلامها و في سنة ١٣٢٧ رجع إلى موطنه و انصرف إلى الوعظ و الخطابه و اشتهر بذلك و كان له قريحه شعريه ينظم الشعر باللغه الفارسيه.(٢)

### الشيخ جواد بن محمد بن رحيم بن منصور بن رحيم السامى الرامسى:

ولد في رامسر حدود سنة ١٢٥٠ و توفي سنة ١٣١٥ في رامسر.

ولد في بيت علم و مجد و ينتهى نسب هذه الأسره (السامى) إلى فنا خسرو عضد الدوله البويهى و كان أجدادهم يحكمون في مدينه سمام و نواحيها و كانت سمام عامره إلى انقراض الدوله الصفويه ثم تمرد حاكمها منصور خان بن رحيم على حكومه نادر شاه فهجم جيش نادر شاه عليهم و فتحها ثم أمر بنهب أموالها و تهديم بيوتها و إحراقها ففرق أهاليها و أصبحت المدينه مهجوره لم يبق فيها إلا- قليل من سكانها. و تشتت أولاد منصور خان و أقاربه و سكن بعضهم في رامسر و لهم أحفاد و لهم ألقاب مختلفه و يسكن قسم منهم في بعض مدن جيلان و برز من هذه الأسره فضلاء و علماء و الشيخ جواد كان من المدرسين الفضلاء و كان يدرس في مدارس رامسر و له عده اخوان فضلاء.(٣)

### المولى حبيب الله بن المولى قربان على بن عبد الله بن منصور بن رحيم

السامى الرامسى:

ولد حدود ١٢٤٥ في مدينه رامسر و توفي في ١٣٠٢ في رامسر و دفن في قم في مقبره ابن قولويه.

نشا في حجر أبيه و تعلم القراءه و الكتابه ثم دخل مدرسه السيد مرتضى بن السيد هادى الحسينى فقرأ المقدمات بها ثم هاجر إلى النجف الأشرف و لاقى الشيخ مرتضى الأنصارى و رجع إلى موطنه و أنشا مدرسه علميه في (تارنج بن) و انشغل بالتدريس و قضاء حوائج العامه و كان يقضى شطرا من أوقاته في الزراعه. و كانت له مؤلفات نعدمت [انعدمت] بعد وفاته.(٤)

### حسن بن أبي الحسن التنكابنى:

توفي بعد سنة ١٣١٢.

ولد في تنكابن و تعلم المبادئ و المقدمات بها ثم انصرف إلى تعلم الطب و برع بذلك - ثم أخذ يتنقل بين بعض البلدان للتطبيب.

له تأليفات منها كتاب كبير في تشریح الأمراض و كتب بعض مذكراته في ظهر الكتاب(٥)

### السيد حسن بن جواد بن إبراهيم بن محسن الحسينى التشيرسى

الرامسى:

ولد في سنة ١٢٨٣ في رامسر و توفي ٢١ ذى الحجه الحرام سنة ١٣٦٠ في رامسر.

تعلم القراءة و الكتابة في رامسر و المقدمات عند والده و الفضلاء في مدارس رامسر، و في سنة ١٢٩٨ دخل مدرسه الميرزا محمد التنكابني صاحب قصص العلماء في قريه سليمان آباد فدرس عليه و في سنة ١٣٠٠ ذهب إلى مازندران و دخل مدرسه الحاج أشرفي المازندراني و اشتغل عنده في الفقه و الأصول و في سنة ١٣٠٤ ذهب إلى طهران و دخل مدرسه دار الشفاء و اشتغل في الفقه و الأصول و الفلسفه و العرفان، و كان يحضر في الفقه و الأصول على السيد محمد تقى التنكابني و الفلسفه على الميرزا أبي الحسن الجلوه و في سنة ١٣١٤ دخل جامعه دار الفنون و حصل على شهاده الدكتوراه في الطب ثم هاجر إلى مشهد الرضا و سكن بها حتى سنة ١٣٢٢ مشغلا بالطب ثم رجع إلى طهران و منها إلى موطنه ثم انتقل إلى رشت و بعد مده عاد إلى رامسر مشغلا بالطب و بالتأليف حتى وفاته.

له مؤلفات منها:

١ - كتاب في الطب على نمط القانون بعنوان (وسيله الطيب).

٢ - (علم شيمي) في الكيمياء و صناعه الأدوية.

٣ - (الأمراض) - و هي ستة رسائل. (٤)

### **السيد حسن بن السيد عبد الله الموسوي الأحسائي الجبيلي البصري.**

ابن علم الدين علي المرتضى النسابة بن جلال الدين عبد الحميد بن

فخار شمس الدين بن معد بن فخار بن أحمد بن أبي الغنائم محمد

بن الحسين الشيتي بن محمد الحائري بن إبراهيم المجاب بن محمد العابد

بن الامام موسى بن جعفر.

من أعلام القرن التاسع أو العاشر الهجري.

و هو جد لثلاث أسر علويه كبيره في العراق. هم:

١ - الساده "العواديون" في العراق أجمع.

٢ - "آل السيد سلمان" في النجف.

٣ - "آل السيد درويش".

و من أحفاد المترجم له العالم الزاهد السيد هاشم الحطاب النجفي المتوفى سنة ١١٦٠ هـ، و هو ابن محمد بن عويد بن محمد بن عواد الكبير بن علي بن المترجم له.



- ١- الشيخ محمد السامى.
- ٢- الشيخ محمد السامى.
- ٣- السامى.
- ٤- الشيخ محمد السامى.
- ٥- السيد هاشم الشخص.
- ٦- الشيخ محمد السامى.

انفرد بذكر المترجم له الشيخ محمد حرز الدين في (مراقد المعارف) فقال:

"كان السيد حسن الجبيلي جليلا محترما كريما له دار ضيافته تجتمع إليه الأعراب فيها، و تنذر له النذور، و تصل إليه الصلوات و الهدايا من الوجوه و الرؤساء في حياته و بعد مماته - كما سمعت -".

هاجر من (الأحساء) إلى (البصرة) و توطن قريه (الجبيله) - التي عرفت باسمه حتى اليوم -، و الظاهر أن (الجبيلي) نسبه إلى (الجبيل) - من قرى الأحساء المعروفه -، و يبدو أنها كانت وطن المترجم له قبل نزوحه إلى العراق.

و في (الجبيله). أقام المترجم حتى توفي، و لم تحدد سنه وفاته، و قبره فيها لا زال معروفا مشهورا، و في (مراقد المعارف): "على قبره اليوم صندوق و شباك تظله قبه بيضاء و يحوطه صحن، تزوره الأعراب بكثره و تنذر له النذور، تتحاماها الأعراب من الحلف به. و يسميه السواد اليوم (ظاهر بن علي)، و يظن أن السواد يسمونه باسم قيمه الأول ظاهر بن علي..".

بقي أن نشير هنا إلى أن المترجم له لم يكن من العلماء، و إنما ذكرته في قسم العلماء لجلاله قدره و عظيم شأنه و لأنه المكان الأنسب لترجمته بعد أن لم يكن داخلا في باب الشعراء و الخطباء و المؤلفين. (1)

## الشيخ حسن بن الشيخ علي نقى بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد

صالح الحائري آل الصالحى:

المولود في كربلاء سنه ١٣١٠ هـ و المتوفى يوم الاثنين الخامس من شهر شعبان سنه ١٤٠١ هـ في طهران و المنقول جثمانه إلى مقبره الأسره في قزوین في روضه الشاه زاده حسين بن الامام الرضاع.

كان من شيوخ العلماء المبرزين النابهين و مثالا للورع و التقوى مجاهدا ثائرا، قرأ المقدمات و شطرا من السطوح على علماء كربلاء الأعلام ثم لازم الشيخ عيسى بن الشهيد البرغانى المتوفى سنه ١٣٣٩ هـ و هاجر معه إلى قزوین ثم رجع بعد مدته إلى مسقط رأسه كربلاء و حضر على الميرزا محمد تقى الشيرازى زعيم الثورة العراقيه الكبرى و اختلط برجال العلم و شارك في الثورة مشاركه فعاله و كان أمين سر قيادتها و حين حاول الإنكليز القبض عليه تمكن من الهرب إلى إيران ثم عاد إلى كربلاء و في أحداث فلسطين كان له صوت مدو في محاربه الصهيونيه، و أعلن خطر اليهود في فلسطين، كما كان له مخطط عسكري ضد الصهاينه في فلسطين و اتصل برؤساء العشائر العراقيه الذين كان له معهم علاقات وديه من أيام ثوره العشرين و طلب منهم شن حرب شعبيه ضد اليهود المعتدين و في العقد الثالث من عمره انصرف إلى الاعتكاف و العباده و الانقطاع تاره في كربلاء و طورا في مكه المكرمه و المدينه المنوره و زمانا في سامراء و حين اندلعت الفتنة في العراق ضد الشيعه و علمائها سنه ١٣٩١ هـ توجه المترجم له إلى إيران و سكن طهران حتى وفاته و رثاه جماعه من الشعراء منهم السيد جليل الزرآبادى مؤرخا وفاته بقوله:

تلفظ شد جو اين آيه بتعظيم ورود جنتش آمد بتكريم

"إن المتقين في جنات و نعيم" ١٤٠١ هـ له مؤلفات منها: كتاب الغرر و الدرر في مجلدين ضخمين المجلد الأول بالعربيه و المجلد الثانى بالفارسيه جمع فيهما جمله من الحكم و الأمثال و الأشعار و الحوادث التاريخيه و تراجم العلماء الشيعه المنسيين

الذين لم يترجم لهم أحد فجمع تراجمهم و ضبط تواريخهم و لم يذكر العلماء المترجم لهم فى كتب السير حتى لا يكرر أعمال الآخرين. و قد عينه الشيخ حسين النائينى و السيد أبو الحسن الأصفهانى فى سنه ١٣٤٥ هـ بمحضر الشيخ جعفر النقدى قاضى الجعفريه يومئذ متوليا على الأوقاف بصفته أعلم علماء أسره آل الصالحى فى العراق و إيران لأنه جاء فى نص الوقفيه انه عند تعدد الفقهاء فى الأحفاد فالتولى بيد أعلمهم و أفقهم.

و آل الصالحى فرع من آل البرغانى و هم من أعرق و أشهر الأسر العلميه نبغ منهم علماء أعلام مرت تراجم بعضهم و تاريخ الأسره فى المجلد الثانى من المستدركات (٣٠٠-٣٠٥) و كان المترجم له من أعلام أسرته المبرزين فى عصره، و يمتاز بطهاره القلب و صفاء الضمير و طيب السريره و هو والد الأستاذ الشيخ عبد الحسين الصالحى الذى عرف بدراساته التاريخيه و بحوثه القيمه فى التراجم، مما يرى القراء بعضه فى هذه المستدركات اعتبارا من المجلد الثانى، و هو من أبرز كتاب (دائره معارف التشيع) و (دائره معارف الإسلام) اللتين تصدران باللغه الفارسيه فى طهران.

### الشيخ حسين بن إبراهيم بن حمزه بن خليل التنكابنى:

كان من العلماء توفى بعد سنه ١٠٠٠ و لم نعلم عن أحواله شيئا إلا إننا أطلعنا على بعض مؤلفاته منها:

١ - اللآلى فى شرح بدر الأمالى - ذكره مؤلف كشف الظنون فى:

١٣٥٠.

٢ - غايه الأمانى فى شرح تصريف الأسفرجانى فرغ من تاليفه سنه ١٠٠٠.

٣ - شرح قصيده العينيه - شرحها للسلطان مراد بن سليم العثمانى. (٢)

### الشيخ حسين بن إبراهيم التنكابنى:

توفى ١٠٥١.

ذكره فى الأعيان: ٤١٢/٥ بعنوان الشيخ حسين بن إبراهيم الجيلانى التنكابنى - ثم كرره فى نفس المجلد ص ٤٦٣ بعنوان الشيخ حسين التنكابنى الحكيم.

أقول: هما شخص واحد.

ثم ذكر له أربعة من مؤلفاته، و له مؤلفات أخرى غيرها منها:

رساله فى شبهه الاستلزام و جوابها.

رساله فى أصناف الناس فى المعاد.

حاشيه على شرح التجريد للمولى على القوشجى.

حاشيه على رساله إثبات واجب الوجود للمولى جلال الدين الدوانى.

## الشيخ جمال الدين أبو محمد الحسين بن بدر بن أياز بن عبد الله البغدادي

النحو:

توفى ليله الخميس ١٣ ذى الحجه الحرام سنه ٦٨١ هـ من أعاظم علماء النحو و فحول أدباء الشيعة فى عصره أخذ العلم عن جماعه منهم أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن خلف بن يحيى الهاشمى البلنسى المتوفى سنه ٦٢٠ هـ و التاج الأرموى و سمع من ابن القبيطى و أجاز له الشيوخ و قال هندو شاه المتوفى بعد ٧٣٠ هـ فى كتابه (تجارب السلف) ص ٣٤٧ ما هو تعريبه (.. و عند ما افتتحت أبواب مدرسه المستنصرية فى يوم الخميس ١٠ رجب سنه ٦٣١ هـ ببغداد عين المترجم له مدرس النحو بتلك المدرسه و بعد وفاته تصدر كرسى تدريس النحو بها

ص: ٦٤

١- السيد هاشم الشخص.

٢- الشيخ محمد السامى.

الشهيد مولانا رشيد الدين الرازي..) و المترجم له أستاذ العلامة الحلي و وصفه في إجازته لبنى زهره الحلبيين قال (.. الشيخ السعيد جمال الدين حسين بن بدر النحوي رحمه الله كان أعلم أهل زمانه بالنحو و التصريف. له تصانيف حسنه..).

و قال السيوطي في بغية الوعاة (الحسين بن بدر بن أياز بن عبد الله أبو محمد العلامة جمال الدين كذا ساق نسبه ابن رافع في تاريخ بغداد و قال كان أوحده زمانه في النحو و التصريف قرأ على التاج الأرموي و قرأ عليه التاج بن السباك و سمع من ابن القبيطي جزءا و لم يحدث به و أجاز له الشيوخ و كان دمث الأخلاق و من تصانيفه قواعد المطارحة. و الاسعاف في الخلاف.

مات ليله الخميس ثالث عشر ذى الحجه سنه إحدى و ثمانين و ستمائه. و قال الصفدي: ولي مشيخه النحو بالمستنصريه. و قال الشرف الدمياطي: رأيتته شابا في زى أولاد الأجناد يقرأ النحو على سعد بن أحمد البيناني و قال أبو حيان: ابن أياز أبو تعاليل و قال ابن مکتوم: لم أطلع له على غوامض في النحو و له شرح الضروري لابن مالك. شرح فصول ابن معطي(١) و ذكره البغدادي في هديه العارفين ج ١ ص ٣١٣ و حاجي خليفه في كشف الظنون و شيخنا الأستاذ في طبقات أعلام الشيعة و قال (و الظاهر أنه هو أستاذ العلامة الحلي..)(٢) أقول لا مجال للشك حيث صرح العلامة الحلي في الإجازة لبنى زهره باسمه و كنيته و شهرته بالنحوي و ذكره أيضا صاحب الحوادث الجامعه ص ٤٢٦. ترك المترجم له مؤلفات منها كتاب الاسعاف في علم الخلاف، كتاب شرح التصريف لابن مالك، كتاب القواعد في المطارحة، كتاب المأخذ المتبع، كتاب المحصول في شرح الفصول لابن معطي في النحو، كتاب مسائل الخلاف في النحو، كتاب المطارحة. (٣)

## الحاج حسين الحرباوي:

قال السيد علي العدناني الغريفي:

ذكره صاحب كتاب أدب الطف: و ذكر أنه شاعر بغدادى و أنه رأى عدّه قصائد له في مدح أمير المحمره الشيخ خزعل المتوفى سنه ١٣٥٥ كما ذكره صاحب كتاب شعراء الحله و عدّه منهم لأنه رأى له قصائد تبادلها مع بعض شعراء الحله و اثبت له مقطوعه في الغزل أولها:

تشعشت فتولت عندها الظلم شمس براحه بدر جاء يبتسم

أهلا به مقبلا كالبدر حين غدا بين السحاب يبدو ثم ينكتم

أقول: لا أعرف سنه ولادته و لا عام وفاته إلا انه كان معاصرا للسيد عدنان الغريفي المتوفى ١٣٤٠ هـ و كان يتردد على مجلسه و يحل ضيفا عليه في مدينه المحمره و قد مدحه بعده قصائد، و من مدحه له قصيده نأخذ منها:

أ تجلو صدى الأحزان عنا بطلعه تطلع من شوق إليها النواظر

تمر فتنسني العذيب و عذبه و إنى لأيام العذيب لشاكر

أ تعبت في مجدى و مجدى مؤثّل فكيف و ذا (عدنان) للمجد ناصر

فتى بابيه العلم راقى رياضه و من جده اثنالت عليه المفاخر  
له من رسول الله طيب نجاره و من حيدر الكرار طابت عناصر  
و من حمزه المغوار خير ارومه و فى عمه الطيار اضحى يفاخر  
فكان و إن كان الأخير زمانه أوائله فيه انطوت و الأواخر  
فلم يخل من ذكر له كل مجلس و لم تخل من مثن عليه المنابر  
و لم تحص آثار له و مآثر و إن ملئت من بعضهن الدفاتر  
هو البحر علما و المكارم مظهرا و واحد أهل العصر و الفضل ظاهر  
طيب باحكام الشريعة حاذق به كبر الإسلام و الكفر صاغر  
فأقلامه فى المعضلات عوامل و آراؤه فى الغامضات بواتر  
يرد السهى عنه حسيرا إذا رنا و يرجع طرف المشتري و هو غائر  
و يخجل منه الغيث و الغيث هاطل و يحجم عنه الليث و الليث خادر  
فيا من له بالفضل يتبع تبع و فى جنب كسريه تلوذ الأكار  
أحاول من مغناك أمرا أحده كانى أراه غائبا و هو حاضر  
أ يبلغ قدرا فى علائك شاعر و أنت على الشعري بوجودك عابر  
و له فى الامام الحسين ع:

لنا جيره بالأبرقين نزول سقى ربهم غيث أجش هطول  
تواعدنى الأيام بالقرب منهم فتلك ديون و الزمان مطول  
أ جيراننا ما القلب من بعد بينكم بسال و لا الصبر الجميل جميل  
أ جيراننا بالخيف ما زال بعدكم لنا الدمع جار و العزيز ذليل  
فهيئات صفو العيش منا و للهدى تبدد شمل و استقل قبيل

تحمل اظعان الطفوف عشيّه و اققرن منهم أربع و طول  
ألا قاصدا نحو المدينه غدوه يبلغ عنى مسمعا و يقول  
أيا فتيه بان السلو بينهم و جاور قلبى لوعه و عويل  
رأيت نساء تسأل الركب عنهم تلوح عليها ذله و خمول  
تطلع من بعد إلى نحو داركم بطرف يصوب الدمع و هو كليل  
نوادب اقدين الجفون من البكاء و اعشبن مغنى الطف و هو محيل  
نوادب أمثال الحمام سواجعا لها فوق كثنان الطفوف هديل  
حملن على عجف النياق حواسرا لها كل يوم رحله و نزول  
تجد بها السير العنيف عصابه لها الشرك حاد و النفاق دليل  
تشيم رءوسا كالبذور على القنا لهن طلوع فوقها و افول  
و تبصر مغلول اليدين مصفدا براه من السير العنيف نحول  
و تنظر ذياك العزيز على الثرى له الليل ستر و الهجير مقيل  
فتدعو حماه الجار من آل هاشم بصوت له شم الجبال تزول  
أ هاشم هبى و امتطى الصعب أنه لك السيران رمت العراق ذلول  
أ هاشم قومى و انتضى البيض للوغى فوترك وتر و الذحول ذحول  
أ صبورا و انجاد العشيره بالعرا على الترب صرعى فتيه و كهول  
أ صبورا و رحل السبط تنهبه العدا فموتك ما بين السيوف قليل  
أ صبورا و آجام الأسود بكر بلا بها النار شبت و الهزبر قتيل  
و تلك على عجف النياق نساؤكم لها الله تسبى و الكفيل عليل  
عهدتكم تأبى الصغار انوفكم و أسيافكم للراسيات تزيل

فما بالكم لم تنض للثار قضبكم فتحمر من بيض الصفاح نصول  
كان لم يكن للجار فيكم حميه و لا كان منكم جعفر و عقيل  
ألم يأتكم أن الحسين رميه على التراب ثاو و الدماء تسيل  
و كم لكم فى السبى حرى من الجوى ثكول و فى أسر العدو عليل  
و كم لكم فى التراب طفل معفر صريع و فى فيض الدماء رميل  
و كم طفله لليتم أمست رهينه و ليس لها يوم الرحيل كفيل  
و حسرى تدير الطرف نحو حميها فتبصره فى الأرض و هو جديل  
فتذهل حتى عن تباريح وجدها و تنحاز للدمع المصوب تذيل  
و أبرح ما قد نالكم أن زينبا لها بين هاتيك الشعاب عويل  
شكت و اثنت تدعو الحسين بعبره تصدع منها شارف و فصيل  
تنادى بصوت صدع الصخر شجوه و كادت له السبع الطباق تزول  
أخى عيون الشرك أمست قريره بقتلك قرت و المصاب جليل  
أراك بعينى دامى النحر عافرا عليك خيول الظالمين تجول  
نعم أيقنت بالسبى حتى كأنها لما نابها و هى الوقور ذهول

ص: ٦٥

- 
- ١- جلال الدين عبد الرحمن السيوطى: بغيه الوعاه فى طبقات اللغويين و النحاه ص ٢٣٢-٢٣٣ بيروت دار المعرفه.
  - ٢- الشيخ آغا بزرك الطهرانى: الأنوار الساطعه ص ٤٧ بيروت دار الكتاب العربى.
  - ٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.



## الشيخ حسين الشنب غازاني التبريزي:

ولد في شب غازان إحدى محلات تبريز في ١٤ محرم الحرام سنة ١٣٠٤ و توفي فيها سنة ١٣٣٢.

ورد النجف الأشرف طالبا و تتلمذ لدى الاساتذه الأعلام: الآغا ضياء العراقي و شيخ الشريعة الأصفهاني و السيد أبي الحسن الأصفهاني و الميرزا حسين النائيني ثم عاد إلى وطنه سنة ١٣٤٤ هـ.

قال ملا علي الخياباني مؤلف كتاب "علماء معاصرين" باللغه الفارسيه ما معناه: "كان رحمه الله عالما، فاضلا، مدققا، تقيا، سليم النفس، كريما و مفسرا بارعا" انتهى.

شيخنا المترجم له كان من العلماء الأتقياء الأفذاذ و كان يقيم الجماعه كامام راتب في مسجد كاكته جي في تبريز و بعد صلاه العشاء كان يلقي مباحث في تفسير القرآن الكريم و إذا ارتقى المنبر كان واعظا مؤثرا، عديم النظير و لقد كنت أحضر أنا كطالب في عنفوان شبابي، بعض حلقات درسه في التفسير، و ببالي أنه كان من حسنات الدهر و ذخائر الحوزات العلميه الإسلاميه. كتب تقاريرات دروس بعض أساتذته كالعلمين العراقي و النائيني في عدة مجلدات و ألف أيضا رساله في اللباس المشكوك و رساله في الاستصحاب و رساله في التعادل و الترجيح و رساله في التعبدي و التوصلي و غيرها.(١)

## الميرزا حسين الجلالى بن على أكبر السامى:

ولد في رامسر ١٣٢٨ و توفي سنة ١٣٩٢ في رامسر و دفن بقم.

درس على الشيخ محمد حسين الغريب التنكابنى و السيد يعقوب السجادي و السيد مهدي العلوي و الشيخ عبد الله المدرس في مدارس رامسر و انصرف إلى المنبر و الخطابه و اشتهر بذلك و هو شاعر باللغه الفارسيه و له قصائد في رثاء الحسين ع.(٢)

## الحاج الشيخ حسين بن محمد كاظم الآخوند الخراساني النجفي:

ولد في سنة ١٣١٨ و توفي ٥ ربيع الأول ١٣٩٦.

ولد في النجف الأشرف و نشأ في حجر أبيه و قرأ المقدمات برعايته و بعد وفاه أبيه كفله أخوه الكبير الميرزا مهدي و قرأ السطوح على فريق من الأعلام ثم حضر بحوث الخارج في الفقه و الأصول و كان أكثر استفادته من بحث الشيخ ضياء الدين العراقي. و كتب تقريراته و بعد وفاه أخيه الميرزا مهدي قام بإداره المدارس التي كانت آنذاك من المدارس العامره الشهيره:

(الكبرى و الوسطى. و الصغرى) و أخذ يواصل أعمال أخيه و إداره (الديوان) و في تلك الأيام كانت الدواوين مقرا لاجتماع العلماء و الفضلاء الأدباء - و بعبارة أخرى كانت هي الأنديه الشعريه و الأدبيه، و كان رحمه الله عالما جليلا موقرا مبجلا مهابا محترما متواضعا جالسته سنين عديده ما رأيت منه إلا حسنا. و أخيرا أصيب بمرض السرطان و توفي به و دفن بجانب أبيه في المقبره الواقعه في مدخل باب السوق الكبير على يمين الخارج.(٣)

## الشيخ حسين بن محمد على القارى البهشتى:

مر ذكره في المجلد السادس و نضيف هنا إلى ذلك ما يلي:

من فحول علماء الرياضيات و أكابر المتكلمين الشيعة في العصر الصفوي، حكيم فيلسوف. تخرج في الحكمة و الفلسفه على المير السيد شمس الدين محمد الجرجاني المتوفى سنة ٨٣٨ هـ في شيراز و ربما أدرك والده المير السيد شريف الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ هو من أكابر علماء عصر الشاه إسماعيل الصفوي المتوفى سنة ٩٣٠ هـ و له مؤلفات منها كتاب الحسابو كتاب تجويد القرآن و احتمال شيخنا آقا بزرك الطهراني أن يكون صاحب الترجمة من علماء القرن التاسع و قال في الذريعة الجزء الثالث صفحه ٣٦٧ (توفى الشريف الجرجاني سنة ٨١٦ و توفى ابنه |شمس الدين محمد سنة ٨٣٨، و عليه فيكون البهشتي هذا من أواسط المائة التاسعه و معاصرا للشيخ خضر الحبله رودى الذى قرأ أولا فى شيراز على شمس الدين محمد المذكور. و يكون والده من أواخر القرن الثامن و بما أنا لم نر أثرا من الأسماء المركبه فيما قبل القرن العاشر الذى حدث فيه تركيب الأسماء مع محمد أو مع على فنحتمل سقوط كلمه (ابن) بين لفظى محمد و على. و الله أعلم..) ثم ذكره فى كتابه طبقات اعلام الشيعة ضمن علماء القرن العاشر قائلا (الحسين البهشتى بن محمد على القارى المعاصر للشاه إسماعيل الأول كان تلميذ ولد المير السيد شريف الجرجاني كما ذكر فى (الرياض). له رساله فى الحساب شرحها ملك محمد بن سلطان حسين الأصفهاني صاحب رساله "الجبر و المقابله" و احتمله متحدا مع أبى العلاء البهشتى صاحب رساله الحساب. (٤)

### السيد حسين العلوى بن محمد على:

توفى سنة ١٣٦٤ فى كربلاء التى ولد فيها و لم نعلم تاريخ مولده و ترعرع فى ظل أسرته تعرف بالساده (آل نطوه)، و أخذ الأدب على فضلاء عصره، فشب شاعرا بارعا فطنا ذكيا و ذاع صيته فى الأوساط الاجتماعيه. نظم الشعر بالفصحى و العاميه، و اختص بالمناسبات الاجتماعيه و الوطنيه و الدينيه، و له قصائد وطنيه جياشه بالأحاسيس الملتهبه، و اتصل بسدنه الروضه العباسيهكالسيد مرتضى آل ضياء الدين و نجله السيد محمد حسن. و له فيهما مدائح كثيره. و صار من ضمن خدمه الروضه العباسيه.

قال من قصيده فى رثاء الحسين ع:

يا باذلا فى الله نفسك جودا أثبت للدين الحنيف وجودا

يا آيه النور التى قد أشرقت للسالكين فأدركوا المقصودا

و قال فى رثاء الحسين ع من قصيده:

نهضت و ما للدين حام و منجد فأنقذته بالسيف و الله يشهد

فشدت له صرحا مدى للدهر ثابتا إلى الحق يدعو كل حين و يرشد

و ما هو إلا ذاك قبرك قد سما إلى الفلك الدوار صرحا يشيد

و قال مادحا العباس ابن على (ع) من قصيده:

أبا الفضل فضلك في كل ناد ينادى الموالي به و المعادى

فأنت المرجى لدفع الخطوب و غيث الأنام و غيث البلاد

و باب الحوائج للسائلين فقد خصك الله بين العباد

و ساقى العطاشى بيوم الطفوف و حامى الظعينة فى كل واد

و قال فى فلسطين:

يا عرب ليس الصبر يحمى من أمه أن جاوز الحد

أ و لستم أنتم أباه الضيم و التاريخ يشهد

أ و لستم من شاد قدما للأبا صرحا ممرد

أ و لستم غوث الصريخ و كهف أمن للمشرد

و لكم تصاغر ذله يوم الكريهه كل أصيد

ص: ٦٦

---

١- السيد إبراهيم السيد علوى.

٢- الشيخ محمد السامى.

٣- الشيخ محمد السامى.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

يا أمه العرب التى سمت الورى شرفا و سؤدد

ردوا الحقوق لأهلها اليوم بالسيف المجرّد

فالموت أحلى موردا للعرب من عيش منكّد

الداء زاد توجعا و دواؤه السيف المهند

هذى فلسطين و ذا جيش العدو بها تحشد

لم يرع ذمه مسلم فيها و لا شرفا لمعبّد

و بها اليهود تألبت و الإنجليز لها تعهد

فى القدس ينصب عرشها ظلما و عنها العرب تطرد

و له مخمسا و الأصل لابن أبى الحديد:

يا من لخالقه بكّ الوحى اهتدى و على البريه بعد طه سيدا

و أقول قولاً لم أكن مترددا إن كان دين محمد فيه الهدى

حقا فحبك بابّه و المدخل يا عاذلى دع الملام و خليا

عنى فلست إلى العواذل صاغيا تالله مهما كنت حيا باقيا

فلا هتكن على الهوى ستر الحيا إن الفضيحة بالمحبه أجمل

و له أبيات نقشت على مصراعى الباب المؤدى للروضه العباسيه الكائنه على الجانب الأيسر و هى:

فتبدي بالصبح مذ جدوده بعنان السماء منه الضياء

نصر الدين عن بصيره أمن صابرا للذى أراد القضاء

فعلى قبره الملائك طافت و إليه قد زارت الأنبياء

و غدا باب قدسه للبرايا كهف أمن به المنى و الرجاء

بطل نال فى الطفوف مقاما غبطته بنيله الشهداء

قد حباه اللوا حسين فخرا و إلى مثله يحق اللواء

نار موسى أم باب قدس تجلى لأبي الفضل نوره أم ذكاء

أم غدا العلقمي طور التجلي و به الأرض أشرقت و السماء

مذ حوى مرقدًا لشبل على من له الفضل ينتمي و الوفاء

## السيد حسين بن السيد محمد بن السيد علي بن السيد حسين بن السيد

سلمان بن السيد محمد الموسوي الأحسائي.

ولد في حدود سنة ١٢٨٠ في مدينة المبرز بالأحساء و توفي سنة ١٣٦٩ في المبرز.

آل السيد سلمان من الأسر العلوية الجليله و البيوتات العلميه العريقه، و لهم في (الأحساء) مكاتهم المرموقه و منزلتهم المتميزه، و يكن لهم عامه الناس احترامًا كبيرًا، و قد برز منهم عدد من أكابر العلماء كان بعضهم مراجع تقليد في (الأحساء) و دول الخليج، و أجل علمائهم و أقدمهم هو السيد هاشم السلطان الموسوي الأحسائي المتوفى ١٣٠٩ هـ ثم نجله السيد ناصر الأحسائي المتوفى ١٣٥٨ هـ، و لا زالت هذه الأسره الشريفه تنجب أفاضل العلماء.

و جاء في كتاب عن (أسره السلطان) ما ملخصه: "إن السيد محمد والد السيد سلمان الذي عرفت الأسره بالانتساب اليه - كان يقطن مدينه (الحويزه) من بلاد (خوزستان)، ثم هاجر منها إلى (البحرين) في أوائل القرن الثاني عشر الهجري، و بعد مده حدثت أحداث داميه في (البحرين) هاجر بسببها السيد سلمان أو والده السيد محمد إلى (الإحساء) و توطن بها و كان ذلك حدود سنة ١١٥١، و أول ما سكن في محله (السياسب) بمدينه (المبرز) ثم انتقل منها إلى (المطيرفي) - إحدى قرى (الأحساء) الشماليه -، و لما كثرت الذريه تفرقوا في البلاد فسكنوا (المبرز) و (الرميله) و (القرين) و نزح بعضهم إلى (سيهات) ب (القطيف) و (سوق الشيوخ) ب (العراق)...". (١) و جاء في الكتاب المذكور أيضا أن جمله من الأسر الموسويه في (الأحساء) - هم الساده (آل ياسين) و (آل طه) و (آل إبراهيم) و (الناصر) - يلتقون جميعا مع ساده (السلطان) في جدهم الأعلى السيد إسماعيل بن حسين بن حسن، و هو الجد الثالث للسيد سلمان بن محمد بن يوسف بن علي بن السيد إسماعيل.

كان صهرا لخاله السيد هاشم آل السيد سلمان الموسوي الأحسائي، و على يده تلقى مبادئ العلوم و أخذ شطرا من المعارف في الأحساء.

و بعد وفاه خاله المذكور سنة ١٣٠٩ هـ هاجر إلى النجف الأشرف لإكمال تحصيله العلمي، و حضر فيها على لفيف من محققي العلماء.

و بعد حوالي عشر سنين قضاها في النجف عاد إلى وطنه (المبرز) بطلب من أهلها و أقام فيها مشغلا بالوظائف الشرعيه و خدمه الدين حتى وفاته، و كان - بالاضافه إلى توليه القضاء - إماما للجماعه في الجامع الكبير في (المبرز).

كان - بالاضافه إلى مكانته الدينيه و تصديه لشئون الناس الحسيه - قاضيا شرعيا لكل الشيعة فى (الأحساء) و هو أول عالم شيعى يشغل منصب القضاء الجعفرى بشكل رسمى فى الأحساء فى ظل الحكومه السعوديه، و استمر فى هذا المنصب مده طويله تزيد على أربعين عاما.

و كانت له صلاحيات واسعه فى القضاء، فكان يفصل فى الخصومات و يحكم بين الناس فى مختلف الأمور فينفذ حكمه بلا معارض، و كانت له هيبه و قداسه خاصه لدى جميع الأوساط الشعبيه و الرسميه، و قد تجسدت فيه قداسه بيته الطاهر و هيبه أسلافه الأمجاد فكان الناس بمختلف مشاربهم يهابونه و يكونون له غايه الاحترام.

و نقل عنه أنه كان شديدا فى ذات الله صارما فى الحكم بين الناس بالعدل لا يهاب أى أحد و لا تأخذه فى الله لومه لائم.

و قد كف بصره فى أواخر عمره و كان - مع ذلك - لم يزل متصديا لشئون القضاء حتى وفاته. و قد رثى بشعر كثير منه قصيده الشاعر محمد حسين آل رمضان منها:

يا حجه الإسلام بعدك سيدى يسرى الشريعه فارقت يمانها

أ (حسين) مهلا فالشريعه أصبحت ثكلى يرج الخافقين صداها

بك يا (حسين) الأرض قارنت السما شرفا غداه استودعوك تراها

قسما بذكرك و هو مجد خالد باق على الأيام و هو شذاها

ما مر ذكرك يا (حسين) بخاطرى إلا باحشائى يزيد شجاها

لا غرو إن ماتت لفقذك أمه دفنت لدفنك رشداه و هداها

من للشريعه بعد فقدك يرتجى هيهات فارقت الغداه أباه

و قد خلف من الذكور أربعة أكبرهم و أفضلهم السيد محمد - الذى خلف أباه فى منصب القضاء -، ثم السيد هاشم و السيد على و السيد أحمد، و قد توفوا جميعا، و لزال جمله من أبنائهم من ذوى الفضل و من المشتغلين بالعلم و خدمه الدين.

أما السيد هاشم نجل المترجم له فقد كان أيضا من ذوى العلم و الفضل، اشتغل بطلب العلم فى الأحساء ثم فى النجف برهه من الزمن بعدها عاد إلى وطنه (المبرز) و أقام فيها مشغلا بخدمه الدين حتى توفى فى ٢١ جمادى الأولى ١٣٩٠ هـ.

و للمترجم له أخ عالم اسمه السيد هاشم العلى، كان مقدسا محترما لدى عامه الناس، و بعد وفاه أخيه السيد حسين كان إماما للجماعه فى الجامع الكبير فى (المبرز) حتى توفى عام ١٤٠٠ هـ عن عمر جاوز التسعين عاما، و قد خلف عده أولاد جلهم من العلماء. (١)

### **السيد حسين بن السيد محمد على بن السيد نوازش على بن السيد مظفر**

على بن السيد خير الدين الموسوى الحائرى الهندى آل خير الدين

المولود فى كربلاء سنه ١٢٨٧ هـ و المتوفى بها ٢٠ جمادى الثانيه سنه ١٣٥٨ هـ.

كان من الفقهاء و أهل العلم و الفضل المبرزين فى الهند و زنجبار أخذ العلم عن والده و أعلام كربلاء منهم الشيخ الميرزا علامه الحائرى الصالحى البرغانى و الشيخ ميرزا على نقى الحائرى الصالحى المتوفى سنه ١٣٢٠ هـ و رجع إليه أنصار والده فى الهند و زنجبار فى أمر التقليد و هو من علماء أسرته آل خير الدين من البيوت العلميه فى كربلاء و قزوین التى ظهر منها علماء أعلام و فقهاء أجلاء، ذكرنا كلا منهم فى محله من هذا المستدرك له مؤلفات منها تقاريرات درس أستاذه الشيخ على الصالحى فى الأصول.

و ولده السيد محمد على خير الدين من مشاهير علماء كربلاء أديب فاضل و ناظم ناثر باللغتين العربيه و الفارسيه. (٢)

### **الشيخ حسين بن محمد التنكابنى:**

ولد حدود ١١٩٠ و توفى بعد ١٢٤٥.

ولد فى تنكابن و أخذ المقدمات بها ثم ذهب إلى قزوین ثم إلى أصفهان و بعد سنه ١٢٢٠ رجع إلى موطنه و اشتغل بالتدريس و قضاء حوائج الناس و اشتهر بذلك إلى أن توفى بها. (٣)

### **السيد حسين بن السيد نعمه الله بن السيد محمد حسين بن السيد حسن**

على بن السيد عبد الله بن السيد نور الدين بن السيد نعمه الله الموسوى

الجزائرى.

ولد بمدينه شوشتر فى جمادى الثانيه سنه ١٢٤٢ و نشأ و ترعرع بها و دخل مدرسه الجزائرى و اتقن المقدمات بها و فى سنه

١٢٦٧ هـ هاجر إلى النجف الأشرف و حضر بها على أساتذتها و علمائها خصوصا عند الشيخ محمد طه نجف و استمر بالدراسة و التدريس حتى العام ١٢٨٨ هـ حيث توجه إلى إيران قاصداً زياره الامام على بن موسى الرضا ع و جعل طريقه على البصره ثم المحمره حيث حل ضيفا عند أحد تجارها الايرانيين فطلب منه الايرانيون الساكنون في المحمره الإقامة عندهم فأجاب طلبهم على أن يعود إليهم بعد زياره الامام الرضا و هكذا كان، فقد عاد إليهم بعد أحد عشر شهرا. و في سنة ١٣١٥ هـ قتل الشيخ خزعل أخاه مزعلا و أصبح هو أميرا للمحمره و نواحيها. و في سنة ١٣١٦ هـ قدم إلى المحمره الشيخ على البهبهاني و استقبل من قبل الايرانيين القاطنين في المحمره و بقي مرجع تقليد لجماعه فيها. و أما الشيخ خزعل أمير المحمره فاخذ نفوذه يتسع شيئا فشيئا حتى تمكن من بسط نفوذه و سيطرته على سائر المناطق العربيه في جنوب إيران بل تعداها إلى مناطق العشائر البختياريه و عشائر اللر فاخذ أغلب مناطق جنوب إيران في قبضه يده و كانت تصرفاته بعيده عن العدل و منافيه للتدين فتشكل اتحاد ثلاثي من أبرز علماء المنطقه و هم: السيد عدنان الغريفي و الشيخ على البهبهاني و السيد حسين المترجم له فكان هذا الثلاثي يتصدى للشيخ خزعل و يندد بتصرفاته و أعماله خصوصا بعد سنة ١٣٣٣ هـ حيث أعلن الشيخ خزعل عداؤه للسيد عدنان الغريفي و حاول اغتياله و لكن الله سلمه.

توفي المترجم له عصر الخميس ١١ من شهر ذى القعدة سنة ١٣٣٦ هـ في البصره حيث ذهب إليها للمعالجه و دفن في النجف الأشرف. خلف من الآثار:

١ - الغرر و الدرر في الفقه.

٢ - شرح على كتاب تجريد الاعتقاد للعلامه الحلبي.

٣ - عجائب الآثار في علم الهيئه.

٤ - نوادر الأخبار في حالات الأئمه الأطهار. من الامام على بن أبي طالب حتى الامام العسكري ع. (٤)

## نور الدين حمزه:

و يقال فخر الدين حمزه، و يقال نور الدين محمد بن عبد الملك كما كتبه بخطه في مشيخه كنز السالكين الآذري الأسفرايني البيهقي الطوسي المشهور و المتخلص في شعره باذري.

ولد في قريه أسفراين قرب نيشابور سنة ٧٨٤ هـ و توفي بها سنة ٨٦٦ هـ و دفن فيها.

من عرفاء عصره و فحول شعراء الشيعة مؤلف محقق من أهل الفضل و التدقيق له نظم كثير في مختلف المناسبات و خاصه في مدائح أهل البيت ع.

قرأ المقدمات و العلوم الإسلاميه في نيشابور ثم أخذ العرفان عن الشيخ محيي الدين الطوسي الغزالي و سافر معه إلى الحج ماشيا على قدميه و مكث هناك أكثر من عام و ألف كتابه (سعى الصفا) كتبه في بيت الله الحرام و بعد وفاه استاذه المذكور التحق بالسيد نعمه الله ولي و لازمه سنين حتى أجازاه و لبس الخرقه من يده و كان والد المترجم له من زعماء حركة (سربداران)



الثوريه الشيعيه المعروفه و اشترك المترجم له فى هذه النهضه فى بيهق و نواحيها و فى سنه ٨٣٢ هـ هاجر إلى الهند و اتصل فى الدكن بالسلطان أحمد شاه البهمنى الذى كان محبا للصوفيه و نظم له " بهمن نامه " و منها رجع إلى موطنه أسفراين و كان من أقطاب مشايخها الصوفيه و الزعماء العرفاء المشاهير ثم انعزل فى أواخر عمره فى موطنه أسفراين حتى توفى بها و دفن فيها. ذكره جمع من المؤرخين منهم الوزير مير نظام الدين على شير نوائى المتوفى سنه ٩٠٦ فى كتابه مجالس النفايس ص ١٠ دون أن يذكر اسمه و اكتفى بلقبه فقال ما تعريبه: (الشيخ الأذرى ولد فى أسفراين و اشتهرت أشعاره عند الخاص و العام و فى شيخوخته تاق إلى السير و السلوك، حج ثم هاجر إلى الهند و تشرف بخدمه أكابر مشايخ الصوفيه و العرفاء و انجذب إليه جميع سلاطين الهند و أصبحوا من مريديه و كانوا يعتقدون به..) ثم ذكر مؤلفاته و نموذجاً من شعره إلى غير ذلك و فصل عنه السمرقندى فى كتابه تذكره الشعراء الذى ألفه فى سنه ٨٩٦ هـ فى ص ٣٠٠-٣١٠ و أدرج شعره و ذكر اسمه فخر الدين حمزه بن على ملك الطوسى ثم البيهقى بما هذا تعريبه

ص: ٦٨

١- السيد هاشم الشخص.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- الشيخ محمد السامى.

٤- السيد على العدنانى الغريفى.

و تلخيصه: (... العارف الوحيد و المحقق القدير كان لا يهتم لأموال الدنيا و كان على الدوام مصاحبا لأولياء الله قضى أربعين سنة في القناعه تاركاً لهواه و كان متبحراً في العلوم الظاهريه و الباطنيه.. و كان أبوه من زعماء نهضة السربداريين في بيهق و ينتهي نسبه إلى صاحب الدعوه أحمد بن محمد الزمجي الهاشمي المروزي و كان أبوه الشيخ الخواجه علي ملك رئيس السربداريين في أسفراين و كان المترجم له من أوائل شبابه من مشاهير الشعراء و يتردد اسمه في النوادي الأدبيه و العلميه... تتلمذ على شيخ الشيوخ و قدوه العارفين الشيخ محيي الدين الطوسي الغزالي... و أخذ الطريقه منه و كتب الأحاديث في خدمته و سافر معه إلى الحج و توفي استاذة في مدينه حلب ثم التحق المترجم له بحوزه السيد نعمه الله و أخذ السلوك منه و أجازة استاذة المذكور و ألبسه الخرقه بيديه و التجأ إلى الرياضيات و المجاهدات النفسانيه و حج ثانيه ماشيا على قدميه و مكث في مكه المكرمه مجاوراً لبيت الله الحرام و ألف كتابه (سعى الصفا) في بيت الله الحرام و يشتمل هذا الكتاب على مناسك الحج و تاريخ الكعبه المعظمه. ثم توجه إلى الهند... (١) و فصل عنه و أدرج قسماً كثيراً من شعره و نقل عنه القاضي نور الله الشوشتری في مجالس المؤمنين الجزء الثاني ص ١٢٥ و ذكر قصائده في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع و الأئمة الأطهار. و ذكره رضا قلی خان هدايه في كتابه رياض العارفين ص ٤٩ بنفس الأوصاف مع تغيير في العبارات، و ذكره إسماعيل باشا البغدادي في هديه العارفين ج ١ ص ٣٣٧ و شيخنا الأستاذ في أبواب الذريعه و وصفه قائلاً: (ديوان آذريللشيخ العارف نور الدين محمد بن عبد الملك الآذري الأسفرايني الطوسي من الشعراء المعاصرين لشاهرخ سلطان و اتصل في دكن بالسلطان أحمد شاه البهمني و نظم له " بهمن نامه" الذي فاتنا ذكره في ألباء و سمى باذري لولادته في شهر أذر فكان يتخلص به في شعره و نقل في "ص ٢٩٦" من مجالس المؤمنين عن تذكره دولت شاه أن اسمه حمزه بن علي ملك و بعد رجوعه من دكن إلى أسفراين عمر مده ثلاثين سنة و بها توفي سنة ٨٦٦ هـ كما ذكره في ص ٢١ و ذكر له بيتا من تركيب البند الذي نظمه في رثاء الحسين (ع) و قبله النبي ص علي ما روى في المنام و أورده القاضي نور الله في مجالس المؤمنين مع كثير من أشعاره الأخرى المصرح فيها بكونه من الاماميه الاثني عشرية و قال القاضي أن أكثر ديوانه في مناقب أهل البيت (ع) و صرح في "خز" بكون ديوانه حاضراً عنده و فيه القصائد و الغزليات و المقطعات و غيرها، و ذكر أن بعض من لم يتحل بفضيله الإنصاف انتحل " بهمن نامه" له و غير أبياتا من ديوانه و نسبه إلى نفسه أيضاً و ذكر أنه رأى المثنويه الموسومه بالمرآه و المشتمله على أربعة كتب قد عين لكل منها أسماء خاصه بهذا التفصيل ١ - الطامه الكبرى ٢ - عجائب الدنيا ٣ - عجائب الأعلى ٤ - سعی الصفا. أقول ظني أن العجائب الأعلى هذا هو الموجود في مكتبه المجلس بعنوان عجائب الغرائب الذي ذكر ابن يوسف تفصيله في فهرستها (ص ٥١٣) و قد أحال فيه إلى عجائب الدنيا الذي نظمه قبله مكرراً و كذا أحال فيه إلى الطامه الكبرى... (٢).

ترك المترجم له مؤلفات هامه أشهرها ديوان شعر، سعی الصفا، مناسك الحج و تاريخ الكعبه، تاريخ مكه المكرمه، كتاب جواهر الأسرار في النوادر و الأمثال، كتاب طغرای همايون، و كتاب عجائب الغرائب في البلدان نسخه منه في المجلس الوطني الايراني في طهران. (٣)

## الشيخ حمزه قنطان بن الشيخ مهدي:

### إشارة

ولد سنة ١٣٠٧ في بلده (الحى) بالعراق. توفي فيها سنة ١٣٤٢ و نقل جثمانه إلى النجف الأشرف فدفن فيه.

نشا و ترعرع و تعلم القراءة و الكتابه فى مدينه الحى و درس المقدمات على أخيه الشيخ محمد صالح الذى كفله منذ الصغر. ثم هاجر إلى النجف الأشرف حيث كانت معظم دراسته على الشيخ عبد الحسين الحياوى.

و آل قفطان أسره علميه لها دورها الظاهر فى العلم و الأدب و الشعر، برز كثير من رجالها فى هذه الميادين و كان المترجم له هو المشار إليه فى عالم الشعر اتصل بجماعه من علماء وقته منهم السيد عدنان الغريفى المتوفى سنه ١٣٤٠ هـ فحضر عليه فى علمى الكلام و الحكمه و كان يقيم عنده فى مدينه المحمره (خوزستان) و يتردد عليه كثيرا و قد مدحه بعده قصائد، و كان السيد يجله و يشيد بمواهبه خصوصا فى مجال الشعر. منها قوله فيه:

يا حمزه إنك فى الكلام مسدد فطن لداعى القوم غير فهيه

قد نوهت بك مدحه من سيد عار عن الإطراء و التنويه

احذر على عدنان أن حدثته بالمجد أو فامزجه بالتفكيه

لا تذكرن شجاعه و براعه فتشير منه العزم بالتنبيه

أمسك عليه قبل أن يخشى الوغى فيموت قبل تمام ما يحكيه

فلقد تهيجه الحماسه مخدرا متوجسا فى الروع للتايه

طلق المحيا باسم فى موقف يرمى وجوه الصيد بالتشريه

و تهز منه الأريحيه للندى طودا تكرم عن مهز التيه

و إذا الحقائق ضل عنها معشر طمسوا صريح النص بالتمويه

كشف القناع عن الغيوب بفكره تجلو وجوه الحق بالتوجيه

توجيه علام و رأى مجرب و خطاب مقتدر و حكم فقيه

و لقد يرى يوما يذم زمانه فيزيد بالزفرات و التاويه

و كذا الزمان لدى الحلیم مذمم و تراه محمودا لكل سفیه

لا تأبهن له فليس بضائر و الصبر فيه غايه التنزيه

و أغر فى سنن القريض إذا جرى أنساك ما قال الكميت و جرول

بز الجياد و قد جرت إطلاقها و ارتاح و هو السابق المتمهل

يلهيك حسن مقاله عن حسنه ففتنه قد جد ساعه يهزل

و له فيه:

و مستريح إلى الأشعار يكتبها ليصرف الهم عنه و هو مهموم

لا يصرف الهم عنه غير ناجيه عنس أمون عليها المال معكوم

و له فيه:

أبا يعلى لأنت أبر خل إذا ولع البريه بالعقوق

ذكرت مودتى فسعيت نحوى لتعظيم القليل من الحقوق

### شعره

كان له ديوان شعر هو اليوم غير موجود. و قد حفظ من شعره قصائد كان الفضل فى حفظها لاتصاله بالسيد عدنان الغريفي، إذ أنها تدور على مدح السيد و من يتصل به و مشاركه المترجم بمجالس السيد الأدبيه الحافله فمن شعره قوله:

هواك أثار العيس تقتادها نجد و يحدو بها من نائر الشوق ما يحدو

تجافى عن الورد الذميم صدورها لها السير مرعى و اللغام لها ورد

تمر على البطحاء و هى نطاقها و تعلقو على جيد الربى و هى العقد

عليها من الركب اليمانى فنيه ينكر منها الليل ما عرف الود

ص: ٦٩

---

١- الأمير دولت شاه بن علاء الدوله السمرقندى تذكره الشعراء ص ٣٠٠ تحقيق محمد رمضانى طهران سنه ١٣٣٨ هـ ش مطبعه خاور.

٢- آغا بزرك الطهرانى الذريعه إلى تصانيف الشيعه ج ٩ القسم الأول ص ٣-٤ بيروت دار الأضواء.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

أعدوا إلى داعى المسير ركابهم و أعجلهم داعى الغرام فما اعتدوا

تقرب منهم كل بعد شمله عليها فتى لم يثن من عزمه البعد

و ما المرء بالأنساب إلا ابن عزمه إذا جد انسى ذكر آباءه الجد

يرد الخصوم اللد حتى زمانه على أن هذا الدهر ليس له رد

و يغدو فاما أن يروح مع العلى عزيز حياه أو إلى موته يغدو

و قال يمدح النبى ص و الامام على بن أبى طالب ع ثم فى الختام يذكر استاذه السيد عدنان الغريفى:

صدعت الدجى بالصبح و الليل مطرق على ساهر يزجى الأمانى فتخفق

و اصدقت عينيه بوصلك بعد ما اتى ساخرا منه الخيال الملقق

و أخلفت ما ظن العواذل فى الهوى و كذبت فيما بيننا ما تخرقوا

فقد محقت آيات حسنك إفكهم كشمس على نار الجباب تشرق

لئن أجليوا يوم التنائى و ألبوا فقد ثقفوا بعد الوصال و ارهقوا

أرادوا بنا الأخرى و قد حال دونهم هوى خلق مطبوعه لا تخلق

علقناه حتى اشتد فى القرب و الصبا و نحن به من البعد و الشيب أعلق

و ليل كان النجم فوق أديمه دموع على جفن كحيل ترقرق

صحبت الأمانى فيه حتى تقطعت وسائلها أو كادت النفس تزهب

إذا آب نجم فيه جاء رقيبته كما مال بالقرطين أسود أعنق

كان بقايا النجم فى أخرياته مصاييح غطاها رواق مخرق

كان بياض الفجر فى الشرق جدول يعوم به من شقه البدر زورق

كان الدياتجى بدعه جاهليه لها صبح دين المصطفى جاء يمحق

رماها شهاب الحق و انبعثت لها صواعق أردتها و أخرى تحرق

و يوم أتاه الوحي (فاصدع) بامرہ و ان أرعدوا غيظا عليك و ابرقوا  
مضى غير هيب فاسمع دعوہ تماروا بها و هو الأمين المصدق  
فلما عتوا عن أمره و تألبوا عليه و لجوا فى الضلال و أغرقوا  
رماهم بها شعواء حتى تراجعوا و فى غله أيديهم و المختق  
و قد ذلت العزى مع اللآت بينهم و غودر بعل و هو فيهم مطلق  
اساعوا سواعا حين لا ود عندهم لود و قد زاد احتراقا محرق  
أ يدعون ما لا يستطيعون نصرهم و لم يخلقوا شيئا بلى هو يخلق  
فلأيا أقرؤا بالحنيفيه التى حذاهم إليها فاستقاموا و صدقوا  
بتدبير منصور من الله لم يكن بتصرفه إلا عن الوحي ينطق  
و لما أراد الله إظهار دينه غداه دجا بالشرك غرب و مشرق  
أقام عليا ناصرا شد أزره به الله و هو المستعان الموفق  
فانى يولوا يبصروا و مض سيفه كان له الشمس المنيره رونق  
أطل على أرض الحجاز فأمرت مدامعها صنعاء رعبا و جلق  
و أرخى على بدر سحائب عثير بها بارق من سيفه متالق  
و فى أحد أجرى سيولا جوارفا من الدم حتى كل ماء مزبرق  
و يوم حنين حين عرد خيفه فلان و رحب الأرض بالطرف ضيق  
دلفت لها ثبت الجنان مبددا كتائبها بالسيف حتى تفرقوا  
و خبير و الأحزاب و الفتح لم يزل عليك لواء النصر فيهن يخفق  
مواقف لم تترك مقالا لقائل يغص بأدنى مضغها المتشدق  
لقد كنت للإسلام أول سابق فوا عجبا عند الخلافه تسبق

و ما ضر دين الله و هو موطن بسيفك ما قال الكذوب الممخرق  
و ما زال من ابنائك الغر ناصر يحيط عليه منه سور و خندق  
فاما إمام ظاهر أو مغيب له نائب يهدى الورى و يوفق  
كتابه (عدنان) إذ قام هاديا يحذرنا طورا و طورا يشوق  
فأشرفت الدنيا به و بفضلته و قد كاد باب الفضل لولاه يغلق  
بيت جليسا للهدى و الندى معا على ضرم يعيشوا إليه المحلق  
لقد عرفت بطحاء مكة شخصه فان قيل من هذا أجاب الفرزدق  
ألا بشر الدين الحنيف بأنه بيت لديه آمنة ليس يفرق  
و قوله يمدح استاذه السيد عدنان:

أرى العتقاء أيسر من مرأى و ظل الشمس أثبت من مقامى  
و أيامى على بكل فج مروقه الجوانب بالقتام  
كان الصبح يبيم لى خداعا لأذف من ظلام فى ظلام  
تلثم كل ثغر دون وجه تبدى للهجير بلا لثام  
يزجى العيس تكرر فى سراب على ظما و ترتع فى رمام  
تعثر بالقطا فى كل خرق به الأهوال أصدق من حدام  
لعل العيس تبعد عن محل أشيم بروقه و أبيت ظامى  
قطعت به نهارى بين قوم بلا شبه تعد من الأنام  
تسد لى سهام اللوم منهم و إن راميتهم نفدت سهامى  
فليت الليل مد على حجبا من الظلماء تمنعهم خصامى  
و ما ليلى أخف على لكن سمير النجم جل عن الملام

أبيت به غريقا فى الأمانى أعموم بهن مضطرا أوامى  
كان نجومه نظمت عقودا لها خيط المجره كالنظام  
قدحن بفحمه الظلماء سقطا فشب الفجر من لهب الضرام  
وقفن عن السرى و نظرن شزرا إلى كأنها نكرت مقامى  
لقد نكرت نجوم الليل نضوا تعرفه الأوابد فى الموامى  
يبيت على ظهور العيس حلسا لجائله تزف مع النعام  
يحث بها النجاء عن الدنيايا و يستبق المفاز إلى الكرام  
و تعصمه إذا ارتبك المحامى بخير حمى به الشرف العصامى  
سمت فيه لأروع هاشمى أقر لبطن مكه من هشام  
فما سالت بقصد (أبى سعيد) و لا التفتت و تعلمه إمامى  
تشير الناس منه إلى هلال و تقبل بالشفاه على غمام  
تخال بكفه الأسرار تبدى بروق الغيث فى شطب الحسام  
ترى الأفلام تورد فى يديه مناهل لا تضيق على الزحام  
فان هيجت جرت بدم صبيب و إن سئلت جرت بندى سجام  
تعوذ بالرقى و إذا تلوت على الأعداء تنفث بالسمام  
لقد وجمت لهيبته الليالى و يفتح باسمه رتج الكلام  
ارى قلمى جنيا للقوافى بلا بره يقاد و لا خطام  
و كنت أراه يجبن دون بيت يخال على القنا طرف الثمام  
يرم عن القصيد و لست أدرى لعى كان يقعد أم جمام  
أم أطلب المقال فمذ رآه نضا صفو المدام عن الفدام



رأى بحرا فقلت أعد حديثا بلا حرج فانك فى ذمام

فجاء بها تروم بلوغ وصف تجف بحور نظمى و هو طامى

لقد كلفتها أمدأ بعيدا تحاماه المناسم و الحوامى

و لكنى أثب بها اشتياقى لحضرتة و أقرئه سلامى

اطيلى القول أيتها القفى و إنك أن قصرت فلن تلامى

بمبدئى اعتذرت و بالختام أرى العنقاء أيسر من مرامى

و قال يمدحه و يهنئه بعيد (النوروز):

شباب نسميه الربيع المنورا به تلبس الأيام وشيا محبرا

تجللت الآكام مما يحوكة من الزهر بردا بالورود مزررا

ص: ٧٠

يموج إذا مر النسيم فتلتقى أواذى لم يملك بها الطرف معبرا  
وقفت عليها اللحظ حيران شاخصا لبهجتها أو ماشيا متعثرا  
يغار لاعطاف تعانقها الصبا فتهوى ثغور فوقها تلثم الثرى  
إذا قابلتها الشمس قصر ضوءها حياء فخلنا شامس اليوم مقمرا  
و إن بسمت للنجم ضاحك مثله على الأرض كافورا نخلل عنبرا  
و إن نبهت تحت الأصيل رأيتها لحاظ الدمى لم تصح من لوثة الكرى  
خليلى هل من وقفه تريانها لماما و إن لم تنظرا فتظنرا  
على مربع القى به الغيث رحله فعرف من أعلامه ما تنكرا  
تنكرون حتى كنت اسرى فلم أكد أعج عليه العيس إلا تذكر  
فلما تعاضى الدهر عنه و ألبست معالمه ثوبا من العيش أخضرا  
أنخنا عليه العيس كالهضب بعد ما تغمرت منها ما يروى ابن احمر  
و لاحت لنا حمر القباب كأنها مصابيح يخفيها الظلام لتظهرا  
تعرض منها للتحية أهيف يذم النوى ثم انثنى يحمد السرى  
نوى قذف من قبل غادرن دوننا مهامه تنضى العيس فيها و ابجرا  
و يا رب كاس من رضاب شربتها حلالا إذا النجم المحلق غورا  
و عانقت غصانا و التثمت شقائقا و آنست مصباحا و غازلت جؤذرا  
لدى روضه فى أرضها تشبه السما بها البدر ما بين الكواكب اسفرا  
كساها الربيع الوشى طرز نسجه ملث العزالى رائحا فمبكرا  
فلما بدت للشمس صبحا و أرسلت شعاعا على مرآتها فتكسرا  
رأيت بها أخلاق (عدنان) قابلت محياه و البشرى فابهجن منظرا

رأيت بها للعلم و الفضل مصدرا قريبا و للنور الإلهي مظهرا  
أمام يكاد الغيب ينطق عنده إذا هو فيما يحكم الله فكرا  
هو الآيه الكبرى التي تعجز الورى تقاصر عنها خاضعا من تجبرا  
له منطق فصل الخطاب و مزبر به يسترق الدهر إن هو حررا  
و نور يقود الناس فى (منهج الهدى) و بأس يرد الحادث المتتمرا  
تيممه العافى فأبرق عارضا و لاحظه الرائى فأشرق نيرا  
أبر على الدنيا سناء و مفخرا و زاد فلم يدرك له الوهم مخبرا  
وراء ك عن تعريفه لست مدركا أراك بذى الأبعاد عرفت جوهرها  
ليهن به (النوروز) أن نال صحه فان بها عيدا على الناس أكبرا  
فان يك هذا العيد فيه تحولت إلى الأوج شمس الأفق جريا مقدرها  
فانك أنت الشمس فى الأرض لم تزل بأسعد أوج فى العلى شامخ الذرى  
و قال استاذ السيد عدنان فى القهوه ارتجالا:  
قهوه لم أقل غداه أتننى و هى تشوى الوجوه بئس الشراب  
فشطره الشيخ محمد رضا أسد الله الكاظمى بقوله:  
(قهوه لم أقل غداه أتننى) غير قول يلوح منه الصواب  
قلت فيها و قد علاها بخار (و هى تشوى الوجوه بئس الشراب)  
و شطر التشطير الشيخ حمزه بقوله:  
قهوه لم أقل غداه أتننى قول من عنفوا عليها و عابوا  
إن قولنا يزبرح الكذب فيه غير قول يلوح منه الصواب  
قلت فيها و قد علاها بخار هى شمس غطا سناها السحاب

و تجلت لنا فما قلت فيها و هى تشوى الوجوه بئس الشراب

و قال يهنئ السيد عدنان بقدم صهره السيد محمد على غياث من الحج:

لثغر ك برق بالحجاز غمائمه يؤمله بين العراقين شائمه

أضاء بادلاج الركاب فهجرت و شاب له من مفرق الليل فاحمه

يعللنا ظبي الحمى بابتسامه من البرق إلا أن منها صوارمه

تحجب حتى لا النسيم معانق لديه و لا نور الأصائل لاثمه

له دون مسرى الطيف ليل مسهد تساوى غريم الحب فيه و غارمه

و ما كان طرف ساهر بمتيم فرب فؤاد أرقته عزائمه

و ركب آثاروا العيس فى كل مجهل نسيمك و الشوق الملح علائمه

عصوا بك عدالا و جازوا مراقبا و لما ينفر من قطا البيد جمائمه

و ثغرا بملتف الوشيح ملثما تبسم عن بيض السيوف ملاغمه

تحجب أقمار الدجى سحب نفعه و تحيم الظباء الحاليات ضراغمه

فمروا و ما عاجوا و الليل منه عليهم إذا ما نص بالسر كاتمه

و أقصى أمانيهم تحيه شيق تلجلج حتى ترجمتها معاصمه

لعلك تجزى الشوق يوما بمتله فتعصى لواحيه و تقصى لوائمه

فاعتنق الفجر المقلد أنجما على غصن بان و الحللى حمائمه

و الشم جفنا لا كسيف مجاشع مضى بأسير أنت بالهجر ظالمه

و هل اجتلى شمس المحيا مع الدجى فقد مل موج الليل منا الأطمه

و فرعا على حقف من الرمل واردا تخال بسحر اللحظ تسعى أراقمه

ألا ظللت واديك كل سحابه كجفنى لو سحت بماء سواجمه

و صبحه غير الظبا كل بارق من الغيث حتى يهزم المحل هازمه  
لئن بت استسقى الغمام و طالما جرت عرضا انواؤه و قرازمه  
فكم مربي من بارق لا أشيمه و ورد تروى منهلا لا ازاحمه  
و ما كل روض موقن طاب لامرئ إذا هو لم تقبل عليه سوائمه  
و أرض رأيت البرق فيها مخائلا تروق الورى و الرعد ترغو زمازمه  
فما قلت يا بشرى إلا لبارق اتى من على يضحك الأفق باسمه  
بمقدمه عاد الربيع بنوره و حيث من النبت الهشيم رمائمه  
كان أبانا فى طلائع جيشه (تحرك يقظان الثراب و نائمه)  
قضى نسكه المفروض فى خير موقف تهل إلى الرحمن فيه رواسمه  
رأت مكة أن الذى رام هجره على و أن الظعن فيها فواطمه  
إلى بلد فيه مثال محمد بهيكل عدنان ابنه و مكارمه  
إمام هدى يدعو إلى الحق معلنا بتبليغه الآكام و الله عمائمه  
يزر على النور الإلهى برده و تلوى على مثل الهلال عمائمه  
له القلم الماضى بحكم و حكمه إذا سلم العضب اليمانى قائمه  
يمج على الطرس البهيج لعبه فتحبى مجانيه و تردى علاقمه  
أقام دعام الفخر لا ما تهدمت على نهشل بالشعر قبلا عائمه  
و يوم تشيب الحسن غض شبابه رفاق حواشيه عذاب نسائمه  
تجاذبت الأسماع الحان بشره و خامرت الأرواح طيبا قسائمه  
غنمت به البشرى بأسعد قادم لقد عاد من مسعاه جم غنائمه  
نظمت به عقد التهانى مرصعا فلا عيب فيه غير أنى ناظمه

إلى خير مولى هاشمى مديحه تقلده فى جیده الدهر خادمه

و قال يهنئ السيد عدنان بزواج صهره السيد محمد على غياث:

زف شمس المدام بدر الجمال فاجتلى الأنس فى قران الكمال

فاصطبح و اعتبق كئوسك صرفا فى ضحى غره و ليل قذال

و ارتشفها ممزوجه برضاب و أطرحها متقوله بالزلزال

من يدى أهيف تمايل تيهما بين سكر الصبا و سكر الدلال

فيمينا بريقه و هو أشهى من شمول مصفق بالشمال

قد سقى بابلى لحظيه راحا حرمت صحوتى بسحر حلال

يا غزالا غزا الفؤاد بطرف ثعلى يعطو بجيد غزالى

أهمل الدمع لام صدغك لما إن بدا معجما بنقطه خال

رقصت قرطك الحللى بما غنت فأصغت مسامع الخلخال

جمع الآس و الشقائق و النرجس غصن يمس فوق جبال

فهو روض على كتيب من الردف و بدر في ليل جعد جفال  
علق القرط كالصليب و لكن طوق الجيد معلما بالهلال  
أن نظام ثغره جوهرى قد أرانا صحاحه كاللآلى  
كلما افتر سافرا قال أقرأ سورة الفجر تحت عشر ليالى  
أطلع الشمس فى الدجى فرأينا ممكنا بالوجود بعض المحال  
ثم قلنا إن ردت الشمس ليلا لعلى فتلك بعض المعالى  
الفتى الهاشمى من آل عدنان بأعلى بيت و أظهر آل  
ضحك الدهر بعد طول عبوس لاتصال الأفراح بعد انفصال  
جاء يهدى إلها لسيد فهر سيفها المتضى ليوم النضال  
آيه الله مثل الدين شخصا لكن فيه أجله عن مثال  
فلك دائر على محورا الحق ترى الشهب فيه غر الخلال  
فيل فى حد ذاته الجوهر الفرد و لا فصل أن ذا الجنس على  
ليس تجرى العشر العقول بمضمار علاه كأنها فى عقال  
قل لمن رام أن يجاريه أقصر اين من لاحق ديبب النمال  
فاقتبس من علومه قبسه العجلان لا تصطلى بنار الجدل  
قام يدعو إلى الهدى بلسان صارم حز فى وريد الضلال  
يا مفيد الأنام فى خير إرشاد لأنت الصدوق عند الأمالى  
أنت شمس تعمى بها لأعين الرمد فتاوى من غيها فى ظلال  
لك كف تقبل الوفد منها بحر جود من دونه لمع آل  
لك تهدى البشرى بأسعد يوم أنتجت فيه عاقر الآمال

أرضعت طفل روضه حلم السحب و شب الزمان بعد اكتهال

نفل الأنس قد زها فاغتنم فيه الهنا إنه من الأنفال

كل عقد مفصل من مديح هو فيما حويت كالإجمال

و قال مهنئا الشيخ عيسى بن صالح الجزائرى عند قدومه من الحج فى شهر ربيع الأول ١٣٣٨ هـ و يتطرق فيها إلى مدح السيد عدنان:

جلا المعروف غصنا يثمر القمرا تهل بالنسك عيناه إذا نظرا

ريم تعرض لى فى الركب عن غرض و ليله النفر عنى معرضا نفرا

و ما بدا سانحا إلا تعيفه صب تطير باللاحى إذا زجرا

لثمته بلحاظى و هو ملتثم ورد طرفى حسيرا عنه إذ حسرا

كان ماء الصبا يجرى بوجنته و الخال زورق مسك فوقه عبرا

يعطو باتلع كالمرآه لاح بها رسم من الثغر يدعى العقد و الدررا

و ليله بات يجلو من أشعته سيفا به حز نحر الفجر فانفجرا

كان فى نجمها من ثغره فلجا و فى غياهبها من طرفه حورا

و الراح فى ثغره تجلى و فى يده و جمره الشوق تهوى البارد الخصر

أشكو له أمر أشواقى و أدمعنا قد التقين على الأمر الذى قدرا

قاس يرق لعتبى أننى رجل قلبى كلیم الهوى قد فجر الحجرا

حتى إذا لاح ثغر الفجر مبتسما و راح يطعن من جيش الدجى ثغرا

و دعته و استقلت بى مطهمه دهماء لم تعرف الأوضاح و الغررا

من السوابح فى غمر تعب به و تنثنى عنه لا وردا و لا صدرا

يسوقها الرعد فى جو تمر به مر السحابه لم ترسل به مطرا



عذراء قد حملت بالركب فانتبذت بهم و ما يمتت نخلا و لا شجرا

حتى أتتنا بعيسى ايه و لقد تمثل الروح بالبشرى لها بشرا

بخير من حج بيت الله و اعتمرا و خير من عقد الإحرام و اتزرا

أهل الله و التقوى تؤيده فى موقف يدهش الألباب و الفكر

يغيب الطالعين الشمس و القمر و يملأ الواسعين السمع و البصرا

يفيض بالسفح موجا سال ذا لجب لو لا السكينه تدنى خطوه لجرى

حتى ترى الجمع فى جمع قد ازدلفوا زلفى إلى الله إهلالا بما أمرا

كان شخصك فيهم قائم علم فكلما أضمرته غمره ظهرا

يضىء نورك للسارى إذا خطرت به الدياجى بقفر ينبت الخطرا

فيجتلى نار موسى و هى نور هدى و يجتدى نور عيسى و هو نار قرى

ما خامروا الطيب فأعجب كيف قد نشقوا فضائلا منك يذكو نشرها عطرا

يتلوك فى كل صف قوس دايره يمد نحوك من الحاظه و ترا

و كلما ازدحموا كالورد فى ظما أرويتهم يمين تقتل العسرا

يد جرت عيلما علما و مكرمه كان من بحر (عدنان) لها نهرا

ذاك الذى أن وصفنا نصف ملكا قد شرف الله فى تجسيمه مضرا

هو الامام الذى يهدى الورى سبلا إلى الرشاد فتقفو خلفه الأثرا

أن تحجب الغيبه الكبرى صباح هدى و يصبح الحجه المهدى منتظرا

فانك النائب الفرد الذى ظهرت آياته محكمات فصلت سورا

فرع جرى فيه حكم الأصل حين غدا وزيره الروح "عيسى" قائما وزرا

بفضله عاد باب الرشد منفتحا يرد عنه لواء الغى منكسرا

أكرم به قادما أدى مناسكه و طاف لما قضى من نسكه وطرا

سعى و قصر و هو المستطيل إذا سعى لنيل المساعى الغرما قصر

أبدت لنا فى ربيع الأانس طلعتة نورا و دوح الأمانى أينعت ثمرا

و غردت بالتهانى كل صادحه طير الهنا و حداه الركب و الشعرا

و له مادحا السيد محمد على بن السيد باقر غياث المتوفى سنه ١٣٨٢ هـ و هو صهر السيد عدنان الغريفى و تاريخ القصيده غره  
جمادى الثانيه ١٣٤٢ هـ:

ما بال شوقى على النوى زائد و الطرف لا جامد و لا راقد

و القلب لا يترك ادكاركم كأنه فى النوى لكم واجد

فارتكم و الفؤاد عندكم و غبتم و الهوى بكم شاهد

ليت النوى أعرضت عوارضها عنا و غام العذول و الحاسد

و ليت عيشنا صفت موارد بالقراب منا زمانه عائد

نلت به كل منيه امما حتى الثريا لمستها قاعد

ألهو بما شئت من هدى و ندى كأننى فى يد العلى ساعد

فالآن لم يبق غير ذكركم تعلتى بل انيسى الواحد

ما الروض تغدوه كل ساريه وطفاء من مثلها لها رافد

تصحبه و البروق سائقها يحدو بها الرعد و الصبا قائد

تضحك عن ثغر ظافر فرح فيه و تبكى بادمع الفاقد

حتى تروى ثراه من ظما غيثا فيصبي جماله الرائد

تصوغ فى حافتيه من زهر سبائكا يستشفها الناقد

كلا و لا الماء سال جدوله كالسيف جلى فرنده الغامد

ينطبع الظل فوق صفحته كأنما عام لجه الوارد

ينساب كالأيم ثم أن مشطت يد الصبا و فرتيه يستاسد

يبسم فى الأرض للصدى الوارد عن سمط ثغر مؤثر بارد

يطرب فى جريه الغصون حواليه فمن مائل إلى مائد

صاف و قد سال خلته راكد ساج و قد ذاب خلته جامد

كلا و لا الراح أطلعت شهبا فى الكأس يعشو لنورها العامد

يترعها للنديم ذو هيف فى وجنتيه لشربها شاهد

كأنها فى بنانه قبس فى عنم يصطلى به الواقد

ص: ٧٢

إذا أباريقها بها ركعت بات لها كل شارب ساجد  
كلا و لا الغيد تنثنى مرحا زارت على غفله من الراصد  
إن ذعرت اتلعت بسالفتى ريم من العفر راعه الصائد  
تسكرنى بالحديث عاتبه كما و هى العقد من يد العاقد  
زارت و سكر الدلال يعطفها كعطفه الغصن فى يد العاقد  
كلا و لا الصحب فى مناديه ينظمهم عقد مجمع حاشد  
تفتض بكر الحديث من طرب بين طريف الشئون و التالد  
كأنما أنجم السماء إذا طالعنا كلها لنا حاقد  
كلا و لا نظره النعيم لدى عيشى بارضى و لو غدا خالد  
كلا و لا البدر فى الظلام و لا النجم و لا الفجر نوره صاعد  
يطربنى بعد بعدكم أبدا كلا و لا راق طرفى الساهد  
يا أيها الخل دعوه صدقت دعا بها ماجد إلى ماجد  
رفقا بصب بوصلكم طمع شوقا و فى الناس غيركم زاهد  
طوقته قبل بالندى مننا فلم يزل شاكرا لها حامد  
فاسمح بوصل يحيه زمن فإنه إن جفوتم بائد  
فالشكر منه إليك متصل و الشوق منه على النوى زائد

و قال يمدح الشيخ عيسى بن صالح الجزائرى الذى كان ينوب عن السيد عدنان. و يبدو من الأوراق التى وصلتنا محتويه على بعض شعره و منه هذه القصيده المدونه بخط يده، إنه كان و هو مقيم فى بلدته (الحى) يظل على صله بالسيد عدنان و من يلود به من الأفاضل، فيراسلهم و يمدحهم و هو بعيد عنهم، إذ إنه قد سجل فى آخر القصيده اسم (الحى) و تاريخ الإرسال:

غره جمادى الثانيه سنه ١٣٤٢:

تقيل كفك فضل صدنى الزمن عنه و كم هو لى بالصد يمتحن

يعوق سعى المنى عندى فإوسعها نجحا و يغمز من عزمى فلا أهن  
إن صدنى دون تشرىفى بقربكم بحيث تنعم فيه العين و الأذن  
فلم يحل عن مسير القلب نحوكم و هو التواصل لا أن يقرب البدن  
ما انفك يخذلنى نطقى فينجدنى عند الفراق و أنأى و هو لى سكن  
يترجم الشوق عنى فى صحائفه حتى يكاد عليها ينطق الشجن  
كلفته فقر التسليم عن كذب إليك و هو بما كلفته قمن  
فلم يدع فكره إلا ألم بها فى النظم و هو على الأفكار مؤتمن  
فجاء يبذل أقصى جهده و له ببذله الجهد عذر وجهه حسن  
مجانب المدح و الإطراء معترفا بالعجز عن نيل ما كلت له الفطن  
و ليس بدعا إذا أعيا عليه و إن أمده مدمعى و البحر و المزن  
فذاك شوط قد استخذى بحلبته عن أن يخب إليها السابق الأرن  
و كنت أعجزته شكرا على ممن و كلما كل جاءت بعدها ممن  
فقام يدعو لك الرحمن مبهتلا بان تحوطك من تسديده جنن  
فاقبل بذا شاهد الإخلاص ممترجا بالقلب ينطق عنه السر و العلن  
و قال يمدح السيد عدنان:

شباب نسميه الربيع المنورا به تلبس الأيام وشيا محبرا  
تجللت الآكام مما يحوكه من الزهر بردا بالورود مزررا  
يموج إذا مر النسيم فتلتقى أواذى لم يملك بها الطرف معبرا  
وقفت عليها اللحظ حيران شاخصا ليهجتها أو ماشيا متعبرا  
يغار لأعطاف تعانقها الصبا فتهوى ثغور فوقها تلثم الثرى

إذا قابلتها الشمس قصر ضوءها حياء فخلنا شامس اليوم مقمرا  
و أن بسمت للنجم ضاحك مثله على الأرض كافورا تخلل عنبرا  
و أن نهت تحت الأصيل رأيتها لحاظ الدمى لم تصح من لوثة الكرى  
خليلي هل من وقفه تريانها لماما و إن لم تنظرا فتنظرا  
على مربع ألقى به الغيث رحله فعرف من أعلامه ما تنكرا  
تنكرون حتى كنت أسرى فلم أكد أعج عليه العيس إلا تذكرا  
فلما تغاضى الدهر عنه و ألبست معالمه ثوبا من العيش أخضرا  
أنخنا عليه العيس كالهضب بعد ما تغمرت منها ما يروى ابن أحمر  
و لاحت لنا حمر القباب كأنها مصابيح يخفيها الظلام لتظهر  
تعرض منها للتحية أهيف يذم النوى ثم انثنى يحمد السرى  
نوى قذف من قبل غادرن دوننا مهامه تنضى العيس فيها و ابجرا  
و يا رب كاس من رضاب شربتها حلالا إذا النجم المحلق غورا  
و عانقت غصنا و الثمت شقائقا و آنست مصباحا و غازلت جؤذرا  
لدى روضه فى أرضها تشبه السما بها البدر ما بين الكواكب اسفرا  
كساها الربيع الوشى طرز نسجه ملث العزالي رائحا فمبكرا  
فلما بدت الشمس صباحا و أرسلت شعاعا على مرآتها فتكسرا  
رأيت بها أخلاق عدنان قابلت محياه و البشرى فابهجن منظرا  
رأيت بها للعلم و الفضل مصدرا قريبا و للنور الإلهى مظهرا  
إمام يكاد الغيب ينطق عنده إذا هو فيما يحكم الله فكرا  
هو الآيه الكبرى التى تعجز الورى تقاصر عنها خاضعا من تجبرا

له منطق فصل الخطاب و مزير به يسترق الدهر أن هو حررا  
و نور يقود الناس فى منهج الهدى و بأس يرد الحادث المتممرا  
تيممه العافى فأبرق عارضا و لاحظه الرائي فأشرق نيرا  
أبر على الدنيا سناء و مفخرا و زاد فلم يدرك له الوهم مخبرا  
وراء ك عن تعريفه لست مدركا أراك بذى الأبعاد عرفت جوهرها  
و قال:

قفا بالعيس تشعرها القنود نحى الركب أو تقضى العهود  
و خدن مع الظلام بمستنير يصدو فى تبسمه وعود  
تبدى للوداع فقلت وعد فنهني بمقلته الوعيد  
رأى برقا فقابله ابتساما كلا البرقين من ظمى بعيد  
أعد وميضه فاخال ربا به أسقى و يكذب إذ أروود  
لعل البرق أطمع ثم أكدى له عذر كما برق الحديد  
فما للثغر و هو يضم شهيدا عليه كل مشتار شهيد  
ألا علل بوصلك قلب صب تناوبه غرامك و الصدود  
يسهد ليل هجر ك و هو عام و يصبح ليس بعذره لبيد  
ليال قد وصلت بهن بيض و أيام تغيب بهن سود  
و صبح قد طلعت به علينا فكنت الشمس مطلعها سعيد  
تحجب ثم أسفر فى ربيع كما فتحت كمائمها الورود  
تشوق أن ينال مزيد فضل بحيث يتم فيه فلا مزيد  
فأدرك ما يؤمله بسعى كذا المسعى يبلغ ما يريد

و لما أن حدا إبل الأمانى تقاذفها المفاوز و النجود  
خففن إلى المعرف فيه طلقا وعدن و ثقل مغنمها قيود  
أفاض بهن مزدلفا بجمع مسدده تمر فلا تحيد  
و يممها المحصب و المصلى بمزدحم تعط به البرود  
قضى نسكا فعاد فقلت بشرى تعود بك المسره إذ تعود  
نجيح القصد ما وسعته وصفا أراجيز الكلام و لا القصيد

ص: ٧٣



و هل وسعت فتى قدمت رحما إلى عدنان فهو له عميد

فذاك به تشرف كل نجر طريف فى المفاخر أو تليد

له فصل لخطاب [الخطاب] لكل فصل تفيد به العقول و تستفيد

فمن بك [يك] فى محبته سعيدا تجلت فى مطالعه السعود

لقد صدحت بمقدمك التهاني فكل صدى تردده نشيد

و إذا كنا قد أكثرنا فى نشر شعر هذا الشاعر فى ترجمته هذه مع ان شعره لا يخرج عن موضوع واحد هو مدح السيد عدنان الغريفي و بعض من ينتمى اليه - إذا كنا قد فعلنا ذلك، فلأن من حق هذا الشاعر أن نحفظ له ما بقى من شعره، ثم لأن من حق السيد عدنان أن نسجل له أياديه البيض على الشعر و أهله فى تلك الفترة و فى ذاك المحيط، فهو لم يكن مرجعا دينيا كبيرا فحسب، بل كان ناديه ملتقى الأدباء و الشعراء يغدق عليهم ما يغدق و يرفدهم بما يرفد.

و أهم مصادرنا فى هذه الترجمة هو السيد على العدنانى الغريفي.

### **المولى الخواجه حيدر على بن الخواجه على بخش:**

المتخلص فى شعره بآتش و ينتهى نسبه إلى الصوفى الشهير الخواجه عبيد الله الأحرار.

ولد فى حدود سنة ١١٩٢ و توفى بمدينه لکنهو سنة ١٢٦٣ و دفن فيها.

كان من فحول شعراء الشيعه فى الهند زعيم رئيس عارف متصوف ولد فى مدينه فيض آباد الهنديه و فقد والده فى الصغر مما اضطره أن يترك دراسته و ينخرط فى حاشيه النواب الميرزا محمد تقى الترقى حاكم فيض آباد و بعد مده هاجر إلى مدينه لکنهو إحدى المراكز الشيعيه فى الهند و مهد الأدب و الشعر و الشعراء ثم أولع بالأدب و الشعر و أخذ يتابع دراسته هناك و حضر فى فنون الأدب و الشعر على جملة من فحول [فحول] الشعراء و الأدباء منهم الشاعر الشهير المصحفى و نبغ و أخذ يتردد اسمه فى المحافل الأدبيه و كان يتقن اللغة الفارسيه مما ساعده فى تحقيق و تتبع الأدب الفارسى و الاطلاع على آثار كبار شعراء إيران أمثال حافظ الشيرازى و سعدى و غيرهم و حفظ أشعارهم و كان ينظم الشعر باللغه الأردويه بأعلى مستوياتها الأدبيه و طبع الجزء الأول من ديوانه فى حياته بلکنهو ثم جمع تلميذه المير دوست على خليل باقى أجزاء ديوانه و باشر بطبعه سنة ١٢٦٧ هـ أى بعد وفاته بأربع سنوات ثم أعيد طبعه مرارا فى الهند و باكستان. و ذكره صاحب كتاب (تاريخ الأدب الأردوى) و محمد حسين آزاد فى (آب حياه).<sup>(١)</sup>

### **السيد مير خير الله بن السيد رحمه الله بن السيد أبو تراب الهندى القزوينى**

الحائرى:

ولد فى لکنهو من بلاد الهند ثم هاجر إلى إيران و استقر فى قزوین و أخذ العلم من الشیخ محمد تقى الفرشته الطالقانى المتوفى سنه ۱۱۸۶ هـ و المولى ملا- محمد الملائکه البرغانى المتوفى سنه ۱۲۰۰ هـ ثم هاجر إلى کربلاء و حضر على الوحید آقا باقر البهبهانى المتوفى سنه ۱۲۰۵ هـ و اختص بالسید مهدى بحر العلوم المتوفى سنه ۱۲۱۲ هـ و كان المترجم له من أعیان العلماء و له ثروه و جاه توارثه عن والده السید رحمه الله و له آثار و مآثر فى العتبات المقدسه فى العراق منها فى الروضه الحیدریه فى النجف الأشرف و هو إحداث السراذیب و تعیید أرض الصحن و فرشہ بالصخر المرمر فى سنه ۱۲۰۶ هـ و اسم المترجم له مع خمسہ أبيات عربیہ و فیها تاریخ البناء و التعمیر المذكورہ منقوش فى صخره کبیرہ على یمین الخارج من الصحن الشریف من الباب الشرقى الكبير و مقابلها أبيات فارسیه و فیها أيضا اسمه مع تاریخ التعمیر و الأبيات العربیہ من قصیدہ للشاعر السید محمد زینى المتوفى سنه ۱۲۱۶ هـ و مثبتہ فى دیوانه المخطوط و هى تشتمل على عدہ تواریخ مطلعها:

لقد أنعم الباری و جل عطاؤه على (میر خیر الله) و هو رجاؤه

إلى أن قال و هى المكتوبه على الصخره:

جزى "میر خیر الله" خیرا إلهه كما جل فى الدارين منه جزاؤه

فقد كان تعظیم الشعائر دأبه و فى كل ما یرضى الإله اعتناؤه

توعر حینا صحن روضه حیدر فسواه سهلا للمشاه فناؤه

و مهده و الشکر لله دأبه فأننت علیه أرضه و سماؤه

فأنشأت لما أن بناه مؤرخا "بنا میر خیر الله باد بهاؤه"

و ذکر العماره المذكورہ الشیخ جعفر آل محبوبه فى کتابه (ماضى النجف و حاضرها) قال: (كانت أرض الصحن المطهر القديمه منخفضه و هى محل القبور التى یدفن بها اليوم و لمورور عشرات من السنین و ما یحصل فیها من مجارى السیل و هبوب الرياح و ما تجلبه من التراب و الأحجار الكثيره ارتفعت الأرض المحیطه بالصحن المقدس من سائر جهاته و توعرت أرضه لكثره ما فیها من القبور و المحاریب و كانت سائر المحاریب ظاهره بارزه على وجه الأرض حتى كان عصر العلامه الكبير السید محمد مهدى بحر العلوم فلما رأى ذلك و لم یکن بالسهل المشى فى الصحن المقدس أمر بطم الصحن و عملت السراذیب على ما هى علیها اليوم و عادت أرضه بالصخر المرمر و كان ذلك سنه ۱۲۰۶ هـ و كان الباذل لمصروفاته میر خیر الله الايرانى..) ثم ذکر أبياتا فى التاريخ لم تكتب على الصخره و هى:

و ان شئت تاریخا لیوم بنائه لتعلم من قد كان منه بناؤه

فقل "میر خیر الله بانیه جدہ" و ذلك تاریخ جلی خفاؤه

و قل "میر خیر الله وطا بانیا" فجل بذا التاريخ منه رجاؤه

و قل "مير خير الله لله حبه" فمن ذلك التاريخ بان ولاؤه

و اتبع تواريخا أتتك مؤرخا "بنا مير خير الله باد بهاؤه"

و الصحيح أن المترجم له هندي لا إيراني. (٢)

## السيد خير الدين بن السيد مير خير الله بن السيد رحمه الله الهندي الإله

الآبادى الحائرى القزوينى:

المتوفى بعد سنه ١٢٤٢ هـ.

كان من أعلام الشريعة و أئمة التقليد و العلماء المبرزين و هو أبو أسره آل خير الدين و يقال آل خيرى من البيوت العلميه المعروفه فى كربلاء و قزوين التى ظهر منها غير واحد من العلماء الأعلام و بزغ نجمها فى أفق كربلاء و قزوين فى أواخر القرن الثانى عشر و مطلع القرن الثالث عشر منذ عهد والد المترجم له السيد مير خير الله، و هم منسوبون إليه إلا أنهم اشتهروا بال خير الدين و آل خيرى و لا- يزال أحفاده يقطنون فى كربلاء و قزوين أدرك المترجم له السيد على الطباطبائى و نجله السيد محمد المجاهد فى كربلاء و تخرج على الشيخ محمد صالح البرغانى المتوفى سنه ١٢٧١ هـ و شقيقه الشهيد و حضر مع مشايخه الجهاد ضد روسيا القيصرية فى سنه ١٢٤١ هـ و منها رجع إلى موطنه الهند فى سنه ١٢٤٢ هـ و كان من أكابر العلماء و مراجع التقليد و الفتيا هناك. له مؤلفات جليله منها الملخص فى المعانى و البيان، كتاب هديه العزيز و هو جواب على كتاب التحفه، و كتاب نقد البلاغه و هو شرح لكتابه الملخص (٣) ذكره والدى فى كتابه الغرر و الدرر المخطوط و أشار إليه شيخنا الأستاذ آغا بزرك الطهرانى فى الكرام البرره... و لعله والد السيد نوازش على آل خير الدين الذى جاور الحائر الشريف حدود سنه ١٢٢٥ هـ إلى أن توفى بها فى سنه ١٢٤٣... (٤).

ص: ٧٤

- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٣- السيد إعجاز حسين الكنتورى النيشابورى كشف الحجب و الأستار عن أسماء الكتب و الأسفار ص ١٦١ و ص ٥٨٥ طبعه كلكته سنه ١٣٣٠ هـ.
- ٤- الصالحى.

مرت ترجمته في موضعها من الأعيان، و نضيف إلى ما هنالك هذه الدراره:

هو رائد المعجمات الأول في العربية الذي ابتكر: التأليف المعجمي، و اخترع المنهج الذي اتبعه، و اخترع في ترتيب مواد سببلا بكره هده إليه اشتغاله بالموسيقى، فكان السابق في هذا المضمار دون منازع، فهو أول من جمع اللغة في معجم جدير بهذا الاسم.

و كان الخليل عبقرها بعيد الأفق، علما واسع العلم و الثقافه، و مخترع علم الموسيقى العربية. و جمع فيه أصناف النغم، و هو أول من جمع اللغة، و أول من ابتكر المعجم العربي، و بعض العلوم الرياضيه، و ما عرف في عصره أذكى منه و أعلم و أعف و أزهد.

و أعانه فهمه للإيقاع و النغم على ابتكار طريقه جديده في "العين"، و علمه بالموسيقى حملة على أن يخطط طريقه في معجمه ناظرا إلى الأصوات اللغويه و مخارج الحروف، فبدأ بحروف الحلق لأن الحلق أبعد مخارج الحروف، و هكذا صنع سلمه اللغوى صاعدا فيه من أقصى الحلق حتى ينتهى إلى الشفه، و جعل ترتيب معجمه على الحروف بحسب المخارج، و قد كان موقفا في منهجه، فتميز الحرف بالصوت أوضح من الكتابه.

### كتاب العين

منهج الخليل في العين منهج هده إليه اشتغاله بالموسيقى و الأنغام، و ساعده كثيرا ذهنه الرياضى و عقله الكبير و عبقرته التى لم تشهد العربية لها مثبلا إلا نادرا، و يكفى للدلاله على مواهبه الفذه أنه ابتكر قواعد علم لم يدع لمن بعده فيه مجالا، بل ابتكره كاملا، و ذلك علم العروض، و اخترع علم النحو، و اخترع علم الموسيقى العربية، فلا غرابه على هذا الذهن الجبار أن يكون أول مبتكر للمعجم العربى.

و هذا المنهج قائم على الصوت، لأنه أوضح في التمييز و الدلاله على مخرج الحرف من الكتاب، فإذا كتبنا هذه الكلمه (نفر) دون نقط تعذر على القارئ أن يقرأه كما أراد الكاتب، أما النطق فلا يخطئه، و فى العربية خمس حروف ذات صوره واحده إذا لم نقطها، فالباء و التاء و التاء و النون و الياء فى أول الكلمه و وسطها ذات صوره واحده.

و لعل إثارة الخليل هذا المنهج يعود إلى رغبته فى تمييز الحرف بالصوت لأنه أقوى دلالة و أكثر وضوحا و تمييزا من الكتابه، و هذا تفسير قريب من قريب، فالموسيقى صوت، و الخليل مبتكر هذا العلم فى تاريخ العرب، فإذا بنى معجمه عليه فلا غرابه و لا اتهام أنه اقتبس طريقه سبق إليها.

و صنع سلمه اللغوى، و اختار أن يصعد فيه من أسفله لا أن يهبط من أعلاه، و رتب معجمه على الحروف بحسب مخارجها، فبدأ بحروف الحلق، لأنه أبعد مخارجها، و يبدأ بالصعود تدريجا حتى تنتهى إلى الشفه و جعل ترتيب الحروف هكذا: ع، ح، ه، غ، خ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، ت، د، ظ، ذ، ث، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، ي، أ.

و سمي كل حرف كتابا، و افتتح معجمه بحرف "العين" و سماه كتاب العين، فكتاب الحاء، فكتاب الهاء، فكتاب الغين، فكتاب الخاء و هكذا، و أطلق اسم كتابه الأول و هو "كتاب العين" على المعجم كله لاستهلاله به.

و تتبع الخليل أبنيه كلام العرب تتبعاً علمياً دقيقاً، و حصرها بين الثنائي و الخماسي، و فصل الألفاظ المعتلة جاعلاً الهمزة من حروف العلة، مفرداً لها باباً بعد أبواب الثلاثي، ذكر فيه الثنائي المضاعف المعتل و الثلاثي المعتل بحرف، و الثلاثي اللفيف، و فرق الأبنية على كل باب، مبتدئاً بالثنائي المضاعف، فالمضاعف الثلاثي الصحيح، فالمضاعف الثلاثي اللفيف، فالرباعي و الخماسي، و جعل الأخيرين في باب واحد لقله الألفاظ التي وردت منهما، و أشار للمستعمل و المهمل في أبنية الثنائي و الثلاثي، أما الرباعي و الخماسي فأغفل الإشارة إلى المهمل منهما، لأنه فوق الحصر.

و ابتكر بعد هذا كله نظاماً آخر اتبعه بعض العلماء ممن جاء بعده و ألفوا معجمات لغوية، و هذا النظام يقوم على ذكر الكلمة و قلبها إلى كل وجه بحيث يتألف من مقلوباتها كلمات، و يذكرها جميعاً في موضع واحد، فكلمه "الضرم" ذكرها في حرف الضاد، و قلبها حتى تولدت منها هذه الكلمات:

ضمر، مرض، مضر، رمض، فإذا لم يستعمل العرب شيئاً من هذه الاستعمالات أشار إليه، و إذا جاء إلى كتاب الراء و الميم أغفل ذكر الرضم و الرمض و المضرم و المرض لأنه ذكرها في كتاب الضاد.

و زاد على هذا أنه يذكر كل نوع من الصحيح و المضاعف و المهموز و المعتل على حده ليميز كل نوع من غيره. (١)

و لمنهج الخليل موقع عند من يرى أن الكلمات المشتركة في الحروف - و إن اختلفت في الترتيب - تشترك في المعنى أو المصدر الذي تفرع منه، و هذا يدل على أن الخليل عني بالتفسير الاشتقاقي للمواد التي يتناولها، و لم يقف عند شرح المادة و مقلوباتها و فروعها على طريق الاشتقاق الأكبر، بل كان يذكر في كل أصل ما تفرع عنه على طريق الاشتقاق الكبير (٢)، و يعد الخليل أسبق من ابن فارس و ابن جنى إلى فهم الاشتقاق الكبير، و هو دلالة الحروف في كلمة من الكلمات - على اختلاف ترتيبها و تركيبها - على أصل معنوي واحد. (٣)

و منهج الخليل ليس سهلاً ميسوراً الاتباع، بل فيه عيوب، و صوابه لا تهدي، بل لا صواب تأخذ بيد الباحث، و توصله لمقصده، لصعوبه ترتيبه، و خلطه بين الثلاثي المضاعف و الرباعي المضاعف، و اختلاط الأصل بغيره، لذكره الكلمة و ما ينشأ عنها بالقلب، مثل: حرب، و حبر، و بحر، و برح، و ربح، و ربح، و من الصعب أن يعرف أيها الأصل و أيها المطلوب. (٤) مقدمه لسان العرب.

و ليس هذا كل ما في منهج الخليل من هنات، بل ثم هنات أخذها عليه العلماء، لا تتصل بالمنهج و أصوله و قواعده، بل تتصل ببعض المواد التي جاءت في كتابه، مثل: تفرده بذكر كلمات كثيره لم يسمع ببعضها.

و في "العين" هنات أخرى، منها: إهماله أبنية مستعمله، و عدم استيفائه الصيغ الواردة في كلام العرب، و وجود أخطاء صرفية، و تصحيف، و تحريف.

وقد أشار ابن منظور في مقدمه اللسان إلى ما يشبه طريقه الخليل في معرض النقد فقال: "كان واضعه شرع للناس موردا عذبا و حلأهم عنه، و ارتاد لهم مرتعا مريعا و منعهم منه، قد آخر و قدم و قصد أن يعرب فاعجم، فرق الذهن بين الثنائى المضاعف و المقلوب و بدد الفكره باللفيف و المعتل، و الرباعى و الخماسى، فضاع المطلوب". (٤)

و عزا ابن منظور انصراف الناس عن التهذيب و المحكم و إهمالهم أمرهما و عدم الإقبال عليهما، حتى كادت البلاد تخلو منهما، إلى سوء الترتيب و تخليط التفصيل و التبويب.

### الخليل مبتكر لا مقلد

زعم بعض الناس أن الخليل كان يعرف غير العرييه، كان يعرف

ص: ٧٥

١- خطبه الكافى ٢٥.

٢- فقه اللغه الوافى ٢٧٨.

٣- ضحى الإسلام، لأحمد أمين.

٤- مقدمه لسان العرب.

اليونانية، و لعلهم أرادوا من هذا الزعم أن يسيروا إلى أن معرفته باليونانية هدته إلى ابتكار منهجه في العين، و استدلوا بصله حنين بن إسحاق المشهور في الطب بالخليل، فقد جاء في عيون الأنباء (١) ترجمه حنين: "و كان شيخه في العربية الخليل بن أحمد، ثم انتقل بعد ذلك إلى بغداد" وفيه (٢) أيضا: "أن حنين بن إسحاق كان يشتغل في العربية مع سيبويه و غيره ممن كانوا يشتغلون على الخليل" و هذا يدل على أن حنينا لزم الخليل و أخذ عنه العربية حتى برع فيها، و أدخل كتاب العين بغداد، و حين كان يعرف اليونانية، و ترجم منها كتبا و رسائل كثيرة لجالينوس و أبقرط، و ترجم بعض قصص اليونان، و الخليل معروف بالذكاء العبقري النادر، و لا بد أن تثمر هذه الصلة بينهما أن يعرف الخليل اليونانية. (٣)

إلا أن هذا القول وهم، فالخليل توفي سنة ١٧٥ هـ و ولد حنين سنة ١٩٤ هـ أي بعد الخليل بأكثر من خمس عشرة سنة، هذا على قول من قال: إن الخليل توفي سنة ١٧٥ هـ مع أن هناك من يقول: إنه توفي سنة ١٧٠ هـ.

و هذا لا يدع مجالاً للشك في أن الخليل لم يتصل بحنين، و بانتفاء هذه الصلة ينتفى أخذ الخليل اليونانية منه.

و لم يرد هذا الزعم إلا عن ابن أبي أصيبعة عن سليمان بن حسان.

و إذا افترضنا أن الخليل كان يعرف اليونانية فلا مجال لأن يزعم زاعم أن طريقته في العين تشبه طريقه مؤلفي المعاجم اليونانية، فلم يؤثر عن اليونان أن مؤلفا صنّف معجما جعل ترتيبه على الحروف بحسب مخارجها مبتدئا من أقصى الحلق منتهاها باحرف الشفه.

و نخلص من هذا إلى أن الخليل لم يقتبس منهجه من اليونان.

و هناك قول آخر: أن الخليل اتبع في ترتيب معجمه طريقه الهند في ترتيب حروف هجائها، فاللغة السنسكريتية ترتب حروف هجائها (٤) على حسب مخارجها مبتدئه بأبعد الحروف مخرجا و منتهاه باحرف الشفه، و هي آخر درجه في السلم الصوتي للحروف.

و كانت الصلة بين الهند و جزيره العرب قديمه، و قويت بعد الإسلام كثيرا، و كان في الخليج الفارسي عدد كبير منهم، و كان "المحاسبون" لتجار العراق في البصره و بغداد من السند، و فيهم علماء و مثقفون، و كانوا على صله بأهل العلم من العرب.

و لعل هذا الرأي أقرب إلى التصديق من سابقه، و لكننا لا نميل إليه، فوجود طريقه لمؤلف في لغة من اللغات لا يمنع أن يصل مؤلف آخر إليها باجتهاده و جهده، و لا يكفي أن نقول: إن الخليل اتبع طريقه الهند في الترتيب لمجرد وجود هذا الترتيب في لغة لم يذكر أحد أن الخليل كان يعرفها، و ليس من السهل نقل ترتيب بحذافيره من لغة إلى لغة، لاختلاف النطق بالحروف بين الأمم و اللغات و الأجناس، بل ان ترتيب حروف الهجاء في السنسكريتية ليس - هو - ترتيب الخليل عينه.

و فوق هذا لم يكن للهند في ذلك الزمن معجم معروف (٥).

و طريقه الخليل تتفق مع علمه الواسع الدقيق بالموسيقى، فهي تقوم على أساس الصوت، و على ما يشبه السلم الموسيقي، فهو اعتمد على مخارج الحروف عند ما ينطق بها، و نظر إلى الأوتار الصوتية و الأصوات اللغويه، فصنع سلمه صاعدا عليه من أسفل

حتى ينتهى إلى أعلاه، مبتدئا بأقصى الحلق، متدرجا فى الصعود حتى يصل إلى الشفه.

و إذا صح قول من قالوا: إن الخليل اتبع طريقه الهند فى ترتيب معجمه فإنهم ينسون أن الخليل كان مختارا فيما يؤثره من الطرق المختلفه لترتيب الحروف الأبجديه، فاختار ما وافق علمه الموسيقى، و لم يجبره على ذلك سلطان نافذ حتى يبطل فضله فى الموازنه بين الطرق و إثار ما هو أوفق منها لرأيه و أسبابه العلميه، و يجب - بعد هذا - ألا ننسى الفارق الكبير بين القول بترتيب الحروف الأبجديه على طريقه الهند - إن صح - و القول باقتباس المعجمات منهم.

و فى وسعنا أن نقول: إن الخليل مبتكر فى معجمه المنهج و الطريقه و الترتيب حتى يثبت ثبوتا علميا أنه مقلد لا مبتكر، و متبع لا مخترع.

### نسبه كتاب العين

اختلف العلماء فى حقيقه كتاب العين، أهو للخليل أم لغيره؟ و ذهبوا فى ذلك مذاهب شتى، فمنهم من أنكر النسبه و منهم من أيدها، و منهم من وقف موقفا وسطا. و الذين أنكروا النسبه كثير، منهم: النضر بن شميل، و أبو حاتم، و الأزهرى، و ابن فارس، و ابن جنى، و القالى، و ابن النديم، و أبو الطيب اللغوى، و الفخر الرازى، و النووى، و أقوالهم متقاربه ذات دلالة واحده لا تشير إلى غير الإنكار، فابن النديم يقول: "لم يرو هذا الكتاب عن الخليل أحد، و لا روى فى شىء من الأخبار أنه عمل هذا البته (٤)".

و قال أبو عبد الله فخر الدين الرازى محمد بن عمر بن الحسين بن على التيمى المعروف بابن الخطيب الرازى: "أصل الكتب المصنفه فى اللغه كتاب العين و قد أطبق الجمهور من رجال اللغه على الطعن فيه (٧)".

و قال أبو على القالى (٨): "لما ورد كتاب العين من بلد خراسان فى زمن أبى حاتم، أنكره أبو حاتم و أصحابه أشد الإنكار، و دفعه بأبلغ الدفع، و قد غير أصحاب الخليل بعد مده طويله لا يعرفون هذا الكتاب و لا يسمعون به، منهم: النضر بن شميل، و مؤرج، و نصر بن على، و أبو الحسن الأخفش و أمثالهم. و لو أن الخليل ألف الكتاب لحمله هؤلاء عنه، و كانوا أولى بذلك من مجهول الحال غير مشهور فى العلم تفرد به و توحد بالنقل له، ثم درج أصحاب الخليل فتوفى النضر بن شميل سنه ثلاث و مائتين، و الأخفش سنه خمس عشره و مائتين، و مؤرج سنه خمس و تسعين و مائه، و مضت - بعد - مده طويله ثم ظهر الكتاب باخره فى زمان أبى حاتم و فى حال رئاسته، و ذلك فيما قارب الخمسين و المائتين، لأن أبا حاتم توفى سنه خمس و خمسين و مائتين، فلم يلتفت أحد من العلماء إليه يومئذ، و لا استجازوا روايه حرف منه، و لو صح الكتاب عن الخليل لبدر الأصمعى و اليزيدى و ابن الأعرابى و أشباههم إلى تزيين كتبهم، و تحليله علمهم بالحكايه عن الخليل و النقل لعلمه، و كذلك من بعدهم كأبى حاتم و أبى عبيد و يعقوب و غيرهم من المصنفين، فما علمنا أحدا منهم نقل فى كتابه عن الخليل من اللغه حرفا".

و المعتدلون من المنكرين كالأزهري و أبى الطيب اللغوى - الذى اختصر العين - و ثعلب و إسحاق بن راهويه طعنوا فى العين تنزيها للخليل و ربا به من خطأ لا يجوز على تلامذته.



١- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١: ١٨٤-١٨٥.

٢- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١: ١٨٩.

٣- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١: ١٩٨.

٤- دائره المعارف الإسلاميه ماده خليل.

٥- AlKhalil and the Evaluation of Arabic Lexicography تأليف الدكتور عبد الله درويش

٦- الفهرست ٤٦ طبعه مصر.

٧- المحصول في علم الأصول، مخطوطه الدار في مجلدين مخطوطين رقم ١٣٠.

٨- نفى الدكتور عبد الله درويش في كتابه (الخليل و المعاجم العربيه) نسبه هذا الرأى إلى القالى، لأن القالى نقل في كتابه

(البارع) عن كتاب العين للخليل صراحه، و لأن القالى عند ما ذهب إلى الأندلس و ألف كتابه (البارع) أخبر الخليفه حين ذاك

أن كتابه البارع يزيد على كتاب العين بخمسه آلاف كلمه.

فالأزهري يقول في مقدمه التهذيب عن أقوام يصفهم بقوله: "تسموا بسمه المعرفه و علم اللغه و ألفوا كتباً أودعوها الصحيح و السقيم، و حشوها بالمزال المفسد، و المصحف المغير الذى لا- يتميز ما يصح منه مما لا يصح، إلا عند الثقات" و ذكر من هؤلاء: "الليث بن المظفر الذى نحل الخليل بن أحمد تأليف كتاب العين جمله لينفقه باسمه، و يرغب فيه من حوله". (١)

و عن ابن راهويه: "كان الليث صاحب الخليل بن أحمد رجلاً صالحاً و كان الخليل عمل من كتاب العين باب العين وحده، و أحب الليث أن ينفق سوق الخليل فنصف باقى الكتاب و سمى نفسه الخليل، و قال لى مره أخرى:

فسمى لسانه الخليل من حبه للخليل بن أحمد، فهو إذا قال فى الكتاب:

قال الخليل بن أحمد، فهو الخليل، و إذا قال: و قال الخليل مطلقاً فهو يحكى عن نفسه، فكل ما فى الكتاب من خلل فإنه منه لا من الخليل". (٢)

و قال السيرافى: "عمل أول كتاب العين المعروف المشهور الذى به يتهاى ضبط اللغه". (٣)

و قال ابن المعتز: "كان الخليل منقطعاً إلى الليث، فلما صنف كتابه العين خصه به، و حظى عنده جداً، و وقع منه موقعا عظيماً، و هب له مائه ألف درهم، و أقبل على حفظه و ملازمته، فحفظ منه النصف، و كانت تحبه ابنه عمه، و اتفق أنه اشترى جاريه نفيسه فغارت ابنه عمه فأحرقت الكتاب، فلما علم اشتد أسفه، و لم تكن عنده نسخه منه، و كان الخليل قد مات فاملى النصف من حفظه، و جمع علماء عصره و أمرهم أن يكملوه على نمطه، و قال لهم: مثلوا عليه و اجتهدوا، فعملوا هذا التصنيف الذى بايدى الناس". (٤)

و قال ثعلب: "إنما وقع الغلط فى كتاب العين لأن الخليل رسمه و لم يحشه، و لو كان هو حشاه ما بقى فيه شىء، لأن الخليل رجل لم ير مثله، و قد حشا الكتاب أيضا قوم علماء إلا أنه لم يؤخذ منهم روايه، و إنما وجد بنقل الوراقين، فاختلف الكتاب". (٥)

و قال أبو بكر محمد بن حسن الزبيدى اللغوى مؤلف مختصر العين فى أول كتابه: "و نحن نريا بالخليل عن نسبه هذا الخلل إليه، أو التعرض للمقاومه له و الرد عليه، بل نقول: إن الكتاب لا يصح له، و لا يثبت عنه فقد كان جله البصريين الذين أخذوا عن أصحابه و حملوا علمه من رواه ينكرون هذا الكتاب و يدفعونه، إذ لم يرد إلا عن رجل واحد غير معدود فى أصحابه، و أكبر الظن فيه أن الخليل سبب أصله، و رام تثقيف كلام العرب، ثم هلك قبل كماله، فتعاطى إتمامه من لا يقوم فى ذلك مقامه، فكان ذلك الخلل الواقع به، و الخطا الموجود فيه". (٦) لغه.

"و من الدليل على ما ذكره أبو العباس (٧) من زيادات الناس فيه اختلاف نسخه، و اضطراب رواياته، إلى ما وقع فيه من الحكايات عن المتأخرين، و الاستشهاد بالمرذول من أشعار المحدثين، فهذا كتاب منذر بن سعيد القاضى الذى كتبه بالقيروان، و قابله بمصر بكتاب ابن ولاد، و كتاب ابن ثابت المنتسخ بمكه قد طالعاها، فألفينا فى كثير من أبوابهما: أخبرنا المسعري عن أبي عبيد، و فى بعضها: قال ابن الأعرابى، و قال الأصمعى، هل يجوز أن يكون الخليل يروى عن الأصمعى و ابن الأعرابى و أبى عبيد فضلا عن المسعري". "و كيف يروى الخليل عن أبى عبيد و قد توفى الخليل سنه سبعين و مائه، و فى بعض الروايات سنه خمس و سبعين و مائه، و أبو عبيد يومئذ ابن ست عشره سنه، و على الروايه الأخرى: ابن إحدى و عشرين سنه، لأن مولد أبى

عبيدسنه أربع و خمسين و مائه، و وفاته سنه أربع و عشرين و مائتين، و لا يجوز أن يسمع عن المسعري علم أبي عبيد إلا بعد موته، و كذلك كان سماع الخشني منه سنه سبع و أربعين و مائتين، فكيف يسمع الموتى حال موتهم، أو ينقلون عن ولد بعدهم" (أ).

و يقول الزبيدي أيضا: "و من الدليل على صحه ما ذكرناه أن جميع ما وقع فيه من معانى النحو إنما هو على مذهب الكوفيين، و بخلاف مذهب البصريين، فمن ذلك ما بدئ الكتاب به، و بنى عليه من ذكر مخارج الحروف فى تقديمها و تأخيرها، و هو على خلاف ما ذكره سيبويه عن الخليل فى كتابه، و سيبويه حامل علم الخليل، و أوثق الناس فى الحكايه عنه، و لم يكن ليختلف قوله، و لا ليتناقض مذهبه، و لسنا نريد تقديم حرف - خاصه - للوجه الذى اعتل به، و لكن تقديم غير ذلك من الحروف و تأخيرها، و كذلك ما مضى عليه الكتاب كله من إدخال الرباعى المضاعف فى باب الثلاثى المضاعف - و هو مذهب الكوفيين خاصه - و على ذلك استمر الكتاب من أوله إلى آخره.

و لو أن الكتاب للخليل لما أعجزه و لا- أشكل عليه تثقيف الثنائى الخفيف من الصحيح و المعتل، و الثنائى المضاعف من المعتل، و الثلاثى المعتل بعلتين، و لما جعل ذلك كله فى باب سماه اللفيف، فادخل بعضه فى بعض، و خلط فيه خلطا لا ينفصل منه شىء عما هو بخلافه، و لوضع الثلاثى المعتل على أقسامه الثلاثه ليستين معتل الياء من معتل الواو و الهمزه، و لما خلط الرباعى و الخماسى من أولهما إلى آخرهما.

و نحن على قدرنا قد هذبنا جميع ذلك فى كتابنا المختصر منه، و جعلنا لكل شىء منه بابا يحصره، و عددا يجمعه، و كان الخليل أولى بذلك و أجدر، و لم نحك فيه عن الخليل حرفا، و لا- نسبنا ما وقع فى الكتاب عنه توخيا للحق، و قصدا إلى الصدق، و أنا ذاكر الآن من الخطا الواقع فى كتاب العين ما لا يذهب على من شدا شيئا من النحو، أو طالع بابا من الاشتقاق و التصريف، ليقوم لنا العذر فيما نزهنا الخليل عنه".

لقد أطلنا فى ذكر الشواهد، و وقفنا طويلا- عند أقوال الزبيدي لنخلص من كل ذلك إلى إعطاء صوره دقيقه صادقه لأدله المنكرين الغلاه و المنكرين المعتدلين.

فابن النديم يذكر بوضوح أن العين ليس للخليل، و القالى يذكر أن أبا حاتم و أصحابه أنكروا العين و لا يعرفونه و لم يسمعوا به.

فأول الأدله على إنكار نسبه العين إلى الخليل: القول جمله بالإنكار، إلا أن الزبيدي أضاف - كما ذكر غيره - أدله جديده ذات قيمه فى نظر النقد و العلم، فالخليل بصرى، و سيبويه - حامل علم - الخليل شيخ نحاه البصره و إمام مدرسه البصريين، و ما فى العين مما يتصل بالنحو على مذهب الكوفيين، فكيف يتفق للخليل - و هو شيخ إمام مدرسه البصره - أن يترك مذهبه إلى مذهب آخر يختلف عنه.

إن هذا الدليل من أقوى الأدله، فإذا اعتمدنا عليه فى نفي نسبه العين إلى الخليل كان هو نفسه قائما فى نفي نسبه العين إلى الليث بن المظفر، لأنه ظل للخليل و تابع له فى آرائه و مذهبه.

ثم من الأدله: أن فى العين أوهاما و سقطات شنيعه و غلطات معييه لا تصدر من طلبه الخليل، و هذا ما حمل العلماء على الشك

---

١- مقدمه تهذيب اللغة للأزهرى مخطوطه مكتبه شيخ الإسلام بالمدينه المنوره.

٢- المزهر ٧٨:١

٣- المزهر ٧٤:١.

٤- معجم الأدياء ٤٦:١٧.

٥- المزهر ٧٨:١.

٦- خطبه المختصر مخطوطه الدار رقم ٣٨٦

٧- يقصد ثعلبا فى قوله الذى مر الاستشهاد به.

٨- المزهر ٨٣-٨٤:١.

الأدلة القويه: أن فى العين روايات عن متأخرين ولدوا بعد الخليل بكثير.

ثم من الأدله: أن العين لم يظهر إلا بعد موت الخليل بحوالى ستين سنه، فلو كان له لكان فى أيدي الناس، و لعلم به العلماء، و للهج به تلامذه الخليل، و لروى عنه الأصمعى و ابن السكيت و غيرهما، أما و أن هذا لم يحدث، فالعين ليس للخليل.

هذه أدله المنكرين، أما المعتدلون من المنكرين، فيرون أن الخليل عمل من معجمه كتاب العين و سار على نهجه تلميذه الليث بن المظفر و أكمله، و يرى بعضهم أن الخليل عمل نصف الكتاب فأكمل الليث نصفه الباقي، و بعضهم يرى أن الخليل عمله كله، و حفظ الليث نصفه، فلما أحرقت النسخه أملى الليث نصفه المحفوظ، و طلب إلى العلماء أن يكملوا النصف غير المحفوظ.

و نحن نسأل: إذا كان الليث صنف العين، فلما ذا لم ينسبه إلى نفسه رغبه فى الفخار و السمعه؟ لما ذا ينزل عنه للخليل؟ و يجعل غيره مبتكر علم و مخترع فن، و يرضى أن يكون تابعا و تلميذا؟ أما أن الكتاب لم يعلم عنه تلاميذ الخليل فينقضه أن للنضر بن شميل (١) كتابا اسمه "المدخل إلى كتاب العين" (٢) و النضر من أخلص طلبه الخليل، فإذا صح أنه منكر العين، فكيف يؤلف كتابا حوله، و للمفضل بن سلمه ردود على العين و استدراك، توفي المفضل سنه ٢٥٠ هـ، و كان المبرد يرفع من قدر كتاب العين، و رواه ابن درستويه، و ألف كتابا فى الرد على المفضل بن سلمه مؤلف كتاب "استدراك على العين" و لا توجد لأبى إسحاق الزجاجى حكاية فى اللغه إلا منه، و أبو على القالى البغدادى أتى فى كتابه "البارع" بما فى العين و زاد عليه.

و إنكار نسبه العين إلى الخليل ليس صحيحا، فهو له حقا، و إن كان الإجماع لم ينعقد على أنه له، أما أدله المنكرين القائمه على أن فى العين من الخطا و التصحيف ما لا يتفق مع علم الخليل، و على أن فى كتابه روايات عن متأخرين عنه، و على أن مذهب العين يخالف مذهب الخليل، لأن ما يتصل بالنحو على مذهب الكوفيين، و الخليل بصرى و رائد مدرسه البصره فى النحو، و أن الكتاب لم يظهر إلا فى سنه ٢٥٠ هـ أو حواليتها، فان بعض هذه الأدله منقوض، فالخطأ و التصحيف و الروايه عن المتأخرين من النساخ، و الذى يدل على أن الكتاب ظهر قبل سنه ٢٥٠ هـ أن النضر بن شميل تلميذ الخليل ألف كتابا سماه "المدخل إلى كتاب العين".

و من ناحيه التعليقات لا أستبعد أنها دخلت فى صلب العين جهلا من الناسخين فحسبت منه و هى خارجه عنه، و كذلك القول فى الروايه عن المتأخرين.

و لعل اختلاف النسخ بعضها عن بعض يقيم الدليل على هذا.

أما ما روى من مسائل النحو على مذهب الكوفيين فلعله راجع إلى ما كان من خصومه بين الكوفيين و البصريين مما حمل بعض الكوفيين على التغيير فى العين ليكون حجه لهم على البصريين عند ما يستدلون على تأييد آرائهم بقول رائد مدرسه البصره الأول الخليل بن أحمد.

كل هذا جائز.

و موجز القول: أن العين للخليل، و أنا مطمئن إلى ذلك كل الاطمئنان، و يجوز أنه ألفه و لم يستطع إتمامه: فآتمه غيره، و يجوز

أن يكون أتمه كله فأضاف إليه الناسخون ما وجدوا من تعليقات و روايات عن متأخرين أدخلوها على متن الكتاب جهلا منهم، وقد أثبت الدكتور عبد الله درويش - في رسالته التي ألفها عن كتاب العين و التي قدمها لجامعه لندن و نال بها إجازة الدكتوراه - أن العين للخليل. (٣)

### السيد خليفه بن السيد علي بن السيد أحمد بن السيد محمد بن السيد علي بن

السيد حاجي بن السيد محمد الموسوي الرضوي الأحسائي النجفي.

ولد في الأحساء حدود سنة ١١٩٥ هـ و توفي سنة ١٢٦٥ هـ. جد سادات آل خليفه في النجف الأشرف كان من أكابر مشاهير علماء عصره كثير البحث و المطالعه و استنساخ الكتب. نشأ في الأحساء فقرأ فيها المقدمات و السطوح على جملة من فضلائها منهم السيد عبد القادر بن حسين التوبلي البهراني ثم هاجر إلى كربلاء و تخرج في الفقه و الأصول على السيد علي الطباطبائي الحائري المتوفى سنة ١٢٣١ هـ و على غيره و سكن النجف الأشرف و أسس هناك مكتبه عظيمه حوت المئات من النفائس و كان جماعا للكتب و له ولع شديد في اقتنائها و أفنى عمره في جمعها، و بقيت المكتبه بعده في أيدي أولاده. و وصف المكتبه الدكتور علي نقى المنزوي في طبقات اعلام الشيعة فقال: مكتبه خليفه الأحسائي مكتبه عائليه أسسها السيد خليفه بن علي بن أحمد الاحسائي و بعده انتقلت إلى أكبر أولاده محمد الامام في البصره و بعد وفاته "١٢٨١" انتقلت إلى ولده محمد علي و بعد وفاته سنة ١٣٠٥ هـ انتقلت إلى ولده عبد الله آل خليفه (١٣٠٠ - ١٣٧٤ هـ) قال والدي صاحب الذريعه في الكرام البرره ج ٢ ص ٥٠٥ و في سنة ١٣٧١ هـ باع السيد عبد الله المكتبه بالنجف بثمان يخنس [بخس] في الهرج و لكنى استفدت قبل ذلك و فحصت المخطوطات بها و سجلت ما تمكنت من ذلك. ترك المترجم له مؤلفات منها كتاب في التجويد و كتاب في أصول الدين و تلخيص كتاب الرياض لأستاذه السيد علي الطباطبائي الحائري. (٤)

### دعبل الخزاعي:

مرت ترجمته في المجلد السادس، و نشر هنا عنه هذه الدراره و هي بقلم الدكتور حسين مروه:

هذا شاعر يصح أن نعه في شعراء العقيدة من تاريخنا الأدبي، و ذلك أنه كان صاحب مذهب في عهد بني العباس، و يبدو من سيرته أنه كان يلائم بين سلوكه في شعره و بين عقيدته و مذهبه السياسي هذا.

فقد ولد دعبل بن علي الخزاعي عام ١٤٨ هجريه، في خلافة المنصور العباسي، في قرية تدعى الطيب - كما في تاريخ بغداد، و هي قرية بين واسط و الأهواز، و نشأ في الكوفه، و قيل أنه خزاعي بالولاء و إن جده "رزين" كان مولى عبد الله بن خلف الخزاعي والد طلحه الطلحات، و لكن هذا قول ينقضه كثير من الشواهد في شعره و في سيرته، و قد شهد أبو دلف أمام الخليفه المأمون بان دعبل من خزاعه بالنسب، لا بالولاء كما يزعم هذا القول.

"دعبل" لقبه، لا اسمه، و قيل أن اسمه الحقيقي "الحسن"، و نقل عن ابن أخيه إسماعيل بن علي أن اسمه "عبد الرحمن"، و قيل أن اسمه "محمد" و في تاريخ بغداد أنه لقب ب "دعبل" لدعابه فيه، و يكنى "أبا علي".

وقد ولد الشاعر و نشأ على عقيدته العلويين، و كان أهل هذه العقيدة، فى العهد العباسى، كما كانوا فى العهد الأموى، من ذوى المذاهب السياسيه الحامله عبء المعارضة للحاكمين، و كانوا - لذلك - يحتملون النصيب الأوفر من ألوان الاضطهاد السياسى.

و كان من طبيعه هذا الوضع الذى كان عليه العلويون أن أتاح لكثير من رجال الفكر و الأدب و العلم منهم، أن يكونوا على صلة باحساس الشعب، و أن يكونوا على معرفه بمواطن الظلم الاجتماعى فى الأوساط الشعبيه

ص: ٧٨

---

١- توفى سنه ٢٠٣ هـ.

٢- البغيه ٤٠٥.

٣- مقدمه الصحاح.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

المحرومه، بل لقد كان من طبيعه وضعهم السياسى هذا، أن يكون بعضهم من أشد الناس احتمالا لصنوف الظلم و الاضطهاد و الحرمان.

و قد كان هذا نصيب شاعرنا دعبل فى أوائل أمره، فإنه عاش سنين الأولى فى الكوفه على ضنك شديد مريع، و يبدو - كما فى روايه "الأغانى" - أن العوز قد ألح عليه فى الكوفه، و هو فى مطالع الشباب، حتى كاد يفسد سيرته، فإذا هو متهم بجنايه، و لا يصرح "الأغانى" بحقيقه هذه الجنايه، و إذا برئيس شرطه الكوفه العلاء بن منظور الأسدى، يحبس "دعبلا" الفتى بتهمته هذه، و يشفع له عمه سلمان بن رزين لدى رئيس الشرطه، و يرجو أن يضربه "لعله يتأدب"، فيضربه ثلاثمائه سوطاً!

و تدل روايه "الأغانى"، ان هذه الحادثه، قد خرجت بدعبل من الكوفه، "فلم يدخلها بعد ذلك إلا عزيزاً".

و فى النبذه المختاره من كتاب تلخيص أخبار شعراء الشيعة للمرزيانى، أن "دعبل بن على الخزاعى، كان شاعراً مجيداً، كان على غايه من الفقر".

و يظهر أنه حين خرج من الكوفه، قصد إلى بغداد، و لعل موهبته الشعريه يومئذ كانت تتفتح على مهل، فتبعث فى نفسه ميلاً إلى المعرفه، و رغبه فى تحصيل العلم، و طموحاً إلى مكانه الأدباء الشوامخ فى بداءه عصر النهضة العباسيه، و لكن الفقر كان معه فى بغداد كذلك، فلم تنهياً له الفرص، أول الأمر، لنيل حاجته من العيش، و تحصيل العلم، حتى اهتدى إلى الشاعر مسلم بن الوليد "صريع الغوانى" فاخذ هذا يعلمه الأدب و الشعر، و لكن "مسلماً" نفسه كان فقيراً مثله، و فى روايه "تاريخ دمشق" أن دعبلا "كان فى مبدأ أمره غلاماً حاملاً- لا يؤبه [يعبا] به، و كان بينه و بين مسلم بن الوليد إزار(1) لا- يملكان غيره، فإذا أراد دعبل الخروج جلس مسلم فى البيت عارياً، و إذا خرج مسلم جلس دعبل كذلك، و كانا إذا اجتمعا لدعوه يتلاصقان فيطرح هذا شيئاً منه عليه، و الآخر الباقي، و كانا يعبثان بالشعر".

و ليست تخلو هذه الروايه من المبالغه فى وصف حالهما، و لكنها ظاهره الدلاله على مبلغ ما كان يعانیه أديب مثل مسلم بن الوليد كان قد اشتهر يومئذ فى حلقات الأدب ببغداد بدليل أنه تصدى لتعليم دعبل و ترويضه على ممارسه الشعر.

و يبقى دعبل هكذا، فى عاصمه الخلافه، يتعلم و يتأدب، على هذا الحال، حتى يكون قد تزود من ثقافه بغداد، يومئذ، بزاد حسن و حتى حذق صناعه الشعر، و اكتملت عدته اللغويه و العلميه لإظهار مواهبه.

و قد رأيت أنه لم يستطع الوصول إلى هذه الغايه، إلا- باحتمال قسوه العيش و لوعه الحرمان، مع خمولى الذكر إلا فى أوساط المجهولين المحرومين، فى حين كانت بغداد تضج بأسماء الشعراء الذين شقوا طريقهم إلى بلاط الخلافه، و كان العهد يوم ذاك، عهد الرشيد.

و يظل دعبل فى محنه الفقر و خمولى الاسم، على رغم ما وصل إليه من نضج الشاعرليه، حتى يكون ذات يوم، فإذا الرشيد يطلب إلى بعض المغنين ان يغنيه شعراً و إذا المغنى هذا يختار أبياتاً لدعبل كان قد سمعها عنه حديثاً، إذ كان بعض أوساط الأدب يتناقلها و يتحدث عنها بالرضا و الاعجاب، و هى هذه:



أين الشباب و ايه سلكا لا، أين يطلب؟ ضل، بل هلكا

لا تعجبي، يا سلم، من رجل ضحكك المشيب برأسه، فبكي

يا سلم، ما بالشيب منقصه لا سوقه يبقى، و لا ملكا قصر الغوايه عن هوى قمر

أجد السبيل إليه مشتركا وعدا بأخرى عز مطلبها

حبا يطأ من دونها الحسكا يا ليت شعري! كيف نومكما

يا صاحبي، إذ دمي سفكا لا تأخذنا بظلامتي أحدا

طرفي، و قلبي في دمي اشتركا

و ما يكاد يسمع الرشيد هذا الشعر في لحن المغنى، حتى يعجب به و يطرب له، فيسأل المغنى عن قائله، و لكن من أين لاسم  
دعبل أن يلفت النظر حتى يذكره للرشيد، و لذلك يقول:

- هذا الشعر لبعض أحداث خزاعه ممن لا يؤبه له يدعى دعبلا!.

و تقول الروايه هنا، و هى روايه أكثر المؤرخين، أن الرشيد أرسل إلى دعبل عشره آلاف درهم، و حله من حلله، و مر كبا من  
مراكبه، و أجاز المغنى، و قال للرسول: أعطه هذا، و مره بالحضور إلى، و ان أبى فلا تجبره رفقا به، و إكراما و احتراماً له.

و يمضى الرسول يبحث عن "دعبل" هذا... فإذا اهتدى إليه، و أبلغه رغبه الرشيد، استجاب لدعوته دون تردد، لكى يشق أول  
طريقه إلى بلاط الخلافة، فإذا هو امام الرشيد فى مجلسه يستنشه الشعر، فينشده، و إذا الرشيد يزداد به إعجاباً.

من هنا بدأ اسم دعبل يظهر بين الشوامخ، و لو لا- هذه الحادته، لظال لبثه فى غمار الموهوبين المجاهيل، ثم مضى اسم دعبل  
يلمع و يسطع، و مضت أبياته تشتهر و تسير على ألسنه الأدباء و الشعراء و الملوك و الأمراء، حتى قيل أن دعبل أنشدها أبا  
نواس، فقال له: أحسنت ملء فيك و اسماعنا". و قيل أن مسلم بن الوليد، أستاذ دعبل، لم يأذن له بإظهار شعره حتى سمع هذه  
الآبيات، فقال له: " اذهب الآن، فأظهر شعرك كيف شئت ". ثم غنى بها المغنون و الجوارى.

و ليست هذه الآبيات من أفضل شعر دعبل، و لكن الترف العقلى و المادى فى أوساط الملوك و الأمراء و من يلوذ بهم من  
الشعراء، يوم ذاك، قد أقام لهذه الآبيات مجددا الذى ترى.

و لكن المهم الآن فى سيره دعبل، ان هذه الحادته قد فتحت له بابا جديدا فى التاريخ، فإنه منذ بدأت صلته ببلاط الخلافة على  
هذا النحو، تعرف سبيله إلى الحياه السياسيه، و أخذ يجد لعقيدته و مذهبه السياسى مدخلا يدخل بهما منه إلى جوانب هذه  
الحياه العامه يرى فيها المظالم و المساوىء، و يكشف منها ما يستطيع كشفه انتصارا لعقيدته و رأيه، ثم انتصارا للناس فيما ينالهم  
من عنت هذه المظالم و المساوىء.

و لكن المؤرخين لم يتعمقوا هذا الأمر من سيره دعبل، و أخذوا بالظواهر وحدها، فإذا هم يرون إلى دعبل يمدح الرشيد، ثم إذا به يذمه و يهجوه، ثم يرون إلى أمره كذلك مع المأمون و المعتصم و عبد الله بن طاهر و غيرهم من الملوك و الأمراء و الوزراء الذين كانت السياسيه العامه و دفه نظام الحكم السياسي بأيديهم، فيسمى المؤرخون هذه الظاهره من دعبل خيانه "لأولياء نعمته"، و ينسبون إليه عدم الوفاء.

و هذا صاحب "الأغانى" مثلا يقول فى دعبل أنه "شاعر مطبوع خبيث اللسان لم يسلم عليه أحد من الخلفاء و لا من وزرائهم و لا أولادهم و لا ذو نباهه، أحسن إليه أو لم يحسن، و لا أفلت منه كثير أحد، و كان من الشيعة المشهورين بالميل إلى على ص، و لم يزل مرهوب اللسان و خائف من هجائه للخلفاء، فهو - دهره كله - هارب متوار".

و هذا صاحب "تاريخ بغداد" يقول فيه أن "أصله من الكوفه، و يقال من قريقسيا و كان يتنقل فى البلاد، و أقام ببغداد مده ثم خرج منها هاربا منه.

ص: ٧٩

---

١- الإزار: ما يتستر به، أو ملحفه.

المعتصم لما هجاه، و عاد إليها بعد ذلك، و كان خبيث اللسان، قبيح الهجاء".

و لعلك لا تقرأ فصلا في تاريخ الأدب العباسي يذكر فيه دعبل، إلا و يقترن اسمه فيه بأنه " خبيث اللسان " و أنه يسيء إلى من أحسن إليه، و يضربون لك الأمثال بموقفه من الرشيد و المأمون و المعتصم و غيرهم.

و الواقع أن دعبل نفسه قد القى ضوءا على هذه الظاهره في سلوكه، حين قال هذه الأبيات يتوعد بها المأمون.

أ يسومني المأمون خطه عاجز أ و ما رأى بالأمس رأس محمد(١)

يوفى على هام الخلائق مثلما توفى الجبال على رؤوس القرد

لا تحسبن جهلى كحلم أبى، فما حلم المشايخ مثل جهل الأمد

إنى من القوم(٢) الذين سيوفهم قتلت أخاك و شرفتك بمقعد

شادوا بذكرك بعد طول خموله و استنقذوك من الحضيض الأوهد

فان دعبلا حين قال له إبراهيم بن المدبر: " أنت أجرأ الناس و أقدمهم حيث تقول هذا الشعر فى المأمون "، أجاب:

- أنا أحمل خشبتي منذ أربعين سنة فلا أجد من يصلبنى عليها.

و ما كان لرجل، مثل دعبل، أن يقول هذا القول، لمجرد كونه شاعرا " خبيث اللسان " كما يصفه المؤرخون، فان من يحمل خشبته أربعين سنة يتعرض لصالبيه، إنما هو فى الواقع يحمل غرضا كبيرا تخف المسألة الشخصيه المحض فى ميزانه، و تفسير هذا أن دعبلا- كان على مذهب فى المعارضه السياسيه تأبى عليه أن يهادن سلطان الحاكمن العباسيين، لأنه كان يعتقد، فى مذهبه السياسى هذا، أنهم يغتصبون السلطان اغتصابا.

فليس " خبث اللسان " و ليس " عدم الوفاء " - إذن - سبب موقفه المعروف من الرشيد، إذ مدحه، ثم هجاه و ذمه فى مثل قوله حين مات الرشيد:

قبران فى طوس(٣): خير الخلق كلهم و قبر شرهم(٤)، هذا من العبر

و ليس " خبث اللسان " و لا " عدم الوفاء " كذلك سبب موقفه من الأمين يوم مات والده و استخلف هو بعده، إذ قال:

الحمد لله، لا صبر، و لا جلد و لا رقاد إذا أهل الهوى رقدوا

خليفه مات لم يحزن له أحد و آخر قام لم يفرح به أحد

فمر هذا و مر الشوم يتبعه و قام هذا و قام الشوم و النكد

وقيل أن دعبل قال البيتين الأولين حين مات المعتصم وقام الواثق.

و في هذا الضوء نفسه، نفسر موقفه من إبراهيم بن المهدي المغنى حين بايعه بنو العباس بالخلافه، مذ بايع المأمون أمام العلويين عليا بن موسى الرضا بولايه العهد، وقد قل المال عند إبراهيم بن المهدي، فخرج رسوله إلى الناس، و هم محتشدون ينتظرون أقواتهم، فصرح لهم انه لا مال عنده، فقال بعض الجماهير المحتشده ساخرا:

- أخرجوا إلينا خليفتنا المغنى يعطى أهل هذا الجانب ثلاثه أصوات، و أهل هذا الجانب ثلاثه أصوات، فيكون ذلك عطاؤه لهم!.

و بعد أيام، من هذا الحادث، أنشد دعبل:

يا معشر الأجناد لا تقنطوا و ارضوا بما كان، و لا تسخطوا

فسوف تعطون " حنينه " (٥) يلدها الأمد، و الأشمط

و المعبديات (٦) لقوداكم لا تدخل الكيس، و لا تربط

و هكذا يرزق قواده خليفه مصحفه " البربط " (٧)

قد ختم الصك بارزاقكم و صحح العزم، فلا تغمطوا

بيعه إبراهيم مشثومه يقتل فيها الخلق، أو يقحطوا

و في ضوء سياسته المعارضه هذه، و تنكره لأهل الحكم العباسى، و من يتصل بجهاز هذا الحكم من وزراء و قادة و ولاء، كان يرى إلى نقائص الدوله و نقائص رجالها، و يرى إلى علاقاتها بالشعب الذى تحكمه، فيدرك الخلل فى ميزان العدل و ميزان الحكم كله.

و فى هذا الضوء ذاته، قال ما قاله فى أبى عباد وزير المأمون الذى كان معروفا بشراسته مع الناس و الكتاب و صغار الموظفين:

أدنى الأمور لضيعه و فساد أمر يدبره أبو عباد

خرق (٨) على جلسائه، فكأنهم حضروا لملحمه، و يوم جلاد

يسطو على كتابه بدواته (٩) فمضمخ بدم و نضح مداد

و كأنه من "دير هرقل" (١٠) مفلت حرد، يجر سلاسل الأقياد

فاشدد أمير المؤمنين وثاقه فأصح منه بقيه الحداد (١١)

و يؤيد الرأي بان دعبلًا كان يهجو مثل هذا الهجو، لا عن محض هوى ذاتي، بل انتصارًا لعقيده يعتقدها، موقف المأمون نفسه من شاعرنا بالرغم من هجائه إياه تقدم، و ذلك أن المأمون كان ذا ميل معروف للعلويين، و قد ولي الامام الرضا ولايه عهده، و كان يعلم من حال دعبل أنه يهجو العباسيين و رجال دولتهم عن رأى و عقيدته، لا عن " خبث لسان " و " عدم وفاء " و لذلك عفا عنه، و تناسى قوله فيه و فى أبيه و أخيه و عمه.

و قد قيل للمأمون يوما أن دعبل قد هجاك. فقال: من أقدم على هجو أبى عباد مع جنونه، كيف لا يقدم على هجوى مع حلمى. و الأمر عند المعتصم، فى موقفه من دعبل، يختلف عن أمر المأمون، فقد كان المعتصم يغضب لكل ما يقوله دعبل فى أحد من بنى العباس أو من رجال دولتهم، حتى لقد هم بقتله حين بلغه ما قاله فى أبيه الرشيد بعد موته، فهرب دعبل و اختفى زمنا فى الجبل، و هجا المعتصم هجاء لاذعا، فى مثل قوله:

بكى لشتات الدين مكثب صب و فاض بفرط الدمع من عينه غرب

و قام إمام لم يكن ذا هدايه فليس له دين، و ليس له لب

و من هذه القصيده فى المعتصم يصف اضطراب حال الشعب، و انتشار الفقر و الظلم:

فقد ضاع أمر الناس حين تسوسهم و حل بهم عسر، و قد عظم الخطب

و قد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم وصيف، و أشنأص، قد عظم الكرب(١٢)

هكذا وقف دعبل، طوال عهده بممارسه الشعر، من الدوله العباسيه، و قد احتمل بذلك عناء التشريد، و طوف فى الآفاق هاربا و سائحا، فرحل إلى خراسان و إلى بلاد الشام و مصر و المغرب، و قد طالت ألفته، أثناء أسفاره و تشرده، بالشراه الثائرين و الصعاليك المشردين.

و ما اقتصر شعره فى تأييد عقيدته و مذهبه السياسى على هجاء الحكام العباسيين، بل لقد مدح أهل البيت من أبناء على بن أبى طالب، و رثى.

ص: ٨٠

١- يعنى رأس محمد الأمين بن الرشيد.

٢- يقصد خزاعه، لأن عبد الله بن طاهر قائد المأمون من خزاعه و هو قائد الحمله على الأمين فى سبيل خلفه المأمون.

٣- طوس: مدينه هى حاضره خراسان حيث دفن الرشيد و الامام على بن موسى الرضا.

٤- يعنى بالأول قبر الامام الرضا، و بالثانى قبر الرشيد.

٥- ألحان منسوبه إلى حنين المغنى.

٦- يقصد ألحان معبد المغنى.

- ٧- البربط: الآله الموسيقيه التي تسمى الكمنجه اليوم.
- ٨- خرق: "بفتح الخاء و كسر الراء ":أحمق.
- ٩- كان أبو عباد يقذف كتابه بالدواه كلما غضب، و كان سريع الغضب.
- ١٠- مستشفى للمجانين.
- ١١- إشاره إلى شخص معروف بالحمق.
- ١٢- وصيف و أشناص تركيان جعلهما المعتصم قائدين فى الجيش العباسى.

شهداء كربلاء، و سائر من قتل منهم فى مختلف العهود السياسيه. و أشهر شعره، فى أهل البيت قصيدته التائيه التى يقول فيها  
تعريضا بظلم الحاكمين:

ألم تر للأيام ما جر جورها على الناس من نقص، و طول شتات  
و من دول المستهترين و من غدا بهم طالبا للنور فى الظلمات  
فكيف، و من أنى يطالب زلفه إلى الله بعد الصوم و الصلوات  
و يقول فيها:

تراث بلا قبرى، و ملك بلا هدى و حكم بلا شورى، بغير هدا  
رزايا أرتنا خضره الأفق حمرة وردت أجا طعم كل فرات  
ثم يرثى الحسين بن على فى هذه القصيده:

فاما الممضات التى لست بالغا مبالغها منى بكنه صفات  
قبور بجنب النهر من أرض كربلاء معرسهم فيها بشط فرات  
توفوا عطاشى بالفرات، فليتنى توفيت فيهم قبل حين وفاتى  
و يشير إلى اضطهاد العلويين و تكاثر ضحاياهم:

لهم كل يوم تربه بمضاجع ثوت فى نواحي الأرض مفترقات  
تنكب لأواء السنين جوارهم و لا تصطليهم جمرة الجمرات  
و قد كان منهم فى الحجاز و أرضها مغاوير، نحارون فى الأزمات

و بالإجمال، نقول أن شعر دعبل يكاد يكون معظمه شعرا عقائديا، سواء ما كان منه مدحا و ما كان منه هجاء، فقد كان يمدح  
لعقيدته، و يهجو لعقيدته، و كان فى كلا الحالين جريئا شجاعا صريحا، و لكنه - كما قلت فى أول هذا الفصل - لم يستطع أن  
يلائم كل الملاءمه بين سولكه [سلوكه] الأدبى و بين مذهبه السياسى، فقد اضطر أن يمدح ناسا من رجال الدوله السياسيه  
لمحض الحاجه إلى العطاء و الجائزه، و إلا لظل يعانى مكاره العوز و الحرمان التى كان يعانها أول عهده ببغداد، و قبل أن يشق  
له الرشيد طريقه إلى بلاطه و عطائه..

و ما يدرينا، فله كان يظل مغمورا مجهولا، فى ذلك العصر، لو لا أن يغنى مغنى الرشيد تلك الأبيات على مسمعه و يعجب بها

و يطلب إليه قائلها هذا الذى قال عنه المغنى يوم ذاك أنه "بعض أحداث خزاعه ممن لا يؤبه له!" و لكنه - على كل حال - قد مات آخر الأمر قتيلا بهجوه السياسى، و صلب على خشبته التى حملها أربعين سنه، و ذلك عام ٢٤٦ هجرية، بعد أن عاش نحو ٩٧ عاما، و قد جاء فى تاريخ دمشق أن المعتصم قتله و قيل أن ابن طوق التغلبى هو الذى قتله لهجائه إياه، و إنه أرسل إليه من اغتاله فى إحدى العشيات بقرية فى نواحى السوس بالأهواز، و كان أبو تمام قد مات قبله، فراثهما البحرى بقوله:

قد زاد فى كلفى، و أوقد لوعتى مثنى حبيب يوم مات، و دعبل

أخوى، لا تزل السماء مخيله تغشى كما بسماء مزن مسبل

جدث على الأهواز يبعد دونه مسرى النعى، و رسمه بالموصل (١)

### الشيخ راغب حرب:

مرت ترجمته فى الصفحه ٤٣ من المجلد الأول من المستدركات، و ننشر هنا بعض ما رثى به فمن قصيده للسيد محمد حسن الأمين:

أنت الغريب.. و لكن غربه القمم فأسكن جراحك و ارحل من دم لدم

ما المجد غير جراحات.. و مذ ظمئت سقيتهن الندى يا سيد الكرم

العمه الحره البيضاء ما برحت فى الببال تزهو كلمع البرق فى القمم

عرس اكتمالك هذا فاقترح لغتى فى العرس.. و اصمت لها يا فارس الكلم

حبست بالكلمات الريح أى يد لم تحترق بشواظ الحرف أى فم

أتيت أجلوك للثوار قافيه خضراء. مرت بها فاخضوضرت قممى

و جئت اسكب من عينيك نهرسنى للمهرجان سننى عينيك ملء دمنى

قم و اهدر الآن فى اعماقنا ظما لهادر من بليغ القول مضطرم

كم راح صوتك يوم الروع يلهبنا و يوقظ النار فى غاف من الهمم

أيام هب جراد فى مرابنا ملء الفضاء و ملء السهل و الأكم

و اتلعت رأسها صهيون و انتفخت أوداجها و هى سكرى بالدم العرم

و الحاكمون انتشوا بالعار و ازدلفوا يقايضن شكاه الشعب بالصمم



و أنت أنت جبين واثق و فم سيف على البغى لم يغمد و لم يصم  
وقفت قلت ابتدى يا كربلاء هنا و يا ضلوع على أشواقها التحمى  
و يا دم الرفض يغلى فى جوانحنا هذا زمان اقتحام الروع فاقتم  
و يا ربى "عامل" بالثوره اغتسلى و انزلنى بيهود البغى و التهمى  
و رحتم تمنح كل القاعدين دما يغلى و تبعث نبض الروح فى الرمم  
و من قصيده للشيوخ عفيف النابلسى:

قم حى راغب حرب ذروه القمم و نانس الدر فيما صغت من كلم  
و أنبذ أقاويل من ذلوا و من خنعوا و استمروا العيش فى بحبوحة النعم  
و خذ لنفسك دربا يجتليك علا و اثار لمن ظلموا من كل منتقم  
و أنصت لراغب حرب فى مقولته (المجد للسيف ليس المجد للقلم)  
ذكرت فيك الابا و الشوس هاربه يلفها الخوف من رأس إلى قدم  
تختال فى صهوه الهيجاء منبلجا كطلعه البدر يجلو طخيه الظلم

### ميرزا رحيم خان بهشتى:

توفى سنه ١٣٥١ و دفن فى تبريز.

كان طبيبا مشهورا، له رساله فى الدفاع عن الإسلام و كتاب مضار المسكرات.

### الأغا الميرزا رضى الزنوزى التبريزى:

ولد فى تبريز سنه ١٢٩٤ فى اليوم الرابع عشر من ذى القعدة تعلم القرآن و مبادئ الأدب الفارسى و العربى فى تبريز و بعد أن بلغ مبلغ الرجال أخذ فى تعلم العلوم الإسلاميه فى المدارس القديمه حتى سنه ١٣١٨ هـ و فى هذه السنه هاجر إلى النجف الأشرف لتكميل دراساته الإسلاميه و حضر فى حلقات درس كل من: المولى محمد الشريبانى و ملا محمد كاظم الخراسانى و السيد كاظم اليزدى الطباطبائى و شيخ الشريعه الأصفهانى.

و أخذ المعقول و النجوم عن الشيخ محمد باقر الإصطهباناتى و شيخ الشريعه الأصفهانى و تعلم الطب من أخيه فيلسوف الدوله.

و أخيرا القى رحل الإقامة فى بلده قم المقدسه، و اشتغل هناك بالتدريس و التأليف. - و من آثاره: كتاب القضاء و الشهادات، و فلاح العامل و فهرس كتابى رجال الكشى، و خلاصه العلامه الحلى.

و مما يدل على قوه باعه و تضلعه فى الفقه و معرفه الأحكام ان السيد الطباطبائى بعد ما ألف العروه الوثقى فى الفقه، و ظف المترجم له و الشيخ أحمد كاشف الغطاء بتجديد النظر فيها و لكن عاقه السفر إلى موطنه تبريز عن هذا العمل الكبير. (٢).

## الامام السيد روح الله بن السيد مصطفى بن السيد أحمد الموسوى الخمينى

### إشاره

ولد فى العشرين من جمادى الثانيه سنه ١٣٢٠ فى مدينه خمين بايران و توفى فى سنه ١٤٠٩ فى مدينه طهران و دفن فيها.

### أسرته

أبوه الشهيد السيد مصطفى الموسوى ابن السيد احمد الموسوى،

ص: ٨١

١- يقصد قبر دعبل بالأهواز و قبر أبى تمام بالموصل.

٢- السيد إبراهيم السيد علوى.

درس في النجف الأشرف و سامراء و عاد إلى خمين، التزم رعايه المسلمين فيها و في ضواحيها. و بعد ولاده ابنه روح الله باربعه أشهر و ٢٢ يوما أى في يوم ١٢ ذى القعدة سنه ١٣٢٠ هـ اغتيل و هو في طريقه من خمين إلى أراك.

ثم نقل جثمانه إلى النجف الأشرف حيث دفن فيها و كان له ثلاثه أبناء و ثلاث بنات. و أبناءه هم:

١ - السيد مرتضى (المعروف بسنديده) من العلماء و سكن مدينه قم.

٢ - السيد نور الدين، و كان يسكن طهران.

٣ - السيد روح الله و هو أصغر أولاد أبيه.

### في طريق العلم

كان شغوفاً منذ طفولته باكتساب العلم و الحكمه، بدأ الدراسه لدى معلم اسمه "الميرزا محمود" و هو لم يزل طفلاً صغيراً. و كان هذا المعلم ياتى إلى المنزل ليعلم هذا الطفل الذكى دروساً في القراءه و الكتابه، ثم واصل التعلم لدى معلم آخر اسمه "الملا أبو القاسم" و ذهب بعدئذ إلى مدرسه حديثه لتعلم الكتابه.

و في أوائل بلوغه، فقد أمه بعد أن توفيت عمته التي كانت تربيته، و بذلك ظلت سحابه كئيبه وجهه الذى لم يمض من عمره سوى سته عشر عاماً و أصبحت حياته محفوفه بالمخاطر بين مخالف الوحده و الغربه، و يتم الأبوين و فراق الأجه.. و لكن لم تستطع هذه الأحزان و الهموم أن تحطم روحه العاليه فبقى صامداً قويا لا ينحنى أمام الأحداث و استمر متوكلاً على الله و معتمداً على نفسه في مواجهه المصير الغامض المحتم.

تلقي بعض مقدمات العلوم الإسلاميه لدى أخيه السيد مرتضى، ثم توجه سنه ١٣٣٩ إلى مدينه أراك حيث كانت الحوزه العلميه في أراك وقتئذ تحت زعامه الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الكريم الحائرى اليزدى و درس هناك آداب اللغه العربيه (البلاغه و النحو و الصرف) و المنطق.

و في عام ١٣٤٠ انتقل إلى مدينه قم حيث نقل الشيخ الحائرى الحوزه العلميه إليها. و استمر بكل جد و اجتهاد في مدارس قم حتى انتهى من مرحله "السطوح" في الحوزه لدى أستاذه السيد على اليربى الكاشانى و بدأ بعدئذ الفصل الأخير من الدراسه الاستدلاليه العاليه في محضر الأستاذ الأكبر الحائرى حتى بلغ درجه الاجتهاد.

و في سنه ١٣٥٥ توفى أستاذه الحائرى في حين كان هو يعد من المجتهدين و العلماء الكبار.

و امتاز الامام عن غيره من العلماء بتخصصه في علوم كثيره، فقد جمع المعقول و المنقول و سبق غيره في الفقه و الأصول.

و لاحاطته الواسعه في العلوم العقليه و تحقيقاته في الفلسفه الالهيه، كان الأستاذ الأول في الفلسفه - على الإطلاق - في الحوزه العلميه بمدينه قم و كان المجيب الأول على الشبهات العقليه و الإشكالات و الاعتراضات التي كان المنحرفون يعترضون بها على الإسلام.

و لقد انتشرت فى زمانه بعض الكتب السفسطائيه منها كتاب بالفارسيه اسمه "أسرار هزارساله" أى أسرار ألف سنه. و كانت الإشكالات مربوطه بالمسائل الفلسفيه. و فى مقام رد الكتاب، رجع اليه العلماء فبدأ بتأليف كتاب قيم أسماه "كشف الأسرار".

## التدريس

بدأ تدريس خارج الفقه و الأصول سنه ١٣٦٤ و هو فى الرابعه و الأربعين من عمره، و كان تدريسه مصادفا لورود السيد البروجردى إلى مدينه قم.

و كان يمتاز بتعرضه أثناء الدرس للإشكالات الوارده، قبل أن يسبقه بها غيره من الطلبة، كما يمتاز بالشرح المبسوط الوافى و عدم خلطه دروس الأصول بالفلسفه بالرغم من احاطته الواسعه بهذا العلم. و يمتاز أيضا بعدم تقليده أسلافه فى تكرار نظريات القدماء و ابداعه فى التحقيق مع ما كان من تقديره للفقهاء الماضين و ذكرهم بكل إجلال و إكبار.

اما تدريسه الفلسفه و العلوم العقليه فكان قبل زواجه أى قبل عام ١٣٤٨ و هو يسكن مدرسه "دار الشفاء" يومئذ، و لم يمض من عمره أكثر من ثلاثين عاما حيث كان يعد من الأساتذه الكبار و المتخصصين فى الفلسفه و الحكمة الالهيه، و كانت حوزة درسه مقصوره على العلماء و الأفاضل، و كان يهيمه كثيرا أن ينتخب طلابه فى هذه الدروس من خيره الطلاب و أكثرهم ايمانا و ذكاء و يمتحنهم بين الحين و الآخر تحريريا و شفويا ليصفى مجلس درسه من غير أهله.

و بعد فتره من تدريس "الفلسفه"، بدأ بتدريس "العرفان" سرا لنخبه خالصه من الطلاب المعتمدين لديه، ثم حقد جلسه اسبوعيه ليدرس فيها علم "الأخلاق".

و رغم معارضه حكومه رضا بهلوى لمثل هذه الجلسات، لم يبال بذلك، بل ازداد صلابه و عزمه فى مسيرته حيث اشتهرت هذه الجلسه و اشتدت علاقته الفضلاء و الطلاب و حتى عامه الناس بها و توسعت تدريجيا لتستوعب مئات العلماء و الفضلاء و الموظفين و التجار و العمال الذين كانوا يأتون إليها من "قم" و "طهران" و كان مقره فى "المدرسه الفيضيه".

و بهذا الإقبال الشديد على الجلسه، اضطر إلى إقامتها مرتين أسبوعيا (يومى الخميس و الجمعة) حتى تستطيع كل طبقات الشعب، الاستفاده منها.

فأرسل بهلوى يطلب منه تعطيل الجلسه فورا فأجاب الامام بالحرف الواحد: "أنا ملزم باقامه هذه الجلسه باى نحو كان. لتأت الشرطه و تمنع إقامتها". و بعد ان لاحظت الحكومه مدى صلابته و مدى تعاطف الشعب معه، امتنعت عن التدخل المباشر إلا انها زادت فى القسوه و العنف بطرق غير مباشره فاضطر إلى نقل الجلسه من المدرسه الفيضيه إلى مدرسه الحاج ملا صادق فى وضع أكثر محدوديه.

و بعد سقوط بهلوى انتقلت الجلسه مره أخرى إلى المدرسه الفيضيه.

## المرجعيه

بعد وفاه السيد البروجردى، اجتمع حوله كثير من رواد العلم و الفضيله من مرديه و عارفى فضله يطلبون منه بالاحاح طبع الرساله العمليه، فامتنع عن ذلك، و طبع حاشيته على وسيله النجاه للسيد أبو الحسن الأصفهانى ثم حاشيته على العروه الوثقى.

و بعد وفاه السيد الحكيم عاد اليه الكثيرون، و برز بعد زمان وجيز، حتى استطاع أن يطوى سجل أقدام امبراطوريه شهدها التاريخ، إذ تمتد جذورها إلى قرابه ألفين و خمسمائه عام، و استطاع أن يقود ثوره و يدير جمهوريه.

## حياته الثوريه

كان الامام الخمينى طيله حياته ثوره مشتعله ضد الظلم و الفساد و الجور، مما أدى إلى سجنه مده ثمانيه أشهر فى سجون ايران خلافا لنص

ص: ٨٢

الدستور الذى كان ينص على صيانة الفقهاء و المجتهدين. و كان من جراء ذلك، ان قامت ثوره شعبيه عارمه عمت ارجاء البلاد، من علماء و خطباء و مثقفين و فلاحين و عمال و عامه الشعب فى المدن و الأرياف، قامت تستنكر هذا التحدى السافر، فاضطرت الحكومه ان تطلق سراحه و لكن لأجل محدود.

و لكنه لم يسكت، و لم يستسلم، فما إن خرج من السجن حتى سمع بقانون منح الحصانه الكامله للأمريكيين فى ايران، فخطب خطبته التاريخيه، مما حمل الشاه على ابعاده و نفيه إلى تركيا و منها إلى النجف الأشرف، حيث بدأ هناك بإرشاد الجماهير و توعيتها عبر دروسه الثوريه و بياناته و خطبه و رسائله التى كانت تصل ايران أولاً بأول، و تنتشر فى كافه أنحاء البلاد. إلى أن انتهى الأمر إلى الثوره الشامله التى اطاحت بالعرش البهلوى و أقامت الجمهوريه التى شقت طريقها متماسكه متعالیه بإرشاده و توجيهه.

### بعض مشايخه فى إجازة نقل الروايه

- ١ - الشيخ محمد رضا الأصفهاني النجفي، آل الشيخ محمد تقى الأصفهاني، من الميرزا حسين النورى من الشيخ الأنصارى.
- ٢ - السيد محسن الأمين من السيد محمد هاشم الموسوى الرضوى الهندى من الشيخ الأنصارى.
- ٣ - الشيخ عباس القمى من الميرزا حسين النورى من الشيخ الأنصارى.
- ٤ - السيد أبو القاسم الدهكروى [الدهكردى] الأصفهاني من الميرزا محمد هاشم الأصفهاني من الشيخ الأنصارى.

### مؤلفاته

يبدأ سير التأليف عنده من المسائل العقليه إلى علم الأخلاق و العلوم الفقهييه و غيرها و إليك أسماء مؤلفاته:

- ١ - مصباح الهدايه إلى الخلافه و الولايه: كتاب فى العرفان و المسائل العقليه، ألفه و هو فى السابعة و العشرين من عمره.
- ٢ - شرح دعاء السحر لشهر رمضان: ألفه عام ١٣٤٧ و هو فى التاسعه و العشرين من عمره.
- ٣ - كتاب (الأربعون حديثاً): سبعة أحاديث منها فى المسائل العقليه و ٣٣ حديثاً فى الأخلاق.
- ٤ - حاشيه على فصوص الحكم للقيصرى و مصباح الأنس: فى العرفان.
- ٥ - حاشيه على مفتاح الغيب: فى العرفان.
- ٦ - أسرار الصلاه أو معراج السالكين: مجلدين. و كان تأليفه سنه ١٣٥٨.
- ٧ - رساله فى الطلب و الاداره.

٨ - حاشيه على رساله شرح حديث رأس الجالوت القاضى [للقاضى] سعيد.

و شرح مستقل على الحديث نفسه.

٩ - كشف الأسرار.

١٠ - شرح حديث جنود العقل و الجهل.

١١ - آداب الصلاه.

١٢ - الرسائل: كتاب يبحث فى قاعده لا- ضرر و لا ضرار، الاستصحاب، التعادل و التراجيح، الاجتهاد و التقليد و التقيه، فى جزءين.

طبع فى قم سنه ١٣٨٥ و تم تجديد الطبع عدّه مرات.

١٣ - كتاب البيع: دروس فقهيه له فى النجف الأشرف. خمسّه مجلدات.

١٤ - كتاب الطهاره: طبع منه ثلاثه اجزاء.

١٥ - تهذيب الأصول: تقارير درسه فى أصول الفقه فى قم - ٣ أجزاء.

١٦ - نيل الأوطار فى بيان قاعده لا ضرر و لا ضرار: تقارير دروسه بقلم الشيخ جعفر السبحانى.

١٧ - رساله فى الاجتهاد و التقليد.

١٨ - توضيح المسائل: رساله عمليه باللغه الفارسيه.

١٩ - زبده الأحكام: رساله عمليه باللغه العربيه.

٢٠ - كتاب المكاسب المحرمه: فى جزءين - طبع فى قم سنه ١٣٨١.

٢١ - رساله تشتمل على فوائده فى بعض المسائل المشكله.

٢٢ - تحرير الوسيله: متن كامل لدوره فقهيه. ألفه و هو فى المنفى بتركيا.

٢٣ - جهاد النفس أو الجهاد الأكبر: توجيهات و ارشادات فى الأمور المعنويه. طبع فى النجف الأشرف سنه ١٩٧٤ ميلاديه.

٢٤ - الحكومه الإسلاميه أو ولايه الفقيه: محاضرات فقهيه سياسيه ألقاها على طلاب العلوم الدينيه فى النجف الأشرف و ذلك من ١٣ ذى القعدة إلى الأول من ذى الحجه سنه ١٣٨٩.

٢٥ - تفسير سورة الفاتحة: و لم يتمكن من إتمامه لمرضه و انتقاله من قم إلى طهران، بعد عام و نصف العام من انتصار الثورة تقريبا.

٢٦ - مناسك الحج.

٢٧ - مجموعه خطبه و بياناته و ارشاداته، جمعتهما وزاره الإرشاد الإسلامى و طبع منها ١٩ جزءا لحد الآن تحت عنوان "صحيفه نور".

٢٨ - حاشيه على الأسفار.

٢٩ - الدماء الثلاثة: تقارير درسه.

٣٠ - ديوان شعر: لم يطبع.

### زيدة بنت الفيلسوف الشهير صدر المتألهين محمد بن إبراهيم بن يحيى

الشيرازى القوامى المعروف بملا صدرا.

عالمه فاضله أديبه محدثه حافظه للقرآن عالمه بتفسيره.

ولدت فى ذى القعدة سنة ١٠٢٤ هـ و توفيت سنة ١٠٩٢ هـ.

قرأت على أبيها ملا صدرا المتوفى سنة ١٠٥٠ هـ و أختها أم كلثوم الماره الذكر و برعت فى الأدب و التفسير زفوها للعالم معين الدين محمد الفسوى و رزقت منه كمال الدين محمد المعروف بالميرزا كمالا صهر المجلسى الأول محمد تقى المجلسى المتوفى سنة ١٠٧٠ هـ و لها كتاب شرح الشافيه و هو شرح مزجى مبسوط ولدها ميرزا كمالا أخذ الأدب عن أمه و نبغ فى هذا الفن.

ترجم لها السيد شهاب الدين المرعى النجفى فى مقدمه كتاب "معادن الحكمة" قال (العالمه الأديبه الحافظه للقرآن زبيده أم العلامه الأديب الميرزا كمال الدين الفسائى و يعرف بميرزا كمالا صاحبه كتاب شرح الشافيه فى علم الصرف و عندنا منه نسخه فى المكتبه العامه الموقوفه ولدت فى ذى القعدة فى سنة ١٠٢٤). (١)

### زينب بنت الفيلسوف الشهير المولى محمد بن إبراهيم بن يحيى الشيرازى

القوامى المعروف بملا صدرا.

عالمه فاضله متكلمه جليله فيلسوفه عارفه عابده زاهده من ربات





الفصاحه و البلاغه توفيت فى صدر النهار من يوم الأحد ٢٠ جمادى الأولى سنه ١٠٩٧ هـ .

أخذت العلم عن أخيها الميرزا إبراهيم و تخرجت على والدها صدر المتألهين الشيرازى و زوجها الملا محسن الفيض الكاشانى الذى رزقت منه ثلاثة أولاد و هم محمد علم الهدى و محمد نور الهدى و أحمد معين الدين كلهم من العلماء. ذكرها السيد المرعشى النجفى فى مقدمه كتاب "معادن الحكمة" لولدها علم الهدى.(١)

### زينب بنت الشاه مرتضى بن الشاه محمود الكاشانى

عالمه فاضله شاعره أديبه أخذت العلم عن والدها الشاه مرتضى و أخيها ملا محسن الفيض الكاشانى و كانت تنظم الشعر و من ربات الفصاحه و البلاغه فى عصرها بكاشان و لم أقف على تاريخ ولادتها أو وفاتها. ذكرها السيد المرعشى النجفى فى مقدمه كتاب "معادن الحكمة" و [لابن أخيها علم الهدى و وصفها بالعالمه الشاعره زينب المكناه بام أبيها زوجه رجل فاضل من بنى أعمامها.(٢)

### الأمير أبو النصر سام ميرزا بن الشاه إسماعيل الأول الصفوى:

مر ذكره فى المجلد السابع و نضيف إلى ذلك ما يلى: ولد سنه ٩٢٣ و قيل مات حين هدم عليه السقف فى الزلزال سنه ٩٧٤ هـ حين كان محبوسا فى حصن قهقهه أو قتل سنه ٩٨٣ هـ كما جاء فى حبيب السير كان أديبا شاعرا فاضلا محققا زعيما ثائرا قائدا كبيرا و هو ثانى أولاد الشاه إسماعيل الأول المؤسس للدولة الصفويه و فى سنه ٩٣٩ هـ أصبح واليا على هرات و قندهار كما فى تاريخ (جهان آرا) ص ٢٨٧ و بعد وفاه والده الشاه إسماعيل و جلوس شقيقه الشاه طهماسب على عرش ايران ثار المترجم له ضد أخيه الشاه طهماسب فى هرات و وقعت بينهم معارك داميه حتى أسر المترجم له و سجن فى حصن قهقهه و اختلف المؤرخون فى كيفية وفاته قيل مات فى الزلزال سنه ٩٧٤ هـ حين هدم عليه السقف و هو مسجون فى حصن قهقهه و أكد صاحب كتاب حبيب السير فقال: عند ما عزم الشاه إسماعيل الثانى على جمع الأمراء إخوانه و أبناء أعمامه فى سنه ٩٨٣ هـ قتل المترجم له على يد الشاه إسماعيل الثانى و هذه [هذه] روايه أصح الروايات. و كان المترجم له قد خاض معارك السياسه و القتال و على رغم هذا لم يترك الاشتراك فى الأدب و التحقيق فله أشعار جيده و من آثاره ديوان شعر فى ستة آلاف بيت و كتاب (تحفه سامى) فارسى المؤلف فى سنه ٩٥٧ هـ فى تراجم الشعراء و يحتوى على ٦٦٤ ترجمه من شعراء أيام تأسيس الدوله الصفويه مع ذكر نماذج من أشعارهم مما يوضح لنا قسما من تاريخ الأدب الشيعى فى ذلك العصر و طبع مكررا فى الهند و إيران و ذكره البغدادى فى إيضاح المكنون ج ١ ص ٢٥٠ و نقل عنه كثير من المحققين و المستشرقين منهم الميرزا عبد الله الأفندى فى كتابه رياض العلماء و صاحب رياض الشعراء و آذر بيگدلى فى كتابه (آتشكده) و هدايه فى مجمع الفصحاء و المستشرق إدوارد برون فى تاريخ الأدب الفارسى الجزء الثالث و الرابع و غيرهم و ترجم له هدايه فى تاريخ (روضه ناصرى) مفصلا و فى مجمع الفصحاء ج ١ ص ٥٨ و إدوارد برون فى الجزء الثالث من تاريخ الأدب الفارسى ص ٦٣٨ و ٦٧٤ و ٧٤٦ و شيخنا فى الذريعه ج ٣ ص ٤٤٠ و ج ٩ القسم الثانى ص ٤٢٣ و غيرهم.(٣)

### السيد سعد صالح:

مر بحث عنه فى الصفحه ٤٤ من الجزء الأول من المستدركات، ثم بحث آخر فى الصفحه ١٣٩ من المجلد الثانى، ثم بحث ثالث فى الصفحه ٣٦٧ من نفس المجلد مع قصيده من شعره. و ننشر هنا ما قيل فى رثائه: قال الشيخ عبد المنعم الفرطوسى من قصيده:

صريح و نصل السيف حد لسانه إذا فاه لا يبقى لمكنونه ستر

يناضل عن حق صريح مضيع لأمته قد بزّه المعتدى جهرا

فظورا يرينا الدر من فمه جمرا و أخرى يرينا الجمر من فمه درا

جرىء، جنان الليث بين ضلوعه لأمته فى كل آونه يضرى

له نهضات لم يسعها مجالها و لو وجدت وسعا لضيق الدهرا

سيرتيك تاريخ مجيد تشرفت باعمالك الغراء صفحته الغرا

و حريه للفكر حطمت قيدها جهارا فحررت الصحافه و النشرا

حياتك فى دنيا المفاخر هاله معاليك تبدو حولها انجما زهرا

ملكيت قياد الأمر غير مساوم فما ملكت كفاك حقلا و لا قصرا

و آثرت أن تحيا عزيزا بنا حرا و قد صنت إكبارا ضميرك أن يشرى

وداعا أبا الأحرار و الشعب واجم و كل عيون الشعب من شجن عبرى

وداعا أبا الأحرار و الشعب واجم و كل عيون الشعب من شجن عبرى

وداعا أبا الأحرار لا عن ملاله و عز على الأحرار أن يبعد المسرى

و فيك المعزى بعد فقدك موطن جميع قلوب المخلصين به حرى

و قال السيد جواد شبر من قصيده:

بمملك حق تفتخر البلاد و مملك من له يلقي القيادة

علوت بهمه تسمو بنفس تضيق بشاوها السبع الشداد

أصخ لى لست مداحا و إنى لأسام من مديح يستعاد

و لكنى وقفت أخط درسا له أعمالك الجلى مداد

و أجعل منك نبراسا منيرا متى استهدوا به سعدوا و سادوا

سلوا قبرا طوى سعدا أ يدري طوى بطلا عليه الاعتماد

طوى أمل البلاد أ ليس حقا يقام لمثله هذا الحداد

مشى التاريخ يطوى الناس حتى رآك فقال هو المراد

تمثلت الصراحه فيك شخصا فلا يثنى عزيمتك ارتداد

تسير بمبدإ صلب النواحي و تقتاد الجبال و لا تقاد

و قال السيد محمد جمال الهاشمى من قصيده:

يا ابن الغرى عليك أنثر دمه خرساء عن آلامه تتكلم

أوحى إليك رساله روحيه فى لفظها معنى الإباء مجسم

فوقفت تحرس مجده بعزيمه كالسيف يقطر من مضاربه الدم

نزهد سمعته عن التهم التى يعيوبها التاريخ غيرك يوصم

حتى خلقت من العزائم قوه عنها أحابيل السياسه تحجم

### **السيد سعيد بن حسين الحسينى التنكابنى:**

ولد حدود ١٢٠٥ و توفى بعد ١٢٤٧.

ولد فى تنكابن و نشأ بها و أخذ المقدمات فى مدارسها ثم ذهب إلى أصفهان و حضر عند أعلامها ثم رجع إلى موطنه و انشغل بالتدريس. له مؤلفات منها:

١ - الباقيات الصالحات فى شرح بعض الأحاديث.

٢ - ديوان شعر باللغه الفارسيه. (٤)

### **الشيخ سلطان محمد بن حيدر محمد بن سلطان محمد بن دوست محمد بن نور**

محمد بن الحاج محمد بن الحاج قاسم على الجنازى الملقب بسلطان على شاه.

ولد سنة ١٢٥٨ و قتل فى ١٣٢٧.

ولد فى شوراب من قرى جنازاد و تعلم القراءه و الكتابه فى موطنه ثم اشتغل بتعلم الصرف و النحو و المعانى و البيان و هاجر إلى مشهد الرضاع و أخذ السطوح عن اعلامها ثم هاجر إلى الأعتاب المقدسه و حضر على

ص: ٨٤

---

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الصالحى.

٣- الصالحى.

٤- الشيخ محمد السامى.

الشيخ الأنصاري صاحب المكاسب و الرسائل و غيره ثم رجع إلى إيران و سكن (سبزوار) برهه من الزمن مستفيدا في الفلسفه من بحوث المولى محمد هادى السبزواري صاحب المنظومه، ثم دخل في سلك التصوف و العرفان و بعد وفاه محمد كاظم سعاده على شاه الأصفهاني قام مقامه في الزعامه الصوفيه و كان يسكن بيدخت من قرى جناباذ إلى أن قتل في سحر يوم ٢٦ ربيع الأول سنه ١٣٢٧ و دفن هناك و أقيمت على قبره قبه عاليه.

له مؤلفات منها بيان السعاده في مقامات العباده في تفسير القرآن الكريم.

٢ - معادن نامه - ٣ - ولايت نامه ٤ - بشاره المؤمنين ٥ - مجمع السعادات ٦ - تنبيه النائمين ٧ - توضيح ٨ - إيضاح (١).

هذا ما كتبه لنا الشيخ محمد السمامي، و قد كتب الشيخ سلطان حسين تابنده رضا على شاه الجنابدى حفيد المترجم - كتب ترجمه لجده نشرها مقدمه لكتاب جده في التفسير المسمى (بيان السعاده في مقامات العباده)، نأخذها فيما يلي: بيانا لوجهه نظرهم الصوفيه، فالمترجم كان من اعلام الصوفيين في عصره، و حفيده الكاتب هو اليوم شيخ صوفى إيران. و قد زرنه في منزله في طهران على أمل استقصاء بعض الحقائق عنهم و بيان وجهه نظرهم و دفاعهم عما يرميهم به مهاجموهم من خروج على العقائد الصحيحه، فلم يتسن لنا في تلك الجلسه التبسط في الحديث، فاحالنا الشيخ على رسائل مكتوبه بالفارسيه، قال أنها تفي بالمرام، و لما كنا نجعل الفارسيه فقد سلمها الشيخ لأحد المريدين ليسلمها لمن يترجمها إلى العربية ثم يوصلها إلينا. و بالرغم من بقائنا في طهران أكثر من شهر و نصف الشهر فلم يصلنا شىء. و إليك ما كتبه الحفيد عن جده المترجم. و قد تركنا تعابيره - على عجمتها - كما هي حفظا للنص، و لم نبدل إلا القليل الذى كان لا بد من تبديله:

كان شيخ السجاده في الطريقه - النعمه اللهيه و من أشهر العلماء و العرفاء في القرن الأخير، و كانت ولادته على ما كتبه والده المرحوم المولى حيدر محمد بن خطه في ظهر القرآن الموجود صورته الفوتوغرافيه في كتاب "نابغه علم و عرفان" في الثامن و العشرين من شهر جمادى الأولى سنه إحدى و خمسين و مائتين بعد الألف، و حين بلغ ثلاث سنين سافر والده إلى بعض بلاد إيران ثم إلى الهند و فيها انقطع خبره، و ابتلى المترجم بفراق والده و صار تحت حضانه أخيه محمد على و عند بلوغه ست سنين شرع بامر أمه و أخيه في تعلم القرآن المجيد و الكتب الفارسيه و في مده خمس شهور صار ناجحا فيه و بعد ذلك لم يساعده التوفيق لإدامه التحصيل و اشتغل بالأمر الدينيه بامر أخيه حتى بلغ عمره سبع عشره سنه، و اشتغل مره أخرى بتحصيل العلوم الدينيه المتداوله ابتداء في موطنه و سافر بعد تحصيل العلوم الأدبيه إلى المشهد المقدس الرضوى (ع)، و لتكميل العلوم الدينيه إلى النجف الأشرف و العلوم العقلية و الفلسفيه إلى سبزوار، و استفاد من محضر الحكيم العارف الزاهد المتأله الحاج ملا هادى سنين متواليه و متناوبه، و بعد تكميل العلوم الظاهرية و التفوق و التبحر فيها أدركته جذبه من جذبات الحق بوسيله الحاج ملا هادى و هدايته، و سافر في طلب المقصود إلى أصفهان و تشرف بأخذ الأذكار القلبيه و الدخول في طريقه النعمه اللهيه عند المولى العارف الجليل الحاج محمد كاظم سعاده على شاه تغمده الله بغفرانه.

و في العود إلى جناباذ تزوج صبيه الحاج ملا على البيدختى حيث أمره مرشده باطاعه أمر أمه في الزواج و بعد مده قليله تهيجت أشواقه لتجديد زياره شيخه و سافر إلى أصفهان. و في سنه ١٢٨٤ صار مفتخرا بأخذ إجازته الإرشاد و تلقين الأذكار القلبيه و الأوراد المأثوره و ملقبا في الطريقه بلقب سلطان على شاه، و في سنه ١٢٩٣ توفي شيخه و تمكن هو في مقامه و صار شيخ السجاده في طريقه النعمه اللهيه و توجه السالكون إلى الله إليه، و صار مقره بيدخت من قرى جناباذ (٢) محط رحال الوافدين و لم

تكن جنابذ إلى هذا الزمان معروفه و بعد تمكنه هذا اشتهر اسم جنابذ فى بلاد إيران تدريجيا و كان ذلك واحدا من بركات وجوده هناك.

فى سنه ١٣٠٥ تشرف بالحج و زياره البيت و عند رجوعه تشرف بزياره الأعتاب المقدسه فى العراق و لاقى بعض العلماء و الفقهاء من الشيعة فى هذه البلاد مثل المرحوم الشيخ زين العابدين المازندراني و ابنائه و المغفور له الحاج ميرزا حسن الشيرازى و غيرهم فبجلوه و عظموه. و بعد عوده إلى إيران و توقفه بطهران حضر بخدمته أكثر رجال العلم و الفقه و السياسه، و ملك القاجار ناصر الدين شاه حينئذ كان بجاجرود، و لما سمع بقدمه إلى طهران أرسل رسولا إلى طهران و أبرز علاقته إلى الملاقاه و أخبر أنه سيعود إلى طهران للقاء حضرته و لكن بعد ما استمع حضرته هذا استعجل فى الحركه قبل قدوم جلاله الملك إلى طهران، و قال: نحن المساكين مجالسو المساكين، ما لنا و للملوك! و عند عوده إلى جنابذ صار مده متمكنا هنا، و بعد سنين سافر مره أخرى لزياره المشهد المقدس الرضوى (ع) و صار هنا مسموما و لكن استعلاج و رفع عنه الخطر و لكن لم ينل صحته الأوليه.

حضرته كان مشتغلا بالأمر الزراعيه لتحصيل وسائل المعاش لأنه كان معتقدا بلزوم الكسب لتحصيل المعاش على ما أمر به المولى السيد نعمه الله الولي اتباعه و مريديه بالكسب و ترك البطاله و هو مع ذلك لم يترك المطالعه و التدريس و التأليف و إرشاد الخلق و اعانه المساكين و قضاء حوائج المحتاجين بل كان يشتغل بمعالجه المرضى أيضا حتى صار مشتهرا بالحداقه فى الطب. كان كثير التنسك و العباده و لم يفت عنه تهجد الأسحار و كان مولعا باقامه شعائر الدين و المذهب، مثل صلاه الجماعه و مجالس الذكر و قراءه القرآن و إقامه عزاء أهل البيت ع، و كان قانعا من الدنيا فى الأكل و اللبس بأقلها، و كان يأمر اتباعه و مريديه أيضا بالمحافظه على الآداب الدينيه، و إذا رأى أو سمع فى بعض المريدين خلافا لم يتمكن فى أمر الدين من كظم الغيظ و الكتمان بل كان يشدد و يغلظ عليه حتى انه طرد بعضا من المريدين على أثر عدم مراقبتهم لآداب الشرع بعد تذكيره إياهم للمراقبه و عدم تأثيره فيهم.

و لا غرو أن نذكر هنا استطرادا خصائص من طريقه النعمه اللهي:

منها أن السيد و خلفاءه إلى الآن أمر جميع مريديه بمحافظه آداب الشرع المقدس النبوى (ص) من العمل بالواجبات و السنن و ترك المحرمات بل المكروهات، لأن تخليه القلب عن غير الله تستلزم إطاعه الرسول و أولى الأمر و اتباع أحكامه، لأن المحب لا يجوز له بل لا- يمكنه مخالفه أمر المحبوب، و كل من ادعى محبه الله يلزمه إطاعه أوامره و أوامر الرسول، حيث قال: إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم [يحببكم] الله، و ما لم يتزين الظاهر و الجوارح بحفظ حدود الله لا يتأدب القلب بآداب الروحانيين، و لهذا ليس فى هذه الطريقه ما يخالف الشرع الشريف من الاعتقادات الباطله و البدع و الأعمال المنهيه حتى السماع، و مجالس الذكر أيضا منزله عن جميع هذه الأمور.

و منها أن الاخوان فى هذه الطريقه مأمورون بترك البطاله و الانزواء و الرهبانيه و بالاشتغال بواحد من الأشغال الدنيويه المباحه لتحصيل المعاش حتى يغنيهم عن غيرهم فى المعاش، لأن الإنسان محتاج فى الدنيا إلى الأكل و الشرب و اللبس و المسكن و كلها من الضروريات للحياه الدنيويه و الوصول إليها يكون اما بالكسب أو السرقة أو السؤال و إظهار احتياجه إلى الغير، و كل ما كان بدونيه

١- الشيخ محمد السماوي.

٢- جنابذ: بلده في خراسان الإيرانية



رضا مالكة كالغصب فهو داخل في السرقة حقيقه، و كل ما كان مقرونا بالطمع فهو من السؤال و كلاهما حرامان عقلا و شرعا و عرفا فيبقى الكسب مباحا سواء كان فلاحه أو تجاره أو صنعه أو غيرها من المكاسب المختلفه المحلله، فلان على جميع الفقهاء فى هذه الطريقه أن يشتغل كل منهم بكسب حتى لا يكون كلا على غيره بل لازم أن يكون بحيث ينتفع به الغير.

و لما كان اخوان هذه الطريقه مامورين بترك الانزواء و بالدخول فى الجماعات صار البسط فيهم غالبا على القبض المصطلحين عند الصوفيه، لأن غلبه القبض على البسط فى السالك إلى الله، تكون فى الأغلب على أثر الانزواء و العزله عن الخلق و الدخول فى الجماعات مستتبع للبسط لأن السالك لازم له أن يشاهد ظهور الحق فى جميع المظاهر و يحسن المعاشره و المجالسه مع الجميع لكون محبتهم ظلا لمحبه الله.

و منها عدم التقيد فى هذه الطريقه بكسوه مخصوصه و زى معين فى الظاهر كالخرقه المخصوصه و التاج و أمثال ذلك المعموله فى كثير من طرق التصوف، بل قال السيد و خلفاؤه: إن اللازم للصوفى لباس التقوى لا غيره، و لا غرو إذا لم يتلبس فى الظاهر بلباس معين و عباده الله و السلوك إليه ممكن و جائز فى كل لباس و زى سواء زى أهل العلم أو رجال الحكومه أو غيرهم، بخلاف كثير من سلاسل الصوفيه حيث يكون فيها خرقة مخصوصه و التاج المختص به بحيث يكون التقيد به لازما على كل من دخل فى هذه الطريقه، و فى بعض الطرق يكون هذا التقيد مختصا بمجالس الذكر و لكن ليس فى طريقه النعمه اللهيه هذا أصلا لا فى مجالس الذكر و لا فى غيرها أصلا.

و حضره المؤلف الجليل أيضا لما كان بهذه السيره و على أنه لم يترك واحدا من الواجبات بل المستحبات و كان تاركا للمحرمات بل المكروهات، و كان مشتغلا بالشغل الدنيوى أمر اتباعه و مرديه أيضا بهذه الأمور، و كان شديد التحفظ عليها، و فى ليله السبت السادس و العشرين من شهر ربيع الأول سنه سبع و عشرين و ثلاثمائه بعد الألف صار مخنوقا و غريقا و ارتحل من الدنيا شهيدا، و دفن فى أعلى مقابر بيدخت، و خلف ابنه العالم العارف الكامل المولى الحاج ملا- على نور على شاه الثانى المتولد فى السابع عشر من شهر ربيع الثانى ١٢٨٤ و صار خليفه والده حتى قتل مسموما بكاشان فى الخامس عشر من شهر ربيع الأول سنه سبع و ثلاثين و ثلاثمائه بعد الألف، و صار سليله الجليل والدى المعظم المولى الحاج محمد حسن صالح على شاه المتولد فى الثامن من شهر ذى الحجه الحرام سنه ثمان و ثلاثمائه بعد الألف خليفه له، و مسند الطريقه فى هذا الزمان مزين بوجود سماحته أطال الله بقاءه الشريف.

و للمولى الحاج ملا سلطان محمد مؤلفات كثيره أكثرها فى الأحكام و الآداب الشرعيه و الأخلاق مع التطبيق على أصول العرفان مثل سعادتنامه و مجمع السعاده و بيان السعاده و ولايتنامه و بشاره المؤمنين و تنبيه النائمين و التوضيح و الإيضاح، اثنان منها و هما بيان السعاده و الإيضاح بالعربيه و غيرهما بالفارسيه، و له تأليفات أخر غير ذلك فى المنطق و النحو مثل تهذيب التهذيباشيه و شرح على تهذيب المنطق، و حواش على الأسفار كلها بالعربيه.

و أهم مؤلفاته تفسير القرآن المجيد المسمى "بيان السعاده فى مقامات العباده" و هو من أهم التفاسير المؤلفه فى القرن الأخير حتى قال فيه الفقيه الكامل المرحوم الحاج آقا محسن المجتهد العراقى و الحكيم الجليل المغفور له الآخوند ملا محمد الكاشانى "تفسير السلطان سلطان التفاسير" و قد ذكر فى هذا التفسير نكات دقيقه عرفانيه و فلسفيه و أدبيه فى بيان الآيات لم يذكرها أحد قبله كما صرح به نفسه فى مقدمه التفسير و جميع ما ذكر فى تفسير الآيات مستند إلى الأحاديث و الأخبار المرويه من مصادر

و لما كان شديد العلاقه و الإراده بشيخه و مرشده الحاج كاظم سعادته على شاه سمي ثلاثه من مؤلفاته باسمه و هي سعادته نامه و بيان السعاده و مجمع السعاده كالمولوى البلخى الخراسانى حيث سمي ديوانه باسم مرشده شمس الدين التبريزى، و المولى محمد تقى الكرمانى مظفر على شاه حيث ختم أشعاره فى ديوانه باسم مرشده مشتاق على شاه شمس الدين التبريزى، و المولى محمد تقى الكرمانى مظفر على شاه حيث ختم أشعاره فى ديوانه باسم مرشده مشتاق على شاه] [رحمهم الله.

و بعد أن يسرد الكاتب خصائص كتاب التفسير مما لا علاقته له بموضوعنا هنا يعود إلى القول بان هناك من أنكر أن يكون الكتاب للمترجم بل هو لمؤلف آخر، فيرد هو على هذا الزعم قائلا:

و بعد تأليف هذا التفسير و طبعه و انتشاره اشتهر فضل المؤلف بين الخواص و العوام و كل من رأى التفسير و لاحظته أقر بفضل مؤلفه و نبوغه و عبقريته و صار ذلك سببا لتشديد حسد الحاسدين حتى أنكر بعضهم كون هذا التأليف المنيف منه، و أصروا فى تلقين هذا الافتراء فى قلوب بعض آخر و ذكروا هذا بوجه مختلفه بحيث وقع فى قلوب بعض الفضلاء أيضا و تلقوا بالقبول من دون دقه و تحقيق. و الحال أن اللازم للفقهاء المحقق و الناقد المدقق التحقيق و التعمق فى الأمور و عدم الحكم بشىء مشكوك الا بعد التحقيق، لأنه إذا ظهر له خلاف ذلك يصير نادما على ما حكم به قبلا كما قال الله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة " و لكن بعضا من الفضلاء و الفقهاء أيضا تلقوا ما سمعوا من بعض المعاندين و الحساد بالقبول ظنا منه الصدق و الصحه و بعد ما ظهر لهم خلافه عدلوا عن رأيهم السابق مثل حجه الإسلام المغفور له الحاج شيخ محمد باقر الجازار حيث ألف كتابا و سماه "إطغاء المكاييد و إصلاح المفاصد" بالفارسيه فى رد الصوفيه و الشيخيه و الباييه و الحال أن ذكر هذه الثلاثه مرادفا بعيد عن مثل هذا المحقق لأن بين عقيدته الصوفيه و الشيخيه مع الباييه بينونه بعيده، لأن الأولين من المتعصبين فى التشيع و الباييه منكرون للإسلام و قائلون بنسخه و ظهور دين جديد.

و الفقيه المغفور له ذم المؤلف و ذكره بعباره موهنه بهذا المضمون و هو أنه:

"سمع من بعض الثقات أن هذا التفسير ليس منه بل من صوفى مبتدع آخر سابق عليه و هو وجد نسخه الخطيه القديمه و جعله باسمه و الحال أنه لم يفهم مضامينه " حتى أن مؤلف هذا الكتاب حرف اسم التفسير و سماه بيان الشقاوه و لكنه لم يدرك حقيقه هذا الاسم و لم يستشعر به فلم يخض فى غور معناه لأن هذا التفسير و لو فرض أنه لم يكن منه أو كان منه و كان باطلا و لكنه بيان القرآن فتسميته بهذا الاسم أن كان مع قصد و شعور فى الحقيقه شتم للقرآن و يكون كفرا و لكن الفقيه المذكور ذكر هذا اللفظ بدون توجه للمعنى.

و لما طبع هذا الكتاب و انتشر رأى نسخه منه واحد من أعادى مؤلف التفسير من أهالى جناب و اعترض على الفقيه المذكور و قال كنا نحن بأعيننا شاهدين لكونه بنفسه مؤلفا لهذا التفسير، و رأينا أنه كان مشتغلا بكتابه جزوات هذا التفسير شخصا، و قرأ بعضه على الحاضرين عند الكتابه، و نسبه هذا الفقيه فى الحقيقه يكون مكذبا لسائر الإيرادات الوارده على مؤلف التفسير من المخالفين لأنه يوجد الشك و التردد عند كل من لم يعرفه فى سائر المنتسبات إليه.

و الفقيه المذكور بعد تأليف هذا الكتاب سافر لزياره المشهد المقدس الرضوى (ع) و توقف ببیدخت یومین و صار مانوسا مع خلیفه المؤلف الحاج ملا علی نور علی شاه الثانی و وجد عقائده و أعماله و أفعاله مخالفه للاتهامات الوارده علی الصوفیه و لم یجد فیہ و فی أعوانه ما یخالف الشرع المقدس النبوی و قال "شنیندن کی بود مانند دیدن" أى السماع لا یكون كالرؤیه، و كتب بعده أيضا

ص: ۸۶

كتابا للمولى الحاج شيخ محمد حسن صالح على شاه و اعتذر من السابق و أظهر الندامه على تأليف الرساله الرديه، و هذا الكتاب موجود الآن و كل ذلك يكون دليلا على صدق نيته و إنه قد اشبه الأمر عليه من بعض المغرضين و الأعداى.

و قال بعض: أن المؤلف حينما كان فى أصفهان اطلع على نسخه خطيه قديمه من المكتبات و تصرف فيها و حذف أولها و آخرها و جعلها باسمه، و قال بعض منهم: أنه كان فى الأصل من فاضل نجف آبادى، و قال بعض آخر: أنه من فاضل يزدى كان معه فى حجره واحده بمدرسه أصفهان ثم رتب ناشر هذه التهمه آثار اليقين على هذا الوهم لأنه مع عدم ذكر دليل على هذه الدعوى قطع بعدم كون هذا التفسير منه و هذا عجيب و لا سيما ممن ادعى العلم و الروحانيه.

و نحن نقول لم يسافر هو إلى أصفهان لتحصيل العلم أصلا بل كان تحصيله كما ذكرنا بجنازنا أولا، و بعد ذلك بالمشهد و سبزوار و النجف الأشرف:

و كانت رحلته إلى أصفهان لأخذ آداب الطريقه و زياره الحاج محمد كاظم سعادته على شاه و كان وجهه همته زيارته و الاستفاضه من محضره فقط، لا العلوم الظاهريه الشرعيه و لا مشاهده المكتبات، على أن استكتاب هذا التفسير مستلزم لاشتغال مده مديده لا أقل من سنه لكتابته و هو لم يبق باصفهان إلا مده قليله، و أيضا كان هو قبل هذا السفر مشتتة بالفضل و التبحر فى العلوم العقليه و النقليه بطهران و غيره كما ذكرته مشروحا فى كتاب "نابغه علم و عرفان در قرن چهاردهم".

و ثانيا لو كان هذا التفسير من مؤلف آخر قبله لذكر فى التذاكر و شروح أحوال المتقدمين و كيف يمكن أن يوجد تأليف غير مألوف و معروف عند أحد من الفحول و علماء الرجال و يصير طالب علم غير معروف مطالعا عليه. و هذه النسبه لا تكون إلا محض التهمه و الافتراء و لا يليق بمسلم فكيف لمؤمن أن يحوم حول هذه الافتراءات.

و قال لى بعض الفضلاء بلسان المدح مريدا به الذم (من قبيل الذم الشبيه بالمدح) أنه تفسير كامل فلسفى عرفانى بنكات دقيقه و مطالب أنيقه أخذها كلها من رشحات الأستاذ الحاج ملا هادى السبزواري رحمه الله، لكنه أيضا خلاف الواقع و ليس بصحيح، لأن كثيرا من النكات التحقيقيه فيها كالتحقيق فى وجود الجن و أمثاله ليس موجودا أصلا لا فى مؤلفات الحكيم السبزواري و لا فى غيره بل من مبتكرات المؤلف الجليل، على أنه لم يدع الابتكار فى جميع ما حقق، بل نقول أولا: إنه يفتخر بان كل ما أدرك من الحقائق يكون مقتبسا من رشحات إفاضات الأئمه المعصومين ع و من الأخبار و الأحاديث و ثانيا: أن لازم كل تأليف أن يذكر من أقوال المتقدمين و تحقيقاتهم و يستشهد بها و هذا لا- يكون مخالفا للتأليف و نحن لا نقول: ان جميع ما ذكر من التحقيقات من مبتكرات فكره، بل نقول: إن كثيرا من هذه التحقيقات مما سنع بفكره الكامل و لا- يكون مذكورا فى كتب المتقدمين رحمهم الله كما أشار إليه فى مقدمه التفسير و قال: "وقد كان يظهر لى بعض الأحيان من إشارات الكتاب و تلويحات الأخبار لطائف ما كنت أجدتها فى كتاب و لا أسمعها من خطاب" (إلى آخره).

و ذكر العلامة الأستاذ الشيخ محمد محسن الطهرانى المعروف بشيخ آقا بزرك فى المجلد الثالث من كتاب "الذريعه إلى تصانيف الشيعة" ما عبارته كذا:

بيان السعاده فى مقامات العباده أو التفسير المنير تفسيرا للقرآن الشريف طبع بطهران فى مجلد كبير سنة ١٣١٤ على نفقه أصحاب

العارف المعاصر المولى سلطان محمد بن حيدر محمد الكنابدى (الجنابدى) الخراسانى المتوفى حدود ١٣٢٠ معتقدين أنه تصنيف شيخهم المذكور و هو نفسه ذكر فيه أنه فرغ من تأليفه سنة ١٣١١ و لكن نبهنى العالم البارع المعاصر السيد حسين القزوينى الحائرى بانتحال وقع فى هذا التفسير يكشف عن كونه لغيره و لو فى الجملة فان ما أورده فى أوله من تشقيق وجوه اعراب فواتح السور من الحروف المقطعات و إنهاء تلك الشقوق إلى ما يبهر منه العقل توجد بتمام تفاصيلها و عين عباراتها فى رساله الشيخ على بن أحمد المهائى الكوكنى النوائى المولود سنة ٧٧٦ و المتوفى سنة ٨٣٥ المشهور بمخدوم على المهائى و قد ذكر ألقاب الرساله السيد غلام على آزاد البلكرامى فى كتابه سبحة المرجان المؤلف سنة ١١٧٧ و المطبوع سنة ١٣٠٣ و ذكر أن المهائم بندر فى كوكن من نواحى دكن، و نوائت كثابت قوم من قريش نزلوا إلى بلاد دكن فى زمن الحجاج قال: و له التفسير الرحمانى و الزوارف فى شرح عوارف المعارف، و شرح الفصوص لمحيى الدين، و شرح النصوص للقونوى و أدله التوحيد.

أقول: و تفسيره الموسوم بتبصير الرحمن و تفسير المنان طبع فى دهلى سنة ١٢٨٦، و فى بولاق سنة ١٢٩٥ كما ذكره فى معجم المطبوعات، و كتابه مرآه الدقائق طبع فى بمبئى، و بالجملة المقدار المذكور من رساله المهائى فى هذا التفسير ليس هو جملة أو جملتين أو سطرا و سطرين حتى يحتمل فيه توارد الخاطرين و توافق النظيرين، فهذا الانتحال ثبتنا عن الإذعان بصدق النسبه إلى من اشتهر بأنه له و الله العالم.

و هذا أيضا و ان كان ظاهره موهما للتحقيق و لكنه عند المنصف المحقق لا يخلو عن شوب الغرض و بعيد عن التحقيق، لأن المحقق فى كل أمر لا سيما فى الأمور المحتمله للتهمه و شوب الافتراء لا يكتفى بنقل القول من واحد و لو فرض عادلا بل يجتهد و يفتش و لا يتقاعد عن هذا حتى يحصل له القطع بالدليل، و هذا العالم الجليل كان لازما عليه أن يطالع التفسير المنسوب إلى المهائى و لا يقتصر على نقل القول و يطابق الكلمات و التحقيقات حتى يزول عنه الشك لأن الخبر يحتمل الصدق و الكذب، و نسبه الخلاف إلى المؤمن بنقل خبر شخص واحد خلاف، و يكون مصداقا للآيه الشريفه ان جاءكم فاسق بنبأ.

و ثانيا كان حريا بمؤلف الذريعه لتكميل التحقيق أن يسأل معاصريه من العلماء و الفضلاء المنصفين الذين كانوا يعرفونه و رأوه حتى يصير فضله عليه واضحا، لأن كثيرا من فحول العلماء فى زمانه مثل آيه الله الشيرازى و الحاج ملا على السمنانى و الحاج ميرزا حسين السبزوارى و الآخوند ملا محمد الكاشانى و الشيخ زين العابدين المازندرانى و أولاده رحمهم الله، و غيرهم كانوا معترفين بفضله و نبوغه، و كل من حضر محضره من المؤلفين و المخالفين لم يتمكن من إنكار فضله و علمه و تقواه حتى أعاديه، و سائر تأليفاته أيضا شاهده على ذلك فان تأليفه ليس منحصرنا بهذا التفسير بل له تأليفات كثيره بالفارسيه و العربيه و حواش و تحقيقات على الأسفار و تحقيقات فى علوم الأدب و غيرها و هى كلها شاهده لعبقريته رحمه الله.

و ثالثا لو كان هذا الفاضل محققا لم يقع فى الخطا فى تاريخ وفاه المؤلف و لم يذكره بالتقريب بل كان لازما عليه تحقيق التاريخ القطعى لوفاته حتى لا يقع فى الاشتباه، و هو نفسه أقر بهذا الاشتباه فى المجلد الرابع من الذريعه عند ذكر كتاب تنبيه النائمىن أحد مؤلفات صاحب التفسير، و هذا دليل على أنه خرج عن حد الإنصاف و فى كلامه الطويل الذى ذكرناه الذى يكون ظاهره متينا و باطنه من الغرض و العناد شحينا، و غلب عليه حس البغض و الحال أن المحقق لا يليق أن يقع تحت تأثير

إحساسات الحب و البغض و لا- سيما إذا كان شيوخ أمثال هذا من شخص واحد أو شخصين معروفين بالغرض الشخصى و  
الأهواء النفسانيه فان المغرض و إن كان بلباس أهل العلم يكون افتراؤه على

ص: ٨٧

المسلمين سببا للفسق و عدم قبول قوله.

و رابعا كان حريا أن يطالع و يلاحظ طرائق الحقائق للحاج ميرزا معصوم نائب الصدر الشيرازى فإنه مع كونه فى زمن تأليف هذا الكتاب مدعيا للطريقه و معرضا عن مؤلف التفسير و لعله كان مغرضا فى وقته و لكنه مع ذلك لم ينكر فضله عند ذكر حالاته فى هذا الكتاب و لا سيما عند بيانه فى شرح عظمه هذا التفسير، و نحن نحيل الطالبين إلى مطالعه هذا الكتاب و مطالعه "نابغه علم و عرفان" فى شرح حال المؤلف من تأليفاتى و "رهنماى سعادت" فى ترجمه تفسير بعض السور الصغار منى.

و قال بعض آخر: لقد أجاد المؤلف فى تأليف هذا التفسير و بلغ الغايه القصوى فى التحقيقات الأدبيه و الفلسفيه و العرفانيه و بعض المسائل الفقيهيه، و لكنه لشده علاقته بامر الولايه و تأويل الآيات بها خرج عن حد الاعتدال و صار كلامه شبيها بالغلو مثل تفسير كلمه الله فى قوله تعالى فى سورة البقره "و منهم من بقول آمنا بالله و باليوم الآخر" بعلى الذى هو مظهر الإله، و كذا فى آيات آخر مثلها، و فى سورة البراءه "ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبه عن عباده و يأخذ الصدقات" و فى موارد آخر بمظاهره و خلفائه الفانين ببشريتهم فى الله، و مثل إطلاق الرب على رب الأرباب و الرب المضاف و تفسير الرب المضاف بالرب فى الولايه كتفسير الرب فى مثل آيه "فمن كان يرجو لقاء ربه" فى آخر سورة الكهف بالرب فى الولايه ملكوته ثم جبروته و تفسير الرب فى آيه "و جاء ربك و الملك صفا صفا" فى سورة الفجر بالرب المضاف الذى هو القائم فى وجود السالك و تفسير الكفر فى موارد متعدده بالكفر بالولايه و كذا الإشراك بالشرك.

بالولايه، و لكن هذا أيضا خلاف لواقع مذهبه لأن كل هذا يكون مبني على العقائد العرفانيه التى تكون مستنده إلى الآيات و الأخبار المأثوره من الأئمه ع، لأن الأخبار فى تفسير الايمان بالايمان بالولايه كثيره كما فى الكافى، فى باب ما نزل فيهم و فى أعدائهم، و أما تفسير كلمه الله بعلى فهو بطريق المجاز و ذكر الظاهر و إرادته المظهر و هو أيضا مستفاد من الأخبار، لأن الايمان بالله ملازم للايمان بمظاهره، و الكفر بمظاهره يستلزم الود و مخالفه أمر الله و هو كفر به، كما

روى عن أبى جعفر الباقر ع: إن حبنا إيمان و بغضنا كفر، و أمثال ذلك كثيره، و استعمل فى القرآن أيضا كذلك لأن نسبه قبول التوبه و أخذ الصدقات إلى الله لا يمكن حمله على ظاهره لأن الله لا يرى و لا يكون له يد فلا بد أن يراد من كلمه الله مظاهر الذات المستجمعه لجميع صفات الكمال بطريق المجاز كما قال تعالى شأنه "و ما رميت إذ رميت و لكن الله رمى".

أما تفسير الرب فهو أيضا صحيح لأن الرب فى اللغه بمعنى المربى و قد أطلق فى القرآن على غير الله كما فى سورة يوسف نقلا عن يوسف (ع) "أذكرنى عند ربك" و كلمه رب الأرباب أيضا دليل على صحه اطلاق الرب على غير الله تعالى بعنوان الرب المضاف و كونه تعالى شأنه رب الأرباب.

بل أهل السنه و الجماعه و محققوهم أيضا اعترفوا بذلك و فى كتبهم أخبار كثيره فى هذا الباب، كما فى موده القربى للمير سيد على الهمداني الشافعى فى الموده الثالثه أنه

قال النبى فى جمع من الصحابه: لا يحب عليا إلا مؤمن و لا يبغضه إلا كافر.

و فى ينابيع الموده للشيخ سليمان البلخى الحنفى فى الباب التاسع و الخمسين نقلا عن الصواعق المحرقة، قال

أخرج الدارقطني في الأفراد عن ابن عباس أن النبي ص قال: على باب حطه من دخل فيه كان مؤمنا و من خرج منه كان كافرا.

و نسبه الغلو إلى المؤلف الجليل كتسميه القميين المتقدمين رضى الله عنهم، كل من لا يعترف بسهو النبي (ص) غالبا لأنهم كانوا قائلين بأنه بشر بصريح الآية الشريفه "قل إنما أنا بشر مثلكم" وقالوا أن البشر يعترى عليه السهو و النسيان و الخطأ فهو أيضا جائز السهو، و كانوا معتقدين أن كل من لم يعترف بذلك يكون غاليا، و لذا كانوا يحتسبون غيرهم من فقهاء الشيعة غاليا بالتقريب و الحال أنه ليس كذلك كما ذكر مشروحا في المفصلات، و الغالى فى الحقيقة من أثبت جميع الصفات الثبوتية الموجودة فى الإله المستجمع لجميع صفات الكمال المتجلى فى كل العوالم و الذرات الحى الباقى الدائم الذى لا يعتره نقص و لا زوال و لا ممت للفرد البشرى الذى يكون له أدوار الحياه من الصغر و الشباب و الكهولة و يصير مريضا و ضعيفا و فقيرا و غير ذلك من نواقص المادة، فالاعتقاد بالوهيه جسمانيه على بن أبى طالب ع المنسوب إلى عبد الله بن سبا، أو ألوهيه جعفر بن محمد ع، كما نسب إلى محمد بن مقلاص الأسدى المكنى بأبى الخطاب أو بالوهيه على بن محمد الهادى أو الحسن العسكرى ع كما روى نسبه إلى فارس بن حاتم بن ماهويه القزوينى المقتول على يد جنيد بامر الامام أبى محمد العسكرى ع كلها كفر و غلو، لأنه خلاف الشهود و رأى العقل لأن الشىء الفانى و الهالك كيف يمكن أن يكون إلها فاطر السموات و الأرض، و لكن العبد إذا صار فانيا من صفات بشريته و استنار بنور الألوهيه و صار حيا بالحياه المعنويه يصير مظهرا للذات الأحديه و مجلى للجلوات الربوبيه فيصدر منه أمور خارجه عن حيطه ظاهر البشريه من المعجزات و الكرامات و خوارق العادات، و كلما كان فناؤه فى الذات الأحديه أتم كان بقاءه به أقوى حتى يصل إلى مقام يصير مظهرا تاما له، و عند ذلك يكون أقوى مظهر و أتم مجلى لله، و هذا يكون فى الحقيقة متصلا بل متحدا مع مقام المشيه التامه و هذه المظهرية كانت مخصوصه بمحمد (ص) و بعده بعلى (ع) و بعده بالأئمه المعصومين من ولده حادى عشرهم ثانى عشر الأئمه و قائمهم، فهم الأسماء الحسنى و الصفات العليا و المظاهر التامه و المجالى الكامله لذات الله و هم قادرون على جميع ما تعلق القدره الالهيه بإرادته و قدرته، فهم عالمون بعلمه، و قادرون بقدرته، و يريدون بإرادته، و ليس شىء من ذلك كفرا و لا شركا و لا غلوا، بل يكون عين التوحيد لأن المعتقد بذلك لا يرى لاي فرد منهم شخصيه مخصوصه قبال الذات الأحديه بل يقول، إنهم فانون و لا يكون لهم شخصيه إلا مظهرية الله تعالى و البقاء به فهم كالمراه حيث لا ينظر إليها إلا لمشاهده الصوره المتجليه فيها، و الأئمه ع مرآه ذات الله كما

ورد "بنا عرف الله و بنا عرف الله" فهذه العقيدته فى الحقيقة عين التوحيد و لذا تكون عقيدته القميين فى الحقيقة إفراطا و غلوا فى التمسك بظواهر الآيات و الأخبار، و نسبه الغلو إلى المؤلف أيضا كذلك (انتهى).

و قد نشرنا ما تقدم على طوله لما فيه من أمر الانتحال الطريف، و ما فيه مما يقوله الصوفيون عن معتقداتهم ردا على ما يرمون به من العظائم. و نترك بعد ذلك للقارئ أن يستنتج ما يشاء.

## المولى سليمان بن محمد الجيلانى التنكابنى:

توفى بعد سنه ١٠٩٨.

كان من العلماء المحققين و له مؤلفات منها:



٣ - الرجعه - رساله فى الرجعه أتمها فى سنه ١٠٨٩.

٤ - رساله فى المعاد و هى باللغه الفارسيه.

٥ - شرح الصحيفه السجديه.

٦ - الحركه و السكون و الزمان.

ص: ٨٨

## المولى سليمان الرامسى التنكابنى:

توفى بعد سنة ١١٢٤.

ولد فى رامسر و نشأ بها ثم هاجر إلى أصفهان و حضر عند المولى محمد السراب التنكابنى و ولده المولى محمد صادق و غيرهما ثم رجع إلى رامسر و اشتغل بالتدريس و اشتهر بذلك و كان ينظم الشعر بالفارسيه و له قصيده بمناسبة تعمير مسجد الجمعة (آلارنيه) منقوشه على لوحه خشبيه فى المسجد. (٢)

## سويد بن سعيد بن سهل بن شهر يار:

قال الذهبى فى سير اعلام النبلاء:

الامام المحدث الصدوق، شيخ المحدثين، أبو محمد الهروى ثم الحدثانى الأنبارى، نزيل حديثه النوره بليده تحت عانه، و فوق الأنبار، رحال جوال، صاحب حديث و عناية بهذا الشأن.

لقى الكبار، و حدث عن: مالك بن أنس ب "الموطأ"، و حماد بن زيد و عمرو بن يحيى بن سعيد الأموى، و عبد الرحمن بن أبى الرجال، و شريك القاضى، و عبد الحميد بن الحسن الهلالى، و سوار بن مصعب، و أبى الأحوص، و حفص بن ميسره الصنعانى، و عبد ربه بن بارق، و مسلم الزنجى، و إبراهيم بن سعد، و خالد بن يزيد بن أبى مالك، و فضيل بن عياض، و عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، و بقيه بن الوليد، و سفيان بن عيينه، و على بن مسهر، و عبد العزيز بن أبى حازم، و الدراوردى، و عبد الرحمن بن أبى الزناد، و فرج بن فضاله، و خلق كثير بالحرمين و الشام و العراق و مصر.

روى عنه: مسلم، و ابن ماجه، و بقيه شيخه، و أبو عبد الرحمن المقرئ، و محمد بن سعد، و أحمد بن الأزهر، و أبو زرعه، و بقى بن مخلد، و أبو حاتم، و يعقوب بن شيبه، و إبراهيم بن هانىء، و عبيد العجل، و الحسن المعمرى، و إسحاق المنجنيقى، و جعفر الفريابى، و أحمد بن محمد بن الجعد الوشاء راوى "الموطأ" عنه، و سعيد بن عبد الله بن عجب الأنبارى، و عبد الله بن أحمد، و القاسم المطرز، و أبو القاسم البغوى، و أبو بكر الباغدى، و آخرون.

قال عبد الله بن أحمد: عرضت على أبى أحاديث لسويد بن سعيد، عن ضمام بن إسماعيل، فقال لى: أكتبها كلها، أو قال: تتبعها، فإنه صالح، أو قال: ثقه.

قال الحسن الميمونى: سال رجل أبا عبد الله، يعنى: أحمد، عن سويد، فقال: ما علمت إلا خيرا. فقال له إنسان جاءه بكتاب فضائل، فجعل عليا رضى الله عنه (أولها)، و آخر أبا بكر و عمر. فعجب أبو عبد الله من هذا، و قال: لعله أتى من غيره. قالوا له: و ثم تلك الأشياء؟ قال: فلم تسمعونها أنتم، لا تسمعوها، و لم أره يقول فيه إلا خيرا.

و قال أبو القاسم البغوى: كان سويد من الحفاظ، و كان أحمد بن حنبل ينتقى عليه لولديه صالح و عبد الله يختلفان إليه،

فيسمعان منه.

و قال أبو داود: سمعت يحيى بن معين، يقول: سويد مات منذ حين.

قلت: عنى أنه مات ذكره للينه، و إلا فقد بقى سويد بعد يحيى سبع سنين.

قال: و سمعت يحيى، يقول: هو حلال الدم. و سمعت أحمد، يقول:

هو لا بأس به، أرجو أن يكون صدوقا. و قال محمد بن يحيى السوسى الخزاز: سألت يحيى بن معين عن سويد بن سعيد، فقال: ما حدثك فكتب عنه. و ما حدث به تلقينا فلا. أى:

إنه كان يقبل التلقين.

و قال عبد الله بن على بن المدينى: سئل أبى عن سويد الأنبارى فحرك رأسه، و قال: ليس بشىء. و قال: هذا أحد رجلين: إما يحدث من حفظه، أو من كتابه. ثم قال: هو عندى لا شىء. قيل له: فأين حفظه ثلاثه آلاف؟ قال: هذا أيسر، تكرر عليه.

و قال يعقوب السدوسى: صدوق مضطرب الحفظ، و لا سيما بعد ما عمى.

و قال أبو حاتم: صدوق. يدلس، و يكثر ذلك.

و قال البخارى: كان قد عمى، فتلقت ما ليس من حديثه.

و قال النسائى: ليس بثقه و لا مأمون.

أخبرنى سليمان بن الأشعث، سمعت يحيى بن معين، يقول: سويد ابن سعيد حلال الدم.

و قال صالح جزره: صدوق عمى، فكان يلقت أحاديث ليست من حديثه.

و قال الحاكم أبو أحمد: عمى فى آخر عمره، فربما لقت ما ليس من حديثه. فمن سمع منه و هو بصير، فحديثه عنه أحسن.

و قال أبو بكر الأعين: هو شيخ، هو سداد من عيش.

و قال سعيد بن عمرو البرذعى: رأيت أبا زرعه يسيء القول فى سويد بن سعيد، و قال: رأيت منه شيئا لم يعجبني، قلت: ما هو؟

قال: لما قدمت من مصر، مررت به، فأقمت عنده، فقلت: إن عندى أحاديث لابن وهب، عن ضمام، و ليست عندك، فقال:

ذاكرنى بها، فأخرجت الكتب، و أقبلت أذاكره، فكلما كنت أذاكره، كان يقول: حدثنا به ضمام، و كان يدلس حديث حريز بن

عثمان، و حديث نيار بن مكرم، و حديث عبد الله بن عمرو:

" زر غبا". فقلت: أبو محمد لم يسمع هذه الثلاثه أحاديث من هؤلاء، فغضب. قال البرذعى: فقلت لأبى زرعه: فأيش حاله؟ قال:

أما كتبه فصحيح، و كنت أتبع أصوله فاكتب منها، فاما إذا حدث من حفظه، فلا.

و

قلنا لابن معين: إن سويدا يحدث عن ابن أبي الرجال، عن ابن أبي رواد، عن نافع، عن ابن عمر، أن النبي ص، قال: "من قال في ديننا برأيه، فاقتلوه". فقال يحيى: ينبغي أن يبدأ به فيقتل، ف قيل لأبي زرعه: سويد يحدث بهذا عن إسحاق بن نجیح فقال: هذا حديث إسحاق بن نجیح، إلا- أن سويدا أتى به عن ابن أبي الرجال، قلت فقد رواه لغيرك عن ابن نجیح، قال: عسى قيل له فرجع.

ابن عدی: سمعت جعفر الفريابي، يقول: أفادني أبو بكر الأعيين في قطيعه الربيع (٣) سنة إحدى و ثلاثين بحضرة أبي زرعه، و جمع من رؤساء أصحاب الحديث حين أردت أن أخرج إلى سويد، فقال: وقفه، و تثبت منه:

هل سمعت هذا من عيسى بن يونس؟

فقدمت على سويد، فسألته، فقال:

حدثنا عيسى بن يونس، عن حريز بن عثمان، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن عوف بن مالك، عن رسول الله ص، قال: "تفترق هذه الأمة بضعا و سبعين فرقه، شرها قوم يقيسون الرأي، يستحلون به الحرام، و يحرمون به الحلال".

ص: ٨٩

١- الشيخ محمد السماي.

٢- الشيخ محمد السماي.

٣- و هي منسوبة إلى الربيع بن يونس، حاجب المنصور و مولاه، و كانت بالكرخ مزارع للناس.

فوقفت سويدا عليه بعد أن حدثني به، و دار بيني و بينه كلام كثير.

قال ابن عدى: فهذا إنما يعرف بنعيم بن حماد، فتكلم الناس فيه من جرأه ثم رواه رجل من أهل خراسان، يقال له الحكم بن المبارك، يكنى أبا صالح الخواستي و يقال: إنه لا بأس به ثم سرقة قوم ضعفاء ممن يعرفون بسرقة الحديث، منهم: عبد الوهاب بن الضحاك، و النضر بن طاهر، و ثالثهم سويد الأنباري. و لسويد أحاديث كثيرة عن شيوخه، روى عن مالك "الموطأ" و يقال:

إنه سمعه خلف حائط فضعف في مالك أيضا، و هو إلى الضعيف أقرب.

قال أبو بكر الإسماعيلي: في القلب من سويد من جهه التدليس، و ما.

ذكر عنه في حديث عيسى بن يونس الذي يقال: تفرد به نعيم.

قال حمزه السهمي: سألت الدارقطني عن سويد بن سعيد، فقال: تكلم فيه يحيى بن معين، و قال لا حدث

عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن عطيه، عن أبي سعيد، أن النبي ص قال: "الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة".

قال يحيى بن معين: و هذا باطل عن أبي معاوية، لم يروه غير سويد.

و جرح سويد لروايته لهذا الحديث.

قال الدارقطني: فلم نزل نظن أن هذا كما قال يحيى، و أن سويدا أتى أمرا عظيما في روايه هذا، حتى دخلت مصر، فوجدت هذا الحديث في "مسند" أبي يعقوب المنجنيقي - و كان ثقه - رواه عن أبي كريب، عن أبي معاوية، فتخلص سويد. و صح الحديث عن أبي معاوية، و قد حدث النسائي، عن أبي يعقوب هذا.

قال البخاري: حديث سويد منكر.

و قد روى ابن الجوزي: أن أحمد بن حنبل، قال: هو متروك الحديث.

فهذا النقل مردود لم يقله أحمد.

و من مناكير سويد، و هو مشهور عنه،

عن يزيد بن زريع، عن شعبه، عن قتاده، عن عكرمه، عن ابن عباس، قال: قيل: يا رسول الله، لو صليت على أم سعد، فصلى عليها بعد شهر، و كان غائبا. و هذا لم يتابع سويد عليه.

سويد: حدثنا ابن عيينه، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله.

مرفوعا: "المهدي من ولد فاطمه".

رواه إسحاق المنجنيقي عنه ، وإنما

روى الناس عن ابن عيينه بالاسناد:

" يملكك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي "

أبو بكر الإسماعيلي: حدثنا أحمد بن الحسن الصوفي من كتابه الأصل، قال: حدثنا سويد، عن مالك، عن الزهري، عن أنس، عن أبي بكر: " أن النبي، ص، أهدى لأبي بكر "

قال الخطيب: لم يتابع سويد عليه.

روى الحسين بن فهم: عن يحيى بن معين - و ذكر سويدا - فقال:

لا صلى الله عليه.

و قال أبو أحمد بن عدى فى

حديث: " من قال فى ديننا برأيه فاقتلوه " هذا الحديث الذى قال يحيى بن معين: لو وجدت درقه و سيفا، لغزوت سويدا الأنبارى.

و قال أبو عبد الله الحاكم: أنكر على سويد

حديث: " من عشق و عف و كتم و مات، مات شهيدا "، ثم قال: فقال: إن يحيى لما ذكر له هذا، قال:

لو كان لى فرس و رمح، غزوت سويدا. و قال إبراهيم بن أبى طالب: قلت لمسلم: كيف استجزت الروايه عن سويد فى "الصحيح"؟ قال: فمن أين كنت أتى بنسخه حفص بن ميسره؟ قلت: ما كان لمسلم أن يخرج له فى الأصول. و ليته عضد أحاديث حفص بن ميسره، بان رواها بنزول درجه أيضا.

أخبرنا أحمد بن هبه الله، عن زينب الشعريه، أخبرتنا فاطمه بنت زعبل، أخبرنا عبد الغافر الفارسى، أخبرنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا سويد، حدثنا شهاب بن خراش، عن محمد بن زياد، عن أبى هريره، عن النبى ص: " ما بعث الله نبيا إلا كان فيهم المرجئه و القدرية يشوشون عليه أمر أمته، و إن الله لعنهم على لسان سبعين نبيا " و هذا منكر.

ابن عدى: حدثنا الباغندي، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا عبد الحميد بن الحسن، عن ابن المنكدر، عن جابر، قال: قال رسول الله ص: " كل معروف صدقه، و ما أنفق الرجل على أهله و نفسه فهو صدقه، و ما وقى به عرضه فهو صدقه، و ما أنفق من نفقه، فعلى الله خلفها، إلا ما كان فى بنيان أو معصيه " غريب جدا.

إبراهيم بن محمد بن عرفه نبطويه: حدثنا محمد بن داود بن على، حدثنا أبى، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا على بن مسهر، عن أبى يحيى القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس مرفوعا، قال: " من عشق و كتم و عف و صبر، غفر الله له، و أدخله الجنة " .

أخبرنا أحمد بن إسحاق القرافي، أخبرنا المبارك بن أبي الجود، أخبرنا أحمد بن أبي غالب الزاهد، أخبرنا عبد العزيز بن علي، أخبرنا أبو طاهر المخلص، حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا زياد بن الربيع، عن صالح الدهان، عن جابر بن زيد، قال: نظرت في أعمال البر، فإذا الصلاة تجهد البدن، ولا تجهد المال، وكذلك الصيام. قال: والحج يجهد المال و البدن، فرأيت أن الحج أفضل من ذلك كله.

فضل الأعمال بعضها على بعض، إنما هو التوقيف، و ورد في ذلك أحاديث عدة، لكن إذا قلنا مثلا: أفضل الأعمال الصلاة، فينبغي أن يعرف المقدار الذي هو من الصلاة أفضل من الحج مره. وكذا إذا قلنا: الصلاة أفضل من الصوم، و أمثال ذلك، بل المسلمان يصومان يوما، و يصليان ركعتين من النقل [النفل]، و بينهما من مضاعفه الثواب ما الله به عليم يقع في ذلك من الصفات.

قال البخاري: مات سويد يوم الفطر سنه أربعين و مائتين بالحديثه.

قال البغوي: بلغ مائه سنه (انتهى).

يبدو من بعض ما مر أن الرجل كان شيعيا لذلك طعنوا فيه و استحلوا دمه.

### **السيد شبر بن علي بن محمد المشعل الموسوي الستري الغريفي البحراني:**

مرت ترجمته في المجلد السابع، و نستدرك عليها هنا ما يلي:

الصحيح في تاريخ وفاته هو سنه ١٢٨٨ و كانت ولادته في البحرين سنه ١٢٣٠. و درس في البحرين على الشيخ عبد الله الستري. ثم أخذ عن علماء الجزائر، ثم سكن البصره ثم المحمره. و فيه يقول السيد موسى الطالقاني من قصيده مطلعها:

الحب يعلم أن الحب من شاني و أن ترفع عن ذل الهوى شاني

يقول فيها:

ما زار جفني بعد البين طيف كرى و لا سحبت بربع الأنس ارداني

ص: ٩٠

سوى عشيه وافانى البشير بها بقرب (شبر) حيانى فاحيانى

مولى مناقبه كالشهب نيره بين الخلائق لم تحتج لبرهان

لله درك فى سن الشباب لقد سدت البريه من شيب و شبان

لئن نهضت باعباء العلى جذلا فتلك شنشنه من آل عدنان

بدر يلوح ببرج العلم مكتملا و كم غدا البدر فى خسف و نقصان

يرعى البعيد بما يرعى القريب به هما لديه غداه البذل سيان

لسان مدحى لا يحصى ثناك و لو إنى قضيت بنظم الشعر أزمانى

لذاك قصرت لا بل قد قصرت و لو إنى استعرت لسان الأنس و الجان

خذها إليك أبا العلياء فائقه من الفصاحه قد جاءت بالحنان

فالق ما أنت ملقيه فتلك عصا "موسى بن جعفر" لا "موسى بن عمران"

و للمترجم ديوان شعر مخطوط يوجد الآن عند حفيده السيد حسن بن السيد عدنان.

و يروى صاحب (أنوار البدرين) عن سبب نزوحه إلى شيراز حيث توفى فيها ما يلى:

فى آخر عمره أخذته الغيره الايمانيه على ما جرى على أهل البحرين من الحكام الوهابيين المتغلبين عليها من الظلم و العدوان و غضب أموال الشيعة و قتلهم و تشريدهم فادى نظره و اجتهاده إلى محاربتهم فترأس الحركه الجهاديه ضد الحكام الوهابيين و ناضلهم و لكن لقله العدد و العده اندحرت جماعته و تفرق شملها فرأى السيد شبر أن يتصل بناصر الدين شاه القاجارى ليكون له ظهرا فسافر إلى شيراز فى طريقه إلى طهران. فلما علم الوهابيون ذلك أرسلوا إلى حاكم شيراز بهدايا كثيره و بأموال طائله ليصرفوه عن السيد و ليسد طريقه إلى الشاه و بالفعل فقد وقع ما أرادوا و فعل الحاكم ما سعوا إليه و لذا لم يقابله الحاكم و لم ينظر إلى ما جاء به إليه فبقى السيد فى شيراز حوالى أربعة أشهر حتى توفى بغصته عادم النصير و المعين. و قد خلف من الذكور ولدا واحدا هو السيد عدنان المتوفى ١٣٤٠ [١٢٤٠] هـ.

و مصدرنا فى هذا الاستدراك ما كتبه لنا السيد على العدنانى الغريفى.

### شرف النساء بنت أبى طالب بن مكرم العلوى الحسنى البغدادى.

كانت حيه فى رجب سنه ٥٦٠ هـ عالمه فاضله محدثه جليله من فواضل نساء الشيعة فى مطلع القرن السابع للهجره ببغداد ولدت فى بغداد و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى سيد المحدثين العلامة الشريف أبو محمد قريش بن السبيع بن المهنا العلوى الحسينى



المدنى البغدادى المتوفى سنة ٦٢٠ هـ أخذت العلم و الحديث من زوجها المذكور ثم حضرت على الشيخ أبو طالب المبارك بن على بن محمد بن خضير الصيرفى البغدادى و قد قرأت عليه كتاب (فضل الكوفه) تأليف الشريف أبى عبد الله محمد بن على بن الحسن بن على بن الحسين بن عبد الرحمن الحسينى الشجرى المتوفى سنة ٤٥٥ هـ مع جماعه منهم. زوجها الشريف قريش المدنى البغدادى و ابنته و بناتها آمنه الماره الذكر و فاطمه الآتى ذكرها و عبد الله بن أبى طالب بن أبى بكر المقرى العجان و فتوح بن جعفر بن الطرزى (١) و قد كتب زوجها الشريف قريش جميع ذلك بخطه المبارك فى آخر كتاب (فضل الكوفه) فى مجالس آخرها يوم الثلاثاء عاشر رجب سنة ٥٦٠ هـ و هذه النسخه النفيسه من كتاب (فضل الكوفه) من مخطوطات المكتبه الظاهريه بدمشق و نسخه فوتوغرافيه منها فى مكتبه أمير المؤمنين (ع) العامه بالنجف الأشرف. (٢)

### الشيخ شريف بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ محمد حسن صاحب

الجواهر:

توفى ليله السبت السابع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٣١٤ هـ و دفن فى مقبرتهم فى النجف الأشرف.

تربى فى حجر جده صاحب الجواهر و والده، تتلمذ على الميرزا حسين الخليلى و الشيخ محمد حسين الكاظمى و له منه إجازة مؤرخه يوم الجمعة ٢٩ رمضان سنة ١٣٠٣.

كما تتلمذ على الشيخ هادى الطهرانى و اختص به، و سافر إلى إيران و نزل مدينه بروجرد و اتصل بالسيد محمود الطباطبائى صاحب (المواهب السنيه) و مكث أربعة أعوام ثم عاد إلى النجف.

مؤلفاته:

(مثير الأ-حزان) فى المجالس الحسينيه طبع عدة مرات و له مقتل الحسين (ع) مخطوط. رثاه السيد إبراهيم الطباطبائى بقصيده مطلعها:

يسأم الموت ميتة المشروف إنما الموت مولع بالشريف

(٣)

### الشيخ صادق بن الشيخ باقر بن الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر.

توفى سنة ١٣٢٩ و دفن فى مقبرتهم المشهوره بالنجف الأشرف. من علماء و فضلاء النجف و الاسره الجواهريه النجفيه، قام بتربيته الشيخ على الجواهرى. و تتلمذ على الميرزا حسين الخليلى و الشيخ محمد حسين الكاظمى و الآخوند الخراسانى و الشيخ محمد طه نجف. و كان بعض العلماء يرجحه على أخيه الفقيه المرجع الشيخ على الجواهرى. رثاه الشيخ عبد الحسين الحويزى بقصيده مطلعها:

جد يا سحاب بصوب دمع هامر لتبل ترب الصادق بن الباقر

قد كنت تنهل من أنامل كفه مستسقىا بعباب بحر زاخر

منن عليك قديمه من فضله يعيى بها لهجا لسان الشاكر

إلى أن يقول مادحا أخاه الشيخ على:

فالبيت مرتفع الذرى (بعليه) سامى الدعام بكل ركن عامر

بحر جواهر علمه قدسيه لا خير فى بحر بغير جواهر

(٤)

### الشيخ صادق بن الشهيد البرغانى القزوينى آل الشهيدى.

ولد حدود سنة ١٢٢٢ و توفى سنة ١٣١١ هـ.

من ابرز علماء عصره و مراجع الفتوى و التدريس قرأ المقدمات على جماعه من فضلاء قزوين ثم حضر على والده المستشهد سنة ١٢٦٣ هـ على يد الفرقة الباييه و عمه الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى المتوفى سنة ١٢٧١ و فى سنة ١٢٤٢ قصد العراق مع جمهور من العلماء لنقل جثمان السيد محمد المجاهد الطباطبائى المتوفى سنة ١٢٤٢ فى قزوين بعد رجوعه من ساحات الحرب الإيرانيه الروسيه إلى كربلاء المقدسه فمكث هناك و التحق بحوزه المولى شريف العلماء المازندراني الحائرى المتوفى سنة ١٢٤٦ و بعد وفاه استاذه المذكور و انتشار الوباء فى العراق رجع إلى قزوين و حضر ثانيه على أبيه و عمه الشيخ محمد صالح و أخذ الحكمة و الفلسفه عن الآغا الحكمى و الآخوند ملا يوسف الحكمى و الآخوند الشيخ ملا صفر على اللاهيجانى القزوينى فى المدرسه الصالحيه بقزوين ثم توجه ثانيه إلى العراق مع أخيه الشيخ عبد الله امام الجمعه و سكن النجف الأشرف و حضر فى الفقه و الأصول على الشيخ حسن آل كشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٦٢ صاحب أنوار الفقاهه و الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر و كتب له شيخه صاحب الجواهر إجازته الاجتهاد أشرك فيها أخاه الشيخ عبد الله امام الجمعه ثم رجع إلى قزوين و تصدر كرسى التدريس و الامامه و الفتوى. و بعد

ص: ٩١

١- انظر الثقات العيون فى سادس القرون ص ٢٣٧-٢٣٨ و الأنوار الساطعه فى المائه السابعه ص ١٣٦-١٣٧.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى، و هى منتزعه من كتابه المخطوط (رياحين الشيعه).

٣- السامى.

٤- السامى.

وفاه أخيه الأ-كبر المولى الآغا محمد إمام الجمعة رجع اليه الناس في أمر التقليد. ذكره صاحب المآثر والآثار بما هذا تعريبه:  
(الآغا الشيخ صادق المجتهد القزويني له الرئاسة على سائر أفراد آل البرغانى و انتهت إليه الحكومه الشرعيه فى قزوين و له اليوم  
الزعامة الدينيه و التقدم على علماء تلك المناطق و جميع نواحي قزوين).<sup>(١)</sup>

ذكره شيخنا الأستاذ فى طبقات أعلام الشيعة و وصفه و أثنى عليه و قال:

(فقيه كبير و عالم شهير كان فى النجف الأشرف من تلاميذ الشيخين المعظمين محمد حسن صاحب الجواهر و الشيخ حسن صاحب أنوار الفقاهه غيرهما من الأجلء لازم أبحاث علماء ذلك العصر حتى ارتوى من نميرهم و شهدوا بغزاره علمه فعاد إلى قزوين قائما بالوظائف الشرعيه و صار هناك مرجعها الكبير و ملاذها المقدم... و له إجازة الاجتهاد من شيخه صاحب الجواهر أشرك فيها أخاه الآغا عبد الله إمام الجمعة و هى إجازة تامه، و كان أخوه الآخر الآغا محمد إمام الجمعة فى قزوين قبله... و هذه الأسره من أشرف بيوت العلم، و من السلاسل الذهبيه منذ عهد جدها الشهيد، و قد تخرج منها عدد كبير من العلماء الأفاضل...).

له مؤلفات و تحقيقات فى الفقه و الأصول و الكلام منها حواشى أنوار الفقاهه فى أربعة مجلدات. و له كتاب الامامه، و رساله فى الإرث. خلف سبعة أولاد ذكور أشهرهم الشيخ مهدي إمام الجمعة و الشيخ هدايه الله الشهير بحاج مجتهد و أصغرهم الشيخ فتح الله.<sup>(٢)</sup>

## الشيخ صالح بن عبد الكريم البحراني

عالم جليل أجاز الشيخ محمد على بن الشيخ أبى القاسم المنصورى بالروايه على ظهر كتاب الاحتجاج فى ٢٩ رمضان ١٠٨٧.<sup>(٣)</sup>

## صالح بن شريف النفرى الرندى المعروف بأبى البقاء.

### إشارة

(٤) ولد سنة ٦٦١ و توفى سنة ٦٨٠.

### عصر الرندى

كانت الأندلس، فى أواخر القرن السادس الهجرى، تحت ظل الموحدين. و كانت قاعده الدوله فى معظم أيامهم مدينه إشبيلية، و هى لا تزال تحتفظ إلى اليوم بعدد من آثارهم العمرانيه و الحضاريه. و كانت الحرب الجهاديه مستمره بينهم و بين الدول الاسبانيه المعاصره. و كانت تلك الدول فى النصف الثانى من القرن السادس و أوائل السابع خمسا هى قشتاله و ليون، و أرغون، و نافار (نبره) و البرتغال (البرتقال). و بعد أوائل الربع الأول من القرن السابع صارت إلى ثلاث دول فقط حين ذابت دولتان منهما فى الثلاث الأخيريات، و بقيت قشتاله و أرغون و البرتغال. و استمرت الدول الثلاث فى حرب الاستغلاب، فكانت

البرتغال تهاجم من الغرب و قشتاله من الشمال و الوسط و أرغون من الشرق.

و كانت آخر معركة هامه انتصر فيها المسلمون هي وقعه الأرك (٥٩١) قادها أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدى (٥٨٠) - (٥٩٥) ضد ألفونسو الثامن ملك قشتاله المؤيد بجيوش أرغون و نبره. و كان ألفونسو هذا بجمع جيوشه و الوافدين عليه هو المنتصر سنه ٦٠٩ فى (العقاب) على ابن المنصور الملقب بالناصر. و قد كان وجود بطره (بدر و الثانى) ملك أرغون فى المعركة مع قوات أوربيه أخرى يضمنى على المعركة صفه الحروب الصليبيه المماثله لما فى المشرق فى المده نفسها.

(٥) و قد كانت هزيمه المسلمين (موحدين و أندلسيين) فى العقاب منكره شنيعه. و كانت مفتاحا لتداعى الأندلسيين تداعيا سريعا. و سقطت على إثر المعركة عدده مدن و حصون أهمها بياسه و أبده. و اتسع الخرق - من بعد - على الراقع.

و توالى استغلاب الأندلس من جهاتها المختلفه. ففى نحو ثلث قرن من الزمان ضاعت معظم القواعد الأندلسيه. فبعد العقاب (٦٠٩) كانت وقعه قصر أبى دانس (٦١٤) و هكذا سقطت ماردة و بطليوس (٦٣٨) بعد هزيمه ابن هود أمام فرناندو الثالث ملك قشتاله. و سقطت أبده (٦٣٠). و بلنسيه (بيد خايمى الأول ملك أرغون ٦٣٦) و شقر (٦٣٩) و دانيه (٦٤١) و شاطبه ٦٤٤. و مرسيه (صلحا بيد ملك قشتاله فرناندو ٦٤١) و سقطت قرطبه فى مده الخلاف بين ابن هود و ابن الأحمر ٦٣٣ و سقطت جيان (٦٤٣) و إشبيليه (٦٤٤). و كانت ميورقه (من الجزائر الشرقيه) قد سقطت فى معركة مؤثره سنه ٦٢٧. و يرى الناظر إلى الخريطه الأندلسيه أنها كانت تطوى سريعا، و أن الاستغلاب يأخذ شكلا ماساويا لم يكن يتوقعه ملوك الدول الاسبانيه أنفسهم.

دوله غرناطه فى ظل بنى الأحمر خرج محمد بن يوسف (المعروف بابن الأحمر) فى أرجونه سنه ٦٢٩.

و هو من أسره تعرف بنى نصر، و بنى الأحمر. و كان خروجه فى مده تهاوى سلطان الموحدين، فدعا لنفسه، فاطاعته بياسه و وادى آش و نواحيهما، و أطاعته قرمونه و قرطبه و إشبيليه حينا.

و فى رمضان ٦٣٥ ثار أهل غرناطه بوالى ابن هود عليهم و هو عتبه بن يحيى المغيلى، و خرج وفد استقدم ابن الأحمر و نصبه أميرا على غرناطه، و ما انضم إليها من موسطه الأندلس و جنوبها مما شكل دوله غرناطه التى قاومت ببساله و شجاعه قرنين و نصف قرن من الزمان. و كان موقف ابن الأحمر حرجا، فلم يستطع أن يقف فى مواجهه تيار الهجمات القشتاليه - الأرغونيه - البرتغاليه. ففى سنه ٦٤٣ هادن ابن الأحمر فرناندو الثالث ملك قشتاله و اضطر لأن يترك له عددا من المدن و الحصون كارجونه و جيان (٦). و من جراء الهدنه معه كانت إشبيليه فريسه سهله و سقطت سنه ٦٤٤. بينما كان ابن محفوظ المتولى نظر بعض جهات الغرب قد تنازل عن عدد من الحواضر الهامه مثل طلييره و العلى و شلب. و تتالت الأحداث بعد ذلك على غرناطه بين مسالمة بنى الأحمر لقشتاله و تحالفهم معها و بين المدافعه و محاوله استرداد بعض المفقود من أرض الوطن. ففى ٦٦٠ هزم ابن الأحمر غزوه نصرانيه على أراضيها، بمعاونه مطوعه قدمت من المغرب. و سقطت مدينه أستجه سنه ٦٦٢ بتنازل صاحبها ابن يونس لملك قشتاله. و اشتد ضغط القشتاليين على غرناطه بقياده صهر ملكهم دون نونبودى لارا، فكتب أبو العباس العزفى يستصرخ قبائل المغرب لانقاذ الأندلس. و أنشد أبو الحكم مالك بن المرحل قصيده مؤثره لاستنهاض الهمم تليت فى مسجد فاس مطلعها:

استنصر الدين بكم فاقدموا فإنكم إن تسلموه يسلم

لاذت بكم أندلس ناشده برحم الدين و نعم الرحم

ص: ٩٢

---

١- ميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه: المآثر و الآثار ص ١٦٥ الطبعة الحجرية الأولى طهران سنة ١٣٠٦ هجرية.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- الشيخ محمد السامى.

٤- ملخص عما كتبه الدكتور محمد رضوان الدايه.

٥- فى نهايه الأندلس و تاريخ العرب المتنصرين (م. عنان) أن ابن الأحمر تعهد أيضا بالانضواء تحت طاعه فرناندو و بحضور مجلس الكورتيس (شبيه بمجلس النواب). و هذا يعنى الطاعه و الولاء.

٦- عصر المرابطين و الموحدين ٢: ٢٨٩. و راجع الروض المعطار للحميرى: ١٠٩، ١٣٨. و قارن ب (التاريخ الأندلسى - د. حجى. ص ٤٩١).

لا تسلموا الإسلام يا إخواننا و أسرجوا لنصره و أجموا

و استردت غرناطه مدينه شريش بعد حمله بنى مرين التى أنجدت الأندلس سنه ٦٦٢. و بعد ضغوط قشتاله بايع ابن الأحمر للمستنصر الحفصى صاحب تونس و لكن هذه الخطوه لم تؤد إلى أن ترفع الضغط عن غرناطه.

و يرى الأستاذ عنان فى تاريخه أنه لما تفاقم عدوان القشتاليين و ضغطهم لم ير ابن الأحمر مناصا من أن يخطو خطوه جديده فى مهادنه ملكهم و مصادقته فنزل له أواخر سنه ٦٦٥ عن عدد كبير من المدن و الحصون منها شريش و المدينه و القلعه. و قدر صاحب الذخير السنيه جمله ما تنازل عنه بنحو أربعين مسورا من المدن و الحصون، و قيل مائه! و لما أعطى ابن الأحمر البلاد المذكوره للألفونش (ألفونس) قال أبو محمد صالح بن شريف الرندى يرثى بلاد الأندلس، و يستنصر بأهل العدو من مرين و غيرهم بهذه القصيده:

لكل شىء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

و على رغم هذه التنازلات و المعاهدات، فقد كان الضغط على دوله غرناطه كبيرا، و قد هاجم ألفونس العاشر (القشتالى) سنه ٦٧١ فاستنجد ابن الأحمر بالمرينيين. و توفى فى العام نفسه، و أوصى ابنه محمد (الفقيه) الذى ولى بعده بان يصل يده بيد المرينيين. و قد تم اللقاء بين النصريين و المرينيين. و عبر السلطان المرينى أربع مرات فى أثناء حكمه لمساعدته الأندلس و الجهاد فيها. و هزم القشتاليون بعد هذا التحالف عددا من الهزائم أهمها فى أستجه ٧٧٤. و ترك المرينيون حاميه مغربيه دائمه فى الأندلس تحت رعايه قائد منهم عرف بشيخ الغزاه. و على الرغم من أن العلاقه بين بنى نصر و بنى مرين لم تكن دائما خالصه من المشكلات الجانيبه فان الصوره العامه هى استرداد الأندلس لعهد من الثبات و القوه فقدته منذ زمن بعيد. و حكم محمد الفقيه حتى سنه ٧٠١.

## كنيته

هو النفرى، من أهل رنده و يكنى أبا الطيب، و أبا البقاء. و الحق أن ابن الخطيب فى الاحاطه لم ينقل عن أحد ممن ترجموا له أنه يكنى بغير أبى الطيب. و أول من ذكره بكنيه أبى البقاء - بالاضافه إلى كنيته الأخرى - هو المقرئ فى نفح الطيب. و قد ذكره عدده مرات فى النفح و الأزهار و اختار من شعره، و نقل قصيدته فى رثاء الأندلس. و لا بد من الافتراض أن للرندى كنيته عرف بهما. و يبدو أن شيوع كنيه أبى البقاء فى المشرق و المغرب جاءت بعد المقرئ الذى ذكر تلك الكنيه مره واحده فى كتابه، و يرجح أن (أبا الطيب) كانت الأشهر فى زمانه.

## نسبته

ينتسب الرندى إلى قبيله نفره، و هى من قبائل البربر. و ينتمى إلى مدينه رنده. قال فى الروض المعطار (١) إنها "من مدن تاكرنا. و هى مدينه قديمه بها آثار كثيره، و هى على نهر ينسب إليها". كما نقل ابن سعيد فى (المغرب) أنها أحد معاقل الأندلس الممتنع، و قواعدها المرتفعه. و دار حولها خلاف و نشبت معارك فى أيام ملوك الطوائف حتى حصلت فى يد بنى عباد. و بقيت رنده فى جمله دوله غرناطه الإسلاميه الباقية إلى أواخر أيامها

## أسرته

لا نجد في كتب التراجم حديثاً عن أسرته و أولاده، ولا نعرف من اشتهر من أهله بعده. غير أننا نعرف أن له ابناً توفي صغيراً (ابن ٨ سنوات). وقد رثاه بأكثر من قصيده في كتابه الوافي. وقال الرندي في مقدمه قصيده أنشدها في المغرب (بر العدو) أنه يتشوق إلى الأهل و الوطن، ولكنه لم يفصل في ذكر أهله. و له قصيده في رثاء والده، ذكرها في الوافي.

## مشيخته

أما شيوخ الرندي فهم من أعلام العصر في فنون مختلفه، فابو الحسن الدباج كان من أهل الفضل و الصلاح، مقرئاً، محدثاً، متقدماً في العربية و الآداب، و يقرض قطعاً من الشعر يجيد فيها. و هو توفي ٦٤٦. و ابن الفخار الشريشي كان عارفاً بالحديث حافظاً للفقهِ و الآداب، و هو استقضى برنده، و الجزيره الخضراء، و توفي سنه ٦٤٢. و بقيه شيوخه ممن تحدثت كتب التراجم عنهم بالعلم و الفضل و التقدم.

و يبدو أن الرندي تلقى علومه و استكمل ثقافته في مدينه رنده. و أنه عند ما تنقل و ترحل عن بلده كان قد ثبت على قدم في العلوم و الفنون راسخه، حتى عرف له معاصروه فضله و مكانته.

## رحلاته و تغربه عن رنده

كانت للرندي رحلات و أسفار إلى أنحاء الأندلس الباقية في عصره، و أكثر رحلاته و أسفاره كان إلى الحاضره "غرناطه". فقد نقل لسان الدين أنه "كان كثير الوفاده على غرناطه و التردد إليها يسترفد ملوكها، و ينشد أمراءها.

و القصيده التي أولها:

أواصلت يوماً و هاجرتي ألفاً

أخبرني شيخنا أبو عبد الله اللوشي الكاتب أنه نظمها باقتراح السلطان، و قد أوعز إليه ألا يخرج عن بعض بساتين السلطان حتى يكملها، في معارضه "محمد بن هانيء الالبيري".

و كانت له رحله - أو أكثر - إلى المغرب، لا ندرى متى كانت على التحديد، غير أننا نجد في جملة قصائده المبتوثة في كتابه "الوافي في نظم القوافي" قصيده يحن فيها إلى الأندلس.

قال (٢) و مما يتعلق بذلك - يعني باب الوصف - قولي و أنا بمراكش:

بحياه ما ضمت عرى الأزرار بدمام ما في الحب من أسرار

بالحجر، بالحجر المكرم، بالصفى بالبيت، بالأركان، بالأستار

بالله إلا ما قضيت لبانه تقضى بها وطراً من الأوطار

و تكف من أشجان صب يشتكى جور الزمان و قله الأنصار  
بلغ لأندلس الزمان وصف لها ما بي من أشواق و بعد مزار  
و إذا مررت برنده ذات المنى و الراح و الزيتون و الأزهار  
سلم على تلك الديار و أهلها فالقوم قومي و الديار ديارى  
و ذكر الشاعر لنفسه قصيده فى كتابه روضه الأنس و نزهه النفس (٣) قالها

ص: ٩٣

- 
- ١- الروض المعطار (صفه جزيره الأندلس) للحميرى: ٧٩.
  - ٢- الوافى فى نظم القوافى - نسخه الرباط ص ٣٩.
  - ٣- روضه الأنس: ١٧.



بالعدوه متشوقا إلى الأندلس و الأهل و الوطن، يقول فيها:

يا نسيما هب من أندلس فتلقت طيبه ريح النعامي

ما امترى ناشقه لما سرى أنه فض عن المسك الختام

آه من شوقى لقوم ما جرى ذكرهم إلا جرى دمعى سجاما

و ذكر الرندى خبر اجتماعه بالشيخ الفقيه أبى على القصرى بمدينة سبتة و مذاكرته إياه فى ضروب من الآداب.(1)

### جوانبه و اهتماماته

تنوعت جوانب الرندى و اهتماماته، و تعددت. فهو - كما ظهر من تراجمه و مما ترك من مؤلفات، و ما وصل إلينا من أسماء بعض مؤلفاته الأخرى - كان أديبا، فقيها، مشاركا. و امتدت اهتماماته لتشمل معظم جوانب الثقافة الأديبه و الدينيه لعصره. فقد كان شاعرا، و أديبا مؤلفا، و ناقدا. و من جهه ثانيه كان فقيها، محدثا فرضيا، مقدا فى رجال القرن السابع المعدودين. فهو - على الرغم من تعدد اتجاهاته، و اتساع جوانبه - ذو مكانه خاصه فى معظم تلك الجوانب التى طرقها.

### شخصيه الرندى

تجتمع لدى الدارس من أخبار الرندى و مما يجده فى كتبه صورته واضحه تقريبا لأخلاقه و تدينه، و مكانته فى عصره و علاقته بمعاصريه، و اتجاهاته.

و كانت الأوصاف التى أسبغها عليه ابن الزبير، و ابن عبد الملك المراكشى، و ابن الخطيب كافيها لاعطائه صورته الأديب الفقيه الشاعر، ذى المكانه المرموقه فى عصره. ففى ترجمه ابن الزبير له أنه كان بالجمله معدودا فى أهل الخير، و ذوى الفضل و الدين. و عند ابن عبد الملك أنه "كان خاتمه الأديب بالأندلس، بارع التصرف فى منظوم الكلام و منثور، فقيها، حافظا، فرضيا متفنا فى معارف شتى، نبيل المنازع، متواضعا، مقتصدا فى أحواله".

و قد كان الرندى ممن يستطيع أن يحسن الصله بينه و بين أهل الفكر، و أصحاب الدوله من الأمراء الحكام و الوزراء المتنفذين، و من كان فى ساحتهم. و ساعده علمه و شاعريته على تقريبهم له و استنشادهم من شعره.

و هو جمع إلى هذه الصفات الخلقية الطيبه ورعا و تدينا و مراقبه تشهد بها تراجمه، و قطع باقيه من أشعاره. فمن شعره فى غرض التوحيد(2) قوله:

ما بالنا نغتر بالأذهان و نغرها بمطالب البرهان

و نقيس كى ندرى لكل عله و نروم شيئا ليس فى الإمكان

و نروم معرفه الإله و إنما نبغى الكمال بغايه نقصان  
و نريد نفهم سره فى عالم لو شاء كان على نظام ثان  
و من المحال تصور الإنسان ما منعه قوه عالم الإنسان  
ما فى الوجود إذا أردت حقيقه إلا الإله و كل شىء فان  
و له من قطعه أخرى:

أشار إليك جميع الوجود بانك أوجدته من عدم  
و قام بأمرك من غير شىء و لولاك يا سيدى لم يقم

### صلته بدوله بنى نصر

سبق القول ان الرندى ولد فى أول القرن السابع. فهو نشا و شب فى ظل أواخر دوله الموحدين، و شهد الاضطرابات المريعة التى  
مرت على الأندلس بعد هزيمه العقاب الشنيعه سنه ٦٠٩، و هلم جرا إلى أن استقر الحال بالأندلس فى القسم الباقى تحت ظل  
بنى نصر المعروفين ببنى الأحمر فى مملكه غرناطه. و كانت (رنده) فى جملة المدن الباقية.  
و يظهر لى أن اتصال الرندى بالأمر النصرى لم يكن قبل استقرار الأمور له بعد سنوات من الكفاح لوقف المد الخارجى الطامى.  
و تدل القصائد الباقيات من شعره فى بنى نصر أنه كان لهم بمثابة شاعر القصر و مناسباته المختلفه. فهو يهنئ بالأعياد و  
الانتصارات، و يشارك فى المواسم و المناسبات. و هو يرثى من يتوفى من الأسره أيضا.  
و طرز الرندى كتابه (روضه الأنس و نزهه النفس) باسم الأمير النصرى أبى عبد الله محمد بن نصر. و اختص بالبيت النصرى، فشهد  
عهد الأمير الأول محمد، و عهد ابنه من بعده محمد الفقيه إلى أن توفى فى عهده.

### مؤلفاته

بقيت - إلى أيامنا هذه مجموعه من آثار الرندى، بينما نقف على أسماء مؤلفات و آثار أخرى لا ندرى أفى الضائع هى لا رجعه  
له، أم أنها فى بطون الخزائن. و كتبه التى نعرفها أو نعرف لها اسما هى:

١ - الوافى فى نظم القوافى. و هو كتاب نقدى جامع، منه نسخ فى القاهره و الرباط و لندن و غيرها.

٢ - روضه الأنس و نزهه النفس، و هو كتاب ثقافه جامع شبيه بكتب المعارف العامه كعيون الأخبار و العقد و أشباهها. و منه  
نسخه ناقصه فى مكتبه خاصه بالمغرب.

٣ - ديوان شعر، و هو مفقود، منه نقول مبعوثه في كتبه، و في كتب التراجم و تاريخ الأدب الأندلسي. قال ابن الزبير إن كلامه - نثرا و نظما - مدون.

٤ - و له (مقامات). نعرف اسمها فقط، و هي من المفقود.

٥ - كتاب في الفرائض. و قد شرحه الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن محمد القرشي البسطي الشهير بالقلصادي.

٦ - جزء علي حديث جبريل.

٧ - تأليف في العروض.

٨ - قال ابن الزبير أيضا "و له تصانيف أديبه و قصائد زهديه".

## الرندي شاعرا

١ - كانت الحركة الشعرية في القرن السابع الهجري استمرارا لما كان في القرن السابق عليه من النشاط، و غزاره الإنتاج، و وفره الشعراء، و علو الطبقة. و اتسم الشعر بالنفس القوي و الأفق المشرف، فهو لم ينحدر انحدارا مماثلا لضعف الأحوال العامه في البلاد. و كانت الأندلس لا تزال تنجب الشعراء المتقدمين كابن الأبار، و ابن سهل الإشبيلي، و حازم القرطاجني ممن وصلت إلينا دواوينهم الشعرية، و مثل أبي البقاء الرندي و ابن سعيد المغربي الأندلسي ممن وصل إلينا قدر صالح من أشعارهم.

و كان ما يزال في الأندلس - في أول القرن، و بعد استقرار الأمور لابن الأحمر في غرناطة - من يقدر الشعر، و يثيب عليه، و يشجع أصحابه. و كان بعض أولى الأمر من الخلفاء و الوزراء و الحكام يقرضون الشعر قليله و كثيره، و يشاركون في الحركة الأدبية.

و كانت هناك حوافر مختلفه بحسب اختلاف الظروف و تنوعها و تشعبها في هذا القرن الشديد الاضطراب تدفع بالشعراء إلى نظم الشعر و إيداعه ثمرات القرائح و خلجات العواطف، سواء أ كان ذلك مما يخص الشعراء

ص: ٩٤

١- الوافي في نظم القوافي (النسخه التيموريه): ١٢٢.

٢- روضه الأنس و نزهه النفس: ٥.

أنفسهم و في حياتهم، أم كان يخص الأمة في أحوالها المضطربة و ظروفها القاسية.

و قد كان عدد كبير من كتاب الأمراء يقرضون الشعر و يقدمونه بين يدي مخدوميهم، فكثرت لهذا شعر المديح و المناسبات: و سيكون هذا ظاهره بارزه في القرن التالي حين نجد رؤساء الكتاب جميعا من الشعراء، و بعضهم يقف في الشعر على قدمين راسختين.

٢ - و بعد أن استقرت الأمور في غرناطة - و ما حازوه من الأندلس في نطاقها - اتخذوا لأنفسهم رسوم الملك، و أبهه السلطان، و اتخذوا الكتاب و الحجاب و الوزراء. و كانت الدولة تنعم بين الفينة و الأخرى بهدوء نسبي يسمح للأمراء النصريين بالالتفات إلى البنين و العمران، و الأخذ بأسباب الحياه الملوكية. و كان لا بد لدولة ناشئه - كهذه - من أن تفيد من الخبرات و المواهب التي نبتت في ظلالها. و هكذا حصلت الصلة بين الرندي و بين بني نصر.

٣ - لا نجد بين أيدينا من باقى شعره ما يدل على اتصاله في مرحله شبابه الأولى ببعض الأمراء من الموحدين أو ببعض الثوار و المنتزعين في أرجاء الأندلس بعامة أو في رنده بخاصه. فقد كان في نحو الخامسة و العشرين من عمره عند ما قام محمد بن هود بدعوته، و بايعته معظم أطراف الأندلس مده من الزمن، و انقضت دعوته بوفاته و هو في الخامسة و الثلاثين. و قد ولى ابن هود على مدينه رنده سنه ٦٣٠ أديبا شاعرا هو أبو بكر بن عبد العزيز الشهير بابن صاحب الرد. و كان له دور بارز في الخروج بعد ذلك في قرطبه و تعيين ابن عمه الباجي (٦٣٠ - ٦٣٢) مخالفا لابن هود و مستقلا بالأمر. و كانت سنه بين العشرين و الرابعه و العشرين حين احتدم الخلاف بين المتطلعين إلى الخلافه من الموحدين. فبعد مبايعه عبد الواحد (المخلوع) سنه ٦٢٠ بمراكش قام العادل بالأندلس. و بعد مده يسيره خرج أمير آخر هو المعروف بالبياسى فدعا لنفسه و تحالف مع دول إسبانيه، و كان يسلمهم البلاد و الحصون، حتى قضى عليه أهل قرطبه ٦٢٤. و لكن أبا العلاء (المأمون) الموحدي قام - بعد سفر أخيه العادل إلى مراكش أميرا - فدعا لنفسه في الأندلس.

و نقل في (الوافي) أبياتا في مدح الوزير أبي بكر بن أخيل لم يزد على أن قال فيه "من أهل بلدنا" يعنى رنده.

و قد أورد الرندي ذكر خليفتين من الموحدين بمناسبه تهنته شاعر معاصر له للرشيد الموحدي في توليه الخلافه الموحديه بمراكش و تعزيتة بوفاه والده المأمون، و لكنه حديث عارض لا يدل على علاقه - تستنتج - بهم، قال:

"و لم أر لأحد متقدم أو متأخر (في اجتماع تهنته و تعزیه) كقول بعض أهل عصرنا يهنئ الرشيد بالولايه و يعزیه بابيه المأمون:

هنيئا و إن كنا لحسن العزا أولى

بملك الذى استولى و هلك الذى ولى

و ليس بين يدي ما يرجح صلته بالموحدين، صله شاعر مادح بدوله مستقره و أمير ممدوح.

و شعر الرندي الباقي يدل على اتصاله ببني الأحمر بعد مرحله تكوين الدوله الجديده، و تثبيت إطارها.

٤ - و يبرز الرندي في زلال بنى الأحمر شاعر بلاط، مداحا، ذا صلة وثيقه بالدولة الفقيه و أمرائها المحيين للشعر، المتطلعين إلى قصائده فيهم، و أشعاره التي ينظمها في الأغراض الأخرى.

و هو شاعر مكثّر، غزير الإنتاج، سهل العطاء، حاضر البديهة. و قد كان شعره مدونا (مجموعا في ديوان)، و لكننا لا نعرف إلى الآن في المكتبات المشهوره ديوان شعر له. و جوانب شعره متعددة، و أبرز أغراضه الشعريه: المديح، و شعر الغزل، و الرثاء، - منه رثاء المدن و الممالك - و الوصف، و الحكمة. و له مشاركة في أغراض شعريه أخرى.

و قد نبه ابن الزبير إلى إجادته في غرضي المدح و الغزل، و هي ملاحظه دقيقه.

## أغراض شعر الرندي

المدح: يبرز غرض المديح في شعره لوفره إنتاجه فيه، و ارتباطه بمدته طويله بالبلاط النصرى. و هو يذكركنا بشعراء المديح التقليديين الذين أخلصوا الولاء لدوله من الدول، و استمروا على ذلك الولاء إلى أواخر حياتهم. فهو اتصل بالأمير النصرى الأول محمد بن يوسف (ت ٦٧١) و بابنه محمد الفقيه (ت ٧٠١) ه فمدحهما، و تردد على غرناطه طويلا في عهدهما.

و يتناول شعر المديح عنده القيام بمهمه شاعر البلاط الذى لا يغادر مناسبه دون أن يقول فيها شعرا ملائما، فهو رفع قصائده إليهم فى المناسبات، و الأعياد، و المواسم. و اتصل غرض المديح - هنا - بما دعاه فى كتابه الوافى: التهاني، حين أفرد له بابا مستقلا. و تجد فى شعره قصائد فى توليه ابن الأمير ولايه العهد، و فى إعدار بعض أولادهم، و فى المديح عامه. و كانى بالشاعر يفد على غرناطه فى أوقات و مواسم بأعيانها لا يدعها تفوته، إضافة إلى وفاداته العارضه، و استدعاءات القصر له لأغراض مختلفه.

و له قصيده مطوله قالها معارضه لقصيده المتنبي:

أجاب دمعى و ما الداعى سوى طلل دعا فلباه قبل الخيل و الإبل

و قد أنشد الرندي قصيدته " لما بويح بالحضره النصرىه بولايه العهد الأمير المعظم أمير المسلمين أيده الله و اقترن بذلك مولد ابنه الأمير المعظم أسعده الله... " (١) و قدم لها بمطلع غزلى رائق، و من الغرض فيها:

يا يوم سعد كان العيد عاد به فالناس فى مرح و الدهر فى جذل

شاهدته فرأينا الأرض قد بهرت و الشمس قد سترت وجها من الخجل

و للطبول به خفق يساجله خفق البنود على الخطيه الذبل

و كل أشوس ساجى الطرف من أدب يهوى للثم يد أشهى من الأمل

و يجتلى غره بالبشر مشرقه كما تجلت إياه الشمس فى الحمل

و فى آخر القصيده:

ابن الهمام الذى له حلى حسنت بها الاماره حسن المدح بالغزل

و من له كرم ريش الشاء به فطار حتى سرى فى الأرض كالمثل

و تجد فى مدائحه المعانى المطروحه عاده فى هذا الغرض و كان الشاعر يجتهد دائما فى أن تكون شخصيته الشعريه ظاهره على محورين: أحدهما

ص: ٩٥

---

١- الوافى فى نظم القوافى: ٣٧" النسخه التيموريه".

فى حسن صياغه العبارة، و ثانيهما فى جده تناول المعانى و القدره على الغوص وراء الصور المبتكره.

و له من قصيده مدحيه يصف فيها جيش بنى الأحمر، فيه الأمراء منهم يقودونه و يخوضون به المعركه:

و كتيبه بالدار عين كثيفه جرت ذبول الجحفل الجرار

روض المنايا قضبها الشمس التى من فوقها الرايات كالأزهار

فيها الكماه بنو الكماه كأنهم أسد الشرى بين القنا الخطار

متهللين لدى الهياج كأنما خلقت وجوههم من الأعمار

من كل ليث فوق برق خاطف يمينه قدر من الأقدار

من كل ماض ينتضيه مثله فيصب آجالا على أعمار

لبسوا القلوب على الدرود و أسرعوا بأكفهم نار لأهل النار

و تقدموا و لهم على أعدائهم حنق العدى و حميه الأنصار

و هو على كل حال يلحق بشعراء المديح الذين يقبلون الأعطيات و الهدايا، و إن لم نجد له طلبا صريحا للعطاء، و لكنك تجد

مثل قوله:

إذا ما ضاقت الدنيا بحر كفاه لثم كفك، و السلام!

أو قوله فى قطعه أخرى:

و لئن رجوت فان مثلك يرتجى و لئن سالت فان مثلك يسال

فعلى الرغم مما يظهر من الروح التكسيبه، فانك تحس بان الأمر يعدو هذا إلى أهداف أخرى كتشيت المكانه عندهم، و

الاحتفاظ بالوجهه، و إبراز الشاعريه...

## الغزل

تنبه معاصرو الرندى إلى أنه برع فى غرض الغزل - بالاضافه إلى المدح - و هى ملاحظه صحيحه، و يحس القارئ أن الشاعر

يجوده و يسترسل فيه.

و يشغل الغزل حيزا واسعا فى شعره، فهو أفرد له القصائد و المقطوعات، و جعله استهلالا لبعض الأغراض الأخرى، و بخاصه منها

المدح.

فمن قصائده الغزليه التي لم يصلها بمدح قوله:

عللانى بذكر تلك الليالى و عهود عهدتها كاللالى

لست أنسى للحب ليله أنس صال فيها على النوى بالوصال

غفل الدهر و الرقيب و بتنا فعجبنا من اتفاق المحال

ضمنا ضمه الوشاح عناق ييمين ممقوده بشمال

فبردت الحشا بلثم برود لم يزل بى حتى خبالى خبالى

و كئوس المدام تجلو عروسا أضحك المزج ثغرها عن لآل

و بنحر الدجا ذوابل شمع عكست فى الزجاج نور الذبال

و الثريا تمد كفا خضيبا أعجمت بالسماك نون الهلال

و كان الصباح إذ لاح سيف ينتضى من غين و ميم و دال

و مسحنا الكرى إلى غانيات غانيات بكل سحر حلال

فى رياض تبسم الزهر فيها لغمام بكت دموع دلال

و جرى عاطر النسيم عليلا يتهادى بين الصبا و الشمال

فاكتسى النهر لأمه منه لما أن رمى القطر نحوه بنبال

يا ليالى منى سلام عليها أ تراها تعود تلك الليالى؟

و يبقى (الغزل) من أهم الأغراض الداله على شاعريه الرندى، و شعره، فى روحه و أساليبه، و إبداعه الفنى.

## الوصف

يشيع موضوع الوصف فى شعر الرندى، فهو يلون قصائده المطولات، و يستقل بقصائد خاصه، و ينفرد بمقطعات غير مطوله أيضا.

أما وصف الطبيعه الأندلسيه - و الغرناطيه بخاصه - فأمر يشيع فى شعره كله سواء فى المطولات أو المقطعات. و يتبع ذلك ما كان من وصف الأزهار، و الثمار، و الخمره، و ضروب الرياحين المختلفه.



فمن شعره الوصفى قوله يصف الليل و جملة أمور مناسبة:

و ليله نبهت أجفانها و الفجر قد فجر ضوء النهار

و الليل كالمهزوم يوم الوغى و الشهب مثل الشهب عند الفرار

لذاك ما شابت نواصي الدجا و طارح الصبح أخاه فطار

و فى الثريا قمر سافر عن غره غير فيها السفار

كان عنقودا به مائل إذ صار كالعرجون عند السرار

كأنما تسبك ديناره و كفها تفتل منه سوار

كأنما الصبح لمشتاقه عز غنى من بعد ذل افتقار

كأنما الشمس و قد أشرقت وجه أبى بكر بن يحيى أنار!

قال فى وصف السفن فى البحر:

سفائن تسبح فى لجه كأنها صوافن تلعب

من أدهم تهفو شراع به كان صبحا (دونه) غيهب

إذا جرى من خلفه ملحما فلاحق لعتقه ينسب

و أشهب صور من عنبر و أين منه العنبر الأشهب

و أسحم يدعى غرابا و ما ينطق بالبين و لا ينبعب

و له من قصيده يصف الليل:

كان البدر تحت الغيم وجه عليه من ملاحظته لثام

كان الكوكب الدرى كاس و قد رق الزجاجه و المدام

كال سطور أفلاك الدرارى قسى و الرجوم لها سهام

كان مدار قطب بنات نعش ندى و النجوم به ندام

أفرد الرندي في كتاب "الوافي" بابا خاصا لغرض الرثاء، واستغله - كعادته في الأغراض الأخرى - في إيراد نماذج من شعره في الرثاء تعد أبرز ما بين أيدينا منه. و نجد شعره هذا في قسمين، القسم الأول منه خاص أسرى، رثى فيه من اتصل به من المتوفين من الأقارب، و القسم الثاني يتعلق برثاء بعض من اتصل بهم بسبب.

و في الأول رثاؤه في ابن له (اسمه محمد) و في والده، و في زوجته.

و في الثاني رثاؤه في الأمير النصرى محمد (الأول) و في من دعاه أبا بكر، و لعله الوزير أبو بكر بن يحيى الذى سبق له أن كان من ممدوحيه.

فمن شعره الرثائي قوله من قصيده يرثى بها زوجته:

يا برهه كان فيها للمنى أمل و نزهه للهوى و السمع و البصر

مضت مضى الصبا عنى و لا عوض و من يقوم مقام الشمس و القمر

عهدى بألفتنا و الأنس ينظمننا بطيبه العيش نظم السلوك للدرر

روحين فى جسد، سرين فى خلد كما تقابل أهل الخلد فى السرر

حتى رمى البين شخصينا ففرقنا كما تفرق بين العين و النظر

يا ليتنى عند ما حم الحمام، كما قاسمتها كبدى، قاسمتها عمري

فان تكن زهره من روضها قطفت فقلما تمتع الأيام بالزهر

و إن تكن دره من سلكتها خطفت فالدهر أدري بما يسبى من الدرر

يا قلب صبرا على ما قد فجعت به فلسنت فى دفع مقدور بمقتدر

لا تبك فقد حبيب أنت تابعه إذا مضى البعض فالباقي على الأثر!

و فى رثاء ابنه محمد يقول:

ذهبت ذهاب الصبر عنى مكرها فوا أسفى ألا لقاء إلى الحشر

فان كنت نجما راغ منه أفوله فما لك لا تبدو مع الأنجم الزهر

و إن كنت زهرا جف إذ أخلف الحيا فما لك لا تحبى و دمعى كالقطر

محمد ما أشجى فراقك لوعه محمد ما أدهى مصابك من أمر

محمد فى قلبى محمد فى فمى لئن غاب عن عينى فما غاب عن فكرى

و فى رثاء الأمير النصرى محمد - التى بعث بها إلى الأمير الجديد من بلده رنده - جمع الشاعر إلى رثائه المديح، فهى قصيده

محبوكة الطرفين بالعرضين، العزاء بالمتوفى و الاستقبال للحاكم الجديد:

يا حسره الدين و الدنيا على ملك قد كان حسبهما لو مد فى الأجل

أصابه من وراء الحجب صائبه إن المنون لأرمى من بنى ثعل

و زاول الملك دهرا ثم فارقه و زال عنه و ذاك الفخر لم يزل

و منها:

أصبحت فىنا على حكم الردى خبرا فكنت كالضيف أو كالطيف و المثل

كان وجهك لم يشرق لناظره كالبدر فى السعد أو كالشمس فى الحمل

كان كفك لم تبسط لآملها يوما و لا عرضت للجود و القبل

أغراض أخرى شارك الرندي في أغراض شعريه أخرى، مشاركته جانبية، لم تكن من أصل اهتماماته، كالحكمه و الهجاء:

إذا كان أمر الله للمرء طالبا فقد هان مطلوب و قد عز طالب

ألا إنما الدنيا خيال و أهلها بها عرض و الدهر بالكل لالعـب...

ألا أيها البطال كم أنت غافل كأنك عن هذى المشارب غائب

ألا فانظر الدنيا بعين بصيره فللترك يا مغرور ما أنت كاسب

ألم تر أن الموت أكبر شاهد على أنه لا يغلب الله غالب

و هو يركز على زوال العز عن يظن الناس دوام العز لهم كالملوك و أضرابهم، و يضرب الأمثال بهم:

أين الملوك و أبناء الملوك و ما شادوه من أثر شادوه بالأثر

و أين ما حجبه في مقاصرهم من أوجه زهر كالأنجم الزهر...

و له أبيات قليلة أوردها في معرض حديثه عن غرض الهجاء لا- تجعله من أهل هذا الباب، وإنما هي المناسبه العارضه أو المشاركه في الدعابه العابته، و لم نعرف في ترجمته و أخباره ما يدل على خصومات له ظاهره أو عداوات أكيده، بل غلب على صورته لدينا الفضل و الأناه و رجاحه العقل.

و من هجائه الذى أورده لنفسه في أثناء استعراضه لأشعارهم فى الثقلاء قوله:

تزلزلت الأرض زلزالها فقلت لسكانها ما لها؟

فقالوا أانا أبو خالد فأخرجت الأرض أثقالها!

و الهجاء من أقل أغراض الشاعر، و لا نظنه غرضا أكثرت به فى حياته.

## الجهاديات

و شعر رثاء

البلاد الإسلاميه المغلوبه:

١ - ظهر فى الأندلس ضرب من الشعر - و النثر أيضا - كان صدى مباشرا، و غير مباشر، لأحداث الحرب الدائره بين المسلمين فى الأندلس و خصومهم من الدول الاسبانيه. و هو أدب يهدف إلى تصوير نكبه الأندلسيين بفقدان أجزاء من بلادهم، و تحريض القوم على الصمود و مواصلة القتال، و هو يدعو المسلمين من بر العدو و ما وراءه لانقاذ الأندلس، و المشاركه فى

الجهاد المفروض. وقد تجتمع هذه العناصر فى القصيده الواحده، أو يكتفى ببعضها.

و جذور هذا الضرب من الشعر قديمه قدم حركه الاستغلاب نفسها، و لكنه صار غرضاً بارزاً منذ عهد الفرق (الطوائف) التى انتشرت حمى دويلاتها فى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى حيث اشتدت عليهم وطاه حركه الاستغلاب و سقطت مدينه طيطله المنيعه. و وجد المفكرون و المثقفون و المخلصون من أهل الأندلس أنفسهم فى موقف المسئوليه، فهبوا من علماء و فقهاء و أدباء و مخلصين للقضيه يشاركون فى الحمله المضاده قولاً و عملاً. و كثر التحذير من أخطار التفرق، و الاستنامه عن الجهاد، و مغبه التخاذل و التقاعس. و برز التحريض على الجهاد و القتال و حمل السلاح لاسترداد ما ضاع و الدفاع عما بقى. و اتخذ الأدب المتعلق بهذا الغرض اتجاهين كبيرين (تتفرع منهما أمور كثيره) هما:

١ - الدعوه إلى الجهاد، و مواصله الكفاح.

٢ - بكاء ما ضاع من بلاد المسلمين.

و زاد هذا الغرض نشاطاً و اشتعالاً عدد من الأسباب المتضافره المتداخله. فمنها تقلص ظل الرقعاه الأندلسيه، بعد ضعف الموحدين، شيئاً فشيئاً. و إحساس الأندلسى أن الدائره المحيطه به تضيق و تختنق، و شكل حرب الاستغلاب و طابعها المشابه لما كان فى المشرق آنذاك.

ص: ٩٧

و منها القسوه العارمه و العدوان الطاغى على الناس، على اختلاف أعمارهم و أنواعهم.

و منها عدم احترام المواثيق - على الأغلب - و قلب معطيات الثقافه الإسلاميه.

و منها روح الاستشهاد التى كانت تضحج فى صدور الأندلسيين، و تنفجر فى صدور العلماء و الفقهاء و ذوى المكانه من رجال الأندلس.

و منها ارتباط الأندلسى بأرضه ارتباطا قويا، و شعوره بالواجب الجهادى الملقى على عاتقه.

٢) و يقف المدارس على تيارات ثلاثه من شعر رثاء البلدان فى الأندلس. أحدهما رثاء المدن الضائعه مما سقط فى يد العدو، و التيار الثانى رثاء الدول الأندلسيه الزائله فى أثناء الحكم العربى الإسلامى للأندلس، و أشهر تلك الدول التى رثاها الشعراء دوله بنى عباد أصحاب إشبيليه، و دوله بنى الألفطس أصحاب بطليوس. و التيار الثالث هو شعر رثاء المدن التى كانت عامره فخربت بظروف سياسيه أو اجتماعيه كالشعر المقول فى خراب قرطبه بعد الفتنه البربريه، و خراب إلبيره بعد هجر أهلها لها و نبوغ مدينه غرناطه.

و يتوجه الذهن عند الحديث عن رثاء الأندلس إلى أصحاب التيار الأول من الشعراء، لأنهم هم الأكثر عددا، و الأشهر شعرا، و شعرهم هو المقصود بالدرجه الأولى.

٣) كان الحديث عن الحروب بين الأندلسيين و خصومهم يقع فى أثناء قصائد المديح كما نجد ذلك بوضوح فى ديوان ابن دراج القسطلى الذى سجل حروب الحاجب المنصور تسجيلا رائعا.

و يبدأ تيار رثاء المدن و الحصون الضائعه عنيقا غزيرا منذ سقوط طليطلهسنه ٤٧٩ هـ. و مما بقى من أشعارهم فى ذلك أبيات لابن العسال الزاهد، و قصيده مطوله لشاعر مجهول أوردها المقرئ فى نفح الطيب، منها:

لتكلك كيف تبتم الثغور سرورا بعد ما سبيت ثغور

طليطله أبا كافر منها حماها إن ذا نبا كبير

فليس مثالها إيوان كسرى و لا منها الخورنق و السدير

و وقف الشعراء عند نكبه بلنسيه و شرق الأندلس حين سقطت فى يد السيد كما صنع ابن خفاجه(١) فى أواخر القرن الخامس. ثم استراح الأندلسيون إلى عهد القوه و التمكّن فى أيام المرابطين، و صدرا من دوله الموحدين، فلما تهافتت قوه هؤلاء ثم تهاوت دولتهم بدأ عهد استغلاب إسباني - برتغالى جديد عارم، فعاد غرض الجهاديات و رثاء المدن الأندلسيه غزيرا نشيطا، و قام الأدب بدوره و أدى الأدباء مهمتهم. و يبرز فى هذه المده أبو البقاء الرندى، و ابن سهل الإشبيلى، و ابن الأبار، و أبو المطرف بن عميره المخزومى و غيرهم.

و فى ديوان ابن سهل الإشبلى قصيده أنشأها بطلب من أمير إشبيلية أبى عبد الله الموحدى لحث عرب المعقل على القدوم إلى الأندلس من شمال إفريقيا و الجهاد فيها، منها:

وردا فمضمون نجاح المصدر هى عزه الدنيا و فوز المحشر

نادى الجهاد بكم لنصر مضمير يبدو لكم بين العتاق الضمر

أنتم أحق بنصر دين نبيكم و بكم تمهد فى قديم الأعصر

و استنجد ابن مردنيش بالأمر الحفصى صاحب تونس، و بعث كاتبه و وزيره ابن الأبار، فأنشد قصيده فى مدحه و الاستنجد به، و استنفاه للجهاد، منها:

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السيل إلى منجاتها درسا

و هب لها من عزيز [عزيز] النصر ما التمت فلم يزل منك عز النصر ملتصا

و شهد ابن عميره المخزومى سقوط بلنسية و جزيره شقر، و مدن الشرق الأندلسى سقوطا نهائيا، فذكر ذلك فى شعره و كرر التأسف، و التحسر، و استنهاض الهم. فمن شعره فى سقوط بلنسية:

ما بال دمعك لا ينى مدراره أم ما لقلبك لا يقر قراره...

بحر من الأحزان عب عبابه و ارتج ما بين الحشا زخاره

فى كل قلب منه وجد عنده أسف طويل ليس تخبو ناره

أما بلنسية فمثنوى كافر حفت به فى عقراها كفاره

و الشعراء كثر، و الشعر غزير.

٤) كان الرندى واحدا من أدباء القرن السابع، و شهد تهاوى المجد الأندلسى منذ بدايات هذا القرن. و تاثر كما تاثر معاصروه من الأدباء و الشعراء. و نحن نعرف له قصيدته المطوله:

(لكل شىء إذا ما تم نقصان)

و من المحتمل أن يكون فى شعره الضائع قصائد أخرى فى الغرض.

و نقل القصيده - المقرى فى كتابيه أزهار الرياض، و نفح الطيب. و ذكر أن زيادات قد طرأت على القصيده - بعد سقوط الأندلس نهائيا - ليست من أصلها. و يسلم للرندى ثلاثه و أربعون بيتا رواها أيضا فى الذخير السنيه.

و تعد قصيده الرندى من أشهر قصائد الأندلسيين فى الجهاديات و رثاء المدن الأندلسيه الضائعه لما فيها من صدق الانفعال، و حراره التعبير، و لأنه استطاع بوصفه الدامى للحوادث الجاربه على الأندلسيين أن يحرك العواطف و يشد الانتباه. و هو - بعد - استطاع أن يضع قضيه الأندلس فى إطارها، حين جعل مصيبه أى جزء من أجزاء الأمه مصيبه عامه لا خاصه، و رأى أن الجهاد لاسترداد السليب من الوطن فرض عين لازم لا يسقط التكليف به على أى حال من الأحوال.

و من خلال ذلك الوصف لما أصاب الأندلس، و من أثناء الحض على الجهاد و القتال تبدو العاطفه الحزينه، و يظهر لك الشاعر الباكى الذى كاد يئأس لو لا الأمل البعيد الذى يتشبث به، و يرجوه.

## القصيده

قال يستنجد بنى مرين، و قبائل المغرب بخاصه، و سامعى النداء من المسلمين وراء بحر الزقاق بعامه، و يدعو إلى الجهاد، و يرثى ما ضاع من بلاد الأندلس (٢):

ص: ٩٨

---

١- راجع: ابن خفاجه، من سلسله (الذخائر ١) للمؤلف.

٢- أنشد الرندى القصيده بعد تحالف إسبانيه و البرتغال. و أرغون، و تنازل ابن الأحمر عن عدد كبير من المدن و الحصون.



لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان  
هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءت أزمان  
وهذه الدار لا تبقى على أحد ولا يدوم على حال لها شان  
يمزق الدهر حتما كل سابغ إذا نبت مشرفيات وخرسان  
وينتضى كل سيف للفناء ولو كان ابن ذى يزن والغمد غمدان  
أين الملوك ذوو التيجان من يمن وأين منهم أكاليل و تيجان  
وأين ما شاده شداد فى إرم وأين ما ساسه فى الفرس ساسان  
وأين ما حازه قارون من ذهب وأين عاد و شداد و قحطان  
أتى على الكل أمر لا مرد له حتى قضوا فكان القوم ما كانوا  
وصار ما كان من ملك و من ملك كما حكى عن خيال الطيف و سنان  
دار الزمان على دارا و قاتله و أم كسرى فما آواه إيوان  
كأنما الصعب لم يسهل له سبب يوما و لا ملك الدنيا سليمان  
فجائع الدهر أنواع منوعه و للزمان مسرات و أحزان  
و للحوادث سلوان يهونها و ما لما حل بالإسلام سلوان  
دهى الجزيره أمر لا عزاء له هوى له أحد و انهد ثهلان  
أصابها العين فى الإسلام فارتزئت حتى خلت منه أقطار و بلدان  
فاسال بلنسيه ما شان مرسيه و أين شاطبه أم أين جيان  
و أين قرطبه دار العلوم فكم من عالم قد سما فيها له شان  
و أين حمص و ما تحويه من نزه و نهرها العذب فياض و ملثان  
قواعدكن أركان البلاد فما عسى البقاء إذا لم تبق أركان؟

تبكى الحنفيه البيضاء من أسف كما بكى لفراق الالف هيمان  
على ديار من الإسلام خاليه قد أسلمت و لها بالكفر عمران  
حيث المساجد قد صارت كنائس ما فيهن إلا نواقيس و صلبان  
حتى المحاريب تبكى و هى جامده حتى المنابر ترثى و هى عيدان  
يا غافلا و له فى الدهر موعظه إن كنت فى سنه فالدهر يقظان  
و ماشيا مرحا يلهيه موطنه أ بعد حمص تغر المرء أوطان  
تلك المصيبة أنست ما تقدمها و ما لها مع طول الدهر نسيان  
يا أيها الملك البيضاء رايتہ أدرك بسيفك أهل الكفر لا كانوا  
يا راكبين عتاق الخيل ضامره كأنها فى مجال السبق عقبان  
و حاملين سيوف الهند مرهفه كأنها فى ظلام النقع نيران  
و راتعين وراء البحر فى دعه لهم بأوطانهم عز و سلطان  
أ عندكم نبا من أهل أندلس فقد سرى بحديث القوم ركبان  
كم يستغيث بنو المستضعفين و هم أسرى و قتلى فما يهتر إنسان  
ما ذا التقاطع فى الإسلام بينكم و أنتم يا عباد الله إخوان  
ألا نفوس أبيات لها همم أما على الخير أنصار و أعوان  
يا من لذه قوم بعد عزهم أحوال حالهم كفر و طغيان  
بالأمس كانوا ملوكا فى منازلهم و اليوم هم فى بلاد الكفر عبدان  
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم عليهم من ثياب الذل ألوان  
و لو رأيت بكاهم عند بيعهم لهالك الأمر و استهوتك أحزان  
يا رب أم و طفل حيل بينهما كما تفرق أرواح و أبدان

و طفله ما رأتها الشمس إذ برزت كأنما هي ياقوت و مرجان

يقودها العالج للمكروه مكرهه و العين باكيه و القلب حيران

لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام و إيمان

### متى نظمت القصيده؟

مضى زهاء خمسه قرون، مذ سقطت قواعد الأندلس الأخيره في يد اسبانيا النصرانيه. و لكن مضى زهاء سبعة قرون على صدور مرثيه الأندلس الشهيره، التي بكت نكبه الأندلس المسلمه كقضييه واحده قوميه و اسلاميه، و هي المرثيه التي عرفناها و حفظناها صغارا، و هزت مشاعرنا الفتيه احداثا، و التي مطلعها:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

و قد لبثت اجيال من العلماء و الأدباء تظن ان هذه المرثيه البليغه، التي

ما زالت حتى يومنا تحتفظ برنينها المحزن، و عبرتها المبكيه، قد نظمت عقب سقوط الأندلس النهائى رثاء لها، و كنا صغاراً نؤمن مثلهم بهذه النظرية، و لكنى حينما بدأت دراساتى الأندلسيه، منذ أكثر من ثلاثين عاماً، و أخرجت أول طبعه من كتابى "نهايه الأندلس و تاريخ العرب المتصرين" كانت هذه السحب التى أسبلت على حقيقه رثاء الأندلس، قد أخذت تتبدد، و انتهت فى كتابى إلى تحديد الوضع التاريخى لهذه المرثيه، و بينت بالاستناد إلى نصوص و دلائل عديده، انها قد نظمت فى فتره معينه من تاريخ الأندلس، فى العصر الذى عاش فيه ناظمها، و هو عصر يسبق سقوط الأندلس النهائى بنحو قرنين. و قد خاطبنى يومئذ صديق من كبار أدبائنا، مبدياً دهشته من هذا التحليل قائلاً، كيف انتهت إلى ذلك، و نحن نعتقد طول العمر، أن مرثيه الأندلس قد نظمت بعد السقوط و قد كان لهذا الصديق، و من كان يجاريه فى اعتقاده بعض العذر، لأن المقرئ مؤرخ الأندلس نفسه، لم يستطع تحديد العصر الذى نظمت فيه القصيده، و كانت حسبما يبدو من بعض تعليقاته انها نظمت فى عصر السقوط الأخير، و قبل سقوط غرناطه. و لم يكن هذا الرثاء معروفاً فى الأوساط الأديبه و المشرقيه، قبل عصر المقرئ. ذلك ان المقرئ قد كتب، حسبما نعرف، كتابه الشهير "نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب" بمدينة القاهره المعزیه فى سنه ١٠٣٩ هـ (١٦٣٠ م)، حيثما كان يقيم منذ مقدمه إليها من المغرب فى سنه ١٠٢٧ هـ (١٦١٧ م)، و عرفت منه قصيده الرثاء يومئذ، كما عرفت أشياء و نصوص كثيره أخرى عن الأندلس، و عن تاريخها و جغرافيتها و آدابها مما دونه فى كتابه الجامع "نفع الطيب". و قد استقى معظم ما دونه فى كتابه من مصادر مغربيه مما كانت تزخر به خزائن المغرب، فى فاس و تلمسان و بجايه و الجزائر، مما نقل إليها من آثار التراث الأندلسى فى عصر السقوط، أو حملة إليها المهاجرون بعد السقوط، و قد حمل مسوداتها معه من المغرب إلى القاهره، و انتفع إلى جانبها بما كان مودعاً فى عصره من تراث الأدب الأندلسى و المغربى، بمكتبه رواق المغاربه بالجامع الأزهر.

و ما تزال توجد بها إلى اليوم بعض أوراق مخطوطه تحمل تعليقات المقرئ و توقيعاته. أما رثاء الأندلس فقد نقله المقرئ حسبما يقول لنا "من خط من يوثق به على ما كتبه". و إذا كنا لا نعرف هذا الذى "يوثق به" فإنه قد نقل القصيده على أرجح الفروض، من أحد المصادر القليله التى تسربت إليها، مثل كتاب "الذخيره السنیه فى تاريخ الدوله المرينيه" و هو لمؤلف مجهول.

و يبدو من اختتامه ان مؤلفه قد توفى فى أواخر القرن السابع الهجرى، لأن حوادث الكتاب المعاصره تقف عند سنه ٦٧٤ هـ، عند حادث بناء المدينه البيضاء أو البلد الجديد، بناحيه فاس على يد السلطان أبى يوسف المرينى. هذا مع ملاحظه انه توجد بين النص الذى ورد فى الذخيره السنیه و النص الذى نقله المقرئ، بعض تغييرات يسيره فى بعض الشطرات، و ان نص القصيده فى الذخيره السنیه يحتوى على ثلاثه و أربعين بيتاً بينما هو فى نفع الطيب اثنان و أربعون، هذا و قد نقل المقرئ القصيده فى نفس الوقت فى كتابه "أزهار الرياض" بزياده بيت واحد عنها فى نفع الطيب.

ياتى الحديث بعد ذلك عن ناظم هذه القصيده الشهيره، و عن ظروف نظمها. و بالرغم مما هو معروف و محقق من أن ناظمها هو صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن شريف النفزى، المكنى بأبى الطيب الرندى، المولود بمدينة رنده فى سنه ٦٠١ هـ و المتوفى بها سنه ٦٨٤ هـ، فإنه يوجد بعض الغموض حول ظروف نظم القصيده، و حول ظروف تداولها، و اختفائها من بين تراث ناظمها، و عدم تداولها زهاء قرن من الزمان، و لا سيما بالأندلس موطن ناظمها، قبل ان تزداع فى المغرب على يد المؤرخين المغاربه فى أواخر القرن السابع الهجرى. و يرجع هذا التساؤل إلى عده أسباب، أولها أن الوزير ابن الخطيب، صاحب كتاب

"الاحاطه فى اخبار غرناطه"، و قد عاش قريبا من عصر الرندى، قد أورد له فى "الاحاطه" ترجمه فياضه، و أورد خلالها عدده من عيون قصائده و لكنه لم يورد إلى جانبها شيئا من قصيده رثاء الأندلس، بل و لم يشر إليها بكلمه واحده، مع انها من أبلغ و أروع القصائد التى نظمها الرندى.

و ثانيها، ان الرندى نفسه لم يشر إلى قصيدته و لم ينشر منها شيئا فى كتابه "الوافى فى نظم القوافى"، الذى يتحدث فيه عن الشعر و فضله و آدابه و أغراضه، و يورد فيه عدده من قصائده و منها قصيدتان فى الرثاء، أولاها رثاء لأمير المسلمين ابن الأحمر، و ثانيتهما قصيده فى رثاء أبيه (1) و ثالثتها، ان القصيده لم تظهر فى تراث الأدب الأندلسى خلال العصر الغرناطى كله، من بدايته فى أواخر القرن السابع الهجرى، حتى نهايته فى أواخر القرن التاسع، بالرغم من ظهور قصائد أخرى فى رثاء الأندلس أو بعض قواعدها الذاهبه أقل روعه و رينا من مرثيه أبى الطيب الرندى.

و من ثم فإنه يتعين علينا أن نتساءل حن أسباب هذا الغموض الذى يحيط بمرثيه الأندلس، و التى قضت باحتجابها عصورا من بين أعيان روائع المراثى الأندلسيه التى ظهرت خلال العصر الغرناطى ذاته، و من بعد ذلك حتى السقوط النهائى، و علينا أن نتقصى أسباب هذا الغموض فى حياه ناظمها أبى الطيب ذاته، و فى الظروف التى أحاطت به فى الفتره التى عاش فيها.

لقد عاش الرندى فى عصر الفتنة الكبرى، التى اضطرت بها الأندلس فى أواسط القرن السابع الهجرى، و التى تمخضت عن سقوط القواعد الأندلسيه الكبرى فى أيدي النصارى، و تمخضت فى الوقت نفسه عن قيام مملكه غرناطه. و كان الرندى شاعرا و كاتباً عظيماً، بارعا فى النثر و النظم معا، و له مقامات بديعه فى أغراض شتى. و يصفه القاضى ابن عبد الملك فى "التكملة" بأنه "خاتمه أدباء الأندلس" و كان كثير الوفود من بلده رنده على الحاضره غرناطه، و التردد إلى بلاطها. و كان من خاصه المقربين إلى الغالب بالله، السلطان محمد بن الأحمر الكبير مؤسس مملكه غرناطه و شاعره الأثير. و كان الغالب بالله يطرب لشعره، و يغمره بعطفه و تكريمه.

و من أشهر قصائده فى مدح السلطان المذكور، قصيدته التى مطلعها:

سرى و الحب أمر لا يرام و قد أغرى به الشوق الغرام

و أغفى أهلها الا وشاه إذا نام الحوادث لا تنام

و كتب الرندى برسم السلطان كتابه المسمى "روضه الأانس و نزهه النفس". و نثره لا يقل روعه عن شعره.

و نحن نعرف ان ابن الأحمر الكبير، كان بالرغم من عبقريته و شجاعته و عزمه، و هى التى تمخضت عن ظفره بإنشاء مملكه غرناطه من غمر التمزق و الفوضى، كان يعيش فى دوامه من الصعاب السياسيه و العسكريه، و يخشى على مملكته الفتية الناشئه من عدوان قشتاله و أطماعها. و كانت حركة الاسترداد الإسبانيه LaReconquista بعد الاستيلاء على قواعد الأندلس الكبرى: قرطبه، بلنسيه، مرسيه، شاطبه، جيان، إشبيليه فى نحو خمس عشر عاما فقط ٦٣٣ - ٦٤٦ هـ (١٢٣٦ - ١٢٤٨ م) تندفع بعنف نحو الاستيلاء على قواعد و أراض جديده. و لم يكن أمامها من القوى الأندلسيه المتماسكه سوى مملكه غرناطه الناشئه، التى اجتمعت حولها أشلاء.

---

١- توجد عده نسخ مخطوطه من كتاب "الوافى" بدار الكتب العامه بالرباط، و قد اعتمدنا فيها على مراجعه النسخه رقم (١٧٣٠ ك) و لم ينشر الكتاب حتى الآن.

الأندلس الباقية، فيما بين نهر الوادى الكبير و البحر المتوسط، و بين نهر المنصوره و نهر وادى لكه. و كان ابن الأحمر يقرب هذا التيار الجارف جزعا، و يحاول أن يقف فى سبيله بسائر الوسائل، و منها و فى مقدمتها مصانعه ملك قشتاله القوى فرناندو الثالث. و قد ذهب ابن الأحمر فى هذه المصانعه إلى حد أن ارتضى فى معاهده المهادنه و الصلح التى عقدها مع هذا الملك القاهر، أن يعترف بحمايته و ان يحكم أراضيه باسم ملك قشتاله، و ان يؤدى له الجزيه، و ان يشهد اجتماع مجلس قشتاله النيابى (الكورتيس) باعتباره من الأمراء التابعين للعرش، و أخيرا أن يعاونه فى حروبه ببعض قواته. بل لقد ارتضى ابن الأحمر، تنفيذاً لهذا الاتفاق ان يعاون قشتاله ببعض قواته فى محاصره إشبيليه، و ان يشترك بذلك فى افتتاح هذه الحاضره الأندلسيه التالده لحساب النصرى. و قد كان هذا التصرف مهينا و مشينا معا للأمير المسلم. و لكنه لم يجد مندوحه من اتباعه حرصا على صون مملكته الفتيه و حمايتها من المصير الذى انتهت اليه الأندلس الكبرى. و قد تضمنت معاهده الهدنه و الصداقه فوق ذلك كله، ان يتنازل الملك المسلم إلى ملك قشتاله عن عدد كبير من البلاد و الحصون، منها شريش، و المدينه، و القلعه، و قادس، و غيرها. و قيل ان ما تنازل عنه ابن الأحمر يومئذ للنصرى قد بلغ أكثر من مائه موضع، معظمها فى غربى الأندلس. و كان ذلك فى سنه ٦٦٥ هـ (١٢٦٧ م) و هكذا فقدت الأندلس معظم قواعدها التالده فى نحو ثلاثين عاما فقط (٦٢٧ - ٦٥٥ هـ) فى وابل مروع من الأحداث و المحن. و استحال الوطن الأندلسى الذى كان قبل قرن فقط يشغل نحو نصف الجزيره الإسبانيه، إلى رقعته متواضعه، هى مملكه غرناطه الصغيره. و قد أثارت هذه المحن التى توالى على الأندلس فى تلك الفتره المظلمه من تاريخها لوعه الشعر و الأدب. و هنا و فى هذه الآونه بالذات، و على ضوء هذه الظروف المؤسيه التى تنازل فيها ابن الأحمر عن عشرات البلاد و الحصون الإسلاميه للنصرى:

هنا نظم شاعر العصر، أبو الطيب الرندى مرثيته الشهيره، التى ما زالت تعتبر حتى اليوم من أعظم المرثى القوميه و أبلغها تأثيرا فى النفس، و فيها يبكى قواعد الأندلس الذاهبه، و يستنهض همم المسلمين أهل العدو، لانجاد الأندلس و غوثها.

و لدينا لتأييد هذه الحقيقه فى توقيت نظم القصيده الشهيره، و ظروف نظمها، نصان تاريخيان معاصران، الأول: و هو نص صاحب "الذخيره السنيه فى تاريخ الدوله المرينيه" و قد عاش فى أواخر القرن السابع معاصرا لابن الأحمر الكبير، و أبى الطيب الرندى و فيه يقول:

" و لما أعطى ابن الأحمر البلاد المذكوره للاذفونش قال الفقيه أبو محمد بن شريف الرندى يرثى الأندلس، و يستنصر بأهل العدو، من مرين و غيرهم ". ثم يورد قصيده الرثاء باكملها. (١) و الثانى، و قد كتب بعد ذلك بقليل، فى أواخر القرن السابع أو أوائل القرن الثامن، هو نص ابن عذارى المراكشى، حيث يقول فى نهايه الجزء الثالث من كتابه الجامع "البيان المغرب"، ما ياتى:

" و فى هذه السنه " و هى سنه خمس و ستين و ستمائه صالح الأمير أبو عبد الله بن الأحمر ملك النصرانيه، الأذفونش، على يد ولده الأمير أبى عبد الله. و قيل ان الصلح انعقد بينهما على نحو أربعين مسورا من بلاد المسلمين - أعادها اليه - و قيل ان أكثرها بغرب الأندلس، و من جمله تلك البلاد مدينه شريش، و المدينه و القلعه، و يجير و غير ذلك... و قد رثى الأندلس كثير من الأدباء. فمن ذلك قول صالح بن شريف من قصيده. ثم أورد من القصيده سبعة عشر بيتا مع تغييرات فى نصوص بعض الشطرات.

و وردت منها الأبيات المشهوره:

أصابها العين فى الإسلام فامتحنحت حتى خلت منه أوطان و بلدان

فاسال بلنسيه ما شان مرسيه و أين شاطبه أم أين جيان

و أين حمص و ما تحويه من نزه و نهرها العذب فياض و ملثان

قواعد كن أركان البلاد فما عسى البقاء إذا لم تبقى أركان

(٢) و إذن فالحقيقه التاريخيه هى أن مرثيه الأندلس، لم تنظم لرتاء سقوط الأندلس النهائى، كما كان الاعتقاد شائعا لدى معظم الدوائر الأدبيه و التاريخيه، حتى عصر المقرئ (القرن الحادى عشر الهجرى أو السابع عشر الميلادى) و انما نظمت رثاء لسقوط القواعد الأندلسيه الكبرى، فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى، حسبما بينا من قبل، و هى التى ذكرها أبو الطيب فى قصيدته صراحه على النحو الآتى:

فاسال بلنسيه ما شان مرسيه و أين شاطبه أم أين جيان

و أين قرطبه دار العلوم فكم من عالم قد سما فيها له شان

و أين حمص و ما توحيه من نزه و نهرها العذب فياض و ملثان

قواعد كن أركان البلاد فما عسى البقاء إذا لم تبقى أركان

و قد حرك الشاعر إلى نظم مرثيته المبكيه ما فعله ابن الأحمر فى النزول عن عديد من المدن و الحصون الإسلاميه إلى ملك قشتاله، و جاء بذلك نظمها متأخرا عن سقوط القواعد الأندلسيه الكبرى بنحو خمسه و عشرين عاما.

على أن هذه المرثيه المبكيه ما كادت تظهر فى دوائر الشعر و الأدب الغرناطيه، حتى اختفت بسرعه، و لكن بعد أن تسربت إلى عدوه المغرب.

و هنا يكمن السر فى احتجاجها بالأندلس موطن نظمها. ذلك ان الرندى كان، حسبما تقدم شاعر ابن الأحمر الأثير، يشيد بعهدده و عبقريته و أعماله، فى قصائد عديده. و إقدامه على نظم هذه القصيده البليغه المؤثره يثير كوامن الأسى و الشجن، فى نفوس أولئك الذين شهدوا و عاصروا تصرف ابن الأحمر فى النزول عن الأراضى الإسلاميه إلى النصرارى طواعيه، و اختيارا، و بلا حرب خسرها. و تداول مرثيه تبكى قواعد الأندلس الذاهبه، يذكر الشعب الغرناطى دائما بهذا التصرف الفاجع، الذى أقدم عليه مؤسس مملكه غرناطه، و أصبح منسوبا إلى دوله بنى الأحمر كلها. و انه ليصعب علينا ان نفترض ان أبا الطيب قد نظم قصيدته سرا، لتكون نفثه مصدر خاصه، و هو قد نظمها ليهيب بمسلمى العدو و المسلمين عامه، أن يهبوا لنجده الإسلام فى الأندلس. و إذن فلا بد أن تحجب هذه القصيده، و أن يخمد هذا الصوت الذى يثير الألم و الأسى، صونا لسمعه السلطان، و هيبه المملكه. و



من ثم فقد أسبل على مرثيه الرندى حجاب كثيف من الصمت و النسيان، طوال العهد الغرناطى كله. فقلما تجد لها ذكرا فى السير الغرناطيه أو الأدب الغرناطى. و حتى فى المغرب حيث تسربت وقت نظمها، إلى بعض الدوائر، فقد كان تداولها محدودا جدا. و لعل ذلك يرجع إلى نفوذ البلاط المرينى، راعى الأندلس، و حليف بنى الأحمر.

و هذا يفسر لنا فى نفس الوقت موقف ابن الخطيب فى تناسى هذه القصيده، و عدم الإشارة إليها بآيه كلمه فى الترجمة الفياضه التى كتبها للرندى فى "الاحاطه"، و أورد بها عدده من عيون قصائده و مقطوعاته الشعريه. و لسنا نعتقد أن ناسخ مخطوط الاسكوريال هو الذى أغفل ذكرها اختصارا، أو ظنا منه أن شهرتها تغنى عن ذكرها، فهو لم يغفل ذكر العديد من قصائده الأخرى. و لكن التفسير الطبيعى لهذا الصمت من جانب صاحب .

ص: ١٠١

---

١- الذخيره السنيه ص ١٢٧ و ما بعدها.

٢- البيان المغرب - المجلد الثالث - المنشور بعنايه الأستاذ هويشى ميرانده ص ٤٧٠.

"الاحاطه"، هو ان ابن الخطيب، و هو من أولياء بنى نصر (بنى الأحمر) ملوك غرناطة، و وزيرهم الأثير، و ربيب نعمتهم، قد رأى، كما رأى غيره من كتاب العصر و أدبائه، أن يغفل ذكرها، لأن وجودها فى مؤلفه إلى جانب ترجمه ابن الأحمر الكبير، و آخرين من ملوك غرناطة، قد يسىء إلى ذكريات مؤسس مملكه غرناطة، الذى وقعت المحنة الأندلسيه فى عهده، و نظمت القصيده لبكائها.

تلك هى الظروف التى أحاطت بنظم مرثيه الرندى الأندلسيه، و التى قضت أن تحجب عن التداول، و أن يسبل عليها مدى عصور، ستار من الصمت و النسيان، حتى جاء المقبرى فى القرن الحادى عشر الهجرى (السادس عشر الميلادى)، فنقلها كامله فى كتابيه نفع الطيب و أزهار الرياض، و أخذت من ذلك الحين تبدو فى كتب التاريخ و الأدب، نفثه من نفثات النظم المبكيه، التى لا يمكن أن تخدم حرارتها، أو تنسخ بلاغتها و آثارها الشجيه، على تعاقب الأجيال.

و لا بد من الإشارة إلى ان هناك من شكك فى نسبه القصيده لأبى البقاء، فزعم أن ناظم هذه القصيده هو يحيى القرطبى، و ذلك حسبما ورد فى "ريحانه الألباء" لشهاب الدين الخفاجى المصرى الحنفى المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ.

و أنا أؤكد بصوره اليقين و الحسم ان ناظم مرثيه الأندلس هو صالح بن شريف الرندى المتوفى سنة ٦٨٤ هـ، و أنه نظمها فى الظروف السياسيه الغرناطيه التى شرحتها فى مقالى، ثم حبسها عن الظهور حيناً للأسباب و البواعث التى شرحتها كذلك فى مقالى شرحاً وافياً.

و أنا أخص مره أخرى الأسباب التاريخيه التى تقطع بلاء أدنى شك بصحه نسبه القصيده إلى شاعرها الأندلسى أبى الطيب الرندى.

أولاً: أن المؤرخ المغربى الكبير ابن عذارى المراكشى، الذى عاش بالعدوه المغربيه فى نفس العصر الذى عاش فيه الرندى، و كتب تاريخه فى نفس العصر الذى نظمت فيه مرثيه الأندلس، و توفى فى أوائل القرن الثامن الهجرى، يقدم لنا النصف الأول من مرثيه الرندى منسوبه إليه فى آخر الجزء الثالث من كتابه (البيان المغرب فى أخبار الأندلس و المغرب) المنشور بعنايه علامه الإسبانى هويثى ميرانده (ص ٤٧١).

ثانياً: ان صاحب كتاب "الذخيره السنيه فى تاريخ الدوله المرينيه"، و هو مؤرخ مجهول يصل فى تاريخه حتى سنة ٦٧٧ هـ و قد عاش حسبما يبدو من كتابه حتى أواخر القرن السابع الهجرى معاصراً كذلك للرندى، يقدم إلينا المرثيه كامله منسوبه إلى صالح بن شريف الرندى (ص ١٢٧).

ثالثاً: ان أبا العباس شهاب الدين المقبرى صاحب "نفع الطيب" المتوفى سنة ١٠٤١ هـ يقدم إلينا فى "النفع" مرثيه الأندلس كامله، و منسوبه إلى ناظمها صالح بن شريف، و يقول لنا انه نقلها "من خط من يوثق له". و عن كتاب "نفع الطيب" الذى وضعه مؤلفه بمدينة القاهره، انتشرت مرثيه الأندلس فى كثير من الكتب المشرقيه.

و توجد مصادر مغربيه عديده أخرى خلال القرنين الحادى عشر و الثانى عشر الهجريين، و كلها تؤكد نسبه القصيده إلى الرندى دون أية ذره من الشك.

أما ما قيل من ان صاحب كتاب "ريحانه الألباء" شهاب الدين الخفاجي قد ذكر في كتابه ان الذي نظم مرثيه الأندلس هو من يدعى "يحيى القرطبي" فهو قول لا- يعول عليه، لأن الخفاجي و ان كان أديبا عظيما، فهو ليس مؤرخا، و كتابه "الريحانه" هو مجموعته أديبه قبل كل شىء. هذا فضلا عن ان الخفاجي توفى فى سنة ١٠٦٩ هـ متأخرا نحو أربعة قرون عن عصر الرندى، فهو بذلك كله لا يمكن أن يعتبر حجه تاريخيه، و لا يعتمد على قوله.

و نود أن نختتم هذه الكلمه بالقول بان مؤرخى الغرب الإسلامى (المغرب و الأندلس) هم بلا- ريب أوثق فى رواياتهم و أسانيدهم التاريخيه، فيما يتعلق بالغرب الإسلامى، من المؤرخين المشارقه. (١)

## تشيع الرندى

قال الرندى فى كتابه روضه الأونس، فى أثناء أحد استطراداته "و قد رثى الحسين قديما و حديثا. و ممن بكاه فاحزن و رثاه فأجاد و أحسن أبو بحر صفوان بن إدريس الأندلسى رحمه الله. (٢) و من عجيب ما حكى عنه أنه دخل مراکش فى أيام المنصور بن عبد المؤمن - رحمه الله - و هو صفر اليدى منقطع الحيله: لا- كيف و لا- أين. لا- يملك فتىلا، و لا يجد للقاء السلطان سييلا. فعكف على رثاء الحسين يبكى مصابه، و يذكرى به أوصابه. فنبه المنصور فى الليل عليه، و أمر بالإحسان إليه بعنايه نبويه جبرت فؤاده، و أقامت مناده. فاستحضره المنصور - رحمه الله - و كشف له عن غيبه، و أمكنه من سييه. و بالغ فى بلوغ أربه، و أنفذ له ما أمر به. و فى ذلك يقول مرج كحل (٣) من قصيده له:

و نبئت عن صفوان نيل كرامه جباه بها الرحمن و الخلفاء

و لله فى صفوان آيه آيه تكشف عنها للعظام غطاء

فما ضاع منه فى الحسين انتصاره و لا خاب عند الله فيه جزاء

و حسينيته رضى الله عنه كثيره مشهوره نذكر منها ما يليق بهذا الكتاب بحول الله عز و جل فمن ذلك قوله:

أندب الطف و سبط المصطفى بمرثى هى أسرى من: قفا

لا ترم ضوء هدى من بعده فسراج الهدى بالطف انظفا...

و مما أحسن فيه الإنشاء و أجاد ما شاء الخمسه التى نظم أقسامها على حروف المعجم، و ذيل مراكزها باعجاز من قصيده امرئ

القيس التى أولها

(قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل)

منها:

ديار الهدى بالخيف و الجمرات إلى ملتقى جمع إلى عرفات

لما نسجتها من جنوب و شمال

قال صاحب الكتاب(٤): و قد ألمعت بطريقه صفوان - رحمه الله - فى رثائه ع بجمله حذوت فيها حذوه فبلغت شاوه بما هو فى المعنى

ص: ١٠٢

١- محمد عبد الله عنان.

٢- أبو بحر صفوان بن إدريسي التجيبي المرسى ٥٦٠ - ٥٩٨. شاعر من مرسية بالأندلس له شعر و نثر. و ألف كتاب: زاد المسافر و غره محيا الأدب السافر، الذى حققه عبد القادر محداد (الجزائر). و انظر مقدمه الكتاب ففيتها تفصيل عن صاحبه و أخباره.

٣- أبو عبد الله محمد بن مرج الكحل (و يقال فيه مرج كحل) من أهل جزيره شقر (بلده ابن خفاجه). و هو توفى سنه ٦٣٤ ببلده. و كان شاعرا مبدعا، و خلف ديوان شعر كان متداولاً.

٤- كتاب روضه الأنس.

أغرب و إلى الحال أنسب. و ذلك أنى صنعت مخمسه على حروف المعجم مذيله باعجاز من قصيده زهير، فيها:

أبيت فلا يساعدنى عزاء إذا ذكر الحسين و كربلاء

فخل الوجد يفعل ما يشاء لمثل اليوم يدخر البكاء!

عفا من آل فاطمه الجواء بعينك يا رسول الله ما بى

دموعى فى انهمال و انسكاب و قلبى فى انتهاب و التهاب

على دار مكرمه الجناب عفتها الريح بعدك و السماء

بكيه منازل الصبر السؤاه بمكه و المدينه و الفرات

معالم للعلا و المكرمات عفت آثارها و كذاك ياتى

على آثار من ذهب العفاء!

## كتابه

روضه الأنس و نزهه النفس

يعد كتاب الرندى الذى سماه روضه الأنس و نزهه النفس فى كتب الثقافه العامه التى شاع التأليف فيها، و التى كان مثالها البارز كتاب ابن قتيبه: عيون الأخبار. و يقول الرندى فى مقدمه كتابه إنه ألفه كتابا فى الأدب جامعا لعيون الفنون و الآداب و الأخبار و الفرائد و الفوائد، و أنه انتقى "من الكتب دررها و من أصناف الأدب غررها". و يكون (الأدب) الذى قصد إليه هو الأدب بمعناه الواسع الشامل الذى عرفه ابن خلدون بأنه الأخذ من كل علم بطرف.

و جعل كتابه فى عشرين بابا تتوزعها الموضوعات التاليه: الباب الأول فى العالم و معالمه. و الثانى: فى الأرض و البلاد. و الثالث: فى بدء البشر. و الرابع: فى النبى (ص). و الخامس فى الخلفاء و أهل البيت.

و السادس: فى الدوله الأمويه. و السابع: فى الدوله العباسيه. و الثامن:

فى أهل الرده و الخوارج. و التاسع: فى جمل من الفتوح. و العاشر: فى لمع من... (١) و الحادى عشر: فى الحرب. و الثانى عشر: فى الملك و الرئاسه. و الثالث عشر: فى العلم. و الرابع عشر: فى الشعر. و الخامس عشر: فى المال. و السادس عشر فى النساء و البنين. و السابع عشر: فى الناس و الزمن. و التاسع عشر: فى الحكايات. و الباب الموفى عشرين:

فى الحكم و المواعظ.

و هو فى هذه الفصول - فى الأعلب الأعم - ناقل و مصنف و مرتب، بيد أن له فضل العبارة الأنيقه و الكلمه الرشيقه قال: " و قد ضمنت فى كل جزء منها الشئ إلى ما يماثله، و ألحقت به ما يشاكله. و لجات إلى فكرى فى كثير من الفصول القصار و اللفظ المختار. إذ كان القصد فى ذلك الاجاده لا الروايه و الإفاده لا الحكايه". (٢).

و الموجود من الكتاب هو الجزء الأول (٣)، و ينقطع فى أثناء الباب التاسع "فى جمل من الفتوح". و قد رفع الرندى كتابه إلى الأمير النصرى محمد بن محمد و طرزه باسمه، احتفاء و تقديرا "فإنه - أيداه الله - زان الملك بالذات الفاضله و الصفات الكامله و النصبه الاماريه و النسبه الأنصاريه، فمن همم تساوى المجد و تجاوز الجوزاء و شيم شيم بها الدهر، و ينتسب لها الزهر، إلى جود تروى به الآمال و يسترق بمثله الأحرار". و لا يخفى المغزى من الوصف بالكرم و الجود فى خطبه الكتاب.

و مصادر الكتاب مختلفه متعدده، عرفنا منها عرضا، و فى أثناء القسم الباقى من الكتاب: كتاب ابن حزم الفصل فى الملل و الأهواء و النحل، و كتاب المسعودى مروج الذهب و مغازى الواقدى. و هو نص على النقل من ابن إسحاق (فى السيره) و عن (صاحب التيجان) و صاحب المجسطى، و صاحب الزهر (زهر الآداب). و لا شك فى أن مصادر كثيره و إن لم تتضح لنا جميعا.

و كتاب الرندى من كتب الثقافه العامه التى يستفاد منها فى الأغراض التعليميه و ما يشبه ذلك. و ليست فى الكتاب جده أو إبداع يلفت النظر.

و لكن الأديب الشاعر كان يخرج عن موضوعه ليقدم قطعا و قصائد من شعره تلون الكتاب و تقدم لنا ذخرا طيبا لشاعر غاب عنا ديوانه.

قال فى مديح الأمير محمد بن نصر أمير غرناطه:

سلم على الحى بذات العرار و حى من أجل الحبيب الديار

و خل من لام على حبهم فما على العشاق فى الذل عار

و لا تقصر فى اغتنام المنى فما ليلالى الأانس إلا قصار

و إنما العيش لمن رامه نفس تدارى و كئوس تدار

و روحه الراح و ريحانه فى طيبه بالوصل أو بالعقار

لا صبر للشئ على ضده و الخمر و الهم كماء و نار

مدامه مدنيه للمنى فى رقه الدمع و لون النضار

مما أبو ريق أباريقها تنافست فيها النفوس الكبار

معلتى و البرء من علتى ما أطيب الخمره لو لا الخمار  
ما أحسن النار التى شكلها كالماء لو كف شرار الشرار  
و بى و إن عذبت فى حبه ببعده على اقتراب المزار  
ظبى غرير نام عن لوعتى و لا أذوق النوم إلا غرار  
ذو وجنه كأنها روضه قد بهر الورد بها و البهار  
رجعت للصبوه فى حبه و طاعه اللهو و خلع العذار  
يا قوم قولوا - بدمام الهوى - أ هكذا يفعل حب الصغار؟  
و ليله نبهت أجفانها و الفجر قد فجر نهر النهار  
و الليل كالمهزوم يوم الوغى و الشهب مثل الشهب عند الفرار  
ص: ١٠٣

- 
- ١- غير واضحه فى الأصل (النسخه المصوره).
  - ٢- روضه الأنس الورقه: ٢.
  - ٣- أطلعت على النسخه المصوره عند صديقى الأستاذ محمد مفتاح، عن الأصل الموجود فى مكتبه صديقنا الأستاذ الفقيه علامه محمد المنونى الذى تكرم مشكورا بالموافقه على الإفاده من الكتاب.

كأنما استخفى السها خيفه و طولب النجم بثار فثار  
لذاك ما شابت نواصي الدجى و طارح النسر أخاه فطار  
و فى الثريا قمر سافر عن غره غير منها السفار  
كان عنقودا تثنى به إذ صار كالعرجون عند السرار  
كأنها تسبك ديناره و كفها يفتل منه السوار  
كأنما الظلماء مظلومه تحكم الفجر عليها فجار  
كأنما الصبح لمشتاقه عز غنى من بعد ذلك افتقار  
كأنما الشمس و قد أشرقت وجه أبى عبد الإله استنار  
محمد محمد كاسمه شخص له فى كل معنى يشار  
أما المعالى فهو قطب لها و القطب لا شك عليه المدار  
مؤئل المجد صريح العلا مهذب الطبع كريم النجار  
تزهى به لخم و ساداتها و تنتمى قيس له فى الفخار  
يفيض من جود يديه على عافيه ما منه تحار البحار  
اليمن من يمناه حكم جرى و اليسر من شيمه تلك اليسار  
أخ صفا منه لنا واحد فالدهر مما قد جنى فى اعتذار  
فان شكرنا فضله مره فقد سكرنا من نداء مرار  
و نحن منه فى جوار العلا تدور للسعد بنا منه دار  
الحافظ الله و أسماؤه لذلك الجار و ذاك الجوار  
و قال أيضا:

و ليل صبابه كالدهر طولاً تنكر لى و عرفه التمام



كان سماءه روض تحلى بزهر الزهر، و الشرق الكمام

كان البدر تحت الغيم وجه عليه من ملاحظته لثام

كان الكوكب الدرى كاس و قد رق الزجاجه و المدام

كان سطور أفلاك الدرارى قسى و الرجوم لها سهام

كان مدار قطب بنات نعش ندى و النجوم به ندام

كان بناته الكبرى جوار جوار و السهى فيها غلام

كان بناته الصغرى جمان على لباتها منه نظام

كواكب بت أرعاهن حتى كانى عاشق و هى الذمام

إلى أن مزقت كف الثريا جيوب الأفق و انجاب الظلام

فما خلت انصداع الفجر إلا قرابا ينتضى منه حسام

و ما شبته وجه الشمس إلا بوجهك أيها الملك الهمام

و إن شبته بالبدر يوما فللبدر الملاحه و التمام

و قال أيضا:

عللانى بذكر تلك الليالى و عهود عهدها كاللالى

لست أنسى للحب ليله أنس صال فيها على النوى بالوصال

غفل الدهر و الرقيب و بتنا فعجبنا من اتفاق المحال

ضمنا ضمه الوشاح عناق يمين معقوده بشمال

فبردت الحشا بلثم برود لم يزل بى حتى خبالى خبالى

و كتوس المدام تجلو عروسا أضحك المزج ثغرها عن لآل

و لنحر الدجى ذوابل شمع عكست فى الزجاج نور الذبال

و الشريا تمد كفا خضيبا أعجمت بالسماك نون الهلال  
و كان الصباح إذ لاح سيف يتنضى من غين و ميم و دال  
و مسحنا الكرى إلى غانيات غانيات بكل سحر حلال  
فى رياض تبسم الزهر فيها لغمام بكت دموع دلال  
و جرى عاطر النسيم عليلا يتهادى بين الصبا و الشمال  
فاكتسى النهر لأمه منه لما أن رمى القطر نحوه بنبال  
يا ليالى منى سلام عليها أ تراها تعود تلك الليالى؟!  
و قال أيضا:

ما ضر من يمنعى قربه لو جاء فى الهجر بما يقرب  
ما ضره - و الأمر فى حكمه - لو قبل الرغبه إذ يرغب  
أضرب عنى حين لا حيله فصار وجدى مثلا يضرب  
عجبت للصبر على صده لكن عيشى بعده أعجب  
الجور منه و له المشتكى و العذر منى و هو المذنب  
رضيت بالأمر على حاله فليت شعرى ما له يغضب؟  
و قال أيضا:

قطع قلبى بصدده قطعا و إنما ضرنى و ما انتفعا  
و غرنى أولا بوصلته و عند ما لذ وصله قطعا  
و مر عنى لما شكوت له كأنه ما رأى و ما سمعا  
وا كبدى - لو تفيد "وا كبدى" - لم يترك الدهر فيه لى طمعا  
يا ليت قلبى الذى وهبت له يرجع لى اليوم كيفما رجعا!

و قال أيضا:

يا سالب القلب منى عند ما رمقا لم يبق حبك لى صبرا و لا رمقا  
لا تسأل اليوم عما كابدت كبدى ليت الفراق و ليت الحب ما خلقا  
ما باختيارى ذقت الحب ثانيه و إنما جارت الأقدار فاتفقا  
و كنت فى كلفى الداعى إلى تلفى مثل الفراش أحب النار فاحترقا  
يا من تجلى إلى سرى فصيرنى دكا و هز فوادى عند ما صعقا  
انظر إلى فان النفس قد تلفت و ارفق على فان الروح قد زهقا

و قال أيضا:

أيا أضلعا حرها يلهب و يا أدمعا درها ينهب  
عجيب لعمر ك شان الهوى و لكن صبرى له أعجب

ص: ١٠٤

و لم أر كالحب يا عاذلى عذابا، و لكنه يعذب  
و لا كالحبيب و خذلانه يزيد صدودا إذا يرغب!  
يرى أن ذنبى حبى له بعيشك قل لى، من المذنب؟  
و لست بسال كما يدعى و لا من حديد كما يحسب  
إذا كنت أرضى بما شاءه فى رب ما باله يغضب؟  
إذا كان قلبى جنى ما جنى فى لهف نفسى من أطلب؟  
و إن كان هذا بحكم القضا فى لى شعرى من أعتب؟  
قال: "و من حسن ما قيل فى وصف الجيش و الخيل و السلاح قولى":

و كتيبه بالدار عين كثيفه جرت خيول الجحفل الجرار  
روض المنايا قضبها السمر التى من فوقها الرايات كالأزهار  
فيها الكماه بنو الكماه كأنهم أسد الشرى بين القنا الخطار  
متهللين لدى الصياح كأنما خلقت وجوههم من الأقمار  
من كل لىث فوق برق خاطف بيمينه قدر من الأقدار  
من كل ماض ينتضيه مثله فيصب آجالا على الأعمار  
لبسوا القلوب على الدروع و أشرعوا بأكفهم نارا لأهل النار  
و تقدموا و لهم على أعدائهم حنق العدا و حميه الأنصار  
فارتاع ناقوس لخلع لسانه و بكى الصليب لذله الكفار  
ثم انتنوا عنه و عن عباده و قد أصبحوا خبرا من الأخبار!

**الشيخ صالح بن الشيخ زين الدين بن إبراهيم بن صقر بن إبراهيم بن**

داغر بن رمضان بن راشد بن دهيم بن شمروخ بن صوله آل صقر المطيرفى

المتوفى سنة ١٢٤٠ شقيق الشيخ أحمد الاحسائي (مؤسس الفرقة الشيعيه).

كان من علماء عصره فقيه اصولي نحري. ولد في الأحساء و أخذ المقدمات على جملة من أهل الفضل هناك ثم هاجر إلى كربلاء و أدرك آغا باقر البهبهاني الحائري و تخرج على السيد على صاحب الرياض و رجع إلى موطنه الإحساء ثم انتقل إلى إيران في أيام رئاسه شقيقه الشيخ احمد الاحسائي صاحب الدعوه الشيعيه فسكن قزوین ثم انتقل إلى کرمانشاه و كان ينكر على أخيه طريقته أشد الإنكار، ذكره شيخنا الأستاذ آغا بزرك الطهراني في الكرام البرره و وصفه (... فاضل جليل و عالم كامل تقدم الكلام على شقيقه العلامة الشهير الشيخ احمد بن زين الدين الاحسائي.... و المترجم له كان من أهل العلم و الفضل و الصلاح و لم أقف على تاريخ وفاته) و شارك المترجم له في مجلس مناظره أخيه الشيخ احمد الاحسائي فوقف بجانب علماء المتشرعه مخالفا لأخيه و أعقب ولدا هو الشيخ على الاحسائي و كان مقيم في کرمانشاه و أسس مكتبه نفسه هناك. (١)

### الشيخ صدر الدين محمد بن أبي القاسم التنكابي.

ولد حدود ١٢١٥ و توفي قبل ١٢٨٧.

ولد في تنكابن و تعلم المقدمات و السطوح بها ثم ذهب إلى أصفهان و حضر في الفقه و الأصول على السيد محمد باقر الشفتي و ابنه السيد أسد الله و في الفلسفه على المولى على النورى ثم عاد إلى موطنه و اشتغل بالتدريس و التأليف قال عنه السيد إسماعيل التنكابي في كتاب نظره الناظرين: كان أديبا فاضلا متكلما حكيما ماهرا في الفقه و الأصول حسن الخلق بصيرا في امر الدين و الدنيا... أقول: رأيت بعض الرسائل من تأليفاته في الفقه و الأصول ألفها سنة ١٢٤٥ في تنكابن.

أنجب عدة أولاد منهم الشيخ فضل الله و الشيخ محمد المعروف بالشيخ الكبير، كانا من علماء تنكابن. (٢)

### الشيخ ملا صفر على اللاهيجاني القزويني.

المتوفى حدود سنة ١٢٧٥. مر ذكره في الصفحه ٣٨٩ من المجلد السابع.

كان من فلاسفه الشيعة في القرن الثالث عشر الهجري فقيه متبحر و اصولي محقق و حكيم متأله.

أخذ المقدمات و السطوح على علماء لاهيجان ثم هاجر إلى أصفهان فاخذ الحكمة و الفلسفه عن ملا على النورى المتوفى سنة ١٢٤٦ و الفقه و الأصول عن السيد محمد باقر الاصفهاني ثم هاجر إلى كربلاء فالتحق بحوزه السيد محمد المجاهد و حضر معه في الجهاد سنة ١٢٤٢ و عند رجوعه سكن في قزوین و تخرج في الفقه و الأصول على الشيخ محمد صالح البرغاني و شقيقه الشهيد و أجز منهما و حضر في الفلسفه و العرفان على الشيخ ملا- آغا الحكمي القزويني ثم جلس للتدريس في المدرسه الصالحيه بامر من استاذه المؤسس البرغاني و كان من فحول مدرسى الحكمة العاليه و الفلسفه الالهييه في عصره و كان من رواد مدرسه صدر المتألهين الشيرازي. له مؤلفات منها:

١ - كتاب شرح المعالم فى الأصول.

٢ - كتاب فى علم الأصول فى مجلدات عديده. - ٣ - رساله فى الدرايه.

٤ - كتاب فى الفقه من الطهارات إلى الديات فى مجلدات.

٥ - رساله فى العرفان.

٦ - حواشى على الأسفار.

و هو والد الشيخ احمد و الشيخ حسين المذكورين فى المآثر و الآثار ص ١٦٥ و أما ولده الثالث و هو الشيخ محمد حسن المتوفى سنه ١٣٤٥ عن عمر طويل فكان من العلماء فى مازندران و المعروف بالشيخ الكبير من مراجع التقليد هناك.

ذكر المترجم له المستشرق كنت دو كوينو فى كتابه (المذاهب و الفلسفه فى آسيا الوسطى) معبرا عنه بأنه من فحول الفلاسفه فى القرن الثالث عشر<sup>(٣)</sup> و ذكر المترجم له تلميذه الميرزا محمد التنكابنى فى كتابه قصص العلماء ص ٦٤ الطبعه الحجريه و ذكره أيضا شيخنا فى الكرام البرره

ص: ١٠٥

---

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الشيخ محمد السامى.

٣- انظر كنت دو كوينو مذاهب و فلسفه در آسيای مركزى الترجمه الفارسيه ص ٨٤.

## الميرزا طاهر بن فرج الله التنكابني.

ولد في ١٨ رمضان ١٢٨٠ و توفي في ١٣٦٠.

ولد في ضواحي تنكابن و نشأ بها ثم أخذ المقدمات و السطوح في مدارسها و بعد ذلك هاجر إلى طهران و انصرف إلى تحصيل الفلسفه و حضر على الآغا على المدرس الزنوزي و المولى محمد رضا القمشه إي و الميرزا أبو الحسن الجلوه و اختص بالأخير حتى برع بذلك و في نفس الوقت اشتغل بتعلم الحساب و الهندسه و العلوم الفلكيه ثم انصرف إلى التدريس و كان يدرس في مدرسه قنبر على خان و مدرسه سپه سالار - و انتخب نائبا في البرلمان الايراني عن طهران و في الحرب العالميه الأولى في سنة ١٣٣٤ ذهب إلى قم ثم إلى بروجرد و من هناك ذهب إلى العتبات المقدسه في العراق و بقي بها مده و في سنة ١٣٣٦ رجع إلى طهران و انتخب نائبا من قبل الحزب الديمقراطي.

ثم انصرف عن السياسه و اشتغل بالتدريس و التأليف إلى أن توفي في طهران و دفن بقرب قبر استاذه الميرزا أبي الحسن الجلوه. له مؤلفات في الفلسفه. (٢)

## الشيخ أبو المظفر عامر بن عامر البصري.

المتوفى بعد سنة ٧٣١ كان من العرفاء المتألهين في القرن الثامن الهجري و فحول شعراء الشيعة و من أقطاب الصوفيه ذكره العسقلاني في الدرر الكامنه ج ٣ ص ١ قال (عامر بن عامر البصري، رأيت له تصنيفا في التصوف ذكر أنه ألفه سنة ٧٣١) و قال شيخنا آغا بزرگ الطهراني في الحقائق الراهنه ص ١٠٥ (عامر بن عامر البصري العارف الصوفي ناظم قصيده "ذات الأنوار" التي نظمها في المطبوعه بتحقيق عبد القادر المغربي و هي في اثني عشر نورا، التاسع منها في صاحب الزمان و رأيت نسختها في احدى مجموعات سليمان بن عبد الله الماحوزي عليها حواش بخط سليمان. و نسخه ضمن مجموعته بياضيه عند إبراهيم الكازروني المتوفى بمدرسه قوام بالنجف ١٣٦٥...).

أقول: و عندنا نسخه مؤرخه سنة ٨٤٣ منسوخه عن نسخه خط المؤلف في خمسمائه و سته أبيات نظمها في سنة ٧٣١ هجريه في مدينه سيواس من مقاطعه ارمنستان و هي قصيده تأثيه مرتبه على اثني عشر نورا و سماها (ذات الأنوار) فيها مواضع عرفانيه من المبدأ إلى المعاد و معرفه الروح و النفس و خواصها و العقل و الهولي و في النور التاسع استنهض الامام الحجه (ع) بعد مدحه بقوله:

امام الهدى حتى متى أنت غائب فمن علينا يا أبانا باوبه

ذكره شيخنا آغا بزرگ الطهراني في الدرعيه ج ١٠ ص ١ و القسم الثاني من الجزء التاسع ص ٦٧٧ و بعض أبيات من أولها:

تجلى لي المحبوب في كل وجهه فشاهدته في كل معنى و صوره

و انى لمهد من علومى طرائفا لأتحف منها أهل ودى بتحفه

و قال فى بعض شعره أنها عراقيه بصريه عامريه أنشدها فى بلاد الغربه بسواس من ارض أرمينيه قائلًا فى تعداد أبياتها و تاريخها:

و ليست إذا عددها بطويله يمل بها الراوى و لا بقصيره

ثم انها طبعت فى دمشق سنه ١٣٦٧ هجرية و عليها تعليقات الشيخ (عبد القادر المغربى و ثبت الأستاذ عمر رضا كحاله فى معجم المؤلفين ج ٥ ص ٥٤ سنه وفاته ٦٩٦ هجرية ١٢٩٧ م و هذا تناقض مع عام التأليف و نسخه خط المؤلف و باقى النسخ الموجوده فى العراق. (٣)

### عباده بن الصامت.

أحد النقباء ليله العقبه و من أعيان البدرين و شهد المشاهد كلها مع رسول الله (ص).

روى الذهبى فى (سير اعلام النبلاء) ان عباده أنكر على معاويه شيئًا، فقال: لا اساكنك بأرض، فرحل إلى المدينه. قال له عمر: ما أقدمك؟ فأخبره بفعل معاويه، فقال له ارحل إلى مكانك، فقبح الله أرضا لست فيها و أمثالك، فلا إمره له عليك.

و كان عباده مع معاويه، فاذن يوما، فقام خطيب يمدح معاويه و يثنى عليه، فقام عباده بتراب فى يده فحشاه فى فم الخطيب، فغضب معاويه.

فقال له عباده: انك لم تكن معنا حين بايعنا رسول الله (ص) بالعقبه على السمع و الطاعه فى منشطنا و مكرهنا و مكسلنا، و أثره علينا، و ان لا ننزع الأمر اهله، و ان نقوم بالحق حيث كنا، لا نخاف فى الله لومه لائم. و

قال رسول الله إذا رأيت المداحين فاحثوا فى أفواههم التراب.

كتب معاويه إلى عثمان: ان عباده قد أفسد على الشام و أهله، فاما أن تكفه إليك و إما ان اخلى بينه و بين الشام.

فكتب اليه: أن رحل عباده حتى ترجعه إلى داره بالمدينه. فدخل على عثمان فلم يفجأ إلا به و هو معه فى الدار، فالتفت اليه، فقال: يا عباده ما لنا و لك؟ فقام عباده بين ظهرائى الناس، فقال:

سمعت رسول الله (ص) يقول: سيلي أموركم بعدى رجال يعرفونكم ما تنكرون، و ينكرون عليكم ما تعرفون، فلا طاعه لمن عصى و لا تصلوا بربكم.

قيل مات بالرملة سنه ٣٤ و هو ابن اثنتين و سبعين سنه، و قيل انه بقى حتى توفى زمن معاويه فى خلافته، و قيل ان قبره فى القدس.

### أبو سعيد عباد بن يعقوب الدواجنى الرواجنى الكوفى.



مرت ترجمته فى الصفحه ٤١٠ من المجلد التاسع [السابع]، و نزيد عليها هنا ما ذكره عنه الذهبى فى (سير اعلام النبلاء):

الشيخ العالم الصدوق، محدث الشيعة. ثم يصفه بالمبتدع. و روى آراء الرواه فيه فقال: ان الحاكم قال: كان ابن خزيمة يقول: حدثنا الثقة فى روايته، المتهم فى دينه، عباد بن يعقوب. و قال ابن عدى: فيه غلو فى التشيع، و روى عبادان عن ثقه أن عبادا كان يشتم السلف. و قال ابن عدى:

روى مناكير فى الفضائل و المثالب. و روى على بن محمد الحبيبي عن صالح جزره، قال: كان عباد يشتم عثمان رضى الله عنه، و سمعته يقول:

الله اعدل من ان يدخل طلحه و الزبير الجنة، قاتلا عليا بعد ان باعاه. و قال ابن جرير: سمعته يقول: من لم يبرأ فى صلاته كل يوم من أعداء آل محمد، حشر معهم.

و علق الذهبى على الكلام الأخير بقوله: قلت: هذا مبدأ الرفض، بل نكف و نستغفر للأمم، و ما أدرى كيف تسمحو فى الأخذ عن هذا حاله،

ص: ١٠٦

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الشيخ محمد السامى.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

و انما وثقوا بصدقه.

ثم قال الذهبي: وقع لي من عواليه في البعث لابن أبي داود. و رأيت له جزءا من كتاب (المناقب) جمع فيه أشياء ساقطه، قد أغنى الله أهل البيت عنها، و ما اعتقده يتعمد الكذب.

### الشيخ عباس بن محمد الفيض القمي.

ولد في ١٣٢٧ توفي ١٣٩٣ ولد في قم و نشأ بها و بعد أن أتم السطوح حضر بحث والده و الشيخ عبد الكريم الحائري و السيد البروجردي، له مؤلفات عديدة في التاريخ و التراجم - منها (كنجينه آثار تاريخي قم) في مجلدين كبيرين طبع في حياته.

توفي في قم و دفن في مقبره شيماك. (١)

### عباس أبو الطوس ابن مهدي.

#### إشارة

ولد في كربلاء سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣٠ م) و توفي سنة ١٩٥٨ م في كربلاء تعلم القراءة و الكتابة في كتاتيب كربلاء ثم درس كتب النحو القديمة المعروفة و مال إلى مطالعة الأدب القديم و كتب التاريخ الإسلامي و حفظ مقدارا كبيرا من نهج البلاغة و عشرات القصائد الشعرية ثم قصد النجف الأشرف فبقى فيها سنتين يتابع الدارسة في الحلقات العلمية، ثم عاد إلى كربلاء. و فيها كان ينشد قصائده في حفلاتها.

و في احداث سنة ١٩٥٢ اعتقل مع من اعتقلوا و سجن في بغداد و الكوت طيله سنة و نصف السنة.

#### شعره

ترك عده دواوين شعرية باسم (هدير الشلال) و (أغانى الشباب) و (النشيد الظافر) و هذا الأخير في آل البيت ع. و كلها لا تزال مخطوطة. فمن شعره قوله:

أحبابنا أنا هاهنا ما بين جدران السجون تهتاجنى الذكرى و تعصف فى دمي ربح الشجون

و يثير فى قلبى الهموم طلاقه الماضى الدفين أيام كان الحب يجمع شملنا فى كل حين

و ملاعب الصبوات تهدينا لذاذات السنين نقتاف آثار المباحج و اللذائذ فى حنين

أحبابنا انا هاهنا

و قوله من قصيده فى احدى المناسبات الوطنية:

ثر على الظلم ولا تخش اليراعا و املاً الدنيا نضالا و صراعا

و أمط عنك قيودا طوقت جسمك الحى و تأبى الانخلاعا

و انطلق نارا كما كنت إذا عربد الظالم خوفا و ارتياعا

هذه الأنفس لولاه لما أضحت اليوم عراه و جياعا

و حليف الكوخ لولاه لما عاش فى الأرض غريبا و مضاعا

و قوله فى أحداث سنة ١٩٥٢ و هو فى السجن من قصيده:

يا شبابا بذلوا أرواحهم فى سبيل الحق و المجد و فاء

و استماتوا مذرأوا أوطانهم تشتكى خسفا و جوعا و عراء

طلقوا الدنيا و ساروا وحده لم تخف نارا و نكصا و ارتماء

البسطولات، و ما أعظمها حينما تعتم مجدا و علاء

حينما تستامها سادره لطفاه تتبنى الاعتداء

و الرجولات، و ما أصلبها فى الملمات ثباتا.. و أداء

و الشعارات، و ما أجملها فى الميادين رفيقا و اعتلاء

و الهتافات و ما أكبرها من فم الواثب تعتل ارتقاء

و قال عند ما تاهب الجيش العراقى للذهاب إلى فلسطين سنة ١٩٤٨ من قصيده:

فلسطين تنادىكم بنفسى تكاد تهد زفرتها الجبالا

و قلب لا يزال من البلايا و من " صهيون " يلتهب اشتعالا

و تدعوكم لنصرتها فهبوا كما شاءت لنصرتها امتثالا

و لا تتطلبوا من كل رجس جوابا فى الصراع و لا سؤالا

و لا تترثوا فيما اضطلعتم به يا قوم صبورا و امتهالا

و قوله من قصيده:

تعالى، فقد عاد فصل الربيع يجد باعراسه الوافيه  
و بالعطر و النور ملء الفجاج بغدرانہ الثره الصافيه  
تعالى إلى باسقات النخيل و للحقل ضوى عليه القمر  
إلى روضه قد كساها الربيع و صيرها فتنه للبشر  
تعالى لندفن آلامنا و نحیی الهنا و الليالى الغرر  
و قوله:

يا ذكريات الحب و السمر و افاك ليل الصب فانتشرى  
و دعى الهموم تظل عالقه بسوانح الأحلام و الفكر  
و تجمعى حولى مهدهه أشواق قلب ضج من كدر  
و تدفقى كالسيل مرتظما يجتاح ما استعصى من الستر  
و تحشدى و الليل يحضننى و النجم لماح على البشر  
و طلاقه الماضى مرفرفه كرفيف حلم مشرق الصور

و قوله من قصيده فى ذكرى مولد على ع و ألقاها فى احدى الحفلات التى كانت تقام فى كربلاء فى هذه المناسبه:

ولد الوصى فىا خواطر رددى نغم الهنا فى مهرجان المولد  
و استلهمى الذكرى قوافى ترتضى بارق من روح الربيع و أبرد  
ثم اسكبى الشعر الجميل بشائرا غرا تفيض بصوتى و توددى  
شعرا كما انتفض الأريج مرفرفا فوق الجداول و الغصون الميـد  
كاس الهوى بيدى فاضت رقه و على فمى نغم المحب المنشد  
و صبا فؤادى للوصى و كيف لا يصبو المشوق إلى الحبيب الأبعد

و قوله من قصيده فى ذكرى مولد الحسين ع:

ناجاك قلب بالصبا به مفعم و فم بغير ولاك لا يترنم

و هفا لمولدك المخلد شاعر من فيض حبك يستمد و ينظم

و من اخرى فى نفس المناسبه:

لك فى صراع البغى يوم أكبر ما زال يرويه النجيع الأحمر

يزهو على هام الزمان و ينجلي من نوره ظلم الحياه و تدحر

و تعيده الأيام لحننا نائرا ينساب فى سمع الزمان و يهدر

و قوله من قصيده جعل عنوانها الداء:

أ أظل ابحت عن أمان بعثرتها النائبات و سعاده سحقت لطافتها الليالى الغامضات

ص: ١٠٧

---

١- الشيخ محمد السامى.

و ملاعب عصف الفناء بها و كنفها الممات لم تبق غير الذكريات و هل تفيد الذكريات

كم ليله قد بت منطويا على نفسى السجينه أشكو همومى للنجوم و حر آلامى الدفينه

و أصب فى سمع الزمان ارق انغامى الحزينه و أحن وجدا كلما خطر النسيم على المدينه

## الشاه عباس الكبير الصفوى.

### اشاره

( - ١٠٣٨ هجرية) كانت ولاده الشاه عباس الكبير فى مدينه هرات فى غره شهر رمضان من سنه ٩٧٨ هجرية عند ما كان والده محمد خدابنده واليا على هرات من قبل الشاه طهماسب، و لما جلس على العرش فى مدينه قزوین خلفا لوالده كان عمره لم يتجاوز الثمانيه عشر عاما. و بالرغم من ان عباس ميرزا و بتحريض من المرشد قلى خان استاجلو و على قلى خان شاملو ادعى الملكيه فى خراسان حوالى عام ٩٨٢ هجرية الا انه و بعد المصالحه مع حمزه ميرزا فى هرات انصرف عن هذا الادعاء مؤقتا إلى ان قتل حمزه ميرزا، و عاد عباس ميرزا إلى قزوین و جلس على العرش الصفوى ان الاضطرابات التى وقعت فى نهايه عصر السلطان محمد خدابنده فى جميع أنحاء ايران و خاصه فى الجانيين الشرقى و الغربى من البلاد دفعت الجارين العدوين لايران اللذين كانا يضمران عداوه مذهبيه للصفويين و هما الازبک و العثمانيون - دفعتهما للعدوان على ايران بحيث واجه الشاه عباس فى بدايه جلوسه على العرش مشاكل كبيره من هذين العدوين.

### القضاء على الازبک

عند ما توجه الشاه عباس من هرات إلى قزوین، قام ملك الازبکعبد الله خان الثانى (٩٩١ - ١٠٠٦ هجرية) و هو من أشهر خوانين الازبک و من الملوک الفاتحين فى هذه الطائفه، قام بالهجوم على هرات و بعد سته أشهر قتل حاكمها من القزلباش و استولى على المدينه. و لما كان الشاه عباس يواجه العثمانيين فقد اضطر لمصالحه أحد العدوين و محاربه العدو الآخر و على هذا فقد تصالح مع العثمانيين و بعث بحيدر ميرزا و هو ابن أخيه حمزه ميرزا إلى السلطان العثمانى و قرر تسليم تبريز و شروان و كرجستان و لرستان يعنى القسم الأ-كبر من غرب و شمال غرب إيران إلى السلطان العثمانى و توجه هو إلى مدينه (مشهد) للقضاء على عبد المؤمن خان بن عبد الله خان الذى كان يحاصر (مشهد).

و لكنه مرض فى طهران و استمر هذا المرض زهاء خمسين يوما استولى خلالها عبد المؤمن خان على مدينه مشهد و قتل عددا كبيرا من أهالى المدينه و نهب الأشياء الثمينه فى الروضه الرضويه بما فى ذلك مكتبتها الثمينه ثم استولى على مدينتى نيشابور و دامغان و عين حکاما فى كل مكان.

و لما تحسنت صحه الشاه عباس، انسحب عبد المؤمن خان من خراسان و بدأ الشاه عباس بتأديب المتمردين الداخلين الذين كانوا قد استغلوا فرصه مرضه، و استولى على يزد و کرمان و كيلان و قضى فتره من الزمن فى أصفهان و قراباغ للاستجمام و تدبير الأمور الداخليه و لم يبادر حتى سنه ١٠٠٦ ه للقيام باى تحرك للقضاء على الازبک الذين كانوا يسيطون دائما على بلاد خراسان و العراق العجمى و ينهبونهما و يعودون إلى ترکستان و كانت أوقات الشاه عباس تصرف للاستيلاء على بعض الولايات

الإيرانية التي لم تكن قد خضعت له بصورة كامله كلرستان التي كانت حتى ذلك التاريخ في أيدي أتابك اللر الصغار و ولايتي رستمدار و كجور اللتين كانتا خاضعتين للأمرء المحليين. و في أواخر سنه ١٠٠٥ هجرية توجه الشاه عباس إلى (مشهد) و في السادس من المحرم سنه ١٠٠٦ تغلب على ابن أخت عبد الله خان في هرات و هزم الازبيك هزيمه نكراء بحيث دفع شرهم من تلك الحدود لفترة طويله من الزمن خاصه و أن عبد الله خان كان قد توفي حين ذاك و ان ابنه عبد المؤمن خان قتل على ايدي أمراءه بعد سته أشهر من وفاه أبيه.

## فتح لار و البحرين في سنه ١٠٠٩

كان الشاه عباس قد سلم حكمه فارس في سنه ١٠٠٣ إلى الله وردى خان زرگرباشى و كانت ولايه لار آنذاك بايدي مجموعته من الخوانين المحليين الذين كانوا يدعون ان نسبهم ينتهى إلى كركين ببلاد بطل الشاهنامه المعروف و كانت موانئ تلك الولايات مثل ميناب و جرون (محل بندر عباس حاليا) تحت امره أمراء هرمرز اسما و لكنها كانت تحت سلطه حكام هند البرتغال.

و كان البرتغاليون قد استولوا على جزيره هرمرز في سنه ٩١٢ هجرية و اخضعوا أمراء هذه الجزيره الذين كانوا يدفعون الجزية إلى ملوك ايران، كما استولوا على عمان و مسقط و بقيه جزر الخليج. و في سنه ٩٢٠ ه أرسل الشاه إسماعيل مبعوثا إلى آلبوكرک حاكم هند البرتغال المحاوله إيقاف تقدم البرتغاليين سلما، و في الوقت نفسه كان الملك الصفوى يضغط على أمير هرمرز ليجلبه إلى صفه و يسلم له فتم له ذلك، مما أثار حفيظه آلبوكرک فتوجه إلى هرمرز لتأديب أميرها. و لما كان البرتغاليون أسياد البحر باساطيلهم، و كان الشاه لا يملك قوه بحريه، لذلك كان عاجزا عن صدهم بحرا و مضطرا للتغاضى عن بعض تصرفاتهم فى الخليج مما فسره أعداء الشاه و أصحاب الأغراض النهليه تحالفا مع البرتغاليين. و نحن نسأل هؤلاء: هل كان السلطان سليم يحارب البرتغاليين فى ذلك الوقت ليقال ان الشاه إسماعيل تحالف مع البرتغاليين عليه، أم كان مشغولا بمحاربه المسلمين و مهاجما للصفويين فى عقر دارهم، تاركا البرتغاليين يسرحون و يمرحون، و يهاجمون المسلمين فى بلادهم و يذلون أهلها.

و لو أن الشاه إسماعيل المعتدى عليه تحالف مع البرتغاليين و غير البرتغاليين لصد هجوم السلطان سليم على بلاده لكان تحالفه مشروعا، و مع ذلك لم يفعل، و كانت المدفعيه هى أهم ما ينقصه فى معركة جالديران، و بسبب فقدانها هزم جيشه، فلو كان متحالفا مع البرتغاليين لأمدوه بها على الأقل.

و اننا نسأل مدعى التحالف، هل التحالف هو مجرد كلام، أم هو شىء عملى يمد به الحليف حليفه بالجيش لتقاتل معه عدوه، فأين هى الجيوش البرتغاليه التى قاتلت العثمانيين مع الصفويين، و أين هى الجيوش الصفويه التى قاتلتهم مع البرتغاليين؟! بل اننا نسأل هل كانت هناك أصلا حرب بين العثمانيين و البرتغاليين، و هل كان السلطان سليم فى وارد مقاتلتهم، أم انه تركهم يقتحمون البلاد العربيه بلدا بعد بلد دون أن يحاول التصدى لهم.

و على اى شىء يحالف الشاه إسماعيل البرتغاليين، ما دام السلطان سليم مسالما لهم معرضا عن قتالهم، تاركا لهم يعيشون فى البحر الأحمر و فى الخليج اى عيث.

لقد حاول الشاه إسماعيل صدهم فلم يقو على ذلك لافتقاده القوه البحريه فاحتلوا هرمرز و استولوا سنه ٩٢٦ ه على ساحل الإحساء و الجزر المجاوره للبحرين لقد كان الشاه إسماعيل فى أخرج مواقفه، فهناك ثوره





بلوچستان ، و هناك السلطان سليم المتقدم لمهاجمه بلاده. و هناك البرتغاليون و فى سنة ١٠٠٩ قضى الله وردى خان على خوانين لآمر الذين كانوا يقفون سدا امام اهالى فارس للاتصال بسواحل الخليج من الناحيه الجنوبيه الشرقيه و كانوا يساعدون البرتغاليين. ثم أرسل جيشا لاحتلال البحرين لأنها كانت دائما خاضعه لفارس فهجم البرتغاليون على البحرين و لكن الله وردى خان من أجل ان يخفف من ضغط البرتغاليين على البحرين هاجم ميناء جرون و بهذا التدبير تمكن أن يمنع البرتغاليين ثانيه من السيطرة ثانيه على البحرين و استولى الصفويون على هذا المكان الذى كان أول مكان يحرره الصفويون من الهيمنه البرتغاليه بعد قرن واحد.

## الحرب مع العثمانيين

فى سنة ١٠١١ هجرية استدعى الشاه عباس جيوشه من كل مكان و ادعى انه يعترم السفر إلى شیراز ثم توجه من أصفهان إلى قزوین فى طريقه إلى مازندران و هنا علم مرافقوه ان الملك يعترم الهجوم على آذربايجان و تحرير الولايات الشماليه الغربيه و الغربيه من ايران التى كان قد سلمها فى بدايه حكومته إلى العثمانيين اضطرارا. ففى البدايه هاجم الشاه عباس بجيوشه المستعده مدينه تبريز و فتحها فى الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ١٠١١ و من هناك هاجم ايروان و فى نفس الوقت أمر الله وردى خان ان يهاجم بغداد عن طريق خوزستان. فتوجه الله وردى خان إلى بغداد و حاصرها الا انه استدعى إلى ايروان بامر من الملك قبل ان يفتح بغداد و تمكن الشاه عباس من فتح ايروان فى بدايه سنة ١٠١٣ ابدى قائد الجيوش العثمانيه فى بغداد اوزون احمد جرأه - بعد أن توجه الله وردى خان من بغداد - فتقدم احمد إلى مدينه همذان الا ان القاده الايرانيين اعتقلوه هناك، أما الشاه عباس فقد أرسل الله وردى خان لفتح مدينه (وان) للقضاء على بقيه جيوش الأتراك و أرسل قائدا آخر إلى قارص و قد تمكن الاثنان من محاصره هاتين المدينتين. فأرسل السلطان العثماني قائده المعروف ( جفال اوغلى) مع جيش كبير لتحرير المدينتين: و ان و قارص الا- ان الشاه عباس الذى كان فى مدينه تبريز توجه إلى هناك ليمنع جفال اوغلى و لم يكن معه من الجيش سوى ٦٢٠٠٠ رجل بينما كان أفراد جفال اوغلى يزيدون عن مائه ألف.

فدبر الشاه عباس حيله فى هذه الحرب حيث قسم جيوشه إلى قسمين.

ففى البدايه أمر قسما من جيشه بالهجوم بقوه على جيش جفال اوغلى، فتصور الأتراك أن هؤلاء يشكلون القسم الأ-كبر من الجيش الا-يراني، لهذا جمعوا القسم الأ-كبر من جيوشهم لمحاربه الجيش الا-يراني و لما اشتد القتال بين الجانبين، قام القسم الأ-عظم من جيش الشاه عباس و الذى كان ينتظر مثل هذه الفرصه بالهجوم على الأتراك و قتلوا فى هذه المعركه ما يقارب العشرين ألفا من العثمانيين و انهزم جفال اوغلى. و بعد فتره قصيره مات هما و كان هذا الفتح الكبير فى الرابع و العشرين من جمادى الثانيه سنة ١٠١٣ هجرية و فى السنه التاليه استولى الشاه عباس على كنجه و تفليس و باكو و دربند و شروان و شماخى و ديار بكر و الموصل. و عاد إلى قزوین فى بدايه سنة ١٠١٥ و كان قد استعاد من العثمانيين جميع الولايات التى كانوا قد سيطروا عليها و حقق فوزا كبيرا و عظمه باهره.

فى سنة ١٠١٧ أرسل السلطان العثماني احمد خان وزيره الأعظم مراد باشا مع جيش آخر لمحاربه ايران و تمكن مراد باشا من السيطرة على تبريز بسهولة و لكنه تكبد هزيمة كبرى فى هذه المدينه و هرب إلى الأراضى العثمانيه و أخيرا فى سنة ١٠٢٠ هـ تصالح البلدان ايران و العثمانيون و اعترفت الحكومه العثمانيه رسميا بسلطه ايران على الولايات الايرانيه السابقه كما وافق الشاه

عباس على أن يرسل فى كل سنه مائتى حمل من الحرير الخام إلى اسطنبول.

و فى سنه ١٠٢١ هـ وصلت أنباء إلى الشاه عباس تقول ان طهمورث خان الكرجى و عدد من رجاله المسيحيين هاجموا حاكم قراباغ و قتلوه، فتوجه الشاه عباس من أصفهان إلى كرجستان و وصلها فى نهايه هذه السنه فهرب طهمورث و كلما أراد الشاه عباس ان يكسبه اليه لم يتمكن بل ان طهمورث لجأ إلى السلطان العثمانى ففضى هذا اللجوء على السلام الذى كان قائما بين ايران و العثمانيين.

و فى بدايه سنه ١٠٢٤ لما سمع الشاه عباس ان طهمورث عاد ثانيه إلى كرجستان و هزم حاكم الشاه عليها، توجه إلى كرجستان فجرت مقتله ذهب ضحيتها الألوف من اهالى كرجستان كما أسر مائه و ثلاثون ألفا منهم. ثم توجه الشاه إلى تفليس فى الخامس عشر من جمادى الثانيه و من هناك توجه إلى بحيره كوكجه للقضاء على محمد باشا قائد السلطان احمد خان الذى كان فى الوقت نفسه صدرا أعظم، إذ كان قادما لمساعدته طهمورث و تمكن محمد باشا من محاصره ايروان و لكن جيوش الشاه عباس حاصرته و بعد أن قتل الجيش الايرانى اربعة آلاف من جنود محمد باشا، تصالح هذا مع ملك ايران و وعد ان يسعى للمصالحه بين الدولتين حال وصوله إلى اسطنبول.

و فى سنه ١٠٢٧ توفي السلطان احمد خان و جاء بعده مصطفى خان الأول الا ان هذا السلطان عزل بعد سنه واحده و جاء بعده عثمان خان الثانى. فأرسل السلطان الجديد الصدر الأعظم خليل باشا مع جيش كبير إلى تبريز مؤلف من ٦٠,٠٠٠ مقاتل و لكن قرجغاي خان قائد قوات الشاه عباس هزم الجيش العثمانى على مسافه ثلاثه فراسخ من كدوك شبلى و كان ذلك فى سنه ١٠٢٧ هـ و أخذ قرجغاي خان الأسرى العثمانيين و جاء بهم إلى قزوین عند الشاه عباس، فعينه الملك حاكما على آذربايجان.

و بعد هزيمه خليل باشا، وقع الجانبان فى سنه ١٠٢٨ هـ معاهده سلام بينهما و تقرر ان تكون الحدود بين البلدين هى الحدود التى كانت فى عهد الشاه طهماسب و ان ملك ايران يرسل كل عام مائه حمل من الحرير الخام إلى السلطان العثمانى.

و كانت آخر حروب الشاه عباس مع العثمانيين فى الفتره من سنه ١٠٣٢ إلى سنه ١٠٣٤ هـ و كانت من أجل الاستيلاء على بغداد.

ففى سنه ١٠٣٢ توجه الشاه عباس مع جيشه إلى العراق و فتحه فى الحادى و العشرين من ربيع الأول ثم استولى على العتبات المقدسه و ذهب بنفسه لزيارتها و أمر بتعمير تلك البقاع المباركه.

و فى بدايه سنه ١٠٣٣ هـ توجه حافظ احمد باشا بامر من السلطان مراد خان الرابع إلى بغداد لاستعادتها و حاصر المدينه فى التاسع من شهر صفر، فأرسل الشاه عباس قائده زينل بيك شاملو إلى بغداد و تمكن زينل بيك من ان يغلب حافظ احمد باشا و انهى الحصار المفروض على بغداد بعد سبعة أشهر و جاء الشاه عباس بنفسه إلى بغداد فى سنه ١٠٣٤ هـ و وقعت عدّه معارك بينه و بين جيش حافظ احمد باشا حيث هزم هزيمه نكراء و منذ ذلك الحين و حتى نهايه حكمه الشاه عباس لم تقع ايه حرب مهمه بين ايران و العثمانيين غير أن اعتداءات حكام الحدود العثمانيين على كرجستان و ارمينيا كانت قائمه.

**الاستيلاء على قشم و هرمز فى سنه ١٠٣١ هـ**

بعد ان فتحت القوات الإيرانيه جزيره البحرين و حاصرت ميناء جرون

ص: ١٠٩

أرسل ملك اسبانيا فيليب الثالث و كان ملكا على البرتغال آنذاك سفيرا إلى الشاه عباس مع هدايا و تحف كثيره و طلب منه أن يعيد البحرين إلى أفراد شركه هند البرتغال و يفك الحصار عن ميناء جرون. فاستقبل الشاه عباس في سنة ١٠١١ هـ في مدينه مشهد مبعوث الملك فيليب فكانت مطالب المبعوث ان يفك الحصار عن ميناء جرون و ان يسلم الايرانيون جزيره البحرين إلى البرتغاليين و لكن الشاه عباس راوغهم فلم يحصل شيء من ذلك.

و في سنة ١٠١٧ هـ أرسل فيليب الثالث سفيره السابق إلى ايران مره ثانيه و شكى إلى الشاه عباس من رفض استرداد البرتغاليين للبحرين فأرسل الشاه عباس ممثلا عنه مع السفير الإسباني إلى ملك اسبانيا و لكنه تجاهل في رسالته إلى الملك الإسباني ذكر جزيره البحرين فلم يتحدث عنها بشيء.

و منذ سنة ١٠٠٩ حين احتلت ايران جزيره البحرين، كان البرتغاليون يسعون باستمرار لاستعادة هذه الجزيره الا ان القائد الايراني الله وردى خان أدرك ذلك فكان يتعرض لميناء جرون و القلاع و الموانئ الأخرى القريبه من هرمز ليشغل بذلك بال البرتغاليين. و من أجل ان تكون له قلعه حصينه بالقرب من قلعه جرون الحصينه بادر بإنشاء قلعه جديده بالقرب من جرون أسماها القلعه العباسيه.

و في سنة ١٠٢١ هـ أرسل الله وردى خان ابنه امام قلى خان للاستيلاء على جرون و لكنه لم يحقق انتصارا في ذلك الأمر و في نفس السنه توفي الله وردى خان و خلف امام قلى خان أباه على حكمه فارس. و في سنة ١٠٢٣ استولى امام قلى خان على ميناء جرون و هدم القلعه البرتغاليه هناك و أنشأ مكانها و بالقرب من القلعه العباسيه ميناء جديدا اسماه ميناء عباس (بندر عباس حاليا).

في سنة ١٠١٧ توجه سفير فيليب الثالث (انطونيو دي كوفيا)<sup>(١)</sup> مع (دنكيزييك روملو) سفير الشاه عباس إلى أوروبا في رحله استطلاعيه، ربما كان القصد منها تسليح الجيش الايراني، و يبدو ان سفير الشاه مع سفير فيليب تجاوز ما كان معهودا به اليه فلما عاد الاثنان إلى ايرانسنه ١٠٢١ هـ، كانت معامله الشاه عباس لدى كوفيا معامله قاسيه كما أمر بقتل دنكيزييك و قرر قطع ايدي البرتغاليين في الجزر و السواحل في الخليج حيث جاء هجوم امام قلى خان على جرون بعد هذا القرار.

و في بدايه سنة ١٠٢٣ أرسل فيليب الثالث سفيرا جديدا إلى ايران و وعد ايران بمساعدتها في هجومها على العثمانيين و طلب من الشاه عباس استعادة البحرين و جرون. و لكن الشاه عباس رفض ذلك رفضا باتا، و رد على فيليب بان جرون جزء من ارض ايران و ان جيشه مسيطر على البحرين فلا يتخلى عنها و كان الشاه عباس آنذاك في مفاوضات تجاريه مع مندوبين عن الشركه التجاريه الإنكليزيه في الهند و كان على ثقه من وعود الشركه في مساعدته في المجال البحري، فلم يهتم بسفير فيليب الثالث و عاد السفير صفر اليدين و كان هذا الأمر بمثابة قطع العلاقات بين الفريقين.

و تمكنت سفن الشركه الهنديه الشرقيه الإنكليزيه سنة ١٠٣٠ هجريه من إنزال هزيمه نكراء بالبرتغاليين في ميناء جاسك و كان هذا الحادث وهنا كبيرا للاسطول البحري البرتغالي في الخليج.

و في هذه الأيام دخل امام قلى خان بامر من الشاه عباس في المفاوضات مع ممثلي الشركه الإنكليزيه للحصول منهم على بعض

السفن لمهاجمه البرتغاليين في جزيرتي قشم و هرموز [هرمز]. و طوال سنه ظل ممثلو الشركه يرفضون قبول هذا الطلب لأنهم من جهه كانوا يخافون من مواجهه البرتغاليين في هرموز هرمز و من جهه ثانيه لما كانت العلاقات وديه بين فيليب الثالث و ملك انكلترا فان ممثلي الشركه لم يكونوا يرغبون في القيام باى شىء دون إذن من البلاط الانكليزى. و أخيرا هدد امام قلى خان الشركه بمصادره ممتلكاتها في سواحل الخليج في حاله عدم استجابته طلبه. و فى النهايه عقد ممثلو الشركه مع إمام قلى خان معاهده في ميناب تقرر بموجبها ان يهاجم الايرانيون قشم و هرموز [هرمز] من البر و يهاجمها الإنكليز من البحر و أن يتقاسما الغنائم بعد الفتح و ان يدفع الطرفان نفقات السفن و الأسلحة الناريه بالمنصفه و أن الأسرى المسلمين يسلمون إلى ايران و الأسرى المسيحيين يسلمون إلى الإنكليز عدا حاكم هرموز البرتغالى الذى يجب تسليمه إلى ايران، و أن تقسم موارد جمر ك هرموز بين الجانبين و أن البضائع التى يستوردها الإنكليز للشاه و لحاكم فارس تكون معفوّه من دفع الضريبه الجمر كيه.

و بعد التوقيع على هذه الاتفاقية بدأ امام [قلى] خان بالهجوم على قشم و بعد الاستيلاء عليها منع إيصال المياه العذبه إلى البرتغاليين في هرموز ثم حرض حاكم عمان على البرتغاليين.

بعد الاستيلاء على قشم و فتحها قامت القوات الإيرانيه الإنكليزيه المتحده بمحاصره قلعه هرمز في ٢٧ ربيع الثانى سنه ١٠٣١ هـ و استولت قوات الجانبين عليها في العاشر من جمادى الآخره و بعد فتح هرمز فقد البرتغاليون أكبر و أضخم قاعده لهم في الخليج كانوا قد سيطروا عليها أكثر من قرن كما اضمحلت سلالة أمراء هرمز القديمه و هم الذين كانوا يحكمون منذ قرون هرموز القديمه (ميناب حاليا) و هرموز الجديده (جزيره هرموز حاليا) و على سواحل موغستان و عمان، و كانوا فتره تحت امره ملوك ايران و تاره اخرى تحت امره ملوك اسبانيا و البرتغال. و كان ذلك في سنه ١٠٣١ هجرية.

بعد فتح قشم و هرمز، قرر القائد الايرانى الصفوى امام قلى خان ان يطرد البرتغاليين من عمان و مسقط و يريح المسلمين هناك من اعتداءات البرتغاليين الوحشيه القاسيه و لهذا دخل في المفاوضات مع ممثلى شركه الهند الشرقيه للحصول على المساعدات الإنكليزيه، الا ان الإنكليز لما كانوا لم يستفيدوا من فتح هرموز شيئا و كانوا يريدون تعويض الخسائر التى لحقت بهم اقترحوا على امام قلى خان منحهم جزيره هرموز و نصف الموارد الجمر كيه و أن يحق لهم ان تكون لهم اربع سفن حربيه في الخليج. الا ان امام قلى خان رفض هذا الطلب لانه لم يكن يريد أن تقع هرموز مره أخرى بايدى المستعمرين و أن خطه الاستيلاء على مسقط و عمان بالرغم من التمهيدات التى أعدها امام قلى خان توقفت بسبب ضعف القوه البحريه الإيرانيه. و من جانب آخر حاول البرتغاليون كثيرا استعادة هرمز الا انهم فشلوا في ذلك فاضطروا لأن يتصالحو مع الشاه عباس في سنه ١٠٣٤ و أن يتركوا جميع ممتلكاتهم للايرانيين. و لما كان الشاه عباس لا يرغب أن يفقد صداقه ملك اسبانيا و البرتغاليين نهائيا ليتمكن من أن يستفيد منهم في حاله خصامه مع الإنكليز، فقد سمح للبرتغاليين بصيد اللؤلؤ في البحرين و أن يقيموا لأنفسهم قلعه و دارا للتجاره في ميناء كرك شمال شرقى ميناء كركه.

## وفاه الشاه عباس

في السنه الأخيره من حكمه أمر الشاه عباس امام قلى خان حاكم فارس ان يهجم هو و أمراء خوزستان على البصره و أن يستولوا على هذا الميناء عبر نهر دجله و عربستان. و توجه الشاه عباس بنفسه إلى مازندران، و لكن مرض الشاه ازداد في مازندران و توفي في مدينه أشرف (بهشهر حاليا) في ليله الرابع و العشرين من جمادى الأولى سنه ١٠٣٨ هـ و كان آنذاك يبلغ من العمر ٥٩

سنة و ثمانية أشهر و ٢٣ يوما و نقل جثمانه إلى كاشان ثم إلى مدينة قم حيث دفن فيها.

ص: ١١٠

---

AntonisdeGouveA -١

و لما بلغ خبر وفاه الشاه عباس إلى امام قلى خان الذى كان يحاصر مدينه البصره ترك الحصار و عاد إلى أصفهان ليحظى بحضور الملك الجديد.

الشاه عباس الكبير هو لا شك أكبر ملوك ايران بعد الإسلام بسبب الأعمال العظيمة التى قام بها و الفتوحات التى حققها و الآثار الخيره التى تركها و قد حكم إيران منذ ادعائه الحكم فى خراسان ٤٩ سنة و بعد عزل والده ٤٣ سنة. و ربما لا نجد من الملوك من هو فى الصيت و الشهرة بين عامه أبناء الشعب مثل الشاه عباس. ان الحكايات و الأساطير التى يتناقلها الناس خير دليل على ذلك و ان لقب الكبير الذى منحه الأوروبيون له لم يكن عبثا.

لقد صدرت عن الشاه عباس فى حياته بعض الأعمال التى تؤكد قسوته و عصبيته و على سبيل المثال قتله لابنه الأكبر صفى ميرزا فى سنة ١٠٢٢ هـ لتصوره بأنه سيثور عليه ثم هناك المجزرة التى ارتكبها فى كرجستان و قتله لأصحابه ممن يتهمهم بأقل ذنب، و لكن رغم كل هذا فان الشاه عباس بغلبته على أعداء ايران القدامى و حصوله على الانتصارات الباهره فى فتوحاته، سعى أكثر من أى ملك آخر لرفاهيه العباد و أعمار البلاد و إنشاء الطرق و بناء الأبنية و ما زالت آثاره الكثيره باقيه تذكر به فى جميع ارجاء ايران.

لقد نقل الشاه عباس حوالى سنة ١٠٠٠ هـ عاصمه حكومه الصفويين من قزوین إلى أصفهان و عادت هذه المدينه إلى ازدهارها و عظمتها بعد أن كانت منسيه منذ عهد السلاجقه و أمر الشاه رجاله ببناء القصور و المساجد و إنشاء الطرق و البساتين. و فى سنة ١٠١١ أمر ببناء جهار يازار و ميدان نقش جهان و فى سنة ١٠١٩ بادر بإنشاء مسجد الشاه و بنى عماره على قاپو لاقامته الشخصيه كما أوجد البساتين الكثيره على جانبى نهر زاینده رود و بنى القصور الأخرى و عدا أصفهان فقد بنى الشاه عباس قصورا كثيره فى مختلف أنحاء ايران و خاصه فى مازندران التى كان يذهب إليها دائما للراحه و الصيد ففى سنة ١٠٢٠ هـ أمر بإنشاء ميناء فرح آباد و فى سنة ١٠٢١ أمر ببناء مدينه أشرف.

و فى سنة ١٠٣١ أمر بإنشاء الطريق الحجرى فى مازندران و طوله ٤٥ فرسخا من فرح آباد إلى خوارى. كما أنشأ طريقا أخرى فى هذه الولايه من جاجرم فى خراسان إلى دشت مغان. و فى العراق، أمر بإنشاء نهر النجف و مقابر الأئمه و فى سنة ١٠١٧ وقف جميع ممتلكاته الخاصه على الأربعة عشر معصوما كما أمر بتوزيع مواردها على الساده.

و فى سنة ١٠٢٨ طلب من امام [قلى] خان ان يحفر قسما من جبال زردكوه فى بختيارى التى ينبع منها نهر كارون و زاینده رود و التى كان الشاه طهماسب أمر بحفرها، لتوزيع قسم من مياه كارون على أصفهان، و قد باشر امام خان بذلك و لكنه لم يتمكن من إتمامه بسبب صعوبه العمل.

و قد أمر الشاه عباس بإنشاء الخانات الكثيره فى مختلف الطرق فى ايران حيث كان معروفا بالسياحه و الاستجمام و كان يذهب فى كل عام لزياره مدينه مشهد كما كان يذهب عاده إلى أردبيل لزياره مقبره جده الشيخ صفى الدين و يقول عامه الناس ان الشاه عباس الكبير أنشأ ٩٩٩ خانا و هذا العدد يدل على كثره الخانات التى أنشأها.

و فى سنة ١٠٠٩ ذهب الشاه عباس لزياره مشهد مشيا على الأقدام و امر بتعيين المسافه بين أصفهان و مشهد عن طريق الصحراء و

بلغت هذه المسافه ١٩٩ فرسخا.

و فى سنه ١٠١٧ لما ذهب الشاه عباس إلى مدينه مراغه و شاهد هناك الآثار الباقية من مرصد هولوكو قرر تعمير ذلك المرصد و لهذا أرسل كلا من الشيخ محمد بهاء الدين العاملى و الملا جلال المنجم و على رضا الكاتب إلى مراغه لاعداد المخططات اللازمه و عرض هؤلاء خريطه اعاده بناء المرصد على الشاه عباس و لكن لا يعرف لما ذا أهمل هذا المشروع.

## الشاه عباس و ادارته للبلاد

بذل الشاه عباس ما فى طاقته لاعمار البلاد و إصلاح شئون التجاره و الجيش و الزراعه و استخدم لهذا الأمر الخبراء الأجانب.

فى سنه ١٠٠٦ و عند ما كان الشاه عباس فى خراسان للقضاء على الأزيك جاءت بعثه انكليزيه مؤلفه من ثمانيه و عشرين رجلا بينهم خير عسكرى اسمه انطونى شرلى(١) و معه أخوه روبرت(٢) و كان هدف البعثه الحصول على امتيازات تجاريه. و من المؤكد انه كان لها غايات سياسيه، فقدمت للشاه الهدايا و التحف و استقبلها هو بحفاوه فى مدينه قزوین ثم اصطحبها معه إلى أصفهان.

و فى أصفهان علم الشاه و قائده قواته (الله وردى خان) بان فى الوفد رجالا يعرفون مختلف الفنون العسكريه و كيفيه صناعه المدافع، لهذا قرر الشاه و القائد أعداد جيش نظامى جديد على مثال الجيوش الأوروبيه و الاستعانه بالعسكريين الإنكليز.

و كان الجيش الصفوى يتالف آنذاك من مجموعه من الخياله من عشائر قزلباش و كانت هذه العشائر تطيع رؤساءها أكثر من اطاعتها للملك و كانوا يعملون حسب رغبتهم فى عزل و نصب الملك و الشاه عباس نفسه ثار بمساعدته هؤلاء على والده و تسلم السلطه.

و كان فى ذهن الشاه أعداد جيش مطيع لأمره مباشره، فبادر فى البدايه إلى تقليل عدد الخياله من القزلباش إلى ٣٠,٠٠٠. ثم بمساعدته الأخوين (شرلى) أعد خياله عسكريه مؤلفه من ١٠,٠٠٠ شخص و فريقا من المشاه مؤلفا من ٢٠,٠٠٠ كلهم مدربون و كانوا يقبضون الرواتب من الحكومه كما جهزهم بمدفعيه فاعله، و سلم قيادتهم إلى الله وردى خان.

و من أجل أن يحافظ على حياته من الأخطار المحتمله التى قد تنجم من القزلباش فقد شكل عشيره جديده من مختلف الطوائف أسماها (شاهسون) أى أنصار الشاه أو المحيين للشاه و كانت مهمه هذه العشيره صيانه حياه الملك و قد دخل هؤلاء ضمن جيوش الملك.

و فى أواخر سنه ١٠٠٧ هجرية كان الشاه قد حقق تشكيل جيش حديث، ثم أرسل انطونى شرلى يرافقه حسين على بيك بيات إلى البلاطات الأوروبيه لعقد اتفاقيات معها لبيع الحرير الايرانى الذى كان آنذاك من البضائع الثمينه و حصل خلاف فى الطريق إلى أوروبا بين شرلى و حسين على بيك و انفصل شرلى عنه و ذهب إلى اسبانيا لدى فيليب الثالث و لم يرجع إلى ايران. و بعد رحله طويله وصل حسين على بيك إلى البلاط الاسبانى و بعد ما يقارب الأربع سنوات عاد إلى ايران على ظهر السفينه التى خصصها له فيليب ملك اسبانيا. و فى هذا التاريخ بعث الملك الإسبانى سفيره ديكوفا إلى ايران، كما ذكرنا من قبل، و كان من



الأمر ما أشرنا اليه فيما تقدم.

و عاد ديكوفا إلى ايران فى سنه ١٠١٧ ثم رجع إلى اسبانيا يرافقه زنكير بيك سفيرا لايران فى البلاط الاسبانى و عاد زنكير بيك إلى ايران فى سنه ١٠٢١ و كما ذكرنا سابقا ان هذه السفارات لم تسفر عن أى نتيجته حيث ان الشاه عباس لم يوافق على ان يستعيد البرتغاليون البحرين، ففترت العلاقات ثم أدى هجوم الجيش الايرانى على هرمز إلى قطع المحادثات

ص: ١١١

---

١- AntouY(+ )Sherluy

٢- RoberT(+ )Sherluy

و قطع ايدى البرتغاليين اتباع فيليب الثالث عن جزر الخليج و سواحله.

و فى سنه ١٠١٦ لما لم يعد انطونى شرلى من أوروبا إلى ايران و لم تنجح مهمه حسين على بيك بيات فقد أرسل الشاه عباس، روبرت شرلى الذى ابرز كفاءه عاليه سفيرا عنه إلى أوروبا و فى سنه ١٠٢٠ حظى روبرت شرلى بمقابله ملك انكلترا و لكن المفاوضات التجاربه التى أجراها مع الملك الانكليزى باسم الشاه عباس لم تؤد إلى نتيجته لعوامل عديده أهمها تصادم المصالح الدوليه المتناقضه.

و أخيرا، و بعد الكثير من المتاعب عاد روبرت شرلى إلى أصفهان فى سنه ١٠٢٤.

و خلال هذه المده أرسلت شركه الهند الشرقيه الإنكليزيه سفيرا عنها إلى ايران ليحصل من ملك ايران على ترخيص لبيع كميات من البضائع الإنكليزيه كانت الشركه قد أرسلتها إلى الهند و لم ترج هناك و كانت لها أسواق فى ايران. و تمكن السفير المذكور ان يحصل على هذا الترخيص بالرغم من معارضة روبرت شرلى لذلك، فخصص الشاه عباس ميناء جاسك لاقامه التجار الإنكليز و ان تكون سوقا لبضائع الشركه و بهذا فتح الشاه عباس المجال امام منافس قوى للتجار البرتغاليين فى الخليج.

و عاد روبرت شرلى فى سنه ١٠٢٤ مره اخرى سفيرا من بلاط فيليب الثالث كما أن فيليب أرسل بدوره سفيرا آخر فى سنه ١٠٢٣ إلى ايران.

و بقى روبرت شرلى فى البرتغال حتى سنه ١٠٣١ كما بقى سفير فيليب فى ايران حتى سنه ١٠٢٨ و لكن اى واحد منهما لم يحصل على النتيجة و الغايه المرجوتين من مهمتهما كما أشرنا إلى ذلك فيما تقدم (أهم مصادرنا فى هذا البحث ما كتبه الأستاذ حسين پيرنيا).

## الصفويون و البرتغاليون

و إتماما لهذا البحث نشر هنا الكلمه التى كتبها لنا السيد محمد تفرشى عن حقيقه العلاقات بين الصفويين و البرتغاليين:

بعد أن فتح السلطان محمد الفاتح مدينه القسطنطينيه فى سنه ٨٥٧ هجرية (١٤٥٣ ميلاديه)، قضى على امبراطوريه روما الشرقيه و أغلق الطريق التجارى بين اوربا و آسيا عبر البحر الأبيض المتوسط و آسيا الصغرى و الشام، و بدأ تجار البندقيه و التجار البرتغاليون الذين كانوا يستخدمون هذا الطريق فى تجارتهم مع ايران و الهند. بدءوا مضطرين إلى البحث عن طريق آخر للوصول إلى الدول الآسيويه و خاصه إلى الهند، فقد توجه تجار جمهوريه البندقيه نحو ميناء الإسكندريه و البحر الأحمر، الا ان حرص و طمع مماليك مصر و سوء معاملتهم و المشاكل الأخرى وقفت حاجزا امام تجار البندقيه، و بعد فتره من الزمن توجه البحار البرتغالى بارتلمى دياز نحو جنوب إفريقيا و رأس الرجاء الصالح (التي كانت تسمى آنذاك رأس العواصف) و منها دخل إلى المحيط الهندى و ذلك فى عام ٨٩٢ هجرية قمرية - ١٤٨٦ ميلاديه). و بعد اثنى عشر عاما وصل البحار البرتغالى الآخر المعروف فاسكو ديغاما إلى الهند عبر ذلك الطريق أيضا و ذلك فى سنه (٩٠٤ هجرية قمرية - ١٤٩٨ ميلاديه).

و فتحت رحله فاسكو ديغاما طريقا جديدا امام الحكومه البرتغاليه للسيطره على الهند و مناطق اخرى من القاره الآسيويه مما جعل

قوة الحكومة البرتغالية السياسية تزداد كثيرا. و في سنة ٩١٢ هجرية - ١٥٠٦ ميلادية أرسلت الحكومة البرتغالية (آلبوكرك) مع عدد من السفن الحربية لاحتلال عدن و سواحل البحر الأحمر. و لما رأى آلفونس دو آلبوكرك ان قواته غير كافية لاحتلال عدن قرر الاستيلاء على جزيرة هرمز في مدخل الخليج الفارسي و بذلك يتمكن ان يفرض سيطرته على جميع خطوط الملاحة و التجاره في الخليج الفارسي. و بالرغم من مقاومه و صمود اهالي جزيرة هرمز و حكاهما، الا ان الحرب انتهت لصالح المستعمرين البرتغاليين بسبب استخدامهم المدافع و البنادق و الأسلحة النارية الأخرى، و خضع حاكم جزيرة هرمز (و يدعى سيف الدين) للحكومة البرتغالية و التزم ان يدفع مبلغا من المال جزية كل عام كما التزم بإعفاء البضائع التي تصل من البرتغال من دفع الضرائب، كما التزم ان لا يستلم المزيد من الضرائب من الاهالي بسبب شرائهم البضائع البرتغالية و ان لا يسمح للسفن ان تدخل الخليج الفارسي أو تخرج منه دون موافقه حاكم هرمز البرتغالي.

ان احتلال جزيرة هرمز من قبل البرتغاليين فتح أيديهم في الخليج الفارسي و كان تمهيدا للتماس بايران. حيث سيطر البرتغاليون منذ هذا التاريخ على الطرق التجارية لايران عبر مياه البحر و وصلت السفن البرتغالية إلى أكثر الموانئ الجنوبية في ايران و موانئ الساحل الغربي حتى انها وصلت إلى البصرة أيضا. و قد خصص البرتغاليون تجاره الخليج الفارسي لأنفسهم.

و بعد فتره قصيره من الزمن طلب الشاه إسماعيل الصفوي ملك ايران من حاكم هرمز ان يدفع له الضريبة السنويه الاعتيادية فاتصل حاكم هرمز مع آلبوكرك و استشاره في الأمر و كان جواب آلبوكرك هو اننا سيطرنا على هرمز بالقوه و ان هذه المنطقه تعود إلى ملك البرتغال و لا يحق لحاكم هرمز ان يدفع الضرائب إلى أيه حكومه أخرى و إذا فعل الحاكم غير هذا فسنسلم الجزيرة إلى حاكم آخر لا ترهبه قوه الشاه إسماعيل الصفوي.

و بعد عوده آلبوكرك إلى الهند، وصل إلى هرمز سفير من قبل الشاه إسماعيل الصفوي لاستطلاع الأمر. و وافق حاكم جزيرة هرمز على التبعية لملك ايران. الا ان آلبوكرك توجه في سنة ٩٦٣ هجرية - ١٥١٥ ميلادية إلى هرمز مع ٢٦ سفينه و ٢٢٠٠ رجل مقاتل. و تزامنا مع هذا الحادث عمت الفوضى جزيرة هرمز مما دفع بالبوكرك إلى النزول بسرعه إلى جزيرة هرمز حيث قضى على الفوضى هناك و أفرج عن حاكم الجزيرة الذي كان الثوار قد اعتقالوه. و بعد فتره من الزمن جاء إلى الجزيرة سفير من قبل الشاه إسماعيل الصفوي للتفاوض، و لكن وفاه الشاه إسماعيل حالت دون تنفيذ أي شيء.

و جلس الشاه طهماسب على العرش و كانت أيامه تصرف في دفع عاديه غريمه القوى السلطان سليمان القانوني السلطان العثماني. و لم يهتم الشاه طهماسب الأول بشئون الخليج الفارسي و جزيرة هرمز كثيرا.

و كانت العلاقات بين الحكومتين الإيرانيه و البرتغاليه في عهد الشاه طهماسب الأول (٩٣٠ - ٩٨٤ هجرية - ١٥٢٤ - ١٥٧٦ ميلادية) طبيعيه حسب الظاهر و لم تتوفر لدينا معلومات كامله عن تلك العلاقات. الا ان المعروف ان دم سباستيان ملك البرتغال أرسل في سنة ٩٥٨ هجرية ١٥٥١ ميلادية و كذلك في سنة ٩٨٢ هجرية - ١٥٧٤ ميلادية سفيرين إلى بلاط الشاه طهماسب الأول و معهما هدايا و تحف كثيره و ذلك عبر طريق هرمز. و كان السفير البرتغالي الثاني من كبار الشخصيات في بلاده حيث وصل إلى ايران في موكب كبير. الا ان الشاه طهماسب استقبل هذا السفير ببرود بسبب سوء معاملة السلطات البرتغاليه في جزيرة هرمز لأهالي الجزيرة و لم يسمح للسفير البرتغالي و حاشيته التي كانت تتالف من خمسين شخصا ان يعودوا إلى بلادهم ما دام حيا، و لم يعد هذا السفير و حاشيته إلى بلادهم الا بعد وفاه الشاه طهماسب الأول و في عهد السلطان محمد خدابندهوالد الشاه عباس.

و فی سنه ۹۸۸ هجریه - ۱۵۸۰ میلادیه و فی عهد السلطان محمد

ص: ۱۱۲

خدا بنده استولت اسبانيا على البرتغال و ظلت البرتغال خاضعة لاسبانيا فتره من الزمن - و بعد ان جلس الشاه عباس على العرش حاول اقامه علاقات وديه مع الدول الأوربيه الكبرى فأرسل السفراء و الرسائل الوديه لتطوير العلاقات التجاربه و عقد الاتفاقيات السياسيه مع كبار ملوك اوربا كامبراطور ألمانيا و ملك اسبانيا و البابا فى روما و جمهوريه البندقيه و قيصر الروس و ملك فرنسا و بولندا و لهذا السبب توسعت العلاقات بين ايران و الدول الأوربيه كثيرا فى عهد الشاه عباس كما سافر الكثير من السفراء عن البلاط الايرانى إلى الدول الأوربيه لعقد اتفاقيات سياسيه و تجاربه مع تلك الدول كما و ان الكثير من السفراء من الدول الأوربيه جاءوا إلى البلاط الايرانى.

و فى عهد فيليب الثانى ملك اسبانيا الذى كان ملكا على البرتغال و المستعمرات البرتغاليه أيضا. طلب من ولى العهد فى الهند أن يسافر إلى ايران و يلتقى بالسلطان محمد خدا بنده و بعد وفاه فيليب الثانى. طلب فيليب الثالث من ولى عهد الهند أن يفعل كذلك. و فى سنه ١٠١١ هجره اجتمع ولى عهد الهند بالشاه عباس فى مدينه مشهد. و طلب الشاه عباس من ولى عهد الهند و الوفد المرافق له ان يلتزموا بعدم مساعدته اسبانيا للعثمانيين عليه فى الخليج الفارسى و لما لم تكن هناك أيه علاقات وديه بين الشاه عباس من جهه و بين البرتغال و اسبانيا من جهه اخرى فقد توجه الشاه عباس مستغلا الفرصه نحو الإنكليز ضد البرتغال و أسبانيا. حيث ان ايران لم تكن تملك قوه بحريه قويه. و لهذا السبب كان الشاه عباس قد طلب من حاكم مقاطعه فارس ان يقوم بصوره غير مباشره بإيذاء البرتغاليين فى منطقته الخليج الفارسى ليتمكن هو ان يطبق خطته بصوره كامله. و لهذا قام حاكم مقاطعه فارس بالاعتداء على البحرين و على تحصينات و قلاع البرتغاليين العسكريه فى الخليج الفارسى. فبعث الحاكم البرتغالى فى الخليج الفارسى رساله إلى فيليب الثالث ملك اسبانيا و أخبره بالأمر. فبعث ملك اسبانيا رساله تهنئه إلى الشاه عباس بسبب الانتصارات التى حققها فى الحرب مع العثمانيين و طلب منه الانسحاب من المناطق التى احتلها فى الخليج الفارسى.

و بعد هذه القضيه و فى سنه ١٠١١ هجره - ١٦٠٢ ميلاديه دخل الشاه عباس فى الحرب ضد اسبانيا و فى النهايه و بدعم من القوه البحريه الإنكليزيه تمكن الشاه عباس من طرد الاسبانيين من الأراضى الإيرانيه و من مياه الخليج الفارسى.

و يظهر مما ذكرنا أعلاه ان ايران لا- فى عصر الشاه عباس خاصه و لا فى عهد السلالة الصفويه عامه كانت لها ايه معاهدات تحالفه مع ايه دوله اوربيه، و ان هذا الأمر لم يكن يخالف مسأله تطوير و توثيق العلاقات بينها و بين الدول الأوربيه. حيث ان جميع اهتمامات ايران بالنسبه لهذا الأمر هو تعزيز قدرتها و بنيتها السياسيه و العسكريه و لهذا لم تكن ابدأ عضوه فى الاحلاف ضد العثمانيين فى عهد من العهود فيما عدا المحاوله التى حاولها البرتغاليون فى عهد الشاه إسماعيل و التى لم تسفر عن اى شىء عملى بسبب تصلب الشاه إسماعيل و مطامع البرتغاليين.

## السيد عباس شبر بن محمد

ولد سنه ١٣٢٢ فى البصره و توفى فيها سنه ١٣٩١ و دفن فى النجف الأشرف.

من اسره عريقه فى العلم و الأدب يقطن فروعها فى النجف و الكاظميه و البصره و الكويت، و هو من ابرز رجالها.

تولى القضاء الشرعى و تنقل فى عمله هذا بين العماره و البصره و بغداد و ظل فيه اثنتى عشره سنه. له مجموعته شعريه مطبوعه باسم (جواهر و صور). قال يرثى الحسين ع:

يا باذلا في سبيل الله مهجته و ما حقا كل تمويه و تأسيس  
و منقدا شرف الإسلام من فنه يزيدا البغي تدنيسا لتدنيس  
شرعت دستور إخلاص و توضيحه في مجلس للهدى و الحق تاسيسي  
بعثت في الدين روحا كان ازهقها جور الطغاه و إرهاب الأباليس  
ضربت رقما قياسيا يحار له أهل الحساب و أصحاب المقاييس  
للمصلحين قواميس مخلده في الأرض و اسمك عنوان القواميس  
تقيم نهضتك الدنيا و تقعدا للحشر ما بين إكبار و تقديس  
ناهيك من نهضه غص الزمان بها لما تضم و تحوى من نواميس  
خلدتها فهي للأجيال مدرسه تناوح المجد في بحث و تدريس  
في ذمه الدين ما ارضت من مهج للدين سلن على السعر المداعيس  
لولاك لاندثرت فينا معالمه فلم نجد غير ربع منه مطموس  
بعدا لقوم يرون الدين قنطره لما يسد فراغ البطن و الكيس  
باتوا يحوطون دنياهم بحيطته و هم على دخل منه و تدليس  
رام ابن ميسون امرا دونه رصد أعباء فاودى تحت كابوس  
و كم سعى جده مسعاه ذى حنق و جد لكن لجد منه معكوس  
و كيف تطفئ نور الله زعنفه عار على العيس ان قلنا من العيس  
لها فصول من التاريخ قد ملئت خزيا فكانت هنا في القراطيس  
ان انتمت لقريش في أرومتها فحسه الطبع تنميها لإبليس  
يجبى علاك و تخزى نفس مرتطم في حماه الشرك و الطغيان مركوس  
هذا ضريحك كم حج الملوك له فأين قبر الخنا في أى ناووس

صلى عليك الذى أولاك منزله دانت لعلياها علياء إدريس

وقال:

فجع الفضا بنهاره فبكى على أنواره

فالافق مسعود الأديم ينوء فى اكداره

صبغ الظلام له سراييل الحداد بقاره

ص: ١١٣

و اما لذاك الروض جليله الدجى بستاره

فتراجعت انفاسه حسرا إلى أزهاره

حتى لقد عقد الكرى فيه لسان هزازه

فتخارست اطياره و غفت على أشجاره

و الكون ساد به السكون فكان رمز وقاره

كم تحت هذا الليل من راض و كم من كاره

من موسر قد بات يدأب فى حساب نضاره

أو بائس يذرى مدامعه على أطماره

أو عاشق أصلى الغرام فؤاده فى ناره

أو فيلسوف يرتئى الآراء من أفكاره

أو راصد قد بات يرعى النجم فى منظاره

أو تاجر أبدا يجيل الفكر فى اسعاره

أو سارق متفكر فى سلبه و فراره

أو مدمن ضحى جميع عقاره لعقاره

أو أحمق قد بات مشغولا بلعب قماره

أو ساقط سكب الحيا بفجوره و بعاره

أو نازح يبكى لغربته و بعد مزاره

أو فاقد نهس المصاب فؤاده بقراره

أو مسقم امسى يهدده الردى بيواره

أو عالم قد بات منحنيا على أسفاره



أو كاتب سهر الدجى ليفوز فى مضماره

أو شاعر امسى يذبح الهم فى أشعاره

يبنى بيوتا عامرات و الخراب بداره

روح التعاسه و الشقاء ترف فوق جداره

و قال فى مدح السيد على ابن السيد عدنان الغريفى

حجر الكرى تذكار حاجر عن مقلتى و الذكر حاجر

أو ترتجى الغمض الجفونو تبتغى النوم المحاجر

هيئات ما لى و الرقادو ان أبى اللاهى المشاجر

فليلغظ العذال و لتكثرتقريعى الزماجر

و يقول فيها فى المديح:

الجهيد الشهم اللييب الأروع الندب العراعر

جم الفضائل من عليه فى العلى تلوى الخناصر

السيد السامى (على) الانتما زاكى العناصر

نجل الذى قد كان للدين المفدى خير ناصر

غوث البلاد و غيها ان عز فى الاجداب ناصر

عنوان كل فضيله غراء محمود الأواصر

فذ تردى بالحجى و على العلى شد المآزر

أحيا من العرفان و الآداب ما قد كان داثر

قسما بمجدكم بنى عدنان و النجر المناجر

ما ركبت أقدامكم الا لأعواد المنابر

ما زلتم ترثونها من كابر ينمى لكابر  
لا غرو ان جئتم بما بهر الأوائل و الأواخر  
و ملكتم من أبحر العرفان ارثا كل زاخر  
شرف به قد خص أهل البيت مثل الشمس ظاهر  
هذا العلى حقا بهذا فليفاخر من يفاخر  
و إليكها بصريه يعنو لها أهل البصائر  
نتجت بها الأفكار بكرا لم يصرها قط صائر  
و من شعره قوله:

لعمرك ما استخدمت للعيش عميتو لم أتخذها قط احبوله الصيد  
و لكننى جاريت قومی مقيدافها هي في رأسى تشير إلى قيد  
و قوله:

ترفعت عن معروف حى و ميت فكل حطامى منزل لابی وقف  
فكم ليله للغيث بت مهددا أحاذر ان يهوى على صبيتى السقف  
و كتب اليه السيد على بن السيد عدنان الغريفى:

تحن إلى نجد و قد يمتت نجدا ذمول أبت الا السراب لها وردا  
إذا استبقت للسير تحسب صارما يسلم على متن الربى و الدجى غمدا  
إذا هبت النكباء كانت لها ردا و ان أرخت الظلماء كانت لها بردا  
تخال هلالا ما ترى من نحولها و نجم الثريا فى مقلدها عقدا

تؤلف بين الشرق و الغرب ان سرت ذميلا فلا غورا تعانى و لا نجدا  
تؤم رشا بالبيض و السمر خادر و ليس هما الا اللواحق و القدا

أصادقه ودا فيعقبني جفا و اساله وصلا فيجبهني ردا

خليلى عوجا بارك الله فيكما على طلل عشنا به زمنا رغدا

أناخ بمغناه بكللكه البلا و البسه الاعصار ضافيه حصدا

و عهدي به للعيد ملهى و للدمى مراح و لم يلو الزمان له وعدا

فما باله و الوحش فى عرصاته عكوف و قد ابدى له الدهر ما ابدى

و اسحم غريب الجبين كأنما إعارته طولاً من ذوائبها سعدى

كان به الشهب الدرارى أسنه تمزق من جسم الدجى بالسنا جلدا

كان سهيلا حين يبدو و يختفى غريق ببحر الليل حيث طما مدا

كان الثريا كف عاف يمدّها إلى كرم (العباس) مستجديا رفدا

فتى اخجلت غر السحائب كفه كما قد غدا حر الكلام له عبدا

فتى شاد بيت المجد بعد انهدامه و شد من العلياء حيث انشت زندا

نماه إلى المجد المؤثل هاشم فأكرم به نسلا و أكرم به جدا

إذا ما شكّا العافون محلا فكفه تجود ندى كالقطر حاشاه بل اندى

و إما دجا ليل الضلال فرأيه يضيئ هدى كالبدر حاشاه بل اهدى

همام لو البدر استضاء بنوره لما ناله خسف و لا فارق السعدا

له خلق كالروض باكره الحيا تضوع مسكا لا خزامى و لا رندا

فيهدى لنا فى كل يوم شقائقا سقاها من الآداب ماء و لا صدا

فتى عاقر العلياء قد نتجت به و قد عقت عن ان تجيء له ندا

فيا أيها البحر العباب الذى طما على الخلق الا انه سائغ وردا

الا فاعذرن صبا يروم ثناءكم و هيهات ان يحصى ثناءكم عدا

فدم رافلا فى ملبس العز ما شدا هزار و ما هام الفؤاد بكم وجدا

(١)

## السيد عباس المعروف بالمدرسي آل الحاج السيد جوادي بن السيد

حبيب بن السيد إسماعيل بن السيد عبد الجواد بن السيد حسين بن السيد

إبراهيم بن السيد مير معصوم بن السيد مير فصيح بن السيد مير أوليا

القزويني.

ولد فى قزوین سنه ١٣١٩ و توفى يوم السابع من المحرم الحرام سنه ١٤٠٤ و دفن فى مقبره أسرته جنب روضه الشاه زاده حسين بن الامام الرضا ع.

آل الحاج السيد جوادي من الأسر العلميه العريقه فى قزوین نبغ منها علماء اعلام بزغ بدرها فى أفق قزوین من القرن الحادى عشر للهجره و اشتهرت بال الحاج السيد جوادي منذ عهد جدھم السيد عبد الجواد بن السيد حسين المتوفى سنه ١٢٧٨ أحد اعلام القرن الثالث عشر فى قزوین و كان والده السيد حسين المتوفى سنه ١٢٠٨ شيخ السيد مهدي بحر العلوم و جده السيد إبراهيم المتوفى سنه ١١٤٥. من أكابر علماء عصره.

أخذ المترجم له المقدمات على جملة من أفاضل علماء قزوین ثم حضر السطوح على الشيخ ملا على الطارمى و أخذ الحكمة و الفلسفه عن الآخوند محمد على الشاه آبادى البيرجندى ثم تخرج فى الفقه و الأصول و الكلام على السيد موسى الزرآبادى و السيد هبه الله التلا-ترى القزوينى و الشيخ عبد الكريم الحائرى اليزدى و غيرهم و حصل على إجازات اجتهاد من كبار علماء عصره كالسيد أبو الحسن الاصفهانى و قد أدركته فى قزوین و كان من العلماء الاعلام و سادات المدرسين بها. من مؤلفاته

كتاب (أنوار نبوت) في تفسير القرآن فارسي يقع في ستة مجلدات طبع الجزء الأول منه إلى آخر سورة النساء في ٣٧٩ سنة ١٤٠٣، وله تقارير استاذة الحائري في الفقه والأصول. (٢).

## الحاج ميرزا عباس قلي صادق پور وجدى

المشتهر بواعظ جرندابى ولد بتبريز سنة ١٣١٥ و توفي فيها سنة ١٣٨٦ تعلم العلوم الدينيه عند الشيخ على الشريانى (المتوفى ٢ ذى القعدة ١٣٤٨ صاحب كتاب معرفه الأئمه (ط تبريز)، ١٣٢٤ هـ) و خلاصه التوحيد فى الكلام لم يطبع. و درس الرياضيات و الأسطلاب على الميرزا لطف على إمام الجمعه (المتوفى عن حدود ٧٣ فى ١٣٣٩).

و قد أسس الواعظ الجرندابى فى سنة ١٣٣٦ هـ مدرسه جديده سماها "الإرشاد" فى راسته كوجه بتبريز كما فى "تاريخ فرهنگ آذربايجان ج ١ ص ١٧٠" و ذلك فى عهد رئاسه أبو القاسم فيرضات و الدكتور أعلم الملك، و فى عهد محمد على تربيت ترك المدرسه هذه، و اشتغل بالتدريس فى المدرسه الطالبية القديمه فدرس الرياضيات و المنطق، ثم فى حدود ١٣٤١ أسس عده من العلماء مدرسه "سرخاب و شتران" و عينوا الجرندابى مديرا لها برعايه الحاج ميرزا صادق المجتهد التبريزى و بعد مده ترك هذه المدرسه و تفرغ للوعظ و الخطابه.

و للمترجم له مكتبه نفيسه تحتوى على أكثر من عشره آلاف مجلد أهدي نفائسها و المخطوطات منها لمكتبه مشهد الرضا (ع) و كان له مكاتبات مع العلماء كالسيد محسن الأمين و الشيخ محمد جواد البلاغى و السيد هبه الدين الشهرستانى و الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، و الشيخ آقا بزرگ الطهرانى و غيرهم.

و له من المؤلفات:

١: عظمت حسين بن على (ع) ط عده مرات.

٢: زندگانى محمد (ص) لتوماس كارلايل، طبع مع مقدمه و حواش و تعاليقه ستة مرات بتبريز.

٣: ذو القرنين و سد يأجوج و مأجوج ط تبريز.

٤: أوائل المقالات، للمفيد (٣٣٧ - ٤١٣ هـ) و شرح عقائد الصدوق (م ٣٨١ هـ) مع تعاليق و مقدمه له ط مرات بتبريز و طهران.

٥: و طبع له مقالات عديده منها "السيد جمال الدين و رينان" فى مجله "العرفان، الأعداد: ٣، ٤، ٦ المجلد ٤٦ منها، و مجله "دعوت إسلامى" الفارسيه بكرمانشاه.

٦: مقدمه كتاب باب الأبواب فى ترجمه أحوال مؤلفه و مترجم الكتاب.

٧: هشت مقاله. مطبوع. (٣).

## الدكتور عبد الباقي كلبنارلى بن أحمد.

ولد سنة ١٣١٧ و توفي سنة ١٤٠٣ هو من كبار رجال الفكر فى تركيا و من أشهر مؤرخيها، طبع من مؤلفاته أكثر من مائة مجلد، فضلا عما نشر من البحوث فى المعارف الإسلاميه و ثقافته التركيه و التحقيقات التاريخيه، و كان متمسكا بالبيت تمسكا واعيا مدركا لفضائلهم إدراكا عميقا، مدافعا عن التشيع و حقائقه دفاع العالم المفكر المؤرخ المتمسك.

و قد تفانى فى نشر آثار آل البيت و إذاعه فضلهم بقلمه الساحر الأخاذ، فألف فى ذلك الكتب و نشر المقالات فى الجرائد و المجلات التركيه فى كل المناسبات الإسلاميه.

كان أبوه (احمد آكاه) من أهل (كل بولاق) من توابع (كنجه) من مدن قفقاسيا، و قد استبدل المترجم باسم كل بولاق اسم كل بنار المتحد معه فى المعنى لسهوله التلفظ بالاسم الأخير.

و قد هاجر أبوه إلى تركيا و أقام مده فى مدينه (كارس) التى هى من أهم مراكز الشيعة، ثم قدم اسطنبول و تزوج بالسيدة عاليه التى هى الأخرى من المهاجرات. و كان المترجم يرى انه مدين لاهه أكثر من أبيه، إذ كانت من المثقفات العاليات الثقافه، و فى الوقت نفسه من التقيات العابدات القليلات النظير.

ص: ١١٥

١- السيد على العدنانى الغريفى

٢- الصالحى.

٣- الشيخ أبو ذر بيدار.

و يقول المترجم: في أوائل نشوء الجمهوريه التركيه كنت استاذاً في جامعه "دار الفنون" في استنبول، فقالت لي امي: يا عبد الباقي! انك أستاذ في جامعه دار الفنون، و ربما رأيت نفسك مضطراً من أجل الاحتفاظ بمنصبك ان تمدح آتاتورك، و سأقول لك كلمه لم أقلها لك من قبل: و هي اني على الرغم من كل مشقه و كلفه ما أرضعتك يوماً الا مع الطهاره، فلو انك قلت كلمه واحده في مدح هذا الرجل الفاجر المتهتك لم أجعلك في حل من ارضاعي إياك.

مجل سيرته

أكمل دراسته الابتدائيه و المتوسطه في استنبول ثم فوجئ بموت أبيه فاضطر للعمل فتولى التعليم متنقلاً في مدارس كل من: آلاجه، و قونيه [قونيه]، و قيصرى، و قسطنونى، و بالى كثير، و استنبول، و كان إلى جانب عمله في التعليم يوالى دراسته حتى نال شهاده الدكتوراه. فاشتغل في التدريس في جامعه أنقره في كليات التاريخ و الجغرافيا و اللغات. و تقاعد سنه ١٩٤٩ فانكب على التأليف و التحقيق حتى فاقت مؤلفاته المائه، كما نشر ما لا يحصى من المقالات في صحف استنبول و إلى جانب دراسته الجامعيه فقد درس العلوم الإسلاميه من فقه و أصول و حديث و تفسير و تاريخ و كلام و فلسفه على أساتذته متخصصين أمثال: يوسف افندى، و إسماعيل سعيد، و فريد كام، و احمد نائم، و حسين فخر الدين، و الشيخ على الخوئى.

## مؤلفاته

(١) - تفسير القرآن (مخطوط). (٢) شرح نهج البلاغه طبع في استنبول و أعيد طبعه في مدينه قم، (٣) ترجمه القرآن إلى اللغه التركيه.

و تعتبر ترجمته هذه أفضل الترجمات التركيه، و هي مقرونه بخلاصه التفاسير، و ذلك في مجلدين كبيرين طبعاً مرتين في استنبول و أعيد الطبع في مدينه قم، (٤) تاريخ الإسلام، و هو دراسه تحليليه مستوعبه، طبع مرات في استنبول (٥) تاريخ الاثمه الاثنى عشر، (مطبوع) (٦) أمير المؤمنين ع و هو دراسه في حياه الامام و سيرته (مطبوع)، (٧) التشيع عبر القرون، دراسه تحليليه في تاريخ التشيع و عقائد الشيعة، و رد عنيف على أعداء الشيعة فيما دسوا على الشيعة من التهم و الافتراءات، و جواب علمى تحقيقى على أعداء أهل البيت عبر القرون و الاعصار. و هو مجلد ضخيم مطبوع في استنبول و طهران. (٨) التصوف و المتصوفه (مطبوع) (٩) الملل و النحل في مائه سؤال. دراسه في الأديان و المذاهب (مطبوع) (١٠) فهرست الكتب المخطوطه. و هو فهرست مخطوطات مكتبته الخاصه التى أسسها في جنب مقبره جلال الدين الرومى في قونيه، و هى مكتبه ضخمة فيها آلاف الكتب المخطوطه و عشرات آلاف الكتب المطبوعه. و فهرست المخطوطات في اربعة مجلدات ضخمة بالقطع الكبير. (١١) الاثنا عشرية. دراسه في التشيع منشور في دائره المعارف التركيه التى نشرتها جامعه استنبول (١٢) الحروفيه. دراسه تحليليه عميقه في الحروفيه و عقيدتهم التى ابتدعها فضل الله الحروفى و اشاعها (النسيمة الشاعر).

و الكتاب يحتوى على عقائدهم الباطله و أقوالهم السخيفه، مع أكثر من خمسين متن من متونهم بقلم الحروفى و النسيمة و اتباعهما (مطبوع) (١٣) الملاحيه. دراسه شامله في الملاحيه و الملاحيون. (١٤) شرح المثنوى.

شرح تحليلى لديوان جلال الدين الرومى في ستة مجلدات كبيره، طبع مرات في استنبول. (١٥) حياه مولانا جلال الدين. دراسه في حياه جلال الدين البلخى الرومى، مطبوع في استنبول و قد ترجم إلى اللغه الفارسيه و طبع في طهران اثر وفاه المؤلف (١٦)

ولاديه نامه. دراسه فى حياه حاجى بكداش ولى رئيس البكداشيه (مطبوع). (١٧) العلويه. دراسه جامعه فى تاريخ العلويين و البكداشين. (١٨) حياه الشيخ غالب و آثاره و أفكاره. (١٩) حياه يونس أمره: و هو الشاعر الشيعى الحماسى التركى و فيه دراسه عن حياته و أفكاره و أشعاره و مدى قيمه هذه الأشعار.

(٢٠) شرح ديوان يونس أمره: و هو شرح لقصائده و أفكاره و تأثير أفكاره فى الثقافه التركيه، و هو مطبوع أكثر من عشر مرات (٢١) النيازى: حياته و أفكاره و آثاره. (٢٢) شرح ديوان فيه ما فيه فى مجلدين. (٢٣) الرباعيات: شرح رباعيات جلال الدين الرومى (٢٤) المكتوبات: شرح مكتوبات جلال الدين الرومى. (٢٥) حياه السيد برهان الدين: و هو دراسه لحياه سيد برهان الدين الشاعر الشيعى المتحمس و أشعاره و أفكاره. (٢٦) حياه بدر الدين: و هو دراسه لحياه بدر الدين بن قاضى سيماونو و آثاره و أفكاره. (٢٧) رباعيات عمر الخيام: و هو دراسه عن حياه عمر الخيام و شرح لرباعياته و قيمه آثاره و أفكاره، و مدى قيمه الرباعيات المفتعله المنسوبه اليه، بالفارسيه و التركيه. (٢٨) المولويه: و هو فى شرح آداب المولويه و أركانها لدى المولويين بعد جلال الدين الرومى (٢٩) فتوت نامه:

دراسه شامله لسيره أهل الفتوه، و الوثائق التاريخيه المشتهره ب (فتوت نامه).

هذا ما يحضرنى الآن من أسماء مؤلفاته التى تفوق العشرات. و عدا مؤلفاته هو نفسه فقد نقل من العربية إلى التركيه الكتب الآتية: أصل الشيعه و أصولها للشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، و الأرض و التربه الحسينيه له، و سيرتنا و سنتنا للامينى، و عبد الله بن سبا للعسكرى، و عقائد الشيعه للمظفر، و توضيح المسائل و هى رساله العمليه للسيد شريعتمدارى، و نظام الحكومه الإسلاميه للسيد صادق الروحانى، و من هم الشيعه للسيد محمد الشيرازى، و الشهيد للشيخ مرتضى المطهرى، و المقالات الإسلاميه للشيخ على أكبر مهدى پور.

## عبادته

كان مظهرا للأخلاق الإسلاميه الساميه، عاملا للإسلام مستوعبا للأحكام الشرعيه كل الاستيعاب. و كان لا- يفوته عمل المستحبات حسب ما يستطيع.

١:- كان مواظبا على زياره عاشوراء بالرغم من تراكم أشغاله، فلم تفته زيارتها ابدا.

٢:- كان مواظبا على الصوم فى الأيام المباركه فلا- يفوته صوم الأيام البيض و يوم الغدير و يوم المبعث و يوم ولاده الرسول (ص) و الأئمه (ع)، كما لا يفوته صوم أوائل الشهور و أواسطها و أواخرها.

٣:- كان مواظبا على الاعتكاف فى الأيام البيض (و هى اليوم الثالث عشر و الرابع عشر و الخامس عشر من شهر رجب)، و كان اعتكافه دائما فى مسجد اسكدار الواقع فى محله سيد احمد دره سى بجنب مقبره الشيعه.

## من مزايه

١:- كان مكبا على التحقيق و التأليف حتى فى أسفاره، فكان يحمل دائما حقيبته صغيره فيها كل ما يحتاجه من الكتب و الأوراق



و الدفاتر.

٢: - كان يكره مصطفى كمال لنزعته اللادينية و لاستبداله الحروف اللاتينية بالحروف العربيه، و كان يسمى الحروف اللاتينية: الحروف اللادينية. و كان إذا كتب يبدأ كتابته بالحروف العربيه ثم يعيد كتابتها بالحروف اللاتينية، و كان يقول: لا يسعفنى قلبى و عقلى، و لا- يستقر تفكيرى إذا كتبت بالحرف اللاتينى، لذلك يجب ان أكتب بالحرف العربى ما يحتاج إلى ترو و تفكير و هدوء.

٣: - كان من وصيته ان لا ينعى عند موته نعيًا عامًا، و كتب فى الوصيه أسماء جماعه من اصدقائه المخلصين فى محبه أهل البيت و طلب إعلامهم

ص: ١١٦

و اعلام أمثالهم بموته حتى يكون تشييعه مقتصرًا عليهم، ثم يعلنون خبر موته بعد دفنه لجميع الناس.

و لما مات لم يشييعه إلى قبره الا كل مخلص في محبه آل البيت - تنفيذًا لوصيته. و لما اذيع بعد ذلك خبر موته ظلت الصحافه التركيه تكتب عنه طيله أسابيع، و انشغلت الاذاعه و التلفزيون التركيين بذكر تفاصيل حياته و شرح آرائه و أفكاره و دراساته أسبوعين. (١)

### السيد عبد الجواد.

و يقال جواد بن السيد حسين بن الأمير إبراهيم و يقال محمد إبراهيم بن الأمير محمد معصوم بن محمد فصيح بن أولياء الحسيني التبريزي الأصل و القزويني المولد و المنشأ توفي سنة ١٣٧٨ و دفن في مقبره أسرته جنب روضه الشاه زاده حسين بن الامام الرضا ع.

أخذ المقدمات على جملة من فضلاء قزوین و تخرج على والده و سائر بنی أعمامه و هو أبو اسره جليله فی قزوین و اسمه عنوان هذا البيت و يعرف أولاده و أحفاده ب آل الحاج السيد جوادى و كان له أحد عشر ولدا من زوجاته الثلاث معظمهم علماء خمسہ من بنت المولى السيد محمد المجاهد المتوفى سنة ١٢٤٢ و هم السيد على و السيد إسماعيل و السيد على نقى و السيد تقى و السيد محمد و من بنت ركن الدوله على نقى ميرزا ابن السلطان فتح على الشاه القاجارى اربعه و هم السيد باقر و السيد على أكبر و السيد إبراهيم و السيد مهدى و من بنت نائب الصدر اثنان هما السيد حسين و السيد على رضا ذكره فى الكرام البرره مع بعض اضطراب فى ذكر أولاده و الصحيح ما أثبتناه هنا نقلا عن شجره هذه الاسره فى قزوین كما ان آباءه أيضا علماء اعلام منهم والده السيد حسين بن الأمير إبراهيم المتوفى سنة ١٢٠٨ و هو شيخ السيد مهدى بحر العلوم كما ان أم قره العين آمنه خانم من أسباط السيد حسين المذكور و جده السيد الأمير إبراهيم بن الأمير معصوم المتوفى سنة ١١٤٥ من علماء عصره و السيد الأمير معصوم بن المير فصيح من علماء عصره و غيرهم من أساطين علماء الدين الذين نبغوا من هذه الأسره ذكره شيخنا آغا بزرگ الطهرانى فى كتابه الكرام البرره قال: (... من أكابر العلماء كان والده الجليل من مشاهير عصره و كان شيخ إجازة السيد مهدى بحر العلوم توفى (١٢٠٨) و المترجم له من اجلاء علماء قزوین و أعاضمهم فى عصره توفى بعد عمر طويل فى (١٢٧٨) و هو أبو اسره جليله هناك لانه رزق أولادا كثيرين أعقب منهم عشره كلهم من زوجاته الثلاث...) أقول: لقد فتشت فى مكتبته بقزوین و باقى المكتبات فلم أجد له مؤلفات أو آثار (٢)

### الشيخ عبد الحسين الحويزى المعروف بالخياط ابن الشيخ عمران

توفى سنة ١٣٧٧ فى كربلاء عن احدى و تسعين سنه و نقل جثمانه إلى النجف حسب وصيته فدفن فيها.

مرت ترجمته فى الصفحه ٤٤٩ من المجلد السابع و نزيد عليها هنا ما يلى:

أصل اسرتهم من قبيله بنى ليث و من فخذ يقال له آل بو قمر يسكنون الحويزه و قد هاجر جده الأعلى يوسف بن احمد من الحويزه إلى العراق فسكن قضاء عفك و اشتغل بالزراعه و توفى سنة ١٢٤٧ فنقله ولده حسين إلى النجف و دفنه فيها و سكن بها و لم يعد إلى عفك.

بعد اشتغال المترجم مع أبيه الخياط بخياطه الثياب عاد يطلب العلم فدرس على السيد محمد العاملي و الشيخ هادي الطهراني و الشيخ عباس كاشف الغطاء. ثم انتقل أبوه من النجف فسكن بلده (شفاة) ثلاث سنوات، ثم انتقل إلى كربلاء سنة ١٣٣٥ فسكنها و معه ولده المترجم، و مات والده في كربلاء و ظل هو فيها.

و قد اشتهر المترجم بالشعر فأكثر من نظمه، و قد جاء في ترجمته المنشوره مع ألفيته (فريده البيان) ان له خمسة عشر ديوانا و في كل ديوان عشرة آلاف بيت فيكون المجموع ١٥٠ ألف بيت.

و قد تعب في شيخوخته حيث عانى الفقر و المرض و الوحده، و انقطاع الناس حتى الأصدقاء منهم عن زيارته و مواصلته.

و له ملحمة شعريه تزيد على الألفي البيت سماها: فريده البيان في مدح النبي الأعظم و عترته الاطهار ع. و يبدأ قبل الدخول في الغرض المقصود بوصف الإبل و سيرها و الصحراء و رياحها و الهوادج التي تحملها الإبل و الحور الحسان اللواتي تقلهن الهوادج، فينصرف إلى التغزل بهن على عاده الشعراء القدماء، ثم يلج موضوعه الاساسي فيشرع في سرد سيره النبي (ص) و صفاته و كراماته، ثم مبعثه و رسالته و حروبه و مغازيه، ثم ينتقل إلى مدح أمير المؤمنين ع و بيان فضله و بطولته و علمه، و يختم القصيده باستشهاده و مدفنه.

و قد طبع الجزء الأول من ديوانه و يشتمل على حرفي الهمزه و ألباء و أكثره في مدح الأئمه ع.

و إليك نموذجا من الملحمة، و هي في الواقع معارضه لملحمه الشيخ كاظم الازري إذ جاءت على وزنها و قافيتها فمطلع قصيده الازري هو:

لمن الشمس في قباب قباها شف جسم الدجي بروح ضياها

يقول الحويزي فيما يقول:

لمن العيس في البطاح براها مثل برى القداح جذب براها

حائرات كأنها سرب طير حسبت لجه السراب مياها

و بها الآل في المفاوز و القفر رياض تنشقت رياها

ترعى جمره الهجير غداء فيقيها عن جوعها و ظماها

سبقت أربع الرياح بمجرى أربع و ارتمت قصى نواها

شمال الريح بكره و النعامي و عشيا جنوبها و صباها

و نواصي الآكام في كل نص من سراها طى الفلاه فلاها

يعملات شقت بطون الموانى جائبات بطاحها و رياها  
ساقها للورود رجح حنين من مشوق حيث الزفير حداها  
قد أقلت هوادجا زينتها من غوان النقى وجوه مياها  
مرحا تنثنى و تهوى مراحا بثرى وجره ففاقت ظباها  
صرعتنا عيون عين كعاب أوسعت طعنه القنا نجلاها  
و أرى أضعف الجفون فتورا حين ترمى حب الحشا أقواها  
إن يسالم لجيره الحى قلبى فلحرب الهوى هوى سلماها  
و أزج الحواجب استل بيضا بز فيها من مهجتي سوداها  
و تحلت طلا و زفت خدودا صانع الحسن عسجد قد طلاها  
و أسالت دمي بخد أسيل فوقه النار مهجتي تصلاها  
بالهوى قد تعذر الصبر منى ما رعنتى من الدمى عذراها  
كسرت جفنها لتدرك فتحا من قلوب العشاق فى مغزاها  
مقطف من خدودها الورد لكن مخطف بالورود ذعرا حشاها  
طوقها يخجل الهلال و يزرى بالثريا مهما بدت قرطاها  
ثم يقول فى مديح النبى (ص):  
ذاك من أعطى الرساله قبل (م) الكون و الرسل لم تكن تعطها  
و به اختصت النبوه حقا و على الكائنات عم ولاها  
علمه أدرك العوالم حتى جاز من بدئها إلى منتهاها

ص: ١١٧



و جرى بحر عفوه الغمر سيلا فجلى عن بنى الليالى غثاها  
أنبات باسمه من الغيب صحف صدق الكون بالهدى أنباها  
و بلاهوت هيكل قد تبدى و المعانى المقدسات ارتداها  
و طوى سره العوالم طرا و حوته العلى برادى طواها  
و به روضه النبوه فاحت عشق الروح روحها فاجتلاها  
أجمل العلم فى جوارح جسم فصلت حكمه الهدى أعضاها  
غبطت مجده النجوم السوارى و بمعناه وفقت مسراها  
لو بدا بالسنا محياه يخفى منه فى أبرج السما نيراها  
كل أسمائه توسمن حسنا زان من مكرماتها حسناها  
يده بيضت من البيض وجهها إن خير الأيدى ترى بيضاها  
سيد عصمه الورى فيه خصت أمسك المرسلون جبل ولاها  
حملته يمنى النبوه أعباء ثقالا و ألبسته عباها  
كم له فصلت أحاديث فضل سالف الدهر للقرون رواها  
فى مدح فاطمه الزهراء - ع -

مثل زهر النجوم أفعاله الغرأضاء و بنته زهراها  
فاطم بنت أحمد سادت الخلق جميعا رجالها و نساها  
صاغها من سبائك المجد تبرأخالصا يوم صنعه صفاها  
هى صديقه الخليقه جمعابيهاه الجليل فضلا حباها  
و هى تدعى شفيعه الخلق فى الحشرو ما فى الملا شفيح سواها  
بضعه من فؤاد خير البراياو قد اشتق من حشاه حشاها

و اجتبي أمها خديجه زوجا بذلت للهدى جميع ثراها

أول المؤمنات بالله كانتو بحفظ النبي طال عناها

تلك للمؤمنين أرف أمعنهم كل فتنه تأباها

إن عين النبي أكرم عينلم تكرم لأجلها عينها

يوم وافت بالوعظ تزجر قوماتركت رشدها و وافت هواها

و فى مدح الأئمه ع

و المصاييح فى وجوه صباحترشد الخلق كلهم ابناها

ساده قاده حماه أباهطبق الكون عزها و إباها

يستظل الهدى إذا طرقتهنوب الدهر تحت ظل حماها

أصفياء مشيه الله ولتهمفهم بين خلقه أصفياها

أسفر الحق بالظهور فباء تحكمه الله أنهم سفراها

و يادراك فضلهم علماء الدهر جارت فأشبهت جهلاها

كشفو [كشفوا] عنهم نقاب المعاليفى البرايا فأصبحوا نقباها

و إذا الدهر فى الأنام أذاع الجهلكانوا برأيهم علماها

أبحر بالعلوم فاضت عباهاو بحور الورى تفيض مياها

لم تقابل جون السحائب منهاسرن فى الجو قطره من نداها

كرمت دوحه العلى برم ذاتقد حكمت ذات أحمد و حكاها

جعلت نفسه بنفس بنيهو من العلم و الندى رباها

فى مدح أبى طالب

طلبت بيضه الهدى منه صوتأبى طالب ترقى ذراها

و حمى شعبه الرساله لما قام فى حفظها فكان وقاها  
وازر المصطفى بقول و فعلو قريش من أجله عاداها  
كان للدين حاميا و ظهيرادونه كل نكبه يلقاها  
هو ربى لأحمد خير نفسى حماه يتيمه اوها  
لم يزل كافلا له فى القضايا و هو فى حى قومه أقضاها  
و إلى الهجره استعد غداها لموت حوباء عمه و افاها  
أظهرت كيداها له العرب حقدايوم غاب الهزبر عن مئاها  
ليت شعرى هذا الذى ناطح الشهبىمجد جلا على شعراها  
لم تمت نفسه على الكفر كلاو من الغى و الشقا حاشاها  
كان للمصطفى معينا على الأوثانحقا يريد هدم بناها  
عظم الله فى قصائده الغرو أبدى على النبى ثناها  
و رأى دين أحمد خير دينو جميع الأديان مقتا قلاها  
سل قريشا هل غير عبد منافسيذا كان فى حمى بطحاها  
روجه فاطم التى أسدكان أبوها و هاشم رباها  
لبوه فى شرى البساله شبتو على و جعفر شبلاها  
و عقيل الذى به تعرف الأنسايان تجهل الورى عرفاها  
أخوه من أب و أم كرامقد صفا بالنبى در أخواها  
إن تقل أيها المجادل صدقاذاك نفس الهدى و هم أعضاها  
للهدى أثبتت يداه أصولا و هم فرعوا على ميناها  
فى مدح أمير المؤمنين ع



كم له من معارج بالمعالينتهى الفكر عن مدى مبتدائها

سعدت أمه إلى الحق تعزيبو على و احمد أبواها

إن نفس النبي بالقرب أختنفس من فى أموره أوصاها

كيف أدنت يد النبوه أقصيالناس و أبعدت قرباها

إن فى الخلق احمدا و عليامن علا قدره الإله براها

فهما فى الوجود شرقا و غرباذاك يمنى لها و ذا يسراها

و على الخافقين داسا جناحاو به غايه العلى بلغاها

أوردا الخسف كل ذى جبروتو العلى بعد كسرها جبرها

هو نفس النبي بالنص حقا (قل تعالوا) قضت بذنا دعواها

بات ليلا على فراش رسول اللهشتاق للمنون لقاها

و به أهدقت جموع قريشو استطالت له طلا رؤساها

رقدت فى المبيت عيناه لكنقلبه للهدى أفاق انتباها

كلما فى دجى الردى هددت هسطوه الشرك لم يكن يخشاها

فاديا دون أحمد منه نفسا كل نفس حقا تكون فداها

و فى آخرها يقول:

كان سرا مع النبي من قبل يوفى قلوبها سراها

كل أهل النهى بمعناه حارت و دعت باسمه الغلاه إليها

ليس تخفى له المجد ذات محكم الذكر بالثنا أطراها

بمرور العصور جيلا فجيلا ليس ينسى طول الزمان جداها

حين تتلى على النفوس بيانا بسناها الموتى الوحي ثناها

كم له صيحه تذيب الرواسي و من الصخر أسمعت صماها

حل لما قضى ضرائح قدس رحمه الله أكرمت مثواها

فعلى ذاته إله البرايا بالمثاني صلى غداه اجتباهها

### الشيخ عبد الحسين القرملي ابن الشيخ محمد.

ولد في النجف الأشرف سنة ١٣٠٣ و فيها درس. و أقام في ناحيه (الحمزه الشرقي) و كيلا عن المراجع و كان يلم بالسيبه من نواحي البصره أحيانا. على انه كان كثير السفر دائم التجوال و كان يتردد كثيرا على منطقه الأهواز و خاصه مدينه (المحمره) و كانت تربطه باسره السيد عدنان الغريفي رابطه وثيقه، فكان يحل في كل عام ضيفا عليهم و يبقى مده مديده يتناشدون فيها الشعر و يتحاورون بالأدب.

من شعره قوله:

يا مسقط العلمين لا عدمتك وطفاء ملته

ص: ١١٨

أ فهل بسفحك للذى علقت به الأشجان مكثه

و ترى يلم زمانه بالمدلجين اليوم شعته

و بمهجتي الداء الدفين من الغرام فلم ابته

و القلب يتبع أثرهم يا خيبتى و الشوق حثه

يا ظبيه الرمل اعطفى و صلى و لو مقدار لوته

و اشقى فؤاد متيم لم يبق فيه الشوق ثلثه

حتى م وعدك خلب ابداء و كم للعهد نكته

لا تعجبنى أ ما رأيت ملابسى اسمال رثه

فوراء غمدى صارم غضب له فى الحرب وعته

ما ضره شعث النجاد و لا الحلى يلم شعته

و الدهر لا ينفك يضمم للاديب الشهم خبته

أبداء يشن عليه غارته و لا يعطيه ريثه

هيهات يعجم صعديتى و لو أن منه الكف شرته

انى امرؤ ما انفك من صرف الزمان يطيل بحته

و انا الذى اضحى الآباء له من الآباء ارثه

من معشر لم يلبثوا فى ظل عيش الذل لبته

كانوا لمستجع الحيا غيثا و للملهوف غوثه

درسوا الحقيقه كلها و بروعهم لله نفته

أخذوا السمين لمجدهم و استأصلوا بالجد غته

خبيا وراء ذميلهم نحو العلا و دع المطثه

و اطلب حياتك يا فتى العليا و لو قاسيت كثرته

فالعمر أحسنه انصرافا فى العلوم و لو بمثته

هب ان دهرك لا يجامل فاستعن و استبق حرته

و أشر الحياه نتائجا بيضا و لو أطعمت شته

فدع الشباب غروره و انبذ وراء الظهر طته

اطلب معارف مجدك السامى و لو كافحت بثه

فالعمر غال يا زميل إلى الامام و لو بجأته

و قوله:

حلقى يا بنت هامات الفنن و اندبى فى الجوا أبناء الوطن

و املنى هذا الفضا نوحا فقد منى الشعب ببلوى و محن

وطنى نامت عيون سهرت فيك فابتاعتك فى أعلى ثمن

(لا تسلم عما جرى كيف جرى) ان هذا من تقادير الزمن

لست ممن ارهبتة وقفه و على عاهنه قيد الإحن

صعد الطرف و صوب فكره كلما ليل الغواشى لك جن

سترى القوم على غاياتهم وقفوا إذ قلبوا ظهر المجن

ان تسلم عنى فقد جاملتهم و انخت العيس فى ذاك العطن

فتقلب عن مباد صلحت فبهذا شرف الوقت اقترن

**الدكتور عبد الحسين فيلسوف.**

ولد سنه ١٢٤٥ شمسيه و توفى سنه ١٣٢٠ شمسيه فى مشهد الرضا كان طبيبا من مشاهير مدينه تبريز دارسا مع الطب الحديث  
الطب القديم.

من مؤلفاته: كتاب (مطرح الأنظار فى تراجم فلاسفه الأمصار و أطباء الاعصار) فى ثلاثه مجلدات ترجم فيه ل ٤٠٦ أطباء و حكماء. و كتاب (معرفه السموم)، و كتاب (مفتاح الادويه).

### الشيخ عبد الحسين بن الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر.

توفى ليله احدى و عشرين من جمادى الأولى سنه ١٢٧٣ و دفن مع والده من كبار علماء هذه الاسره، كان الشيخ مرتضى الأنصارى يعظمه و يقدمه على سائر تلامذته.

حاول إتمام إيصال النهر إلى النجف و بذل عليه الأموال الطائله و جرى الماء إلى الموضع المعروف (بالطيبيل) ثم وافاه الأجل، كانت نسخه الأصل من الجواهر المبيضة عنده. و هى اليوم فى مكتبه الشيخ محمد تقى نجل الشيخ عبد الرسول نجل الشيخ شريف نجل المترجم له:

ارخ بعضهم وفاته على مرقد الكاشى:

ذا مرقد اضحى امام الهدى عبد الحسين فيه مثواه

لما دعاه الله و اختاره فارضوه (اختاره الله)

و رثاه الشيخ إبراهيم صادق العاملى بقصيده مطلعها:

نزلت فشبث للمجره نارها و اجتاح نور النيرات شرارها

شعاع فاقمه الخطوب و نكبه نكباء قد سد الفضاء غبارها

(١)

### السيد عبد الرؤف فضل الله بن السيد نجيب بن السيد محيى الدين.

#### اشاره

ولد فى بلده عيناتا (جبل عامل) سنه ١٣٢٥ و توفى فى بيروت سنه ١٤٠٥ و نقل جثمانه إلى النجف الأشرف فدفن فى وادى السلام.

كان عالما جليلا يوحى بالطهر و القداسه و الصفاء.

صاحب شخصيه علميه.. روحيه.. تعيش روح الرساله.. و تجسد الإسلام الواقعى المتحرك فى الحياه.. مما جعل اسمه يقترن فى أذهان عارفيه.. بمعان محبيه.. و شمائل كريمه.. تحمل من الصفاء و التقوى و الوداعه - ما ينقلك إلى حضره عالم ربانى.. استضاء قلبه بنور الله فأشرق هذا النور فى محياه.. و على صفحه وجهه.. كما استضاء عقله بنور الإسلام و علومه الزاهره.. فأثار عقول من حوله من طلاب المعرفة و البحث.. و طلاب النجاه و الرضوان.

تلقي دراسته الأولى في جبل عامل ثم هاجر إلى النجف الأشرف في ذي الحجة سنة ١٣٤٦ مبتدئاً دراسته المنهجية.. تحت إشراف أخيه السيد محمد سعيد الذي كان يحمل في أعماقه.. روح التصوف العميق للعلم..

فاستقى من هذه الروحية.. فنذر حياته للعلم و التحصيل و استمر في تحصيل المقدمات على يد أخيه و على يد - الميرزا فتاح الشهيدي ثم انتقل إلى مرحلة التخصص العالي و هو ما يصطلح عليه في الدراسة المنهجية الدينية (بمرحلة الخارج) فحضر عدة حلقات لمشاهير العلماء الاعلام. أمثال السيد أبو الحسن الاصفهاني و السيد محمود الشاهرودي، و السيد عبد الهادي الشيرازي.

و قد تتلمذ على يديه عدد وافر منهم الشيخ بشير حمود الشوكيني و السيد عباس أبو الحسن.. و السيد علي مهدي إبراهيم و الشيخ علي العسيلي و الشيخ حسن العسيلي و الشيخ محمد مهدي شمس الدين و السيد عبد المحسن فضل الله و السيد علي فضل الله و السيد عبد الكريم نور الدين و السيد محمد علي الأمين.. و غيرهم فضلاً عن ولده السيد محمد حسينا الذي كانت معظم دراسته على يديه و كذلك ولده السيد محمد جواد..

و ولده السيد محمد علي و في سنة ١٣٧٥ (١٩٥٥ م) عاد إلى جبل عامل فسكن بنت جبيل و تردد بينها و بين بيروت.

عمل في أوساط المسلمين المؤمنين... في جبل عامل و بنت جبيل بالخصوص.. و في بيروت و الضاحية و غيرها بشكل عام على دعم و تقوية الاتجاه الايماني فكان يمثل الغطاء الكبير للمؤمنين المخلصين.

و في جانب آخر من سيرته. كان يمثل الروحانية الصافية - بالخشوع

ص: ١١٩

١- السمامي.

و الخضوع و الذوبان فى ذات الله.. فقد عاش هذا الواقع فى صلاته و صومه و دعائه.. و التزامه المستمر بقراءه القرآن.

و قد امتاز بطاقه الصبر على قضاء الله - و ظهر ذلك فى جلده و قوه تماسكه فى الحالات الصعبة التى واجهها بفقد بعض ابنائه.

فى حياته الخاصه.. عاش أسلوب الزهد بالمظاهر الخادعه.. فى مختلف مجالاتها.. التى تمثل لدى الكثيرين.. عاملا من عوامل خلق الصراعات و سببا من أسباب الانحراف.

### موهبة الأديبه و الشعريه.

و قد كمنت فيه مواهب اديبه بالاضافه إلى علمه الجم.. غير ان مواصلته للتدريس و البحث حدت بتلك القابليه ان تضعف.. أو تذوب امام توجهه الدينى.. و لكنه بين فترات متقطعه كانت تطفح خلالها بعض الخواطر.. فيندفع إلى نظمها بما يشبه العفو و الارتجال.. لكنه لم يكن يحرص على حفظ المقاطع الشعريه.. لكنه أمكن حفظ بعضها ففى بعض الاخوانيات يقول:

و ما كنت اصفى بالموده موردى لغير فتى أحرزت صفو وداده

و ما علقت كف امرئ بمقادتى إذا انا لم أملك زمام قياده

و انى إذا ما ازور عنى صاحبى و خولنى من هجره و بعاذه

الأطفه ما خلت فيه بقيه و إلا جعلت الهجر أيسر زاده

و له أيضا:

و مما شجانى قوه النفس و الهوى على.. يقودانى لطرق المهالك

أرانى إما أن سلكت طريقه من الرشد مسدودا على مسالكى

- و له مراسلا أخاه السيد عبد اللطيف فى عيناتا:

جريان دمعى و اضطراب جنانى شهدا بانى فيك صب عانى

آيات حبك ليس تخفى.. انها بظهورها أغنت عن البرهان

رفقا فحسبك ما تجن اضالعى ما جل عن نعت و عن تبيان

فلقد ملكت مشاعرى و حللت من نفسى محل الروح من جثمانى

و حديث شجو بت اكنم شجوه و الصدر ضاق به لدى الكتمان

سر تنازعه الضمير و لوعه لمواضع الأسرار و الإعلان  
جلت مواقعه بمهجه واجد حكمت عليه لواعج الأشجان  
لسواك ما اختار الفؤاد بيانه هل موقف فيه تحل بياني  
لله ما حفظ الفؤاد و ما رعى مما جنته نواب الحدثان  
يا جيره علقوا بأسباب الوفا و ترفعوا عن كل امر داني  
و استوثقوا بعري المحامد بعد ما ملكوا من العلياء كل مكان  
لم يثنهم عن نيل ما قد أملوا خطر و ما حلوا بدار هوان  
عهدي بهم و العز تخفق فوقهم اعلامه.. و محط كل أمان  
بثوا الفضائل فى الأنام و كم لهم تليت بذاك مثالث و مثاني  
جمعوا كمالا.. لو تفرق بعضه فى الناس - عم الناس بالإحسان  
فلئن عقدت على الوفاء طويتى لهم و أضمرت الذى أعيانى  
و لقيت فيهم ما لقيت على النوى و لهم بذلت مودتى و حنانى  
و أبيت فيهم عن جميل ماثر عقدت بجيد الدهر عقد جمان  
و ذكرتهم و أسلت دمعى.. انهم هم خيره الأحباب و الاخوان  
- و له غير ذلك بعض المقطوعات الشعرية الأخرى..

## مراثيه

مما رثى به قصيده السيد محمد نجيب فضل الله:  
ذكراك جرح فى فمى و مصاب و على يد الدنيا هدى و كتاب  
ما كنت إلا أمه و رساله و بصدره للعلم لج عباب  
و إذا تقدم للصلاه مكبرا لله كبر بعده المحراب



و إذا انحنى لركوعه و سجوده تحنو صوامع خشيه و قباب  
و كأنما فزع القيامة يومه بعثت به الأموات و هى تراب  
ما ذا دهى الدنيا أماتت هاشم و مضت بها الأيام و الأحقاب  
أم أن عامل شيعت علم الهدى عبد الرؤوف و طاشت الأبواب  
و أطل من كبد السماء على الورى ركب تؤم به العراق ركاب  
عودا على بدء لأعلى ربوه ينحط عنها فى السماء عقاب  
و استقبلته على المطاف لداته علماؤها العظام و الأقطاب  
ميل العمائم نكسا هاماتها رعرش الأكف بها تضيق رحاب  
تلمس التابوت فى راحتها ركن الحطيم و دمعها تسكاب  
و إليه شقوا تحت قبه حيدر لحدنا تقبل عنده الاعتاب  
و كأنما دفنوا بدفنك أمه ماتت بها الأخلاق و الآداب  
و لقد صحبتك و الشباب صبابه و لنا رواح مبكر و إياب  
و بوجهك الوضاء نور ساطع فيه اهتدت شيب لنا و شباب  
و لك المهابه بالأصالة حبه فيها حباك الواحد الوهاب  
و الاجتهاد عليك معقود اللوا و له الجلاله و العفاف إهاب  
ما كل من شد العمامه شيخها و إليه تحنو فى الندى رقاب  
يا للخطوب الهول كيف تناولت جبلا تحف بجانيه هضاب  
أعطى العمامه حقها مترفعا عن كل ما فيه الأبي يعاب  
يا ابن النجيب و من مداد يراعه منه استمد من الغيوم سحاب  
و أمدھا بالفيض من بركاته و الأرض تذبل و السماء سراب

و به يد الكبراء شلت بعد ما بالمعدمين تمرد الإرهاب  
فى الله لم تأخذه لومه لائم و لو أن ألسنه الطغاه حراب  
عذرا أبا العلماء أجم منطقى جرح بقلبى أرقما ينساب  
و كأننى إذ أحتويك قصيده كبد تساقط من فمى و تذاب  
و الشعر أبواب لدى كثيره لكن بوجهى سدت الأبواب  
صبرا جميلا عامل و بنى أبى فالصبر فى الجلى هدى و ثواب  
عبد اللطيف و أنت عصبه أمه و اليه ترجع و الخطوب غلاب  
قصيده السيد محمد حسن الأمين

بيومك يزهو الشعر أم يجذب الشعر حنانيك ما ذا أتتقى و المدى قفر  
يطالعى نهر من النور و الهديفانهد كى أروى فيفجؤنى قبر  
و أكتب ما أمحو.. و أمحو.. و أجتليمحياك فى أفق يعانقه الفجر  
فيرهقنى الحرف الحرون و طالماتعرت تغاوينى مفاتنه البكر  
و أعيا بان أجلوك شعرا فتنشيفوز.. و أمضى خاسرا أنا و الشعر  
أبا الجبهه النور استراح بظلههاو طاف بها الايمان و الحب و الطهر  
تشع على الدنيا سلاما و رحمهو تشمخ.. لكن لا يساورها كبر  
تقول لنا بالصمت أبلغ ما روتشفاه.. و احلى ما تناقله ثغر  
تضىء حواليتها من النور هالهسماويه.. ما المنطق العذب ما السحر  
تحاورك الأملاك فى جنباتها فأنت مع الأملاك ضمكما سر  
و ضمكما كون بعيد و إن دنتبك اللفته الزهراء و البسمه الغمر  
أ أرتيكن.. لا دعنى ألم شمائلاتضوع.. ما نفع العشيات.. ما الزهر

و دعنى اقرأ ألف سفر من التقىو إذا ما انطوى سفر أضاء لنا سفر

و دعنى أسكب فى الجديب من المديرؤاك و دعها تولد الأنجم الزهر

ببالى غداه ارتدت ناديك موجعأبثك ما يلقي على الذروه النسر

ص: ١٢٠

و أن جناحي من نصال و غربه تشظى.. فلا يقوى على شده الصدر

و أن.. و أن الليل ارخى بعامل سدولا و أزجى فيه أنيابه الغدر

و أن ربوعا فى الحمى و معاهدا تالق فيها العلم و الدين و الفكر

هى الآن نهب لليهود و أنها تشكى و فى آذان فتيتها وقر

ذكرتك إذ هزتك نجواى فانبرت تطامن من ياسى قناديلك الخضر

و آنست فى عينيك فجرا تنفست ربي عامل عنه و فاض به البشر

فأيقنت ان الدرب رغم عثارها سينهض من أعماق أوجاعها النصر

و ان دما تحمر من دفته الربى غدا - و هو يعطيها الحياه - ستخضر

فقيد الهدى قم بارك الآن فتيه على الساح يندى فى أكفهم الجمر

يغيرون فالدنيا افترار وافقها ملاعب صحو و المدى أذرع سمر

يقلم ظفر البغى أشوس امرد و يجدع أنف الظالمين فتى غر

شكت حمم الأعداء مر نزالهم و ذل الحديد الصلب و انكفأ الصخر

أضاءت لنا ليل الدروب جباههم ففى كل درب من حكاياهم فجر

و مروا على الجذب اليبس فنورت شقائق ملء الجذب و اعشوشب القفر

يجيئون من تاريخنا فجباههم تسامرها (أحد) و تزهو بها (بدر)

و يمتشقون الكبرياء فتنحنى لقاماتهم عند اللقاء القنا السمر

صحا فى يديهم ذو الفقار فنصله يضىء و وجه الروع اسود مغبر

و عادت بهم أمجادنا و انطوت رؤى كوالح.. و احلولى لنا الزمن المر

فقيد الهدى حسب الهدى أن رعيته زمانا فروى الجيل ينبوعه الثر

لزرعك هذا الجيل أنت غدوته فامرغ من خصب.. و أنت له الجذر

و مرت به عیناک جیلا کما الضحی نقیا فلم یعلق بأردانه وزر  
جلوت له الإسلام نهجا فشاقه بان المدى طلق - كاحلامه - نضر  
و طاب له من سائغ الحرف مورد یسلسله طبع - كما یشتهی - مر  
أقمت له النهج السوی و طالما تعثر جیل ساقه المنهج الوعر  
فحسبک منه ما جنیت و حسبته تهاویل من ذکراک یشری بها العمر  
قصیده الأستاذ محمد فلحه:

أعیا بیومک مقولی فبمسمعی إعوال والهه و صرخه موجع  
یوم کیوم الحشر ضاق بأهله ما بین مهطعه و آخر مهطع  
یبکون من نرف القلوب دموعهم یطغی النجیع علی قریح المدمع  
ألقوا علی المحراب نظره جازع متحسر فی دهره لم یجزع  
ذکروا دعاءک حین تجار بالدعا کالآی یرفع فی المقام الأرفع  
یتساءلون عن الملاذ بخطبهم أ و لست فیهم بالملاذ المفزع  
رانت علی المحراب بعدک وحشه و شکی المصلی من غیابک لو تعی  
أ مطلق الدنیا علی نعمائها و ألیف زهد فی الخصب الممرع  
فکان زین العابدین نبا به نوم المرفه فی وتیر المضجع  
یا ابن الأولى باتوا خماسا و اغتدی من فضلهم طاو بلیل أسفع  
من کافل الأیتام فی باسائهم من للمعنی و الفقیر المدقع  
حدث عن الماضین فی غلس الدجی من هجد أو سجد أو رکع  
عل الذی دخل الدیانه مرتعا ینای و ینهی عن حرام المرتع  
یا ابن الأولى شرعوا القنا یوم اللقا لیدال طغیان الدعی ابن الدعی

كانت لهم يوم الجداء بكر بلا فى الدين جولات الكمى الأشجع

يا ابن الذى رد الحقوق يراعه لسليب حق فى الحياه مضيع

ما زال قولى و الكتاب رساله تتلى على مرآهم و المسمع

الحق و القول الصراح أمانه يعلى لواها كل نجم أروع

أ و ليت عهدك خالصات مودتى ما كنت فيها بالمريب المدعى

و رثاه ولده السيد محمد حسين فضل الله بهذه القصيده:

يا أبى، قد تطل روى على الذكرى، و عيناك فى الكرى تحضنانى و أنا غارق مع اللحم النديان أهفو إليك فى تحنانى

و بقلبي سر بهمهم، يلتاع، يناجيك بالنداء الحانى و بعقلى فكر، زرعت غراس الوعى فيه بالعلم و الايمان

و بدنياى، يا لدنيا الحكايات العذارى، فى فرحه الألحان ألف حب تنساب منه الينايع صفاء فى لهفه و حنان

أنت علمتنى الطهاره فى الحب و سر الإشراق فى الألوان يا لعفو السماح تندى به الروح، فيهمى فى القلب و الوجدان

يا لوى البراءه الطهر تهفو فى انسياب و رقه و احتضان عشت عمرى فى لهفه النور فى عينيك، ألهو فى رفه الأجفان

يظما اللحم فى طفوله أيامى فيروى من روحك الريان كنت أصغى، و كنت تنساب فى الكلمه، يا للعطور فى الأتقوان

كنت تحكى الكثير فى صمت عينيك ففيه يطوف سر الزمان و يعيش الروح المندى مع الله ابتهاالا فى لهفه الإذعان

يا أبى لن يصيح فى عقلى الحزن فقد روض الهدى أحزانى غير أنى أهفو إليك إذا عاشت بقلبي مراره الأشجان

علنى فى التفاته اللحم ألقاك كمثلى الربيع فى نيسان فى اخضرار الحنان فى همسات الحب، فى لهفه الأب الهيمان

مثلما كنت فى الطفوله فى أفق شبابى، أراك سر كيانى أنت علمتنى، إذا اشتدت الآلام أن التقى هدى الرحمن

أن أعيش الصبر الذى يدفع العزمه فى الساح، فى ثبات الجنان فى انطلاق لا يهزم الروح فيه ظما الجرح و اهتزاز المكان

و انفتاح على غد الحق فيما تلتقى فيه رائعات الأمانى فإذا غطت العواصف فى الليل هدوء السهول و الوديان

فسياتى الصباح يحمل فى عينيه سر الهدوء فى الأكوان انه الصبر يحمل الوعى للسايرين فى الدرب، حزمه من أمانى

يسقط الجازعون فى هزه اللحظه، فى فجاه الصدى الرنان يحمل الصابرون فى الفكر، فكر النور فى موعد الضحى الفتان

فإذا الليل عاش فى بعض دنياهم تلقوه بالصباح الهانى أنت علمتنى التسامح إما زلزل العنف ساحه الاخوان  
قلت لى: إن للمحبه عمقا أريحيا فى لهفه الإنسان قد يعيش الأشرار طهر الينايع بعيدا عن وحله الأدران  
فإذا امتدت المحبه بالروح و عاشت بوحيها الشفتان أطلع الخير وحيه فى نداء الاريحيات فى القلوب الحوانى  
فإذا بالذين يحيون للشر و يجرون فى مدى الشيطان يفتح الحب روحه فى نجاواهم فللخير شهقه فى المعانى  
كان لى فى صفاء عينيك معنى الصحو فى لهفه المدى الظمان كنت توحى إلى أن نداء الله لا يستريح للأضغان

ص: ١٢١

كان سر الخشوع فى لفتات النور، فى أريحيه الايمان حسب نجواك روعه أنها تخضر فى كل موعد للأذان  
فى انطلاق يمتد بالألق الروحى فى الفجر فى السنا الهيمن كل ما فى المدى لديك امتداد الوحي فى لطف خالق منان  
فى الرحاب الفساح حيث الأعلى البيض تختال فى ربيع الجنان و على اسم الصلاة تفتح الروح، و تمتد، بالدعاء، اليدان  
يا لفيض الاحساس بالفرح الروحى يسمو فى حضره الحنان أ أناديك يا أبى.. و يفر الحلم منى فى يقظه الوجدان  
أى صوت يوحى فتشرب معناه على لفحه الظما الأذنان أى اطلاله من الطلعه الغراء فى أريحيه الايمان  
تلتقيني ببسمه الطهر فى الروح الالهى فى المدى الروحاني هى إغفاه مع الحلم الوردى عشت انفتاحها بافتتان  
فى ربيع الأشواق لله للجنه فى حضره الأمانى الحسان عشت لله، و انفتحت على الله، و ها أنت فى رحاب الجنان  
ترشف الرحمه الرضيه فى لطف و تحيا رضاه فى اطمئنان هى إغفاه.. و شكك للرضوان صوت فى ساحه الرضوان  
كنت روحا يذوب فى اللطف و الخير و ينتشى و يعانى و أنا - يا أبى هنا فى الرياح الهوج، و الموج هادر فى كياني  
استعيد الروح الذى زرع النور بعينى، و الحق فى وجدانى و صفاء الروح الالهى حتى يطرد الحق موكب الشيطان  
و أنا هاهنا انطلاقه حلم فى انتظار معشوشب الألوان يا أبى عد إلى فى الحلم ان الشوق ما زال فى مدى النيران

### عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى.

توفى سنه ٣٣٧ و قيل ٣٤٠ بطبريه و قيل بدمشق.

قال ابن خلكان فى وفيات الأعيان:

كان إماما فى النحو و صنف فيه كتاب (الجميل الكبرى و هو كتاب نافع لو لا طوله بكثره الأمثله، أخذ النحو عن محمد بن  
العباس اليزيدى و أبى بكر بن دريد و أبى بكر الأنبارى، و صحب أبا إسحاق إبراهيم بن السرى الزجاج فنسب اليه و عرف به، و  
انتفع الناس به و تخرجوا عليه.

و كان قد خرج من دمشق مع ابن الحارث عامل الضياع الاخشيديه فمات بطبريه. و كتابه (الجميل) من الكتب المباركه، لم  
يشتغل به أحد الا- و انتفع به، و يقال انه صنفه بمكه، و كان إذا خرج من باب طاف أسبوعا و دعا الله ان يغفر له و ان ينفع به  
قارئه.

و قال الذهبى فى سير اعلام النبلاء:

شيخ العربيه له أمالى ادبيه، قرأ على أبى جعفر بن رستم الطبرى و روى عن ابن دريد و نبطويه و أبى بكر محمد بن السرى



السراج و أبي الحسن الأخفش و عده، و تصدر فى دمشق، و يقال انه اخرج من دمشق لتشيعة، و كان فى الدماشقه بقايا نصب. و كان حسن السميت مليح الإشاره.

و له كتاب (الإيضاح) و (شرح خطبه أدب الكاتب) و كتاب (اللامات) كبير و (المخترع فى القوافى) و أشياء. و قيل انه ما بيض مسأله فى (الجمل) الا و هو على وضوء.

## عبد الرحمن الكواكبي:

### اشاره

ذكره الشيخ محمد محسن آغا بزرك فى كتاب (طبقات أعلام الشيعة) فيمن ذكر من رجال الشيعة مستندا إلى تشيع والده الذى أكده من عرفوه، و هو يرى إن تشيع الأب لا بد أن يكون قد استمر فى الابن، كما اعتمد على تسلسله من أسره عريقه فى التشيع، نال رجالها ما نالهم من المذابح و الترويع و التشريد بسبب عقائدهم.

على أن التأمل العميق فى بعض النصوص التى كتبها الكواكبي يكشف الملامح الشيعيه الثوريه فى تلك النصوص، و يبرز استيحاءه التمرد الشيعى على الاستبداد، مما لا يمكن ان يصدر إلا عن أوله البعيده فى التشيع العريق...

و قد كان الكواكبي حكيما كالأفغانى فى عدم إبراز تشيعة فى محيط التعصبات المذهبيه العمياء، و لو لم يفعل ذلك لاستغل أعداء الثورة و الإصلاح انتماءهما المذهبي لمحاربه ما يدعوان اليه.

و إننا لنذكر أولا- ما نزل بال الكواكبي فى حلب معتمدين فى ذلك على ما نشره سعد زغلول الكواكبي فى مجله (سوراقيا) بعددها ٣٠٨ الصادر بتاريخ ١٩٨٩/٧/٨، آخذين له بنصه. ثم نتبع ذلك بدراسه عن عبد الرحمن الكواكبي مكتوبه بقلم محمد احمد المقطوف، ثم بدراسه عن فكر الكواكبي مكتوبه بقلم الدكتور جورج كتوره.

قال سعد زغلول الكواكبي:

كانت مدينه حلب المدينه الثانيه فى الامبراطوريه العثمانيه أهميه، و جمالا، بعد العاصمه اسلامبول - الأستانه - القسطنطينيه - استنبول - فهى المحطه الكبرى التى تتقاطع عندها الطرق الواصله بين أوروبا و آسيه، برا و بحرا. فهى بالضروره مركز تجارى لا مثيل له، و ملتقى القوافل. و فوق ذلك كله كانت سوقا أدبيه فنيه التقت فيها ثقافات متعدده، و استقامت بين ظهرانيتها طوائف متعدده من شتى أصقاع الدنيا من مختلف الديانات و المذاهب و الأجناس.

إلا أن قربها من مملكه الروم الجدد - و نقصد بهم العثمانيين - جعلها فى تماس مباشر مع أجهزه الدوله العثمانيه، و على الأخص مع المقيمين الجدد فيها من العنصر المختلط الجديد الذى تألفت منه فى بدايه القرن الرابع عشر الميلادى الفرقه العسكريه المسماه بنى جارى التى كان يكتب اسمها باللغه التركيه و الأحرف العريبه "يكنى جارى" حيث لا تلفظ الكاف، ثم حرفت فى اللغه العريبه و الكتابه العريبه إلى يكنى شارى ثم صحفت بلفظ "انكشارى" أو "الانكشاريه" و هى تعنى "العسكر الجديد".

تناثرت اقامه هؤلاء العسكر فى شتى أنحاء الامبراطوريه العثمانيه، و كان لحلب منهم نصيب كبير. و لما كانت مدينه حلب مسكونه بأهلها و محاطه بسور عظيم ذى أبواب تسعه، تحول من دون حصول إضافات سكنيه جديده داخل الأسوار، فقد اضطر القادمون الجدد، و منهم "العسكر الجديد" أو الينيجاريه - Janissaires إلى بناء بيوت خارج الأسوار مع سائر البيوت التى شكلت الأحياء الجديده، فزاحموا سكانها حتى ان أحد هؤلاء العسكر غرس رمحه فى وسط الزقاق إشاره إلى النقطه التى يريد توسيع داره التى اشتراها إليها فاضحى المرور فيه معاقا حتى اليوم.

و كانت أكثرية المسلمين من أهل البلد، القدامى، يسكنون الأحياء الداخليه ضمن الأسوار حيث يسمى هذا الجزء من البلد ب "المدينه"، بينما كانت الأحياء خارج الأسوار تسمى "الحواضر". و أما المؤسسات الرسميه، و الدينيه، فكانت كلها فى المدينه، و على الأخص القلعه.

و بما ان "الينيجاريه" ليسوا من أهل حلب، و انما هم موفدون إليها

من بقاع شتى ليؤلفوا القطعات العسكرية الخاصه بالسلطان، فقد كانوا يقيمون في الأحياء خارج السور، و على الأخص في أحياء: قارلق و آق يول و قاضى عسكر و بانقوسا. إلا أن سكنهم فى هذه الأحياء لم يكن ليمنعهم من دخول المدينه لشتى الدواعى، و لعل وجودهم الاضطرابى خارج المدينه، التى كانت تضم احيائها الأسر الحلييه العريقه، و خصوصا أسر الأشراف المنتسبين إلى آل البيت، الذين عرفوا بـ "الطالبين"، و كانوا فى نظر الجماهير الحلييه فى قمه الاحترام و التفضيل.

و كان يعز على (الينيجاريه) ان يميز أهل حلب الشريف على "الينيجارى". لهذا عمدوا دوما إلى افتعال الأزمات السياسيه و إشعال الفتنة ليتسنى لهم التدخل، برضاء الوالى أو من دون رضائه.

و أول فتنه عرفناها بحلب بين "الأشراف" و "الينيجاريه"، صادفت وقتا عصيبا اشتكى فيه الأهالى من زبانيه السوق السوداء بعد ارتفاع الأسعار ارتفاعا فاحشا أدى إلى أضعاف الطبقة الفقيره، و إفقار الطبقة الوسطى. و لا بد أن تكون للانكشاريه "الينيجاريه" - و هم المسيطرون العسكرون وقتئذ - اليد الطولى فى رواج السوق السوداء، مما أثار عليهم نقمه الأهالى. و كانت العاده ان يلجا أهل حلب إلى "الساده" أى "الأشراف" يشكون إليهم مصائبهم، و يستجيبون بهم. و من هنا كان تدخل هؤلاء فى شئون الأهالى.

و كان نقيب أشراف حلب يومئذ: السيد احمد بن أبى السعود الكواكبى (١١٣٠ - ١١٩٧ هـ ١٧١٧ - ١٧٨٣). و بسبب تدخل نقيبته، أقدم الينيجاريه على الاعتداء على من يشاهدونه من الأشراف فقتلوا منهم الشريف السيد احمد أخا شيخ الدقاين فى البلد، و جرحوا بضعه أشراف، و هربوا و لاذوا بأمر لواء الموالى، الذى حماهم و لم يرضخ لطلب الأشراف و الأعيان بحلب بتسليمهم. (١) و أدت هذه الفتنة إلى عزل الوالى الحاج إبراهيم باشا القاطر آغاسى و تعيين عبدى باشا مكانه، فكان ظلوما عسوقا، انتصر لجيش الينيجاريه و عاث فى البلد و استباح الحرمات، و خاصه فى مدينه كلس التابعه إلى حلب، و أما فى حلب فقد قطع رأس احمد الخنكارلى والد متسلم حلب، إذ قبض عليه بحيله دنيئه بوساطه اتباع أرسلهم اليه كضيوف و هم من الينيجاريه، ثم قبض على ابنه، محمد و على نقيب الأشراف السيد احمد الكواكبى، فاخرجا مع الرأس المقطوع إلى ناحيه إعزاز شمالى حلب حيث قيدوا المتسلم مع رأس أبيه فى خيمه، و أما النقيب أحمد الكواكبى، فقد عين معه بيارق (٢) و نقله منفيا إلى قلعه البيره، و عين فى مكانه نقيبيا للأشراف، لطوف بك عادلى زاده طوقتكين الأرناءوطى، و عين متسلما جديدا من الينيجاريه هو كوجوك على آغازاده محمد سعيد آغا، الذى أقام فى تكيه الشيخ أبى بكر الوفائى، و أمر زبانيته بنهب بيوت الأكابر و المشايخ، و الأشراف، و الأعيان، من المسلمين و من أهل الذمه، فراحوا يشربون الخمر و يتعاطون الزنا و اللواط و الفسق علنا، و جاءوا إلى محله باب النصر، و تفقدوا الدور العظيمه و أخرجوا أصحابها و طردوهم و لو كانوا من النساء و صادروها، و منها الدار العظيمه التى كان السيد احمد الكواكبى قد باشر فى بنائها على انقاض سراى جنبلاط و دور بنى عبد السلام، فصادرها قبل اكمال بنائها (٣) و الزم النصارى بيعه ألف غنمه لقاء ١٦ كيسا (و الكيس فيه خمسمائه قرشل) و الزم اليهود بتسعائه غنمه بنفس السعر.

و فى آخر محرم ١١٩٥ هـ كانون الثانى (يناير) ١٧٨١ م حل عثمان باشا البلد مع عسكره و طرد عسكر عبدى باشا، من بيوت الأكابر و خصوصا بيوت عمر افندى و جلبى افندى و طرابلسى افندى و كواكبى زاده و بيت الزعيم. و كانت بينه و بين عبدى باشا وقائع كثيره انتهت بعزل عبدى باشا و باعاده الأموال المصادره إلى أصحابها.

و فى عام ١٢٠٦ هـ - ١٧٩١ م ثار بطلال آغازاده نورى محمد آغا - و هو من زعماء الأكراد - فى عين تاب (المعروفه باللغه التركيه ب "عنتاب") و هاجم الينيجاريه، و ساعده الأشراف فى ثورته. فاستولى على قلعه عين تاب و رممها و أقام فيها. إلا أن السلطه فى اسلامبول، أمرت والى حلب كوسا مصطفى باشا بان يتجه اليه و يحاربه، فوصل الأمر إلى الوالى و هو هارب من أهل حلب الذين كانوا هم أيضا قد ثاروا عليه و على السلطه و أخرجوه من المدينه هو و عسكره، فاتجه بعسكره الينيجاريه إلى عين تاب حسب الأمر و حاصر قلعتها خمسة أشهر نفذت خلالها المئونه و الذخيره فاستسلم بطلال آغا فقبضه و قطع رأسه مع خمسة و عشرين رأسا، أرسلها إلى اسلامبول.

و مرت سنتان. حتى إذا كانت سنه ١٢٠٨ هـ - ١٧٩٣ م (على ما اثبت جودت فى تاريخه ج ٦) و لم تكن الفتن بين الساده الأشراف و معهم الأسر الحلبيه و بين الانكشاريه لتقطع، فاستولى هؤلاء على منافع البلد و ما جاوره من بلاد و عاثوا فى الأرض فسادا بصوره أزال نفوذ الولاة من البلاد، و حالوا دون اقامه الأحكام الشرعيه. و كانت سلطه الدوله ضعيفه بسبب الحرب الروسيه التى انتهت فى ١٢٠٦ هـ - ١٧٩٢ م.

حتى إذا كان منتصف عام ١٢٠٨ هـ - مطلع سنه ١٧٩٣ م عين السلطان سليم الثالث، واليا جديدا على حلب هو ترنج زاده سليمان فيضى باشا فراح هذا يحاول اعاده تنظيم شئون البلد و إصلاح ذات البين بين فئتي الأشراف و الينيجاريه. إلا ان هؤلاء لم يكونوا ليرضخوا إلى سلطه أى وال، فأقدم بعضهم على التعرض إلى أحد وجهاء المدينه محمد افندى الغورى فما زالوا يضربونه و يهينونه حتى قتل من دون أى سبب أو ذنب ارتكبه. و انما رغبه منهم فى إشعال نار الفتنه. و لما حاول الوالى سليمان باشا معاقبه المعتدين عصى عليه الانكشاريه فهرب إلى خارج البلد، و أقام فى بعض بساتينها، و كتب يشكو الأمر إلى السلطان فى اسلامبول و يشرح حاله مع الينيجاريه المحسوسين دوما على السلطان.

انتهز الينيجاريه فرصه خروج الوالى، فتعرضوا فى حى ساحه الملح إلى بعض رجال الأشراف الذين كانوا مارين امام جامع الأطروشى و انقضوا عليهم يريدون ان يفعلوا بهم ما فعلوه بمحمد افندى الغورى فهرب الأشراف إلى داخل الجامع و اوصدوا بابه، و ترسوه بالحجاره الضخمه، فأحرق الينيجاريه الباب بعد أن صبوا عليه القطران فانت النار عليه (و لا تزال آثار الحريق باقيه حتى يومنا هذا). و اقتحموا الجامع. فهرب الأشراف إلى المئذنه فلقحوا بهم فألقوا بأنفسهم إلى السطح، و منه إلى سطح الميضاه فصعدوا إليهم، و قبضوهم، و قيدوهم، و بالوا فى أفواههم، ثم ذبحوهم ذبح النعاج كل أمام صاحبه. و سالت دماؤهم فى مصلى الجامع. و حالوا من دون وصول نجده من أهل المدينه إليهم. و دب الذعر بين الناس، و كادت المذبحه تنتقل إلى داخل المدينه لولا وصول وفد رسمى من قبله.

ص: ١٢٣

١- تلاحظ أن تعاوننا خفيا لم اعرف أسبابه كان يجرى بين أغوات الانكشاريه و بين عشائر البدو. و لقد تكرر ذلك فى حادثه قومه البلد عام ١٨٥٠ إذ كان عبد الله البابنسى و هو من السكمانيه الينيجاريه يعتمد على عشائر البدو فى تلك الحادثه.

٢- حينما ينفى رجل من كبار الشخصيات إلى خارج المدينه كانوا يرسلون معه جنودا تحمل اعلاما (بيارق) رسميه تشير إلى أن سوقهم هذا الشخص للنفي انما هو بامر الدوله.

٣- وهى الدار الجاريه حتى الآن فى وقف احمد الكواكبي قطنها بعد ذلك آل إبراهيم باشا باعتبارهم من ورثه جدتهم، اوضحت الآن مدرسه، و تنسب خطأ إلى جنبلاط لأن سراى جنبلاط لم يبق لها إلا اثر فى اساسات البناء.

السلطان سليم الثالث من اسلامبول اتصل بالينيجاره و أبلغهم رغبه السلطان بان يكفوا عن المذبحة فى الاشراف، و ان يتصالحو مع الوالى فسكنت الفتنة فى حلب موقتا.(1) إلا ان الناس باتوا كالسكارى من هول المذبحة، التى لم يشاهدوا مثالا لها من عهد التتر.

و قد أثارت هذه المذبحة قريحه الشعراء فخلدوا ذكرها بشعرهم، و كان أشهرهم الشيخ محمد أبو الوفاء الرافعى فى قصيدته التى نقتطف منها الأبيات التالية:

لا يامن صروف الدهر إنسان و لا نوائبه فالدهر خوان

فكم أباد من الماضين من ملك له بسطوته عز و سلطان

كل المصائب قد تسلى نوائبها إلا التى ليس عنها الدهر سلوان

هى المصيبة فى آل الرسول فقد سارت باخبارها فى الناس ركبان

آووا لبعض بيوت الله من فرق من العدو و للأعداء عدوان

فجاء قوم من الفجار تقصدهم بكل سؤلهم بغى و طغيان

و كيف صح قديما عهد طائفه ضلت و ليس لهم فى القلب ايمان

سلوا عليهم سيوف البغى و اقتحموا كما تهجم جبار و شيطان

و كل هذا و آل البيت ما رفعت لهم عليهم يد و الرب ديان

فلو سمعت عويل القوم من بعد إذ يستغيثوا لهدت منك أركان

يا رب والده كبت على ولد فمزقوه و ما راقوا و ما لانوا

يا رب ارملة ريعت بصاحبها و حولها منه أيتام و صبيان

أ هذا جزاء رسول الله من فئه قلوبهم ملؤها اثم و نيران

و له من قصيده أخرى:

الله أكبر من خطب له شان قد شاب من هول ذاك الخطب ولدان

إذا الرسول ينادى عترتى ظلمت سلطانك اليوم لا يقهره سلطان

يزيد سيدكم و الشمر قائدكم إلى الجحيم فبئس الدار نيران

و قال محمد الخسروي من قصيده طويله:

أ هكذا تفعل الإسلام في نفر المصطفى جبههم من قبل ما كانوا

سلوا عليهم سيوف الغدر و ابتدروا سلبا و قتلا و ما دانوا و لا لانوا

و كم مخدره للوجه حاسره يهتز من نوحها للعرش أركان

يزيد أوصاكم في ذاك يا سفل بموت نسل النبي و هو ظمآن؟

و قال فاضل بك الاستنبولي من قصيده:

يا مصطفى ان القلوب منغصه لبنيك في الشهباء حلت منقصه

في جامع يدعى الطروش لقد غدت بدمائهم تلك الأماكن مقنصه

فدماء أعداء الإله ثمينه و دماء أولاد الرسول مرخصه

و لانت أولى بالجميع و هذه شكواهم رفعت إليك ملخصه

من هو عبد الرحمن الكواكبي؟

يرد المؤرخون أصل آل الكواكبي إلى سيدنا علي بن أبي طالب و أن رجلا اسمه (على سياه پوش) من أحفاد صفى الدين الأردبيلي جد الأسره الصفويه التي حكمت ايران تزوج من حليبه و هو في طريقه إلى بلاد الروم و رجع إلى أردبيل و منه بيت الكواكبي. و رد المؤرخون كذلك نسبهم إلى الامام محمد الباقر.. و أول من اشتهر بالكواكبي هو أبو يحيى الكواكبي..

"و عرف بالكواكبي لاتصال أحد أسلافه بال الكواكبي من جهه النساء المعروفين عندنا بعراقه النسب". و قيل إنه عرف بالبيري نسبه إلى بلده (البيره) و عرف بالكواكبي لأنه في البدايه كان يشتغل بالمسامير الكواكبيه ثم دخل الصوفيه و فتح الله له الطريق و توفي هذا الرجل عام ٨٩٧هـ و دفن في أحد أحياء حلب بمكان يسمى الآن جامع الكواكبي.

كانت أسره الكواكبي أسره متعلمه و أهل دين و ورع و زهد و كرم و شرف، و ولد أحمد بهائي بن محمد بن مسعود الكواكبي و هو والد شخصيتنا - عبد الرحمن الكواكبي - ولد عام ١٢٤٥هـ و تلقى علومه في حلب و عرف بالذكاء و الأخلاق و خلف وراءه ولدين أحدهما عبد الرحمن الذي ولد عام ١٢٧١هـ - ١٨٥٤م بحلب حسبما أورده الدكتور سامي دهان في كتابه عن عبد الرحمن الكواكبي و يتفق في ذلك مع المستشرق الفرنسي (نور بيرتا بيرو). و أذكر هنا ان خطأ مطبعيا قد وقع فيه الدكتور محمد عبد الرحمن برج في كتابه حول عبد الرحمن الكواكبي حيث ذكر انه - الكواكبي - قد ولد عام ١٨٤٨م.. و لكن

الكواكبي جريا منه وراء دخول الانتخابات التركيّه قد غير تاريخ ميلاده إلى ١٢٦٥ هـ الموافق ١٨٤٨ م أورد ذلك ابنه د. أسعد الكواكبي.

توفيت والده الكواكبي عام ١٨٥٩ م و عمره ست سنوات و بذلك فقد حنان الأمومه حيث أرسله والده إلى خالته السيده صفيه بنت مسعود في تركيا و مكث هناك سنوات ثلاثا تعلم فيها التركيّه و بعض المعارف ثم عاد إلى حلب حيث والده الذي ألحقه بمدرسه الشيخ طاهر الكلزي، فتعلم بعض العلوم في التركيّه و الفارسيه و العربيه ثم عاد ثانيه إلى انطاكيه و عمره ١١ سنه فكان يدرك الأشياء و يتأثر بجمالها و هنالك بقي عاما دخل فيه مدرسه خصوصيه ثم عاد إلى حلب و دخل المدرسه الكواكبيه التي كان والده مدرسا فيها و مديرا لها و هنالك اتقن التركيّه و الفارسيه تكلما و كتابه، و داوم على القراءه و الاطلاع حتى بلغ سن العشرين مكتسبا حصيله من المعلومات القيمه، و لما وصل إلى ٢٢ من عمره التحق كمحرر غير رسمي "ما يسمى اليوم بالمتعاون" بجريده "فرت" و هي الجريده الرسميه التي تصدر عن الحكومه التركيّه بالعربيه و التركيّه، و قد و [ ] كان محرروها من ذوى المقدره و الاطلاع، و لم يمض عام حتى ألحق كمحرر رسمي بالجريده، غير أن الأيام لم تطل حتى أنشا جريده عام ١٧٧٨ [١٨٧٧] م باسم (الشهباء). و تعتبر الشهباء أول جريده عربيه تصدر في حلب و أخذت الشهباء توجه الانتقادات إلى المسئولين و على رأسهم السلطان عبد الحميد، و ما كان ليرضى السلطان هذا الخط، الأمر الذي جعل الصحيفه تموت عند العدد ١٥، و لكن الكواكبي لم ييأس فعاود الكره من جديد عام ١٨٧٩ م حيث أنشا جريده أخرى باسم "الاعتدال" و لكنها بامتياز سعيد بن علي شريف، غير أنه كما ألغى كامل باشا الجريده الأولى ألغى جميل باشا رئيس الوزراء العثماني الجريده الثانيه.. كل ذلك لأن ما جاء به الكواكبي لم يكن مألوفاً في تلك الآونه من جراه و نقد لاذع لصور الفساد في البلاد و كان المقصود بعملهم ذاك أن يسدوا الطريق أمام غيره من الشباب.

و لما بلغ الكواكبي ٢٥ من عمره عين عضوا فخريا في لجنتي المعارف و الماليه، ثم عضوا في الأشغال العامه، ثم رئيسا لقلم المحضرين في ولايه حلب، ثم عضوا فخريا في لجنه امتحان المحامين. و في عام ١٨٨١ م عين عضوا فخريا في مطبعه ولايه حلب ثم رئيسا فخريا كذلك للجنه الأشغال العامه. و في ١٨٨٦ م عين مأمورا للاجراءات في حلب. و قد كان في كل هذه المناصب عاملا مثابرا مخلصا شجاعا في قول الحق مما جعل الدوله تراقب أعماله و خاصه حينما علم جميل باشا والي حلب بان ما يكتب في صحف الآستانه و بيروت كان بتحريض من الكواكبي.

أبي الكواكبي هذه المعيشه و استقال من الوظيفه الحكوميه عامه.

ص: ١٢٤

١- ذلك لأن الفتنة تكررت في أيام خورشيد باشا و انقلبت إلى ثوره عارمه.



١٨٨٦ م و فتح مكتبا للمحاماه يدافع عن المظلومين و يأخذ بأيديهم، فقد كان مكتبه منتدى للمظلومين الذين يفتح الطريق فى وجوههم، و قد كان الكواكبي مصدرا رجح اليه المبعوث من الآستانه و الذى جاء للتحقيق فى خلاف بين والى حلب و قنصل انجلترا، فكان المندوب يجتمع بالكواكبي سرا و يأخذ منه المعلومات الصادقه حتى كانت النتيجة عزل القنصل عن حلب، و بذلك أثبت الكواكبي أنه لا يطلب غير الحق و لا يقول سواه حتى و لو كان على عدوه.. و اتسعت الشقه بين الكواكبي و والى حلب بما وشاه الواشون حتى فكر الوالى فى وسيله للقضاء بها على الكواكبي، و لما أحس الكواكبي بذلك قرر الرحيل إلى إستانبول، غير أن الوالى منعه و سلط رجاله لمراقبته و مراقبه المترددين عليه و الذين كانوا من المظلومين الذين يكتب لهم العرائض. و لما كثرت العرائض و الشكاوى أرسل السلطان صاحب بك إلى حلب ليحقق فى تلك العرائض و يقال انه بقى مع لجنته شهرين ينظرون فى شكاوى كانت مكتوبه بيد الكواكبي.

صادف ان أطلقت النار على الوالى من قبل محام أرمنى فأصابه و لم يقتله، عندها اعتقل الكواكبي و جماعته توقعا بأنه كان وراء الحادث، غير أنه فى النهايه نقل الوالى إلى الحجاز و حل محله عثمان باشا الأعرج و الذى كان يحمل على كرسى نتيجته لعجزه. و بعد مجيء هذا الوالى عين الكواكبي رئيسا للبلديه ثم عزل، و بعض الآراء ترى أن الكواكبي وقع ضحيه مكيده كادها له الوالى فسجنه ثم برأته المحكمه.

و أثناء تعيينه رئيسا للبلديه عام ١٨٩٢ م أثبت عبقريته و وسع اطلاعه و أعماله الكثيره و مشاريعه المتعدده. و لما عاد عثمان باشا إلى حلب مره ثانيه عين الكواكبي عام ١٨٩٢ م رئيسا لغرفه التجاره و المصرف الزراعى فقام بعمله على خير ما يكون القيام و لكنه استقال فيما بعد و سافر إلى إستانبول للسياحه ثم انزوى و لم يسمع بقدمه أحد حتى بعث إلى أبى الهدى الصيادى الذى أحضره إلى منزله و اغتبط بوصوله، و بعد أشهر رجع الكواكبي إلى حلب حيث اشتغل فى الالتزام فى اداره الريجى، و بذلك زاد حب الشعب له و ثقتهم فيه و فى عام ١٨٩٤ م عين رئيسا لكتاب المحكمه الشرعيه بحلب فنظمها و منع اختلاط الرجال بالنساء غير أن بقاءه فيها لم يستمر سوى عامين و تألب عليه الحساد و الأعداء فنقل رئيسا للجنه البيع فى الأراضى الأميريه، و ازداد حب الشعب له فى الوقت الذى زاد غضب أعدائه و حساده.

و قد تظاهر الكواكبي بالسفر إلى إستانبول فى الوقت الذى كان عازما على السفر إلى مصر حيث كان فى ذهنه أصدقائه أنه مسافر إلى إستانبول و لم يشعروا إلا و مقالاته فى صحف مصر، و هناك تقرب منه بعض الأتراك متظاهرين بالصدافه و لكنهم فى الواقع جواسيس عليه، و قد التقى فى مصر مع كثير من الكتاب و الأدباء و أخذ ينشر مقالاته فى صحف مصر كما أخذ نجمه فى اللعان بين الناس و خصوصا أثناء نشر كتابه (أم القرى) الذى ألفه أثناء وجوده بحلب.. و قد نشر الكواكبي - بدون توقيع - مقالات حول الاستبداد و قد كان لتلك المقالات صدى عميق لدى القراء المعجبين دون أن يعرفوه..

و لما كان الخديوى عباس الثانى يتوق إلى الخلافه فقد استدعى الكواكبي من أجل أن يمهد أمامه الطريق بالدعايه مقابل أجر شهرى مقداره (٥٠ جنيها مصريا) و بدأ الكواكبي رحلته الدعائيه فى عام ١٩٠١ م و عمره لا يزيد على ٤٩ سنه فاتجه إلى اليمن ثم إلى الهند و شرق إفريقيا و طاف مصر و السودان، و الحبشه و وصل إلى منطقه باكستان الحاليه. و قد دامت تلك الرحله حوالى سته أشهر عاد بعدها إلى القاهره بمعلومات وفيه و كان بنوى القيام برحله أخرى إلى المغرب غير أن المنيه عاجلته و انتقل إلى رحمه الله بعد أشهر ثلاثه من عودته حيث توفى مساء الخميس ١٤ يونيه ١٩٠٢ م الموافق ٥ ربيع الأول ١٣٢٠ هـ عن

عمر يناهز الخمسين عاما.. غير أن د. محمد عماره في كتابه "الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي" يرى أن الكواكبي مات مسموما من قبل عميل عثمانى.

و لما علم الخديوى عباس بوفاته أمر أن يدفن على نفقته حيث دُفن فى سفح المقطم، غير أن رفاته نقلت مؤخرا إلى مقبره خاصه بمشاهير العلماء بمنطقه باب الوزير، و قد كتبت على القبر أبيات للمرحوم حافظ إبراهيم:

هنا رجل الدنيا هنا مهبط التقى هنا خير مظلوم هنا خير كاتب

قفوا و اقرءوا أم الكتاب و سلموا عليه فهذا القبر قبر الكواكبي

و قد تاثر لوفاته كل الأصدقاء و الأحاب و كتبت الصحف مقالات طويله عن حياته و مآثره.

غير أن الأستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه (عبد الرحمن الكواكبي) لا يوافق أن يكون الكواكبي قد ذهب فى رحلته مدفوعا من الخديوى إسماعيل و يعتمد فى ذلك على ما ذكره أحد الذين يعرفون الكواكبي و الذى أبلغه أن الكواكبي كان يدعو لنفسه.

و قد كان الكواكبي عازما على أن يخرج رحلته تلك فى كتاب غير أن المنيه لم تمهله..

كانت بدايه النهضه الفكرية العربية فى بلاد الشام فى منتصف القرن التاسع عشر حين ظهرت الإرساليات التبشيرية و التى يحركها المستشرقون الأوروبيون، و كان لفرنسا السبق فى ذلك حين أنشأت أول مركز للثقافه الفرنسيه عام ١٧٣٤ م و أدخلت أول مطبعه إلى المنطقه فى حلب عند بدايه القرن الثامن عشر.. و دخل التنافس بين المبشرين الفرنسيين و البروتستانت الأمريكين حيث فتح الأمريكين المدارس، فما من منطقه تقيم بها احدى الطائفتين مدرسه حتى تسرع الثانيه لانشاء مثلتها.. و قد أدت الرحلات و الهجره و المدارس و التجاره إلى تثبيت الثقافه الأوروبيه بالمنطقه، الأمر الذى أدى إلى ظهور أعلام ينادون بضروره بعث الأدب العربى القديم.

و قد ترتب على ذلك أيضا انقسام المفكرين إلى قسمين: قسم يرى ان إدخال الحضاره الغربيه سيؤدى إلى القضاء على الحضاره الإسلاميه و يطفو فوقها، و فريق آخر لا يرى مانعا من الاقتباس من الحضاره الغربيه و الأخذ منها ما يناسب الحال.

و يبرز أمامنا أساتذه اجلاء من رواد الفكر الإسلامى أمثال جمال الدين الأفغانى و الشيخ محمد عبده و عبد الرحمن الكواكبي.

و كان الأفغانى ينشد مجتمعا اسلاميا صافيا عقيدة و صفات و نظاما سياسيا و كذلك كان الكواكبي يطمح إلى مجتمع اسلامى مع التركيز على أهميه العرب فيه، فالأفغانى يرى " أنه لا- جامعه لقوم لا- لسان لهم، و لا لسان لقوم لا آداب لهم و لا عز لقوم لا تاريخ لهم و لا تاريخ لهم إذا لم يقيم منهم من يرى آثار رجال تاريخهم فيعمل عملهم و ينسج على منوالهم".

و يرى الكواكبي أن قياده أمه الإسلام تكون للعرب و يحصرها فى عرب الجزيره و يخصصها فى قريش، و يرى كذلك أن عدم استعراب العثمانيين ساعد على فشلهم و ان العثمانيين قدموا الدوله على الدين و الملك على العقيدة، بينما يرى الأفغانى أن

صلاآ أآوال الأمه الإسلاميه يكون على يد الدوله العثمانيه و ندد بالسياسه الأوروييه، و قد قال الكواكبي مناشدا أبناء العرب " كان أجدادكم لا ينيحون إلا ركوعا لله و أنتم تسجدون لتقيل أرجل

ص: ١٢٥

المنعمين و لو بلقمه مغموسه بدم الإخوان و أجدادكم ينامون الآن في قبورهم مستورين أعزاء و أنتم أحياء معوجه رقابكم أذلاء".

و قد خلف الكواكبي آثارا خالده بقيت و إن ذهب الرجل، فقد أبقى للانسانيه مجموعه من الكتب: "أم القرى"، "طبائع الاستبداد"، و سأعرض لكل منها بايجاز شديد. أما كتاب "صحائف قريش" فكان قد ألفه الكواكبي و كان جاهزا للطباعه إلا أن وفاه المؤلف المفاجئه جعل الكتاب يصادر مع مجموعه من أوراقه و أرسل هديه للسلطان العثماني، و قد بحث عنه ابنه الدكتور أسعد في الآستانه و لكنه لم يعثر عليه و قد أشار الكواكبي نفسه إلى هذا الكتاب في بدايه كتابه "أم القرى" حيث قال: "من يظفر بنسخه من هذا السجل فليحرص على اشاعته بين الموحدين و ليحفظ نسخه منه ليضيف اليه ما سيتلوه من نشرات الجمعيه باسم "صحائف قريش" و التي سيكون لها شان في النهضه الإسلاميه العلميه و الأخلاقيه.

أما كتاب "العظمه لله" و كان هذا الكتاب قد ألفه الكواكبي و لم يطبع للناس فقد صودر هو الآخر و قد ذكر محمد كرد في مذكراته بأنه اطلع على ذلك الكتاب في مصر.

و بالاضافه إلى ذلك كان الكواكبي شاعرا و ما زال ابنه يحتفظ بحوالي ٣٠٠٠ بيت من شعره.

\* أم القرى: ألف الكواكبي هذا الكتاب في حلب و نشر أول ما نشر في مصر سنه ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠ م، و فيه تخيل المؤلف مؤتمرا اسلاميا عقد بمكه للنظر في أحوال المسلمين و سبب تاخرهم و حضر هذا المؤتمر ممثلون عن جميع الأقطار الإسلاميه حتى سكان ليفربول المسلمين قد أرسلوا من يمثلهم في المؤتمر، و ترأس المؤتمر العضو المكي بينما تولى أمانه السر الكواكبي الذي سمي بالسيد الفراتي نسبه إلى الفرات.. و قد وصل المؤلف إلى مكه في أوائل ذى القعده بعد جولته في كثير من الأقطار، فوجد في مكه كثيرين استجابوا لدعوته عدا الأديب البيروتي الذي اعتذر لأسباب جعلته يمتنع و التي لم يذكر عنها السيد الفراتي شيئا، و قد مثلت في المؤتمر كل من مراکش، تونس، القسطنطينيه، تفليس، تبريز، بكين، دهلي، كلكتا، ليفربول، و قد دامت الاجتماعات ١٥ يوما عقد فيها المؤتمر ١٣ اجتماعا بما في ذلك اجتماع الوداع.

- الاجتماع الأول: عقد هذا الاجتماع يوم الاثنين ١٥ من ذى القعده ١٣١٦ هـ و حضره ٢٢ عضوا حيث وزعت مطبوعه تحوى مفتاح الرموز المستعمله في المؤتمر و كان شعار المؤتمر (لا نعبد إلا الله) و افتتح المؤتمر الأستاذ المكي بالترحيب و عرض حال المسلمين المتأخر ثم حددت خطوط الجلسه المتمثله في تلك الحاله و تأثير الجهل عليها و تحميل العلماء و الأمراء سببها و وضعوا العلامات الحمراء أمام الأمه و يبين الرئيس المكي بان النهضه متوقعه و بان الأمل موجود بل و يحدد مواعيد لها و هي فتره لا تتعدى عشرين عاما تستطيع خلالها الأمه الإسلاميه أن تستوعب العلوم الحديثه و تبنى مجتمعا و من بعد في العشرين سنه المقبله تستطيع أن تبنى جيلا جديدا يرقى بها، و قد نبه السيد المكي إلى دور الجمعيات في هذه الفتره، و فى النهايه يطرح القضايا الرئيسيه الواجب بحثها و التي تتمثل فى الداء و موضعه و أعراضه، و الداء و جراثيمه و وسائل استعمال الدواء و كيف يكون التدين بالإسلام، و عن الشرك الخفى و البدع و مقاومتها و تحرير قانون لتأسيس جمعيه تعليميه.

- الاجتماع الثانى لا عقد هذا الاجتماع فى ١٧ من ذى القعده ١٣١٦ هـ أى بعد يومين من الاجتماع الأول. و فى بدايته تكلم الرئيس المكى عن حاله الفتور الإسلاميه مقابل حركه أعدائهم النشطه، و على المؤتمر النظر فى هذه المشكله و قال الصاحب

الهندي: أن كثيرا من البلدان خامله. أما الفاضل الشامي فرد ذلك إلى عقيدة الجبريه، أما البليغ القدسي فرده إلى أنظمه الحكم من اشتراكه ديمقراطيه إلى ملكيه مطلقه، و رد الحكيم التونسي الأمر إلى الجهل، و المولى الرومي عزاه إلى فقدان الحريه.

- الاجتماع الثالث: عقد هذا الاجتماع يوم الخميس ١٨ من ذى القعدة ١٣١٦ هـ حيث واصل المولى الرومي حديثه موجهها النقد اللاذع للعلماء. "الرياض الكردي" يرد الأمر إلى بعد المسلمين عن العلوم التطبيقية.

أما الفقيه الأفغاني فقد رأى أن الفقر هو السبب و كذلك اساءه جبايه الضرائب.

- و فى الاجتماع الرابع: تحدث المندوب النيجيرى عن المجتمع فى ذلك الزمان مقارنة إياه بالمجتمع قبل الإسلام.

- و فى الاجتماع الخامس: تم تفويض السيد الفراتى و السعيد الإنجليزى بوضع قانون دائم للجمعيه، و محدث فيه السعيد الإنجليزى عن نشاط جماعته الداعيه للإسلام و وجوب تدعيمها، و الاجتماع السادس بحث فيه الإسلام و مرونته و تطوره.

- و فى الاجتماع السابع: الذى عقد فى ٢٤ من ذى القعدة ١٣١٦ م تحدث السيد الفراتى عن أسباب تأخر المسلمين و أرجعه إلى عوامل دينيه و سياسيه و أخلاقيه ثم تحدث عن أسباب خراب الحكم العثماني فارجعها إلى قوانين تلك الدوله التى كانت تطبق على كل المناطق على الرغم من تباينها و كذلك مركزيه الحكم و طريقه اختيار حكام الولايات، و عدم المساواه بين الرعايا، و محاربه الأفكار الجديده و تسليم الحكم ليد من لا يستحقه و كذلك الاستبداد بالرأى.

- و فى الاجتماع الثامن: واصل الحديث السيد الفراتى موضعا النظرة الجديده لأمه اسلاميه تعيش نظام العصر.

- الاجتماعات التاسع و العاشر و الحادى عشر: فيها قرئ قانون الجمعيه فقره فقره ثم نوقشت فى الاجتماعين العاشر و الحادى عشر.

- الاجتماع الثانى عشر: و فيه دار بعض النقاش حول القانون الذى سمي (قانون جمعيه تعليم الموحدين) و يتكون من مقدمه و فصل أول فى تشكيل الجمعيه ثم الفصل الثانى فى ميادين الجمعيه و الفصل الثالث حول ماليه الجمعيه و الفصل الرابع فى وظائف الجمعيه ثم الخاتمه.

و فى هذا القانون نرى الدعوه صريحه لاقامه خلافه عريبه مرجعين ذلك إلى ستة و عشرين سببا.

\* طبائع الاستبداد: سبق أن ذكرت أن الكواكبي قد وصل إلى القاهره فى الوقت الذى كان أصدقاؤه يتوقعون ذهابه إلى إستانبول. و لما وصل إلى القاهره بدأت مقالاته تتوالى فى صحفها تهاجم الاستبداد. و يقول صديقه كامل الغزى: ان الكواكبي لم يطلع على كتابه (طبائع الاستبداد) مثلما فعل فى كتابه (أم القرى) و لم يعلم كغيره من أصدقاؤه إلا و مقالات كتابه تنشر تباعا، و قد أصدر السلطان العثماني عبد الحميد الثانى قرارا يمنع دخول الكتابين إلى بقيه الممالك و قد كان الكواكبي يؤمن أن عمله لن يحقق ما يتمناه، بل انه سيكون خطوه على الطريق فقد وصف كتابه بأنه "كلمات حق و صيحه فى واد إن ذهبت اليوم مع الريح فقد تذهب غدا بالأوتاد".

و يعرف الكواكبي الاستبداد لغويا بأنه: "غرور المرء برأيه و الأنفه عن قبول النصيحة ثم هو في اصطلاح السياسيين تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئه و بلا خوف تبعه".

ص: ١٢٦

و يرى ان أعلى قمه فى الاستبداد هو حكم الفرد المطلق، و أن استمرار ذلك يعود إلى جهل الشعب و الجيش، و البقاء فى ظل هذا الحاكم هو إعانه له، و بذلك يدعو الكواكبى إلى الهجره من مواطن الظلم، و يرى ان الكلب الطليق خير من حياه الأسد المربوط.

و فى الفصل الثانى من الكتاب يتعرض الكواكبى للاستبداد و الدين، و محاوله استغلال الدين و النظاهر به، و أن الجهل هو العامل المساعد لهذه اللعبه، و أن الاستبداد الدينى مرتبط بالاستبداد السياسى.

و عن الاستبداد و العلم يصف الكواكبى العلم بالشمعه و قبسها من نور الله، و يضع المستبد بالعلم فى مرتبه الوصى الخائن القوى الذى يتصرف فى أموال و أنفس الأيتام كما يريد و ينوى دون أن يبلغوا الرشد و الذى لا يتمنى أن يبلغوه، و إن هذا المستبد أخشى ما يخشى تنور الشعب بالتأريخ و السياسه و الفلسفه العقليه و الحكمه النظرية.. و طبيعى أن يحدث صراع بين الحاكم و العلماء - غير المناقضين و المتملقين - يحاول الطرف الأول إطفاء ما ينوره الطرف الثانى و ما من امه انتشر فيها العلم إلا و سقطت قيود البغى و الاستبداد. و عن المجد و الاستبداد يفرق الكواكبى بين المجد و التمجيد و الذى يراه هو استعباد بذاته، و الممجدون هم الساعون للرتب و النياشين و صوره الشعب أمام الحاكم، و يخالف الكواكبى ابن خلدون فيما يرى أن إقدام البشر على الخطر إذا هدد مجدهم خطأ.

و يتفق مع أسماء بنت أبى بكر فى رأيها ان صاحب الحق ان كان مقتنعا بحقه فعليه أن يقاتل حتى يموت، و هذا ما قالتة إلى ابنها فى موقفه من الحجاج.

أما عن الاستبداد و المال فيقول الكواكبى: "إن الاستبداد لو كان رجلا و أراد أن يحتسب و ينتسب لقال: أنا الشر و أبى الظلم و أمى الاساءه و أخى القدر و أختى المسكنه و عمى الضر و خالى الذل و ابنى الفقر و بنتى البطاله و عشيرتى الجهاله و وطنى الخراب أما دينى و شرفى و حياتى فالمال المال المال".

و عن الاستبداد و الأخلاق يرى بان الاستبداد يفسد الأخلاق و يدفع المرء إلى محاوله الهجره من الوطن و يؤدي كذلك إلى التخلخل الأسرى و فى ظل الاستبداد الأخلاقى ينعدم الصدق و يعلو الرياء و النفاق.

و حول الاستبداد و الترييه يجد الكواكبى أن الاستبداد يؤدي إلى انحراف الترييه الحقيقيه و ينحرف الناس عن الحقيقه و بالتالى يعيشون فى قلق مستمر.

و علاقته الاستبداد بالترقى هى أن الاستبداد يحول دون ترقى الإنسان سواء فى العلم أو المال أو القوه أو الصحه.

و يدعو الكواكبى إلى التنور بالعلم حتى يستطيع الشعب أن يسقط المستبد.

و قد أوضح الكواكبى أن الاستعمار لا يعدو عن كونه تاجرا يمتص دماء الشعوب فحسب و لا يهمنه من أمر هذه الشعوب شىء.

و ينهى الكواكبى كتابه بالطرق التى يمكن بها التخلص من الاستبداد حيث يركز على عامل التعليم و يحذر بان المستبد مهما طال بقاءه فان نهايته الزوال و يستشهد بقول القيادى: "لا يفرحن المستبد بعظيم قوته و مزيد احتياظه فكم من جبار عنيد جند له

مظلوم صغير".

و إلى هنا اعزائي القراء أكون قد تعرضت إلى بعض الجوانب عن عبد الرحمن الكواكبي و إن كنت لم أتعلم فيها و لم أتعرض لكل الجوانب فيه فان أصبت فذاك من فضل ربي و إن قصرت فذاك من نفسي و ما الكمال إلا لله. (انتهى).

## الكواكبي المصلح الاجتماعي

و ننشر بعد ما تقدم كلمه للدكتور جورج كتوره تحدد معالم فكر الكواكبي:

قال الدكتور جورج كتوره:

يعتبر الكواكبي أحد أبرز وجوه عصر النهضة. أو العصر الذي اصطلح على اطلاق هذه الصفه عليه. و هو الفتره التي تلت نظريا عصرا طويلا من الانحطاط و في المجالات المختلفه من أدبيه و فكريه و سياسيه و اجتماعيه.

فبعد ابن خلدون الذي أرخ للفتره التي سبقته لا من الناحيه الزمنيه و حسب، بل من الناحيه الاجتماعيه و الفلسفيه أيضا، قلما نجد كتابات تعنى بكشف الواقع و تسعى لإيجاد حلول مناسبة للأوضاع المترديه، بل البالغه في التردى. حتى كتابات ابن خلدون مع ما حملت من تشخيص للأزمه السياسيه المترديه منذ زمن طويل، لم تستطع ان تحمل حلا فظل الوضع على حاله.

و يزداد الوضع تفاقمًا في كل مره يحاول مؤلف نهضوى مقارنه أوضاع محيطه بالأوضاع السائده آنذاك في الغرب الذي حقق ثورته الصناعيه إلى حد ما و الذي شهد دفعا جديدا باتجاه الاكتشافات العلميه و تحويل العلم إلى تقنيه تسهم بتحقيق مزيد من الرفاهيه و بالتالى المزيد من الازدهار. علما ان التركيز على الايجابيات لا يعنى إسقاط السيئات التي برزت عند ذاك إن على الصعيدين الأخلاقي - الأسرى أو الدولى، كالعلاقات بين الدول و التنافس التجارى و الاقتصادى مع ما استتبع من حروب. و الواقع أنه حين كان الحديث يدور على عصر النهضة فى المشرق، لم يكن الحديث هذا إلا آمالا يرجى معها تحقيق النهضة. فالوضع السياسى غايه فى التردى و الدوله العثمانيه - و هى الدوله الأساس - راحت تفقد تدريجيا سيطره على أطراف متعدده منها: إن فى مصر أو فى سوريا أو فى البلقان، أما الداخل و ما تبقى لها فلم يعد حكما متماسكا إلا بقوه الأداه العسكريه و سيطره نزعه الاستبداد الذى بلغ ذروته فى العهد الحميدى و بوصول فته من المتملقين أمثال أبى الهدى الصيادى إلى أعلى مراكز النفوذ، الأمر الذى أتاح سيطره سياسيه أحكمت يدها على الحيات كافه، الأدبيه و الفكريه و الاجتماعيه. فكان ان أقفلت أفواه العديد من المطالبين بالإصلاح و بالحرية و بالتقدم. و كان ان انتهى منهم جمال الدين الأفغانى (١٨٣٩ - ١٨٩٧) شبه أسير فى الآستانه، ثم ما لبث ان لحقه آخرون أيضا، أمثال عبد الله النديم (١٨٤٥ - ١٨٩٦) ليحل ضيفا يؤمن مأكله و مشربه و يشتري لسانه و سكوته، رغما عنه كالأفغانى. و من لم يحظ بعطف الدوله المشبوه و المقرون بكم الأفواه و تعليق الانتقادات يلاحق و يطرد من بلد إلى آخر، حتى يقضى نجه أو يقضى عليه. و هذا ما كان من شان مع الكواكبي.

ولد عبد الرحمن الكواكبي عام ١٨٤٨ فى مدينه حلب من اسره عريقه فى نسبها و فى علمها و فى عملها. فنقابه الأشراف كانت فيها إلى فترات. و من مآثرها إنشاء مدرسه أنفقت عليها من أوقاف خاصه بها. و فى "المدرسه الكواكبيه" بدأ عبد الرحمن تحصيل أول دروسه ليتعلم فيما بعد من اللغات التركيه و الفارسيه. و بعد دراسته التقليديه انكب على دراسه الكتب التاريخيه و



القانونيه و السياسيه و هكذا تعرف بشكل أوفى على الأوضاع السائده لينتقل للعمل فى مجالات متوازيه. فكان قاضيا لفته و رئيس بلديه لفته أخرى.

و حين لم يكن قاضيا كان محاميا ينصر الضعفاء و يساعد فى حل الخلافات.

و بين مرحله و أخرى، بل خلالها كان الكواكبي سياسيا، بمعنى ان السياسه ظلت هاجسه الأول و قد عبر عن ميوله هذه عبر العمل الصحفى، أكثر الأعمال التصاقا بالناس من جانب و بالسلطه من الجانب الآخر، و كان

ص: ١٢٧

الصحافه المهنه الوسيطه الوحيده، إذ تكفيها نقله وحيده فتكون اما مع السلطه و إما مع مناهضيها. و الكواكبي كان مع مناهضى السلطه - مع الأ-كثريه - فاصدر المجله تلو الأخرى و كان فى كل مره لسانا سلطا و داعيه تحرر و داعيه استقلال و داعيه ثوره على ظلم النظام الحميدى الذى لم يدعه يستقر و إن لسنوات. فأوقف إصدار مجلته الأولى "الشهباء" ليصدر غيرها باسم أكثر اعتدالا، فكانت "الاعتدال"، و لكن سيف الاستبداد ظل يلاحقه باستمرار و ظلت دسائس أبى الهدى الصيادى تجد له التهمه إثر الأخرى فأوقف العمل بالصحافه ليعمل بالتجاره. لكن التهم ظلت تلاحقه و تلاحق مشاريعه حتى الزم إفلاس تجارته و انهاء العمل فيها لينتقل إلى مصر البعيده نسبيا عن التسلط العثمانى و سيف استبداده.

و فى مصر عاد الكواكبي ليعمل بالصحافه فيكتب كتابه الأول "طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد" بشكل مقالات صحفيه تنشر تباعا فتلقى رواجاً شديداً و صدى عريضا واسعاً لما تضمنت من تحليل صائب للأوضاع الاجتماعيه السياسيه السائده و من لهجه صادقه و من نقد كانت مصر ابان تلك الفتره موطنه و راعيته. و فى الوقت نفسه كتب كتابه الآخر "أم القرى" الذى تناول معظم موضوعات الكتاب الأول و إن بأسلوب مغاير، إذ تخيل المؤلف وقائع مؤتمر عقده علماء مسلمون من أقطار شتى توخيا لبحث الفتور و التأخر، بل الانحطاط الذى أصاب من جسم الأمه مقتلا. و قد ذهبت بعض الدراسات إلى حد اعتبار هذا المؤتمر صدى لجمعيه فعلية كان الكواكبي أحد اعضائها. أيا كان الأمر فان الكواكبي قد توخى فى كتابيه بحث قضيه واحده لا غير: الترقى - أسبابه و الطرق الموصله اليه.(1)

و فى مصر ظلت عيون الحكم الاستبدادى تراقب الكواكبي و تترصده إلى ان تمكنت منه عام ١٩٠٢، فمات مسموماً على الأرجح و قد صودرت كتبه و أوراقه و بينها كما يقال مؤلفات كان يعمل على انهاءها. و إذا كنا قد أشرنا إلى المناحى السياسيه المرتبطه بواقع عصر الكواكبي و التى عانى منه هو شخصيا فذلك من أجل ربط نتاج مؤلفنا بعصره ليس إلا. إذ أن الأفكار الاصلاحيه حتى منها ما سيردده الكواكبي كانت قد ابتدأت فعلا مع اعلام سبقوه كالأفغانى و الطهطاوى و خير الدين التونسي، و بسبب ظروف أخرى عاشتها مصر و عاشتها أقطار أخرى بما فى ذلك قلب الحاضره الإسلاميه آنذاك، أى مركز الدوله العثمانيه. على سبيل الإشاره فقط يشار إلى اثر حملته نابليون و إلى دور الارساليات التبشيرييه فى لبنان و سوريا خاصه و إلى دور الجمعيات السياسيه و العلميه التى انتشر قسم منها فى الآستانه و التى رددت و دعت بعنف إلى التمثل بالإصلاح و بأفكار الثوره الفرنسيه و بأفكار عصر الأنوار. كما دعت إلى تحديث الدوله. يضاف إلى ذلك جهاد محمد على والى مصر و سعيه لتحديث الدوله و إدخال العلوم، لا سيما الحريه و الهندسيه و الطبيه، فكانت بعثاته حافزا على طلب المزيد من التقدم. هذا إلى جانب انتشار الدعوات القوميه و دعوات الاستقلال الوطنى.

فى ظل هذه الأوضاع على اختلافها كان الكواكبي المصلح. و ما سنتعرض له فيما يلى ليس إلا تتبعاً مكثفاً لأفكاره السياسيه و الاصلاحيه فنعرض عن التفاصيل التى نحيل إليها فى كتابنا عن الكواكبي، لتتعلق بجوهر مشروعه الاصلاحى. يلاحظ الكواكبي شان العديد من المصلحين ان الأزمه التى يعانى منها الشرق، ازمه سياسيه تولد عنها ما يعانى الناس فى هذه الامبراطوريه المتراميه الأرجاء من ضيق أو انحطاط أو فتور أو تأخر إلى ما هنالك من عبارات بعضها يأمل التخفيف، و بعضها يذكر بماض و بعضها يدفع التشاؤم ليضع الأمل فى تاريخ قريب يرجى معه الخلاص من كبوه اليوم. فبعد انتقاله إلى مصر من حلب و فى تقديمه لأولى مقالات كتابه "طبائع الاستبداد" يقول الكواكبي واضعا اليد على الجرح كما يقال:

"...أقول و أنا مسلم عربى مضطر للاكتتام... اننى هجرت ديارى سرحا فى الشرف و زرت مصر و اتخذتها لى مركزا ارجع اليه مغتتما عهد الحريه فيها... فوجدت أفكار سراه القوم فى مصر كما هى فى سائر الشرق خائضه عباب البحث فى المسأله الكبرى، أعنى المسأله الاجتماعيه فى الشرق عموما و فى المسلمين خصوصا. انما هم كسائر الباحثين، كل يذهب مذهبا فى سبب الانحطاط و فى ما هو الدواء".

ما يلاحظه الكواكبى بحق كان شغل العالم الإسلامى و المشرق العربى و ما زال. و إذا كان كتابه الأول "طبائع الاستبداد" قد اعتبر الاستبداد سببا عاما اثر على كافه المناحى العلميه و التربويه و الاقتصاديه فأفسد السياسه و أفسد الأحوال ففى كتابه الآخر "أم القرى" كان الكواكبى أكثر وضوحا و أكثر تفصيلا - فأتى و على لسان المندوبين المتعددين على أكثر من سبب فاعتبر الجهل، و فقدان الرابطة الدينيه، و فقدان الحريه و الشورى، أو الديمقراطيه بمفهوم غربى أعم، من جمله العوامل المؤديه لهذا التأخر الضارب فى أرض الإسلام و لا سيما فى مشرقه. علما ان المسأله لا تقتصر على العموميات فقط فقد وسع الكواكبى رأيه فى الحريه المسلوبه، أو الحريه المطلوبه لا- فرق. فأشار إلى الحريات السياسيه التى تغطى منهدمى الحق و الواجب، و تحدد السلطه و تفرض محاسبه الحاكم. و تحدث عن الحريه الشخصيه بمعنى حريه الاختيار. و تحدث عن الحريه بالمعنى الاجتماعى، بحيث يكون الإنسان آمنا فى بيته و مسكنه و موطنه يتعامل مع أخيه الإنسان على نفس المستوى الذى يؤمن العدل و المساواه. هذا إلى جانب حريه التعليم حتى بلغ به الأمر إلى حد اعتباره "الحريه روح الدين، فهى أعز شىء على الإنسان بعد حياته، و بفقدانها تفقد الآمال و تبطل الأعمال و تحدث النفوس و تعطل الشرائع و تختل القوانين".

و من مستلزمات الحريه، أو من المسائل المرافقه لها مسأله الشورى، و هى مسأله أثارها الكواكبى كما أثارها سواه إلا ان توقف الكواكبى عند هذه النقطه كان هاما و حساسا. و تقضى الفكره أساسا العوده لاستلهام روحه الدين الذى يدعو لجعل الأمر شورى بين المسلمين و وجوب استشاره أهل الحل و العقد، إلى جانب استشاره أهل العلم. هذا من جانب. و من جانب آخر يقضى الأمر اقامه مؤسسات سياسيه أقرب ما تكون إلى البرلمانات الغربيه التى تناقش الأمور و تبت بها و تكون حكما و وصيا على الدستور.

بمعنى آخر لا- بد من الخلاص من الحكم الفردى بامل إرساء نوع من الأمر الجماعى بحيث تكون السلطه محكومها بأكثر من رأى و موجه من أكثر من مصدر. و قد لا يعنى ذلك عوده الشورى كما مورست فى استخلاف عثمان (الخليفه الثالث) من قبل عمر بن الخطاب، بل إلى الروح التى قضت ان لا يكون الخيار فرديا، بل جماعيا. بعبارات أخرى لا بد من فهم الإشارات السياسيه كما فهمها السلف الصالح، ذلك السلف الذى فهم جوهر الدين نظريه و ممارسه ففهم معنى التوحيد، و فهم معنى المشاركه. يقول الكواكبى: "فان هؤلاء الخلفاء الراشدين فهموا معنى و مغزى القرآن النازل بلغتهم و عملوا به و اتخذوه اماما. فانشاوا حكومه قضت بالتساوى حتى بينهم أنفسهم و بين فقراء الأمه فى نعيم الحياه و شظفها و أحدثوا فى المسلمين عواطف اخوه و روابط هيئه اجتماعيه اشتراكيه لا- تكاد توجد بين أشقاء يعيشون باعاليه أب واحد و فى حضانه أم واحده، لكل منهم وظيفه شخصيه، و وظيفه عائليه و وظيفه قوميه. على ان هذا الطراز السامى من الرئاسه هو ك.

١- فى هذه الفترة أيضا، وضعت العديد من المؤلفات التى تحدثت عن تقدم الغرب و تأخر المسلمين. محاولة تلمس الأسباب لذلك.

الطراز النبوي المحمدي الذي لم يخلفه فيه حقا غير أبي بكر ثم أخذ بالتناقص و صارت الأمة تطلبه و تبكيه من عهد عثمان إلى الآن، و سيدوم بكاؤها إلى يوم الدين إذا لم تنتبه لاستعواضه بطراز سياسي شوري، ذلك الطراز الذي اهدت اليه بعض أمم الغرب، تلك الأمم التي، لربما يصح ان نقول، قد استفادت من الإسلام أكثر مما استفاده المسلمون.

(١) لن نعقب على النص بافاضه في الشرح، بل باستلها المبدأ السياسي الذي يتضمنه. فالواضح جدا ان الكواكبي انما يقصد أولا مقارنة الأوضاع السائدة في عصره بما تحوى من ظلم و تعسف و استبداد، اي من فلك سياسي عام بوضع سليم نموذجي ساد زمن النبي فالخلافه الراشده. و لا يعنى ذلك ضروره كما فهم بعض الدارسين رغبه الكواكبي في استعاده منصب الخلافه، أو في إعادته إلى العرب أيا كان الشكل الذي اقترح لذلك. (٢) على ان ما نستنتجه هنا انما يتجه أول الأمر إلى ذلك النمط من الحياه حيث ساد الانسجام الكلى فتره الخلافه الأولى. الانسجام بين السلطه و بين العامه - الرعيه. و الانسجام يولد الهدوء و الهدوء يولد التقدم و هذا ما حدث فعلا و لا مجال لإنكاره. و شرط الانسجام، أو أحد مقوماته الدين، الذي إذا ما طبق بشكل صحيح فسيقود حتما إلى هذا النوع من المساواه المنشوده بين السلطه و بين من تعمل من أجلهم. فالتساوى شرط الانسجام و به تمامه.

صحيح ان الكواكبي لم يتحدث عن السلطه باعتبارها مؤسسه سياسيه تاريخيه ظهرت في فتره محدوده و عليها ان تتطور تبعا للظروف التي قد تطرأ. و لذلك تبدو المساواه المنشوده أقرب إلى المساواه الطبيعيه إذا جاز التعبير. فالتساوى متساوون امام الله و لذلك لا بد من التساوى فيما بينهم.

فلذلك نجد غيابا للحديث عن مساواه بمعنى حقوقى أو قانونى الأمر الذى يفرض تحققها في كل الظروف التي تتوفر فيها مقوماتها. هذا ما يضى على عبارات الكواكبي المصلح نوعا من الشموليه و من الحنين، الحنين إلى فتره سالفه، إلى فتره تاريخيه معينه. و لا يعنى ذلك ان الكواكبي أحد دعاه السلفيه الذين يجهدون لاعاده تطبيق نماذج بعينها، نماذج لا مجال للحيده عنها. بل ان الكواكبي ليقرر بما لا يدع مجالاً للشك أن للسياسه الحكيمه، السياسه التي اعتبرها علما مفقودا في الشرق، أو جديدا عليه على الأقل ان لها أسسا أولها الشورى، و ثانيها المساواه و ثالثها الاشتراكيه.

أما الشورى بنموذجها الأول، و بالصوره التي يراد الاقتباس منها فتعنى أولا الاحتكام إلى "الملا" أو إلى أصحاب الحل و العقد. و احياء الشورى يعنى احياء سنه لا بد منها بحيث لا يكون الحاكم الحكم الأول و الأخير، بشخصه و أخلاقه و تاريخه، بل العدد الأوفر لمن تتوفر فيهم شروط العداله، و الاتزان و العلم. يجهد الكواكبي بعد ذلك ليجعل من الشورى مبدأ سياسيا لا واقعه تاريخيه، الأمر الذى يكرسها مبدأ لا بد من استخدامه تحقيقا لأهداف عطلتها الممارسات اللاحقه، عطلتها الاجتهادات اللاحقه أيضا، خاصه تلك التي ارتبطت بفقهاء السلطه الذين يشن الكواكبي عليهم حملة شديده:

"و قد عدد الفقهاء من لا تقبل شهادتهم لسقوط عدالتهم فذكروا حتى من يأكل ماشيا في الأسواق، و لكن شيطان الاستبداد أنساهم ان يفسقوا الأمراء الظالمين فيردوا شهاداتهم، و لعل الفقهاء يعذرون بسكوتهم هنا مع تشنيعهم على الظالمين في مواقع أخرى، و لكن ما عذرهم في تحويل معنى الآية: (و لتكن منكم امه يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر) إلى ان هذا الفرض هو فرض كفايه لا- فرض عين؟ و المراد منه سيطره أفراد المسلمين على بعض، لا- إقامه فئه تسيطر على حكاهم كما اهدت إلى ذلك الأمم الموفقه للخير، فخصصت منها جماعات باسم مجالس نواب وظيفتها السيطره و الاحتساب

على الاداره العموميه: السياسيه و الماليه و التشريعيه فتخلصوا بذلك من شامه الاستبداد" (٣).

هنا تبدو أفكار الكواكبي بأنصح ما يكون. فهو يتخذ موقفا نقديا صحيحا. إن ما حدث كان خطأ يجب ان لا يحدث، و إن حدث فيجب ان لا يستمر. ان الاماره مسئوليته تقع على من تتوفر فيه شروط معينه لا من تضعه الأقدار موضع السلطه. كذلك تعكس هذه الأفكار صفحه صعبه من التاريخ السياسى و الإسلامى، بشقيه الفعلى كما حدث فعلا و التشريعى الذى رافق تسلسل الحكومات بالتبرير حينا و بالتخفيف من وطاتها حينا آخر.

نعنى بذلك ان سلطه الحاكم، و من أجل استمراريه الحكومه - أى استمراريه الدوله - كانت إلى حد ما على الدوام بمعزل عن النقد. ففى أكثر الأحيان كان شخص السلطان - الخليفه أو سواه - فوق مجال النقد. و فى حالات تفسح الدوله و ظهور الدويلات المتعدده ظلت الألقاب تمنح يمينا و شمالا، و ظل التشريع السياسى يوجد المبررات. فتاره إماره ضروره، و تاره اماره استيلاء، و كان الحرص كل الحرص على وحده الأمه و هو حرص له ما يبرره، لكنه لم يكن دائما إلى جانب المصلحه العامه: ما قيل فى الاماره قيل ما يوازيه فى الوزاره إذ ميز الفكر السياسى بين وزير تفويض و وزير تنفيذ. و كان الأمر غالبا تشريع الحقبه التى سلفت و تبرير ما حدث فيها، لا التنظير لحقبه ستلى.

و الشورى بتحققها توصل إلى المساواه المنشوده. المساواه الطبيعيه حق كل إنسان بالتساوى مع أخيه الإنسان كما يتساوى الجميع امام رب الأ-كوان. ثم ان تامين الحريه بالشكل الذى أشرنا اليه أعلاه لا بد أن يكمل المساواه و يجعل منها لاحقا أو تحصيل حاصل. بل فطره أو مبدأ به قوام الإنسان كإنسان. فالتعديل الذى يراه الكواكبي انما يقوم على المعادله البسيطة المشار إليها و هى الأخوه فى الإنسانيه و هذا ما يقدم الوجه الإنسانى على تاليفه و أبحاثه. و هذا ما يعطى إصلاحه أيضا صيغه سلميه، بل مسالمة جدا، إذا ما قارنا كل ذلك بنوع الصراع الاجتماعى العنيف الذى جعل الأغنياء فى جانب و جعل الفقراء فى جانب آخر، و لا اعتقد أن مجرد الرغبه فى المساواه ستؤدى فعلا إلى تحقيقها.

و هذا ما يقودنا إلى المبدأ الاصلاحى الثالث. مبدأ الاشتراكيه، و استبقا لكل تأويل علينا أن لا ننظر إلى الاشتراكيه من زاويه الفكر السياسى السائد فى أيامنا و فى ما يعرف بالبلدان الاشتراكيه و الشيوعيه. ان ما ينشده الكواكبي ليس إلا ملامسه الجانب الاجتماعى إذا جاز القول. اى البحث فى الزاويه التى رأت فى السياسه غير الحكيمه، السياسه الاستبداديه سببا أدى إلى تفاوت فى تقسيم الثروه. بحيث تتجمع الثروه فى يد فئه قليله من الناس قد لا تزيد عن الخمسه بالمائه، لكنها نسبه ترفع من نفوذ أصحابها إلى درجه يصبحون معها الساده المتحلمين فى الإنتاج و فى الأسواق. و الأقسى من ذلك ان المجال المفتوح للربح هنا هو المجال البعيد عن العمل المجدى. المجال القائم على "الغلبه و الخداع" و هذا يعنى انعدام العمل الذى يعتبر بحد ذاته أساس القيمه التى يجب ان تقاس الثروات بموجبه.٤.

ص: ١٢٩

١- راجع كتابنا طبائع الكواكبي ص ٥٢.

٢- جعلت بعض الدراسات من الكواكبي رائد القوميه العربيه كما جعلت منه داعيه سلفيا يريد اعاده الخلافه إلى قريش و نقل مركزها إلى الحجاز. راجع سليمان موسى: الحركه العربيه.



كذلك يعنى التفاوت فى الثروه مسا بالأخلاق: "الإفراط بالثروه مهلكه للأخلاق الحميده، و هذا معنى الآيه (ان الإنسان ليظغى ان رآه استغنى). فضرر الثروات الافراديه فى جمهور الأمم أكثر من نفعها لأنها تمكن للاستبداد الداخلى فتجعل الناس صنفين عبيدا و اسيدا، و تقوى الاستبداد الخارجى فتسهل للأمم التى تغنى بغنى أفرادها التعدى على حريه و استقلال الأمم الضعيفه".

ما استقيناه من نص ليس إلا عبارات الكواكبي الذى وعى فعلا شر الاستبداد المالى المتمثل فى تكديس الثروه على الصعيدين الذاتى و الدولى. فالاستبداد الداخلى ليس إلا وصفا نفسيا دقيقا للنزعه التى تقوى فى الإنسان الميل للتسلط "فالمال يجر المال" يقول المثل الشعبى. و المال لا- يجر المال إلا بجر الرقاب عبيدا طائعين. و كلما وعى الفرد هذه الحقيقه مجردة أو معزوله عن الأخلاق أو عن الأخلاقيات كلما ازداد غطرسه و مجدا، أو تمجدا كما يقول الكواكبي فى بعض فصول كتابه طبائع الاستبداد.

أما الفكره الثانيه و التى تعتبر بالفعل فكره رائده فى عصره، فهى فكره تسلط الدول الغنيه (الأمم الأغنى) على الدول الفقيره. بتجاوزنا لكل العبارات الدارجة يمكننا القول و بكل بساطه، لقد وعى الكواكبي حقيقه الاستغلال، و من ثم الاستعمار. بل لقد أشار بوضوح إلى السبب الاقتصادى فى ذلك و هو السبب الأهم و عليه بنت النظريات السياسيه منذ أوائل القرن التاسع عشر و ما زالت تبنى. إلا- ان الكواكبي لا- يوسع نظريته، و الأصح القول نظرته، بل رؤيته. و يبقى الموضوع الأساسى موضوع الحلول. فالمصلح لا بد أن يضع حلولاً أو يقدم مشروع حل و إن مبسطاً.

"لا! لا! لا يطلب الفقير معاونه الغنى، انما يرجوه ان لا يظلمه، و لا يلتمس منه الرحمه، إنما يلتمس العداله. لا يؤمل منه الإنصاف انما يسأله أن لا يميته فى مزاحمه الحياه" (طبائع ١٧٠). و بعد ذلك يقول:

"ان العداله المطلقه تقتضى ان يؤخذ قسم من مال الأغنياء و يرد على الفقراء بحيث لا يحصل التعديل و لا يموت النشاط للعمل (طبائع ١٧١).

ما يبدو حلو لا هنا ليس كذلك فعلا فصيغه الفعل المبنى للمجهول " يؤخذ قسم من مال الأغنياء ليوزع على الفقراء " صيغه مبهمه لا يمكنها ان تكون أحلاما. و الحلول المبهمه، أو القائمه على مجرد الدعوه إلى الرحمه و الإنصاف و العداله لا تفيد فى تحقيق هذه المبادئ بل يخشى ان تكون عوناً للاستبداد الذى يشبع الرعيه مثل هذه التمنيات و يشبع هو بخيرات ماديه أخرى.

تعكس النظره الاصلاحيه التى يروج لها الكواكبي نظره انسانيه مهاده. علما انه تعرف كما تفيد الدراسات، و تفيدنا بعض عباراته بالذات على الأفكار السياسيه التى تقول بالصراع الطبقي. كما عرف ان ثمة أحزاب و جمعيات ترعى ذلك، و هى جمعيات مكونه من ملايين البشر و تدعو لملكيه الأراضى و المصانع و آلات العمل، "لأن تكون هذه مشتركه بين عامه الأمة".

و مع ذلك فقد لامس الكواكبي جوهر المسأله فى أكثر من موضع، خاصه فى رأيه بالمال الذى يعتقد انه "فيض إلهى أودعه الله تعالى فى الطبيعه و نواميسها و لا يملك اى لا يتخصص بإنسان إلا بعمل فيه أو بمقابله" (طبائع ١٧٠). فالعمل هو القيمه الحقيقه للمال. و هذا ما لا خلاف عليه. و قانون المال هو العمل إذ لا مال فى الطبيعه، بل فى العمل.

و العمل هو القانون الطبيعى. يكفى أن يقال من لا يعمل يمت جوعاً.



فناموس الطبيعه العمل، و الله لم يودع المال إلا- مجازا في الطبيعه. هكذا نصل إلى نتیجه أولى. فالتساوى في الأحوال يعنى التساوى في الأعمال. و هذا ما يريده الكواكبي فعلا مع اعترافه المسبق بعدم امكانيه ذلك من ناحيه مبدئيه. هذا ما تثبته الوقائع. أما الأخلاق، الأخلاق الاصلاحيه فتأبى إلا قلب المقاييس. إذ تقتضى العداله رفع التفاوت و تقتضى الإنسانيه ان يأخذ الراقى بيد السافل فيقر به من منزلته و يقاربه في معيشته و يعينه على الاستقلال في حياته.

صحيح ان الأخلاق هي الموحى للكواكبي في تصوراته، أو في تمنياته. لكن الأخلاق عنده ليست أخلاقا وضعيه تعارف عليها الناس أو ارتضى بها مجتمع ما. بل ان المنبع أو الدافع لهذه القيم الإنسانيه بنزعتها الأخلاقيه ليس إلا الدين. ففي الدين يجد الإنسان أساس نظامه الاجتماعى و أساس بنائه الأخلاقى. و هكذا نجد يشير باستمرار إلى اسم الانتظام العمومى، أو معيشه الاشتراك العمومى. و هذا ما يشرحه بقوله: " المراد بالانتظام العام معيشه الاشتراك العمومى التى أسسها الإنجيل بتخصيصه عشر الأموال للمساكين، و لكن لم يكد يخرج ذلك من القوه إلى الفعل. ثم أحدث الإسلام سنه الاشتراك على أتم نظام. و لكن لم تدم أيضا.

كان المسلمون لا يجدون من يدفعون لهم الصدقات و الكفارات، و ذلك ان الدوله الإسلاميه كما سبق بيانه أسست حكومه ارستقراطيه المبنى، ديموقراطيه الاداره، فوضعت للبشر قانونا مؤسسا على قاعده: ان المال هو قيمه الأعمال و لا يجتمع فى يد الأغنياء إلا بأنواع من الغلبه و الخداع" (طبائع ١٧٢).

مجددا يعيدنا الكواكبي للاحتذاء بالنموذج الإسلامى الأول، الذى جسد ذلك النوع من الاشتراك، و أمن كما قلنا نوعا من الانسجام و المساواه بين السلطه و بين المواطنين، بين الاداره و أجهزه الدوله (البسيطه آنذاك) و بين كافة الناس. و هنا تبدو عبارات الثروه العامه عبارات عامه فعلا، فإذا كان يعنى ذلك ما يتوفر فى " بيت المال " فان الحديث يعنى تحسين سبل الإنفاق فيما توفر أو تجمع. أو هل يعنى ذلك ما تملكه الدوله أو ما يقع تحت سلطتها و نفوذها من أراض و من أملاك؟ أيا كان الأمر فان الكواكبي لم ينظر إلى المسأله إلا من جانب واحد، و هو جانب العمل الذى لو فعله لكان أكثر انسجاما مع واقعيته التى انطلق منها. إذ جعل الاستبداد سببا لكل تأخر، و رفع الاستبداد يعنى تأمين الحريه بكل أشكالها. حريه الفرد و حريه الأسره و حريه الأمه و شعوبها. و هذا ما لم يغب عن باله بحال.

حاولنا على امتداد الصفحات السابقه إبراز نظره اجتماعيه منسجمه.

أو حاولنا إبراز وجه الإصلاح الاجتماعى الذى تاق اليه الكواكبي. فاهملنا نقاطا أخرى يمكن ان تكون بدورها من النقاط التى لا بد من التوقف عندها.

كرأيه فى التربيه، فى المرأه، فى الدين، أو كتصويره النفسى العميق بدلالته لمن يخضع للاستبداد، أو حتى للمستبد بالذات. و هي مواضع عالجه فى مؤلفاته.

كما يمكننا أيضا التطرق لبعض رؤاه السياسيه التى حملت أحيانا أكثر مما تحتمل كمنظرته إلى المسأله القوميه و ما يستنبط بذلك من تطلع إلى خلافه عربيه يقال انه اقترحها. علما ان الدعوات لاستقلال بعض المناطق عن جسم الدوله الأم كانت فى عصره امرا

شائعا. و كانت الجمعيات المتعدده تدعو لذلك. و فى المقابل ظهرت أيضا الدعوات الطورانيه التى تنادى باحقية الترك و  
أفضليه تناوبهم و استمراريتهم فى الحكم.

أيا كان الرأى الأخير فى الكواكبي المصلح يظل مرتبطا بشخصيه نموذجيه فى نضالها و فى رؤيتها. فالكواكبي لم يحمل قلمه من  
موقع متعال إطلاقا بل من موقع المعانى شخصيا لآلام عصره و لتطلعاته أيضا. فمن جمله أقواله المأثوره " الأمه التى يشعر كلها أو  
أكثرها بالأم الاستبداد لا

ص: ١٣٠

تستحق الحره".

" و قبل مقاومه الاستبداد لا بد من تهيئه ما يستبدل به ".أمران متلازمان يجب عدم إهمال أحدهما أو تقديم أحدهما على الآخر. يجب ان يكون التغيير الاجتماعى عمله كليه يشارك المجموع فى صنعها مشاركتهم فى العناء من وطاه ما يتحملون من عواقب تفرض عليهم. و الأمر الثانى: لا- بد من وضوح المرحله التى ستلى. بعبارات أخرى ان التغيير المطلوب يجب ان يكون نتيجته دراسه واعيه، لا- قلب شخص أو الخلاص من مستبد. علما ان الكواكبي قد شرط معظم الأحيان استعمال اللين و عدم استخدام الشده.

بل لقد ذهب أحيانا إلى وجوب وجود المصلح و ضروره اعداده، أو أعداد من تتوفر فيه بعض الشروط. بهذه الطريقه يكفل المجتمع أحيانا ضمان الخلاص بالانتقال من مرحله صعبه إلى مرحله أكثر أمنا و سلاما. على ان يكون الاعداد إعدادا صحيحا مبنيا على العلم و المعرفه و قد شدد الكواكبي فعلا على ذلك.

بل يمكننا ان ننهى هذه الملاحظات بتاكيد شبه وحيد. ان كان الجهل سببا يؤدي إلى الفتور، فان العلم هو السلاح الوحيد الذى يدفع الجهل، و برفع الجهل لا بد ان يصل المجتمع نهضته و يحقق ترقيه. و من جميل أقواله فى ذلك: " و كانى بسائلكم يسألنى تاريخ التغالب بين الشرق و الغرب، فأجيب: بانا كنا ارقى من الغرب علما فنظاما فقهه، فكنا له اسيادا. ثم جاء حين من الدهر لحق بنا الغرب فصارت مزاحمه الحياه بيننا سجا: ان فقناه شجاعه فاقنا عددا و إن فقناه ثروه فاقنا باجتماع كلمته. ثم جاء الزمن الأخير ترقى فيه الغرب علما فنظاما فقهه " (طبائع ٢١١). انها كلمات معبره لا حاجه لشرحها، بل لآذان تسمع و تعى و تعمل بوحي مما به تتعظ.

## الشيخ عبد الرسول بن الشيخ شريف بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ

محمد حسن صاحب الجواهر.

ولد سنه ١٣٠١ فى النجف و توفى فيها فى آخر ذى القعدة سنه ١٣٨٧ و دفن فى مقبرتهم بالنجف الأشرف. عالم فاضل فقيه اصولى تخرج عليه كثير من الأفاضل النجفيين و العالميين و غيرهم.

و تخرج هو على الشيخ على بن الشيخ - باقر الجواهرى - و السيد كاظم اليزدى و الشيخ محمد كاظم الخراسانى و الميرزا حسين النائينى - و السيد أبو تراب الخوانسارى. كان امام الجماعه عده سنوات فى مسجدهم فى النجف محلّه العماره. (١)

## المهندس عبد الرزاق البغائرى بن المولى محسن بن المولى محرم على

ابن فتح على خان بن محمد قاسم خان السيزوارى.

ولد ١٢٨٦ و توفى فى ٢٥ شعبان ١٣٧٢ ولد فى سبزوار و تعلم المبادئ و المقدمات بها و هاجر إلى طهران و انصرف إلى تعليم الحساب و الهندسه و الفلك و برع فيها و أصبح من كبار العلماء الرياضيين و المهندسين. ثم اشتغل بالتدريس و اشتهر صيته و حضر عنده عشرات من المهندسين و العلماء و الفضلاء. رسم خارطه ايران بامر من الدوله و عين الحدود الدوليه. و له كتاب فى

تعيين قبله البلدان طبع في حياته في طهران.(٢)

## عبد الرزاق بن همام بن نافع.

مرت ترجمته في الصفحة ٤٧١ من المجلد السابع، و نزيد عليها هنا ما يلي: قال الذهبي في سير اعلام النبلاء:

الحافظ الكبير عالم اليمن. حدثنا محمد بن ليلي السري، قلت لعبد الرزاق ما رأيك أنت؟ - يعني في التفضيل - قال: فأبى ان يخبرني.

قال عبد الله بن احمد: سألت أبي: أ كان عبد الرزاق يفرط في التشيع؟ قال: اما انا فلم اسمع منه في هذا شيئا و لكن كان رجلا يعجبه اخبار الناس أو الاخبار..

سئل محمد بن أبي بكر المقدمي عن حديث لجعفر بن سليمان، فقلت: روى عنه عبد الرزاق، فقال: فقدت عبد الرزاق، ما أفسد جعفرًا غيري - يعني في التشيع - . قلت انا: بل ما أفسد عبد الرزاق سوى جعفر ابن سليمان.

قال مخلد الشعيري: كنت عند عبد الرزاق فذكر رجل معاويه، فقال:

لا تقدر مجلسنا بذكر ولد أبي سفيان.

قال: عبد الله المسندي: ودعت ابن عيينه، فقلت: تريد عبد الرزاق؟ قال: أخاف ان يكون من الذين ضل سعيهم في الحياه الدنيا.

كان زيد بن المبارك قد لزم عبد الرزاق فأكثر عنه ثم حرف كتبه و لزم محمد بن ثور، فقيل له في ذلك، فقال: كنا عند عبد الرزاق " فحدثنا...

فلما قرأ قول عمر لعلي و العباس: فجئت أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك، و جاء هذا يطلب ميراث امرأته. قال عبد الرزاق: انظروا إلى الأنوك، يقول: تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك، و يطلب هذا ميراث زوجته من أبيها، لا يقول: رسول الله. قال زيد بن المبارك فلم أعد اليه و لا اروي عنه.

بلغ يحيى بن معين ان احمد بن حنبل تكلم في عبيد الله بن موسى بسبب التشيع، فقال يحيى: و الله العظيم، لقد سمعت من عبد الرزاق في هذا المعنى أكثر مما يقول عبيد الله بن موسى، و لكن خاف احمد بن حنبل ان تذهب رحلته إلى عبد الرزاق.

حدث عنه احمد بن الأزهر في مناقب الامام علي و تابعه عليه محمد بن علي بن سفيان الصنعاني.

قال: نظر رسول الله (ص) إلى علي فقال: أنت سيد في الدنيا، سيد في الآخرة، حبيبك حبيبي، و حبيبي حبيب الله. و عدوك عدوى، و عدوى عدو الله، فالويل لمن أبغضك بعدى.

توفي عبد الرزاق سنه ٢١١.

الشيخ العالم العابد، شيخ الشيعة، أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي، ثم النيسابوري مولى قريش، له فضل و جلاله، فيا ليته ثقه.

روى عن: مالك، و حماد بن زيد، و شريك، و عبد الوارث، و هشيم، و عبد السلام بن حرب، و ابن عيينه، و علي بن موسى الرضى، و عده.

حدث عنه: عباس الدوري، و أبو بكر بن أبي الدنيا، و أحمد بن أبي خيثمه، و محمد بن ضريس، و عبد الله بن أحمد، و الحسين بن إسحاق التستري، و خلق كثير.

و كان زاهدا متعبدا، أعجب به المؤمن لما رآه، و أدناه، و جعله من خاصته.

ص: ١٣١

---

١- الشيخ محمد السماوى.

٢- الشيخ محمد السماوى.

قال أحمد بن سيار: قدم مرو غازيا. و لما أراد المأمون أن يظهر التجهم و خلق القرآن، جمع بين هذا و بين بشر بن غياث ليناظره.  
قال:

و كان أبو الصلت يرد على أهل الأهواء من الجهميه و المرجئه و القدرية، فكلم بشرا غير مره بحضرة المأمون، و استظهر. ثم قال ابن سيار: ناظرته لأستخرجه فلم أره يغلو، و رأيته يقدم أبا بكر، و لا يذكر الصحابه إلا بالجميل. و قال: هذا مذهبي و ديني، إلا أن ثم أحاديث يرويها في المثالب.

قال ابن محرز: سألت يحيى بن معين عن أبي الصلت، فقال: ليس ممن يكذب و قال عباس: سمعت ابن معين، يوثق أبا الصلت. فذكر له حديث: "أنا مدينة العلم"، فقال: قد حدث به محمد بن جعفر الفيدي، عن أبي معاوية.

قلت: جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، و كان هذا بارا بيحيى، و نحن نسمع من يحيى دائما، و نحتج بقوله في الرجال، ما لم يتبرهن لنا و هن رجل انفراد بتقويته، أو قوه من وهاه.

و قد ضرب أبو زرعه على حديث أبي الصلت.

و قال أبو حاتم: لم يكن عندي بصدوق.

و قال النسائي و غيره: ليس بثقه.

و قال الدارقطني: قيل عنه: إنه قال: كلب للعلويه خير من جميع بنى أميه.

قال حاتم بن يونس الجرجاني الحافظ: سألت ابن معين عنه، فقال:

صدوق أحقق.

و عن صالح بن محمد، قال: رأيت ابن معين جاء إلى أبي الصلت، فسلم عليه.

و عن أبي الصلت، قال: اختلفت إلى سفيان بن عيينه ثلاثين سنة أسأله، و كنت آتية و أنا صبي، و حججت خمسين حجه.

و عن محمد بن عاصم: سمعت أبا الصلت، يقول: أخذت من هؤلاء - يعني: الدوله - ألف ألف و ثلاث مائه ألف، و وضعت منها سبع مائه ألف في أهل الحرمين.

قال أبو زيد الضرير: حدثنا أبو الصلت، حدثنا علي بن عبد الرحمن، عن فلان، عن أبيه، قال: إذا خرج المهدي، نادى مناد: من كان له جار مرجئ، و عليه دين فليعه، و يقضى دينه. فسمعت مشايخ ممن حضر، يقولون: لما حدث أبو الصلت بهذا، قال أبو الوليد الحنفى لا: ليس ذا بمهدي، بل معتدى، يأمر ببيع الأحرار. و قاموا من عنده و تركوه.

مات أبو الصلت سنة ست و ثلاثين و مائتين في شوالها.

و له عدة أحاديث منكره. خرج له ابن ماجه. (انتهى).

تقول: كل ما جاء فيه من الذم سببه تشيعه.

### الشيخ عبد الصاحب بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد حسن صاحب

الجواهر.

توفى سنة ١٣٥٢ هـ و دفن مع أجداده فى مقبرتهم المعروفه بالنجف الأشرف.

حضر على شيخ الشريعة الاصفهاني و السيد أبو الحسن الاصفهاني و الشيخ آغا ضياء الدين العراقي. و تملذ عليه أفاضل فى النجف منهم الشيخ جعفر آل محبوه و غيره.

له: تقريرات الأصول لاستاذه العراقي، و شرح التبصره و كتاب الإشارات و الدلائل فى ما تقدم و تأخر من الوسائل (مطبوع) و غيرها.

و رثاه الشيخ على بن الشيخ مير احمد الجواهرى بقصيده مطلعها:

هيهات ما لجرح بعد اليوم ملتئم كلا و لا الدمع عنه الجفن منقطع

(١)

### الشيخ عبد الصمد الخامنئى.

كان امام الجمعه فى خامنه ولد فيها و توفى سنة ١٣١١ هـ قال مؤلف المآثر و الآثار: ميرزا عبد الصمد الخامنجى [الخامنئى]، أستاذ الأدب و حجه اللغة و المتضلع فى شعر العرب، صاحب الذوق السليم و القريحه الوقاده. له أشعار لطيفه فى شتى المواضيع من المدح و القريض و الرثاء و غيرها.

### الشيخ أبو محمد عبد العزيز بن ابى نصر المبارك بن أبى القاسم محمود

الجنابذى (الكنابادى) النيشابورى البغدادى المعروف بابن الأخضر

و الحافظ.

ولد فى بغداد سنة ٥٢٤ و توفى بها فى اليوم السادس من شهر شوال سنة ٦١١ و دفن بباب الحرب.

من أكابر الفقهاء محقق مؤرخ محدث قرأ على والده الشيخ أبى نصر المبارك الكنابادى النيشابورى و على بن بكتاش و سمع الحديث فى صغره و لم يكن لأحد من شيوخ بغداد أكثر من سماعه و صحب أبا الفضل ابن ناصر و سمع منه الحديث و

هو ابن ست سنوات و لازمه حتى مات و كان أول سماعه سنة ٥٣٠ و بعد وفاه استاذة المذكور جلس للتدريس في بغداد بداره في درب القيار من محال نهر المعلى في شرقي بغداد و تخرج عليه جماعه من العلماء و الفضلاء منهم ياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ و تاج الدين على بن أنجب بن الساعى المتوفى سنة ٦٧٤ و ذكره تلميذه ياقوت الحموى في معجم البلدان ج ٣ ص ١٤٢ تحت عنوان كلمه (جنابذ) و وصفه بأنه كان متعصبا للمذهب الحنبلى و لم يذكر مؤلفاته و قال (... و شيخنا عبد العزيز بن المبارك بن محمود الجنابذى الأصل البغدادي المولد و الدار يكنى أبا محمد بن أبى نصر بن أبى القاسم و يعرف بابن الأخصر يسكن درب القيار من محال نهر المعلى في شرقي بغداد سمع الكثير في صغره بافاده أبيه و على بن بكتاش و أكثر حتى لم يكن في أقرانه أوفر همه منه و لا أكثر طلبا و صحب أبا الفضل بن ناصر و لازمه حتى مات و كان أول سماعه سنة ٥٣٠ و لم يكن لاحد من شيوخ بغداد الذين أدركناهم أكثر من سماعه مع ثقته و أمانه و صدق و معرفه تامه و كان حسن الأخلاق مزاحا له نوادر حلوه و صنف مصنفات كثيره في علم الحديث مفيده و أخذ من الخطيب في كثير من كتبه و كان متعصبا لمذهب احمد بن حنبل سمعت عليه و أجاز لى و نعم الشيخ رحمه الله مات في سادس شوال سنة ٦١١ و دفن بباب حرب عن سبع و ثمانين سنة مولده سنة ٥٢٤).

أقول: له مؤلفات هامه في فضائل و معارف الأئمة [أئمه] أهل البيت ع أهداها للخلفاء الفاطميين بمصر مما يدل على تشييعه. فمؤلفاته في معارف الشيعة و أهل البيت ع و اهدائها للخلفاء الفاطميين بمصر معارض لما قاله ياقوت الحموى بتعصبه لابن حنبل. و الظاهر كان المترجم له يتستر من ياقوت و يتظاهر بالمذهب الحنبلى و ذلك لتعصب ياقوت. و قال شيخنا الأستاذ آغا بزرك الطهرانى في الأنوار الساطعه ص ٩١ ردا على ياقوت الحموى (اما تعصبه لابن حنبل فمعارض بتأليفه في معارف أئمه أهل البيت و اهدائه للخلفاء الفاطميه بمصر).

من مؤلفاته: كتاب معالم العتره النبويه العليه و معارف الأئمه من أهل

ص: ١٣٢

١- السمامى.



البيت الفاطميه العلويه. و يكثر النقل عنه الوزير الشيخ بهاء الدين أبى الحسن على الإربلى المتوفى سنه ٦٩٢ فى كتابه (كشف الغمه عن معرفه أحوال الاثمه و أهل بيت العصمه (ع) و كذلك ينقل عنه مرارا سيدنا السيد محسن الأمين فى الخامس من كتابه (المجالس السنيه).<sup>(١)</sup>

## الشيخ عبد العزيز بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ عبد على بن الشيخ

محمد حسن صاحب الجواهر.

ولد سنه ١٣٠٨ هـ فى النجف - و توفى بطهران سنه ١٤٠٦ عالم فاضل أديب مؤلف مكثر، كان استاذا فى الجامعه بطهران و له يد فى الفلسفه و الرياضيات و الطبيعيات. نشر كثيرا من المقالات فى المجلات كالمقتطف و العرفان و غيرهما.

من مؤلفاته: النهايه ي [فى] شرح و تحرير الكفايه، و آثار الشيعة الاماميه، و دائره المعارف الإسلاميه و ترجمه مقدمه ابن خلدون من العريه إلى الفارسيه، و تاريخ طهران و الرى، و ديوان شعر و ترجمه المثنوى المولوى فى سته دفاتر المسمى بجواهر الآثار و فهرس مكاتب ايران قبل الإسلام حتى العصر الحاضر و غيرها.<sup>(٢)</sup>

## الشيخ عبد الكريم بن الشيخ مهدي بن محمد باقر بن الشيخ على

الكرزى أو الجزى البرخوارى الاصفهانى.

شاعر أديب ولد فى قريه كز من ضواحي أصفهان سنه ١٢٦٠ و توفى ليله الخميس ١٣ ذى الحجه الحرام سنه ١٣٣٩ و دفن فى مقابر تخت فولاد باصفهان نشا فى قريه كز و أخذ اوليات العلوم بها ثم هاجر إلى أصفهان و قرأ على جملته من الأفاضل و حضر فى الفقه و الأصول على السيد محمد صادق الشهير بكتاب فروش و الميرزا محمد حسن النجفى ثم توجه إلى العراق قاصدا الحوزه العلميه الكبرى فى النجف و كربلاء فتخرج فى النجف على السيد حسين الترك و حاج ميرزا حسين الخليلي و الميرزا حبيب الله الرشتي و فى كربلاء حضر على الشيخ على نقى البرغانى الحائرى المعروف بمدرس الطف و غيرهم. ثم رجع إلى أصفهان و تصدر كرسى التدريس و الفتيا و القضاء و وصفه شيخنا آغا بزرك الطهرانى فى نقباء البشر قائلا (... و لما بلغ درجه ساميه فى العلم و الفضل مع تقى و ورع عاد إلى أصفهان مزودا بالإجازات من مشايخه الاجلاء، و اشتغل بالتدريس فى (مدرسه نيماورد) فالتفت حوله أفاضل الطلاب و المحصلون من أهل العلم ينهلون من معينه العذب فى الفقه و الأصول و غيرهما من العلوم، و قد تخرج عليه عدد كبير إذ لم ينقطع عن التدريس إلى آخر عمره حتى بعد أن رأس و أصبح من المراجع و كانت أوقاته مستغرقة فى حل الخصومات و قضاء حوائج الناس و غيرهما، و قد كان المترجم له من العلماء الاجلاء و الفقهاء المتبحرين، و العرفاء الصلحاء و رجال الدين و التقوى و الورع و الزهد فى حطام الدنيا، كما كان من أهل الأخلاق الفاضله و المعاشره الحسنه، و التواضع للناس و الاهتمام بشئونهم، و التصدى لخدمتهم لذلك حظى بإقبال الخواص و العوام و أحبته القلوب، و أصاب رئاسه كبيره و شهره واسعه و صار مرجعا مبجلا محترما لدى كافه الطبقات يرجعون اليه فى الخصومات و المرافعات، فكان مجلسه محكمه شرعيه و قوله الفصل و حكمه العدل لانه عرف بالورع و العداله و الإنصاف و التروى فى كل الأمور و كان على جلالتة و مكانته بسيطا فى مظهره و ملبسه و مجلسه، يجالس الفقراء و يلاطفهم و يجيب دعواتهم له فى القرى و الأرياف و يأكل معهم و كان اريحى الطبع لا يتوقف عن المزاح المحتشم و لا تفوته النكته المؤدبه، و من أجل ذلك كان

الكل يرغبون في مجالسته و يكثر من الاختلاف اليه... (٣) و قال السيد مصلح الدين المهدوي في كتابه ما يقارب من هذا الكلام و له مؤلفات هامه طبع قسم منها. و من مؤلفاته ترجمه الدرر ترجم فيها كلمات (أمير المؤمنين ع من نهج البلاغه، اجمالى در احوالات پيغمبر أكرم (ص)، خمسه طيبه مجموعه من أشعاره في مناقب و مرآة الأئمه، ديوان قصائد و غزليات، ديوان غزليات و رباعيات، شمس و قهقهه، ضياء الابصار في أحوال الاطهار، ديوان باسم گلزار [گلزار] تذكره القبور و هو في تراجم العلماء المدفونين في أصفهان مطبوع، أصول الدين مطبوع، صيغ العقود و الإيقاعات مطبوع منظومه أنوار ديوان شعر و ترجم له أيضا شيخنا آغا بزرگ الطهراني في كتابه مصفى المقالى [المقال] في مصفى علم الرجال ص ٢٣٣ قائلًا- (كان جامع العلم و العمل و العرفان و صاحب الذوق و النطق و البيان مدرسا في مدرسه (نيماورد) باصفهان و ربي جمعا كثيرا من فضلاء الزمان و كتب (تذكره القبور) في تذكر العلماء المدفونين باصفهان و طبع سنة ١٣٢٤ و طبع ثانيا مع إلحاقات كثيره بعنوان رجال أصفهان). (٤)

### الشيخ عبد اللطيف بن شمس الدين على الواعظ البيرجندی

المتوفى بعد سنة ٩١٧.

كان من علماء عصره خطيب متكلم محقق مؤلف من أشهر مؤلفاته كتاب قصص الأنبياء شرع بتأليفه في شوال سنة ٩١٧ مرتب على أبواب و يختلف عدد الأبواب مع اختلاف النسخ و منها نسخه في المكتبه الرضويه كما في الفهرست ج ٧ ص ١٤٤ و نسخه منها في طاشقند في ازبكيستان بالاتحاد السوفيتي و نسخه في برلين و منها نسخه في مكتبه مجلس الشورى بطهران و غيرها و ذكره شيخنا الأستاذ في الذريعه ج ١٧ ص ١٠٣ و نجله احمد منزوى في فهرست المخطوطات الفارسيه ج ٦ ص ٤٥١٣. (٥)

### الشيخ عبد اللطيف بن الحاج عباس على بن شاه نظر بن محمد بن

احمد بن منصور بن رحيم السامى الحائرى الشهير بتنكابنى.

ولد في ١٣٣٠ في رامسر و توفي ٤ ذى الحجه الحرام سنة ١٤٠٠ في قم و دفن بها.

ولد في رامسر و في الثامن من عمره بدأ بقراءه المتون الأدبيه و في سنة ١٣٤٢ دخل المدرسه العلميه و اشتغل بتعلم المقدمات عند عبد الوهاب بن محمد حسين الفريد و الشيخ على أكبر الفلكي و في سنة ١٣٤٦ ذهب إلى قزوین و سكن في المدرسه الالتفائيه و حضر عند الآقا رضا قافله باشياالحاشيه في المنطق و شرح النظام و السيوطي ثم ذهب إلى مشهد الرضا (ع) و سكن في مدرسه بريزاد ثم حضر عند الأديب النيشابورى كتاب المطول و حضر عند الميرزا احمد اليزدى الشهير بنهنكك خلاصه الحساب و شرح اللمعه و الهيئه و حضر عند بعض الاعلام كتاب القوانين و الشرائع و شرح المنظومه و في سنة ١٣٤٩ عاد إلى قم و بقى مده قليله ثم ذهب إلى طهران و اشتغل على الميرزا مهدى الآشتياني في الفلسفه ثم ذهب في أوائل سنة ١٣٥١ إلى النجف الأشرف و حضر السطوح العاليه على الشيخ حسين الأهري و الشيخ مرتضى الطالقاني و السيد على النورى و شمس العشق آبادى و السيد محمد هادى الحسينى الميلانى و ذهب إلى كربلاء و بقى مده مشتغلا على الشيخ محمد رضا الاصفهاني ثم عاد مره اخرى إلى النجف الأشرف فحضر بحث الشيخ كاظم الشيرازى و السيد أبو الحسن الأصفهاني و في سنة ١٣٥٨ عاد إلى كربلاء فبقى مستفيدا فيها في أبحاث الحاج الآقا

- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٢- السامى.
- ٣- نقباء البشر ج ٣ ص ١١٨٣ الطبعة الأولى.
- ٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٥- الصالحى.

حسين الطباطبائي القمي إلى حين وفاته و بعد وفاته عاد إلى النجف الأشرف فحضر بحث الميرزا عبد الهادي الشيرازي و السيد محسن الطباطبائي الحكيم و السيد حسين الحماي و الميرزا آقا الإصطهباناتي و الميرزا حسن البجنوردي و الميرزا هاشم الآملي و السيد محمود الشاهرودي و السيد أبو القاسم الخوئي و في سنة ١٣٩١ عاد إلى رامسر و سكن بها مشغلا بقضاء حوائج العامة و إمامه الجماعة إلى أن مرض و اشتدت به الآلام و الأسقام و جىء به إلى طهران للتداوى ثم ذهب إلى قم للزياره و الاستراحه فتوفى بها و دفن بوادي البقيع في طريق مسجد الجمكران - له مؤلفات منها:

١ - تقارير الميرزا عبد الهادي الشيرازي (في الفقه).

٢ - تقارير السيد أبو القاسم الخوئي (في الأصول).

٣ - تقارير الميرزا هاشم الآملي (في الفقه).

في عدة مجلدات لم تخرج إلى البياض.

٤ - رساله في صلاه المسافر.

٥ - رساله في حمل الجنائز.

٦ - رساله في السجود على التربه.

٧ - زنادقه در إسلام كتاب فارسي في الرد على الحلويه و الصوفيه و الفلاسفه و الماديين.

٨ - تعليقه على تعليقه الشيخ محمد حسين الأصفهاني على المكاسب.

٩ - شناخت امام زمان يا امام شناسي - كتاب فارسي حول الامام المنتظر - ع -.

و هو يروى عن الشيخ آقا بزرگ الطهراني صاحب الذريعه و أعقب اربعة أولاد هم الشيخ محمد و حسن و حسين و فاروق و الشيخ محمد هو الباحث المحقق مؤلف كتاب بزرگان رامسر و وفيات اعلام الشيعة و بزرگان تنكابن و غيره.

### **الشيخ عبد الله بن الشيخ احمد الاحسائي مؤسس الفرقة الشيعيه ابن**

الشيخ زين الدين بن إبراهيم بن صقر ابن إبراهيم بن داغر بن رمضان بن

راشد بن دهيم بن شمروخ آل صقر المطيرفي الاحسائي

المتوفى حدود سنة ١٢٧٣.

من أهل الفضل يمتاز بطهاره القلب و طيب السريره و المعروف انه أصغر أولاد أبيه و من أم واحده مع شقيقه الشيخ محمد تقى

و الشيخ علي نقى ولد في الإحساء و قرأ على فضلائها و تخرج في الفقه و الأصول و الأخبار على والده و المولى الشهيد البرغانى و أخيه الشيخ محمد صالح البرغانى فى المدرسه الصالحيه بقزوين و أخذ الحكمة و الفلسفه عن الآخوند ملا آغا الحكمى القزوينى و المولى ملا على البرغانى. و كان من العلماء الذين شاركوا فى مجلس مناظره أبيه فى ديوان الشهيد البرغانى بقزوين و كان يميل إلى أخيه الشيخ محمد تقى الاحسائى الذى كان ينكر على أبيه طريقته أشد الإنكار و لازم أباه فى السفر و الحضر و كان معه فى سفر الحج الأخير مع جمع من أصحابه و هو السفر الذى توفى اثناءه أبوه بمنزل هديه قبل وصولهم المدينه بثلاث مراحل و ذلك فى يوم الأحد ٢١ ذى القعدة الحرام سنه ١٢٤١ ثم رجع المترجم له إلى ايران و سكن قزوين و يستفاد من بعض الإمارات انه كان يميل إلى أخيه الشيخ محمد تقى الذى كان ينكر على أبيه طريقته و التجأ اليه و لازمه سنين فى قزوين ثم انتقل إلى كرمانشاه حيث خلف أبوه بعض القرى و الأملاك الزراعيه و هو ما وهبه له محمد على ميرزا دولت شاه نجل السلطان فتح على الشاه القاجارى و ذكره شيخنا الأستاذ فى الكرام البرره قال (... عالم فاضل و كان من أهل العلم و الفضل و الكمال و المعرفه ألف رساله خاصه فى ترجمه والده أشرنا إليها فى الذريعه ج ٤ ص ١٥١ و قد ترجمت إلى الفارسيه... و يظهر من الرساله انه كان مع والده فى جملته أسفاره و منها سفر الحج الأخير الذى توفى فيه و كان سنه ١٢٤١ و قد انتقل اليه بعض كتب أبيه منها حاشيه العميدى تملكه فى سنه ١٢٤٤...) (١) أقول: هناك رساله منسوبه إلى المترجم له ترجم فيها والده الشيخ احمد الاحسائى المتوفى سنه ١٢٤١ هجرية ترجمه مفصله رتبها على سته أبواب سادسها فى ذكر أسماء تصانيفه و ترجمها إلى الفارسيه محمد طاهر طبقت [طبعت] فى بمبئى سنه ١٣٠٩ فى ٩٦ صفحه و فى آخرها ألحق صوره إجازات مشايخه له بالعريه و الإجازة الأولى للشيخ حسين آل العصفور و الإجازة الثانيه للشيخ احمد البحرانى الدمستانى و الإجازة الثالثه للسيد ميرزا مهدى الشهرستانى الحائرى و الإجازة الرابعه للسيد على الطباطبائى الحائرى صاحب الرياض و الإجازة الخامسه للسيد مهدى الطباطبائى بحر العلوم و الإجازة السادسه للشيخ جعفر النجفى صاحب كشف الغطاء و عندنا نسخه منها و لم أقف على الأصل العربى حتى اليوم. (٢)

### المولى عبد الله بن المولى محمد الكسكرى التنكابنى.

ولد حدود ١٢٣٠، توفى بعد ١٢٨٧.

انتقل أبوه من كسكر (جيلان) إلى تنكابن و توفى بها حدود ١٢٥٠.

ولد فى تنكابن و نشأ بها ثم ذهب إلى أصفهان و أخذ العلوم عن اعلامها ثم رجع إلى تنكابن و ذهب إلى رودسر و بقى إلى أن توفى بها.

قال عنه السيد إسماعيل الحسينى التنكابنى فى نضره الناظرين: الفاضل الكامل العامل المولى عبد الله بن المولى محمد الكسكرى نزىل (مدينه) رودسر، رجل فاضل و جيه مشغول بامر الرئاسه.. (٣)

### عبد المطلب الأمين

مرت ترجمته فى موضعها، كما مرت عنه دراسه فى المجلد الثانى من المستدركات، و نشر عنه هنا هذه الكلمه لأحد النقاد:

تستطيع ان تطلق على السيد عبد المطلب الأمين صفه الشاعر و الأديب و الصحافى و القانونى و الدبلوماسى و الادارى و الفقيه دون ان تتجاوز الواقع، فقد كان الرجل ذلك كله وفق ما يعترف به اصدقائه و عارفوه و المقربون اليه و من عايشوه عن قرب، و بالإمكان ان تتناول كل صفه من تلك الصفات عنوانا لبحث أو مقال و تجد بين يديك ما يكفى من دقق المعرفه و ما تتخذه مستندا و دليلا..

و كدليل على النبوغ انه كان يوصف بنموذج فريد لمواهب عده تتجمع فى شخص واحد، و قد هفت اليه الأسماع و أنشدت اليه الأذهان، و يظل الحفل أو الاجتماع غير مكتمل حتى ياتى عبد المطلب الأمين فيملؤه دعابه أو أدبا أو حديث سياسه أو شعرا، و من شان هذه الصفات جعل صاحبها مقربا من الجميع يضع الكلمه فى مكانها و الرأى فى محله بحيث يجد فيه الكل قريبا من نفسه و من مشاعره، أشبه بالحقل الذى يموج بكل العطاءات و الأضواء و الظلال.

يضاف إلى ذلك انه كان ثاقب النظره يعرف مكان الخطا و الصواب، و ما يجب أن يكون عليه المجتمع و الحكم و الناس، و كيف يجب أن تكون الحقوق و الواجبات و لعل أكثر ما مكنه من ذلك شاعريته المرهفه و تمرسه فى القضاء و الدبلوماسيه و الأدب و الصحافه و السياسه التى الم بمدخلها و مخارجها من غير ان يحرق أصابعه كما يقال، فقد ظل رجل رأى سديد و نظره واقعيه و مستقبليه.

ص: ١٣٤

---

١- الشيخ آغا بزرك الطهرانى الكرام البرره فى القرن الثالث بعد العشره ح [ج] ٢ ص ٧٦٨-٧٦٩.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- السامى.

و لعل نشاته في بيت والده العلامه السيد محسن الأمين جعلت حياته حافله بالعطاء فقد تربي على الفقه و الشعر و البلاغه و التنقيب في بطون الكتب و استخلاص الغث من السمين و الوصول إلى الحقيقه يدونها و يقرها بعد تمحيص مع الاحتفاظ بطبيعته ابن الجنوب الطيب و المضياف و الثائر و المناهض لكل أنواع الظلم و التجنى و اعتماد مبدأ الصراحه و الوضوح إضافة إلى طبيعه الشاعر و السليقه التي تعطى صاحبها صفات مميزه، فهو انى تلفت في نشاته وجد الكتب القديمه و الحديثه، إضافة إلى ما عند والده و أشقائه من فقه و شعر و أدب.

ثم ان عمله في حقل المحاماه و القضاء و الصحافه مكنه من معرفه ما يحيط به و أدرك التوجهات و الدخائل مما جعله ملما بالحياه العامه مدركا لما يجب ان يكون و ما يحتاج إلى الإصلاح و ما هو الأساس الذي يمكن إعلاء البناء عليه مع الثقه و الطمأنينه إلى المستقبل الذي لا بد من تخيل صورته قبل الوصول اليه، و لم يمنعه ذلك كله من ان يكون فكها مرحا يبتكر النكته أو يستنبطها أو يقود الحديث و المناسبه إليها كدليل على سرعه الخاطر.

و قد مكنته نشاته في بيت العلم أن يكون من الرعيل الأول من المتعلمين الذين تابعوا تحصيلهم، و قد نال إجازته في الحقوق عام ١٩٣٩، و اتقن العربيه و الفرنسيه و الإنكليزيه و الروسيه و الفارسيه و هي ثروه جعلته يطلع على التيارات الفكرية المختلفه بلغه ابنائها، و يقرأ عباقره الشعر و القصه و الروايه و الإصلاح إضافة إلى ما توفر له منذ نشاته من أدب و فقه و تاريخ خصوصا ما يتعلق برسالة النبي العظيم. و قد ألم بحضاره الشرق و الغرب، أما الشعر فحسبه انه كان إلى جانب والده واحدا من اخوته الشعراء هاشم و حسن و جعفر، و عرف عنه انه غزير الإنتاج يتدفق منه الشعر كأنه يملك ناصيته في ثوبه الكلاسيكي و ما يوصف بالحديث أو المنشور و الحر، يساعده على ذلك امتلاكه زمام اللغه و ما فيها من جناس و بديع و جزاله و سلاسه.

و كما كان لامرتين الشاعر الفرنسي يصف نفسه بأنه يكتب الشعر كما يغرد العصفور و يتدفق الشلال، و يدبج هوامش كتاب بين يديه، كذلك عبد المطلب الأمين إذ كان يدون ما يفيض به خاطره على بياض صحيفه بين يديه و حتى على علبه السجائر سواء كان في السياره أو بين الناس أو في اجتماع عام، و هذا ما يؤثر عن شوقي أمير الشعراء الذي كان ينطق بالشعر في أي من المناسبات و حتى في السياره و الترام و الأماكن العامه.

و لم يكتف الشاعر الأمين بذلك فقد عمل كما أشرنا في حقل القضاء و المحاماه إضافة إلى انه كان يوصف بأنه دائره معارف يأتيه المعجبون للاستقاء من معارفه في القانون المدني و الفقه و الشريعه و مراجعه الكتب الإسلاميه و تاريخ آل البيت النبوي الشريف إضافة إلى مراسلات العديد من كبريات الصحف العربيه. و عند ما عين سفيرا لسوريا في موسكو حقق نجاحا دبلوماسيا لفت اليه الأنظار و شد الانتباه فكان موضع تقدير و احترام و محور نشاط و تحرك ايجابي. و سبق ذلك ان عمل في حقل التعليم إلى جانب الشاعر الكبير بدوي الجبل.

و الذي جعله يلم بالظروف العربيه العامه انه درس الحقوق في دمشق و عمل قاضيا في لبنان و محاميا في الكويت و مدرسا في دار المعلمين في بغداد و سفيرا لسوريا في موسكو و قاضيا في لبنان و صحافيا في دمشق و موظفا بصفه رئيس قسم التوجيه في وزاره الدفاع السوريه حتى النكسه نتيجته العدوان الاسرائيلي عام ١٩٦٧، و بعد ذلك كله امضى ما تبقى من حياته في بيت متواضع في محله النهر بشرق العاصمه بيروت.

و إذا كان لم يلجا إلى الفلسفه كصاحب نظريه خاصه، فقد كانت الحياه بالنسبه اليه مجرد محطه و ليست هدفا كل ما فيها انها تغنى تجارب الإنسان و تضيف إلى معارفه الكثير مما يحتاجه فهو يقول:

و دروب الحياه مهما استطالت هي في خطونا الملح دروب

و يقول أيضا:

تضائل العمر و انهارت مهابته حتى استحال تساجيعا و أوزانا

و يستشف الشاعر ذلك من تربيته الدينيه و الفلسفه الإسلاميه فهو يسأل و لكن ليس على طريقه إيليا أبو ماضي في قصيدته الطويله - الطلاسم -:

إلى أين يمضى بنا ركبنا عنيفا لجوجا على عمرنا

و حتام يعصف فينا القضاء و تودى الرياح باسمالنا

أ كنا من الكون العوبه و هل أبدع الكون إلا لنا

و يصل إلى السؤال الذى لا جواب له:

و من ذا يجيب على سؤلنا أ صمت المقادير أم صمتنا

و من حق الشاعر بعد شوط متعدد الوجوه فى الحياه أن يجد نفسه كثير التساؤل و قد اختزن فى نفسه المزيد من المعلومات و التجارب السياسيه و الاجتماعيه و الحركات الشعبيه و فى مقدمها العدوان الاسرائيلى لا سيما عام ٦٧، و حسبه انه شاعر، أى مرآه تنعكس على صفحتها الأضواء و الظلال، و فى هذا يقول عنه الدكتور حسين مروه (يملك العده الكافيه، بل الغنيه لدقه الاختيار و براعه الاستصفاء، ثم لأحكام البناء الشعري و إتقانه، إضافة إلى امتلاكه الوثيق لكل أدوات اللغه الشعريه و قواعد النحو و العروض).

و يمكن وصف السيد عبد المطلب الأمين بأنه ارتبط بجبل عامل و تراثه الشعري و الأدبي و الفقهي مع الأخذ بمنحى التجديد من غير انقطاع عن الكلاسيكيه، و على سبيل المثال تهزه جريمه اغتيال الكاتب و الصحفى الفلسطينى غسان كنفانى فيقول:

قد كنت الكلمه الكل الكل الكلمه

كالبرعم و الصلد كالصخر و كالورد

لا بدء بلا كلمه لا شىء بلا كلمه

لا مجد بلا كلمه لكن الكلمه...



من فمك المفصول عن الرأس من صدرك هذا الراسى

هذا المفتوح على عكا هذا المعشوشب بالحب

بالنار و بالحق شىء يخرس كل الناس

و يستوحى الشاعر ما يمر به و يشاهده و يتعرض له فى حياته فقد وجد نفسه مثلا و هو فى سلك القضاء يحاكم متهمين شتان بين جرائمهم و جرائم من هم فى مراكز عاليه و أماكن أشبه ما تكون بمكانه امرأه القيصر. و هذا ما اثر فيه و عكسه شعرا:

فالبيت قصر الأثرياء و القدس و كر الأدياء

و روائح البترول تزكم انف كل الأنبياء

تطغى على نتن الجريمة من دهاليز الثراء

و الحاكمون الداعرون تعودوا شرف البغاء

ص: ١٣٥

الفوااريكات النفاق على متاهات الرباء

يا شعب جرحك فى يديك و بين كفيك الدواء

و تهزه نكسه عام ١٩٦٧ من الأعماق و تغير مجرى حياته ليس لأنه كان يعيش الحلم و انما الحاضر الذى يراه ثوره و اندفاعا فى العيون العريبه التى اعتادت أن ترى رايات المجد تخفق فوق الربوع محصنه باراده جماعيه يصعب اختراقها و يعبر عن ذلك بقوله:

و يريدون ان أغنى و أشدو فى زوايا مقابر الأحياء

و يحاول عبد المطلب الأمين ان يظل تعبيرا حيا للواقع بافراحه و أتراحه شعرا و نقدا و يلجا إلى الفكاهه حتى لكأنها جزء منه فهو يقولها على السجيه و يكاد يجدها فى كل حركه سواء لدى الزعماء بصوره خاصه أو لدى من يعايشهم بصوره عامه، و يجد فى النكته التعبير المرضى للعديد من جوانب تفكيره و تطلعاته، و يرضيه ان يجد الصدى المستحب حتى بات محور الحديث و لا تكون الجلسه ممتعه إلا عند ما يكون عبد المطلب الأمين.

و الذين يضحكون الناس يكونون عاده أكثر شقاء حتى إذا انطوى عليهم الليل أو عزلتهم الوحده و التأمل ذرفوا الدموع الساخنه و بكت قلوبهم بالألم و الجرح المفتوح، فهم عاجزون عن قبول الواقع كما هو، و عاجزون عن تغييره فتكون وسيلتهم إرسال القوافى الصارخه أو الألحان المعبره، و أكثر ما يتركهم عرضه لهزات المشاعر العنيفه انهم لا- يستطيعون البعد أو الابتعاد عن مسيره الحياه لأنهم مشاركون فيها بفكرهم و أدبهم و تأملاتهم و ما منحوا من صدق الاحساس و المشاعر.

و يصفه الدكتور حسين مروه بقوله: (طاقه بحجم طموحه تتوزع فى طاقات، كل واحده منها بحجم الطاقه - الأم: ثقافه مكتنزه عمقا و شمولاً، شاعريه مرهفه لها شفافية الصحو الربيعى المشمس، نفاذ فكرى يخترق الظاهره الكثيفه إلى جوهرها اللطيف بلمحه واحده لها وهج شلال من الضوء، قدره على الكيف فى مناخ كل ممارسه و كل سلوك و كل بيئه بشريه، صلابه فى الموقف المبدئى لها تماسك الفولاذ و مرونته فى وقت معا..).

و هذه صورته صحيحه لذلك الشاعر الأديب الناقد الدبلوماسى السياسى الصحافى صاحب الفكاهه و العلم الغزير و مع ذلك تجد الحيره و الاضطراب و القلق و الغربه عند عبد المطلب الأمين فهو يكثر من السؤال:

فى أى صقع استقر و اسكن و لأى ظل استريح و اركن

من كل أرض فى نعالى غبره و لكل ربح فى ثيابى مسكن

الليل بيدائى على ظلماته تاهت خطاى و ضاع ما أتبين

**عبيد الله بن موسى العيسى.**

مرت ترجمته فى الصفحه ١٣٧ من المجلد الثامن، و نزيد عليها هنا ما يلى:

قال الذهبي في (سير اعلام النبلاء): الامام الحافظ، أول من صنف المسند على ترتيب الصحابه بالكوفه، كما ان أبا داود الطيالسي أول من صنف المسند من البصريين على ما نقله الخليلي في إرشاده. و كان من حفاظ الحديث مجودا للقرآن، و تصدر للإقراء و التحديث. و حدث عنه احمد بن حنبل قليلا و كان يكرهه لبدعه فيه (يقصد بها التشيع)، و حقه ابن معين. و حديثه في الكتب الستة، قلت: كان صاحب عباده و ليل صحب حمزه و تخلق بآدابه الا في التشيع المشؤوم فإنه اخذه عن أهل بلده المؤسس على البدعه.

قال احمد بن حنبل: حدث بأحاديث سوء و أخرج تلك البلايا فحدث بها. قال ابن منده كان احمد بن حنبل يدل الناس على عبيد الله، و كان معروفا بالرفض، لم يدع أحدا اسمه معاويه يدخل داره، فقيل: دخل عليه معاويه بن صالح الأشعري، فقال ما اسمك؟ قال: معاويه. قال: و الله لا حدثتك و لا حدثت قوما أنت فيهم.

### الشيخ عبد المنعم بن عبد المحسن الخاقاني.

ولد في ١٣٢٧ و توفي ١٤٠٥.

ولد في سوق الشيوخ و تعلم القراءه و الكتابه بها ثم هاجر إلى النجف الأشرف و اشتغل عند بعض بنى عمه بتعلم النحو و الصرف و المعاني و البيان ثم أخذ السطوح من الفضلاء و حضر بحث السيد أبو القاسم الخوئي في الفقه و الأصول و حضر في الكلام و التفسير عند الشيخ محمد جواد البلاغي ثم اشتغل بالتدريس في النجف الأشرف - هاجر في حدود ١٣٧٠ إلى مدينه عبادان للهدايه و الإرشاد.

و عند ما قامت الحرب الإيرانيه العراقيه هاجر إلى قم و بقى بها إلى وفاته و دفن في مقبره (باغ بهشت).

كان على جانب عظيم من الزهد و التقوى قليل الكلام كثير الصمت موقرا مبجلا و كان شاعرا.(١)

### الميرزا عبد الهادي القزويني.

توفي سنه ٩٧٦ في قزوین و دفن في صحن روضه شاه زاده حسين بن الامام الرضاع من حملة العلم و الفضل و نوابغ علماء الرياضيات أديب متبحر و شاعر مبدع و خطاط ماهر. برع في الموسيقى و اشتهر في هذا الفن تخرج على جملة من علماء قزوین و اختص بزواج أخته مالک الديلمی القزوينی المتوفى سنه ٩٦٩ و أخذ كثيرا من العلوم منه خاصه في فن الخط.

و كان المترجم له من أمهر الخطاطين في العصر الصفوي ذكره صاحب گلستان هنر و نقل عنه الدكتور مهدي بياني في كتابه (أحوال و آثار خوشنویسان) الجزء الثاني صفحه ٤٢٢.(٢)

### عبد الواسع بن محمد قاسم الجيلاني الرامسري.

من علماء مدينه رامسر رأيت له تعليقات على كتاب شرح التجريد تدل على فضله كتبها في سنه ١٢٣٧ في مدينه قزوین و صرح في نهايتها بأنه من مدينه رامسر (سنحت سر [سخت سر]) (٣)

## عبد الواسع بن موسى بن حسين النحوى الرامسرى.

ولد حدود ١٢٥٠ و توفى أوائل القرن الرابع عشر ولد فى رامسر و درس فى أصفهان ثم رجع إلى موطنه فاشتغل بالتدريس و التأليف، و له تعليقات على بعض الكتب العلميه و كان ينظم الشعر باللغه الفارسيه. (٤)

## الشيخ الميرزا عبد الوهاب الشريف بن الشيخ محمد على بن الشيخ

عبد الكريم (صاحب كتاب نظم الغرر) ابن الشيخ محمد يحيى (صاحب

ترجمان اللغه) ابن الشيخ محمد شفيح (صاحب كتاب تميم أبواب

الجنان) ابن الشيخ رفيع الدين محمد (صاحب كتاب أبواب الجنان) ابن

الشيخ فتح الله القزوينى.

توفى فى النجف الأشرف سنه ١٢٧٠ داخل الروضه الحيدريه امام الضريح المطهر و دفن داخل الحرم الشريف من جهه الشرق  
محقق مؤلف

ص: ١٣٦

١- الشيخ محمد السامى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- السامى.

٤- السامى.

مكثر ولد في قزوین و أخذ المقدمات على أبيه و جمع من اعلام قزوین ثم هاجر إلى العراق قاصدا الحوزه العلميه الكبرى متنقلا بين كربلاء و النجف و الكاظميه فحضر على كوكبه عظيمه من فحول علماء عصره منهم في كربلاء المؤسس الوحيد آغا باقر البهبهانی المتوفى سنة ١٢٠٥ و السيد على الطباطبائي المتوفى سنة ١٢٣١ و نجله السيد محمد المجاهد المتوفى سنة ١٢٤٢ و شريف العلماء المازندرانی الحائري المتوفى سنة ١٢٤٦ و حضر في النجف الأشرف على السيد مهدي بحر العلوم المتوفى سنة ١٢١٢ و الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٢٨ و نجله الشيخ موسى آل الكاشف [كاشف] الغطاء و السيد جواد العاملي المتوفى سنة ١٢٢٦ (صاحب مفتاح الكرامه) و في الكاظمين على الشيخ أسد الله الكاظمي المتوفى سنة ١٢٣٤ و السيد عبد الله الشبر المتوفى سنة ١٢٤٢ كما حضر على الشيخ احمد الاحسائي المتوفى سنة ٢٤١ و أخذ الحكمة و الفلسفه من الآخوند ملا على النوري المتوفى سنة ١٢٤٦ و غيرهم و له حق الروايه عن أكثر من أربعين مجتهدا منهم مشايخه المذكورون و تاريخ إجازته السيد جواد العاملي في ربيع الأول سنة ١٢٢٥ و قد ذكرها سيدنا الأمين [العاملي] في آخر كتاب المتاجر من (مفتاح الكرامه) المطبوع باشرافه و تحقيقه ثم عاد المترجم له إلى مسقط رأسه قزوین و انتهى اليه كرسى التدريس و الفتوى و كان من أكابر علماء الشيعة في عصره و نوابغ فقهاء الاماميه سافر إلى بيت الله الحرام و حج في سنة ١٢٣٠ مع صهره الشيخ محمد صالح البرغانى الحائري على أخته العالمه الفاضله آمنه خانم(١) و من الحجاز عرج على مصر و حل في القاهره و ناظر كبار العلماء في الأزهر الشريف و حصل على إجازات من علماء الشافعيه في القاهره و كان معاصرا للشهيد البرغانى و المترجم له ممن حضر مجلس مناظره استاذه الشيخ احمد الاحسائي في ديوان الشهيد بقزوین و كان يميل إلى استاذه الاحسائي و ألف كتاب (خلاصه الرشاد) و ذكر في آخر الباب الأول في الايمان بالله المدرج فيه جميع الأصول الخمسه في خمس فصول من الباب الخامس في المعاد تطرق إلى المعاد الجسماني و ذكر ما سمعه شفاها من السيد ميرزا مهدي الخراساني الشهيد في سنة ١٢١٨ و ما ذكره الشيخ احمد الاحسائي في جواب السؤال عن المعاد.

هاجر المترجم له في أواخر عمره إلى النجف الأشرف فسكن بها و تصدر للتدريس و الفتوى حتى مرض ثم تنبه بساعه وفاته فأمر من معه بوضعه في تابوت و إدخاله داخل الروضه الحيدريه و لما وضع تابوته امام الضريح المطهر فاضت آخر انفاسه داخل الحرم و ذلك سنة ١٢٧٠ و من آثاره الباقية في قزوین مدرسه دينيه و مكتبه في محله دار الشفاء و لا تزال داره باقيه حتى اليوم و من أشهر أحفاده اليوم في قزوین الدكتور محسن شفايى.

و كانت أم المترجم له العالمه الفاضله فاطمه بنت السيد حسين القزويني المتوفى سنة ١٢٠٨ شيخ السيد مهدي بحر العلوم و لقبه بالشريف لشرفه من طرف الأم و المترجم له خال قره العين.

ترك المترجم له مؤلفات و حواشى و رسائل علميه قيمه تزيد على ثلاثين رساله و كتاب و عندنا أكثر مؤلفاته بخطه منها كتاب خلاصه الرشاد في شرح أربعين حديثا، خلاصه الرشاد في الدلاله على منهج العباد فارسي في أصول الدين و فروعها، كتاب هدايه المسترشدين، رساله في صلاه الجمعه، رساله في مسائل التقليد بالعربيه، رساله اخرى في مسائل التقليد بالفارسيه، كتاب في أصول الفقه، شرح حديث المنزله الذى أخرجه ابن حجر في الصواعق، كتاب في الرد على رساله السيد محمد باقر الأصفهاني في عدم جواز تقليد الميت و وجوب العدول إلى الحي، اجتماع الأمر و النهي، التجري في أصول الفقه، حجيه الإجماع، حجيه المظنه، رساله في أصله البراءه رساله في العداله، رساله في حجيه الظن في الأحكام، رساله في عدم جواز اجتماع الأمر و النهي، فائده في أصل البراءه، الفوائد الأصوليه.

ذكر المترجم له التنكابني في قصص العلماء ص ٦٤ من الطبعة الحجرية و وصفه السيد محمد باقر الأصفهاني في اجازته المؤرخه ٤ شعبان سنة ١٢٥٤ بقوله (... و من الله على اهالي قزوین... بالعالم العامل الفاضل الكامل البارع الباذل جامع فنون الفضائل حائز صنوف الفواضل، عاصم عباد الله عن الخبائث و الرذائل، زبده الفقهاء العظام، عمده العلماء الفخام...) و ذكره والدي قدس سره في المجلد الأول من كتابه (الغرر و الدرر) المخطوط و شيخنا الأستاذ آغا بزرگ الطهراني في الكرام البرره ج ٢ ص ٨٠٩ و مختلف اجزاء الذريعه إلى تصانيف الشيعة و ذكرته في كتابي كربلاء في حاضرها و ماضيها.(٢)

### عطا الله المرشدي التنكابني الشهير ب آقا بزرگ.

ولد في تنكابن و نشأ بها ثم ذهب إلى قزوین و بقي بها مده و بعد ذلك ذهب إلى أصفهان و حضر عند اعلامها ثم ذهب إلى النجف الأشرف و لازم بحوث اعلامها و في حدود ١٢٤٥ رجع إلى موطنه و اشتغل بالتدريس و قضاء حوائج العامه.(٣)

### الشيخ علاء الدين ابن الشيخ رضا بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ ملا

علي بن المولى الشيخ محمد البرغاني القزويني آل العلوي الشهيدى.

ولد في برغان سنة ١٣١٢ كما حدثني به و توفي يوم ١٨ من ذى الحجه الحرام عبد الغدير سنة ١٣٩٤ في قزوین و دفن في مقبره آل الصالحى في روضه الشاه زاده حسين بن الامام الرضا ع.

آل العلوي الشهيدى فرع من آل البرغاني من الأسر العلميه المعروفه في قزوین التي ظهر فيها غير واحد من اعلام العلماء و اشتهرت باسم آل العلوي الشهيدى منذ عهد جدهم الشيخ ملا علي البرغاني المتوفى سنة ١٢٦٩ شقيق الشهيد الذي كان من مشاهير علماء عصره.

أخذ المترجم له المقدمات من الصرف و النحو و المنطق علي الشيخ آغا الطالقاني القزويني و السيد عبد الرحمن التقوى ثم حضر في الفقه و الأصول علي الشيخ علي الطارمي و الشيخ محمد الطارمي و الشيخ فضل علي المهدي القزويني في المدرسه الصالحيه و في سنة ١٣٣٥ هاجر إلى طهران و حضر في الحكمة و الفلسفه علي الشيخ علي النوري و الشيخ محمود القمي و المير علي محمد الحكمي و رجع إلى موطنه قزوین و لازم الشيخ عيسى بن الشهيد و اختص به و تزوج ابنته و بعد وفاه استاذه و أبو زوجته المذكور سنة ١٣٣٩ تصدر كرسى التدريس في المدرسه الصالحيه و التف حوله جمع من الطلاب و الفضلاء له مؤلفات و تحقيقات منها ترجمه ضيافه الاخوان و هديه الخلان لآغا رضى القزويني إلى الفارسيه و ترجمه رسائل اخوان الصفاء مع تعليقات عليها، و عقائد العلائيه في الفلسفه في أكثر من ألف صفحه، رأيته منهمكا في تاليفه في سنواته الأخيره. و له مقالات علميه في مختلف الصحف الإيرانيه.(٤)

### الشيخ ميرزا علامه بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد صالح الحائري

آل الصالحى

- 
- ١- انظر مستدركات أعيان الشيعة ج ٢.
  - ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
  - ٣- الشيخ محمد السامى.
  - ٤- الصالحى.

المولود في كربلاء سنة ١٢٤٩ و المتوفى سنة ١٣١٠ و المدفون في صحن الروضة الحيدريه بالنجف الأشرف مقابل باب الطوسي قريب جدار الحرم المطهر.

كان من كبار علماء الشيعة في الحائر الشريف و رجال التقليد و الفتيا و أساطين الفقهاء في عصره أخذ المقدمات على جملة من اعلام الحائر المقدس و قد أدرك الشيخ مرتضى الأنصاري و تتلمذ على والده ثم هاجر إلى قزوین و أخذ العقليات من الآخوند المولى آغا الحكيمى القزوينى و عمه الشيخ ميرزا عبد الوهاب البرغانى الصالحى ثم رجع إلى موطنه كربلاء و تخرج في الفقه و الأصول على الشيخ حسين الأردكاني المتوفى سنة ١٣٠٢ و الميرزا حبيب الله الرشتى المتوفى سنة ١٣١٢ و تصدر كرسى التدريس و الامامه و الفتيا في كل من كربلاء و النجف الأشرف فالتفت حوله كثير من الفضلاء و نظر اليه النابهنون من أهل العلم بعين الإكبار و عرف بالتحقيق و التدقيق و أصالة الرأى و غزاره المده و أقبل عليه الناس في أمر التقليد.

و مضافا إلى مكانته الروحيه و انشغاله بالتدريس و المرجعيه كانت له مشاربه اجتماعيه هامه منها إصراره على هجره الشيعة من ايران و غيرها إلى العتبات المقدسه في العراق أيام الاحتلال العثماني فجلب عمالا و فنيين من قزوین و يزد و أصفهان و غيرهما و أسكنهم في كربلاء و قام باحياء الأراضي الصالحه للزراعه في شمال و شرق و غرب كربلاء و جلب إليها الماء و أحدث أنهرًا. و في الصيف الذى كان يقل فيه المياه في نواحي كربلاء كان يقوم بحفر الآبار و إسقاء البساتين عن طريق النواوير و الآبار. و هو أول من جلب أشجار ثمر (الكوجه) من برغان إلى كربلاء و الحمضيات من فلسطين و غيرها و لا تزال (الكوجه) و الحمضيات من أهم محاصيل كربلاء حتى اليوم و كان يسافر بنفسه مع جماعه متخصصين و عمال إلى برغان و فلسطين لجلب أحسن أنواع الأشجار ثم يقوم بتكثيرها في بستانه الخاص الواقع على نهر الحسينيه في الناحيه المعروفه ب (المدور) و لا يزال يعرف ذلك البستان باسمه حتى اليوم ثم يوزع الاغراس مجانًا على الفلاحين و من آثاره في كربلاء تشييد سقف الطارمه مقابل باب القبلة المعروفه بالايوان الذهبى في روضه العباس و الروضه الحسينيه و جلب الخشب من الهند و كما شارك في إنجاز هذا المشروع شقيقه مدرس الطف الشيخ ميرزا على نقى الحائرى الصالحى.

له مؤلفات منها: بغيه المرام في أصول الفقه من مجلدين ضخمين و تحفه الرشاد في الشرح على الإرشاد في اربعة مجلدات ضخمه من الطهارات إلى الديات.(١)

## الشيخ ملا على بن إبراهيم الهمداني المعصومي

المولود في قرية من قرى همدان في سنة ١٣١٢ و المتوفى سنة ١٣٩٨.

قرأ المقدمات و العربيه على فضلاء قريته و في سنة ١٣٢٧ هاجر إلى همدان لمتابعه دارسته فأكمل سطوح الفقه و الأصول على جماعه من علمائها و في سنة ١٣٣٥ قصد طهران و أخذ الحكمة و الفلسفه عن حوزة الشيخ عبد النبي النورى الآخوند الهيدجى و في سنة ١٣٤١ استقر في مدينه قم و التحق بحوزه الشيخ عبد الكريم الحائرى اليزدى المتوفى سنة ١٣٥٥ و كان من المدرسين البارزين في قم و في سنة ١٣٥٠ وفد جماعه من رجال همدان إلى قم يطالبونه بالرجوع إلى همدان فأجاب طلبهم بعد ما أمره بذلك استاذة الحائرى و سكن همدان و انتهى اليه كرسى التدريس و الفتيا و أسس حوزة همدان العلميه و أخذ الطلاب يفدون اليه و من آثاره في همدان تجديد و توسيع بناء مدرسه الآخوند ملا محمد حسين الهمداني و مكتبه الغرب التى تحتوى على



أكثر من عشرين ألف كتاب بينهما نفائس المخطوطات و نوادر المطبوعات و تخرج على المترجم له جماعه كثيره من العلماء و الفضلاء و ترك مؤلفات منها: اسرار الصلاه، الاجتهاد و التقليد، تقريرات في الفقه و الأصول لاستاذة الحائري، حواشى على العروه الوثقى أربعون حديثاً، رساله في كلام النفس، ترجمه حياه الصحابي أبو بصير، رساله في عصير العنب و الزبيب و التمر، حواشى على أنيس التجار و غيرها.(٢)

## الشيخ على نقى بن الشيخ احمد الاحسائي مؤسس الفرقة الشيخيه

ابن الشيخ زين الدين بن إبراهيم بن صقر بن إبراهيم بن داغر بن رمضان بن

راشد بن دهيم بن شمروخ بن صوله آل صقر المطيرفي الاحسائي

المتوفى في ٢٣ ذى الحجه الحرام سنة ١٢٤٦ في كرمانشاه و المدفون فيها.

انتهت اليه زعامه الشيخيه في كرمانشاه و هو ثاني أولاد أبيه ولد في الإحساء و قرأ المقدمات على فضلائها ثم لازم أباه في جميع رحلاته إلى العراق و ايران و تخرج عليه في أكثر العلوم و على تلميذ أبيه الملا- على البرغاني و هناك قرآن تدل على انه أيام إقامته في قزوین أخذ الفقه و الأصول و الحديث من المولى الشهيد البرغاني و الشيخ محمد صالح البرغاني و الحكمة و الفلسفه من الآخوند ملا آغا الحكمي القزويني و اجازه أبوه مع أخيه الأكبر الشيخ محمد تقى في إجازة واحده مؤرخه سنة ٢٣٦ و جاء تاريخها سهوا في كشف الحجب سنة ٢١٦ هجريه(٣) و له إجازة ثانيه كتبها أبوه الشيخ احمد الاحسائي إلى ملا على البرغاني أشرك فيها ولده المترجم له و أخاه الشيخ محمد تقى و الإجازة بخط المجيز موجوده عندنا.

و كان المترجم له من المتعصين لرأى أبيه و يدافع عن عقائد والده بشده و ترك أكثر من عشره مؤلفات في التفسير و الكلام و الحديث كتبها على غرار عقائد أبيه و دافع فيها عن الاعتراضات و الإيرادات الواردة عليه. و قد فصل عن حياته الشيخ ميرزا على الحائري في مقدمه نهج المحججه المطبوع في تبريز و كاظم الطريحي في مقدمه ديوانه المطبوع في طهران و قال الشيخ على البحراني (ابنه الشيخ الفاضل العلي الشيخ على نقى ابن الشيخ احمد بن زين الدين الاحسائي كان فاضلا محققا مدققا الا انه لم تطل أيامه بعد أبيه. له كتب منها شرح رساله الامام الهادي (ع) و له تحقيقات في دفع اعتراضات و إيرادات على والده و له كتاب المحججه في الامامه مجلد كبير، هذا الذي رأيت و الظاهر ان له غيره و الله اعلم و لا- أدري بتاريخ وفاته و لا- بموضع قبره...)(٤)

له مؤلفات منها ديوان شعر طبع في طهران سنة ١٩٥٥ م، نهج المحججه في الامامه فرغ منه سنة ١٢٣٨ هجريه طبع في تبريز سنة ١٣٧٣ هجريه و هو من أهم مؤلفاته، شرح رساله الامام الهادي (ع)، رساله في الرد على بعض العرفاء في التوحيد، حاشيه على حجيه الإجماع لوالده، الرسائل المتفرقه، منهج السالكين رساله في قصه موسى و الخضر، رساله في علم الباري، رساله في الأمر بين الأمرين،(٥)

## الشيخ أبو الحسن على بن احمد بن محمد بن داود بن موسى بن بيان

ولد فى ربيع الأول سنه ٣٣٥ و توفى فى ليله الأربعاء السابع عشر من ربيع الثانى سنه ٤١٩. أخذ العلم و الحديث على جمع من فحول علماء الشيعة منهم أبو بكر محمد بن عمر المعروف بالجعاى المتوفى سنه ٣٥٥

ص: ١٣٨

- 
- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
  - ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
  - ٣- السيد اعجاز حسين النيشابورى الكنتورى كشف الحجب و الأستار عن أسماء الكتب و الأسفار ص ٢٠ طبعه كلكته سنه ١٣٣٠ هجرية.
  - ٤- الشيخ على البحرانى أنوار البدرين ص ٤٠٧-٤٠٨ النجف مطبعه النعمان ١٣٧٧ هجرية.
  - ٥- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

و علي بن محمد القرشي الكوفي المتوفى سنة ٣٤٨ و أبو الفرج الأصفهاني و أبو القاسم عبد الله بن احمد بن الحسين بن رجاء الخرقى المتوفى سنة ٣٥١ و غيرهم ترجمه تلميذه الخطيب البغدادي فى تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٣٠ و ذكر انه من مشايخه و أنه كان ممن كتب عنه الحديث ثم ذكر عددا من مشايخ المترجم له من علماء الشيعة و غير الشيعة و أفرزت منهم أصحابنا الشيعة المذكورين آنفا. ثم أضاف الخطيب البغدادي قائلا (... من أمثالهم، كتبنا عنه و كان قد قرأ القرآن على ابن مقسم بحرف حمزه و كف بصره فى آخر عمره و كان يسكن الكرخ و له دكان فى سوق الرزازين. حدثنى بعض أصحابنا قال دفع إلى علي بن احمد الرزاز بعد ان كف بصره - جزءا بخط أبيه فيه: أمالى عن بعض الشيوخ و فى بعضها سماعه بخط أبيه العتيق و الباقي فيه تسميع له بخط طرى فقال انظر سماعى العتيق هو ما قرئ على و ما كان فيه تسميع بخط طرى فاضرب عليه فانى كان لى ابن يعث بكتبى و يسمع له فيما لم أسمعه أو كما قال. حدثنى الخلال قال اخرج إلى الرزاز شيئا من مسند مسدد فرأيت سماعه فيه بخط جديد فرددته عليه.

قلت: و قد شاهدت انا جزءا من أصول الرزاز بخط أبيه فى أمالى عن ابن السماك و فى بعضها سماعه بالخط العتيق ثم رأيت قد غير فيه بعد وقت و فيه إلحاق بخط جديد و كان الرزاز مع هذا كثير السماع كثير الشيوخ و إلى الصدق ما هو، سألته عن مولده فقال فى شهر ربيع الأول سنة خمس و ثلاثين و ثلاثمائة و مات فى ليله الأربعاء السابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة تسع عشره و أربعمائه). (١) أقول: ذهب شيخنا الأستاذ آغا بزرگ الطهرانى فى كتابه طبقات اعلام الشيعة إلى تشييعه و نقل قسما من أقوال الخطيب البغدادي ثم اثبت تشييع المترجم له و رد على صاحب تاريخ بغداد قائلا (... و لم يذكر الخطيب محل دفنه و لم يشر إلى مذهبه و لكن ذكر حكايات فى تزييف كتبه أولا إلى ان قال كان الرزاز مع هذا كثير السماع كثير الشيوخ و إلى الصدق ما هو.

هذا كلامه فى آخر ترجمه هذا الرجل الشيعى. و قد ذكر أولا كثيرا من مشايخ الرجل، و جمع منهم من أكابر الشيعة و شريكه فى الروايه عن ابن رجاء هو النسابه مؤلف بحر الأنساب). (٢)

### السيد علي بن السيد إسماعيل الموسوى القزوينى.

ولد فى قزوین فى شهر ربيع الأول سنة ١٢٣٧ و توفى بها قبل الظهر من يوم الثلاثاء الرابع من شهر محرم الحرام سنة ١٢٩٨ هجرية و نقل جثمانه إلى كربلاء المقدسه و دفن فى مقبره صاحب الضوابط فى الصحن الصغير الحسينى.

كان من ابرز علماء الشيعة فى عصره و أكابر الفقهاء المتبحرين بقزوین توفى والده و هو لم يبلغ الحلم فكفله خاله السيد رضى القزوينى فقرأ المقدمات و شطرا من السطوح على خاله المذكور و جماعه من فضلاء قزوین ثم حضر الفقه و الأصول و الحديث و التفسير على الشهيد البرغانى [و] الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى المتوفى سنة ١٢٧١ و الميرزا محمد التنكابنى صاحب قصص العلماء و أخذ الحكمة و الفلسفه عن حوزة الآخوند ملا آغا الحكمى و الشيخ الميرزا عبد الوهاب البرغانى آل الصالحى فى المدرسه الصالحية بقزوین حتى سنة ١٢٦٢ ثم هاجر إلى العراق قاصدا الحوزه العلميه الكبرى و سكن كربلاء و التحق بحوزه السيد إبراهيم القزوينى الموسوى صاحب الضوابط الذى كان يرتبط به بصله قرابه و لكن لم تطل أيامه و توفى السيد إبراهيم صاحب الضوابط فى نفس العام فتوجه المترجم له إلى النجف الأشرف و حضر على الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر المتوفى سنة ١٢٦٦ ثم تخرج على الشيخ مرتضى الأنصارى و الشيخ حسن البرغانى الحائرى آل الصالحى و المولى الشيخ محمد

حسين صاحب الفصول حتى بلغ درجه عاليه فى الفقه و الأصول ثم رجع إلى موطنه قزوین و تصدر كرسى التدريس و الفتوى و الامامه و تخرج عليه جماعه من الفضلاء و العلماء و عكف إلى التأليف و التصنيف. و ذكره صاحب المآثر و الآثار و وصفه بقوله ما هو تعريبه: (الأغا السيد على القزوينى من أعظم المجتهدين و أجلاء حاملى لواء الشريعه و الدين و كان من الفقهاء المتبحرين و فحول الأصوليين. له تحقيقات رصينه. و قد اعترف بمكانته العلميه أكابر معاصريه فى أكثر الأوقات كان يدرس كتاب القوانين للميرزا القمى و له عليه حواشى و له أيضا تعليقات مبسوطه على معالم الأصول و كان على جانب عظيم من الزهد و التقوى و هو ابن أخت العلامة المولى السيد رضى الدين المجتهد القزوينى رضوان الله عليهما). (٣)

و ذكره الشيخ محمد على المدرس فى ریحانه الأدب بما هو تعريبه:

(السيد على بن السيد إسماعيل الموسوى القزوينى عالم فاضل عابد زاهد فقيه اصولى محدث رجالى مفسر جامع المعقول و المنقول من فحول العلماء فى أواخر القرن الثالث عشر للهجره..)(٤) و لم يذكر تاريخ وفاته و ولادته و ساير خصوصياته.

و ذكره السيد محمد مهدى الكاظمى فى أحسن الوديعه ضمن تلامذه الميرزا محمد التنكابنى صاحب قصص العلماء نقلا عن قصص العلماء و قال (الأغا السيد على القزوينى و هو من أقرباء صاحب الضوابط و من مشاهير علماء قزوین....)(٥) و ذكره شيخنا الأستاذ الامام الطهرانى فى الجزء الثالث من الكرام البرره المخطوط.

ترك المترجم له مؤلفات و تحقيقات أشار إلى بعضها شيخنا الأستاذ فى مجلدات موسوعته الذريعه إلى تصانيف الشيعه و من مؤلفاته:

١ - حاشيه القوانين فى مجلدين طبعت فى سنه ١٢٩٩.

٢ - شرح على المعالم فى ستة مجلدات.

٣ - شرح على كتاب الرضاع للشيخ مرتضى الأنصارى.

٤ - رساله فى تحقيق الحقيقه.

٥ - تعليقه على تفسير البيضاوى.

٦ - رساله فى أقسام الواجب و أحكامها.

٧ - رساله فى المعاملات.

٨ - يبايع الأحكام فى معرفه الحلال و الحرام فى خمس مجلدات.

٩ - شرح شرائع الإسلام كتاب التجاره إلى الأجره.

١٠ - كتاب الصيد و الذباجه.

١١ - كتاب البيع، رساله فارسىه فى الاجتهاد و التقليد.

١٢ - رساله فى أصول الدين فارسىه، و غيرها من الرسائل و التعليقات و خلف ولده العالم الفاضل السيد محمد باقر الآتى ذكره. (٤)

ص: ١٣٩

---

١- أبى بكر احمد بن على الخطيب البغدادى تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٣٠-٣٣١ بيروت دار الكتاب العربى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٣- محمد حسن خان اعتماد السلطنه: المآثر و الآثار ص ١٤٣ طهران الطبعة الأولى الحجرىه سنه ١٣٠٦ هجرىه.

٤- الشيخ محمد على المدرسى التبريزى: ریحانه الأدب ج ٤ ص ٤٥٤ الطبعة الثانيه تبريز مطبعه شفق.

٥- السيد محمد مهدى الكاظمى: أحسن الوديعه ج ١ ص ١٢٣ بغداد سنه ١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م.

٦- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

## الدكتور علي أصغر حكمت بن الميرزا أحمد علي مستوفي حشمه

الممالك.

ولد بشيراز في نيسان سنة ١٨٩٣ و توفي سنة ١٩٨١ و كان آباؤه من مشاهير أطباء شيراز، و أمه بنت الحاج ميرزا حسن الفسائي المؤرخ المعروف، مؤلف "فارسانامه ناصري"، و جده الأعلى السيد صدر الدين علي خان الحسيني الحسنی المدني المكي الدشتكي الشيرازي الذي كان من أشهر فضلاء عصره، و هو صاحب الديوان، و هو مولود بالمدينه المنوره لمجاوره والده نظام الدين أحمد مده بها، ثم سافر إلى الهند و تقدم عند سلطان حيدرآباد الدكن عبد الله قطب شاه ثم عند أورنك زيب، و أبو المترجم له هو أحمد بن إبراهيم بن سلام الله بن مسعود بن محمد بن غياث الدين منصور الدشتكي الفيلسوف الصدر الأعظم للشاه طهماسب الصفوي (٩٣٠ - ٩٨٤ هـ) و المتوفى بعد عزله سنة ٩٤٨ [٩٨٤] هـ فالمترجم له من سلالة العلم و الفلسفه و الوزاره، تعلم في شيراز بالمدرسه المنصوريه، ثم التحق بالمدرسه الأمريكيه ثم دخل في الخدمه الحكوميه و في حدود سنة ١٩٣١ م سافر إلى فرنسا، و نال الليسانس في الأدب من جامعه السوربون، ثم ذهب إلى إنكلتره و درس بلندن الأدب الإنجليزي، و في ١٩٣٢ م عين وزيرا للمعارف، ثم انتقل من وزاره إلى أخرى في المعارف و الداخليه و العدل و الخارجيه و غيرها، و في سنة ١٩٣٤ م شارك في تأسيس جامعه طهران الحديثه التي حلت محل جامعه "دار الفنون" القديمه، و كان أستاذا ثم أستاذا ممتازا بها، و هكذا فإنه كان عالما في جامعه و سياسيا في الدوله، و اتسعت في عهده وزاره المعارف و زادت نشراته العلميه، و عمر الآثار و الأبنيه القديمه و مقابر حافظ و سعدى بشيراز و ابن سينا بهمدان و الخيامبنيشابور، و تخرج من تحت نظره بجامعه طهران دكاتره علماء مؤلفون ذوو آثار هامه.

ثم أرسل في سنة ١٩٤٤ م على رأس بعثه علميه إلى الهند، و بقي هناك عدده سنوات يخدم العلم و الثقافه، و في سنة ١٩٥٠ م انتقل عمله إلى باكستان، ثم في سنة ١٩٥٣ م عين سفيراً بالهند.

كان المترجم له عضواً في عدده مجامع علميه في إيران و الخارج فهو عضو مؤسس في المجمع العلمي الايرانى "فرهنگستان ایران" و عضو مراسل في مجمع اللغة العربيه بالقاهره و المجمع العلمي العربي بدمشق و المجمع العلمي العراقي ببغداد.

و قد نال درجه الدكتوراه الفخرية من جامعات دهلي و عليكره الإسلاميه و لاهور، و مع أشغاله العلميه و السياسيه الوافره فقد كان يشتغل بالترجمه و التأليف و التحقيق و الشعر.

و من مؤلفاته و آثاره:

١: دوستان و وطن. ط شيراز.

٢: تعليم و تربيت (مجله) السنوات الثلاثه الأولى (ابتداء من السنه ١٣٥٧ هـ).

٣: جامی. ط طهران ١٣٧٢ هـ.

٤: راسی تعز. ط طهران ١٣٧٠ هـ.

٥: نقش پارسی بر أحجار هند، ط کلکته ، و طهران ١٣٧٧ هـ.

٦: أمثال قرآن، ط طهران ١٣٧٢ هـ و طبعتان بعدها.

٧: سررنين [سرزمين] هند، ط طهران ١٣٧٧ هـ.

٨: نه گفتار در تاريخ أديان، مجلدات. ط شيراز و طهران و ١٣٨١ هـ. ٩: إسلام از نظرگاه دانشمندان غرب، ط طهران ١٣٨١ هـ.

و قد حقق:

١: مجالس النفائس (لطائف نامه): مير على شير نوائى، ط طهران ١٣٦٣ هـ.

٢: كشف الأسرار (تفسير ميبذى) عشره مجلدات، ط طهران - ١٣٨٠ هـ.

٣: معرفه المذاهب، ط طهران ١٣٧٧ هـ.

٤: رساله فى تفسير سوره الأعلى: ابن سينا، ط طهران.

و أما مقالاته فى المجلات الإيرانية و خارجها فى مواضيع مختلفه و خطابهاته فى المهرجانات و المؤتمرات فهى أكثر من أن تعد و تحصى. (١)

## الحاج ميرزا على آقا التبريزى.

درس المقدمات فى تبريز ثم سافر إلى النجف الأشرف و درس على أكابر علمائها و عاد إلى تبريز ثم جاور فى مشهد الرضا ع فتولى التدريس و تبليغ الأحكام بعيدا عن زخارف الدنيا.

كان ماهرا فى الأدب و الحكمه و الرياضيات، كما كان شاعرا، و له نظم بالفارسيه و التركيه و العربيه.

و له كتاب (خيره المحشر) فى شرح الباب الحادى عشر، انتهى من تأليفه فى ١٦ رجب سنه ١٣٠٠.

## على بن الحسين المسعودى:

مرت ترجمته فى مكانها و نزيد عليها هنا هذه الدراره بقلم الدكتور نبيه عاقل:

من ميزات المؤلفات التاريخيه التى دونتها أقلام المؤرخين العرب، الذين عاشوا و كتبوا فى العصر العباسى الثانى و ما تلاه، اتجاهها نحو المنهج العلمى و ميلها إلى الدقه التى تتطلبها كتب التاريخ بشكل عام. و يمثل هذا الاتجاه الجديد فى التأليف التاريخى ثلاثه هم: الطبرى و المسعودى و مسكويه. و فى مقال سابق عقدناه للحديث عن الطبرى و تأليفه و طريقته فى البحث أشرنا إلى بعض الصفات و الخصائص التى ميزت مؤلفه المشهور "تاريخ الأمم و الملوك" و صرنا إلى القول بان هذه

الخصائص لا تنطبق على هذا المؤلف وحده، بل لها ما يشابهها في المؤلفات التاريخيه الأخرى التي دونت فيما بعد، و التي نهج فيها أصحابها نهج الطبرى فى أكثر الأحيان.

و فى مقالنا اليوم عن ثانى هؤلاء الثلاثة، المسعودى، سنجد ان المسعودى المؤرخ يسير على نهج الطبرى فى بعض الأمور، فهو مثلا يؤرخ حسب السنين لا حسب الموضوع، و يذكر أكثر من روايه فى الموضوع الواحد، و يستقى مواده من أقوال من سبقوه من المؤرخين بعد ان يتحرى الصدق فيما يجمع. و لكنه يغير منحى سلفه فى أمور كثيره اخرى لظروف فرضتها بيئته و ثقافته و عصره و غير ذلك. و قبل ان نبسط القول فى خصائص مؤلفاته و نهجه فى البحث، لنعش معه حياته كما تصورنا لنا المعلومات القليله التى نراها مبعثره فى ثنايا بعض كتب التراجم و الأخبار.

المسعودى، و اسمه الكامل أبو الحسن على بن الحسين، لا تبدأ قصه حياته بسنه مولد و مكان ولاده. بل يكتنف الغموض سنه مولده، و فى المصادر أكثر من روايه حول مكان ولادته. فابن النديم صاحب الفهرست مثلا يذكر انه من أهل المغرب، فى حين أن غيره من كتاب التراجم كالذهبي و ياقوت الرومى و ابن شاکر و غيرهم يجمعون على انه من موالىد بغداد، و انه

ص: ١٤٠

---

١- الشيخ أبو ذر بيدار.



من نسل الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود. و يؤيد هذا الزعم ما يذكره المسعودي نفسه في كتابه "مروج الذهب و معادن الجواهر"، حيث يعدد أوصاف الأقاليم المختلفه فيقول: " و أوسط الأقاليم الإقليم الذى ولدنا به، و انك أنت الأيام انات بيننا و بينه، و ساحقت مسافتنا عنه، و ولدت في قلوبنا الحنين اليه، إذ كان وطننا و مسقطنا، و هو إقليم بابل، و قد كان هذا الإقليم عند ملوك الفرس جليلا و قدره عظيما" و هكذا يمكننا ان نقول في تحديدنا لمكان ولادته انه أبصر النور في بغداد، مسقط رأسه و مستقر آله و ذويه من نسل صاحب رسول الله عبد الله بن مسعود. اما زمان ولادته فتهمله المصادر التى بين أيدينا و لا تتعرض له بذكر، و هذا امر طبيعى، أن أحدا لم يكن يتوقع له الشهرة و ذىوع الصيت حين ولد، و لكنه حين نبغ و احتل بين رجال عصره مكانا مرموقا سلطت الأنوار عليه و تناقلت اسمه الألسن، فحرص رجال التراجم على تدوين سنه وفاته. و المصادر، الا بعضها القليل، تجمع على ان وفاته كانت فى العام ٣٤٦ للهجره، كما ان فى بعضها ما يدل على انه دخل الحياه العامه و أخذ يجول الأقطار طلبا للعلم و المعرفه فى مطلع القرن الرابع للهجره. و هذا و ان كان لا يرشد إلى سنه مولده الحقيقيه فإنه يسمح لنا بالاعتقاد بأنه ولد فى أخريات القرن الثالث الهجرى، و انه لم يعل له ذكر، الا منذ مطلع القرن الرابع، و لذا فهو بعد من مؤرخى هذا القرن الأخير.

و قد أحب المسعودى الأسفار منذ شبابه، فسافر سنه ٣٠٥ إلى إصطخر فى فارس و زار فى السنه التى تلت بعض مناطق الهند و سيلان و بلاد سيمور، و انضم إلى فريق من التجار فى رحله فى بحر الصين و عبر البحر الأحمر و زار مدغشقر كما زار زنجبار و عمان. و حوالى سنه ٣١٤ نجده يجوب بحر الخزر (بحر قزوین) و مناطقه و ينتقل بعدها لزياره طبريا و فلسطين. و قد قام فى سنه ٣٣٢ بزياره لأنطاكيه. و بعض مدن الحدود السوریه. و استغرقت زيارته لهذه المناطق مده سنتين اقام اثناءها فى بعض مدن الثغور الشاميه و البصره، حتى كان العام ٣٣٤ فتوجه إلى دمشق و أمضى فيها بعض الوقت. و انتقل منها إلى مصر ليعيش متنقلا بينها و بين سوريا حتى آخر حياته. و قد توفى سنه ٣٤٦ و هو مقيم فى الفسطاط بمصر.

و قد دفع المسعودى للقيام بهذه الرحلات الطويله المتناثيه حبه للعلم و رغبته فى طلبه و الاستزاده منه. فهو بهذا يشبه المقدسى و البيرونى. و قد أتاحت له هذه الأسفار أن يغنى بمعارفه الجغرافيه و التاريخيه و الاجتماعيه و ان يتعرف على لغت و عادات و تقاليد و أخلاق و سياسات الأمم المختلفه التى زارها. و هو فى جمعه بين المعرفه الجغرافيه الواسعه بنتيجه الرحلات، و الأسفار، و شغفه بالحقيقه التاريخيه و الأخبار بوجه عام، يلتقى بهيرودوت أبى التاريخ عند اليونان، فكلاهما رحاله زار البلاد و جاب الأقطار، و كلاهما جمع أخبار الأمم التى زارها. و كلاهما مزج بين التاريخ و الجغرافيه فى مؤلفاته. و قد دعا هذا بحق المستشرق فون كرامر VonKramer أن يشير إلى المسعودى فى كتابه "تاريخ الثقافه فى الشرق" باسم هيرودوت العرب.

يأخذ البعض على المسعودى انه لم يكن يتمتع دوما بالروح العلميه العميقه، و انه كان فى بعض الأحيان سطحيا يقبل الخرافات و الأساطير و يسردها فى كتبه كما تصل اليه دون ما تمحيص أو نقد. و لكن المستشرق سيديو Sedillo لا يعتبر هذا عيبا فى المسعودى بل يرجعه إلى روح حب الاطلاع الناميه عنده فيقول: " و لا نخشى التكذيب إذا قلنا انه الم يظهر بين العرب مؤرخ بلغ من الفضل الشامل ما بلغه المسعودى، و إذا كنا نراه محتاجا إلى روح النقد أحيانا فلنذكر ان حب الاطلاع الشديد فيه حفزه إلى زياره الأماكن التى أراد الوقوف على تاريخها فكان يساق إلى نقل قصص ذات أصل مشكوك فيه ". و المسعودى موسوعى لا يؤمن بالموضوع الواحد و لا يقنعه الاختصاص الضيق فيما يكتب. و إذا كان لهذا النهج مساوئه فهو لا يخلو من محاسن تدل على سعه أفق المؤلف و شمول نظراته و تعدد جوانب ثقافته. و يحدثنا هو عن تنوع الموضوعات التى يضمها المؤلف الواحد من

مؤلفاته فيقول في الباب الذي يذكر فيه جوامع أغراض كتاب المسمى "مروج الذهب و معادن الجواهر" ما يلي، مما يستدل منه على تشميله هذا الكتاب ابحاثا في التاريخ و الجغرافيا و العادات و التقاليد و الأخلاق و الأدب و أخبار الملوك و سياستهم و غير ذلك. يقول المسعودي: "أما بعد اننا صنفنا كتابنا في أخبار الزمان، و قدمنا القول فيه في هيئه الأرض و مدنها و عجائبها و بحارها و أغوارها، و جبالها و انهارها، و بدائع معادنها... ثم اتبعنا ذلك بأخبار الملوك الغابرة و الأمم الدائرة.. ثم أتبعناه بكتابنا الأوسط في الأخبار على التاريخ و من درج في السنين الماضيه... و نعتذر عن تقصير إن كان، و نتصل من إغفال، أو عرض لما قد شاب خواطرننا، و غمر قلوبنا، من تقاذف الأسفار و قطع القفار، تاره على متن البحر، و تاره على ظهر البر، مستعلمين بدائع الأمم بالمشاهده، عارفين خواص الأقاليم بالمعانيه، فتاره بأقصى خراسان، و تاره بأواسط ارمينيا، و أذربيجان، و طورا بالعراق، و طورا بالشام.. نسرى في الآفاق سرى الشمس في الإشراق. كما قال بعضهم:

تيمم أقطار البلاد فتاره لدى شرقها الأقصى و طورا إلى الغرب

سرى الشمس لا ينفك تقذفه النوى إلى أفق ناء يقصر بالركب

و فاوضنا أصناف الملوك على تغاير أخلاقهم و تباين هممهم، و تباعد دارهم...".

و هكذا يصنف لنا الموضوعات التي تطرق إلى بحثها في كتابه، و ينقلنا معه في أسفاره، واصفا متاعبه في رحلاته، و اطلاعه الواسع على ما أُلّف من قبله، و معددا بعضا مما دبح قلمه من مؤلفات في التاريخ و الجغرافيا و غيرها. و هو كغيره من المؤرخين العرب لا يتبع نظاما موحدًا في عرض مادته. و نراه في كثير من الأحيان يخرج عن جاده الموضوع الأصلي ليذكر أشياء لا تمت إلى ما يبحث بصله أو نسب. و لكنه يهتم ببحث جميع الأشياء التي يعتبرها المتعلم في عصره أساسيه، لذلك جاءت مؤلفاته جامعته لكثير من المعلومات المتشعبه المتفرعه. و هو يلتفت بشكل خاص إلى الأمور اجتماعيه، و الدينيه، و العلميه التي تميز بها العرب قبل إسلامهم، و يقارن بينهم و بين العجم و غيرهم من الأمم، محاولا إظهار فضل العرب و تقدمهم. فتراه عند ذكر سير الملوك و الخلفاء يستقصى أدق أخبارهم الخاصه فيدخل بيوتهم و يعيش معهم في مجالسهم و يصف ملامحهم و عاداتهم في المأكل و المشرب و الملبس مما لا تجده عند غيره. و قل الأمر نفسه عن اهتمامه بما كانت عليه أمه العرب من معتقدات دينيه، و ايمان بآلهه و أوثان، و زجر للطير و سوانحه و بوارحه، و الكهان و العرافه، حتى يصل إلى علومهم و مجالس انسهم و قيانهم و آلات طربهم التي ضاع أغلبها و لم يصل إلينا منها الا القليل.

و من تصانيفه: مروج الذهب و معادن الجواهر، أخبار الزمان و من أباده الحدثان، التنبيه و الأشراف، أخبار الخوارج، ذخائر العلوم و ما كان في سالف الدهور، الرسائل، الاستذكار بما مر في سالف الأعصار، أخبار الأمم من العرب و العجم، خزائن الملوك و سر العالمين، المقالات في أصول الديانات، البيان في أسماء الأئمه، المسائل و العلل في المذاهب و الملل، الابانه عن أصول الديانه، سر الحياه، الاستبصار في الامامه،

و السياحه المدنيه فى السياسه و الاجتماع. و يبدو أوسع كتبه كان كتابه "أخبار الزمان و من أباده الحدثنان". و هو كتاب فى التاريخ العام و الجغرافيا بدأ فى تأليفه سنه ٣٣٢ هـ ٩٤٣ م. و قد بلغ عدد اجزاء هذا الكتاب ثلاثين مجلدا عرض فيها المسعودى الحوادث حتى سنه تأليفه. و قد ضاعت أجزاء هذا الكتاب كلها و لم يبق منها الا مجلد واحد اشتراه المستشرق فون كريمر من مكتبه فى حلب و حفظه فى مكتبه فىينا. و يذكر السائح الانكليزى بورگهارت Burckhardt فى كتابه "رحلات فى بلاد النوبه" ان شيخا قاهريا قص عليه فى مطلع القرن التاسع عشر للميلاد انه رأى أكثر من عشرين مجلدا من هذا الكتاب، فى ملازم من اربع ورقات فى مكتبه جامع أياصوفيا بالقسطنطينيه. و يبحث المسعودى فى هذا الكتاب تاريخ العالم و جغرافيه ديار الحرب (أى بلاد غير المسلمين)، كما يبحث أيضا فى الأساطير التى تتحدث عن تاريخ مصر القديم. و قد نقل جزءا مما كتبه فى هذا الكتاب فى كتابه "الكتاب الأوسط" الذى لم يبق منه أيضا إلا مجلد واحد محفوظ فى مكتبه البودليان Bodleian Library فى اوكسفورد.

و قد اختصر المسعودى المعلومات التى أوردها فى هذين الكتابين (كتاب أخبار الزمان، و الكتاب الأوسط)، و جمعها فى كتابه المسمى "مروج الذهب" الذى انتهى من تأليفه سنه ٣٣٦ هـ - ٩٤٧ م، و أعاد النظر به سنه ٣٤٥ هـ - ٩٥٦ م، أى قبل وفاته بقليل. و يمكننا ان نقسم الماده الموجوده فى هذا الكتاب إلى قسمين: القسم الأول، و يصف فيه الخليفه و قصص الأنبياء و البحار و الأرضين. و ما فىهما من العجائب شارحا أثناء ذلك تواريخ الأمم القديمه من فرس و سريان و يونان و رومان و فرنجه و عرب قدماء، باحثا مذاهبهم و أوابدهم و أطول الشهور و التقاويم القديمه و البيوت المعظمه عندهم و غيرها. أما القسم الثانى فيختص بتاريخ العرب منذ قيام الرساله الإسلاميه حتى أوائل خلافه الخليفه العباسى المطيع لله. الذى توفى سنه ٣٦٣ للهجره أى بعد وفاه المؤلف بسبعه عشر عاما. و يظهر مما جاء فى مقدمه هذا الكتاب انه اعتمد فى تأليفه على عشرات من الكتب التاريخيه و غيرها كانت موجوده فى أيامه و لم يصلنا منها إلا القليل كتاريخ الطبريو فتوح البلدان للبلاذرى و غيرهما. و قد عرف المهتمون بتاريخ العرب و الإسلام من غير العرب لهذا الكتاب أهميته البالغه فحرصوا على ترجمته إلى اللغات الأجنبية. و قد نقله المستشرق باربيه دومينار Barbier de Menard إلى اللغه الفرنسيه و طبع فى باريس بين سنتى ١٨٦١ - ١٨٧٧ م فى تسعه مجلدات، كما نقله إلى الإنكليزيه الأستاذ سبرنجر Spniquer و طبع الجزء الأول منه فى لندن سنه ١٨٤١، و الطبعة الإنكليزيه غير كامله.

و للكتاب عده طبعات عربيه اقدمها طبعه بولاق سنه ١٨٦٧، و لكن أفضلها هى الطبعة المحتويه على مجلدين يضممان أربعة اجزاء و التى أشرف عليها و حققها الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد.

و للمسعودى كتاب مطبوع آخر هو كتاب "التنبيه و الاشراف" الذى ألفه قبل وفاته بقليل و هو على حد تعبير المؤلف نفسه مقدمه لكتبه و تكمله لها. و هذا الكتاب عظيم الأهميه لأنه يحوى كل ما حصله المؤلف من الأخبار بعد أن كتب "مروج الذهب" الكتابه الأولى، و هى التى وصلت إلينا، و قبل ان يعيد النظر به كما ذكرنا آنفا. و هو كتاب جغرافى أودع المؤلف فيه لمعا من ذكر الأفلاك و هيئاتها و النجوم و تأثيراتها و تراكيبيها، و أقسام الأزمنه و الفصول السنويه و منازلها و الرياح و مهابها و الأرض و شكلها و مساحتها و تأثير النواحي و الآفاق على السكان و العروض و الأطول و الأقاليم السبعه و الأنهار و مصابها. كما يذكر فى هذا الكتاب الأمم السبع القديمه و لغاتها و مساكنها كما يذكر ملوك الفرس و الروم و أخبارهم و أخبار الأنبياء و سيره الخلفاء حتى سنه ٣٤٥ للهجره. و ميزه هذا الكتاب انه يحوى الكثير من المعلومات الجديده التى لم يضمها المسعودى مؤلفاته الأخرى. و قد طبع النص العربى الكامل لهذا الكتاب المستشرق دو خويه De Goje فى سلسله "مكتبه جغرافى العرب" و

ذلك في مدينه ليدن عام ١٨٩٤، و قد ترجم النص العربى هذا إلى الفرنسيه المستشرق كارادوفو Carra de Vouk و نشره ضمن منشورات الجمعيه الآسيويه - مجموعه الكتب الشرقيه - و ذلك فى باريس عام ١٨٩٧.

و إذا كان لحرص المستشرقين و المهتمين بتاريخ العرب و الإسلام على ترجمه كتب المسعودى إلى اللغات الأجنبيةه و طبعها و نشرها من دلالة فهى تقديرهم و البالغ لآثار هذا المؤلف و حرصهم على الإفاده منها، و يلخص فازيليف Vasseliev فى كتابه "العرب و الروم" إعجاب المؤلفين الغربيين بكتب مؤرخنا المسعودى بقوله: " و كتب المسعودى مما يقرؤه المسلمون و الأوروبيون على السواء فيجدونه ممتعا طليا و ذلك راجع إلى تنوع الأخبار التى يسوقها المؤلف و إلى قدرته على جعل سرده حيا فى كتبه".

و بعد فهذه هى لمحات من قصه حياه و تأليف علم من أعلام أمتنا تفصلنا عنه سنون تزيد على الألف، أجله علماء الغرب مكانا رفيعا من قلوبهم و أحاطوه بما يستحق من احترام و تقدير، فهل ترانا نحن عرب هذا العصر جديرين بحمل مشعل الفكر و الحقيقه الذى سلمه لنا الأجداد متقدا وهاجا حتى نصل ما انقطع و نبني ما كاد ان يتداعى و يدخل فى غياهب النسيان!! ان أمانه الأجداد، و منهم المسعودى، تهيب بنا إلى مضاعفه الجهد حتى نلحق بركب كنا قاداته و كاد اليوم أن يفوتنا.

## على سيف الدوله الحمدانى:

### اشاره

مرت ترجمته فى موضعها و نضيف إليها هنا هذا البحث عن سيف الدوله الشاعر الناقد مكتوبا بقلم جاسر خليل أبو صفيه:

حدثنا الكتب القديمه و الحديثه عن وجه واحد لسيف الدوله الحمدانى، هو الوجه العسكري، الذى قارع الروم طويلا، فانتصر عليهم و انتصروا عليه أحيانا.

أما الوجه الآخر لسيف الدوله، الوجه العلمى، فقليل ما نلمحه، مختفيا فى طيات الكتب، ترتسم قسماته هنا و هناك، و فى هذه المقاله سنحاول أن نلقى بعض الضوء على هذا الوجه، علنا نتعرف اليه عن قرب، و نعرضه للناس.

نلمح من خلال الضوء الذى أرسله الثعالبى فى يتيمة الدهر (١٨/١) أن بلاط سيف الدوله حوى جله العلماء و الأدباء و الشعراء، كان يباهى بهم غيره من الملوك، حتى قيل بأنه لم يجتمع ببلاط أحد من الملوك ما اجتمع ببلاط سيف الدوله - بعد الخلفاء.

و صورته الكتب لنا على أنه من علماء اللغه العارفين بها و باسرارها، يشهد بذلك ابن خالويه - من مشاهير علماء اللغه فى عصره - و ذلك عند ما دخل ابن خالويه يوما على سيف الدوله فقال له: أقعد، و لم يقل له أجلس. قال ابن خالويه: "فعلت بذلك اعتلاقه باهداب الأدب، و اطلاعه على أسرار كلام العرب، لأنه يقال للقائم أقعد، و للنائم و الساجد اجلس".

و كان يسال العلماء بحضرته عن مسائل فى اللغه و النحو، و يناظرهم فى هذه المسائل، و يبدى فيها رأيا يدل على سعه علمه و دقه ملاحظته.

وقال عنه الثعالبي في (اليتيمه ٢٨/١): "وكان أدبيا شاعرا محبا لجيد الشعر، شديد الاهتزاز لما يمدح به".

ص: ١٤٢

و وصفه العماد الأصفهاني الكاتب في "خريده القصر - قسم شعراء الشام ص ٨٢"، بأنه من الملوك الذين "يتفرغون للكتب، و يتشاغلون بالأدب و يؤثرون مجالسه العلماء على منادمه الأمراء، و يقولون الأبيات فيما يعرض لهم من الحالات، و يتفق لهم من التشبيهات".

و رغم ما قيل عن وجه سيف الدوله الأدبي، فان الكتب القديمه تعرض عن روايه شعره أو طرف منه. و إن كانا نذكر المتقدمين بفضل فاننا نخص به أبا منصور الثعالبي، أنه أورد لنا طرفا من أشعار سيف الدوله، و بعضا من مواقفه النقديه، نقل عنه ابن خلكان، و علق على بعض الأشعار.

أما كتابنا المحدثون فقد تناقلوا كلام القدماء عن شاعريه سيف الدوله و روحه النقديه، دون أن يوردوا شيئا من شعره، و إن أشاروا إلى بعض مواقفه النقديه، كما فعل الدكتور محمود السمره في كتابه "القاضي الجرجاني" (ص ٥٦-٦٠).

سيف الدوله الشاعر

انفرد أبو منصور الثعالبي في يتيمة - فيما وقع لدينا - بإيراد متفرقات من شعر سيف الدوله نوردها فيما يلي:

يقول الثعالبي: و مما أنشدني أبو الحسن أحمد الإفريقي المتيم الشاعر لسيف الدوله في وصف قوس قزح، و هو من أحسن ما سمعت فيه على كثرته:

و ساق صبيح للصبوح دعوته فقام و في أجفانه سنه الغمض

يطوف بكاسات العقار كانجم فمن بين منقض علينا و منفض

و قد نشرت أيدي الجنوب مطارفا على الجور كنا و الحواشي على الأرض

يطررها قوس الغمام بأصفر على أحمر في أخضر إثر مبيض

كاذيال خود أقلت في غلائل مصبغه و البعض أقصر من بعض

و يعلق الثعالبي على هذه الأبيات بقوله: " و هذا من التشبيهات الملوكيه التي لا يكاد يحضر مثلها السوقه".

أما ابن خلكان فيعلق بقوله: " و قيل ان هذه الأبيات لأبي الصقر القبيصي، و قيل انها لعبد الصمد بن المعذل " (وفيات الأعيان ٧٩/٣).

و يذكر الدكتور شوقي ضيف في حاشيته على كتاب جرجي زيدان "تاريخ آداب اللغه العربيه" (٦٦/٢) ان هذه الأبيات لابن الرومي و هي موجوده في ديوانه. كما يثبتها لابن الرومي أيضا الأستاذ إيلي حاوي في حاشيته على اليتيمه ٥٢/١.

و لعل هذا يلقي ضوءا على كلام الثعالبي، فهو بعد أن قال عن هذه الأبيات بأنها أحسن ما سمع يعقب بتعليق قاس، و كأنه يعرض

بابن الرومى الذى لا يستطيع وصف الأشياء كما يصفها الملوك، و لست أدرى أين هذا الوصف الملوكى فى الأبيات، و أرى ان ابن الرومى لا يعجز عن مثلها، يؤيد هذا ما أورده ابن رشيح القيروانى فى (العمده ٢٢٥/٢) قال:

"حكى أن لائما لام ابن الرومى و قال له: لم لا تشبه تشبيهات ابن المعتز و أنت أشعر منه؟ فقال له: أ لا تنشدنى شيئا من قوله الذى استعجز عن مثله؟ فأنشده قوله فى الهلال و فى الآذريون

(زهر أصفر فى وسطه حمل أسود)

، فصاح ابن الرومى: وا غوثاه، تالله لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، انظر اين يقع قولى من قول الناس، هل لأحد قول مثل قولى فى قوس الغمام؟.

"و ساق صبيح للصبح دعوته"

. و رغم أن هذه الروايه محاطه بالشك و التساؤل، إلا أن الأبيات أقرب فى روحها إلى ابن الرومى منها إلى سيف الدوله، لابداع ابن الرومى فى الوصف و التشبيهات، بل له ما يفوقها جمالا و بلاغه.

و من شعر سيف الدوله فى صباه هذه الأبيات الرقيقه فى الغزل:

أقبله على جزع كشرب الطائر الفزع

رأى ماء فاطمه و خاف عواقب الطمع

و صادف فرصه فدنا و لم يلتذ بالجرع

و يحكى أنه كان لسيف الدوله جاريه من بنات ملوك الروم، لا يرى الدنيا إلا بها، و يشفق من الريح الهابه عليها، فحسدتها حظاياها على لطف محلها منه، و أزمعن إيقاع مكروه بها من سم أو غيره. و بلغ سيف الدوله ذلك فأمر بنقلها إلى بعض الحصون احتياطا على روحها و قال:

راقبتنى العيون فيك، فأشفقت و لم أخل قط من إشفاق

و رأيت العذول يحسدنى فيك مجدا، يا أنفس الأعلاق

فتمنيت أن تكونى بعيدا و الذى بيننا من الود باق

رب هجر يكون من خوف هجر و فراق يكون خوف فراق

و هى أبيات متكلفه تخلو من عاطفه الحب المشبوهه التى صورتها الروايه لهذه الجاريه، و لا نرى فيها مضمون الروايه أيضا، و قد قال ابن خلكان فى (وفيات الأعيان ٨٠/٣) بأنه رأى هذه الأبيات فى ديوان عبد المحسن الصورى. و هى تنافى الحس المرهف

الذى يتمته به سيف الدوله.

و من غزليات سيف الدوله، ما أنشده ابن خالويه:

تجنى على الذنب و الذنب ذنبه و عاتبنى ظلما و فى نفسه العتب

و أعرض لما صار قلبى بكفه فهلا جفانى حين كان لى القلب؟

إذا برم المولى بخدمه عبده تجنى له ذنبا و إن لم يكن ذنب

و له فى الغزل أبيات أخرى رقيقه جميله مع سهولتها:

قد جرى فى دمه دم فإلى كم أنت تظلمه

رد عنه الطرف منك، فقد جرحته منه أسهمه

كيف يستطيع التجلد من خطرات الوهم تؤلمه؟

### فى المدح

و من الغزل ننتقل إلى المدح لئرى ان مدح سيف الدوله لا يكون إلا لمن هو فى منزلته و مكانته، و الأبيات التاليه قالها فى أخيه ناصر الدوله (صاحب الموصل)،(اليتيمه ٥٥/١ – البدايه و النهايه لابن كثير ٢٦٣/١١):

رضيت لك العليا، و قد كنت أهلها و قلت لهم: بينى و بين أخى فرق

و لم يك بى عنها نكول و إنما تجافيت عن حقى، فتم لك الحق

و لا بد لى من أن أكون مصليا إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق

### فى الوصف

و أما الوصف فلسيف الدوله بيتان فى وصف نار الكانون: (٥٥/١)

كأنما النار و الرماد معا و ضوءها فى ظلام يحجب

و جنه عذراء مسها خجل فاستترت تحت عنبر أشهب

و هما من أجمل ما قيل فى وصف النار عند ما يغطيها الرماد.



و روى لنا القزوينى فى كتابه "آثار البلاد و أخبار العباد" (ص ٣٩٣-٣٩٤) ثلاثه أبيات من الشعر مكتوبه على جدار قصر عباس  
بن

ص: ١٤٣

عمرو الغنوى الموجود قرب سنجار فى العراق و هى:

يا قصر عباس بن عمرو كيف فارقك ابن عمر ك

قد كنت تغتال الدهور فكيف غالك ريب دهر ك؟

واها لعزك بل لوجودك بل لمجدك بل لفخر ك

و تحتها كتب: "كتبه على بن عبد الله بن حمدان بخطه سنة احدى و ثلاثين و ثلاثمائة". و هى من شعر سيف الدولة فى رثاء عباس بن عمرو.

من هذه الأمثلة القليلة لشعر سيف الدولة نرى ان شعر سيف الدولة محدد الأغراض، فهو بين الوصف و الغزل، أما المدح فنادر. و كان مولعا بما يسمى فى الشعر ب "الإجازة" فيقول البيت و البيتين و يطلب ممن يحضر مجلسه من الشعراء أن يجيز ما قال. من ذلك أن أبا فراس الحمدانى كان فى مجلس سيف الدولة فى نفر من ندمائه فقال لهم سيف الدولة: أيكم يجيز قولى، و ليس له إلا سيدى، يعنى أبا فراس:

لك جسمى تعله فدمى لم تحله؟

لك من قلبى المكان فلم لا تحله؟

فارتجل أبو فراس و قال:

أنا إن كنت مالكا فلى الأمر كله

فاستحسنه و أعطاه ضيعه بمنج تغل ألفى دينار. (اليتيمه ٣٦/١).

و من ذلك أيضا ان سيف الدولة أنشد المتنبى بيتا، و طلب منه اجازته. (ديوان المتنبى ٤٧/١ شرح العكبرى).

قال سيف الدولة:

خرجت غداه نفر اعترض الدمى فلم أر أحلى منك فى العين و القلب

فقال أبو الطيب المتنبى:

فديناك أهدي الناس سهما إلى قلبى و أقتلهم للدار عين بلا حرب

هذا ما استطعنا إثباته من شعر سيف الدولة، آملين من الله أن نوفق لمعرفة المزيد.

شهد بلاط سيف الدوله مجالس علميه و أدبيه كثيره، و كان يشارك في هذه المجالس مدليا برأيه، مستحسنا أو مستهجنا. و من خلال هذه المجالس برزت مواقف سيف الدوله النقديه، و هذه المواقف ليست نظريات في النقد و إنما هي آراء و أقوال تدل على تذوقه للشعر، و حسن بصره به.

و هذه المواقف قليله في كتب الأدب و النقد التي بين أيدينا.

١ - موقفه من المتنبي عند ما أنشده قصيدته الميميه:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم و تأتي على قدر أهل الكرام المكارم

فلما بلغ قوله فيها:

وقفت و ما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى و هو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمه و وجهك وضاح و ثغرك باسم

قال سيف الدوله: قد انتقدنا عليك هذين البيتين، كما انتقد على امرئ القيس بيتاه:

كانى لم أركب جوادا للذه و لم أتبطن كاعبا ذات خلخال

و لم أسبا الزق الروى و لم أقل لخيلى كرى كره بعد إجفال

و بيتاك لا يلتئم شطرهما، كما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين، و كان ينبغى لإمرئ القيس أن يقول:

كانى لم أركب جوادا و لم أقل لخيلى كرى كره بعد إجفال

و لم أسبا الزق الروى للذه و لم اتبطن كاعبا ذات خلخال

و لك أن تقول:

وقفت و ما في الموت شك لواقف و وجهك وضاح و ثغرك باسم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمه كأنك في جفن الردى و هو نائم

فقال المتنبي: أيد الله مولانا، صحح ان الذى استدرك على امرئ القيس هذا كان اعلم بالشعر منه، فقد أخطأ امرؤ القيس و أخطأت أنا، و مولانا يعلم ان الثوب لا يعرفه البزاز معرفه الحائك، لأن البزاز يعرف جملمته، و الحائك يعرف جملمته و تفاريقه، لأنه هو الذى أخرجه من الغزليه إلى الثوبيه، و إنما قرن امرؤ القيس لذه النساء بلذه الركوب للصيد، و قرن السماحه فى شراء الخمر للأضياف بالشجاعه فى منازل الأعداء، و أنا لما ذكرت الموت فى أول البيت أتبعته بذكرى الردى ليجانسه. و لما كان

وجه الجريح المنهزم لا يخلو من ان يكون عابسا، و عينه من ان تكون باكيه، قلت:

" و وجهك وضاح و ثغرك باسم "

، لأجمع بين الأضداد فى المعنى، و إن لم يتسع اللفظ لجميعها "فأعجب سيف الدوله بقوله، و وصله بخمسين ديناراً من دنائير الصلات، و فيها خمسمائه دينار. (اليتيمه ٣٧/١).

و هذا الموقف يدل على حاسه نقديه و بصر بالشعر، فسيف الدوله قد انتقد بيتى المتنبي، كما أشار إلى نقد امرئ القيس، و أعاد ترتيب الأشطر ليتلاءم المعنى شكلاً. و لكنه عند ما استمع إلى وجهه نظر المتنبي و تخريجه لبيتى امرئ القيس و بيتيه تراجع عن موقفه و أعجب بتخريج المتنبي و كافاه، و هذا أيضا يدل على روح عاليه فى النقد.

٢ - موقفه من أحد الخالدين (و هما من شعراء لسيف الدوله)، و ذلك عند ما أنشده أحدهما قصيدته التى أولها:

لم يغد شكرك فى الخلائق مطلقاً إلا و ما لك فى النوال حبيس

و فيها يقول:

فغدا لنا من جودك المأكول و المشروب و المنكوح و الملبوس

فقال له سيف الدوله: " أحسنت إلا فى لفظه "المنكوح" فليست مما يخاطب بها الملوک "

و يعلق الثعالبي بقوله: " و هذا من عجيب نقده " (اليتيمه ٣٩/١).

و لست أرى فى ذلك عجباً، فنقد سيف الدوله هنا ينصب حول " أدب المخاطبه " و خاصه مخاطبه الملوک، مما يقتضى الشاعر حسن اختياره للألفاظ.

و إذا علمنا ان النقد لا يقتصر على بيان العيوب، و إنما يشمل الاستحسان و بيان الجمال فى الأبيات أو البيت، استطعنا ان نثبت لسيف الدوله عده مواقف نقديه كان يستحسن فيها الشعر على طريقه القدماء، عند ما كان النقد ساذجاً غير معلل.

٣ - من هذه المواقف ما أورده الثعالبي فى (اليتيمه ٣٥/١) من أن أعرابياً أنشد سيف الدوله هذه الأبيات:

أنت على و هذه حلب قد نفذ الزاد و انتهى الطلب

بهذه تفخر البلاد و بالأمر تزهى على الورى العرب

و عبدك الدهر قد أضربنا إليك من جور عبدك الهرب

فقال سيف الدوله:

"أحسنت والله أنت"

٤ - والإقرار على حكم نقدي يعتبر نقدا أيضا، ويدل على ذوق و بصر، من ذلك ما أورده الواحدى فى شرحه على ديوان المتنبى من أن سيف الدوله كان يسر بمن يحفظ شعر المتنبى، فأنشد أحد الشعراء بيتا للمتنبى فى حضرته

ص: ١٤٤

(المتنبى) و علق بقوله "هذا البيت و الذى يتلوه لم يسبق إليهما"، فقال سيف الدوله: "كذا حدثنى الثقة ان أبا الفضل محمد بن الحسين قال كما قلت" (المتنبى بين ناقديه - د. محمد شعيب ص ١١٦).

فهو قد أقر حكم الشاعر بان البيتين لم يسبق إليهما المتنبى، و اعتمد فى هذا الإقرار على حكم الثقة من العلماء، و هذا منهج علمى سليم فى إصدار الحكم. و البيتان هما (الديوان ٢٠/٣):

رأيتك فى الذى أرى ملوكا كأنك مستقيم فى محال

فان تفق الأنام و أنت منهم فان المسك بعض دم الغزال

٥ - و من موافقه النقديه، أن المتنبى لما اشترط على سيف الدوله ان ينشد شعره قاعدا، و ألا يقبل الأرض بين يديه، و أفق سيف الدوله "فلما سمع سيف الدوله شعر المتنبى حكم له بالفضل، و عد ما طلبه استحقاقا" (مقدمه شرح ديوان المتنبى للبرقوقى ص / ١).

و هذا الحكم للمتنبى بالفضل، لا يكون إلا من ناقد ذواقه يعرف جيد الشعر من رديئه.

و لكن هذه الروح النقديه عند سيف الدوله تتعرض لهجوم عنيف من المتنبى، فيقدح فى ذوق سيف الدوله الشعري - و فى ذلك حط من قيمته النقديه - و سبب ذلك ان سيف الدوله كان يحب الاستكثار من شعر المتنبى، و المتنبى يستقله، فكان ذلك لا يعجب سيف الدوله، و يضايق المتنبى، فأنشد المتنبى: (مقدمه كتاب إيضاح المشكل لأبى القاسم الأصفهانى ص ظ / ١).

و ما انتفاع أخى الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار و الظلم

فهو يصف سيف الدوله بالأعمى الذى لا يميز بين الظلام و النور، و يعنى هنا عجز سيف الدوله عن التمييز بين الجيد و الرديء من الشعر.

و يصل الأمر إلى أكثر من هذا، فكان سيف الدوله إذا تأخر المتنبى عن مدحه شق عليه، و أكثر أذاه، و أحضر من لا خير فيه فيتعرض للمتنبى، فلا يجيب المتنبى مما يزيد فى غيظ سيف الدوله (شرح البرقوقى لديوان المقدمه).

و لكن المتنبى الذى لم يتعرض لهؤلاء الشعراء الذين كان يستقدمهم سيف الدوله و يغريهم بأبى الطيب، لم يستطع احتمال الأمر طويلا فقدح مره أخرى فى ذوق سيف الدوله و فى هؤلاء الشعراء بعنف كقوله:

باى لفظ يقول الشعر زعنفه تجوز عندك لا عرب و لا عجم

فهذا أقسى اتهام يوجه إلى سيف الدوله، فالمتنبى يستغرب كيف يقبل سيف الدوله بهذه الزعانف من الشعراء. و يستحسن شعرهم، مع ان شعرهم لا يستحسنه العربى و لا العجمى.

هذا التعريض بشخص سيف الدوله و ذوقه الأدبي يصل القمه فى مجلس سيف الدوله عند ما كان المتنبى ينشده قصيدته " و أحر قلباه " التى يعاتبه فيها، و يعرض به و بأبى فراس الحمدانى الذى كان يتهم المتنبى بسرقة كل بيت يقوله و يرده إلى أصله، و المتنبى ماض فى إنشاد القصيده، و أمارات الغضب باديه على وجه سيف الدوله، و يزداد هذا الغضب لكثرة مناقشه المتنبى فى هذه القصيده و كثره دعاويه فيها، فيعبر سيف الدوله عن غضبه بضرب المتنبى بدواه كانت بين يديه فيجرحه، و ذلك عند ما أنشده البيت التالى:

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا باننى خير من تسعى به القدم

فالنقد الذى عبر به سيف الدوله عن استهجانته لقول المتنبى كان نقدا سلوكيا - إن جاز لنا أن نسميه كذلك - تمثل فى ضرب المتنبى، لأنه أشار إلى تفوقه على سيف الدوله و كل من ضم مجلسه، بل على كل من تسعى به قدم. و رغم هذا العنف من سيف الدوله، فان المتنبى يمضى فى إنشاد قصيدته ليقول معاتبا سيف الدوله و كأنه يعتذر عن البيت السابق:

إن كان سرکم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاکم ألم

و هنا يعبر سيف الدوله عن رضاه و استحسانه البيت بتقبيل رأس المتنبى و مكافاته.

و إلى هنا تسكت الكتب التى بين أيدينا عن إيراد مواقف نقديه أو شواهد شعريه لسيف الدوله، كما نقف نحن، و كلنا أمل فى ان نكون قد ألقينا بعض الضوء على وجه سيف الدوله الشعرى و النقدى كما نامل أن تكون هناك دراسات أعم و أشمل حول الموضوع.

### ميرزا على خان أديب خلوت.

ولد سنه ١٢٨٥ فى آشتيان و توفى سنه ١٣٣٧.

هاجر مع والده و عمه من آشتيان إلى تبريز. و كان والده من أهل الفضل و الأدب. و عمه الحاج ملا على مجتهد آشتيانى من العلماء المعروفين و قد درس عليهما كما درس على السيد حسين الزنوزى البيرنجى، و عنى بإتقان علوم اللغه الفارسيه و العربيه.

من آثاره: تاريخ شعراء ايران. تاريخ علم الحساب الإسلامى الايرانى. قاموس الكلمات الفارسيه، ترجمه نهج البلاغه إلى اللغه الفارسيه، و ضمن الترجمة مقدمه فى دراسه حياه الامام، و أشعارا من نظمه فى مديحه.

و كان شاعرا جمع شعره فى ديوان طبع سنه ١٣١٨. عمل فى الصحافه حيث اصدر فى تبريز سنه ١٣٣٠ جريده الإسلامى.

### الشيخ على بن الشيخ باقر بن الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر.

توفى فى يوم الأحد السابع من شوال سنه ١٣٤٠ و كانت وفاته خطبا اليما فى النفوس و أقيمت له الفواتح فى أكثر الحواضر العراقيه و رثته الشعراء دفن فى مقبرتهم بالنجف الأشرف.

كان من مراجع النجف. نهض باعباء الزعامه العلميه لكن لم تمهله المنون.

حضر فى الفقه و الأصول على الشيخ محمد حسين الكاظمى و الشيخ آغا رضا الهمدانى و الشيخ محمد طه نجف و كان المترجم وصيه، و على الشيخ حبيب الله الرشتى و الشيخ كاظم صاحب الكفايه و فى الرجال على السيد محمد الهندى.

و حضر عليه اعلام المراجع فى هذا العصر كالسيد محسن الحكيم و السيد حسين الحمامى و الشيخ عبد الرسول الجواهرى - و غيرهم.

كان يقيم الجماعه فى مسجد آل المظفر فى محله المشراق ثم انتقل إلى مسجد الشيخ الطوسى (ره) ثم فى الحرم العلوى.

له (حاشيه على العروه) مطبوعه.

### **الشيخ على نقى ابن الشيخ حسن ابن الشيخ محمد صالح الحائرى**

آل الصالحى المعروف ب مدرس الطف.

المولود فى كربلاء سنه ١٢٥٣ و المتوفى بها سنه ١٣٢٠ المدفون فى الإيوان الذهبى فى الروضه الحسينيه عند مدخل الباب الرئيسى فى الرواق الجنوبى.

ص: ١٤٥



كان من أكابر علماء الحائر الشريف و مراجع التقليد و الفتيا و التدريس أخذ المقدمات على أفاضل كربلاء و تتلمذ على والده و أدرك الشيخ مرتضى الأنصاري و تخرج على الشيخ حبيب الله الرشتي و أخذ الحكمة و الفلسفه في المدرسه الصالحيه بقزوين عن الشيخ آغا الحكمي و عمه الشيخ عبد الوهاب البرغاني و غيرهم، تصدر كرسى التدريس و الفتيا في كربلاء بعد شقيقه الشيخ الميرزا علامه الحائري آل الصالحى و عكف عليه الطلاب و اشتغلوا عنده بدراسه الفقه و الأصول و اشتهر امره كان قوى الأسلوب واسع الذهن حاد الذكاء محيطا بالعلوم القديمه و الحديثه معقولا و منقولا لذا عرف بمدرس الطف.

ساهم المترجم له في مشروع شقيقه الشيخ ميرزا علامه الصالحى الحائري في ترويج الزراعه و احياء البساتين في كربلاء، و استقدام الشيعه إليها و إسكانهم فيها و بناء دور لهم في محله خاصه تعرف حتى اليوم بمحله چاچين في شمال مدينه كربلاء القريبه من نهر الحسينيه حيث تشكل كلمه چاچين من كلمتين فارسيتين و هى چاه بمعنى البئر و چين بمعنى الصف و هؤلاء هم العمال الفنيون الايرانيون الذين جلبهم المترجم له و شقيقه ميرزا علامه من قزوين و أصفهان و يزد و كانوا يصفون الآجر في أطراف الآبار التى كانوا يحفرونها في البساتين لإرواء الأشجار في الصيف حينما كان ينقص ماء نهر الحسينيه في ذلك العصر لانه لم تكن آنذاك سده الهنديه قد انشئت.

و من آثاره في كربلاء تشييد سقف الطارمه المقابل لباب القبله المعروفه بالايوان الذهبى في روضه العباس و الروضه الحسينيه و من مؤلفاته كتاب بدائع الأصول في أصول الفقه و كتاب فقه القرآن في آيات الأحكام.(1)

## على بن الحسين أبو الفرج الأصفهاني.

### إشاره

مرت ترجمته في المجلد الثامن، و ننشر هنا عنه هذه الدراره بقلم الدكتور نبيه عاقل.

إذا ذكرت العوامل التى هيات للثوره الفرنسيه في القرن الثامن عشر للميلاد، ذكرت النهضه الفكرية التى عاشتها فرنسا في هذا القرن، و أشير بحروف عريضه إلى الدور الكبير الذى لعبه الموسوعيون (الأنسيكلوبيديون)، من أمثال ديدرو Diderot و دالمبرت D'alembert و غيرهما، فى فتح عيون الناس على نور المعرفه و تبصيرهم بواقعهم و بالتالى شحذ همهم للوقوف فى وجه جلاديهم.

الموسوعيون من العرب

و إذا كان على اوربا ان تنتظر حتى القرن الثامن عشر حتى تتعرف على ثمار الفكر الموسوعى، فان عالمنا العربى كان يتنعم بنتاج هذا الفكر منذ أوائل القرن العاشر الميلادى حين نبغ الكثيرون من الموسوعيين العرب الذين لم تقتصر همتهم على ميدان واحد من ميادين المعرفه بل نقلوا أعلامهم بين مجالات متنوعه تنوع الطب و العلوم و الفلسفه و التاريخ و الأدب و علوم البلدان و الحيوان و النبات و غير ذلك. كان الواحد منهم لا ينتهى من تذكره فى الطب حتى يشرع فى بحث فلسفى، و لا يجف مداد ما سوده من أوراق فى التاريخ حتى يملأ الصفحات الطوال فى علم البلدان و هكذا.

## أبو الفرج الأصبهاني موسوعى كبير

و أبو الفرج الاصبهاني، أو على بن الحسين بن محمد الذي ينتهي نسبه إلى مروان بن محمد آخر من استخلف من بني أمية، علم من أعلام الموسوعه العرب يستحق منا وقفه نطل منها على حياته و نتاجه الخصب المتعدد الآفاق.

## متى ولد أبو الفرج، و متى مات؟

أما متى ولد أبو الفرج فأمر اتفاق عليه دارسو حياته من قدامى و محدثين.

انه العام ٢٨٤ للهجره. أما اين ولد و متى توفي فأمر فيه أكثر من قول. فابن النديم مثلاً يمد في حياه أبي الفرج إلى ما بعد العام ٣٦٠ للهجره، في حين أن أبا نعيم يجعل وفاته في سنه ٣٥٧هـ، و ابن أبي الفوارس يحدد اليوم الرابع عشر من شهر ذى الحجه سنه ٣٥٦هـ لانتهاه حياه عالمنا الجليل.

و نحن و إن كنا لا نملك إلا المنطق و الحجه غير المباشره في تفضيل روايه على روايه من هذه الروايات الثلاث، فانا نميل إلى الأخذ برأى ابن النديم و تأخير وفاه الأصبهاني إلى ما بعد سنه ٣٦٠هـ لأسباب أهمها ان ابن النديم كان معاصراً له، و بينهما صلات معرفه، و لأن كليهما من سكان بغداد حيث توفي صاحبنا و عاش الشطر الأ-كبر من حياته، و هذا الرأى نخالف فيه الكثيرين من دارسى حياه أبي الفرج من المحدثين الذين مالوا إلى روايه ابن أبي الفوارس و أغراهم بريق اليوم و الشهر اللذين يحددهما هذا الراوى الذي كان من تلامذه الأصبهاني و روى عنه بعض السير و الأخبار.

## أين ولد أبو الفرج؟

و ما قلناه عن اختلاف الرأى في تاريخ وفاه أبي الفرج يصح على المكان الذي ولد فيه، فابو الفرج، في رأى بروكلمان، و هوارث، و صدر الدين، و ماريا نالينو، و أحمد أمين و غيرهم، من مواليد أصبهان التي ينسب إليها و يشتق منها اسمه. و لست أعلم مصدراً قديماً واحداً يشير إلى هذه الحقيقه من قريب أو بعيد، اللهم الا- إشاره لا- تحتل هذا المعنى ترد في يتيمة الدهر للثعالبي الذي يقول أثناء حديثه عن أبي الفرج انه "أصبهاني الأصل" و قد نقل ابن خلكان فيما بعد هذه الإشاره و أثبتها في وفيات الأعيان. و كلمه "الاصبهاني الأصل" لا- تعنى بالضروره انه ولد في أصبهان، و أغلب الظن أن المقصود منها انه أصبهاني الأصل- أو ان أسرته قطنت أصبهان لأمد، و ذلك لأن طبقه الثعالبي من المؤلفين كانت تستعمل هذه الكلمه - "الأصل" - بهذا المعنى، و حين تريد الإشاره إلى مكان ولاده المترجم له تقول: فلان... كوفى المولد، أو شامى المولد، و هكذا. و أبو الفرج نفسه من هؤلاء المؤلفين، فهو حين يترجم للمغنى محمد الرف مثلاً يقول عنه انه "كوفى الأصل و المولد و المنشأ" ليدلنا على مكان ولاده المترجم له و نشأته. و قد يسأل سائل بحق: إذا لم يكن أبو الفرج أصبهاني المولد و المنشأ فمن أين جاءت النسبه "أصبهاني" إلى اسمه، و أين ولد فعلاً؟!

## انتساب أبي الفرج

إلى بنى ثوابه من جهه أمه

نحن نعلم أن أسره أبي الفرج لأبيه كانت تقطن مدينه سامراء حاضره الخلافه و مقر دواوين الدوله، كما نعلم أن الكثيرين من أقربائه كانوا يعملون كتاباً في هذه الدواوين. و سامراء أيضاً مستقر آل ثوابه أسره أبي الفرج لأمه، إذ أنا نقرأ في الأغاني أن جده

لأمه يحيى بن محمد بن ثوابه، كان يعمل كاتباً في ديوان الخليفة في هذه المدينة. و ما دامت أسرته الأب و أسرته الأم تعيشان في سامراء زمن ولاده صاحبنا فلا- تجنى على الحقيقة إذن في قولنا مع الدكتور محمد أحمد خلف الله في كتابه "أبو الفرج الأصفهاني الراويه" أن سامراء هي مكان ولادته على أرجح الوجوه. و انتساب أبي الفرج إلى بنى ثوابه من جهة أمه يفسر لنا ميله الشديد إلى الشيعة و حبه المتناهي لآل علي.

فبنو ثوابه، كما يقول ياقوت الرومي، كانوا في الأصل نصارى، و حين أسلموا انتموا إلى المذهب الشيعي. فتشيع الأصفهاني إذن أثر من آثار احتكاكه بأسره أمه، و لولا- معرفتنا لهذه الحقيقة لظللنا حائرين مع ابن الأثير الذي يعجب الأموي، كأبي الفرج، يتشيع و يظهر هذا الحب و الاحترام

ص: ١٤٦

---

١- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

## أبو الفرج بغدادى المنشأ

و إذا كنا قد تلمسنا طريقنا فى متاهه من المعلومات حين تحدثنا عن الجزء الأول من حياه أبى الفرج الأصبهاني، فان ما لدينا من معلومات عن حياه هذا المؤلف الجليل فى شبابه و شيخوخته يجعل مهمتنا أقل عسرا حين نتحدث عنه طالب علم و مؤلفا و شخصيه مرموقه من شخصيات عصره.

تتفق المصادر أن أبا الفرج بغدادى المنشأ و الثقافه و أنه تلقى العلم فى المدينه الزاهره على أيدي النخبه من الرجال العظام الذين كانت تزخر بهم بغداد حاضره العلم و المعرفه فى عالم القرون الوسطى و رغم أننا لا نستطيع تحديد السنه التى أتى أبو الفرج فيها للسكنى فى بغداد إلا أننا نستطيع القول أنه فى سنه ٢٠٠ هـ كان يقيم مع أبيه فى تلك المدينه و ذلك لأنه يحدثنا فى "أغانيه" عن لقائه فى تلك السنه مع شخص قدم عليه و على أبيه دار السلام حيث كانا يقيمان.

و من بغداد يخرج أبو الفرج ليزور البصره و الكوفه و أنطاكيه و غيرها سعيا وراء روايه يتلقفها من فم راو أو خبر لم يطرق مسامعه و هو فى بغداد.

## السنه التى أصبح فيها أبو الفرج مؤلفا

و تجيء السنه ٢١٣ [٣١٣] للهجره فينتقل صاحبنا من صف طلاب العلم ليتربع مكانا مرموقا بين صفوف المؤلفين. ففى هذه السنه ألف أبو الفرج مؤلفه "مقاتل الطالبين" الذى أرخ فيه لمن قتل من آل أبى طالب أو مات فى موقعه أو سجن مبتدئا بجعفر بن أبى طالب و منتهيا بالطالبيين الذين قضوا خلال حكم المقتدر.

و انتقال أبى الفرج إلى صف المؤلفين هيا له فرصا من الشهره جعلته يحظى بعطف و حمايه أشخاص من نوع الوزير المهلبى وزير معز الدوله الذى وجد مؤلفنا الشاب فى كنفه الظل الوارف و الملجأ الأمين. و قد أتيح للعلاقه بين صاحب "مقاتل الطالبين" و وزير معز الدوله أن تنقلب إلى صداقه، و أن تدوم هذه الصداقه حتى يفرق الموت بينهما.

و ينصرف أبو الفرج إلى التأليف فيطرق العديد المتنائى من الأبواب، و يضيف إلى كنوز المكتبه العربيه آفاقا ما زلنا نعب من ينايعها الشره حتى هذا اليوم.

## اللهو و الاقذاع و القدر فى حياه أبى الفرج

و لكن حياه أبى الفرج لم تكن كلها جدا و تأليفا. فقد اجتذبت أضواء بغداد، و جلبه حاناتها، و شدو قيناتها، و فتنه غلمانها، جزءا غير يسير من انتباه صاحبنا، فشرب و طرب و تمتع بشدو القيان و جمال الغلمان. و قد حفظت لنا كتب الأدب و تراجم الرجال الكثير من أخبار مجونه مما لا نرى ضروره للتفصيل فيه فى مقام كهذا.

و ما دمنا فى صدد الحديث عن أبى الفرج الإنسان فلا بد لنا من أن نشير إلى ما تتحدث عنه الروايات من ضراسه خلقه و حده

مزاجه و إبداعه فى الهجاء من بين فنون الشعر المختلفه، و اقتذاعه فى مذمه إخوانه إذا بدت منهم أصغر الهفوات، أو تراءى له مبهم ما قد يفسره بجفوه أو نبوه. هذا بالاضافه إلى الحديث المستفيض عن قذاره ثوبه و بدنه و كيف أن ثوبه لا يعرف غسلًا منذ أن يترك دكان البائع حتى يصير فى زمرة الأسمال الباليه.

على أن قذاره الثوب و البدن و شراسه الطبع و بذاءه اللسان لم تحرم صاحبنا من نعمه الصداقه و لم تبعد عنه أنس الإخوان، فقد كان له فى جليل مكانته العلميه خير جواز مرور لأرفع الأوساط و أرفه المجالس. عاش أبو الفرج حياه لم يعكر صفوها خوف من جوع أو قله فى المال، فقد كان بيته فى بغداد بين درب سليمان و درب دجله بيتا رافها يدل على غضاره العيش. و لا- غرو فالأصبهاني عمل فى ديوان ركن الدوله كاتبًا، و نعم باعطيات المهلبى و غيره من الساده و درت عليه مؤلفاته مالا ليس بالقليل.

و قبل أن يوافيه الأجل يصاب بالفالج و يخلط، و لكن المنيه ما تلبث أن تضع حدا لآلامه.

### أبو الفرج مؤلف متعدد الجوانب

هذه هى الخطوط العريضه للحياه الخصبه التى عاشها علم من أعلام الفكر و الموسوعه فى القرن الرابع للهجره، و إذا كان لا بد لنا من وقفه أمام أحد جوانب هذه الحياه فلا أحرى بنا من أن نطل على الجانب الفكرى فيها، إذ يكمن فى هذا الجانب قصه من قصص الشموخ و العلاء جديره بانحناءه إجلال و إكبار.

كانت ثقافه أبى الفرج ثقافه موسوعيه متعددده الجوانب، و كان من بين الذين تلقى العلم عنهم أناس جالوا فى أكثر من ميدان. و تظهر آثار هذه الثقافه المتسعه المتلوننه تلون قوس قزح فى القائمه الطويله من المؤلفات التى دبحها يراعه. فلأبى الفرج حسب ما تقول المصادر المختلفه الكتب التاليه:

كتاب الأغاني، كتاب مجرد الأغاني، كتاب مقاتل الطالبين، كتاب تفضيل ذى الحجه، كتاب الأخبار و النوادر، كتاب أدب السماع، كتاب أخبار الطفيليين، كتاب أدب الغرباء، كتاب مجموع الآثار و الأخبار، كتاب أشعار الإمام المماليك، كتاب الخمارين و الخمارات، كتاب الديارات، كتاب الفرق و المعيار فى الأوغاد و الأحرار، و هى رساله عملها فى هارون بن المنجم، كتاب القيان، كتاب دعوه النجار، كتاب أخبار جحظه البرمكى، كتاب الحانات، أيام العرب، كتاب التعديل و الانتصاف فى أخبار القبائل و أنسابها، كتاب جمهوره النسب، كتاب نسب بنى عبد شمس، كتاب نسب بنى شيان، كتاب نسب المهالبه، كتاب نسب بنى تغلب، كتاب الغلمان المغنين، و كتاب مناقب الخصيان.

و لم يصلنا من هذه القائمه الطويله الدسمه الا كتاب الأغاني و مقاتل الطالبين، و هما مطبوعان و متداولان، و كتاب الديارات و هو على ما أعلم ما يزال مخطوطا ينتظر يد المحقق و الطابع.

### كتاب الأغاني

و نحن و إن كنا لا- نملك حكما على ما لم يصلنا مما كتب أبو الفرج فان لنا فى درته الخالده، الأغاني، دنيا من المعرفه ينتقل فيها المرء من شيق إلى لذيذ، و من مفيد إلى غريب، بين ضروب من التاريخ و الأدب و النقد و الموسيقى و الأخبار و الأنساب و

التراجم و غير ذلك. و الكتاب فى الأساس ألف ليضم الأصوات المائه التى اختارها هارون الرشيد و جمعها إبراهيم الموصلى و إسماعيل ابن جامع، و فليح بن عوراء، و راجعها فيما بعد إسحاق الموصلى بناء على أمر الخليفة الواثق. و لكن الكتاب ليس هذا فحسب، انه السجل الضخم لجميع مناحى حياه العرب و حضارتهم منذ الجاهليه و حتى نهايه القرن الثالث للهجره، انه "ديوان العرب" كما يقول بحق ابن خلدون.

و إذا أردنا تقسيما موضوعيا للماده التى نصادفها فى الأغاني لأمكننا أن نفرق هذه الماده إلى خمس زمر:

١ - معلومات فنيه تتعلق بالموسيقى العربيه و الغناء العربى و مدارس

ص: ١٤٧

الموسيقى، هذا إلى جانب الكثير من الموسيقيين الرجال و النساء و حياتهم و أخبارهم.

٢ - شعر و حديث مستفيض عن الشعراء و المدارس الشعرية و النقد الشعرى.

٣ - أنساب و أخبار تتعلق بالصلوات القبليه، و أبو الفرج كما ألمحنا مؤلف لأكثر من كتاب فى هذا الموضوع.

٤ - أيام العرب.

٥ - تاريخ و نثر و أخبار.

هذا إلى جانب المعلومات الواسعه حول الحياه الاجتماعيه و الحياه فى قصور الخلفاء و الأمراء و مكانه المرأه و أنواع الطعام و الشراب و اللباس و المفروشات و الأسعار و غير ذلك. و قد استقى الأصبهاني هذا الخضم المتلاطم من المعلومات التى احتواها "أغانيه" من مصادر أهمها ما وقع له من روايات شفهيته، أو مكتوبه، و ما قرأه من كتب و ما سمعه من أخبار أو شاهده من حوادث. و لسنا نملك القول أن كل ما رواه صحيح ثابت أو أن كل من روى له أو عنه صادق لا تتطرق اليه ريبه. و لكننا نملك أن نقرر أن الأغاني فى جملته مصدر جدير بثقتنا سيما و أن صاحبه كثير ما يقف ليناقدش رواته أو ليفند روايه لا يطمئن إلى انطباق وقائعها على منطق الأمور.

و بعد فالحديث عن الأغاني و صاحبه يطول: و أنا أعرف أنى لم ألمس من الموضوع الا جوانبه. و أعرف أنى تركت الكثير من المهم دون أن أمد اليه يد المعالجه، خشيه الإملال.

### الواعظ المحسن الشهير أبو الحسن على بن الحسين الغزنوى.

هكذا ذكره الذهبي فى (سير اعلام النبلاء)، و قال: سمع بغزنه (الصحيح) من حمزه القائنى بسماعه من سعيد العيار، و سمع ببغداد من أبى سعد بن الطيورى و غيره. و سمع ولده المعمر احمد (جامع) أبى عيسى الكروخى.

قال ابن الجوزى: كان مليح الإيراد لطيف الحركات - بنت له زوجه الخليفه(١) رباطا، و صار له جاه عظيم لميل العجم. كان السلطان يزوره و الأمراء، و كثرت عنده المحتشمون و استعبد طوائف بنوالة و عطائه. و كان محفوظه قليلا، فحدثنى جماعه من القراء انه كان يعين لهم ما يقرءونه، سمعته يقول: حزمه حزن خير من اعدال اعمال.

و قال السمعانى: سمعته يقول: رب طالب غير واجد، و واجد غير طالب.

و قال ابن الجوزى(٢): كان يميل إلى التشيع، و لما مات السلطان أهين، و كانت بيده قريه فأخذت و طولب بغلها و حبس ثم اخرج و منع من الوعظ لانه كان لا يعظم الخلافه كما ينبغى، ثم ذاق ذلا.

مات فى المحرم سنه احدى و خمسين و خمس مائه (انتهى).

و فى هذه الترجمة من العبر ما فيها، فلمجرد ميل الرجل إلى التشيع لقى ما لقى.

و فى السنه التى توفى فيها أيقن بالموت فارخ وفاته بنفسه فقال:

حان حينى يا إلهى و أنا لم أجد إلاك لى من راحم و انتسابى لعلى المرتضى

فى غد من كل هول عاصمى حملت نعشى أحبابى و ذى

أسرتى تبكى بدمع ساجم و دعا الكل بتاريخى (أنا

رحم الله الخطيب الهاشمى

هـ ١٣٩٥

### السيد على بن الحسين الهاشمى.

ولد فى عام ١٩١١ م فى النجف الأشرف توفى سنه ١٩٧٥ م فاضل و خطيب حسينى و شاعر. له من المؤلفات.

١ - ثمرات الأعواد جزءان.

٢ - المطالب المهمه فى تاريخ الأئمه (ع).

٣ - محمد بن الحنفية.

٤ - الحسين (ع) فى طريقه إلى الشهاده.

٥ - الوصول إلى معرفه من دفن فى العراق من أصحاب الرسول (ص).

٦ - معركة صفين أو الخوارج.

٧ - حياه الامام الكاظم (ع).

٨ - كميل بن زياد.

٩ - صعصعه بن صوحان.

١٠ - تاريخ الأنبار.

١١ - زينب الكبرى (ع).

١٢ - شرح قصيده أبى طالب.



- دیوانه الشعرى باسم الهاشمیات.

و كان آخر كتاب ألفه و طبع فى بیروت قبل وفاته (الوصول إلى معرفه من دفن فى العراق من أصحاب الرسول (ص). بمجلد ضخم یشتمل على مائه و ثمانیه و ستین صحابیا دفنوا فى العراق.

### على بن رثاب التیمی.

ذكر الذهبى فى سیر اعلام النبلاء أخاه هارون بن رثاب و وصفه بالإمام الربانى العابد، و انه یقال بأنه أجل أهل البصره، و انه حدث عن أنس بن مالك و الأحنف بن قیس و غیرهما. ثم قال: یمان و هارون و على بنو رثاب، فهارون من أئمه السنه، و یمان من أئمه الخوارج، و على من أئمه الروافض، و كانوا متعادين.

### الأمیر نظام الدین على شیرین کنجینه بهادر الجغتائی الهروی.

المولود فى سنه ٨٤٤ و المتوفى ١١ جمادى الثانى سنه ٩٠٦.

كان وزیرا عالما فاضلا شاعرا أدبیا محققا ذكیا برع فى الأدب و التاريخ و كان ینظم باللغتين الفارسیه و التركیه هو من أسره الأمراء الذین كان لهم المناصب العالیه فى الدوله الجغتائیه و عاش المترجم له فى سرادق الملوك و درس مع أولاد السلاطین و هو سبط الأمیر أبو سعید من أعظم أمراء بايقرا كما أن والده کنجینه بهادر أيضا من أمراء الجغتائیه و انتهت الیه الرئاسه لا سیما فى عصر السلطان أبو سعید. و فى أوائل شبابه هاجر إلى خراسان لمتابعه دراسته و بعد مده من زمن توجه إلى سمرقند و تخرج من مدرسه الخواجه فضل الله و عند ما استلم مقالید الحكم السلطان حسین میرزا بايقرا فى خراسان استدعاه لاداره أمور الدوله فأجابته و رجع إلى خراسان و أصبح وزیرا فى حكومته و له آیاد بیضاء على الأدب و الشعر الفارسی و التركی و كان

ص: ١٤٨

١- هی خاتون زوجه المستظهری.

٢- فى المنتظم ١٠/١٦٧.

محبا للعلم والعلماء وقد خدم العلم خدمه تذكرا فتشكر و له آثار و ماثر باقيه حتى اليوم منها بناء الإيوان الذهبى جنوب الصحن فى الروضه الرضويه و بناء مقبره الشيخ فريد الدين العطار و جلب الماء من عين "كلسب" من جبال هزار مسجد الواقع فى شمال سهل خراسان إلى مدينه مشهد و بناء عده مدارس منها المدرسه الاخلاصيه فى مدينه هرات و له موقوفات كثيره يصرف ريعها على أمور خيريه و هناك تبيان لاوقافه موجود حاليا فى مكتبه ملك الوطنيه فى طهران فى خمس و عشرين صحيفه بقطع كبير و ينص فيها على صرف بعض العائدات على احتفالات نصف شعبان و فى يوم عاشوراء و غير ذلك من الأمور الخيره التى تثبت تعمقه فى التشيع. و له ربايعه فارسىه فى جواب الغزالى الذى يطالب بعدم لعن يزيد بن معاويه و ترك المترجم له مؤلفات كثيره منها اربعه دواوين تركيه يتخلص فيها ب "نوائى" و هى:

١ - غرائب الصغر.

٢ - فوائد الكبير.

٣ - نوادر الشباب.

٤ - بدائع الوسط.

و له ديوان فارسى فى ستة آلاف بيت يتخلص فيها ب (فانى) و (فنائى) و له أيضا إسكندرنامه، و تاريخ الأنبياء تركى، حيره الأبرار، و سبعة سياره، و سد اسكندرى، و سراج المسلمين، و السيف الهادى على رقبه المنادى، فرهاد و شيرين، لسان الطير، ليلى و مجنون، مجالس النفائس فى تراجم الأعيان و الشعراء طبع فى طهران مع مقدمه و تحقيق الدكتور على أصغر حكمت سنه ١٣٦٣، محاكمه اللغتين اى الفارسى و التركى، و محبوب القلوب فى الأخلاق، و ميزان الأوران تركى، و نسائم المحبه فى ترجمه نفحات الأنس تركى و نظم الجوهر تركى، و خمس المتحيرين، و حالات السيد حسن أردشير، و حالات بهلوان محمد أبو سعيد، و تحفه الملوك فارسى، و منشآتى تركى، مفردات فى فن المعمى.

ذكره كثير من المؤرخين و المحققين و المستشرقين منهم صديقه الأمير سام ميرزا الصفوى المقتول فى سنه ٩٨٣ فى كتابه تحفه سامى ص ١٧٩ و الأمير دولت شاه السمرقندى فى ص ٣٦٨ فى كتابه تذكره الشعراء، و المستشرق إدوارد برون فى كتابه تاريخ الأدب الفارسى ج ٣ ص ٦٣٤ و قال البغدادى فى هديه العارفين (مير على شير بن الأمير غياث الدين محمد المتخلص بالنوائى الأديب من وزراء السلطان حسين بايقراى ملك هرات...) (١) و جاء اسم والده فى المصادر الفارسىه كما أثبتناه نقلا عن صديقه الأمير سام ميرزا الصفوى و لم نعلم من اين نقله البغدادى و فصل عنه على أصغر حكمت فى مقدمه كتابه مجالس النفائس الذى طبعه عام ١٣٦٣ و أعيد طبعه فى طهران مرارا و نصب له تمثال ضخم بزى علماء الشيعة فى طاشقند من مقاطعه ازبكيستان فى الاتحاد السوفيتى، قال شيخنا الأستاذ فى طبقات أعلام الشيعة: الأمير على شير الجغتائى مات فى ١١ جمادى الثانيه سنه ٩٠٦ كان وزيرا فاضلا ذا لسانين (فارسى و تركى) يتخلص فى ديوانه الفارسى (٢) ب (فانى) و (فنائى) و فى ديوانه التركى ب (نوائى) و له ربايعه كاشفه عن حسن حاله و هى فى جواب الغزالى ثم أدرج الربايعه الفارسىه (٣) و أشار إلى دواوينه الأربعه فى الذريعه الجزء التاسع من القسم الثالث ص ٨٠٤ و كما أشار إلى سائر مؤلفاته فى باقى أبواب الذريعه. (٤)

**الشيخ على رضا بن المولى كمال الدين حسين الأردكانى الشيرازى.**

توفى بعد سنه ١١٢٠.

كان من علماء الشيعة فى العصر الصفوى أديب شاعر مفسر محقق حكيم متكلم عارف متفنن أخذ المقدمات و السطوح على جملة من فضلاء اردكان و شيراز ثم هاجر إلى أصفهان و تخرج على العلمين المولى محمد تقى المجلسى الأول المتوفى سنه ١٠٧٠ و المولى الشيخ محمد كاظم الطالقانى المتوفى سنه ١٠٩٤ و لازم استاذه الطالقانى فى قزوین حينما كان مدرسا فى مدرسه النواب و منها هاجر إلى كربلاء و النجف و كان من الاعلام فى كربلاء و شغل كرسى التدريس و الفتوى بها سنين ثم رجع إلى أصفهان و استقر هناك و التف حوله جمع من أهل العلم و الفضل و اشتغل بالتأليف و التدريس و الفتوى و كان من أكابر علماء عصر الشاه سليمان الصفوى المتوفى سنه ١١٠٥ و صنف تفسيره الصغير باسم الشاه سليمان الصفوى و سماه (ترجمه سليمانى) الموجود عندنا و صرح فى أوله (ان هذه ترجمه سليمانى) تفسير منطبق على ظاهر القرآن و اللغه و يشتمل على الحقائق المأثوره عن أصحابنا الاماميه و الأحاديث المرويه عن أهل البيت (ع) و تفاسير المتقدمين و المتأخرين من أرباب الفضل و الدرايه... و له أيضا ديوان شعر، و تفسير الأردكانى و هو تفسير صغير للقرآن الكريم ألفه سنه ١٠٨٤ و المترجم له من علمائنا المنسيين (٥)

### الشيخ على مراد بن حسين بن سبز على السيارستاقى التنكابنى

الجيلانى.

توفى حدود ١٢٥٠.

ولد فى سيارستاق من ضواحي تنكابن و تعلم المبادئ و المقدمات بها ثم ذهب إلى أصفهان و حضر عند أعلامها و اختص بالمولى على النورى فى الفلسفه ثم انصرف إلى التدريس و التأليف و من مؤلفاته:

١ - الرد على (البادرى) الذى أنكر الاعجاز و النبوه.

٢ - هادى المهتدين - فى سيره الأئمه الاثنى عشر. (٤)

### السيد على نقى السياورزى التنكابنى.

ولد حدود ١٢٦٠. و توفى حدود ١٣٢٥.

ولد فى سياورز من قرى تنكابن و درس المقدمات و السطوح فى مدارس تنكابن ثم هاجر إلى النجف الأشرف و حضر عند أعلامها و اختص بالميرزا حبيب الله الجيلانى (المتوفى ١٣١٢) و رجع إلى موطنه و انشغل بالتدريس و التأليف و من مؤلفاته:

١ - كتاب الصلاه فى مجلدات. ذكر فيه آراء استاذه الجيلانى. (٧)

### الشيخ على الخوئى بن على رضا الخاكردانى.

ولد سنة ١٢٩٢ و توفي سنة ١٣٥٠ هـ.

تلمذ في النجف على المحقق الخراساني و الشيخ هادي الطهراني.

و له آثار منها: تشريح الصدور في وقايع الأيام و الدهور. رساله القربه في شرح دعاء الندبه، رساله في التعادل و الترجيح و شرح قواعد الشهيد لم يتم.

و له أشعار لطيفه منها تخميس أبيات لعلی بن أبی عبد الله الخواني:

يا قبر طوس سقاك الله تربته ما ذا ضمنت من الخيرات يا طوس

ص: ١٤٩

- 
- ١- إسماعيل باشا البغدادي هديه العارفين ج ١ ص ٧٣٩.
  - ٢- انظر صورته في مقدمه مجالس النفايس تحقيق على أصغر حكمت.
  - ٣- احياء الدائر آغا بزرك الطهراني ص ١٥٤.
  - ٤- الشيخ عبد الحسين الصالحي.
  - ٥- الشيخ عبد الحسين الصالحي.
  - ٦- الشيخ محمد السمامي.
  - ٧- الشيخ محمد السمامي.

و منها أيضا تخميس للقصائد الخمس و قصائد اخرى فى مدح الامام الثانى عشر و تخميس قصيده أبى الفتح البستى التى مطلعها:

زياده المرء فى دنياه نقصان و ربحه غير محض الخير خسران

قال ملا على الخيابانى رأيت جميع آثاره بخطه الشريف عند وصيته فى بلده اروميه سنه ١٣٥٢. (١)

### **الميرزا على آقا المجتهد التبريزى بن المولى عبد العظيم.**

توفى سنه ١٣٤٠ ه فى المشهد الرضوى كان بحرا زخارا يلوح تبخره فى علم الكلام و الحكمه من بعض آثاره.

منها ذخيره المحشر فى شرح باب الحادى عشر و للمترجم له يد طولى فى الأدب و القريض منها تخميس::

يا قبر طوس سقاك الله تربته ما ذا ضمنت من الخيرات يا طوس

و منها تخميس قصيده لملا مهر على الخوئى:

"ها على شبر كيف شبر ربه فيه تجلى و ظهر

(٢)

### **الميرزا محمد على المدرس الخيابانى:**

ولد فى تبريز سنه ١٣٩٦ [١٢٩٦].

كان أدبيا منسيا و كاتبا بارعا له آثار باللغتين العربى و الفارسى منها ريحانه الأدب فى ست مجلدات فارسى و الدر الثمين فى

جمع الاشعار المنسوبه إلى الأئمه المعصومين. (٣)

### **الحاج الميرزا على آقا الشيرازى.**

توفى ١٣٧٥.

درس فى أصفهان و قم - و حضر بحث الشيخ عبد الكريم الحائرى اليزدى سنين عديده، و بعد وفاه استاذه الحائرى استقل

بالتدريس و فى أواخر حياته كان يدرس كتاب (نهج البلاغه) و كان يحضر عنده جمع من الفضلاء و كان زاهدا خلوقا عابدا

جامعا للفضائل توفى فى قم فى ٢٣ جمادى الأولى و دفن فى مقبره شيخان. (٤)

### **الآغا على أشرف بن الآغا على ناصر بن الآغا إسماعيل بن الآغا**

خليل المعروف بآغا بزرگ بن الآغا إسماعيل بن الآغا خليل الشيرازى

آل المدرس الشيرازى

المتخلص فى شعره باكه.

توفى سنة ١٢٤٤ فى شيراز و دفن فيها.

آل المدرس الشيرازى: من الأسر العلميه المعروفه فى شيراز أصلهم من خراسان و عراق العجم استوطنوا فى أصفهان أيام عز الدوله الصفويه و مع فتنه الأفاغنه فى أصفهان و انقراض الدوله الصفويه هاجروا إلى شيراز و أول من هاجر و بزغ نجمه فى أفق شيراز الآغا خليل المدرس، سكن فى محله يازار مرغ من المحلات المعروفه فى شيراز و كان مدرسا فى مدرسه حكيم و عرف بالمدرس و أصبح لقبه عنوان هذا البيت الجليل و نبغ من هذه الأسره علماء و شعراء و عرفاء منهم شقيق المترجم له الآغا لطف على المدرس من عرفاء و شعراء عصره و يتخلص بأفكار و والده الذى كان من علماء شيراز المعروفين و فصل عنهم الآغا على أكبر النواب المدرس المتوفى سنة ١٢٦٣ شقيقه الأصغر فى كتابه (تذکره دلگشا) و ذکر جمله من علماء هذا البيت السيد ميرزا حسن الحسينى الفسائى عن كتابه (فارسنامه ناصرى) ج ٢ ص ٩٣٥-٩٤٢. ولد المترجم له فى شيراز فى بيت علم و فضل و أخذ المقدمات على أفاضل شيراز و تخرج على رجال أسرته ثم اولع بالعرفان و التصوف و حضر على جمله من العرفاء و الأقطاب الصوفيه ثم اختص بالميرزا أبو القاسم الشيرازى و وصل إلى أعلى المراتب الصوفيه فى شيراز.

و له ولدان عالمان فاضلان الآغا عبد الله المدرس الملقب بفخر العلماء و الميرزا عبد الوهاب المدرس مؤلف كتاب (نخبه الأخبار فى أحوال السلاطين و الأنبياء) و للمترجم ديوان شعر، يحتوى على قصائد و غزليات و مقاطع عرفانيه.

أقول: ذكره ميرزا رضا قلى الهدايه فى رياض العارفين ص ٤٠٣ و معصوم على شاه فى طرائق الحقائق ج ٣ ص ٣٤٧. (٥)

## الشيخ على أكبر بن على أكبر الكيلانى الاشكورى المتخلص فى شعره

بالطوعى.

ولد سنة ١٣٠٣ فى قريه أشكور بايران و توفى سنة ١٣٥٤ هجرية فى مدينه رودسر و نقل جثمانه إلى قريه رحيم آباد و دفن بها حسب وصيته.

كان من أجله المجتهدين فى كيلان و كبار الفقهاء. أديب شاعر عارف مرتاض كثير البحث و المطالعه قرأ فى كيلان على جمله من الفضلاء المنطق و علوم اللغة العربيه و فى سنة ١٣٢٥ هاجر إلى قزوین و أخذ الفقه و الأصول عن الشيخ عيسى ابن الشهيد البرغانى و الشيخ على أكبر السياه دانى القزوينى ثم توجه إلى طهران و حضر فى الفلسفه على الشيخ ميرزا حسن الكرمانشاهى المتوفى سنة ١٣٣٦ و منها هاجر إلى العتبات المقدسه فى العراق و استقر فى النجف و تخرج على الشيخ ميرزا حسين النائينى و آغا ضياء العراقى ثم عاد إلى موطنه كيلان فكان مرجعا للأموال الشرعيه هناك و له مؤلفات منها تقارير درس استاذيه النائينى و العراقى فى الفقه و الأصول و له رساله فى العلوم الغريبه و ديوان شعر فى المدائح و المراثى رأيت منه الطبعة الرابعه مطبوعه بدون تاريخ فى مدينه قم باسم ديوان طلوعى (٤)

## الشيخ على القوجاني ابن الشيخ قاسم.

عالم محقق مدرس لازم درس الشيخ محمد كاظم الخراساني سنين طويله حتى عد من أفاضل تلاميذه، و صار مقرر بحثه في حياته لجمع كبير من تلاميذ استاذه.

و لما توفي الخراساني سنه ١٣٢٩ صار المترجم له مرجعا لتدريس الخارج من بعده. و لو امتد به العمر لكان له و لآرائه شان كبير.

## السيد على بن محمد بن حسين الحسنى التنكابنى.

توفى بعد ١٢٥٧.

ولد في سادات محله من ضواحي رامسر و نشأ بها و اشتغل في مدارسها بتحصيل الفقه و الأصول ثم اشتغل بالتدريس، له كتاب (الاخبار) كتبه في رمضان ١٢٤٤ في مدرسه سادات محله و ذكر بأنه كان في سنه ١٢٤٩ في طهران. (٧)

## الحاج مولى على بن سلطان محمد الجنازى الملقب بنور على شاه.

ولد في ١٧ ربيع الثاني ١٢٨٤ و توفى في ١٥ ربيع الأول سنه ١٣٢٧.

ولد في جناباذ و تعلم المبادئ و المقدمات بها ثم سافر إلى مشهد و بقى مده بها مستفيدا من اعلامها، ثم سافر إلى أفغانستان و الهند و الحجاز و العراق و ساح في بعض الدول الإسلاميه سنين عديده ثم رجع إلى موطنه و اشتغل بالتأليف و التدريس و بعد وفاه أبيه قام مقامه في الطريقه الصوفيه إلى أن توفى مسموما قريبا من طهران و دفن في مشهد عبد العظيم.

ص: ١٥٠

١- السيد إبراهيم العلوى.

٢- السيد إبراهيم العلوى.

٣- السيد إبراهيم العلوى.

٤- الشيخ محمد السامى.

٥- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٦- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٧- السامى.

من تأليفاته - كتاب الصالحية في التصوف و العرفان.(١)

## الشيخ علي "علاوي" بن الشيخ محمد "حميد" بن الشيخ محمد

حسن صاحب الجواهر.

توفي في السابع من محرم سنة ١٣١٧.

قال في الحصون عنه: كان عالما فاضلا متواضعا قاطعا للخصومات في مجلس القضاء مسلم الحكومه بين الأهالي.

تقام له الجماعه في مسجدهم المشهور مقام أخيه، و قال في التكملة:

من المعاصرين كان مرجعا للقضاء للغرويين مسلم الحكومه عندهم رايته يدرس كتاب جده (الجواهر) و كان يحضر عليه جماعه فيهم أهل الفضل.

حضر على الشيخ مرتضى الأنصاري و السيد حسين الترك له مؤلفات في الفقه و الأصول.(٢)

## أبو القاسم، علي بن القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي

البصري ثم البغدادي،

و ولد صاحب كتاب "الفرج بعد الشده"، و كتاب "النشوار"، و غير ذلك.

قال الذهبي في سير اعلام النبلاء: القاضي العالم المعمر صاحب كتاب (الطولات).

ولد في شعبان سنة خمس و ستين و ثلاث مائه بالبصره.

و سمع لما كمل خمسہ أعوام من: علي بن محمد بن سعيد الرزاز، و علي بن محمد بن كيسان، و أبي سعيد الحرفي، و أبي عبد الله الحسين بن محمد العسكري، و عبد الله بن إبراهيم الزبيبي، و إبراهيم [إبراهيم] بن أحمد الخرقى، و خلق كثير.

قال الخطيب: كان متحفظا في الشهاده، عند الحكام، صدوقا في الحديث، تقلد قضاء المدائن، و قرميسين، و البردان.

و قال أبو الفضل بن خيرون: قيل: كان رأيه الرفض و الاعتزال.

و قال شجاع الذهلي: كان يتشيع، و يذهب إلى الاعتزال.

قلت: نشأ في الدوله البويهيه، و أرجاؤها طافحه بهاتين البدعتين و قيل: إنه صحب أبا العلاء المعري، و صادقه، و أسمعه "صحيحه".



مات فى ثانى المحرم، سنه سبع و أربعين و أربع مائه.

حدث عنه: أبى النرسى، و الحسن بن محمد الباقرحى، و نور الهدى حسين بن محمد الزينبى، و أبو على بن المهدي، و أبو شجاع بهرام بن بهرام، و أبو منصور بن النور، و أبو القاسم بن الحصين، و خلق سواهم.

و روى شيئاً كثيراً.

يقع لنا حديثه عالياً، و هو راوى كتاب "الأشربه" لأحمد بن حنبل.

## الشيخ على الكنبدي الهمداني

ولد فى قريه كنبد من توابع ملاير همدان فى شعبان سنه ١٢٨٧ و توفى سنه ١٣٦٤ و نقل جثمانه إلى قم و دفن بمقبره شيخان جنب قبر صاحب القوانين.

قرأ المقدمات و العربيه على والده الشيخ محمد على الكنبدي و فى سنه ١٣٠٥ هاجر إلى أصفهان و حضر على الآخوند ملا محمد الكاشانى و الشيخ الآغا محمد تقى النجفى و فى سنه ١٣١٧ قصد العراق و انضم إلى حوزة الآخوند الملا محمد كاظم الخراسانى صاحب الكفايه و السيد محمد كاظم اليزدى و حضر فى الأخلاق على الآخوند ملا حسين قلى الهمداني ثم رجع إلى موطنه و انتهت إليه الرئاسة الروحيه فى همدان و ملاير، من مؤلفاته شرح مشكلات ديوان السيد الرضى تقريرات فى الفقه و الأصول لاستاذه صاحب الكفايه، و تقريرات فى الفقه و الأصول لاستاذه السيد كاظم اليزدى، كتاب الأخلاق، حاشيه على التبصره للعلامه الحلى، رساله عمليه، رساله فى تاريخ حياته. (٣)

## الشيخ على نقى الخالصى.

ولد فى الكاظميه فرعاه جده الشيخ راضى و درس على خاله الشيخ محمد و عمه الشيخ مرتضى علوم اللغه العربيه، و على جده الشيخ راضيععلوم الفقه و الأصول و الكلام.

ساهم فى الثوره الوطنيه العراقيه سنه ١٩٢٠ برفقه أحد أبطالها الشيخ مهدي الخالصى، ثم نفى معه بعد ذلك إلى الحجاز و ايران.

تولى الامامه و الخطابه و التدريس فى جهات مختلفه من العراق و آخرها فى الحسينيه الفاطميه فى الكاظميه.

كتب فى العقائد و التاريخ و اللغه. و له ديوان شعر مخطوط فى ثلاثه اجزاء. و طبعت له باشرافه سنه ١٣٩٣ منظومه مشروحه بقلمه باسم (الأنوار المضيئه فى العقائد الإسلاميه و فضائل أهل البيت) و قد أرخ تليفها السيد على الهاشمى بهذه الأبيات:

اتى على بنظم ملؤه الحكم جارى به المتنبى فى فرائده

و این منه البحترى و قد سما عليه بمعنى من قصائده

فاز النقى على حين ألفه أرخت (فوزا عظيما فى عقائده)

## الشيخ على القمى.

(٤) قال الشيخ آغا بزرك:

هو الشيخ على بن الشيخ محمد إبراهيم بن محمد على القمى النجفى فقيه بارع، و عالم جليل، و زاهد معروف.

كان والده من علماء عصره الأعلام، و قد صاهر أيام دراسته فى النجف الشيخ مشكور بن محمد الحولاوى النجفى - جد الأسره العلميه المعروفه باسمه (آل الشيخ مشكور) - على ابنته و هى أم المترجم له.

ولد فى طهران فى السابع من شهر رمضان سنة ١٢٧٣ كما حدثنى به، و نشأ على والده الجليل فتربى فى حبر العلم و التقوى، و تعلم المبادئ و قرأ المقدمات و السطوح على لفيف من أهل الفضل، ثم هاجر إلى النجف الأشرف بعد سنة ١٣٠٠ هـ فحضر فى الفقه و أصوله على الميرزا حبيب الله الرشتى، و الشيخ عبد الله المازندراني، و الشيخ محمد كاظم الخراسانى، و الشيخ آغا رضا الهمداني، و الميرزا حسين الخليلي، و كتب تقريرات دروسهم، و حضر فى الحديث على الشيخ ميرزا حسين النورى، و فى الأخلاق على المولى حسين قلى الهمداني، و بعده على السيد مرتضى الكشميرى فكان من خواص أصحابه و ملازميه إلى أن توفى.

بلغ المترجم له فى العلوم الإسلاميه درجه عاليه، و أصاب حظا عظيما، و أصبح من المجتهدين و أفاضل الفقهاء و عمره دون الأربعين،

ص: ١٥١

١- الشيخ محمد السامى.

٢- السامى.

٣- الصالحى.

٤- مرت له ترجمه موجزه فى مكانها، و قدر رأينا ان نأخذ هذه الترجمة التى كتبها الشيخ آغا بزرك الذى هو اعرف الناس به.

و صار له بين كبار المشايخ و زعماء المذهب من مشايخه و غيرهم مكان رفيع و احترام، و قد كتب على عهد معظم أساتذته فى الفقه الاستدلالي فى غاية البسط و الدقه، مما يكشف عن علو كعبه و رسوخ قدمه، و كتب فى الرجال و الحديث مواضع تدل على براعته الفائقة و خبرته الواسعه فى هذا العلم الذى هو الدعامة الأولى للاجتهد و الباب الوحيد للاستنباط.

عرفت المترجم له فى النجف الأشرف فى سنة ١٣١٤ هـ. بعد هجرته إليها من طهران بعام واحد، و ذلك عند ما انخرطت فى زمره تلامذه الشيخ ميرزا حسين النورى فقد كنا عرفناه فى سامراء قبل هجرته إلى النجف، و انضم إلينا بعد سنوات الشيخ عباس القمى و كان المترجم له هو الوسيط فى تلك الصلة فهو الذى دله عليه و عرفه به. و بقينا نحن الثلاثة أوثق صلة به و أشد ملازمه له و اقتباسا منه و علقه به حتى اختار الله له دار إقامته، و ظلت حلقات دروس المشايخ فى النجف تجمعا، و حوزات الأبحاث و المذاكره تضمنا، و الصلة تتوثق بمرور الزمن و العلقه تزداد إلى أن انتقلت إلى سامراء على أثر وفاه شيخنا المحقق الخراسانى فى سنة ١٣٢٩ هـ للالتحاق بمعهد الشيخ محمد تقى الشيرازى و حضور درسه، فكان المترجم له يكثر التردد لزياره العسكريين ع و يحل فى بيتنا و يطول مكثه غالبا، و يحضر خلال تلك المده بحث بعض مدرسينا، و كان كثير المذاكره و المناقشه فى المسائل العلميه دائمه الاشتغال فى التأليف و المراجعة و نحوها، فكان لا- يفتر عن التأليف حتى فى السفر، فقد فرغ من بعض آثاره فى النجف و من بعضها فى مسجد الكوفه و هو معتكف، و فرغ من بعضها فى الكاظميه أو سامراء، و من بعضها فى المدينه أو مكه أيام تشرفه إلى حج البيت.

عرف المترجم له بالورع و التقى و الزهد فى حطام الدنيا منذ نعومه أظفاره و كان سالكا طريق النجاه، دائمه الاشتغال بمجاهده النفس، و المراقبه، لا يأكل و لا يشرب و لا يلبس و لا يستعمل كل ما يجلب من بلاد غير المسلمين حتى القرطاس و المداد و يترك المشتبهات، و يزهده فى كثير من المباحات، و يعمد غالبا إلى اجتناب الأطمعه اللذيذه، و الألبسه الجيده، و الأفرشه الوثيره، فكان يأكل الجشب و يلبس الخشن، و يفترش ما يصنع من سعف النخل، أما فى المساجد و الأماكن التى يحرز طهارتها فطالما افترش عباة و جلس عليها تواضعا، و كان لا يعتنى بمظهره و لا يهتم بخياطه ملابسه و لونها مما يجعل شكله أشبه بالفقراء و الغرباء و أعراب البوادي، فقد كان يعمد إلى ذلك مخالفه للنفس و تواضعا لله و عباة، و بغضا للظهور، مع المحافظه على الآداب الشرعيه، فقد كان مواظبا على نظافه جسمه و ملابسه على بساطتها فهو نظيف الملبس طاهر الثياب.

و قد كان شديدا فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، لا تأخذه فى الله لومه لائم، لا يعرف المجامله و المداهنه فيما يعود إلى الدين، و لا- يشتري رضا المخلوق بسخط الخالق مطلقا، أما الغيبه بل الحديث فى غير ما يصلح شئون الآخره فلم يعرفها طيله عمره، و لم تسمع منه، فان نطق بين الناس فلا يعدو حديث العلم و نحوه مما لا علاقه له بشئون الدنيا، و ان اختلى و اعتزل اشتغل بالتأليف أو قراءه القرآن و الذكر، أو التفكر فى ماله.

و قد اشتهر فى ذلك بين الخواص و العوام و اتفقت كلمه أهل العلم و الدين من العرب و الفرس و سائر طبقات النجف على أنه أروع و أتقى و أعدل علماء عصره، حتى لم يوجد بين الناس من يشك فى ذلك أو يناقش فيه، و قد لقب بالزاهد فكان يعرف بذلك بين بعض الناس. و كان يقيم الجماعه فى مسجد الهندى فتاتم به الجموع الغفيره و يتسابق إلى درك صلاته صفوه العلماء و أهل الفضل، و نخبه الصلحاء و المعروفين بالتقوى و النسك و العباة، و قد غطت شهرته بالزهد و الصلاح مكانته العلميه و مقامه الشامخ فى الفقه و الاجتهاد، و المؤسف أن هذا الظن قد تسرب إلى بعض الأفاضل من الأعلام و تحول إلى

اعتقاد عند البعض الآخر، و مرجعه سكوته الطويل و عدم حبه للظهور و الادعاء أو الدعوه إلى النفس فقد كان قليل الكلام جدا  
يجيب على قدر السؤال متى سئل، و لا يبدأ جليسه بالكلام مطلقا في الأمور الخاصه فضلا عن الخوض في الأحاديث العامه، و  
نشا بين أهل العلم جيل لم يسمع عنه غير الزهد فظنه كل ما يزين الرجل، و قد عشنا معه السنين الطوال و عرفنا مكانته جيدا.

و كان شديد الصبر إلى حد لم يألفه أهل هذا الزمان، فقد توفي ولده في النجف فلم يجزع، و لما عاد من دفنه وصله خبر وفاه  
ابنه الآخر في إيران فخر ساجدا لله، و كان مجلس الفاتحه للثنتين، و كان يشكر الله على ما يصيبه من بلاء فيعتقد بأنه اختبار  
للعبد و تمحيص لذنوبه كما هو مفاد جمله من الأحاديث الشريفه، و قد شهد بذلك الجميع في مرضه الذي توفي فيه فقد أصيب  
في المجارى البوليه، و أجريت له عمليه لم تجده و صنع له مجرى بول من خاصرته، و ذهبوا به إلى إيران غير مره فلم ينفعه  
علاج و ظل أسير المرض و رهن المنزل نحو عشر سنين، و كان يزوره الأعلام و الأخيار و المحبون و سائر المؤمنين، فلم يسمع  
منه أحد من زائريه أو ممرضيه من أهل البيت خلال تلك السنين و هو في حاله يرثى لها، كلمه تشم منها رائحه الجزع أو السام،  
أو الشكوى مطلقا، بل كان لسانه يلهج بالحمد و الشكر و الرضا بامر الله و قضائه و قدره، إلى أن اختار الله له دار الإقامه بعد  
العشاء ليله الأربعاء الثاني و العشرين من جمادى الثانيه سنه ١٣٧١.

و برهنت الهيئات العلميه و أهل النجف على اختلاف طبقاتهم عن مدى الفجيعه ببقية السلف الصالح فلبست عليه الحداد و  
حملته على الرؤوس و أغلقت له الأسواق و عطلت الدروس، و دفن في مقبره نظيره في العلم و التقى الشيخ نصر الله الحويزى  
المتوفى سنه ١٣٤٦ في مقبرته الخاصه مقابل مقبره صاحب (الجواهر) في محله العماره حسب وصيه الحويزى فقد كان أوصى  
ولده الشيخ محمد طه بدفن القمى معه في داره، و نفذت الوصيه كذلك، و كانت بين القمى و الحويزى علاقته وثيقه و ثقه  
متبادله و إحاء في الله تعالى، فقد غسل المترجم له المرحوم الحويزى بيده و كفنه و صلى عليه و ألحده في قبره و دفن أخيرا  
معه.

و قد أقيمت له الفواتح العديده في النجف و غيرها من مدن العراق و ايران و باقى البلدان الإسلاميه، من قبل العلماء و الهيئات و  
باقى الطبقات و استمرت مده طويله، و رثاه بعضهم و أرخ وفاته السيد محمد حسن آل الطالقانى بقوله:

راع ذوى الفضل مصاب به هز عمود الدين هولاً فمال

و أظلم الكون على فقد من نموذجاً قد كان بين الرجال

و الناس ضجت لمصاب له هدت من الحزن رواسى الجبال

و الكل منهم قد غدا سائلاً: و ليس ثم من يجيب السؤال

هل فقد الدين عميداً له؟ أرخ أجل و غاب بدر الكمال

ترك مؤلفات قيمه منها: (تنوير المرآه) فى شرح أسانيد الكافى و بيان أحوال الرجال المذكورين فى سند أحاديثه على ما أورده  
العلامه المجلسى فى (مرآه العقول) رأيت منه مجلداً بخطه قبل سنين طويله، و كان قد وصل إلى باب الكفاف من أصول

الكافى، و مشغولا ياتمامه و خرج منه بعد ذلك كراريس وقفت عليها بعد وفاته و لم يوفق لإتمامه، و (سراج المبتدى) فى شرح  
(بدايه الهدايه) للشيخ الحر العاملى، رأيت عنده بخطه قطعه منه من أول التجاره إلى أحكام الرضاع متفرقه فرغ منها فى سنه  
١٣٤٣ ثم أتم مبيضته فى التاريخ إلى آخر الديات، و خرج منه من أبواب العبادات كراريس

ص: ١٥٢

قليله لكل باب كراس غالبا رأيتها بخطه بعد وفاته و (شرح التبصره) مبسوط في أربع مجلدات، الأول من الطهاره إلى النهى عن المنكر، و الثاني من المتاجر إلى آخر الوصايا، فرغ منه في سادس ذى القعدة سنه ١٣٢١ و على ظهره إجازة مفصله له من الشيخ عباس القمى تاريخها سنه ١٣٢٢.

و الثالث النكاح، و الرابع الطلاق، و سماه كتاب الفراق بأنواعه، و قد كتب الجميع على الورق الإسلامى المجلوب من بخارا، و الذى كان السلف الصالح و العلماء الأتقياء يحرصون على استعماله دون سواه، فرغ من كتاب الطهاره فى سنه ١٣٢١. و من الجميع فى سنه ١٣٢٦ ثم شرح كتابى الصلاه و الحج ثانيه أبسط من الشرح الأول و فرغ منهما فى سنه ١٣٣٢، و له (صلاه المسافر) تام فرغ منه فى تاسع جمادى الأولى سنه ١٣١٨ و (الغواشى عن بعض شبهات الحواشى) و (مجموعه كشكوليه) على الشكل البياضى المألوف قديما، استنسخ فيها (فصل القضاء) و غيره من فوائد متفرقه، و (مصباح الأنيس) فى تعريب (أنيس التجار) و (تدوين حواشى الوسائل) فقد عثر فى الكاظميه على نسخه الأصل من (الوسائل) بخط صاحبها الشيخ الحر، و عليها حواشى منه بخطه أيضا فدونها مستقلا فى سنه ١٣٤١ و له تقارير درس أستاذه الهمدانى فى الأخلاق، و الرشتى و غيره من مشايخه فى الفقه و الأصول و الحديث، كلها كراريس متفرقه، و له آثار أخرى متفرقه فى مواضيع مختلفه، و قد وقفت على الجميع بعد وفاته عند ولده الفاضل الشيخ موسى القمى.

### على نقى بن محمد بن سليمان التكنابى الشهير بالمجتهد

(السليمانى).

ولد حدود ١٢٨٠ و توفى ١٣٤٢.

ولد فى سليمان آباد من ضواحي تنكابن و نشأ فى حجر أبيه الميرزا محمد التكنابى صاحب قصص العلماء - و فى السابعة من عمره انصرف إلى تعلم الصرف و النحو و المعانى و البيان و بعد إتمامها دخل المدرسه السليمانيه فى سليمان آباد و قرأ المقدمات و السطوح و حضر مده على أبيه ثم ذهب إلى طهران و حضر بحث الميرزا محمد حسن الأشتيانى و فى حدود ١٣٠٨ ذهب إلى النجف الأشرف و حضر عند أعلامها. و حضر برهه من الزمان بحث الميرزا الشيرازى و فى حدود ١٣١٥ رجع إلى موطنه و حصلت له مرجعيه و أصبح موثوقا عند الخواص و العوام و قام بالتدريس و التأليف إلى أن توفى بها له مؤلفات عديده فى الفقه و الأصول تبعثرت و تفرقت بعد وفاته و لم اطلع عليها. (١)

### ميرزا على ثقه الإسلام ابن موسى.

ولد فى تبريز سنه ١٢٧٧ و استشهد سنه ١٣٣٠.

درس على أبيه و جده ثم سافر إلى العراق حيث تابع دراسته على علمائه فى الفقه و الأصول و الحكمة و الأدب و الرياضيات. ثم عاد إلى تبريز و عند ما احتل الروس تبريز سنه ١٣٢٧ قاومهم و تصدى لهم و واصل تحريض الشعب عليهم فى الجريده المحليه، و توجيه الرسائل إلى رئيس الأركان الروسى، و لما جاء عيد النوروز دعا الشعب إلى اعتباره يوم حزن لا يوم سرور. كما نظم القصائد الفارسيه الوطنيه الحماسيه فى الدعوه لمقاومه الاحتلال، مما أدى فى النهايه إلى أن يحكم الروس عليه بالاعدام شنقا، و

نقد الحكم يوم عاشوراء من سنة ١٣٣٠.

له مؤلفات منها: رساله لالان و لاحقه آن. مقتل سيد الشهداء. و كتاب عن مؤلفات علماء الشيعة، و حتى استشهاده كان لا يزال مشغولا بتأليفه.

## سديد الملك أبو الحسن على بن مقلد بن نصر بن منقذ

مؤسس إماره بنى منقذ فى شيزر(٢):

شهدت بلاد الشام فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر ميلادى) قيام عدده أمارات مستقلة لعبت دورا هاما فى تاريخ المنطقة، فكان فى حلب آل مرداس، و فى طرابلس آل عمار و فى صور آل بنى أبى عقيل.. ثم قامت إماره بنى منقذ فى شيزر على يد مؤسسها سديد الملك أبى الحسن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى، فى الربع الأخير من القرن الخامس الهجرى.

و فى هذه المقالة سنتعرف على الأمير سديد الملك و جهوده فى تأسيس تلك الاماره:

كان سديد الملك مقيما فى حلب أيام أميرها تاج الملوک محمود بن نصر المرداسى المعروف بابن الروقليه. و نقرأ اسمه لأول مره فى حوادث سنة ٤٦٠هـ، و هو يتولى أمر استلام حصن "أسفونا" من أحد أمراء المغاربه و تسليمه إلى تاج الملوک. و يظل مقيما فى حلب حتى سنة ٤٦٤هـ، حيث رحل عنها هربا من تاج الملوک، حين أحسن أنه يريد القبض عليه و قتله، كما فعل بغيره من أصحابه. و كان سديد الملك أخوا تاج الملوک من الرضا، و قد غلب حب الدنيا على تاج الملوک و رغب فى جمع المال، فلجا سديد الملك إلى مكان يدعى "خريه الفايا" و اجتمع فيه بقائد يدعى أبى حرب - و كان صاحب سر تاج الملوک و نديمه - و لابن منقذ إحسان كثير عليه و صنائع جمه، و قال له:

"قد استشعرت من تاج الملوک فانظر ما عمله معى". فقال أبو حرب: أ تكلفنى أن يقول الأمير: أريد أقبض على فلان، فأخبرك بذلك! لا، و الله، و لكن أنا أنفذ إليك مع عجوز عندى ألفى دينار، فإذا نفذت طلبتها منك فشأنك و نفسك".

فبقيت تلك الدنانير عند سديد الملك مده ثم أرسل أبو حرب العجوز يطلبها، و كان سديد الملك قد أصلح نفسه للسفر، فدفع الدنانير للعجوز، و ركب من يومه، و خرج من حلب إلى معره النعمان و كفر طاب فاستصحب منهما ما أراد.

و أرسل إليه أحد أصحابه - و يدعى ابن الدوح - يسأله الاجتماع به فاجتمعا، فقال ابن الدوح: ما رأيك فى الدخول إلى حلب؟ فقال سديد الملك: ما أقول لك شيئا لأن لك مالا عظيما، فان أشرت عليك بتركه كنت ملوما عندك، و لكنى أقول لك ما أعمل و أنت ترى رأيك. و الله لا نظرت محمودا أبدا. فعاد ابن الدوح إلى حلب خوفا على أمواله، و لكن تاج الملوک كان له بالمرصاد فقتله و لم يمهله.

سار سديد الملك إلى طرابلس فأقام عند قضاتها و أمرائها من بنى عمار. فكتب تاج الملوک محمود إلى أمين الدوله ابن عمار صاحبها يأمره بالقبض عليه و يبذل له ثلاثه آلاف درهم و رقيه فلم يظفر به. و كاتب تاج الملوک أمين الدوله و أخاه فى تسليم سديد الملك فلم يستجيبا لرغبته و تنكرا له.

و كان سديد الملك يعتمز ركوب البحر و الانتقال إلى مصر، فصادف أن توفي أمين الدوله ابن عمار فى تلك السنه ٤٦٤ هـ، فوقف إلى جانب ابن أخيه جلال الملك ابن عمار، و عاضده بمماليكه و من خرج معه من أهل كفر طاب فاخرجوا أنا أمين الدوله. و أصبح جلال الملك الحاكم على

ص: ١٥٣

---

١- الشيخ محمد السامى.

٢- هى اليوم انقاض مدينه سوريه على نهر العاصى شمالى مدينه حماه، فيها قلعه مشهوره..



المدينه، و بذلك عظم محل سيد الملك عنده حتى كان يشركه معه فى الحكم.

و عاد تاج الملوک صاحب حلب يكاتب سيد الملك و يطيب قلبه و هو لا يثق بذلك. و لجا إلى الاحتيال فى استقدامه للفتك به، فأوعز إلى كاتبه أبى النصر محمد بن الحسين أن يكتب اليه كتابا يشوقه فيه و يستعطفه و يستدعيه اليه. و فهم أبو النصر الغرض الحقيقى من ذلك الكتاب، و كان صديقا لسيد الملك، و لكنه كان مكرها على كتابه الكتاب فكتبه كما أمر به تاج الملوک حتى إذا بلغ قوله: "إن شاء الله تعالى" شدد النون فى إن و فتحها فجعلها (إن) و أنفذ الكتاب. فلما وصل إلى سيد الملك قرأه ثم عرضه على ابن عمار صاحب طرابلس و من فى مجلسه من الخواص فاستحسنوا عبارته الكتاب و استعظموا ما فيه من رغبته تاج الملوک فى سيد الملك و إيثاره قربه، فقال سيد الملك: "إنى أرى فى الكتاب ما لا ترون". ثم أجابه على الكتاب بما اقتضاه المقام و كتب فى جملة ذلك:

"أنا الخادم المقر بالأنعام"، و كسر همزه أنا و شدد نونها فصارت "إننا".

فلما وصل الكتاب إلى تاج الملوک و وقف عليه أبو نصر الكاتب، سر بما رأى فيه و قال لأصدقائه: قد علمت ان الذى كتبه لا يخفى على سيد الملك.

و كان أبو نصر قد قصد بتشديد نون (إن) الإشارة إلى الآية: (إن الملائمات يأترون بك ليقتلوک)، فأجابه سيد الملك بتشديد (إننا) إشارة إلى الآية: (إننا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها). و لما يئس تاج الملوک من عوده سيد الملك استولى على جميع ممتلكاته.

و هناك حكاية أخرى تثبت ذكاء سيد الملك و معرفته الواسعه باللغه و النحو، فقد ذكر عنه أنه كان مع شرف الدوله مسلم بن قريش صاحب الموصل على حصار حلب فى سنة ٤٧٢ هـ، أيام صاحبها "سابق بن محمود"، و كان الحصار قد طال حتى أن سيد الملك سئم ذلك و أراد أن ينفصل عن سور حلب و فيما هو يهيم فى ذلك إذ بصديق له من أهل الأدب يصل اليه و هو عند السور، فقال له سيد الملك: "كيف أنتم" فقال الرجل: "طول جب" خوفا من تفسير الكلمه. فعاد سيد الملك و هو يقلب هذا الكلام فصح له أنه قصد بكلامه أنهم قد ضعفوا، و أوجس أنهما كلمتان و أن قوله "طول" يريد به "مدا" و "جب" يريد به "بير" فقال:

"مدا بير و الله". و أخبر شرف الدوله بذلك فتوطد العزم عنده على الاستمرار فى الحصار حتى امتلك حلب، و أقطع سابق بن محمود مواضع فى أعمال الرحبه، و عزم على الزواج من أخته بنت تاج الملوک فكان سيد الملك سفيرا بينهما و تم الأمر على يديه.

و مكافاه له على موقفه، فقد وعده شرف الدوله خيرا و قال له: "امض فى دعه الله فانا سائر فى بلادى، و يجب أن تصلح حالک فانا أصل و أبلغك كل ما تؤثره". و لكن هذا الوعد لم ينجز إذ دخل وزير شرف الدوله حلب و صادر أموالها و ضاعف الخراج على أهلها، فانتقل سيد الملك إلى قلعه الجسر و عمرها و أخذ يضايق شيزر و بها أسقف البار و ضيق عليه إلى أن راسله و اشتراها منه، و استحلفه على أشياء اشترطها عليه.

و حول استيلاء سيد الملك على شيزر يذكر ابن الصابى أنه وقف على كتاب بخطه يقول فيه: "كتابى هذا من حصن شيزر، و

قد رزقني الله تعالى من الاستيلاء على هذا المعقل العظيم ما لم يتأت لمخلوق، و من دون هذا الحصن بيض الأنوق، و من وقف على حقيقه الحال علم أنى هاروت...

إننى أفرق بين المرء و زوجته، و أستنزل القمر من محله، و أجمع بين الذئب و الغنم. إنى نظرت إلى هذا الحصن و رأيت أمرا يذهل الألباب و يطيش العقول، يشبع ألف رجل ليس عليه حصار و لافيه حيله لمحتال، فعمدت إلى تل منه قريب يعرف بتل الحسن فعمرته حصنا و جعلت فيه عشيرتى و أهلى، و كان بين التل و شيزر حصن يعرف بالخراص فوثبت عليه و أخذته بالسيف، و حين ملكته أحسنت إلى أهله و لم أكلفهم إلى ما يعجزون عنه، و خلطت خنازيرهم بغنمى و نواقيسهم بأصوات المؤذنين عندى، و صرنا مثل الأهل مختلطين. فحين رأى أهل شيزر فعلى من الروم آنسوا بى و صاروا يجيئونى من واحد و اثنين إلى أن حصل عندى نحو نصفهم، فأجريت عليهم الجرايات و مزجتهم باهلى و حریمهم بحریمی و أولادهم مع أولادى، و أى من قصد حصنهم أعتتهم عليه. و حصرهم شرف الدوله مسلم بن قريش فاخذ منهم عشرين رجلا فقتلهم، فدمست إليهم عشرين عوضهم، و لما انصرف عنهم جاءوا و قالوا: نسلم إليك الحصن. فقلت: لا، ما لهذا الموضوع خيرا منكم. و جرت بينهم و بين واليهم نبوه فنفروا منه و جاءوا إلى و قالوا: لا بد إليك. فسلموه و نزلوا منه و حصلت فيه و معى سبعمائنه رجل من بنى عمى و رجالى و حصلوا فى الریض و لم يأخذ لواحد منهم درهم فرد، و أعطيتهم مالا- له قدر، و خلعت على مقدميهم و أعطيتهم واجباتهم بسته أشهر، و قمت باعيادهم و نواقيسهم و صلبانهم و خنازيرهم. و سمع بذلك أهل برزیه و عين تاب و حصون الروم فجاءتنى رسلهم و رغب كلهم فى التسليم إلى. فبينما أنا على ذلك الحال إذ شنت على الغارات و جيشت نحوى الجيوش من ناحیه مسلم بن قريش غيظا منه لم تسلمت حصن شيزر بعد أن حلف لى قبل ذلك إننى إذا أخذت حصن شيزر أنه لا يقود إلى فرسا و لا يبعث جيشا، و بالله أقسم لئن لم ينته عنى لأعيده إلى الروم و لا أسلمه اليه و لا إلى غيره أبدا".

و كان أخذ سديد الملك لثيزر فى ليله الأحد منتصف شهر رجب سنة ٤٧٤ هـ، و وفى للأسقف بكل ما عاهده عليه، فثقل ذلك على شرف الدوله و داخله الحسد و سير اليه جيشا لينتزع شيزر منه، ثم جاءها بنفسه فى آخر المحرم سنة ٤٧٥ هـ، و لكن سديد الملك صرفه عنها بعد أن حمل اليه مالا.

و فى نزول شرف الدوله مسلم على شيزر و قتاله حصن الجسر يقول ابن المهذب المعرى:

أ مسلم لا سلمت من حادث الردى و زرت و زيرا ما شددت به أورا

ربحت و لم تخسر بحرب ابن منقذ من الله و الناس المذمه و الوزرا

فمت كمدا "فالجسر" لست بجاسر عليه، و عاين شيزرا أبدا شزرا

و هكذا أسس سديد الملك إماره بنى منقذ فى شيزر حتى توفى بين سنتى ٤٧٥ و ٤٧٩ هـ.

كان سديد الملك حسبما وصفه "العماد الأصبهاني" فى "الخریده": "من الطبقة الأولى، جد الجماعه، موفور الطاعه، أحكم أساس مجده و شادها، و فضل أمراء ديار بكر و الشام و سادها، ذو المجد الباذخ، و الجد الشامخ، و المحتد الراسخ، و الفطنه و اللسن، و المنظر الحسن، و النظم الذى هو ألد عند المسهد من لذيد الوسن، و هو من جلالته فى النفوس، و منزلته عند الرئيس و

المرءوس، ممدوح فحول الشعراء و منهم ابن حيوس.. فالأمير أبو الحسن علي، له فضل جلي، و شعر كأنه في نضارته حلي، و هو وفي بعلمه ملي، قديم العصر من الطبقة الأولى، لكن رأيت ذكر مثله أولى، فأدبه في سوق الفضائل أروج و أعلى، و نسبه عند الأفاضل أبهج و أعلى، و سأورد من شعره ما سدت عليه يدي، و هو منتفحى و منتقاي و منتقدي..".

من شعره قوله:

ما ذا النجيع بوجنتيك و ليس من شدخ الأنوف على الخدود رعاف

ص: ١٥٤

ألاحظنا جرحتك حين تعرضت لك، أم أديمك جوهر شفاف؟

وله:

إذا ذكرت أياديك التي سلفت مع سوء فعلى و زلاتى و مجترمى

أكاد أقتل نفسى ثم يمنعنى علمى بانك مجبول على الكرم

و كان مره راكبا مع جماعه فنزلوا بروضه فيها الشقائق و الأفيوان فاستحسنوها، فقالوا: تعالوا ننظم فيه شعرا، ثم قالوا له: ابدأ أنت.

فقال:

كان الشقائق و الأفيوان حدود تقبلهن الثغور

فهايتك يخجلهن الحياء و هايتك يضحكهن السرور

و من شعره:

بكرت تنظر شيبى و ثيابى يوم عيد

ثم قالت لى بهزه: يا خليقا فى جديد

لا تغالطنى فما تصلح إلا للصدود

و كان سديد الملك مقصودا ممدوحا من الشعراء و خاصه أثناء سنوات إقامته فى طرابلس، فقد مدحه الشاعر الدمشقى ابن الخياط صاحب الديوان، و الشاعر الخفاجى، و شرف الدين بن الحلاوى شاعر الموصل، و ابن مزاحم الصورى الذى أنشده بعد نزوله فى طرابلس فى شهر جمادى الأولى سنة ٤٦٤ هـ، و أبو يعلى الأفساسى الذى أنشده بطرابلس أيضا فى ٢١ شوال سنة ٤٦٤ هـ، و عبد الله بن الدويده المعرى و كان قد كتب لسديد الملك حين وفد عليه الشاعر ابن الخيشى فى طرابلس:

يا على بن منقذ يا هماما حين يدعى الوغى يعد بجيش

قد أتاك الخيشى فى وسط آب بقريض يغنيك عن بيت خيش

و كتب ابن الخيشى و هو فى طرابلس هذه الأبيات لسديد الملك بعد أن خرج منها.

إنى و حقك فى طرابلس كما تهوى العدى تحت المقيم المقعد

أما "المحرم" فد حرمت نجاز ما وعدوا و فى " صفر " فقد صفرت يدى

قالت لى العلياء لما أن سقوني كاس مظلهم سكرت فعربد

و عند ما نزل سديد الملك طرابلس التقى فيها بالشاعر ابن حيوس، صاحب الديوان، و كان يميل إلى الفاطميين، فنصححه سديد الملك أن يغادر المدينة إلى حلب و يقصد تاج الملوك محمود لأن بنى عمار لا يميلون إلى الفاطميين، و عند ما رحل إلى حلب كتب إليه قصيده أولها:

أما الفراق فقد عاصيته فأبى و طالت الحرب إلا أنه غلبا

أراني البين لما حم عن قدر وداعنا كل جد بعده لعبا

و كان بين سديد الملك و جلال الملك بن عمار صاحب طرابلس موده أكيدة. و قد لعب دورا مؤثرا فى وصول جلال الملك إلى حكم إماره طرابلس. و يسجل سديد الملك محبته لجلال الملك بعد مغادرته طرابلس بقوله:

أحبابنا لو لقيتم فى مقامكم من الصبابه ما لاقيت فى ظعنى

لأصبح البحر من أنفاسكم يبسا كالبر من أدمعى ينشق بالسفن

و من دلائل الروابط الأسريه الحميمه التى كانت تربط بين الأميرين أن الأمير نصر بن سديد الملك كان سفيرا لجلال الملك إلى الأمير حصن الدوله حيدره بن منزو الكتامى الذى كان واليا على دمشق حيث خطب منه ابنته لجلال الملك و أحضرها من دمشق إلى طرابلس لما تزوجها. و جاء فى "ذيل تاريخ دمشق" لابن القلانسي، أن سديد الملك ممن ينسب إلى عمل الشعر، و كان من أبلغ أهل الشام فى معرفه أهل اللغه و النحو، و كان بينه و بين ابن عمار صاحب طرابلس موده و كيده و مكاتبات، و سببه أنه كان له مملوك يسمى "رسلان" و كان زعيم عسكره، فبلغه عنه ما يكره، فقال له: اذهب عنى و أنت آمن على نفسك، فقصد ابن عمار إلى طرابلس و سأل أن يسال سديد الملك فى ماله و حرمه، فسأله، فأمر باطلاقهم. و كان قد اقتنى مالا كثيرا، فلما خرج الرسول بالمال و الحریم لحقه سديد الملك فظن أنه قد بدا له أمر، فقال الرسول: غدرت بعبدك و رغبت فى ماله؟ فقال له: لا- و الله، و لكن لكل أمر حقيقه.. حظوا عن الجمال و البغال أحمالها، فحطوا، فقال: أبصروا ما عليها. فنظروا، فإذا فى قدور النحاس خمسه و عشرون ألف دينار، و من المتاع ما يساوى مثلها و زياده، فقال سديد الملك للرسول: أبلغ ابن عمار سلامى و عرفه بما ترى لئلا يقول رسلان أننى أخذت ماله. ثم قام سديد الملك بزياره جلال الملك و أقام عنده مده.

و ذكر ابن تغرى بردى أنه كان لسديد الملك ديوان شعر مشهور و لكن ضاع على ما يبدو. و كان من الشخصيات الفذه فى عصره، و قد قيل فيه انه لو جعل إقامته بمصر بدلا من طرابلس لكانت الدوله الفاطميه فى قبضته.

و حول هذا ينقل "ابن العديم الحلبي" فى مخطوطه "بغيه الطلب فى تاريخ حلب" من خط سديد الملك قوله:

"و الأمير سديد الملك مقيم بالجسر لعلمه أن الدار قد أعضل. و كان سبب ذلك أن الأمير بهاء الدوله ابن الملك فنا خسرو، و هو خاله، قد نزل مصر لما تولى ابن أخته حلب، و كانت جاريته قد اعتقلها أمير الجيوش بدر بمصر و أراد أن يضرب رقبتها لأنها كانت أوفى طبقه فى الغناء، فكان الأمراء بمصر يتقاتلون عليها، فقتل من أجلها عده من الأمراء، فقال فنا خسرو ولسابق بن

محمود صاحب حلب: ما يقدر أحد أن يخلص جاريتي و أولادى إلا الأمير سديد الملك فأننى رأيت له بمصر صيتا وافيًا، و قال من بها: لو جعل مقره بمصر عوض طرابلس كانت الدوله فى قبضته، فثقل على الأمير، إلى أن كتب و سير إلى أمير الجيوش فى أمر الجاربه. فقال: و الله ما أردت أخرجها أبدا من الحبس و لكن لا أرد مسأله ذلك المحتشم. فسيرها إلى طرابلس إلى دار جد سديد الملك، فأحضرها إلى حلب و معها ابناها.

و قد سئل الأمير أسامه بن منقذ صاحب كتاب "الاعتبار" عن وفاه جده سديد الملك فقال مات سنه ٤٧٥ و قيل توفى سنه ٤٧٩ هـ. (١)

قال الذهبى فى (سير اعلام النبلاء):

كان بطلا شجاعا جوادا فاضلا، أول من ملك شيزر من بيته لانه كان نازلا فى عشيرته هناك و الحصن فى يد الروم فنازلهم و تسلمه بالأمان فى سنه اربع و سبعين، و دام لبنيه حتى تهدم من الزلزله سنه اثنتين و خمسين و خمس مائه، و هلك من بالحصن من آل منقذ فعمره نور الدين.

و كان لسديد الملك نظم رائق و فطنه و ذكاء، و مات فى الزلزله حفيده تاج الدوله محمد بن سلطان.

توفى سديد الملك سنه بضع و سبعين و أربع مائه.

### على بن المقرب الاحسائى:

مرت ترجمته فى مكانها، و ننشر هنا بعض أشعاره:

أ تدرى اللىالى اى خصم تشاغبه و أى همام بالرزايا تواتبه

ص: ١٥٥

١- عمر تدمرى.

تجاهل هذا الدهر بي فتكتبت على بأنواع البلايا كتائبه

و ظن محالاً أن أدين لحكمه لتبك على عقل المعنى نوادبه

و انى، و ان ابدى اصعرا را بخده و أوجف بي، و ازور للبعض جانبه

لأغضى على بغضائه و ازوراره و أعجب من حر كريم يعاتبه

و أستقبل الخطب الجليل بثاقب من العزم يعلو لاهب النار لاهبه

و رأى متى جردته و انتضيته وجدت حساما لا تفل مضاربه

و قال:

خفاف إلى داعى الوغى، غير انهم ثقال إذا خفت مصاعبيها الهلب

إذا الجار أمسى نهبه عند جاره فأموالهم للجار ما بينهم نهب

و أيامهم يومان، يوم لئائل يقول ذوو الحاجات من فيضه حسب

و يوم، تقول الخيل و البيض و القنا به و العدا: قطنا، فلا كانت الحرب

أولئك قومي حين أدعو، و أسرتى و تنجبنى منهم شرامحه غلب

و قال:

و كنت إذا ما أحرق زم أنفه شمخت بانفى عنه، و ازور جانبى

و انى لاحسان الملوك لعائف فكيف ينزر القدر نزر المكاسب؟

و قال:

يا ساكنى الخط و الجرعاء، من هجر هل انتظاركم شيئا سوى العطب

بحت مما أناديكم و أندبكم لخير منقلب عن شر منقلب

فسكتونى بقول لا تفون به قد صرت أرضى بوعده منكم كذب

و قال:

لقد مل جنبى مضجعى من إقامتى و مل حسامى من مجاوره الغمد  
و أقبل بالتصهل مهري يقول لى: أ أبقى كذا، لا فى طراد، و لا طرد  
أ مثلى، من يعطى مقاليد أمره و يرضى بان يجدى عليه و لا يجدى  
يظن نحولى ذو السفاهه و الغبا غراما بهند، و اشتياقا إلى وعد  
و لم يدر انى ماجد شف جسمه لقاء هموم، خيلها أبدا تردى  
قليل الكرى، ماض على الهول، مقدم على الليل، و البداء، و الحر، و البرد  
عدمت فؤادا لا بيت و همه كرام المساعى، و ارتقاء إلى المجد  
لعمرك، ما دعد بهمى و ان دنت و لالى بهند من غرام و لا وجد  
و لكن وجدى بالعلى، و صبايتى بعارفه أسدى، و مكرمه أجدى  
و قال:

صبا شوقا، فحن إلى الديار و نازعه الهوى ثوب الوقار  
و هاج له الغرام غناء و رق هواتف فى غصون من نضار  
رويدا يا حمام بمستهام مشوق منه طول السفار  
و أنتن النواعم بين بان، و خيرى يرف، و جلنار  
فلا و الله ما وجد كوجدى و لا عرف اصطبار كاصطبارى  
و قال:

بعثت تهدد بالنوى و ترعد مهلا، فان اليوم يتبعه غد  
لا تحسبى أن الشباب و شرخه يبقى، و لا أن الجمال يخلد  
عشر، و يخلق شطر حسنك كله و يذم ما قد كان منه يحمد  
فتغنمى عصر الشباب فإنه ظل يزول، و صفو عيش ينفد



و تيقنى أن الشباب لناره حد، و يطفئها المشيب، فتبرد  
و البخل بالشىء المحقق تركه أسف يدوم، و حسره تتجدد  
انكرتنى للشيب و هو جلاله أ و كيف ينكر بالصقال مهند  
أن تنكرى شيبى " أميم " فطالما كنت الأود، و غيرى المتودد  
و لطالما أبصرنتى، فعثرن فى أذياهن الفاتنات النهد  
فاستخبرى فتیان قومك: أيهم يغنى غنائى، أو يقوم و أقعد  
قد احمل العبء الثقيل، و بعضهم فيه يصبوب طرفه، و يصعد  
و أذب عن احساب قومى جاهدا ان ناب خطب، أو عرى مسترفد  
و إذا تشاجرت الخصوم فاننى سيف على الخصم الألد مجرد

### على بن هاشم.

قال الذهبى فى سير اعلام النبلاء:

ابن البريد، الامام الحافظ، الصدوق، أبو الحسن العائذى القرشى مولا هم الكوفى، الشيعى، الخزاز، مولى امرأه قرشيه.

حدث عن: هشام بن عروه، و الأعمش، و ابن أبى ليلى، و يحيى بن أبى أنيسه، و أبى الجحاف داود بن أبى عوف، و إسماعيل بن أبى خالد، و طلحه بن يحيى، و كثير النواء، و أبى الجارود زياد بن المنذر، و عبد الملك ابن أبى سليمان، و العلاء بن صالح، و فطر بن خليفة، و أبى حمزه الثمالى، و خلق سواهم.

و عنه: يونس بن محمد المؤدب، و عمرو بن حماد القناد، و أحمد، و ابن معين، و ابن أبى شيبه، و عثمان أخوه، و محمد بن عبيد المحاربى، و أبو معمر إسماعيل القطيعى و الحسن بن حماد سجاده، و داود بن رشيد، و عبد الله بن عمر بن أبان، و محمد بن قاتل المروزى، و محمد بن معاويه ابن مالج، و خلق كثير.

قال أحمد بن حنبل: ليس به بأس.

و قال ابن معين، و يعقوب السدوسى، و على بن المدينى، و طائفه:

ثقه. و عن ابن المدينى روايه أخرى: صدوق يتشيع.

و قال الجوزجاني: كان هو و أبوه غالين فى مذهبهما.

و قال أبو زرعه: صدوق.

و قال أبو حاتم: كان يثبغ، يكتب حديثه.

و عن عيسى بن يونس قال: هم أهل بيت تشيع، و ليس ثم كذب.

و قال ابن حبان فى الثقات: كان غالبا فى التشيع، و روى المناكير عن المشاهير، هكذا يقول ابن حبان.

قال أحمد بن حنبل: سمعت من على بن هاشم فى سنة تسع و سبعين و مائه مجلسا، ثم عدت إليه المجلس الآخر و قد مات. و هى السنة التى مات فيها مالك.

و قال محمد بن المثنى: مات سنة ثمانين و مائه.

و قال يعقوب بن شيبه و حطين: مات سنة إحدى و ثمانين.

### **جمال الدين أبو الحسن على بن يحيى المخرمي.**

توفى سنة ٦٤٦ و دفن فى تل قريب من الحائر الحسيني.

كان أدبيا عالما فاضلا و شاعرا فذا حافظا للقرآن الكريم. اشتغل بالعلم و الحكمة و ألف كتابا اسماء (انتاج الأفكار) يشتمل على رياضه النفس و مدح العقل و ذم الهوى و له أشعار فى التصوف. (١)

### **على بن موسى بن الحسين، ابن السمسار الدمشقي.**

مرت ترجمته فى الصفحة ٣٥٨ من المجلد الثامن. و نضيف إليها هنا ما يلى:

قال الذهبى فى (سير اعلام النبلاء):

ص: ١٥٦

الشيخ الجليل المسند العالم، حدث عن أبيه و أخيه المحدث أبي العباس محمد و أخيه الآخر احمد. ثم عدد من حدث عنهم، إلى ان وصل إلى الفقيه أبي زيد المروزي فقال: حمل عنه صحيح البخارى. و روى عن خلق كثير، و كان مسند أهل الشام فى زمانه. ثم عد من حدثوا عنه، ثم قال: قال الكتاني: كان فيه تشيع و تساهل. و قال أبو الوليد: فيه تشيع يفضى إلى الرفض، و هو قليل المعرفة، فى أصوله سقم. ثم يقول الذهبى:

مات فى صفر سنة ثلاث و ثلاثين و أربعمائه، و قد كمل التسعين، و تفرد بالروايه عن ابن أبى العقب و طائفه، و لعل تشيعه كان تقيه لا سجيته، فإنه من بيت الحديث، و لكن غلت الشام فى زمانه بالرفض، بل و مصر و المغرب بالدوله العبيديه، بل و العراق و بعض العجم بالدوله البويهيه، و اشتد البلاء دهرًا و شمخت الغلاه بأنفها، و تواخى الرفض و الاعتزال حينئذ، و الناس على دين الملك، نسأل الله السلامه فى الدين. (انتهى).

هذا هو أسلوب الذهبى دائما، و هذه هى ذهنيته، و لم يبال فى عصبيته العمياء من ان ينسب العمل بالتقيه إلى علماء السنه، و قد كان هو و أمثاله يعيبون على الشيعة و يشنعون لاستعمالهم التقيه.

على ان الذهبى الناصبى مفتر فى نسبه التقيه إلى المترجم، و لو لم يكن الرجل شيعيا مخلصا لما تظاهر بالتشيع، لانه لم يكن بحاجة إلى ذلك فى عصر الفاطميين الذين يسميهم الذهبى (العبيدين)، فقد كانوا يكرمون العالم لعلمه و لا يهتمهم المذهب الذى ينتمى اليه. و الذهبى نفسه يعترف بذلك، فهو حين يترجم لأحمد بن محمد الجروانى و يصفه بالإمام العلامه المحدث الحافظ المفتى يقول: "قال عبد القادر الرهاوى: كان له عند ملوك مصر الجاه و الكلمه النافذه مع مخالفته فى المذهب - يريد عبد القادر: الملوك الباطنيه المتظاهرين بالرفض".

و هكذا - باعتراف الذهبى لم يكن للعالم المخالف للفاطميين فى المذهب الحريه الكامله فقط، بل كان له عندهم الجاه و الكلمه النافذه أيضا، و من يكون هذا شأنهم لا يحتاج (ابن السمسار الدمشقى) لأن يتقى منهم.

و إذا كان الذهبى يمثل هذا النصب و العصبية و هو يعيش فى العصور المظلمه، فان (الدكتور) بشار عواد و (الدكتور محيى هلال السرحان) محققى كتابه اللذين يعيشان فى الربع الأخير من القرن العشرين و يحمل كل منهما لقب (الدكتور) لم يكونا أقل منه نصبا و عصبية، فقد علقا فى الحاشيه على كلمه (ملوك مصر الباطنيه) و فسراها بقولهما: يعنى الملوك العبيدين المعروفين عند بعض المؤرخين خطأ بالفاطميين.

### الأفضل أبو الحسن على بن يوسف صلاح الدين الايوبى.

مرت ترجمته فى الصفحه ٣٧١ من المجلد الثامن و نزيد عليها هنا ما ذكره الذهبى فى كتابه (سير اعلام النبلاء):

تملك دمشق، ثم حاربه العزيز أخوه و قهره، ثم لما مات العزيز أسرع الأفضل إلى مصر، و ناب فى الملك و سار بالعسكر المصرى، فقصده دمشق و بها عمه العادل، قد بادر إليها من ماردين قبل مجيء الأفضل بيومين، فحصره الأفضل، و أحرق الحواضر و البساتين، و عمل كل قبيح، و دخل البلد، و ضجت الرعيه بشعاره، و كان محبوبا(١)، فكاد العادل ان يستسلم، فتماسك، و شد أصحابه على أصحاب الأفضل فاخرجوهم.

ثم قدم الظاهر و معه صاحب حمص، و هموا بالزحف فلم يتهياً أمر. ثم سفل أمر الأفضل و عاد إلى صرخد، ثم تحول إلى سميساط و قنع بها. و فيه تشيع بلا رفض، و له نظم و فضيله، و اليه عهد أبوه بالسلطنه لما احتضر، و كان أسن إخوته، و هو القائل في عمه العادل:

ذى سنه بين الأنام قديمه أبدا أبو بكر يجور على على

(٢) مات الأفضل فجاه بسميساط في صفر سنه اثنتين و عشرين و ست مائه، و هى قلعه على الفرات قريبه من الكختا و قد دثرت الآن.

عاش ستا و خمسين سنه، و له ترسل و فضيله و خط منسوب. قال عز الدين ابن الأثير: و كان من محاسن الدنيا، لم يكن له فى الملوک مثل.

كان خيرا عادلا فاضلا حلما كريما رحمه الله تعالى.

### عمرو بن دينار الجمحى مولاهم المكى الاشم.

وصفه الذهبى فى سير اعلام النبلاء بالإمام الكبير الحافظ أحد الاعلام و شيخ الحرم فى زمانه. ولد فى امره معاويه و سمع من ابن عباس و جابر بن عبد الله و ابن عمر و أنس بن مالك و عبد الله بن جعفر و أبى الطفيل و غيرهم من الصحابه، و كان من كبار التابعين أفتى بمكه ثلاثين سنه و كان من اوعيه و أئمه الاجتهاد.

قال شعبه: ما رأيت فى الحديث اثبت من عمرو بن دينار، و قال ابن عيينه: كان عمرو لا يدع إتيان المسجد، كان يحمل على حمار ما ركبه الا و هو مقعد، و كان يقول: أخرج على من يكتب عنى فما كتبت عن أحد شيئا، كنت أتحفظ. قال كان يحدث بالمعنى، و كان فقيها. قال عبد الله بن أبى نجیح: ما رأيت أحد [أحدا] قط أفقه من عمرو بن دينار، و لا عطاء و لا مجاهدا و لا طاوسا.

و قال ابن عيينه: عمرو ثقة ثقة ثقه، قال كان عمرو من أبناء الفرس.

قال يحيى بن معين: أهل المدينه لا يرضون عمرا يرمونه بالتشيع و التحامل على ابن الزبير، و لا بأس به، و هو برىء مما يقولون.

إسحاق السلولى: حدثنا عمرو بن ثابت، سمعت أبا جعفر محمد بن على الباقر يقول: إنه ليزيدنى فى الحج رغبه لقاء عمرو بن دينار، فإنه يحبنا و يفيدنا.

قال عبد الله بن محمد الزهرى: حدثنا سفيان عن ابن أبى نجیح، قال: لم يكن بأرضنا اعلم من عمرو بن دينار و لا فى جميع الأرض.

روى عبد الله بن احمد بن حنبل عن أبيه عن سفيان قال: كان عمرو بن دينار جزأ الليل ثلاثه اجزاء، ثلثا ينام، و ثلثا يدرس حديثه، و ثلثا يصلى.

هارون بن معروف، حدثنا سفيان، قلت لمسعر: من رأيت أشد تثبتا في الحديث ممن رأيت؟ قال: ما رأيت مثل القاسم بن عبد الرحمن و عمرو بن دينار.

قال احمد بن حنبل: كان شعبه لا يقدم على عمرو بن دينار أحدا لا الحكم ولا غيره في الثبت، قال: و كان عمرو مولى هؤلاء و لكن الله شرفه بالعلم.

قال ابن أبي عمر: سمعت سفيان يقول: ما كان اثبت عمرو بن دينار.

ص: ١٥٧

---

١- هذه متناقضات في قول الذهبي، فكيف يجتمع حرق الحواضر و البساتين و عمل كل قبيح، مع كونه محبوبا تضج الرعيه بشعاره، و مع الصفات التي يذكرها عنه ابن الأثير كما ستراه؟! و لعل هناك غموضا في تعبير الذهبي و ان الضمير في (حرق) و (عمل) يعود إلى العادل.

٢- اسم العادل: أبو بكر "ح".

إبراهيم بن بشار عن سفيان، قال: قيل لإياس بن معاوية: أي أهل مكة أفقه؟ قال: أسوؤهم خلقا عمرو بن دينار الذي كنت إذا سأله عن حديث يقلع عينه.

نعيم بن حماد: حدثنا ابن عيينه، قال: ما كان عندنا أحد أفقه من عمرو بن دينار ولا أعلم ولا أحفظ منه.

إسماعيل بن إسحاق الطالقاني: سمعت ابن عيينه يقول: قالوا لعطاء: بمن تأمرنا؟ قال: بعمرو بن دينار.

عباس الدوري عن يحيى، حدثني سفيان، قال: قال عمرو بن دينار:

جئت إلى أبي جعفر (الباقر) وليس معي أحد، فقال لأخويه زيد وأخ له:

قوما إلى عمكما فأنزلاه، فقاما فانزلاني (انتهى الذهبي).

### عوف بن أبي جميله أبو سهل الاعرابي البصري.

قال الذهبي في سير اعلام النبلاء: الامام الحافظ، و لم يكن أعرابيا بل شهر به. ولد سنة ٥٨ كان من علماء البصرة على بدعته. قال محمد بن سلام: كان فارسيا، و قال هوده: هو من بنى سعد. قلت كان يدعى عوفا الصدوق، وثقه غير واحد، و فيه تشيع.

قال ابن المبارك: "ما رضى عوف ببده حتى كان فيه بدعتان:

قدرى، شيعى. و قال الأنصارى: رأيت داود بن أبي هند يضرب عوفا و يقول: ويلك يا قدرى. و قال بندار: كان قدريا رافضيا. قلت: لكنه ثقه مكتر [مكتر]. مات سنة ١٤٦.

### الشيخ عيسى بن صالح الجزائري.

ولد في منطقته (الجزائر) التابعه لمدينه البصره و توفي سنة ١٣٥١ في (المحمره) عن عمر ناهز السبعين بعد أن فقد بصره في أواخر حياته و نقل جثمانه إلى النجف الأشرف فدفن هناك و ترعرع و نشأ في البصره ثم سكن قضاء (أبو الخصيب) التابع للبصره و حضر في المقدمات على علماء البصره و فضلائها ثم انتقل إلى مدينه المحمره احدى مدن خوزستان، و أخذ بالحضور على السيد عدنان الغريفي (المتوفى ١٣٤٠) و درس عنده السطوح و الخارج كان مرجعا لأهالى المحمره بعد وفاه استاذه و مربيه السيد عدنان طيله احدى عشره سنه و كانت له صلوات و ثيقه مع علماء و أدباء عصره و كان يتبادل معهم الرسائل النثريه و الشعرية منها ما أرسله اليه الشيخ حمزه قفطان:

تقبيل كفك فضل صدنى الزمن عنه و كم هو لى بالصد يمتحن

يعوق سعى المنى عندى فإوسعها نجحا و يغمز من عزمى فلاهن

ان صدنى دون تشرىفى بقربكم بحيث تنعم فيه العين و الاذن

فلم يحل عن مسير القلب نحوكم و هو التواصل لا ان يقرب البدن  
هذا ولى باليراع العضب معتصم فى مثلها ان ارمت للنوى اللسن  
يترجم الشوق عنى فى صحائفه حتى يكاد عليها ينطق الشجن  
كلفته فقر التسليم عن كذب إليك و هو بما كلفته قمن  
فلم يدع فكره الا الم بها فى النظم و هو على الأفكار مؤتمن  
فجاء يبذل أقصى جهده و له يبذله الجهد عذر وجهه حسن  
مجانب المدح و الإطراء معترفا بالعجز عن نيل ما كلت له الفطن  
و ليس بدعا إذا أعيا عليه و ان امده مدمعى و البحر و المزن  
فذاك شوط قد استخذى بحلبته عن ان يخب إليها السابق الأرن  
و كنت أعجزته شكرا على ممن و كلما كل جاءت بعدها ممن  
فقام يدعو لك الرحمن مبتهلا بان تحوطك من تسديده جنن  
فاقبل بذأ شاهد الإخلاص ممترجا بالقلب ينطق عنه السر و العلن  
و ممن رثاه الشيخ محمد حسن بن الشيخ محسن الجواهرى بقوله:  
أصاب حشا الإسلام سهم فأوجعا فلم يبق فى قوس التصبر منزعا  
مصاب رمى شرع الهدى فى صميمه فليس عجيبا ان وهى و تضعضعا  
و ليس عجيبا ان تصدع قلبه بخطب له قلب النبى تصدعا  
نعاك لنا الناعى فهل هو عالم بما ذا دهى الدين الحنيف و من نعى  
بفيه الثرى كم راع للدين أنفسا تكاد لهول الخطب ان تتصدعا  
بكتك اليتامى لم تجد من يعينها و ربع الهدى إذ عاد بعدك بلقعا  
فمن للقضايا المعضلات يحلها بثاقب فكر من شبا السيف اقطعا

و من لا يامى كنت أنت معينها و كافلها ان حادث الدهر أفزعا

أ يعلم من امسى لنعشك حاملا بان التقى و العلم فيه تجمعا

سيفقدك الربع الذى كنت نوره فقد عاد وجه القطر بعدك اسفعا

حياتك فى نشر العلوم قضيتها و لما دعاك الله لبيت مسرعا

و ان لنا فى (آل عدنان)(١) بعده بدورا تجلت كى تشع و تطلعا

كرام نماهم للعلاء أبوهم فلست ترى الا الكريم السמידعا

غياث) الورى صبرا و ان كان رزؤكم جليلا له قلب الصفا قد تصدعا

و صبرا (أبا المهدى) فالرزء كلما تعاظم كان الأجر اسمى و ارفعا

و دمتم جميعا سالمين بغبطه و لا زلتم للدين كهفا ممنعا

(٢)

## غزوه بنت السيد راضى بن السيد جواد بن السيد حسن بن السيد احمد

القزوينى.

ولدت حدود سنة ١٢٨٥ و توفيت فى شعبان ١٣٣١.

آل القزوينى من الأسر العلميه المعروفه فى العراق نبغ منها علماء اعلام منهم العلامة الشهير السيد مهدي القزوينى المتوفى سنه ١٣٠٠ هجرية و هو شقيق جدها السيد جواد و أبو أمها العلويه نازى بنت السيد مهدي القزوينى. قرأت العلوم العربيه و الفقه و الأصول على اخوالها الاعلام ثم أولعت بالأدب و الشعر فبرزت فى ذلك و وصفها السيد جواد الشير بأنها نشأت فى كنف اخوالها الأعلام و انكبت على الدراسه فدرست العلوم العربيه و الفقيهيه و تتبعت مصادر الأدب و الشعر بحكم بيئتها و تربيتها فكانت تحفظ من أخبار العرب و قصصهم الشىء الكثير و تربت بتربيتها جمله من نساء الأسره و من يتعلق بها و قد اقترنت بابن خالها السيد احمد بن الميرزا صالح القزوينى و هو عالم فاضل و أديب شاعر فوجهها بصوره أعمق و جعلها قابله لهضم محاوراته العلميه فى شتى المجالات، و هى شاعره مقبوله سريعه البديه مشهود لها بطرافه الأدب.

## السيد غلام رضا السعيدى.

ولد بقريه نوزاد من قرى بيرجند عام ١٣١٥، و تعلم القراءه و الخط فى الكتاب هناك ثم دخل المدرسه الشوكتيه فى بيرجند، فدرس العربيه و الإنجليزيه و الفرنسيه عرف محمد إقبال مما قرأ عنه فدرس حياته و ألف فيه كتابا كما ألف غير ذلك من



الكتب و نشر العديد من المقالات و البحوث.

توفى سنه ١٤٠٩ و دفن فى قم.

### **فاطمه أشرف السادات بنت السيد محمد بن السيد مرتضى بن السيد**

هادى الحسينى الرامسرى.

ولدت قبل ١٣١٠ و توفيت ١٣٨٢.

ولدت فى رامسر و نشأت فى حجر أبيها ثم انصرفت إلى الدراسه.

و كانت عالمه فى الأحكام الشرعيه و العلوم الإسلاميه و لها مكتبه نفيسه تفرقت

ص: ١٥٨

---

١- هم آل السيد عدنان الغريفى البحرانى.

٢- الصالحى.

بعد وفاتها و كانت تنظم الشعر باللغه الفارسيه.(١)

### فاطمه المكناه بام سلمه بنت الشيخ محمد علم الهدى بن ملا محسن

الفيض الكاشانى بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود.

عالمه فاضله محدثه أديبه شاعره من ربات الفصاحه و البلاغه ذات دين و صلاح و تقوى.

ولدت فى ذى القعدة الحرام سنه ١٠٨٨ و توفيت فى ٢٠ جمادى الثانيه سنه ١١٢٤ و دفنت عند رجلى والدها فى مقبره جدها ملا محسن الفيض الكاشانى فى مقبرتهم العائليه الخاصه بكاشان.

قرأت المقدمات على أخواتها و أخذت الفقه و الأصول عن أعمامها أبى حامد محمد المعروف بنور الهدى و معين الدين احمد و تخرجت على والدها، تروى عن والدها و أعمامها المذكورين و فى سنه ١١١٢ زفوها إلى زين الدين على من أقربائها كما فى مجموعه آل الفيضى(٢) و ذكرها السيد المرعى النجفى قائلاً (فاطمه المكناه بام سلمه الفاضله الشاعره الكامله الأديبه المحدثه ولدت فى ذى القعدة الحرام سنه ١٠٨٨ و توفيت فى ٢٠ جمادى الآخره سنه ١١١٤ و قبرها مما يلى رجلى والدها فى مقبره صاحب الوافى و على قبرها لوح مرمرى أخذت و روت عن أبيها العلامة المترجم و عن أعمامها و عن أخواتها تزوجها المولى زين الدين على من أقربائها و تاريخ الزواج فى ذى الحجه سنه ١١١٢ ق).(٣)

### فاطمه بنت أبى محمد الشريف قريش بن السبيع بن المهنا بن السبيع

بن المهنا بن السبيع بن المهنا بن داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن

يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن على بن الحسين بن

على بن أبى طالب ع.

كانت حيه فى رجب سنه ٥٦٠.

عالمه فاضله محدثه فقيهه من ربات الفصاحه و البلاغه و فواضل نساء الشيعة فى مطلع القرن السابع للهجره ببغداد أخذت العلم عن أبيها الشريف قريش البغدادي المتوفى سنه ٦٢٠ هجرية ثم حضرت على الشيخ أبو طالب المبارك بن على بن محمد بن خضير الصيرفى البغدادي و قد قرأت عليه كتاب (فضل الكوفه) تأليف أبى عبد الله محمد بن على بن الحسن بن على بن الحسين بن عبد الرحمن الحسينى الشجرى المتوفى سنه ٤٥٥ مع جماعه اخرى و هم الذين ذكرت اسمائهم فى آخر النسخه من كتاب (فضل الكوفه) بخط أبيها الشريف قريش البغدادي فى مجالس آخرها يوم الثلاثاء عاشور رجب سنه ٥٦٠ و منهم أم المترجم لها شرف النساء بنت أبى طالب بن المكرم العلويه الحسينيه البغداديه المار ذكرها و أخوها محمد و أختها آمنه المار ذكرها و أبوها الشريف قريش و عبد الله بن أبى طالب بن أبى بكر المقرى العجمان و فتوح بن جعفر بن الطوزى(٤) و قد كتب السيد قريش البغدادي جميع ذلك بخطه الشريف فى آخر كتاب (فضل الكوفه) و هذه النسخه النفيسه من مخطوطات المكتبه الظاهريه

بدمشق، و نسخه فتوغرافيه منها فى مكتبه أمير المؤمنين (ع) العامه بالنجف الأشرف. (٥)

## فاطمه بنت السيد حسين القزوينى صاحب كتاب براهين السداد ابن

السيد الأمير محمد إبراهيم (صاحب كتاب سلاح المؤمن) ابن الأمير محمد

معصوم بن الأمير محمد فصيح بن الأمير أولياء الحسنى القزوينى.

ولدت فى قزوین حدود سنه ١١٧٢ و توفيت بها حدود سنه ١٢٦٠ و دفنت فى مقبرتها العائليه شمال شرقى روضه شاه زاده حسين بن الامام الرضاع.

عالمه فاضله محدثه حافظه للقرآن عالمه بتفسيره و تأويله قرأت على أبيها السيد حسين المتوفى سنه ١٢٠٨ شيخ السيد مهدي بحر العلوم و عمها العلامة المولى السيد حسن المتوفى سنه ١١٩٨ و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى الشيخ محمد على بن الشيخ عبد الكريم القزوينى ثم حضرت الفقه و الأصول و الحديث على زوجها المذكور حتى نبغت فى أكثر العلوم الإسلاميه معقولا و منقولا- و كانت من فواضل نساء عصرها خطيبه متكلمه ترتقى المنبر و تملك صوتا جهوريا و مقدره على الخطابه و الوعظ و كانت تخطب و تدرس و يفد النساء إلى مجلسها لسماع دروسها و خطاباتها و محاضراتها و كانت كثيره الزهد عظيمه الورع و تصدرت للتدريس ذكرها والدى قدس سره فى الجزء الثانى من كتابه الغرر و الدرر المخطوط و قد أنجبت ثلاثه أولاد ذكور كلهم علماء و هم الشيخ الميرزا عبد الوهاب القزوينى و الشيخ عبد الكريم المعروف بالحاج آغا الشيخ على مردان. و لها بنت عالمه فاضله أديبه شاعره و هى آمنه خانم (٦) أم قره العين. (٧)

## الفتح بن أبى منصور البغدادى:

قال الذهبى فى سير اعلام النبلاء:

الشيخ الجليل المعمر مسند العراق عميد الدين أبو الفرج الفتح بن أبى منصور عبد الله بن محمد ابن الشيخ أبى الحسن على بن هبه الله بن عبد السلام بن يحيى البغدادى الكاتب.

من بيت كتابه و روايه.

ولد يوم عاشوراء سنه سبع و ثلاثين و خمس مائه.

و سمع من جده أبى الفتح، و القاضى محمد بن عمر الأرموى، و محمد بن أحمد الطرائفى، و أبى غالب محمد بن الدايه، و أحمد بن طاهر الميهنى، و هبه الله بن أبى شريك، و أبى بكر ابن الزاغونى، و قاضى القضاة على بن الحسين الزينى، و نوشتكين الرضوانى، و أبى الكرم الشهرزورى، و سعيد ابن البناء، و أحمد بن محمد ابن الاخوه، و جماعه.

حدث عنه البرزالى، و عمر بن الحاجب، و ابن المجد، و القاضى شمس الدين محمد بن العماد، و تقى الدين ابن الواسطى، و الجمال ابن الدباب، و الكمال الفويره، و الشمس ابن الزين، و الشهاب الأبرقوهى، و جماعه، و انتهى اليه علو الاسناد.

قال المنذرى: كان شيخنا حسنا، كاتباً أدبياً، له شعر و تصرف فى الأعمال الديوانيه، أضر فى آخر عمره، و انفرد بأكثر شيوخه و مروياته، و هو من بيت الحديث، حدث هو و أبوه و جده و جد أبيه.

و قال ابن الحاجب، هو من محله الديناريه باب الأزج، و كان قديماً يسكن بدار الخلافه. صارت اليه الرحله. و تكاثر عليه الطلبة، و اشتهر اسمه، و كان ذوى المناصب و الولايات، فهما بصنعتة، ترك الخمه، و بقى قانعا بالكفاف، و أضر باخره، و تعلق حتى أقعد، و كان مجلسه مجلس هيبه و وقار،

ص: ١٥٩

- 
- ١- الشيخ محمد السامى.
  - ٢- مجموعه مخطوطه فى تاريخ مواليد و وفيات آل الفيضى فى المكتبه المرعشيه بقم.
  - ٣- الصالحى.
  - ٤- انظر الثقات العيون فى سادس القرون ص ٢٣٧-٢٣٨ و الأنوار الساطعه فى المائه السابعه ص ١٣٦-١٣٧.
  - ٥- الشيخ عبد الحسين الصالحى و هى منتزعه من كتابه المخطوط (رياحين الشيعه).
  - ٦- انظر مستدركات أعيان الشيعه ج ٢ ص ٧.
  - ٧- الشيخ عبد الحسين الصالحى و هى منتزعه من كتابه المخطوط (رياحين الشيعه).

لا يكاد يشذ عنه حرف محقق لسماعه، إلا أنه لم يكن يحب الروايه لمرضه و اشتغاله بنفسه، و كان كثير الذكر، و كان يتوالى، و لم يظهر لنا منه ما ننكره، بل كان يترحم على الصحابه و يلعن من يسبهم، و كان يقول الشعر فى الزهد و الندم، و كان ثقه صحيح السماع، و كان مكثرا. إلى ان قال: و توفى فى الرابع و العشرين من المحرم سنة أربع و عشرين و ست مائه.

و حدث عنه الديبثى و قال: هو من أهل بيت حديث كلهم ثقات.

قلت: و آخر من روى عنه بالاجازه فاطمه بنت سليمان الدمشقى.

و قال المبارك ابن الشعار: كان الفتح يرجع إلى أدب و سلامه قريحه، و كان مشتهدا بالتشيع و الغلو فيه على مذهب الاماميه.

و قال ابن النجار: كان صدوقا جليلا أدبيا فاضلا حسن الأخلاق نبيلًا.

أنشدنى أبو الحسن القطيعى أنشدها الفتح لنفسه و كتب بها إلى المستضىء بامر الله يستقيل من خدمته بالبركات:

يا ابن الخلائف من آل النبى و من يفوق علما و نسكا سائر الناس

يا مستضيئا بامر الله مقتديا يا خير مستخلف من آل عباس

أشكو إليك معاشى إنه كدر ما بين باغ و حفار لأرماس

تأتى إلى صباحا كل عانيه يضيق من كربها صدرى و أنفاسى

فاه من حالتى ضر بليت بها سواد بختى و شيب حل فى راسى

## الشيخ فتح الله بن علوان الكعبى القبانى الدورقى:

### إشاره

مرت له ترجمه موجزه و نزيد عليها ما يلى مكتوبا بقلم السيد هادى باليل الموسوى:

من علماء الدورق و أدبائها فى القرن الحادى عشر، ولد سنة ١٠٥٣ فى القبان(١) و توفى سنة ١١٣٠. ترجم لنفسه فى كتابه (زاد المسافر و المقيم) فقال:

هو فتح الله و كنيته أبو على و لقبه جمال الدين بن الشيخ علوان بن الشيخ بشاره بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الحسين الكعبى نسبا القبانى مولدا و منشا، ولد سنة ١٠٥٣ هاجر إلى شيراز شابا سنة ١٠٧٩ و اشتغل بها فى طلب العلم، أخذ الصرف عن السيد نعمه الله الجزائرى و النحو عنه أيضا، ثم عن الشيخ حسن بن الشيخ محمد الجزائرى و كان ذلك فى المدرسه المنصوريه، و العروض عن الشيخ احمد المدنى رحمه الله تعالى ثم انتقل إلى المدرسه اللطيفيه و أخذ العربيه عن السيد عزيز الجزائرى ابن عم السيد نعمه الله الجزائرى و المنطق عن ميرزا على رضا بعض مدرسى المدرسه المذكوره و عن الشاه أبى الولى رحمه الله تعالى و

كذلك علم درايه الحديث و معرفه الرجال عنه أيضا، قدس سره و رفع في الدارين قدره، ثم رجع إلى القبان و اشتغل على أبيه المرحوم الشيخ علوان في علم الكلام و الفقه و بعض الحديث ثم تولى القضاء في البصره مده فرأى القضاء مخلا في دينه فعافه و رجع إلى القبان بعد ان توفي أبوه رحمه الله عليه و ذلك في سنه الثمانين بعد الألف ثم اضطربت أحوال القبان بسبب ما وضع لأجله هذه المقامه،(٢) و استمر التعطيل عسى أن ياتى الله بالفتح أو بامر من عنده. و له شيء من التأليف و شيء من الشعر، فمن تاليفه الدرر البهيه في شرح الأجروميه و هو شرح لطيف صغير الحجم كثير الفوائد، و شرح الفتوحات في المنطق و رساله في علم العروض و رساله في سبب الخلف و الخلافه و رساله في علم القراءه و شرح شواهد قطر الندى و غير ذلك.

أقوال العلماء فيه

جاء ذكر المترجم في كثير من كتب التراجم و التاريخ منها:

كتاب (أنوار المشعشين) لمؤلف من أهل القرن الثاني عشر، توجد منه نسخه في مكتبه السيد شهاب الدين المرعشى في مدينه قم، قال مؤلفه:

العلامه، الفهامه، الثقة الشيخ فتح الله أبى على جمال الدين الكعبى نسا القبانى مولدا و منشا.. اه.

و منها، كتاب (تاريخ الأدب العربى ج ٢ ص ٥٠١) المطبوع باللغه الالمانيه للمستشرق الالمانى: بروكلمن،(٣) فإنه ترجمه في عداد المؤرخين و الأدباء و ذكر له كتيبين في المكتبات الغريبه و هما، زاد المسافر و المقيم، و شرح شواهد قطر الندى.

و منها كتاب (معجم المؤلفين ج ٨ ص ٥٢) للأستاذ عمر رضا كحاله، قال في جملة الترجمة، انه مؤرخ، أديب، مشارك في بعض العلوم، و ذكر جملة من مصنفاته.

و منها، كتاب (شعراء البصره) و منها، كتاب (التراث العربى ٧٠ - ٧١).

و منها كتاب (جامع التصانيف الحديثه، المطبوع سنه ١٣٤٥، ج ١ ص ٤٦).

و منها كتاب (الكواكب المنتشره في القرن الثاني بعد العشره) للمحقق الشيخ آغا بزرك الطهرانى، فقد ترجمه نقلا عن الإجازة الكبيره للسيد عبد الله الجزائرى و قال، رأيت النصف الثانى من كتاب (تنقيح المقداد) من النكاح إلى آخره بخطه (أى بخط الشيخ فتح الله بن علوان الكعبى فرغ من استنساخه سنه ١٨٠٢، اشتراه السيد محمد باقر اليزدى:

و منها كتاب (أعيان الشيعه) و إليك ما قاله السيد الجزائرى في اجازته الكبيره:

ص: ١٦٠

١- . القبان: برفع القاف و ألباء الموحدہ المخففه بعدهما الألف و النون، مدينه قديمه تقع على الضفه الشرقيه من نهر دجيل، المعروف في زماننا هذا بنهر بهمشير [بهمنشير] عند مصبه في الخليج على بعد فراسخ من الدورق تقريبا، لأنها تمتد إلى ناحيه

الشرق تجاه بندر معشور، و كانت إحدى ثلاث مدن مهمه فى المنطقه الحويه و الدورق و القبان، و كانت مدينه عامره ذات أسواق مليئه بالبضائع و الأموال و قد كثرت فيها المدارس و المساجد و العلماء و أهل التقوى قال صاحب كتاب (عنوان المجد)، أنه كان فى قبان تسعون مسجدا، و قد خضعت القبان لحكم و لاه البصره قرابه القرن و نصف القرن (١٠٠٥ - ١١٤٢)، و قد اتخذها على باشا بن أفراستان الديرى و الى البصره (١٠١٢ - ١٠٥٧) قاعده عسكريه له و بنى فيها ثلاث قلاع كل قلعه تعرف ب (كوت) الكوت الشمالى و الكوت الجنوبى و كوت ميان، (أى كوت الوسط) و اعتنى بتعمير و تنظيم شئونها و اسكن فيها قبائل كعب، قال السيد على المغربى المعروف بالأخضرى يمدح على باشا: شوقى إلى الملك الذى حاز القبان به النهايه ملك عظيم لم تقف فيه الرئاسة عند غايه نلوا دواما مدحهلما غدا فى المجد آيهوقعت فى القبان عده حوادث تاريخيه جاء ذكر بعضها فى كتاب (تاريخ الإماره الافراسيبيه) و بعضها فى كتاب (زاد المسافر و المقيم)، و كان خراب القبان على يد كريم خان الزندى ملك ايران فى سنه ١١٧٨ و ذلك لما هاجم الكعبيين فيها و اجلاهم عنها فهدم سد السابله المبنى على نهر كارون، فانقطع عنها الماء العذب و علاها الماء المالح للبحر، فلم يبق فيها نبت و لا شجر ففرق أهلها فى البلاد، و قد اندرست اليوم معالمها و اندفنت تحت التراب، آثارها. و أصبحت خيرا بعد الأثر.

٢- يقصد بالمقامه كتابه (زاد المسافر و لهنه المقيم و الحاضر) و سياى الكلام عنه.

٣- ١١,٥٠١ BroKelman,s مستشرق ألمانى ولد سنه ١٨٦٨ و توفى سنه ١٩٥٦ له كتابان: تاريخ الأدب العربى، و تاريخ الشعوب الإسلاميه، طبعا فى ألمانيا باللغه الألمانية.

الشيخ فتح الله بن علوان الكعبي الدورقي:

كان عالماً، أديباً، وقوراً، حسن التصنيف ذكرته في تذييل السلافه بفقرات منها: ذو باع في الأدب مديد، و نظر في إدراك اللطائف حديد، و فهم في موارد النكات سديد، و كد في اقتناص المعارف شديد، و يد تلعب بالمعاني لعب ألواح بالعقول، و ذهن انطبع فيه فنون المعقول و المنقول، رأيته في أواخر عمره و قد غيره الزمان:

و إن الثمانين و بلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

(١) له كتب منها: كتاب زاد المسافر في تحرير واقعه البصره ذكر في أوله أحواله و أنه ولد في قبان.

و لما ترعرع اشتغل على أبيه الشيخ علوان ثم ارتحل إلى شيراز و اشتغل على السيد نعمه الله الجزائري و السيد عزيز الله و الشاه أبي الولي و غيرهم ثم رجع إلى مولده و ولي قضاء البصره إذ كانت في تصرف العجم (٢) و أدرج في كتابه هذا كثيراً من الأدبيات و حرر فيه البديعيات أكمل تحرير، و منها كتاب الاجاده في شرح قصيده السيد علي بن باليل الموسومه بالقلاده و مطلعها:

ردى على رقادى أيها الرود على أراك به و البين مفقود

سلك فيه مسلك الصفدى في شرح لاميه العجم للطغرائى، و له كتب آخر لم أقف عليها و شعر قليل، توفي سنة الثلاثين رحمه الله عليه. (انتهى).

## اساتذته و مشايخه

و الراوون عنه و تلامذته

ذكر المترجم جماعه من اساتذته الذين تلمذ عليهم في المدرستين المنصوريه و اللطيفيه في شيراز و أصفهان كما مر مسبقاً عن كتابه (زاد المسافر و لهنه المقيم و الحاضر)، أما مشايخه، فإنه يروى عن شيخه المولى أبي الحسن الشريف العاملى المجاور للغرى، عن العلامة المجلسى عن والده عن الشيخ البهائى، و يروى عنه مهدي قلى خان بن محمد باقر سلطان والى الدورق في العقد الثانى للقرن الثانى عشر حسب إجازته المترجم له. أما تلامذته في الدورق و القبان فهم جماعه من الذين نشؤوا في النصف الأول للقرن الثانى عشر و من أبرزهم العالم الأديب السيد إبراهيم بن السيد على الموسوى الدورقى المتوفى عشره الخمسين بعد الألف و المائه.

## آثاره العلميه و الأدبيه

للمترجم آثار علميه و أدبيه نختصر على ما ذكره شيخنا الطهرانى في موسوعته الذريعه مرتبه على حروف الهجاء:

١- (الإجازة في شرح القلاده): ذكره الشيخ آغا بزرك الطهرانى في (الذريعه) ج ١ ص ١٢١ فقال: (الاجاده في شرح القلاده)، للشيخ فتح الله بن علوان الكعبي الدورقى المتوفى سنة ١١٣٠ قال السيد عبد الله الجزائري في إجازته الكبيره، إنه سلك فيها



مسلك الصفدى فى شرح لاميه العجمللطغرائى (و القلاده) هى قصيده للسيد على بن باليل الجزائرى الدورقى معاصر الشارح مطلعها:

ردى على رقادى أياها الرود على أراك به و البين مفقود

أقول:

و يظهر أنه ألفه بعد سنه ١٠٩٥هـ، لأن الشارح لم يذكره فى عداد مؤلفاته التى ذكرها فى مقدمه كتابه (زاد المسافر و المقيم) الذى فرغ منه سنه ١٠٩٥هـ.

٢- (تجويد القرآن): قال فى الدرعيه ج ٣ ص ٣٧٣، هو للشيخ فتح الله بن علون الكعبى الدورقى المتوفى سنه ١١٣٠هـ كان من تلامذه السيد المحدث الجزائرى، ترجمه حفيد أستاذه السيد عبد الله الجزائرى فى إجازته الكبيره و له تصانيف منها: (الاجاده فى شرح القلاده).

٣- (تحفه الاخوان) فى الفقه، ذكره فى (الدرعيه ج ٣ ص ٤١٦) فقال: (تحفه الاخوان) فى فقه الصلاه شرحا لحديث رواه (رجاء بن الضحاك) (٣) ب (قال، أقول)، مفصل مبسوط، من أول الوضوء و سائر المقدمات و النوافل و الفرائض و بعض الصلوات و تفسير بعض السور و الآيات و فضائلها و غير ذلك للشيخ فتح الله بن علوان الكعبى الدورقى المتوفى سنه ١١٣٠هـ ألفه و أهده إلى مهديقلى خان بن محمد باقر سلطان ليعمل به و أجاز له روايته عنه و ذكر أنه يروى الأحاديث عن شيخه المولى أبى الحسن الشريف العاملى المجاور للغرى عن العلامة المجلسى عن والده التقى عن الشيخ البهائى، قال فى أوله بعد الخطبه:

"يقول أقل العباد الجانى فتح الله الكعبى القبانى هذه تحفه لاخوان الدين و خلان اليقين فى فقه الصلاه". رأيت منه نسخه تاريخ كتابها سنه ١١٣١هـ، اشتراها السيد أبو القاسم الموسوى الرياضى من كتب المرحوم الشيخ منصور بن الشيخ زائر الساعدى النجفى. (انتهى).

أقول جاء ذكر مهديقلى خان فى كتاب (الرحله المكيه للسيد على خان بن عبد الله الحويزى) فى حوادث سنه ١١١٤ و قال أنه حاكم الدورق، و يحتمل ان يكون هو الذى ألف له الشيخ الكعبى كتابه (تحفه الإخوان).

٤- (الدرر البهيه فى شرح الأجروميه)، ذكره المحقق الطهرانى فى (الدرعيه ج ٨ ص ١٢٠) فقال: الدرر البهيه فى شرح الأجروميه للشيخ أبى على فتح الله بن علوان بن الشيخ بشاره الكعبى نسبا الدورقى القبانى مولدا و منشا.. إلى آخره.

٥- (رساله فى سبب الخلف و الخلافه)، قال فى (الدرعيه ج ١٢ ص ١٢٦): سبب الخلف و الخلافه للشيخ فتح الله بن علوان الكعبى و ذكره فى أحواله فى أول (زاد المسافر).

٦- (رساله فى العروض): ذكرها فى (الدرعيه ج ١٥ ص ٣٥٦)

١- ذكر هذا البيت إشاره إلى ضعف سماع المترجم و هو لأبى محلم عوف بن محلم الشيباني، قاله فى جملة أبيات حينما قدم على عبد الله بن طاهر بن الحسين فى قصره بميان (موضع بنيسابور) فاخذ يحادثه، فسأله كم سنك؟ فلم يسمع، فلما أراد أن يقوم قال عبد الله بن طاهر للحاجب خذ بيده، فلما توارى عوف، قال له الحاجب، إن الأمير سالك كم سنك؟ فلم تجبه! فقال له ردنى اليه فرده فوقف بين يديه و قال له: يا بن الذى دان له المشرقانطرا و قد دان له المغربان إن الثمانين و بلغتها قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

٢- ولى المترجم القضاء فى البصره فى الفتره بين سنه ١١٠٦ إلى سنه ١١١٢، و ذلك حين ما اتفق والى الحويزه المولى فرج الله بن السيد على خان المشعشى مع أمير المتفك الشيخ مانع من [بن] راشد على أخذها من يد خليل باشا الوالى العثمانى و طرده عنها و بعد ان تم لهما هذا الأمر استولى عليها والى الحويزه المذكور أسند الصفويون حكومتها إلى إبراهيم خان حاكم الدورق و بعد مده بعثوا لها واليا اسمه داود خان، و بقيت تحت ولايته إلى سنه ١١١٢ حيث سلمها الصفويون إلى العثمانين فى تلك السنه.

٣- رجاء بن أبى الضحاك الخراسانى، من قاربه [اقاربه] الفضل بن سهل النوبختى و هو الذى أرسله المأمون إلى المدينه و أمره باشخاص الامام على الرضا بن موسى الكاظم ع إلى خراسان و رواه حديثا مفصلا عن الامام، ذكره فى عيون اخبار الرضا، و هو الذى شرحه الشيخ الكعبى فى كتابه.

فقال: هي للشيخ فتح الله ابن علوان الكعبي الدورقي صاحب (الاجاده) و (زاد المسافر) المتوفى سنة ١١٣٠ هـ.

٧- (رساله في القراءه)، ذكرها المؤلف الشيخ فتح الله بن علوان الكعبي القباني في كتابه (زاد المسافر).

٨- (زاد المسافر و لهنه المقيم و الحاضر)، قال في (الذريعه ج ١٢ ص ٨) ما يلي:

زاد المسافر في تحرير واقعه البصره و ما جرى على الحسين باشا حاكم البصره و واليها ابن علي باشا بن أفراسياب الديرى (١) من فراره بنفسه و عياله إلى الهند في سنة ١٠٧٨ و فتح بنى عثمان و انتزاعها من ايدي آل أفراسياب و هذا الكتاب للشيخ فتح الله بن علوان الكعبي الدورقي القباني تلميذ السيد المحدث الجزائري السيد نعمه الله و غيره و من تصانيفه (الاجاده شرح القلاده)، و أول زاد المسافر (إن أجمل ما جاء في ميادين الخواطر...) و ذكر في أوله شرح أحواله و هو مطبوع في البصره في ٥٦ صفحه كما جاء في (جامع التصانيف الحديثه المطبوع سنة ١٣٤٥ ج ١ ص ٤٦) و رأيت قطعه من أوائله في مجموعه عند الشيخ طاهر الحجامي في النجف و أخرى عند مجد الدين كتبت سنة ١١٤٥ هـ. و ذكره في أعيان الشيعة ضمن ترجمه مؤلفه فقال: و أدرج في كتابه هذا كثيرا من الأدبيات و حرر فيه البديعيات أكمل تحرير و هو مطبوع أقول و هذا المطبوع هو متنه طبع في البصره في ٥٦ صفحه و أعيد طبعه في بغداد سنة ١٣٧٧ هـ. أما شرحه فهو لم يطبع حتى الآن و هو ٤٩٤ صفحه من القطع الكبير.

٩- (شرح زاد المسافر و المقيم)، قال في (الذريعه ج ١٣ ص ٢٩٧):

شرح زاد المسافر في تحرير واقعه فتح البصره لبنى عثمان سنة ١٠٧٨ هـ، للشيخ فتح الله بن علوان الكعبي الدورقي المتوفى سنة ١١٣٠ هـ، شرح مبسوط لطيف فيه كثير من الفنون الأديبيه و لا سيما المحسنات البديعيه فرغ منه سنة ١٠٩٥ هـ. أقول رأيت منه نسختين في مكتبه سبها سالار بطهران إحداهما مرقمه ب (٣٣٤٠) بخط علي بن محمد شمس الدين بن عبد الرؤوف الموسوى البحراني الجد الحفصي أصلا و الشاخورى منشا و مسكنا فرغ من استنساخها في ١٣ صفر من السنه المذكوره، و لعل القصد في قوله السنه المذكوره سنه تأليف الكتاب التي ذكرها المؤلف في النهايه، و منه نسخه في الفلاحيه بخط عبد علي بن أحمد الشولكي كتبها للشيخ محمد علي المحسنى الفلاحى، و منه نسخه في المتحف البريطانى فى لندن، بخط جيد خشن فى ٣٧١ ورقه كتبت فى ذى الحجه سنة ١٢٢٠ لريزيدنت البصره مستر تيلرسيك و تيلرسيك كان يشغل منصب قنصل بريطانيا فى العراق عزل عن منصبه سنة ١٨٤٣ و خلفه رونلسن.

١٠- (شرح شواهد قطر الندى) لابن هشام، ذكره فى (الذريعه ج ١٣ ص ٣٣٩) فقال: هو للشيخ فتح الله بن علوان الكعبي القباني المتوفى سنة ١١٣٠ هـ، نقل تساهله و تسامحه فى شرحه السيد صادق الأعرجى فى شرحه. أقول و توجد منه نسخه فى إحدى مكاتب العرب ذكرها بروكلمان.

١١- (شرح الفتوحات المنطقيه)، قال فى (الذريعه ج ١٦ ص ١١٨) هو للشيخ فتح الله بن علوان و فى المكتبه المسماه ب (كتابخانه ملي بارس) فى مدينه شيراز مجموعه مرقمه ب (٣١٠) فيها ثلاثه كتب، أولها كتاب الفتوحات المنطقيه للشيخ الدورقي الكعبي القباني، أول الشرح الكعبي القباني، أول الشرح (نحمدك يا من بيده ملكوت السموات) رأيت عند السيد أحمد [المشهور] بالسيد آغا التستري فى النجف.

١٢- (الفتوحات المنطقيه): قال فى (الذريعه ج ١٦ ص ١١٨) الفتوحات المنطقيه فى المنطق شرحا و متنا للشيخ فتح الله بن علوان الكعبى الدورقى المتوفى سنه ١١٣٠ هـ فيه أربعون فتوحا أوله: (نحمدك يا من بيده ملكوت كل شىء على ما هديتنا إلى الصراط المستقيم...) يوجد منه نسخه فى (إلهيات: ٦١٨) غير مؤرخه يرجع استنساخها إلى عصر المؤلف. أقول أراد صاحب الذريعه بقوله فى (إلهيات: ٦١٨) أى فى مكتبه كليه المعارف الإسلاميه التابعه لجامعه طهران المعروفه لدينا ب (دانشكده إلهيات أى كليه الإلهيات) و رقم ٦١٨ هو رقم الصفحه من كتاب (فهرست مخطوطات المكتبيه المذكوره)، و قد جاء فى تلك الصفحه ما تعريبه كما يلي: (الفتوحات المنطقيه الفتحيه) أربعون فتوحا فى علم المنطق أوله:

(بسمله و به ثقنى نحمدك يا من بيده ملكوت كل شىء على ما هديتنا إلى الصراط المستقيم... أما بعد فهذه فتوحات فتحيه منطقيه منى للإخوان و الأصحاب). و آخره: (و الله الملهم للكليات و الجزئيات و الله اعلم بالصواب). و احتمله المفهرس من مخطوطات القرن العاشر لأنه لم يعثر على اسم المؤلف فى النسخه. و رأيت منه نسخه بخط الشيخ سلمان المحسنى الفلاحى و كتبها سنه ١٣٠٠ هـ.

١٣- (نظام الأصول فى شرح نهج الوصول إلى علم الأصول)، قال فى (الذريعه ج ٢٤ ص ٩٣) ما يلي: المتن هو نهج المعارف للمحقق الحلى كما ذكره الميرداماد، أو معارج الأصول كما على المطبوع سنه ١٣١٠، و الشرح هذا لفتح الله بن علوان الكعبى القبانى الدورقى المتوفى سنه ١١٣٠، أوله: (الحمد لله.. و الصلاه و السلام على أشرف العالمين...) رأيت نسخه منه عليها (تملك محمد ابن إسماعيل القبيسى الحجازى العاملى، ملكها فى المشهد الغروى على مشرفه السلام سنه ١١٧٥ هـ.

و فى الكواكب المنشره) قال العلامة الطهرانى: رأيت النصف الثانى من كتاب (تنقيح المقداد) من النكاح إلى آخره بخط الشيخ فتح الله بن علوان الكعبى فرغ من استنساخه سنه ١٠٨٢ هـ، فى كتب الشيخ جواد البلاغى، اشتراه السيد محمد باقر اليزدى: انتهى. و للمترجم له شعر قليل نذكر شيئا منه.

من شعره قصيده فى الغزل:

من لصب غلب الشوق اصطباره فلذا باح و للحب اماره

لعبت فى عقله ايدى الهوى فلعذر خلع اليوم عذاره

يا لقومى لأخيكم من رشا صاده فردا فمن يطلب تاره

حكمت فى قلبه الحافظه حكم من ليس له طر الإماره

لا تلومنى إذا مت به فحياتى فى هواه مستعاره

هو كالغصن إذ ما ماس لينا و كبدر التم حسنا و نضاره).

١- على باشا أفراسياب الديرى (حكم البصره من ١٠١٢ هـ إلى ١٠٥٧) ذكره فى كتاب (تذكره نصرآبادى) الفارسى فقال: متصفا بالصفات الحميده متحليا بمكارم الأخلاق عارفا باللغه العربيه و التركيه و الفارسيه، بصير فى العرفان انه متتبعاً للأحاديث و الروايات و أقوال الكبراء عارفا بالسياسه و تدبير الشئون العسكريه و من خلص الشيعة نقل عن المرحوم خليل الذى كان من معاشريه برهه من الزمان، انه كان يقتدى بقاضى البصره المنسوب من قبل سلطان الروم فيصلى خلفه بدون وضوء، ثم يعيد صلاته فى مكان آخر على مذهب الاماميه و كان ينظم الشعر و يتخلص بصبرى فى شعره الفارسى أقول و له بالعربيه أيضا شعر ذكره الشيخ عبد على بن رحمه الحويزى فى كتابه السير المرضيه فى شرح الفرضيه (انتهى).

يا غزالا إلا من ربي كاظمه كدر خاطر مذ ابدى نفااره  
كان ياتى منك طيف فى الكرى و لأمر منع اليوم مزاره  
ما على مثلك لو واصلنا فعسى يطفى من القلب شراره  
إنما شرط المحبين الوفا و وفاء بسوى الوصل خساره  
جرت بالحكم على اسرى الهوى حين أبدت من الطرف حواره  
واجناني كل أرباب الهوى من يكن مالى من العشق شعاره  
انا من كابد أغبار الهوى و احتسى حاله حلوا و مراره  
يا مناخ الحى من كاظمه جادك الله من الوبل غزاره  
و رعى فيك لييلات لنا حيث ما الشيخ تحاكى و عراره  
و رعى مجلسنا فى ظله و سقى منه الخزامى و بهاره  
كلما قلت له من صفه فهو معنى حاول اللفظ اختصاره  
و منه فى العذار:

و لقد أقول لمن يلوم بحبه لما بدا منه العذار و دارا  
نبت العذار بنار صفحه خده هذا الذى ترك العقول حيارى  
و منه مضمنا فى الشيب:

و قلت لليل شعرى دم فانى رأيت الشيب ليس له قرار  
فأشد قائلا بشجى لفظ كلام الليل يمحوه النهار  
و منه فى من أهدي له باقه بابونج:

لما بدا السعد و ولى الجفا اهدى لنا باقه بابونج  
فريحه من ثغره مفتد و لونه من لون صب شجى

فعدلت نعمته عندنا ما وهب الواهب للمرتجى

و له أيضا قصيده يمدح بها الساده الموالى، أولاد جود الله. (1)

سعد لى فى حيكم بعض الإرب قف حماك الله من سوء الأدب

و استمع منى و خذ لى مالكا إن ما فى الصدر تبديه الكتب

سعد إن جزت على وادى الحمى حيثما القاطن ممنوع الحجب

عج إلى بيت رفع سمكه واسع أرجاؤه فيه الرغب

عصمه الخائف مألوف الندى منيه السفر إذا اشتد السغب

ثم جز تلق بليقا شامخا خير موجود من بنا العرب

ساده قد شرفوا فى العلم و الحلم و الفضل جميعا و الحسب

ورثوا المجد فتى عن والد عن أبيه ذا لعبد المطلب

فاغضض الطرف و قف مبتدئا ثم بلغهم سلامى بأدب

و قل القن المعنى فيكم ذاق من بعدكم ما لا يجب

سعد تلقاهم كما تهوى على أن فيهم سيدا على الرتب

ذاك إدريس فصوب صوبه فعسى تحظى بحسن المنقلب

و الشم الأرض و قبل كفه ثم ناوله كتابى عن كتب

إن فيها يا بن من حاز العلى و حوى الفخر و نعم المكتسب

كان لى معكم إحاء ثابت فعلا م الهجر من غير سبب

أطلب القرب و تولونى القلا و عجيب لمحب لم يحب

أن يكن ذنب و لا أعرفه فالكريم الأصل يعفو و يهب

أو يكن من قيل قد استكثروا فيك ما يعطوه من نوع القرب

ذاك لله و ما من به إن كثيرا أو قليلا يكتب

(٢) نقول تعليقا على هذا الشعر:

اننا نشرناه لا لأنه شعر مقبول، و لا لاستحسان شىء منه. و انما للتدليل على ما كان عليه الشعر العربى فى تلك العهود، و لنضع امام القارئ نماذج تكون مثلا لمن يمكن ان يؤرخ للأدب و للشعر بخاصه.  
و هذا عذرنا فى نشره. و من لا يرى هذا العذر مقبولا فاننا لا نلومه ابدا.

### الميرزا فضل على المولوى المتخلص بصفا

ولد سنه ١٢٨٨ فى تبريز و هو من اسره عرفت بالفضل و الايمان. فأبوه الميرزا عبد الكريم المعروف بالملاباشى له كتاب: (مختصر العروض)، و كتاب (قواعد الفارسيه) المطبوع فى تبريز سنه ١٢٦٨. كما ان آله آثارا اجتماعيه فى تبريز من بناء حسنيه و مسجد و سبيل للماء. توفى سنه ١٢٩٤.

و جده الميرزا أبو القاسم الإيروانى درس فى أصفهان و فى العراق، و أجازه السيد على الطباطبائى صاحب الشرح الكبير. و كان إلى ذلك طيبيا.

أما المترجم له فبعد أن درس المقدمات فى تبريز هاجر إلى النجف الأشرف و ان لا يزال فى التاسعه عشره من عمره و درس هناك على كبار العلماء علوم الفقه و الأصول و الكلام فضلا عن الفلسفه و الرياضيات.

و فى سنه ١٣٠٧ عاد إلى بلده تبريز فكان ملتقى العلماء و الفضلاء.

له من المؤلفات: (شرح القصيده العينيه) للسيد الحميرى، و كتاب (مصباح الهدى) و (رساله فى الاستصحاب)، و كتاب (النفج العنبرى فى أحوال السيد الحميرى)، و (رساله فى أحكام الأراضى الخراجيه)، و (الفوائد العلويه) فى علم الصرف بالعربيه و الفارسيه. و (حدائق العارفين) فى عده مجلدات طبع منها المجلد الأول سنه ١٣٢٤ فى تبريز. كما أن له ديوانا شعريا بالعربيه و الفارسيه.

و عند ما أقيم الحكم الدستورى المعروف بالمشروطه، فى إيران سنه ١٣٢٤ انتخب ممثلا- عن العلماء فى المجلس النيابى. و فى سنه ١٣٣٤ سافر إلى أوروبا للتداوى فزار بتر و كراد و استكهلم، و لندن، و كتب فى كتابه (رساله الأسفار إلى أوروبا) ضمنه فوائد أدبيه و علميه و تاريخيه و أشعارا عربيه و فارسيه من نظمه.

توفى فى برلين سنه ١٣٣٩ (١٩٢١ م) و دفن فى مقبره المسلمين فيها.

### الشيخ فضل الله بن صدر الدين محمد بن أبى القاسم التنكابنى:

ولد حدود ١٢٥٠ و توفى بعد ١٣٠٠.



ولد فى تنكابن و نشأ برعايه أبيه العالم ثم دخل المدارس العلميه و تعلم العلوم العربيه و المنطق و البلاغه و بعد ذلك ذهب إلى  
أصفهان و قرأ السطوح

ص: ١٦٣

---

١- جود الله هو ابن السيد خلف بن السيد عبد المطلب الحويزى المشعشى خاصم أخاه السيد على خان الذى حكم الحويزه من  
سنه ١٠٦٠ فما بعد و قصد الحويزه و معه جماعه الفضول لأخذها من أخيه و خرج إليهم السيد على خان فوقع بينهما معركة  
قتل فيها جود الله. و أولاده الممدوحون فى قصيده الشيخ الكعبى القبانى هم السيد إدريس و المولى محفوظ و إخوته المولى  
عبد الخالق و المولى بدر و المولى عبد المعين و له فيهم أيضا أرجوزه أولها: أ تعذرين الصب أم لم تعذريفليس ما جئت به  
بمنكر و له أيضا قصيده فى رثائهم لأنهم قتلوا جميعا فى معركة سنه ١٠٩٠

٢- زاد المسافر و المقيم ص ٤٣٣.

ثم ذهب إلى العتبات المقدسه و أقام فى النجف الأشرف مستفيدا من اعلامها ثم رجع إلى موطنه و قام بالتدريس، و بعد وفاه أبيه انتقلت إليه الرئاسة و قام مقام أبيه بالإمامه و التدريس و قضاء حوائج الناس إلى أن توفى فى تنكابن و قام مقامه ولده الشيخ جعفر المشايخى المتولد ١٢٩٨ و المتوفى ١٣٦٤.(١)

### الشيخ فضل الله الصادقى الآشتيانى:

ولد فى جمادى الأولى سنة ١٢٩٨ هـ و توفى فى ربيع الأول سنة ١٣٨٢ هـ.

قرأ المقدمات على جملته من فضلاء طهران و أخذ الفقه و الأصول عن الميرزا محمد حسن الآشتيانى و تخرج فى الحكمة و الفلسفه على الميرزا أبو الحسن جلوه المتوفى سنة ١٣١٤ هـ و الميرزا حسن الكرمانشاهى ثم انخرط مده فى سلك القضاء و عين فى منصب مستشار الديوان الأعلى للدولة و لكنه لم يترك البحث و التدريس فكان من مدرسى الحكمة و الفلسفه فى مدرسه سبسالار بطهران من مؤلفاته رساله فى باب حدوث العالم الجسمانى و تحقيق رساله حمله للآغا على المدرس المطبوعه.(٢)

### الشيخ فصيح الدين محمد بن الشيخ عبد الكريم البسطامى الدشت

بياضى:

المتوفى سنة ٩٢٥ هـ كما فى كتاب (شاهد صادق).

كان من علماء الرياضيات و الفلاسفه و حكماء عصره، أديب شاعر و هو والد الشيخ محمد كريم الذى كان قاضيا فى مدينه دشت بياض الآتى ذكره، المترجم له مؤلفات منها: ديوان شعر و كتاب مطلع الأنوار فارسى فى شرح (بيست باب أسطراب [أسطراب]) للخواجه نصير الدين الطوسى الذى ألفه فارسيا كاصله و مصدرا باسم على شير نوائى نظام الدين بن كنجينه بهادر الجغتائى الهروى من وزراء السلطان حسين بايقرا ملك هرات المتوفى سنة ٩٠٦ هـ قائلًا- (صاحب رأى الثاقب سمي أسد الله الغالب المير على شير أيد الله ظلّه على العباد بالنبي و آله الأمجاد..).

ترجم له شيخنا الأستاذ فى احياء الدائر ص ١٨٠ معبرا عنه بالحكيم الرياضى و ذكر ديوانه فى الذريعه القسم الثالث من الجزء التاسع ص ٨٣٤ و ج ١٣ ص ١٣١ و ج ٢١ ص ١٥٢ و ترجم له أيضا صاحب فرهنگ نامه هاى عربى به فارسى ص ٢٠٣.(٣)

### الملا فاضله ابنه الشيخ أحمد البلاغى:

توفيت سنة ١٢٨٠.

عالمه فاضله أديبه. قرأت على والدها القرآن و علوم اللغه العربيه.

و على علماء أسرتها الفقه و الأصول، و قد أجازوها.

تولت تدريس الأصول و الفقه و الحديث و يحضر دروسها بعض الطلاب. و قرأ عليها بعض العلماء كتاب (القوانين) باعتبارها

مجازه من مصنفه.

و يقول السيد حسن الصدر في (التكملة): إنه أدركها و كانت فاضله تكتب الكتب بالأجره و تعيش هي و زوجها الشيخ حسن البلاغى من ذلك، و كانت تستخرج المسودات إلى البياض لشده معرفتها و حسن سوادها إلى آخره.

و يوجد بخطها بعض الآثار منها: (كشف الغطاء) فرغت من كتابته يوم الجمعة ٣ ذى القعدة ١٢٤٩.

## الشيخ فيض الله البغدادي الحائري البرمكي

المتخلص في شعره بالحاجبي:

هو من علماء القرن العاشر الهجري، شاعر أديب ولد في بغداد و أخذ العلوم الأولية فيها على علمائها الأعلام ثم نرح إلى كربلاء لإكمال دراسته فاخذ الفقه و الأصول على أعلام الحائر الشريف ثم أولع بالعلوم العقلية و هاجر إلى كاشان و التحق بحوزه شمس الدين محمد الخفري و منها توجه إلى شیراز و حضر على عبد الصمد الشيرازي مده سنتين ثم استقر في تبريز و التف حوله طلاب العلوم الدينيه و كان من كبار المدرسين في تبريز و له حوزه درس معموره في (المدرسه المظفرية) ثم اختاره الشاه طهماسب الصفوي (٩٣٠ - ٩٨٤ هـ) لمنصب القاضى العسكرى فكان حازما حسن الاداره قوى الايمان و له مؤلفات منها ديوان شعر و كان ينظم بالعرييه و الفارسيه أشار إلى ديوانه شيخنا في الذريعه و له كتاب الصيدية يحتوى على مقدمه و ثلاثه أبواب و خاتمه في بيان أنواع الصيد من الحيوانات و آداب الصيد و صدره باسم الشاه طهماسب الصفوي و له ترجمه مختصره في "أحياء الدائر".

و ترجم له مفصلا سام ميرزا الصفوي في كتابه تحفه سامى ص ٤٩ - ٥٠ بما هو تعريبه (الأمير فيض الله الحاجبي أصله من دار السلام بغداد و هو من أسره كريمه من أحفاد الأمراء و ينتهى نسبه إلى البرامكه الأسره المعروفه و أمراء العصر العباسى و كان في مقدمه فضلاء عصره نرح أولا إلى العتبات المقدسه ثم هاجر إلى إيران و سكن كاشان و تتلمذ على مولانا شمس الدين محمد الخفري..) ثم أدرج قسما من شعره.(٤)

## أبو عبد الله القاسم بن الفضل بن أحمد بن أحمد بن محمود الثقفي

الأصبهاني:

هكذا ذكره الذهبي في (سير اعلام النبلاء). و وصفه بالشيخ العالم المعاصر مسند الوقت، رئيس أصفهان و معتمدها. و قال أنه صاحب (الأربعين) و (الفوائد العشره). و قال محقق الكتاب: أنها المعروفه ب (الاجزاء الثقفيات) و تدعى أيضا ب (الفوائد العوالي).

ثم قال الذهبي:

ولد سنه سبع و تسعين و ثلاث مائه. و أول سماعه في سنه ثلاث و أربع مائه، و رحله أبوه في صباه إلى خراسان و العراق و

الحجاز، ولقى الكبار.

ثم عدد من سمع منهم، وقال: وروى الكثير و تفرد في زمانه و كان صدرا معظما. ثم عدد من حدث عنه، ثم قال:

قال السمعاني: كان ذا رأى و كفايه و شهامه، و كان أسند أهل عصره و أكثرهم ثروه و نعمه و بضاعه و نقدا. و كان منفقا كثير الصدقه دائم الإحسان إلى الطارئين و المقيمين و المحدثين، و إلى العلويه خصوصا، كثير البذل لهم.

عزل في آخر عمره عن رئاسه البلاد و صودر، فوزن مائه ألف دينار حمر لم يبع لها ملكا و لا أظهر انكسارا.

و كان من رجال الدنيا، عمر و رحلت اليه الطلبة من الأمصار، و كان صحيح السماع، غير انه كان يميل إلى التشيع على ما سمعت جماعه أهل أصفهان.

قال يحيى بن منده: لم يحدث في وقت أبى عبد الله الرئيس أوثق منه في الحديث و أكثر سماعا و أعلى إسنادا. كان فيما قيل يميل إلى الرفض، سمع (تاريخ يعقوب الفسوى) من ابن الفضل القطان، و سمع تاريخ يحيى بن معين من أبى عبد الرحمن السلمى.

ص: ١٦٤

١- الشيخ محمد السمامى.

٢- الصالحى.

٣- الصالحى.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

قال السلفي: كان الرئيس الثقفي عظيما، كبيرا في أعين الناس، على مجلسه هيبه و وقار، و كان له ثروه و أملاك كثيره.

و قال السمعاني: كان محمود السيره في ولايته مشفقا على الرعيه، سمعت أن السلطان ملك شاه أراد أن يأخذ من الرعيه مالا بأصبهان فقال الرئيس: أنا أعطى النصف، و يعطى الوزير - يعنى نظام الملك - و أبو سعد المستوفى النصف. فما قام حتى وزن ما قال، فظنى أن المال كان أكثر من مائه ألف دينار أحمر.

و كان يبر المحدثين بمال كثير، رحلوا اليه من الأقطار.

مات الرئيس في رجب سنه تسع و ثمانين و أربع مائه، و هو في عشر المائه (انتهى).

### الشريف أبو محمد قريش بن السبيع بن المهنا بن السبيع بن المهنا بن

السبيع بن المهنا بن داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن

الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن

أبي طالب - ع - العلوى الحسينى المدنى البغدادى.

ولد في مدينه رسول الله (ص) في الحجاز في شعبان سنه ٥٤١ و قيل ٥٣٩ هـ و توفي في الكاظمين (مشهد باب التبن) في ليله ٢٥ من شهر ذى الحجه الحرام سنه ٦٢٠ هـ و دفن بها.

من أكابر المحدثين و فحول فقهاء الشيعه عالم فاضل محقق مؤلف ذكره في أعيان الشيعه ج ٨ ص ٤٥٠ نقلا عن رياض العلماء و أمل الأمل و ورد خطأ في اسم أبيه فسمى سميع و الصحيح ما أثبتناه و نزيد عما هناك ما يلي:

هاجر من مدينه جده رسول الله (ص) إلى بغداد صبيا و استوطنها و أخذ عن الشيخ أبو عبد الله جمال الدين الحسين بن هبه الله بن رطبه السوراوى و يروى عنه عن أبي علي الطوسى عن أبيه شيخ الطائفة الشيخ الطوسى و قرأ أيضا على الشيخ أبو طالب المبارك بن علي بن محمد خضير الصيرفى كتاب (فضل الكوفه) مع زوجته شرف النساء بنت أبي طالب بن المكرم العلوى الحسينى و أولاده محمد و آمنه و فاطمه و كتب ذلك بخطه في آخر نسخه (فضل الكوفه) الموجوده في المكتبه الظاهريه بدمشق و أخذ أيضا عن أبي بكر بن الطى و أبي زرعه طاهر المقدسى و أبي بكر عبد الله بن محمد بن أحمد في كتابه (الأمان من الأخطار) و في (فلاح السائل) و يروى عنه أيضا فخار بن معد الموسوى الحائرى المتوفى سنه ٦٣٠ هـ و كان المترجم له كثير المطالعه و التحقيق و ينقل منتخبا إلى مجاميع و تصدر للتدريس في بغداد و تخرج عليه جماعه، كما ينقل عنه فحول علماء الشيعه في كتبهم و لى النظر لخزانه كتب التربه السلجوقيه مده و في آخر عمره هاجر من بغداد إلى الكاظمين ثم انقطع هناك للعبادات حتى توفي بها و دفن عند مرقد الإمامين ع.

أقوال العلماء فيه

ذكره الصفدى في "الواقى بالوفيات" قال (... من أهل مدينه النبى، قدم بغداد صبيا و استوطنها إلى ان توفي سنه ٦٢٠ صحب

المحدثين وسمع كثيرا و كان يظهر التسنن و أنه على مذهب أصحاب الحديث و صار له اختصاص بالأكابر و ولى النظر لخزانه كتب التربه السلجوقيه مده ثم انقطع آخر عمره بالمشهد بيباب التبن إلى أن مات سمع أبا بكر بن البطى و أبا زرعه طاهر المقدسى و أبا بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن التقول و غيرهم. و قرأ بنفسه كثيرا على جماعه من المتأديين و كان يكتر مطالعه الكتب و ينقل منها منتخبا إلى مجاميع. و كان قليل البضاعه فى العلم و الفهم...).

ذكره الدكتور مصطفى جواد فى الجزء الثانى من موسوعه العتبات المقدسه قسم الكاظمين ص ٢٤٧ قال: بعد ما سرد نسبه ذكره المنذرى فى وفيات سنه "٦٢٠" ه فى كتابه التكملة و قد ذكر اسمه و نسبه (و فى ليله الخامس و العشرين من ذى الحجه توفى الشريف أبو محمد قريش... نزيل بغداد بها و دفن من الغد بمشهد باب التبن. و مولده بمدينه رسول الله (ص) فى شعبان سنه إحدى و أربعين و خمسمائه و قيل سنه أربعين و قيل سنه تسع و ثلاثين و خمسمائه قدم بغداد فى صباه و سكنها إلى حين وفاته و طلب الحديث و سمع الكثير و قرأ على الشيوخ و كتب بخطه و سمع من أبى الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد و أبى طالب المبارك بن على بن خضير الصيرفى و أبى زرعه طاهر بن محمد بن طاهر المقدسى و أبى الحسن على بن أبى سعد الخباز و أبى بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النقور و أبى محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب و جماعه سواهم من المتأخرين و حدث و لنا منه إجازة كتب بها إلينا من بغداد سنه تسع عشره و ستمائه) و ذكره ابن الديبى فى تاريخه بدلاله وجوده فى مختصر تاريخه قال الذهبى (قريش.. قدم بغداد و سكنها و سمع ابن البطى و أبى النقور و أبى محمد بن الخشاب و المبارك بن خضير. قرأت عليه أخبركم ابن البطى فذكر حديثا ولد سنه إحدى و أربعين و خمسمائه بالمدينه و توفى فى ذى الحجه سنه عشرين و ستمائه ببغداد) و ترجم له جمال الدين محمد بن على بن أبى الصابونى بعد ذكر اسمه و نسبه و جماعه من الشيوخ الذين روى عنهم: (روى عنهم أجاز لى غير مره مولده فى شعبان سنه إحدى و أربعين و خمسمائه بمدينه الرسول (ص) و ذكر الحافظ أبو عبد الله عبد الله محمد بن محمود ابن النجار و من خطه نقلت أن مولده فى سنه تسع و ثلاثين و خمسمائه و توفى ليله الخامس و العشرين من ذى الحجه سنه عشرين و ستمائه و دفن بالمشهد).

و ذكره الذهبى فى تاريخه و قال فيما قال: (قدم بغداد و طلب و سمع الكثير و حصل و عنى بالحديث.. روى عنه الديبى و ابن النجار و أهل بغداد و غيرهم توفى فى ذى الحجه و ذكره ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغه قال (و جاء فى أخبار على (ع) التى رواها أبو عبد الله أحمد بن حنبل فى كتاب فضائله و هو روايتى عن قريش بن السبيع بن المهنا العلوى عن نقيب الطالبين أبى عبد الله.. بن المعمر) و ذكره الذهبى فى وفيات سنه (٦٢٠) و لم يذكر فائده جديده لم يذكرها من قبله و قال الحر العاملى ..)

عالم جليل يروى عنه السيد فخار بن معد).

و وصفه الميرزا عبد الله أفندى الأصفهانى فى رياض العلماء قال:

السيد السعيد الفقيه أبو محمد قريش.. العلوى الحسينى المدنى فقيه فاضل عالم جليل محدث رضى الله عنه و قد يعبر عنه اختصارا بقريش بن مهنا العلوى فيظن التغاير و بالجمله فله من المؤلفات.. و يروى هو عن حسين بن رطبه السوراوى عن أبى على الطوسى عن والده الشيخ الطوسى... و اعلم ان ابن طاوس قد نقل فى الإقبال عن كتاب المرشد للصدوق و قد كان بخط الفقيه قريش بن السبيع (هذا) و ذكره شيخنا الأستاذ آغا بزرك الطهرانى فى موسوعته الذريعه إلى تصانيف الشيعة و طبقات

اعلام الشيعة و مصنفى المقال فى مصنفى علم الرجال ص ٣٦٩.

ترك المترجم له مؤلفات هامه نقل عنه جمع من أصحابنا الإماميه فى مؤلفاتهم منهم السيد ابن طاوس فى كتاب فلاح السائل و السيد حسين بن مساعد الحائرى فى كتابه تحفه الأبرار و غيرهم من مؤلفاته كتابه فضل العقيق و التختم به، كتاب المختار من الاستيعاب لابن عبد البر، كتاب المختار من الطبقات الكبرى لابن سعد. (١)

**قيس بن سعد بن عباد:**

**إشاره**

مرت ترجمته فى الصفحه ٤٥٢ من المجلد الثامن، و نزيد عليها هنا

ص: ١٦٥

---

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

هذه الدراسة مكتوبه بقلم الدكتور إبراهيم بيضون:

عرف القرن الهجرى الأول، أكثر من رعييل من الجذرين الذين تغلبت المبادئ فى نفوسهم على المصالح و اندرجوا فى الطريق الصعب، من غير فتور فى العزيمه أو وهن فى السير أو رضوخ لمتغيرات الزمن، لم يكن هؤلاء فى السلطه معا أو فى المعارضه معا، و لكن قضيه أساسيه هى الإسلام، جعلتهم معا فى نفس الجبهه، مجاهدين بالقرار أو بالسيف أو بالكلمه.. أو بالصمت، عند ما تصبح المواجهه أكثر خطوره من المهادنه على وحده المجتمع، التى تبقى فى مستوى القضيه، بل أكثر أهميه لدى هؤلاء الجذرين، فينكفئوا حين ذاك إلى الظل، فى الوقت الذى يتقدم فيه الانتهازيون، و ربما الأقل جذريه، إلى مواقعهم الجديده فى اللحظه المناسبه. و إذا كان بعضهم قد أنصفه المجتمع و التاريخ، فحظى فى المعارضه بما يفوق أى ثمن فى الحكم، حيث ياتى فى الطليعه الحسين بن على (ع) فى ثورته الرائده على الظلم و الانحراف، فان ثمة البعض الكثير، قد غيبه النسيان و سقط من الذاكره أو ابتعد عنها، حيث التاريخ يبهره أيضا الضوء و يسترسل أحيانا فى الإنصات للجلبه و الضجيج ينبعثان من القصور و مواكب الأمراء و الكبراء.

و فى مقدمه الرعييل الأول من الجذرين، ياتى على بن أبى طالب (ع)، و معه آخرون من الصحابه، ربما كان أكثرهم تمثيلا لهذه الجذريه، أبو ذر الغفارى و عمار بن ياسر. فقد جمع بين هؤلاء، على تفاوت ظروفهم و اختلاف مواقعهم، الولاء النقى للعقيده و الإخلاص للمبدأ حتى الشهاده التى توجت جهادهم فى سبيل المجتمع النموذج، الذى ارست دعائمه دوله النبى (ص) فى المدينه.

هكذا سقط الامام على الأكثر "شده" (1) كما وصفه الخليفه السابق، دون أن تكون شخصيته مستهدفه فى الاغتيال فحسب و لكن الدوله - النموذج كانت مستهدفه فى الصميم حيث سقط فى المسجد لما يمثله من رموز، هى نفسها رموز المجتمع الجديد، و من قيم دينيه و سياسيه و اجتماعيه، اغتيلت أيضا فى مسجد الكوفه.

و على هذا الطريق أيضا، يسقط الغفارى، و لكن دون ثورته التى فجرها فى ضمير الأمم، عند ما أطلق صرخته، و هى كل سلاحه، ضد الظلم و التخمه و التضليل، أطلقها على مسمع الخلافه "العاجزه" فى المدينه، و فى وجه "شرطتها" القامعه فى الشام، ليتتهى "شهيدا" فى المنفى الموحش، و فيا للمبدأ الذى تلقاه صافيا من قبضه الرسول.. و هكذا أيضا على ذات الطريق يسقط عمار بن ياسر.. على يد "الفئه الباغيه"، متخذنا وجهه سلفه الغفارى، إلى حيث الحريه قنديل العابرين إلى الفجر.. يسقط عمار مجاهدا من أجل المبدأ، عازفا عن المنصب إلى الشهاده، بكل ما يعنيه ذلك من وفاء و نقاء و التزام.

لم يكن هؤلاء الكبار من الرعييل الأول فى الإسلام، سوى نماذج للجذريه التى انطوى عليها كثيرون من هذا الرعييل، و لكنهم كانوا فى موقع القياده أو الرياده، مما أكسب أسماءهم لمعانا فى التاريخ، لم تحظ به أسماء أخرى قبعت فى الظل أو فى زوايا الصمت.

على أن الجذريه خفتت بعد سقوط العهد الراشدى، عند ما حسمت "الحرب الأهليه" للمره الأولى الوضع الشاذ أو غير المستقر، الذى ترافق مع الانتصار دون الهزيمه، حيث انتهت الحرب بانتصار تيار و هزيمه آخر، مكرسا ذلك سقوط نظام و قيام آخر، و بالتالى صعود "قيم" و اندحار قيم سادت لحين قصير، تبدأ بالعداله و المساواه و الحريه، و لا تنتهى بالشورى التى كان سقوطها



علنيا و فى وضح النهار. و لم يكن غريبا أن تعج الطرق بمواكب الزاحفين تباعا إلى مراكز النفوذ الجديده، بعضهم يسبق بعض، و لكنهم فى النهايه وصلوا جميعا على تفاوت خلفياتهم، حيث السلطه كانت سيبلهم إلى تحقيق الذات. و القله فقط، لم تكن ماخوذه بالبريق يخطف الأنظار، مؤثره التصدى بالموقف و المقاومه بالكلمه، أو بالشهاده عند ما يصبح للكلمه حد جارج كالسيف، أو يصبح السيف الحد القاطع بين الاثنين...

هكذا يسقط من أجل المبدأ، دون ثمة مساومه أو مهاده، كبار آخرون من الرعيل المنخضرم أو الثانى، من أبرزهم حجر بن عدى الكندى و سليمان بن صرد الخزاعى و مالك بن الحارث النخعى (الأشتر)، فضلا عن المطرف بن المغيره بن شعبه، بفرادته ككائن من داخل السلطه على السلطه، بعد ما هاله اشتداد الطغيان و استفحال الظلم، و كذلك إبراهيم بن الأشتر، بوقفته الناصعه، رافضا المساومه على "الفرات و ما سقى" مقابل التخلّى عن موقفه.

و لن يفوتنا فى هذا السياق، التوقف عند نموذج آخر من الرعيل الثالث الجذرى، الذى كان أكثر تمثيلا له الحارث بن سريح التميمى (٢)، متماهيا ربما بالمصادفه مع سلفه المطرف، حين رفض المضى فى مطارده التأثيرين على الحكم الأموى، بعد اكتشافه الظلم المحيق بهم، و اقتناعه بعداله مطلبهم فى العيش بحريه و كرامه. فيرتد الحارث من قائد للدوله الأمويه إلى نائر عليها، و يخوض حركه اتخذت فرادتها، بل ريادتها فى ذلك الحين، عند ما ضوت تحت رايتها من العرب و الفرس و الترك، تجمعهم العقيده و يوحدهم المبدأ و تشدهم قضيه اساسيه، هى الإسلام، الذى آمن به الحارث خارجا من العصبيات القليله و العنصريه و الفئويه... ذلك الموروث التى تركه الحارث و أصحابه فى الأرض، التى كانت حين ذاك تضطرب بالثوره، و استلهمه من دون ريب دعاه الحركه العباسيه الأوائل، و اقتبسوا منه شعاراتهم المضيئه، قبل أن تحترق على أرض الواقع بعد إعلان الدوله الجديده.

على أن الجذريه قد لا- تذهب بأصحابها أحيانا إلى الثوره أو الشهاده، حيث تتلاشى الوسائل إلى مثل ذلك، و إنما يكون الخروج الطوعى من الضوء، ما يمثلهما من الجذريه و النقاء و الجرأه. و لعل النموذج الذى يستوقفنا فى هذا السياق، هو قيس بن سعد بن عباده الأنصارى الذى "صاحب" النبى فى أول عهده بالمدينه، كما صاحب عليا (ع) فى الدفاع المستميت عن الخلافه الراشديه، و كان آخر المقاومين لاسقاطها فى عهد الحسن (ع) واقعا عليه عبء هذا الموقف الصارم بعد ذلك، و منزويا فى بيته بالمدينه يعانى القهر و الحرمان و "شماته" الأقربين (٣) الذين تداركوا الطريق الصعب فى المراحل الأولى منه.

ينتمى قيس بن سعد إلى الخزرج و هى إحدى قبيلتين إلى جانب الأوس، تألف منهما الأنصار فى المدينه (يثرب). و قد انتقلت إليه زعامه قومه فى الإسلام، بعد وفاه أبيه سعد بن عباده، بصوره غامضه فى الشام (حوران) (٤)، و ان كانت تعتبر من محصلات "السقيفه" التى اتخذ من بيعتها موقفا رافضا، حيث طرح نفسه، حين ذاك مرشحا غير اجماعى للأنصار، و اضطر إلى التخلّى عن قراره، و لكن دون الرضوخ للتناجج التى انتهى إليها الأمر. بانتخاب أبى بكر أول خليفه للمسلمين.ه.

ص: ١٦٦

١- راجع القول المنسوب لعمر عند ما سأله أن يولى عليا: "يحملكم على طريقه هى الحق" الماوردى، الأحكام السلطانيه ص ١٣. المطبعه المحموديه - القاهره (د.ت).

٢- ثار الحارث فى خراسان و بلاد ما وراء النهر بين عامى ١١٦ - ١٢٨ هـ.

۳- حسان بن ثابت.

۴- توفی سنه ست عشره.

و لا- شك أن الخزرج كان لهم دور كبير في التطورات الهامة التي تتوجت بالهجرة إلى يثرب، و بعد معاناه مر بها النبي (ص) و أصحابه في مكة، التي كان من العسير على أى موقع حضرى في الحجاز - باستثناء يثرب - منافستها أو تحديها في أمر كذلك، حيث التكوين الاجتماعى التعددى - إذا جاز التعبير - جعلها عرضه للصراعات المستمرة سواء الصراع العربى - اليهودى، بعد تكتل بنى النضير و قريظه ضد العرب، أم العربى - العربى، الذى كان آخر وجوهه الداميه "يوم بعثت [بعثت]"، مؤديا ذلك، سواء الضغط اليهودى على العرب، أم اقتتال هؤلاء فيما بينهم و على مرأى الحواضر و القبائل العربيه الأخرى في الحجاز، لا سيما قريش التي اشترطت عليهم - أى الأوس و الخزرج - "شروطا لم يقنعوا بها"، إلى اتخاذ القرار الكبير الذى أخرج القبيلتين من العزله و رفع عنهم نير الاقتتال الداخلى، فضلا عن كسر المعادله الحجازيه و انعكاس نتائجها السلبيه السريعه على مكة.

هكذا إذن أتيح للأوس و الخزرج - لا- سيما القبيله الأخيره، التي كان لها حضورها الطاغى في بيعتى العقبه اللتين مهدتا إلى الهجرة - دخول التاريخ من أوسع أبوابه، حيث كانت لهم اليد الطولى في إرساء دعائم المجتمع الجديد و قيام الدوله الأولى في ظل الإسلام. و إذا كان المهاجرون الذين رافقوا النبي المرحله المكيه الصعبه، يمثلون الطليعه في نصره الدعوه، فان الأوس و الخزرج الذين [الذين] اكتسبوا بعد الهجره اسم الأنصار، تعبيرا عن موقفهم التاريخى في تأييد الدعوه و احتضانها، كانوا يمثلون هذه الطليعه النقيه أيضا، حيث يتجلى ذلك في العديد من المواقف، بدءا بالمؤاخاه المخلصه مع المهاجرين، و الانصهار [الأنصار] فى المجتمع و الدفاع عن الدوله، إلى آخر المواقف التي تجلى فيها نكران الذات، و الولاء المطلق لهذا المجتمع.

و كان من الطبيعى ان تشهد الدوله الجديده، صراعات سياسيه، تتسع دائرتها أو تضيق، بين الأنصار و بعض المهاجرين الذين استمدوا قوتهم من الانتماء لقريش، بما فى ذلك من قوه معنويه، مرتبطه بالنبي (ص) "القرشى"، أو ما يمكن أن يحدثه ذلك من تعزيز للزعامه القرشيه فى الحجاز من منظور قبلى أو قريب منه، فضلا عن اسبقيه هؤلاء فى الإسلام، و الموقع الذى كان لبعضهم قبله، مما جعل الكثيرين منهم غير قادرين على التخلص من نزعه "التفوق" على الأنصار التي كان مقدرها لها أن تثير صراعات أكثر خطوره، لو لا- تدارك النبي (ص) لها، فى احتضانها للأنصار و كبح المهاجرين، مكرسا فى عبارته الشهيره "لو سلكت الأنصار واديا أو شعبا لسلكت وادى الأنصار أو شعبهم". و لكن النبي (ص) برغم التوازن الذى حرص على استمراره بين جناحى الدوله الأساسيين، فإنه لا يتردد فى مواجهه الموقف الأنصارى الجامح أحيانا ضد المهاجرين أو ضد قريش بشكل عام، كما حدث إبان الدخول إلى مكة، و انتشاء سعد بن عباده - و قد كان يحمل رايه النبي (ص) بالفتح، إلى حد القول: "اليوم يوم الملحمه، اليوم تستحل الحرمه، اليوم أذل الله قريشا، مما دفع النبي (ص) إلى أخذ الرايه من سعد و اعطاها إلى أحد المهاجرين، و ذلك للحنول دون استثاره المشاعر المضاده لدى أهل مكة، فى مرحله كانت أول ما تقتضيه، إرساء التعايش بين المسلمين و إخماد النزعات العصبيه، سواء كانت قبيله أم اقليميه.

و تراجع سعد فى مكة متخليًا عن الرايه و فى نفسه شىء من المراره، و لكنه لم يتخل عن انضباطه و التزامه بأوامر النبي (ص)، كما تراجع و معه الأنصار فى المدينه، بعد مواجهه التكتل "القرشى" فى السقيفه، من غير أن تخونه المسئوليه أيضا، و إن كان قد آثر الخروج من الحياه السياسيه تاركا لابنه قيس تلك الانضباطيه الشديده فى الموقف، فضلا عن صفات، ربما لم يكن ما يماثلها لدى الأب، فى الجرأه و الشجاعه و التصلب فى الموقف و المسئوليه الواعيه. و لعل هذه السمه تكاد تنسحب على الأنصار عامه، الذين كانوا بمعنى ما، أول المعارضه فى الإسلام، إذا ما أخذنا فى الاعتبار هزيمتهم السياسيه فى السقيفه و ما أورثته لدى قريش نحوهم من حذر، تفاوت بين احتواء فى العهد الراشدى، باستثناء خلافه عثمان، و بين المعاداه الصريحه فى العهد الأموى

لا سيما السفيناني منه، حيث العصبية كانت محور سياسات هذا العهد.

و من هذا المنظور، يجد الأنصار أنفسهم متحالفين مع علي (ع)، ربما يتعدى الحرمان المشترك، إلى محاوله التعويض عن هزيمتهم في السقيفه.. و على الرغم من احتجاجهم على خروج علي (ع) من المدينة عشيه موقعه الجمل، ذلك الخروج الذى بدا حتميا بعد اغتيال الخليفه الثالث، و ما أدى اليه من اختلال فى المركزيه السياسيه للحجاز و استتباع اقتصادى للأمم، فان الأنصار قد حددوا موقفهم من السلطه منذ عهد عثمان، حيث كانوا على الهامش منها، و شاركوا بصوره جزئيه مع علي (ع) فى البصره، و بصوره شبه كليه معه فى صفين، كما عرفت اداره علي (ع) لأول مره فى الدوله، ذلك الحضور الأنصارى البارز، بعد تعيين عدد منهم فى مراكز أساسيه، مثل أبى قتاده الأنصارى فى مكه و سهل بن حنيف و أبى أيوب الأنصارى فى المدينه و عثمان بن حنيف الأنصارى فى البصره. و من البديهي أن يكون انكفاء علي (ع)، انكفاء للوضع الأنصارى فى الدوله الإسلاميه حين نزلوا بثقلهم فى صفين، و كان أربعة منهم فى مقدمه الصفوف و هم: قيس بن سعد و أبو أيوب الأنصارى و خزيمه بن ثابت و سهل بن حنيف. و لم يكن ما يثير الدهشه، أن يكون قيس، الذى تكرر زعيما للأنصار فى عهد علي (ع) أبرز القاده و أكثرهم إخلاصا للحسن (ع) و حماسه لاستمرار الحرب ضد معاويه، حيث كان ذلك الخيار الوحيد الذى لم يشأ التخلي عنه، حتى بعد قرار الحسن (ع) بالتنازل عن الخلافه. و قد جر عليه ذلك الموقف اسوأ النتائج فى العهد الأموى، سواء عليه شخصيا بعد انتهائه إلى الانزواء بقيه حياته فى المدينه، أو على جماعته الذين دفعوا الثمن الباهظ حرمانا و اضطهادا فى عهد معاويه، و قتلًا و استباحه لمدينتهم فى عهد خليفته (موقعه الحره).

و هكذا فان علاقه الأنصار بالسلطه، قد اضطرت نسبيا بعد وفاه النبی (ص)، و اختلت تماما بعد سقوط الدوله الراشديه و قيام دوله الأمويين التى كانت سياستها مناوئه لهم فى عهد الأول، منطلقه من أحقاد قديمه، جعلت الخليفه (يزيد) متشغيا بنكبتهم فى أعقاب الحره، إذا ما توقفنا عند بيت الشعر المنسوب له فى هذا المجال:

ليت أشياخي بيدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

(١) إنهم الخزرج - جماعه قيس - دائما فى الواجهه، يقودون الموقف الأنصارى.. من المبادره إلى دعوه الرسول (٢)، إلى المبادره فى طرح مسأله الخلافه، إلى المبادره فى المعارضه المسئوله، إلى المبادره فى الدفاع المستميت عن خلافه علي و أبنائه (ع).. و أخيرا إلى المبادره فى حركه لها مضمونها الاجتماعى - الاقتصادى، فضلا عن المضمون السياسى.. كان الأنصار مبادرين دائما فى خطهم الجذرى فى الإسلام، ذلك الخط الذى التزم به قيس و عبر عنه بصوره صادقه.

أطل قيس على الإسلام إذن من الباب الكبير، و اكتسب "صحبه" ء.

ص: ١٦٧

١- البلاذرى، أنساب مخطوطه ٣٣٣. ينسب هذا البيت أيضا لعبد الله الزبعرى أحد شعراء يزيد. الدينورى، الأخبار الطوال ص ٢٧١. الامامه و السياسه ج ٢ ص ٦.

٢- كان عدد الخزرج طاغيا على الأوس فى بيعتى عقبه و فى مجلس النقباء.

النبي (ص)، انطلاقاً مما كان للبيت الذي عاش فيه من دور في نشوء الدولة الإسلامية الأولى، و كان لديه من الصفات الشخصية والاجتماعية المميزه، سواء تمثلت بقامته الطويله أو بجوده المفرط أو بشجاعته اللافتة أو بحزمه الموصوف، أو برأيه النافذ، ما كان يؤهله لموقع قيادي، سرعان ما تبوأه عن جداره في أيام النبي (ص) و في عهده الإمامين علي (ع) و الحسن (ع).

على أن قيساً برغم وصف الروايات التاريخيه له، بأنه "صاحب رايه الأنصار مع رسول الله (ص)، لم يكن في الصفوف الأولى من قيادات المدينة في ذلك الحين، ربما لأن الدور الأساسي في بيته و في قومه كان معقوداً لوالده، الذي عهدت اليه مهمات كبيره، عسكريه أو اداريه. و لكن اسمه أخذ في البروز منذ السنه الثامنه للهجره، و في وقت تجاوزت فيه المدينة مرحله السرايا إلى الغزوات، حيث شارك في غزوه الخبط التي قادها أبو عبيده بن الجراح و معه ثلاثمائة من المهاجرين و الأنصار كما تردد اسمه في السنه نفسها، عند ما بعثه الرسول بعد منصرفه من الجعرانه " إلى ناحيه اليمن و أمره أن يطأ صداء " و قد كان لهذه المهمه نتائج باهره على صعيد انتشار الإسلام في هذه المنطقه، حيث سارع أهل صداء إلى إيفاد رجل منهم على الرسول (ص) بعد إنجاز قيس معسكره في اربعمائه من المسلمين بناحية قناه، قائلاً له فيما يرويّه ابن سعد: " جئتكم وافداً من ورائي فاردد الجيش و أنا لك بقومي، فردهم رسول الله (ص)، فقدم منهم على رسول الله (ص) على [ ] من وراءهم من قومهم و رجعوا إلى بلادهم، ففشا فيهم الإسلام، فوافى النبي (ص) مائه رجل منهم في حجه الوداع ".

و يتابع قيس دوره لصيقاً بالنبي (ص) في تلك السنه - المنعطف من تاريخ الإسلام التي شهدت لأول مره خروج الدوله من دائرتها الحجازيه، و الاتصال بالقبائل العربيه في الشام (حمله مؤتة)، و ما شكله ذلك من إرهاص لاعاده النظر في التوازن السياسي الولي في المنطقه الشاميه. و تتوجت هذه السنه (الثامنه) بأول الفتوح في الإسلام، و هو فتح مکه، و معه القضاء على رموز المجتمع الوثني و " قيمه "، حيث تردد اسم قيس في إحدى الروايات، بان النبي (ص) دفع إليه الرايه التي كان يحملها والده، بعد ما بلغه عن الأخير من " كلام في قریش و توعدهم لهم "، خلافاً للسائد عن هذه الحادته في معظم الروايات كما سبقت الإشارة.

موقفه من السقيفه

و لم تشر الروايات إلى دور قيس في السقيفه، باستثناء ما ورد في " الامامه و السياسه " من خلط بين اسمي قيس بن سعد و بشير بن سعد الذي كان من سادات الخزرج أيضاً و أول من بايع الخليفه الأول من الأنصار. و قد تفاوتت حين ذاك المواقف لدى هؤلاء، ما بين مؤيد أو متلكئ أو مثبط، حيث يفترض اندراج قيس في الفئه الأولى، و لكنه على الأرجح لم يجار [يجار] أباه في الحماسه المشروعه، مدركا بثاقب نظره ما يحيط به من صعوبه و ما يثيره من معارضه لدى المهاجرين، الذين تعزز حضورهم في الدوله، بعد فتح مکه، و ما أدى اليه ذلك من توحيد للجهه القرشيه بجناحيها المهاجر و غير المهاجر حول قضيه السلطه. و قد يؤيد هذا الرأي وجود قيس خلافاً لوالده - في معترك الأحداث التي شهدها العهد الراشدي الأول، لا سيما المشاركه الفاعله في معركة اليرموك، حيث ورد اسمه مفاوضاً عرب الشام و قائدهم آخر " ملوك " الغساسنه، جبله بن الأبهيم، واضعاً الأخير بين خيار الإسلام و مراعاة " صلته الرحم "، و بين خيار الحرب التي أصر عليها جبله، مما دفع خالد بن الوليد إلى قتالهم، و " انتخاب ستين رجلاً من أصحاب رسول الله (ص) معظمهم من الأنصار. و كان فيهم قيس بن سعد "، حسب الروايه التاريخيه.

- الدور الريادي في عهد أمير المؤمنين (ع) - و لا- يلبث قيس و قومه أن يتراجعوا إلى الظل في عهد الخليفه عثمان، الذي لم

يتسع المجال فيه لغير الأقرباء و المقربين، باستثناء قله قليله من الأنصار تعاطفت مع الخليفه و اندرجت في " حربه " بعد مقتله، كان يمثلها خاصه حسان بن ثابت و النعمان بن بشير. و كان من نتائج تلك السياسه التي انعكست سلبياتها بصوره خاصه على الأنصار في معقل دارهم بالمدينه، انهم لم يبالوا بالأحداث التي شاهدها الأ-خيره. و لم يسوغوا لأنفسهم التدخل في مسار التطورات التي بدت لم غير مجهوله. و لكن الأنصار لم يستمروا طويلا- خارج الدور الذي سرعان ما انخرطوا فيه، مع مجيء خليفه (علي " يتعاطفون معه في الكثير من الأمور، فإذا بهم أركان العهد الجديد، و زعيمهم قيس بن سعد، موضع ثقه الخليفه. يعهد اليه بالمهمات الصعبه و الدقيقه. فقد كان أحد الذين تولوا المفاوضات مع قبائل الكوفه، بغيه "استنفارها" للقتال ضد حركه البصره. و لكن الروايات لا- تخلو من التباس، يتعلق بأسماء المفاوضات الذين ربما ترددوا أكثر من مره على الكوفه في هذا السبيل. و لعل قيسا لم يكن مشاركا في الوفد الأول الذي ضم - حسب معظم الروايات - كلا من الحسن (ع) و عمار بن ياسر، بينما تفردت إحدى الروايات بإيراد اسمه في وفد يرجح أنه الثاني، ضمه و عبد الله بن عباس، إلى جانب الاثنين السابقين. و قد أدت هذه المهمه إلى حسم الموقف الكوفي، الذي شابه شىء من الارتياب، نتيجة للدور الغامض الذي قام به آخر ولاء المدينه في العهد السابق.(1)

و هكذا برز قيس بين قاده علي (ع) الرئيسيين، حيث المهمه الأولى التي تولاهها، لم تكن أمرا بسيطا في ذلك الحين، و إنما كان لها تأثير كبير في تطورات المرحله المعقده، حيث التأيد الكوفي للعهد الجديد، أسفر عنه خروج الخلافه من الحجاز، فضلا عن تعديل الموازين العسكريه في البصره التي لم تكن في البدايه لمصلحه علي (ع)، كما أدى إلى تفوق جبهته في صفين حتى إعلان التحكيم و بدايه التراجعات التي أورثتها هذه المسأله. ذلك ان الكوفه ارتبطت مصيريا بالاتجاه الذي مثله علي و أبناءه (ع) من بعده، و أصبحت قاعده التشيع السياسى الذى اصطنع أو كاد بالصبغه اليمنيه.

حيث الغالبية الساحقه من قبائلها تحدرت من أصل يمنى، مثل همدان و كنده و خزاعه و الأزدي و مذحج و فرعها نخع و بجيله، و غيرها من القبائل التي خاضت صراعا عنيفا تحت هذه الرايه ضد السلطه الأمويه.

و لعل ما يمكن استنتاجه من هذا البروز المبكر لقيس في هذا العهد، ان علاقته مع خليفته كانت على ما يبدو قديمه، على نحو بدا في علي (ع)، عارفا صاحبه عن كذب و مكتشفا كفاءته و إخلاصه بعيدا عن السلطه.

و قد جعله ذلك موضع ثقه الخليفه الذى اختار مساعديه وفقا لهذا النموذج، في دوله اهترت مصداقيتها في ظل النموذج الآخر.

و من هذا المنظور، كان يتم اختيار الرجل المناسب في منأى عن الاعتبار الاجتماعى، على أن يحوز الشروط المطلوبه التي يأتى في صدارتها، الولاء النقى و التجرد الشديد و الالتزام الصارم، فضلا عن تطويق الخليفه له بالوصيه - العهد، عشيه خروجه إلى مهمته. و كان ذلك مما اشتهر به علي (ع)، حيث كانت عهوده إلى أصحابه - لا سيما عهد الأشتر المعروف، بعد تعيينه واليا على مصر - تمثل مدرسه في الفكر السياسى، كان الخليفه الراشدى الرابع من مؤسسيها و روادها الكبار في الإسلام.

**قيس بن سعد**

واليا على مصر

و هكذا يتخذ قيس بن سعد طريقه إلى مصر، و معه

عهد الخليفة: "سر إلى مصر فقد وليتها و أخرج إلى رحلك و اجمع إليك ثقاتك و من أحببت أن يصحبك حتى تأتيها و معك جند، فان ذلك أرب لعدوك و أعز لوليك،

ص: ١٦٨

---

١- أبو موسى الأشعري.

و أحسن إلى المحسن و اشتد على المريب، و ارفق بالعامه و الخاصه.. " و بذلك يكون قيس أسبق أصحاب علي (ع) إلى القيام بدور كبير في الدوله، في وقت انصبت الجهود على استعادته خطها الجذري السابق، حيث كان لمصر موقع خطير في الصراع المرتقب، سواء من الناحيه العسكريه أو الاقتصاديه و من هذا المنظور، فان انظار معاويه لم تغب عن هذه الولايه الهامه، برغم اشتداد وطيس الحرب في صيفين، فكان من هواجسه تفادي محاصره الخليفه للشام و الأطباق عليه من العراق و مصر في نفس الوقت، مما جعله يركز على الأخيره للتحول دون وحده الولايتين، تلك المحاوله التي كلفت عليا اثنين من كبار أعوانه (الأشتر و محمد بن أبي بكر)، تامر عليهما معاويه بالقتل، كما تامر علي سلفهما (قيس بن سعد) بالعزل، مؤديا ذلك إلى إرباك الجبهه العراقيه التي تلقت ضربه قاسيه بخروج مصر من يدها و سيطره معاويه عليها. و لعل أهميتها من هذا المنطلق تبرز مره أخرى إبان الصراع على السلطه بين المروانيين و الزبيريين الذين شكل افتقادهم لمصر ضربه مماثله، بعد أن أعطاها مروان بن الحكم الأولويه التي أعطاهها لها معاويه قبل ذلك، حاسما الموقف إلى حد كبير لمصلحه الدوله الأمويه " الجديده".

توجه قيس " في سبعة نفر من أصحابه " إلى مهمته الصعبه التي استهلها بتلاوه كتاب تعيينه و دعوه المصريين إلى البيعه، معقبا على ذلك بخطبه تظهر حزمه و حكمته في آن، فضلا عن المرونه التي تجلت في رحابه موقفه و ترك حيز كبير للحوار، من غير أن يكون هذا الطرح مألوفا في مثل تلك الظروف، حيث خاطب المصريين، فيما يرويه أبو مخنف، بقوله: " إنا قد بايعنا خير من نعلم.. فقوموا أيها الناس فبايعوا على كتاب الله عز و جل و سنه رسوله ص، فان نحن لم نعمل بذلك فلا بيعه لنا عليكم".

و قد وقعت هذا الكلمات موقع الرضا في ولايه ما تزال تعج بأنصار الخليفه السابق و قياداته من أمثال عبد الله بن سعد بن أبي سرح، واليه المقرب، و مسلمه بن مخلد الأنصاري الذي حاول القيام بحركه مناوئه لقيس، تحت شعار الطلب بدم عثمان.. و لكن قيسا لم يعبا بهذه الحركه، لا سيما و أن مسلمه الأنصاري تهيب المضى في تصديه لوال قوي، يجيد صنعه القتال، بمثل ما يحسن صياغه الموقف السياسي، مما سهل عليه، احتواء هذه الحركه، استنادا إلى روايه ابن الكلبي. و قد أشارت الروايه نفسها إلى أن مصر استجابت بكاملها لقيس ما عدا قريه واحده، وردت "خربت" عند الطبري و "خرنبا" عند ابن الأثير. و لعل موقف القريه التي وصف أهلها بأنهم " قد عظموا قتل عثمان. و قادهم رجل من كنانه، يحمل أكثر من مؤشر في سياق الصراع على السلطه الذي كان لا يزال محصورا بحدود ما في إطاره السياسي فثم ما يستوقفنا هنا، هو تلك الحواريه اللافتة التي تمتع بها قيس و ذلك الخطاب الهادئ الذي توجه به إلى "المتمردين"، و هو من موقع القوه، بعد "استقامه" أمور الولايه قائلا لهم: "إني لا أكرهكم على البيعه و أنا أدعكم و أكف عنكم".

## فشل محاوله احتوائه

بيد أن هذه الحواريه التي كان لها تأثيرا كبير في السيطرة على مصر، اتخذت سبيلا لمحاربتة من جانب معاويه و شن حمله ذكيه عليه، بعد أن فشل في احتوائه و استدراجه إلى صفوفه، حيث نجح في إثارة الشكوك لدى علي (ع) حول سياسه واليه على مصر و اتخاذ قرار بعزله، بعد شهور قليله من تعيينه. ذلك أن معاويه، توجسا من خطر قيس " و ثقله"، حسب الروايه التاريخيه، بادر إلى التفاوض معه و محاوله ضمه إلى صفوفه، بما يترتب على موازين الصراع العسكري الذي لم يكن حين ذاك لمصلحه معاويه. فكتب اليه، حسب روايه ابن الكلبي، منطلقا من الشعار الذي خاض به معركة في الشام، و من التمسك بشرعيه العهد السابق: "فإنكم كنتم نقمتم على عثمان بن عفان رضى الله عنه في أثره رأيتموها أو ضربه سوط ضربها أو شتيمه رجل أو في



تسييره آخر أو في استعماله الفىء، فإنكم قد علمتم إن كنتم تعلمون أن دمه لم يحل لكم. فقد ركبتم عظيما من الأمر و جئتم شيئا إدا، فب إلى الله عز و جل يا قيس، فانك كنت فى المجلبين على عثمان بن عفان رضى الله عنه، إن كانت التوبه تعنى شيئا. و لعل أبرز ما ينطوى عليه هذا النص، هو مقايضه معاويه لقيس بدم عثمان من موقع التهمه التى وصف الأخير فيها، بأنه أكثر من ضالع فى قتل الخليفه السابق، الذى لم يسلم منه أحد حسب تعبيره، بمن فى ذلك الخليفه السابق الذى زعم معاويه أنه "أغرى به الناس و حملهم على قتله حتى قتلوه"، منتهايا به - أى قيس - إلى الوعد بان يكون له "سلطان العراقين" إذا ما تحول إلى ركب المطالبين بدم عثمان. كما ينطوى هذا النص على أهميه الجانب الاعلامى فى المعركه، و ما يمكن ان تخضع له القيم و الشعارات من تدجين و توظيف لها فى خدمه المآرب الخاصه كما يحدث عادة فى الحروب الأهليه التى تنقلب فيها المقاييس و تتبدل الاعتبارات، من غير أن يتورع أى طرف من طرح نفسه ممثلا للشرعيه معبرا عن مضمونها، مهما ابتعدت واقعه عنها. و لعل ذلك من أخطر ما تواجه الأمه، و هو رفع شعارات الحق على سده الباطل، حيث كان معاويه رائدا فى هذا المجال، عند ما جوز لنفسه محاسبه قيس و "حكومته" من موقع اسلامى، فى وقت كان يعلن العصيان على الإسلام، الذى تمثله الخلافه الشرعيه.

كانت هذه المدهامه، مما برع به معاويه فى أساليبه لاستدراج الخصوم، حيث استخدم ذلك بعد نحو ربع قرن مع أبناء الصحابه فى الحجاز، الرافضين بيعه ابنه (يزيد) وليا للعهد. و لكن ذلك لم يلق أذنا صاغيه لدى قيس الذى أثبت أنه لم يكن فقط جذريا فى المبدأ و صلبا فى الموقف، و إنما أثبت أيضا قدرته فى المفاوضه و مجاراته معاويه فى اكتساب الوقت:

" فقد بلغنى كتابك و فهمت ما ذكرت فيه من قتل عثمان رضى الله عنه، و ذلك أمر لم أقارفه و لم أظعن به، و ذكرت أن صاحبي هو أغرى الناس بعثمان و دسهم اليه حتى قتلوه، و هذا لم اطلع عليه، و ذكرت ان عظم عشيرتى لم تسلم من دم عثمان فأول الناس كان فيه قياما عشيرتى، و أما ما سالتنى من متابعتك و عرضت على من الجزاء فقد فهمته و هذا لى فيه نظر و فكره و ليس هذا ما يسرع إليه، و أنا كاف عنك و لن يأتيك من قلبى شىء حتى ترى و نرى إن شاء الله و المستجار الله عز و جل".

و الواقع أن قيسا، كما تبدى لنا من النص، لم يسارع إلى فتح المعركه مع معاويه فى أول الطريق، مستفيدا ما أمكن من الوقت، لتثبيت أوضاعه فى مصر، من غير السكوت على ما أورده من تهمه له و لصاحبه و لعشيرته. و لكن هذا الموقف الذى لم يره معاويه "الا مقاربا مباعدا"، كان غير مقبول لديه، و سرعان ما لجأ إلى محاوله ثانيه أكدت له عقم الحوار مع قيس الذى تصدى مره أخرى بجذريته القاطعه للمساومه و ما كانت تنبئه من تهديد: "فان العجب من اغترارك بى و طمعك فى و استسقاطك رأى، أ تسومنى الخروج من طاعه أولى الناس بالامر و أقولهم للحق و أهداهم سيلا- و أقربهم من رسول الله ص و سيله، و تأمرنى بالدخول فى طاعتك، طاعه أبعد الناس عن هذا الأمر و أقولهم للزور و أبعدهم من الله عز و جل و رسوله ص و سيله.. و أما قولك إنى مالى عليك مصر خيلا و رجلا، فو الله إن لم أشغلك بنفسك حتى تكون نفسك أهم إليك إنك لذو جد.

و لعل ما سبق من النصوص، يزيد مساحه الضوء على شخصيه قيس التى استحقت ما وصفت به، من أنه صاحب حزم و رأى، و كان ذلك قد أدرك معاويه، حين قرر التخلص من خصمه القوى بآيه و سيله. فلجأ أولا و معه

عمرو بن العاص - حسب روايه الزهرى - إلى محاوله إخراجهم من مصر بالقوه، قيل أن يلجا إلى الإيقاع به، وإفساد ماله من ثقه لدى الخليفه، متوجها إلى "أهل الشام" - حسب الروايه السابقه - بقوله: لا تسبوا قيس بن سعد ولا تدعوا إلى غزوه، فإنه لنا شيعه يأتينا كيس نصيحته سرا.. أ لا- ترون ما يفعل ياخوانكم الذين عنده من أهل خربتا، يجرى عليهم اعطياتهم و أرزاقهم و يؤمن سربهم و يحسن إلى كل راكب قدم عليه منكم لا يستنكرونه فى شىء " . و لم تلبث هذه الأخبار أن تسربت إلى " أهل العراق "، و استوقفت عليا (ع) و أركانه مسأله خربتا و ما أثار من الشكك لديهم، لا سيما بعد رفض قيس محاربه أهلها، الذى وصفهم بأسود العرب. و لا ينفك مؤثرا على السلام، برغم إصرار الخليفه فى المقابل على موقفه، تاركا له حسن الأمر بالعزل إذا كان لديه ما يريه فى هذه المسأله.

## عزله

و قد عزله الخليفه بالفعل، و لكن دون أن يتخلى عن ثقته به أو يخامر الشك بولائه المخلص، حيث عبر عن ذلك لمقربين منه: "إني و الله ما أصدق بهذا على قيس، حسب روايه أبى مخنف الذى يرتاب فى موقف عبد الله بن جعفر مستشار على (ع) فى هذه المسأله، حيث كان فى نفسه على ما يبدو شىء ما على قيس، مشجعا الخليفه على عزله و تعيين أخيه لأمه محمد بن أبى بكر مكانه. و لا تنفى إحدى الروايات ما كان محبوكا لدى بعض خواص الخليفه لابعاد قيس عن منصبه الهام، فى وقت كانت القلوب مشحونه و النفوس متربصه، مع اقتراب ساعات الحرب التى اندلعت بعيد ذلك.

و لم يكن أولئك الذين عاشوا مع الخليفه لحظات المعركه أو فى ساحتها القريبه، يرون ما يراه قيس فى ولايته التى انطوت على موقف متارجح فى الصراع بين الشام و العراق، دون أن يكون لعصبيتها اسهام بارز فى الفرز القبلى الذى حدد مواقع الأطراف فى ذلك الحين. فقد كان لتكوينها الجغرافى الذى انعكس على الوضع السكانى فيها، تأثير فى ضعف التماسك بين قبائلها التى لم تشكل وحدات كبيره شان الشام و العراق، و إنما كانت فى الغالب امتدادا للتشكيلات القبليه الشاميه، مما سهل السيطره الأمويه عليها فى وقت لاحق. و لعل هذه المسأله كانت ببال قيس بن سعد الذى استمد قوته من الشرعيه الجديده و بعد نظره فى السياسه، و ليس من العصبيات التى كانت ضعيفه و غير قادره على تكتيل نفسها فى هذا الاتجاه أو ذاك. و من هذا المنظور، نزع قيس إلى السلم أكثر من الحرب، بغيه الدخول إلى قلوب الناس و عقولهم، فى ولايه ما زالت تعيش على هامش الصراع السياسى، مسوغا ذلك فى رساله إلى الخليفه: "فانى أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله إن قبلى رجلا معتزلين قد سالونى أن أكف عنهم و أن أدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس فزى و يروا رأيهم. فقد رأيت أن أكف عنهم و ألا أتعجل حربهم و أن أتالفهم فيما بين ذلك. لعل الله عز و جل أن يقبل قلوبهم و يفرقهم عن ضلالتهم إن شاء الله " .

و الواقع أن الخليفه لم يكن متسرعاً فى عزل واليه المقرب، برغم إلحاح مستشاريه على ذلك، و إنما كان على ما يبدو غير موافق على نظريه صاحبه بالكف عن تلك البؤره التى يتجمع فيها أنصار "الحزب" الأموى المناوئ لعهدده. و لكن قيسا تشبث بموقفه، مدافعا عن وجهه نظره فى آخر رساله قبل عزله إلى الخليفه: "فقد عجبت لأمرك! أ تامر بقتال قوم كافين عنك مفرغيك لقتال عدوك!! و إنك متى حاربتهم ساعدوا عليك عدوك، فاطعنى يا أمير المؤمنين، و اكفف عنهم، فان رأى تركهم و السلام " . بيد أنه - أى قيس - يواجه مره أخرى حملة فى صفوفه، شبيهه بتلك التى حبكتها أجهزه معاويه، مشككه بولائه لعلى (ع)، حيث كان عبد الله بن جعفر - استنادا إلى روايه الزهرى - لا ينفك محرضا على عزله، ناسبا اليه كلاما جاء فيه: "إن سلطانا لا

يتم الا بقتل مسلمه بن مخلد، لسلطان سوء". و هكذا انتهى ذلك الجدل حول قضيه (خربتا)، بعزل قيس الذى كان يدرك فى قراراته أن ثمة من حاول إفساد علاقته بينه و بين الخليفه، مسرا بهذا الشعور إلى محمد بن أبى بكر بعيد وصوله إلى مصر، إذ قال له فيما يرويه أبو مخنف: "ما بال أمير المؤمنين، ما غيره، أدخل أحد بينى و بينه؟"، فقال له: "لا و هذا السلطان سلطانك"، معقبا قيس بقوله: "و الله لا أقيم ساعه واحده".

و لعل الخليفه بلغ فى التريث حدا، أنه أرسل أحد أركانہ الثلاثة(١) للاطلاع عن كذب على الوضع فى مصر، و من ثم إقناع قيس بوجهه نظر الخلافة. و يمكن من هذا المنظور تفسير إيفاد الأشر - إن صحت الروايه التاريخيه - قبيل ذلك للغايه نفسها، فى وقت كان يصعب فيه الاستغناء عنه، فضلا عن محمد بن أبى بكر، حيث الدوله تجتاز أدق مراحلها و أكثرها خطوره. و إذا كان تعيين محمد بن أبى بكر خلفا لقيس، ما ترجمه الروايات التاريخيه، فان تعيين الأشر لا يخلو من الالتباس، لا سيما و أنه رافق عليا (ع) طوال حروب صفين حتى انتهائها بالتحكيم، الذى كان له رأى فيه، فضلا عن رغبه على بان يكون الأشر ممثله فى الاجتماع التمهيدى للتحكيم فى دومه الجندل، و لعل ما يعنيه ذلك أن الأشر لم يذهب خلفا لقيس، و إنما الراجح أن محمد بن أبى بكر هو الذى تولى هذا المنصب، و انتهى إلى الوقوع فيما تفاداه سلفه من محاربه أهل "خربتا"، حيث أدى ذلك إلى تدخل مباشر من الشام، أسفر عن سقوط مصر و مقتل الوالى بطريقه وحشيه. و يبدو أن الخليفه انتدب الأشر حين ذاك للقيام بمهمه فى مصر، بعد اشتداد الضغط على واليه، للحوثول دون سقوطها بيد عمرو بن العاص، أو لاستعادتها بعيد سقوطها، حيث قتل بدوره فى عمله مدبره قبل وصوله.

## الولاء المطلق لعلى ع

على أن ما يبقى خارج الالتباس، هو الولاء المخلص الذى لم يتخل عنه قيس للخليفه، حتى بعد عزله و انصرافه معتكفا إلى المدينه، غير عابئ ب "شماته" خصمه "العثمانى" حسان بن ثابت الأنصارى، أو أن يكون خارج السلطه و موضع الشك من صاحبه. فهو لا- يلبث ان يضيق به المقام فى المدينه التى كانت تعج بالخصوم، و فى مقدمتهم مروان بن الحكم، و يبادر إلى الالتحاق بعلى (ع) مقاتلا- تحت رايته فى صفين، و مزيلا- ما بقى من حفيظه فى نفسه، حين أدرك - أى الخليفه - بان صاحبه "كان يقاسى أمورا عظاما من المكايده و أن من كان يهزه على عزل قيس بن سعد لم ينصح له، فأطاع على قيس بن سعد فى الأمر كله" حسب روايه الزهرى.

و هكذا يثبت قيس جذريته الصافيه التى لم تهزها العواصف أو تفعل بها المكايده و المغريات، منتقلا إلى موقع أكثر خطوره كان بانتظاره فى صفين التى التهب ساحتها بحرب طاحنه، دفعت بالدوله إلى الانقسام و بالمسلمين إلى التمزق. و فى تلك المواقف تتجلى صفات الرجال الأقياء بايمانهم العميق، و التزامهم الذى لا تؤثر فيها زعازع الأيام و تبدلات الزمن، على أن قوه قيس لم تكن فى صفاته فقط، و إنما كانت أيضا فى قوته السياسيه، كزعيم لقوم نزلوا بثقلهم فى صفين، مترادفا اسمه مع الأنصار فى هذه الجبهه، التى كان أحد قادتها البارزين، حيث تشير إحدى الروايات إلى ذلك فى معرض الرد على النعمان بن بشير قائلا له بحزم: "فلو اجتمعت العرب على بيعته - أى معاويه - لقاتلتهم الأنصار".

و إذا توقفنا عند تشكيل القيادة فى الجبهه العراقيه، سنجد قيسا - حسب روايه أبى مخنف - أحد تسعه(٢) من القاده كانوا يشنون غارات

- 
- ١- الأشر، محمد بن أبي بكر، قيس بن سعد.
  - ٢- الأشر، و حجر بن عدى و شبت بن ربعى و خالد بن المعمر و زياد بن النضر و زياد بن خصفه و سعيد بن قيس و معقل بن قيس و قيس بن سعد. الطبرى ج ٥، ص ٢٤٣.

متواليه على معسكر معاويه، و في موقعه ثانيه، تتشكل القيادة - حسب أبي مخنف أيضا - من الأشتر على خيل الكوفه و عمار بن ياسر على رجالتها و سهل بن حنيف الأنصاري على خيل البصره و قيس بن سعد و هاشم بن عتب بن أبي وقاص و مسعد بن مذكى التميمي على قرائها، أى أن قيسا كان يقاتل خارج التشكيله القبليه التي سادت في صفين، و يتخذ موقعه حيث تدعو الحاجه، و ترتئى القيادة العليا. و في موقفه ثالثه - حسب مرويه ابن الأثير - يتولى على القلب و على اليمينه عبد الله بن بديل الخزاعي و على اليسره عبد الله بن عباس، بينما يقاتل القراء مع ثلاثه هم: عمار بن ياسر و قيس بن سعد و عبد الله بن بديل. فهو حاضر دائما في قلب المعركه و خائض غمارها في هذا الموقع أو ذاك، و هو قائد مبرز سواء قاتل بقومه الذين كان صاحب رأيهم منذ عهد النبي (ص)، أو قاتل بغيرهم من القبائل المشاركه في هذه الحرب.

و إذا كان انتماء قيس لجيل المخضرمين أكثر من انتمائه لجيل الرواد في الإسلام الأول، فان جذريته لم تقل عن جذريه هؤلاء، بل كان أكثر حده و صفاء من كثيرين منهم. بالاضافه إلى ذلك فان ما تميز به من إصرار على مواقفه و تمسك بقناعاته، أكسب دوره في صفين ديناميه وضعته في تيار الحرب، الأكثر تعبيرا عن الجذريه، و في مواجهته تيار السلم أو الاستسلام للواقع، بما يعنيه ذلك من خيانه للمبدأ و تهاون في العقيد و اندحار للقضييه. و قد ظل قيس إلى جانب الأشتر النخعي، مقاتلا صارما في صفين، و مدافعا صلبا عن الشرعيه المقترنه لديه بالإسلام، دون أن يعنى ذلك الانتقاص من دور القاده الآخرين أو بعضهم، الذين قاتلوا أو استشهدوا في سبيل هذه القضييه، و لكن قيسا و صاحبه، كانت لهما تلك الديناميه التي جعلت من حضورهما أمرا غير عادى في أحداث تلك المرحله - المنعطف في تاريخ الإسلام.

### موقف قيس من التحكيم

و من هذا المنظور، كان قيس، شأن الأشتر، مقاوما للدعوه إلى التحكيم و منكرها لها، حيث وصفتهما إحدى المرويات بأنهما "كانا أشد الناس على على فيها قولاً". و قد ارتاب كلاهما بهذه الدعوه، في وقت "ظهروا على أصحاب معاويه ظهورا شديدا" ، حسب قول يعقوبى. و من ناحيه أخرى، فان الأشتر الذى ترافق بروزه السياسى، مع الرياده لحركه المعارضه التي واجهت الخليفه عثمان بدءا من الكوفه و انتهاء بالمدينه، و كان المجلى في هجماته المظفره على مواقع "أهل الشام"، لا سيما التي سبقت الدعوه إلى التحكيم، كما أن قيسا الذى وجد فيه معاويه خصما قويا لم تنجح معه السبل لتحويله عن موقعه، سواء تلك التي بذلها إبان ولايته على مصر أو تلك التي بذلها في غمره المعركه، عبر قريب قيس و حليف معاويه الأنصاري، النعمان بن بشير، كما سبقت الإشارة ". فان كلاهما الأشتر و قيس - بعد أن بلغ هذا الشوط في مقاومه الخط الذى يقوده معاويه، فإنهما لم يرفضا التحكيم من منطلق مبدئى فقط، بل من منطلق واقعى أيضا، حيث الخيار الوحيد لكليهما، استمرار القتال، حتى جلاء الأمور بالنصر أو بالهزيمه.

و قد جرى التحكيم عبر مرحلتين: الأولى تمهيديه في دومه الجندل و الثانيه و الأخيره في أذرع، و ذلك في ظل أجواء كانت المساومه طاغيه فيها، مما تعارض في الجوهر مع الجذرين من أصحاب على (ع) الذين وقعوا رغما عنهم في شرك المساومين في جبهتهم، و ما جره عليهم ذلك من تراجع إثر آخر. و لكن الحقيقه المفجعه التي واجهت هؤلاء هي ضعف التماسك في صفوفهم و بدايه الانهيار في الجبهه العراقيه، سرعان ما أباط التحكيم الغطاء الرقيق عنها. و تصاعدت الفجيعة، بسقوط الرموز من أصحاب على (ع)، مثل عمار بن ياسر و هاشم بن عتب و الأشتر النخعي، لا سيما الأخير الذى ترك غيابه فراغا لم يكن بالإمكان

تعويضه، بحيث نستطيع القول أنه تزامن أو كاد مع نهايه الحرب و إعلان الهدنه المقنعه.

## مشاركته في حرب الخوارج

و لكن الفجيعه الكبرى، كانت في تصدع الجبهه و خروج فريق منها احتجاجا على التحكيم، حيث اقترن الفعل بالاسم، الذى عرفوا به و هو الخوارج. و لعله من المثير أن الحركه التى تمت مباشرة فى إطار الاحتجاج على التحكيم، و لم تكن فى مضمونها نابعه من الخط الجذرى المتمسك بالحرب، كما زعمت فى حيشات خروجها الأول، بقدر ما كانت لها أسبابها الاجتماعيه و الاقتصاديه، حيث كان تمردا عزوفا، و لكن بأسلوب آخر، عن الحرب، التى كان من الصعب أن تتوقف لو لا التصدع الذى أحدثته فى هذه الجبهه. و فى مقدمه ما يعنيه هذا الأمر، أو واقعا جديدا، كان على على (ع) و أصحابه مواجهته فى ذلك الوقت، توقفت فى ظلله الحرب الأساسيه مع معاويه، و اندلعت حروب جانبيه ضد هؤلاء الخوارج، الذين تعمقت الجراح بينهم و بين على (ع)، على نحو لم يعد ممكنا تضميدها أو رأب الصدع الذى أحدثته فى الجبهه العراقيه المتراجعه. و قد بذل على (ع) جهوده القصوى لمنع هذا الواقع المستجد، و لكن الخوارج كانوا قد اتخذوا قرارهم، ليس بالافتراق عنه فقط، بل فى تشكيل حركه مستقله فى المفهوم و الرؤيه و الممارسه، مما أدى إلى وضع الطرفين أمام خيار الحرب الذى حمل الكارثه للجبهه العراقيه. و من هذا المنظور، لم تعد هذه الحركه معنيه بجوهر المسأله الأساسيه، بعد افتقاد مصداقيتها فى أعقاب فشل التحكيم و العوده إلى خيار القتال، الذى سبق أن تمسكت به و احتجت على إيقافه، كاشفه فراغ شعاراتها التى تهاوت أمام إخراجهم الدعوه إلى قتال العدو المشترك، و إزاء رفضهم تسليم قتله الصحابى عبد الله بن خباب و امرأته و غيرهما من أصحاب على (ع). فقد كان ذلك نذيرا بانفجار الجبهه العراقيه من الداخل، و شحنها بالتوتر الذى عبر عنه الخوارج فى معرض الرد على على (ع): "كلنا قتلهم و كلنا مستحل لدمائكم و دمائهم"، حسب الروايه التاريخيه.

و هكذا خرج على (ع) لقتالهم من الأنبار، متخذاً موقعه فى قلب الجيش، بينما انعقدت الميمنه لحجر بن عدى و الميسره لشبث بن ربعى، و قياده الخيل لأبى أيوب الأنصارى و الرجاله لأبى قتاده الأنصارى، و أهل المدينه " و هم ثمانمائه رجل من الصحابه " لقيس بن سعد، و كان الأخير سباقا فى المسير إلى معسكرهم فى النهروان، متخذاً طريق المدائن التى حل فيها وقتا بانتظار أوامر الخليفه، قبل أن يستأنف السير إليهم و معه عاملها سعد بن مسعود الثقفى، و ذلك حسب روايه أبى مخنف، فى حين يجعل الدينورى وصوله إلى النهروان مع أبى أيوب الأنصارى.

و لكن قيسا فى كلتا الروايتين يتقدم على صاحبه مبادرا إلى محاوره الخوارج بأسلوب يتجلى فيه الاتزان بمثل ما تتجلى المسئوليه، كما نسب اليه فى روايه أبى مخنف: "عباد الله أخرجوا إلينا طلبتنا منكم و ادخلوا فى هذا الأمر الذى خرجتم منه و عودوا إلى قتال عدونا و عدوكم، فإنكم ركبتم عظيما من الأمر.. نشدتكم بالله فى أنفسكم أن لا تهلكوها فانى لأرى الفتنة قد غلبت عليكم". بيد أن هذا النداء لم يلق آذانا صاغيه لدى الخوارج، و فشلت محاوله ردهم عن موقفهم، شان المحاولات السابقه التى جرت منذ اعتصامهم فى حروراء حتى انحيازهم إلى النهروان، حيث شهدت الأخيره معركة طاحنه بين حلفاء الأمس، القريب انتهت بانتصار الخليفه و لكن دون وضع النهايه الحاسمه للخوارج، الذين استعادوا تنظيم أنفسهم بعيد وقت قصير، مشهرين رايه العصيان و الثوره ضد معاويه و خلفائه فى الدوله الأمويه. و لعل

قيسا قد أمارط اللثام كاملا عن موقف الخوارج، كدعاه للحرب و رافضين للسلام مع العدو المشترك، حيث الشعار الذى طرحه فى أعقاب الدعوه إلى التحكيم، فقد مضمونه الحقيقى أمام تجديد الدعوه الصريحه إلى القتال التى خاطبهم بها فى ندائه السابق. و لم يكن غريبا أن يكون قيس، أكثر قاده على (ع) حضورا فى النهروان التى غاب عنها الأشتر و برز فيها الركن الآخر مقاتلا متمرسا و قائدا مجليا، حيث المعركة واحده، سواء فى صفين أو فى النهروان، تستهدف الشرعيه فى الإسلام، بمثل ما تستهدف قناعات قيس و إيمانه و قضيته.

## واليا على "أذربيجان"

و بعد النهروان، رافق قيس الخليفه إلى الكوفه، التى كانت بأمس الحاجه إلى ترتيب وضعها الداخلى، بعد ما صرفت الحرب كل الجهود عنها. و بدا قيس لصيقا بصاحبه فى عاصمه الخلافة، مقيما على شرطته بعض الوقت، قبل انتدابه واليا على أذربيجان، التى سبق أن وليها لعثمان، الأشعث بن قيس، و كانت لديه مشكله حول خراجها مع على (ع) بعد عزله، مما ترك شيئا من التدمر فى نفسه بعد "أخذه بمال أذربيجان"، ما لبث أن انعكس على موقفه المتذبذب فى صفين، و على حماسته للتحكيم الذى كان من كبار دعائه فى جانب على (ع). بيد أن تعيين قيس على أذربيجان لا يخلو من الالتباس، حيث أورده اليعقوبى سابقا على صفين، مثبتا ذلك باستدعاء الخليفه له عشيه اندلاع الحرب، بينما أورده الطبرى بعيد النهروان، مرجحا هذا الرأى أيضا ابن أبى الحديد، و لكن فى سياق يمكن الاستنتاج من خلطه، أن قيسا ربما عاد حين ذاك إلى عمله بعد ركود الحرب، شان الأشتر الذى رده الخليفه كذلك إلى عمله فى الجزيره (نصيبين).

و فى الوقت الذى يرجح فيه ابتعاد قيس عن الكوفه إلى أذربيجان، حيث غابت أخباره عن واجهه الأحداث الكبيره، ما بين تعيينه و بين اغتيال على (ع)، أى خلال أقل من عامين، ربما افتقدته فيها الكوفه. و لعل الخليفه نازعته الرغبه فى إعادته إلى مصر بعيد مقتل واليه محمد بن أبى بكر، معبرا عن ذلك فيما نسبه له ابن أبى الحديد، بقوله: "ما أرى لمصر إلا أحد الرجلين، صاحبنا الذى عزلنا بالأمس - يعنى قيس بن سعد بن عباده - أو مالك بن الحارث الأشتر".

و لم يبق من قيادات الصف الأول فى جبهه العراق، سوى قيس بن سعد، بعد أن لحق الأشتر بسلفه محمد بن أبى بكر. و لم يكن غياب الأشتر و قبله عمار بن ياسر و غيرهما من القيادات البارزه، مما سهل تجاوزه فى تلك المرحله الدقيقه من الصراع بين الشام و "العراق"، حيث الاغتيال السياسى اتخذ حيزه فى خطط معاويه، الذى كان يدرك تأثير القيادات فى المعركة، عسكريه كانت أم سياسيه. و لذلك لم يتردد معاويه، فى دفع أثمان باهظه، مقابل احتواء شخصيات راهن على دورها فى مشروعه السياسى (محاولته الفاشله مع قيس بن سعد كما سبقت الإشارة، و مضايقته لكل من رجالات عهده: عمرو بن العاص و زياد بن أبيه و المغيره بن شعبه و لم يتردد من المنظور نفسه، فى التخلص من آخرين أعيته السبل فى احتوائهم أو الركون إليهم، حيث كان له سجل حافل فى الاغتيال السياسى، مستخدما وسائله المبتكره فى هذا المجال، لا سيما التى أودت بالأشتر، الذى قدم له السم ممزوجا بالعسل، معبرا عن ذلك - أى معاويه - بالمقوله الشهيره: "إن لله جنودا من عسل". و كان أحد هؤلاء "الجنود"، و هو طبيبه الخاص (ابن آثال)، قد سقى الكأس نفسها لعبد الرحمن خالد بن الوليد الذى خشيه معاويه لميل الناس اليه حسب الروايه التاريخيه.

و بعد سنوات ثلاث، تناول الحسن بن على (ع) تلك الكأس من يد زوجته (جعه بنت الأشعث) التى اصطنعها معاويه و أزال

بواسطتها العقبة الأخيره فى مشروعہ الرامى إلى إسقاط الشورى اسما، بعد سقوطها بالفعل، و ذلك فى السنه نفسها التى قاد فيها يزيد الحمله الكبرى إلى القسطنطينيه، دون أن تكون خارج المشروع السالف الذكر أو بعيدہ عنه.

## قائدا فى جيش الحسن ع

لعل غياب قيس لم يكن طويلا عن الكوفه، التى عاد إليها على ما يبدو فى أواخر أيام على (ع)، حيث بات اليد اليمنى للخليفه، إذا ما توقفنا عند روايه الزهرى من أن عليا (ع) "جعل قيس بن سعد على مقدمته من أهل العراق و من قبل أذربيجان و على أرضها و شرطه الخميس التى ابتدعتها العرب و كانوا أربعين ألفا بايعوا عليا على الموت"، و لعله لم يغادر الكوفه، أصلا، حيث الروايه نفسها تلمح إلى ذلك، بأنه - قيس - "لم يزل يدارى ذلك البعث حتى قتل على ع". و إذ كان اغتيال على (ع) قد أحدث صدمه عنيفه فى صفوف جماعته و أربك حركه خليفته (الحسن) (ع)، مما انعكس على الجبهه العراقيه التى لم يعد بالإمكان توحيدھا و استنفارھا على نحو ما كانت عليه عشيه التحكيم، فان هذا الأمر كان ماساويا بالنسبه لقيس و المشروع الذى ارتبط مصيريا به تحت رايه الخليفه السابق. بيد أنه لم يفقد الأمل فى متابعه النضال من أجله تحت رايه الحسن (ع)، فكان أول المبايعين له فيما يرويه الطبرى، و لكنها بيعه اقترنت بالحرب أو بقتال المحلين كما وصفهم فى "عهده" للخليفه.

على أن حسابات قيس، ليست بالضروره حسابات الحسن (ع)، برغم وحده الموقف و تشابه المنطلقات، حيث الظروف لم تعد هى نفسها فى عهده، و الضغط الأموى على الجبهه العراقيه، لم تكن له خطورته فى السابق كما فى هذا العهد، بعد أن بلغت الهجمات الأمويه حدا كبيرا من الجراء، متوجه بهجوم معاويه على مسكن، غير البعيده عن الكوفه. و لعل ما يعنيه ذلك أن الأخيره باتت مهدده بصوره مباشره، مما اقتضى أن يتخذ الحسن (ع) معسكره فى المدائن، دون أن يكون ذلك مرتبطا بهذه التطورات فقط، و لكن بما تتمتع به الأخيره من موقع عسكري هام، جعلها منطلقا للعمليات الحربيه فى صفين، و من ثم انطلقت منها الإمدادات أثناء معركة النهروان.

و فى ضوء هذا الواقع، فان الجبهه العراقيه أصبحت على وشك الانهيار، و بات الحصار الأموى أمرا واقعا، تشتد وطاته يوما بعد آخر، من غير أن نتجاهل هنا المتاعب الداخليه، سواء فى تشكيل القوه العسكريه غير المنسجمه، أو فى أزمة الخوارج التى لم تكن قد ركزت تماما، أو فى المشكله الاقتصاديه المزمنه، نتيجه للحرب الطويله، التى أغرت الكثيرين من "أهل العراق" فى الالتحاق بمعسكر معاويه، حيث كان المال أحد أسلحته الفاعله فى المعركه.

## رفضه إغراءات معاويه المتجدده

و لكن الحسن (ع)، برغم هذه التحديات، لم يأت لانتهاء الحرب، كما يحاول بعض المؤرخين تفسير موقفه، انطلاقا من خطبه البيعه (1)، و ما عكسته من ارتياب "أهل العراق" فى صدق عزمه على القتال. فقد يكون لدى الحسن (ع) جنوح نحو السلم، تحت تأثير المعطيات التى أشرنا إليها، و لكن الخيار لم يكن حين ذاك سهلا، حيث الواقع فرض عليه الخيار الآخر، استجابته لتيار الحرب الأقوى فى جبهته، ممثلا بقيس بن سعد و حجر بن عدى و سليمان بن صرد و المسيب بن نجبه و آخرين من القيادات البارزه.

و كان معاويه، إدراكا منه بخطوره الموقع الذى يمثله قيس لدى الحسن (ع)



---

١- قال فيها مخاطبا أنصاره: "إنكم سامعون مطيعون، تسالمون من سالمات و تحاربون من حاربت" الطبري ج ٦، ص ٩٣.

و أهل العراق و كداعيه للحرب و رافض للصالح، الذى كان يشدد على إنجازة، قد لجا إلى التركيز على خصمه الأنصارى و محاوله احتوائه بما يعنيه ذلك من حسم للمشكلة التى كان الأخير أحد العوائق الاساسيه فيها. فقد رفض قيس المبلغ الكبير الذى أرسله اليه معاويه، حسب مرويه يعقوبى، فى وقت كان على رأس جيش من اثنى عشر ألفا، لصد قوات "الشاميين" عن الكوفه. و قيل فى روايه ثانيه، أن القيادة كانت لعبيد الله بن عباس، الذى جعل قيسا على مقدمته فى الطلائع "و أمره الحسن (ع) بان " يعمل بامر قيس بن سعد و رأيه ". و لم تشر الروايه إلى دوافع اتخاذ عبيد الله بن عباس من دون قيس، قائدا لهذا الجيش الذى ضم الأخير كقائد فعلى له، مما جعله يتحرك برأسين، و تنعكس عليه صورته الوضع الداخلى المضطرب للجبهه العراقيه. فلعل هذا الإجراء كانت له خلفيه توازنه، بين الأنصار الذين تصدروا تيار الحرب، و بين المهاجرين الذين بقى لهم حضور ما فى الجبهه، كان معنويا أكثر منه سياسيا أو عسكريا، و لكن دون ان يعدم تأثيره فى الصراع السياسى، الذى بات يدور فى ظل شعارات متشابهه، على الرغم من تفاوت الواقع و ابتعادها الضمنى بين الطرفين و لعله أيضا - أى الحسن (ع) - كان يهدف إلى زج قريبه فى المعركه و دفعه إلى الواجهه، مختبرا فيه الولاء الذى تبين أنه لم يكن صامدا، بعد أن مالت به النفس إلى معاويه الذى أجزل له العطاء (1)، منسحبا إلى معسكر الأخير " فى ثمانيه آلاف من أصحابه ".

و لكن المسأله ربما تعدت ذلك أيضا، إلى العلاقه بين الحسن (ع)، الذى بدأ يتخذ منحى واقعيًا فى سياسته، تحت تأثير المتغيرات السريعه.

و يحرص ما أمكن على إنقاذ جماعته من القتل، و جبهته من السقوط النهائى، و بين قائده الصلب، الذى اتخذ قراره فى المقابل، و لكن القرار الصعب الوحيد، دون أن يملك فى تلك اللحظه معطيات الخيار الآخر الذى سار فيه الحسن (ع). و قد أوجد ذلك نوعا من التباين ليس بين الأخير و بينه فقط، حين يرى الطبرى أن الحسن " عرف أن قيس بن سعد لا يوافق على رأيه، فنزعه و أقر عبد الله بن عباس "، و لكن بينه و بين أخيه الحسين (ع)، و آخرين من قاداته الكبار الذين سبقت الإشارة إليهم.

## معارضته للصالح

و هكذا تتضارب المواقف و معها المصالح أيضا بين الحسن (ع) و قيس، دون يكون للعباره الثانيه مدلولها الفردى فقط، حيث كانت تعنى كذلك الجماعه، سواء بالنسبه للأول الذى لم يعد أمامه سوى إنقاذها، بعد أن أصبح معاويه و "أهل الشام" على تخوم الكوفه، أو بالنسبه للثانى الذى أدرك أخيرا أنه مواجه الهزيمه، بما تعنيه من هزيمه للأنصار فى نفس الوقت، بعد انخراطهم الكلى فى هذه الحرب. و يبقى الجانب الأهم فى هذه المسأله، أن التراجع لم يكن سهلا لشخصيه جذريه مثل قيس، مشبعه بالايمان و مفطوره على الالتزام، لا سيما التراجع المقرون بالهزيمه، فضلا عن الذل الذى ينتظره امام معاويه، و قد وفى بوعده الذى قطعه على نفسه: " آليت متى ظفرت بقيس بن سعد أن أقطع لسانه و يده ". حسب الروايه التاريخيه. و من هذا المنطلق يصبح قيس المشكله الكبرى أو عقده الحل، بعد إصراره على القتال غير عابئ بالحرب النفسيه، التى استهدفتة، عبر اشاعات روجها أيضا معاويه، تزعم حينًا أنه قتل، و حينًا آخر أنه " صالح معاويه و صار معه ". فلم يؤثر ذلك فى موقفه الذى بقى صلبا، برغم ما تناهى اليه من أخبار عن اتفاق المدائن بين الحسن (ع) و بين ممثلى معاويه: عبد الله بن عامر و عبد الرحمن بن سمره، دون أن يجد نفسه ملزما بتنفيذه أو معنيا باشتراط الحسن (ع) أن لا يؤخذ قيس " بتبعه قلت أو كثرت "، معبرا عن رفضه له فى مقولته الشهيره: " أيها الناس اختاروا الدخول فى طاعه إمام ضلاله أو القتال مع غير إمام "، و لكن قيسا واجهته حين ذاك

الفجيعة الكبرى التي واجهت قبله الحسن (ع)، في "اختيار جنوده" إمام الضلالة"، بعد أن بلغ الإحباط لديهم مبلغا واشتدت عليهم المعاناة و استبد بهم الياس بعد سنوات خمس من القتال.

### قيس آخر المبايعين لمعاويه

لقد انتهت الحرب الأ-كثر خطوره في تاريخ الإسلام، بتنازل الحسن (ع) لمعاويه عن السلطه، تلك التي كانت محور الصراع العنيف بين تيار جذرى يقاتل من أجل الدوله - النموذج التي وضع النبي أسسها في المدينه، و بين تيار توفيقى، يختلط فيه الإسلام بالعصبيات القبليه و ربما الاقليميه، التي تكتلت وراء معاويه(٢) و حققت له الفوز في معركة السلطه.

و من هذا المنظور، فان الدوله الراشديه التي عارض قيامها "الأنصار" في السقيفه، كان زعيمهم قيس بن سعد آخر المدافعين عنها في معسكره بالجزيره. و إذا كان أبوه سعد بن عباده قد رفض البيعه لأول الخلفاء و انتهى إلى القتل نتيجة لذلك، فقد اختلفت الروايات حول بيعه قيس لمعاويه، حيث يعقوبى أشار إلى لقاء عاصف مع الأخير الذى "جثا على ركبتيه ثم أخذه بيده و قال: أقسمت عليك! ثم صفق على كفه، و نادى الناس: بايع قيس! فقال كذبتم و الله ما بايعت". أما الطبرى - حسب روايه الزهرى، فقد أورد أن معاويه أرسل إلى قيس بن سعد " يذكره الله و يقول على طاعه من تقاتل و قد بايعنى الذى أعطيته طاعتك، فأبى قيس أن يلين له ". و لكنه عاد فدخل فى طاعته، بعد أن " أرسل اليه بسجل قد ختم بأسفله"، على غرار ما فعله مع الحسن (ع)، حيث اشترط قيس كذلك شرطا مماثلا- لما جاء فى كتاب صاحبه، انطوى على الامامه " له و لشيعه على"، و لكن دون أن " يسأل معاويه فى سجله ذلك مالا"، حسب الروايه نفسها.

على أن قيسا، سواء رفض البيعه، على صعوبه - ذلك، أم رضخ فى النهايه للأمر الواقع، فان خياراته كانت لا تزال صعبه، حين أثر الخروج إلى الظل فى المدينه(٣)، و مواجهه الواقع الجديد، و من ثم تسديد حسابات الموقف الأنصارى الذى جر عليه و جماعته الاضطهاد و الحرمان و الفقر، و دفع أكثرها إلى بيع أملاكها للأمويين " بجزء من مائه من ثمنها"، حسب الروايه التاريخيه.

فقد كان ذلك أحد أبرز الحوافز لثوره المدينه، التي يمكن ادراجها أيضا فى سياق التحرك لاستعادته السلطه إلى الحجاز بعد وفاه مؤسس الدوله الأمويه، مشكلا خروجها منه، أو خروج الحجاز منها فيما بعد، ضربه كبيره لدور هذا الإقليم، الذى ارتبط تاريخيا بالإسلام، أكثر ما أصابت الأنصار الذين أتيحت لهم مره أخرى المشاركه الفعلية فى السلطه، عند ما اتخذ على (ع) أبرز عماله منهم، و لا سيما قيس بن سعد، أحد الأركان الرئيسيين لهذا العهد، و المدافع العنيد عن الدوله الراشديه. فلم تكن الأخيره فى حينها، الدوله المثاليه للأنصار. و لكنها على الأقل كانت الضامنه لجزء كبير من دورهم السياسى، مؤديا انهيارها إلى تكريس المعادله التي أسفرت عن فتح مكه، مضمونا و ظاهرا، و هى سقوط الأخيره من دون قريش و الأنصار من دون

ص: ١٧٣

١- قيل أن معاويه أرسل له ألف ألف درهم. يعقوبى ج ٢، ص ٢١٤.

٢- ذكر المقرئى فى سياق الحديث عن خلع الحسن لنفسه، و بيعته معاويه، إن الناس " نسيت شان النبوه و الحوارى و رجعوا

إلى أمر العصبية و التغالب "الدرر المضية فى تاريخ الدوله الإسلاميه. مخطوطه و رقمه ١.  
٣- توفى قيس بالمدينه فى آخر خلافه معاويه. ابن سعد، الطبقات ج ٦، ص ٥٢ - ٥٣. وقد ذكر ابن الأثير أيضا أنه توفى سنه  
تسع و خمسين أو ستين للهجره. الكامل ج ٣، ص ٥٢٥.

المدينه، و لكن مع تعديل " أموى "، أدى إلى سقوط عاصمه الإسلام الأولى أيضا.

## الشيخ كاظم بن صفى الله التنكابنى:

ولد حدود ١٠٧٠.

ولد فى تنكابن و قرأ المقدمات و السطوح بها ثم ذهب إلى أصفهان و حضر عند اعلامها ثم رجع إلى موطنه أوائل القرن الثانى عشر و بقى منشغلا بالتدريس و التأليف. رأيت بعض رسائل فقهيه و أصوليه متفرقه من تأليفاته فى بعض المكتبات و هى غير تامه. (١)

## الشيخ كاظم الصحاف ابن الشيخ على

ولد فى الكويت سنه ١٣١٣ هـ و توفى فيها سنه ١٣٩٩ و نقل جثمانه إلى النجف الأشرف فدفن فيها.

نشا فى الكويت على يد أخيه الشيخ حسين و يظهر أن أباه توفى و هو صغير، فكان ملازما لأخيه الشيخ حسين، و قد سافر به أخوه إلى النجف الأشرف، و كان أول تحصيله على يد أخيه، و بعد وفاه أخيه انقطع إلى الدرس و التحصيل على يد جماعه من العلماء.

و جاء فى كتاب " نفائس الأثر " للسيد هاشم الشخص عن كتاب " تذكره الاشراف فى آل الصحاف " عن المترجم له أنه بعد أن ارتقى فى معارفه و تحصيله العلمى اعتمد عليه الميرزا موسى الحائرى فأرسله إلى مدينه سوق الشيوخ فى العراق ليقوم هناك بالأمر الشرعيه و الحقوق الحسينيه، فمكث هناك مده ثم عاد إلى الكويت و قام بصلاه الجماعه فى مسجد الصحاف لكنه لم يقم فيها طويلا فغادرها إلى الأحساء بلد آباءه و محط أغلب أسرته و موطنه الأصلي، فدرس هناك الحكمة على الشيخ موسى أبو خميس أحد أكبر علماء الأحساء آنذاك، و استقرت به الحال فى الهفوف عاصمه الأحساء.

و كان خطيبا حسينيا مدرس الخطابه حتى آخر حياته.

زاول نظم الشعر و كان مكثرا فيه و شعره بين الجيد و المتوسط، و بدأ يضعف فى آخر حياته، و قد ساهم فى كثير من المناسبات الدينيه فمدح بعض علماء عصره، و نظم فى العقائد و الردود و غالبيه شعره فى أهل البيت ع.

و خلف مجموعه من الآثار الأدبيه و العلميه، لا تزال كلها مخطوطه.

فمن شعره قوله فى أمير المؤمنين على ع من قصيده:

أ سناء الفجر لنا أسفر بجيينك أم بدر أزهـر

و ثنايا الثغر تلوح لنا أم ذاك البرق أم الجوهـر

ما البدر جمالك إذ يبدو ما السيف لحاظك ما الجؤذر

يا ريم الحى و أخت البدر و نور الصبح إذا أسفر

رقى لفتى صب أرق لك طول الليل غدا يسهر

و له عيذى و عدى و صلى فالفضل بدا لمن استأثر

فإلى م فؤادك لا يحنو يا أخت البدر متى نسهر

إن كان بدا منى ذنب فبمدح أبى حسن يغفر

كنز الأعمال سنى الإجلال و ساقى الخلق من الكوثر

قطب المحراب أبو الأطياب و ليث الغاب متى قد كر

أفنى الأبطال بصارمه و لمرحب جندل فى خير

و بواحد أردى عمرا فغدت فى الدهر له تذكر

قسما بخلافته العليا و بغامض باطنه الأنور

لولاه الدين لما ارتفعت منه الأركان و لم تشهر

فمراشده و فوائده و ماثره عنه تؤثر

يا من أنكرت له فضلا فالشمس هنالك لا تنكر

فلئن ماثلت به أحدا ما الرمل يماثل بالجوهر

فإلى مولاي أبى حسن نعم فى الكون فلا تحصر

هى روح جنانى فى الدنيا و نعيم جنانى فى المحشر

و به نفسى أمنت و نجت فى الحشر من الفرع الأكبر

و بزعم القاصر أنى قد أطنبت بفضلك يا حيدر

فاقبل يا قدوه أعمالى ما استيسر من مدح الأحقر

## الشيخ كاظم الهجرى ابن الشيخ عمران ابن الشيخ حسن السليم:

ولد سنة ١٣٢٧ فى الأحساء و توفى سنة ١٤٠٠ فى عبادان و نقل جثمانه إلى النجف الأشرف و دفن فى وادى السلام.

هو من أسرته تعرف بال على فى الإحساء، فهو احسائى الأصل عبادانى المسكن، قرأ فى النجف الأشرف على أساتذته عصره، ثم حط رحل إقامته فى عبادان و كيلا لبعض المراجع. فأفاد إرشادا و تدريسا، كان يتمتع بحافظه قويه و باع مديد فى التاريخ و أيام العرب، و هو، و إن كان مقلا فى الشعر إلا أنه يجيده، و من شعره قصيده جارى بها قصيده الشيخ على الشرقى التى مطلعها:

سل الحجر الصوان و الأثر العادى خليلى كم جيل قد احتضن الوادى

قال الهجرى:

سل الصخره الصماء فى لونها الصادى فان بها دكت شوامخ أطواد

و سل بقعه الأرض التى أنت فوقها ففى الشبر منها قد طوى ألف بغداد

و سل تربها السافى عليك فإنه مفاصل آباء كرام و أجداد

و إن عثرت رجلاك بالترب ماشيا فما عثرت إلا بافلاذ و أكباد

و ما لبنه القصر الذى قد أشدته سوى هام كسرى أو جبين ابن شداد

و هل تدفن الأموات إلا بمثلها رفاتا فاجساد قبور لأجساد

فكم سرت ما بين المقابر واجما أكرر طرفى عندها رائحا غادى

أقول لها و الهم ملء جوانحى أ أنت قبور أم مراض آساد

تمازجت الأجساد فيك و بينها لدى ملتقى الأرواح غايه ابعاد

مصارع آمال الحياه و إنها لمجمع آلاف و أضداد

فخاطبنى هام توهمته بها سل الدهر كم من أمه ضمها الوادى

فلو نطقوا قالوا بأبلغ منطق سلونا فقد كنا لكم خير رواد

فانا كما كنتم جميعا تخوطننا قصور منيعات و يجمعنا نادى

فصاح بنا من جانب الدهر صائح فصيرنا صرعى رهائن الحاد

فلم يغن عنا ما عيننا بجمعه و ما دفعت عنا بقيه أولاد

أيا كادحا فيما يفارقه غدا أفق فسهام الموت منك بمرصاد

ترك ديوانا شعريا و مؤلفات فى الفقه و الأصول و الأدب كلها مخطوطه، هى عند ولده الشيخ جعفر الذى يقوم مكان أبيه فى عبادان.(٢)

**كثير عزه:**

**أشاره**

مرت ترجمته فى مكانها و نشر عنه هنا هذه الدراره بقلم الدكتور محمد العبد حمود:

كثير بفتح الكاف و كسر الاء و سكون الياء كامير. و لفرط قصره سمى بكثير. و قد ورد مكبرا فى شعره:

و قال لى الواشون ويحك أنها بغيرك حقا يا كثير تهيم

و فى قول شاعر آخر:

و إننى انسب من كثير إذا وصفت أخت الجؤذر

ص: ١٧٤

١- الشيخ محمد السامى.

٢- السيد هادى باليل الموسوى.



كما جاء معرفا بال و مصغرا فى شعر ربيعه الرقى.

جميل و الكثير قد أحبا و عروه من هوى لاقى حماما

و أبوه عبد الرحمن بن الأسود.

ألقابه و كناه

فى ألقابه و كناه قبسات تكشف جوانب هامه من شخصه و شخصيته أو يظهر مكانته الاجتماعيه أو يدل على منزلته الشعريه أو يبين عقيدته أو ينم عن حبه أو يشير إلى قبيلته أو مسقط رأسه.

أما ألقابه فأولها كثير و قد غلب عليه فعرف به دون اسمه كما غلب على جرو لقيه: الحطيئه الذى لقب به لقصره و انحطاطه إلى الأرض. ففى هذا التصغير تصوير لقده القصير. و لعله لم يكن محببا اليه. و ربما كان أبغض منه! زب الذباب و كان غرماؤه يقذعونه به و فى مقدمتهم زوج عزه الذى قال:

لعمرك ما زب الذباب كثير بفحل و لا آباؤه بفحول

و فى هذين اللقبين تصوير لمنزلته فى نفوس خصومه أن لم يمثلا واقعه الشخصى، إذ أن محتده الكريم و تعاليه عن الصغائر و حبه العفيف و موهبته الفنيه كل ذلك جعل له منزله لم يحظ بها كثير من شعراء عصره كالأحوص و نصيب.

و ملفت للنظر أن ينحته بعض من ترجم له بشاعر بنى مروان و بشاعر عبد الملك خاصه الذى مدحه بقصائد بلغ من إعجابه بها أنه كان يستظهرها و يرويها أولاده و بلغ من نفاسه معانيها أن هارون الرشيد عند ما سمعها حسده على أن الأيام لم تتح له شاعرا يحسن ان يقول فى ملكه مثلما كان كثير يقول فى دوله عبد الملك. فهذا الأمر ينطوى على أمرين أولهما تفوقه فى المديح و ثانيهما تناقض عقيدته إذ كيف أصبح شاعر عبد الملك و هو الكيسانى الهوى! و كيف لقب بشاعر بنى مروان و لم يلقب بشاعر الكيسانيه أو بشاعر الشيعة أو بشاعر محمد بن الحنفية أو بشاعر الإمام محمد الباقر عالى كان مختصا به فى الغايه القصوى و من شعراء حضرته كما يرى الخونسارى(1). أو بشاعر خزاعه أو بشاعر قريش التى أدعى أنه من صميمها لا سيما أنه فى تلك البيئه حيث كل قبيله و شاعرها الذى ينشر لواء مفاخرها كما كان الأخطل التغلبى و الراعى النميرى... كلها اسئله لا بد من محاوله الإجابة عليها أثناء دراسته شعره..

على أن أشهر ألقابه اللقب الذى تعانق فيه اسمه و اسم عزه التى هام بها منذ الصبا و ما برح يترنم بمفاتها و يلهج باسمها حتى عرف بكثير عزه و عرفت بعزه كثير و أصبح كل منهما يعرف بحبيبه أكثر مما يعرف بابيه أو بقبيلته أو باى لقب أو كنيه من ألقابه و كناه.

و سائر ألقابه تحمل نسبه القبلى و هى: الخزاعى، و خزاعه قبيلته.

و الأزدي و الأزدي جده التاسع عشر. و الملحى و مليح جده العاشر.

و الجعشمى و جعثمه جده التاسع من ناحيه أبيه. و لقبه الخونسارى بالمضرى بعد أن قال: و نسبه المنيف ينتهى بخمس عشره واسطه إلى الياس بن مضر.

أما كناه فاشهرها أبو صخر و أغلب أنه اصطنع هذا الاسم و تكنى به إذ لم يذكر أحد المؤرخين ان له ولدا اسمه صخر و لعله أراد بهذه الكنيه أن يرد على الذين نبزوه بكثير و بزب الذباب. و قد يعزز هذه الملاحظه اى تكنيه بصخر بالذات هو هذه اللفظه التى تشعر سامعها بصلابه الصخر و قوته. كما قد يؤكدها كبره البالغ الذى تميز به حتى صار مضرب المثل فقالوا: أمتع من كثيرا! و عرف بأبى جمعه أيضا و الأصفهاني و ابن عساكر ذكرا له ابنه اسمها جمعه.

## نسبه

يكاد يجمع الباحثون على أن كثيرا من خزاعه كما ان خزاعه من قحطان و نسبه الذى رواه الأصفهاني إلى قحطان يؤيد ذلك. (٢)

و نظره إلى طرفى نسبه نرى انه خزاعى صميم يلتقى نسب أبويه فى عمرو بن ربيعه. و شعره و اخباره خير الأدله على خزاعيته و قحطانيه خزاعه.

و عند ما ادعى القرشيه وصمته خزاعه بالزنا و هجته شعراؤها و كادوا يقتلونه لو لا- ليأذه بالهرب. و لما بلغ ادعاؤه النسب فى قريش أبا الطفيل عامر بن وائله الكناني و هو بالكوفه أمر كثير و تعبيره خزاعه منهم حلف لئن رآه ليضربنه بالسيف أو ليطعنه بالرمح و لكن خندقا الأسدى الذى كان صديقا لأبى الطفيل و لكثير أستوبه إياه فوهبه له (٣) و مما يدل على خزاعيته أيضا قول خالد بن صفوان لهشام بن عبد الملك: أنت و الله كما قال أخو خزاعه، و استشهد بأبيات لكثير (٤) كما أنه عند ما سمع بمقتل يزيد بن المهلب بن أبى صفره و جماعه من أهل بيته بكى و أسف و ترحم و اعتذر عن هجائهم عند ما أمره به يزيد بن عبد الملك. بل قام بين يديه ليشفع لمن بقى منهم عند ما أتى بهم ليضرب أعناقهم بأبيات كلها نخوه و مروءه. قال حفص الأموى: كنت اختلف إلى كثير أ تروى شعره. فو الله إنى لعنده يوما إذ وقف عليه واقف فقال: قتل آل المهلب بالعقر - و كانوا يكثرون الإحسان اليه - فقال ما أجل الخطب! ضحى آل أبى سفيان بالدين يوم الطف و ضحى بنو مروان بالكرم يوم العقر. و انتضحت عيناه باكيا. فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك فدعا به فلما دخل عليه قال: عليك لعنه الله أ ترايبه (نسبه إلى أبى تراب و هو اللقب الذى أطلقه الأمويون على الامام على ع و فيها إشاره إلى تشيع الشاعر) و عصبية و جعل يضحك منه (٥) و فى هذا تأكيد لانتساب الشاعر إلى خزاعه و هى قبيله عرفت بتشييعها منذ ظهور الإسلام.

## نشاته و حياته

ولد كثير فى عام ٢٣ للهجره فى كليه (٦) و هى قريه من قرى الحجاز بين مكه و المدينه. فنشأ فيها كما تنشأ لداته من فتيان العرب يسرحون لأهلهم بالإبل و الغنم. و فى ذات يوم من أيام الصبا كان كثير يسوق جلب غنم يبحث عن الماء فقاده الظما إلى ينبوع الحب و ملهمه الشعر إلى عزه (٧) و الثابت أن كثيرا تربى فى كنف عمه ربما لأن أباه كان مدقعا عاجزا عن إعالتة أو أن كثيرا لم يكن على وفاق مع أبيه إذ يروى ان أباه أصابته قرحه فى إصبع من أصابع يده فقال له كثير أ تدرى لما أصابتك القرحه؟ قال: لا.

قال: مما ترفعها إلى الله في يمين كاذبه! و خلاصه القول ان المعلومات عن طفولته و أسرته تجعل دراسه حياته غايه فى الصعوبه لا سيما لجهه تبين المقومات و المؤثرات الأولى فى تكوين شخصيته و كل ما تتيحه التفت الواردة فى هذا الموضوع هو ان أباه لم يكن من عليه القوم بل من سوادهم و أنه تربى فى كنف عمه و ليس فى بيت أبويه، و أن عمه كان باراً بريبه فاشترى له قطعان الإبل و الأغنام يتنقل بها بين البوادي و الحواضر. فقد جاء فى الأخبار ان عزه حاولت شراء جمل منه فى المدينه (أ).

و لكن الشاعر لم يمض حياته فى رعايه المواشى و التجاره بها إذ ما لبث ان انتقل من بيع الإبل و الغنم إلى العطاره حيث أصبح صاحب حانوت فى

ص: ١٧٥

- ١- روضات الجنات ١: ٥٠٩.
- ٢- الأغاني ٩: ٣.
- ٣- م. ن: ١١-١٣.
- ٤- أمالي المرتضى ٢: ٢٦١.
- ٥- الكامل فى التاريخ ٥: ٦٦.
- ٦- معجم ما استعجم ٣: ٩٥٤.
- ٧- الأغاني ٩: ٢٣.
- ٨- م. ن: ٣١.

المدينه يبيع فيه العطر و الخيط و الثياب و القطران. و كانت عزه ربما تأتيه فتشترى منه العطر و الثياب(١).

و فى أيام عبد الملك بن مروان استغل منزلته لديه فسأله ان يقطعه أرضا تسمى "غربا" و هى ناحيه قرب المدينه فيها نخل و أشجار ففعل(٢). و كان كثير مختصا بعبد الملك بن مروان محظيا عنده يرفع مجلسه و يجزل جوائزه.

كما طمح ان يتولى الكتابه لعبد العزيز بن مروان والى مصر لأخيه عبد الملك و لكنه لم يوفق إلى ذلك(٣) و فى خلافه عمر بن عبد العزيز اشترى وصيفه بثلاثمائة درهم أعطاها إياه عمر بن عبد العزيز فعلمها الغناء و باعها بالف دينار(٤) و كانت جائزته عند يزيد بن عبد الملك ثلاثين ألفا و كان ينشده كل قصيده بمائه دينار(٥).

و كذلك مدح أمراء الأمويين و أميراتهم و قادتهم و نال جوائزهم كبشر بن مروان و مسلمه بن عبد الملك(٦) هذه هى أهم الروافد الاقتصادية لمعيشته. غير ان رعيه للإبل و الغنم تم بيعها و متاجرتها فى الحانوت و حصوله على "غرب" و شراءه للوصيفه و بيعها بعد تعليمها الغناء لم يكن إلا بعض وجوه نشاطه لكسب العيش. اما مهنته التى كان عليها معوله فى معاشه و جميع نواحي حياته فهى قريحته الشعرية.

كما يبدو انه كان لكثير عطاء سنوى كسائر الناس الذين فى ديوان العطاء. فقد ذكر انه حينما كان يأخذ عطاءه ياتى ولد الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ع فيهب لهم الدراهم(٧).

## شخصيته

كان كثير قصيرا متقارب الخلق للغاية. قيل أنه لم يكن يبلغ شروع الإبل. و قال الواقسى: رأيت كثيرا يطوف بالبيت فمن حدثك انه يزيد على ثلاثه أشبار فكذبه(٨) و كان إذا دخل على عبد الملك بن مروان أو أخيه عبد العزيز بن مروان يقول له: طأطئ رأسك لا يصيبه السقف(٩) و كان فوق قصره الشديد مفرط الدمامه معروق القامه طويل العنق عظيم الهامه أبرش أقيشر أى شديد الحمرة كان بشرته مقشوره(١٠).

و مع ذلك فقد كان جريئا حاضر البديهة حديد الجنان و اللسان. لقيه الفرزدق فقال له يا أبا صخر أنت أشعر العرب حيث تقول:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل

يعرض بسرته من جميل. فقال له كثير أ و أنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا و إن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

و هذا البيت لجميل أيضا سرقة الفرزدق. ثم قال له الفرزدق: هل كانت أمك ترد البصره؟ فقال كثير: لا و لكن أبى كان نزيلا لأمك(١١) و دخل على عبد الملك بن مروان و عنده الأخطل فأنشده فالتفت عبد الملك إلى الأخطل فقال: كيف ترى؟ فقال: حجازى مقرر - أى بارد و لا دسم فيه - دعنى أخضمه يا أمير المؤمنين فقال كثير فهلا خضمت الذى يقول:

لا تطلبن خئوله فى تغلب فالزنج أكرم منهم أخوالا

و التغلبى إذا تنحى للقرى حك استه و تمثل الامثالا

(١٢) فألقمه حجرا.

و من حضور بديهته فى الجواب انه مر راكبا فى طريق كان الإمام محمد الباقرع ماشيا فيه و كثير لم يره فقال له رجل: أ تسير راكبا و الامام يمشى؟ فقال ان الامام أمرنى بالركوب و طاعته أفضل من مخالفته.(١٣)

أما كبرياؤه فقد كانت ابرز صفاته إذ كان من أتية الناس و اذهبهم بنفسه على كل أحد. يروى ان عمر بن أبى ربيعه اتى المدينة. ثم مل ثواه بها فشخص و شخص معه الأحوص و لما نزلوا قديدا صار إليهما نصيب فمضى الأحوص إلى بعض حاجته فرجع إلى صاحبه و قال: إنى رأيت كثيرا فى موضع كذا. فقال عمر فابعثوا اليه ليصير إلينا. فقال الأحوص: أ هو يصير إليكم؟ هو و الله أعظم كبرا من ذلك. قال: فصاروا اليه و هو جالس على جلد كبش. فو الله ما رفع أحدا منهم و لا القرشى.(١٤)

و كذلك كان جرير يعهد فيه هذا الشمم فيوليه الاحترام. فقد قال له:

أى رجل أنت لو لا قامتك، أو قال لو لا دمامتك فأجابه كثير:

أن أك قصدا فى الرجال فاننى إذا حل أمر ساحتى لطويل

(١٥) و لا شك أن الغلو فى التشامخ يعكس ما يعانىه من نقص بسبب عشابته المتناهيه و يرسم المفارقة بين علو همته و ضاله قامته و دمامته. و مثلما انتحل الكبرياء ليجعل لذاته منزله منيعه فى النفوس أضفى على محياه الجمال و الجلال و أسبغ على نفسه البهاء و النضاره ما شاء لطاوس خيلائه و لشاعريته أن يضىفى و يسبغ فقال:

متى تحسروا عن العمامه تبصروا جميل المحيا أغفلته الدواهن

بروق العيون الناظرات كأنه هرقلى وزن أحمر الثبر وازن

(١٦) و إنه يملأ قلوب النساء هيبه و يثير بينهن الغيره:

و كنت إذا ما جئت أجلن مجلسى و أظهرن منى هيبه لا تجهما

يحاذرن منى غيره قد علمنها قديما فما يضحكن إلا تبسما

يكللن حد الطرف عن ذى مهابه ابان آلات الدل لما تبسما..

(١٧) هذه الصفات دفعت الشعراء إلى هجائه و النساء إلى التندر به و خاصه أميرات المدينة فكن يتحرفن به فيتناولن قصره و دمامته و يغاضبنه ثم ينقلبن إلى شعره فى الغزل فيطرينه و يسفرن أمامه و يعرفنه بأنفسهن و قبل أن يودعنه ينفحنه ببدر الدراهم ليغرينه بالتغزل بمحاسنهن حتى يزددن حظوه عند أزواجهن أو حتى يسمع بهن فى مجالس الأدب و الطرب التى كانت تتجارب

اصداؤها فى جنبات الحجاز و العراق و الشام و مصر و بذلك تسطع كواكبهن فى سماء الشهره.(١٨)

و لكن كثيرا على كبره و ابهته لم يكن كرا زميئا بل أنه لأريحي يهش

ص: ١٧٦

١- المستجاد من فعلات الأجواد: ١٢٤.

٢- الأغاني ٩: ١٠.

٣- العقد الفريد ٣: ٨.

٤- الأغاني ٩/ ٢٦٠.

٥- طبقات الشعراء: ٤٦١.

٦- الأغاني ٩: ٤٠.

٧- الأغاني ٩: ١٨.

٨- م. ن: ٦.

٩- م. ن: ٦.

١٠- الأغاني ١٢: ١٨٧.

١١- الأغاني ٨: ٩٦.

١٢- العقد الفريد ٥: ٢٩٧.

١٣- أمالي المرتضى ٣: ١١٩.

١٤- العقد الفريد ٥: ٣٧٢.

١٥- الأغاني ٩: ٦.

١٦- الأغاني ١٢: ١٨٤، ١٨٧.

١٧- عيون الأخبار ٤: ٧٨.

١٨- الأغاني ١: ٣٥٦. المحاسن و الأضداد: ١٣٨.

للدعابه إذا آنس فيها سلامه الطويه كما نراه مع العجوز العمياء. خرج يوما من عند الملك بن مروان و عليه مطرف خز فاعترضته عجوز عمياء فى الطريق اقتبست نارا فى روثه. فقال لها تنحى عن الطريق. فقالت له:

ويحك و من تكون؟ فقال: كثير عزه. فقالت قبحك الله. و هل مثلك يتنحى له عن الطريق! قال: لم؟ فقالت أ لست القائل:

و ما روضه بالحزن طيبه الثرى يمج الندى جثائها و عرارها

بأطيب من أردان عزه موهنا إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

فقال: نعم. فقالت: ويحك لو أوقدت المندل الرطب على هذه الروثه و تبخرت بها أمك الشناء لطابت رائحتها فهل قلت كما قال سيدك امرؤ القيس:

أ لم تريانى كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا و إن لم تطيب

فناولها المطرف و قال: استرى على هذا. (1)

و قد تعصب عليه بعض المؤرخين فرعم انه كان أحقق لحادثه جرت بينه و بين يزيد بن عبد الملك صاحب حبابه التى ولاها يوما الخلافه. كما زعم طه حسين انه كان أعور لأن هناك من اتهم كثيرا بأنه الدجال - لأنه كان يتشيع تشيعا قبيحا و الدجال فى الأساطير أعور (2) بقى أن نشير إلى أن كثيرا كان ممن يتيامنون بالبوارح و يتشاءمون بالسوانح، فان الغراب هو الذى أنذره بموت عزه كما ان ظباء سوانح و غرابا يفحص التراب بوجهه حوادث أخبرته انه لن يستطيع الزواج بامرأه من قبيلته:

تيممت شيخا منهم ذا بجاله بصيرا بزجر الطير منحنى الصلب

فقلت له:

ما ذا ترى فى سوانحو صوت غراب يفحص الوجه بالترب

فقال:

جرى الطبى السنيح بينهاو قال: غراب جد منهمر السكب

فان لا تكن ماتت فقد حال دونها سواك خليل من بنى كعب

(3) و يستنتج من الأخبار الكثيره انه كان على درجه متقدمه من الثقافه.

فقد سبق و أشرنا إلى انه طلب من عبد العزيز بن مروان أن يوليه الكتابه و هذا يدل على انه كان يتقنها إلى درجه بعثت طموحه إلى أن يتقلدها لوالى مصر.

كما كان كثير راويه جميل بشينه(٤) و معجبا به يعده أمامه فى الحب و الغزل. و أغلب الظن أنه كان يدون شعر جميل ليستعين بكتابته على حفظه و روايته.

و قد كان مع معرفته بالكتابه علما من اعلام الأدب و الأخبار فى عصره تشد اليه الرحال التماسا لما عنده. قال حماد الراويه: قدمت المدينه فدخلت المسجد فكان أول من دفعت اليه كثير عزه..(٥) كما عرف شعره شهره بلغت حد الأساطير(٦)

## وفاته

ذكرت المصادر خمس تواريخ لوفاه كثير هي سنه ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١١٥ هجرية. و أغلب الظن أنها كانت سنه ١٠٥ لأن الذى ذكر أنه توفي سنه ١٠٥ كان شاهد عيان و هو خالد بن القاسم البياضى الذى قال:

مات عكرمه مولى ابن عباس و كثير عزه فى يوم واحد فى سنه خمس و مائه فرأيتهما جميعا صلى عليهما فى موضع واحد بعد الظهر.(٧) كما نستبعد أن تكون وفاته عام ١٠٦ أو ١٠٧ أى أول خلافه هشام بن عبد الملك لأننا لا نجد له شعرا فيه و لا أخبارا له معه سوى خبر واحد نرويه لما فيه من طرافه القصص الغرامى لاقتناعه بصحته و هو من خيال أهل القصص الذين أحبوا أن يختموا حياه كثير و عزه بماساه تثير الشجن فقالوا:

لما حج الفرزدق اجتمع بكثير و رأى غرامه بعزه - و قد تزوجت - فلما قدم الشام أخبر هشاما بذلك فقال لكتابه اكتب اليه بالحضور إلى عندنا لنطلق عزه من زوجها و نزوجها إياه. فكتب بذلك فخرج كثير يريد دمشق.

فلما سار قليلا رأى غرابا على بانه و هو يلقى نفسه و ريشه يتساقط. فاصفر لونه و ارتاع و جد فى السير. ثم مال إلى حى من نهد فقص قصته على شيخ منهم فقال الشيخ: الغراب: اغتراب. و البانه: بين. و الفلى. فرقه. فازداد حزنا فوصل إلى دمشق و وجد الناس يصلون على جنازه. فقام و صلى معهم فلما انقضت الصلاه أخبره رجل! إن هذه عزه قد ماتت و هذه جنازتها فخر مغشيا عليه. فلما أفاق انشد:

رأيت غرابا واقفا فوق بانه ينتف أعلى ريشه و يطايره

فقلت و لو إنى أشاء زجرته بنفسى للنهدى هل أنت زاجره

فقال: غراب لاغتراب من النوى و بانه بين من حبيب تعاشره

فما أعرف النهدي لا در دره و أزجره للطير لا عز ناصره

ثم شفق شفه فمات من ساعته و دفن مع عزه فى يوم واحد.(٨)

و الاختراع الخيالى العاطفى ظاهر فى الحكايه.

علما بان عزه توفيت سنه ٨٥ للهجره(٩) فى أواخر خلافه عبد الملك و رثاها بقصيده طويله و قد تغير شعره بعدها و قل. فقال له



قائل: ما بال شعرك قصرت فيه؟ فقال: ماتت عزه فما أطرب و ذهب الشباب فما أعجب و مات ابن ليلي فما أرغب. ابن ليلي:  
عبد العزيز بن مروان.(١٠)

أما التاريخ الأخير الذي جعل وفاته عام ١١٥ هـ فخطأ لأن كثيرا لما مات صلى عليه و شيعه الإمام محمد الباقر و قد توفي الامام  
الباقر سنة ١١٤ هـ.

أما عمره فقد بلغ حوالي اثنتين أو ثلاث و ثمانين حجه. قال المرزباني توفي عكرمه و كثير بالمدينه فى يوم واحد سنه خمس و  
مائة فى ولايه يزيد أو فى أول خلافه هشام و قد زاد واحده أو اثنين على ثمانين سنه.(١١)

و إذا رجحنا أنه توفي سنه ١٠٥ و إنه عاش اثنتين و ثمانين سنه فالأرجح أن ميلاده كان عام ٢٣ هجرية.

### حبه عزه

كان معظم شعر كثير فى الغزل. و كان معظم غزله فى عزه، و يجد الدارس فى هذا القسم من شعره أحسن تصوير لقصته معها و  
أصدق تعبير عن حبه لها.

و لكن بعض القدماء زعم أنه لم يكن صادقا فى حبه. و إنما كان مدعيا يقول ابن سلام: كان جميل صادق الصبايه و العشق. و  
لم يكن كثير بعاشق و لكنه كان يتقول.(١٢) و قد ردد الأصفهاني قول ابن سلام.(١٣)

و تلقف طه حسين هذه الإشارات ليتكلم على كثير بما يشبه الحقد فهو يعده فى الغزليين ليخرجه منهم و هو لم يكن - حسب  
رأى الدكتور - ماهرا و لا

ص: ١٧٧

- ١- الموشح: ١٥١.
- ٢- حديث الأربعاء ١: ٣٦١.
- ٣- الأغاني ٩: ٣٤.
- ٤- تاريخ الأدب العربى ١: ١٩٥.
- ٥- الأغاني ٩: ٢٧٥.
- ٦- م. ن: ٣٠٩.
- ٧- م. ن: ٣٦.
- ٨- المستطرف ٢: ٢٠٤، روضات الجنات ١: ٥١٠.
- ٩- إعلام النساء ٢: ١٠١٢.
- ١٠- م. ن.
- ١١- أعيان الشيعة ٩: ٢٥.

١٢- طبقات الشعراء: ١٢٤.

١٣- الأغانى ٩: ٣٢، ٣٣.

موفقا فى تكلف الغزل و لا- صافى الطبع و لا- رقيق الحس و لا دقيق الشعور و لا قوى العاطفه و لا ذكى الفؤاد و إنما كان بريئا من هذا كله... بل كان دميما قبيحا بشع المنظر مضحكا لمن يراه مضحكا لمن يسمعه و يتحدث اليه.

و كان أحق مسرفا فى الحمق ضعيف العقل إلى حد غريب...

و مع هذا كله فليس من شك فى ان كثيرا قد كان شاعرا مجيدا بل عظيم الحظ جدا من الإجاهه(١)...!! و لعل فى رد أعيان الشيعه على طه حسين ما يوفر علينا مهمه القيام بذلك.(٢)

و مما لا شك فيه إن الباحث الممحص لا يمكنه إلا أن يلاحظ مدى التجنى على كثير فى هذه القضية كتجنينهم عليه بأنه أحق و إنه أعور و لعل أصل هذه المزاعم جميعا هو اتهامهم له بالغلو فى التشيع.

و أغلب الظن أن قصه كثير و عزه قصه حقيقه ذكرها المؤرخون و لو انها لم تسلم من إضافات القصاص فى بعض مواقفها و حواشيتها إلا إنها إضافات تتمشى مع روحها و فصولها و جوها و لا تخل بحقيقتها.

لقاؤه الأول معها - يرويه أبو الفرج: خرج كثير فى فجر حياته من منزله يسوق جلب غنم إلى الجار فلما كان بوادى الخبث وقف على نسوه بنى ضميره فسألهن عن الماء. فقلن لعزه - و هى جاريه قد كعب ثدياها - ارشديه. فأرشدته فأعجبته. ثم جاءته عزه بدراهم فقالت: تقول لك النسوه بعنا بهذه الدراهم كبشا من ضانك فدفع إليها كبشا و قال: ردى الدراهم.

و قولى لهن إذا رجعت: اقتضيت حاجتى منكن. فلما رجع جاءته امرأه منهن بدراهمه فقال: و أين الصبيه التى أخذت منى الكبش؟ قالت: و ما تصنع بها؟ هذه دراهمك. قال: لا آخذ دراهمى إلا ممن دفعت لها الكبش.

فمزن معه و قلن: ويحك عزه جاريه صغيره و ليست بها وفاء لحقك فاحمله على إحدانا فإنها أملا به و أسرع له أداء! فقال ما أنا بمحيل حقى عنها. فقلن له: أبيت إلا عزه. و أبرزنها اليه و هى كارمه. ثم أحبته عزه بعد ذلك أشد من حبه إياها(٣).

و قد قال فى هذا اليوم:

نظرت إليها نظره ما يسرنى بها حمر انعام البلاد و سودها

فغدا من يومها متبولا- بهواها مترنما بمفاتها حالما بفردوسها و لكنه قضى و هو يرتل آيات الفتنة دون ان تكتب له فردوس الأحلام.

و قد يكون من ابرز أسباب ذلك بعد النسب و تباين المستوى الاجتماعى. فكثير خزاعى من بيت ليس له نباهه فى علم أو حديث أو شعر أو خطابه أو تأليف أو ثراء أو ضيافه أو إماره سياسيه أو عسكريه بل كان كثير علمه الفرد و قد نشأ يرعى الإبل و الغنم. أما عزه فقرشيه من بيت جاه و فقه و ثراء وجود فأبوها أبو بصره صحابى روى عنه الحديث و موسر و جواد يوقد نار القرى كما وصف ذلك كثير:

رأيت و أصحابي بآيله موهنا و قد لاح نجم الفرقد المتصوب

لعزه نارا ما تبوخ كأنها إذا ما رمقناها من البعد كوكب

(٤) كما كانت عزه ربيبه عز و نعمه قد زكاها المحتد الأصيل فى الحسب الرفيع فنشأت حره مدله خفره مترفه كما وصفها:

هى الحره الدل الحصان و رهطها إذ ذكر الحى الصريح المهذب

من الخفراى البىض لم تر شقوه و فى الحسب المحض الرفيع نجارها

أما هو فكان فقيرا و يبدو من بعض شعره أنه كان عاجزا عن تأمين مهرها:

و إن الذى ينوى من المال أهلها أوارك لما تأتلف و عوادى

و الأوراك الإبل التى ترعى الأراك.

كما قد يكون اشتهار أمرهما سببا من أسباب التفرقه بينهما جريا على عادات العرب فى تلك الأيام.

و من يعد إلى شعره يجد فيه وصفا لصبأها و قدها و أنفها و جيدها و شعرها و عيونها و محياها و وجهها و ثغرها و صوتها:

رهبان مدين و الذين عهدتهم بىكون من حذر الاله قعودا

لو يسمعون كما سمعت كلامها خروا لعزه ركعا و سجودا

كما يصف عطرها و شذاها و بخورها و تعطرها و مشيتها و لمستها:

و المیت ينشر أن تمس عظامه مسا و يخلد فى النعيم خلودا

و إذا كانت صوره عزه فى شعر كثير بارعه الجمال فهل كانت كذلك فى الواقع؟ قالت قسيمه بنت عياض بن سعيد الأسلميه:

سارت علينا عزه فى جماعه من قومها بين يدى يربوع و جهينه فسمعنا بها فاجتمع جماعه من نساء الحى - أنا فيهن - فجنناها

فرأيناها امرأه حلوه حمراء - بىضاء - نظيفه فتضاء لنا لها و معها نسوه كلهن لها عليهن فضل فى الجمال و الخلق إلى ان تحدثت

ساعه فإذا هى ابرع الناس و أحلامهم حديثا فما فارقناها إلا و لها علينا فضل فى أعيننا و ما نرى فى الدنيا امرأه تفوقها جمالا و

حسنا و حلاوه (٥) و قال أحد بنى جدى - أقربائها -: كانت عزه من أجمل النساء و آدبهن و أعقلهن (٦) لطالما أرسل كثير

تنهدات متاججه بالحسره على حرمانه منها:

منعمه لم تلق بؤس معيشه هى الخلد فى الدنيا لمن يستفيدها

فتلك التى اصفيتها بمودتى وليدا و لما يستبين لى نهودها

و أنت المنى يا أم عمرو لو أننا ننالک أو تدنى نواک الصفائف

و لا بد من الإشارة فى هذا المجال إلى أنه ندر كما هو عند معظم العذريين أو انعدم كما هو عند كثير التصريح بأحلام الوصال و النوال من همسه أو لمسه أو شمه أو ضمه أو قبله أو عناق و إذا تطرق إلى ذلك فإنه لا يتجاوز غير الكلمه و النظره.

و قد تعرض أهل عزه لكثير و نهوه عن ذكرها و أوقعوا به وقعه نكراء. و قد نهاه بنو جدى عن ذكرها. فلما لم يمتثل ترصدوا له حتى ظفروا به حين رحل أهلها جالين إلى مصر. فتبعها على راحتها فزجروه فأبى إلا أن يلحقهم بنفسه فقعد له عون - أحد بنى جدى - فى تسعه من بنى جدى على محالج، فلما جاز بهم تحت الليل أخذوه ثم عدلوا به عن الطريق إلى جيفه حمار كانوا يعرفونها من النهار. فأدخلوه فيها و ربطوا يديه و رجله. ثم أوثقوا بطن الحمار. فجعل يضطرب فيها و يستغيث و مضوا عنه فاجتاز به خندق الأسدى فسمع استغاثته فعدل إلى الصوت فوجد فى الجيفه إنسانا. فسأله من هو و ما خبره فاطلقه و حملة و الحقه ببلاده(٧) و مع ذلك فان لا شىء يثنيه عن عزه:

و لست و أن أوعدت فيها بمنته و إن أوقدت نار فشب وقودها

يقول العدى: يا عز قد حال دونكم شجاع على ظهر الطريق مصمم

فقلت لها: و الله لو كان دونكم جهنم ما راعت فوادى جهنم ٢.

ص: ١٧٨

١- حديث الأربعاء ١: ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥..

٢- أعيان الشيعة ٩: ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨.

٣- الأغاني ٩: ٢٥.

٤- الأغاني ٩: ٢٤.

٥- الأغاني ٨: ٢٩.

٦- الأغاني ١٢: ١٧٦.

٧- الأغاني ١٢: ١٧٦.

ينقل (الأعيان) عن المرزباني قوله: كان شاعر أهل الحجاز في الإسلام لا يقدمون عليه أحداً و كان أبرش قصيراً...

و كان يتشيع و يظهر الميل إلى آل رسول الله و هجا عبد الله بن الزبير لما كان بينه و بين بنى هاشم. و كان شاعر بنى مروان و خاصا بعبد الملك و كانوا يعظمونه و يكرمونه. (١)

من هنا تبدأ مشكله البحث في عقيدته كثير: كيف كان يتشيع و كيف كان شاعر بنى مروان؟ طه حسين حل هذه المشكله ببساطه عند ما اتهم كثيرا بالنفاق السياسى يقول: كان ذا مذهب سياسى، أو قل كان له مذهبان متناقضان أشد التناقض يرجعان آخر الأمر إلى مذهب واحد معروف في ذلك الوقت هو النفاق السياسى. كان فيما بينه و بين نفسه و فيما بينه و بين الله متشيعا غالبا في التشيع يرى مذهب الكيسانيه و يقدم محمد بن الحنفية و يؤمن بالرجعه. و له في ذلك أعاجيب و شعر جيد. و كان فيما بينه و بين الناس نصيرا لبنى أميه يمدحهم و يغلو في مدحهم و يعاشرهم و يفاخر بعشرتهم. (٢)

و لكن هل الأمر بهذه البساطه فعلا؟ صاحب الفرق بين الفرق يعتبر كثيرا شاعر الكيسانيه الأول و الكيسانيه على حد زعمه من فرق الرافضه و هم اتباع المختار بن أبى عبيد الثقفى الذى قام بثار الحسين بن على بن أبى طالب و قتل أكثر الذى قتلوا حسينا بكربلاء و كان المختار يقال له كيسان (٣) و قيل انه أخذ مقالته عن مولى لعلى رضى الله عنه كان اسمه كيسان.

ثم يضيف: و كان كثير الشاعر على مذهب الكيسانيه الذين ادعوا حياه محمد بن الحنفية و لم يصدقوا بموته و لذا قال في قصيده له:

ألا أن الأئمه من قريش و لاه الحق اربعة سواء

على و الثلاثه من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاء

فسبط سبط إيمان و بر و سبط غيبته كربلاء

و سبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء

تغيب لا يرى فيهم زمانا برضوى عنده غسل و ماء

و يجيبه عبد القاهر عن أبياته بقوله:

ولاه الحق اربعة و لكن لثانى اثنين قد سبق العلاء

و فاروق الورى أضحي إماما و ذو النورين بعدله الولاء

على بعدهم أضحي إماما بترتيبى لهم نزل القضاء

و مبغض من ذكرناه لعين و فى نار الجحيم له الجزاء

و أهل الرفض قوم كالنصارى حيارى ما لحيرتهم دواء

ثم يضيف و قال كثير فى رفضه:

برئت إلى الاله من ابن أروى و من دين الخوارج أجمعينا

و من عمر برئت و من عتيق غداه دعى أمير المؤمنيننا

و يجيبه عبد القاهر:

برئت من الاله ببغض قوم بهم أحيا الاله المؤمنيننا

و ما ضر ابن أروى منك بغض و بغض البر دين الكافرينا

أبو بكر به جذ لى إمام على رغم الروافض أجمعينا

و فاروق الورى عمر بحق يقال له أمير المؤمنيننا

(٤) و واضح من أبيات كثير انه لم يجعل إلا- للإمام على و بنيه و حدهم الحق فى لقب الامام و إماره المؤمنين أما من حملوا هذين اللقبين من غيرهم فهم غاصبون.

و لم تكن تطرح قضيه عقيده كثير لو لا شعره الذى قاله فى بنى مروان إلى حد جعل البعض يطلق عليه لقب شاعر بنى مروان. بل أن الامام محمد الباقر قرعه بقوله: كيف يقبل طبعك على مدح أعدائنا؟ فزعم له بأنه لم يكن يمدحهم و إنما كان يمويه عليهم و إنه يجعلهم حيات و عقارب ليأخذ أموالهم و إنه لم يقل لعبد الملك فى ذلك المدح إنه "إمام الهدى" بل قال إنه شجاع و الشجاع اسم للشعبان أيضا و إنه قال أسد و الأسد اسم للكلب (٥) و يعنى بهذا قوله فى عبد الملك!

يقلب عيني حيه بمحارها إذا أمكنته شده لا يقلها

و لكن مما لا ريب فيه إنه فى كل مدائحه لبنى مروان و تأييده لخلافتهم لم يكن صادرا عن إيمان بحقهم الشرعى فيها. و إنما كان يقول ما يقول خوفا من الموت و تشبثا فى الحياه. و غير خاف على أحد الذى عاناه أهل البيت و شيعتهم من تعسف الحكم الأموى و قتله و تشريده لآل البيت و اتباعهم مما هو معروف و متداول فى كتب التاريخ كافه.

كما أن كثيرا لم يكن الشاعر الوحيد الذى عرف ما يمكن أن نسميه "ازدواجيه الولاء" فالفرزدق كان كذلك، و الكميت بن زيد شاعر الشيعة و صاحب "الهاشميات" وجد نفسه مضطرا أن يقول:

الآن صرت إلى أميه و الأمور لها مصائر أنتم معادن للخلافه كابرنا من بعد كابر

(٤) و ابن قيس الرقيات شاعر الزبيرين الذى ظل طيله حياته يصول بشعره على عبد الملك كان عليه أن يقول بعد مقتل ابن الزبير أمام عبد الملك:

ما نقموا من بنى أميه إلا أنهم يحلمون أن غضبوا

و إنهم معدن الملوك فلا تصلح إلا عليهم العرب

(٧) و يكفى ان نذكر ان أكبر طاغيتين عرفهما العرب أعنى زياد بن أبيه و الحجاج بن يوسف كانا من ولاء بنى أميه و ملفت للنظر ان يجمع الرواه و المؤرخون على التأكيد على تشيع كثير و رفضه على الرغم من كثره ما قاله من شعر فى مديح بنى مروان مما يعنى أنه كان كذلك بالفعل و إن جل همه أن يحمى رأسه و سلوكه الفعلى بأقوال لا يعينها بالضروره. و يبدو أن هذه الحقيقه لم تكن تخفى على ملوك بنى أميه. لما عزم عبد الملك المسير إلى مصعب بن الزبير نظر فرأى كثيرا فى ناحيه من عسكره يسير مطرقا فدعا به و قال:

لأعلم ما أسكتك و ألقى عليك بشك. فان أخبرتك عنه أ تصدقنى؟ قال: نعم. قال: قل و حق أبى تراب لتصدقنى. قال: و الله لأصدقنك. قال:

لا أو تحلف به. فحلف به. فقال: تقول رجلا من قريش يلقى أحدهما صاحبه فيحاربه القاتل و المقتول فى النار فما معنى سيرى مع أحدهما إلى الآخر و لا- أمن سهما عثرا لعله أن يصيبنى فيقتلنى فأكون معهما؟ فقال و الله يا أمير المؤمنين ما أخطات قال: فارجع من قريب و أمر له بجائزه. (٨)

و أخلص كثير فى مديحه لعمر بن عبد العزيز إخلاصا مبعثه موقف عمر من آل البيت حيث منع شتم على ع و اعتبر كثير هذا الموقف من أبرز ماثر عمر بن عبد العزيز على كثرتها:

ص: ١٧٩

١- أعيان الشيعة ٩: ٢٥.

٢- حديث الأربعاء ١: ٢٨٦.

٣- الفرق بين الفرق: ٢٧.

٤- م. ن: ٢٨، ٢٩.

٥- الموشح: ١٤٤.

٦- روضات الجنات ١: ٥١١.

٧- العصر الإسلامى: ٢٩٨، ٢٩٩.

٨- الأغاني ٩: ٢١، ٢٢.



وليت فلم تشتم عليا و لم تخف بريا و لم تقبل إشاره مجرم

(١) و كانت فتره حكم عمر بن عبد العزيز مناسبه لكثير ليظهر مدى إيمانه بال البيت يقول:

لعن الله من يسب عليا و بنيه من سوقه و إمام

أ يسب المطهرون جدودا و الكرام الأخوال و الأعمام

يأمن الطير و الحمام و لا يأمن آل الرسول عند المقام

رحمه الله و السلام عليهم كلما قام قائم الإسلام

(٢) و رثى صديقه خندق بن مره الأسدى الذى قضى قتلا لاتهامه ظلما بالتعرض للشيخين و مما قاله فيه:

فلو فوديت من حدث المنايا و قيتك بالطريف و بالتلاد

لقد أسمعت لو ناديت حيا و لكن لا حياه لمن تنادى

(٣) و مهما يكن من أمر فإنه من الصعوبه بمكان إخضاع كثير لمفاهيمنا المعاصره بالالتزام العقائدى فينما نجده يكن فى ضميره حب أئمته آل البيت نرى لسانه يلهج بمدح غاصبى حقهم. و هو و إن لم يدع مناسبه تفوته ليحبر فيها عن مكنونات ضميره فإنه لم يدع مناسبه أيضا تفوته ليكسب مالا أو حظوه من أصحاب السلطان فى عصره الذين عرفوا كيف يفيدون منه و من أمثاله فى الترويج لسلطانهم مع قناعتهم بأنه يقول بلسانه ما لا يؤمن به فى قلبه.

## كثير الشاعر

### مصادر شعره:

من المرجح انه كان لكثير ديوان بخط يده. فقد كان راويه جميل بثينه و كان يجيد الكتابه. فإذا صح أنه كان يعنى بحفظ و روايه شعر جميل فإنه من باب أولى أن يعنى بجمع شعره هو.

و قد ذكر أبو الفرج أن ولد جمعه بنت كثير قال: وجدت فى كتب أبى التى فيها شعر كثير أن عبد الملك بن مروان قال لكثير: ويحك الحق بقومك من خزاعه(٤).. مما يسمح بالظن انه كان عند زوج ابنته صحف تضم شعره.

و يذكر الأصفهاني أيضا ان عبد الله بن أبى عبيده المتوفى منتصف القرن الثالث الهجرى كان يملى شعر كثير بثلاثين ديناراً.(٥)

و ذكر ابن القيسراني المتوفى ٥٠٧ هـ إن أبا على القالى قال و شعر كثير بن عبد الرحمن الخزاعى: تام جزءان قرأتها على ابن دريد.(٦).

و قد ذكر هنرى بيريس أن ابن السكيت و محمد بن حبيب قد جمعا شعر كثير. و قد المح إلى شرح ابن السكيت جرجى زيدان أيضا. (٧)

و مهما يكن من أمر فان نسخ الديوان لم تصلنا و كذلك المؤلفات التى تناولت اخبار كثير و أهم مجموعه من شعر كثير التى بين أيدينا الآن هى ما جمعه هنرى بيريس من مصادر كثيره و قد جعله فى جزئين و سماه شرح ديوان كثير عزه و نشره فى الجزائر عام ١٩٢٨. و مجموعه بيريس لم تحو كل ما لكثير من شعر يدل على ذلك القصائد التى رواها محمد بن المبارك فى منتهى الطلب و هى ست عشره قصيده معظمها لا توجد فى مجموعه بيريس (٨) كما ذكر بروكلمان وجود قصائد متفرقه لكثير فى برلين و مانشستر (٩)

### موضوعات شعره:

معظم ما وصلنا من نتاج كثير يدور على غرضين الغزل و الشعر السياسى الذى يشتمل على شعره الشيعى الذى عبر عن إيمانه بحق آل البيت فى الخلافه و هذا الشعر يمثل المرحله الأولى من حياته السياسيه.

أما المرحله الثانيه فتبدأ منذ انتقاله إلى بلاط عبد الملك بن مروان حيث أعلن ما يتناقض عقيدته الأولى مؤيدا بنى مروان متجاوزا حد التقيه التى تبيح له ان يخفى ما يعتقد فحسب دون ان يجاهر بخلافه.

إضافه إلى هذين الغرضين فقد طرق أغلب أغراض الشعر فى عصره كالوصف و الفخر و الهجاء و الرثاء و الحكم. و لكن هذه الأغراض لم ينظمها قصائد مستقلة و إنما نجدها مبعوثه بين الغزل و السياسه.

### الغزل العذرى

زكى مبارك على الرغم من تحامله على كثير إذ يرى فيه شيئا مفرطا فى التشيع إلى حد السخف لا يلبث ان يقول انه من العناصر الأساسيه فى تكوين شخصيه كثير عنصر العشق و كان امتحن بهوى عزه بنت جميل. ثم ينقل عن أبى الفرج قوله: على انه قد قيل انه كان فى ذلك كاذبا و لم يكن بعاشق ليضيف: ليس من العسير ان ندرک ان اتهام كثير بالكذب فى العشق لم يكن إلا صورته جديده من صور السخريه منه و التحامل عليه. و هو خلافا لظه حسين يذكره بين العشاق ليشبته بينهم إذ ان كثيرا حسب رأيه أعز الحب أكرم الإعزاز و صيره من الشرائع و تحدث عن آدابه أجمل الحديث و سارت قصائده فى الحب مسير الأمثال (١٠) و لا ريب أن أجمل صفحه فى حياه كثير هى التى تصور قصه حبه لعزه. و عند ما نقرأ الشعر الذى أنشده فيها نجد امامنا قصه من أصدق قصص الحب العذرى فقد كان هذا العاشق ذا قلب مرهف الاحساس و كان فوق ذلك شاعرا فصيحاً فلا يكاد يختلج فى جنانه شعور من مشاعر الحب حتى يطفح على لسانه شعرا. و شعر كثير فى الغزل يندرج فى السياق العام لشعراء الغزل العذرى فهو يعبر عن ألم الفراق و مكابده الأشواق على أنه لا يشفق من فراقها بقدر ما يشفق من تغييرها بعده:

ألا ليت شعرى بعدنا هل تغيرت عن العهد أم أمست كعهدي عهدها

إذا ذكرتها النفس جنت لذكرها و ريعت و حنت و استخف جليدها

اما هو فيعاهد نفسه على ان لا يغدر بعد الموائيق و العهود:

لا تغدرن بوصل عزه بعد ما أخذت عليك موائقا و عهودا

أن المحب إذا أحب حبيبه صدق الصفاء و أنجز الموعدا

و يعزف كثير فى قصائده و مقطوعاته الغزليه ألحان الثبات على الحب و الصبر و الحنين برغم بخل الحبيب و صدوده و هجرانه و حرمان الحبيب من لذات الوصال. و الحنين و الصبر رغم الحرمان هما آيه العفه و الصدق فى الحب العذرى. و لكن هذا لا يحول بين الشاعر و بين الشكوى:

أفى الحق أن قلبك سالم صحيح و قلبى من هواك سقيم

و ان بجسمى منك داء مخامر و جسمك موفور عليك سليم

(١١)

ص: ١٨٠

- 
- ١- منتهى الطلب ٣: ٣٤١.
  - ٢- الحيوان ٣: ١٩٤.
  - ٣- الأغاني ٢: ١٧٨.
  - ٤- الأغاني ٩: ١١.
  - ٥- الأغاني ٩: ٥.
  - ٦- الأنساب المتفقه: ١٩١
  - ٧- تاريخ آداب اللغة العربيه ١: ٣٣٤.
  - ٨- منتهى الطلب ٣: ٣٤٨.
  - ٩- تاريخ الأدب العربى ١: ١٩٦.
  - ١٠- العشاق الثلاثة: ٥٠، ٥٤، ٥٥.
  - ١١- منتهى الطلب ٣: ١٦٩.

و هو كسائر العذريين قد سلبت حبيبته لبه بحيث لم يعد يفقه و لا يسمع ما يقول العذال و الوشاه:

يلومك فى ليلى و عقلك عندها رجال و لم تذهب لهم بعقول

و قد قرع الواشون فيها لك العصا و إن العصا كانت لذى الحلم تفرع

و نحن نجد له أبياتا يشعر من يقرأها انها صادرة عن تجربه حقيقه:

و حبك ينسينى من الشىء فى يدى و يذهلى عن كل شىء أزاوله

يود بان يمسى سقيما لعله إذا سمعت عنه بشكوى تراسله

و يرتاح للمعروف فى طلب العلا لتحمد يوما عند ليلى شمائله

و سئل عن أعجب خبر له معها فقال: حججت سنه من السنين و حجج زوج عزه بها و لم يعلم أحدنا بصاحبه. فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياح سمن يصلح به طعاما لأهل رفقته. فجعلت تدور الخيام خيمه خيمه حتى دخلت خيمتى و هى لا تعلم انها خيمتى. و كنت أبرى سهامما لى. فلما رأيتها جعلت ابرى و انظر إليها حتى بريت ذراعى و أنا لا أشعر و الدم يجرى.

فلما تبينت ذلك دخلت إلى فأمسكت يدي و جعلت تمسح الدم بثوبها.

و كان عندى نحى سمن فحلفت لتأخذنه. فجاءت به إلى زوجها فلما رأى الدم سالها خبره فكاتمته حتى حلف عليها لتصدقنه. فلما أخبرته ضربها و حلف لتشتمنى فى وجهى. فوفقت على و هو معها فقالت يا ابن الزانية و هى تبكى. و انصرفا و فى ذلك يقول هذه الأبيات:

يكلفها الغيران شتمى و ما بها هو انى و لكن للمليك استندلت

هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزه من أعراضنا ما استحلت

أ سيئى بنا أو أحسنى لا ملومه لدينا و لا مقلبه ان ثقلت

فما أنا بالداعى لعزه بالجوى و لا شامت أن نعل عزه زلت

فلا يحسب الواشون أن صبايتى بعزه كانت غمره و تجلت

فو الله ثم الله ما حل قبلها و لا بعدها من خله حيث حلت

و ما مر من يوم على كيومها و أن عظمت أيام أخرى و جلت

أناديك ما حج الحجيج و كبرت بفيفا غزال رفقه و أهلت

(١) و رثاها بعد وفاتها بقصيده من رقيق الشعر و مما جاء فيها:

و قد كنت أبكى من فراقك حيه و أنت لعمري اليوم أناى و انزح

فيا عز أنت البدر قد حال دونه رجيع تراب و الصفيح المضرح

و ما نظرت عيني إلى ذى بشاشه من الناس إلا أنت فى العين أملح

ألا لا أرى بعد ابنه النضر لذه لشيء و لا ملحا لمن يتملح

فلا زال رمس ضم عزه سائلا به نعمه من رحمه الله تسفح

(٢) و هذه الأبيات و سواها الكثير لا يمكن ان تؤيد من يزعم أن كثيرا لم يكن صادق الصبابه و إنه كاذب مدع فى هواه و إن غزله مجرد غزل تقليدى.

فعلى حين زعم ابن سلام و الأصفهاني بان كثيرا كان يكذب و يوردان القصص و الأخبار التى لا تخلو من تلفيق أحيانا نجد ابن أبى حفصه يضرب المثل بكثير فى صدق الصبابه و يجعله فى عداد أشهر الذين اشتهروا بالحب العذرى كعروه و المرقش و النهدي و أبى ذؤيب الهذلى و جميل بثينه و ذلك حيث يقول عن الغوانى:

أردين عروه و المرقش قبله و أخوا بنى نهدي تركن قتيلا

و لقد تركن أبا ذؤيب هائما و لقد قتلن كثيرا و جميلا

(٣) أما موقف عزه منه كما يبدو من شعره فهو يتراوح بين الحب و الصد.

و مهما يكن من أمر فان قدر العذريين ان تتصانف اسماؤهم أبد الدهر أما هم فمن غير الثابت إنهم تعانقوا لحظه واحده طوال العمر.

## شعره السياسى

سبق و أشرنا ان مولد كثير كان حوالى سنة ٢٣ هـ و هى السنه التى توفى فيها عمر بن الخطاب و تولى عثمان بن عفان و إن وفاته كانت حوالى سنة ١٠٥ هـ و هى السنه التى فيها توفى يزيد بن عبد الملك و تولى أخوه هشام و إنه عاش حوالى ثلاثه و ثمانين سنه. فمتى ابتدأ حياته السياسيه؟ و هل ابتدأها شيعيا و انتهى مروانيا؟ إن أقصى ما يمكن أن نصل اليه هو أحكام تقريبيه لأنه لم يصلنا من شعره إلا أقله، و أقل أقله كان شعره السياسى و أقل ذلك الأقل كان شعره الشيعى الذى يمثل المرحله الأولى فى حياته السياسيه. فقد حدثت فى شبابه أحداث جسام لا نجد لها صدى فى شعره و هذا أمر يصعب تفسيره فمن استشهاد الامام على ع

سنة ٤٠ هـ إلى صلح الامام الحسن (ع) و تنازله لمعاويه سنة ٤١ هـ إلى تولى يزيد الخلفه سنة ٦٠ هـ إلى استشهاد الامام الحسين ع سنة ٦١ هـ. فنحن نرجح ضياع الكثير من شعر كثير حول معظم هذه الموضوعات إذ من الثابت أن كثيرا كان شيعيا يحب آل البيت و يؤمن بحقهم السياسى و لم نجد مؤرخا واحدا لا يتهمه بهذه "التهمة".

على الرغم من شهرته كشاعر لبنى مروان و مع ذلك فاننا لا نجد فيما وصلنا من شعره ما يتناسب مع عقيدته هذه و مع الأحداث الجسام التى عاصرها الشاعر و المصائب التى ألمت بال البيت ع.

و أغلب الظن أنه انقلب إلى بنى مروان فى خلافه عبد الملك حوالى سنه ٦٩ هـ و قبل مبايعه محمد بن الحنفية له و يتضح ذلك من انه لم يذكر فى شعره قبل عبد الملك أحدا من بنى أميه و ليس له معهم أخبار و يقوى هذا موالاته لآل البيت و مناصرته لمحمد بن الحنفية، و يفسر (الأعيان) هذا

ص: ١٨١

١- شرح ديوان كثير عزه ١:٥٤.

٢- م. ن: ١٩٦.

٣- الموشى: ٧٧.

الانقلاب عند كثير بأنه قد يصبح مفهوما إذا أخذ من الوجه السياسى للدوله التى كانت دوله أو توقيراطيه تعد على الناس انفسهم و تحصى على الناس تنهداتهم و تحسب حركاتهم حركه حركه. معنى ذلك أن حريه الرأى أو القول كفر و خروج على الدين و الايمان و على الذى يرى رأيا غير رأى الدوله أن يحمل دمه على كفه و أن يكون مستعدا للرحيل إلى المقابر و كثير كان مؤمنا بنى هاشم و مؤمنا بأنهم أحق من بنى أميه و لكنه لم يكن مستعدا للتضحيه بحياته فى سبيل ذلك الايمان. و ينفى عن كثير تهمة "النفاق" بل يرى أنه كان بالرغم من عنف الاستبداد على شىء من الصراحه و إن مدح بنى أميه(1) و مهما يكن من أمر فان كثيرا مدح عبد الملك بن مروان و قال عنه:

إمام هدى قد سدد الله رأيه و قد أحكمته ماضيات التجارب

و قال فى عمر بن عبد العزيز:

و ما الناس أعطوك الخلفه و التقى و لا أنت فاشكر يشك مثيب

و لكنما أعطاك ذلك عالم بما فىك معط للجزيل و هوب

و نلاحظ فى شعره "الأموى" أجمالا- إلى ان الفكره السياسيه الأساسيه التى كان يقولها و يلهج بها فى شعره الشيعى من ان الخلفه هى وصيه النبيلعلى و ابنائه قد تغيرت و أن فكره ارتباط شرعيه الخلفه بالوصيه قد تلاشت و إنه فى مدائحه لبنى مروان أخذ يردد ما كان يقوله و يروجه شعراء المروانيين.

و لعل أشهر قصائده فى مديح عبد الملك تلك التى يقول فيها:

أحاطت يداه بالخلفه بعد ما أراد رجال آخرون اغتيالها

فما تركوها عنوه عن موده و لكن بحد المشرفى استغالها

و لعل ابرز ما يتميز به مديح كثير هو رسمه لممدوحه صورته دقيقه القسما ت قويه الملامح زاهيه الألوان يستقصى فيها كل ما للممدوح من المزايا و الصفات و المفاخر يدفعه إلى ذلك الاستقصاء و التجويد. و هذه الميزات هى التى دفعت هارون الرشيد إلى القول: و الله لا نمدح بمثل شعر كثير(2) كما نرى اختلافا بين مدحه لعبد الملك و مدحه لعمر بن عبد العزيز ففى مدحه لعبد الملك نراه ينعته بمعانى العظمه و الملك و الإمارة أكثر مما ينعته بمعانى الخلفه و الإسلام مع غلوه فى التمجيد و التعظيم و ذلك لمناقضته لما يؤمن به من أحقيه آل البيت. أما فى مديحه لعمر بن عبد العزيز فنحس أنه يمدح "خليفه" لا ملكا بكل معنى الخلفه الإسلاميه الحققه فيذكر اعراضه عن الدنيا و مباحجها و زهده فى الخلفه و صلاحه و عدله بين الناس و بره بالفقراء و المساكين و رده حقوق العلويين (قضيه فدك) و منع شتم الامام على.

و فى رثائه لعمر بن عبد العزيز يتجلى ولاؤه أكثر مما يتجلى فى مديحه فقد صور فجيعة فقدته بدموع اليتامى و المساكين و الأراامل:

لقد كنت للمظلوم عزا و ناصرا إذا ما تعيا في الأمور حصونها

فمن لليتامى و المساكين بعده و أرملة باتت شديد أنينها

و ليس بها سقم سوى الجوع لم تجد على جوعها من بعده من يعينها

(٣) كما مدح كثير يزيد بن عبد الملك و لم تصلنا مدائحه في الوليد بن عبد الملك الذى استخلف بعد أبيه عبد الملك بن مروان و ظل فى الملك تسع سنين و لا مدائحه فى أخيه سليمان الذى ملك سنتين مما يعزز افتراضنا ضياع القسم الأكبر من شعره أو عدم وصوله إلينا حتى الآن.

كما وصلنا مديحه لعدد من أمراء بنى أميه ابرزهم بشر بن مروان و أخيه عبد العزيز بن مروان و ابنه أبى بكر عبد العزيز بن مروان و لم يتطرق فى مديحه لهؤلاء إلى مسأله الخلافه و إنما اقتصر على تمجيد ما كان يتحلى به كل واحد منهم من شجاعه و حزم و حلم و وقار. و كان أهم من مدحهم من هؤلاء عبد العزيز بن مروان المعروف بمحبته لآل البيت و الذى قال يوما لابنه عمر: يا بنى لو علم أهل الشام و غيرهم من فضل على ما نعلمه لم يتبعنا منهم أحد و تفرقوا عنا إلى أولاد على(٤) و من آيات وفائه لعبد العزيز و ابنه عمر انه لم تنقطع مدائحه لهما بموتهما بينما لا نجد له مراثى فى عبد الملك و لا فى أخيه بشر و لا فى ابنه يزيد.

و لم يقتصر فى مدائحه على ملوك و أمراء بنى مروان بل مدح أميراتهم و أمهات أولادهم. و من ذلك ان أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان بعثت إلى كثير و وضاح اليمن ان انسبا بى. فاما وضاح اليمن فنسب بها و أما كثير فنسب بجاريته "غاضره". و كانت أم البنين زوجه الوليد بن عبد الملك فقتل وضاحا و لم يجد سيلا على كثير(٥) و خلاصه القول فى شعر كثير السياسى أنه عبر عن فترتين متناقضتين من حياته السياسيه. أما المعانى التى تناولها فى مدائحه فهى معان تقليديه مالوفه فى الشعر الجاهلى و إن كان قد أضاف إليها فى مديحه لعمر بن عبد العزيز المعانى التى يحث الإسلام على التحلى بها كالصلاح و العدل و الإنصاف و البر بالفقراء و تقوى الله و خشيته و الزهد بالدنيا و غيرها من المثل الإسلاميه.

اشتمل شعر كثير على عده موضوعات كمدح أو رثاء أو هجاء بعض الأشخاص الذين لم يكن الدافع لمدحهم أو رثائهم أو هجائهم العقيدة أو السياسه. كما اشتمل على الفخر و ما يتعلق به من وصف الخيل و بعض السلاح كما نجد له بعض الأبيات فى تجارب الحياه و الحكم.

و له شعر كثير فى وصف مظاهر الحياه فى الباديه كوصف ديار الحبيبه و ما يتعلق بها من وصف الغمام و البرق و الرعد و المطر و استسقائه لها أو وصف اطلالها و رسومها و ما بقى من آثارها كالدمن و النوى و الحيوان الذى اتخذها مأوى و مرتعا بعد رحيل أهلها و ما يتعلق بها من وصف الظعن و الرحله و الراحله و ما تثيره فى نفسه من وحشه و شوق. أو وصف بعض مظاهر الباديه كرمالها و فجاجها و هجيرها و نسيم لياليها و ما فيها من حيوان كالطباء و النعام و الذئاب أو وصف مشاعر الحج و غير ذلك.

و الرثاء فى شعره قليل إذا استثنينا مراثيه السياسيه. و كذلك الهجاء الذى لا يكاد يؤلف موضوعا بارزا فى شعره على الرغم من كثره الخصومات السياسيه التى كانت بين شعراء القبائل فى عصره. اما دوافعه للهجاء فمنها أنفته كما فى هجائه بنى المسور بن



إبراهيم حينما وجدوه يرعى ابله فى حماهم فضيقوا عليه و أساءوا جواره فهجاهم (٤) و له بيتان فى هجاء نصيب و لعله هجاء على أثر تلك المفخرة ٢.

ص: ١٨٢

- 
- ١- أعيان الشيعة ٩: ٢٤.
  - ٢- تاريخ دمشق ١٦: ٣٦.
  - ٣- منتهى الطلب ٣: ١٧٥، ١٧٦.
  - ٤- شرح النهج ١: ٣٥٦.
  - ٥- الأغاني ٢: ١٨٠.
  - ٦- شرح ديوان كثير عزه ٢: ٥.

و المشاجره التي انتهت بسقوط كثير على الأرض و التي نشبت بينهما عند ما التقيا على طعام أبي عبيده بن زمعه و قد رآه عائدا من الشام و عليه بزه جميله فقال له كثير: و الله يا أبا محجن ان أثر الشام عليك لجميل و قد رجعت هذه الكره ظاهر الكبر قليل الحياء. فقال له نصيب! و لكن أثر الشام عليك يا أبا صخر غير جميل لقد رجعت و إنك لزائد النقص كثير الحماقه(١). و قد كان نصيب أسود يكنى أبا الحجناء فقال كثير يهجو:

رأيت أبا الحجناء في الناس جائزا و لون أبي الحجناء لون البهائم

تراه على ما لاحه من سواده و إن كان مظلوما له وجه ظالم

(٢) و الدافع الثاني لهجائه السياسه الأمويه التي تقوم على تهيج العصبية بين القبائل كما حدث بين كثير الذي ادعى نسبه في قريش و اتخذت شكلا من أشكال النقائص(٣) و إن لم تبلغ ما بلغته النقائص من تهتك و إفحاش.

و أما الدافع الثالث فهو العقيدة و حب أئمة التشيع فقد هجا عبد الله بن الزبير عند ما زج محمد بن الحنفية في السجن.

و الدافع الأخير لهجائه هو حبه لعزه فقد هجا قومها بنى ضميره و زوجها الذي يقول فيه:

و ما حسبت ضميره سوى التيس ذى القرنين لها بعلا

فأبلغ أبا الذفراء و الجهل كاسمه و من يقول لا يعلم على غيه عزلا

و يشبهه بالخنزير: يكلفها الخنزير شتمى و ما بها

هوانى و لكن بالمليك استذلت

و يصفه بقوله:

رأتني كاشلاء اللجام و بعلا من الملاء انبرى عاجز متباطن

(٤) و الملاحظ ان في هجاء كثير حده الهجاء و قسوته و إيلامه دون ان يكون فيه تبذل و لا تهتك و لا إفحاش. أما فخره فقد كان على نوعين فخر بالنفس و فخر بالقبيلة. و فخره بنفسه تنوع بين الفخر بجماله! و الفخر بمناقبه و صفاته.

أما فخره بجماله فهو انعكاس لما كان عليه من قصر و دمامه:

متى تحسروا عنى العمامه تبصروا جميل المحيا أغفلته الدواهن

يروق العيون الناظرات كأنه هرقلى وزن أحمر الثبر وازن

و نراه أحيانا يدافع عن الدمامه و القصر ليثبت ان الدمامه و القصر لا يدلان على الخمول و الخور:

ترى الرجل النحيف فتزدرية و فى أثوابه أسد هصور

و جربت الأمور و جربتني و قد أبدت عريكتي الأمور

و ما تخفى الرجال على إني بهم لأخو مثاقبه خبير.

و ملفت للنظر ان نجده يفخر بفروسيته:

و لقد شهدت الخيل يحمل شكثى متملظ خذم العنان بهيم

أما فخره بقييلته فقليل و لا نعرف بآيه قبيله قاله قريش أم خزاعه! و هو يذكر فيه كل صفات الفروسيه و الفضائل التي تعتد بها العرب من الشجاعه و حمايه الحمى و عزه الجانب...

و له أبيات فى العتاب و الشكوى من أبناء عمه (٥) كما له قصائد و مقطوعات فى وصف الغمام و المطر (٤) و قصائد و أبيات فى وصف الأطلال و الدمن الدوارس (٧) و وصلتنا مقطوعات طويله له فى وصف الرحله (٨) و فى وصف الخيل و حيوان البادية و جوها (٩) و مناسك الحج (١٠) و على الرغم من شهره كثير فى قول الشعر المثل فقد قال القلقشندى فى ضروره معرفه الكاتب عن تقدم فى نوع من الشعر! فالطفيل الغنوى بوصف الخيل و الفرزدق بالأخبار و كثير بالأمثال. و قال أيضا و كثير عزه فى أمثاله لا يعد من أمثاله (١١) على الرغم من هذا فاننا لا نجد له اليوم من أمثاله و حكمه إلا أبيات قليله مبثوثة فى قصائده لا تسمح له بالمنزله التي أجله بها القلقشندى مما يعزز فرضيه الضياع القسم الأكبر من شعره. و من أقواله فى عدم الجزع عند تقلب الأحوال و الصبر و التفاؤل عند الشدائد:

فما روتق الدنيا بباق لأهله و لا شده البلوى بضربه لازم

فلا تجزعن من شده أن بعدها فوارج تلوى بالخطوب العظام.

(١٢)

### الخصائص العامه لشعر كثير

كان زهير بن أبى سلمى راويه لأوس بن حجر و كان كعب بن زهير بن أبى سلمى و الحطيئه راويتين لزهير. و كان هده بن خشرم راويه للحطيئه و كان جميل بنيه راويه لهده بن خشرم و كان كثير عزه راويه لجميل بنيه (١٣).

من هذا الخبر ينطلق طه حسين ليردد ما يقوله الرواه من أن زهيراً كان يصنع شعره و يتكلفه و ينفق الحول أحيانا قبل ان يظهر القصيده من شعره.

و ان الحطيئه كان عبدا من عبيد الشعر يتكلفه و يشقى فى صنعته و ان كعبا و الحطيئه كليهما قد ذكر صناعه الشعر و تثقيفه و العناء فيه. و إذن فإذا كان هذا كله حقا فاننا بإزاء مدرسه شعرية معينه استأذها الأول أوس بن حجر و استأذها الثانى زهير و

استاذها الثالث الحطيئه الذي أخذ عنه في الإسلام جميل. و عن جميل أخذ كثير(١٤) و يرى طه حسين ان أبرز ما يميز شعراء "المدرسه الأوسيه" ميزتان الأولى الخيال المادى الشديد التأثر بالحس و الثانيه اعتبار الشعر حرفه و صناعه و فنا يدرس و يتعلم و ينشئه صاحبه إنشاء و يفكر فيه تفكيراً و يقضى في إنشائه و التفكير فيه الوقت غير القصير(١٥)

ص: ١٨٣

- ١- الأغانى ١: ٣٦٦.
- ٢- شرح ديوان كثير عزه ٢: ١٤، ١٥.
- ٣- تاريخ دمشق ١٦: ٧٥٧-٧٥٨.
- ٤- شرح ديوان كثير عزه ١: ٢٠٤.
- ٥- م. ن ٢: ٩.
- ٦- م. ن ١: ١٦٣، ٢٢١، ٢٢٧.
- ٧- م. ن ١: ٢٠٠. م. ن ٢: ٨٤، ١٢٠، ١٧٦.
- ٨- منتهى الطلب ٢: ١٧٢. م. ن ٣: ٣٣٩.
- ٩- شرح ديوان كثير عزه ٢: ١١٤.
- ١٠- م. ن ١: ١٢٤.
- ١١- صبح الأعشى ١: ٢٩٣، ٢٩٤.
- ١٢- شرح ديوان كثير عزه ١: ٢٧٧.
- ١٣- الشعر و الشعراء ٥٧.
- ١٤- فى الأدب الجاهلى: ٣٣٦.
- ١٥- م. ن: ٣٤٢.

و يضيف انه من هاتين الخصلتين استفاد الفن البياني عند هؤلاء الشعراء جميعا فكثر عندهم التشبيه و المجاز و الاستعاره و الافتنان فيها من هنا ان صناعه الفن البياني الخالص و تعمده و الإلحاح فيه ليست كما كنا نظن مظهرا من مظاهر الحياه الأدبيه الجديده أيام بنى العباس و ليس مسلم ابن الوليد هو مبتكرها و إنما هي أقدم من ذلك و أبعد فى تاريخ الشعر العربى نشأت فى العصر الجاهلى (1) و إذا عدنا إلى شعر كثير وجدناه ينتمى بالفعل إلى هذا الخط الشعرى حيث ينهج منهج زهير فى أحكام عرى قوافيه و أطراف معانيه. على ان أهم ما نجده فى شعره من هذه الخصائص هو التفصيل فى الوصف و التنسيق فى العرض. بحيث لا يترك الموضوع حتى يستقصى ابعاده و يستجمع أطرافه و يستوفى كل معانيه ثم يعرضه عرضا منسقا دقيقا جليا.

أما صناعته البيانيه من تشبيه و استعاره و كناية و خيال فكل صورها مستمده من حياه الباديه و مستوحاه من بيئتها البدويه.

فانظر كيف عبر عن احلامه فى انفراده هو و عزه بعيدا عن الناس فشبّه نفسه و حبيته بجمل أجرب و ناقه جرباء ضائعين:

ألا ليتنا يا عز كنا لذي غنى بعيرين نرعى فى الخلاء و نعزب

نكون بعيرى ذى غنى فيضيعنا فلا هو يرعانا و لا نحن نطلب

كلانا به عر فمن يرنا يقل على حسنها جرباء تعدى و أجرب

إذا ما وردنا منهلا صاح أهله علينا فما ننفك نرمى و نضرب

يطردنا الرعيان من كل تلعه و يمنع منا ان نرى فيه نشرب

وددت و بيت الله انك بكره هجان و إنى مصعب ثم نهرب

و عند ما انشد عزه هذه الأبيات قالت: لقد أردت بنا الشقاء الطويل. أ ما وجدت أمنيّه أوطا من هذه (٢)؟!.

و القارئ لشعر كثير يلاحظ حرصه على الاستقصاء و الاستيفاء للمعاني الدقيقه التى يتحسسها فى جوانب الموضوع ثم يحليها بالصور البيانيه من تشبيه و استعاره و كناية و توريه إلى جانب عنايته بتفصيل المعانى و استقصاء اجزاء الصور و تنسيق عرضها. كما يلاحظ عنايه بارزه بجرس الألفاظ و الإيقاع باستعماله ضروب البديع من جناس أو تقسيم للبيت أو سجع أو طباق بحيث نشعر بهذا الانسجام بين معانى الألفاظ و جرسها. يقول فى وصف صراعه النفسى و حيرته مع عزه:

و أعجبنى يا عز منك خلائق كرام إذا عد الخلائق أربع

دنوك حتى يذكر الجاهل الصبا و دفعك أسباب المنى حين يطمع

فو الله ما يدرى كريم مطلته أ يشند ان لاقاك أم يتضرع

و كان كثير يحرص على نظم شعره على البحور الطويله التى تعتبر أكثر ملاءمه لما ينشده من فخامه.

أما ألفاظه فتتراوح بين الوضوح والغرابه حسب قرب الموضوع أو بعده عن حياه الباديه. فلو تصفحنا قصائده فى الغزل أو المديح أو الفخر أو الهجاء لوجدنا ان ألفاظه تشف عن معانيها. و لا نكاد نرى فيها تعقيدا أو غموضا. أما إذا طالعنا قصائده التى تتصل بمظاهر الباديه و البداهه لوجدنا ان الغرابه تكاد تخيم على كل لفظه من ألفاظها بحيث لا يمكن معرفه معانيها إلا بالعوده إلى معاجم اللغه.

و تعتبر "تأنيته" (٣) المشهوره خير ممثل لقدرته على استعمال الغريب.

## منزلته

كان أهل الحجاز يعدونه شاعرهم و لا يقدمون عليه أحدا (٤) و يذكر ابن سلام ذلك فيقول: إنه كان شاعر أهل الحجاز و إنهم ليقدمونه على كل من قدمنا - يعنى جريرا و الأخطل و الفرزدق - و إنه كانت له منزله عند قريش (٥) و كان الشاعر مروان بن أبى حفصه يعجبه جدا مذهب كثير فى المديح و يقول انه يستقصى المديح و كذلك كان ابن فليح يقول: ما قصد القصيد و لا نعت الملوك مثل كثير (٦).

و كان خلف الأحمر يقول كثير أشعر الناس فى قوله لعبد الملك بن مروان:

أبوك الذى لما اتى مرج راهط و قد ألبوا للشعر لما تألبا

تشنا للأعداء حتى إذا انتهوا إلى أمره طوعا و كرها تحببا

(٧) و قد جعل ابن سلام كثيرا فى الطبقة الثانيه مع الحطيئه و البصيث و القطامى دون جرير و الفرزدق و الأخطل (٨) و سلكه الجرجانى فى عداد عمر بن أبى ربيعه و جميل و نصيب (٩) و قد أشار السيد الأمين إلى تقديم أبى تمام لكثير و سبقه فى النسب (١٠) و يجمع الرواه على ان كثيرا أشعر الناس فى عصر بنى أميه و يذكرون انه قال لعبد الملك: كيف ترى شعرى يا أمير المؤمنين؟ فقال: أراه يسبق السحر و يغلب الشعر. و كيف لا يصل كثير إلى هذه المنزله و قد غنى الجمهور و غنى الملوك أطيب الغناء؟ (١١) و على الرغم من تحامل طه حسين الشديد عليه فإنه رأى نفسه مضطرا للقول: ليس من شك أن كثيرا قد كان شاعرا مجيدا بل عظيم الحظ من الإجاهه (١٢) و يبدو أن كثيرا كان كذلك بالفعل فالقدماء الذين اطلعوا على

ص: ١٨٤

١- م. ن: ٣٤٣، ٣٤٤.

٢- شرح ديوان كثير عزه ١: ٩٩، ١٠٠.

٣- ديوان كثير عزه ١: ٢٤٤.

٤- معجم الشعراء: ٣٥١.

٥- طبقات الشعراء: ١٢٣.

٦- الأغانى ٩: ٤، ٥.

- ٧- شرح ديوان كثير عزه ٢:٦٨.
- ٨- طبقات الشعراء: ٢٠.
- ٩- الوساطه: ٢٧.
- ١٠- أعيان الشيعة، ٩:٢٥.
- ١١- العشاق الثلاثة: ٥٧.
- ١٢- حديث الأربعاء ١:٢٨٥.

شعره كاملا انصفوه - على الرغم من تحامل بعضهم عليه - أما الذين لم تتح لهم فرصه الاطلاع على شعره كاملا بسبب عدم وصوله إليهم فلا سبيل امامهم سوى التعامل مع ما وصل إليهم من شعره على ما فى ذلك من صعوبه الوصول إلى أحكام دقيقه و موضوعيه.

## الأميره كردوتشين بنت منكوتيمور بن هولاكو:

توفيت بعد سنه ٧٢١.

سيده جليله ذات جمال باهر من ربات النفوذ و البر و الإحسان تتصف بالعقل الراجح و التدبير المحكم و الدين و الصلاح و الجود و الكرم.

نشأت و ترعرعت فى بلاط أبيها و تلقنت العلم و الثقافه العاليه على كبار عصرها و كانت أمها آبخش خاتون بنت أتابك سعد الزنكى ملكه من ملكات شيراز فتزوجها منكوتيمور بامر من والده هولاء-كو خان فانجبت هذه الأميره كردوتشين ثم وصلت كردوتشين إلى اريكه الحكم فى سنه ٧١٩ هـ فى مقاطعه فارس و كانت عاصمتها مدينه شيراز. قال صاحب كتاب تاريخ حبيب السير: و خلدت فى التاريخ صفحه زاهيه و أثرا حميدا من تعميرات البقاع و الآثار النافعه فى الحضاره و العمران... (١) و كانت على مذهب أمها فى التشيع و هى التى نقلت رفات أمها من تبريز إلى شيراز عند استلامها دفعه الحكم فى شيراز و أقامت بناء ضخما على ضريحها الموجود حتى العصر الحاضر ذكرها (٢) المؤرخ الفسائى فى كتابه فارسنامه ناصرى ج ١ ص ١٠٦ (٣) (راجع آبخش خاتون).

## الأغا كريم الروغنى القزوينى:

ولد فى قزوین حدود سنه ١٢٠٠ و توفى بها سنه ١٢٨٣ هـ.

أخذ المقدمات و السطوح على جماعه من فحول علماء قزوین ثم التحق بحوزه الشيخ محمد صالح البرغانى و شقيقه الشهيد و أخذ الحكمه و الفلسفه عن الآخوند ملا- آغا الحكمى القزوينى و فى حدود سنه ١٢٤٠ هـ هاجر إلى العارِق [العراق] قاصدا الحوزه العلميه الكبرى فى كربلاء و النجف و حضر على الشيخ موسى آل كاشف الغطاء و شقيقه الشيخ حسن آل كاشف الغطاء و أخذ الأصول عن شريف العلماء المتوفى سنه ١٢٤٦ هـ و حصل على إجازات من علماء كربلاء و النجف ثم عاد إلى قزوین و التحق بحوزه استاذه البرغانى للمره الثانيه و فى سنه ١٢٦٤ هـ جلس للتدريس فى المدرسه الصالحيه بامر من استاذه الشيخ محمد صالح البرغانى مؤسس المدرسه المذكوره و كان من كبار المدرسين فى الفقه و الأصول فى قزوین و هو من أحفاد الشيخ محمد صالح الروغنى القزوينى المتوفى سنه ١١١٦ هـ و المترجم فى أمل الأمل الآتى ذكره كما صرح بذلك صاحب المآثر و الآثار لكنى لم أقف على اسم والده و كيفيه اتصال نسبه بالمولى الشيخ محمد صالح الروغنى القزوينى الذى كان من فحول علماء العصر الصفوى و رأيت إجازته لصهره السيد على الزرآبادى القزوينى المؤرخه فى ١٥ جمادى الثانى سنه ١٢٧١ هـ و كان ختمه "يا كريم" و هو موجود عند سبطه السيد جليل الزرآبادى فى قزوین و له مؤلفات موجوده عند أحفاده و تعرف أسرته اليوم فى قزوین بال الأرجمندی ذكره محمد حسن خان اعتماد السلطنه فى كتابه المآثر و الآثار بما تعريبه: (الآغا كريم الروغنى القزوينى من مشاهير علماء الأصوليين و أعظم المجتهدين فى العصر القاجارى قضى عمره الشريف فى التدريس



و أكثر الأحيان فى مدرسه مولى ويردى خان بقزوين). (٤)

### الأمير ه كلين خانم المكناه بام سلمه بنت فتح على الشاه القاجارى:

كانت عالمه فاضله خطاطه من ربات الفصاحه و البلاغه عابده زاهده توفيت بعد سنه ١٢٩٥ هـ.

ولدت و ترعرعت فى بلاط أبيها و هى رابع بنات فتح على الشاه القاجارى و الأخت الشقيقه لولى العهد محمد على ميرزا الملقب ب (دولت شاه) حضرت على جملة من العلماء فى طهران و أولعت بالخط و الكتابه و أخذت عن جملة من خطاط ذلك العصر منهم آغا زين العابدين الأصفهانى و الحاج على آغا بن الميرزا على محمد خان نظام الدوله و غيرهما و نبغت فى هذا الفن و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى ابن عمها زين العابدين خان بن حسين قلى خان القاجارى فولدت له بنتا و ولدا هو محمد جعفر ميرزا و هناك مجموعته نفيسه من كتب الدعاء و من القرآن بخطها فى الروضه الرضويه فى خراسان و العتبات المقدسه فى العراق و قصر گلستان بطهران و مكتبه ملك الوطنيه فى طهران و من آثارها قرآن فى مكتبه قصر گلستان و دعاء كميل فى مكتبه قصر گلستان ذكرها الدكتور مهدي البيانى فى كتابه (أحوال و آثار خوشنويسان) ج ٤ ص ١٠٤٩-١٠٥٠ و الأمير عضد الدوله سلطان أحمد الميرزا فى كتابه (تاريخ عضدى) ص ٢٠٠ و ص ٣٠٦ و ص ٣١٦. (٥)

### مبارك بن حامد بن أبى الفرج تقى الدين الحداد الحلبي.

المتوفى سنه ٦٧٤هـ.

ترجم له ابن المعاد فى الشذرات ٢٤٤/٥ و قال: كان من كبار علماء الشيعة عارفا بمذهبهم و له صيت عظيم بالحله و الكوفه و عنده دين و أمانه.

### الشيخ الميرزا مجتبى بن الشيخ الميرزا احمد التنكابنى القزوینى

الخراسانى السينائى.

ولد فى قزوين سنه ١٣١٥ و توفى ليله الاثنين ٢٢ ذى الحجه الحرام سنه ١٣٨٦ فى مشهد الرضا (ع) و دفن فى الصحن العتيق تحت الساعه بقرب باب السوق فى الروضه الرضويه.

أخذ المقدمات فى قزوين عن الشيخ على أكبر الالهيان و فى سنه ١٣٢٥ هاجر مع والده إلى النجف الأشرف و أكمل السطوح على جملة من العلماء ثم حضر على الميرزا محمد حسين النائينى و السيد أبو الحسن الاصفهانى و الميرزا مهدي الأصفهانى الخراسانى و فى سنه ١٣٣٧ استقر فى قزوين و التحق بحوزه السيد موسى الزرآبادى ثم هاجر إلى خراسان و سكن المشهد الرضوى و حضر هناك على الحاج آغا حسين القمى الحائرى و الميرزا محمد آغازاده نجل صاحب الكفايه و أخذ الحكمة و الفلسفه من آغا بزرگ الخراسانى و شغل كرسي التدريس فكان من كبار المدرسين فى المشهد الرضوى، و تخرج عليه جماعه من العلماء و الفضلاء و له مدرسه خاصه معروفه فى ايران (ب مكتب تفكيكى) و يختلف هؤلاء مع الحكماء و الفلاسفه فى آرائهم الفلسفيه التى لا- تتفق مع الأحاديث المرويه عن أهل البيت (ع) ذكره شيخنا آغا بزرگ الطهرانى فى كتابه نعباء البشر

(الشيخ العالم الفاضل جامع المعقول و المنقول الميرزا الشيخ مجتبي السينائي القزويني نزيل المشهد المقدس الرضوي المدرس العالي هناك و المصنف الماهر الباهر).

له مؤلفات هامه منها كتاب الفرقان طبع منه خمس مجلدات المجلد

ص: ١٨٥

---

١- غياث الدين الحسيني المعروف خواند أمير تاريخ حبيب السير ج ٣ ص ٢٧٠ طبعه طهران مكتبه الخيام سنه ١٣٣٣ هجريه شمسيه.

٢- انظر فارسنامه ناصرى الميرزا حسن الحسينى الفسائى ج ٢ ص ١١٩٣ تحقيق الدكتور منصور الفسائى طبعه طهران.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٥- الصالحى.

الأول فى التوحيد و المجلد الثانى فى النبوه و المجلد الثالث فى المعاد و المجلد الرابع فى الميزان و المجلد الخامس فى الغيبه و الرجعه، كتاب أصول آل الرسول تقريرات استاذه الميرزا مهدي الخراسانى الأصفهانى، كتاب معرفه النفس مخطوطه، رساله فى العلوم الغريبه مخطوطه.(١)

## الشيخ مجتبى القزوينى بن الشيخ احمد بن الميرزا حسين الطيب

الحشمتى التنكابنى.

ولد فى ١٣١٦، و توفى سنة ١٣٨٦ فى مشهد الرضا.

ولد فى قزوین و أخذ المقدمات و السطوح من الشيخ فتح الله الشهيدى و السيد هبه الله التلاترى و فى سنة ١٣٣٠ هاجر مع أبيه إلى النجف الأشرف و اشتغل مده عند خاله الشيخ على أكبر الهياك ثم حضر بحث السيد محمد كاظم الطباطبائى اليزدى و السيد أبو الحسن الأصفهانى و حضر فى كربلاء بحث السيد إسماعيل الصدر و الميرزا محمد تقى الشيرازى و فى سنة ١٣٣٧ عاد إلى ايران و ذهب إلى قم و حضر بحث الشيخ عبد الكريم الحائرى اليزدى و فى سنة ١٣٤١ هاجر إلى مشهد الرضا فحضر بحث الميرزا محمد الخراسانى و الشيخ موسى الخونسارى و الحاج آقا حسين الطباطبائى القمى و حضر فى المعقول على الشيخ أسد الله العارف اليزدى و الميرزا مهدي الغروى الأصفهانى و الآقا بزرك الحكيم الشهيدى، ثم انصرف إلى التدريس و التأليف و طبع من مؤلفاته كتاب (بيان الفرقان) فى خمسة أجزاء.

توفى فى مشهد الرضا و دفن فى الصحن العتيق.(٢)

## مجتبى مينوى

### اشاره

ولد سنة ١٣٢٣ و توفى سنة ١٣٩٦.

درس المقدمات بسامراء و طهران، و تعلم المتوسطه بدار الفنون و دار المعلمين المركزيه، و المعلومات الجامعيه استوعبها فى كينكز كالج بلندن و المعهد الثقافى الآسيوى الافريقى بجامعه لندن.

بدأ خدماته الاداريه ككاتب فى المجلس النيابى بطهران فى سنوات - ثم عين رئيسا ل " كتابخانه ملي " أى المكتبه الأهليه بطهران سنة ١٣٤٧، ثم انتقل كعضو فى الهيئه الثقافيه فى السفاره الإيرانيه بباريس ثم لندن. ثم رجع إلى إيران و عين رئيسا للدراسات العليا فى وزاره المعارف ( - ١٣٧٣ هـ ) ثم عين ممثلا ثقافيا فى السفاره الإيرانيه بتركيا ( - ) ثم أستاذًا بجامعه طهران ( - ).

و من اعماله ١: أنه درس المخطوطات بمكتبات تركيا و صور المهم منها بالميكروفيلم للمكتبه المركزيه لجامعه طهران و المكتبه الأهليه المذكوره، و قامت الجامعه و بنياد فرهنگ إيران بطبع بعضها فتوغرافيا و قام بعض الأساتذه بتحقيق و إخراج بعض منها.

٢: أشرف على هيئته علميه لاستخراج اللغات من المتون القديمه لتدوين قاموس فارسي حسب التسلسل التاريخي و كانت مؤسسه فرانكلين بطهران تنوى نشرها، ثم انتقل هذا المشروع إلى (بنياد فرهنگ إيران).

٣: كان عضوا في لجنه التأليف و الترجمة بجامعة طهران و عضوا في جمعيه الفلسفه و العلوم الإنسانيه لفرع إليونسكو بايران و عضوا في اللجنه المركزيه لجامعه طهران و عضوا في اللجنه المركزيه للأسناد و لجنه تعيين الجوائز لأفضل كتب السنه و مشاورا في المؤسسه الثقافيه الإيرانيه.

٤: قام بفهرسه النسخ المخطوطه الفارسيه بمكتبه جستریتی في دوبلن بجمهورية إيرلنده الجنوبيه و اشترك معه: آربری A.J.Arberry و بلوشه E.Bloch و روبينسون Robinson و ويلكنسون Wilkinson، و كل منهم اخصائي في فن فهرست الكتب المصوره، و قد خرج منها ثلاثه مجلدات سنه ١٩٥٩ م، و كان خلال إقامته الطويله بانكلترا متصلا باكابر المستشرقين أمثال البروفسور ولاديمير مينورسكي W.minorsky و والتر هينيك W.B.Hening و ه. كيب H.Gibb و هارولد نيكلسون H.Nicholson و سردنيسن رأس D.Ross و بعض الشباب منهم مثل:

آربری و روبن لوى R.Lewy و برنارد لوئيس B.Lewis و لمبتون A.K.Lambton و بويل J.Boyle و كرشويج I.Gerxhevich.

و كان يأنس بمينورسكي أكثر من غيره لأن مطالعات مينورسكي كانت في مجال الجغرافيه التاريخيه لايران و المتون الفارسيه، و كان المذكور يستفيد من هذه الجبهه من تبحر المينوى فيها و نشرها معا رساله لنصير الدين الطوسي في الوضع المالى و الديوان في مجله مدرسه الألسنه الشرقيه بلندن سنه ١٩٤٢ م.

كان المينوى يرى في مينورسكي عالما من الدرجه العليا و لذلك قام بنشر مجموعه تذكاريه له من قبل جامعه طهران، كما أنه ألف مقالا لمجموعه تذكاريه صدرت لتكريم زكى وليدى طوغان اعترافا بعلمه و فضله.

و كان يعتقد بين المستشرقين الألمان بهلموت ريتير لأنها عاشا معا مده بترکيا، كما كان هينيك الأخصائي في اللغات الإيرانيه يعتقد بالدقه العلميه في المينوى، فلما ظهرت النسخه المفتعله بعنوان "كابوس نامه" عرف هينيك بعض الكلمات المختلفه البهلويه فيها فشك في أصاله النسخه و عرف مینوى بذلك ضمن رساله بعثها إليه فنشر مینوى الرساله المعروفه "كابوس نامه" فرأى "عام ١٣٧٦ ه بترکيا و فضح مختلفى النسخه، فدامت المشاحنات في ذلك عده سنوات و انجرت إلى "المؤتمر الدولى لتاريخ الفنون و الآثار الإيرانيه" المنعقد في نيويورك (١٩٦٤ م) و شهدت بذلك آراء الكيمياءيين في المواد الحديثه المستعمله في تصاویر تلك النسخه، و بعد البحوث و الخطب الكثيره التى ألقىت في المؤتمر انتصر رأى مینوى و تزعت دعوى المختلفين شيئا ما.

و في السنوات التى عاشها بترکيا عاشر علماءها أمثال: مكرمين خليل، زكى وليدى طوغان، فؤاد كوپرولو، نجاتي لوغال، عبد الباقي كوليينارلى، نافذ اوزلوق، أحمد آتش، عثمان توران، صادق عدنان أرزى، فاروق سومر و غيرهم، و هم اخصائيون من الدرجه الأولى في التاريخ الإسلامى و تاريخ إيران و له مباحثات معهم ليتها تدون و تنشر.

و من جمله آثار مينوى القيمه اشتراكه فى لجنه أسستها مدرسه الألسنه الشرقيه لتأليف تاريخ الشرق الأوسط فالقى فيها عدده  
خطب فى موضوع كتاب "تاريخ البيهقى" و كيفيه بيانه للمواضع التاريخيه، و قد طبع هذا المقال باللغه الإنجليزيه فى سلسله  
خطب تلك اللجنه التى نشرها برنارد لوئيس.

و من جمله خدماته القيمه للعلم طى السنوات التى قضاها فى تركيا أن قام بفحص فى مكباتها العظيمه الخاصه منها و العامه و  
فيها نسخ قيمه نادره فارسىه و عربيه و منها نسخ لم يعرف بوجودها أحد حتى اليوم و هى الآن قيد الدرس من قبل الأخصائين  
الأتراك ليفهرسوها و يجعلوها فى خدمه العلماء و المحققين، و كان التبحر الذى اكتسبه مينوى طوال ممارسته للمخطوطات فى  
مكبات المتحف البريطانى و ديوان الهند و جامعات كمبريج و اكسفورد و إدينبورك و مكتبه مستر جيستريتى، مكنه كثيرا من  
معرفة النسخ القيمه القليله

ص: ١٨٦

---

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الشيخ محمد السامى.

الوجود التي يزيد عددها على ١٥ ألف نسخه صور منها كثيرا للمكتبة المركزيه لجامعه طهران بالميكروفيلم، فللمكتبة المذكوره بطهران اليوم ما يزيد على ١٥٠٠ ميكروفيلما، فهرس بعضها الأستاذ محمد تقى دانش بجوه من أساتذه جامعه طهران فى ثلاثه مجلدات.

و لم يكن العلامه مینوی يكتفى بفهرسه الكتب القيمه هذه و تصويرها، بل كان يدرسها و يستخرج منها مطالب تاريخيه ثمينه و يذكرها فى وريقات (فیش) و هذه المذكرات تكمل مذكراته فى بريطانيا، و قد طبع قليلا منها بعنوان (من خزائن تركيا) فى مجله كليه الآداب بطهران.

و مكتبه مینوی الخاصه كانت من أهم المكتبات الخاصه بطهران تشتمل على مجموعه من المصادر لا مثيل لها، كان الأستاذ ينتخبها لنفسه و لدراساته و قد فهرس دانش بجوه مخطوطاتها القيمه و نشرها فى النشره الخاصه بالمخطوطات فى المكتبه المركزيه بجامعه طهران (نشریه نسخه های خطی کتابخانه مرکزی دانشگاه تهران)، و فهرست ميكروفيلم های دانشگاه طهران. و قد وهب الأستاذ مینوی هذه المكتبه الثمينه مع داره للشعب الايرانى.

مؤلفاته و الكتب التى حققها:

١: ديوان ناصر خسرو: بتحقيقه و تعاليق الأستاذ على أكبر دهخدا.

ط طهران.

٢: سياست نامه: بتصحيحه و تصحيح عبد الرحيم الخليلي.

ط طهران.

٣: نامه تنسر: ط طهران.

٤: نوروزنامه: ط طهران.

٥: وضع ملت و دولت و دربار در دوره شاهنشاهی ساسانیان. تأليف آرتور كريستن سن و ترجمه مینوی. ط طهران، کمیسیون معارف.

٦: رساله در امر ماليات از خواجه نصير الدين طوسى. مع البروفسور ولاديمير مينورسكى، نشرت فى: "BSOAS".

٧: إقبال لاهورى شاعر پارسی گوی پاکستان. ط طهران، مجله یغما.

٨: مصنفات أفضل الدين محمد مرقى كاشانى، مع الدكتور يحيى مهدوى. ط جامعه طهران.

٩: تحريمه القلم (منظومه از سنائی غزنوی) ط طهران، فرهنگ ایران زمین المجلد الخامس.

١٠: السعاده و الإسعاد: تأليف أبو الحسن العامري. تصحيح مینوی. ط ويسبادن.

١١: آزادی و آزاد فکری (مقالات). ط طهران.

The Chester Beatty Library.A Catahogue of The:١٢ Persian Manuscripts and Miniatures.  
. B.Wilkinson 'Edgard Blochrt'A.J.Arberry و M.Robinson مع Dublin ١٩٥٩.٣ vols

١٣: سيرت جلال الدين مينكبرني، تصنيف شهاب الدين محمد الخرنديزي ط طهران.

١٤: يادنامه إيراني مينورسكي، مع إيرج أفشار. ط طهران.

١٥: مجموعه، گفتارها و نوشته های مجتبی مینوی. ج ١، ط طهران.

١٦: تنكسوق نامه يا طب أهل ختا، تأليف خواجه رشيد الدين فضل الله الهمداني، ط طهران، كليه الآداب. ١٧: وقفنامه ربع رشیدی (الوقفیه الرشیدیه) مع إيرج أفشار ط طهران، أنجمن آثار ملی.

١٨: نقد حال (عمر دوباره، مجموعه گفتارها و نوشته های مینوی، ج ٣) ط طهران.

١٩: تاريخ و فرهنگ (عمر دوباره، مجموعه گفتارها و نوشته های مینوی ج ٣) ط طهران.

٢٠: أحوال و أقوال شيخ أبو الحسن خرقاني، و يليها منتخب نور العلوم، ط طهران أنجمن آثار ملی.

## مقالته

مقالته التي نشرت في المجلات و الدوريات الإيرانية كثيرة، تبلغ أعدادها من السنة ١٣٣٥ هـ إلى ١٣٩٦ هـ، مائتين و إحدى عشره مقاله تحقیقیه علمیه و فی مواضع شتی.

و مقالاته باللغات الأجنبية و أكثرها اللغة الإنكليزية كثيرة.(١)

## القاضي التنوخي أبو علي المحسن بن علي بن أبي الفهم داود بن

## إشاره

إبراهيم بن تميم التنوخي

(٢) أبوه القاضي أبو القاسم علي بن أبي الفهم التنوخي، ولد بانطاكية في ذي الحجه سنة ٢٨٧، و قدم إلى بغداد في حدثه في سنة ٣٠٦ هـ و تفقه بها و سمع الحديث و رواه. و هذا كل ما نعرفه عن نشأته الأولى و عن إقامته في انطاكية. ثم ولى بعد ذلك قضاء الأهواز و كورها. و قضاء واسط و أعمالها و الكوفه و سقى الفرات و ايزج و جند حمص و عده نواح من الثغور الشاميه و

أرجان و كوره سابور بصوره متفرقه أحيانا و مجتمعه أحيانا أخرى، من قبل الخليفه الطائع (٣٣٤ - ٣٤٣ هـ). و بعد أن استمر في ولايته على القضاء بضع سنين صرف عنه. فذهب إلى سيف الدوله الحمداني زائرا و مادحا، فأكرمه سيف الدوله و كتب إلى الخليفه ببغداد يتوسط له في اعاده توليه القضاء، فأعيد إلى عمله، و زيد في رتبته و ذلك في سنه ٣٤٠ عند ما ولي قضاء القضاء بدلا من أبي السائب الذي لم يكن على وئام مع الخليفه المطيع. و لكن ترقيته هذه ولدت له عداوه أبي السائب و مشايغيه و سنرى ان لهذه العداوه أثرها في حياه ابنه أبي على المحسن التنوخي. ثم وردت الأخبار عنه بعد ذلك انه توفي بالبصره في ربيع الأول سنه ٣٤٢ و دفن بالمربد، مخلفا وراءه دينا مقداره خمسين ألف درهم دفعها عنه صاحبه الوزير المهلبى. و لا شك أن لنهايه أبي القاسم مدينا بهذا الشكل أثرها في عدم تيسير الحياه لابنه مما جعله كثير الشكوى من الزمان و أهله كما سنرى.

و قد اشتهر أبو القاسم التنوخي بقوه الحفظ. فقد روى عنه ابنه أبو على التنوخي انه كان يحفظ للطائنين سبع مائه قصيده و مقطوعه سوى ما يحفظ لغيرهما من المحدثين و المخضرمين و الجاهليين. و كان يحفظ من النحو و اللغه شيئا عظيما. و كذلك بالنسبه للفقه و الفرائض و المحاضر و علم الكلام و المنطق و الهندسه و علم الهيئه، و علم العروض، و الحديث حتى عد ما يحفظه منه عشرون ألف حديث. و قال ابنه بأنه ما رأى أحدا احفظ منه. و انه لو لا توزع حفظه بين جميع هذه العلوم لكان له شان عظيم.

و قد كانت له مؤلفات في علم العروض و الفقه و ديوان شعر. و لهذا عد من أعيان أهل العلم و الأدب.

ص: ١٨٧

١- الشيخ أبو ذر بيدار.

٢- من الترجمات التي توفي المؤلف قبل ان يكتبها. و هذه مكتوبه بقلم: بدرى محمد فهد.



وقد اشتهر أبو القاسم التنوخي أيضا بالظرف و حسن المنادمه و لهذا مال اليه كبار رجال العراق كالوزير المهلبى الذى كان ينادمه ليلتين فى الأسبوع مع قاضيين آخرين هما ابن قريعه و ابن معروف. و قد عدوه لطيب عشرته و كرم أخلاقه و حسن اخباره ريحانه الندماء و تاريخ الظرفاء.

أما عم أبى على التنوخي فقد كان قاضيا و من أهل الأدب أيضا، لذلك نجده يروى عنه فى كتبه.

و يبدو أن جده لأبيه كان من أهل الأدب أيضا. و كان لهذا الجد تأثير واضح فى تربيته أبيه أبى القاسم و توجيهه نحو حفظ الشعر و لا سيما الأشعار التى تغنت بامجاد اليمن. و حفظ أشعار الطائيين أبى تمام و البحرى.

الا ان التنوخي لم يحدثنا شيئا عن اخوته كما حدثنا عن جده و أبيه و عمه. فالأرجح انه كان وحيدا لأبيه. أما عن عدم ذكره لأمه فإنه قد سار فى ذلك على نهج بعض من تقدمه أو عاصره من المؤرخين و الأدباء الذين لم نعرف عن أمهاتهم شيئا. علما باننا لا زلنا نجهل الكثير عن حياته هو نفسه و عن بقيه أفراد عائلته الذين لم تذكر عنهم سوى طرف من الأخبار. اما إذا عثر على أجزاء أخرى من كتاب النشوار فمن المحتمل أن نجد فيها ما يسد الثغرات التى نراها فى حياة أبى على و عائلته. لذلك لا يمكن تأييد FakkaR (فيما ذهب اليه من أن سكوت التنوخي عن أمه دليل على أنها من عائلته مجهوله و من أصل وضع).

فعائلته التنوخي التى نشأ فيها كانت عائلته فاضله اشتهر رجالها بالقضاء كما اشتهروا بالأدب و الظرف. فكان لهذه البيئه العلميه أثرها فى نشأه أبى على المحسن. و لهذا أتينا على ذكر سيره أبيه. لأننا سنجد كثيرا من أوجه الشبه بين شخصيه أبى على المحسن و أبيه من حيث نتاجه العلمى. كما سنجد تأثير أبيه من حيث اتصاله بكبار رجال الدوله العباسيه منذ صغر سنه.

مما مهد الطريق له للبروز فى المجتمع العباسى على الرغم من صغر سنه، و ما ترتب على تقربه من كبار رجال الدوله من مطارده و تشرد نتيجته لتنجيه هؤلاء عن مناصبهم.

و قد خلف أبو على التنوخي ابنا فاضلا هو أبو القاسم على بن المحسن التنوخي (٣٦٥ - ٤٤٧) و كان أديبا شاعرا. و قد تقلد القضاء فى عده نواح. و روى الحديث عن أبيه. و بعض أخباره.

المرحلة الأولى من حياته

ولد بالبصره ليله الأحد فى ٢٦ ربيع الأول سنه ٣٢٧ و نشأ بها و بمنطقه الأهواز، التى كان أبوه قاضيا فيها. و لم يغادرها قبل العشرين من عمره.

و أما بقيه حياته فالمعلومات عنها نادره جدا. فلدينا إشارات عابره خلال كتبه حاولنا جمعها و ترتيبها حسب السنين كى نتبين منها ملامح حياته منها انه كان على العيار فى دار الضرب بسوق الأهواز سنه ٣٤٦. و انه سمع بمجىء الوزير المهلبى صديق والده إلى البصره فخفف لمقابلته و السلام عليه و كان ذلك فى سنه ٣٤٩ و ان الوزير ساله عن عمله فأخبره بأنه يشهد عند قاضى الأهواز ابن سيار، و كان عمره إذ ذاك عشرين سنه. فلم يرض له الوزير هذا العمل على اعتبار أن أباه أبا القاسم التنوخي كان أستاذ قاضى الأهواز ابن سيار لذا دعاه للمجىء إلى بغداد، ليقلده القضاء، و من ثم ليصبح هو الذى يقبل الشهود لا العكس و

هكذا حضر التنوخي إلى بغداد، فأمر الوزير المهلبى قاضى القضاء - و كان آنذاك أبو السائب - بتقليده القضاء فقلده سقى الفرات. و قد حددها ابن الجوزى بسورا و قصر ابن هبيرة.

و من الجدير بالملاحظه أن أبا السائب هذا كان قد صرف عن قضاء القضاء عند ما ولى مكانه والد التنوخي أبو القاسم و ذلك فى سنة ٣٤٠ كما مر الكلام سابقا. لذلك كان يضمم العداوه لمنافسه أبى القاسم. و قد تنبه الوزير المهلبى لهذا الأمر، فعمد إلى حيله يحمى بها أبا على التنوخي من انتقام أبى السائب، و ذلك انه اتفق مع التنوخي بعد توليته القضاء، أن يجلسه بقربه فى مجلسه العام، ثم يأمره بالخروج عند دخول قاضى القضاء ليتوهم الأخير بان التنوخي أرسل فى أمر هام من أمور الدوله و أن الوزير يعتمد عليه اعتمادا كبيرا و بذلك لا يفكر فى إيذائه أو الانتقام منه.

و كان التنوخي ببغداد فى سنة ٣٥٠هـ، و فى سنة ٣٥١هـ. و يبدو أن وجوده ببغداد فى هذه السنين يعود لقرب مقر عمله منها فكان يأتيها لقضاء حوائجه الخاصه أو لأمر رسميه تقتضى ذلك.

ثم قلد قضاء عسكر مكرم، قرب الأهواز، الا اننا لا نعرف متى كان ذلك بالضبط، و لكننا نجده بالأهواز سنة ٣٥٤ عند ما أخبرنا بأنه التقى بها بالشاعر المتنبي. و انه استمر متقلدا القضاء بها إلى سنة ٣٥٥.

ثم انقطعت اخباره ما بين - ٣٦٠هـ، حيث ظهر ببغداد بعد غياب طويل عنها كما قال هو نفسه. و لا نعرف ان كان مستمرا فى عمله طوال تلك الفتره أم انه عزل عن القضاء. و الأرجح انه كان مستمرا فى عمله حتى سنة ٣٥٩ عند ما تبدلت الوزارة و جىء بأبى الفرج محمد بن العباس بن فسابخس وزيرا بدلا من أبى الفضل العباس بن الحسن الشيرازى. و قد استمر أبو الفرج فى وزارته ثلاثه عشر شهرا و ثلاثه أيام. ثم أعيد أبو الفضل إلى وزاره ثانيه و ذلك فى سنة ٣٦٠ و لعل هذا هو الذى يبرر وجود التنوخي ببغداد فى هذه السنه. و ظهوره كأحد المهنيين فى دار هذا الوزير.

ثم قلد قضاء واسط سنة ٣٦٣هـ. و يبدو انه استمر بواسط حتى سنة ٣٦٥ كما جاء باحدى حكايات الشوار. و مما يجلب الانتباه ان ابنه على الملقب بأبى القاسم ولد بالبصره فى هذه السنه نفسها كما أكدته المصادر. لذلك لا يمكننا أن نبت بشىء فى هذا الأمر.

أما فى سنة ٣٦٦ فقد ذكر انه سمع فيها شعرا من أبى سعيد مساعد بن الجهم الشيبانى، الا انه لم يذكر اين كان ذلك.

## المرحلة الثانيه من عمره

و يبدو انه بعد هذا التاريخ تولى الكتابه على الحكم و الوقف ببغداد لقاضى القضاء أبى العباس بن أبى الشوارب إضافه إلى ما كان يخلفه عليه بتكرير، و داقوقا، و خانيجار، و قصر ابن هبيرة، و الجامعين، و سورا، و بابل، و الايغارين، و خطرنيه.

و بمجىء التنوخي إلى بغداد بدأ حياه جديده، حيث أصبح قريبا من رجال الحكم، فقد اهتم به الوزير نفسه رعايه لحق أبيه. فأصبح من جلاسه و المقربين اليه. و لهذا نرى التنوخي كثير الترحم عليه كلما جاء ذكره فى كتابه. و لما آل الأمر فى سنة ٣٦٧ إلى عضد الدوله فى عهد الخليفه الطائع لله، اتصل به التنوخي و أصبح من جلاسه و ندمائه. فكان يأخذه معه فى تجواله فى

المناطق البويهيه. فيقيه معه عده شهور، يستمتع بمنادمته و سماع شعره عند انعقاد مجالس الأانس، كما حدث عند ما أخذه معه إلى نهاوند و إلى همذان. وقد وصف لنا التنوخي هذه المجالس و كيفية انعقادها و كيف انه كان يجلس مع نفر قليل قريبا من عضد الدوله فى الوقت الذى يقف فيه بقيه الندماء كرؤساء الدوله و وجوه الكتاب و الولاه و كبار أهل البلد من الاشراف و غيرهم. و عند ما يبدأ الشعراء بإنشاده أشعارهم يتقدمهم التنوخي فيكون أول منشد من الشعراء ثم يتلوه بعد ذلك بقيه الشعراء.

ثم اصطحبه عضد الدوله معه فى حملته التأديبيه للحمدانيين فى

الموصل، و التي استمرت من سنة ٣٦٧ إلى ذى الحجة سنة ٣٦٨ عند ما رجع عضد الدولة إلى بغداد.

ثم زادت منزلته ارتفاعا لدى رؤساء الدولة فنراه يتولى عقد قران الخليفة الطائع لله على بنت عضد الدولة، و ذلك فى سنة ٣٧٠.

لقد كان لهذا الزواج أهميه كبيره بنظر عضد الدولة، فهو يزيد فى سطوته و يجعل حكمه أكثر رسوخا باقتران الخليفة الطائع من ابنته. كما انه كان يؤمل أن تضع ابنته مولودا ذكرا فيعهد اليه بالخلافه و بذلك تتحول السلطه إلى البويهيين.

و نجاح التنوخى فى مسعاه من تزويج الخليفه بابنه عضد الدولة زاده اقترابا من الخليفه أولا و من عضد الدولة ثانيا، و من ثم بروزه فى المجتمع العباسى لا بل بروزه بين أقرانه من الخاصه أنفسهم مما أثار حسدهم إضافة إلى حسد أعدائه و جعلهم جميعا يترصدون حركاته للإيقاع به عند أول بادره.

### المرحلة الثالثة من حياته

ثم دخلت حياته مرحلة جديده ابتداء من سنة ٣٧١ و ذلك انه ذهب مع عضد الدولة مره ثانيه إلى همدان، و كان فى نيه عضد الدولة أن يقضى الشتاء هناك بغيه القبض على أبى القاسم الصاحب بن عباد، فلما سمع التنوخى بذلك لم يكتف الأمر و تحدث به، و لم يمهل خصومه بل أسرعوا فى نقل حديثه إلى عضد الدولة على اعتبار ان اشاعه الخبر إنذار لابن عباد، و من ثم إفساد لخطه عضد الدولة. فدعاه عضد الدولة و بعض من كان قد حدثهم و سالهم عن الأمر فأنكروا، لكن عضد الدولة حقد عليه فأرسل اليه من يقرعه بقوله "ألم تكن صغيرا فكبرناك و متأخرا فقد مناك و خاملا- فنبهنا عليك، و مقترأ فأحسننا إليك فما بالك جحدت نعمتنا و سعيت فى الفساد على دولتنا". و لما رجعوا إلى بغداد رآه عضد الدولة على بغله و عليه ثياب جميله فسأله عنها فأجابته بان الصاحب بن عباد أرسلها اليه مع عشرين ثوبا و سبعة آلاف درهم. فلم يتمالك أن عرض به قائلا "هذا قليل مما تستحقه" مشيرا إلى فضحه أمر القبض على ابن عباد.

ثم شاءت الظروف أن يجافى الخليفه ابنه عضد الدولة، فيرسل الأخير إلى التنوخى يوسطه فى الأمر، الا أن التنوخى تمارض و لم يذهب فلما علم به عضد الدولة عاقبه بلزوم داره و عدم مبارحتها و عدم السماح له باستقبال الضيوف الا القليل. ثم أرسل اليه رجلا يطالبه بعشره آلاف درهم كان قد استلفها من اقطاعه. و استمر عضد الدولة يلاحقه الا [إلى] أن توفى سنة ٣٧٣.

و يبدو ان التنوخى هرب من بغداد إلى البطيحه نتيجة لهذه الملاحقه و انه اكتفى بالتلميح دون التصريح عند قوله بان نكبه لحقته فالتجا عند أمير البطيحه ابن شاهين. و استمر متخفيا فيها مده أربعة أشهر، حتى توفى عضد الدولة. ففرج الله عنه كما يقول.

و عاد التنوخى إلى بغداد بعد وفاه عضد الدولة مباشره سنة ٣٧٣ و سكن فى شارع دار الرقيق. ليقضى فيها بقيه حياته، بعيدا عن الترف و النعيم، بعيدا عن الجاه و السلطان. و قد لاقى فى هذه الفتره عسرا شديدا، فلم يكن له مال يعول عليه إذ مات أبوه مدينا كما رأينا و لم يخلف له شيئا، و لعله فى هذه الفتره من حياته بدأ بالتحديث و تأليف كتابيه "المستجد" و "الفرج" و إكمال كتابه "النشوار" الذى بدأه سنة ٣٦٠ كما سنرى.

و ركن إلى الاستقرار بعد حياه مليئه بالحركه و التنقل مما لم تتح له فيها الكتابه، و من جهه أخرى فان انصرافه إلى التحديث و

التأليف كان أمرا لا بد منه لكي يدبر أمر معاشه. و إلى هذه الفترة من حياته تعود شكواه من زمانه و حكام زمانه التي بثها في كتبه، واصفا إياهم بالجهل عن تثمين النتائج الجيد و بالبخل الذي جعلهم يسمونه (احتياطا) و (إصلاحا)، و مقارنة الماضي التليد بهذا الحاضر الذي فقدت فيه المكارم، و كثرت المحن و المغارم.

و إلى هذه الفترة من حياته أيضا يعود تذكركه للمحن التي لحقتة و التي كتب الله له النجاه منها، فدونها في كتبه عبره للناس و موعظه.

و أخيرا انتهت حياته ببغداد في يوم الاثنين في الخامس و العشرين من محرم سنة ٣٨٤ عن عمر يناهز السادسة و الخمسين.

## شيوخه

كانت عائلة التنوخي، عائلة علم و أدب، فأثرت في نشاته و توجيهه فكان أبوه أول مؤدب له. لهذا رأينا يروى عنه في كتبه كما في الفرج بعد الشده.

و في النشوار. و أول خبر وردنا عن تلقيه [تلقية] الدروس كان في سنة ٣٣٣ و كانت تلك الدروس هي الحديث. حيث كان عمره إذ ذاك ست سنوات و لا نعلم ان كانت هذه الدروس قد تلقاها عن أبيه، أم انه تلقاها عن غيره.

و لم تردنا معلومات عن معلميه و مؤديه الأوائل في الكتب التي تعرضت لذكر ترجمته، الا انه ذكر بعضهم عرضا و باقتضاب شديد كقوله عن معلم له سماه أبا جعفر انه كان يعلمه و بعض الصبيان في الكتاب الشعر. ثم ذكر في موضع آخر أحد مؤديه ناقلا عنه روايه في كتاب النشوار بقوله "حدثني محمد ابن الفضل بن حميد الصيمري مؤدبي قال "لذلك لا نعرف مده تلقيه الدروس على هؤلاء المعلمين و المؤدين، و لا طريقه التدريس و لا ماده الدرس نفسها باستثناء ما جاء عن تعلمه الشعر.

أما شيوخه الذين سمع منهم فقد اختلفوا حسب الأماكن التي عاش فيها. فقد ذكر الخطيب البغدادي انه سمع بالبصره من:

١ - واهب بن يحيى المازني.

٢ - الحسن بن محمد بن عثمان النسوي.

و لم نستطع العثور على ترجمتهما فيما تيسر لنا من المصادر.

٣ - أبي العباس الأثرم: و هو محمد بن أحمد بن أحمد بن حماد بن إبراهيم بن تغلب بن الشد الأثرم من أهل البصره و من ساكنيها. ولد بسّر من رأى سنة ٢٤٠ و توفي سنة ٣٣٦ و قد أثنى عليه فقيل "الأثرم الخياط المقرئ شيخ ثقة فاضل". و قد روى التنوخي عنه حديثا في كتاب الفرج.

٤ - محمد بن يحيى الصولي: هو محمد بن يحيى بن العباس الصولي من الأدباء الظرفاء و الجماعين للكتب، نادم من الخلفاء الراضى و المكتفى و المقتدر. و عاش إلى سنة ٣٣٠ ثم توفي مستترا بالبصره، لأنه كما قيل روى خبرا في علي بن طالب فطلبه الخاصه و العامه لقتله. و كان له عده كتب، و قد ذكر لنا التنوخي انه حضر بعض مجالس الصولي فسمع بعض كتبه تتلى عليه

مثل كتاب الوزراء، الذي روى عنه التنوخي ما كان سمعه في كتاب الفرج.

وقد روى التنوخي عن الصولي في كتاب (المستجد) روايتين عن خالد ابن يزيد الكاتب. و روى عنه في كتاب (الفرج) عدة روايات بعضها نقلها من كتبه، و قد أجازة عليها. و بعضها الآخر أخذها مشافهه أو سماعا في أثناء حضوره مجالسه.

٥ - أبو بكر بن داسه: و هو أبو بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق بن داسه التمار الداسي البصري. و كان شيخا ثقة روى عن أبي داود السجستاني أكثر كتاب السنن، أما الباقي منه فقد رواه عنه إجازة أو

ص: ١٨٩

وجاده (١) كما أنه روى عن غيره. توفي نحو سنة ٦٣٢٠ - أحمد بن عبيد الصفار: وهو أحمد بن عبيد بن إسماعيل، أبو الحسن الصفار سمع من كثيرين وقد روى عنه الدارقطني. وكان ثقة ثبتا صنّف المسند و جوده. وقد سكن البصره في أخريات أيامه.

و إلى جانب من تقدم ذكرهم ممن أخذ عنهم التنوخي بالبصره، قال الخطيب البغدادي "و طبقتهم" مشيرا بذلك إلى وجود شيوخ آخرين أخذ عنهم بالبصره الا أنه لم يشأ أن يذكرهم. و من هؤلاء:

٧ - محمد بن الحسن بن جمهور الكاتب: حيث ذكره التنوخي نفسه واصفا إياه بأنه من شيوخ أهل الأدب بالبصره و انه كان شاعرا جيد الخط.

و كان ملازما لأبيه أبي القاسم التنوخي. و من هنا استطاع التنوخي التعرف عليه و ملازمته مدة طويله. و من ثم رواه بعض أشعاره.

أما الذين سمع منهم التنوخي ببغداد فقد وردنا منهم أبو الفرج الأصفهاني.

و قد روى عنه التنوخي في كتاب (النشوار) و (الفرج) و كتاب (المستجد) و قد اختلفت طريقه أخذه عنه في هذه الكتب الثلاثه، فهو في النشوار قد أخذ عنه مباشرة باستعماله كلمه (حدثنا) و عن طريق كتبه إجازة أو قراءه عليه باستعماله كلمه (أخبرنا). و في الفرج استعمل الروايه الشفويه حيث قال "حدثنا الأصفهاني إملاء من حفظه و أنا أسمع". أو كقوله "حدثنا الأصفهاني إملاء من حفظه". و استعمل كلمه (أخبرنا) في حالات اخرى، و من الجائز أن تكون هذه قراءه على الأصفهاني أو إجازة عنه. و قد أشار إلى ذلك صراحه بقوله "أخبرني أبو الفرج الاصفهاني إجازة".

و استعمل كذلك تعبير "قال الاصفهاني" و أغلب الظن انها تدل على أخذه من كتبه. و قد صرح بذلك بقوله "وجدت في كتاب الأغاني الكبير لأبي الفرج". أما في المستجد فإنه روى عنه عدده روايات أيضا و أغلب الظن انه أخذها من كتبه و لم يأخذها مشافهه أو قراءه عليه.

و كان التنوخي على اتصال دائم بمجالس أبي الفرج الأصفهاني، فكان يحضرها. و قد أجاز الأصفهاني للتنوخي روايه كتاب الأغاني فيما أجاز له روايته من كتبه.

#### ٤ - آثاره:

(أ) كتبه: لقد مرت الإشارة إلى كتب التنوخي في مواضع عدده و لكننا سندكرها هنا بشيء من التفصيل، و هي:

(١) كتاب المستجد من فعلات الأجواد: و هذا الكتاب أصغر كتبه - عدا ديوان شعره الذي لا نعرف حجمه - جمع فيه أخبارا عن الكرماء منذ الجاهليه حتى عصره الذي يعيش فيه. و قد طبع. و ذكر بروكلمان أن الكتاب سبق أن نشره ياولي في شتوتجارت في سنة ١٩٣٩ م بالزنگراف. ثم ذكر المخطوطات الموجوده لهذا الكتاب و أماكنها. و أضاف بان هناك مخطوطات تقدم صوراً مختلفه من محاكاة الكتاب و تقليده.

(٢) كتاب الفرج بعد الشده: و هذا الكتاب وسط بين كتاب النشوار و كتاب المستجاد، من حيث حجمه، و قد نشر أكثر من مره.

لم يكن التنوخى المبتكر الأول لهذا النوع من التأليف بل سبقه اليه جماعه، وصلت كتبهم اليه و قد ذكرها في مقدمه هذا الكتاب و بين فضل بعضها على البعض الآخر. ثم ذكر منهجه و ما سياتى به من جديد. و لقد ذكر بروكلمان معلومات طيبه عن المخطوطات الموجوده لهذا الكتاب و المؤلفين الذين اختصروه أو هذبوه أو ترجموه أو قلدوه في منحاه في الآداب الفارسيه و التركيه، و العبريه كما أضاف باريه. و أخيرا وضع عنه Fakkar دراسه بالفرنسيه قدمها إلى المعهد الفرنسي للآثار بالقاهره لنيل شهاده الدراسات العليا.

(٣) كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره أو جامع التواريخ:

و سيرد الكلام على هذا الكتاب مفصلا.

و كانت كتب التنوخى مصدرا مهما - و بصوره خاصه كتاب النشوار - لكتب التاريخ بما فيها التاريخ العام و كتب الطبقات و التراجم و تاريخ الأدب و الجغرافيه. و تبرز أهميتها في كونها كتبت عن معاصري التنوخى من أصدقائه و خلطائه على اختلاف مراكزهم السياسيه و الاجتماعيه و الثقافيه.

و غيرهم من الناس الذين شاهدتهم أو احتك بهم خلال حضوره مجالس الوزراء و القضاء أو خلال توليه القضاء أو اعتكافه محدثا بعد صرفه عنه.

و لقد برزت أهميه (النشوار) أكثر من غيره في كثره النقول عنه لدى المؤرخين و الأدباء. و ذلك لأن التنوخى في (النشوار) كان أقل اعتمادا على الكتب من كتايه الآخرين. و لهذا انفرد بمعلومات قيمه عن عصره بصوره خاصه و العصور التي سبقته بصوره عامه.

## شعره

لقد عرفنا من خلال الكلام على حياته انه كان شاعرا. و كان له ديوان كتبه في حياته. و قد رأى أبو نصر سهل بن المرزبانى هذا الديوان ببغداد و قال عنه بأنه أكبر حجما من ديوان أبيه. و أورد بعض ما علق بحفظه منه.

و قد أورد التنوخى ست قطع من شعره ما بين البيتين و الثلاثه عشر في كتابه الفرج بعد الشده. و أورد ابن خلكان القطع التي جاء بها الثعالبي عن ابن المرزبان و من خلال القطع الوارده في شعره يمكن أن يقال بان شعره يمثل حياته في طورها، طور الشده و المحن التي لحقت، و تمثله القطع الوارده في الفرج حيث تدور معانيها حول الصبر و عزه النفس و الثبات أمام الشدائد، و الأمل بتغير الأحوال السيئه إلى أحسن منها. و طور الرفاه و العيش الرغيد و تمثله القطع الأخرى و فيها نرى التنوخى يطرق فنون الشعر المعروفه.

**الأقا محسن بن عبد الكريم بن محمد بن محسن المرشد التنكابنى**



ولد حدود ١٢٠٥ و توفي حدود ١٢٧٥.

كان من العلماء المشاهير المدرسين في تنكابن درس في طهران و أصفهان و كان أحد تلامذه الشيخ محمد تقى صاحب الحاشيه و يصرح بذلك في أحد مؤلفاته. و له مؤلفات في الفقه و الأصول غير مرتبه رأيتها في تنكابن. (٢).

### الشيخ محسن بن الشيخ محمد الحوزى الحائرى المعروف بأبى

الحب.

ولد في كربلاء سنة ١٢٣٥ و توفي في ٢٠ ذى القعدة الحرام سنة ١٣٠٥.

مرت ترجمته في المجلد التاسع و نزيد عليها هنا ما يلي:

من فحول الشعراء في عصره و خطيب العراق في أواخر القرن الثالث عشر و مطلع القرن الرابع عشر، أخذ المقدمات و فنون الأدب على جملة من فضلاء كربلاء و تخرج في الفقه و الأصول و الحديث و التفسير على السيد إبراهيم القزوينى صاحب الضوابط المتوفى سنة ١٢٦٢ و الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى المتوفى سنة ١٢٧١ و أولع بالأدب و الخطابه و الشعر

ص: ١٩٠

١- الإجازة عند المحدثين هي الاذن في الرواية لفظاً أو كتابه. و الوجداه هي أخذ الحديث من كتاب من غير سماع و لا إجازة و لا مناولة.

٢- الشيخ محمد السمامى.

فأخذها بجد و إتقان حتى نبغ بها و له قراءات مشهوره فى ذكر استشهاد سيد الشهداء أبى عبد الله الحسين ع و كان الناس يقصدونه من كل فج للاستماع اليه و له قصائد فى رثاء الحسين ع ذاع صيتها فى الآفاق و عمت شهرتها فى المحافل الحسينيه منها حسنيته الشهيره و هى بلسان حال سيد الشهداء أبى عبد الله الحسين ع.

ان كنت مشفقه على دعيني ما زال لومك فى الهوى يغرينى

أعطيت ربي موثقا لا ينتهى إلا بقتلى فاصعدى و ذرينى

إن كان دين محمد لم يستقم الا بقتلى يا سيوف يا سيوف خذينى

(١) هذا دمي فلترو صاديه الطبا منه و هذا للرماح وتينى

خذها إليك هديه ترضى بها يا رب أنت وليها من دونى

أنفقت نفسى فى رضاك و لا ارانى فاعلا شيئا و أنت معينى

ما كان قربان الخليل نظير ما قربته كلا و لا ذى النون

هذى رجالى فى رضاك ذبائح ما بين منحور و بين طعين

رأسى و أروى اسرتى مع نسوتى تهدى لرجس فى الضلال ميين

و إليك أشكو خالقى من عصبه جهلوا مقامى بعد ما عرفونى

و له قصيده نظمها بطلب من استاذه الشيخ محمد صالح البرغانى الحائرى و ذلك حين تم إنجاز بناء ايوان رأس الحسين ع فى الجانب الغربى من الصحن الحسينى المطهر و هو من مشاريع استاذه البرغانى، و قد نقش القصيده بالقاشانى البديع الصنع، و منها:

الله أكبر ما ذا الحادث الجلل لقد تزلزل سهل الأرض و الجبل

ما هذه الزفريات الصاعدات أسى كأنها شعل ترمى بها شعل

كان نفخه صور الحشر قد فجئت فالناس سكرى و لا خمر و لا ثمل

قامت قيامه أهل البيت و انكسرت سفن النجاه و فيها العلم و العمل

جل الإله فليس الحزن مانعه لكن قلبا حواه حزنه جلل

قف عنده و اعتبر ما فيه إن به دين الإله الذى جاءت به الرسل

لو راقبوا الله كانوا عهده حفظوا و لو أطاعوه كانوا امره امتثلوا

و الله ما خلفوه بعد غيبته فى قطع من قطعوا أو وصل من وصلوا

سرعان ما ضيعوه فى ودائعه أ هكذا فى بنيه يخلف الرجل

أ تلك زينب مسلوب مقلدها الله أكبر هذا الفادح الجبل

لئن بدت و حجاب الصون منتهك عنها فان حجاب الله منسدل

لا برد الله قلبى إن نسيت لها قلبا تعارض فيه الوجد و الوجل

لو قام يصرخ بالبطحاء صارخها رأيت كيف اعوجاج المجد يعتدل

و من آثار المترجم له ديوان مخطوط باسم الحائريات توجد نسخه الأصل بخطه فى خزانه كتبه بكر بلاء عند حفيده الدكتور ضياء بن الشيخ محسن الصغير.

## الشيخ ملا محسن القزوينى الأصل البروجردى المولد و المسكن

ولد فى بروجرد سنه ١٢٣٠ و توفى ليله عاشورا سنه ١٣٠٣.

أخذ المقدمات على والده و جماعه من فضلاء بروجرد ثم التحق بحوزه درس السيد جعفر الدارابى البروجردى الكشفى المتوفى سنه ١٢٤٧ و السيد حسين صاحب نخبه المقال و المولى أسد الله و السيد شفيق الجابلقى و غيرهم و تصدر كرسى الفتوى و التدريس فى بروجرد و كان من أكابر علمائها البارزين و ذكره الميرزا حسن خان اعتماد السلطنه ضمن العلماء و المجتهدين الأكابر فى عصر ناصر الدين شاه القاجارى (٢) و المترجم له من أحفاد المولى الشيخ رفيع الدين محمد بن المولى الشيخ فتح الله القزوينى الواعظ المتوفى سنه ١٠٨٩ صاحب كتاب أبواب الجنان.

و قد ترك المترجم له مؤلفات ذكر شيخنا الأستاذ بعضها فى مجلدات الذريعه إلى تصانيف الشيعه (٣) و من مؤلفاته: ١ - كتاب مشكاه الأنوار.

٢ - كتاب مجمع المطالب و منتهى المآرب تفسير للقرآن الكريم شرح بتأليفه فى رمضان سنه ١٢٧٠ و يقول فيه شرح بتأليفه و هو ابن أربعين سنه و استخرجنا منه عام ولادته قال أيضا: خوفا من عوائق الدهر أفرد تفسير الفاتحه و التوحيد عازما على تفسير باقى السور و فى آخر تفسير التوحيد بمناسبه ذكر صفات الله تعالى، ذكر سبع عشره عقيدة من عقائد الشيخيه فى صفات الله و المعراج

و المعاد الجسمانيين و ردها جميعا..

٣ - كتاب الإفاضات الرضويه أو (فيض الرضاع) رد في فصل منه على الشيخيه في المعاد و المعراج. (٤).

## الشيخ محسن بن الشيخ محمد حسن بن الشيخ محسن الكبير بن

### اشاره

الشيخ محمد الحوزى الحائرى آل أبى الحب.

ولد فى كربلاء سنه ١٢٠٥ [١٣٠٥] و توفى بها فجاء صباح اليوم الخامس من شهر ربيع الثانى سنه ١٣٦٨ و دفن فى مقبره خاصه له فى روضه أبى الفضل العباس ع من جهه الغرب.

آل أبى الحب من الأسر العلميه و الأدبيه الشهيره فى كربلاء هاجر جدهم

ص: ١٩١

- 
- ١- يظن الكثيرون ان هذا البيت هو من نظم سيد الشهداء أبى عبد الله الحسين ع و انه ارتجله يوم عاشوراء و هذا ليس بالصحيح و هو للمترجم.
  - ٢- ميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه ص ١٦٠ الطبعة الحجريه الأولى سنه ١٣٠٦ هجريه طهران.
  - ٣- انظر الذريعه إلى تصانيف الشيعة ج ٢ ص ٢٥٥ و ج ٢٠ ص ٤٤ و ج ٢١ ص ٥٦ دار الاضواء بيروت.
  - ٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

الشيخ محمد الحوزى المعروف بأبى الحب من قرية الحوزه الإيرانيه جنوب البصره فى النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجرى و سكن كربلاء بقصد طلب العلم ثم نبغ من الأسره شعراء و خطباء أشهرهم شاعر أهل البيت ع الشيخ محسن بن الشيخ محمد الحوزى الحائرى آل أبى الحب صاحب القصائد الحسينيه المعروفه و منهم المترجم له الذى كان كبير خطباء كربلاء فى عصره قرأ المقدمات على أفاضل كربلاء و أخذ الفقه و الأصول و الأدب على أبيه ثم اولع بالخطابه و الأدب و الشعر و نال شهره واسعاً فى العراق و احتضنته كربلاء و اعتبرته خطيبها الأول

## شعره

من قصيدته فى رثاء سيد الشهداء أبى عبد الله الحسين (ع):

سبط النبى أبو الأئمه من للخلائق جاء رحمه

هذا سليل محمد لبنى الولا كهف و عصمه

فى شهر شعبان علينا الخير خالقنا أتمه

ولد الحسين و نوره مذ شع اذهب كل ظلمه

جبريل هنا جده و أباه و الزهراء أمه

كان النبى إذا رآه اليه أدناه و ضمه

و له أجل مناقب و فضائل فى الدهر جمه

كم قد أفاض على الورى من جوده فضلا و نعمه

قد شع نور جبينه فجلى الليالى المدلهمه

رام العدى إطفاءه و الله شاء بان يتمه

بشراكم بولاده السبط الحسين أبى الأئمه

لهفى عليه لقد غدا جثمانه للبيض طعمه

ما راقبوا لمحمد فى آله إلا و ذمه

و له ديوان مطبوع فى النجف، (١).

**الآغا الميرزا محسن المجتهد التبريزى:**

ولد سنة ١٢٦٧ في تبريز و توفي فيها سنة ١٣٥٢ و هو أخو الآغا ميرزا صادق التبريزي هاجر مع أخيه إلى النجف و بعد تسع سنين عاد هو إلى تبريز و مكث أخوه الآغا صادق فيها.

كان المترجم من أكابر فقهاء عصره و مرجعا في حل معضلات الناس و بيته كان كدار القضاء يحكم فيه بين الناس و يقطع دابر الخلافات و الخصومات و قضى أربعين سنة من عمره في هذه الخدمة الشعبية الاجتماعية.

و للمترجم له آثار قيمه منها: تبين المحججه إلى تعيين الحججه و ايمان أبي طالب.(٢).

## محيى الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي طريف محمد بن علي

يعرف بابن المنكر العلوى الحسينى الزيدى النقيب بمشهد موسى ع.

هكذا ترجمه ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ٣٩٩/٥ رقم ٨٢٣ و قال:

ولى النقباه بمشهد الامام موسى بن جعفر (ع) و كان من أصحاب النقيب الطاهر رضى الدين أبى القاسم على بن على بن طاوس الحسنى و هو من أولاد السادات النقباء و له نفس شريفه و لذلك علتة الديون فى قضاء الحقوق "

## محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازى

### اشاره

المعروف بملا صدرا ترجمته مرت فى المجلد التاسع و نشر هنا عنه بحثين أحدهما مترجم عن الفارسىه للسيد محمد حسين الطباطبائى، و الثانى مترجم عن الفرنسىه للمستشرق الفرنسى (كوربان) المتخصص بالفلسفه الإسلاميه و الفكر الإسلامى، لا سيما منه الفكر الشيعى. و هو محاضره كان ألقاها فى كليه آداب جامعه طهران:

مجلد تاريخ حياته

يعرف صدر الدين الشيرازى فى أوساط العامه ب "ملا صدرا"، كما يعرف فى أوساط أهل العلم و تلاميذ مدرسته ب "صدر المتألهين"، ينحدر صدر الدين من أسره "قوام الشيرازى" الشهيره. و هو الابن الوحيد لأبيه "ميرزا إبراهيم الشيرازى". و قد كان إبراهيم الشيرازى أحد شخصيات شيراز البارزه، و قيل انه احتل مركز الوزاره أيضا لدى سلطان زمانه.

ولد صدر المتألهين فى حدود عام ٩٧٩ هـ بمدينه شيراز، و أخذ منذ حداثته بتحصيل مبادئ العلم عند أبيه. و بعد وفاه والده عزم على الرحيل إلى أصفهان حيث كانت آنذاك عاصمه الحكم الصفوى و مركزا علميا زاهرا، فعكف على تحصيل العلوم العقلية و النقلية هناك.

لقد تتلمذ صدر الدين و أكمل دراسته فى ميدان الفلسفه و المنطق "العلوم العقلية" على يد فيلسوف عصره السيد محمد باقر

المعروف بـ "مير داماد" المتوفى سنة ١٠٤٠ هجرية. كما تتلمذ في ميدان الفقه والحديث "العلوم النقلية" على يد الشيخ بهاء الدين محمد العاملي و المتوفى سنة ١٠٣١ هجرية، وقد كان الشيخ البهائي أحد نوابغ عصره.

انهى صدر الدين إقامته في أصفهان بانتهاء تحصيله العلمي، و توجه صوب مدينة قم، فعكف في إحدى ضواحي هذه المدينة منقطعا عن الحياة العامة، و كانت هذه الضاحية قريبة تدعى بـ "كهك". و قد أمضى صدر الدين سنين من عمره، و هو موصلد لباب العلاقات الاجتماعية، ماكتا في عزله تربويه لتهذيب السلوك و تصفيه الذات، و قد استطاع عبر سنين من المعاناه الداخليه ان يستشرف حقائق العلم التي انتهى إليها خلال الاستدلال و الجهد الفكرى، و لكن عن طريق المكاشفه و الشهود هذه المره، و بشكل واضح ووضوح النور. (كما يشار لذلك في ديباجه كتابه العملاق "الاسفار").

و بعد مده من زمن المعاناه التي حصل بفعالها على ثمار و نتائج رياضته الروحيه، عكف صدر الدين على وضع أسس بحوثه و مدرسته، و أخذ بزمام القلم ليديج ببراءه ما ديج. و قد مضى صدر الدين على هذا المنوال حتى نهايه حياته مؤلفا معلما و مرييا.

كان صدر المتألهين تقيا ورعا عابدا، و قد اختلف على زياره العتبات المقدسه في العديد من المناسبات. و كانت له سبع رحلات لحج بيت الله الحرام سيرا على الأقدام، و قد كانت الرحله السابعه موافقه لعام ١٠٥٠ هجرية حيث وافته المنيه في طريق السفر و كانت محطه وفاته مدينة البصره حيث دفن هناك.

## مراحل حياه صدر المتألهين

في ضوء استيحاء الفقره السابقه تضحى حياه صدر المتألهين العلميه مصنفه إلى ثلاث مراحل محدده:

١ - مرحله الدراسه و التحصيل، و قد كان صدر المتألهين متابعا مخلصا - خلال هذه المرحله - لطريقه التفكير العقلي، جاهدا في سبيل تتبع و استجلاء آراء و أفكار الفلاسفه، و المفكرين من المعاصرين و السالفين له.

ص: ١٩٢

١- الصالحى.

٢- السيد إبراهيم العلوى.

٢ - مرحلة الرياضه الروحيه و التربيه الذاتيه، حيث عكف فى هذه المرحله على العباده و الزهد بمتاع الدنيا فى أفق، و اهتم بالكشف و الشهود فى أفق آخر.

٣ - مرحله التأليف و التعليم و الاعداد، حيث كانت هذه المرحله بمثابة نتاج مرحلتيه السابقتين.

### مصادر الإلهام فى فكر صدر المتألهين

فى ضوء المستوحى من كلمات صدر المتألهين (١)، انتهى صدر الدين فى أواخر المرحله الأولى من حياته إلى ان سبيل الوصول إلى حقائق العلم و خصوصا - فى الفلسفه الالهيه - لا ينبغى حصره بنهج المشاء الذى يتسم بطابع محدد جاف. بل كما ينتج الإدراك الإنسانى - الذى يغطى الأفكار الفلسفيه العامه و يشكل منطلقا لها - فكرا و رؤى عن طريق القياس المنطقى ينتج كذلك نماذج أخرى عن طريق الكشف و الشهود و الوحى.

و كما نضع اليد من بين الأفكار القياسيه على أمور لا يتطرق الشك لصدقها و واقعيتها، نلمس هذه الخصوصيه أيضا فى مجال الكشف و الشهود.

و بعباره اخرى، بعد أن اتضحت على أساس البرهان العلمى واقعيه الرؤيه الإنسانيه، و ثبت بالدليل ان الإدراك البشرى اليقينى يحكى و يتطابق مع الواقع الخارجى، فلا يبقى هناك فرق بين البرهان اليقينى، و الكشف القطعى، و تضحى الحقائق التى يحصل عليها الإنسان عن طريق المشاهده و الكشف القطعى، و الحقائق التى يرقى الإنسان لإدراكها عن طريق التفكير القياسى سيات.

كذلك بعد أن دعم البرهان القطعى صحه و واقعيه الوحى، لا يبقى هناك فرق بين مفردات الفكر الدينى التى تتناول المبدأ و المعاد و بين مدلولات البرهان و الكشف.

فى ضوء هذه الرؤيه و النقله أقام صدر المتألهين وجهه بحوثه العلميه و الفلسفيه على أساس التوفيق بين العقل و الكشف و الشرع، و استلهم مقدمات البرهان، و مفاهيم الكشف، و مفردات الدين القطعيه فى سبيل الوصول إلى حقائق الإلهيات. و رغم أن جذور هذه الرؤيه كانت واضحه فى طيات ما كتبه المعلم الثانى أبو نصر الفارابى، و ابن سينا، و شيخ الإشراق، و شمس الدين تركه، و الخواجه نصير الدين الطوسى، الا ان التوفيق حالف صدر المتألهين لتجسيد هذه الرؤيه فى صورتها المتكامله.

### منهج صدر المتألهين الفلسفى

وضعت المتابعه المستوفيه لحقائق الدين و مفاهيم العرفان و الكشف و تطبيقها على البرهان القياسى بين يدي صدر المتألهين أدوات و افكارا مستجده، و أتاحت له امكانات كبيره لتطوير و توسعه البحوث الفلسفيه، و استحداث بحوث فى متن مفردات الفلسفه، كما أعانتة على استبصار أفكار و نظريات جديده، و فى غايه العمق. و لم يكن كل ذلك ممكنا على الإطلاق عن طريق العقل المحض و الفكر المجرد.

من هنا كانت الفلسفه فى مدرسه صدر المتألهين مجدده لروح الفلسفه العتيقه المتعبه، بروح أكثر جده، أزاحت غبار الإعياء عما أصاب الفلسفه منه نتيجة الإجهاد، كما أضافت لأبحاث الفلسفه عددا يعتد به من البحوث الفلسفيه.



افتتح صدر المتألهين فلسفته بمسأله "أصالة الوجود" و عطف عليها مفهوم "تشكيك الوجود". ثم أخذ يستلهم هاتين النظريتين ليبرهن من خلالهما عند كل مسأله من مسائل الفلسفه، و ينهض باساسها على أساس هاتين النظريتين.

يوضح فى النظرية الأولى انه، رغم اننا نقف فى الطرف المقابل للسفسطائيين و الارتيائيين، و نؤمن بوجود واقع موضوعى ثابت للماهيات، و نرى ان كل واحد من الأنواع الخارجيه له ماهيه نوعيه و وجود. الا أنه بحكم كون حقيقه كل شىء فى الخارج لا تتعدى كونه أمرا واحدا. من هنا كان المتأصل فى الواقع الخارجى واحدا من أمرين "الوجود" و "الماهيه"، و يكون الآخر ثابتا ثبوتا عرضيا.

و بحكم أن العقل يفترض تمايزا بين ماهيه و وجود الأشياء، و بما أن الماهيه - فى نفسها - محابده بالنسبه للوجود و العدم، و أن الوجود هو عين التحقق و الثبوت، فلا بد إذن من النظر إلى الوجود باعتباره عين الواقع و هو الأصليل، و النظر إلى الماهيه باعتبارها ظاهره ذهنيه، و ظهورا تصوريا للوجود. و فى الواقع تمثل الماهيات حدودا عقليه و مفاهيم ينتزعها الذهن و يتصورها جراء إدراكه لمحدوده الوجود. مثلا الإنسان كواقع خارجى، و وجود عينى، و ظاهره وجوديه تقابل العدم. يضع العقل لمفهوم الإنسان "الحيوان الناطق" كماهيه نوعيه و حد له، حيث أن العقل يجد ان واقع كل شىء ليس عينا لواقع سائر الأشياء و لا يتوفر على حقيقتها و واقعها.

يوضح فى المسأله الثانيه "التشكيك فى الوجود" التى تعود لدى التحليل إلى مسألتين (٢)، ان وجود الأشياء الذى ترجع الاصله اليه، و تتحقق الماهيه تبعاً له، يمثل حقيقه و سنخيه واحده. و بحكم كون الأصله و الواقعيه نصيبا للوجود فإى شىء آخر نفترضه سيكون فارغا من المضمون و محكوما بالبطلان. و تلك الاختلافات التى تقع فى الموجودات الخارجيه، نظير الاختلاف فى العليه و المعلوليه، و التفاوت من زاويه الوحده و الكثره، و القوه و الفعل، و التقدم و التأخر - إلخ، اختلافات مشهوده و أمور واقعيه حقيقه. كل مفردات هذا التفاوت و الاختلاف تعود إلى الوجود و تقع فى لبه، و فى المحصله يكون الوجود حقيقه واحده، ينطوى على اختلاف و تفاوت فى لبه و واقعه، دون ضم عنصر اضافى له. يعنى: ان تلك الحقيقه التى يشترك و يناظر موجود موجودا آخر فى وجوده من خلالها، تنطوى بعينها على اختلاف و تمايز يقع بين تلك الموجودات.

يمثل صدر المتألهين لهذه الحقيقه بالنور المادى حيث يبدو وضوح الضوء عبره مراتب متعدده من حيث القوه و الضعف، و ظهوره تظهر الأجسام و تبدو للحس. و التفاوت الحاصل فى الأنوار المختلفه، و الذى يبدو للحس درجات من الشده و الضعف، و لم يحصل جراء كون النور الضعيف مؤلفا من الضوء و الظلمه، و ذلك لأن الظلام أمر عدمى، و لا يتمتع بشىء من الوجود، فلا يصير جزء من النور الضعيف، كما انه - أى التفاوت - لم يحصل جراء كون ضعف النور يفضى إلى ثلم مفهوم النور، إذ ستفتقد عندئذ حقيقه النور. و لم يأت هذا التفاوت لأن قوه النور فى النور الشديد أضافت شيئا آخر لحقيقه النور فجاءت القوه نتيجة هذه الإضافه! بل ان النور الضعيف فى الحقيقه نور ضعيف بنفس معنى النور الذى ينطوى عليه، فهو ضعيف و نور فى حد و مرتبه خاصه و النور القوى تعود قوته لعين نوريته، و هو نور فى مرتبه خاصه. و فى المحصله هناك مرتبتان موسومتان من النور، يشتركان فى عين مفهوم النور، و يختلفان فى نفس المفهوم بعينه.

و كما ان حقيقه الوجود ذات مراتب مختلفه من حيث الشده و الضعف فلها مراتب كذلك من حيث الكمال و النقص. أعلى مراتب الوجود هى مرتبه الوجود الواجب حيث الكمال المحض و الفعلية المحضه، و ليس هناك فى هذه المرتبه أى لون من

ألوان النقص و التحديد. و أسفل مراتب الوجود مرتبه ماده الأولى التي هي بالقوه من كل جهه، و يعتورها النقص من كل جهه

ص: ١٩٣

---

١- في ديباجه كتاب "الأسفار" و غيره.

٢- إحداهما وحده و سنخيه حقيقه الوجود، و الأخرى الاختلاف و التفاوت الواقع في هذه الحقيقه الواحده.

أيضا، و تنحصر فعليتها في كونها بالقوه فعلا. و بين هاتين المرتبتين اللتين تقع كل منهما عند أحد رأسى سلسله الموجودات. هناك مراتب - من وجهه نظر عقليه - تتالف من الكمال و النقص و القوه و الفعلية. و كلما صعدنا نحو أعلى السلسله كان خط الكمال و الفعلية أوفر، و كلما هبطنا أسفل السلسله تزايد النقص و القوه.

و يدعى المفهوم المتحصل اصطلاحا بـ "الوحده التشكيكيه للحقيقه".

لقد استبدل ثبوت هذه النظريات الثلاث - بشكل كامل - "الاصاله، الوحده، و التشكيك في حقيقه الوجود" التصور السائد لعالم الوجود و كل ما ينطوى عليه. فقد ألغى من أفق الفيلسوف ما كان يحسب على أساس التصور الساذج، من أن عالم الوجود عباره عن سلسله ماهيات ليس بينها أى لون من ألوان الارتباط الذاتى و هى أجنبيه بعضها عن البعض الآخر، و كل منها منفصل و لا-علاقه له بالآخر. و حل محله التصور الذى تبدو خلاله الحقيقه النوريه للوجود، حيث ينسب بصفه الوحده و خصوصيه الإطلاع ضمن درجات و مراتب مختلفه، و ترتبط ظواهره أكمل أشكال الارتباط فى عين كونها مختلفه. فتبدوا هذه الظواهر مرتبطه و مختلفه بعضها مع البعض الآخر.

يضحى عالم الوجود - وفق التصور الجديد - نظير محيط من النور اللامتناهى، و قد حل مشعل هذا النور فى قلب هذا المحيط بفعل قوته اللامتناهيه و غير المتحيزه بمكان و غير المحدده بزمان، و يضىء هذا المشعل بلمعاته و أشعته باستمرار. و تبدو لمعات هذا المشعل بدرجات مختلفه و أحكام و آثار متفاوتة على أساس القرب و البعد منه.

و من هنا يفهم جيدا أن الفلسفه التى يتناول بحثها على أساس هذا الطراز من التصور العام لعالم الوجود ستختلف بشكل كامل فى طريقه بحثها مع الفلسفه التى تفترض العالم مؤلفا من سلسله ماهيات منفصله دون ارتباط بينها، و تتناول كل ظاهره بشكل تجزيئى. و مضافا للاختلاف فى أسلوب البحث و طريقته فسوف تبرز جملة مسائل أساسيه و عميقه، لا يمكن العثور على سبيل لتصورها و الاستدلال عليها وفق المنهج التجزيئى على الإطلاق.

لقد أدى بروز هذا المنهج الفلسفى على مسرح الأبحاث الفلسفيه إلى خلق مصالحه و انسجام بين الذوق و البرهان. يعنى: أوضح هذا المنهج برهانيا جملة من المفاهيم التى تقوم على أساس الذوق. فبعد استلهاها عن هذا الطريق "الذوق" شيد لها صرحا من البراهين و حشرها فى صف مسائل الفلسفه التى تمثل محصله برهانيه. و فى نهايه المطاف وسع رقعه المسائل الفلسفيه التى كانت تبحث فى مدرسه اثينا و الإسكندريه، حيث بلغت فى حدها الأعلى آنذاك "٢٠٠" مسأله، بينما اوضحت وفق هذا المنهج (٧٠٠) مسأله تقريبا.

بعد أن أبان صدر المتألهين هذه المسائل الثلاث بشكل واف، و بعد أن أوضح الأحكام العامه للوجود من قبيل البساطه، و سائر الأحكام السلبيه الأخرى، عكف آنذاك على بيان التقسيمات العامه - الكليه - للوجود، و كان من جملتها:

١ - تقسيم الوجود إلى خارجى و ذهنى:

فصل الحديث فى هذا البحث حول حقيقه العلوم التصوريه و التصديقيه، كما أوضح مسأله حصول الماهيات و المفاهيم فى الذهن و طريقه تحققها و وجودها.

## ٢ - تقسيم الوجود إلى مستقل و رابط:

ضمن هذا البحث تصنف الموجودات إلى صنفين متميزين، كما يفرز الوجود الرابط، و وجود النسبه، الذى ليس له أى لون من الاستقلال لا على مستوى الذات، و لا على مستوى الآثار و الأحكام، عن الوجود المستقل.

و يستخلص من هذا التقسيم فى جملة ما يستخلص من نتائج مثمره، أن تكون الوجودات الإمكانيه بالنسبه للوجود الواجب روابط و نسب ليس لها أى لون من الاستقلال فى نفسها و آثارها، و كل ما يشاهد فيها من مظاهر الاستقلال فهى تعود فى الواقع للوجود الواجب.

٣ - تقسيم الوجود إلى لنفسه، و لغيره الوجود النفسى، و الغيرى، و بهذا التقسيم تميز حقيقه و مفهوم الوجود و صفاته عما سواها.

و لم يعهد البحث المستقل لهذه المسائل الثلاث قبل صدر المتألهين.

## ٤ - تقسيم الوجود إلى ممكن و واجب:

يتناول خواص الواجب و الممكن على نهج الاستقصاء فى هذا التقسيم.

## ٥ - بحث الماهيه:

يمثل هذا البحث فى الحقيقه ادامه لبحث الممكن، و يدور الحديث فيه حول تقسيمات الماهيه، و خواصها. و قد عكف صدر المتألهين فى خاتمه هذا البحث على دراسته مشبعه لمفهوم "أرباب الأنواع".

٦ - تقسيم الوجود إلى الواحد و الكثير و أقسامهما و خواصهما ٧ - تقسيم الوجود إلى العله و المعلول، و أقسامهما و خواصهما.

## ٨ - تقسيم الوجود إلى ما بالقوه، و ما بالفعل:

تصنف الموجودات عبر هذا التقسيم إلى صنفين: الموجود بالفعل، و هو موجود كامل و تام من ناحيه موجوديته، و آثاره الوجوديه ظاهره و ثابتة، نظير الفرد الكامل من الإنسان الذى هو إنسان بالضروره، و الذى تبدو من خلاله آثار الإنسانيه. و الموجود بالقوه، و هو يحمل إمكان موجوديه خاصه، و لم تظهر بعد الآثار الضروريه لهذه الموجوديه، نظير وجود الإنسان فى النطفه "ماده النطفه" حيث انه نطفه بالفعل، الا انه إنسان بالقوه، و ليس له بالفعل الآثار الضروريه للإنسانيه.

لقد حسب الفلاسفه السالفون خروج الشئ من القوه إلى الفعل على نحوين:

الأول: الخروج الدفعى، نظير تبدل أحد من جواهر العناصر بعنصر آخر، مثل تحول النار إلى هواء، حيث تنتفى صورته العنصريه دفعه و تحل محلها صورته عنصر آخر.

الثانى: الخروج التدرىجى، و هو الذى يحصل عن طريق الحركه، نظير انتقال عرض - من جوهه ما - إلى عرض آخر، كالاتقال التدرىجى من كیفیه إلى كیفیه اخرى، أو من وضع إلى وضع آخر، أو من مكان إلى مكان آخر. و فى المحصله تنحصر الحركه بأربع مقولات عرضیه (الكیف، الكم، الوضع، الأین).

ص: ١٩٤

نتيجة النظرية أعلاه هي أن كل موجود مادي يقع تحت قانون الحركة من زاويتي صورته الجوهرية، و أعراضه. و أن كل موجود ثابت فهو مجرد و عار من المادة و القوة.

و وفق سياق هذه النظرية يضحى تقسيم الوجود إلى بالقوه و بالفعل مساويا لتقسيم عالم الوجود إلى قسمين:

الوجود السيال و الوجود الثابت. و ان كل وجود مادي ذى قوه و إمكان سيال و واقع تحت قانون الحركة. و ان كل وجود غير مادي، حيث لا- مجال لأى وجه من القوه و الإمكان فيه، هو وجود ثابت و لا- حركة فيه. و يشكل عالم المادة بجميع أسسه الجوهرية و العرضيه تيارا هائلا من الحركة يشبه النهر العظيم الذى تستمر فيه حركة الماء الجارى و لا يظل رهن مكان واحد فى لحظتين متواليتين.

من هنا صرح صدر المتألهين فى أبحاثه بالقول:

فللطبيعه امتدادان(1) و هذا صريح فى انه يرى أفراد الأنواع الجسمانية محدوده باربعه أبعاد (الطول، العرض، العمق، الزمان). و كل واحد من هذه الأجسام النوعيه ينقسم بحسب انقسامات الزمان و يتكثر و يتفرق.

و تحفظ وحده هذه الأجسام نفوسها المجرده أو أرباب الأنواع.

تقع هذه الحركة بين نقطتى القوه و الفعل، أو المادة و التجرد. و يحمل عالم المادة بواسطه هذه الحركة باستمرار أجزاء من عالمه الناقص اللامتكامل ليبلغ بها عالم التجرد. و هو يمثل فى الواقع مصنعا لصنع العناصر المجرده، فبدوران عجله هذا المعمل ينضج المواد الأوليه عن طريق الحركة ليصل بها إلى مرحله التجرد، و بعد التجريد الكامل و مفارقه المادة، يعكف على تنضيج مواد أخرى، و هكذا...

و عبر هذا المسلك نفسه ذهب صدر المتألهين إلى اعتبار النفوس جسمانية الحدوث، يعنى: ان النفس فى أول حدوثها كانت جزء من عين البدن المادى، ثم أخذت بالتدرج تتلمس التجرد عن طريق الحركة الجوهرية، لتنتهى إلى مفارقه البدن فى نهايه المطاف.

٩ - تقسيم الوجود إلى حادث و قديم.

أحصيت خلال هذا البحث أقسام التقدم و التأخر و المعيه الحاصله فى عالم الوجود، ثم عطف على بيان حقيقه الحدوث و القدم و أقسامهما.

ذهب الفلاسفه السالفون إلى أن العالم حادث ذاتى، ينتهى إلى الواجب تعالى... بحكم كون ارجاء العالم معلولا لمبدأ الإبداع، و فى النهايه يكون ذات العالم و وجوده مسبوقين بوجود الواجب. و فى نفس الوقت افترضوا الزمان غير متناه. و كانوا يرون ان "اللاتناهى الزمانى" لموجود ممكن لا يتنافى مع كونه معلولا، و ذلك لان المعلوليه نتيجته الإمكان و الحاجه، و ليست خصوصيه الحادث الزمانى. من هنا اكتفى الفلاسفه بصدد تفسير العالم بالحدوث الذاتى.

غير ان صدر المتألهين حصل على نجاح بهذا الاتجاه من خلال إثباته لوقوع الحركة في جوهر العالم المادى، فاثبت لعالم الماده حدوثا زمانيا أيضا. و ذلك لانه عن طريق تخلل الحركة و التحول التدريجى فى قلب العالم فسوف يكون العالم، على أى فرض افترضناه "كلا أو بعضا"، مسبقا بالعدم الزمانى.

١٠ - بحث العاقل و المعقول:

تابع صدر المتألهين فى هذا البحث أقسام الإدراك الحسى و الخيالى و الوهمى و العقلى و خواصها، كما أوضح المفاهيم المتعلقة بها. و فى طيات هذا البحث اتفق مع فلاسفه الإشراق بصدد تقسيم العلم إلى حصرى و حصولى، فخالف المشائين الذين حصروا العلم الحصرى بعلم النفس بذاتها، و ذهب إلى تقسيم العلم الحصرى إلى أقسام ثلاثة: علم المجرد بذاته، علم العله بمعلولها، علم المعلول بعلمته.

كما ناصر صدر المتألهين نظريه "اتحاد العاقل و المعقول" التى نقل اجمالها عن "فرفورىوس الصورى" أحد تلامذه أرسطو. متخذاً بذلك موقفاً جانباً لاتجاه سائر الفلاسفه. و دلت بشكل تفصيلى على نظريه اتحاد المدرک بمدرکه (اتحاد الحاس مع المحسوس بالذات - و المتخيل مع التخيل - و المتوهم مع التوهم - و العاقل مع المعقول). و على وجه الخصوص قرب هذا المفهوم فى مورد الإدراك الخارج من القوه إلى الفعل حيث يمنح صاحب الإدراك لونا من الرقى الوجودى. و الإدراك فى الحقيقه نوع انتقال يحصل لصاحب الإدراك من مرتبه وجوده إلى مرتبه وجود المدرک.

١١ - تقسيم الماهيه إلى جوهر و عرض و بيان أجناسهما و أنواعهما.

١٢ - أبحاث واجب الوجود:

يبحث فى هذا الفصل عن إثبات ذات مبدأ الإبداع، و وحدانيته، و صفاته الثبوتيه و السلبيه، و خصوصيات أفعاله، و ارتباط العالم بمبدعه، و النظام المتقن الحاكم على العالم، و الترتيب القائم بين الموجودات.

يتضح عبر مقايسه نظام البحث الفلسفى، و بناء الأبحاث عند صدر المتألهين، مع بناء الأبحاث عند سائر الفلاسفه أن فيلسوفنا لا يختلف كثيراً عن الآخرين فى البناء العام للأبحاث الفلسفيه، بل حتى صدر المتألهين نفسه يصرح بأنه يبحث فى كثير من الأحيان على طريقه و نهج الآخرين. انما يكمن سر نجاحه، فى عمقه و سبره لأغوار مسائل الفلسفه الأساسيه (أصالة الوجود، وحدته، و التشكيك فيه)، كما يمثل سر انجازاته الفلسفيه العملاقه، نظير الحركة الجوهريه و رواجها، و الحدوث الزمانى للعالم، و اتحاد العاقل بالمعقول، و قاعده (بسيط الحقيقه كل الأشياء)، و قاعده (إمكان الأشرف) و خصوصيات أخرى تلتمس فى طيات كلماته.

## آثار و مؤلفات صدر المتألهين

خلف صدر المتألهين آثاراً و مؤلفات كثيرة، و قد تابع فى أغلب هذه المؤلفات أو فى جميعها نهجه الخاص فى التوفيق بين الشرع و العقل و الجمع بين منهجى الذوق، و البرهان. و مما تجدر الإشارة إليه أن هذه الآثار تمثل نتاج المرحله الثانيه و الثالثه من حياته.

و إليك فهرسا لمؤلفاته:

- ١ - الحكمة المتعالیه المشهور ب "الاسفار الأربعة" فی عدة مجلدات.
- ٢ - المبدأ و المعاد.
- ٣ - شواهد الربوبیه.
- ٤ - المشاعر.
- ٥ - الحكمة العرشیه.
- ٦ - شرح الهدایه الاثیریة.
- ٧ - حاشیه علی إلهیات الشفاء.
- ٨ - حاشیه علی شرح حکمه الإشراق.
- ٩ - حاشیه علی کتاب "الرواشح" للسید الداماد.
- ١٠ - رساله فی اتحاد العاقل و المعقول.
- ١١ - رساله فی اتصاف الماهیه بالوجود.

ص: ١٩٥

---

١- الاسفار الأربعة، ج ٣، ص ١٤٠، من الطبعه الحدیثه.



- ١٢ - رساله فى بدء وجود الإنسان.
- ١٣ - رساله فى التصور و التصديق.
- ١٤ - رساله فى الجبر و التفويض.
- ١٥ - رساله فى حدوث العالم.
- ١٦ - رساله فى الحشر.
- ١٧ - رساله فى سريان الوجود.
- ١٨ - رساله فى القضاء و القدر.
- ١٩ - رساله فى التشخص.
- ٢٠ - رساله فى "طرح الكونين".
- ٢١ - رساله فى "المسائل القدسيه".
- ٢٢ - رساله فى "مفاتيح الغيب".
- ٢٣ - رساله فى "اكسير العارفين".
- ٢٤ - رساله فى "الواردات القليه".
- ٢٥ - القواعد الملكوتيه.
- ٢٦ - تفسير سوره الحمد.
- ٢٧ - كسر أصنام الجاهليه.
- ٢٨ - تفسير سوره البقره (ناقص).
- ٢٩ - تفسير آيه الكرسي.
- ٣٠ - تفسير آيه النور.
- ٣١ - تفسير سوره الواقعه.

٣٢ - تفسير سورة يس.

٣٣ - تفسير سورة الطارق.

٣٤ - تفسير سورة الحديد.

٣٥ - تفسير سورة الجمعة.

٣٦ - تفسير سورة الأعلى.

٣٧ - تفسير سورة الضحى.

٣٨ - تفسير سورة الزلزال.

٣٩ - شرح أصول الكافى.

٤٠ - رساله فى شرح حديث (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا).

٤١ - أسرار الآيات.

٤٢ - حاشيه على تفسير البيضاوى.

٤٣ - حاشيه على التجريد.

٤٤ - حاشيه على شرح القوشجى للتجريد.

٤٥ - حاشيه على الامامه.

٤٦ - حاشيه على شرح اللمعه الدمشقيه.

و هناك كتابان آخران أيضا ينسبان له و هما حاشيه على الشفاء، و شرح حكمه الإشراق، كما هناك رساله باسم "سر النقطة" و رساله اخرى فى تفسير الآيه الشريفه (و ترى الجبال تحسبها جامده و هى تمر مر السحاب) تنسبان لصدر المتألهين، و من خلال طراز الأفكار التى تشتمل عليها هذه الآثار تضحى نسبتها له محل شك و بحث

:

مقال الأستاذ كوربان

لعل بعض الحضور الكرام يذكرون اننا اجتمعنا منذ بضع سنوات فى هذا المكان و تحدثنا عن واحد من كبار المفكرين يسيطر

اسمه على ما نسميه اليوم "مدرسه أصفهان". هذا الحكيم السامى هو "مير داماد" أحد أبرز شخصيات النهضة الصوفيه. بين تلاميذه المتعددين الذين يشكلون أسرته المعنويه يحتل اسم ملا صدرا المرتبه الأولى، حتى لقد غطت آثاره حتى حد، كتابات استاذة المعروفه بتعقدها وإبهامها. و اليوم وقد صممت على التحدث عنه، فانى أفعل ذلك عن قصد مشخص هادف.

ولد صدر الدين الشيرازى - استنادا إلى ما يمكن استنباطه من حاشيه كتبها بنفسه لأحد آثاره - حوالى السنه ٩٧٩ أو ٩٨٠ هجرية قمرية (اى حوالى ١٥٧٣ ميلاديه)، و نحن الآن (اى خلال سنه ١٩٦٢ ميلاديه) نعيش فى العام ١٣٨٢ الهجرى، اى اننا منذ سنتين خلتا بحساب السنوات القمريه واجهنا ذكرى مرور اربعمائه سنه (٩٨٠ - ١٣٨٠) على ولاده هذا الحكيم الكبير وقد احتفل فى "كلكتا" فى العام الماضى بهذه الذكرى بمساعى المجتمع الايرانى (انجمن ايران) (١)، و أظن أن جامعه طهران قد نمت عن رغبه فى اقامه احتفال مجلل فى هذه الحاضره أيضا بمناسبة هذه الذكرى، رغم العوائق التى أخرت اقامه هذا الاحتفال.

ان بحثنا، بناء على هذا، ليس أكثر من مقدمه، و لكنها مقدمه يتعذر على أن أنهيهما إلى اسماع المستمعين الا مع نوع من العاطفه الشخصيه تمنحنى العذر فى اننى سألتصرف فى محاضرتى بعض التصرف، و فى أن أضيف بعض الخواطر الخاصه التى عرضت لى حين جئت ايران لأول مره منذ سبعة عشر عاما (فى أيلول - سبتمبر ١٩٤٥). ففى ذلك الحين كان قد مضى على سنوات فى تركيا قضيتها فى أعداد قسم من كتابات شهاب الدين يحيى السهروردى، ذلك الذى يعرف فى ايران بلقب "شيخ الإشراق"، و الذى استشهد فى حلب سنه ٥٨٧ و هو بعد فى الثامن و الثلاثين من عمره.

و لقد كتب صدر الدين الشيرازى - كحكما آخرين - شرحا لكتاب ضمنه السهروردى كل أفكاره خلال حياته القصيره، و كان شرح ملا صدرا هذا بسطا و عرضا لمعتقداته الشخصيه الخاصه. ان هذين الاسمين و هذا الأثر غير قابله للانفكاك عن بعض، و لذا كنت أحس ان السهروردى أخذ بيدي - لو أمكننى ان أقول هذا - و ارشدنى إلى ذلك المكان الذى هو "وطنى المعنوى". و مع ان الشخصيات البارزه التى جرى معها حديث و مباحثات عن السهروردى و صدر الدين الشيرازى كانت كثيره و لا شك، الا ان كتابات الحكيمين كليهما كانت لا تزال غامضه بعض الشىء و دون ما هما أهل له من شهره و تقدير، و ها ان الاحتفالات الرسميه التى ارتفعت مشاعلها اليوم تدل على الاهتمام بتلك الآثار و تقديرها. انا لا أريد فى هذا الحديث ان أرى لأمر آنى سريع الزوال أهميه فائقه، بل اننى أفكر بامر أعمق و أجل، أمر تظهره و تدل عليه سلسله من المنشورات.

أريد أولا ان أظهر تقديرى للاستاذ الفاضل العلامة السيد محمد حسين الطباطبائى أستاذ العلوم العقليه فى حاضره "قم" العلميه الدينيه على مساعيه و جهوده فى الطبعه الجديده من كتاب "الاسفار" رائع ملا صدرا الكبرى التى سنتحدث عنها بعد قليل. ثم ان الاستعدادات للاحتفال بذكرى ولادته منذ اربعمائه سنه حملت على طبع تاليه التى لم تكن قد طبعت بعد، فقد وضع السيد جلال الدين الآشتياني الأستاذ المساعد بكلية العلوم المعقوله و المنقوله فى "مشهد" كتابا جامعا عن سيره ملا صدرا و آثاره و أفكاره الفلسفيه، و طبع أحد مؤلفاته العرييه، ثم ألف كتابا كبيرا مبني على أفكاره الخاصه عن الوجود (٢). و نشرت كليه العلوم المعقوله و المنقوله فى جامعه طهران من جهه اخرى عده كتب، كما أن الدكتور السيد حسين نصرى.

۲- شرح حال و آرای فلسفی ملا صدرا، مشهد ۱۳۴۱، هستی از نظر فلسفه و عرفان، مشهد ۱۳۸۰، المظاهر الالهیه لمؤلفه  
الحکیم الالهی الفیلسوف الربانی صدر الدین محمد الشیرازی، مشهد، ۱۳۸۱، جملگی بقلم و یا تصحیح آقای سید جلال الدین  
آشتیانی.

طبع بصوره منقحه لأول مره رساله "الأصول الثلاثة" التي وضعها ملا- صدرا بالفارسيه، و التي كتبت على الأ- كثر للرد على القشريين و الناظرين إلى الظواهر(١) كذلك طبع السيد دانش بجوه رساله لم تكن قد طبعت بعد، و هي رساله موضوعه للرد على بعض الغلاة من المتصوفه(٢)، و قد نشرت كليه الآداب باصفهان ترجمتين لا مجال هنا لذكرهما(٣) و لقد ساهم فرع الدراسات الإيرانيه من مؤسستنا الفرنسيه الإيرانيه (فرانكو ايرانيين) في هذه النهضه لطبع آثار ملا صدرا بطبع "كتاب المشاعر" طبعه دقيقه، و الواقع ان نشر هذا الكتاب هو تكمله للمساعي التي يقوم بها من جهه اخرى قسم العلوم الدينيه في مدرسه الأبحاث العليا بجامعة السوربون، حيث ادخلت في برامج منبر "الدراسات الإسلاميه" خلال السنوات الأربع الماضيه شرح آثار صدر الدين الشيرازي، و افتخر بانني أعاود إلقاء هذه الدروس مره أخرى في عده جلسات خلال فصل الخريف من كل سنه في كليه الآداب بطهران(٤) من مجموع هذه الفعاليات تأتي نتيجته تؤكدها المداولات و تبادل الآراء المتعدده، هي ان انبعاثا في الحكمه الالهيه الإسلاميه على شرف التكون، انبعاثا ينطلق من آثار حكيم كان هو نفسه مجددا حقيقيا.

### سيره ملا صدرا

ولد صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي - الذي يعرف غالبا بلقبه المختص به "ملا صدرا" أو "صدر المتألّهين" - في شيراز. أما تاريخ ولادته فلم يكن متحددا حتى فتره متاخره، حين ظهرت في حاشيه نسخه كتبها ملا صدرا تعليقا على موضوع وارد في المتن و فيها يقول: "أبيض على هذا الموضوع ساعه طلوع الشمس من يوم الجمعه السابع من جمادى الأولى من سنه ١٠٣٧ هجريه، و كان لي من العمر ثمان و خمسون سنه" (٥) اكتشف هذه الحاشيه السيد محمد حسين الطباطبائي أثناء تصحيح متون الأشعار. و قد ذكرت هذه الحاشيه ضمن مذكره اخرى كتبها ملا صدرا على كتابه، في النسخه التي نقلت سنه ١١٩٧ عن النسخه الاصليه المفقوده اليوم. راجع مقدمه الدكتور السيد حسين نصر لرساله الأصول الثلاثة، ص ٢، الحاشيه ٢. و بعمله حسابيه بسيطه يتضح ان ملا صدرا ولد حوالي سنه ٩٧٩ أو ٩٨٠ هـ (١٥٧٢-١٥٧٣ م)، و أن تاريخ ولادته هذا و تاريخ رحلته عن هذا العالم هما التاريخان الوحيدان اللذان يمكن التيقن منهما في سيره حياته.

ان ما في حياه ملا- صدرا من جمال و جلال ليس في الظروف و الأوضاع الخارجيه، بل أن العوامل الخارجيه لم يكن لها في حياته الا دور مقلق نتاجه الاضطراب و عدم الاستقرار، و لم تيسر له حياه رافهه مجلله. ان ترجمه شخص مثل ملا صدرا تلتبس في الواقع في منحنيات حياته الباطنيه، في تطورات تفكيره و تأليف مصنفاته، في تعاليمه و في رابطته بتلاميذه الذين خلفوا بدورهم آثارا كانت تسمح لاستاذهم ان يفتخر بها.

في حياه صدر الدين ثلاث مراحل واضحه يمكن تمييز كل منها من سواها. كان أبوه و هو من المرموقين على حال من اليسار تمكنه من أن يوفر لابنه كل ما تتطلبه تربيته و تعليمه، كما ان الابن بما كان له من نبوغ و استعداد فكري و صفات خلقيه وهب نفسه كذلك لهذه التعاليم. و لم تكن أصفهان في هذه الفتره عاصمه الصوفيين السياسيه فحسب، بل كانت تعد كذلك مركز الحياه العلميه في ايران، فقد كانت مدارسها - التي لا يزال بعضها مستمرا حتى اليوم - في أوج فعاليتها، و كان أكبر العلماء قد اجتمعوا فيها و قد شملت تعاليمهم مختلف شعب العلوم و المعارف، لذا كان طبيعيا أن يترك صدر الدين موطنه الأصلي شيراز و أن يؤم أصفهان ليكمل فيها مرحله تحصيله. و هنا يجب ان لا- نقيس المرحله الدراسيّه في ذلك الزمان ببرامج الجامعات الحديثه حيث يمكن بعد بضع سنوات الحصول على الليسانس و الدكتوراه، لان مرحله درس ما، كانت تستغرق قسما كبيرا من

عمر الإنسان، بل لعلها كانت تقتضى أن يصرف المرء على بعض العلوم التى يؤمل ان يتعمق فيها عمره كله. ان مرتبه الاجتهاد كانت تحتاج إلى عشرين سنه على الأقل.

كان لصدر الدين فى أصفهان ثلاثه معلمين احتلت اسمائهم مكانا و شهره فى تاريخ ايران الفكرى و المعنوى. فى المرحله الأولى درس ملا صدرا على الشيخ بهاء الدين العاملى (الذى يدعى عادة الشيخ البهائى و وفاته ١٠٣٠) العلوم الإسلاميه النقليه كالتفسير و الحديث عند الشيعه و الفقه و سواها حتى اجازه فيها. و كان الشيخ البهائى يظهر طوال حياته صداقه و موده بالغتين نحو مير داماد (توفى ١٠٤٠) الأستاذ الذى سبقت الإشاره اليه فى مقدمه هذه مقاله، و الذى كان تلاميذه يدعونه المعلم الثالث بعد أرسطو المعلم الأول و الفارابى المعلم الثانى (٥) - و الذى كان يرى - كالسهروردى - ان الفلسفه التى لا تؤدى إلى كشف معنوى و تحليل عرفانى انما هى عبث و جهد مضيع. مير داماد هذا هو الذى كان موجه ملا صدرا فى فتره تحصيله و أستاذه فى الفلسفه النظرية.

ثم ان صدر الدين - مع ان الشواهد على هذا الأمر ليست دقيقه تماما - كان تلميذا لشخصيه عجيبه غير عاديه هى شخصيه "مير أبو القاسم فندرسكى". فى هذا الوقت من الزمن كان التنقل بين ايران و الهند متواصلا ساعد عليه و سهل منه اصلاحات "أكبر" (٤) الدينيه، و كان الفلاسفه الايرانيون، و بخاصه منهم اتباع مدرسه السهروردى الاشراقية، كثيرين فى بلاط أكبر، و لقد كان لمير أبو القاسم فندرسكى دور فعال فى حركه ترجمه المتون السانسكريتية إلى الفارسية التى كانت لها أهميه كبرى من الناحية الثقافيه، و بواسطه هذه الترجمات بدأ المذهب الهندوكى يتكلم بلغه

ص: ١٩٧

١- رساله سه أصل، بانضمام منتخب مثنوى و رباعيات صدر الدين شيرازى، بتصحيح و اهتمام دكتور سيد حسين نصر، طهران ١٣٤٠.

٢- كسر أصنام الجاهليه، به تصحيح و مقدمه آقاى محمد تقى دانش بجوه، طهران ١٣٤٠.

٣- الترجمات الفارسية لكتاب المشاعر و كتاب الحكمة العرشية، بقلم السيد غلام حسين آهني، أصفهان ١٣٤٠ و ١٣٤١، و لها فى الغالب طابع التفسير.

٤- كتاب المشاعر، المتن العربى و ترجمه الفارسية مع ترجمه فرنسيه و مقدمه من السيد هنرى كوربان، طهران ١٣٤٢، ان هذا الكتاب الهام الذى يضم أفكار ملا صدرا فى موضوع الوجود شرح عده مرات، و قد صحح السيد جلال الدين الآشتيانى شرح ملا جعفر لنكرودى و سينشره قريبا. راجع بشأن المراجع باللغه الفرنسيه الصفحات التى ترجمها السيد هنرى كوربان عن كتاب الحكمة العرشية فى: La terre Celeste et Corps de resurrection de Liran Mazdeen Z Iran. ١٩٦١ shi'ite Paris المقرر ان تنشر فى كراس ذكرى ملا صدرا الذى سينشره المجمع الايرانى فى كلكتا. راجع بشأن شرح أصول الكافى تقرير السيد كوربان (سنه ١٩٥٢-١٩٦٣) فى: Annuaire de l'École pratique des Hautes-Études-Section des Sciences religieuses. Hautes-Hautes-Études-Section des Sciences religieuses.

٥- راجع مقاله السيد كوربان فى ConfessionS exactiques de MiR Damad maitre de theologie A . Ispan Melanges Louis Massgon Vol I Domas

٦- راجع ترجمه محمد أكبر في المجلد العاشر من (أعيان الشيعة).

المتصوفه الفرس (لا- ننس ان انكتيل دوپرون Anquetil-Duperron كان يعرف "الأوبانيشادات" بصوره ترجماتها الفارسيه). ومع ذكر اسم هذا الأستاذ من أساتذته ملا صدرا، يمكننا أن نتخذ فكره عن المعارف التي اكتسبها في المرحله الأولى من عمره، مرحله التلمذه من حياته.

و تبدأ الآن المرحله الثانيه. هنا يجب الا يظن أن الظروف كانت ملائمه، و خاصه لمن يتبع أفكاره و انفعالاته الداخليه الخاصه بصوره مستمره لا تعرف المساومه، بل و يعلم انه كلما ازداد تقدما ازداد يقينا بأنه سيواجه خصومه المقلدين و اتباع الظواهر. لقد عانى ملا صدرا مثل هذه التجربه القاسيه، كما يتضح من بضع جمل من كتابه الرئيسي حيث يقول(1):

"في العهد الماضي، صرفت قواي منذ مطلع شبابي للفلسفه الإلهيه، فاطلعت في حدود ما أمكنني على مؤلفات الحكماء السابقين و بعدهم الفضلاء اللاحقين، و وقفت على نتائج إلهاماتهم و نظرياتهم و أفدت من ابداعهم و أسرارهم، و لخصت ما وقعت عليه من كتب اليونان و أعلام المعلمين، مختاراً اللباب من كل باب من أبوابها، و متحاشياً الاطاله و الاطناب (ص ٤)... الا أن عوائق كانت تمنع من الوصول إلى هذا الغرض، و كانت الأيام تمضي واحداً بعد آخر دون أن أبلغ هدفي... (ص ٤).

و لما شاهدت عداوه الدهر في أخلاق الجهله و الأراذل، و رأيت شمول لجهاله و الضلاله و سوء الأحوال و الأوضاع و قبح الناس، و بليت بقوم امكانيه الفهم فيهم معدومه و عيونهم تلقاء أنوار الحكمة و أسرارها عمياء... (ص ٤) قادني انكسار خاطر و جمود الطبيعه أمام عداوه الزمان و مناوأة الأيام إلى أن اختار الانزواء في بعض نواحي الديار و أن اختفى كسير القلب في دنيا النكران و خمول الذكر... (ص ٦) و اخترت كما أمر سيدي و مولاي و متعمدي، أول الأئمه و الأوصياء و أبو الأئمه الشهداء الأولياء، قسيم الجنه و النار، طريق التقيه.. " (ص ٧).

ان الوضع الذي كان لملا- صدرا في ذلك العهد، لم يكن كما لعله كان يظن - وقفاً عليه وحده، بل ان فلسفته أيضاً كانت بدورها تواجه وضعاً معقداً مؤسفاً كان يواجهه كل جيل، و السبب في ذلك أن غايته في الحياه التي ستحدث عن نتائجها فيما بعد إنما كانت تعليم التشيع بمعنى جامع، لذا لم يكن له سبيل للتخلص من كيد الجهله سوى أن يفارق حياه أصفهان الجياشه ليلجأ إلى مكان منزو بعيد، و كان هذا المكان الذي اختاره لخلوته قريه كهك "على بعد ثلاثين كيلو متراً إلى الجنوب الشرقي من مدينه قم".

إذا غادر المرء "قم" في اتجاه "أصفهان"، فإن عليه بعد مسيره عده كيلومترات أن ينحرف عن الجاده ليسلك شرقاً طريقاً ضيقه تنتهي به بعد حوالي خمسه عشر كيلو متراً صحراويّه إلى سلسله من الجبال، حيث يترأى واد مرتفع يعود بالمشاهد إلى خاصه التضاد التي هي من ميزات طبيعه ايران، و كلما اوغل المرء في قلب الوادي تنحى طابع الصحراء الجاف ليخلى مكانه لخضره النباتات الناميه.

ان "كهك" مجموعه من عده بساتين يقوم بجانبها مسجد صغير من القرن الحادي عشر غريب التصميم و الهندسه، و فيها قلعه قديمه جدا شاعريه، و ضريح مكتمل الهندسه لسيده من سلالة الأئمه يطلق عليه ضريح المعصومه. و أن عندى الآن صورته واضحه عن هذه المجموعه كلها لأننى استطعت أن أشاهد تلك الطبيعه التي فيها غرق في عظمه الوحده حوالي تسع أو احدى عشره سنه للتأمل و التفكير، فقد زرت مؤخراً تلك الطبيعه بصحبه صديقين إيرانيين عزيزين. الا أن من الواجب على من يريد أن



يدرك جميع الأوصاف و الأحوال العرفانيه لهذه الديار، الا يسلك في طريق عودته إلى "قم" الجاده الأصلية، بل أن يتجه إلى الشرق مره اخرى في الطريق التي تنتهى إلى قريه "جمكران" ليصل إلى حرم ينسب إلى من كان منذ أكثر من عشره قرون التاريخ السرى للوجدان الشيعى، أعنى الامام الثانى عشر الغائب. هناك كنا موقنين أننا سنجد فى الغيبه كل الزوار الذين اموا ذلك المكان قبلنا، لا مير داماد و ملا صدرا و ملا محسن فيض و القاضى سعيد القمى فقط، بل كذلك جميع أولئك الذين صنعوا الفكر الشيعى، جيلا بعد جيل، مع كل ما يتفرد به من معان فى تاريخ الإنسان.

الا أن هذه الرحبات التي تقوم فى جنباتها نقاط و علائم عرفانيه، و التي تقوم منها قبه حرم "قم" المشعه مقام القطب و المركز، ما عتم ملا صدرا أن اضطر مره اخرى إلى مفارقتها، و هنا بدأت المرحله الثالثه من حياته.

و خلال تلك السنوات التسع، أو الإحدى عشره، التي قضاها ملا صدرا فى كهك، توصل إلى كشف الحقائق المعنويه، و بلغ مقام المشاهده الذي ليست الفلسفه إلا مقدمه ضروريه له، و ليست فى نظره و نظر جميع أتباع مدرسته الا عملا عقيما و محاوله واهيه عابته إذا هى لم تنته إلى هذا المقام.

ان إنسانا فى مقام ملا صدرا و شخصيته، لا يستطيع مهما حاول أن ينجح فى إخفاء سر خلوته و اعتزاله، و لذا لم يستطع ملا صدرا أيضا أن يمنع التلامذه و المريدين من أن يطبقوا عليه و يقبلوا على مجالسه، و أن يحد شهرته من أن تتسع و تنتشر. و لقد حلت تلك اللحظه حين صمم والى مقاطعه "فارس" الله وردى خان (٢) على بناء مدرسه كبيره فى شيراز، و استدعى ملا صدرا بموافقه الشاه عباس الثانى طالبا منه العوده إلى بلده الأول و التدريس فى المدرسه الجديده.

ان الغرفه التي كان ملا صدرا يعلم فيها لا تزال تمكن مشاهدتها فى تلك المدرسه المعروفه اليوم باسم "مدرسه خان" و ليس عجبا أن تصبح شيراز بسرعه، بسبب انتقال صدر الدين إليها، مركزا علميا كبيرا كأصفهان. كان "الأستاذ" يعيش فى تلك المدينه، مستغرقا فى التعليم و إعداد الطلبة و توجيههم، و فى تأليف كتب بقى بعضها ناقصا للأسف، و ان التعاليم الأخلاقيه الرفيعه التي كان يعلمها طلابه و التي ظل هو يعيشها و يطبقها، لخير و سيله لتعريف شخصيته، و هذه التعاليم تتلخص جميعا فى أربعة قواعد سنهها لكل من يريد أن يخطو فى طرق المعنويات، هى: التخلّى عن حب اكتساب الثروه، ترك طلب الجاه الدينوى، البعد عن التقليد الأعمى، و اجتناب كل نوع من أنواع المعاصى (٣) و مع ما أنجز ملا صدرا من أعمال عظيمه، استطاع الحج سبع مرات إلى بيت الله، و فى عودته من حجته السابقه عام ١٠٥٠ هـ. وافته منيته فى البصره و فيها دفن. ٣.

ص: ١٩٨

١- نقلا عن طبعه اسفار العلامه الطباطبائى. ارقام الصفحات فى المتن.

٢- الله وردى خان خلفه ابنه امام قلى خان الذى ولى أمور مقاطعه فارس منذ سنه ١٠٠٣ و توفى سنه ١٠٢١. راجع مقدمه السيد دانش بجوه لكتاب "كسر أصنام الجاهليه" ص ٢ فما بعد. يمكن الاعتراف ان ملا صدرا اتى شيراز بين و ، فبناء على هذا مارس التدريس قريبا من أربعين سنه. و لكن السيد دانش بجوه، استنادا إلى بعض السنوات المذكوره فى سيره ملا محسن فيض التي أوردها السيد محمد مشكاه فى مقدمه الجزء الرابع من كتاب "المحججه البيضاء" (طهران ١٣٣٩ ش - ١٨٦٠ م) - آخر تاريخ مجيء ملا صدرا شيراز حتى سنه ١٠٤٢. و الحق ان هذا التاريخ متأخر، و من المحتمل أن تكون الحقيقه بين هاتين السنتين، و لا

يمكن الدخول في بحث التفاصيل في هذا الموضوع، للأسف.  
٣- راجع كسر أصنام الجاهلية، ص ١٣٣.

ان المؤلفات التي تجعل هذا المفكر العميق المثالي بحق، حاضرا بيننا مستمرا في حياتنا، جد عظيمه، و قد بلغ مجموعها تقريبا حتى القرن الأخير أربعين مجلدا بطبع حجرى (١). بعض هذه الكتب يشتمل على مائه صفحه، و بعضها الآخر يضم مئات الأوراق، أن جميع موضوعات الفلسفه الإسلاميه قد بحثت في هذه الكتابات، و أن بعض كتبه هي نتيجة بحوثه الشخصيه الخالصه، كما أن بعضا آخر منها تفاسير و شروح، الا أنه يوسع دائره الشرح و التفسير في هذه الكتب و يضمنها من الآراء و التفاصيل المبتكره ما يقتضى أن نعدّها أيضا في زمره آثاره الخاصه.

لقد شرح ملا صدرا رائعه ابن سينا "كتاب الشفاء"، و شرح أهم آثار السهروردي "حكمه الإشراق" (٢)، و في شرحه لكتاب "أصول الكافي" - أحد كتب الشيعة الأساسيه و الذى يضم تعاليم أئمه الشيعة (ع) (٣) شرع ملا صدرا في وضع مجموعه واقعيه لفلسفه شيعيه، الا ان الزمن لم يمهلّه للأسف حتى يتمها (٤). كذلك كتب تفسيرا لعديد من سور القرآن الكريم (٥)، تحرى فيه المعنى الباطنى و المعنوى أو العرفانى للآيات، و هذا التفسير يمثل مع التفاسير الأخرى التي كتبها أسلافه و أخلافه، منبعا أساسيا للتفكير الفلسفى الإسلامى فى التفسير المعنوى للقرآن. و سنرى بعد قليل لم يجب أن يكون الوضع هكذا، و بخاصه فى التشيع.

أما المجموعه التي ضمنها ملا صدرا ثمره جهوده و تحقيقاته و تأملاته جميعا فكتاب شهير سماه "كتاب الأسفار الأربعة العقلية" و هو اثر نفيس ضخم يضم فى طبعته الحجرية القديمه أكثر من ألف ورقه مطبوعه الوجهين، و هذا السفر هو الذى ولد على الأكثر إعجاب المریدين و المفسرين و انفعالهم و حبههم. ان شروح هذا الكتاب تؤلف مجموعه مجلده عظيمه تبدأ بشروح اثنين من أشهر تلامذته المباشرين كانا فى الوقت نفسه صهرين له أيضا، هما ملا محسن فيض و عبد الرزاق اللاهيجى، و تستمر جيلا بعد جيل حتى العصر الحاضر (مجتازة فى القرن الماضى ملا- عبد الله و ملا- على الزنوزى، و حاجى ملا هادى السبزوارى و سواهم (٦). و باختصار، يجب القول ان التحقيق العميق فى وضع الشيعة الفلسفى دون معرفه لآثار ملا صدرا و أفكاره، أمر متعذر، لأن لهذا الوضع من أوله إلى آخره ارتباطا بتفكير ملا صدرا. ترى، أیه إرادته عميقه كانت تحرك ملا صدرا طوال مدته حياته؟ اننا نستطيع أن نجد علائقها فى مقدمه كتابه الكبير، تلك المجموعه التي تسمح لنا بان نقول أن ملا صدرا هو لايرانقديس توماها الأ-كوينى لو كان القديس توما يستطيع فى الوقت نفسه أن يكون عارفا و حكيما مثل ياكوب بوهمه، إلا أن مثل هذا التركيب لا يمكن أن يتحقق إلا فى ايران وحدها.

ان عبارته (الشيعى الجامع) تعلن للفيلسوف الباعث على صراع معنوى فى جبهتين، الصراع الذى هو لأول وهله مع نفسه، ثم بالتالى صراعه مع القوى المظلمه لعالم خارجى عدو مناوئ. و لقد تحمل ملا صدرا الوجه الأول لهذا الصراع المعنوى فى سنوات وحدته فى قريه كهك، و فى هذا الصراع كان الموضوع الرئيسى للغايه من حياه ملا صدرا الخاصه و التطور الذى سينتهى به اليه قدره، و اجتيازه التأمل النظرى الفلسفى إلى اليقين التجريبي الذى يتذوقه العرفاء، ففلسفه حقيقه واقعيه لا يمكن أن تقوم ما لم يقم اتحاد بين هذين و ما لم ينته التأمل النظرى إلى يقين العارف.

أن كل القصد من المعنويه الاشرقيه لم يكن منذ عهد السهروردي إلا هذا فقط، أما عند ملا صدرا - كما هو الحال عند أسلافه و عند اتباعه من بعده - فان هذا الاتحاد إنما يحدث بالفطره فى المعنويه الشيعيه. و من الأفضل أن ندرس هذا الموضوع بدقه أكثر.

ان كلمه (الإشراق) التي كان لها في الفلسفه الإيرانيه تاريخ عجيب، استعملت في القرن الهجرى السادس على يد السهروردي لبيان حكمه الايرانيين القدامى التي كان يريد أن يحييها. ان الكلمه تعنى جلال طلوع الشمس، كما تعنى في الوقت نفسه النور الذى يضىء الأسحار، النور الذى تتلقاه الموجودات في تلك الدقائق من بياض الفجر. كذلك تعنى هذه الكلمه منطلق هذا النور و مبدأه، أى الشرق مكانا و زمانا. و الآن يجب نقل هذه التصورات كلها إلى عالم ما وراء المحسوسات و أن نفسر المشرق بعالم النور و الموجودات النورانيه و ضياء الفجر الذى يشرق من سلسله العقول على نفوس الأفراد المبعدين في مغرب عالم الظلام. ان هذه الحكمه التي تنبع من مشرق الروح، و التي سميت شرقيه وفقا لهذه (الجغرافيا العرفانيه) ليست فلسفه و ليست علم إلهيات (تيولوجي) بالمفهوم الذى تستعمل فيه هاتان الكلمتان اليوم في الغرب حيث يرون فيهما طاقتين مختلفتين متميزتين، و حيث يتناولون بالبحث ما بينهما من رابطه ليتمكن اتخاذ رأى ما لمصلحه أحدهما.

ان هذه الحكمه المشرقيه أو الاشراقيه إنما هي حكمه إلهيه ترادف بدقه الكلمه اليونانيه تيوسوفيا Theosophia هذه الحكمه تقود أتباعها من علم الفلسفه الانتزاعى، الذى هو العلم بواسطه الصور أو المفاهيم، و الذى هو العلم الصورى، إلى المشاهده المباشرة و الاشراف الحضورى الذى يطلع من مشرق الروح. هذا العلم الذى ليس بعد صورا، بل علم حضورى، هو علم مشرقى، لأنه إشراقى، و علم إشراقى لأنه مشرقى. هذا هو المعنى العرفانى لكلمتى مشرق و مشرقى حين يدور الحديث على حكمه الإشراقى، و هذه الحكمه هي التي عنى زرادشت و حكماء ايران القدامى - كما يقول السهروردي - بتعليمها.

ان كلمه "الإشراقين" تقابل في اصطلاح اليوم "المشائين" و ترادف

ص: ١٩٩

١- راجع فهرست المراجع التي ذكرها السيد جلال الدين الآشتياني في كتاب: ترجمه ملا صدرا و آراؤه الفلسفيه، ص ٢١٠-٢٢٥.

٢- طبع شرحه في المجلد الثانى من الطبعة الحجرية لكتاب الشفاء، طهران ١٣٠٣. ٣- لقد طبع في الجزء الثانى من منشورات "المعهد الفرنسى الايراني"، طهران ١٣٣١ (١٩٥٢ م) متنا منقحا من كتاب حكمه الإشراق. كما ان السيد جلال الدين الآشتياني يعمل الآن في تصحيح حاشيه ملا صدرا. راجع بشأن هذه الحواشى مقالنا: **Le theme de la resurrection dans le Commentaire de Molla Sadra Shirazi sur la Theosophie Orientale de Sohrawardi' Shaykh al-Ishrag**

٣- طبع السيد محمد خوندى مؤخرا كتاب الكليني الكبير طبعتين رصاصتين إحداهما تضم المتن العربى صرفا في ثمانية مجلدات (طهران ١٣٣٤ ش ١٩٥٥ م) و الثانيه تضم المتن العربى مع ترجمه فارسىه و شرح بالفارسىه بقلم آيه الله محمد باقر كمره اى ظهر منها منذ ١٣٤٠ ش (١٩٦١ م) حتى الآن (١٩٦٢) ثلاثه مجلدات.

٤- أتاحت لملا صدرا الفرصه لأن يشرح كتاب العقل و كتاب التوحيد فقط و بدايه كتاب الحججه (الذى يضم تعاليم الأئمه بشأن مسالتي النبوه و الامامه)، و مع انه لم يستطع أن يشرح أكثر من نحو العشر فقط من هذا الكتاب الأساسى في الفكر الشيعى، فان الطبعة الحجرية التي نشرت في طهران من هذا الكتاب، تضم أكثر من ٤٥٠ ورقه مليئه الوجهين..

٥- طبعت مجموعه هذه التفاسير ضمن الطبعة الحجرية لتفسيره في شيراز سنه ١٣٢٢ (١٩٤٣). و لا- يمكن أن نفصل عن هذا

التفسير كتابيه الأخيرين: مفاتيح الغيب (الذي طبع مع شرح أصول الكافي) و اسرار الآيات، و سنعود بعدا لهذين الكتابين.  
٦- كتب ستة أو سبعة شروح على (المشاعر و الحكمة العرشية)، و قد شرح حاجي ملا هادي السيزواري الشواهد الربويه و الأسفار بصورة مفصله. راجع كذلك مقدمه السيد دانش بجوه على كسر الأصنام، ص ٢٣ فما بعد.

"الافلاطونيين" أو "الافلاطونيين الحديثين"، و تاريخ افلاطونى ايران الإسلاميه الحديثين هؤلاء طويل. ان هؤلاء الحكماء مرتبطون بتلك الأسره التى يرتبط بها الافلاطونيون الحديثون فى كل مكان و فى كل زمان. العلم الاشرافى أى العلم بتلك اللحظه التى يطلع فيها نور المشرق على الروح، أو مبدأ الروح، قبل ورودها على هذه النشأه الترابيه، هو التجربه التى حظى بها ملا صدرا فى وحدته المهيبة فى كهك.

يقول فى مقدمه كتابه الكبير (الأسفار ص ٨): "حين بقيت مده طويله على هذا الحال من الاستتار و الانزواء و الخمول و الاعتزال، اشتعلت نفسى أثر المجاهده الطويله بالنور، و فاض على قلبى نتيجته الرياضات الكثيره التهاب قوى و أنوار ملكوتيه، و انحلت عقده أسرار الجبروت، و تبعتها الأنوار الأحديه. لقد أحاطت به الألطاف الإلهيه، و وقفت على أسرار ما كنت قد أدركتها بعد، و انكشفت لى رموز لم يستطع أى برهان حتى الآن أن يكشفها لى، بل ان ما كنت قد تعلمته عن طريق البرهان، شاهدته الآن و رأيتة عيانا مع زوائد و إضافات" (يجب أن يلاحظ أن الطريقه التى اتخذت لبيان هذه التجزئه المعنويه، تنطبق تماما على طريقه السهروردى و مير داماد، و أن هذا التعيين اليقينى لا- يستند إلى استدلال منطقى، بل أن منشاها الحضور المباشر الذى يتذوق بصوره شخصيه خاصه، و فى بعض الموارد بالمشاهده).

و يتابع ملا صدرا (ص ٨): "لقد انبسط عقلى باعتبار جوارحه الظاهريه و غدا ماء سيالا يفيض، أما باعتبار باطن تعقلاته فقد انقبض لطلاب الحقيقه و صار بحرا مواجا. فصنفت عندئذ كتابا إلهيا للسالكين العاملين على تحصيل الكمال، و جلوت الحكمه الربانيه لطالبي أسرار حضره ذى الجلال و الإكرام".

ان هذا الكتاب هو مجموعه آثار ملا صدرا، و قد سماه "الأسفار العقليه الأربعة". ما ذا كان قصده من هذا العنوان؟ لقد أوضح هو نفسه هذا الأمر فى ختام مقدمه الكتاب. ان هذا العنوان مستمد من المصطلحات العرفانيه الإسلاميه المتداوله. فالسفر الأول يبدأ من عالم الخلق و ينتهى إلى الحق (من الخلق إلى الحق)، و فى هذا السفر يبحث تركيب الموجودات، و الطبيعيات، و الماده و الصوره و الجوهر و العرض، و يرتقى السالك إلى مرتبه عالم الحقائق الالهيه غير المحسوسه. و بناء على هذا فان السفر الثانى هو من الحق (فى الحق بالحق). و فى هذا السفر لا- يبعد السالك عن مرحله ما بعد الطبيعه، بل يتعرف إلى علم الإلهيات و المسائل المتعلقة بالذات و الأسماء و الصفات الالهيه. أما السفر الثالث فهو رحله فكرية و لكن فى عكس السفر الأول، أى أنه عوده من (الحق إلى الخلق بالحق). ان هذا السفر يتتبع مراتب صدور الموجودات عن أنوار الأنوار، و يعرف السالك إلى العلم بمراتب العقول و العوالم الغيبية التى تحتل ما فوق عالم المحسوسات، و يبحث فى علم التكوين و الملائكه. و أخيرا فالسفر يتم بواسطه الله فى العالم المخلوق نفسه (بالحق فى الخلق)، و يدور حول معرفه النفس أو الضمير الداخلى (العلم المشرقى) و حول التوحيد بمعناه الباطنى، أى وحده الوجود بمعنى (من عرف نفسه فقد عرف ربه)، و كذلك حول مسأله المعاد، أى جميع العوالم اللامتناهيه التى تنكشف للإنسان بانفتاح باب الموت أمامه (١) انه لمن المستحيل أن يستطيع الإنسان فى بضع كلمات أن يعرض أكثر من فكره تصوريه عامه عن هذه المجموعه التى أقام فيها ملا صدرا بناء مجللا للفكر الايرانى. اننا إذا أردنا أن نحكم عليه بعين المؤرخ، فيجب بصوره عامه أن نقول دون شك أننا مع ملا صدرا أمام واحد من أتباع مدرسه ابن سينا. لقد كان يعرف آثار الشيخ الرئيس عن قرب، و قد شرحها، الا أن ملا صدرا هو فى الوقت نفسه فيلسوف سينائى مع التفسير الاشرافى متأثر بأفكار السهروردى، تأثرا لا ينعدم فيه فقط كل ما بين ابن سينا و السهروردى من فاصله و بعد، بل أن ملا صدرا نفسه تعبیر مشخص عن الإلهيات الاشرافيه. كذلك تاثر هذا الفيلسوف السينائى الاشرافى تأثرا عميقا بمعتقدات حكيم الأندلس الكبير، و

العارف الذى هو من أكبر عرفاء التاريخ كله، محيى الدين بن عربى (المتوفى ٦٣٨). وانه لمن الواجب فى هذا الموضوع أن يجرى فى ايران تحقيق حول ما يمكن تسميته "التشيع السرى" لابن عربى، لأن فى حل هذه المسأله أخيرا إمكان الوصول إلى مفتاح جميع الموضوعات.

ان ملا صدرا هو أكثر من أى شىء مفكر شيعى متأثر تمام التأثير بتعاليم أئمه الشيعه (ع)، و مؤمن بالإسلام بصورته التى تنطلق من هذا الأساس.

لذا، فإنه لمن العبث - مهما يكن الأمر مستساغا - أن نهتم بذكر "منابعه" إذا كان قصدنا أن نحل جميع المسائل عن هذا الطريق. أننا نستطيع أن نسجل على ورقه كل الأقوال المردده و الإشارات و الصور و كل ما نسميه "المنابع"، إلا أن حاصل هذه الأوراق جميعا لن يكون قط ملا صدرا لو لم يكن هناك قبل كل شىء "ملا صدرا" ينظم هذه "المنابع" فى بناء ليس سواه من يستطيع أن يقيمه و يعليه. ان محور هذا البناء هو عقائد أئمه الشيعه (ع) كما هو الحال فى "أصول الكافى" للكلينى، و من هنا أن ملا صدرا ينتقل إلى صراعه المعنوى الآخر، الصراع ضد اللادارين المتقدسين و القشريين و أولئك الذين كان لهم من الدين تعبير ظاهرى فقط. ان نوايا ملا صدرا و مقاصده الصريحه عون على فهم الوضع الفلسفى للتشيع، و كذلك على ادراك أهميه آثار ملا صدرا فى الفكر الشيعى فى الأيام السالفه و فى العهد الحاضر.

و مهما يكن هذا الموضوع مبحثا بصوره سريعه، فإنه يبين لنا أن الفلسفه و المعنويه الاسلاميتين ليستا محدودتين بتلك الفئات الثلاث فقط التى تملأ اليوم الفصل الذى تخصصه تواريخ الفلسفه فى العالم الغربى للفلسفه الإسلاميه، أعنى تلك الفئه التى أطلقوا عليها اسم الفلاسفه مستمدين اسمهم من سلوكهم اليونانى، و المتكلمين الذين هم جدليو علم الكلام من السنه، و أخيرا المتصوفه. أننا نعلم الآن انه كانت ثمه مدرسات أخرى، و نستطيع بصوره خاصه أن نقدر لم أحييت الفلسفه بصوره مجلله رفيعه فى ايران و العالم الشيعى خلال العهد الصوفى، بينما يسود الاعتقاد كل مكان فى العالم الإسلامى أن التطور الفلسفى انتهى مع ابن رشد فى القرن الهجرى السادس. ان محققا يوفق إلى أن يجد طريقا إلى قلب الفكر الشيعى سينكشف أمام عينيه أفق جديد، أفق لا شك فى أن طرح مسأله وضع الفلسفه فى الإسلام و ارتباط الفلسفه بالمعتقدات الإسلاميه خارج نطاقه و بمعزل عنه، خطأ فادح.

الا ان الوضع المعقد المحزن الذى واجهه ملا صدرا و كثير من المفكرين قبله و بعده - كالسيد حيدر الآملى مثلا الذى كان يعيش قبله بثلاثه قرون - هو أن هؤلاء المفكرين كانوا عرضه للحملات و التهم من قبل أشخاص كانوا يسمون مثلهم شيعه.

ان هذا الوضع المؤسف الذى كان السبب الأسمى لأن ينفى ملا صدرا نفسه نفيا اختياريا فى كهك بعيدا عن القيل و القال و عن تهم المتعصبين القشريين، قد خلف أثره الملىء بالألم فى كل مؤلفاته و آثاره. انه مثلا فى ٨.

ص: ٢٠٠

١- الأسفار طبعه العلامة الطباطبائى، المجلد الأول ص ١٣ فما بعد، مع تحقيق حاجى ملا هادى السبزوارى الوارد فى حواشى الصفحات ١٣ حتى ١٨.

مقدمه كتابه "الأسفار" (١) يحكم على الجهله الذين "لم يرتق فكرهم عن هذه الهياكل المظلمه و دياجيرها" ان هؤلاء الأشخاص فى عدائهم للعرفان و الفلسفه اللذين لم يفهموها ينفون حتى أى نوع من أنواع فلسفه العلوم الدينيه القديمه، رغم أن هذا يؤدى إلى أن لا يفهم شىء من الأسرار الإلهيه التى شرحها الأنبياء بصور من الرمز و التمثيل. أنهم يقولون أن فلاسفه العرفان سقطوا فى شبكه أوهامهم الالهيه. و فى رسالته "الأصول الثلاثه" (سه أصل) يخاطب ملا صدرا أحد هؤلاء الجهله بحراره مجلله قويه قائلا:

"ألا- تفكر أن من الممكن أن يكون ثمه مغرور بالله مثلك؟ لو كان كل علم كما قد علمت أو كان يجب أن يؤخذ عن طريق النقل و المشيخه، فلم يذم الحق تعالى فى عده مواضع من القرآن أولئك اللذين يقلدون مشايخهم و آباءهم فى المعتقدات و يعولون عليهم فى الأصول الدينيه؟ لئن كان يجب فى كل علم أن يتعلم بالطريق المتعارف عن أستاذ، فمن أى معلم بشرى بالطريق المعهود تلقى

أمير المؤمنين ع ما أخبر عنه من علمه بقوله: "لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحه الكتاب؟" (٢) إذا فملا صدرا يذكر المتن نفسه الذى ذكره السيد حيدر الآملى منذ ثلاثه قرون (٣) و العرفاء يعتنقون المعنى الذى تتضمنه آيات للإمام الرابع زين العابدين (ع) (المتوفى سنه ٨٩٥ م) يقول فيها ما مضمونه: "اننى أخفى جواهر علمى خشيه أن يرى الحقيقه جاهل فيرفسنا بقدمه.. يا رب، لو كنت أظهرت واحده من لآئى معرفتى، لكانوا قالوا لى: انك لعابد صنم، و لو جد مسلمون يجوزون اهراق دمى، فما يعرض لهم من أجمل الحقائق الإنسانيه يعدونه منفرا مقبلا".

إذا فمن توفقه العنايه الالهيه لادراك الأسرار الخفيه فى الرساله النبويه معرض لخطر الرجم من قبل الجهله الغاضبين. ترى، هل ثمه حاجه لتعمق أكثر فى تحرى عله هذا الوضع المختل المؤسف و معرفه أسرارها؟ هل ثمه تعليل آخر لأن أئمه الشيعه (ع) لم يكن حولهم قط أكثر من جمع قليل يعد على الأصابع من الأفذاذ و الخالص؟.

فبناء على هذا، ليس من الصعب على ملا صدرا أن يوضح أن هذا العلم الذى يجعل الإنسان حذرا و على خوف من عداوه الناس و حتى عداوه العلماء القشريين، ليس جدلا و لا طبا و لا نجوما و لا هندسه و لا طبيعيات.

أن ما شرحه مفسرو الوجه الظاهرى من أمثال الزمخشري و سواه، ليس هو إطلاقا علم القرآن الحقيقى و معرفه الوحي الإلهى معرفه حقيقيه. ان علم القرآن الحقيقى أمر آخر (٤) هو الذى يجعل الفلسفه فلسفه مبنيه على الوحي.

و لكى يرى ملا صدرا الصراط المستقيم الذى هو بعيد بنفس المقدار عن التعبير الظاهرى لوجه الشريعه و عن الأسلوب النافى للفلسفه الاستدلاليه الصرف يفسر حاله التفكير الفلسفى فى مقدمه شرحه للكتاب الثالث من أصول الكافى للكلينى (كتاب الحججه، فى الامام و الامامه) (٥) كما يلى:

ان الوحي القرآنى نور تمكن به الرؤيه مع هذا النور إذا لم ترفع تعاليم الأئمه غطاء اللفظ الظاهرى الذى يجعل هذا النور مستورا. أن التفكير الفلسفى عين تشاهد النور و تراه، و لكى يتحقق فعل الرؤيه فالنور ضروره لازمه، لكن من الواجب كذلك وجود عين يمكنها أن تنظر. فإذا حجبنا هذا النور فلن ترى العين شيئا بعد، و إذا تعمدا أيضا إغماض العين - كما هو حال القشريين و



الناظرين إلى الظاهر فقط - فكذلك لن يرى بعد أى شىء، بل ان الظلمه ستكون المنتصره فى الحالين، و ما حال ذى العين الواحده كذلك أفضل بكثير.

أما على العكس من ذاك، إذا اتحد التعقل الفلسفى مع الوحي السماوى، فان ذلك سيكون نورا على نور، كما تقول آيه النور المباركه، و جملات هذه الآيه إشاره كما نعلم للمعصومين الأربعة عشر. لذا يقول ملا صدرا أن التشيع وحده هو الذى يستطيع فى الإسلام أن يقيم هذا التوافق و الانسجام بين الوحي الالهى و التعقل الفلسفى، لأن التشيع يأخذ العلم و الحكمة عاريه من مشكاه النبوه و الولايه، و لأن الفلسفه الشيعيه فلسفه مبنيه فى الأساس على الوحي.

اننا لا نشبه هذا الوضع بصوره عابره بأوضاع كانت فى أوساط أخرى.

لا- ضروره هنا (أى فى التشيع) لاجتياز العقبه المتمثله فى الاختلاف بين الحقائق التاريخيه الممكنه الوقوع و الحقائق العقلانيه الواجبه، كذلك يطرح هنا هذا السؤال: كيف تكون الحقيقه تاريخيه و كيف يكون التاريخ حقيقيا (هذه مسأله " الاعتقاد و المعرفه " التى واجهها جميع فلاسفه المسيحيه من أريجن حتى لايبنتز و هيكل)، كما أن التشيع لم يعرف المقارنه و التباين بين حقائق المعتقدات الدينيه التى تعرفها كنيسه من الكنائس و الحقائق الفلسفيه التى هى نتاج جهد شخصى، بل أن نور الكتاب السماوى الذى يتجلى بفضل هدايه الأئمه و إرشادهم يشع مباشره و بدون آيه واسطه على المشاهده الداخليه للمؤمن. ان الفلسفه و الكلام (الثيولوجيا) لا يتقابلان هنا فى صفيين متضادين كقوتين عظيمتين كانتا قد تشكلتا قبلا، قوتين تتولد إحداهما من الفرد، و تنبع الأخرى من الكنيسه.

لقد عد مفكرون الشرقيون هذا الموجود النوراني السماوى الذى سماه الفلاسفه العقل الفعال (نوس بويتيكوس -Nous Poietikos عند اليونانيين) هذا العقل السماوى الذى هو منشا معرفتنا عدوه و الروح القدس شيئا واحدا. ان هذا الأمر لا يؤدي فقط إلى إعطاء الروح وجها استدلاليا، بل ينتهى إلى أن يعد ملك العلم و ملك الوحي شيئا واحدا(6)، و لذا يبعد هذا الرأى كثيرا عن عقيدته " الحقيقتين " التى ظهرت فى المدرسه الابن رشديه اللاتينيه. فى الفلسفه " الشرقيه " يتحد النوران و يتداخلان، و من امتزاجهما تتولد الحكمة الالهيه، الحكمة التى هى علم لدنى، و قد كان أئمه الشيعه أول من وضع لها اسم: المعرفه القليليه: ان التشيع و بخاصه التشيع الجامع، هو فى نظر ملا صدرا هذه الحكمة نفسها.

و الآن نستطيع أن نفهم لم أن هذا المفكر الذى كان العرفان الشيعى قاعدته و أساس تفكيره هو بصوره عفويه إشراقى أيضا. ما ذا كانت فى الواقع تعليمات السهروردى؟ كانت ان تجربه عرفانيه دون قاعده فلسفيه سابقه لا تخلو من خطر الانتهاء إلى الخطأ، و على العكس من ذاك الفلسفه التى لا تسعى و لا تنتهى إلى كشف معنى شخصى فإنها، كما ذكرنا قبلا، ليست أكثر من عبث عقيم، و لذا نرى أن كتاب السهروردى الكبير " حكمه الإشراق " يبدأ بإصلاح المنطق و ينتهى بنوع من " لحظه وجد و سرور ". ان ملا صدرا بدوره يجعل المعنويه الاشراقيه فى شرح أصول الكافي(7) برزخا3.

ص: ٢٠١

٢- رساله الأصول الثلاثة، طبع الدكتور السيد حسين نصر، بند ١٢٠، ص ٨٢-٨٣.

٣- راجع بشأن هذا المتن الذى ذكره السيد حيدر الآملى مقالتنا: 'Errnos' LE Combat spirituel du Shi'isme ، Zahrbael XXX Zurich ،

٤- رساله الأصول الثلاثة، البند ٢٢، ص ٨٣-٨٤.

٥- شرح أصول الكافى، طهران، الطبعة الحجرية، ص ٤٣٧.

٦- فليراجع شرح أول حديث، الفصل الثانى من كتاب الحجج (فى طبقات الرسل و الأنبياء و الأئمه) شرح أصول الكافى، ص ٤٤٥ فما بعد.

٧- شرح أصول الكافى، ص ٤٤٦، بعد ان يشرح ملا صدرا شرحا مفصلا مسأله المعرفه فى نظر أئمه الشيعة (ع) و يبين مراتب الإلهام المختلفه، يشرح فى تفصيل طرق الصوفيه و يقول: " و أما أهل النظر و الاعتبار فلا ينكرون وجود هذا الطريق و إمكان الوصول من خلاله إلى الهدف فى الموارد النادره، لأن أكثر أحوال الأنبياء (ص) و الأولياء (ع) كانت عن هذا الطريق، الا أنهم يرون الأمر متعذرا خارج هذه الموارد، لأن نتيجه تحقق ببطء، كما ان اجتماع شرائطه مستبعد... ". ثم يقول ملا صدرا ختاماً أن " السالك إلى الله يمزج بين طريقتين، إذ لا- يكون صفاؤه الباطنى خلوا من التفكير، و لا يكون فكره مجردا من الصفاء، بل تكون طريقتيه برزخا بين الطريقتين، كما هى طريقه الحكماء الإشراقيين و اسلوبهم ". هذا المعتقد تكرر للرأى الذى ذكره السهروردى فى مقدمه " حكمه الإشراق ". راجع طبعتنا لهذا الكتاب فى: *oeuvre Philosophiques et Mystiques* de Sohrawardi طهران ١٣٣١ (١٩٥٢) ص ١٠-١٣.

بين طريقه الصوفيين المحض الذين يهتمون بتهديب الباطن، و طريقه الفلاسفه الذين يميلون إلى العلم الصريف، برزخا يتوسط الطريقتين و يصل ما بينهما، و هذا الوضع يوضح السبب في أن ملا صدرا يلوم بعنف و خشونه بعض الصوفيه الذين يعدون الفعاله العقلانيه شيئا هباء، هؤلاء العمى في تحقير الفلسفه عمى أعدائهم الجهله القشريين. أن ملا صدرا يمثل في الواقع نوعا من المعنويه الشيعيه التي مع استعمال لغه التصوف الفنيه لا- ترتبط بآيه طريقه صوفيه، لأن العرفان الشيعي نفسه يؤلف طريقه، و الرابطه الداخليه مع الأئمه (ع) نفسها مقدمه لدخول مرحله السير و السلوك.

## فلسفه المعاد

من هنا يمكننا الوقوف مره اخرى على مجموعه الموضوعات الأساسيه التي تميز تفكير ملا صدرا و أن ندرك حدود بنائه. من الواجب (في هذه الحاله) أن نقيد أنفسنا و نحدها ببضعه موضوعات، أولها موضوع يقرب فلسفه أصله الماهيه التي كانت رائجه منذ عصر الفارابي و ابن سينا. فقد كان الرأي مستقرا في ما سبق على أن الماهيه أمر ثابت دون أن يحمل فعل الوجود معنى التحقيق، لأن وجود شيء ما ليس الا ماهيته، و لا يضيف على الماهيه أى شيء، لأنه ليس مظهر الماهيه. و لقد قلب ملا صدرا هذه النظرية، و هذا ما سمح له في شرحه للسهروردي أن يعبر عن الحكمه الاشراقية تعبيراً "وجودياً".

تقوم فلسفه ملا- صدرا الوجوديه على أن لا- ماهيه تتقدم على الوجود، بل أن وجود شيء ما هو يعين ماهيته (1)، و أن الشيء يستطيع بسبب وجوده أن يكون هو، أى تتحول ماهيته من القوه إلى الفعل. طبعا يجب أن لا نعد ملا صدرا واحدا من فلاسفه "أصله الوجود" أو "إكزيستانسيالستي" عصرنا الحاضر. أن هذه المقايسه لا تعدو أن تكون مهزله. ان ما يريد صدر الدين أن يقوله هو أنه بما أن وجود شيء ما هو الذى يعين ماهيته، فما هي شيء ما ليست فقط شيئا غير ثابت، بل انها - استنادا إلى فعل وجودى - تستطيع أن تتجاز مراتب الشده و الضعف التي لا يمكن عمليا تعدادها. إذا فنحن لا نواجه في فلسفه ملا صدرا ميدان ماهيات ثابتة كما رأينا عند الفلاسفه السابقين، بل اننا نواجه تحركا وجوديا (عقيده الحركه الجوهرية المعروفه) تتجاز الماهيه طبقا له سلسله من التبدلات الوجوديه، و كل من هذه المراتب مرتبه من عالم الوجود.

مثلا يمكن أخذ مفهوم الجسم. لا يجب لادراك ماهيه الجسم أن نحد فعل الوجود بالعالم الجسماني فقط، الممكن إدراكه عن طريق الحواس الخارجيه. يجب أن نبدأ مفهوم الجسم من العنصر البسيط (بمعنى الطبيعيات القديمه حيث يكون للعنصر طبقا لها معنى كفى لا- كمى) و أن نتبعه في التبدلات المتتاليه التي تنتقل به من مرتبه الجماد إلى النبات فالحيوان ثم الجسم الحى فالناطق القادر على فهم الحقائق المعنويه. أن هناك حركه وجوديه عظيمه، من أعماق الجماد، حتى الظهور الأرضى للإنسان، ثم ما وراء هذه الصوره بالتالى، لأن الوجود الإنسانى في وضعه الوجودى في هذا العالم لا يزال وجودا برزخيا.

لذا يجب ألا- يقع التباس أو اشتباه، بل يجب الانتباه إلى أن نظريه ملا صدرا قد علت نظريه التطور التي غدت اليوم في اوربا بمثابة عقيدته دينيه، و وجهت وجهه اخرى غير وجهتها، ذلك أن كل شيء في نظريه التطور يقع في جهه مستقيمه أفاقه و في مرتبه وجود واحد. ان الحديث يرد من هذه الناحيه أو تلك عن "معنى التاريخ"، و ينسى كثير من الناس أن عليهم إذا أرادوا التحدث عن مثل هذا الموضوع أن يعدوا المقدمات لعالم معاد. أن حركه العالم في نظريه ملا- صدرا و جميع أمثاله من المفكرين، ليست حركه عالم في حال التطور (بمعناه الجديد)، بل هي حركه عالم في حال الصعود و الارتقاء. ان الماضى ليس وراءنا، بل تحت أقدامنا. ان اتجاه هذا العالم اتجاها عموديا يمكن القول بمشابهته للأسلوب الكوطى في البناء، يتوافق مع مفهوم

المبدأ و المعاد الذى بواسطته يسخر عالم ما وراء التاريخ عالمنا.

حين تصل حركه الوجود الصعوديه إلى صورته الإنسان الأرضى يبدأ عهد جديد فى التبدلات الوجوديه، لأن الإنسان عتبه منها يتحقق صعود العالم إلى مراتب أرفع للوجود و صور أعلى. ان الوجود الإنسانى منذ هذا الوقت هو - على الأقل بالقوه - فى عده عوالم، لأن الإنسان مؤلف من حقيقه مثلته:

جسم و نفس و روح أو عقل، هى نفسها حقيقه معرفه الإنسان المثلته فى العرفان القديم: سوما Soma بسيكه Psyche بنوما Pneuma و ثمة كذلك ثلاثه أنواع من الإنسان: إنسان طبيعى و إنسان نفسانى و إنسان عقلانى أو روحانى، و يوافق كلا من هذه المراتب الإنسانيه تल्पف تدريجى فى مقام الجسم و مفهومه، فهناك أيضا جسم مادى، و جسم نفسانى، و جسم معنوى أو روحى. أن كلا- من الجسمين الأخيرين مظهر لبعته أو معاد فى المستقبل يختار الإنسان نوعه فى حياته النفسيه على الأرض، و يحدد بنفسه إن كان أهلا لحياه أفضل، أو أنه سيغلب و يسقط فى أعماق نفسه (٢) ان من الواجب الانتباه بطور عابر إلى المصادر النظرية لهذه الحكمة الالهيه. ان هذه الحكمة، بالامتناع عن تحديد الماهيه بالمقولات الثابته غير القابله للتغير، تولد مفهومًا للماده يختلف تماما عما يسمى مادته، على الأقل فى اصطلاح اليوم، لأن الماده فى حكمه ملا صدرا مادته أوليه هى فى نفسها ماده روحانيه.. اننا نعلم أن هذا المفهوم للماده مستمد فى الفلسفه الإسلاميه من الكتابات المنسوبه إلى أنباز فلس التى استعملت قبلا فى موارد عديده فى حكمه ابن عربى. أن هذا التفكير يجعل حكمه ملا صدرا متوافقه مع نظريه معاصريه من فلاسفه كميريدج الأفلاطونيين، فهنرى مور Henry More مثلا- يتحدث (لييان: البعد الرابع) عن " التراكم الروحانى " Spisstiudo (٣) Spiritualis، كذلك يتحدث فى القرن الثامن عشر حكيم

ص: ٢٠٢

- ١- ان كتاب المشاعر (الذى سبقت الإشارة اليه) متعلق فى الأصل بإثبات أصاله الوجود مقابل الماهيه.
- ٢- راجع بشأن ارتقاء الجسم و صعوده هذا شرح أصول الكافى، ص ٢٧٢-٢٧٣ فى شرح مبسط بعنوان " تحقيق عرشى و تمهيد مشرقى "، و راجع كذلك مقالتنا:.. Le theme de la resurrection dans le Commentaire de Molla.. ShaykH al-Ishrag Sadra Shirazi sur la Theosophie Orientale de Sohrawardi' الفصل الخامس: "LA tribIE croissanc de l'homme".
- ٣- راجع كتابنا: Terre celeste et corps de resurrctioe de L'Iran Mazdeen Airan shi'ite . paris. ١٩٦١ ص ٢٧٥.

ألمانيا الكبير فريدريك اوتينكر Friedrich Oetinger الذى كان من تلامذه بوهمه Boehme و سويدنبورك Swedenborg عن "جسمانيه الروح" Geist Leiblichkeit . ان ما يحير فى هذه النظرية هو الامتناع من قبول ثنويه الروح و الجسم، أو الفكر و الامتداد، ثنويه متضاده غير قابله للتحليل، الثنويه التى جرت الفلسفه إلى طريق مسدود. لكن يجب ألا نعد ديكارت وحده مقصرا فى هذا الأمر، فسوء حظ هذه الثنويه يتبع من مبدأ أقدم. أن أصله يعود فى نظرى لمجمع الكنيسه الثانى فى القسطنطينيه سنة ٨٦٤ ميلاديه الذى عدت فيه مراحل علم معرفه الإنسان الثلاث التى هى ميراث العرفان (و بدون دليل مظنون) عبثا و باطلا، و اكتفى بمفهومي الروح و الجسم.

إذا أردنا أن نفهم بعمق ثقافتنا المعنويه. فعلىنا أن ننتبه إلى عواقب هذه الأمور، لأننا نرى هنا أن عقيدته بشأن القوه المتخليه الفعاله تتسع فى مرتبه الإنسان النفسانى و "الجسمانيه الروحانيه" حتى تهدم النظريات العاديه بشأن المعرفه المحبوسه فى ثنويه الاحساس و الإدراك. ان على بساط البحث هنا تخيلا يختلف تماما عما نعطيه اليوم هذا الاسم و الذى ليس سوى و هم يصدر عن الخيال. هذا التخيل عباره عن أداه للإدراك و العلم الحقيقى تحتل ما بين الإدراك الحسى و العلم العقلانى، كما تحتل النفس مرتبه ما بين الجسم و الروح. أن ما تدركه هذه الأداه هو بصوره مطلقه من عالمها هى (عالم المثال، العالم الذى الأجسام فيه فى حاله روحانيه، عالم "الجسم عند البعث و النشور") عالم بين العالم الأدنى و العالم الأعلى، عالم النفس، أو البرزخ القائم بين عالم ماده و عالم العقول الكرويه، لذا يعد ملا صدرا القوه المتخليه الفعاله - و بدون تردد أو تمهل - قوه معنويه كالعقل، قوه متجرده عن جسم الإنسان، لأنها نفسها و بنحو ما جسم النفس اللطيف.

ان هذا العالم البرزخى كله قد فقد فى فلسفه ابن رشد، و كانت نتيجه بالنسبه لدنيا الغرب وخيمه جدا، لأن الإنسان يستطيع بواسطه هذا العالم الوسيط وحده أن يدرك الحقيقه المعنويه لمشاهدات الأنبياء كحقيقه صوريه، و بواسطه يستطيع أن يحصل على اليقين فى حقيقه الكشف و شهود العرفاء، و بواسطه هذا العالم يستطيع أخيرا أن يدرك مسأله المعاد الجسماني، هذه المسأله التى لا يمكن تصورهما إلا إذا كان فى اليد مفهوم دقيق للجسم اللطيف، و هذا هو السبب فى أن ملا صدرا قد انتقد بشأن هذا الأمر الأساسى، كلا الغزالي المتكلم و ابن سينا الفيلسوف (١) ان فلسفه ملا صدرا، ككل الفكر الشيعى، تستلهم مبدأها من البحث فى المعاد، و هذه الفلسفه تتجلى كفلسفه مبنيه على الوحي تجعل فى يد الإنسان أن يختار مستقبله بنفسه. و على أن اعترف ان مما يحير ان الإنسان يشاهد اليوم فى اوربا نجاحا لا يخلو من ضجيج فى اقامه بناء كلامى و فلسفى مجمل يقوم على أساس من العلوم و الصنائع الجديده، و يدعى انه يفتح للإنسان "أبعاده العالميه"، بينما هو تماما "غير انساني"، لذا يمكن لحكيم من مدرسه دينيه أن يقول فى هذا البناء منصفاً كل الإنصاف أنه "إلهيات غلبت على أمرها بالمجهر و المنظار و الآله و نتائجها الفلسفيه و الاجتماعيه.

أما فى رأى ملا صدرا و جميع أتباعه فإنه، على العكس، لا يمكن التحدث عن "الأبعاد العالميه" للإنسان إذا اعتمد على التجربه الحسيه و على الإنسان الجسماني فقط. ان "الأبعاد العالميه" للإنسان تستمد معناها من ارتباطه بالعوالم العليا و احيائه فى هذه العوالم. ان من الواجب أن يوضع يوما كتاب فى فلسفه المعاد خاصه عند ملا صدرا. ان بناء الإنسان المثلث الذى يشمل الجسم و النفس و الروح يوجب أن ينشأ و يرتقى ثلاث مرات على الأقل، إحداها حين يخرج الإنسان من هذا العالم، هذا الخروج الذى نسميه الموت. هنا تحيا الروح فى عالم البرزخ مع جسم لطيف نفسانى و روحانى يسمى الجسم المكتسب و هو يرتبط بوجود النفس و أفعالها و تحركاتها و أميالها، و يتبعها فى عالم البرزخ. هذه المرحله يطلق عليها فى التعبير الدينى القيامه الصغرى. ثم

تصل النفس بعدئذ أثناء تلك الواقعة في ما وراء التاريخ التي يسمونها القيامة الكبرى إلى المقام الكامل للإنسان المعنوي. إذا فما نسميه الجسم يواجه تحولات و تبدلات تطراً عليه تطابق البناء المثلث للواقعيه الإنسانية(٢) يقول ملا صدرا في متن جذاب:

" من هذا التجلي الأتم، يتبدى مظهر أعظم، و من هذا المظهر تطلع الأسماء الباطنه، و من الأسماء الباطنه يتوسع العرش، و من توسع العرش تتوسع دائره الآخره، و من توسع هذه الدائره ينشأ الإنسان و يرتقى نشئاً و ارتقاءً أخرويين تامين "(٣) ترى، أ يمكن لفكر يبسط أمامنا مثل هذه الآفاق ألا يحمل لدينا اليوم أيه رساله؟ انا موقن أنه يحمل رساله! الا اننى أخصكم بخطابى أتم يا اصدقائى الشبان الايرانيين. اننى اعلم أن بينكم أشخاصاً يؤمنون بهذه المعتقدات الرفيعه و يعيشون على أساسها بإيمان و لذه عانيتهما بنفسى و أنا عليهما شهيد، و لكننى أعلم كذلك أن بينكم أشخاصاً آخرين، شبانا أو ممن عبروا سنوات الشباب، يعكسون عند سماعهم بهذه الأسماء و الأفكار رد فعل سلبي ليس أكثر من عذر لجهلهم، أو انهم ينكرونها، و ذلك فى أكثر الموارد أيضاً اعتراف بحزنهم و أساهم على البعد عن هذه المنابع. ان هؤلاء الأشخاص قد جازت عليهم و لا شك خديعه اسطوره " معنى التاريخ " و هم لا يستطيعون أن يفكروا فى الوقت الحاضر بشأن ما يعدونه من الماضى، لأنهم يتوهمون أنهم قد اجتازوه.

اننى أريد ان اسال هؤلاء: اين قدر نهر ما؟ هل يكون هذا القدر فى خليج يحله الاقيانوس فى خضمه؟ أو فى الصحارى الرملية التى يمحي فيها هذا النهر؟ أم تراه يكون فى مبتداه و ينبوعه؟؟؟ أجل، ان قدر نهر من الأنهار إنما هو منبعه و منطلقه. هذا هو الموضوع الذى يمكن التأمل و التفكير فيه حين نظر إلى المسيلات الجافه التى تعبر هضبه ايران المرتفعه.

ان الماضى و المستقبل، و الحياه و الموت، ليست حين تكون مرتبطه".

ص: ٢٠٣

١- راجع الحواشى (٦١٣-٦١٦ وفق ترقيمنا العام) على البند ٢٤٤ من حكمه الإشراق (القسم الثانى، الكتاب الخامس، الفصل الثالث، ص ٢٢٩ من طبعتنا، و ص ٥٠٩ فما بعد من طبعه طهران الحجرية، ١٣١٣) و تحقيقنا resurrection.le the mede الفصل الثالث IE monde del"imagination spirituelle et le corps de resurrection فليقارن بالجسم الهورقليائى فى مدرسه الشيخيه. راجع - Terre celeste .

٢- فريد هوف شووان، ص ٣٩، الحاشيتين ٢ و ١٩٦١: Frithjof Schwon "comprendre L'Islam Paris. حول نظريات نايلارد دوشاردان Teilhard de Chardin. هذا الكاتب نفسه يضيف ان نظريات تاييلارد دوشاردان هى " سقطه كان يمكن تداركها لو كان ثمة قدر ضئيل جدا من المعرفه العقلانيه المستقيمه عن الحقائق المجرده البريئه من ماده "

٣- راجع الحاشيه الطويله جدا ذات الرقم ٦٢٨ (حسب ترقيمنا، و الصفحه ٥١٨ من طبعه طهران الحجرية، ١٣١٥) على البند ٢٤٧ من حكمه الإشراق التى يجب مقايستها على المتن الوارد فى ص ٢٧٢-٢٧٣ من شرح أصول الكافى تحت عنوان " تحقيق عرشى و تمهيد مشرقى "

بالروح، من صفات الأشياء الخارجيه، بل من الصفات المتعلقة بالروح نفسها. نحن أنفسنا الأحياء أو الأموات، و المسئولون عن حياه الأشياء و موتها. لقد كان ملا صدرا يعرف جيدا أننا لن نحصل أبدا على المعرفة الا بنسبه ما لنا من قربى إلى العشق و المحبه، و أن معرفتنا هي صورته العشق نفسها، و كذلك ان ما يسميه الأشخاص العديمو الاحساس و الانتباه "الماضى" هو بالنسبه لحننا فى "المستقبل"، الحب الذى هو مبدأ المستقبل، لأنه واهب الحياه إذا يجب أن تكون لنا شجاعه و ورود ميدان الحب، و ألا يكون بنا خوف أن "لا نكون عصريين" و مماثلين للجماعه، و أمثال هذه من الاصطلاحات المبتذله، لأن الحكيم يعرف أن الزمان ليس مركبا مشتركا بين الجميع على السويه، بل هو ميزان امتحان كل موجود، الميزان الذى يمتحن عظمته أو - على العكس - سقوطه المؤسف.

و لئن كان يدعو للاضطراب و القلق مثل الورطه العميقه التى تفصل بين ما فى الإنشاءات الجديده من لهيب و صداع، (هذه الصنائع الجديده التى تستعمل للانتصار على العالم) و بين المساعى و الفعاله المعنويه التى بذلها حكماؤنا الذين وفقوا إلى تجاوز حد لم يكن لأى نوع من أنواع الصناعات أن يذللها، فانى أتذكر مشهدا مؤلما له ميزه التمثيل و الرمز. ان فكرى متجه إلى حضور محيى الدين بن عربى تشييع جنازه ابن رشد، ففى سنه ٥٩٥ توفى الفيلسوف الشهير ابن رشد فى مراکش التى كان اتخذها معتزلا التزم فيه الوحده و الانزواء، و قد نقلت جنازته إلى قرطبه، و حضر مراسم دفنه ابن عربى مع اثنين من أصدقائه، و هناك رأى الثلاثه مشهدا موجعا جعلهم حيارى ذاهلين، ففى جانب من جانبى المركبه كان الناقلون قد وضعوا تابوته، و فى الجانب الآخر الكتب التى كان ذلك الفيلسوف قد ألفها و وضعها.. مجموعه من الكتب كانت تعادل جسدا ميتا.

ان ابن عربى لم ينس قط الخاطر الذى قام فى فؤاده: "الأستاذ فى جانب، و آثاره فى الجانب الآخر! كم كنت اتمنى أن أعلم هل تحققت آماله؟! " (١) قلت منذ هنيهه أن لهذا اللقاء وجهها تمثيلى و رمزيا. و الحق انه فى ذلك الوقت الذى بدأت فيه فلسفه ابن رشد بعد وفاه مؤسسها تقدمها فى ديار الغرب حتى استبدلت أخيرا فى القرن الرابع عشر بما أسموه "الفلسفه الابن رشديه السياسيه"، فارق ابن عربى - الذى ذكرناه الآن واحد كبار العرفاء و الحكماء فى التاريخ كله - بلاد الأندلس إلى الأبد ليختار لنفسه ديار المشرق مقاما و مستقرا، و لينبسط تأثيره النافذ القوى لا فى أفكار ملا صدرا وحده بل فى جميع المذاهب و النزعات المعنويه و حتى اليوم. أن ديار المشرق لم تعرف ابن رشد، أما الغرب فقد كان على معرفه وثيقه بالفلسفه الابن رشديه و نتائجها، و لكنه جهل ابن عربى. أننا نستطيع أن نتساءل: هل للعلم العصرى فى نظر ابن عربى و ملا صدرا و جميع معتقى مذهبهما، هذا العلم الذى تم انتصاره مقابل فوضى الفكر البشرى و الفلسفه، و الذى يؤدى إلى فقدان شخصيه الإنسان فى جمهور بلا اسم، و ينتهى أخيرا إلى قبول العدم دون قيد أو شرط، هل لهذا العلم فى نظرهم قيمه أكثر من قيمه "مجموعه من كتب تحفظ جسدا ميتا بالتوازن"؟ هل كانوا يؤمنون بتحقيق كل أمنيه لهم؟؟ هذا هو السبب و لا شك فى أن عصرنا بطريق أولى يتحدث بياس و أسى عن محبه انسانيه جديده دون أن يعلم أكثر الأحيان فى الواقع فى أى موضوع يتحدث.

### محمد بن أبى حرب بن محمد الحسينى أبو جعفر.

فى التدوين للرافعى: كان يعرف طرفا من فقه الشيعه و يكتب الوثائق لهم و كان سهلا سليم الجانب و قرأ النهايه لآبى جعفر الطوسى على على بن الحسن الداعى الحسينى الأسترآبادى بالرى سنه ٥٥٥ و هو يرويها عن أبى عبد الله الحسين عن شيخه أبى على الحسن بن محمد عن أبيه المصنف.

و ترجم له ابن حجر فى لسان الميزان ١٢٠/٥ و حكى كلام الرافعى إلى قوله الطوسى.

أقول: و يظهر ان هذا غير مهدي بن أبى حرب نزار الحسينى أبى جعفر. و ان اتحدا فى الكنيه و كنيه الأب فان مهديا يروى عن أبى على الطوسى مباشرة كما فى أعلام الشيعة

### **محمد بن أبى على بن أبى نصر النوقانى.**

المولود بنوقان طوس سنة ٥١٦ و المتوفى ببغداد فى الثالث من صفر سنة ٥٩٢ و نقلوه إلى النجف الأشرف فدفن فى مشهد أمير المؤمنين ع بعد أربعة أيام.

ترجم له المنذرى فى التكملة برقم ٣٠٩ و وصفه بالإمام العالم أبى عبد الله و يقال، أبو المفاخر.. و قال:

تفقه بنيسابور على الامام أبى سعد محمد بن يحيى النيسابورى و سمع منه و حدث عنه ببغداد و درس ببغداد و كان بارعا فى الفقه حسن الكلام فيما يقرره و هو والد شيخنا أبى عبد الله محمد.

### **الشيخ أبو منصور محمد بن أبى العباس احمد بن يحيى بن زيد بن ناقة**

المسلى الكوفى.

المولود بالكوفة سنة ٥٣٠ و المتوفى ببغداد فى الثالث من جمادى الآخرة عام ٥٩٣ و المدفون بالكوفة.

ترجم له المنذرى فى التكملة رقم ٣٨٨ فقال: الشيخ الأجل...

سمع من أبى العباس احمد و حدث و هو منسوب إلى بنى مسليه و هى احدى محال الكوفة كان ينزلها فنسب إليها و هذه المحله نسبت إلى بنى مسليه القبيله المشهوره من مذحج نزلوها فنسبت المحله إليهم.

### **السيد محمد بن احمد بن حسن بن حسين الحسينى.**

توفى بعد سنة ١٢٤٤.

عالم جليل و محقق مدقق رأيت له بعض التعليقات على كتاب شرح المختصر النافع تدل على سعه اطلاعه كانت مؤرخه فى سنة ١٢٤٤ و توفى بعد هذا التاريخ. (٢)

### **السيد محمد بن أبى طالب بن السيد محمد شيخ الإسلام الحسينى**

الرامسرى.

ولد حدود ١٢٥٩، توفى ١٣٢٥.



ولد فى رامسر و درس المقدمات بها ثم ذهب إلى قزوین و أصفهان و اشتغل عند اعلامها فى الفقه و الأصول و الفلسفه و النجوم و العلوم الغربیه ثم رجع إلى موطنه و عین سنه ١٢٩٦ شیخ الإسلام من قبل ناصر الدین شاه القاجارى و كان شاعرا أدبیا و له مكتبه نفیسه فیها كتب خطیه نادره تفرقت بعد وفاته و كان من الأحرار فى قضایا الدستور الاىرانى - توفى فى جورديہ من

ص: ٢٠٤

---

١- من أجل الوقوف على قصه هذه الحادته راجع: L'imagination creatrice dans le Soufilme d'ibn Arabi

Paris ١٩٥٨ ص ٣٢-٣٨ فما بعد.

٢- الشيخ محمد السامى.

ضواحي رامسر و دفن بها.(١)

### أبو القاسم محمد بن احمد بن مهدي العلوي.

المتوفى فى ذى القعدة سنة ٤٦٥ بنيسابور ترجم له فى منتخب السياق برقم ١٢٠ و قال: فاضل من دعاه الشيعة عارف بطرقهم و علومهم سمع و روى. توفى فى ذى القعدة سنة خمس و ستين و اربعمائه و دفن بمقبره الحيره.

و ترجم له ابن حجر فى لسان الميزان ٣٧/٥ رقم ١٢٥ و قال: روى عن أبى عبد الرحمن السلمى و عبد الله بن يوسف و غيرهما. (و روى) عنه زاهر و وجيه ابنا طاهر و عبد الغافر الفارسى و قال: كان من دعاه الشيعة و غلاتهم عارفا بطريقهم مقدا فيهم توفى سنة ٤٢٥.(٢)

### محمد بن احمد بن حمدان المعروف بالخباز البلدى.

نسبه إلى (بلد) و هى مدينه بالجزيره التى منها الموصل.

ترجم له الثعالبي فى اليتيمه و قال: كان اميا و كان حافظا للقرآن يقتبس منه و كان يتشيع.

و ترجم له الصفدى فى الوافى بالوفيات ٥٧/٢ و أورد له شيئا من شعره و أورد أبو بكر بن عبد الله بن ابيك صاحب صرخد فى كتاب كنز الدرر و جامع الغرر فى المجلد الرابع منه فى تاريخ الأميين و اسمه الدر اليتيمه شيئا من شعره و قال: و كان فيه تشيع منها قوله:

ان كان حبي خمسة زكت بهم فرائضى

و بغض من ناواهم رفضا فانى رافضى

و أورد القفطى فى ابناه الرواه شيئا من شعره و له ترجمه فى الأمل و نسمة السحر و ترجم له القفطى فى المحمدون من الشعراء أيضا ص ٣١ رقم ١٣ قال هو من بلده يقال لها بلد من بلاد الجزيره التى منها الموصل و أبو بكر محمد احمد الخباز هذا من حسناتها و من عجيب شأنه انه كان أميا و شعره كله ملح و تحف و غرر و طرف و لا تخلو مقطوعه له من معنى حسن أو مثل سائر... و كان حافظا للقرآن مقتبسا منه فى شعره.

ثم أورد له شيئا من شعره ثم قال: و كان يتشيع و يتمثل فى شعره بما يدل على مذهبه كقوله:

و حمائم نيهنى و الليل داجى المشرقين

شبهتهن و قد بكين و ما ذرفن دموع عين

بنساء آل محمد لما بكين على الحسين

و كقوله:

جحدت ولاء مولاي على و قدمت الدعى على الوصى

متى ما قلت ان السيف امضى من اللحظات فى قلب الشجى

لقد فعلت جفونك فى البرايا كفعل يزيد فى آل النبى

(٣)

### شرف الدين محمد بن احمد بن يعلى الهاشمى.

روى عن محمد بن عبد الله بن حبيب العامرى الواعظ كتابه روضه أفهام اولى الألباب فى شرح معانى الشهاب فى شهر رمضان سنة ٦٢١ بثغر الإسكندريه و رواه عنه معين الدين أبو على الحسن بن فتوح القرشى ذكره ابن الفوطى فى ترجمه معين الدين من تلخيص مجمع الآداب ٦٥٧/٥ رقم ١٤٢٤ و كذا ذكر فى ٧٥٢/٥ رقم ١٩٥١ موفق الدين أبا المعالى سعد ابن عبد العزيز القرشى الشافعى و أنه سمع الكتاب على المترجم.

### محمد بن احمد بن محمد الملقب ذو اليراعين.

قال ابن ناصر: رافضى لا تحل الروايه عنه! كذا فى ميزان الاعتدال.

و قال ابن حجر فى لسان الميزان ٦١/٥ رقم ٢٠٣ و هذا ذكره ابن السمعانى و قال كان متصرفا فى عمل السلطان سمع أبا القاسم بن بشران و حدث باليسر روى عنه إسماعيل السمرقندى مات سنة ٤٧٨.

### محمد بن احمد بن محمد بن خلف أبو الحسن بن الفحام.

المعروف بابن أبى المعتمر الرقى نزيل دمشق المتوفى سنة ٣٩٩.

قال فى لسان الميزان ٢٥١/٢: قرأ على زيد بن أبى بلال و غيره و حدث عن النجاد و طبقتة و عنه أبو القاسم الحنائى و أبو على الاهوازى و آخرون ذكره الدانى و قال: كان زاهدا متقشفا مات سنة ٣٩٩ صنف كتابا فى انكار غسل الرجلين فى الوضوء و كتابا فى الآيات النازله فى أهل البيت.

### محمد بن احمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن إبراهيم بن جعفر بن

إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر الطيار أبو الحسن بن أبى

طاهر.

المولود سنة ٣٢٤ و المتوفى سنة ٣٨٥.

ترجم له الرافي في التدوين و قال: كان هو و أخوه أبو القاسم مشغوفين بالصدقات و أعمال الخير و كان إليهما الرئاسة بقزوين و كان صاحب بن عباد يخصصهما بقبول الهدايا اللطيفة نحو المجلدات من الكتب و الحلوى و سمع أبو الحسن الحديث من العليين ابن مهرويه و ابن إبراهيم، و سليمان بن يزيد و بالرى من عتاب الوراميني و غيره.

و حج سنة ٣٥٧ ففات في تلك السنه الحج لاكثر الناس بسبب إعواز الماء و شدة الوباء فبذل مالا لبعض الاعراب حتى سار به إلى عرفات فحج و فرق هناك أموالا على الطالبية و البكريه و العمريه. و مات سنه ٣٨٥ و كانت ولادته سنة ٣٢٤ و لم يعقب هو و لا أخوه ذكرا. (٤)

### محمد بن احمد الحيرى

قال الذهبى فى سير اعلام النبلاء:

الامام المحدث الثقه، النحوى البارع، الزاهد العابد، مسند خراسان، أبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان بن على بن سنان الحيرى.

ولد سنه ثلاث و ثمانين و مائتين.

و ارتحل به والده الحافظ أبو جعفر إلى العجم، و العراق، و الجزيره، و النواحي، و سمعه الكثير، و طلب هو بنفسه، و كتب و تميز، و برع فى العربية، و مناقبه جمه رحمه الله.

ارتحل إلى الحسن بن سفيان النسوى فى سنه تسع و تسعين، و هو ابن ست عشره سنه، أو أكثر فسمع منه الكثير، و إلى الأهواز فأكثر عن عبدان الجواليقى، و إلى الموصل فأكثر عن أبي يعلى، و إلى جرجان فأكثر عن عمران بن موسى بن مجاشع السخيتانى، و سمع بالبصره من زكريا الساجى، و محمد بن الحسين بن مكرم، و إلى بغداد فاخذ عن أحمد بن الحسن الصوفى، و حامد بن شعيب البلخى، و الهيثم بن خلف الدورى، و محمد ابن عبد الكريم الجرجانى، و ابن خزيمة، و السراج، و محمد بن عبد الله بن جرير الطبرى، و روى أيضا عن أحمد بن محمد

ص: ٢٠٥

١- الشيخ محمد السمامى.

٢- السيد العبد العزيز الطباطبائى.

٣- السيد العبد العزيز الطباطبائى.

٤- السيد العبد العزيز الطباطبائى.

يوسف الدورى، و عبد الله بن محمد بن يونس السمنانى، و أبى عمرو أحمد ابن نصر الخفاف، و أبى قريش محمد بن جمعه، و يعقوب بن حسن النسائى، و عبد الرحمن بن معاذ النسائى، و جعفر بن أحمد بن نصر الحافظ، و عبد الله بن محمد بن شيرويه، و محمد بن محمد بن سليمان الباغندى، و على بن حمدويه الطوسى، و جعفر بن أحمد بن سنان، و على بن سعيد العسكرى القطان، و عبد الله بن زيدان البجلي بالكوفه، و على بن الحسين البشارى، و حمزه بن محمد الكوفى، و محمد بن زنجويه بن الهيثم، و محمد بن أحمد بن عبد الله الراذانى بنسا، و أحمد بن محمد بن عبيده الثعالبى، و أبى العباس بن عقده، و عبد الله بن محمد بن سيار الفرهادانى، و إبراهيم بن على العمرى، و محمد بن أحمد بن نعيم، و عبد الله بن أبى سفيان الموصلى، و أبى بكر بن أبى داود، و العباس بن الفضل بن شاذان الرازى، و شعيب بن محمد الزراع، و الحافظ أبى بكر أحمد بن على و عبد الرحمن بن أبى حاتم، و محمد بن مخلد الدورى، و محمد بن هارون ابن حميد، و أحمد بن محمد بن بشار بغدادى يعرف بابن أبى العجوز، و محمد بن محمد بن عقبه الشيبانى، و الحافظ أحمد بن يحيى بن زهير التستري، و غيرهم، و تفرد بالروايه عن طائفه منهم.

حدث عنه: أبو عبد الله الحاكم، و أبو سعيد النقاش، و أبو حازم العبدوى، و أبو العلاء صاعد بن محمد الهروى، و أبو نعيم الأصبهاني، و أبو الفتح بن أبى الفوارس، و أبو حفص بن مسرور، و أبو الحسين عبد الغافر الفارسى، و أبو سعد محمد بن عبد الرحمن الكنجرودى، و محمد بن محمد بن حمدون السلمى، و أبو عثمان سعيد بن محمد البحيرى، و محمد بن عبد العزيز النيلي الشافعى، و آخرون.

قال الحاكم: ولد له بنت، و عمره تسعون سنه، و توفى و زوجته حبلى، فبلغنى أنها قالت له عند وفاته: قد قربت ولادتى، فقال: سلمته إلى الله، فقد جاءوا ببراءتى من السماء، و تشهد، و مات فى الوقت.

أبى شيبه، و مسند أبى يعلى الموصلى، و مسند عبد الله بن شيرويه، و مسند السراج، و مسند هارون بن عبد الله الحمال.

قال الحاكم: كان المسجد فراشه نيفا و ثلاثين سنه، ثم لما عمى و ضعف، نقل إلى بعض أقاربه بالحيره، و كان من القراء و النحويين، و سماعاته صحيحه، رحل به أبوه، و صحب الزهاد، و أدرك أبا عثمان و المشايخ، و سمع من محمد بن زنجويه فى سنه خمس و تسعين، و مائتين، توفى فى الثامن و العشرين من شهر ذى القعدة سنه ست و سبعين و ثلاث مائه، و هو ابن ثلاث و تسعين أو أربع و تسعين سنه، و صلى عليه الحافظ أبو أحمد الحاكم.

و قال الحافظ محمد بن طاهر المقدسى: كان يتشيع.

قلت: تشيعه خفيف كالحاكم.

وقع لى جمله من عواليه، و خرجت من طريقه كثيرا.

**محمد أولجايتو خدابنده بن ارغون بن أبقا بن هولاكو**

مرت ترجمته فى المجلد التاسع و نزيد هنا عليها التفاصيل الآتية:

كان اولجايتو فى خراسان يترقب خبر وفاه غازان، و كان قد عين مراسلين فى البلاط ليلغوه هذا النبا لذلك فإنه عرف بوفاه أخيه قبل أن ينتشر خبرها و تمكن من أن يعقد اجتماعا مع أمراءه، و يتخذ القرارات التى يعتقد انه لا بد منها، و فى أول اجراءاته (٢٤ شوال ٧٠٣) كان أمره بقتل الأمير الافرنك. ثم قرر الاطاحه بالأمير هورقوداق الذى كان يعتبره منافسا له، و لقد دهش هذا الأمير مما ناله لانه لم يكن قد آذى الحاكم الجديد و لهذا فإنه بعد القتال مع أمراء الجايتو، هرب من هناك، و لكنهم قبضوا عليه و اعتقلوه ثم قتلوه بتهمه الخيانه. و كان مصير جميع أفراد عائلته نفس المصير عدا احدى بناته.

توجه الجايتو عند ذاك نحو الغرب، و لكن الأمطار الغزيره عرقلت مسيرته إلى أن وصل فى الخامس من ذى الحجه سنه ٧٠٣ إلى أوجان و جلس فى الخامس عشر من ذى الحجه على العرش. و بعد ذلك و حسب العاده أقيمت المآدب التى شارك فيها ممثلون عن المملوك المحليين، و لم يحضر فى هذه الاحتفالات ممثل عن فخر الدين ملك هرات.

الايخان الجديد عين قتلغ شاه أميرا للأمرء، و انضمت منطقته كرمان التى كان حاكمها المحلى قطب الدين شاه جهان سبور غاميش قد توفى، - انضمت رسميا إلى اراضى الايلخان.

و كانت اداره البلاد بايدى الوزيرين سعد الدين و رشيد الدين و استمرت هذه الحاله ثمانى سنوات.

أرسل الجايتو وفدا إلى بلاط السلطان المملوك، و أرسل سلطان مصر كذلك وفدا يترأسه كل من حسام الدين المجيرى و ابن سكرى احتراماً للايلخان. و طلب الجايتو من المبعوثين المصريين الإفراج عن السجناء المغول و هدهما حسب عادته بكلمات و عبارات ناييه. علما بان هذه التهديدات لم تكن ذات صله بالهزائم التى لحقت بالمغول فى سوريا. و مما قاله: "الطريق مفتوح أمام الرسل و التجار و كل شىء حاضر، إذا وافق الجانبان، و إذا لم تكن لديهم آذان صاغيه، فالأمر للسيف". و بالرغم من أن المماليك أرسلوا رسولا فى سنه ٧٠٥ إلى بلاط الايلخان، الا- أنهم هاجموا فى نفس الوقت ارمينيا الصغرى و نهبوا عاصمتها سيس، و اجبروا تكفور حاتم على الاستقاله للمره الثالثه، و نصبوا مكانه ابن أخيه ليون الرابع.

و خرجت ارمينيا الصغرى فى عهد هذا السلطان و خلفائه من هيمنه المغول و سلطتهم. و فى سنه ٧٠٧ هجرية هاجم مسلمو آسيا الصغرى بقيادة بولارغى، ارمينيا الصغرى. فاستنجد ليون الرابع بالملك الناصر سلطان مصر و طلب منه العون، فغضب بولارغى من هذا العمل بحيث قتله فى بلاط ملك ارمينيا و هرب أحد أفراد الحاشيه من هذه المعركه و أبلغ الأمر إلى القاده الأرمن، مما دفع بهم إلى الهجوم على قوات المغول التى كانت فى ارمينيا، و ربما كان هؤلاء يعتقدون ان المغول الذين كانوا يحكمون آسيا الصغرى هم السبب لهذا الحادث. فاضطرت القوات المهاجمه للانسحاب إلى قيصريه.

فى ذلك الوقت أدرك الجايتو الأذى الذى سببه بولارغى بسبب سوء معاملته، و لهذا بعث بالأمير ارنجن إلى آسيا الصغرى لعزل بولارغى و إلغاء الأوامر التى كان قد أصدرها. الا أن هذا الأمر لم يخفف من التطورات التى كانت قد بدأت فى ارمينيا الصغرى.

و فى جمادى الأولى من سنه ٧٠٥ جاء مبعوث من قبل القاآن إلى بلاط الجايتو، و قال ان القاآن يعترف بحكومته و أن الأوضاع

فى ما وراء النهر على ما يرام. و كان مبعوثو ما وراء النهر قد حضروا إلى بلاط الايلخان آنذاك و أقيمت احتفالات خاصة على شرفهم.

كان الجايو يهتم كثيرا بالتنسيق فى العلاقات بين الحكام المغول و لهذا فإنه أرسل وفودا إلى فيليب الرابع ملك فرنسا (١٣١٤ - ١٢٨٥ م) و إدوارد الأول ملك انكلترا ( - ١٢٧٢ م) و أبلغهم بالخبر.

و فى سنة ١٣٠٧ م أمر الجايو ببناء مدينه سلطانيه حيث ظلت عاصمه الايلخانيين إلى نهايه حكومتهم فى ايران.

ص: ٢٠٦

بدأ الجايو بعض الاجراءات لاقامه خطوط مواصلات جيده مع خراسان ليحقق انتصارات حريه و لم يسبق للملوك السابقين ان فعلوا ذلك: حيث قرر بعد استشاره الأمراء الهجوم على كيلان. و حسب العاده القديمه وجه الايلخان الدعوه إلى اثني عشر أميراً محلياً في تلك المنطقه للمجىء إلى بلاطه، الوحيد الذى استجاب للدعوه كان الديداج، الا انه ندم بعد فتره قصيره و هرب بصوره سريه. ففى هذا الوقت زحفت قوات الايلخان، أما القاده الذين كان الايلخان قد أرسلهم لتقصى الأخبار فذكروا فى تقاريرهم انه يمكن الاستيلاء على هذه المنطقه بسهوله و كانوا يعتقدون أن كيلان منطقه مهمه من الناحيه الجغرافيه و خطوط المواصلات الموجوده فيها.

هاجمت قوات الايلخان منطقه كيلان من أربع نقاط بقياده جوبان و قتلغ شاه و توغان و مؤمن تحت إشراف الجايو، و شاركت فى هذا الهجوم قوات كرجستان بقياده بكعه و وحدات من أرض آس. و كان ختنك الثالث ملك كرجستان حاضراً فى جيش الجايو الذى تجمع فى لاهيجان.

تغلب جوبان و قتلغ شاه على عدد من أمراء كيلان و لكن بالرغم من تعليمات الايلخان نفسه، فقد تقدم قتلغ شاه بإلحاح من ابنه، فى منطقه خلخال و لكنه هزم على ايدي المحاربين المحليين فى ضواحي رشت و قتل. و كان الايلخان نفسه قد بدأ هجومه فى ذى القعدة سنه ٧٠٦، فهزم عدد من الحكام المحليين و لكن لما قررت قوات المغول الاستمرار فى اعتداءاتها. اجتمع الحكام المحليون و قرروا الصمود أمام المعتدين و اشتدت الحرب بينهم و أسفرت عن هزيمة قوات المغول، الا أن القوات التى كان الجايو قد أرسلها للانتقام لدماء قتلغ شاه تمكنت من احتلال مؤمن [فومن] و رشت و توليم. و بالرغم من أن قوات المغول لم تتمكن من الاحتفاظ بالأراضى التى احتلتها، الا أن الايلخان كان يتصور ان كيلان قد احتلت، و لكن يجب القول، انه لم يطرأ اى تغيير فى الأوضاع فى هذه المنطقه:

و فى هذا الوقت بعث الجايو، دانشمند بهادر إلى خراسان لتأديب فخر الدين ملك هرات لأنه كان قد استمر فى أعماله العدوانيه عند ما كان الايلخان فى خراسان كما انه رفض أن يوفد رسلا عنه إلى احتفالات تتويج الايلخان. و لما وصل دانشمند إلى مدينه نيشابور، علم فخر الدين بهذا الهجوم و تمكن من أعداد نفسه للوقوف بوجهه. و فى بدايه الأمر رفض ملك هرات طرد نيكوداريان من المدينه، الا انه وافق بعد ذلك بان يدخل دانشمند و جماعه من قواته إلى المدينه و لكن لما رفض جمال الدين سام أحد أشرف مدينه هرات تكريم الجايو، فقد صعب الأمر على دانشمند. كما تمكن دانشمند بصعوبه أن يحصل على موافقه الايلخان على إبقاء فخر الدين حاكماً على المدينه. و فى المأدبه التى أقامها سام على شرف دانشمند و مرافقيه، شاهد هؤلاء أفراداً مسلحين فى تلك المأدبه، و فى المعركه التى وقعت بينهم قتل الأمير يلدوز قائد قوات المغول و استهزءوا بزوجه و قتلوا جميع القوات التى كانت معه و أجبروا تلك القوات التى كانت قد استقرت فى بوابه المدينه على التراجع و الانسحاب، و فى النهايه و لما كان فخر الدين قد أيد هذه المجزره فقد كانت الفرصه متاحه أمامه.

و من جانبه أرسل الجايو، بوجاى ابن القائد المقتول إلى الشرق للانتقام، و اتحد هذا مع شقيقه توغان، و أجبر هذان الاثنان، فخر الدين على المجىء إليهما. و ادعى فخر الدين انه برىء من قتل دانشمند بهادر و أضاف أن أهالى هرات و من بينهم جمال الدين سام لا يسمعون كلامه و لا يطيعونه. و فى النهايه بدأ بوجاى فى الأول من شهر شعبان سنه ٧٠٦ بمحاصره المدينه. و كان مع سام ١٧٠٠ من الجند بينهم عدد من المحاربين البلوش، حيث قام بهجمات داميه على قوات المغول. و فى هذه الأثناء توفى



قرر يام احمد الذى كان من الرماه و تمكن بالمساعى التى بذلها أن يصبح ضمن مستشارى فخر الدين، - قرر أن يقتل سام و ينقذ المدينة. الا أن مؤامرتة كشفت و قتل يام و رفاقه. و فى هذه الأثناء التحقت احدى الفرق التى كان يقودها دولاي، التحقت ببوجاى و لما كان بوجاى لا يرغب أن يتقاسم الانتصار لفتح المدينة مع القائد الجديد، عقد اتفاقا مع سام الذى كان قد قتل أبوه، بان يتخلى سام عن المدينة لصالح بوجاى، شريطه أن يعفو بوجاى القائد الهراتى من العقوبه. و فى الثانى و العشرين من ذى الحجه سنه ٧٠٦ و تحت ضغط سكان مدينة هرات، سلم سام المدينة إلى المغول. و أمر بوجاى بتدمير برجها و قلاعها. و فى الأيام التاليه كاد سام و هو سكران أن يلطخ يده بدم بوجاى، الا أن أصحابه و من أجل مدينة هرات منعه من ذلك. و لما كان الكثير من أصحاب سام قد قتلوا تم إبعاده إلى بين النهرين، و لكن حياته لم تستمر طويلا و عادوا به مقيدا بالسلاسل إلى هرات و قطعوا رأسه. و تمكن المغول من خلال عدده هجمات أن يسيطروا على خراسان كلها. و بدأ فى هذا الوقت فى جميع أنحاء الشرق بل و فى جميع المناطق التى كان يسيطر عليها الايلخان، عهد هدوء و استقرار.

و أرسل الجايتو فى سنه ١٣٠٨ ميلاديه رسلا إلى بلاط قاآن ظلوا فى الصين أربع سنوات. مهدوا خلالها لارسال وفد من جانب القاآن إلى بلاط الايلخان.

و لقد تم اعتقال أعضاء هذا الوفد فى طريق عودته فى تركستان.

استمر الايلخان فى سياسه غازان المالىه و اهتم كذلك بالقضايا الدينيه، و فى سنه ١٣١٠ م قبل المذهب الشيعى.

بعد فتره قصيره فى شوال سنه ٧١٠ حصل خلاف بين الوزيرين سعد الدين الساوجى و رشيد الدين حول تعيين تاج الدين على شاه وزيراً و نائبا مما جعل رشيد الدين يغيب عن الديوان فتره من الزمن. فسأل الجايتو عن سبب هذا الغياب و بعد الاطلاع على ذلك استدعى سعد الدين فى يوم الثلاثاء العاشر من شهر شوال سنه ٧١١ و أمر بقتله بسبب الاختلاس.

و اضطر رشيد الدين بعد ذلك أن يقسم اداره أمور الديوان بينه و بين تاج الدين على شاه الذى كان صديقه فى البدايه و لكن حصلت الفرقة بينهما بعد ذلك.

كانت الحدود بين دوله الايلخان و الحكومه فى مصر هادئه بعد هزيمه بولاىرغى، و استغل حكام قباچاق و بيزنطه و ارمينيا الصغرى و كرجستان هذا الهدوء و الاستقرار فأرسلوا وفودا إلى بلاط سلطان المماليك لتعزيز و تثبيت امن بلدانهم. و لم تكن للمغول عند ذاك أية سلطه على ارمينيا الصغرى الا أن كرجستان كانت فى أيديهم. و لما توفى وختنك الثالث (فى ١٣٠٧ أو ١٣٠٨ ميلاديه) و داود السادس (١٣١٠ ميلاديه)، عين الجايتو، جورج السادس ابن داود السادس ملكا على كرجستان.

و كان الايلخان مضطرا آنذاك الاهتمام بالقوقاز، حيث أن حكام قباچاق كانوا لا يزالون يدعون ملكيه تلك الأرض. و بالرغم من أن تفتغا كان قد أرسل وفدا إلى الايلخان فى بدايه حكومه الجايتو و طلب منه المصالحه و السلام، الا ان الايلخان اضطر بسبب تحشدات جنود حاكم قباچاق، أن يرسل جوبان إلى دربند عبر طريق كرجستان.

ان الاجراءات و التدابير التى قام بها هذا القائد فى المنطقه، دفعت تقفعا ثانيه أن يرسل فى التاسع و العشرين من ذى الحجه سنه ٧٠٩ وفدا إلى بلاط الايلخان فى السلطانيه للمحافظه على السلام. و لكن و بعد أن جلس ازبك على عرش سراى خلفا لعمه، أرسل وفدا إلى الجايو و أبلغه الادعاء القديم القائل بتملكه للقوقاز. و كان الجواب فى السلطانيه هو الرفض طبعا

ص: ٢٠٧

و لكن لما كان متعذرا على ازبك أن يحقق غايته بالقوه، و لما كان الجايو لا ينوي المصالحة فقد رأى حاكم قبجاق من الأفضل أن يكسب رضا الايلخان. و لذلك أرسل وفدا إلى بلاط الايلخان للاعتذار، و وصل هذا الوفد إلى عاصمه الجايو فى الخامس و العشرين من المحرم سنة ٧١٤ و حاول أن يجدد الاتفاق إلى حد ما، الا ان العلاقات بين البلدين لم تعد إلى مجراها الاعتيادى، و أرسل حاكم قبجاق بعد ذلك سفراء إلى عاصمه الجايو و لكنه لم يجدد ادعاءه و ملكيته القوقاز.

و فى سنة ١٣١٢ ميلاديه هاجم الجايو، حكومه المماليك. و كان قد جاء اليه حكام كثيرون بينهم شمس الدين قرا سنقر حاكم دمشق، و شجعوا الايلخان على الهجوم على حصن الرحبه عن طريق الموصل. و قام المغول بمحاصره هذه القلعه و احتلوها فى يوم الأحد الثالث عشر من شهر شوال سنة ٧١٢. و يقول المؤرخ المصرى المفضل ان الجايو بعد التوقيع على الاتفاق اضطر إلى مغادره الحصن بسبب قله المواد الغذائيه. و تفشى بعض الأمراض المعديه. ان الهجوم المضاد للمصريين جاء بعد فتره اخرى.

و بعد هذا الهجوم بدأت الاضطرابات فى آسيا الصغرى. حيث أن سلطه ملوك السلاجقه فيها بدأت تتقلص رويدا رويدا و الحكومات التركيه المحليه بدأت تحصل على استقلالها. و فى سنة ٧١٤ هجريه ثار التركمان و القرامان و استولوا لفته قصيره على قونيه و ملطيه، الا- ان الأمير جوبان بالرغم من أن المصريين كانوا يعززون الثوار، تمكن بمساعدته القوات الكرجيه أن ينهى هذه الثوره. كما كانت الحكومات المحليه تسبب مشاكل كثيره للمغول و لم تتمكن قوات المغول ابدا من أن تقيم لنفسها مواقع حصينه فى المناطق الجبلية. و يقال ان غازان كان قد وصف القرامان ذات مره بأنهم ألد أعدائه.

لا- يعتقد أن هذه الأمور هى السبب فى قطع الايلخان هجماته على حكومه المماليك. ان كيك و يساور و هما حاکمان فى ما وراء النهر كانت لهما علاقات مع المصريين، و كانا قد عبرا نهر جيحون فى نهايه شهر رمضان سنة ٧١٣، و أن بوجای الذى كان فى خراسان مع جيوشه تمكن بمساعدته جيوش بدخشان، التى كانت قد جاءت إلى تلك الولاية آنذاك، أن يقابل أحد جيوش ما وراء النهر، و لكن لما كانت جيوش ما وراء النهر الرئيسيه قريه إلى هناك، و من جانب آخر حصلت اضطرابات فى فارس، فان القائد المغولى اجتنب الحرب، الا أن جيوش بوجای و يساول القائد المغولى الآخر وقفت أمام جيوش كيك على ضفاف نهر مرغاب. و إن بوجای قتل مع مرافقيه الأوفياء، و أن يساول حسب الظاهر تمكن مع سبعة آخرين أن يهرب من المعركه، الا أن جيوش ما وراء النهر لم تتمكن من تحقيق ما تريد من هذا الانتصار و أن كيك أفرج عن المعتقلين و سمح لهم بالذهاب.

توجه الجايو و جيوشه نحو الشرق بسرعه و تقدموا حتى طوس. و جاء يساول إلى هذه المدينه أيضا، و قتل حاكم المدينه بسبب بعض المشاكل التى أوجدها. و من هذه المدينه بدأت جيوش الجايو هجومها على كيك و طردوه من خراسان و أجبروه على العوده إلى بخارا، و فى هذا الوقت أعاد الجايو النظر فى أوضاع خراسان.

و من أجل تعزيز موقف الحكومه، كما كانت العاده المتبعه آنذاك، فقد عين الجايو ابنه أبو سعيد الذى كان شابا، على حكومه خراسان. و أرسل معه الأمير سونج بصفته وزيرا. و فى سنة ٧١٥ هجريه أنزل أغول و هو من قبيله قيبدو خسائر و إضرارا كبيره بخوارزم و مازندران. و لما كان الايلخان يعتقد أن حاكم قبجاق هو الذى دفع أغول إلى هذا العمل. فقد حصل خلاف بينه و بين حاكم قبجاق.

لقد وقع حادث سهل قيام الأمن و الاستقرار فى المناطق الشرقيه.

حيث انه بعد هجوم كبيك و يساور الذى باء بالفشل، حصل خلاف بينهما، و أن كبيك اتهم يساور بتعاونه سرا مع الجاييتو، و لما رأى يساور ان حياته مهدده بالخطر، عبر نهر جيحون و استقر فى ضواحي شبورغان. و من هناك اتصل مع حاكم ايران. و فى (ذى القعدة سنه ٧١٤) تصور الجاييتو أن ازبيك و الملك الناصر قد اتحدا معا ضد كبيك و لهذا فقد رحب بيساور و استقبله و أعلن دعمه له أمام جيوش كبيك. و خصص له منطقه بادغيس مخيما شتويا لجيوشه.

أما فى مسأله اداره أمور الديوان فان الخلاف بين رشيد الدين و تاج الدين على شاه، الذى كان يعادى الأمير توقماق أيضا، بلغ حدا بات معه من الضرورى فصل وظيفه كل منهما عن وظيفه الآخر، الا أن الجاييتو لم يتمكن من أن يتخذ قرارا فى ذلك، حيث كان يعتقد ان استشارتهما مفيده له جدا.

كان من الضرورى حل هذا الخلاف و لكن الجاييتو لم يتمكن من ذلك، و من جانب آخر فان جيوشه التى كانت قد توجهت إلى آسيا الصغرى لصد هجوم المصريين لم تتمكن من الحيلولة دون نهب مدينه ملطيه. و بهذا فان الهزائم المختلفه هددت سلامه الايلخان إلى أن مرض و هو فى الصيد، و طلب إحضار ابنه أبو سعيد من خراسان، الا أن أبا سعيد لم يتمكن أن يحظى بمقابله والده. و يقول المؤرخون المصريون أن الجاييتو قتل مسموما فى يوم الأربعاء ٢٧ رمضان سنه ٧١٦.

بعد اولجايتو

كان ابن اولجايتو و ولى عهده أبو سعيد فى الثانيه عشره من العمر يعيش فى مازندران، عند ما وصله نبا وفاه والده الجاييتو. و توجه سونج الذى يتولى الوصايه على أبو سعيد، اليه بسرعه و ذهب معا إلى السلطانيه عبر طريق الرى. و كان سونج و أبو سعيد قد أرسلوا وفدا إلى قتلغ شاه خاتون زوجه الجاييتو و الأمير جوبان لتقصى الحقائق. فجاء جوبان إلى أبو سعيد بسرعه، و تمكن بالرغم من عدم رغبه سونج الذى كان يعتقد أن عصر سيادته قد حان، أن يتقرب إلى أبو سعيد. و فى الأيام الأولى من شهر صفر سنه ٧١٧ جلس أبو سعيد على عرش آباءه. و أصبح جوبان أميرا للأمرء.

و فى السنوات التاليه كان فى الحقيقه هو الذى يشرف على اداره شئون الدوله.

و انتهزت الجيوش الثائره فى ما وراء النهر فرصه تغيير الايلخان و هاجمت ايران.

و من جانب آخر غضب يساول القائد المغولى الذى كان قد جمع أموالا كثيره فى الشرق، غضب من تمكن أبى يزيد بن بوجاى و بوساطه من سونج أن يحصل على قياده قوات المغول فى خراسان. فجمع مستشاريه فاعترفوا بان أبا يزيد شاب عديم التجربه، و اقترحوا بان يتولى توغان عمه الحكم و قياده الجيش، و فى نفس الوقت دعا يساول، يساور حاكم ما وراء النهر الذى كان قد جاء إلى ايران فى عهد الجاييتو، دعاه إلى الطعام ليقتله، الا- أن أحد أقارب يساور أخبره بالمؤامره التى دبرت له و من جانبه حاول حاكمما وراء النهر أن يقتل يساول، الا- أن القائد المغولى هرب إلى هرات. و لجا إلى غياث الدين كرت. و لدى عودته إلى نيشابور، طارده مجموعه من الجيش بقياده مبارك شاه بوجاى فى العاشر من ذى الحجه سنه ٧١٦ و قتلوه على ساحل نهر قراسو على مسافه يومين من هرات. و شرحوا الحادث بالتفصيل فى بلاط الايلخان و أكدوا أن يساور بادر إلى قتل يساول صيانه لحياته.

و بالرغم من اتفاق وقف القتال الذى كان قد وقع بين الجاييتو و يساور،



الا أن الحرب بدأت بين أبو سعيد و حاكم ما وراء النهر. حيث هاجم يساور مع جيوش ما وراء النهر أحد الأمراء الغوريين الذى كان يقود النيكوداريان، و قد تظاهر أن هذا الهجوم كان من أجل صيانه مصالح الایلخان. و تمكن حاكم ما وراء النهر بسرعه أن يحاصر بعض القلاع فى سيستان و نزل مده من الزمن عند ابنه جوكى، ثم هاجم مازندران.

و لما كانت سياسه الأمير أزن قتلغ القائد المغولى المفوض لحفظ الهدوء و الاستقرار فى خراسان قد بعثت الشكك و تصوروا أنه اتفق مع يساور سرا، فقد استدعوه. ثم توجه القائد حسين ابن الأمير آق بغا مع جيوش جديده إلى الشرق لمحاربه حاكم ما وراء النهر. و كان هذا الجيش الذى قدروا عدده بعشرين ألف قد عاد توا عمن الحرب بين ازبك حاكم قبجاق و بين دربند فى ربيع سنه ١٣١٩ ميلاديه على ساحل نهر جيحون.

و لما انخفض عدد قوات المغول فى جبهه القوقاز فان موقفهم قد ضعف، فعندئذ عاد جوبان إلى الشرق بعد أن كان قد ترأس قياده قوات المغول فى كرجستان و حاول بمساعدته حسين القضاء على يساور، عاد إلى الشرق و تسلم قياده قوات المغول و تمكن من سحق ازبك. و فى هذا الوقت قاوم كل من ناصر الدين أمير سيستان و غياث الدين كرت ملك هرات فى المنطقه الشرقيه، قاوما أمام يساور، حتى أن هجوم بكتوب لم يمنع يساور من عدوانه.

و قام اهالى مازندران أيضا بحيثبقى هو وحيدا، مما اضطره على مغادره مازندران.

و لما كانت جيوش يساور قد توجهت إلى الشرق بسرعه، لم تتمكن أن تنقل خزائنه إلى نيشابور، فهرب يساور إلى مشهد و أثار هناك غضب الأهالى بأعماله القاسيه و فرضه ضرائب ثقيه. و لما كان غياث الدين كرت، على صله مع جوبان، فقد وصلته التعليمات بالصمود بشجاعه امام جيوشما وراء النهر، حتى تصله المساعدات من الغرب.

و لما سمع يساور أن ملك هرات أرسل جيشا إلى بادغيس لتعزيز قوات أبو سعيد، اصدر التعليمات إلى جيوش ما وراء النهر التى كان يقودها مبارك شاه بوجاى، لمحاصره هرات. و لما لم تثمر المحادثات بين بكتوب و يساور، فقد تسلم يساور بنفسه فى ٢٢ ربيع الأول سنه ٧١٩ قياده القوات التى كانت قد حاصرت هرات، و استمر الحصار مده شهر واحد إلى أن سمع أن قوات المغول قد اقتربت من مدينه هرات فاضطر إلى فك الحصار عن هرات و توجه إلى كرمىسير. فلاحقه كل من غياث الدين و الأمير حسين دون فائده، ثم انهما عادا إلى هرات.

أرسل كبك الذى كان ينافس يساور فى ما وراء النهر، جيشا من ٤٠,٠٠٠ مقاتل بقياده أربعه من أمراء جيشه إلى الحدود الإيرانيه ليمنع عوده يساور إلى ما وراء النهر. و قد اتحد هذا الجيش مع حسين و لاحقوا العدو ليقاتلوه. فهزمت جيوش يساور و اعتقلوه ثم قتلوه. و عاد جيش ما وراء النهر إلى الوطن بعد أن حصل على غنائم كثيره.

و فى هذه الأثناء اشتد الخلاف بين رشيد الدين و بين تاج الدين على شاه حول اداره أمور الديوان. و كان على شاه و أنصاره قد قرروا القضاء على المنافس. الا ان جوبان و سونج كانا يدعمان رشيد الدين و لهذا السبب فان أصحاب على شاه كانوا يبحثون عن تهم جديده ليتهموا بها رشيد الدين. و قد اتهموه بالفعل بأنه هو السبب فى وفاه الجايتو. و أخيرا جاءوا برشيد الدين إلى المحكمه و حكموا عليه بالموت فى الأول من جمادى الأولى سنه ٧١٩ هجرية. و بهذا توفى واحد من أبرز الساسه فى ايران فى

عهد المغول و واحد من أكبر المؤرخين. لقد حقق على شاه غايته و أصبح الوزير الوحيد، و لكن ما زال جوبان و هو يحمل منصب أمير الأمراء يظهر إلى جانبه كمنافس قوى. و لهذا السبب بدأت المؤامرات ضد هذا القائد. و من أسباب هذه المؤامرات ان جوبان فى الحرب مع ازبك حاكم قبجاق كان قد أدب بشده بعض أمراء الجيش بمن فيهم قورميشى بن البناق، حتى انه كان قد قتل عددا منهم، حيث كان قد شك فى أمرهم، لتسامحهم فى محاربه العدو. ان سوء معاملة جوبان مع أمراء الجيش قد سببت معارضه شديده له بين الجيش.

ان هؤلاء الأمراء الذين كان يترأسهم كل من قورميشى و ناصر الدين القراطوغى انتهزوا الفرصه للقضاء على جوبان عند ما قام الأخير بمهاجمه كرجستان. الا ان جوبان عاد فى الوقت المناسب. و لكن المعارضين اقتحموا منزله دون ان يتمكنوا من القبض عليه، فاضطر جوبان إلى الفرار و أخذ ابنه معه و عاد إلى تبريز عن طريق نخجوان. اما على شاه الذى كان فى سلام مع جوبان آنذاك فقد وعده بان يتوسط له لدى أبو سعيد، و بالرغم من أن بعض أمراء الجيش استأذنوا الايلخان بقتل جوبان، الا ان على شاه تمكن بالوساطه لدى أبو سعيد، ان يحجب جوبان للايلخان فعاد جوبان إلى السلطانيه.

و أما أمراء الجيش الذين كانوا قد غضبوا من تحسين موقف جوبان، فقد قرروا هذه المره و بقياده الأمير ارنجن القضاء على أبى سعيد. حاول أبو سعيد أن يستغل وجود ابنه الأمير ارنجن و هى قتلغ شاه خاتون زوجه الجايىو المتوفى، لاعاده الأمن و الاستقرار، الا ان ارنجن اعتبر سياسه أبى سعيد هذه دليلا على ضعفه و بدأ الحرب معه علنا. و كان أبو سعيد قد قاد الحرب بنفسه، فانتصرت جيوشه فى هذه الحرب. و كان جوبان و بقيه أمراء الجيش قد حاربوا ببساله فى هذا القتال. و هلك عدد من قادة جيش العدو فى هذه المعركه و أن أبى سعيد قتل بقيه القاده الذين كان قد اعتقلهم. و فى شتاء سنه ٧٢٠ هجرية، رشح أحد أمراء الجيش المعروفين فى كرجستان أحد الأمراء و يدعى غازان أغلان بن توغر يلجا للحكومه، و ان هذا الأمر أثار الناس. فأرسل الايلخان، أحد أمراء الجيش بولادقيا مع جيشه إلى تلك الديار. و بعد محاصره استمرت ثلاثه أشهر، تمكنت جيوش المغول من اقتحام الحصن الذى كان هذان فى داخله. فتمكن غازان أغلان ان يهرب، الا ان ذلك الأمير الثائر الذى كان قد ثار ضد الايلخان بمساعدته غازان أغلان، قتل خلال ذلك.

و بالرغم من كل هذا فقد استمرت الاضطرابات فى المناطق المختلفه، حيث ثار تيمور تاش بن جوبان الذى كان حاكما على آسيا الصغرى فى سنه ٧١٢ هجرية و أقام علاقات وديه مع مصر كما فعل سولايش قبل ذلك. و قد تمكن أن يسيطر على مناطق جديده بعد انهيار حكومه السلاجقه فى آسيا الصغرى. و أضاف مناطق جديده لأراضى الايلخان.

و من جهه ثانيه شن هجوما على ارمينيا الصغرى التى اوشكت أن تخرج من سلطه الايلخان و أن تلتحق رويدا رويدا بمصر، و دمرت تلك البلاد.

أما الملوك الأتراك المحليون فى آسيا الصغرى فقد قدموا فى البدايه شكوى إلى جوبان من تيمور تاش و لما يسوا من أيه مساعده منه، لجئوا إلى أبى سعيد، الا ان الايلخان لم يهتم بشكواهم، حيث كانت تؤدي إلى وقف سياسته التوسعيه، و لكن لما ثار تيمور تاش، فقد طلب والده جوبان من الايلخان أن يسمح له بمحاربه تيمور تاش. ان أصحاب تيمور تاش منعوا الابن الثائر من الحرب و أجبروه على الاستسلام. فجاء جوبان بابنه إلى أبى سعيد، فعفا عنه الايلخان و أرسله ثانيه إلى آسيا الصغرى. و خلافا لسياسه تيمور تاش، فان أبى سعيد قدم المساعدات إلى ارمينيا الصغرى التى





كان يجب عليها أن تقف آنذاك بوجه هجمات المصريين. ربما كان يأمل بهذا التدبير أن يضم هذه البلاد إلى إيران، و أن يعرقل بذلك العلاقات بين مصر و آسيا الصغرى.

ان المعارك بين القوات التي أرسلها الایلخان و بين قوات المماليك لم تكن عنيفه، و أن رفض الملك الناصر فى سنة ١٣٢٢ ميلاديه لاقتراح ازبک حاكم قبجاق للقيام بهجوم مشترك ضد ايران دليل على ان العلاقات بين المغول و المماليك كانت سلميه لفترة قصيره من الزمن.

و قد انقضت الأعوام التاليه بهدوء و استقرار. و فى بدايه سنة ٧٢٤ هجرية توفى أحد الوزراء المغول فى ايران ميتة طبيعیه لأول مره.

و كان أبو سعيد قد ذهب لزياره تاج الدين على شاه قبل وفاته. و قد خلفه فى منصبه اثنان من ابنائه، اما الابن الأكبر و هو عنايه الدين محمد فلم يكن ناجحا فى أعمال الوزارة، فخلفه ركن الدين صائن (الملقب بالناصر أو نصره الدين العادل) فى الوزارة. و إن الابنيه التى أمر هذا الوزير بانشائها، قد زادت من شهرته و فى سنة ١٣٢٥ ميلاديه، تم إحباط الهجوم الذى قام به ازبک.

لقد تم تبديل الوزير بهدوء، الا ان الفوضى عمت جميع أنحاء بلاد الایلخان بسبب جوبان. و قد بدأ الخلاف عند ما أراد أبو سعيد أن يتزوج ابنه جوبان و هى بغداد خاتون التى كانت زوجه الأمير حسن بن حسين بن اقبغا.

فصعب الأمر على جوبان. و ان المحادثات المتتاليه مع أبى سعيد و آخرها كانت عند الصيد، لم تثمر إلى نتیجه.

لم يتمكن أعداء جوبان من تحقيق أى انتصار حتى ذلك الحين للقضاء عليه، و قد انتهزوا فرصه الخلاف بين الایلخان و جوبان لتحريض و إثارة الایلخان ضد جوبان، فمثلا اتهموه بجمع المال بالأساليب غير الشرعيه و ضبط اموال الآخرين، كما احتجوا عليه بأنه سلم المناصب الحكوميه لأقاربه. و من أجل ان تهدأ الأوضاع فقد طلب جوبان من أبى سعيد أن يسمح له بالهجوم على خراسان و أخذ معه فى هذا الهجوم الكثيرين من أمراء الجيش المعارضين له لكى لا يدسوا عليه فى البلاط و ليكونوا تحت مراقبته مباشره. و تقدمت جيوش المغول حتى هرات. و هناك سمع جوبان ان ترمه شيرين حاكم ما وراء النهر يعترم الهجوم على خراسان. و كان من المقرر ان تشارك فى هذا الهجوم احدى وحدات جيش حاكم قبجاق. فتمكن الابن الأكبر لجوبان ان يهزم العدو سنة ٧٢٦ هجرية، ثم عاد إلى هرات.

لم يقع أى حادث سوء حتى هذا التاريخ ليعرقل موقف جوبان. الا أن أحد أبناء جوبان و يدعى دمشق خواجه قد سبب تازم والده. حيث أقام هذا الابن علاقات غراميه مع احدى عشيقات أبو سعيد و هى تفتاى خاتون و كان يدخل إلى حرم السلطان مرارا فذات يوم وصل الخبر إلى أبى سعيد ان دمشق خواجه موجود فى حرمه. و لما كانت علاقات الایلخان مع دمشق خواجه غير مرضيه بسبب انانيه دمشق خواجه، فقد أمر بقتله، و بالرغم من مقاومه دمشق خواجه الا أنهم قتلوه فى ٢٤ رمضان سنة ٧٢٧ هجرية. كما صدرت الأوامر بقتل جميع أفراد عائله جوبان، كما تم إرسال الجيوش إلى آسيا الصغرى للقضاء على تيمور تاش و أخيه محمود. و قد اجتمعت وحدات الجيش الأخرى بالقرب من قزوین.

ان موت دمشق خواجه كان السبب فى سقوط ناصر الدين العادل وزير أبى سعيد، الذى لم يكن له اى تدخل فى هذا الحادث،

فتسلم الوزاره غياث الدين محمد رشيد أحد أبناء رشيد الدين المقتول و قد عمل فى الأشهر الثمانيه الأولى مع علاء الدين محمد فى اداره شئون الديوان. و فى هذا الوقت وصلت الأنباء إلى جوبان عن أحداث خراسان، فاكد عليه قاده الجيش باتخاذ الاجراءات اللازمه، و تشاور جوبان مع ابنه و أقربائه، فاكد البعض منهم عليه بالهروب. فيما كان البعض الآخر يأمل أن تصل اليه النجده من ما وراء النهر لمحاربه أبى سعيد، كما جرت بعض المحاولات لاقامه العلاقات مع قآن. و قرر جوبان أن يذهب بنفسه إلى آسيا الصغرى و كان يأمل ان يتلقى المساعدة من ابنه تيمور تاش و سلطان مصر الذى كان قد اوفد اليه رسولا. و فى الطريق طلب من الشيخ ركن الدين السمنانى ان يتوسط له لدى الايلخان، الا أن هذه الوساطه لم تثمر أيه نتيجة و بالرغم من أن أمراء الجيش فى مشهد كانوا قد أقسموا بالإخلاص إلى جوبان الا أنهم تركوه لوحده و ذهبوا إلى معسكر أبى سعيد و رحب بهم خير ترحيب.

أدرك جوبان بأنه لا يتمكن من أن ينتصر على جيوش الايلخان، و قرر فى البدايه أن يذهب إلى تركستان، الا أنه ذهب إلى هرات، فى حين كان ابنه حسن قد توجه إلى خوارزم. و كانوا قد حذروا جوبان من دسائس غياث الدين كرت ملك هرات و أكدوا عليه بالذهاب إما إلى الهند أو الصين أو آسيا الصغرى، الا أنه ذهب إلى هرات و رحب به ملك هرات فى البدايه، ثم سجنه بامر من أبى سعيد. و قد وافق غياث الدين على قتل جوبان، و لما سمع جوبان بالعزم على قتله، أغمى عليه، و لكنهم ضربوا عنقه قبل شهر المحرم سنة ٧٢٨ هجرية. و بعد أن نفذ غياث الدين أمر الايلخان توجه بسرعه إلى بلاط أبى سعيد.

و كان مصير عدد من أبناء جوبان التسعه، كمصير والدهم حيث قتل ابنه الأكبر و هو حسن فى حرب أطراف خوارزم. و لجأ تيمور تاش فى آسيا الصغرى إلى أحد القلاع و جرت بينه و بين سلطان مصر بعض المحادثات، و أعلن سلطان مصر فى النهايه استعدادة لقبول تيمور تاش. و هكذا تمكن تيمور تاش من أن يلتحق ببلاط سلطان المماليك، الا انه بسبب سخائه الكثير أثار غضب الملك الناصر و لما كان سلطان مصر يعتقد أن تيمور تاش يحاول أن ينافس، ألقى به فى السجن. و قتل بامر من أبى سعيد فى شوال سنة ٧٢٨ هجرية. و يقال انه تم تسليم رأس تيمورتاش إلى تيموربغاي مبعوث الايلخان إلى بلاط سلطان مصر. (فى نهايه سنة ٧٢٨ هجرية).

اما محمود فقد اعتقله أصحابه و جاءوا به إلى تبريز و قتلوه هناك.

و فى كرجستان فبعد جورج السادس فى سنة ١٣١٨ ميلاديه استولى جورج الخامس (١٣٤٦ - ١٣١٨) لوحده على السلطه و أعطى الاستقلال لبلاده. و إضافه إلى ذلك أعاد ولايتى ايمرى و أنجاز اللتين كانتا فى ايدي أبناء داود الرابع إلى السلطه المركزيه. و كانت كرجستان حتى سنة ٧٥١ هجرية تحت إشراف المغول من ناحيه السياسه الخارجيه فقط، و يمكن مشاهدته آثار هذا الاشراف من المسكوكات الموجوده.

أما فتوحات تيمور تاش فى آسيا الصغرى فقد ذهبت الواحده تلو الأخرى. و أما شرف الدين محمود اينجو الملقب بالطمطاح الذى كان يحكم إقليم فارس باسم الايلخان فقد أعلنها دوله مستقلة فى سنة ١٣٢٥ ميلاديه.

و كانت حكومه الايلخانيين على وشك الانهيار، و قد استغل أبو سعيد هلاك وزيره أمير جوبان، فتمكن من ان يرغم الأمير حسن على طلاق زوجته بغداد خاتون و تزوجها بعد انقضاء عدتها.

و بدأت الاضطرابات و الفوضى مره اخرى. فقد أصبح نارين طغای و هو من أقارب جوبان - و كان قد ابتعد عنه قبل وفاته، حاکما على خراسان، و لكنه لم يكن راضيا عن منصبه الجديد حيث كان يأمل أن يحل محل جوبان بصفته أميرا للأمرء. و في خراسان حصل خلاف بين نارين من جهة و بين غياث الدين کرت ملك هرات و ابنه من جهة اخرى. كما تعرضت مدينه

ص: ۲۱۰

نیشابور للنهب. فأراد نارین طغای ان يفرض ارادته على الایلخان، فأخبره بان جيوش ما وراء النهر بدأت بالتامر من جديد و طلب قوات جديده لصد تلك الجيوش، الا أنه بعد وصول القوات الجديده لم يتجرأ على التمرد، و عاد إلى بلاط أبى سعيد و حاول ان يكسب مره اخرى عطفه. حتى ان على بادشاه خال أبى سعيد طلب الشفاعة له، و أخيرا تمكن خواجه بفضل الخدمه التي أداها للایلخان و كسب شعبيه عنده، ان يحصل على أمر لاعتقال نارین طغای و لكنه تمكن من الهروب على انه بعد أيام وقع في قبضه الأمير لؤلؤ الذي كان يلاحقه. و كشف أحد أفراد حاشيه نارین طغای عن مكان اختفائه و ذلك بعد أن اعتقلوه في ضواحي الری و هو يجمع الزاد لصاحبه.

و قتل نارین طغای في شوال سنه ۷۲۹: كما ان الایلخان غضب من على بادشاه بسبب شفاعته له كما غضب من تاش تیمور [تیمور تاش] الذي كان قد أوفد إلى خراسان.

لم يقع حادث مهم في السنوات الأخيره من حكمه أبى سعيد. تلقى ايناق مسافر التعليمات للوقوف بوجه اينجو في فارس: الا ان بعض أمراء الجيش تماطلوا في هذا الأمر، و لذلك ألقى بهم في السجن. كما سجن حسن بن حسين الذي كان قد اتهم بعلاقاته مع بغداد خاتون، و لكن بعد مده ثبتت براءته فافرج عنه، و أرسل حاكما على بعض المناطق في آسيا الصغرى التي كانت تحت إشراف المغول.

و في سنه ۷۳۶ هجريه شن ازبک حاكم قبچاق هجوما جديدا على دربند، و توفي أبو سعيد في الثالث عشر من ربيع الثاني سنه ۷۳۶ هجريه فجاه بينما كان في حرب مع ازبک. و يقال ان الایلخان كان يحب دلشاد خاتون ابنه أخ بغداد خاتون، و لهذا السبب فان بغداد خاتون قتلتها بالسم.

و بعد وفاه أبى سعيد انهارت سلسله حكمه أحفاد هولاکو، بل ان عصر حكمه المغول انتهى في ايران أيضا (۱).

## محمد بن إسماعيل بن الفضل الحسيني بن العلوي السيد أبو البركات

المشهدى.

ترجم له السمعاني في التحبير ۹۶/۲ و قال من أهل المشهد الرضوى بسناباد من قرى نوقان طوس علوى مقدم فيما بين الساده العلويه من المعمرين سمع أبا محمد الحسن بن أحمد السمرقندى سمعت منه بالمشهد و من جمله ما سمعت منه صحيفه على بن موسى الرضا.

و كانت ولادته سنه سبع و خمسين و أربعمائه - توفي بقرية سناآباد سلخ ذى الحجه سنه ۵۴۱.

## محمد بن إسماعيل بن أمير ك بن إسماعيل بن أمير ك بن إسماعيل بن

جعفر بن القاسم بن جعفر بن محمد بن زيد بن على بن الحسين بن على بن

أبى طالب ع.

السيد أبو المعالي العلوي الحسيني من أهل هراه ترجم له السمعاني في التحيير ٩٠٢/٢ رقم ٦٩٧ و قال: كان سيذا عالما زاهدا سنيا: حسن السيره متواضعا كثير العباده و الرغبه إلى الخير و هو سبط أبي الفتح نصر بن احمد الحنفي.

و كان مكثرا من الحديث سمع أبا إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري و أبا عطاء عبد الرحمن بن محمد الأزدي الجوهري و أبا الفضل احمد بن عبيد الله المركب و أبا سهل نجيب بن ميمون الواسطي و غيرهم.

سمعت منه الكثير بهراه و وفاته بها في ذى القعدة سنه ٥٤٦.

### محمد بن جعفر بن محمدا جعفر القصار الرازي.

المتوفى سنه ٤٤٦. ترجم له الشيخ منتجب الدين في تاريخ الري و الحافظ بن حجر في لسان الميزان ١٠٥/٥ رقم ٣٥٢ فقال: ذكره ابن بابويه في تاريخ الري و قال: شيخ من مشاهير الشيعة سمع أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى الفقيه (الشيخ الصدوق) روى عنه أبو سعيد محمد بن أحمد الرازي و أخوه عبد الرحمن و مات سنه ٥٤٦.

أقول: هذا التاريخ خطأ مطبعي و الصحيح ما أثبتناه، فان الذي يروى عن الشيخ الصدوق الذي توفي سنه ٣٨١ لا يعيش إلى بعد الخمسمائه.

### مجد الدين أبو عبد الله محمد بن جعفر بن محمد بن معيه العلوي

الحسنى.

ترجم له ابن الفوطى في تلخيص مجمع الآداب ٢٢٥/٥ رقم ٤٥٩ و قال: من البيت المعروف بالشرف و السيادة و الأدب و الجلاله و التقدم قرأت بخطه: قال بعض الخلفاء لزهده: عطنى فقال: لقد وعظك الله سبحانه أحسن العظه فقال: ان الله يأمركم بالعدل و الإحسان إلى آخر الآيه. أقول:

أظنه ابن عم محمد بن الحسن بن محمد بن معيه الديقاجى الحلى و أخيه القاسم بن الحسن المترجمين في أعلام القرن السابع من طبقات شيخنا رحمه الله.

### السيد محمد المحقق الشهير بالداماد ابن السيد جعفر.

ولد سنه ١٣٢٥ و توفي سنه ١٣٨٨ في مدينه قم و دفن فيها هو من أسره علميه عرفت بالفضل و التقوى، و قد توفي والده قبل ولادته، كما توفيت أمه و عمره ست سنوات.

بدأ دراسته في اردكان، ثم انتقل إلى يزد و تلمذ فيها على كل من السيد احمد المدرس و السيد يحيى الواعظ و السيد حسين باع كه مى و السيد على رضا الحائرى فدرس عليهم الأدب العربى و شرح اللمعه و القوانين. و تابع دراسته على الشيخ غلام رضا اليزدى في الأصول. و بعد اقامه تسع سنوات في يزد انتقل سنه ١٣٤١ إلى مدينه قم فدرس فيها على السيد على الكاشانى المتوفى سنه ١٣٨٠ و السيد محمد تقى الخونسارى المتوفى سنه ١٣٧١ و الآغا ميرزا محمد الهمداني المتوفى سنه ١٣٦٥ و السيد محمد

الحججه المتوفى سنه ١٣٧٢ و غيرهم.

و فى قم تزوج كريمه مؤسس الحوزه الشيخ عبد الكريم الحائرى، فلذلك لقب بالداماد، اى: الصهر.

و قد درس عليه فى قم كل من السيد مهدي الروحانى و الشيخ ناصر مكارم و الشيخ جواد [عبد الله الجوادى] الآملى و الشيخ محمد المؤمن و السيد موسى الزنجانى و غيرهم.

تخلف بكل من ولده السيد على الذى هو اليوم من مدرسى حوزة قم، و السيد مصطفى من أفاضلها.

### محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله المصرى.

المتوفى سنه ٤٣١.

ترجم له ابن حجر فى لسان الميزان ١٠٦/٥ رقم ٣٥٦ قال: روى عن أبى الطاهر الذهلى و عبد الله بن أبى شعيب الحرانى و ابن حيويه.

روى عنه أبو إسحاق الحبال و أبو مسلم الأصبهاني و غيرهما و جده عبد الله كان قاضى مصر مالكى المذهب: يعرف بالعمار.

قال الحبال: كان محمد بن جعفر يرمى بالتشيع و الغلو و كان لا يسمع هذا منه أصلا توفى سنه ٤٣١.

أقول و قال الذهبى فى الميزان: يروى عن الحسن بن رشيق، رافضى جلد

ص: ٢١١

١- بير تولد اشبولر.

## الشيخ محمد بن حبيب الله العزى الشهير بالسبزواري النجفي.

ولد سنة ١٣١٨ في قرية (فريوقد) من قرى سبزواري و توفي سنة ١٤٠٩ في مدينة قم و دفن داخل الحرم الشريف قرب الضريح.

درس القرآن و العلوم الأولية في قرية ثم تركها إلى مشهد الامام الرضا (ع) و بدأ هناك الدراسة الأولية و السطوح في مدرسه خان في الصحن القديم للإمام ع و هناك اتصل بالمرجع الشهير السيد حسين الطباطبائي القمي فكان من خلائه و بعد إخراج السيد القمي من المشهد بسبب احتجاجه على ما أراد الشاه رضا بهلوي من خروج على الشريعة الإسلامية في بعض الأمور سافر المترجم له معه إلى العراق حيث استقر السيد في مدينة كربلاء فتابع المترجم له الدراسة عنده. و في مدينة كربلاء و بعد عوده السيد إلى إيران تزوج المترجم له حفيدته، ثم ترك مدينة كربلاء إلى النجف الأشرف و تابع الدراسة على كبار علمائها كالشيخ حسين النائيني و السيد عبد الهادي الشيرازي و غيرهما و أجز منهما. و بقي في النجف ما يقارب الأربعين سنة يدرس و يدرس، و كان مكان تدريسه في مدرسه الآخوند الكبرى فتخرج عليه العديد من الفضلاء الذين يشغلون اليوم المكانة الرفيعة سواء في الأوساط العلمية أو القيادية. و في سنة ١٣٨٠ اثر طغيان الحكم التكريتي هاجر من النجف إلى مدينة قم و عاود فيها تدريس الفقه و الأصول و التفسير و بنى مسجدا كبيرا في نهايه "شارع جهارمندان" و كان يصلى فيه و يلقي دروسه. و هو والد الحاج حامد عزیزی صاحب دار النشر الشهيره (دار التعارف) الذي له اليد الطولى في طبع و نشر و توزيع الكتب الإسلامية الشيعية و الذي بفضل جهوده طبعت موسوعه (أعيان الشيعة) بحلتها الجديدة و كذلك الأمر بالنسبة لمستدركاتهما و هو لا يزال يوالى ذلك فيما هو مخطوط من المستدركات.

للمترجم له من التأليف كتاب في تفسير القرآن باسم "الجديد في تفسير القرآن المجيد" و يقع في سبعة مجلدات و مختصر هذا التفسير في مجلد واحد، بالاضافة إلى عده كتب خطيه لم تطبع بعد.

## ميرزا محمد حسين النيسابوري المشهور بنظيري:

من الشعراء المشهورين في إيران في أواخر القرن العاشر و أوائل القرن الحادي عشر الهجريين.

يقول مير تقى الدين الكاشاني ان أصله من جوين، و سواء صح ذلك أم لم يصح فإنه نيسابوري. كان تاجرا و في الوقت نفسه تعاطى العلم و الأدب و الشعر، سافر في تجارته إلى العراق و آذربيجان، و لجمعه بين التجاره و الشعر و الأدب كانت له منزله خاصه عند العراقيين و الأذربيجانيين، كما يقول مير تقى الدين. و قد اتصل بالشعراء و الأدباء في كلا البلدين، مواصلا تمرنه في الشعر عندهم، و كان يقرأ غزلياته في المحافل الأدبية و من هناك سافر إلى الهند، و في اكره اتصل بميرزا عبد الرحيم خان خانان و مدحه بأول قصيده، ثم لازمه. و يظهر من بعض القرائن ان سفره كان سنة ٩٩٢ أو في ابتداء الذي كان يحب الأدب و الشعر، و كان الشاعر يمدحه بشعره. و لما نوى السفر إلى الحج أمن له خان خانان الزاد و الراحله، و لكن سرق بعض أمواله في الطريق، فلجا إلى الأخ الرضاعي للملك جلال الدين أكبر، (الخان الأعظم ميرزا) الذي كان هو الآخر مسافرا للحج و مدحه بقصيده، فكان ما حصل عليه من الخان سادا لحاجته في السفر.

و ورد في بعض الكتب انه بعد رجوعه من الحج ذهب إلى أحمدآباد كجرات، و تاجر هناك و أثرى من تجارته، و كان بيته ملتقى الشعراء القادمين من كل مكان، و كان يودهم و يعطيهم و يمدحهم بأشعاره. كما كان يمدح الأمير مراد ابن الملك الذي

كان مولى على كجرات من قبل أبيه. وفي الوقت نفسه لم يكن ينس خان خانان في قصائده.

و في سنة ١٠١٤ تولى نور الدين جهانكير الملك بعد أبيه فطلبه إلى قصره و مدحه الشاعر بقصيده أشار إليها جهانكير في مذكراته، قائلا: "انه نظم قصيدته المشهوره بالفارسيه، و أعطيته ألف روبيه و جوادا" اه.

و في سنة ١٠١٩ و هو لا يزال عند جهانكير مدحه بقصيده أخرى و حصل منه على ثلاثة آلاف بيكه، من الأراضى.

و هكذا عاش في كجرات تاجرا و شاعرا حتى وفاته. كما كان قد تعلم اللغة العربيه و العلوم الدينيه، و اللغة الهنديه عند الشيخ غوثى المندوى مؤلف كتاب (گلزار البار [اليار]). و قد ذكره الشيخ المندوى في كتابه. كما أخذ الحديث و التفسير عن مولانا حسين جومرى. و في سنة ١٠٢٠ رجع إلى أحمدآباد كجرات و بقى فيها حتى توفى سنة ١٠٢١ و دفن في محله تاجيوره باحمدآباد، و قبره فيها معروف حتى اليوم تعلوه قبه.

و قد ذكر بعضهم ان وفاته كانت سنة ١٠٢٢ أو ١٠٢٣ و الصحيح فى وفاته هو ما ذكرناه.

يعده عبد الباقي النهاوندى من الأمراء، و ذلك: أولا للحياه التى كان يحيها، و لعقاراته و ثروته التى حازها من أرباح تجارته و مما كان يصل اليه من جوائز على قصائده. ثانيا لاتصاله الدائم بالملك جلال الدين و خان خانان و ميرزا أعظم.

و قد كان صلبا فى تدينه، و فى احدى قصائده التى مدح بها الأمير مراد و اثنى عليه لإيمانه، هاجم بشده الملحدين و الذين لا يعتنون بالدين. و هو فى قصائده الاعتقاديه يبدأ بحمد الله ثم يمدح النبى (ص) و الأئمه (ع)، ثم يأخذ فى هجو الملحدين.

كان كريم النفس، صاحب عطايا. بنى قصرا ملوكيا فى أحمدآباد كجرات جعله دار ضيافه للشعراء و العلماء و الأدباء و الفضلاء. و كان يعيش عيشه الملوك و كبار الناس. و كان ينفق ما يجنيه من التجاره و الهدايا على الأحباب و الفقراء. و يصفه بعض الكاتيين بأنه كان أبا و أما للمنقطعين و الفقراء، و انهم كانوا ينتفعون به أعظم النفع.

و فى أواخر حياته آثر العزله و الانزواء عن الناس.

طبع فى الهند و ايران ديوانه الذى قدمه إلى خان خانان، و هو يحوى الغزل و مدائح النبى و الأئمه و وحى المناسبات و وصف الشعراء و الأحباب و الملوك. و قد قال أحد مؤرخى الأدب الفارسى عن شاعريته: "انه شاعر رقيق البيان، دقيق الوصف، جميل الغزل، لطيف الكلام، مع فكر فلسفى عرفانى. كان من أكابر شعراء زمانه انه ليس كسعدى و حافظ، و لكن بعض غزلياته العرفانيه الصوفيه لا تقل لطفًا و جمالا و ابداعا عن أشعارهما.

و من الطرائف فى حياه المترجم ان شاعرا معاصرا له يلقب بنظيرى نفس اللقب الذى يلقب به هو، و كان يقال أحيانا: نظيرى مشهدى، و سافر المشهدى سنة ١٠٠٣ من مشهد إلى مكه و منها إلى الهند و وصل إلى مدينه بيجابور و اتصل بعادل شاه إبراهيم الثانى (٩٨٧ - ١٠٣٥) من سلالةعادل شاهيه فى الدكن، و أصبح من جمله كتابه، و كان لا- يعرف إلا- بنظيرى، فطلب اليه المترجم ان يغير لقبه، فوافق على ذلك و حذف الياء من لقبه فصار لقبه (نظير) فدفع له المترجم لقاء ذلك عشره آلاف روبيه. و يبدو أن الحرف (ى) يعادل فى حساب الجمل رقم (١٠) و لذلك جعل المبلغ عشره آلاف.



و صاحبنا نظيرى المشهدى (نظير) هو شاعر الغزل. على ان هناك من توهم بان (نظير) هذا هو نظيرى الذى عاش فى القرن التاسع، و لم ينتبه إلى الفارق الزمنى بين الشعارين (١)

ص: ٢١٢

---

١- تاريخ أدبيات ايران.

## مجد الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن أحمد بن أبي القاسم

الحسيني النقيب.

ترجم له ابن الغوطي [القوطي] في تلخيص مجمع الآداب ٢٢٦/٥ رقم ٤٦٢ و لم يزد على أن أورد شيئاً من نص تقليده: (و جعلنا إليه النظر في المشاهد و فسحنا له الذب في الملتجى إليها...).

فيظهر انه كان نقيب المشاهد بالنجف و كربلاء.

## محمد بن الحسن بن محمد بن مهدي بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن

الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن

الحسن بن علي بن أبي طالب ع.

السيد أبو الفضل العلوي الحسن بن محمد له السمعاني في التحبير ١٠٨/٢ و قال: أظنه من أهل اليمن لقيته بأصبهان في سنة ٥٣١ و كتبت عنه قطاعاً من الشعر.

## مجد الدين أبو عبد الله محمد بن عز الدين الحسين بن محمد بن عز

الشرف أبي الفضل علي بن أبي البركات أحمد بن أبي الفضل علي بن أبي

تغلب علي بن الحسن الأصم بن أبي محمد الحسن الفارس بن يحيى بن

أبي عبد الله الحسين بن أحمد العلوي السوراوي.

ترجم له ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب ٢٣٠/٥ رقم ٤٧٢ و وصفه بالفقيه و قال و قرأت بخطه:

و ما زال مغري بالمكارم و العلي يرى المجد أعلى من وصال الكواعب

إذا ما سطا قوم لنفع نفوسهم سعى لسواه في بلوغ المطالب

يدل علي معرفه جود كفه كما دلت السارين زهر الكواكب

أقر له بالفضل بادر حاضر و أثنى عليه كل ماش و راكب

## محمد بن الحسن القمي.

من اعلام القرن السابع أو ما بعده، له كتاب العقد النضيد و الدر الفريد في فضائل أمير المؤمنين ع محذوفه الأسانيد، رأيتُه عند

زميلنا السيد محمد على الروضاتي الأصفهاني و النسخه من نسخ القرن التاسع ناقصه الآخر صرح المؤلف باسمه في أوله و لم يزد على ما ذكرنا ينقل فيه عن كتب القتال و مناقب الخوارزمي و أمثالهما و لم نر النقل فيه عن ما بعد القرن السادس.

### محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن احمد بن إبراهيم الخزاعي

الأنماطي الكوفي الوكيل المعروف بابن داود

٤٠٠ - ٤٧٢.

ترجم له ابن حجر في لسان الميزان ١٣٥/٥ قال: سمع أبا عبد الله الجعفي: و أبا الطيب القسملی و غيرهما و حدث ببغداد و سمع منه أبو القاسم ابن السمرقندی.

قال السقطی سألته عن مولده فقال سنه أربعمائه و قال ابن خيرون: توفي في شوال سنه ٤٧٢ و كان فيه بعض الشيء و تبين انه حدث بشيء من مناقب الصحابه و لم أسمع منه كان رافضيا.

ذكره ابن السمعاني و قال: كان كوفيا حسن النادره الا أنه كان سيئ المعتقد رافضيا كاشفا بالطعن على السلف الصالح.

و ذكره ابن النجار في الذيل.

### مجير الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن أبي القاسم محمد بن

الأكرم بن فضل الله بن أبي الحسن الزاهد

بن علي القصير بن أبي القاسم الحسين بن أبي علي الحسن - بامل - بن احمد بن جعفر بن الأمير احمد العقيقي (١) بن جعفر صحصح بن عبد الله أبي بكر بن الامام الحسين الأصغر أبي عبد الله بن علي زين العابدين (بن) الحسين بن علي بن أبي طالب العبدلي العلوي البزاز المقرئ.

ترجم له ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب ٣٠٥/٥ رقم ٦٣٨ و قال:

روى لنا عنه شيخنا جمال الدين احمد بن مهنا العبدلي و قال: كان شيخا حسنا كثير المحفوظ متوددا عالما، أنشدني عنه:

مفرد في الزمان ليس يدانيه من الناس مشبه أو نظير

ان يواجه فطود علم ركين أو يفاوض فبحر علم غزير

### المنتجب أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مسعود بن احمد الموصلي

ثم البغدادي الشاعر.

المتوفى سنة ٦٤٢. هكذا ترجمه ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ٧٨١/٥ رقم ١٧٤٨ و قال:

ذكره شيخنا تاج الدين أبو طالب فى تاريخه و قال: كان شيخا فاضلا عنده أدب و حكمه و كتابه حسنه يقول شعرا جيدا، و كان منقطعا عن الناس غالبا [غاليا] فى التشيع و من شعره:

لصبر عاقبه ترتجى و تنتظر فر بما بالتانى يدرك الظفر

لا يبلغ المجد خوار أخو جزع و لا ينال الأمانى من به ضجر

و له أشعار كثيره و كانت وفاته فى تاسع عشر شهر ربيع الأول سنة ٦٤٢ و دفن بالمشهد الكاظمى.

### محيى الدين أبو طاهر محمد بن كمال الدين أبى الفتوح حيدر بن محمد

ابن زيد الحسنى الموصلى النقيب.

المتوفى سنة ٦٤١ ترجم له ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ٤٠٦/٥ رقم ٨٣٨ و قال:

من بيت معروف بالنقابه و التقدم و العلم و الفضل و الأدب، أنشد له شيخنا تاج الدين أبو طالب (ابن الساعى) فى كتابه:

تحية مهجور إلى خير هاجر تهيجه الذكرى إلى غير ذاكر

على انه لو شق قلبى وجدته به ماثلا أو فى ضميرى و خاطرى

و كيف ارى السلوان عمن اعزنى بانعامه الفياض عزه قادر

له من ثنائى ما أستطيب سماعه و من مدحتى ما حبرته خواطرى

و من دعواتى المستجابه فى الدجى و ما باطنى و الله الا كظاهرى

و مولده سنة احدى و سبعين و خمسمائه و توفى سلخ جمادى الأولى سنة ٦٤١.

ص: ٢١٣

---

١- قال المعلق هنا: الصحيح المنقدى و العقيقى أخوه محمد.

مرت ترجمته في مكانها و نشر هنا عنه هذه الدراسة المكتوبة بقلم الدكتور عثمان أمين.

الفيلسوف أبو نصر الفارابي هو محمد بن محمد بن طرخان، سمي بالفارابي نسبة إلى الجهة التي ولد بها، و هي ولاية "فاراب" من بلاد الترك في ما وراء النهر. فهو إذن تركي المولد، و ان يكن بعض أصحاب التراجم قد ذكر أن أباه كان قائدا، و أنه فارسي الأصل. و مهما يكن الأمر فالفارابي، بجمله ثقافته، و مؤلفاته، فيلسوف عربي، بل لقد قال أحد المستشرقين أن الفارابي هو "مؤسس الفلسفة العربية". و من قبل رأى كثيرون من مؤلفي العرب انه أكبر فلاسفة المسلمين، و قال فيه ابن سبئين(1): "هذا الرجل أفهم فلاسفة الإسلام، و أذكرهم للعلوم القديمة، و هو فيلسوف فيها لا غير، و مات و هو مدرك محقق..". و قال ابن خلكان: "و لم يكن فيهم (أي فلاسفة الإسلام) من بلغ رتبته في فنونه، و الرئيس ابن سينا بكتبه تخرج، و بكلامه انتفع في تصانيفه". و قال بعض المستشرقين: "و ليس شيء مما يوجد في فلسفه ابن سينا و ابن رشد الا و بذوره موجوده عند الفارابي". و قد كان كتاب العرب يعدون الفارابي أكبر العلماء بعد أرسطو. و لما كانوا يطلقون على أرسطو "المعلم الأول"، فقد أطلقوا على الفارابي "المعلم الثاني".

وفاته عند سيف الدولة

و قد كان الفارابي مولعا بالأسفار منذ صغره تنقل في بلاد الإسلام حتى دخل العراق، و أقام ببغداد فتلقى طرفا من علوم الفلسفه، و كان من زملائه في التلمذه أبو بشر بن يونس النصراني، المشهور بترجمته للكتب اليونانية.

و بعد أن أقام الفارابي زمانا في بغداد، ارتحل عنها إلى حلب، و اتصل بالأمير الحمداني سيف الدولة، و نال الحظوه عنده و تزيا بزى أهل التصوف، ثم صحب الأمير إلى دمشق في حملته عليها و وافته منيته بدمشق، و قد ناهز الثمانين من عمره.

### بدأ حياته متفلسفا، و ختمها متصوفا

و أظهر ما يستوقفنا في حياه الفارابي أنه كان رجلا يميل إلى التأمل و النظر، و يؤثر العزله و الهدوء، بدأ شبابه متفلسفا، و قضى كهولته متفننا، و ختم حياته متصوفا. ذكروا أنه كان لا يوجد غالبا الا في مجتمع ماء أو مشتبك رياض، و يؤلف كتبه هناك. و الحق لقد كانت حياته الفكرية خصبه جدا: ألف كتبا كثيرة ضاع أكثرها. على أنه اشتهر بين العرب بشروحه على فلسفه أرسطو. و لكن همه الفارابي لم تقف عند الشروح. فقد ألف طائفة من الرسائل أوضح فيها فلسفته الخاصة، "كفصوص الحكم"، و "إحصاء العلوم"، و "الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون و أرسطو"، و "آراء أهل المدينة الفاضله" و "تحصيل السعاده" و غيرها.

### علمه بالموسيقى

و قد كانت للفارابي معرفه بالطب، و كانت له مواهب بارزه في الموسيقى علما و فنا: و قد كتب أشهر رساله في نظريه الموسيقى

الشرقيه، و يذكرون من براعته فى هذا الفن انه صنع آله موسيقيه شبيهه بالقانون، عزف عليها مره فاضحك الحاضرين، و عزف مره ثانيه، فابكاهم، و عزف مره ثالثه فانامهم، ثم انصرف.... و لقد أعجب سيف الدوله بمواهب الفارابى، و ما زال الدراويش "المولويه" يحتفظون فى أغانيهم. ببعض الأنغام المنسوبه إلى ذلك الفيلسوف الفنان.

## فلسفته:

### التوفيق بين أفلاطون و أرسطو

كان الفارابى يرى الفيلسوفه اليونانيه رأيا يبدو لنا اليوم عجيبا، كان يراها فلسفه واحده فى صميمها، لا اختلاف بين مذاهبها و قضاياها. و لما كان أفلاطون و أرسطو فى نظره الإمامين الممثلين للفيلسوفه اليونانيه، فمذاهبها عنده مذهب واحد على الحقيقه. و ان كانت هنالك مسائل كثيره يظهر الخلاف فيها بين الفيلسوفين اليونانيين، فالفارابى لا يعده خلافا جوهريا ما دام الاتفاق واقعا على الأصول و المقاصد.

و إنما يسلم الفارابى باختلاف أفلاطون و أرسطو فى أمرين: فى منهجهما التعليمى، و فى سلوكهما العملى.

أما من حيث المنهج، فالفارابى يلاحظ أن أفلاطون لم يدون كتبه إلا أخيرا، و أنه عمد إلى الرموز و الإشارات صونا للحكمه، و ضنا بها على من لم يكن من أهلها، فى حين أن أرسطو جرى على منهج التقرير و التدوين و الإيضاح و التبيين.

و أما من حيث السلوك العملى، فافلاطون فى نظره رجل تزهّد و تخل عن الدنيا و شواغلها، فى حين أن أرسطو رجل أقبل على الدنيا و التمس أسبابها و خيراتها.

و قد يعجب القارئ العصرى للفارابى كيف تورط فى نظريته تلك فخلط بين مذهبين متعارضين متميزين، كالمذهب الأفلاطونى و المذهب الأرسطى، و أحدهما مذهب "مثالى" معن فى المثاليه، و الثانى مذهب "واقعى" يريد أن يخفف من غلواء المثاليه الأفلاطونيه! فمن المعلوم أن أفلاطون قد رأى انه لا- وجود للأفراد و الأشخاص و المحسوسات، لأنها متغيره، و إنما الموجود حقيقه هو "المثال" أى المعنى الكلى العام، المجرّد من المشخصات الحسيه. فالمعنى الكلى للإنسان، أو "مثال" الإنسان هو "الماهيه" الثابته للناس على اختلافهم. و بهذه المثاليه أقام أفلاطون المذهب المثالى المشهور. أما أرسطو فرأى خلافا لأستاذه أن الموجود ليس هو المعنى الكلى المجرّد الذى يشترك فيه أفراد كثيره، و إنما الموجود عنده هو الأفراد المحسوسه نفسها: فمثلا سقراط هو سقراط، لا- بما يشترك فيه مع جميع الناس، بل بما يخصه و يميزه ممن عداه من الناس. و لذلك كان أرسطو فى فلسفته أقرب إلى "الواقع" المحسوس و ألصق بعالم الشهاده، فى حين أن أفلاطون كان كثير التحليق فى "عالم المثل".

و هذا ما فات الفارابى أن يراه من تعارض بين مذهبي الفيلسوفين اليونانيين: و لكن يبطل العجب إذا علم السبب. و السبب بسيط، و هو أن الفارابى - فى محاولته التوفيق بين رأيي الفيلسوفين - أخذ يستشهد بكتاب مشهور آنذاك على أنه لأرسطو، و هو الكتاب المعروف باسم "أثولوجيا أرسطوطاليس"، و ظن أن هذا الكتاب لأرسطو حقيقه، و لم يخطر بباله - كما لم يخطر ببال أحد من مفكرى ذلك العصر - ان نسبه الكتاب لأرسطو خطأ، و إنما هو شذرات من كتاب "التاسوعات" للفيلسوف الاسكندراني "أفلوطين" شيخ المذهب المسمى بالافلاطونيه الجديده.

---

١- هو ابن سبعين الإشبيلي، فيلسوف عربي و صاحب طريقه صوفيه و اشتهر باجوبته التي رد على الأسئلة التي وجهها فريدريك الثاني إلى علماء سبته.

و أعجب من هذا أن نجد الفيلسوف العربى، بعد أن حاول أن يثبت اتفاق أفلاطون و أرسطو، باعتبارهما ممثلين للفلسفه القديمه، يحاول محاوله جديده، و هى أن يثبت أن لا خلاف بين الفلسفه اليونانيه من جهه و بين عقائد الشريعة الإسلاميه من جهه أخرى.

و لتعليل ذلك يسير أيضا: فالفارابى كان فيلسوفا و مسلما فى آن واحد، أعنى أنه كان موقنا بجلال الفلسفه من جهه و كمال الإسلام من جهه أخرى.

فالفلسفه و الدين عنده أمران متفقان. لأن كلا منهما حق، و الحق لا يخالف الحق. و أن شئنا قلنا: الفلسفه و الدين يعبران عن حقيقه واحده من وجهين مختلفين، و كل ما فى الأمر أن الفلسفه فى سعيها للوصول إلى الحقيقه تستعمل وسائل غير الوسائل التى يعمد إليها الدين. ففى حين أن الدين يلجأ إلى طرق التخيل و الاقناع النفسى، تلجأ الفلسفه إلى المعقولات و البرهان المنطقى، و بينا الفلسفه بطبيعتها تتجه إلى "الخاصه" أو إلى "أصحاب الأذهان الصافيه" - كما يقول الفارابى نفسه - نجد الدين إنما يتجه إلى "الكافه" و إلى الجمهور على حسب ما يطيقون.

## الفيلسوف الكامل

و الآن ما معنى الفلسفه عند الفارابى؟ يرى الفارابى أن الفلسفه ليست علما جزئيا، كعلوم الرياضه و الطبيعه و الطب و ما شاكلها، و إنما هى علم "كلى" يرسم لنا صوره شامله للكون فى مجموعته. و هذا ما قال به فلاسفه اليونان من قبل. و لكن الفارابى يزيد على فلاسفه اليونان رأيا طريفا، فيقول: "ان الفيلسوف الكامل" هو الذى يحصل هذا العلم الكلى، و يكون له فى الوقت نفسه قدره على استعماله، يعنى أنه هو ذلك" الذى يحصل الفضائل النظرية أولا، ثم الفضائل العمليه ببصيره يقينيه ". أما الفيلسوف "الزور" أو "الباطل" فهو ذلك" الذى يشرع فى أن يتعلم العلوم من غير أن يكون موطا نحوها".

ذلك أن الفارابى يرى أن للشروع فى النظر الفلسفى شروطا ينبغى توافرها، و هى فى جملتها عبارته عن محبه الصدق و العدل و الخير، و تصفيه النفس من شوائب الماده و شواغل الحواس: فان الذى سبيله أن يشرع فى النظر الفلسفى "ينبغى أن يكون له بالفطره استعداد للعلوم النظرية، و هى الشرائط التى ذكرها أفلاطون فى كتابه فى السياسه (يقصد كتاب "الجمهوريه"): و هى أن يكون جيد الفهم و التصور، ثم أن يكون بالطبع محبا للصدق و أهله و العدل و أهله، غير جموح و لا لجوج فيما يهواه، و أن يكون غير شره على المأكول و المشروب..، تهون عليه بالطبع الشهوات و الدرهم و الدينار و ما جانس ذلك، و أن يكون كبير النفس عما يشين عند الناس، و أن يكون ورعا، سهل الانقياد للخير و العدل، عسر الانقياد للشر و الجور، و أن يكون قوى العزيمه على الصواب ". ثم بعد ذلك يكون "قد ربي على نواميس و على عادات تشاكل ما فطر عليه، و أن يكون صحيح الاعتقاد لآراء المله التى نشأ عليها، متمسكا، بالأفعال الفاضله التى فى ملته، غير مخل بكلها أو بمعظمها..".

و الفيلسوف الباطل هو ذلك الذى "يتعلم العلوم النظرية و لم يزود و لم يعود الأفعال الفاضله بحسب مله ما، و لا الأفعال الجميله



التي هي في المشهور جميله "بل" كان تابعا هواه و شهواته في كل شيء "و رجل كهذا، لم يشعر بالغرض الذي التمس له الفلسفه...، فحصل على الفلسفه النظرية أو على أجزاء من النظرية فقط، و ظن هذا كافيا، بل لعله ظن أن الغرض مما حصل منها أن ينال بعض ما يظنه عامه الناس سعادات و خيرات، فأقام علمها طلبا لذلك، و طمعا في أن ينال بعض ذلك الغرض".

و عندنا أن هذه الحدود و التعريفات تبين - لأول مره في تاريخ الفكر الفلسفي العربي - أن للفلسفه الصحيحه مهمه "جوانيه" على الأصاله، إذ توحد بين "البصر" و "البصيره"، و تؤلف بين النظر و العمل، حين تجعل الفعل منبثقا من الفكر انبثاقا عفويا طبيعيا لا- قسر فيه و لا- إعنات. و تذكرنا هذه الأفكار الفارابيه العميقه بأفكار شبيهه بها سيوردها الفيلسوف اليهودي "اسبينوزا Spinoza الذي عاش في القرن السابع عشر، و تاثر بأراء الفارابي تأثرا لا نزاع فيه بشهاده الباحثين الغربيين أنفسهم.

و لعل الفارابي، بين فلاسفه الإسلام القدماء، هو الفيلسوف الحق بالمعنى الذي بينه هو نفسه في كتبه و رسائله: فقد عرفنا من سيرته أنه أراد أن يحيا على وفاق مع المبادئ التي وضعها في مذهبه، و حاول أن يكون فيلسوفا في سره و علانيته، في جوانيه و برانيه، و في فكره و سلوكه. و واضح من تأملات الفارابي أن للفلسفه أهلها "الموطنين" نحوها، أي المستعدين لها. و ليس كل حافظ للعلوم فيلسوفا، و من اشتغل بالفلسفه طمعا في جاه أو رئاسه أو مال، فهو "براني" دخيل عليها، و ليس من أهلها على الحقيقيه، و إنما هو - على قول الفارابي - فيلسوف "زور" و "بهرج" و "باطل"، و خليق به أن ينبذ من زمره "الخاصه" المصطفين، و أن يسلك في عداد الدجالين المهرجين..

## المدينه الفاضله أو الدوله المثاليه

و فيما أجملنا من فلسفه الفارابي ما يظهرنا على مبلغ عنايته بالأخلاق و الحياه الفاضله. و لكن الفيلسوف العربي كان معنيا بالسياسه أيضا: كان يحلم بتنظيم العالم تنظيما شاملا يجعل منه دوله مثاليه، على غرار جمهوريه أفلاطون، أو "مدينه" صالحه عاقله، تكون رئاسه الحكم فيها لفيلسوف قد صفت نفسه حتى كاد أن يكون نيبا.

و المدينه الفاضله التي ينشدها الفيلسوف العربي هي نموذج لمجتمع انساني "متمدن راق، يؤدي كل فرد فيه وظيفته الخاصه التي تلائم كفاياته و استعداده. و أفراد المجتمع - كأعضاء البدن - متضامنون متعاونون على الأشياء التي تنال بها السعاده الحقيقيه و الخير الأفضل و الكمال الأقصى.

و هم جميعا يخضعون لرئيس المدينه و يتشبهون به، لأن ذلك الرئيس قد أوتي من الخصال الرفيعه ما يصعب تحقيقه في عامه الناس، فهو سليم البنيه، جيد الذهن، ثاقب الذكاء، حاضر البديئه، ماضى العزيمه، حصيف صادق، عادل نزيه، متجرد من الماده، مؤثر للذائد الروحيه.

و يقرر الفارابي أن "رئيس المدينه الفاضله ليس يمكن أن يكون أي إنسان اتفق، لأن الرئاسه انما تكون بشيئين: أحدهما أن يكون بالفطره و الطبع معدا لها، و الثاني بالهيئه و الملكه و الإراده. فهذا هو الرئيس الذي لا يرأسه إنسان آخر أصلا، و هو الامام، و هو الرئيس الأول للمدينه الفاضله، و هو رئيس الأمه الفاضله، و رئيس المعموره من الأرض كلها".

و تذكرنا الخصال التي يتحلى بها رئيس المدينه الفارابيه بصفات الفيلسوف الأفلاطوني في "الجمهوريه"، و تذكرنا كذلك، في

صوره أوضح، بالصفات التي أضفاها الرواقيون على "الحكيم" الذي جعلوه حائزا لجميع الفضائل. و كما كان "الحكيم" الرواقى شخصا يعسر تحققه على الأرض، فرئيس المدينة الفاضله، عند الفارابى، شخص يعسر وجوده كذلك. و لكن الفارابى يضيف إلى خصال الرئيس التي ذكرناها خصله

ص: ٢١٥

أخرى نادره: و هي قدرته على الاتصال بما يسميه الفلاسفه "العقل الفعال" الذى هو أعلى منزله من العقل الإنسانى الذى "ينفعل" به و يستفيد منه.

فلا- جرم أن تكون غايه العقل الإنسانى و سعادته فى أن يتصل بالعقل الفعال، و بهذا الاتصال يقترب الإنسان من الله. و ليس إنسان قادرا على هذا الاتصال بالعقل الفعال و إنما يستطيعه القليلون من أهل الصفاء لم يشغلهم عالم المادة عن عالم الروح، إلى اختراق الأرض، و تطلعوا إلى اجتلاء السماء.

و أهل الصفاء عند الفارابى فريقان: (الفلاسفه و فريق الأنبياء.

و كل من الفريقين يستطيع، على طريقته الخاصه: ان يجتلى الأنوار، حين يتصل بالعقل الفعال: فما يستطيعه الفيلسوف بالنظر العقلى و التأمل الميتافيزيقى "المجاوز للماده" يستطيعه النبى بمخيله ممتازه و قوه قدسيه أودعها الله فيه.

و إذن فالفيلسوف و النبى، فيما يرى الفارابى هما أجدر الناس بتولى رئاسه المدينه الفاضله لأنهما ينهلان من منهل واحد رفيع، و يرميان إلى غايه واحده ساميه، لأن كليهما، بمواده الخاصه و استعداده لتلقى الأسرار الإلهيه، يستطيع الاتصال بالعقل الفعال، الذى هو منبع الوحي و الإلهامات السماويه، و مصدر الشرائع و النواميس الضروريه لسير الجماعات البشريه.

و الفلسفه و الوحي كلاهما ثمره من ثمرات الوجود الالهى يفيضها الله على من يشاء من عباده الصالحين.

## السعاده العليا أو الخير الاسمى

على أن الفارابى يريد أن لا ينسى أن المدينه الأرضيه، مهما يكن كمالها، ليست غايتها فى نفسها، و إنما هى تدرج فى السعى للوصول إلى السعاده العليا التى هى الخير الاسمى الذى يمكن أن تناله النفوس الزكيه فى العالم الآخر. "و السعاده هى أن تصير نفس الإنسان من الكمال فى الوجود بحيث لا- تحتاج فى قوامها إلى الماده، و ذلك أن تصير فى جملة الأشياء البريئه عن الأجسام، و فى جملة الجواهر المفارقة للمواد، و أن تبقى تلك الحال دائما..".

فالنفس الخيره العارفه هى التى تبقى و تدخل العالم العقلى، و كلما زادت درجتها فى المعرفه و الفضيله فى هذه الحياه، علا مقامها بعد الموت، و زاد حظها من السعاده فى الحياه الأخرى. و كلما كثرت الأنفس المتشابهه، "المفارقة" للماده، و اتصل بعضها ببعض، كما يتصل معقول بمعقول، زاد التذاذ اللاحقين بالماضى، "و زادت لذات الماضين باتصال اللاحقين بهم". لأن كل نفس تعقل ذاتها، و تعقل النفوس الأخرى المشابهه لها، و كلما زاد تعقلها زادت لذاتها. و تكون تلك حال كل طائفه مضت و كل طائفه لحقت على مدى الزمان إلى غير نهايه.

و الظاهر من هذه النظرية فى السعاده أن الفارابى أراد أن يقول انه حين الخروج من هذه الدنيا، تذهب النفوس أفواجا لتلتقى بمواكب الراحلين السابقين، و تتحد بها اتحادا عقليا، إذ ينضم كل شبيه إلى شبيهه. و بهذا النحو من انضمام الروح إلى الروح تزيد لذات الغابرين و الوافدين.

فكره فلسفيه اسلاميه طريفه، تحتاج إلى فنان يقف عندها يستوحىها، و إلى شاعر ينظمها قصيده بارعه، أو إلى موسيقى يصوغها

لحنا جميلا، أو إلى رسام يجعل منها لوحه تسر الناظرين.

## خاتمه

تلك صور سريعه من آراء الفارابى. و الرجل كما قلنا فيلسوف، بأجمل ما لهذه الكلمه من معان. رجل جمع بين ميزتين: الإخلاص للفلسفه، و الايمان بالدين. و بهاتين الميزتين حاول أن يوفق بين لغتين، لغه العقل و لغه القلب، و هما - عنده - لغتان مفهومتان، ضروريتان للانسانيه التى تريد أن تسمو على نفسها، ساعيه وراء الكمال. و كان الفارابى قد جاء إلى العالم ليؤدى رساله جليله، خلاصتها أن الفلسفه و الدين هما النبع الصافى للحياه الروحيه، التى بها يكون المجتمع الإنسانى فاضلا، و بدونها يكون مجتمعا ضالا، فويل للمجتمع إذا تنكر للفلسفه أو انحرف عن الدين! و ما أشقانا إذا طغت علينا الماده، فخلت حياتنا من مشاغل الروح.

## محمد باقر المعروف بالفاضل السبزوارى.

ولد فى (نأمن) أو (نامين) من قرى سبزووار و تبعد عنها بمقدار أربعة فراسخ و نصف الفرسخ، و جهل تاريخ ولادته و تاريخ وفاته و لكنه كان حيا سنه ١٠٨٣.

درس فى مشهد الرضا ثم هاجر إلى أصفهان و فيها وصل إلى منصب شيخ الإسلام، ثم عاد إلى مشهد فبقى فيها حتى وفاته، و قد دفن فى سرداب من حجرات مدرسه ميرزا جعفر المتصله بالصحن الشريف و التى هى مدفن كثير من العلماء.

جدد سنه ١٠٨٣ بناء المدرسه السميقيه التى كانت خرابا و جعل مكانا لتدريسه، و هى معروفه الآن بمدرسه ملا محمد باقر.

من مؤلفاته: كتاب الذخيره، و له رسائل فى الكلام و بعض الفنون الأخرى

## الشيخ محمد باقر بن محمد جعفر الأصفهاني الفشاركى.

ولد فى حدود سنه ١٢٥٢ و توفى سنه ١٣١٤ و دفن فى تكيه آغا حسين الخونسارى فى تخت فولاد باصفهان.

أخذ المقدمات على جملة من أفاضل أصفهان ثم تخرج فى الفقه و الأصول على الشيخ محمد باقر بن المولى محمد تقى الأصفهاني المتوفى سنه ١٣٠١ و غيره ثم تصدر كرسى التدريس و الفتيا و الامامه و الخطابه فى جامع محله نو و جامع القطبيه باصفهان و التف حوله جمع كثير من طلاب العلوم و تخرج عليه جمع من الفضلاء حيث كان له حوزة معموره. و هو من فحول علماء العصر القاجارى ذكره الميرزا حسن خان فى كتابه المآثر و الآثار بما تعريبه: (الملا محمد باقر الفشاركى كان فى طبقات مشاهير علماء أصفهان نرح إلى طهران مرارا و هو من أكابر أئمه الجماعه و فحول الخطباء الموثوقين فى العصر القاجارى) و قال آغا بزرگ الطهرانى فى نقيب البشر:

(كان من تلاميذ الشيخ محمد باقر ابن محشى المعالم و غيره من علماء الدين حتى صار من العلماء الأجلاء الموثوق بهم عند العامه و الخاصه فى أصفهان كان يباحث خارجا فيحضر بحثه فى المدرسه زهاء مائه من الفضلاء و الطلاب و يقيم الجماعه فتاتم

به المجاهير الكثيره و كان خطيبا بارعا إذا رقى المنبر أرضى الحضور على اختلاف طبقاتهم و أفاد كلا بحسبه و كان يخرج ليله الجمعه فى جمع من أصحابه إلى تخت تخت فولاذ و هى (مقبره فى أصفهان كبيره جدا تضاهى وادى السلام فى النجف، فيحييها إلى الفجر بتلاوه القرآن و قراءه الأدعيه المأثوره و الوعظ و الإرشاد و البكاء و بعد اقامه صلاه الصبح يدخل البلد...) ترك مؤلفات طبع قسم منها.(1)

### السيد محمد باقر بن السيد على صاحب حاشيه القوانين المشهوره

ابن السيد إسماعيل القزوينى.

ولد فى النجف الأشرف سنه ١٢٧٠ و توفى بكرىلاء يوم الأربعاء الحسنى سنه ١٣٣٨ و دفن فى الصحن الحسينى كان من أكابر علماء قزوین و فحول فقهاؤها البارزين أخذ المقدمات و السطوح عن أبيه الشهير السيد على

ص: ٢١٦

---

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

القزويني وجماعه من فضلاء عصره، ثم تخرج في الفقه و الأصول على المولى الشيخ الميرزا حبيب الله الرشتي و مدرس الطف الشيخ الميرزا على نقى البرغانى الحائرى آل الصالحى و أخذ الحكمة و الفلسفه عن الشيخ الميرزا علامه البرغانى الحائرى آل الصالحى فى كربلاء ثم رجع إلى موطنه قزوین قائما مقام والده السيد على القزوينى المتوفى سنة ١٢٩٨ و تصدر المترجم له للتدريس و الفتوى و الامامه و كان يصلى الجماعة فى مسجد أبيه المعروف فى قزوین حتى اليوم بمسجد السيد على الواقع أمام ساحه السعاده. و ذكره شيخنا الأستاذ الامام الطهرانى فى نباء البشر الجزء الأول صحيفه ٢١٤ فى ترجمه مختصره دون الإشاره إلى مشايخه و مؤلفاته و سائر خصوصياته.

ترك المترجم له مؤلفات فى الفقه و الأصول منها ١ - شرح على فرائد الأصول، ٢ - طرائق الوصول فى شرح معالم الأصول، ٣ - خزائن الأصول فى شرح قوانين الأصول، ٤ - التحفه الرضيه و هى تعليقه على شرح الروضه البهيه. ٥ - مجمع المسائل يشتمل على مجموعه من المسائل المختلفه من الفقه و الأصول و الفلسفه، ٦ - حاشيه المكاسب و هو تقريرات درس استاذه الميرزا حبيب الله الرشتى، ٧ - كشكول فى ثلاثه مجلدات جمعها فى مواضع شتى.

و خلف من زوجته الأميره صغرى خانم بنت الأمير أسد الله ميرزا ابن الأمير إسحاق ميرزا بن الأمير على نقى ميرزا الملقب بركن الدوله ابن السلطان فتح على شاه القاجارى ولدين عاليمين جليلين: السيد على المعروف ب آغا بزرگ القزوينى العلوى و السيد حسين القزوينى العلوى و ثلاث بنات. (١)

### السيد محمد باقر إبراهيم بن السيد على.

ولد فى قرية الدوير (جبل عامل) سنة ١٩١١ م نشا متنقلا مع والده - الذى كان معلما - بين الدوير و النميريه و حاروف و درس دروسه الابتدائيه فى النبطيه، و فى سن الثامنه عشره اضطر لترك المدرسه و تولى التعليم فى كتاتيب القرى. و فى بدايه العام ١٩٤٨ م عين معلما على ملاك وزاره التربيه فى قرية يونين من قرى منطقه بعلبك فانتظمت حياته الماديه و النفسيه، ثم تنقل فى عدّه قرى من جبل عامل إلى ان استقر ببلدته الدوير حتى احواله على التقاعد.

و قد استفاد فى الدوير من مجالس عمه السيد مهدي إبراهيم فأتقن علوم اللغه العربيه. و فى أول وصوله إلى يونين بدأت المطارحات الأدبيه، فقال الشيخ باقر زغيب مرحبا به:

من آل إبراهيم وافى سيد (يونين منتدبا لعلم صغارها

فلعلمه و لفضله أجدر به من أن يكون معلما لكبارها

و لما استشهد النقيب محمد زغيب فى معركة المالكيه فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ قال فى رثائه متكلمًا بلسانه:

ان غير الموت هذا المنظر الحسنأ أو أخرس الخطب منى المنطق اللسنا

فرب جيش كجنج الليل معتكر يرمى بنيرانه الأمصار و المدنا

قابلته بفؤاد قد من حجر فردا و عزم لغير الله ما وهنا  
و المالكيه تنبى اننى بطل ما فل عزمى و لا باسى الشديد ونى  
فسائلوا ان جهلتم امر صاحبكم هذا الوجود تروا انى الكمى انا  
و قال يرثيه أيضا:

كذا يستسهل البطل الصعابا و يفتح للعلى بابا فبابا  
تجيش بصدرة زهر الأمانى كموج البحر تصطخب اصطخابا  
و يقتحم الخطوب فلا يبالى بنار الحرب تلتهب التهابا  
تطير به إلى العلياء نفس بهام النجم أحكمت القبابا  
و بيت يعربى خثعمى رفيع قد زكا فيه و طابا  
فلا و الله لا يرضى ذئابا تمكن من بلاد العرب نابا  
و من أنشاه رب العرش ليثا فلا يخشى بمعترك ذئابا  
مضى للحرب بسام الثنايا طروب النفس ممتلئا شبابا  
و لكن الردى ألقى سهامها أصاب بها من الشرف اللبابا  
فخر البدر من أفق المعالى صريعا شع فى الدنيا و غابا  
رأى ورد المنون وروود ماء بعين الله فاقتحم الشرابا  
رأى إن مات فى الهيجا شهيدا وروود الموت عذبا مستطابا  
رأى أن الحياه بغير عز و إن طالت فلا تعدو السرابا  
مضى لجنان خالقه سريعا و جر عنا الأسى صابا فصابا  
و قد نسجت له كف المعالى من النور الالهى الثبابا  
و خلد ذكره التاريخ نورا يميظ به عن الدنيا الحجابا

دم الأبطال يوم الحشر نور فلا يخشون ناراً أو عذاباً

هو الشرف الرفيع لكل حر به يرجو من الله الثواب

عليك صلاة ربك كل حين فقد أحسنت لله المآباً

و من طرائفه قوله و هو فى يونين:

بيونين فد [قد] شاهدت كل العجائب فخذ من خير صادق غير كاذب

رأيت أناساً يلبسون ثيابهم على اللحم و الأبصار تحت الحواجب

ص: ٢١٧

---

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.



و كم رجل و الشعر يملأ وجهه و كم غاده تبدو بدون شوارب  
و أعجب من هذا و ذاك سماؤهم تشع إذا جن الدجى بالكواكب  
حميرهم آذانها فى رءوسها و أذناها من خلف مثل الثعالب  
و قال يرثى شقيقته نجبيه و كانت أكبر منه بثلاث سنين شديده الحنو عليه، تعنى بالمجالس الحسينيه و تلقى فيها الشعر:  
ذكرتك و الآلام تفرى فؤاديا و أجريت دمعا كان من قبل عاصيا  
فما كنت إلا فى فم الدهر بسمه و دمعا لأيام المحرم جاريا  
إذا ما ذكرت الطيبين بكر بلا تعلمت الخنساء منك المراثيا  
(نجبيه) هل أنسى من الدهر حقه بقربك كانت متعه فى شبايا  
كان الردى ما حال دون لقائنا و أضحو فارثى غفلتى و شقائيا  
أراك بقلبي يا نجبيه دائما كما كنت و الأيام تبدو كما هيا  
ملأت قلوب السامعين فكاهه و ما انفك فى سمعى حديثك جاريا  
شقيقه روحى يا نجبيه ها أنا أناديك لم لا تسمعين ندائيا  
و كاد يفر القلب عن مستقره غداه أتى الناعى لبيتى ناعيا  
نعى الطهر و الأخلاق و النبل و التقى فهيج فى صدر الجميع البواكيا  
شقيقه روحى قد وقفت مؤبنا و كنت لروحى عند موتك راثيا  
فجاءت من الشعر الحزين قصيدتى و هل أنت إلا قطعه من فؤاديا  
فطوبى لك الجنات فى قرب فاطم فكم بالحسين السبط صغت النواعيا  
و قال من قصيده:

هل العيد إلا أن نكون أعزه نشيد على هام النجوم مبانيا  
و ننظر فى تاريخ يعرب نظره تعيد لنا تلك العصور الخوالي

عصور الألى قادوا الجيوش إلى العدى و هزوا بوجه الدهر تلك المواضيا

## السيد محمد باقر بن السيد مهدي بن السيد محمد على الرضوى

الكاشانى الدزفولى المتخلص و الشهير بأشفته

ولد سنة ١٢١٧ و توفى فى طريق النجف سنة ١٣٣١ و دفن فى النجف عالم فاضل أديب شاعر متفنن له نظم فى أسلوب متين أصله من السادات الرضويه فى كاشان و ولد فى دزفول و أخذ المقدمات هناك على جملة من فضلائها و أولع بالأدب و الشعر فاتقنها ثم انخرط فى سلك الدراويش و أخذ يتجول فى أنحاء ايران لا سيما مازندران حتى وقع أسيرا فى ايدي التركمان ثم تمكن من الهرب و توجه إلى مشهد الرضا (ع) و مكث هناك سنتين فى بقعه الخواجه ربيع معتكفا هناك و منها سافر إلى كرمانشاه ثم سكن طهران و لقبه السلطان ناصر الدين الشاه القاجارى بلقب فصيح السلطنة و عين له راتبا شهريا تقاضاه من البلاط ثم قصد زياره العتبات المقدسه فى العراق و توفى فى طريق النجف و دفن فى النجف - كما تقدم - له ديوان شعر فى مدح الأئمة الأطهار طبع فى طهران. و كان له ولد يسمى محمدا أيضا و كان كاييه شاعرا و يتخلص مثله بأشفته فالتبس على شيخنا آغا بزرگ هذا التشابه فى التخلص الواحد بين الأب و الابن فنسب الديوان المطبوع إلى السيد محمد، و ربما سقطت كلمه (باقر) حين طبع الذريعه.(١)

## الشيخ محمد تقى و يقال محمد بن الشيخ احمد الاحسائى مؤسس

الفرقه الشيعيه) ابن الشيخ زين الدين بن إبراهيم بن صقر بن إبراهيم بن

داغر بن رمضان بن راشد بن دهيم بن شمروخ آل صقر المطيرفى

الاحسائى.

المتوفى سنة ١٢٧٥.

هو أرشد أولاد أبيه كان من علماء الأ-صوليين و كبار الفقهاء و أهل الفضل و مثالا للورع و التقوى ذكره فى أعيان الشيعه مع ترجمه والده فقال: (أولاده كان له ولدان فاضلان أحدهما يسمى محمدا و الآخر عليا و كان محمد ينكر على أبيه طريقته أشد الإنكار نظير ما يحكى عن الميرزا إبراهيم بن ملا-صدرا من إنكاره على أبيه) و الظاهر انه نقل هذه العبارات عن الخوانسارى حيث قال فى روضات الجنات: و كان له أيضا ولدان فاضلان مجتهدان سميا:

محمدا و عليا الا-ان الشيخ محمد ولده الفاضل -الأ-كبر ظاهرا - كان ينكر على طريقه أبيه أشد الإنكار نظير انكار الميرزا إبراهيم بن المولى صدرا على أبيه...)) أقول: أعقب الشيخ احمد الاحسائى اربعة أولاد هم الشيخ محمد تقى و الشيخ على نقى و الشيخ حسن و الشيخ عبد الله كلهم علماء و المترجم له أكبرهم و هو مولود فى الإحساء احدى المراكز الشيعيه فى شبه الجزيره العربيه، و أخذ المقدمات عن جملة من أفاضل الإحساء ثم حضر سنين على والده الشهير و هاجر معه إلى ايران و أخذ الفقه و الأصول من الشهيد الثالث و شقيقه الشيخ محمد صالح البرغانى و تخرج فى الحكمة و الفلسفه على الآخوند ملا آغا الحكمى

القزوينى و الآخوند ملا يوسف الحكيمى القزوينى فى المدرسه الصالحيه بقزوين و المولى ملا على البرغانى و له إجازة من أبيه شارك فيها أخاه الأصغر الشيخ على نقى مؤرخه سنه ١٢٣٦ هجرية و جاء تاريخها سهوا فى كشف الحجبسنه ١٢١٦ هجرية (٢) و له إجازة ثانيه كتبها والده الشيخ احمد الاحسائيل للشيخ ملا على البرغانى أشرك فيها ولده المترجم له و الإجازة بخط المجيز موجوده عندنا فى قزوين.

و المترجم له ينكر طريقه أبيه أشد الإنكار و حينما كان يذكر أقوال أبيه كان يرد عليه و يقول: (كذا فهم عفا الله تعالى عنه) و كان من العلماء الذين شاركوا فى مجلس مناظره أبيه فى ديوان الشهيد الثالث بقزوين فوقف موقفا مشرفا مخالفا لأبيه.

من مؤلفاته رساله فى الاجتهاد و الاخبار كتبها فى جواب سؤال الشيخ

ص: ٢١٨

---

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الميرزا محمد باقر الخوانسارى روضات الجنات ج ١ ص ٩٢ منشورات مكتبه اسماعيليان طهران سنه ١٣٩٠ هجرية.

عبد الله بن محمد على القطيفي و أنكر فيها طريقه أبيه و صرح معارضته الحاده له و يطلب من الله المغفره لأبيه و يرد فيها على أقوال أبيه ثم يقول "كذا فهم والدى عفا الله تعالى عنه" و عندنا منها نسخه.

و سكن المترجم له في قزوین و كان له رئاسه معززا مكرما.(١)

### ميرزا محمد تقى المتخلص: بنير.

ولد سنه ١٢٤٨ في تبريز و توفي سنه ١٣١٢.

كان عالما أديبا شاعرا هاجر من تبريز إلى النجف الأشرف و عمره ٢٤ سنه فتابع دراسته على كبار العلماء. من مؤلفاته: صحيفه الأبرار.

مفاتيح الغيب. اللآلى المنظومه. ديوان غزليات. مثنوى در خوشاب، كشف السبحات. رساله لمح البصر. رساله نصره الحق. و له عدده رسائل كتبها إلى ميرزا يوسف خان مستشار الدوله فيما يتعلق بالفتاء الإسلاميه.

كان معتبرا من أمهر الخطاطين، كما أن له نظما باللغه العربيه.

### محمد تقى بن محمد قاسم الجيلانى التنكابنى.

ولد حدود ١٢٢٠ و توفي ١٢٥٧.

ولد في مدينه رامسر و أخذ المقدمات بها ثم ذهب إلى أصفهان برفقه أخيه عبد الواسع و حضر بحث المولى على النورى و الجيلانى رأيت من تأليفاته منظومه في النحو فيها هذا البيت

قد نظم العبد الأقل الآثمو هو تقى ابن محمد قاسم

(٢)

### المولى محمد تقى بن فقيه على التنكابنى اليوشى.

هو من اعلام القرن الثانى عشر ولد في يوش و نشأ بها ثم ذهب إلى أصفهان و تتلمذ على اعلامها و رجع إلى موطنه يوش.

رأيت تعليقاته على بعض الكتب الأدبيه و الفقيهيه تدل على سعه معلوماته.

و يوش هي قريه بقرب من مدينه نور كانت سابقا تتبع ناحيه تنكابن و حاليا تتبع نور.(٣)

### الشيخ محمد تقى التنكابنى بن محمد بن رحيم بن منصور بن رحيم

السمامى

توفى سنة ١٣٢٢.

ولد فى رامسر و نشأ بها و أخذ المقدمات و السطوح من علمائها ثم ذهب إلى قزوین و أقام مده بها مشغلا بالتحصيل ثم هاجر إلى النجف الأشرف و درس على أعلامها ثم ذهب إلى كربلاء ثم إلى سامراء فحضر بحث السيد الشيرازى و السيد إسماعيل الصدر ثم ذهب إلى قزوین بامر استاذة الشيرازى و أقام بها مشغلا بالتدريس و إمامه الجماعه و قضاء حوائج الناس و فى سنه ١٣١٢ ذهب إلى سامراء و بقى بها حتى توفى استاذة الشيرازى و بعد ذلك هاجر مع استاذة السيد إسماعيل إلى كربلاء و أقام مده بها و لطلب من أهالى قزوین عاد إليها و أقام بها حتى توفى، له مؤلفات منها:

١ - الحاشيه على نجاه العباد.

٢ - الفوائد العسكريه فى أصول الفقه مجلدان.

٣ - المصايح فى الفقه رأيت منه ثلاثه مجلدات فى الطهاره و الصلاه و الزكاه و الصوم.

٤ - الحاشيه على عين الأصول. ٥ - تقارير الميرزا الشيرازى فى الفقه و الأصول.(٤)

### السيد محمد تقى الجلالى الحسينى ابن السيد محسن.

ولد فى كربلاء ٢٢ جمادى الثانيه سنه ١٣٥٥ و استشهد فى رمضان سنه ١٤٠٢.

والده: السيد محسن ولد فى سامراء فى المحرم الحرام سنه ١٣٣٠ و توفى سنه ١٣٩٦ فى كربلاء. بدأ دراسته الأولى فى كربلاء ثم انتقل إلى النجف الأشرف و حضر بحث كلا من السيد أبو الحسن الأصفهاني و الشيخ ضياء العراقى و الشيخ محمد حسين النائينى و السيد محمد على الشاه عبد العظيمى و الشيخ صدر الباذكوبى. ثم عاد إلى كربلاء و حضر بحث كل من السيد محمد هادى الخراسانى و السيد هادى الميلانى و السيد مهدي الشيرازى. و فى سنه ١٣٧٢ صار اماما فى الحرمين الحسينى و العباسى.

له عدده مؤلفات منها: مصباح الهدى، حاشيه الكفايه، حاشيه على القوانين، حاشيه على شرح اللمعه.

و جده لأبيه: السيد على ولد فى كربلاء سنه ١٢٩٠ و توفى فيها سنه ١٣٦٧ درس أولا- فى كربلاء ثم هاجر إلى سامراء فدرس على الشيخ محمد تقى الشيرازى، و لما عاد استاذة إلى كربلاء عاد معه و صار اماما فى الحرم الحسينى. و جده لأمه: السيد محمد هادى الخراسانى ولد سنه ١٢٩٧ فى كربلاء و توفى فيها سنه ١٣٦٨(٥).

بدأ المترجم له دراسته فى كربلاء و فى سنه ١٣٧٧ انتقل إلى النجف الأشرف فتابع الدراسه هناك على السيد محسن الحكيم و السيد أبو القاسم الخوئى. و قد انتدبه السيد الحكيم سنه ١٣٧٨ للإرشاد فى ضواحي السماوه و الديوانيه خلال العطل الدراسيه طيله سنتين. و فى سنه ١٣٨٠ أرسله إلى بلده الزرباطيه لمدته سنتين و فى سنه ١٣٨٥ استقر فى بلده (القاسم).

و لما طغى النظام التكريتي كان المترجم من ضحاياهم و شهدائه الأبرار فقد اعتقل و عذب و مات في التعذيب. و فوجئ اهله بان جلاوزه النظام يطرقون باب دارهم في النجف و يقولون لهم بأنه قد تقرر اطلاق سراحه و يطلبون إليهم الذهاب إلى بغداد للعودة معه فصدقوا ذلك، و لما ذهبوا معهم إلى سجن أبي غريب في بغداد سلموهم جثته.

له من المؤلفات المطبوعه: البدايه في علمى النحو و الصرف، موجز تاريخ الروضه القاسميه و غير ذلك. و من المخطوطه: حاشيه على رسائل الشيخ الأنصارى، شرح على المكاسب، شرح كفايه الأصول، حاشيه الحاشيه لملا عبد الله، حاشيه على معالم الأصول، شرح الخطبه الشقشقيه فى سبعة اجزاء، تفسير الفرقان فى ثلاثين جزءا و غير ذلك و هو شقيق العالمين الباحثين المؤرخين السيد محمد حسين و السيد محمد رضا اللذين هما اليوم فى الطليعه من رجال البحث العلمى المنظم العميق، و قد برزت لكل منهما بحوث هى موضع اهتمام الدارسين و مصدر موثوق للكاتبين.

### الميرزا محمد تقى بن محمد صالح الحكيم التنكابنى.

ولد حدود ١٢٢٠ و توفى أواخر القرن الثالث عشر.

ولد فى تنكابن و نشأ بها و دخل المدارس العلميه فى تنكابن و قرأ المقدمات و المبادئ بها ثم ذهب إلى قزوین و دخل بمدرسه سردار فاخر القزوینى و حضر عند اعلامها فى الفقه و الأصول و الحكمه ثم بعد ذلك انصرف إلى تعلم الطب و جد فى ذلك حتى بلغ درجه ساميه و اشتهر صيته - فيه ثم رجع إلى موطنه و بقى فيه حتى توفى. له مؤلفات فى علم الطب

ص: ٢١٩

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- السامى.

٣- الشيخ محمد السامى.

٤- الشيخ محمد السامى.

٥- راجع ترجمته فى المجلد العاشر من أعيان الشيعه.

مسوده لم يخرج أكثرها إلى البياض. (١)

## شمس الدين محمد المعروف بحافظ الشيرازي.

مرت ترجمته في الصفحة ٣٥٦ من المجلد التاسع، و نزيد عليها هنا ما يلي:

قال آرثر آربري، و ترجمه للدكتور سامي مكارم:

عند ما ولد حافظ، و هو باتفاق الجميع أعظم شعراء الفرس، كان إقليم فارس ينعم باستقلال حقيقي تحت حكم شرف الدين محمود شاه. و كان الايلخان اولجايتو في الأصل قد عين محمود شاه مديرا لشئون الممتلكات الملكيه (اينجو) في تلك الأنحاء، و في عهد أبي سعيد، خليفه اولجايتو، أصاب محمود شاه المزيد من النجاح، فما بلغ سنه ١٣٢٥ حتى أصبح لا ينازعه منازع الا عصابات اللصوص التي كانت تعيث بالجدال فسادا و تجتاح من وقت لآخر السهول. نزع والد حافظ، علي ما يقال، من أصفهان إلى شيراز، عند ما كان الأتابكه لا يزالون في أوجهم، فاشتغل بالتجاره و أصاب قسما من النجاح و لكنه في أواخر حياته أخذ ياهمال اعماله. فلما مات خلف ارملته و ولده الصغير في ضائقه ماليه.

لم يكن حافظ قد بلغ العقد الثاني من عمره عند ما لقنه الدهر أول درس في اضطراب الحكم، هذا إذا كان قد أصبح في تلك السن المبكره واعيا للأحداث السياسييه، و لا أظنه الا كذلك لكونه فارسيا. ذلك أن أبا سعيد، في آخر عهده، تنكر لمحمود شاه و خلعه. أما خليفه أبي سعيد اربا خان فقد احتفل بصعوده على العرش بان أعدم محمود شاه في تبريز، و كان ذلك سنه ١٣٣٥ م. و في السنه التاليه سقط اربا، فابتهج لذلك أبناء محمود و نقلوا جثمان أبيهم إلى شيراز ليرقد بالقرب من عظام ابن خفيف المباركه.

كان ذلك هو العمل الوحيد الذي قاموا به مشتركين. فما أن انتهت مراسم الدفن حتى دب بين الإخوه نزاع على من سيعتلي عرش والدهم.

بدأ النزاع بان قتل مسعود شاه أكبر الإخوه الأربعة الابن الثاني كيخسرو الذي كان مستاثرا بالعرش أثناء وجود مسعود في المنفى المؤقت، ثم أمر بحبس الابن الثالث محمد في قلعه سفيد. غير أن محمدا ما لبث أن فر إلى بير حسين الجوباني الذي كان معسكرا بالقرب من تلك الأنحاء، و هو ينتمي إلى عائله من الأمراء كان قد قوى شكيمتها غازان خان. فاستطاع بفضل بير حسين هذا أن يطرد مسعودا من شيراز. غير ان انتصاره هذا كان قصير الأمد، فما لبث بير حسين ان استهواه هذا النصر فقتل محمدا و فكر بالاستئثار باقليم فارس مما أثار غضب أهالي شيراز فقاتلوه و طردوه و رحبوا بعوده مسعود. و في العام التالي عاد حسين يعينه على ذلك قريب له يدعى أشرف.

و لكن القائدين منيا بالهزيمه، فانسحب أشرف برجاله و فر حسين إلى ابن عمه الأمير حسن كوجك فباغته هذا الأخير و قتله في الحال.

أما أبو إسحاق الابن الأصغر لمحمود شاه، الذي كان قد ولى أصفهان من قبل حسن كوجك فقد قرر الآن أن يطالب بشيراز. و

كان مسعود بعد أن طرد من العاصمه قد طلب من ياغى باسنى أن يستعيد له العرش. فى هذه الأثناء طلب أبو إسحاق المعونه من أشرف شقيق ياغى باسنى. و أخذ ياغى باسنى مسعودا إلى أسوار شيراز و لكنه ما لبث أن قتله هناك. و كان ذلك سنة ١٣٤٣ م. ثم انه أراد أن يحالف أشرف بغيه الاستيلاء على شيراز للجوبانيين، غير أن أمير هؤلاء حسن كوجك رأى فى تلك الأثناء أن ينازع ملك بغداد الجلائرى، حسن بزرگ، اماره فارس، فقتل فى المعركه بيد زوجه فى ١٥ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٣٤٣. ثم استحكم الخلاف بين اخوته على من سيخلفه، فحال ذلك دون إيقاف أبى إسحاق عن التقدم.

تلك كانت الحاله العامه المتلونه التى نشأ فيها حافظ الفتى. و لكنه استطاع أن يحصل على ثقافه جيده كان منها ان حفظ القرآن عن ظهر قلب (فاستحق لذلك لقب الحافظ)، و شق طريقه مخاطرا إلى دنيا التأليف.

و لكن أشعاره لم تجمع الا بعد موته، لترتب قوافيها على الأحرف الأبجديه وفقا لما كانت عليه عقليه الجامعين فى تلك الأيام و كلفهم بهذا النوع من الترتيب. و هكذا ضاع علينا إبداع ايه وسيله لتعيين تواريخ هذه الأشعار، و لم يبق لنا الا الدلائل الداخليه. و الدلائل الداخليه تفتح بابا للظن و التخمين، فهى ليست واضحه كل الوضوح كما انها لا تكفى بمفردها.

غير انه لدينا قطعه ذكر فيها الشاعر اسم مسعود و هذا خواجوى كرمانى (توفى سنة ١٣٥٢) أحد شعراء أبى إسحاق. و كان حافظ يفاخر بأنه يقتدى بشعره. و ليس غريبا أن يكون حافظ قد تعرف بخواجوى بواسطه أمين الدين الذى توفى سنة ١٣٤٤ فادخله إلى الحلقة الملكيه. أما عضد الدين عبد الرحمن بن احمد الإيجى (توفى سنة ١٣٥٥) فقد كان قاضيا و معلما فى شيراز وضع بالعريه كثيرا من الكتب فى الفلسفه و علم الكلام مما جعله فى مصاف كبار الثقات فى هذين الحقلين، فكانت كتبه تدرس فى مختلف بلاد الإسلام حتى بعد وفاته بمدته طويله. و قد بلغ كتابه "المواقف" شهره واسع، فوضع عليه كثير من العلماء الشروح و شروح الشروح و التعاليق. و لا شك فى أن حافظا حضر دروسه. و أما حاجى قوام فاسمه الكامل حاجى قوام الدين حسن التمججى. و قد قام بدور كبير فى تمكين أبى إسحاق من العرش و كان يبذل ثروته الطائله بسخاء فى تشجيع العلم و الأدب. قدم إليه ابن زركوب كتابه "تاريخ شيراز" كما خصه حافظ بثلاث قصائد على الأقل مدحه فيها مباشره أثناء حياته، علاوه على مدحه إياه بصوره غير مباشره فى قصائد أخرى كثيره - كما رثاه سنة ١٣٥٣. كذلك نظم حافظ قصيده بليغه رثى بها مجد الدين إسماعيل و ذلك حين توفى سنة ١٣٥٥ عن أربع و تسعين سنه، و هذا مطلعها:

ان مجد الدين السرى و سلطان القضاء إسماعيل

الذى كان قلمه الفصيح يسجل خطبا فى الشريعه.

برهن أبو إسحاق، الذى تسلم أخيرا العرش بعد محاولات فاشله عديده، على انه رجل طموح فما استتب له الأمر فى شيراز و بقيه إقليم فارس حتى أخذ يعمل على توسيع ممتلكاته (يشجعه على ذلك ما آلت إليه دوله المغول آنذاك من تفسخ، شأنه فى ذلك شأن الكثير من الأمراء)، فضم إليه يزد و كرمان. و قد أدى به ذلك إلى التصادم مع بنى المظفر المجاورين. و هى أسره أسسها شرف الدين مظفر (توفى سنة ١٣١٤ م).

و كانت تحت امره أرغون و غازان و اولجايتو على التوالي، كما كانت عاصمتها ميبذ بالقرب من يزد. خلف مظفرا ابنه مبارز



الدين محمد، و كان فى ذلك الوقت فتى فى الثالثه عشره من عمره و لكنه ما عتم حتى أصبح حاكما حازما قاسيا، فاستولى على يزد حوالى سنه ١٣١٨ محافظا على امارته الصغيره ضد الثورات الدمويه. و قد أفاد هو أيضا من الفوضى التى نتجت عن موت أبى سعيد فضم اليه كرمان سنه ١٣٤٠ م. و حاول أبو إسحاق مرتين ان يخلص كرمان من قبضه أميرها الجديد و لكنه فى المرتين منى بالفشل. و فى سنه ١٣٥٠ م حاول استخلاص يزد فصد حالا. يدلنا على أن حافظا نظم بعض أشعاره مرضاه للملك قبل سنه ١٣٤٣. و لكن عبقريته تفتحت حقا فى عهد أبى إسحاق الذى حكم عشر سنوات. و كان حافظ يتذكر هذه الأوقات و فى قلبه حزن عميق:

ص: ٢٢٠

---

١- الشيخ محمد السامى.

فى الحقيقه أن خاتم أبى إسحاق الفيروزجى قد أومض فى بهاء، و لكن دولته كانت متعجله.

و كان الشاعر يجب أن يتذكر أولئك العظماء الذين شرفوا بمواهبهم المختلفه بلاط آخر بنى اينجو. فقال هذه الأبيات التى أصبحت مضرب الأمثال لكثرة ما ردها الناس ترديدا أصيب فى بعض الأحيان بشيء من التشويه:

فى عهد سلطنه الشاه الشيخ أبى إسحاق ما أعجب ما كان ملك فارس عامرا بخمسه اشخاص

الأول ملك مثله يمنح الولايات و قد أعد نفسه حتى أمن عداله العيش الرغيد

ثم ولى الإسلام الشيخ مجد الدين الذى لا تذكر السماء قاضيا أفضل منه

ثم بقيه الأبدال الشيخ أمين الدين الذى حل يمن همته الأعمال المعقده

ثم ملك العلم عضد الذى فى التصنيف وضع باسم الشاه كتابه "المواقف"

ثم ذلك الكريم القاضى قوام ذو القلب الخضم الذى اكسبته دنيا العطاء و العداله صيتا حميدا

أولاء لم يتركوا نظيرا لهم و مضوا فالله عز و جل يرحمهم أجمعين

باستطاعتنا أن نميز الرجال المشهورين الأربعة الذين ذكرهم حافظ مع أبى إسحاق. فاحدهم مجد الدين إسماعيل الذى قصده ابن بطوطه بصوره خاصه عند زيارته الاثنتين لشيراز. فقد زاره فى المدرسه المجديه حيث كان يقوم بإعطاء الدروس. و هو يروى انه رأى هناك أبا إسحاق نفسه واقفا بين يدى الفقيه الكبير ممسكا إذن نفسه فى يده، و هكذا فعل أمراء التتار عند ملوكهم. و كان والد مجد الدين، ركن الدين يحيى، فقيها مشهورا أيضا و قد مدحه سعدى فلم ينسه ركن الدين فى أواخر حياته. و لا بد أن يكون ذلك قد أضرم طموح حافظ الفتى بالذكريات عن عبقريته الشعريه. و أما الشيخ أمين الدين محمد، و هو ابن الشيخ زين الدين على الكازرونى، خير خلف لخير سلف، و سليل اسره اشتهرت بتدينها منذ القدم، فهو بالاضافه إلى كونه معلما بارزا، كان ينظم الشعر. و يعد من جمله تلاميذه و بعد سنتين أعاد الكره على كرمان فمنى للمره الثالثه بفشل ذريع. و قد قوى هذا النصر النهائى من عزمه مبارز الدين فنقل المعركه إلى معسكر العدو. و فى سنه ١٣٥٣ م استولى على شيراز، و واصل انتصاراته ليأخذ أصفهان و يقتل عدوه العنيد الشجاع و ذلك سنه ١٣٥٧ م.

كان حكم المؤرخين، كحكم التاريخ، ضد أبى إسحاق. فقد كان، على ما امتاز به من صفات محبيه إلى النفس لم يكن تشجيع الفنون و الآداب بأقلها، ظاهر القساوه إلى حد الجنون، و ليس هنالك من يضاهيه فى تلك الأوقات العاصفه التى عاش فيها، لا سياسيا و لا عسكريا. ففى ذلك العصر الذى امتاز بالحروب المستمره كلف بفنون السلم كلفا شديدا. فقد كان فى أحسن أوقاته و هو يستمع إلى الموسيقى الجميله و يحتسى خمرة شيراز الحلوه محاطا بالشعراء ينظمون فيه القصائد و يغالون فيها بمدحه. ذلك كان من صالح الأدب و لكنه لم يكن من صالح الدوله قط. فلم تكن مجالس الشراب و لا قصائد المديح لتستطيع أن تحافظ على دولته المتداعيه. فما ان نازل بضعفه قائدا صلبا شجاعا مثل مبارز الدين حتى تحطمت دولته شر تحطيم.

و هكذا قل رواج الشعر الذى كان ينظمه حافظ من خمريات و غزل و غناء.

و إذا به يصاب بخيبه، فيجد نفسه (كما تدلنا احدى المخطوطات المؤرخه سنه ١٣٥٥ م و المحفوظه فى (طشقند) و قد صار إلى رجل ينسخ أشعار غيره من الناس ليربح قوت يومه. و لنسمعه يندب الأيام الحلوه التى مضت:

لم نعد نرى المحبه، فى أحد ، فما ذا أصاب الأحبه الأعزاء...؟!

و هل انعدمت الصداقه...؟! و ما ذا أصاب الرفاق و الأصدقاء...؟!

و لقد تكدر "ماء الحياه" ... فأين "الخضر" السعيد الأثر...؟!

و فاضت دمء الورد... فما ذا أصاب نسמת الربيع المنتظر...؟!

و كانت هذه الديار ديارا للأحبه و الأصحاب فلما انتهى الحب لم أدر

ما ذا أصاب منازل الأحباب...؟! و قد طرحوا، فى وسط الحلبه، كره الكرامه و الإحسان

و لكن أحدا لا يقتحم الحلبه. فما ذا أصاب الخياله و الفرسان...؟!

و لقد أينعت الورد، و لكن الطير صامت عنها... غافل. فما ذا أصاب الطير، و ما ذا اسكت العنادل و البلابل...؟!

و أحرقت "الزهره" قيثارتها، فلم تعد تتغنى بلحن الحب و الحنين.

و لم يعد أحد من الناس يشرب على لحنها، فما ذا أصاب الحريفه الشارين...؟!

فيا "حافظ" ...! صمتا...! فلم يعد أحد يعرف أسرار الإمكان. و لم تعد لك فائده من أن تسأل أحدا عما أصاب الزمان...!!

و دار دولاب الحظ مسرعا نحو نكبه أخرى. فلم يطل الزمان بالفتاح المقدم لينعم بامبراطوريته الجديده. ففى سنه ٣٥٨ وقع فى أسر ابنه الشاه شجاع بينما كان على رأس حمله عسكريه استولى فيها لوقت قصير على مدينه تبريز. فأمر ابنه بسمل عينيه تبعا لتلك العاده البربريه السائده فى تلك الأيام. ثم قضى نجه سنه ١٣٦٤ م. و يظهر أن حافظا لم ير من المناسب أن يلتمس فضل مبارز الدين، ذلك الأمير الفظ، مع انه نظم قصيدتين يمدح بهما وزيره برهان الدين فتح الله.

لم يكن الحسد الأخوى و منافسه الدويلات المجاوره ليحولا دون أن يتبوأ الشاه شجاع عرش إقليم فارس لسنوات طالت نسبيا. ففى سنه ١٣٦٣ استولى أخوه محمود على يزد، و قد كان يحكم على أبرقوه و أصفهان. و لكنه ما لبث أن حوصر فى أصفهان حتى وصل الأمير [الأمر] إلى اتفاق ما كان ليدوم طويلا. ففى السنه التاليه تحالف محمود مع أويس الجلائرى الذى كان على بغداد منذ سنه ١٣٥٥، ليضرب حصارا حول شيراز دام أحد عشر شهرا و انتهى باستيلائه عليها. و لكنه لم يلبث أن خسرها ثانيه سنه ١٣٦٦.

و فى سنة ١٣٧٥ مات الشاه محمود فاستولى الشاه شجاع على أصفهان.

و استطاع فى السنه نفسها أن يخضع أويس فظن أمير شيراز أن الوقت قد حان لأن يتوسع بفتوحاته نحو أذربيجان محاربا حسينا أمير بغداد الجديد. غير أن ما أحرزه الشاه شجاع من انتصارات كان نصيبه الخسران، فسرعان ما تبين له أن الشاه يحيى ابن أخيه يحوك المؤامرات ضده. فأوقف فتوحاته و عقد صلحا مع حسين، و أزوج ابنه زين العابدين بابنه صاحب بغداد. غير أن ذلك لم يضع حدا للخلاف بين الأميرين المتجاورين. ففى سنة ١٣٨١ قتل حسين بيد أخيه احمد، فالتمس هذا صداقه الشاه شجاع و معونته لكى يتسنى له أن يجابه ما ينتج عن ذلك من مطالب للطامحين بالعرش. و لكنه سرعان ما تنكر لهذه الصداقه حالما ضمن العرش لنفسه. غير أن سحابه كانت تتجمع فى الأفق فى تلك الأثناء لتستحيل إلى عاصفه سرعان ما كسحت كل تلك المؤامرات الصغيره لتحيلها إلى دمار و ترميها فى مطاوى النسيان. ولد تيمور لنك، ذلك الذى أورث الذكريات الرهيبه، سنة ١٣٣٦ فى بلده كاش من بلاد ما وراء النهر، و اعتلى العرش بعد أن أراق الدماء فىكون بذلك

ص: ٢٢١

الوريث الأصيل لجغتاي و الحفيد الحقيقي لجنكيز خان. و بعد أن بقى عشر سنوات فى تدعيم حكمه، اجتاح خراسان سنه ١٣٨٠، و فى غضون سنتين استولى على جرجان و مازندران و سجستان. أما الشاه شجاع فقد سلم بهذا الشؤم و ابتاع رضى الفاتح العظيم بتقديمه الهدايا الثمينه له و تزويجه ابنته.

و فى سنه ١٣٨٤ وافاه الأجل فاراحه من المتاعب المقبله.

شهد عهد الشاه شجاع تفتح عبقرية حافظ على أكملها. ففى عهده رجع الشيرازيون المتخوفون إلى سابق بهجتهم:

فى وقت السحر... أوصل "هاتف الغيب" إلى سمعى هذه الأنباء الساره.

بان الدوره للشاه شجاع، فاشرب الخمر فى جرأه و جساره...! فلقد انقضى ذلك العهد حينما كان ينزوى "أهل النظر" و فى أفواههم آلاف من ألوان الحديث.. و شفاههم صامته تنتظر...!! فلنقل الآن هذه الحكايات الطوال على صوت القيثاره فقد ضاق باخفائها صدرى، و اضطرب بما فيه من نار حاره...!! و الملوك و حدهم هم الذين يعلمون مصلحه الملك و السلطان فحذار من أن تبس بنت شفه يا "حافظ" فانك سائل مسكين يلازم الأركان.

و كان هذا الحذر فى محله. فمع أن حافظا أفاد كثيرا من الروح التحريره التى كان يتميز بها الأمير الجديد فان العلاقات بين الأمير و الشاعر لم تكن دائما على ما يرام. فالمنافسه على عطايا الملك كانت شديده كالمعتاد، لا حدود لها يقف عندها المتنافسون فى معركة الدهاء التى لا تعرف الرحمه. ذلك ما حدث لحافظ، فوقع فيما لا تحمد عقباه. فقد رأى ان يتأمر على عماد الدين الكرمانى، و كان المفضل من بين المتصوفين عند الشاه شجاع، فلم يكن شاعرا و حسب بل كان إلى ذلك مشهورا باجتراح المعجزات. و قد درب هره أن يتابعه فى الصلاه فيركع إذا ركع و يسجد إذا سجد. و أدهش هذا الأمر صاحب شيراز، فظن حافظ انه إذا ما تهكم عليه فقد يتعد الشاه عن هذا النظير الخطير. فما كان منه الا أن خاطب الشاه بهذه الأبيات: نصب "الصوفى" شباكه و فتح طوايا جعبته الماكره و وضع بذلك أساس المكر و الخديعه مع الأفلاك المشعوذه الساحره.

و لكن ألعوبه الفلك كسرت له بيضه فى قلنسوته لأنه اجترأ على عرض شعوزته على "أهل الأسرار"...!! اما أنت أيتها الحمامه التى تختال فى مشيتها... إلى اين تذهبين...؟! فقى... و لا تنخدعى إذا أصبح قط الزاهد بين المصلين...!! و أنت يا "حافظ"! لا تلم المعربين، لأن الله منذ الأزل لم يجعلنا فى حاجه إلى الزهد و الرياء و الدجل...!! و لكن بدلا من أن يشكر الشاه شجاع لحافظ تحذيره هذا، غضب عليه لنيله من ذكائه، أو ربما لأن حافظا شبه الشاه بحمامه كانت ألعوبه سهله بيدى هر سارق. و مما زاد الطين بله حادث آخر اعتبره الشاه حطا بكرامته، فقد كان الشاه شجاع، ككثير من الناس فى ذلك الزمان، يقضى وقته بنظم الشعر، فظن من حقه أن ينتقد حافظا، فقال له ذات يوم: "ان واحده من غزلياتك لا تجرى على نهج واحد من أولها إلى آخرها. بل اننا نجد فى الغزل الواحد بعض الأبيات فى وصف الخمر، و البعض الآخر فى التصوف و الباقي فى التغزل بالحبيب، و هذا التلون و التنوع فى أغراض الغزل لا يجيزهما البلغاء و الفصحاء". فأجابه حافظ: "ان ما قاله مولاى هو عين الصدق و محض الصواب، و مع ذلك فان أشعار "حافظ" يتردد ذكرها فى سائر الآفاق، بينما لا تستطيع أن تتعدى أقوال غيره من الشعراء أبواب شيراز". و قد أغضب الشاه شجاعا هذا الرد اللاذع، الجرىء حتى بالنسبه إلى شاعر فارسى، فما زال يتحين الفرص ليتخلص نهائيا من هذا التابع المتمرد. حتى تهيأت له الفرصه عند ما نمى إليه أن حافظا نظم قصيده ورد فيها هذا البيت:

إذا كان الإسلام هو ما لدى حافظ من معتقد .

فوا ويلاه إذا كان بعد اليوم، يوم آخر...!!

فقال الملك: "لما ذا، ان حافظا هو مجرد كافر، ينكر البعث. فكفروه أيها الفقهاء" فخاف حافظ و أسرع إلى زين الدين التيايادي، أحد الأولياء المشهورين، و قد كان مارا بشيراز في طريقه إلى مكة، و عرض عليه الأمر، فأشار عليه هذا الصوفي اللبق أن يسبق ذلك بيت آخر يقرر فيه انه سمع شخصا يقول البيت المأخوذ عليه. فاخذ حافظ ممتنا بهذه المشوره و عاد إلى الشاه شجاع معدلا القصيده:

و ما أجمل ما جاء في هذا الحديث الذي سمعته في وقت السحر و وعته أذناى.

عند ما أخذ يغنيه "مسيحي" على باب الحانه و على نغمات الدف و الناي...! قال: إذا كان "الإسلام" هو ما لدى "حافظ" من معتقد على هذه الشاكلة.

فوا ويلاه...! إذا كان بعد اليوم يوم آخر، أو غداه مقبله...!! ذاك هو نوع الروايات التي دونها المؤرخون المتأخرون عن حافظ و الشاه شجاع. فليس لدينا أى سجل معاصر لهما. و يبدو أن هذه الروايات هي على الأرجح روايات مختلفه قصد منها توضيح بعض الأمور الغامضه مما ورد في مؤلفات الشاعر المجموعه و تفسير بعض محاولات التقرب إلى الأمراء الآخرين. فهناك قصه رويت بالمناسبه مؤداها أن محمود شاه البهمنى أرسل إلى حافظ يدعوه إلى بلاطه في الدكن " و منحه مبلغا من المال ينفقه على رحلته. فأنفق الشاعر قسما كبيرا منه قبل مغادرته لشيراز، و عند وصوله إلى بلده لار، في طريقه إلى الخليج الفارسي، التقى بصديق له معدم فأعطاه ما تبقى معه من مال. ثم هيات له الظروف أن يلتقى بتاجرين فارسيين، هما خواجه زين الدين الهمداني و خواجه محمد الكازروني، و كانا في طريقهما إلى الهند، فعرضا عليه أن يدفع له نفقات السفر نظير التمتع برفقته. فسافر معهما إلى ميناء هرمز ثم استقل السفينه التي كانت تنتظره هناك، فما كادت تبخر به حتى هبت عاصفه هوجاء هالته هولاء شديدا و جعلته يعدل عن عزمه و يعود من حيث أتى. فلما رجع حافظ إلى شيراز أرسل إلى محمود شاه قصيده نظمها في هذه المناسبه. و قد نقل مؤرخ هندي عاش في القرن التاسع عشر هذه الروايه فأخذها إ.غ. براون على ظاهرها كما فعلت جرتروود بل و غيرها. غير أن محمود شاه لم يعتل عرش البهمنيين الا- في سنه ١٤٨٢ [١٣٨٤] و هو غلام في الثانيه عشره من عمره و بذلك نكون أمام أمرين:

اما ان دعوته وصلت إلى حافظ و قد بلغ من الكبر سنا لا تسمح له على الأرجح بالقيام بمثل هذه الرحله الطويله، و أما أن تكون هذه الحادثه، من قبيل الروايات المسليه.

و تتحدث روايه أخرى، هي أقرب إلى الواقع من سابقتها، عن عزم حافظ على الإقامه في بغداد، و ذلك عند ما كان السلطان أويس على عرش الجلائريين (حكم من ١٣٥٥ - ١٣٧٤). غير أن حوادث القصه تجعلها أقرب إلى وقوعها في السنوات الأخيره المظلمه من عهد مبارز الدين من وقوعها في عهد الشاه شجاع.

و جوهر ك المنقى، غنى عن مدحنا. و ما ذا تفعل الماشطه، فى الحسن الموهوب من الله...؟!

و لم نصل فى "شيراز" إلى المقصود و المراد. فيا حبذا اليوم الذى يرحل فيه "حافظ" إلى بغداد...!!

و على هذا النحو أخذ حافظ يتودد إلى اويس. و قد كان اويس رجلا له معرفه بالأدب، لا يتخذ من الشعراء أقل من سلمان السواجى شاعريه، فلا بد إذن من أن يغبط إذا ما انضم حافظ إلى بلاطه، ذلك أن الأمراء الفرس كانوا يقيسون عظمتهم بعظمه حاشيتهم و منجزاتها، تماما كما يقيسونها بانتصاراتهم العسكريه. و كذلك أمل السلطان احمد بن اويس بان يرحب بالشاعر الشيرازى فى بغداد، مما حدا بحافظ إلى أن يقول:

احمد الله على معدله السلطان.

احمد ابن الشيخ اويس من حسن الايلخانى.

الخان ابن الخان و الشاهنشاه بن الشاهنشاه الذى يليق بك أن تسميه:

"حياه العالم".....

و لم تنفتح لمتعتى برعمه واحده من براعم الورد الفارسيه.

فيا حبذا دجله بغداد... و يا حبذا خمرها الريحانيه...!! و افعل كالأتراك... فصفف ذؤابتك و هذب طرتك ففى طالعك الجود "الخابانى" و النشاط "الجنكيزخانى"...!! و هو فى قصيده أخرى يقول مفتخرا:

و لقد أسرت، يا حافظ!! "العراق" و "فارس" بالشعر الحلو.

فتعال الآن!! فالنوبه نوبه "بغداد" و الوقت وقت "تبريز".

و لكن عند ما تحق الحاقه، لم تكن الصعوبات و خيبه الأمل لتبعده عن موطنه الأسمى الحبيب:

و نسيم "المصلى" و مجرى نهر "ركن آباد".

لم ياذنا لى بالسير و السفر...!! و كن ك "حافظ" فلا- تأخذ القدح الا على أنين القيثاره فإنهم قد عقدوا حبات القلوب إلى أوتارها الحريريه الطروبه...!! و تذكرنا أماكن الجمال المعروفه هذه فى شيراز بقصيده أبعد شهره هى "الأغنيه الفارسيه" لحافظ التى خلدها فى الإنجليزيه السير وليم جونز بلغته الإنجليزيه الكلاسيكيه الرفيعه: لو ان ذلك التركي الشيرازى يأخذ قلوبنا باشاره واحده من يده.

فاننى من أجل خاله الأسود أهبه "سمرقند" و "بخارى".

فيا أيها الساقى! ناولنى الخمر القانيه، فلن تجد فى جنه المأوى.

أحلى مكانا من حافه نهر " ركن آباد " و روضه " المصلى " .

و لنسمع حافظا فى قصيده أخرى خفيفه الروح ممتعه يمتزج فيها موضوعا الحب و الخمر امتزاجا بارعا يخفى ما تتضمنه القصيده من مديح، لنسمعه يناظر قصيده لسعدى فيذكر ممر "الله أكبر" الذى يقع إلى الشمال من شيراز:

اي حاجه لحديقتى إلى السرو و الصنوبر؟! و هل تقل عنهما شجره الشمشاد الناشئه عندى فى المنزل فىا أيها "الناشئ المدلل" !أى مذهب اتخذت لنفسك بحيث أصبح دمي حلالا لك أكثر من لبن أمك؟! فإذا رأيت الهموم تطل عليك من بعيد، فاطلب الشراب فقد شخصنا لك داءك، و المداواه به مقررته. و لما ذا ننسحب و نبتعد عن أعتاب "شيخ المجوس" بائع الشراب...؟! و الحظ الموفق فى ذلك الجناب، و الفتح الميسر فى ذلك الباب...!! و "أحزان العشق" ليست الا قصه واحده، و لكن ما أعجبها من قصه!! أسمعها فى كل لسان، و لكنها غير مكرره! و ليله أمس، اعطاني الحبيب موعدا بوصاله و كان الشراب يلعب برأسه.

فاليوم ما عساه يقول؟! و ما ذا يكن لى فى رأسه؟! و لا تعب "شيراز" و نهر " ركن آباد " و هذا النسيم البليل.

و لا تحقر أمرها فهى، " الخال " على خد الأقاليم السبع و فرق بين ماء الخضر الذى مكانه فى الظلمات و بين نهرنا الذى منبعه " الله أكبر " .

و نحن لا نضيع شرف الفقر و القناعه فقل للمليك: " ان القوت اليومى مقرر مقدر...!! " و يا حافظ!! اى طرفه بديعه قلمك الذى هو عود من النبات!! و الذى يثمر من الفاكهه المحببه إلى القلب ما هو أحلى من الشهد و السكر...!! و تنتهى القصيده بما سمح به للشاعر من فخر تلاعب فيه حافظ تلاعبا فيه الكثير من الابتكار.

و قد ذكر الشاه شجاع على أقل تقدير فى خمس من قصائد حافظ.

و يمكننا أن نؤكد بقدر ما يخولنا الظن من تأكيد بان هناك مقطوعات شعريه أخرى كثيره جدا نظمها حافظ لكى تنال رضى الشاه دون أن يذكر اسمه فيها.

هذا و لم ينس حافظ أن يتودد أيضا إلى وزراء الشاه الكبار الذين تمكن بفضلهم و حدهم أن يصل إلى الأمير. و هناك اثنان من الوزراء على الأخص كانا هدفا لسهامه الغنائيه المجنحه، و يروى ان الوزيرين أجازاه بما يستحق. و قد ذكر حافظ قوام الدين محمدا خمس مرات فى شعره. و قوام الدين هذا قام بدور مهم فى حملات الشاه شجاع العسكريه. و كذلك نظم حافظ بجلال الدين توران شاه قصائد كثيره. و قد بقى جلال الدين هذا فى خدمه الشاه شجاع مده عشرين عاما، و مات بعد سيده بسته أشهر. و درج حافظ على تشبيهه بأصف و هو وزير سليمان، كما تذكر الأساطير العربيه. و تشبيه هذا الوزير بأصف مديح لبق يتضمن بطبيعته الحال أن الشاه شجاعا نفسه كان حكيما عظيما كما كان سليمان.

ولى الشاه شجاع قبيل موته ابنه زين العابدين عليا على شيراز، كما ولى أخاه عماد الدين احمد على كرمان. و ما أن تسلم على الحكم حتى خاصمه ابن عمه الشاه يحيى خصاما لم ينفذ معه عقد الصلح، فخسر أصفهان و هرب إلى يزد. و فى سنه ١٣٨٧ علم يحيى ان عامله على أصفهان مظفرا الكاشى استسلم لتيمور عند مقدمه، فغادر شيراز إلى بغداد و تركها إلى الشاه يحيى ليوقع ما



يستطيع من شروط مع الفاتح الرهيب. أما أهالي أصفهان فقد بلغ بهم الجهل أن قتلوا رسل تيمور ليدفعوا دماءهم ثمنا لتهورهم هذا في مجزرة رهيبة. وولى تيمور السلطان احمد على إقليم فارس و على كرمان. و توالى على ذلك سلسله عجيبه من الأحداث تعبر عن طبيعه الأقدار المتقلبه التي حلت بذلك الزمان. أما زين العابدين على فقد ضمن صداقه ابن عمه الشاه منصور فى ششتر و ذلك أثر مغادرته لشيراز. و لكن الشاه منصورا هذا ما لبث أن هاجمه و أسره و بذلك فتحت الطريق إلى شيراز أمام الشاه منصور. و لم يطل المقام بعلى فى الأسر، فما لبث ان فر بمساعده حراس السجن ليتحالف مع الشاه يحيى و السلطان احمد ضد الشاه منصور.

و لكن هذا الأخير استطاع التغلب على هذا الحلف ليستولى على بلاد العراق بأجمعها. اما على فقد أركن إلى الفرار. غير أن حاكم الرى ألقى عليه

ص: ٢٢٣

القبض و سلمه إلى الشاه منصور فأمر هذا بان تسمل عيناه. أما منصور فطمح، مغترا بانتصاراته، إلى أن يجرب حظه مع تيمور. و لكن هذا الطموح منى بالفشل، فزحف الفاتح العظيم على أبواب شيراز و بعد مقاومه يائسه سقط منصور، فأعلن من بقى من بنى المظفر ولاءهم لتيمور، و لكن اعترافهم المتأخر بالواقع المحتم لم يمهلهم الا أسبوعا واحدا لكي يفنوا عن بكره أبيهم. و كان ذلك في آذار (مارس) سنة ١٣٩٣. و انتهى بانتهاهم مجد شيراز المظفريه.

كان حافظ قد بلغ الستين حين مات الشاه شجاع، فاضطر في هذه السن المتقدمه إلى أن يبحث عن أمير آخر يلجا اليه. و كان من طبيعه الحال أن يجد ضالته في ابنه زين العابدين، فمدحه في عدة قصائد، منها - كما يظن قاسم غنى - "أغنيه شيراز" المشهوره. و لهذا الظن مكان جدير بالاهتمام، حتى و لو قادنا إلى الاعتبار ان المقصود من "التركي الشيرازي" هو الملك الفتى نفسه، لا "الفتاه الجميله" كما ورد في التفسير الرومنطيقى الذى جاء به السيروليم جونز. و هكذا يكون زين العابدين قد رفض عرض حافظ بان يلتحق بخدمته بصفه شاعر و مستشار خاص. و لكن رفض زين العابدين هذا لم يقنع حافظا بان يدعن له:

فإذا وبختنى أو عنفتنى فأنى أدعو الله قائلا:

أ يلىق الكلام المرير بالشفاه الحلوه الحمراء؟! فيا حبيبي استمع لنصيحتى فان الشبان السعداء يحبون أكثر من أنفسهم نصيحه" الشيخ "العارف.

و ما ذا كانت نصيحه الشاعر؟ و تحدث عن الطرب و الخمر، و أقل البحث، في اسرار الدهر.

فان أحدا لم يحل، بالحكمه هذا اللغز المعمى، و لن يكشف عنه أحد.

و بالاختصار فقد كانت فلسفه حافظ الخاصه اللاعقلانيه العلاج الوحيد لجميع الأمراض و المشكلات. و هذه الفلسفه تقول بالاستسلام إلى مسرات الحياه الممتعه فيتخلص المرء بذلك من أوقاته العصييه، أى على حد ما يعبر عنه استاذة روزبهان: هى محبه الجمال العابر الذى هو ظل جمال الله الخالد و هو ظل ظاهر للعيان قريب المنال.

و يظهر أن زين العابدين لم يكن بحاجة إلى أغانى حافظ و نصائحه فحول الشاعر أنظاره إلى الشاه يحيى ليدل هذا على أنه تجاره أشد ربحا.

و لكن ما أن طرد الشاه منصور الشاه يحيى من مملكته المقلقله حتى هرع حافظ إلى تقديم الولاء لهذا المنتصر الأخير، فنظم فيه كثيرا من خيره أشعاره و أنضجها. و كان حافظ في تلك الأثناء يقضى أيامه الأخيره. انه لمن المؤسف حقا أن نرى شاعر الملوك يعيش فى مثل هذه الأوقات المضطربه، فتدعوه الحاجه إلى الطواف ببضاعته من باب بلاط متهدم إلى آخر. و قد بقى على قيد الحياه حتى شهد مقدم تيمور بأهواله، فلا عجب إذن إذا تاوه فى هذه الأبيات عند رؤيته التتار ينصبون خيامهم عند أسوار شيراز:

يعترم الدهر فتنه مره ثانيه.

فها أنا و السكر و فتنه عين الحبيب اننى لأعجب من دوران الفلك و لا اعلم من ذا الذى سيوريه التراب و إذ يوقد شيخ المجوس

النار لا اعلم شعله من يضىء و يعلى ان خدعه الحياه قصه واضحه و الليله جبلى لا أحد يدري من ستلد فى السحر فى ساحه القيامه هذه، أريقت الدماء فاسكب أنت فى الكأس دماء الدن! و فى الأيام الأخيره من عمره، هذا إذا كنا نثق بما رواه أحد المؤرخين بعد موت الشاعر بما يقارب الثلاثين عاما، قابل حافظ تيمور لنك الذى تعرف إلى شعره و عفا عنه لما أبداه من سرعه خاطر عرفت عنه:" فعند ما قدمت بيارق سلطان العالمين، حامى ديار العالم، الأمير تيمور غور خان، و فى أيام أفول دوله السلطان زين العابدين، صدر الأمان على أهالى شيراز. و كان الشاعر حافظ فى جملة سكان المدينه، يمتلك بيتا فى حى من أحيائها، و لذلك فقد ورد اسمه فى قائمه الذين عليهم أن يدفعوا الفداء و وصلت التعليمات إلى الجابى بان يقبض منه مبلغا من المال. فشكا الشاعر حاله إلى الأمير المذكور معلنا بأنه مفلس معدم. فقال له الأمير: أ أنت قائل هذه الأبيات:

لو ان ذلك التركي الشيرازى يأخذ قلوبنا باشاره واحده من يده. فانى من أجل خاله الأسود أهبه "سمرقند و "بخارى".

ان من يستطيع أن يهب بخارى و سمرقند من أجل خال واحد لا يمكن أن يكون مفلسا، فأجاب حافظ، انه بسبب هذا الإسراف أصبحت مفلسا، فأعجب جلالتة بهذا الجواب السريع و أعفاه مما كان متوجبا عليه".

تختلف روايات المؤرخين الفرس بعض الشىء حول السنه التى مات فيها حافظ، و أقربها إلى الحقيقه هى انه توفى سنه ١٣٨٩ و هو فى الرابعه و الستين أو الخامسه و الستين. و قد دفن فى المصلى الذى كان فى يوم من الأيام تلك الحديقته من الورد التى شهرتها قصائده. أما أول من بنى مشهدا على ضريحه فكان الفاتح المغولى بابر، باقتراح من استاذة محمد معمائى.

و كان ذلك سنه ١٤٥٢.

و فى سنه ١٧٧٢ خصص مؤسس الأسره الزنديه كريم خان مبلغا عظيما من المال لتكبير المشهد، فوضعت بلاطه من الرخام فوق القبر، و بقيت هذه البلاطه على حالتها تلك، مع شىء من الترميم إلى أن شاهدها إ.غ. براون و وصفها بقوله: "يقع قبر حافظ فى وسط حديقته مغلقه، زرعت بطريقه جميله بأشجار السرو و البرتقال. أما القبر فتدل عليه بلاطه من الحجر بسيطه، يضاوبه الشكل حفرت عليها نقوش هى فى معظمها مختارات من شعر حافظ". ثم ذكر براون تلك المقطوعات و أضاف قائلا:

" ان ما يتمتع به حافظ من شهره لا تعادلها شهره، يتجلى بهذا العدد الكبير من القبور التى تحيط بضريحه. فإى فارسى لا يرغب حقا أن تختلط بقاياها بقايا هذا الشاعر المجيد، الذى لو وجد فى هذا العصر لعمل التعصب كل ما بوسعه ليحرمه حتى حق مراسم الدفن؟! غير أن العالم الإنجليزى لم يخطر بباله ان بعد ما يقارب الاثنتى عشره سنه من زيارته لضريح حافظ انتهكت حرمة الضريح و حطمت البلاطه التى أقامها كريم خان، و ذلك أثناء انفجار آخر من التعصب حدث بقياده أحد المتصوفين. و لكن، عند ما كان على عرش بلاد فارس رضا شاه بهلوى، و كان على أصغر حكمت وزيرا للمعارف، كفر عن هذا العمل الشائن تكفيرا مشرفا فشىد ضريحا جديدا، يفوق بفخامته المشهد القديم. و ما ذا اختير من قصائد حافظ ليزين بها الضريح، غير تلك التى يتنبا بها عن موته و عن خلوده.

اين بشرى وصالك...؟ حتى أهب من رقادى للقائك

فانا "طائر القدس" قد أفلت من شباك الدنيا على ندائك..!!

و بحبى لك... لو انك دعوتنى الخادم الوفى الأمين لصحوت و أنا سيد الأكوان على دعائك...!!

فيا رب...! أدركنى بغيب من سحب الهدايه قبل ما أهب بغيته من التراب محروما من آلائك...!!

ص: ٢٢٤

و اجلس على تربتي و معك المطرب و الشراب حتى أهب من لحدى، طمعا فيك، راقصا على نغماتك...!!

ثم قسم... أيها الصنم الجميل! و أرنى قدك و خفه حر كاتك فاننى عند ذلك

أهب راغبا فى الحياه، مصفقا لبهائك...!!

فان كنت شيخا... فضمنى ليله إلى صدرك، و ضيق على العناق.

فانى فى وقت السحر... أهب غض الإهاب، جم الشباب من ضماتك ثم امنحنى مهله... لكى أراك فيها يوم الممات و الرحيل فقد أستطيع كـ "حافظ" ان أهب راغبا فى الحياه للقائك...!! ليس هنالك صوفى تحدث عن الاتحاد بالعاشق المعشوق الالهى بمثل هذا الصدق و هذه البلاغه.

إلى الآن كان الحديث يدور حول حافظ شاعر الأمراء. أما إذا أردنا أن نوضح العلاقة بين أحوال حياته و معيشته و بين تاريخ شيراز فى آخر عهد لها من الأمجاد فى العصور الوسطى فلا بد لنا أن نقول بان حقيقه عظمه حافظ هى فى عبادته الصوفيه للجمال، التى ألهمته فى جميع ما كتب. و ما علينا الآن الا أن ندرس أولا خلقه للجمال فى ما هو خارج عما تحت ارادته: اى اللغه الفارسيه، و الأوزان و القوافى و الصور البيانيه فى الشعر الفارسى. كان حافظ فى هذه الأمور مدينا جدا لأسلافه و لابن بلدته سعدى، فقد سوغ و ثقف، أكثر من أى شخص غيره، كلا اللغه و الأسلوب الشعرى، و لكن عبقريته جعلته لا يكتفى باتباع هذا المثال بل فاق عليه، فمفرداته غنيه متنوعه، و هو يحسن الموازنه بين لغه الشعب و اللغه العلميه، و يتجنب استعمال تلك التعبيرات الحوشيه الثقيله التى كانت تثقل أبيات شعراء المدح المحترفين فى القرون السابقه، حتى اننا نستطيع أن نقول بحق بان ما كتبه إنما يفهمه الناس جميعا، فهو يستعمل مختلف الصناعات الأدبيه التى أذعن لها اللغه إذعانا طيعا، و لكنه يتجنب الإفراط و ما ينتج عنه من ملل و غموض.

و قد أحسن التعبير عن هذه النقطه ميرزا محمد قزوينى بما سماه "الشعر من الدرجه الأولى، فى الفارسيه". قال: "يتالف الشعر، كما هو معروف، من عنصرين اثنين هما المبنى و المعنى. و الشاعر الحق و الناظم المجيد كلاهما يحافظان على التوازن الدقيق بين هذين العاملين، اى المبنى و المعنى. و هما لا يفرطان و لا يقصران باى منهما. فهما لا يبالغان بتجميل المبنى و تنميق التعبيرات و ذلك بان يستعملا الصناعات اللفظيه المتانقه، كالتلاعب على الألفاظ و الكنايه و شبه الكنايه و المقابله و التريده و الجناس و تغيير النقاط و نظم القصائد التى تؤلف الحروف الأولى من أبياتها كلاما مفيدا، و اسناد الأجزاء بعضها إلى بعض، و لزوم ما لا يلزم، و استعمال الحروف المنقوطة و غير المنقوطة، و المتصله و غير المتصله، و ما إلى ذلك من فنون هى أشبه ما تكون بالاعيب الأولاد مما هى بأصول بليغ النثر و الشعر التى يتقيد بها الرجال الجادون. هذا و الشاعر الحق لا يهتم بتجميل المعانى فينشغل بالأخيله المنسوجه نسجا أنيقا و بالأفكار المتضمنه و التشابيه الغارقه فى الإبهام و الاستشهادات الغامضه التى من شأنها تعقيد اللغه و إبهام المقصد مما يضطر السامع إلى أن يجد فى التفكير ليدرك ما يقصده الشاعر. و هذا ما يتميز به مثلا الشعراء "الهنود". و الشاعر الحق لا يبالح استعمال الفنون البيانيه كالمقابله و المعادله و التوريه و الإبهام و الاستدراك و التظاهر و التلميح و الوصل و القطع و ما شابه ذلك، إلى حد إرهاق عبارته و إتعاب السامع. انه من الواضح طبعاً ان اجاده استعمال فن من هذه الفنون، إما وحده و إما مع فن آخر أو فنين، ليزيد من بلاغه الأسلوب. و لكن ما أن تتكاثر هذه الفنون و ما أن يزدحم عدد

منها في بيت واحد أو يتقارب بعضها من بعض حتى يتالف شكل في غاية من التصنع هو، في الحقيقة، إهانه لفن الشعر ذاته، ولا ينتج عنه إلا ملل السامعين وارهاقهم". و بعد أن يعرض القزويني جميع شعراء الدرجة الأولى من الفرس يصل إلى النتيجة التالية: "أن من تحتوى قصائده و تتضمن كل ما يمكن أن يوجد في الشعر من جمال، سواء أ كان في اللغة أم في المعنى، و كل صفة من صفات الخيال أو الواقع التي توجد في الكلام الجميل، و هو، في الوقت ذاته، أبلغ من كتبوا و أشدهم إيقاعا في كل العصور بما فيها العصور القديمة و الحديثه على السواء، ان هذا الرجل، الذي، إذا قيس بكواكب الشعر من الطبقة الأولى، كان شمسا مشرقه، هو، بدون أي استثناء و بدون أي شك أو تردد، الخواجا شمس الحق و المله و الدين محمد حافظ الشيرازي، قدس الله روحه العظيمه!" كان حافظ إذا صانعا عظيما للكلمات و الصور. و هذه هي المواد الأولية التي يتالف منها عمليا الشعر الصافي. و لكن الكلام في الواقع، على ضرورته في خلق الشعر العظيم، لا- يكفي وحده بطبيعته الحال لخلق أعظم الشعر. لم يكن حافظ مجرد صانع ماهر يعمل بحذق لاخترع الأشكال المعجبه، فأعطاء هذه الأشكال معاني خالده يتطلب فلسفه لا تقل رقيا، و يتطلب رؤى شاعر و رساله شاعر خليفه بالاستكشاف في أي زمان و حريه بالقبول في أي مكان. و إذا كان حافظ يتحدث إلينا بهذه النضاره و بهذا الإيحاء، في القرن العشرين، كما كان يتحدث إلى الشعب الفارسي في تلك الأزمان الشديده التي مرت بها حضارته في العصور الوسطى، فلأن روحه ارتفعت صعدا فوق الفساد المادي الذي أصيب به ذلك الزمان و كل زمان، و لأنه وجد في عباده الجمال الخالص الطريق الوحيد لفهم اللاعقلانيه المتجليه في مصير البشر. و لنردد ما قاله رضازاده شفق: "بالاضافه إلى الحساسيه و الشعور الحاد اللذين يضيئان من شعر الخواجا يعجب المرء كيف أن هذا الشاعر المتحرر في طبعه استطاع أن يحافظ على قوه خياله الشعريه و جديته في وجه الحوادث الداميه التي منى بها الزمان الذي عاش فيه. فقد كانت بلاد فارس جمعاء تتمحض بالثوره و العدوان، و لا يستثنى إقليم فارس و لا شيراز ذاتها من هذه المعركه. فقد شاهد حافظ بام عينه قتل الملوك و تدمير البيوت و حروب المغتصبين، كما شاهد حتى الخصام بين بني المظفر ذاتهم. غير انه كان، على ما يبدو، ينظر إلى هذه الحوادث بجلال روحى كأنها أمواج صغيره في البحر المحيط. كان نظره مركزا على وحده أوقيانوس الطبيعه، على معنى الكون و غايته. صحيح أن فكره كان يثور من حين إلى آخر، فتستبد به العاطفه و يقول:

ما هذه الفوضى التي أراها في الجو المتقلب؟ أرى كل الآفاق مدلهمة بالثوره و العدوان.

و لكنه كان دائما يعود إلى رصانته العقلية فيسعى إلى طمانينه القلب في عالم يضطرب تحت أفكاره الواسعه السماويه".

أما نحن، أولئك الذين نعيش في أزمه من الحضاره لا- تقل بأسا، و في أيام يبدو فيها أن كثيرا من الشعراء و الفنانين و الموسيقيين المحدثين قد اتخذوا تاليه الفوضى و القبح دينا لهم، فيحسن بنا أن نتأمل قضيه حافظ هذه المعجبه. ذلك الشاعر الذي ظل مؤمنا بالجمال، في عالم تستوطنه الفوضى و القبح. يعبد الجمال و يخلق الجمال و يبقى الجمال على قيد الحياه يواسى به ويلهم رفاقه ضحايا الظروف المحتمه، دائم النظر يشع فيضىء أنفسنا و الأجيال القادمه على السواء. و الآن فلنردد قصيده أخرى من تلك القصائد الكثيره التي تتحدث عن ايمانه الراسخ بالنظام الالهى و التي تقدم لنا حله للغز أسر الروح الخالده ضمن حدود الزمان و المكان. هنا نرى أبياتا يتأمل فيها حافظ بما في الإسلام من سر عظيم تجلى باستشهاد الحلاج ذلك الولي المتصوف:

منذ سنوات و قلبي يطلب منى كاس جمشيد و يتمنى ما فيه من كل غريب و بعيد

و الجوهرة التي خرجت من أصداف "الكون و المكان" كثيرا ما طلبها من الضالين على شاطئ اليم...!!

و ليله أمس حملت "مشكلتي" إلى "شيخ المجوس" فهو قادر على أن يحل "المعمى" بتأييد من نظره

فرأيته هاشا باسماء، فى يده قرح من الخمر و كان يتفرج فى مرآتها على مئات من الأشكال

و قلبه كالبرعمه المقفله يخفى اسرار الحقيقه و لكنه حشى أوراق خاطره من نسخه قلبه

فقلت له: "متى أعطاك الحكيم هذه الكأس التي ترى فيها العالم...."؟ فقال: "فى اليوم الذى صنع فيه هذه القبه الزرقاء"

و الله مع الموله الواجد فى كل الأحوال و لكنه لم يره، فظل يناديه من بعيد بقوله: "يا الله"

و هذه الشعوذة التي أحكمها "السامرى" عملها امام عصا موسى و يده البيضاء

فأجاب: "ان هذا الصديق الذى ارتفعت به قمه المشنقه كان جرمه انه أذاع الأسرار"

و إذا أعانتنى روح القدس بالمدد مره ثانيه فان الآخرين أيضا يفعلون ما فعله المسيح

قلت له: "و ما فائده هذه السلاسل من جدائل الحسان...؟" فأجاب: "لأن حافظا يشكو من قلبه الثائر الولهان...."؟!

## الشيخ محمد حسن التنكابنى الشاهرودى.

توفى بعد ١٣٢٢.

هو من العلماء المدرسين. ولد فى تنكابن و نشأ بها ثم ذهب إلى قزوین و أصفهان و الأعتاب المقدسه ثم سكن مده فى شاهرود

- و لم اطلع على سنه وفاته و مكانها.

رأيت له بعض المؤلفات منها:

١ - شرح الفوائد الصمديه.

٢ - شرح الكبرى فى المنطق ألفها فى سنه ١٣٢٢ فى مدينه شاهرود. (١)

## محمد حسن الفانى الزنوزى ابن الحاج مير عبد الرسول.

ولد سنه ١١٧٢ فى بلده فاخره خوى.

و الزنوزى: نسبه إلى زنوز و هى بلده تابعه لمدينه مرند، قريه من مدينه خوى بينهما اثنا عشر فرسخا، و هى بلده جميله مكنظه بالأشجار و عيون الماء و الجداول و تخرج الفواكه الكثيره.

و كان لأهلها مكانه عند السلاطين لتسلطهم على القلاع المهمه كقلعه تفليس و دربند. و فى العام ١١٣٥ عند ما هاجم الروم المنطقه بعد تمرد أهلها عليهم كانت الغلبه للروم بعد قتال شديد، فبادوا أهلها قتلا و أسرا و لم يسلم من ذلك حتى النساء و الأطفال. و ممن قتل جد المترجم، أما أبوه فكان عمره سنتين فأخذه الروم فيمن أخذوا ثم تركوه، و أصبح بعد ذلك من العلماء سالكا فى هذا الطريق آباءه و أجداده. و لما بلغ ولده (المترجم) سن الصبا أرسله إلى تبريز ليدرس فيها فتعهده العالم الزاهد الربانى محمد شفيح الدهخوارقانى ملتزما بجميع نفقاته.

و بعد ان قضى المترجم مده فى تبريز ذهب إلى خوى فبقى فيها اربع سنوات عاكفا على الدراسه، فكان من أساتذته فيها: المولى عبد النبى شرف الدين الطسوجى فدرس عليه الأدب و الرياضيات. و فى سنه ١١٩٥ سافر إلى كربلاء فحضر درس كل من آقا محمد باقر البهبهانى و السيد مهدي الشهرستانى. ثم رجع إلى خوى و منها انتقل إلى مشهد الرضا متابعا الدراسه على علمائها، ثم قصد أصفهان فواصل الحضور على علمائها، ثم عاد إلى خوى.

من مؤلفاته: كتاب (رياض الجنه)، و هو فى التراجم. و له شعر باللغتين: الفارسيه و العربيه.

### **ميرزا محمد حسين نجاه بن عبد الغفار التبريزى.**

من فضلاء تبريز و أدبائها المجهولى تاريخ الولاده و تاريخ الوفاه.

له قصه: (بوذاسف و بلوهر) و هى فى تاريخ حياه (بوذا)، و كتاب (قطوف الأدب) و هى فى الأمثال العربيه.

### **السيد محمد حسن القوجانى المعروف بأغا نجفى القوجانى.**

ولد فى قريه خسرويه من توابع مدينه قوجان سنه ١٢٩٥ و توفى فى مدينه قوجان سنه ١٣٦٣.

كان عالما أصوليا فقيها محدثا متكلما له اليد الطولى فى العلوم العقليه و النقليه و من المعروفين بالفضل و الزهد و الورع و التقوى قرأ المقدمات فى قوجان و سبزوار و أكمل السطوح فى مشهد الرضا و فى سنه ١٣١٥ هاجر إلى أصفهان و أخذ الفقه و الأصول عن السيد محمد باقر الدرجه إى و الشيخ عبد الكريم الكزى و تخرج فى العلوم العقليه على الآخوند ملا محمد الكاشانى المتوفى سنه ١٣٣٣ حتى سنه ١٣١٨ فتوجه إلى العتبات المقدسه فى العراق و استقر فى النجف الأشرف و التحق بحوزه الآخوند ملا محمد كاظم الخراسانى صاحب الكفايه و واصل دراسته فى العلوم العقليه عند الشيخ محمد باقر الإصطهباناتى و فى سنه ١٣٣٨ رجع إلى موطنه قوجان فكان فيها مرجعا مدرسا.

له مؤلفات و آثار منها (شرح دعاء الصباح) و (عذر بدتر از گناه) كتبه فى الدفاع عن الانقلاب الدستورى فى ايران المعروفه ب (المشروطه) (كتاب شرح و ترجمه تفاحيه) لارسطو و الأصل لبابا أفضل الكاشانى، و كتاب (سفرى کوتاه به آباديهای قوجان) كتاب (سياحه غرب) بحث حول عالم البرزخ و الأرواح بعد الموت كتاب (سياحه شرق) كتاب (حياه الإسلام) فى حياه استاذه



صاحب الكفايه. و قد طبعت بعض مؤلفاته.(٢)

### محمد حسن فروزانفر الشهير بديع الزمان.

ولد سنه ١٣٢٢ بشرويه من أعمال طبس فى بيت علم و دين، و تربى فى حجر والده الشيخ على بن الآخوند ملا محمد حسن القاضى و كلاهما شاعران طبيبان من أحفاد ملا أحمد التونى (المتوفى ١٠٨٣ هـ) من علماء عصر الشاه عباس الثانى (١٠٥٣ - ١٠٧٧ هـ) المترجم فى الأمل و مطلع الشمس، أخذ المترجم التعاليم الأوليه فى "بشرويه" عند الملا محمد حسين الفنان المجلد و الخطاط الماهر، و فى المحرم ١٣٣٨ هـ هاجر إلى مشهد الرضا (ع) و بعد شهرين حضر عند الأستاذ أديب النيشابورى (١٣٨١ - ١٢٨١) [١٣٤٤ هـ] و تعلم منه العربيه و المنطق إلى سنه ١٣٤٢ هـ، و فى

ص: ٢٢٦

١- الشيخ محمد السامى.

٢- الصالحى.

تلك الأيام أقام الميرزا حسين السبزواري بمشهد لمدته محدوده، استفاد المترجم له من محضره، وقرأ الأصول و الفقه مده على الشيخ مرتضى الآشتياني، و مده عند الشيخ الخالصي في منفاه هناك.

ثم هاجر سنة ١٣٤٢ إلى العاصمة طهران وقرأ النجاء و تمهيد القواعد و شرح الإشارات و كليات القانون عند الميرزا طاهر التنكابني، و الفقه و الأصول على الشيخ حسين النجم آبادي، وقرأ تحرير إقليدس و قسما من إلهيات الأسفار على الميرزا مهدي الآشتياني و شرح الجعيني على الأديب البيشاوري، و كان كثير العشره لشمس العلماء الكركاني و للطف على صدر الأفاضل و الميرزا رضا خان النائيني و الشاه زاده أفسر و محمد على فروغى (ذكاء الملك) و الأستاذ محمد القزويني بعد رجوعه عن أوروبا.

يعد فروزانفر من النجوم القليلي النظير في الأدب الفارسي القديم منه و الحديث و آثاره في تاريخ الأدب و العرفان تبين تعمقه فيهما.

في سنة ١٣٤٦ درس المنطق في مدرسه الحقوق، و في درس العرييه و المنطق في دار المعلمين، و في عين مدرسا للأدب الفارسي بها، و في أستاذا لتفسير القرآن و الأدب العربي في مدرسه عالي سپه سالار "، و بعد تأسيس كليه المعقول و المنقول بها سنة ١٣٥٣ عين معاوناً لعميد الكليه و رئيساً لمؤسسه الوعظ و الخطاب، و بعد تأسيس جامعه طهران عين أستاذا للأدب الفارسي و تاريخه بكليه الآداب و أستاذا للتصوف الإسلامي بكليه المعقول و المنقول. و في سنة ١٣٦٣ عين عميداً لكليه المعقول و المنقول. و عند تأسيس المجمع اللغوي (فرهنگستان ایران) عين فيه عضواً عاملاً و كان عضواً في المجلس الأعلى للمعارف (شورای عالی معارف) خلال سنوات ١٣٥٣ إلى .

سافر إلى بيروت بدعوه من جامعه اللبنانيه لتأسيس كرسى لتدريس الأدب الفارسي بها، و إلى باكستان (لاهور) للاشتراك في المؤتمر الإسلامي، ثم إلى الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا لزياره المؤسسات الاستشراقية فيهما، و سافر مرتين إلى تركيا لزياره مزار مولانا جلال الدين الرومي و المكتبات الغنيه باسطنبول، و ثلاث مرات إلى أفغانستان لمهمات ثقافيه حكوميه، و سافر أيضاً إلى السعوديه و سوريا و الأردن و له من الآثار:

١: سخن و سخنوران (شرح حال و منتخب أشعار شعراى خراسان و ما وراء النهر) مجلدان، ط طهران.

٢: أحاديث مثنوى. ط طهران.

٣: رساله در تحقيق أحوال و زندگاني مولانا جلال الدين مشهور به مولوى. ط طهران.

٤: دستور زبان فارسي، مجلدان، ط طهران.

٥: شرح أحوال و نقد و تحليل آثار شيخ فريد الدين عطار نيشابورى، ط طهران (أنجمن آثار ملي).

٦: شرح مثنوى شريف، ثلاثه مجلدات، ط طهران: (گنجينه تحقيقات إيرانى، رقم ٥٣).

٧: فرهنگ تازى بفارسي، ط طهران (فرهنگستان ایران).

۸: ماخذ قصص و تمثيلات مثنوی، ط طهران (دانشگاه طهران رقم ۳۱۴).

۹: ترجمه رساله قشیریه، ط طهران (بنگاه ترجمه و نشر کتاب).

۱۰ - دیوان اشرفی غزنوی ملقب به اشرف، تصحیح، محمد تقی مدرس رضوی، مع إصلاحات لعلی اکبر دهخدا و فروزانفر، ط طهران (دانشگاه طهران). ۱۱: فیه ما فیه، از گفتار مولانا جلال الدین محمد مشهور به مولوی، ط طهران (دانشگاه طهران).

۱۲: کلیات شمس با [یا] دیوان کبیر، صححه و حقه فروزانفر با اشتراک الدكتور امیر حسن یزد کردی و حسین کریمان، عشره مجلدات بالقطع الکبیر، ط طهران (دانشگاه طهران و گنجینه متون ایرانی).

۱۳: مصباح الأرواح: شمس الدین محمد بردسیری کرمانی، ط طهران (دانشگاه طهران و گنجینه متون ایرانی).

۱۴: معارف: برهان الدین محقق ترمذی، ط طهران (وزاره فرهنگ [فرهنگ]).

۱۵: معارف (مجموعه مواعظ و سخنان سلطان العلماء بهاء الدین محمد بن حسین خطیبی مشهور به بهاء ولد) أربعة مجلدات، ط طهران وزاره ۱۶: مناقب: أوحده الدین حامد بن أبی الفخر کرمانی، ط طهران (بنگاه ترجمه و نشر کتاب).

۱۷: زنده بیدار (حی بن یقظان) لابن طفیل، ط طهران (بنگاه ترجمه و نشر کتاب)، و الطبعة الثانية تشمل علی ترجمه حی بن یقظان لابن سینا بالفارسیه و ترجمه قصه غربه الغریبه للسهروردی بالفارسیه أيضا.

۱۸: خلاصه مثنوی رومی، ط طهران (وزارت فرهنگ [فرهنگ]). (۱)

و له مقالات کثیره نشر اکثرها فی مجلات: مهر و آینه و یغما و دانشکده ادبیات و نامه فرهنگستان و مجلات أخرى.

### محمد بن الحسن بن باکیر الشیرازی کاتب السبعی

۴۷۷ - ۵۱۱.

ترجم له ابن حجر فی لسان المیزان ۱۳۴/۵ و قال: قال ابن النجار:

کان سیدا فیه أدب و فضل و کان یتشیع روی عنه أبو المعمر الأنصاری و أبو طالب بن حصین و أبو نصر بن الشیرازی.

### محمد بن الحسن بن محمد بن القاسم بن المسور أبو الحسن الجهنی

الکوفی.

المتوفی سنه ۴۷۶.

ترجم له ابن حجر فی لسان المیزان ۱۳۶/۵ و قال: کان شیعیاً سیئ المعتقد: علی الاسناد، سمع من محمد بن عبد الله الجعفی و

هو آخر من حدث عنه.

روى عنه إسماعيل بن السمرقندی و غيره توفي سنة ٤٧٦ و له اثنان و ثمانون سنة.

### السيد محمد حسن الشخص بن احمد.

ولد في النجف الأشرف سنة ١٣٣٧ و توفي سنة ١٤٠٨ في المدينة المنوره خلال رحلته إليها لزياره النبي (ص) و آل بيته.

من مشاهير خطباء المنبر الحسيني فاضل أديب شاعر.

أسره (الشخص) معروفه في الإحساء، و مقرهم قريه (القاره)، و منها نرح بعضهم إلى (الكويت) و (النجف)، و لا يوجد اليوم في (النجف) منهم أحد فقد عادوا جميعا إلى موطنهم الأول.

و أبرز من عرف منهم السيد محمد باقر بن السيد علي الذي كان من أبرز أساتذه الفقه و الأصول في النجف الأشرف، و هو عم صاحب الترجمة.

نشا في النجف و ترعرع، و في حدود عام ١٣٤٢ هـ توفي والده الخطيب السيد أحمد الشخص عن أربعين سنة تقريبا و كان عمر صاحب

ص: ٢٢٧

---

١- الشيخ أبو ذر بيدار.

الترجمه ست سنين فتولى تربيته و العناية به عمه السيد محمد باقر، و قد درس عليه و على عدد من علماء النجف.

ثم بدأ يمارس الخطابه الحسينيه و هو فى الرابعه عشره من عمره، و قد تتلمذ فيها على عدد من خطباء النجف و هم:

١ - الشيخ محمد الكاشى، و هو أول من تتلمذ عليه.

٢ - الشيخ محمد حسين الفيخرانى.

٣ - السيد صالح الحلّى. ثم أصبح من أشهر الخطباء.

و كان له شعر كثير فى مناسبات مختلفه خصوصا فى أهل البيت ع ، و له عدّه مؤلفات أكثرها مرتبط بالمنبر الحسينى. (١)

### آقا رضى الدين محمد بن حسن القزوينى.

توفى سنه ١٢١٢.

كان من مشاهير عصره فى العلم و الفضل، من مؤلفاته: ضيافه الإخوان و هديه الخلان فى تاريخ قزوین. رساله القبله، رساله المقادير، كحل الابصار، رساله النوروز. و له ديوان شعر.

### الشيخ محمد حسن بن الشيخ محسن بن الشيخ محمد الحوزى

الحائرى آل أبى الحب.

ولد فى كربلاء سنه ١٢٥٥ و توفى فى ١٣ شهر شوال سنه ١٣٥٧ و دفن فى مقبره خاصه له فى روضه العباس ع.

من أهل الفضل و الكمال و حمله العلم كثير البحث و المطالعه خطيب فقيه أخذ المقدمات على جمع من فضلاء كربلاء و تخرج فى الفقه و الأصول على الشيخ حسن البرغانى و الشيخ ميرزا علامه الحائرى آل الصالحى و الشيخ ميرزا على نقى الحائرى آل الصالحى و أخذ الأدب و فن الخطابه من والده الخطيب و الشاعر الشيخ محسن أبى الحب المتوفى سنه ١٣٠٥ و نبغ بها فكان من فحول خطباء كربلاء و من أئمه الجماعه فى صحن العباس و مرجعا للأموال الشرعيه فى الحائرى الشريف و شارك فى الثوره العراقيه الكبرى على البريطانيين بزعامه الميرزا محمد تقى الشيرازى الحائرى. و من مؤلفاته رساله فى الإرث و تقريرات استاذة الشيخ ميرزا على نقى فى الفقه و الأصول هو والد الشيخ محسن آل أبى الحب الشاعر و الخطيب المتوفى سنه ١٣٦٨. (٢)

### الشيخ محمد حسن بن الشيخ احمد بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ

محمد حسن صاحب الجواهر.

ولد حدود سنه ١٢٩٣ و توفى ليله الاثنين الثامن من ذى القعدة سنه ١٣٣٥ كان من علماء النجف و أفاضل حوزة درس صاحب الكفايه و العروه.

و كانت له حنكه الشيوخ و قوه الشباب، درس على الشيخ آغا رضا الهمداني و الشيخ كاظم الخراساني و السيد كاظم اليزدي و غيرهم.

و له منظومه فى الكلام باسم (جواهر الكلام) و منظومه اخرى فى الأصول.(٣)

### محمد بن الحسن بن يعصن القصار.

المتوفى سنة ٥٠٣هـ.

ترجم له ابن حجر فى لسان الميزان ١٣٤/٥ و قال: روى عن أبى على ابن وشاح و عنه السلفى و ابن الأنماطى و غيرهما و قال شجاع الذهلى مات ٥٠٣هـ.

و قال الذهبى فى الميزان روى عن أبى محمد الجوهرى و فيه رفض انتهى ملخصا.

أقول: و لعله الأنصارى المذكور فى اللسان ١٣٥/٥.

### محمد بن الحسين البغدادى مقرئ العراق.

المتوفى سنة ٥٢١هـ.

قال الذهبى فى الميزان. سمعت عبد الوهاب الأنماطى ينسبه إلى الرفض، أما الرفض فلا فله أبيات فى تعظيم الأربعة الراشدين ان لم يكن نظمها تقيه.

### الشيخ محمد حسين الدهاقانى

ولد فى ١٣٢٧، توفى ١٤٠٤.

ولد فى مدينه دهاقان (بقرب من أصفهان) و فى السابعة من عمره تعلم القراءة و الكتابه ثم أخذ المقدمات فى موطنه و فى سنه ١٣٤٣ ذهب إلى أصفهان و دخل فى مدرسه الصدر و أتم النحو و الصرف و المعانى و البيان و العروض و المنطق بها ثم بدأ بقراءه سطوح الفقه و الأصول و عند ما أكمل اللغه و القوانين ذهب إلى النجف الأشرف و أتم السطوح هناك ثم حضر بحث الشيخ ضياء الدين العراقى و السيد أبو الحسن الأصفهانى فى الفقه و الأصول و بعد وفاه السيد أبو الحسن لازم أبحاث الميرزا عبد الهادى الشيرازى.

و فى سنه ١٣٩١ هاجر إلى ايران و سكن مدينه قم و فى سنه الأخيره ابتلى بامراض عديده حتى توفى و دفن فى احدى حجرات الصحن الشريف فى قم.

كان رحمه الله - زاهدا منزها عن الناس، له مؤلفات متفرقه فى الفقه و الأصول غير مجموعته.(٤)

## الشيخ محمد حسين الغريب التنكابنى الشهير بالشيخ حسين الرامسرى

ابن حبيب الله بن باقر على بن عبد الله بن منصور بن رحيم السامى.

ولد فى ٢٠ صفر ١٢٧٩ و توفى ١٢ جمادى الأولى ١٣٥٤.

ولد فى رامسر و تعلم المقدمات و المبادئ فى مدارسها ثم ذهب إلى قزوین و اشتغل بقراءة السطوح ثم ذهب إلى طهران و حضر فى المعقول عند الميرزا أبو الحسن الجلوه و الآقا محمد رضا القمشه إى و حضر فى الفقه على أعلامها و فى بدايه سنه ١٣٠٤ ذهب إلى النجف الأشرف فحضر فى الفقه و الأصول على الميرزا حبيب الله الرشتى و الشيخ هادى الطهرانى و الحاج الميرزا حسين الخليلى، و فى سنه ١٣١٩ رجع إلى موطنه و أقام هناك مشغلا بالتدريس و التأليف و قضاء حوائج الناس. و اشتهر أمره و تخرج من مدرسته عشرات الفضلاء و العلماء إلى أن توفى فى جورديه من ضواحي رامسر و نقل جثمانه إلى قم و دفن بها، له مؤلفات منها.

١ - جوامع الكلم - و هى منظومه فى الأصول طبعت فى حياته.

٢ - العشره الكامله - (فى القواعد الفقيهيه).

٣ - نان و پير - منظومه فارسىه نظير (نان و حلوا للشيخ البهائى).

٤ - تقريرات فى الأصول و الفقه - كتبها فى النجف الأشرف فى سنه ١٣٠٤ و .

٥ - الشرح و الحاشيه على كتاب منطق التجريد.

٦ - رسائل متعدده فى بعض أبواب الفقه.

ص: ٢٢٨

١- السيد هاشم الشخص.

٢- الصالحى.

٣- السامى.

٤- الشيخ محمد السامى.

و كان ينظم الشعر باللغتين الفارسيه و العربيه.(١)

### محمد بن الحسين بن حمزه بن جعفر بن العباس بن ابراهيم الاعرابي

ابن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب

الهاشمي الطالب الجعفري.

ترجم له ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب ٤٩٦/٥ رقم ١٠٥٠ و قال: ذكره شيخنا جمال الدين أبو الفضل احمد بن المهنا العبيدلي في المشجر (ثم أورد نسبه ناقلا عنه ثم قال) و قال: كان فقيها فاضلا. قال و من إنشاده:

كانت مجالسنا للانس نبذله و للسرور و بسط الوجه و المال

فصارت اليوم ما تعدو مجالسنا دفع الهموم و شكوى البث و الحال

### محمد بن الحسين بن إسحاق بن موسى بن إسحاق بن الحسين بن

الحسين بن إسحاق بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن

علي بن أبي طالب ع.

السيد أبو الحسن العلوي الموسوي المروزي نقيب الطالبين بمرو المتوفى سنة ٥٣٨ ترجم له تلميذه السمعاني في معجم شيوخي و في التحرير ١١٦/٢ رقم ٧٣٠ و قال:

نقيب الطالبين بمرو ولي الرئاسة و النقابه بمرو مده و كان مع شرف النسب متخلقا بالأخلاق الحسنه متواضعا راغبا في الخير و أهل العلم متقربا إليهم سمع جدى أبا المظفر و وجدت سماعه في جزء من الحكايات التي جمعها جدى فحضرت داره و قرأت عليه و كان مواظبا على الجمعه و الجماعات و حضور مجالس العلم و قراءه القرآن و اتفق في الاغاره بمرو حمله خوارزم شاه إلى خوارزم و كان قد كف بصره قبل ذلك بمده و أسكنه خوارزم إلى أن مات بها في المحرم سنة ٥٣٨ و حمل إلى كاث و دفن بها مده ثم نقلت جنازته إلى مرو (فدفن) بسنجان احدي مقابر مرو.(٢)

### السيد محمد بن السيد حسين بن المير عبد المطلب الحسيني الرامسري

الشهير ب (بسمل).

ولد حدود ١٢٧٠ و توفي ١٣٠٠.

ولد في رامسر و فيها تعلم القراءه و الكتابه و المقدمات و السطوح و في ريعان شبابه ابتلى بمرض الأعصاب فانعزل عن الخلق و انزوى ثم أصيب بالفالج و اشتد مرضه إلى أن توفي بها و له قصائد راقيه في رثاء الحسين ع و كان تخلصه الشعري (بسمل).(٣)



## الشيخ محمد حسين بن الشيخ سليمان بن ولي الله بن امر الله بن

عبد الله الجندقي المهرجاني الحائري الشهير بالأعلمي.

ولد سنة ١٣٢٠ في قرية مهرجان بايران و توفي في ٢٣ ذى الحجة الحرام سنة ١٣٩٣ في قم و دفن في الصحن الجديد في روضه السيده المعصومه بنت الامام موسى الكاظم ع.

أخذ أوليات العلوم على والده ثم هاجر مع أبيه إلى خراسان و أكمل المقدمات و في سنة ١٣٤٠ توجه إلى العتبات المقدسه في العراق قاصدا الحوزه العلميه الكبرى فاستقر في كربلاء و أكمل السطوح ثم توجه إلى النجف الأشرف و التحق بحوزه الشيخ ميرزا حسين النائيني و آغا ضياء العراقي و السيد أبو الحسن الأصفهاني ثم رجع إلى كربلاء و تخرج على السيد آغا حسين القمي و السيد عبد الهادي الميلاني و السيد مهدي الشيرازي و حصل على إجازات من علماء العراق و ايران و تصدر لتدريس المقدمات و السطوح في المدرسه الهنديه بكربلاء و كان مشغولا في تأليف كتابه دائره معارف الأعلمي و قد قام بتأسيس مكتبه ثمينه حوت أكثر من ثلاثه آلاف كتاب من نوادر المطبوعات و مجموعه من المخطوطات كانت في احدى الحجرات الجنوبيه في المدرسه الهنديه و في سنة ١٣٩٥ صودرت من قبل النظام التكريتي، الحاكم في العراق و انتقل المترجم له في سنة ١٣٧٤ إلى ايران و سكن في المدرسه الفيضيه بقم و باشر بطبع الجزء الأول من دائره معارف الأعلمي المسماه (مقتبس الأثر و مجدد ما دثر) في ثلاثين مجلدا طبع الجزء الأول منها في قم سنه ١٣٧٤ و الجزء الثلاثون في سنة ١٣٩٣ و له كتاب تراجم اعلام النساء طبع في مجلدين في بيروت سنة ١٤٠٧. (٤)

## الشيخ محمد حسين بن محمد جعفر التنكابني.

ولد حدود ١٢٢٠ و توفي بعد ١٢٧٠.

ولد في تنكابن و تعلم المقدمات و الأوليات في مدارسها ثم ذهب إلى أصفهان و اهتم بتحصيل العلوم الفلسفيه له مؤلفات منها:

١ - الذروه العاليه - في شرح دعاء كميل.

٢ - الحاشيه على كتاب المشاعر. (٥)

## الشيخ محمد بن الحسين بن مهدي المهدي السعيدى اللاهيجي.

ولد في رمضان ١٣١٧ و توفي في ثالث ربيع الثاني ١٤٠٣.

ولد في مدينه لاهيجان و نشا برعايه أبيه الذي كان أحد علماء تلك المدينه و قرأ المقدمات على أبيه ثم انتقل إلى مدينه رشت و حضر على الشيخ بهاء الدين اللاهيجي و السيد على اللاهيجي و الميرزا كاظم اللاهيجي و السيد أسد الله الكيسمي المطول و شرح الشمسيه و المعاني و البيان و في سنة ١٣٣٧ سافر مع أخيه الشيخ مهدي إلى النجف الأشرف فحضر المعالم عند الشيخ على أكبر الخونساري و شرح اللمعه عند الشيخ شمس القرميني و القوانين و الرسائل عند الشيخ حبيب الاربيلى و المكاسب عند

الشيخ محمد حسين الطهراني و الفيلسفه عند الميرزا مهدي الآشتياني و الميرزا احمد الآشتياني و الأخلاق و العلوم الرياضيه و الهيئه و التفسير عند الشيخ مرتضى الطلقاني و حضر الكفايه عند الشيخ عبد الحسين الرشتي (صاحب الحاشيه على الكفايه) ثم حضر في الفقه و الأصول خارجا على الشيخ احمد كاشف الغطاء و السيد محمد الفيروزآبادي و الشيخ مهدي المازندراني و السيد ميرزا آقا الإصطهباناتي و الميرزا حسين النائيني و الشيخ شعبان الجيلاني و الشيخ ضياء الدين العراقي و السيد أبو الحسن الأصفهاني و السيد جمال الدين الكلبيكاني و حضر في الكلام و العقائد على الشيخ محمد جواد البلاغي و الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء و أجز بالاجتهاد من اساتذه السيد جمال الدين الكلبيكاني و السيد ميرزا آقا الإصطهباناتي و الشيخ شعبان الجيلاني و الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء و السيد محمد الحسن البغدادي و السيد جواد الطباطبائي التبريزي و الميرزا باقر الزنجاني و غيرهم.

رجع إلى ايران اثر حادث مؤلم سنه ١٣٩٤ و بقى في لاهيجان إلى أن أصيب بمرض القلب و حمل إلى طهران فتوفى بها و حمل جثمانه إلى مسقط رأسه و دفن في مدرستهم العلميه.

ترك مؤلفات قيمه يناهز عددها الثمانين منها: (دانشمندان كيلان) في عدة مجلدات (و جغرافياي كيلان) و (رجال دو هزارساله كيلان) و تفسير القرآن الكريم و أخلاق محمدي و غيره..

ص: ٢٢٩

١- الشيخ محمد السماي.

٢- السيد عبد العزيز الطباطبائي.

٣- الشيخ محمد السماي.

٤- الصالحى.

٥- الشيخ محمد السماي.

كان رحمه الله عابدا زاهدا ورعا لا تأخذه في الله لومه لائم و كان وفيا مع أصدقائه متواضعا عاشرته عشر سنوات ما رأيت منه مكروها قط. (١)

### الشيخ محمد رضا التنكابني.

توفى بعد ١٠٩٢.

ولد في تنكابن و نشأ بها ثم ذهب إلى أصفهان و أقام مده بها ثم ذهب إلى قزوین و حضر بحث المولى خليل القزويني (المتوفى سنة ١٠٨٩) - و بعد وفاه استأذنه اشتغل بالتدريس له حواشي متفرقة على بعض الكتب الحديثيه. (٢)

### محمد بن حماد بن سلمان بن المحسن أبو غالب العلوي

الموسوي من أهل مرو.

توفى سنة ٥٥٨.

ترجم له السمعاني في معجم شيوخه في التحرير ١٢٤/٢ قال: سكن نيسابور و كان مختصا بوالدى رحمه الله و كان والده من أصحاب الامام جدى و كان صدوقا صحيح السماع كافيا شهما من الرجال... و هو غال في التشيع و الرفض سمع جدى الامام أبا المظفر و أبا القاسم إسماعيل بن محمد الزاهري و أبا القاسم عبد الله بن الحسن القريني و غيرهم سمعت منه مجالس من مجالس جدى و كانت ولادته في شهر ربيع الأول سنة ٤٧٨ بمرو و توفى بنيسابور يوم الأربعاء الثامن من جمادى الآخرة ٥٥٨.

### محمد بن حمزه بن إسماعيل بن الحسين بن علي بن الحسين بن

القاسم بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي

طالب

أبو المناقب العلوي الحسنى الهمداني ٤٦٦ - ٥٣٢.

ترجم له ابن حجر في لسان الميزان ١٤٨/٥ و قال: من أهل همدان طلب بنفسه و كتب الكثير بخطه.

سمع أبا إسحاق الشيرازي الفقيه بهمدان، و بأصبهان من أصحاب أبي نعيم و ببغداد كثيرا من أصحاب أبي علي بن شاذان و ابن شبران و ابن غيلان.

روى عنه ابن ناصر و ابن الخشاب و ابن عساكر و غيرهم قال ابن ناصر كان فيه تساهل في الأخذ و السماع و هو ضعيف الحديث عند أهل بلده و غيرهم.

قال أبو سعد بن السمعاني: له معرفة بالحديث حسن الشعر جمع و صنف و كان حسن المعاشرة مليح المحفوظ لقيته بهمدان و

سأله عن مولده فقال في صفر سنة ٤٦٦.

توفي في شوال سنة ٥٣٢.

و ترجم له الحافظ ابن عساكر في معجم شيوخه الورقة ١٨٦ ب و سرد نسبه كما هنا و ذكر كلا من آبائه بكنيته و اسمه و قد تقدمت اسماؤهم فإليك كناهم فهو:

أبو المناقب بن أبي المعالي بن أبي عبد الله بن أبي الفضل بن أبي الحسين بن أبي عبد الله بن أبي جعفر بن أبي عبد الله بن أبي محمد بن أبي الحسين بن أبي محمد بن أبي الحسن أمير المؤمنين ع.

روى عنه قراءه عليه بالمدرسه النظاميه ببغداد عن أبي القاسم الفضل بن احمد بن محمد الجرجاني الزجاجي قدم عليه همدان بفاطم آباد. (٣)

### الشيخ محمد رضا الطبسي النجفي ابن عباس.

ولد في ١٨ شعبان ١٣٢٤، في مدينه مشهد و توفي سنة ١٤٠٥ في مدينه قم تلقى المبادئ الأوليه في طبس، ثم سافر إلى مشهد، لإكمال المقدمات، ثم إلى قم فأكمل الفقه و الأصول على السيد محمد تقى الخونسارى و السيد على اليربى الكاشانى، و حضر المعقول على الشيخ على أكبر اليزدى، و الشيخ محمد على الشاه آبادى، ثم حضر على الشيخ عبد الكريم الحائرى، سبع سنين، و كان من أفاضل تلامذته.

هاجر إلى العراق، فحضر في النجف على الشيخ محمد جواد البلاغى في المناظره، و على الشيخ ضياء الدين العراقى في الأصول، و بعد وفاه البلاغى (١٣٥٢ هـ) اتصل بالسيد أبى الحسن الموسوى الأصفهانى، و الشيخ حسين النائينى، ثم انقطع إلى السيد أبى الحسن الأصفهانى، حتى صار من خواصه، و من أعضاء مجلس فتياه، الذى عقده في سنينه الأخيره، حتى توفي أبو الحسن (ره) سنة ١٣٦٥.

من مؤلفاته المطبوعه: منيه الراغب في ايمان أبى طالب، و ذرائع البيان في عوارض اللسان، و من المخطوطه: ذخيره الصالحين في شرح تبصره المتعلمين، و مقتل الحسين، و الأربعون حديثا من الأربعين، و دروس في العقائد و التاريخ.

### المولى محمد زمان بن حاجى مراد خان التنكابنى الديلمى.

توفي بعد سنة ١١١٨.

من العلماء الفضلاء و كان يسكن في أصفهان، ترجم كتاب اسرار الصلاه (لشهادت الثانى) بامر السلطان حسين الصفوى في سنة ١١١٨ إلى الفارسيه و له تعليقات على كتاب تلخيص المنطق توجد نسخته في مكتبه مدرسه سبه سالار في طهران. (٤)

### مجد الدين أبو الحسن محمد بن زكى الدين الحسن بن أبى الفتوح

محمد بن عز الدين المرتضى بن إسماعيل بن محمد بن علي بن الحسن بن

عيسى الأكبر بن أبي عبد الله محمد بن علي العرائضى الحسينى.

المتوفى سنة ٦٧٨.

ترجم له ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ٢٢٧/٥ رقم ٤٦٤ و وصفه بالفقيه الامامى وقال:

ذكره شيخنا جمال الدين أبو الفضل بن مهنا الحسينى فى المشجر وقال: له فضل و أدب و فقه و نظم حسن توفى ثانى عشر شهر رمضان سنة ٦٧٨.

### **أبو منصور محمد بن زيد بن محمد بن محمد بن زيد بن احمد أمير**

الحاج بن أبى الفتح محمد بن محمد بن أبى الحسن الأشتر بن عبيد الله بن

على بن عبيد الله بن على بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن على

زين العابدين بن أبى عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب

(ع).

مجد الدين بن ضياء الدين بن كمال الشرف العبيدلى العلوى الموصلى النقيب بالموصل.

ترجم له ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ٢٣٣/٥ رقم ٤٨٠ و سرد نسبه و قال: كانت وفاته فى ذى القعدة سنة ٦٦١.

و ذكر فى موارد الإتحاف ١٨١/٢: ان له ثلاث بنين أبو عبد الله زيد و كمال الدين حيدره و المرتضى، قاله ابن مهنا فى التذكرة و فى مشجره.

### **الشيخ الكبير العالم المعمر مسند وقته أبو على محمد بن سعيد بن**

إبراهيم بن سعيد بن بنهان البغدادي الكرخي، الكاتب.

هكذا وصفه الذهبى فى (سير اعلام النبلاء) ثم قال: ولد سنة احدى

ص: ٢٣٠

١- الشيخ محمد السماوى.

٢- الشيخ محمد السماوى.

٣- السيد عبد العزيز الطباطبائي.

٤- الشيخ محمد السماوي.

عشره و أربع مائه سمع بعد العشرين من أبى على بن شاذان و بشرى الفاتنى و ابن دوما النعامى و جده لأمه أبى الحسين الصابى، عمر دهرا طويلا، و ألحق الصغار بالكبار و لم يكن سماعه كثيرا.

ثم ذكر من حدث عنه، ثم قال: قال السمعانى: هو شيخ عالم فاضل مسن من ذوى الهيئات، و كان آخر من روى عن ابن شاذان و لى منه إجازة، قال ابن ناصر: فيه تشيع و كان سماعه صحيحا، بقى قبل موته ملقى على ظهره لا يعقل، فمن قرأ عليه فى تلك الحالة فقد أخطا و كذب عليه فإنه لم يكن يفهم ما يقرأ عليه من أول سنة احدى عشره: قال ابن ناصر: و سمعته يذكر مولده ثم سمعته مره يقول: سنة خمس عشره، فكلمته فى ذلك فقال: أردت أن أدفع عنى العين، و الا فمولدى سنة احدى عشره.

قال أبو سعد السمعانى: سمعت أبا العلاء بن عقيل يقول: كان شيخنا ابن نبهان (المترجم) إذا طول عليه المحدثون قال: قوموا فان عندنا مريضا، بقى على هذا سنين، فكانوا يقولون: مريض [مرض] ابن نبهان لا يبرأ.

و قال ابن ناصر: كان ابن نبهان قد بلغ ستا و تسعين سنة، سمعه جده هلال بن المحسن فى سنة ثلاث و عشرين، و لم يكن من أهل الحديث، و كان أولا على معاملة الظلمه، و كان رافضيا. و الصحيح ان مولده سنة خمس عشره، و كذا نقل الحميدى، و ذكر انه و جده بخط جده ابن الصابى، و مات فى شوال سنة احدى عشره (انتهى).

### محمد صادق بن حاجى مراد التنكابنى.

توفى بعد سنة ١٠٩٩.

كان من العلماء و الفلكيين - له شرح على كتاب الملخص (فى الهيئه) أتمه فى يوم الثلاثاء ثالث صفر سنة ١٠٩٩ توجد نسخه فى مكتبته ملى فارس أقول: يحتمل بأنه أخ المولى محمد زمان بن حاجى مراد. (١)

### الحاج الشيخ محمد صالح المجتهد التنكابنى.

ولد حدود ١٢١٠ و توفى بعد ١٢٦٠.

ولد فى تنكابن و قرأ المقدمات فى مدارسها ثم ذهب إلى أصفهان و حضر فى المعقول على المولى على النورى و فى الفقه و الأصول على اعلامها ثم ذهب إلى كربلاء و حضر على السيد محمد الطباطبائى فى الفقه و الأصول ثم ذهب إلى النجف الأشرف و استفاد من اعلامها و فى حدود ١٢٤٥ رجع إلى موطنه و شيد مدرسه دينيه تخرج منها عشرات الفضلاء. (٢)

### الشيخ محمد صالح بن محمد باقر القزوينى المعروف بالروغنى.

توفى سنة ١١١٦ فى المشهد الرضوى.

كان من علماء الشيعة فى العصر الصفوى أديب حكيم عارف تحرير ولد فى قزوين و قرأ على جمع من فحول علمائها ثم هاجر إلى أصفهان و التحق بحوزه المير باقر الداماد المتوفى سنة ١٠٤٢ ثم عاد إلى موطنه قزوين و تخرج على الشيخ محمد كاظم الطالقانى المتوفى سنة ١٠٩٤ فى مدرسه النواب بقزوين و فى سنة ١٠٧٥ هاجر إلى خراسان و سكن مدينه مشهد المقدسه فكان

من كبار علماء خراسان و في سنة ١٠٧٥ و هو عام هجرته إلى المشهد ألف كتابه (بركات المشهد المقدس) و هو ترجمه لكتاب عيون أخبار الرضا (ع) إلى الفارسيه و ذكر في آخره انه أوجب على نفسه بالعهد و اليمين ان لا يفارق المشهد طول عمره و اختطفه القدر المحتوم في هذه المدينه سنة ١١١٦ و دفن بها و ظفرت بتاريخ وفاته بخط أحد تلاميذه على ظهر كتاب (حكمت إسلام) الموجوده عندنا. و من أحفاده في قزوین الشيخ الأغا كريم الروغنی القزوينی المتوفى سنة ١٢٨٣ من أعلام العصر القاجاری المذكور في المآثر و الآثار (٣) المار الذكر و تعرف اسرته [أسرته] اليوم في قزوین بال الأرجمندي. ذكر المترجم له الحر العاملی في كتابه أمل الآمل قال (مولانا محمد صالح بن محمد باقر القزوينی المعروف بالروغنی عالم فاضل كامل، له كتب و رسائل منها كتاب ترجمه عيون أخبار الرضا (ع)، و ترجمه نهج البلاغه، و ترجمه الصحيفه السجديه، و مقامات، و شرح فارسی لدعاء السمات، و رساله في أكل آدم من الشجره، و شرح بعض أشعار المثنوی الرومی) (٤) أقول: له مؤلفات طبع بعض منها مرارا منها أكل آدم من الشجره، بركات المشهد و هو ترجمه لكتاب عيون اخبار الرضا (ع) الامامه، ترجمه توحيد المفضل، ترجمه محاضرات الراغب إلى الفارسيه، ترجمه عهدنامه مالک الأشر ترجمه الصحيفه السجديه مع شرح فارسی، شرح الصحيفه السجديه بالعرييه و بها صرح انه تلمذ على المير باقر الداماد، ترجمه مع شرح نهج البلاغه طبعه سنة ١٣٢١ بتحقيق الميرزا علي عماد لشكر الآشتيانی خطا باسم المولى محمد صالح البرغانی قد سبق لي ان نبهت في مقدمه موسوعه البرغانی في فقه الشيعة ج ١ ص ٣٥ ثم طبعه ثانيه سنة ١٣٨٠ في طهران باسم المترجم له و هو من أنفع و أجل شروح النهج بالفارسيه، حكمت إسلام طبع مرارا رساله في أحكام و شرائط الدعاء، شرح أشعار المثنوی، شرح دعاء السمات، المقامات، رساله في جواب الرجل المرتد، منشور أدب إلهی و دستور العمل كار آكاهي شرح فارسی مبسوط لوصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع لولده الامام الحسن ع و جميع النسخ موجوده عندنا. (٥)

## مولانا محمد صالح الترشيزي

توفي سنة ١١٦٠ في قريه (قوجد) من قري ترشيز عن ٥٨ عاما.

درس في أصفهان على كبار علمائها و أجز منهم ثم عاد إلى قريته و انشغل بالعباده و الدراسه. و يقول صاحب (تاريخ علماء خراسان) ان له تأليف كثيره و لكنه لم يذكر شيئا منها.

## الشيخ محمد صالح قفطان بن الشيخ مهدي.

### إشارة

ولد في مدينه الحى (العراق) عام ١٢٩٤ عند ما كان والده يتردد إليها.

و نشأ في النجف الأشرف فاخذ المقدمات على أساتذته عصره، ثم ترك النجف متوليا الخطابه الحسينيه. و كان ينظم الشعر فترك ديوانا شعريا مخطوطا. و كان يتردد على شيوخ الغراف و ينشدهم الأشعار، و له فيهم الكثير من الشعر.

### شعره



من قصيده له في مدح الامام علي ع. و في آخرها يمدح من يسمى (محسن):

تبا لقوم ما اقتفوا آثاره عمياً لم ترشدهم الآثار

كلا بل اتضحت لهم سنن الهدى منه و لكن خالفوه و جاروا

ان غاب مهدي الهدى عن دينه فبمحسن قد شع فيه منار

ص: ٢٣١

---

١- الشيخ محمد السماوي.

٢- الشيخ محمد السماوي.

٣- الميرزا محمد حسن خان اعتماد السلطنه المآثر و الآثار ص ١٧٩ الطبعة الأولى الحجريه.

٤- الشيخ الحر العاملي أمل الآمل تحقيق السيد احمد الحسيني ج ٢ ص ٢٧٧ الطبعة الأولى سنه ١٣٨٥ هجريه النجف مطبعه الآداب.

٥- الشيخ عبد الحسين الصالحي.

العليم العلم المفيض على الورى من رفته أو رشده تيار

ندب سما خلقا و خلقا فانثنى عن فضله النظام و النثار

و له من قصيده فى رثاء الحسين ع:

و ما فى الملا كبلا كربلاء فبالحزن جدد أعوامها

فمن دونها شمردت فتيه شهدن المواقف إقدامها

ذوو نجاهه أنجرت فى القراع كما أنجرت فيه اتهامها

رواسى الهياج بباس شديد إذا ضعضع الخطب أحلامها

اسود الكفاح لها الحتف راح مواضى الصفاح غدت جامها

فسمرهم قد نظمن الكماه كما بيضهم نثرت هامها

هم سامروا السمر مذ أعربت بالحنانها البيض انغامها

كان الملاحم غيد الملاح بها ضاعف الشوق تهيامها

بسوق عكاظ العلى ارضوا نفوسا سوى المجد ما استامها

و عاد فريد العلى مفردا له تجمع الحرب اقوامها

و أصبح مقدام هيجائها و قطب رحاها و ضرغامها

فيوم الردى كان مطعائها و يوم الندى كان مطعماها

ترى منه أشوس ليث الشرى عميد الملاحم مقدامها

و ما كر الا و فر العدا و قد سابق الهام أقدامها

إذا نثر الصيد بتاره فخطاره عاد نظامها

و ان جمع الشوس خطيه فهنديه كان قسامها

و ان أعجم الرمح تكليمها فماضيه يعرب اعجامها

هوى فقل الشمس قد كورت ضحى فاشتكى الأفق اظلامها

و علا برأس القنا رأس من له الشوس كم طاطات هامها

و أعظم ما قد دها غالبا رزايا تكابد إعظامها

هجوم الأعدى و قد أزعجت على حرم الله أيتامها

و اوروا خبأها بنار الضلال ففرت تكابد ما ضامها

هواتف هذى أخى ذى أبى و هاتيك تندب اعمامها

و قد جلبت مذ سلبن البرود برود المهابه أجسامها

و ركنن للسبى عجب الطلاح تجوب البطاح و آكامها

و رآها يغرد حادى المطى و رأس ابن احمد قدامها

و له راثيا مرجع عصره السيد أبو الحسن الأصفهاني:

ما زعزع العرش حتى استوقف القلما خطب اطل فابكى العلم و العلما

خطب له اضحت الأملاك هاتفه نعيًا بقلب المعالى و الهدى اضطرما

قوس القضا سددت سهم الردى و به قلب المعالى و صدر المكرمات رمى

يا حاميا حوزة الإسلام مجتهدا من بعد نعشك للدين الحنيف حمى؟

كان نعيك فى الآفاق صاعقه تورى الورى ضرما تجرى الدموع دما

كان نعشك و الأملاك محدقه به الامام عليه العالم ازدحما

سارت تشيعه و الوجد يضرم فى أحشائها و ماقيها سفحن دما

مدوا الأكف لحمل النعش تحسبها مدت له تستقى من كفه الديما

نضبت بحرا فمن يروى غليل ظما و غبت بدرا فمن يجلو لنا الظلما

**الشيخ محمد بن صدر الدين محمد بن أبو القاسم التنكابنى الشهير**

ب (شيخ كبير).

ولد ١٢٤٠، توفي بعد ١٣٣٠ في تنكابن.

ولد في تنكابن و نشأ بها برعايه أبيه ثم أخذ المقدمات و حضر السطوح على أخيه و في حدود ١٢٨٠ ذهب إلى قزوین و أقام مده هناك ثم ذهب إلى طهران و حضر في الفقه و الأصول و الفلسفه على اعلامها ثم ذهب إلى (تاكستان قزوین) و سكن بها ثلاث سنوات بدعوه من أهاليها و بعد ذلك رجع إلى تنكابن و سكن (مزر دشت) و اشتهر صيته و عرف ب (شيخ كبير).

خالف والى تنكابن الأمير أسعد بن سبه سالار و أيده السيد صادق الشهير ب (مجتهد تنكابنى) و المولى سليمان الرونقى. و أفتى الشيخ الكبير بأخذ اموال الوالى - و اشتد الخلاف بينهما - ثم اعتقل من قبل الأمير أسعد. فبلغ ذلك علماء طهران. فطلبوا من الحكومه معاقبه الوالى و على اثر ذلك عزل الوالى الأمير أسعد عن مقامه. (١)

### الميرزا محمد طاهر بن ظفر خان أحسن بن الخواجه أبو الحسن

الشاه جهانى الترىتى الملقب بعنايه خان و المتخلص باشنا.

توفى سنه ١٠٨١ فى كشمير و دفن بها.

ص: ٢٣٢

١- الشيخ محمد السامى.

من رجالات كشمير البارزين و أهل الفضل و من أرباب الأدب و أقطاب شعراء الشيعة في الهند ولد في كشمير و أخذ العلم و الأدب على اعلام الشيعة هناك و تخرج في الشعر و فنون الأدب علس [على] أبيه المولى ظفر خان أحسن الترتيبي الذي كان من رجال البلاط المغولي في الهند و من أساتذته الأدب الفارسي في كشمير و له دور هام في نشر الأدب و الشعر الفارسي في تلك النواحي و كما أن جده الخواجه أبو الحسن الترتيبي المتوفى سنة ١٠٤٢ كان من الأدباء و ناشري الأدب الفارسي في كشمير و الوزير الأعلى في بلاط السلطان جهانكير. و المترجم له كان من رجالات بلاط السلطان جهان و في أواخر أيام حكومته فوض إليه رئاسه مكتبه البلاط الملكي حتى أوائل حكمه السلطان اورنك زيب (١٠٦٨ - ١١١٨) في كشمير ثم ترك جميع مناصبه و مارس حياته الأدبيه و لقبه السلطان بعنايه خان، و قال معاصره الميرزا محمد طاهر النصرآبادي في كتابه (تذكره نصرآبادي) (... لقبه السلطان شاه جهان. بلقب عنايه خان و كان حاد الذكاء... و أرسل إلينا ديوانه مع ديوانه الثاني الحاوي على غزليات خسرو و كتابا آخر و كان أسلوبه في النظم متينا رائعا جدا و يتخلص في شعره باشنا...)(١) أشار إلى ديوانه شيخنا الأستاذ آغا بزرك الطهراني في الذريعة إلى تصانيف الشيعة الجزء التاسع من القسم الأول ص ٧ كما ذكره صاحب مآثر الأمراء في ج ١ ص ٧٣٧ و ج ٢ ص ٧٥٨ و ٧٦٢ و غيرهم و يحتوي ديوانه على الغزليات و الرباعيات و القصائد في أكثر من ألف بيت، و كانت أشعاره في أسلوب رائع، لطيف، سلس، متين، كما انه مع أبيه و جده من الناشرين للشييع في تلك النواحي في الهند و كانت دارهم مأوى و ملجا و مسكنا للعلماء و الشعراء و الأدباء الشيعة المهاجرين من جبل عامل و العراق و ايران إلى الهند.(٢)

### الشيخ محمد بن عبد الحسين الرشتي النجفي.

ولد في ١٣٣٦ توفي في غره شوال ١٣٩٣.

ولد في النجف الأشرف و قرأ المقدمات و السطوح عند بعض الأسانيد [الأساتيد] ثم حضر في التجويد عند السيد آغا امام التستري و المنظومه عند الشيخ شمس الجنازدي و الكفايه عند والده ثم حضر بحث الخارج عند الميرزا عبد الهادي الشيرازي و السيد محسن الحكيم و والده و الميرزا باقر الزنجاني و الميرزا حسن البخوردى [البجنوردى] ثم سافر إلى الهند و مصر و ايران و كيلا عن السيد الحكيم و لما طغى النظام التكريتي في العراق كان ممن ناله جوره فهاجر إلى ايران و سكن مشهد الرضا و توفي فيه و دفن في دار الزهراء بقرب من قبر الشيخ البهائي.

له آثار منها:

تحقيق و تصحيح فهرست الشيخ منتجب الدين و معالم العلماء.(٣)

### معين الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق بن محمد الجعفرى

الزاهد.

ترجم له ابن الفوطى في تلخيص مجمع الآداب ٦٨٨/٥ رقم ١٥٠٧ و قال هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق بن محمد بن عبد الرزاق بن عبد الرزاق بن اميره ابن أبي المعالى بن أبي منصور بن طالبى بن إسحاق بن محمد بن على بن الحسن بن احمد بن احمر عينه حمزه بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمى الطالبى الجعفرى.

ذكره شيخنا جمال الدين أبو الفضل بن المهنا العلوي في مشجره و قال: هو عم الصد [السيد] عزيز الدين شرف شاه و وصفه بالزهد و العلم و العباده.

### مختص الدين أبو عبد الله محمد بن عزيز الدين شرف شاه بن محمد

الجعفرى الأديب.

المتوفى سنه [٦٨٠] هكذا ترجمه ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ٤٥٦/٥ رقم ٩٥٢ و قال: قدم فى خدمه والده و ولى والده الأعمال الديوانيه باكتساب الأخلاق النفسانيه و أدب نفسه فى التحصيل و الاشتغال بالعلوم الأديبه و قرأ الأدب و الفقه، و حفظ كتاب نهج البلاغه، و ذكره لنا شيخنا السيد النسابه جمال الدين أبو الفضل بن المهنا و قال: توفى شابا سنه ٦٨٠.

أقول: و أورد ابن الفوطى نسبه فى ترجمه عمه معين الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الرزاق برقم ١٥٠٧.

### محمد بن عمر و السوسى الكوفى

نزىل مصر المتوفى سنه ٢٥٩.

ترجم له ابن حجر فى لسان الميزان ٣٢٨/٥ و الذهبى فى الميزان و قال عن عبد الله بن نمير قال العقيلى: كان بمصر يذهب إلى الرفض حدث بمناكير حدثنا عنه جماعه.

و قال ابن حجر فى لسانه: و قال انه كوفى و أخرج له من روايته... و هو محدث مكثر روى عن عبد الله بن نمير و أبى معاويه و عيسى بن عيسى الرملى و يعلى بن عبيد و وكيع و أسباط بن محمد و غيرهم.

روى عنه الطحاوى كثيرا و محمد بن الربيع الجيزى و أبو الجهم ابن طلاب و أبو الأحمد الامام و أبو العباس بن ملاس و أبو الحسن بن جوصا و آخرون.

و ذكره ابن يونس فى الغرباء فقال كوفى قدم مصر و حدث و كان انصرافه من الحج فمات فى الطريق فى بعض المناهل بين مكه و مصر فى أول المحرم سنه ٢٥٩.

و قال أبو سليمان: حدثنا أبو جعفر الطحاوى قال مات ساجدا و قد استوفى مائه سنه.

و قال الطحاوى أيضا حدثنى أبو على بن الأشعث انه كان معه و انه قال له انظر هل ترى الهلال؟ قال فنظرت فقلت له رأيتته فقال لى استوفيت مائه سنه ثم نزل فقال: وضئنى لصلاه المغرب فوضأته فدخل فيها فسجد سجدته فطال على امره فيها فوجدته ميتا. (٤)

### السيد محمد بن السيد عبد الكريم الشهير بمولانا.

ولد فى شهر ربيع الأول سنه ١٢٩٤ فى تبريز و توفى فيها سنه ١٣٦٣.

كان من أكابر علماء تبريز و مجتهديها و كان فقيها، أصوليا، محققا، مدققا، صاحب الفضائل الخلقية و السجايا الحميده.

هاجر مع والده سنة ١٣١٢ إلى النجف الأشرف و تتلمذ في الفقه و الأصول لدى أساتذته العصر: الفاضل الشرياني، شيخ الشريعة الأصفهاني و الشيخ هادي الطهراني، و الآغا رضا التبريزي.

و أخذ المعقول من الحاج الميرزا أحمد الشيرازي و نال الإجازة منهم، ثم عاد إلى تبريز في شهر صفر سنة ١٣٢١.

له تصانيف، منها: براهين الحق، مصباح الوسائل في شرح الرسائل، طريق الهداية في علم الدراية و مفتاح المطالب في شرح المكاسب. (٥)

ص: ٢٣٣

- 
- ١- الميرزا محمد طاهر النصرآبادي: تذكره نصرآبادي تحقيق و حيد دستگردى ص ٥٨ طهران منشورات الفروغى.
  - ٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
  - ٣- الشيخ محمد السامى.
  - ٤- السيد عبد العزيز الطباطبائى.
  - ٥- السيد إبراهيم العلوى.

## الأمير عز الملك محمد بن عبد الله بن احمد الحراني.

المتوفى سنة ٤٢٠.

ترجم له الياضى فى مرآة الجنان ٣٦٣ و قال: الأديب العلامة صاحب التوايف و كان رافضيا له كتاب: القضايا الصائبة، فى التنجيم فى ثلاثة آلاف ورقة و كتاب الأديان فى العبادات فى ثلاثة آلاف و خمسمائة ورقة و كتاب التلويح و التصريح فى الشعر ثلاثة مجلدات و كتاب تاريخ مصر

## الأفضل محمد بن عبد الكريم بن احمد الشهرستاني أبو الفتوح.

قال الذهبى فى (سير اعلام النبلاء):

برع فى الفقه على الامام احمد الخوافى الشافعى، و قرأ الأصول على أبى نصر بن القشيري و على أبى القاسم الأنصارى. و صنف كتاب (نهاية الاقدام) و كتاب (الملل و النحل). و كان كثير المحفوظ قوى الفهم مليح الوعظ.

سمع بنيسابور من أبى الحسن بن الاحزم. قال السمعاني: كتبت عنه بمرو، و حدثنى انه ولد سنة سبع و ستين و أربع مائة. و مات فى شعبان سنة ثمان و أربعين و خمس مائة.

ثم قال: غير انه كان متهما بالميل إلى أهل القلاع و الدعوه إليهم و النصره لطاماتهم.

قال فى "التحبير": هو من أهل شهرستانه (١)، كان اماما أصوليا عارفا بالأدب و بالعلوم المهجوره. قال و هو متهم بالإلحاد، غال فى التشيع.

و قال ابن ارسلان فى "تاريخ خوارزم" عالم كيس متفنن، و لو لا ميله إلى أهل الإلحاد و تخبطه فى الاعتقاد لكان هو الامام، و كثيرا ما كنا نتعجب من وفور فضله كيف مال إلى شىء لا أصل له، نعوذ بالله من الخذلان، و ليس ذلك الا لاعراضه عن علم الشرع و اشتغاله بظلمات الفلسفه. و قد كانت بيننا محاورات، فكان يبالغ فى نصره مذاهب الفلاسفه و الذب عنهم، حضرت وعظه مرات، فلم يكن فى ذلك قال الله و لا قال رسوله، ساله يوما سائل، فقال: سائر العلماء يذكرون فى مجالسهم المسائل الشرعيه و يحييون عنها بقول أبى حنيفه و الشافعى، و أنت لا تفعل ذلك، فقال:

مثلى و مثلكم كمثل بنى إسرائيل يأتهم المن و السلوى، فسألوا الثوم و البصل.

إلى ان قال ابن ارسلان: مات بشهرستانه سنة تسع و أربعين و خمس مائة، قال و قد حج سنة عشر و خمس مائة، و وعظ ببغداد (انتهى).

هكذا ترجم الذهبى للشهرستاني صاحب كتاب (الملل و النحل)، و هو و ان كان ينسب الأقوال لغيره فما دام لم يعلق عليها فمعنى ذلك انه يتبناها.



فالشهرستاني هنا هو طورا متهم بالميل إلى أهل القلاع و الدعوه إليهم و النصره لطاماتهم، و طورا متهم بالإلحاد، و انه غال في التشيع.

و المقصود بأهل القلاع هم الاسماعيليون النزاريون، أهل قلعه الموت و غيرها من القلاع التي كانت تحت سلطنتهم.

و تعرف مدى افتراءات الذهبى و من نقل عنهم نقل لك ما قاله الشهرستاني نفسه عن الإسماعيليين النزاريين بعد شرح عقائدهم و نقل أقوالهم:

قال الشهرستاني: " و كم قد ناظرت القوم على المقدمات المذكوره، فلم يتخطوا عن قولهم: أفتحاج إليك؟ أو نسمع هذا منك؟. أو نتعلم عنك؟ و كم قد ساهلت القوم فى الاحتياج، و قلت: أين المحتاج اليه؟ و أى شىء يقرر فى الإلهيات؟.. و ما يرسم لى فى المعقولات؟.. إذ المعلم لا- يعنى لعينه و إنما يعنى ليعلم، و فد [قد] سددم باب العلم، و فتحتم باب التسليم و التقليد، و ليس يرضى عاقل بان يعتقد مذهبا على غير بصيره و ان يسلك طريقا من غير بينه " (٢) يقول الشهرستاني هذا القول، و هو مع ذلك عند الذهبى و من لف لفه: يدعو للإسماعيليين النزاريين و ينصر طاماتهم!!..

و يتحامل الشهرستاني على الشيعة ما يتحامل و يخترع لهم فرقا اختراعا، و مع ذلك فهو عند الذهبى و من نقل عن الذهبى غال فى التشيع!! (٣) و يحمل الشهرستاني على من يظهر الإسلام و يطنون الكفر، و يندد بالمنافقين و يدافع عن الايمان، و مع ذلك فهو عندهم متهم بالإلحاد!! و الحقيقه ان الذهبى و أضرابه من أمثال ابن تيميه من ذوى العقول السوداء المتحجره و التعصبات النحليه العمياء يرون فى استناره الأذهان بتلقى العلوم العقلية كالفلسفه لعمهم ضلالا، و يرون فيمن لا يقلدهم فى نحلهم مباح الكرامه حلال الدم. فلذلك تراهم يجردون أقلامهم لتضليل الناس و تكفيرهم، و الشهرستاني ممن درسوا الفلسفه و عنوا بها حتى لقد قال عنه فى هذا العصر الشيخ مصطفى عبد الرزاق "إن الشهرستاني من أهل الفلسفه الإسلاميه كابن سينا، و يستشهد بآرائهما".

و قال عنه محمد بن فتح الله بدران من علماء الأزهر: "و ناقش الآراء الفلسفيه فى كتابين: نقض شبه أرسطو و ابن سينا، و مصارع الفلاسفه".

لذلك يرميه الذهبى بما يرميه. و لما كانت تهمة التشيع عنده من أفضع التهم لذلك رأى ان يقذفه بها.

يقول صاحب كتاب (الدرر الكامنه فى أعيان المائة الثامنه (ج ١ ص ١٤٥-١٤٦): "كان الناس إذا أرادوا أن يكيّدوا لشخص دسوا عليه من رماه بالتشيع فتصادر املاكه و تنهال عليه العقوبات و الاهانات حتى يظهر التوبه من الرفض".

و هذا عين ما أرادته الذهبى فيما قاله عن الشهرستاني.

و لتعرف ذهنيه هؤلاء السخيفه و عقولهم الخرافيه، ننقل لك بعض ما ذكره عن سماه أبو الحسن الزاهد. قال و هو يتحدث عن مناقبه: "ان الشيخ استف من صره، فرآه رجل فأراد أن يستف منه فإذا هو مر، فلما جاء الشيخ، قال: يا سيدى ما فى الصره؟ فناوله منها كفا، فإذا هو سكر و قالب لوز..".

ثم ذكر له منقبه اخرى: "...كنا بعسقلان في يوم عيد فجاء أبو الحسن الزاهد إلى امرأه معها خبز سخن، فقال تشتهين لزوجك من هذا الخبز - و كان زوجها في الحج - فناولته رغيفين، فلفهما في مئزر و مضى إلى مكه، فقال خذ هذا من عند أهلك، و أخرجه سخنا و رجع، فأوه يومئذ بمكه و بعسقلان...".

و ذكر له منقبه ثالثه: "...كنت مع أبي الحسن الزاهد فقال لناس:

اعطوني من ناركم فملئوا له قطعه جره، فقال: صبوها في ملحفتي، فصبوها في ملحفته فأخذها و مضى".

و يسترسل في ذكر مناقبه: "رش ماء على زمنه فمشت". "أراد لص

ص: ٢٣٤

---

١- الصحيح: شهرستان، و هي مدينه في خراسان.

٢- الممل و النحل ج ٢ القسم الأول ص ١٧٨ الطبعة الثانيه.

٣- كان الشهرستاني عند الذهبي غالبا في التشيع لانه قال كلمه طيبه في الامام جعفر الصادق ع.

أن يأخذ حماره فيست يده، فلما أبعد عنه عادت".

ثم هو يطلع على ما فى القلوب: "مضيت إلى أبى الحسن الزاهد بلبل، و لم تكن نيتى صادقته، فقال: إذا جئت إلى المشايخ فلتكن نيتك صادقته فى الزياره".

و مثل هذا كثير فى كتابه، و نكتفى بان نأخذ من مناقب رجل آخر هذه المنقبه:

"كنت عند أبى الفتح بن القواس فاخرج جزءا فيه قرص فار، فدعا على الفأره التى قرصته، فسقطت فاره لم تزل تضطرب حتى ماتت".

و رواها فى نفس الترجمة بشكل آخر راويا عن تمام بن محمد الترينى و غيره:

"سمعنا القواس يذكر انه وجد فى كتبه جزءا فى فضائل معاويه قد قرصته الفأره، فدعا عليها، فسقطت فاره من السقف و اضطربت حتى ماتت...". و لا ندري هل يقصد الذهبى ان هذه منقبه لمعاويه، أم منقبه للقواس، أو لكليهما؟!..

و من خرافات الذهبى ما ذكره عن على بن بكار بعد ان وصفه بأنه كان فارسا مرابطا مجاهدا كثير الغزو، فقد روى عنه انه قال: واقعنا العدو فانهمزم المسلمون و قصر بى فرسى، فقلت: انا لله و إنا اليه راجعون، فقال الفرس: نعم، انا لله و إنا اليه راجعون، حيث تتكل على فلانه فى علفى.

فضمنت ان لا يليه غيرى.

و نحن نحفظ من قديم بيتا من الشعر قيل فى الذهبى و هو:

سميت بالذهبى اليوم تسميه مشتقه من ذهاب العقل لا الذهب

و لم نتحقق صدق هذا الشاعر الا حين كنا نطالع هذا و أمثاله فى كتاب الذهبى.

هذا هو الذى يكتب تاريخ الإسلام و المسلمين و يتحدث عن عقائد الناس.

**محمد بن عبد الله بن عمر بن محمد بن الحسن الفارسى أبو الحياه**

الواعظ البلخى.

المتوفى سنه ٥٩٦هـ.

ترجم له الذهبى فى ميزان الاعتدال و ابن حجر فى لسانه ٢١٧/٥ قال:

قيل انه علوى، رحل كثيرا، و طلب بنفسه فسمع أبا شجاع البسطامى و طبقته بخوارزم و نسف و بسطام و همدان و الجزيره و

دمشق و مصر و أقام عند السلفى زمانا طويلا و كان السلفى يبجله و يعظمه و يكرمه و استوطن بغداد إلى أن مات.

سمع منه الحافظ يوسف بن احمد الشيرازى و مات قبله بمده، و كان يعظ بالنظاميه.

قال ابن النجار: كان مليح اللفظ صبيح الوجه و كان يرمى بأشياء..

و كان يميل إلى الرفض و يظهر به اخبرنى على بن محمود. فحضرت مره مجلسه فقال: بكت فاطمه يوما من الأيام فقال على: يا فاطمه لم تبكين على؟ أ أخذت منك فيئك أ غصبتك حقك أ فعلت أ فعلت و عد أشياء مما يزعم الروافض ان الشيخين فعلاها فى حق فاطمه.

قال فضج المجلس بالبكاء من الرفضه الحاضرین، توفى فى صفر سنه ۵۹۶ و ترجم له ابن شاکر فى عيون التواريخ ۱۴/۱۲ فى وفيات سنه ۵۰۶؟ فقال:

توفى محمد بن عبد الله بن عمر بن محمد بن الحسين [الحسن] بن على الطريف ابن محمد، الشاه بورى الواعظ من أهل بلخ.

قال ابن البخار [النجار]: هكذا رأيت نسبه بخط يده. سافر فى طلب العلم و جال فى خراسان و ما وراء النهر و خوارزم و العراق و بغداد و الشام و مصر و سمع من جماعه و روى عن شيخه السلفى و كان يعظمه و يبجله و يعجب بكلامه و كان مليح الشكل مليح الوعظ حسن الإيراد رشيق المعانى لطيف الألفاظ فصيح اللهجه له يد باسطه فى تنميق الكلام (۱)

### محمد بن على بن احمد بن الناقد أبو السعادات البغدادي.

المتوفى سنه ۶۱۳ ترجم له المنذرى فى التكملة رقم ۱۴۶۵ فى وفيات هذه السنه قائلا:

و فى الثامن و العشرين من جمادى الأولى توفى الشيخ الأجل أبو السعادات محمد بن أبى القاسم على بن احمد بن الناقد البغدادي بها و دفن من يومه بمشهد الامام موسى بن جعفر ع بتربه له هناك و مولده فى جمادى الآخرة سنه ۵۴۴.

سمع من أبى الوقت عبد الأول بن عيسى و أبى الفتح محمد بن عبد الباقي بن احمد و كان أحد التجار و سافر كثيرا إلى الشام و خراسان و ما وراء النهر و عاد و تولى خدما.

### أبو احمد محمد بن على بن عبدك الشيعى العبدكى.

من أهل جرجان، كان مقدم الشيعه و إمام أهل التشيع بها.

سمع عمران بن موسى بن مجاشع الجرجانى و أقرانه، روى عنه الحاكم أبو عبد الله الحافظ البيهق و عرفه و نسبه هكذا و قال:

و كان من الأدباء الموصوفين بالعقل و الكمال و حسن النظر، استوطن نيسابور، و بنى بها الدار و الحمام المعروف بباب عذره و توفى بعد الستين و الثلاثمائة بجرجان.

كذا ترجم له السمعاني في الأنساب ١٨٥/٩ بعنوان العبدكي و ذكر قبل ذلك ان جده عبدك اسمه عبد الكريم، و عبدك صاحب محمد بن الحسن الشيباني و تفقه عليه، و المشهور بهذه النسبه أبو احمد محمد بن علي بن عبدك..

و ترجم له ابن الأثير في اللباب ٣١٢/٢ بما ذكره السمعاني حرفيا و ما ذكر الحاكم ملخصا و ترجم له حمزه السهمي في تاريخ جرجان ص ٥١٩ برقم ٨٧٨ ترجمه موجزه فقال أبو احمد محمد بن عيسى (كذا) بن عبدك الشيعي الجرجاني روى عن محمد بن يزداد الجرجاني و روى عنه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ النيسابوري.

و وصفه الحاكم في خلال اسناد له انه إمام أهل التشيع فقد روى في كتاب الموضوعات ٣٤٧/١ عن زاهر بن طاهر عن البيهقي عن الحاكم قال حدثني محمد بن علي بن عبدك الشيعي أبو احمد الجرجاني و اسم عبدك عبد الكريم، و كان إمام أهل التشيع في زمانه قال حدثنا علي بن موسى الفقيه القمي قال حدثنا محمد بن شجاع الثلجي و هكذا أورده السيوطي في اللآلي ج ١ ص ٣٢٧ و ترجم له الشيخ في الفهرست بكنيته (ابن عبدك).

و ترجم له ابن نقطه في الاستدراك في كلمه الشيعي و وصفه بإمام أهل

ص: ٢٣٥

---

١- السيد عبد العزيز الطباطبائي.

التشيع. حدث عن محمد بن داود الاصبهاني و علي بن موسى القمي. (١)

## محمد بن عبد الفتاح سراب التنكابني.

مر ذكره في المجلد التاسع من (الأعيان)، و نزيد هنا على ما هناك ما يلي:

ولد سنة ١٠٤٠ و توفي سنة ١١٢٤ ولد في سراب من ضواحي رامسر و نشا فيها و تعلم المقدمات بها ثم ذهب إلى أصفهان و حضر عند الميرزا محمد باقر الخراساني السبزواري و الآقا حسين الخونساري و المولى محمد تقي المجلسي و هو يروي عن استاذ السبزواري و الشيخ علي بن شيخ محمد المشهدي و المولى علي الأسترآبادي و المولى محمد باقر المجلسي و له مؤلفات كثيره منها:

١ - سفينه النجاه.

٢ - ضياء القلوب.

٣ - رساله في رؤيه الهلال قبل الزوال.

٤ - رساله في صلاه الجمعة و القول بوجوبها العيني في رد المولى عبد الله التوني.

٥ - رساله في النذر و الصدقه.

٦ - رساله في علم الكلام.

٧ - تفسير آيه الكرسي.

٨ - الحاشيه على المعالم في الأصول.

٩ - الحاشيه على زبده البيان في تفسير أحكام القرآن.

١٠ - الحاشيه على شرح المطالع.

١١ - رساله في الأجسام الهندسيه.

١٢ - رساله في حل شبه الجذر الأصم.

١٣ - الحاشيه على آداب البحث للقاضي عضد الدين اللائجي.

١٤ - حجه الإجماع و خبر الواحد.

١٥ - الحاشيه على شبهه الكلامى الكاذب.

١٦ - رساله فى تحرير التوحيد.

١٧ - رساله فى تحقيق الحركه فى المقولات.

١٨ - رساله فى وقوع الحركه فى الآن.

١٩ - الجواب على شبهه القائلين بوحده الوجود. و غير ذلك.

زار الأعتاب المقدسه فى سنه ١١١٥ ثم رجع إلى أصفهان إلى أن توفى و دفن فى تخت فولاد و بنى على قبره قبه و دفن بعده فى تلك المقبره عدّه من أولاده و أعقابيه.

أعقب ولدين عالمين الشيخ محمد رضا و الشيخ محمد صادق.(٢)

### **محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن على بن الحسن بن الحسين**

ابن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى

طالب (ع).

قال فى منتخب السياق: الحسنى العلوى السيد العالم أبو الحسن البلخى المعروف بنو دولت. شيخ الساده و شرفهم جمال الأفاضل بخراسان من حسنات عصره له الشرف الباذخ نسبا و الأدب الظاهر شرقا و غربا و الشعر و الكتابه الفائقه الرائقه هزلا و جدلا صار من كبراء أركان الدوله فى وقته دخل نيسابور و بلاد خراسان مرارا مع العسكر و روى الأحاديث و الأشعار توفى بنيسابور سنه ٤٦٥ و حمل تابوته إلى بلخ.

### **شرف الساده أبو الحسن محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن على بن الحسن بن الحسين بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن على بن**

الحسين بن على بن أبى طالب ع شرف الساده العلوى الحسينى

البلخى.

ترجم له الباخريزى فى دميّه القصر و طول فى ترجمته.

و ترجم له الصفدى فى الوافى بالوفيات ٢١/٤ رقم ١٤٧٣ و قال:

صاحب النظم و النثر، قدم بغداد رسولا من السلطان ألب أرسلان إلى الامام القائم بامر الله فى سنه ٤٥٦ و مدح القائم و حدث

عن الفقيه أبي علي الحسن ابن احمد الزاهد روى عنه أبو غالب الذهلي و أبو سعد الزوزنى....

ثم أورد شيئا من نظمه و شيئا من نثر الباخرزى فى وصفه و اطرائه.

### مجد الدين محمد بن عبيد الله بن الكوفى الصدر العالم.

ترجم له ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب و قال: كان من أعيان الصدور و الأكابر بالعراق و كان خصيصا بالشيخ صدر الدين على بن محمد بن النيار و كانت وفاته سنة ٦٦٥، و دفن بمشهد على ع.

### محيى الدين محمد بن عبد القاهر بن عبد الرحمن بن حسن بن

عبد القاهر بن حسن بن على بن قاسم بن المظفر بن على بن قاسم بن

عبد الله الشيبانى الشهرزورى الموصلى.

ترجم له معاصره الصفدى فى الوافى بالوفيات ٢٧٥/٣، رقم ١٣١٧ و ساق نسبه كما أوردناه ثم قال:

مولده سنة ٦٩٨ و أمه من بيت ابن كسيرات، سألته ان يكتب لى اسمه و مولده و نسبه و شيئا أستعين به على ترجمته فكتب إلى بهذه الأبيات الآتى ذكرها.

اشتغل على السيد ركن الدين و قرأ القرآن على ابن خروف و سمع الكثير من زينب و ابن تمام و المزى و الذهبى و نسخ الأجزاء و عنده مشاركه جيده و فيه سكون كثير.

ثم أورد له شعره الذى ترجم فيه لنفسه و يظهر منه ان أجداده كلهم كانوا قاضى القضاة حيث يقول فيه:

و الكل قاضى قضاة غير ثالثنا فإنه إذ دعى للحكم لم يجب

و يظهر من شعره انه رحل إلى دمشق سنة ٧٣٨.

و ترجم ابن حجر فى الدرر الكامنه ١٣٩/٤ رقم ٣٩٢٤ و ساق نسبه كما مر ثم قال:

أبو عبد الله بن الشهرزورى لقبه محيى الدين، عنى بالحديث و كان مولده فى شعبان سنة ٦٩٨ (٣) بالموصل فاشتغل و سمع ببلده على شمس الدين محمد بن عمر بن خروف شرح السنه للبعغوى. و دخل بغداد و لم يسمع بها الحديث ثم رحل إلى دمشق فسمع الكثير من الشيوخ بعد الثلاثين فكتب الأجزاء و حصل و جمع له ثبنا و كتب عليه فى عدة اجزاء.

و كان جميل الهيئه كثير التلاوه خطه حسن معروف مع الخير و الدين و المروءه.

قال ابن رافع سمع منى اجزاء أخرجه لبعض مشايخى و هو من بيت القضاة و الرئاسة و أنشد له..



أقول: قوله من بيت القضاء و الرئاسة قال هو في شعره الذي أورده له الصفدى فى الوافى:

ص: ٢٣٦

- 
- ١- السيد عبد العزيز الطباطبائى.
  - ٢- الشيخ محمد السامى.
  - ٣- بل مولده مستهل ذى القعدة كما صرح هو فى شعره الذى تقدم ذكره حيث يقول: وقد ولدت بها يوم العروبه فى ١ هلال ذى القعدة المشهور فى العرب.

و بيتنا فيه من قد جاوز عددا سبعين كانوا قضاه الناس فى الحقب

و كم لنا غيرهم من كل مشتهر بالدين و العلم و الإحسان و الأدب

و دارنا الموصل المحروس جانبها كنا اولى عزها قدما أبا عن أب

و قد عنونه ابن الفوطى فى الجزء الخامس من كتابه تلخيص مجمع الآداب بعنوان محيى الدين.

و لكن بيض له و لم يذكر فى ترجمته شيئا.

و لقد عثرت له فى مكتبه اياصوفيا فى اسلامبول على مجموعه أدبيه لها قيمه رقمها ٤٢٥٠ و هى بخط محمد بن على بن سليمان

بن يوسف الريحانى الموصلى كتبها بالقاهره سنه ٧٩٠ و لم أعثر على اسم خاص للكتاب سماه به مؤلفه و لا- صرح المؤلف

باسمه فى أوله تقيه و لكن فى الورقه ٥٧ ب هكذا انه (قال العبد الفقير إلى الله محمد بن عبد القاهر بن الشهرزورى الموصلى...

و فيه فى مكانين: قال محيى الدين عفا عنه ثم يورد مقطوعه شعريه لنفسه و تشيعه ظاهر فى كتابه هذا.

إلى ان قال و من شعره:

دع عنك حديث من يمينك غدا و اقطع زمن الحياه عيشا رغدا

لا ترج هوى و لا تعجل كمدا يوما تمضيه لا تراه ابدا

و كتب يوما رقعته إلى الحافظ السلفى و كتب على رأسها فراش لمعه فراش شمعه فأعجب السلفى بها و كان يكررها.(١)

## السيد محمد على الغريفي البحراني بن السيد عدنان.

### إشاره

ولد سنه ١٣٢٨ فى مدينه المحمره (خوزستان) و توفى سنه ١٣٨٨ فيها و نقل جثمانه إلى النجف الأشرف فدفن فى مقبره الأسره

بوادى السلام.

نشا يتيم الأم، ثم توفى والده و هو فى الثانيه عشره من عمره فكفله وصى والده الشيخ عيسى الجزائرى فدرس عليه مقدمات

العلوم من نحو و صرف و غيرهما. و فى سنه ١٣٥١ توفى الشيخ عيسى، فرعاه شقيقه السيد على فدرس عليه علوم البلاغه و بعض

الأصول و الفقه. و بعد وفاه شقيقه سنه ١٣٥٩ سافر إلى النجف الأشرف حيث درس على كل من الشيخ عباس المظفر و الشيخ

محمد جواد الجزائرى و الشيخ محمد رضا آل ياسين و السيد أبو الحسن الأصفهانى و الشيخ حسين النائينى. و فى سنه ١٣٦٢

ألزمه الامام الأصفهانى بالعوده إلى المحمره لأحداث حدثت فى أسرته و جعله هناك و كيله المطلق، فكان له فى المحمره و

منطقتها الأثر المحمود و عند وفاته رثى بشعر كثير فمن قصيده للشيخ محمد جواد فرج الله:

ربع المكارم بعد فقدك مجذب وارى الندى يبكى عليك و يندب  
و المجد من حزن تلفع بالاسى و دموع عين الفضل غيث صيب  
و العبقريه أفقرت عرصاتها من بعد ما كانت بفضلك تخصب  
فلتبك انديه المحاسن عمرها ثكلى فوجه الحسن منك مغيب  
و لتلبس العليا ثياب حدادها فلقد مضى عنها الزمان الأطيب  
أيام كان الحفل باسمك زاهيا جم المعارف فيضه لا ينضب  
بك يستقيم و يستطيل جلاله و يهيم فيه العبرى و يعجب  
من حسن نطقك يستمد براعه فى القول حين تقوم فيه فتخطب  
فقدت محافلنا بفقدك فخرها فنشيدها الم و دمع يسكب  
فالشمس تغرب بعد ما قد أشرقت و شمس فضلك طلع لا تغرب  
رزء ابن عدنان آثار لواعجى و أهاج منى الحزن و هو مغيب  
و هو ابن من شهد الزمان بفضله و له على هام الثريا منصب  
و احتل من سامى الفخار مكانه علياء و هو إلى المكارم ينسب  
بحر الندى و العلم موفور التقى و الحلم منهل فضله لا ينضب  
العالم الفذ الفقيه و من له فى الاجتهاد يد تطول و تغلب  
شعره

قال من قصيده تبلغ ١٨٧ بيتا يمدح بها النبى ص و أهل بيته ع:

قم نطلب الغيد فى واد بنى سلم و نجتنى الحسن بين الضال و العلم  
فالبان ما بين مهصور و منعطف و الحسن ما بين منشور و منتظم  
و سرح الطرف فى وادى العقيق فكم لنا بواديه عهد غير منقسم

و ناشد الخيف عن سلمى و عن كبد مضاعه بين ذى الوديان و الاكم

حملت جسمى آلاما مبرحه لو حملوا بعضها شهلان لم يقم

وقفت ملتفتا بالمأزمين إلى ظعونهم قارعا سنى من الندم

بمقلتين كان الوجد ألبسها ثوبا من الدمع و شاه الهوى بدم

و كم به حسرات لا أطيق لها دفعا فسرى منها غير منكنم

روح الموله كالمرآه صافيه مهما تلاقت بها الأشياء ترسم

قد أبعد الدهر سلمى عنك فاطرحن ذكرى سواها و خذ فى المجد و الكرم

ص: ٢٣٧

---

١- السيد عبد العزيز الطباطبائى.

فالمجد ضربك بين الجحفلين و ان تمشى بثغر إلى الهيجاء مبتسم  
و أحسن الناس من للناس قد ظهرت خيراته و بوادى الشر لم يهم  
فهذب النفس بالمعروف مستندا للدين و النفس ان قومت تستقم  
و ان أردت من الأديان أحسنها فدين احمد فيه خير معتصم  
من كابن هاشم ان عدوا رجالهم فضلا و من كابن عبد الله فى الأمم  
نالت به آل فھر أیما شرف ما ناله الناس من عرب و من عجم  
قد كان بدر دیاجى الجهل بينهم و كان دونهم الكشاف للغم  
كم معجزات أرادوها فآظھرها لهم و هل ينفع الاعجاز قلب عمى  
فسل قريشا هل اسطاعت بباطلها ان تغلب الحق فى سيف و فى قلم  
لما رأت عجزها يوم الخطاب مشت للحرب فى كل مقدم و كل كمنى  
سل يوم بدر و ما لاقاه عتبتهم من ابن هاشم و اسال عن وليدهم  
و شبيه شاب منه الرأس فاتخذت له الأواسى خضابا من دم عرم  
و كم و كم نصبوا أشراك باطلهم ليطفئوا نور هذا الطاهر العلم  
فأصبح النصر للإسلام حين غدت راياته خافقات فى ربوعهم  
ما ضر احمد انكاراتهم و لقد سار اسمه كمسير النور فى الظلم  
أنار ظلمه هذا الكون يوم اتى و شرف الأرض منه أیما قدم  
يفيض علما عليهم دائما و لهم كان الدليل إذا حاروا بأمرهم  
كانوا من الفقر فى ذل فقادهم للعز و المجد و الخيرات و النعم  
كانوا عبيد العصا من قبله و به عادوا ملوكا و أحياهم من العدم  
أبقى الكتاب و أبقى عتره طهرت إذ أذهب الرجس عنها بارئ النسم

هذا على وصى المصطفى و أبو سبطيه و هو لدين الله خير حمى  
بسيفه قام هذا الدين و ارتفعت اعلامه و بسيف الغير لم يقم  
فهو الخليفه بعد المصطفى و له دون الأنام مقام القرب و الرحم  
ما ذنب حيدر عند القوم حين سروا لحربه و أعدوا كل خيلهم  
أفعله يوم بدر فى رجالهم أم يوم أفنى بأحد عبد دارهم  
حتى قضى و بعينه القذى و مضى يشكو بقلب إلى باريه مهتضم  
و ضيعوا فيه قول المصطفى و نسوا يوم الغدير و زاغوا عن وليهم  
فليت شعرى علام الناس قد نكصوا عن آل طه و حادوا عن ولائهم  
فليت شعرى علام الناس قد نكصوا عن آل طه و حادوا عن ولائهم  
هم السفينه للاجين ان زخرت أمواج بحر من الأوهام ملتطم هم كالنجوم لأهل الأرض أو فهم  
كباب حطه فاستمسك بحبلهم خذها إليك رسول الله قافيه  
سارت بمدحك بين الحل و الحرم راج بيمنى أعطاهها إذا ظهرت  
صحائف الناس سودا فى شمالهم و اسال الفوز فى الدارين منك إذا  
ما راح غيرى يستجدى ندى هرم طاب ابتدائى بحسن المدح فيك كما  
بمدح آلک حقا طاب مختمى  
و قال من قصيده فى مدح أمير المؤمنين ع:

على النای و الهجران قلبى تعودا و فى الحب لا يزداد الا تجلدا  
سيكنتم صبورا ما يجن من الهوى و ان جره الكتمان يامى للردى  
فكم حرق مرت به و لواعج و كم ذاق عيشا مذ تناءيت انكدا  
بلى هو ذا قلبى الذى حكم الهوى عليه بان يحيا أسيرا مقيدا

إلى الله أشكو ما أكابد من ضنى بقلبي و ما بين الضلوع توقدا  
أيجمل انى يا أميم من الهوى أروح و أغدو فى الأنام مشردا  
رعى الله قلبا فيك لا زال مغرما و جفنا من التعوال لا زال أرمدا  
يهيم إذا ما اومض البرق فى الدجى و يزداد شوقا ما رأى الطير غردا  
يبرح بى الشوق اللجوج و فى الهوى أغار فؤادى يا أميم و انجدا  
و كم حاولت نفسى السلو فخانها ضمير ابى الا الصبا به موردا  
تمر بقلبي الذكريات فكلما تذكركم فيه الغرام تجددا  
و يهتز للآمال و هى كواذب و للغصن كم يشتاق مهما تأودا

ص: ٢٣٨

فقلت ألما يان ان تدع الهوى فان الهوى من قبلك الناس أفسدا  
و ليس يطيب الحب الا لسيد له البيت بيت الله أصبح مولدا  
امام و ما بعد النبي ترى له مثيلا و لا تلقى سواه مسودا  
و قد خصه الرحمن منه برتبه لها أصبحت كل البريه سجدا  
و أيده بالروح منه فاحمد على الشرك بالكرار صار مؤيدا  
فلولاه ما قامت شريعته احمد و لم تر منهم من يميل إلى الهوى  
و لا ارتفعت للدين فى الأرض رايه و لم تلق للرحمن فيها موحد  
به نعمه الرحمن تمت و دينه بماضيه اضحى فى الأنام مشيدا  
امام و كم فى الأرض قامت أئمه له السبق إذ فيه الكمال تفردا  
به ازينت هذى الخلافه لا الذى بها شرفا بعد الخمول تزيدا  
امام به الرحمن أودع سره و صيره للناس مولى و سيدا  
أخو المصطفى زوج البتوله والد الأئمه أعلى الناس مجدا و محتدا  
ملائكه الرحمن و دت لو أنها تكون له دون الأناسى اعبدا  
إذا ما تبدى فى المواكب خلته كيدر و لكن بالجلال تجسدا  
بمفرقه تاج الامامه قد زها و فى كفه ماضى الغرارين جردا  
و كان أخا للمصطفى لم يجد له سواه أخا عند الشدائد مسعدا  
و كان إذا استكفاه معضله رأى هماما إذا ما زمجر الخطب اصيدا  
أبا حسن خذها إليك قصيده حوت فى معانيها الجمان المنضدا  
إذا جاز للشعر الخلود فأننى رأيت لشعري ان يعيش مخلدا  
لأننى على ذكراك أنت حبسته فما كنت الا فى معانيك منشدا



و ها أنا فى ميلادك اليوم لم أزل لمدحك فى أهل الولاء مرددا

فذلك يوم أشرقت فيه (مكه) و ما أشرقت من قبل الا باحمدا

بميلاده البشرى أتت لمحمد فوافاه مسرورا و مد له يدا

يقول له قد أفلح اليوم كل من تولاك من دون الورى و بك اهتدى

و أنت وصيى لا سواك و ناصرى بك الله هذا الدين أحيا و اسعدا

فصلى عليك الله يا من بمدحه لسانى على مر الليالى تعودا

و له من قصيده فى الإمامين موسى بن جعفر و حفيده محمد بن على الجواد ع:

أنت مهما دهاك دهرك بالشر لذ بخير الأنام موسى بن جعفر

و تمسك به و لا تخش ضيرا فهو منجى الوجود طرا من الضر

و هو ظل الرحمن ياوى اليه كل من خاف ذنبه يوم يحشر

قف على بابه و قوف ذليل خاشع الطرف و اسال الأجر توجر

فهو باب الإله باب رسول الله باب الطهر البتول و حيدر

قف و قبل اعتابه و تأمل رحمه الله عنده كيف تنشر

فهناك الجلال فيه مقيم و به نور خالق الكون أزهر

نور (موسى بن جعفر) شع فيه و جمال (الجواد) كالصبح أسفر

ليت شعرى ما ذا يقال بموسى و هو أعلى من المديح و أكبر

و بفضل (الجواد) انى يحيط الوصف هيئات تاه من فيه فكر

فهما فى سما المعارف بدران و ما خاب فيهما من تبصر

بهما تهتدى العوالم طرا و هما للهدى و للعلم مصدر

و على الكون قد اطلا بوجه منه هذا الكون العظيم تنور

أ و تدرى نماهما اى جد من غدت باسمه الوجودات تفخر

خاتم الرسل صفوه الله فى العالم طرا من قبل ان يخلق الذر

و على أبوهما و هو مولى و أمير له المهيمن امر

من أقام الدين الحنيف بماضيه و للشرك بالمهند دمر

هاك منى يا كاظم الغيظ مدحا فيك لا فى سواك يا ابن المطهر

بابنك الطاهر الجواد تشفعت و شان الجواد ان لا يقصر

أنتما منيتى و سؤلى فى الدنيا و حرزى من المكاره و الشر

ص: ٢٣٩

و له من قصيده فى رثاء أخيه السيد على:

هل للفتى العانى الكئيب يذرى المدامع من مجيب

يبكى و ليس لديه من شغل سوى فرط النحيب

صهر الاسى احشاءه فتراه ذا قلب و جيب

مترمتا اما رأى الخلان فى ناد رهيب

فإذا تخلى وحده عن كل ناه أو رقيب

أذرى الدموع دما و ناح على مفارقه الحبيب

يا قلب ما أقواك فى حمل المكاره و الخطوب

هل أنت الا مضغه جياشه بدم نضوب

كم قد ركبت متاعبا و لكم حملت من الكروب

لو ان ما بك حل يا قلبى على جبل صليب

لعفا و ساخ و أنت كم حملت من امر عصب

لو صب فوق الشمس رزؤك لاستمالت للغروب

أو ذر فوق البدر لم يشرق و عاد إلى القطوب

يا قلب نح ما شئت ما لك فى البكاء من مستجيب و ابك حبيبا عنك أفرط

فى التباعد و المغيب خطفته منك يد البلى

و دعاه علام الغيوب

**مؤلفاته**

ترك من المؤلفات:

١- (حمزه بن عبد المطلب أسد الله و رسوله).

٢ - الحقائق الجليه فى شرح الخطبه الشقشقيه.

٣ - (ديوان الوسائل) فى مدح النبى (ص) و آله (ع) ثلاثه مجلدات.

٤ - (وحى الشباب) ديوان شعر فى مواضع مختلفه.

٥ - (شهيد الاباء) روايه شعريه قد نظم فيها حياه الامام الحسين (ع) من اول حياته حتى شهادته.

٦ - (حياه المصلحين) ملحمه شعريه عن حياه النبى الأكرم (ص) تبلغ عده آلاف من الأبيات.

٧ - (أحسن ما سمعت) و هو مختارات شعريه لشعراء مختلفين. (١)

### السيد محمد على آل خير الدين بن السيد حسين بن السيد محمد على

ابن السيد نوازش على بن السيد مظفر على بن السيد خير الدين بن المير

خير الله بن السيد رحمه الله بن السيد أبو تراب الحائرى الهندى.

ولد فى كربلاء يوم الخامس من شهر رمضان سنه ١٣١٢ كما حدثنى به و توفى يوم ٢٦ ربيع الأول سنه ١٣٩٤ و دفن فى روضه العباس ع فى حجره جنوب شرقى من الصحن الشريف.

آل خير الدين و يقال آل خيرى من الأسر العلميه المعروفه فى كربلاء و قزوین نبغ منها علماء فقهاء أجلاء، برزت فى كربلاء منذ عهد جدها الأعلى السيد مير خير الله بن السيد رحمه الله الهندى الحائرى المتوفى سنه ١٢٢٦ و له آثار و مآثر فى العتبات المقدسه فى العراق و أول من هاجر من الهند مستوطنا كربلاء فى القرن الثانى عشر للهجره هو السيد رحمه الله بن السيد أبو تراب الهندى و كانت هذه الأسره متجوله فى الهند و ايران و العراق و من اعلامهم فى قزوین السيد محمود بن السيد حسين شقيق المترجم له، و طبع من مؤلفاته ١٦ كتابا. و يذكر كل منهم فى محله.

أخذ المترجم له المقدمات على أفاضل علماء كربلاء و حضر فى السطوح على والده ثم توجه إلى النجف و التحق بحوزه الشيخ ميرزا حسين النائينى و آغا ضياء العراقى و السيد أبو الحسن الأصفهانى و حصل على إجازات من مشايخه المذكورين ثم عاد إلى موطنه كربلاء و تصدر للتدريس و إمامه الجماعه فى صحن سيدنا العباس (ع) عند باب القبله ينظم باللغتين العربيه و الفارسيه. له مؤلفات منها كتاب نامه دانش و جامه ستايش مثنوى فارسى فى العرفان.

و له ديوان باسم ديم نيسان فى خمس اجزاء مرتبه على الحروف فى القوافى. الأول: المدائح و المراثى لأهل البيت ع، و الثانى سائر القصائد العربيه و الثالث القصائد المخمسات و الموشحات و الأراجيز و الرابع القصائد الفارسيه و الخامس الكتب و الرسائل العربيه و الفارسيه شرع بجمعه سنه ١٣٤٢ و له تقريرات درس استاذيه النائينى و آغا ضياء العراقى و جميعها فى مكتبته بكربلاء و له قصيده بعنوان (الحنين إلى سامراء) يقول فيها:

عج بالمحصب من مشارف دجله حيث الفضا و الماء و الخضراء

فهناك مربع جيرتى و هناك مفزع حيرتى و هناك (سامراء)

فأحبس بحيث العز يسحب ذيله تيهها و ينشر للفخار لواء

و اخضع بحيث المعجد القى رحله و اخشع بحيث أظلت العلياء

و اجنح إلى الحرم المنيع فلو دنا ملكك زوته هيبه و بهاء

تبصر تجلى نور ربك فى ثرى رقدت به ساداتنا النجباء

و أعقب المترجم له أربعة أولاد ذكور، هم السيد محمد قام مقام أبيه فى الامامه و هو اليوم فى سجون النظام التكريتى فى العراق و السيد حسين كان من الضباط الأباه فى الجيش العراقى و حكم عليه بالاعدام ثم تمكن من الهرب إلى خارج العراق و ثالثهم المحامى السيد حسن اختطف من قبل السفاره العراقيه فى باريس و نقل إلى بغداد ثم تدخلت الجمعيات العالميه و مؤسسات حقوق الإنسان و حكومه فرنسا فافرج عنه و هو اليوم فى فرنسا يواصل

ص: ٢٤٠

---

١- السيد على العدنانى الغريفى.

دراسته و رابعهم الدكتور السيد رضا. (١)

## السيد محمد الحجة التبريزي.

ابن علي الحسنى الكوه كمرى التبريزي،

ينتهى نسبه الشريف إلى رابع الأئمه المعصومين علي بن الحسين زين العابدين (ع).

ولد سنه ١٣١٠ فى تبريز و توفى فى مدينه قم سنه ١٣٧٢.

كان المترجم له، أحد رؤساء الحوزه العلميه بقم بعد وفاه زعيمها و مؤسسها الشيخ عبد الكريم الحائرى.

و كان فقيها، محققا، أصوليا، مدققا و صاحب كمالات نفسيه و خلقيه و كان ورعا زاهدا.

تلمذ فى تبريز على الاساتذه فى شتى العلوم و الفنون من فقه و أصول و رياضه و طب و أدب ثم هاجر إلى النجف الأشرف لتكميل دراساته الإسلاميه و حضر فى حلقات درس السيد محمد كاظم اليزدى. و أخذ علم الرجال من السيد أبى تراب الخونسارى و تلمذ فى الأصول على شيخ الشريعه الأصفهاني، و الميرزا حسين النائيني و الآغا ضياء العراقى و غيرهم.

ثم رجع إلى تبريز بامر من والده لمرض أصابه فى النجف ثم عاد بعد البرء إلى النجف فاشتغل بالتدريس و التأليف و فى سنه ١٣٤٩ ق رجع إلى ايران، و أقام ببلده قم و صار استاذا عاليا فيها و تخرج على مدرسته كثيرون من الأعلام و له آثار: المدرسه المسماه باسمه فى بلده قم و بها مكتبه عامه عامره يراجعها الطلبة ليلا و نهارا.

و من تأليفاته: جامع الأحاديث و الأصول و هو كتاب نفيس يحتوى على جل أحاديث الشيعه مع بيان المعانى الدقيقه و جمع المتعارضات و الإشاره إلى بعض المباحث الرجاليه.

و كتاب مستدرک المستدرک فيما فات عن صاحب المستدرک. (٢)

## الشريف أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن

عبد الرحمن بن القاسم بن محمد البطحائي بن القاسم بن الحسن بن زيد

بن الحسن بن علي بن أبى طالب ع، العلوى الحسنى الشجرى

الكوفى.

ولد فى رجب عام ٣٦٧، و توفى فى ربيع الأول سنه ٤٤٥.

و والده هو علي بن الحسن من العلماء المحدثين بالكوفه يعرف بابن عبد الرحمن ترجم له شيخنا الرازى فى طبقات أعلام الشيعه

١١٨/٥، يروى عن أبي العباس المرهبي و محمد بن الحسين بن سعيد الأزدي، و يروى عنه ابنه أبو عبد الله العلوي في كتبه.

نشا و ترعرع في الكوفه في أسرهِ علميه فبكر إلى سماع الحديث و أدرك جملة من تلامذه الحافظ بن عقده فحمل عنهم العلم و خاصه الحديث و فنونه، ثم رحل إلى بغداد فدرس فيها ثم رجع إلى الكوفه يث علمه، يدرس و يؤلف حتى أصبح رحله يقصده بغاه العلم و هواه الحديث.

و مما يدل على ذلك.

١ - أن مثل الحافظ الصوري - و ناهيك به - قصده من بغداد إلى الكوفه ليقراً عليه و يسمع منه، فكان ينتخب عليه و يفتخر به.

٢ - اشتهاره ب (مسند الكوفه) (٣) فاختص بهذا الوسام و أطلق عليه و وصف به دون غيره من أعلام الكوفه على كثره من أنجبته من حفاظ و محدثين هم في الذروه و السنام كابن أبي شيبه و مطين و ابن عقده و أضرابهم و في عصر العلوي أدرك الصوري بالكوفه أربعمائه شيخ. (٤)

له من المؤلفات:

١ - الأذان بحى على خير العمل (جزء في..) طبع في دمشق سنة ١٣٩٩.

٢ - أسماء الرواه عن زيد بن علي من التابعين، و حديث كل واحد منهم. نقل عنه السياغى في الروض النصير مكرراً، منها في ج ١ ص ١١٧ و ٤٤٧.

٣ - كتاب التاريخ، نقل عنه ابن نقطه في كتاب الاستدراك في كلمه (بزه) و حكاه عنه في تعاليق كتاب الإكمال لابن مأكولا ٢٥٥/١.

٤ - كتاب التعازى، ذكره شيخنا العلامة الطهرانى في الذريعه ٢٠٥/٤ و ذكر أنه كان عند العلامة المحدث النورى، استكتبه عن نسخه في مكتبه الامام الرضاع في مشهد، و ذكره العلامة النورى في مستدرک الوسائل ٣٧٠/٣ و عدّه من مصادره و ترجم لمؤلفه.

٥ - فضل الكوفه و فضل أهلها، نسخه من الجزء الأول في دار الكتب الظاهريه بدمشق ضمن المجموع رقم ٩٣ من الورقه ٢٨٢ إلى ٣٠٨، روايه أبى الغنائم النرسى محمد بن علي بن ميمون المتوفى ٥١٠ عن المؤلف، و على نسخه قراءه جماعه لها على أبى الغنائم في سنة ٤٧٤.

٦ - الجامع الكافى، في الفقه، و هو في ست مجلدات، و هو الكتاب الذى قال عنه الذهبى في ترجمه المؤلف في سير أعلام النبلاء انه: جمع كتابا فيه علم الأئمه بالعراق، فاجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره (٥). و قال ابن الحابس في المقصد الحسن: كتاب الجامع الكافى ست مجلدات هو أوسع كتبهم (الزيديه) آثارا و علما، جمعه أبو عبد الله محمد بن (على بن عبد الرحمن) الحسنى صاحب المقنع، و اعتمد فيه على ذكر مذهب القاسم ابن إبراهيم (الرسى المتوفى ٢٤٤) و احمد بن عيسى و الحسن بن يحيى بن

- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
- ٢- السيد إبراهيم السيد العلوى.
- ٣- حكى الذهبي فى سير أعلام النبلاء فى ترجمه أبى عبد الله العلوى عن بعضهم أنه قال: ما رأيت من كان يفهم فقه الحديث مثله. قال: و كان حافظاً، أخرج عنه الحافظ الصورى و أفاد عنه و كان يفتخر به. و قال فى ترجمته أيضاً فى تاريخ الإسلام: و انتقى عليه الحافظ الصورى. و الحافظ الصورى هو أبو عبد الله محمد بن على الصورى المتوفى سنه ٤٤١، ترجم له الخطيب فى تاريخ بغداد ١٠٣/٣ و قال: و كان من أحرص الناس عليه (الحديث) و أكثرهم كتباً له و أحسنهم معرفه به و لم يقدم علينا من الغرباء الذين لقيتهم أفهم منه بعلم الحديث. و ترجم له ابن الجوزى فى المنتظم ١٤٣/٨ و قال: و أكثر كتب الخطيب - سوى التاريخ - مستفاده منه.
- ٤- قال الحافظ السلفى فى المشيخه البغداديه ق ٤٣ نسخه مكتبه فيض الله تحت عنوان: حديث الشريف أبى عبد الله العلوى: سالت الشريف أبا منصور (احمد بن أبى الفوارس عبد الله بن محمد، ابن الدبى الكوفى من تلامذه العلوى و من شيوخ السلفى) عن الشريف أبى عبد الله هذا؟ فقال: كان من أولاد الحسن بن على، و كان من أهل الفضل و العفه، و كان يقال له: العلامه الا أنه كان يتشيع....
- ٥- و حكاه عنه فى التحف شرح الزلف ص ١٢٢.



الحسن بن زيد و مذهب محمد بن منصور علامه العراق، و إنما خص صاحب الجامع مذهب (١) هؤلاء قال: لانه رأى الزيديه بالعراق يعولون على مذاهبهم، و ذكر أنه جمعه من نيف على ثلاثين مصنفًا من مصنفات محمد ابن منصور و انه اختصر اسناد الأحاديث مع ذكر الحجج فيما وافق و خالف - "انتهى ملخصاً".

و يوجد الجامع الكافي فى ميلانو فى مكتبه امبروزيانا رقم ١٦٨.

و نسخه اربعة اجزاء فى مجلدين فى مكتبه الجامع الكبير بصنعاء المجموع رقم ١٣١٠.

و للجامع الكافي مختصران، أحدهما للمؤلف فقد اختصره و سماه المقنع و ياتى و الآخر للقاضى جمال الدين العفيف بن الحسن المذحجى الضرارى و سمي مختصره تحفه الاخوان فى مذهب أئمه كوفان، كما فى المقصد الحسن.

٧ - المقنع، و هو مختصر الجامع الكافي، كما تقدم و قد ذكره ابن حابس فى المقصد الحسن.

٨ - فضل زياره الحسين ع. (٢)

## أبو غالب فخر الملك محمد بن على بن خلف

مرت ترجمته فى الصفحه ٤٤٣ من المجلد التاسع و نزيد عليها هنا ما يلى:

قال ابن خلكان فى وفيات الأعيان: هو وزير بهاء الدوله بن عضد الدوله البويهى، و بعد وفاته و زر لولده سلطان الدوله أبى شجاع فنا خسرو. كان من أعظم وزراء آل بويه على الإطلاق بعد أبى الفضل محمد بن العميد و الصاحب بن عباد. و كان أصله من واسط و أبوه صيرفيا، و كان واسع النعمه فسيح مجال الهمة جم الفضائل و الإفضال جزيل العطايا و النوال.

قصده جماعه من أعيان الشعراء و مدحوه و قرضوه بنخب المدائح، منهم أبو نصر عبد العزيز بن نباته، له فيه قصائد مختاره، منها قصيدته النونيه التى من جملتها يقول:

لكل فتى قرين حين يسمو و فخر الملك ليس له قرين

أنخ بجنابه و احكم عليه بما أملتة و أنا الضمين

أخبرنى بعض علماء الأدب ان بعض الشعراء امتدح فخر الملك بعد هذه القصيده، فأجازه إجازة لم يرضها. فجاء الشاعر إلى ابن نباته و قال له: أنت غررتنى، و أنا ما مدحتة الا ثقه بضمائك، فتعطينى ما يليق بمثل قصيدى، فأعطاه من عنده شيئاً رضى به، فبلغ ذلك فخر الملك، فسير لابن نباته جمله مستكثره لهذا السبب.

و من جمله مداحه مهيار بن مرزويه (الديلمى) الكاتب الشاعر المشهور، و مدائحه كثيره، و لأجله صنّف أبو بكر محمد بن

الحسن الحاسب الكرخي كتاب (الفخرى) في الجبر و المقابله، و كتاب (الكافي) في الحساب.

و رأيت في بعض المجاميع ان رجلا- شيخا رفع إلى فخر الملك قصه سعى فيها بهلاك شخص، فلما وقف فخر الملك عليها قلبها و كتب في ظهرها: "السعاه قبيحه و ان كانت صحيحه، فان كنت أجريتها مجرى النصح فخرانك فيها أكثر من الربح، و معاذ الله ان تقبل من مهتوك في مستور، و لو لا انك في خفاره من شيبك لقابلناك بما يشبه مقالك و نردع به أمثالك، فأكنتم هذا العيب و اتق من يعلم الغيب. و السلام".

و محاسن فخر الملك كثيره. و لم يزل في عزه و جاهه و حرمة إلى ان نقم عليه مخدمه سلطان الدوله بسبب اقتضى ذلك فحبسه ثم قتله بسفح جبل قريب من الأهواز لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنه سبع و اربعمائه.

و قال أبو عبد الله احمد بن القادسي في (اخبار الوزراء): و كان الوزير فخر الملك قد أهمل بعض الواجبات فعوقب سريعا. و ذلك ان بعض خواصه قتل رجلا ظلما، فتصدت له زوجته المقتول تستغيث، فلم يلتفت إليها، فلقيته ليله في مشهد باب التبن و قد حضر للزياره، فقالت له: يا فخر الملك، القصص التي أرفعها إليك و لا تلتفت إليها صرت ارفعها إلى الله، و أنا منتظره خروج التوقيع من جهته. فلما قبض عليه، قال: لا شك ان توقيعها خرج. و استدعى إلى مضرب سلطان الدوله، ثم قبض عليه و عول به إلى جركاه، و قد أحيط على أمواله، و خزائنه و كراعته و ولده و أصحابه، و قتل في التاريخ المذكور. و أخذ من ماله ستمائه ألف دينار و نيف و ثلاثون ألف دينار. و قيل انه وجد له ألف ألف و مائتا دينار منطبعه.

و مولده بواسط الثاني و العشرين من شهر ربيع الآخر سنه اربع و خمسين و ثلاثمائه (انتهى).

و قال الذهبي في (سير اعلام النبلاء): كان صدرا معظما جوادا ممدحا من رجال الدهر. و كان في صباه يتعافى المكارم و الإفضال و يلقبونه بالوزير الصغير، ثم ولى بعض الأعمال، و تنقلت به الأحوال إلى ان ولى ديوان واسط، ثم وزير، و ناب للسلطان بهاء الدوله بفارس و افتتح قلاعاً، ثم ولى العراق بعد عميد الجيوش، فعدل قليلا، و أعاد اللطم يوم عاشوراء، و ثارت الفتن لذلك، و مدحته الشعراء، و دام ست سنين، ثم أمسك بالأهواز.

و كان شهما كافيا، خيرا بالتصرف، سديد التوقيع، طلق المحيا، يكاتب ملوك النواحي و يهاديهم، و فيه عدل في الجملة، عمرت العراق في أيامه، و كان من محاسن الدهر، أنشأ بيمارستانا عظيما في بغداد، و كانت جوائزته متوافره على العلماء و الصلحاء.

و قد أنشأ في بغداد دارا عظيمه، و كان يضرب المثل بكثرة جوائزته و عطايه (انتهى).

و من مدائح قول الشريف الرضي:

أحق من كانت النعماء سابغه عليه من أسبغ النعمى على الأمم

و أجدر الناس ان تعنو الرقاب له من استرق رقاب الناس بالنعم

إذا سما فإلى العلياء نهضته و ان مشى فعلى الأعناق و القمم

لله أم تلقته براحتها ما ذا تلقت إلى الدنيا من الكرم  
فى صبيه للمعالى كان أولعهم بالمكرمات و ألقاهم إلى الديق  
كم غبت عنه و ما غابت مكارمه و نمت عنه بامالى و لم ينم  
لا يتبع المال أنفاسا مصاعده و لا يعير العطايا زفره الندم  
يا ممرضا بالمساعى قلب حاسده على العلى و مداوى الفقر و العدم

ص: ٢٤٢

- 
- ١- و عن هؤلاء يقول فى الروض النضر ١/١١٥: فهؤلاء الذين صار الكوفيون على مذهبهم حتى انتشر مذهب الهادى و المؤيد بالله فى آخر الزمان بعد خمسمائه و شىء (من الزيديه).
- ٢- السيد عبد العزيز الطباطبائى.

أقبلتها بسياط العزم تحفزها للطعن لا بعراك العذر و اللجم  
من دومه بجبال الغور حامله حقائب الموت للأعداء و النقم  
على قظاهن صدارون عن نهل من القواضب و رادون للقمم  
طريده للعلى جلى فأدر كها بعد المطال جناح الأجدل الضرم  
أقام سوق المساعى و هى باثره مجال عزمك بين السيف و القلم  
ففى النزال يد حمراء من علق و فى النوال يد بيضاء من كرم  
و قول مهيار الديلمى:

لكل هوى من رائد الحزم رادع و حبكم ما لم يزع عنه وازع  
تحل عقول العين مبدوله له و تشرح من ضمن عليه الأضالع  
صفاه على العذال لا يصدعونها و لو شق شعبا من "أبانين" (١) صاعد  
غرام الصبا كيف التفت بصبوه إلى غيركم فالقلب فيكم ينازع  
يقولون: حولى اللقاء و نظره مسارقه، حب لعمر ك قانع

أ جيراننا "أيام جمع" (٢) تعلمه سلو النفر (٣): هل ماض من النفر راجع؟  
و هل لثلاث طالحات على "منى" - و لو أن من أثمانه النفس - فاجع؟  
أجن (٤) "بنجد" حاجه لو بلغتها "و نجد" على مرمى العراقى شاسع

و حل لظبى حرم الله صيده دم ساء ما ضلت عليه المسامع

يفالت أشراكى على ضعف ما به فطار بها قطعاً و قلبى واقع

و كم ريع بالبطحاء من متودع و قلقل ركب للنوى و هو وادع

و مشرفه غيداء فى ظهر مشرف له عنق فى مقود البين خاضع

جرى بهم الوادى و لو شئت مسبلا جفونى لقد سالت بهن المدامع

و بيضاء لم تنفر لبيضاء لمتى و قد راع منها ناصل الصبغ ناصع  
رأت نحرها فى لونه فصبت له و ما خلت أن الشيب فى الحب شافع  
عفا "الخيف" إلا أن يعرج سائل - تعله شوق (٥) - أو يغرد ساجع  
و إلا شحيح [شحيح] (٤) أعجل السير نزرعه عسا (٧) فتعافته الرياح الزعازع  
و فى مثل بطن الراح سحم كأنها ثلاث بنانات قضاها مقارع  
وقفت بها لا القلب يصدق وعده و لا الجفن يرضيني بما هو وادع  
فيا عجبى حتى فؤادى بوده مداج و حتى ماء عيني مصانع  
أبى طبع هذا الدهر الا لجاجه و أتعب شىء أن تحال الطباع  
يعز حصا المعزاء (٨) و الدرهمين و يشبع غير (٩) السرح و الليث جائع  
و أودعته عهدا فعدت أرومه و من دينه ألا ترد الودائع  
و أقسم لا استرجعته و لو إنه قضى من شبابى أنه لى راجع  
هنا المانعين اليوم أن سؤالهم منى ما أملتها على المطاعم  
و إنى بعنقى من يد المن مفلت و ما المن فى الأعناق إلا جوامع  
و فى الأرض أموال و لكن عوائق من اللؤم قامت دونها و موانع  
حماها رتاج من صدور شحيحه و أيد خبيثات عليها طوابع  
باى جمام الماء أرجو عذوبه إذا أملحت طعم الشفاه الوقائع (١٠)  
و ما خلتنى أمشى على البحر ظامئا و خمس (١١) فمى منه بما بل قانع  
لعل "لفخر الملك"، آنف نظره يعود بها الحق البطىء يسارع  
و كم مثلها مضمونه عند مجده وفى لى بها و الدهر عنها يدافع  
شفت الصدى و ردت جراز (١٢) يده غيظ البلاد على الأرض و هو مراتعب.

- ١- أبانين: بالثنيه جبلان يقال لأحدهما: أبان الأبيض و للآخر أبان الأسود و هما بنواحي البحرين.
- ٢- أيام جمع: أيام منى.
- ٣- النفر: اليوم الذى ينفر فيه من منى إلى مكه و هو الثالث من يوم النحر و النفر أيضا القوم ينفرون معك.
- ٤- أجن: أستر و أخفى، و فى الأصل "أحن".
- ٥- فى الأصل "سوق".
- ٦- الشجيج: الوتد.
- ٧- عسا: قدم.
- ٨- المعزاء: الأرض الصلبيه الكثيره الحصا و قد غلب على الوحشى، و [ فى الأصل "غير". و هى نقره فى سهل أو جبل يستنقع فيها الماء. و هو من أظماء الإبل.
- ٩- العير: الحمار أيا كان وحشيا أو أهليا.
- ١٠- الجمام جمع جم و هو الكثير و الوقائع جمع وقيعه.
- ١١- الخمس: ورود الإبل الماء فى اليوم الخامس.
- ١٢- الجراز: اليابس الصلب.

زكا تحتها الترب اللئيم و أورك القتاد(١) الجفيف(٢) فهو ريان يانع

و جردها بيضاء واحده الندى و خضر البحار السبع منها نوازع

و قد زعموا أن لا مرد لفائت و أن الردى يوم متى حم قاطع

و هذى العلا و المكرمات مواتها بجودك من تحت التراب رواجع

برغم ملوك الأرض أن ظهورهم من العجز عما تستحق طوالع

تركتهم ميلا إليك رقابهم فلا تستقم من حاسديك الأخادع(٣)

و قد سبروا غوريك عفوا و نقمه فما عرفوا من أين ماء ك نابع

و كنت متى تقدح بزندك ثاقبا سرى النجم لم تسدد عليك المطالع

و كم قمت دون الملك كاشف كربه تيقظ منها الخطب و الملك هاجع

و ضيقه(٤) الأقطار عمياء ما لها إذا انخرقت من جانب الرأى راقع

تجانب مثناه(٥) النصوح فتوقها إذا وصلت أسبابها فتقاطع

تداركتها بالحزم لا السيف قاطع حديدته فيها و لا الرمح شارع

و ليت بصغرى عزمتيك كبيرها كما دبرت نزع القناه الأصابع

و أخرى أبت إلا القراع رددتها تدم و ترضى ما جنته المقارع

ركبت إليها السيف جسمك حاسر و قلبك من لبس التصبر دارع

وفيت بعهد الصبر فيها حميه و قد غدرت بالراحتين الأصابع

و مخطوبه بالكتب و الرسل مهرها غرائب أبكار الكلام البدائع

يقوم الخطاب الفصل و الجو ساكن لديها مقام النصل و النقع ساطع

كبت فأملت الرياض و ماءها و كالنار وعظ تحتها و قوارع

لك النصر فاسمع كيف أظلم و انتصر فما تضع الأيام من أنت رافع

حرمت عطاياك المقسم رزقها و عاقت مديحي عنك منك موانع  
و حلاني(٤) عن بحر جودك راكب هواه و قد لاحت لعيني الشرائع  
ثلاث سنين قد أكلت صبايتي(٧) فغادرتني شلوا و ذا العام رابع  
أرى من قريب شمل عزى مبددا و قد كان ظني أنه بك جامع  
على كل ماء لامع من نداكم سنان من الحظ المماكس لامع  
أيا جابر المنهاض لم يبق مفصل و إلا ندوب تحته و لواذع  
أعيدك بالمجد المحسد أن يرى جنابك عنى ضيقا و هو واسع  
و أعجب ما حدثته حفظك العلا و مثلى فى أيام ملكك ضائع  
أ أنطق منى بالفصاحه يجتبي و أمدح إن لفت عليك المجامع؟  
أبى الله و الفضل الذى أنت حاكم به لى لو قاضى إليك منازع  
و ما الشعر إلا النشر بعدا و صوره فلو شاء لم يطمع يدا فيه رافع  
و قد أفل النجمان منه فلا يضع - على غير سير - ثالث فيه طالع(٨)  
بقيت لكم وحدى و إن قال معشر ففى القول ما تنهاك عنه المسامع  
و لو شئت بى أخفى "زهير" ثناءه على "هرم" أيام تجزى الصنائع  
و ما شاع عن "حسان" فى "آل جفنه" من السائرات اليوم ما هو شائع  
و كان غيبنا من "أميه" من شرى مديح "غياث" و هو مغل فبائع  
على كل حال أنت معط و كلهم على سعه الأحوال معط و مانع  
و قد وهبوا مثل الذى أنت واهب فما سمعوا بعض الذى أنت سامع  
ذرائع من فضل عليك اتكالها فما بالها تدنى و تقصى ذرائع  
و ما لكم و الله يعطف خصبكم على مجذب دنياه منه بلاقع



تصان الأسامى عندكم باشتهارها و غمض المعانى مهملات ضوائع

و موشيه حوك البرود صفاتك الحسان تساهيم لها و وشائعه.

ص: ٢٤٤

- 
- ١- القتاد: شجر صلب له شوكة كالابر..
  - ٢- الجفيف: ما يبس من النبات..
  - ٣- الأخادع جمع أخدع و هو عرق فى صفحه العنق..
  - ٤- فى الأصل " و صيفيه " .
  - ٥- المثناه: الجبل من صوف أو شعر أو غيره و فى الأصل " مناه " و النصوص الخائط.
  - ٦- حلأنى: منعى الورود..
  - ٧- الصبابة: البقيه.
  - ٨- يعرض بفقد صنعه الشعر مع موت الشريف الرضى و ابن نباته و لم يبق الا ما يسمع منه.

تهب رياحا فى عداك خبيثه و طيبا عليك ردعها متسارع

كان "اليماني" حل منها عيابه تفاوح من "دارين" فيها البضائع

متى ضحكت لى من سمائك برقه حكت لك أرضى كيف تزكو الصنائع

و إن كان يوم فى الحوائج شافعا إلى النجاح، إن المهرجان لشافع

**السيد محمد الأمين بن السيد على.**

**إشارة**

مرت ترجمته فى المجلد التاسع، الصفحه ١٢٦.

و أشير فيها إلى مساهمته فى الحركة الاستقلاليه العربيه الأولى و ننشر هنا بعض التفاصيل عن تلك الحركة لارتباط حياه المترجم بها، و قد كتب ذلك عادل الصلح فى كتابه (سطور من الرساله):

لقد تعددت العوامل التى كانت تتصافر على تفتيت الكيان العثماني، منها ما هو داخلى متات من النظم الاستبداديه المطبقه على الأفراد و الجماعات فى أراضي الدوله، و منها ما هو خارجى متراكم على مرور الزمن. و الواقع اننا إذا ألقينا نظره شامله على المحاولات النظرية فى حقول الإصلاح، لتبين لنا ان المسئولين فى الدوله العثمانيه كانوا يحسون بما يعتمل فى الصدور. فقد كانت النفوس متحفزه فى بعض العهود، لا سيما الأخيره منها، لوثبات تؤدى إلى تبديل الأوضاع و تدنى الحكم العثماني - قدر الاستطاعه - من النظم الحديثه المطبقه فى بلدان أوروبا و أميركا الشماليه. و لذلك كان بعض الحاكمين يطلعون على الشعوب الخاضعه لهم، بين حين و آخر، بيانات و قوانين يضمنونها الحقوق الصريحه و الأنظمه الراقية، و يقطعون فى ذلك الطريق على طالبى الإصلاح حتى إذا سنحت لهم الفرصه، و رأوا أن دعاه الحريه و العداله و المساواه ضؤل شأنهم، ألغوا ما وضعوه من دساتير و ما سنوه من قوانين، و عادوا سيرتهم الأولى فى الاستبداد فى إداره شئون رعاياهم. و هذا التجاذب الدائم، بين طموح الأحرار، و أنانيه أصحاب السلطان، أوقع الحكم العثماني فى مازق، كثيرا ما جعلته عرضه للمخاطر و المهالك. و كانت العوامل الخارجيه فى وجوها المتعدده، تفيد من حاله الاضطراب و القلق هذه، و تعمل على إذكائها فى مساعده الفساد على التفشى، و الظلم على الاستشراء. و تتجاذب القوى العالميه الحاكمين فى اتجاهات متعاكسه، فتشد من ازهرهم حيناً، و تقلص ظلهم أحيانا. و تقف بريطانيا إلى جانبهم احتراسا من الخطر الروسى و غيره، و تتحرك الجيوش الأجنبيه فتقضم أطراف السلطنه شيئا فشيئا. و قد تتوجه بقواها فى طريق العاصمه فتهتز عواصم الغرب، و تلتئم المؤتمرات، و تعقد المعاهدات، لتحول دون انحلال الدوله و انهيارها، فتستمر بفضل التنافس الدولى قائمه، و يظل الإصلاح المشود مغفلا فى زوايا الإهمال.

و فى الحقبه الأخيره من القرن التاسع عشر، كانت الاضطرابات تعم أكثر المقاطعات العثمانيه الأوروبيه. ففى الجبل الأسود و بلاد الصرب ثورات، و فى سائر المناطق عصيان و اضطراب. (١) و فى عام ١٨٧٧ وقعت الحرب بين روسيا و الدوله العثمانيه، و كانت حربا طاحنه اهتمت لها دول العالم أيما اهتمام، لارتباط الكثير من المصالح الحيويه لكبريات هذه الدول، بأحوال الدوله العثمانيه. و قد كانت الغلبه فى النهايه للجيش الروسى، الذى وصلت طلائعه، فى إحدى ليالى شهر آذار عام ١٨٧٨، إلى سان

استفانو. (٢) و عند فجر اليوم التالي لوصوله، فوجئ القواد الروس بالاسطول الانكليزي يقابلهم فى البحر. و كان ذلك نذيرا لهم بان لا- يتقدموا أكثر مما فعلوا. و تفاوض الفريقان، العثماني و الروسي، و عقدا معاهده كانت شديده القساوه على الدوله العثمانيه، حتى أصبحت بذلك فى حاله قريبه من الانهيار.

و كما كانت الدول الكبرى تسعى للافاده من حاله الاضطراب السائده فى أراضي الدوله، كذلك كانت القوميات التابعه لها تعمل لخلق كيانات مميزه لها.

قال والدى منح الصلح فيما كان يحدثنى به:

كان الوعى العربى، قبيل الحرب الروسيه العثمانيه التى تقدم ذكرها عام ١٨٧٧ - و أثناءها، ينمو فى سوريا باضطراب، و كانت الدوله العثمانيه فى هذه الفتره من الزمن تبدو مشرفه على الزوال. فالشعوب البلقانيه: البلغار، و الجبل الأسود، و الصرب، و الافلاق و البغدان (٣)، تطالب بمنحها المزيد من مقومات السيادة الوطنيه. و الأرناءوط (٤) يطلبون صيانه بلادهم من الاحتلال الأجنبي، و الولايات الأرمنيه تطالب باصلاحات إداريه، و النمسا تطمع بالاستيلاء على ولايتى البوسنه و الهرسك و الروس يطمعون باحتلال بعض الولايات فى شمال شرقى الأناضول إلخ..

فكان وضع الدوله المضطرب، و الوعى القومى النامى فى سوريا، حافزين أهابا بأهل البلاد ليتداولوا فى ما يجب عمله لتجنب وطنهم المصير السيئ، و من أفجع صورته وقوع احتلال أجنبي. (٥)

و قامت لتأمين هذا القصد حركه فكريه، ثم حركه عامله فاعله، اتخذت لها بيروت منطلقا. و كان من أسباب هذا الاختيار أن الرجل الذى

ص: ٢٤٥

١- نورد هنا فقره من خطاب العرش الذى ألقاه السلطان عبد الحميد الثانى فى جلسه افتتاح المجلس العمومى الأول (الأعيان و المبعوثان) الذى أنشئ بعد إعلان دستور سنه ١٨٧٦. و فيها وصف للحاله السيئه التى وصلت إليها الدوله العثمانيه فى ذلك الحين: "فدواء هذه الغوائل و تعاقبها من الجهه الواحده، و مداركه و إنشاء الأدوات و الأسلحه الجديده الحريه التى هى أعظم أسباب شوكة دولتنا و اقتدارها، و عدم وضع وارداتنا و مصاريفنا تحت موازنه اقتصاديه من الجهه الأخرى، أفضت إلى انتقاص ادارتنا الماليه درجه فدرجه، فأنتجت ما نحن فيه الآن من المضايقه الخارقه للعاده، و أعقب ذلك ظهور وقوعات هرسك المنبعثه من أثر الفساد و التحريك التى تجسمت أخيرا، ثم افتتحت بغته محاربات بلاد الصرب و الجبل الأسود، و ظهرت فى عالم السياسه أيضا فتن و اختلالات كبيره. و فى ذلك الزمان الذى فيه تهورت دولتنا فى بحران عظيم، وقع جلوسنا باراده جناب الحق الأزلية على تخت أجدادنا العظام. و لما كانت درجه المخاطر و المشكلات التى حاقت بأحوالنا العموميه غير قابله القياس مما تقدمها من الغوائل التى تهورت بها دولتنا حتى الآن، قد اضطرت لأجل المحافظه قبل كل شىء على حقوقنا، أن أزيد معسكراتنا فى جميع الجهات، حتى وضعت تحت السلاح نحو ستمائه ألف عسكري". عن "كتر الرغائب فى منتخبات الجواب".

٢- ضاحيه من ضواحي إستانبول و يطلق عليها اليوم اسم "يشيل كوى" و فيها مطار المدينه.

٣- رومانيا.

٤- الألبان.

٥- من مذكره المركزي سالسبرى ناظر الخارجيه الإنكليزيه إلى سرهنرى ليارد سفير انكلترا فى الاستانه بتاريخ ٣٠ مايس سنه ١٨٧٨: "ان دوله السلالة السلطانيه دوله قديمه، وقد ملكت البلاد تغلبا، و لم تبرح بمنزله الأجنبي عنها، و أكثر اعتمادها على القدره لا على ميل من غلبتهم إليها، فما أصاب عساكرها من الهزيمه و حكومتها من العنت و الارتياب من شانها أن يحمل الناس على أن يعتقدوا انحلالها و حدوث تغيير سياسى سريع. و هو فى الشرق أكثر ضررا من عدم الرضى بثبات حكومتها. فإذا رأى سكان سوريا و آسيا الصغرى و العراق أن الباب العالى ليس له تامين على بقائه سوى ما بقى له من القدره، تشتغل أفكارهم، بعد أن ظهر من الوقائع ما دل على وهن هذا الأمل بان الدوله العثمانيه لا تلبث أن تسقط فينتظرون من يخلفها". (كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب صفحه ٣٥٧ الجزء السادس).

كان محركها الرئيسي، أحمد الصلح، مقيما في هذه المدينة.

و كان أحمد قد اعتمد في سره الحل الذي أيقن انه السبيل الأصح لبلوغ الغايه المرجوه. و كان يدرك خطوره ما قرر الاقدام عليه، لذلك راح يكشف فيه بعض أصدقائه و يجمع من يثق به من خلصائه، و يعد معهم الخطط السريه التي تتول إلى إنجاح هذا الحل. و بعد أن قضى ما يقارب الثلاثه أشهر في تهيئه وسائل النجاح، سافر إلى صيدا يرافقه بعض العاملين المؤيدين و والدى منح، و حلوا ضيوفا في بيت الحاج إبراهيم آغا الجوهرى. ثم سافر الوالد إلى جبل عامل، حيث كان له و لوالده أحمد روابط و صداقات وثيقه، إلى جانب ما كان لهما من ممتلكات و مزارع، فاجتمع إلى بعض زعماء الجبل، و عاد إلى صيدا بصحبه عدد منهم. و في صيدا مكث الجميع قرابه شهرين في الاجتماع و التداول، ثم جاء جدى أحمد و السيد محمد الأمين و الشيخ على الحر و والدى إلى بيروت، و منها تابعوا طريقهم بعد استراحه قليله فيها إلى دمشق، و تخلف في بيروت الشيخ الحر ضيفا على الحاج حسين بيهم. و نزل الوافدون إلى دمشق في دار مفتى المدينه و نقيب أشرفها السيد حسن تقى الدين الحصنى، و شرعوا بالاتصال ببعض أصحاب الرأى و المكانه من رجال دمشق، و عرضوا عليهم الفكره التي جاءوا من أجلها، فلاقوا منهم التحييد و التأييد، ثم قصدوا بعد ذلك إلى دمر، مصيف الأمير عبد القادر، و قضوا في ضيافته ثلاثه أيام تباحثوا خلالها معه في الأوضاع المرتبكه في البلاد و عواقب هذا الارتباك و وسائل انقاذها منه.

و كان القصد من هذه الرحله الشاميه، تبادل الرأى مع الأمير عبد القادر و عدد من الزعماء و التزود بآرائهم في الاجتماعات التي ستجرى في بيروت.

و بعد ما أتم هؤلاء مهمتهم في دمشق عادوا إلى بيروت. و تابع جدى منها الاتصال بمعظم زعماء البلاد الشاميه، فكان يبعث بالرسائل و الرسل إلى من يصح الركون اليه من رجالاتها، و يدعوهم للحضور إلى بيروت للتشاور.

و سافر والدى [و] يصحبه الأستاذ أحمد عباس الأزهرى، إلى الشمال السورى، فزارا حلب و حمص و حماه و اللاذقيه، و اجتمعا فيها ببعض زعمائها، و اتصلا في اللاذقيه برؤساء العشائر العلويه، ثم عادا إلى دمشق و سافرا منها إلى حوران و جبل الدروز للغرض ذاته. و قد لبي دعوه الجد بالقدوم إلى بيروت أكثر هؤلاء الزعماء. (1)

و في الموعد الذى تقرر لاجتماع بيروت حضر جدى إليها، و راح مع والدى و سائر الوافدين يعقدون الاجتماعات، و كانت كلها سريه، و يضعون الخطط اللازمه، و منها ما قد تستوجه طوارئ عسكريه، و يتخذون القرارات التي تقتضيها الأحوال. و مكثوا على ذلك عشرين يوما رأوا في نهايتها الانتقال إلى دمشق ثانيه، و إكمال البحث و المداوله، فسافروا إليها فرادى، و تابعوا هنالك عقد اجتماعاتهم السريه في دار السيد حسن تقى الدين الحصنى.

مؤتمر دمشق

و بعد ما تدارس الزعماء الأمر على مختلف وجوهه و أشبعوه تدقيقا تم الاتفاق على ما يجب السعى لتحقيقه.

و يذكر المؤرخ الأستاذ محمد جابر آل صفا في كتابه "تاريخ جبل عامل" أسماء ممثلى جبل عامل في هذا المؤتمر، فيقول:

"و كان يمثل جبل عامل، في ذلك المؤتمر، العالم الجليل السيد محمد الأمين، من الأشراف الحسينيين سكان شقراء (جبل عامل) و النبيل الحاج على عسيران، رأس الأسره العسيرانيه المعروفه في صيدا، و الشيخ على الحر الجبعي، و شبيب باشا الأسعد الوائلي. و كان هذا المؤتمر أول مؤتمر اشترك فيه الشيعيون للنظر في استقلال سوريا و فصلها عن جسم المملكه العثمانيه، عقد سرا في دمشق، في نهايه الحرب العثمانيهسنة ١٨٧٨". (٢).

و كان الأمير عبد القادر قد بلغ في ذلك الحين مقاما جعله قبله الأنظار، و ألف الناس في بلاد الشام، الرجوع اليه كلما وقع فيها أمر جليل أو أمت بها أزمه خطيره. و كان للاحترام و التقدير اللذين نالهما في المحافل الدوليه، لا سيما في أعقاب حوادث سنه ١٨٦٠ الشاميه، أثر كبير في المنزله الرفيعه التي تبوأها في العالمين العربي و الإسلامى.

فلما داهمت الدوله العثمانيه أحداث سنه ١٨٧٧ أخذ اسمه يروج كرائد للحركه الوطنيه، لأن الصفات التي تميز بها الأمير و المؤهلات التي توافرت له، تنسجم انسجاما كاملا مع مؤهلات الرائد.

و في الاجتماع الذى عينه زعماء البلاد الشاميه لوضع القواعد و الأسس للمواضع التي تدارسوها في اجتماعاتهم، تقرر العمل لتحقيق استقلال البلاد الشاميه (و هي ما تعرف اليوم بسوريا و الأردن و فلسطين و لبنان) (٣) و قدم أحمد الصلح اقتراحا بترشيح الأمير عبد القادر الجزائرى ليتولى الملك على هذه البلاد. فوافق المجتمعون على هذا الاقتراح. و بتكليف من المؤتمر حمل جدى القرار إلى الأمير.

و فى ذلك يقول محمد جابر: "ان المؤتمرين أقروا اختيار الأمير عبد القادر الجزائرى أميرا على سوريا و نقل القرار للأمير، المغفور له أحمد باشا الصلح".

لقد اختار أهل الديار الشاميه الأمير عبد القادر الجزائرى ليكون رأس حركتهم و رئيسا للدوله التي عزموا على انشائها، و ذلك لشرف نسبه، و لأنه بطل قومى مجاهد، و سياسى قدير فذ، و رجل علم و أخلاق و مكارم، و لأنه سبق أن أنشا دوله عربيه قويه فى بلاد المغرب الأوسط و ناضل فى الدفاع عنها ضد الاستعمار نضالا كان اسطوره ذلك الجيل و آيته و اعجوبته، و احتل بذلك فى الأمه العربيه مرتبه عز نظيرها.

و قد اصطفاه أهل الديار الشاميه دون أن يخطر لأحدهم انه ليس من أهل المشرق، و ان المشرقى أولى منه بهذه الولايه، لأن النزعات الاقليميه لم يكن لها أى اعتبار فى ذلك الزمن. فكان ابن الجزائر و ابن دمشق و بغداد و بيروت و سائر بلاد العرب مواطننا عربيا قبل أى شىء آخر. و قد حل عبد القادر فى دمشق، مواطننا عربيا كريما، أعزه أهلها و أجلوه و أنزلوه منهم منزله السيد، و ولوه مكان الصداره فيهم، كما ولاه من قبلهم أهل الجزائر.

و فى اليوم التالى للاجتماع الذى اتخذ فيه قرار توليه الأمير، قصد أحمدب.

ص: ٢٤٦

الحصن، فى بىروت، حىن رجا منه والدى أن ىدرسنا، أنا و اخوتى، اللغه و الفقه و التارىخ، طالما حدثنى عن ذكرىاته أيام النضال، فى الربع الأخرى من القرن التاسع عشر. و كان ىروى نبذا و وقائع عن نشاطه مع والدى فى المجال القومى، و عن دورهما فى أعمال الجمعيات السرىة التى تأسست فى ذلك الحىن، و عن حركة السعى لاستقلال البلاد، و الأمىر عبد القادر، و هو حدىث مستفىض لا ىختلف عن حدىث الوالء.

٢- جابر آل صفا محمد "تارىخ جىل عامل" بىروت سنه ١٩٦٣، صفءه ٢٠٨.

٣- و كانت ولاىه حلب ىومئذ تضم علاوه على أراضىها الىوم مءن اسكندرون و أنطاكىه و عىنتاب و مرعش و أورفه. و هذه المءن تتبع الىوم الءولة التركىه. و كانت الولایات العربىه فى الءولة العثمانىه فى ذلك الحىن هى حلب و سوريا و الحجاز و الىمن و بغداد و طرابلس الغرب.

باشا اليه فى قصره فى دمر، و أبلغه ما اتفق عليه أعيان البلاد، و رغم ما احتواه هذا التكليف من ثقه و تقدير، رأى الأمير أن لا يقطع فيه قبل التروى و التبصر.

و اقتضى لذلك مشاورات و مفاوضات بين الطرفين كان يقوم بها والدى.

و من النقاط الرئيسيه التى جرى البحث بشأنها:

١ - الخلافه.

٢ - البيعه.

٣ - ماهيه الاستقلال المنشود.

و كان من رأى الأمير أن يظل الارتباط الروحى بين البلاد الشاميه و الخلافه العثمانيه قائما، و أن يبقى الخليفه العثمانى خليفه للمسلمين، و أن تتم للأمير البيعه من أهل البلاد جميعا.

و قد وافقه على رأيه فى موضوع الخلافه أكثر الجماعه، و اتفقوا جميعا على تحييد ما طلبه بشأن البيعه و تعهدوا بتنفيذه.

و أما فيما يتعلق بالبند الثالث، فان المؤتمرين جميعا اتفقوا على إقرار مبدأ السعى لتحقيق استقلال بلاد الشام، و تأجيل البت فى مدى هذا الاستقلال، إلى انتهاء الحرب الروسيه العثمانيه، و انجلاء وضع الدوله و مصيرها. و اعتمدوا فى ذلك خطه التريث، ريثما يتبين لهم الموقف الدولى المشوش، و تظهر التطورات المتوقع حدوثها فى السياسه العامه.

و كانت انكسارات الدوله العثمانيه فى حربها مع الروس، و اشتداد الحركات الاستقلاليه الانفصاليه فى بلاد البلقان، و ما كان واضحا من عطف الدول على هذه الحركات و تأييدها، و اهتمامها بدرس خصائص و أشكال الحريات المراد منحها للشعوب البلقانيه. مضافا إلى ذلك ما كان يداخل نفوس الأهلين عندنا من القلق و الخوف على مصائر بلادهم، كل ذلك كان حافزا لزعماء البلاد على النهوض و السعى لدرء الشر، و العمل على إنقاذ الوطن من الاحتلال الأجنبى، قبل أن يطرأ ما يدعو الدول الأجنبيه، إلى بحث شئون البلاد العرييه و البت بقضاياها بشكل لا يتفق و مصلحتها القومييه. و كان على هؤلاء الزعماء أن يتابعوا مجرى الاتجاهات السياسيه طوال الحرب الروسيه العثمانيه التى بدأت فى ٢٤ نيسان سنه ١٨٧٧، و استمرت نحو من تسعه أشهر، و انتهت بعقد معاهده سان استفانو، و عدلت بعد ذلك باربعه أشهر فى مؤتمر برلين سنه ١٨٧٨.

و كان كذلك على رجال مؤتمر دمشق، أن يراقبوا ما يجرى فى مؤتمر برلين، ليتخذوا على ضوء ذلك موقفهم الأصوب. و كان يروج بين العاملين انه إذا تبين أن إحدى الدول الأجنبيه تهدف إلى الاستيلاء على بلادنا، كما كانت نيه النمسا فى البوسنه و الهرسك، و روسيا فى بعض الولايات الشرقيه من الأناضول: اردهان و قارص و باطوم، و كما هى نيه بريطانيا فى قبرص، فلا بد من طلب الاستقلال التام. أما إذا تبين انه ليس ثمه من عزم على احتلال البلاد، فتكون الغايه تحقيق الاستقلال الذاتى كما هى الحال فى مصر و فى بعض بلاد البلقان.



و اتفق الأمير و المؤتمرون على المضى فى تهيئه الأسباب و تمهيد الأجواء لاعلان استقلال البلاد، عند ما تكتمل هذه الأسباب. و أن تكون بدايه ذلك قيام الأمير بجولات فى المناطق الشاميه، تمهيدا لتنفيذ البيعه المطلوبه، ثم إرسال وفد إلى الأقطار الأوروييه، يعمل لكسب تأييد دولها للقضيه الاستقلاليه.

و كان من الأشخاص الذين تقرر أن يعهد إليهم بهذه المهمه، رسل و دعاه ممن كانوا يقيمون خارج البلاد، على أن يعمل هؤلاء فى سريه تامه فى بادئ الأمر، و على أن يقوموا بالدعايه للقضيه فى الصحف و المجتمعات، عند ما يحين الوقت المناسب لنشر المطالب و الترويج لها.

## الجوله الدعائيه

و تابع والدى حديثه عما جرى بعد ذلك فقال: انه أعلن اختتام المؤتمر، و تفرق الأعضاء كل إلى بلده، و عددهم ثلاثون شخصا، و ترك الأمير دمشق ليقوم برحلات دعائيه فى مختلف أنحاء البلاد، بصحبه بعض أعيانها و والدى.

و خشيه من أن تلفت هذه الجولات المفاجئه أنظار السلطه و تثير تساؤلها، و خوفا من تنبه رجالها للغرض الحقيقى منها، اتخذ المتجولون زياره الأمير لمواطنيه الجزائريين ذريعه لتنقلاتهم و رحلاتهم. و كان هؤلاء الجزائريون قد نزحوا عن الجزائر مع الأمير خلال غيابه فى منفاه، و بعد قدومه إلى دمشق، و وفدوا إلى الديار الشاميه و انتشروا فيها جماعات، و قدر عددهم بسته آلاف، و كان الأمير و رجال الحركه يعتبرون هذه الجماعه المدربه على القتال نواه لقوه محاربه يستعان بها عند الاقتضاء.

و كان من المدن و المناطق التى رافق والدى الأمير إليها صيدا و جبل عامل(١) و عكا و يافا و القدس و نابلس و بعلبك و غيرها.

و قد حدثنى والدى عن الأثر البالغ الذى تركته هذه الزيارات فى نفوس زعماء البلاد، و كيف أن أهالى المدن التى حل فيها الأمير و القرى التى مر بها أخذوا بما شاهدوا من ورعه و تقواه، و بما سمعوا من مناقبه و مكارمه، حتى أن بعضهم طفق ينسب إليه الخوارق، و يروى عنه الحكايات على أنها كرامات الأولياء و الأتقياء.

## اهتمام الدول الأجنبيه بحركه الاستقلال الشاميه

و يبدو ان القنصليات الأجنبيه فى المدن الشاميه كانت قد تنبعت إلى هذه الحركه و تتبعته عن كثب و أوقفت حكوماتها على ما بلغها عنها.

ففى ١٩ تشرين الأول سنه ١٨٧٩، أرسل قنصل فرنسا العام فى بيروت Delaporte إلى وزير الخارجيه الفرنسيه برقيه يقول فيها: "يشاع هنا ان ثمة مؤامره عربيه تدبر فى سوريا لها فروع فى ولايات حلب و الموصل و بغداد و مكه و المدينه، هدفها إنشاء مملكه عربيه، يرأسها حاكم عربى. إلا اننى لست فى وضع يمكننى من تأكيد هذه الشائعه. على ان فى مثل هذه الفتره التى تسود فيها الفوضى التامه هنا، اعتقد انه ليس ثمة ما يحول دون تحقيق هذا المشروع. و قد ذكر اسم عبد القادر الزعيم الجزائرى الشهير الذى يقيم اليوم فى دمشق، ليكون السلطان المقبل لهذه المملكه". (٢)

و هذه الوثيقة تحمل تاريخاً يلي مباشرة تاريخ انعقاد مؤتمر دمشق. ولا شك ان أخبار هذه الحركة بلغت كذلك مسامع سائر ممثلى الدول فى دمشق و بيروت، و نقلها هؤلاء إلى حكوماتهم، كما بلغت مسامع القنصل الفرنسى فى بيروت، و نقلها بدوره إلى حكومته.

و على ذلك، لا بد أن يكون فى دوائر باريس و لندن و إستانبول و غيرها وثائق أخرى تتعلق بهذه الحركة.

## الشيخ محمد على الشهير ب الحاج الشيخ آقا بزرگ الشاهرودى

ابن الشيخ على نقى بن الشيخ محمد على

الذى جمع بين الرئاسة

ص: ٢٤٧

- 
- ١- روى لنا السيد عبد الرؤوف فضل الله عما سمعه من الشيخ موسى مغنيه، الذى كان حاضراً فى بلدة بنت جيل من جبل عامل زياره الأمير عبد القادر للشيخ موسى شراره، و عن الترحيب الذى لقيه الأمير فى زيارته لهذه البلده، و قبوله ضيافته الحاج سليمان بزى، و كيف أن الشيخ محمد حسين مروه الملقب بالحافظ ألقى أمام الأمير فى مجلس الشيخ موسى شراره خطبته (الششقيه) الشهيره للإمام على. و غير ذلك من شئون تلك الزياره.
  - ٢- الدكتور زين، عن الوثيقه الموجوده فى وزاره الخارجيه الفرنسيه.

الدينه و الدينويه فى بلدتى شاهرود و بسطام و ما والاها، ابن الحاج ملا عباس.

ولد فى شعبان سنه ١٣٠٧ هـ فى قريه صغيره تسمى ب (وبرو) من قري قضاء شاهرود، تبعد عنها شمالا نحو ٢٠ كيلو مترا.

و مات والده و هو صغير السن، فكفلته أمه حتى تعلم القراءه و الكتابه ثم انتقل إلى شاهرود و اشتغل هناك بتحصيل العلوم العربيه فى مدرسه (بازار) ثم ارتحل فى سنه ١٣٢٨ إلى مشهد الامام على بن موسى الرضا ع فاستفاد من محاضر علمائه لا سيما الحاج آقا حسين القمى و الحاج ميرزا محمد آقازاده الخراسانى.

و أقام فى مشهد الرضا ع إلى عام ١٣٤٠ ثم سافر إلى الحوزه العلميه الكبرى النجف الأشرف و حضر عند أساطينها، فأدرك أبحاث الشيخ ضياء الدين العراقى و أبحاث الشيخ الميرزا حسين النائينى و أبحاث السيد أبو الحسن الأصفهانى و يقول المترجم له فى بعض ما كتبه:

"و حيث كان اشتغالى بالبحث و كتابه المدرس زائدا عن حد الاعتدال فى الليل و النهار انحرفت صحتى و أصبحت مريضا عاجزا عن الاستمرار فى التدريس و الكتابه، و عند ذلك أمر مولانا الأستاذ السيد أبو الحسن الأصفهانى و مولانا الأستاذ الشيخ الميرزا حسين النائينى بالسفر إلى ايران لاسترداد الصحه فسافرت فى عام ١٣٥٣ إلى مشهد الرضا ع وحيثما بقصد المعالجه و كانت العائله باقيه فى النجف الأشرف.

و بعد الورود فى المشهد اجتمع الطلاب و الفضلاء حولى و التمسوا منى ان اشتغل فى مده مقامى بالمشهد ببحث فقهى، فأجبتهم إلى ذلك و شرعت فى تدريس بعض القواعد الفقهيه إلى أن وقعت الوقائع....(١)

ترك من المؤلفات:

١ - دوره كامله من تقريرات بحوث استاذة الشيخ ضياء الدين العراقى فى أصول الفقه.

٢ - دوره كامله من تقريرات بحوث استاذة الشيخ الميرزا حسين النائينى فى أصول الفقه أيضا.

٣ - الروائع الفقهيه و هى موسوعه فقيهه استدلاليه اجتهاديه كامل منها:

كتاب الطهاره إلى آخر مباحث الأغسال و كتاب الصلاه و كتاب الخمس و الزكاه و كتب المكاسب و البيع و الخيارات بتفاصيلها و كتب الغصب و الاجاره و القضاء و الشهادات.

٤ - رسائل فى التقيه و العداله و إرث الزوجه.

**السيد محمد بن فضل الله الحسينى الاشكورى الجيلانى.**

ولد حدود ١١٩٠، توفى بعد ١٢٢٠.

ولد فى أشكور من ضواحي تنكابن - و تعلم المبادئ و المقدمات فى مدارس تنكابن و جيلان ثم ذهب إلى كربلاء و حضر على أعلامها و اختص بالشيخ احمد الاحسائي و فى سنة ١٢٢٠ ترجم و لخص رساله الحيدريه التى هى من تأليفات استاذه الاحسائي. (٢)

## الشيخ محمد فليح

ولد فى كربلاء سنة ١٢٧٢ و مات فيها سنة ١٢٩٥.

ينتهى نسبه إلى عشيره (جشعم) العربيه. ترعرع فى كربلاء بين اسره أديبه و ورث الشعر عن والده الشيخ فليح. و خاله الشيخ محمد على الشيخ خليل، و تتلمذ على مشاهير شعراء كربلاء أمثال الحاج محسن الحميرى و السيد احمد الرشتى و الشيخ كاظم الهر، و نشا تحت ولاء عائله آل الرشتى، فأعجب به السيد احمد الرشتى، و أسبغ عليه و على إخوانه الشعراء من نعمه: و كما كان الأب ملازما للسيد كاظم الرشتى كان الشيخ محمد الابن ملازما للسيد احمد بن السيد كاظم، و لم يكن حظ الشاعر من مديحه لهذه الأسره و رفع أعلامها إلى الذروه بأقل من حظ أبيه فى هذا الميدان، فقد انصرف إلى الإشاده بهذا البيت و تبجيل أعماله الأمر الذى ساقه ان يلقي حتفه هو و السيد احمد فى حادثه مروعه فقال خاله الشيخ محمد على يرثيه و يرثى السيد احمد:

تبت يدا هذا الزمان و لا لعا يرمى المهذب و الكمى الاروعا

لا زال يطلب شخصهم متعرضا حتى غدوا فوق البسيطة صرعا

لا زال يطلب شخصهم متقنصا لبن الأطائب دائما متتبعا

نصب الردى شركا لهم فأصابهم حتى غدوا رهن المنيه أجمعا

كان البقيه منهم مولى الورى تاج العلا غوث الأنام لمن دعا

فاعتاقه شرك الردى فقضى به صبيرا فعاد الخطب خطبا أشنعا

فغدى له المجد المؤثل قائلا هذا قوى الإسلام طرا زعزعا

قد كان غيئا للعفاف و مخصبا يروى الأنام تدفقا و تدفعا

قد كان مأوى للأنام و ملجا من كل خوف كان حصنا امنعا

انسى البريه حاتما بسماحه دهر الدهور و ذكره لن يقطعا

ليثا صؤلا من يلوذ بجنبه سيفا صقيلا من أراد تروعا

ان صال يوما فى البسيطة خلقه أسد الأسود و للشوامخ صدعا

تخشى الأسود مهابه من بأسه ان رامها التدمير يوما او قعا

ذلت لعظم جنابه امراؤها حقا لها من أن تذلل و تخضعا

لا سيما عين الفخار محمد من قد غدا ظلا صفيا اروعا

لما رأى إفراده بين العدى سلت عليه البارقات تشرعا

تاوبنى همى و فى القلب ساجره فبت و بات الدمع تهمنى بوادره

ص: ٢٤٨

---

١- حكم عليه و على جملة من كبار علماء المشهد لقضايا حدثت فيه بترك الإقامة هناك و الذهاب إلى بلادهم! فأقام هو فى شاهرود و هناك اهتم بتربية الطلاب ساعيا فى إحياء ما اندرس من الآثار و المعالم العلمية.

٢- الشيخ محمد السمامى.

تذكرت أيام الوصال فتاره يبادرنى دمعى و طورا أبادره  
و لم أنس معسول الرضاب غزيلا موارد محبوه و مصادره  
و طلعتة صبح و طرته دجى و أردانه ريا و كحلا نواظره  
إلى ان حدا حادى الفراق فليته اتيح له من بطن خفان خادره  
فقام و قال للركب قوض راحلا و موعدنا من عام قابل حاجره  
لوى فوق جيدى للوداع يمينه و يسراه كفت ما تصب محاجره  
فاتبعته دمعاً كصوب غمامه و فى القلب من نار الفراق مساعره  
مضى و مضى قلبى وراء ظعونه يراجعنى طورا و طورا يسايره  
فلو لا التسلى للمشوق بوعدده لشقت لما قاساه منه مرائره  
و قال من قصيده:

لمن طلل باكتبه الأثيل بوادى الجزع فالربع المحيل  
فجنوب فالرياض فذات عرق فحومل فالأبيرق فاللدخول  
عفى و تناوحت فيه جنوب من الأرواح من بعد الشمول  
بكته من السحائب ساقيات له من فيض صبيها الهطول  
ترحل عنه ساكنه و فيهم سلوب القلب بالطرف الكحيل  
فكم فتقت أخا ثقه و نسك بسحر اللحظ و الخد الأسيل  
و قال يمدح السيد احمد الرشتى:

الصبح يحكى وجه احمد إذ يهش إلى الفقير

المفرد العلم المنادى فى عظيمات الأمور

غيث بيوم نزاله غوث الصريخ المستجير

من معشر شرفوا بنسبهم إلى الهادى البشير

الضاربى هام العدو بظبه البيض الذكور

و التاركى كبش الكتيبه قوت ساغبه النسور

يا بن الذين توارثوا كرما و خيرا اى خير

عن امجدين ججاج صيد غطارفه بدور

لولاكم آلت معالم علم احمد للدثور

فالأرض تحكى من صفاتكم قليلا من كثير

فى صدوركم كرحابها سعه تعالت من صدور

و رياضها أخلاقكم حسنا تجل عن النظر

يا احمد الأمجاد يا ذا الفضل و العلم الغزير

هنيت يا عيد الأنام بعيدك الوافى الجبور

فالعيد يغدو رائحا و تدوم أنت على المدور

و من حماسته قوله:

قد نما فى كل شهيم أشوس سيد يوم نزال و طعان

مهدره ان شملت نائبه مصقع فى نطقه طلق اللسان

سل إذا كذبت عنا حميرا و اخصص منهم بنى عبد المدان

كيف أجرينا المهارى شربا تحت صرد صبر يوم التدانى

و المنايا خفقت اعلامها و تراءى للنزال الفتان

فابدناهم و ابنا بالسبى و رئيس الجيش مكبول يعانى

معشرى الشم البهاليل و قد حق ان أفخر فيهم و كفانى

كيف لا انظر عطفى شامخا و سميراي السهى و الفرقدان

### محمد كاظم بن محمد جعفر الشيرازى المتخلص ب آشفته.

المتوفى سنه ١٢٨٧ كما فى كتاب آثار العجم ص ٤٣٣ سنه ١٢٨٨ كما فى فارسنامه ناصرى ج ٢ ص ٩٧٣ فى شيراز و نقلت رفاته إلى النجف فدفن هناك.

كان من أعيان الشعراء و أهل العلم و الفضل و رجالات شيراز البارزين ولد فى اسره عريقه لها جاه عريض و ثراء و أملاك و عقارات فى شيراز و نواحيها قرأ العرييه و سائر العلوم على جملة من علماء شيراز و أخذ الخط عن أساتذه هذا الفن و نبغ فى الشعر و كان له خط جميل فى نستعليق و شكسته و عند ما فوض منصب ولايه خراسان إلى السلطان مراد ميرزا حسام السلطنه فى سنه ١٢٧٧ أخذ معه المترجم له إلى خراسان و عينه بمنصب (كلانتر) لمدينه مشهد و مكث هناك حتى سنه ١٢٨١ ثم رجع إلى موطنه شيراز. ذكر ديوانه شيخنا آغا بزرگ الطهرانى فى الذريعه قال (ديوان آشفته فارسى للحاج كاظم الشيرازى المتوفى سنه ١٢٧٨ و المدفون فى النجف... و قد رأيت نسخه ناقصه الأول و الآخر منه فيها الغزليات و المدائح للمعصومين و مراثى الشهيد المظلوم يقرب من سبعمائه و خمسين بيتا فى النجف. و من قصائده فى مدح أمير المؤمنين يوم مولده فى العام الذى أعلن فيه ناصر الدين شاه جعله يوم عيد رسمى، و كان الوالى يومئذ فى شيراز مؤيد الدوله أبو الفتح ميرزا و ذلك سنه ١٢٧٧ فتخلص هو فى آخر القصيده بمدح ناصر الدين شاه و أمين السلطان و مؤيد الدوله و فى احدى قصائده، ذكر ما حدث من الزلزله بشيراز و دعا (لأهلها).

أقول: و قد ذكر مؤرخو الأدب ان عدد أبيات قصائده أكثر من ثلاثين ألف بيت و شعره سهل غير معقد يردده كثيرا خطباء المنبر الحسينى. (١).

### المولى الآخوند ملا محمد الكاشانى الاصفهانى.

ولد سنه ١٢٤٩ فى كاشان و توفى سنه ١٣٣٣ فى أصفهان و دفن فيها فى مقابر تخت تخت فولاذ من علماء الفلسفه و الحكمه فى عصره.

أخذ المقدمات فى كاشان على جملة من أهل الفضل ثم هاجر إلى أصفهان و أولع بالفلسفه و الحكمه و التحق بحوزه كل من الميرزا حسن نجل ملا على النورى و المولى الآغا محمد رضا القمشه إى حتى برع و تقدم فى

ص: ٢٤٩



ذلك، ترجم له السيد مصلح الدين المهدوي في كتابه تذكره القبور بما تعريبه (... الحكيم العارف الكبير و الفيلسوف على الإطلاع المرحوم الآخوند ملا- محمد الكاشاني من نواذر الدهر في العلم و العمل و الزهد و التقوى و التدريس كان يدرس الحكمة العلمية و العمليه فريدا في عصره و في أوائل هجرته إلى أصفهان كان مقيما في مدرسه (جده كوجك) ثم انتقل إلى مدرسه الصدر ينقلون عنه حكايات عجيبة و أحاديث غريبه و لم يتزوج في طول عمره الشريف و عاش ٨٤ سنه.

أقول: تخرج عليه كوكبه من أكابر علماء الشيعة و أساطين الشريعه علماء الحكمة و الفلسفه و العرفان منهم الآغا نجفى القوچانى و الحاج آغا رحيم الأرباب و السيد حسين البروجردى، و الشيخ محمد الحكيم الخراسانى، و الدهقان السامانى، و آغا ضياء الدين العراقى، و الشيخ هاشم القزوينى و السيد حسن مشكان الطبسى، و الشيخ أسد الله الايزدكشت، و الميرزا أرسطو، و الحاج الميرزا حسن الجابرى الأنصارى و غيرهم من الحكماء و الفلاسفه و قد سمعت ان له حواشى على كتاب الاسفار و كتاب المشاعر و كتاب العرشيه لصدر المتألهين الشيرازى. (١)

### **المولى محمد كاظم بن سليمان التنكابنى الكلام ورى.**

ولد حدود ١٣٤٥ [١٢٤٥]، و توفى حدود ١٣٠٥.

ولد في قريه (كلام ور) من قرى تنكابن و درس المقدمات بها ثم دخل مدرسه الحاج محمد صالح المجتهد و قرأ المبادئ و المقدمات بها. ثم هاجر إلى الأعتاب المقدسه و حضر على اعلامها و أجزى منهم ثم رجع إلى موطنه و انشغل بالتدريس إلى أن توفى بها. (٢)

### **الشيخ محمد كاظم بن عبد العلى التنكابنى.**

ذكر في الأعيان: ٣٢/٨ و ٣٨١/٩. و كرر ذكره في المجلد الثانى من المستدرک الصفحه ٣٠٨ أقول: هم شخص واحد. (٣)

### **محمد كريم بن صفى الله بن على التنكابنى.**

توفى بعد ١١١٣.

هو من الفضلاء العلماء، له حواشى على شرح اللمعه و آيات الأحكام تدل على سعه علمه و فضله. (٤)

### **الشيخ محمد كريم بن المولى الشيخ فصيح الدين محمد بن الشيخ**

عبد الكريم البسطامى الدشت بياضى

من علماء الشيعة في القرن العاشر الهجرى و أعلام الرياضيات في عصره تولى منصب القضاء في مدينه دشت بياض و انتهى اليه كرسى الفتوى و رئاستها.

و من أشهر مؤلفاته كتاب شرح نصاب الصبيان المطبوع في سنه ١٣٦٦ مع شرح ملحقات النصاب التى ألحقها به والده المولى

الشيخ فصيح الدين محمد و ذكره شيخنا في طبقات أعلام الشيعة معبرا عنه بقوله: كان قاضيا في مدينة دشت بياض و احتمال اتحاده مع المولى الشيخ كريم الدين الشيرازي من مشايخ الشيخ إبراهيم القطيفي الذي توفي بعد سنة ٩٤٥ كما جاء في بعض إجازاته و قد ذكر خطأ في احياء الدائر ص ١٩٣ كونه من تلاميذ الشيخ إبراهيم القطيفي و الصحيح ما ذكرناه نقلا عن الذريعه ج ١٤ ص ١٠٦. (٥)

## المولى آغا مير محمد مؤمن بن جمال الدين مصطفى الأنجداني

التفرشى القمي المتخلص ب داعي.

ولد في قم سنة ١٠٦٥ و قيل ١٠٨٠ و توفي سنة ١١٥٥ و قيل سنة ١١٧٠ في تفرش و دفن بها و قبره مزار معروف يقصده العام و الخاص.

كان من أقطاب الأدب الفارسي و أعظم الشعراء في أواخر العصر الصفوي واسع الخيال سهل البيان متضلعا في الحكمة و الفلسفة و العرفان الالهي و ينتهي نسبه مع احدى و ثلاثين واسطه إلى الامام محمد الباقر.

و أخذ المقدمات على جملة من فضلاء قم ثم توجه إلى أصفهان احدى المراكز العلمية المهمة في ايران و تخرج على أعظم علماء عصره في الفقه و الأصول و الحديث و الحكمة و الفلسفة و العرفان و نبغ في الأدب و الشعر و تبحر في الحكمة و الفلسفة و العرفان جامعا للعلوم العقلية و النقلية و الفنون الإسلامية كان أصله من قرية انجودان التي كانت احدى مراكز الإسماعيلية النزارية في ايران بعد سقوط قلعه - ألموت و يحتمل ان يكون من الإسماعيلية النزارية و ذلك لميله إلى التصوف الذي كان يتستر به الإسماعيلية النزارية في مذهبهم حتى العصر القاجاري و تحت هذا الستار ولده المترجم له في قم ثم انتقل إلى أصفهان و منها استقر في مدينة تفرش حتى مات بها و دفن هناك و قبره مزار معروف اختلف في تاريخ ولادته و وفاته و ذكره معاصره آذر بيگدلي في كتابه آتشكده ص ٣٧٢ مفصلا و أثبت تاريخ وفاته سنة ١١٥٥ و نقل عنه مولوى محمد مظفر حسين الصبا في تذكره روز روشن و ذكر عام وفاته أيضا سنة ١١٥٥ ثم أدرج قسما من شعره (٤) و نشر عنه بقلم بعض المعاصرين تحقيقات هامه و احتملوا كونه من الإسماعيلية النزارية و ذكروا تاريخ ولادته و وفاته سنة (١٠٨٠ هـ وفاته ١١٧٠). و أشار اليه شيخنا الأستاذ آغا بزرگ الطهراني في الذريعه قال: (ديوان داعي انجداني تفرشيو اسمه المير محمد مؤمن بن جمال الدين و أصله من محال تفرش اشتغل بتحصيل الفنون عده سنين و كان معاصر هاتف و آذر كذا ترجمه في...)

و أورد جملة من أشعاره و قد جمع ديوانه أبو القاسم المتخلص "بسحاب التفرشى" المولود سنة ١٣٠٤ كما ذكره لي شفاه و أنشدني بعض أشعاره.

أقول: ترجمه آذر بيگدلي في آتشكده ص ٣٧٢ في ضمن من عاصره من الشعراء مفصلا و قال مات سنة ١١٥٥ عن تسعين سنة و كذا في روضه صفويه... (٧) أقول: ذكره جمع من المؤرخين منهم ميرزا رضا قلي خان هدايه في مجمع الفصحاء ج ٤ ص ٢٨٩ و أدرج نموذجا من شعره. و له آثار و مؤلفات هامه منها رائعته الذي تعرف ب "سلطان القصائد آغا مؤمن تفرشى" و هي في شرح بيان رؤياه (أمير المؤمنين على بن أبي طالب ع.

و له ديوان شعر و جميع قصائد المترجم له طويله، و مليئه بدقائق عرفانيه و نكات فلسفيه مما يدل على تبحره فى الحكمه و العرفان و الفلسفه. (٨)

### السيد محمد بن محمد حسين بن مير محمد رضا الحسينى التنكابنى.

ولد حدود ١٢٢٠ و توفى سنه ١٢٩٣.

ولد فى رامسر و قرأ الأوليات فى مدارسها ثم هاجر مع أبيه و إخوانه السيد محمد هاشم و السيد تقى إلى النجف الأشرف، فتوفى أبوه فى النجف و دفن بها و اشتغل هو بتحصيل العلوم الدينيه عند اعلامها و اختص بالشيخ خضر

ص: ٢٥٠

- 
- ١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
  - ٢- الشيخ محمد السامى.
  - ٣- الشيخ محمد السامى.
  - ٤- الشيخ محمد السامى.
  - ٥- الشيخ عبد الحسين الصالحى.
  - ٦- المولوى محمد مظفر حسين الصبا تذكره روز روشن تحقيق محمد حسين ركن زاده آدميت ص ٢٥٣ طهران من منشورات مكتبه الرازى.
  - ٧- الشيخ آغا بزرگ الطهرانى الذريعه إلى تصانيف الشيعة ج ٩ القسم الأول ص ٣١٣ بيروت دار الاضواء.
  - ٨- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

شلال النجفي و الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، ثم ذهب إلى طهران و صاهر المولى محمد جعفر الأسترآبادى و بقى مده هناك مستفيدا من أبحاثه ثم سافر إلى مشهد الرضا و مازندران و جيلان و همدان و أقام فى مدينه رشت بطلب من أهاليها أجاز السيد إسماعيل الحسينى (مؤلف نظره الناظرين)، و ذكر فيه مشايخه و هم المولى محمد جعفر الأسترآبادى، و الشيخ محمد حسن النجفى صاحب الجواهر، و الشيخ خضر شلال النجفى و الشيخ راضى النجفى و الميرزا محمد على الشهرستانى الحائرى، و المولى على البروجردى، و الحاج نور على التنكابنى، و السيد محمد الخراسانى الشهير بالقصير، و الإجازة مؤرخه ٢٣ شوال ١٢٩٣ - و توفى بعد هذا التاريخ.

وصفه السيد إسماعيل فى نظره الناظرين قائلا: انه عالم فاضل جليل القدر حسن الخلق متواضع له مؤلفات راقية فى الفقه و الأصول و الكلام و التفسير. (١)

### **الشيخ أبو منصور محمد بن محمد بن المبارك الكرخي.**

المتوفى ١١ محرم سنه ٥٩٨ ببغداد ترجم له المنذرى فى التكملة برقم ٦٣٦ و وصفه بالمقرب المؤدب و قال:

و دفن بمشهد الامام موسى بن جعفر، قرأ القرآن الكريم بشيء من القراءات ببغداد على أبى محمد الحسن بن على بن عبيده و بواسط على أبى بكر عبد الله بن منصور الباقلانى و غيرهما و سمع من أبى الفتح محمد بن عبد الباقي بن احمد و غيره.

### **محمد بن محمد بن عدنان بن عبد الله بن عمر العلوى الحسنى الكوفى**

المولود بها سنه ٥٣١ و المتوفى بها سنه ٦١٢.

ترجم له المنذرى فى التكملة رقم ١٣٩٠ فى وفيات هذه السنه قال:

و فى الثالث و العشرين من شهر ربيع الأول توفى الشريف الأجل النقيب أبو الحسين محمد بن الشريف أبى جعفر محمد بن أبى نزار عدنان بن أبى الفضائل عبد الله بن أبى على عمر الحسنى الكوفى المعروف بابن المختار و هو لقب لأبى على عمر جد جده بالكوفه و دفن بها و مولده بها سنه ٥٣١، سمع ببغداد من أبى محمد عبد الله بن احمد بن احمد ابن الخشاب و حدث و تولى نقابه الطالبين ببغداد.

### **مجد الدين أبو الحسن محمد بن محمد بن محمد بن الضحاك القرشى**

البغدادي الحاجب.

ترجم له ابن الفوطى فى مجمع الآداب ٢٤٧/٥ رقم ٥١١ و قال:

من البيت العريق المعروف بالتقدم و الحجاب و الرئاسه و الكتابه و كان مجد الدين أحد حجاب المناطق و صهر الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمى وجدت سماعه على المقامات الحريريه مثبتا بخط أبى طالب محمد بن العلقمى سمعها على الأجل زعيم الدين غرس الدوله أبى الحسن على بن محمد بن السكن فى ذى الحجه سنه ٦٢٠ بحق سماعه على منوچمر [منوچهر] عن

الحريرى.

و كانت وفاته يوم الاثنين غره جمادى الآخره سنه ٦٥٤ و حمل إلى مشهد الحسين بن على ع.

أقول: و أظن ان كمال الدين أبا العباس احمد بن محمد بن محمد بن الضحاك الأسدى القرشى البغدادى الحاجب المتوفى سنه ٦٩٣ و المولود سنه ٦٣١ و حمل إلى مشهد على ع الذى ترجم له ابن الفوطى فى ٥ /رقم ٢٦٣ من حرف الكاف هو ابن هذا.

### محمد بن محمد بن أسعد بن على بن معمر بن عمر بن على بن أبى

هاشم الحسين بن احمد بن على بن إبراهيم بن محمد بن الحسن بن محمد

الجوانى بن عبيد الله الزاهد بن الحسين الأصغر العابد بن على زين العابدين

ابن الحسين بن على بن أبى طالب ع.

ترجم له المنذرى فى التكملة برقم ١٦٥١ فى وفيات سنه ٦١٦ قال:

و فى التاسع عشر من المحرم توفى الشريف الأجل النقيب أبو عبد الله محمد بن الشريف الأجل النقيب أبى على محمد بن الشريف الأجل أبى البركات أسعد بن على الحسينى العبيدلى الجوانى المنعوت بالعز توفى بمصر و دفن بسفح المقطم.

ولى نقابه الأشراف بمصر بعد أبيه و حدث لقيته و لم يتفق إلى السماع منه و قد تقدم ذكر والده.

و جده الشريف أبو البركات أسعد كان يضرب فى عده علوم و أخذ كذا عن غير واحد بمصر و اليمن و حدث.

أقول: و ترجم لأبيه برقم ١٨٠ فى وفيات سنه ٥٨٨ و أورد هناك تمام نسبه فنقلناه من هناك.

و ترجم شيخنا رحمه الله لأبيه فى اعلام القرن السادس.(٢)

### المولى الشيخ محمد مراد بن درويش على بيك الآشتيانى القمى.

توفى بعد سنه ١١٣٠.

كان من اعلام الشريعة و فحول المفسرين فى العصر الصفوى محقق نحري خطاط ماهر من علمائنا المنسيين أخذ المقدمات فى آشتيان ثم هاجر إلى قم و حضر على جملة من الفضلاء و منها توجه إلى أصفهان فتخرج على العلامة المجلسى الثانى المولى محمد باقر المتوفى سنه ١١١١ جلس للتدريس فى أصفهان و كان له خط جميل و كتب بخطه نسخا من القرآن فى احجام مختلفة و له ترجمه للقرآن بالفارسيه و من مؤلفاته تفسير صغير للقرآن الكريم بالفارسيه فرغ من تاليفه سنه ١١٢٧ و عندنا منه نسخه بخط المؤلف و جاء فى آخره (حرره العبد الضعيف ابن درويش على بيك آشتيانى القمى محمد مراد عفى عنهما فى

عشرين شهر محرم الحرام سنه سبع و عشرين و مائه بعد الألف...).(٣)

## محيى الدين أبو عبد الله محمد بن المرتضى بن عبد الله الحسنى

الموصلى.

ترجم له ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ٤١٧/٥ رقم ٨٥٩ و قال: من أكابر السادات الأشراف و أولاد النقباء.

### المولى محمد بن محمد طاهر الكليجانى التنكابنى.

هو من علماء القرن الثالث عشر و كان معظم تلمذته على الشيخ محمد تقى النورى (المتوفى سنة ١٢٦٢) والد صاحب مستدرک الوسائل.

و للمترجم مؤلفات فى الفقه و غيره تدل على سعه علمه منها:

١ - الدرر المنظومه: و هو شرح كتاب الإرشاد جمع فى هذا الكتاب آراء استاذه النورى فى المسائل الفقيهيه.

٢ - رساله فى العقود و الإيقاعات.

٣ - رساله فى أحكام الأعيان النجسه.

٤ - إثبات خلافة الامام على بن أبى طالب بعد النبى ص. (٤)

ص: ٢٥١

---

١- الشيخ محمد السامى.

٢- السيد عبد العزيز الطباطبائى.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٤- الشيخ محمد السامى.

## السيد محمد بن محمد يوسف الحسيني التنكابني.

ولد حدود ١٠٧٠ و توفي بعد سنة ١١٢٥.

ولد في تنكابن وقرأ المقدمات في موطنه ثم ذهب إلى أصفهان و حضر على أعلامها ثم انصرف إلى التأليف. و من مؤلفاته تفسير القرآن الكريم في مجلدات توجد بعض مجلداته في مكتبة السيد الكلبيكاني في مدينه قم.(١)

## مجد الدين محمد بن محمد بن أبي مضر بن سالم بن علي العلوي

الافطسي نقيب المدائن

ترجم له ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب ٢٤٨/٥ رقم ٥١٥ و قال:

انشد له شيخنا تاج الدين في كتاب نزهه الأبصار في معرفه النقباء الأظهر في مدح النقيب الطاهر قطب الدين الحسين بن (الحسن) الاقساسى:

شرفا و مجدا يا بني الاقساسى : بالطاهرين الطاهر الاغراس

... قطب الدين مولانا الذي ملكك الورى باللف و الإيناس

مولى إذا لاذ الفقير ببابه أمنت يده سطوه الإفلاس

منها:

جبلت قلوب العالمين محبه فكأنما ارتضعوا هواه بكأس

## محمد بن أبي الهيجاء بن محمد

والى دمشق المتوفى سنة ٧٠٠.

ترجم له الصفدى في الوافى بالوفيات ١٧٠/٥ و قال: الأمير الفاضل عز الدين الهذبانى الإربلى والى دمشق. ولد سنه عشرين (و ستمائه) بإربل و قدم الشام شابا و اشتغل و جالس العز الضير و كان جيد المشاركه فى التاريخ و الأدب و الكلام و هو معروف بالثشيع و الرفض. و كان شيخا كرىا مهيبا يلبس عمامه مدوره و يرسل شعره على كتفيه ولى دمشق فكان جيد السياسه، مات بالسواده التى فى رمل مصر سنه ٧٠٠.

## محمد بن محمد بن احمد بن السلال الكرخى.

الوراق الحبار.(٢) له حانوت عند باب النوبى.

هكذا وصفه الذهبي في كتابه (سيره اعلام النبلاء). و قال في ترجمته: الامام الفاضل، سمع أبا جعفر بن المسلمه و أبا الغنائم بن المأمون و جابر بن ياسين و من أبي على محمد بن وشاح و أبي الحسن بن البيضاوى و أبي بكر بن سياوش الكازرونى، و تفرد فى وقته عن هؤلاء الثلاثة.

مولده فى سنة ٤٤٧ قال السمعانى: فى خلقه زعاره، و كنا نسمع عليه بجهد و هو متهم، معروف بالتشيع.

قال الحافظ بن ناصر: كنت امضى إلى الجمعة و قد قارب الوقت فأرى ابن السلال فى دكانه فارغ القلب ليس على خاطره الصلاه.

قلت: حدث عنه السمعانى و عمر بن طرزد و سليمان الموصلى و أبو الفرج بن الجوزى و النفيس بن وهبان، و بالاجازه أبو منصور بن عفيجه و أبو القاسم من صصرى.

و عاش أربعاً و تسعين سنة. توفى فى جمادى الأولى سنة احدى و أربعين و خمس مائه. (انتهى).

و ابن ناصر الذى يتهمه بعدم صلاه الجمعة يعترف بأنه كان يراه و قد قارب الوقت، لا عند حلول وقت الصلاه، اى فى نفس الوقت الذى لم يكن فيه هو نفسه فى الصلاه، بل فى طريقه إليها، فما ادراه انه لم يذهب فيما بقى من الوقت لأداء الصلاه.

ثم انه يعترف بان أدلته غيبه إذ يقول بأنه كان يراه فارغ القلب، و هل يطلع على ما فى القلوب الاعلام الغيوب. و كذلك قوله: ليس على خاطره الصلاه، فهل اعطى ابن ناصر قدره الكشف على ما تجنه الخواطر!؟

### **السيد محمد المعروف بالسيد القصير ابن ميرزا معصوم.**

توفى سنة ١٢٥٥ عن ٧٥ سنة درس المقدمات فى مشهد الرضا ثم تابع دراسته فى النجف الأشرف على كبار علمائها و بعد أربع سنين هاجر إلى أصفهان، و بعد سنوات سافر إلى مشهد الرضا، ثم حج بيت الله الحرام و زار العتبات المقدسه. ثم جاء طهران بعد إصابته بالفالج ليعالج فيها دون جدوى، فجاى مدينه قم و فيها توفى.

و من مؤلفاته: المصاييح، دوره كامله فى الفقه. و كتاب فى علم الرجال.

### **الشيخ محمود بن الشيخ مرتضى بن الشيخ حسن الأشتياني**

ولد فى طهران سنة ١٣٠٤ و يقال ١٣١٤ و توفى سنة ١٤٠١ بطهران.

آل الأشتياني من الأسر العلميه المعروفه فى طهران بزغ نجمها فى أفق طهران منذ عهد جدهم الشيخ ميرزا حسن بن الميرزا جعفر الأشتياني الطهرانى المتوفى سنة ١٣١٩ أحد اعلام الشيعه و مراجع التقليد فى عصره و نبغ من هذا البيت علماء و فلاسفه منهم المترجم له كان من اعلام آل الأشتياني و كبار فقهاء طهران البارزين و مراجع الفتوى و مثالا للورع و التقوى و أخذ المقدمات



على جمع من فضلاء طهران و حضر على أبيه في طهران و المشهد ثم هاجر إلى النجف الأشرف و أخذ الفقه و الأصول عن الشيخ ميرزا محمد حسين النائيني المتوفى سنة ١٣٥٥ ثم رجع إلى ايران و التحق بحوزه الشيخ عبد الكريم الحائري في قم و أخذ الفلسفه العاليه عن الميرزا هاشم الاشكوري و الميرزا حسن الكرمانشاهي و الميرزا الشيرازي و كان من رجال الفلسفه في عصره. له مؤلفات فيها كتاب الصلاه في ثلاثه مجلدات، و كتاب شرح درر الفوائد و كتاب النكاح، و كتاب الاجاره كلها بالعريه طبعت في طهران.(٣)

### آغا محمد هاشم بن آغا محمد إسماعيل الشيرازي.

ولد في شيراز ١١٠٩ و توفي فيها سنة ١١٩٩.

و دفن في جوار مرقد حافظ الشيرازي و قبره مزار معروف في شيراز. كان من أقطاب الصوفيه و مشايخ السلسله الذهبيه و أعظم عرفاء عصره. أديب شاعر رئيس أخذ العلم عن فحول علماء عصره و نبغ في الأدب و الشعر و انخرط في سلك البلاط الزندي فكان كاتباً خاصاً للسلطان الزندي كريم خان المتوفى سنة ١١٩٣ ثم ترك جميع مناصبه و حضر في العرفان و التصوف على شاه كوثر الهندي من مشايخ السلسله الطيفوريه الشطاريه ثم دخل في خدمه السيد قطب الدين محمد النيريزي رئيس السلسله الذهبيه و أصبح من حواريه و صاهره على ابنته، و بعد وفاه استاذه المذكور تزعم السلسله الذهبيه الصوفيه و انتهى اليه كرسى خلافتها حتى توفي له مؤلفات منها ديوان شعر، مناهل التحقيق، كتاب ولايه نامه و هو شعر مثنوي.(٤)

### محمد بن موسى الفطري.

قال الذهبي في سير اعلام النبلاء:

ص: ٢٥٢

١- الشيخ محمد السمامي.

٢- بيع الحبر و الأقلام.

٣- الصالحى.

٤- الصالحى.

المحدث الحجج، أبو عبد الله المدني مولى الفطريين و هم موالى بنى مخذوم. يروى عنه: سعيد بن أبي سعيد المقبرى و عبد الله بن عبد الله بن أبي طلحه و محمد بن الامام على و عون بن محمد و يعقوب بن سلمه الليثى و سعد بن إسحاق و غيرهم.

حدث عنه: عبد الرحمن بن مهدي و ابن أبي فديك و إسحاق بن محمد الغروى و قتيبه بن سعيد.

وثقه أبو عيسى الترمذى، و قال أبو حاتم: صدوق يتشيع.

### **أبو عبد الله محمد بن ناصر بن مهدي بن حمزه العلوى الحسنى.**

ترجم له الصفدى فى الوافى بالوفيات ١٠٧/٥ و قال: قدم مع والده إلى بغداد صغيرا فتشأ بها و قرأ القرآن و الأدب على أبي البقاء الأعمى و تميز و علت مرتبته و ناب عن والده فى ديوان المجلس ثم رتب صدرا بالمخزن و ناظرا و لم يزل على ذلك إلى ان عزل و عزل والده من الغد و نقل إلى دار الخلافة و توفى هناك والده سنة ٦١٧ و إذن لولده اين شاء فى السكن و غير زيه و هيئته و طلب الراحة و رغب فى الخمول.

### **تاج الدين محمد بن نصر بن صلايا**

ترجم له الصفدى فى الوافى بالوفيات ١٢٨/٥ و قال: محمد بن نصر ابن صلايا بن يحيى الصاحب تاج الدين أبو المكارم بن صلايا الهاشمى العلوى نائب اربل الشيعى.

كان نائب الخليفة ياربل و كان من رجالات العالم رأيا و عقلا و حزما و صرامه. و كان سمحا جوادا كانت صدقاته و هباته تبلغ فى السنه ثلاثين ألف دينار و كان بينه و بين لؤلؤ صاحب الموصل منافسه فلما احضرهما هولاء قال لؤلؤ: هذا شريف و نفسه تحدثه بالخلافه و لو قام تبع الناس أمره، فقتله هولاء بقرى تورين سنة ٦٥٦.

و كان عنده أدب و له نظم و كان يشدد العقوبه على شارب الخمر بان يقلع أضراسه! و كان قد دارى التتار حتى أنهم إذا دخلوا اربل القوا الخمر التى معهم رعايه له.

كتب اليه عميد الدين بن عباس الحنبلى و كان ناظر الأعمال المجاوره لاربلى و بينهما موده عظيمه:

سلام كانفاس النسيم إذا سرى سحيرا و رياها له عطر شمال

تزر على الرأين إذا راء صنوعه فارح منه العرف ارجاء اربل

على العلوى الفاطمى محمد بن نصر بن يحيى المنعم المتفضل

شأى الناس تاج الدين حسن مناقب يفوق بها فخرا على غيره على

أوالى علاء فى التغالى تشيعا و ان كنت عند الناس أحسن حنبلى

فأجابه تاج الدين بقوله:

أتانى كتاب من كريم اوده و كان كنشر المسك شيب بمندل

و وافى مثال منه خلت كأنه كلام الأديب الفارسى أبى على

فقابلت منه مسك ريا ختامه فيا مرسلا قد جاء من خير مرسل

و غير بديع أن تعبتم امينكم إلى بوحي البر ضمن التفضل

لقد زدت فى الحسنى و طبت منابتا و حزت من العلياء أشرف منزل

و حقك انى لست أخشى تشيعا عليك و لكن سوف أدعى بحنبلى

فان نفترق فى مذهبين فاننا سيجمعنا صدق المحبه فى على

و ترجم له ابن شاکر فى عيون التواريخ ٢٠٣/٢٠ فقال، و فيها سنه (٦٥٦) توفى.

تاج الدين محمد بن نصر بن يحيى بن على المعروف بابن صلايا نائب الخليفه فى اربل قتلته التتار و عمره أربع و ستون سنه كان من رجال الدهر عقلا و رأيا و تدبيرا و عنده فضيله و له يد فى النظم، ولى اعمال اربل مده سنين عديده و كان فى صورته ملكها و ساس الأمور بها سياسه حسنه.....(١)

### السيد محمد هادى الميلى.

ولد فى ١٣١٣ هـ و توفى سنه ١٣٩٥ فى مشهد الرضا. هو أحد مراجع الشيعة فى أخريات القرن الرابع عشر الهجرى.

نشا فى بيت العلم و الفضيله و ألقى رحل الإقامة أخيرا فى المشهد الرضوى بخراسان و ساد و تصدى لزعامه الحوزه العلميه فيه.

حضر فى حلقه دروسه فى الفقه و الأصول، عدّه من الفضلاء و البارعين و تخرج على مدرسته كثيرون من أفاضل العصر و دون بعض ابحائه باسم "محاضرات فى فقه الاماميه" فى عشره مجلدات. حاز الإجازة الروائيه من الاعلام: السيد حسن الصدر، و المحدث القمى و الشيخ آغا بزرك الطهرانى.

و كانت له يد طولى فى التفسير و الدرايه و الأدب العربى.

طبع له: تفسير سوره الجمعه و التغابن.

و من نشاطاته الاجتماعيه و الثقافيه تأسيس المدارس و بث الدعاه لنشر دعوه الإسلام فى داخل البلاد و خارجها. و له قصيده فى

مدح الامام الثانى عشر باللغه العربيه طبع فى مجله نور الإسلام: (٢)

التنكابني.

ولد حدود ١٢١٠ في رامسر، و توفي ١٣٦٢ في قزوین و حمل إلى كربلاء و دفن بها.

له ترجمه في أعيان الشيعة:

و أقول: ولد في رامسر و نشأ بها ثم ذهب إلى قزوین و من هناك إلى أصفهان و حضر بحوث الشيخ على النورى في الفلسفه و في الفقه و الأصول ثم ذهب إلى النجف الأشرف و حضر بحوث الشيخ على و الشيخ حسن كاشف الغطاء و غيرهما و قبل سنه ١٢٥٠ رجع إلى ايران و سكن قزوین و حصلت له المرجعيه إلى أن توفي بها و حمل جثمانه إلى كربلاء و دفن بها و له مؤلفات منها: ١ - تذکره الأنام في تهذيب الأخلاق.

٢ - الأخلاق.

٣ - فروق الكلمات - في فروق الكلمات و الأسماء و الصفات.

ص: ٢٥٣

١- السيد عبد العزيز الطباطبائي.

٢- السيد إبراهيم السيد علوى.

٤ - الأصول - فى أصول الفقه.

٥ - الفقه الاستدلالي.

٦ - الاثنى عشرية - فى علم الكلام و الاعتقاد.

٧ - الحاشيه على قوانين الأصول.

٨ - كتاب فى الامامه. (١)

## أبو البركات محمد بن هبه الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبى

الحديد المدائنى البغدادى.

المتوفى سنة ٥٩٨.

ترجم له ابن الديبى [الديبى] فى ذيل تاريخ بغداد المجلد الأول الورقه ١٣٦ ب و قال:

أبو البركات ابن شيخنا القاضى أبى الحسين بن أبى المعالى يعرف بابن أبى الحديد من أهل المدائن، كان أبوه أبو الحسين يتولى القضاء بها و سياتى ذكره ان شاء الله فى من اسمه هبه الله.

و أبو البركات هذا كان كاتباً ذكياً فهماً، تولى عده أشغال تتعلق بخدمه المخزن المعمور و غيره و كان معنا بالمدرسه النظاميه أيام نظرنا فى أوقافها، عقلت عنه أناشيد و استشهادات كانت تقع بيننا حال المذاكره، منها ما أنشدنى بقريه من قرى دجيل لبعض المغاربه من حفظه:

و مهفهف صبغ الحياء نجهه دمه فظل دمي بذاك طليقا

هذا يروق و ذا يراق و انما هذا يروق صفاؤه ليريقا

توفى أبو البركات بن أبى الحديد ببغداد ليله الثلاثاء حادى عشرين صفر سنة ٥٩٨ و صلينا عليه يوم الثلاثاء و دفن بمشهد الامام موسى بن جعفر ع بالجانب الغربى.

أقول: و ترجم له المنذرى فى التكملة لوفيات النقلة ٣٣٣/٢ رقم ٦٥٢ و وصفه بالكاتب المعروف بابن أبى الحديد و دفن بمشهد الامام موسى بن جعفر ع حدث باناشيد و كان ذكياً فهماً كاتباً. و والده أبو الحسين هبه الله كان قاضى المدائن و خطيبها و ياتى ذكره (فى وفيات سنة ٦١٣).

و ترجم له ابن الساعى فى الجامع المختصر ٨٨/٩ و قال توفى شاباً عن أربع و ثلاثين سنة فتكون ولادته سنة ٥٦٤ و الظاهر انه أخو عز الدين عبد الحميد بن هبه الله بن أبى الحديد المدائنى المتوفى ٦٥٥ شارح نهج البلاغه و ترجم المنذرى فى التكملة

٢٤٥/٤ رقم ١٤٩٤ لوالدهما وانه ولد سنة ٥٣٠ و توفي ٦١٣.

و أخوهما الآخر موفق الدين أبو المعالي قاسم بن هبه الله توفي قبل أخيه عز الدين بقليل فرثاه أخوه عز الدين بقصيدهه. (٢)

### **أبو طاهر محمد بن يحيى بن ظفر بن الداعي بن مهدي بن محمد بن**

جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب.

قال السمعاني في الأنساب:

العلوي العمري، من أهل أسترآباد، شيخ الامامية بها و هو مقدم طائفته و شيخ عشيرته، من بيت المحدثين، أبوه أبو طالب من المحدثين، و جده أبو الفضل ظفر ورد نيسابور و حدث بها و سمع منه جماعه من شيوخنا.

و جده الأعلى أبو محمد الداعي بن مهدي العمري من المحدثين أيضا، روى عنه ابنه أبو الفضل. و أبو طاهر محمد بن يحيى، حدث عن جده، و سمعت منه بأسترآباد، و كانت ولادته في المحرم سنة ٤٦٠.

### **مجد الشرف أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله العلوي الكوفي**

النقيب.

ترجم له ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ٢٥٦/٥ رقم ٥٣٠ و قال: من السادات النقباء، قرأت بخطه:

و رب إشاره عدت كلاما و صوت لا يعد من الكلام

### **مجد الدين أبو الفتح محمد بن تاج الدين أبي منصور يحيى بن المظفر**

بن مجد الدين عمر النقيب العلوي الاشرى الكاتب.

ترجم له ابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ٢٥٦/٥ رقم ٥٣١ و قال: ذكره شيخنا جمال الدين ابن المهنا فى المشجر و قال: حفظ القرآن الكريم فى صباه و تادب و تميز و تصرف فى الأعمال الديوانيه ثم تاب عن أعمال الديوان و عكف على الزهاده و الصلاح و قراءه القرآن و كان يلوح عليه سيماء الشرف و قاعده السلف و هو عذب المفاكهه حلو المذاكره و عنده كرم و فضل و مروه.

### **محمد بن يحيى بن ظفر بن الداعي بن مهدي بن محمد بن جعفر بن**

محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن

أبي طالب ع.

السيد أبو طاهر العلوي العمري الأسترآبادي.

من شيوخ السمعاني ترجم له في معجمه شيوخه و في الأنساب ق ٢٤٧ و في التحبير ٢٤٩/٢ رقم ٩٠٥ قال: شيخ الاماميه بها و هو مقدم الطائفه، من بيت الحديث، و هو شيخ متيقظ متودد له معرفه و هيئه و فضل سمع جده أبا الفضل الداعي بن المهدي سمعت منه بأسترآباد و كانت ولادته في المحرم سنه ٤٦٦ بأسترآباد و توفي بها سنه ٥٥٢.

### أبو العلاء محمد بن جعفر بن هبه الله بن يحيى بن الحسن بن احمد بن

عبد الباقي بن البوقى الواسطى

المتوفى سنه ٥٩٠.

ترجم له ابن الديبى في ذيل تاريخ بغداد ج ١ الورقه ١٣٦ و قال: تفقه أبو العلاء هذا بواسطة على مذهب الشافعى رحمه الله على أبيه و تكلم في مسائل الخلاف و أفتى و شهد عند القضاة. و قدم بغداد مرارا كثيره و ناظر فقهاءها و سمع شيئا من الحديث... و ناب عن الوزير أبى جعفر احمد بن محمد بن المهدي في أيام وزارته بديوان المجلس و بعد هلاك ابن البلدى عاد إلى واسط و قد كان سمع بها من أبى الكرم نصر الله بن محمد بن مخلد الأزدي و أبى على الحسن بن إبراهيم الفارقى و أبى الحسن عبد السلام لما قدمها و أبى الجوائز سعد بن عبد الكريم الغندجاني و القاضي أبى عبد الله محمد بن على بن المغازلى و غيرهم.

و كان مؤثرا طلب الدنيا و خدمه السلطان، ترك الاشتغال بالعلم و الاهتمام به و اذهب عمره بالتنقل من بلد إلى بلد رغبه في خدمه أرباب الدنيا حتى استقرت به الدار بالحله المزيديه ناظرا في سوادها إلى ان توفي بها.

لقيته بواسطة و بالحله عند اجتيازى بها للحج و قرأت عليه جزء واحدا من حديث يحيى بن معين بسماعه من أبى الحسن على بن هبه الله بن عبد السلام.

و سألته عن مولده؟ فقال: قال لى والدى: ولدت في شهر ربيع الأول سنه ٥١٩.

قلت: و توفي بقرية من سواد الحله يوم الأربعاء ثاني عشر شهر رمضان

ص: ٢٥٤

١- الشيخ محمد السامى.

٢- السيد عبد العزيز الطباطبائي.

سنه ٥٩٠ و دفن بمقبره مشهد الحسين بن علي رضي الله عنهم. (١)

## أبو الحسن محمد بن هبة الله بن محمد بن الحسين الحسنى.

المتوفى سنه ٥١٧.

ترجم له فى منتخب السياق رقم ١٦٣ و قال رجل كبير محترم من بيت السيادة و الحديث و الرئاسة و النقابه، كان متمسما بالصلاح و السداد متصلا بمصاهره الامام أبى الحسن على بن الحسن الصندلى توفى فجاه فى ذى القعدة سنه ٥١٧.

## الميرزا محمد اليزدى.

المتخلص ب "جيحون" و الملقب ب "تاج الشعراء" ولد بناحيه "كازركاه" بيزد سنه ١٣٥٠ [١٢٥٠] ه و نشأ بها، و يتسب أجداده إلى الشاه شجاع من سلاطين آل مظفر (٧٢٣ - ٧٩٥ ه)، ابتدأ بتعلم النحو و الصرف و العروض و البديع و اللغه و هو صغير.

قال ابنه عبد اللطيف جيحون: إن والده جيحون سافر لأول مره من يزد إلى شيراز و مدح حاكمها فرهاد ميرزا معتمد الدوله (١٢٣٣ - ١٣٠٥ ه) و منها ابتدأ أسفاره إلى موانى عمان و الخليج الفارسى و البصره و العراق و الهند و رجع إلى العراق. و لا يعلم تواريخ أسفاره دقيقا، و المعلوم أنه سافر مرارا إلى طهران و مدح ناصر الدين شاه (١٢٦٤ - ١٣١٣ ه) و ولى عهده مظفر الدين و ابنه الآخر ظل السلطان حاكم أصفهان، حيث لقبه هذا ب "تاج الشعراء" و السنوات الأخيره من عمره قضها فى صحبه ناصر الدين فرمان فرما (المتوفى ١٣٠٩ ه) حاكم كرمان و مات بها.

قال الأديب ملك الكرمانى: إن جيحون سافر من يزد إلى کرمانسنه ١٣٠٠ و عمره خمسون سنه تقريبا. و دفن المترجم فى مقبره "خواجه خضر". و هى مزار فى مقبره قديمه استملكت و بنيت عليها الدور و الدكاكين تدريجا و فى حدود سنه ١٣٦١ ه قام محمد ارجمند التاجر الكرمانى ببناء مقبره جديده ليجيحون قرب بقعه "خواجه خضر" نقل إليها رفات جيحون مع حجر قبره القديم مع حجر نقش عليه سنه وفاه الشاعر جيحون سنه ١٣٠١ ه و عليها بيتان للشاعر نفسه:

ای شه گلگون قبا بنگر بجيحون کز ثنات خویشن را مالک ديهيم و أفسر ساخته

شاید آر بخشی مرا بر تشنه کامان فرات زانکه جيحون را خدایت مهر مادر ساخته

و على حجر آخر شعر لشاعر اسمه "مشاق الكرمانى" قال فيه:

دريغ و آه که از اين جهان فانى رفت جهان فضل و أدب تاج شاعران جيحون

و من آثاره:



١ - ديوان جيحون، طبع أولاً بيمبئي سنه ١٣١٦ هـ بخط لطف الله الحسيني الاينجوى الشيرازي، و طبع ثانيا بطهران على الحروف سنه ١٣٧٧ هـ ٢: نمكدان، بالنظم و النثر طبع في آخر ديوانه بيمبئي ١٣١٦ هـ، و نسخه المخطوطه عرفت في فهرست نسخه هاى فارسى لأحمد منزوى ص ٣٦٤٦ تشبه گلستان لسعدى و أصغر منه.

٣: و لديوانه مقدمه لحسين ماهافى موجوده فى مكتبه مجلس شوراي ملي و غيرها.

و له مرث حسنيه تقرأ فى التعازى. (٢)

### الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عبيد الله النيسابورى البغدادى

المتوفى سنه ٦٠٨.

ترجم له المندرى فى وفيات سنه ٦٠٨ من التكملة رقم ١٢١٩ فقال:

و فى التاسع و العشرين من ذى الحجه توفى الشيخ أبو عبد الله..

النيسابورى الأصل البغدادى المولد و الدار الكاتب المعروف بابن المنتجيببغداد و دفن من يومه بمشهد الامام موسى بن جعفر قرأ الأديب على أبى محمد الحسن بن على بن عبيده الكرخى و غيره و كتب خطا فى غايه الجوده و كان يورق للناس و يعلم الخط.

### السيد محمد يوسف الحسينى التنكابنى.

توفى بعد ١١١٢.

عالم جليل كان معاصرا للسلطان حسين الصفوى و ألف كتاب (مقياس العرفان و مفتاح التبيان لمدارك القرآن فى تفسير القرآن الكريم) باسم (السلطان حسين الصفوى أتمه فى صفر سنه ١١١٢ و له كتاب (القراءات) توجد من التفسير نسخه فى المكتبه العامه فى أصفهان. (٣)

### جمال الدين أبو المكارم الحافظ أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى بن

إشاره

يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن المغيره مسدى الأندلسى الغرناطى الأزدي

المهلبى

المتوفى قتلا غيله فى سنه ٦٦٣ نزيل مكه المكرمه و خطيبها و إمام المقام الشريف.

ولد يوم عيد الأضحى سنة ٥٩٩ بوادى آش من الأندلس وقرأ على جماعه منهم قاضى قرطبه أبو القاسم بن بقى المخلدى و جماعه بالمغرب ثم رحل بعد سنة ٦٢٠ فسمع بالثغر من محمد بن (الإسكندريه) الحرانى وغيره و بمصر من الفخر الفارسى و أبى القاسم عيسى بن عبد العزيز اللخمي وقرأ عليه بالروايات و أبى الحسن بن المقبر و أكثر عنه و جماعه بمصر و بدمشق من أبى القاسم الحسين بن هبه الله بن صصرى وغيره و بحلب من أبى محمد عبد الرحمن بن الأستاذ بن علوان و جعفر الهمداني و الموفق عبد اللطيف ابن يوسف البغدادي وغيره و من أبى البركات عبد الرحمن بن عبد اللطيف الصوفى و جماعه بمكة و سمع بجيان على أبى عبد الله بن صلتان و بمدينة فاس عن أبى البقاء يعيش بن العديم و أبى محمد بن زيدان.

و أجاز له من شيوخها امامها أبو إسحاق زاهر بن رستم الأصبهاني و الشريف يونس بن يحيى الهاشمى و من بغداد ابن الأخصر و ابن سكينه و من دمشق قاضيها أبو القاسم الحرستاني و أبو اليمن الكندي و جماعه يجمعهم كلهم معجمه الذى خرج له لنفسه فى ثلاثه مجلدات كبار و عمل تراجمه مسجوعه و هو سجع متمكن كما قاله الصفدى و قال: سمع الكثير بالمغرب و ديار مصر و صنف و انتقى على المشايخ و ظهرت فضائله... و كان ينشئ الخطب ببلاغه و فصاحه و له مصنفات كثيره...

و قال الذهبى: الحافظ العلامة الرحال... أحد من عنى بهذا الشأن كتب عن خلق بالأندلس.

و حكى الصفدى عن الذهبى انه قال: رأيت له قصيده طويله تدل على التشيع... و طالعت معجمه بخطه و فيه عجائب و تواريخ... و قال فى تذكره الحفاظ، عمل معجما فى ثلاثه مجلدات كبار رأيتة و طالعتة و علقت منه كراريس و له تصانيف كثيره و توسع فى العلوم و تفنن و له اليد البيضاء فى النظم و النثر و معرفه بالفقه و غير ذلك و فيه تشيع و بدعه!

ص: ٢٥٥

١- السيد عبد العزيز الطباطبائى.

٢- الشيخ أبو ذر بيدار.

٣- الشيخ محمد السمامى.

و قال الجزرى فى طبقات القراء: امام حافظ مقرئ مكتر موجود، أخذ القراءات عن عبد الصمد البلوى و أبى القاسم بن عيسى و محمد بن على السبتي و عنى بالقراءات و الحديث و سماع الكثير بالبلاد الأندلسيه و الغرييه و المصريه و الشاميه و الحجازيه و صنف و خرج...

تلامذته

روى عنه الأمير علم الدين الدوادارى و مجد الدين عبد الله بن محمد الطبرى و الحافظ الدمياطى و أبو اليمىن عبد الصمد بن عساكر و عفيف الدين ابن مزروع و أبو عبد الله بن النعمان و رضى الدين محمد بن خليل، و رضى الدين الطبرى إبراهيم بن محمد الشافعى امام مقام إبراهيم و هو آخرهم وفاه و آخر الرواه عنه إجازة مسند الشام فى عصره احمد بن على الجزرى و كتب عنه الرشيد العطار و مات قبله.

و فى العقد الثمين: و كان عنى بهذا الشأن كثيرا و خرج لنفسه و لغير واحد من شيوخ عصره... و كان يكتب بالمغربى و المشرقى خطا حسنا و كان سريع الكتابه... و ذكره جماعه من الحفاظ و وصفوه بالحفظ منهم منصور بن سليم الهمدانى و قال: كان حافظا متقنا و الشريف أبو القاسم الحسينى و قال: كان فاضلا حسن المعرفه بالصناعه الحديثيه و القطب الحلبى و قال كان يميل إلى الاجتهاد و يؤثر الحديث و الحافظ الذهبى قال فى الميزان كان من بحور العلم و من كبار الحفاظ له أوهام و فيه تشيع.

و اطراه ابن فرحون بقوله: الفقيه الامام البارع العلامه الأوحد الحافظ الناقد الخطيب البليغ الأديب جمال الدين أبو المكارم.

## مذهبه

تقدم قول الذهبى فى تذكره الحفاظ: و فيه تشيع و بدعه و قوله: رأيت له قصيده طويله تدل على التشيع و قوله: ينال من معاويه و ذويه، و ذكر ان الرضى الطبرى كان يمتنع من الروايه عنه: و أكثر دلالة على تشيعه انه كان يتكلم فى عائشه (1) و قولهم: كان يميل إلى الاجتهاد (2) و انه ذكر فى كتابه محرر الائتلاف خلاف الزيديه و الاماميه و انه كان يميل إلى الأخذ بالحديث و لذلك قال عنه ابن ناصر الدين: كان حافظا علامه ذا رحله واسع و درايه، شاع عنه التشيع. فالظاهر انه فى رحلاته قد التقى بغير واحد من علماء الشيعة فناظروه فى مذهبه و أرشدوه إلى الحق و الصواب و لعل ذلك كان فى مدينه حلب فقد كانت مزدهره بعلماء الشيعة فى القرن السابع و قد تجد ترجمه كثير منهم فى هذا الكتاب. أو انه من خلال مطالعته و مراجعته للحديث النبوى و مدارسته للتاريخ قد اهتدى إلى الحق و الصواب فكانت تظهر عليه فى فلتات لسانه و تطفح على شعره فقالوا عنه أنه شاع عنه التشيع فإنه:

و مهما تكن عند امرئ من خليفه متى خالها تخفى على الناس تعلم

و من أدله تشيعه أيضا قتله غيله على ما ياتى.

## شعره

قد عرفت أن له قصيده نحو ستمائه بيت و أخرى داليه سماها اسى المنائح لكن لم يصل إلينا سوى أول بيت منها. نعم فى العقد

الشمين تجد قد ذكر فيه شيء من شعره و كذلك الذهبي ذكر له شعرا في تذكره الحفاظ

## مؤلفاته

قال الذهبي: له تصانيف كثيرة و قال الصفدي: و له مصنفات كثيرة و قال الفاسي: و له تواليف كثيرة منها:

- ١ - الأربعون المختاره في فضل الحج و الزياره.
- ٢ - منسك كبير ضخم ذكر فيه المذاهب و حججها و أدلتها و خلاف العلماء و سماه اعلام الناسك باعلام المناسك.
- ٣ - المسند الغريب جمع فيه مذاهب علماء الحديث.
- ٤ - المسلسلات في الحديث.
- ٥ - محرر الائتلاف بين الإجماع و الخلاف ذكر فيه المذاهب الأربعة و خلاف بعض الفرق كالزيديه و الاماميه و أفتى فيه بفوائد جمه كذا ذكرها بن فرحون.
- ٦ - معجم شيوخه في ثلاثه مجلدات كبار.
- ٧ - أسمى المنايح في اسمى المدائح و هو قصيده داليه في مدح النبي ص أولها:  
أورد ظماك فقد بلغت الموردان لن يحمد الإصدار من لا أوردا  
و في العقد الشمين انه رثى النبي ص و عنده جماعه و هم يذكرون قصائد مدح بها النبي ص فقال اين أنتم من قصيده ابن مسدى الداليه.
- ٨ - قصيده طويله قال الذهبي في تذكره الحفاظ: ارانى عفيف الدين له قصيده نحو من ستمائه بيت ينال فيها من معاويه و ذويه..  
و قال أيضا فيما حكاه عنه الصفدي: رأيت له قصيده طويله تدل على التشيع.

## مقتله

قتل رحمه الله غيله مقطوع اللسان بمنزله بمكه برباط القزويني بالجانب الشمالي من مكه على باب السده عاشر شوال أو حادى عشره سنه ٦٦٣ و دفن بالمعلاه من يومه، و اتهم أمير مكه به جماعه و حلفوا و ظل دمه.  
و ملخص حياته انه ولد بوادى أش سنه ٥٩٩ و تلقى العلوم و الحديث عن جماعه بالمغرب منذ حدود سنه ٦١٧ في قرطبه و بجايه و تلمسان و تونس.

ثم رحل إلى المشرق بعد سنه ٦٢٠ فجال في الشام و حلب و الإسكندريه و سائر البلاد المصريه و أقام بالفيوم و ولى بها تصدرا  
ثم رحل من مصر إلى المدينه سنه ٦٤٦ و توجه إلى مكه فحج ذلك العام و أقام بها و ولى خطابه الحرم و إمامه المقام بها و  
كان يداخل الزيديه بها و ينشئ الخطب ارتجالا في الحال و استمر على ذلك إلى ان اغتيل و قطع لسانه رحمه الله عليه. (٣)

### الشيخ أبو عقيل محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف النوقارزي

الملقب بالوحيد و المعروف بالبيهقي.

توفى بعد سنه ٧٤٠ كان من علماء عصره شاعر أديب نحوى محقق ذكره شيخنا الأستاذ في الحقائق الراهنه ص ٢٠٩ قائلا (...)  
أديب فاضل شاعر كاتب مصنف دون بخطه مجموعه فيها اثنتا عشره رساله عروضيه. جمله منها من تأليف نفسه منها  
(العروض)... و قد كتبها من إلى و النسخه في مكتبه (سيهسالار) ذكر في فهرسها ج ٢ ص ٤٤٥. (٤)

ص: ٢٥٦

١- العقد الثمين ٤٠٦/٢ عن تذكره الحفاظ.

٢- العقد الثمين ٤٠٥/٢.

٣- السيد عبد العزيز الطباطبائي.

٤- الصالحى.

## السيد محمود بن السيد سلطان على المرعشى التستري.

ولد في ١٢٠٧، توفي في ١٤٠٨.

ولد في الري (مشهد السيد عبد العظيم الحسنى) و هاجر مع أبيه إلى النجف الأشرف و في السابعة من عمره بدأ بقراءة المقدمات ثم قرأ السطوح عند اعلامها ثم حضر بحث الخارج و أدرك قليلا من بحث الآخوند الخراسانى، ثم حضر بحوث الميرزا حسين النائينى و الآقا ضياء العراقى.

و سكن شطرا من حياته في سامراء و أخيرا انتقل إلى مدينه قم المقدسه و له مؤلفات منها - ١ - لمعه النور في حل بعض الأمور. - ٢ - بيدارى بشر في الرد على البهائيه - ٣ - رساله في الامامه - ٤ - رساله في التوحيد - ٥ - شرح دعاء الندبه و غيرها.(١)

## السيد مرتضى الخسروشاهى بن السيد احمد بن السيد محمد

الحسنى:

ولد بتبريز في العشر الثانى من شهر شوال سنة ١٣٩٩ [١٢٩٩]، و توفي سنة ١٣٧٢ فيها و دفن في النجف كان من أعظم علماء تبريز في عصره و كان أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر شديدا في الله، لا يخاف في الله لومه لائم.

\* هاجر إلى النجف الأشرف في العشرين من عمره ثم رجع إلى تبريز و أقام هناك بقيه عمره و اشتغل بالتدريس و التصنيف و الوعظ و التذكير.

له مؤلفات باللغه العربيه، منها: ذروه السعاده في نيه العباده، مختصر الكلام في حكم السلام و معنى حديث الغدير.

قال عنه صاحب "علماء معاصرين": كان السيد الخسروشاهى في الرعيل الأول من العلماء و الفقهاء و كان تقيا، نقيا، فاضلا ذكيا متصليا في الدين.(٢)

## السيد مرتضى بن هادى بن محمد رضا الحسينى الرامسى.

ولد ١٢١٩ توفي حدود ١٢٨٠. في (جورديه) من ضواحي رامسر و دفن بها.

بدأ بتعلم القراءة و الكتابه في الخامسة من عمره ثم انصرف إلى تعلم المقدمات. و ذهب إلى قزوین و أقام مده هناك مشتغلا بقراءة السطوح و في حدود ١٢٣٨ ذهب إلى أصفهان و حضر في الفقه و الأصول على الشفتى الجيلانى و الكلباسى و في الفلسفه على النورى و غيره ثم ذهب إلى النجف الأشرف و حضر على الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر و غيره و في حدود ١٣٥٥ رجع إلى موطنه و اشتغل بالتدريس و كان يقيم في بعض الشهور بمدينه لاهيجان بطلب من أهاليها - و كان يدرس الفقه و الأصول و الفلسفه و اشتهر صيته و حصلت له المرجعيه إلى أن توفي في جورديه و دفن بها. و أنجب ثلاثة أولاد من العلماء و الفضلاء.(٣)

## الشيخ مرتضى بن الشيخ حسن بن الشيخ جعفر بن ميرزا محمد

الرازي الآشتياني.

ولد في النجف سنة ١٢٨١ يوم وفاه الشيخ مرتضى الأنصاري و توفي في مشهد الرضا (ع) يوم ٢٤ ذى الحجه الحرام سنة ١٣٦٥ و دفن في الروضه الرضويه عند رجلين الامام في الحرم المطهر. فقيه اصولي محقق و من رجال التقليد و الفتيا و أساتذه الحكمة و الفلسفه. كان في طليعه قاده الحركه الدستوريه المعروفه ب "مشروطه" و أعلام أسرته آل الآشتياني البيت العلمي المعروف. كان جده الشيخ جعفر من العلماء الاعلام و أبوه الشيخ حسن من مراجع التقليد في عصره. قرأ المقدمات في النجف على جملة من الأفاضل ثم تخرج في الفقه و الأصول على أبيه و الشيخ حبيب الله الرشتي و الشيخ حسين الخليلي و الآخوند محمد كاظم الخراساني صاحب الكفايه و أخذ العلوم العقليه عن ميرزا علامه الصالحى الحائري، ثم هاجر إلى طهران و شارك في الانقلاب الدستوري و كان من جملة العلماء الذين تحصنوا في روضه الشاه عبد العظيم في الري و عارض في قضيه البنك الروسى و الحوادث التي انتهت بالغاء تلك الامتيازات و في سنة ١٣٤٠ انتقل إلى خراسان و أقام هناك قائما بالوظائف الشرعيه و تصدر للتدريس و الفتوى و الامامه حتى سنة ١٣٥٣ و على اثر الحوادث المؤلمه في المشهد نفى إلى طهران حتى سنة ١٣٦٠ ثم توجه إلى العتبات المقدسه في العراق و سكن كربلاء و جلس للتدريس و البحث و الفتوى و الامامه و في حدود سنة ١٣٦٤ رجع إلى ايران ثم قصد منها إلى خراسان و استقر فيها إلى آخر عمره في مدينه مشهد، طبع له في سنة ١٣٤٣ كتاب في الفقه (باب الاجاره) و كان نجله الشيخ محمود المتوفى سنة ١٤٠١ من علماء عصره و ابنه الثانى الأستاذ إسماعيل الآشتياني المتوفى سنة ١٣٩١ من كبار الرسامين و الفنيين في تاريخ الفن المعاصر في إيران. (٤)

## السيد مرتضى الكشميرى.

### اشاره

مرت ترجمته في الصفحه ١٢١ من المجلد العاشر و نزيد عليها هنا ما يلى:

ولد في الثامن من ربيع الأول سنة ١٢٦٨ و توفي في ١٣ شوال سنة ١٣٢٣ و حمل إلى كربلاء و دفن في الصحن الحسينى، و هو نجل العالم الزاهد السيد مهدى شاه، و كانت والدته معدوده في العلماء و اشتهرت بتدريس العلوم الرياضيه.

تخرج أولاً في الهند على يد والده و خاله، فقرأه نهج البلاغه و شرح الهدايه لملا صدرا الشيرازى، كما درس الرياضيات على المولى تفضل حسين، و الحكمة و المنطق على المفتى محمد عبد الحليم الأنصاري و محمد يوسف الأنصاري.

ثم هاجر إلى النجف بصحبه خاله سنة ١٢٨٤، فكان من أساتذته فيها كل من الشيخ الأنصاري و السيد مهدى القزوينى و السيد حسين البهبهانى و السيد حسين الترك و الشيخ محمد حسين الكاظمى و الشيخ محمد تقى الهروى و الشيخ محمد اللاهيجى.

كما حضر على الميرزا محمد حسن الشيرازى. و تخرج في المعقول على الآخوند ملا حسين قلى الدرگزىنى الهمداني.

### مؤلفاته

١ - حاشيه على القوانين.

٢ - الحاشيه على رياض المسائل.

٣ - التعليقه على شرح الهدايه للقاضى الميبدى.

٤ - الحاشيه على شرح اللمعه.

٥ - التعليقه على تقويم المحسنين.

٦ - رساله فى اعمال الهندسه.

٧ - شرح على تحرير سلطان الحكماء.

٨ - شرح صفحه الأسطرلاب للبهائى.

٩ - رساله فى البعد بين البلاد.

ص: ٢٥٧

---

١- الشيخ محمد السامى.

٢- السيد إبراهيم السيد علوى.

٣- الشيخ محمد السامى.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.



- ١٠ - تعليقه على الحاشيه المعروفه للمولوى غلام يحيى.
  - ١١ - تعليقه على حواشى مير زاهد على شرح التهذيب.
  - ١٢ - تعليقه على شرح تلخيص الجقمينى.
  - ١٣ - بحث فى الأسطراب.
  - ١٤ - تعليقه على شرح البرجندى سلطان الحكماء.
  - ١٥ - ملحق الرساله فى البعد بين البلاد.
  - ١٧ - شرح عباره المنهاج للمولوى الكرباسى حول القبله.
  - ١٨ - تعليقه على رساله ابن فهد.
  - ١٩ - التعليقه على أمل الآمل للحر العاملى.
  - ٢٠ - شرح مبحث الزوال.
  - ٢١ - رساله فى شرح روايه عبد الله بن سنان من أصحاب الصادق ع.
  - ٢٢ - تعليقه على رساله خلاصه الحساب للشيخ البهائى.
  - ٢٣ - تعليقه على منتخب الإتحاف للسيوطى.
  - ٢٤ - تعليقه على شرح درايه الحديث للشهيد الثانى.
  - ٢٥ - اعلام الاعلام فى علم الرجال.
- و أغلب مؤلفاته هذه كانت عند خاله السيد محمد باقر و لا يزال قسم منها عند أولاده و أحفاده، كما تلف بعضها.

### مشايخه فى الروايه

الشيخ نوح بن الشيخ قاسم الجعفرى النجفى و الشيخ محمد حسين الكاظمى.

و الشيخ محمد حسن ياسين.

و السيد حسن بن السيد محمد رضا بحر العلوم.

و السيد مهدي القزويني الحلبي.

و الميرزا محمد هاشم بن الميرزا زين العابدين الموسوي الخونساري.

و السيد أسد الله الاصفهاني.

و الشيخ زين العابدين المازندراني.

### تلامذته

الشيخ علي القمي و الشيخ محمد حسين بن محمد خليل الشيرازي العسكري صاحب التعليقه على تفسير البيضاوي.

و السيد علم الهدى النقوي الكابلي.

و السيد محمد الموسوي الخلخالي.

و السيد آقا حسين الطباطبائي القمي.

و الميرزا آقا جواد الملكي التبريزي و السيد محمد حسين الغزنوي.

و الشيخ حسن علي الأصفهاني.

و الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي.

و الآغا بزرگ الطهراني صاحب كتاب الذريعه.

و الشيخ محمد حسين الكمپاني الأصفهاني.

### وفاته

توفي ١٣ شوال عام ١٣٢٣ و حمل إلى كربلاء و دفن في الصحن الحسيني الإيوان الثالث جنب باب الزينيه.

### عقبه

ترك خمس بنات و ولدين هما:

- السيد محمد المتوفى عام ١٣٩٢.

- و السيد علي تقى المتوفى ١٣٩٦. و لا يزال العلم متصلا في بيت المترجم فمن أحفاده اليوم كل من:

السيد محمد الرضى و ولده السيد على، و السيد محمد حسن و السيد مرتضى و السيد محمد حسين و غيرهم. و هم ما بين طهران و قم و دبی.

### السيد مسلم الحلبي النجفي

ولد حدود ۱۳۳۰، و توفي ۱۴۰۱.

ولد في الحلبة و تعلم المقدمات بها ثم ذهب إلى النجف الأشرف و قرأ السطوح ثم حضر بحث اعلامها منهم السيد محسن الحكيم و الشيخ حسين الحلبي و غيرهما.

قال أحد المدرسين المعروفين بالفضل و التحقيق و كان يقضى أكثر أوقاته في التدريس و التعليم و كان مقر درسه في المسجد الهندي و أكثر ما كان يدرس شرح التجريد و منظومه السبزواري. (۱)

### الحاج ميرزا مصطفى مجتهدی

ولد سنة ۱۲۹۷ في تبريز و توفي سنة ۱۳۳۸.

درس المقدمات في تبريز ثم سافر إلى النجف الأشرف و حضر دروس شيخ الشريعة الأصفهاني و السيد كاظم اليزدي و الآخوند ملا كاظم الخراساني. و مع دراسته الفقه و الأصول درس العروض و الهيئة و الرياضيات و الأدب.

له من المؤلفات: حاشيه على الكفايه. حاشيه على كتاب لسان الخواص الآغا [لآغا] رضا القزويني. رساله في الفلك و الرياضيات. رساله في علم العروض. ارجوزه في علم العروض و القافيه رسائل في مباحث الفقه.

و فيه يقول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء من أبيات:

تبرزت من تبريز رب فصاحه بها مدنيا قد حسبناك أو مكي

### الشيخ مصطفى بن الشيخ حسن بن الشيخ جعفر بن الشيخ محمد

الآشتياني المتخلص في شعره بصهبا.

ولد في النجف سنة ۱۲۸۴ و اغتيل في داره جنب روضه الشاه عبد العظيم في الري يوم الأربعاء الثاني من ربيع الأول سنة ۱۳۲۷ و دفن في حرم الروضه.

أخذ المقدمات و السطوح على فضلاء عصره و تخرج على والده في الفقه و الأصول و برع في الأدب و الشعر و كان يتخلص في شعره ب "صهبا" لقب بافتخار الحكماء و كان من قادة الحركة الفكرية التحريرية في الانقلاب الدستوري في إيران المعروف ب "مشروطه" و ساهم في نهضة المعارضه ضد "المسيونوز" البلجيكي، و قد اغتيل من قبل زمره الشاه القاجاري و هو شقيق الشيخ

مرتضى الآشتياني و كان والده الشيخ حسن الآشتياني من مراجع التقليد فى عصره.

له كتاب (افتخار نامه حيدرى) من نظمه على غرار شاهنامه الفردوسيو بنفس الأسلوب ذكر فيها حروب و وقائع أمير المؤمنين على بن أبى طالب ع طبع فى طهران سنة ١٣١٠ و له ديوان شعر مخطوط. (٢).

### **أبو منصور المظفر بن أردشير المروزى العبادى و يلقب بالأمير.**

هكذا ذكره الذهبى فى (سير اعلام النبلاء)، و وصفه بالواعظ المشهور المطرب و قال عنه: واعظ باهر حلو الإشاره رشيق العبارة،  
الا انه قليل

ص: ٢٥٨

١- الشيخ محمد السامى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

الدين. سمع من نصر الله الخشمانى و عبد الغفار الشيروى و جماعه.

قدم رسولا إلى بغداد من السلطان سنجر سنه احدى و أربعين [٥٤١] فأقام ثلاثة أعوام يعظ بجامع القصر و بدار السلطنه، و ازدحموا عليه، و أقبل عليه المقتفى و الكبراء، و أملى بجامع القصر.

روى عنه ابن الأخصر و حمزه بن القبيطى و محمد بن المكرم، و كان يضرب بحسن وعظه المثل.

قال أبو سعد السمعانى: لم يكن بثقه، رأيت له رساله بخطه جمعها فى إباحه شرب الخمر.

قال ابن الجوزى: له كلمات جيده، و كتبوا عنه من وعظه مجلدات.

ذهب ليصلح بين ملك و كبير فحصل له منهما مال كثير. و مات بعسكر مكرمسنه سبع و أربعين و خمس مائه.

و قيل كان يخل بالصلاه ليله حضوره السماع. و ذكر ليله مناقب على رضى الله عنه و أن الشمس ردت له، فاتفق ان الشمس غابت بالغيم فعمل أبياتا و هى:

لا تغربى يا شمس حتى ينتهى مدحى لآل المصطفى و لنجله

و اثنى عنانك ان أردت ثناءهم أنسيت ان كان الوقوف لاجله

ان كان للمولى ووقفك فليكن هذا الوقوف لخياله و لرجله

قال: فطلعت الشمس من تحت الغيم، فلا يدري ما رمى عليه من الثياب و الأموال. عاش ستا و خمسين سنه، الله يسامحه (انتهى).

و يبدو جليا من هذا الكلام ان الرجل كان شيعيا، و انه كان له مجالس يتحدث فيها بمناقب أمير المؤمنين ع، و كان منها المجلس الذى أشير اليه فيما ذكره الذهبى.

و من هنا كان الطعن فى دينه و نسبه إباحه الخمر و الإخلال بالصلاه اليه.

كما يبدو من الأبيات الشعريه الثلاثه انه كان شاعرا جيد الشعر.

و هؤلاء القوم لا-يبالون ان يقعوا فى التناقض فكيف يمكن أن يكون (واعظا باهرا) (يزدحم الناس عليه) (يقبل عليه المقتفى و الكبراء) و (يكتب من وعظه مجلدات) و (يضرب بحسن وعظه المثل).

كيف يحصل ذلك لمن هو قليل الدين يبيح الخمر و يخل بالصلاه!!!

**السيد مظفر على بن السيد خير الدين بن السيد مير خير الله الهندى**

القزوينى الحائرى آل خير الدين

. من اعلام القرن الثالث عشر للهجره.

أخذ العلم عن والده السيد خير الدين و حضر فى الفقه و الأصول على الشيخ محمد صالح البرغانى المتوفى سنة ١٢٧١ و شقيقه الشهيد و حضر فى الحكمة و الفلسفه على الآخوند آغا الحكمى القزوينى ثم رجع إلى موطنه الهند و كان من خواص وزراء السلطان غاز الدين حيدر و إقبال الدوله فى مدينه لکنهو احدى المراكز الشيعيه فى الهند و كان من أعيان العلماء سمعت من أحفاده ان له مؤلفات و لكن لم أفق عليها و هو أحد اعلام أسرہ آل خير الدين من البيوت العلميه فى كربلاء و قزوین. (١)

### معصومه خاتون بنت الفيلسوف الشهير صدر المتألهين محمد بن

إبراهيم بن يحيى القوامى المعروف بملا صدرا.

من ربات الفصاحه و البلاغه فى عصرها محدثه عالمه ذات صلاح و دين عابده زاهده حافظه للقرآن ولدت فى شهر شوال سنة ١٠٣٣ و توفيت فى شهر شعبان سنة ١٠٩٣ ببلده شيراز و دفنت بها قرأت على والدها ملا صدرا المتوفى سنة ١٠٥٠ ثم أخذت الأدب عن أختها زبيده و حضرت أيضا على أختها الأكبر أم كلثوم الماره الذكر حتى حازت مراتب العلم و الفضل و هى أصغر بنات صدر المتألهين الشيرازى و لما بلغت سن الرشد زفوها إلى الميرزا قوام الدين النيريزى صاحب التعليقات الهامه على الأسفار و من تلامذه صدر المتألهين الشيرازى ذكرها السيد شهاب الدين المرعشى النجفى فى مقدمه معادن الحكمة قائلا (الفاضله العالمه الأديبه معصومه خاتون زوجه العلامه الميرزا قوام الدين التبريزى من أجله تلاميذ والدها صدر المتألهين و له تعاليق على كتاب الأسفار ولدت فى شهر شوال سنة ١٠٣٣ ق و توفيت فى شهر شعبان سنة ١٠٩٣ هجرية ببلده شيراز). (٢)

### منصور بن إسماعيل.

قال الذهبى فى سير اعلام النبلاء:

العلامه، فقيه مصر، أبو الحسن التميمى الشافعى الضرير الشاعر.

قال ابن خلكان: له مصنفات فى المذهب، و شعر سائر، و هذا له:

لى حيله فى من ينم و ليس فى الكذاب حيله

من كان يخلق ما يقول فحيلتى فيه طويله

قال القضاعى: أصله من رأس عين، و كان متصرفا فى كل علم، شاعرا مجودا، لم يكن فى زمانه مثله، توفى سنة ست و ثلاث مائه.

و قال ابن يونس: كان فهما، حاذقا، صنف مختصرات فى الفقه، و كان شاعرا خبيث الهجو يتشيع، و كان جنديا، ثم عمى.

و قال أبو إسحاق: له مصنفات فى المذهب، أخذ عن أصحاب الشافعى، و أصحاب أصحابه، ثم قال: مات قبل العشرين و ثلاث

قلت: بل سنه ست و ثلاث مائه كما قدمنا.

### الشيخ منصور المرهون:

ولد فى (أم الحمام) احدى قرى القطيف الجنوبيه سنه ١٢٩٤ و توفى سنه ١٣٦٢.

تلقى علومه فى القطيف على يد الشيخ حسن على البدر (١٢٧٨ هـ ١٣٣٤ هـ) و الشيخ محمد النمر (١٢٧٧ هـ - ١٣٤٨ هـ) ثم هاجر إلى النجف الأشرف فى العراق و أقام ١٥ سنه مشتغلا بالدراسه و العلم عاد بعدها إلى وطنه عالما فاضلا.

و فى القطيف كان يفكر و يخطط لبناء حوزة علميه تعيد للقطيف شيئا من ماضيها حيث كانت تسمى النجف الصغرى و قد استفاد من منبر خطابته لبث الفكره و تشجيع الناس على دعمها.

كما تحدث مع العديد من العلماء و الشخصيات حول سبل تنفيذ فكرته

ص: ٢٥٩

---

١- الصالحى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

و تجسيد طموحه، و سافر إلى البحرين أيضا ملتصقا بدعم الفضلاء هناك لمشروعه.

و حينما علمت الحكومه السعوديه بخطته و تحركه لبناء حوزة علميه دينيه اقتحمت منزله مجموعه من (الفداويه) و أخذوه قسرا مع ولده الشيخ على المرهون و اقتادوهما إلى (الرياض) بامر من الملك عبد العزيز و بقي سجينا مخفورا مع ولده يعانى الأذى و الألم النفسى و حقق معه الملك عبد العزيز شخصا، فأبان للملك بأنه يريد بناء حوزة دينيه علميه لا تسبب اى إزعاج أو مشكله للحكومه، فالدروس المتداوله فيها هى اللغه و النحو و المنطق و الفقه و الأصول، و لكن الملك طلب منه التعهد بعدم التفكير فى الموضوع أو طرحه و على أساس هذا التعهد أطلق سراحه مع ولده.

و لم يلبث بعد هذا الحادث الا شهورا قليله حيث وافته المنيه.

و خلف ذريه صالحه تواصل مسيرته الارشاديه و فى طليعتهم:

- الشيخ على المرهون و هو أحد علماء و خطباء القطيف المعاصرين إمام مسجد (المسعوديه) (القطيف).

- الشيخ محمد حسن المرهون إمام مسجد (الدبائيه القطيف) و خطيب معروف.

- الشيخ عبد الحميد المرهون يقيم الجماعه فى (أم الحمام) و من أبرز الخطباء.

- الملا سعيد المرهون خطيب.

- الملا عبد العظيم المرهون خطيب و أديب.

- الملا صادق المرهون خطيب.

## **الملا مهدي بن الملا عبد على الشويكى الفلاحى.**

قال السيد على العدنانى الغريفي:

ولد فى مدينه الفلاحيه مركز منطقه الدورق، احدى مدن مقاطعه خوزستان، و نشا فيها و أخذ علوم العربيه على أبيه الخطيب الملا- عبد عليو تتلمذ عليه فى الخطابه حيث كان والده خطيبا شاعرا أديبا و كان يرقى المنابر فى الدورق غالبا فكان الواعظ و الخطيب فى مجالس العزاء التى تقام لسيد الشهداء أبى عبد الله الحسين ع. و لقد سار على خطاه ابنه المترجم له، فقد كان خطيبا مفوها و شاعرا ينظم الشعر فى المناسبات المختلفه و له فى مدح و رثاء العتره الطاهره قصائد عده و كان ظريفا خفيف الروح مرحها يحبه الناس و يجلوونه.

و الشويكى نسبه إلى الشويكه و هى قرية قرب مدينه القطيف و قد برز من هذه الأسره (الشويكى) علماء و شعراء و خطباء كثيرون. و قد انتقلت من الشويكه إلى البحرين و منه إلى مدينه الفلاحيه و قد اتخذوا هذه المدينه محل اقامه لهم إلى زماننا هذا.



وقد اختص المترجم له بزعماء اماره كعب العرييه التي تقطن الدورق و هو مركزها و معقلها الحصين و قد مدحهم بقصائده و كانوا ينعمون عليه و يصلونه و كذلك كانت للمترجم صله بالسيد محمد على بن السيد عدنان الغريفي في مدينه المحمره كانت بينهما موده اكيد فكان يتردد عليه و يحل ضيفا عنده كلما هبط مدينه المحمره و قد رثاه المترجم بقصيده لما توفي سنه ١٣٨٨.

توفي المترجم له في شهر ذى القعدة الحرام سنه ١٣٩٢ في مدينه الفلاحيه عن عمر ناهز الثمانين و قد نقل جثمانه إلى مدينه النجف الأشرف حيث دفن فيها.

خلف عنده أبناء ذكور و ترك ديوان شعر يتضمن قصائد في مدح و رثاء أهل البيت ع و هو موجود عند ابنائه و هم يحرصون عليه أشد الحرص و كتب مقتل الامام الحسين و هو كذلك عند ذريته و لم يطبع.

شعره

لم تتمكن من العثور على قصائده في الأئمة الاطهار ع و قد عثرنا على قصيده في رثاء رئيس بنى كعب الشيخ جابر بن الشيخ عبد الله الكعبي يقول فيها:

اهاب بنا الناعى عشيا فاظلما و أوجع منا كل قلب و اضرما

و اورى فؤاد المجد حزنا و لوعه غداه نعى الناعى الزعيم المعظما

نعى الماجد الضرغام (جابر) ذا العلى و من فوق هام الفرقدين تسنما

فقد راع قلب الشعب فقد زعيمه و أصبح منه الشرق و الغرب مظلما

لقد عم هذا الخطب شرقا و مغربا و أبكى الورى طرا فصيحيا و أعجما

فيا نكبه اوهت لكعب مناكبا و ضمت لها فى باطن الأرض ضيغما

و هدت لها طودا من العز شامخا منيع الذرى لا يستباح له حمى

فلا غرو ان تبكى له (آل ناصر) دموع دم تحكى السحاب إذا همى

و تغدو عليه (آل إدريس) نوحا ترى الحزن فرضا و السلو محرما

و تضحى له (النصار) قرحى قلوبها تجرعها الأحزان صابا و علقما

فقد كان فيهم طود عز و منعه فغادره صرف الردى متهدما

طوت منه بطن الأرض أسمر لهذما و ابيض مصقول الغرارين مخذما

و ليثا إذا الأبطال فى الروع أحجمت و حادت عن الموت الزؤام تقدا

و غيئا على العافين يهمنى نواله لى كل محل يشبه البحر مفعما

أقر له بالفضل كل معاند و أبصر منه المكرمات ذوو العمى

فكم رد ظلما عن ضعيف و كربه جلاها و كم أغنى من الناس معدما

**السيد مهدي الحكيم بن السيد محسن.**

**أشاره**

ولد سنة ١٩٣٥ م فى النجف الأشرف (العراق)، و اغتيل فى الخرطوم (السودان) سنة ١٩٨٨ م اتقن القراءه و الكتابه فى (كتاتيب) مدينه النجف، ثم انتظم فى سلك طلاب العلوم الدينيه فدرس على الشيخ محمد تقى الفقيه و السيد محمد على الحكيم و الشيخ حسين الحلى و السيد الخوئى و السيد محمد باقر الصدر.

و كان خلال دراسته يلقى المحاضرات التبليغيه فى الجامع الهندى على من يحضر من الشبان، ثم امتد نشاطه إلى بلده (قلعه سكر) مبلغا داعيا إلى الهدى. و فى النجف كان يخطب الجماهير المتجمعه فى

ص: ٢٦٠

(الصحن الحيدري)، في موضوعات الساعه الاجتماعيه و السياسيه. و في أوائل سنه ١٩٦٤ م انتقل إلى بغداد فسكن الكراده الشرقيه اماما لمسجد التميمي.

ثم ساهم في إنشاء مدارس الامام الجواد ع في بغداد و الكاظميه و كذلك في إنشاء كليه أصول الدين التي صار من مدرسيها. كما ساهم في إنشاء العديد من المساجد و الحسينيات في مناطق بغداد المختلفه. و عند ما تم تشكيل (جماعه العلماء) في بغداد و الكاظميه كان من أركانها.

و لما ألغى النظام التكريتي مشروع جامعه الكوفه و صادر ما تجمع لها من اموال قابل باسم والده الحكام المسيطرين محتجا على ذلك. و فعل مثل هذا عند تسفير من كانوا من أصل ايراني و إلحاق غيرهم بهم، و عند إلزام طلبه العلوم الدينيه بأداء الخدمه العسكريه.

و أرادت السلطه التخلص منه فوجهت اليه تهمة محاوله الاطاحه بالسلطه بقصد القبض عليه و محاكمته، و لكنه استطاع التوارى ثم الانتقال إلى خارج العراق، فوصل إلى (الدرعيه) في نجد ثم انتقل إلى عمان في الأردن ثم إلى ايران، و بعد اقامه أشهر فيها غادرها إلى الباكستان حيث أقام في كراتشي، ثم انتقل منها إلى (دبي) في الإمارات العربيه المتحده فاستقر فيها، و عمل على إنشاء مسجد الامام علي و إداره الأوقاف الجعفريه و صندوق البر و الإحسان. و بعد اقامه ثمانى سنين في دبي انتقل إلى سوريا فأقام فيها عاما واحدا ثم انتقل إلى لندن فاستقر فيها نهائيا.

و في لندن كان من المساهمين في إنشاء منظمه حقوق الإنسان في العراق و لجنه رعايه المهجرين العراقيين، و مركز أهل البيت (ع) الذي تحول إلى اسم (رابطه أهل البيت الإسلاميه العالميه) التي من انجازاتها الدعوه إلى مؤتمرين اسلاميين عالميين انعقدا في لندن.

و كان منشغلا في أيامه الأخيره بتجميع فضائل المعارضه العراقيه، و كانت عيون النظام التكريتي تلاحقه فما أن دعى إلى حضور مؤتمر اسلامي في الخرطوم كانت الداعيه اليه (الجبهه الإسلاميه القوميه) و وصل إليها حتى كان زبانيه النظام يطلقون عليه الرصاص في فندق هلتون يوم ١٧ كانون الثاني سنه ١٩٨٨ فانتقل إلى جوار ربه مضرجا بدمه منضمًا إلى قافله الشهداء الأبرار من أبناء و أحفاد السيد محسن الحكيم الذي استحق بحق لقب (أبو الشهداء).

## مراثيه

قال الأستاذ ضياء فرج الله يرثيه:

طالت لياليك فانزف أيها الوطن دما يضىء على مشكاته الزمن

و خل جرحك يدمى ليل غربتنا عسى يفيق الظلام المر و الوسن

مشردون.. و تخشى الأرض سطوتنا و نازفون و من أوداجنا المزن

يا أيها الوطن المسبى معذره ان غال وجهك في ريعانه درن  
فداء طلعتك السمراء كل دم يشب فيه الهوى و الوجد و الشجن  
و حسب ابنائك الغادين يوم غلت لقياك: أن لها (مهديك) الثمن  
الله.. ما وهبت كفاك طبعه؟ حتى تعجب منها الممطر الهتن  
أى الشرايين روت للظى عطشا فاخضر بالتزف رمل و استوى غصن  
و بالشرايين تمشى أنت مبتهجا؟ هلا يخيفك هذا المركب الخشن  
كان موتك عرس فى براءته و أنت للحب مهر جامع أرن!  
غفران جرحك أن نسلو مواجهه و نرتجى غير ما تهواه يا وطن  
و أن نقر و فى اضلاعنا حرق و أن ننام و تغفو العين و الأذن  
نحن الحفاه تهز الليل صرختنا و سوف يهوى على أصدائها الوثن  
للشوك اقدامنا.. للجمر أكيدنا أو تستلين لنا منقاده فتن  
و عند بغداد سر ليس يعرفه إلا المحبون: - من ضحوا و من فتنوا  
ما هاجرت فى سهيل الريح مبحره إلا و عادت إلى شيطانها السفن  
و الصادقون متى البلوى تنازلهم شدوا القلوب على البارود و احتضنوا  
قوم.. دم (الصدر) و (المهدى) علمهم أن المنيا إذا ما أطبقت منن  
كالنخل ماتوا و قوفا فى مصارعهم و هل يميمت شموخ النخلة الوهن؟  
أخا الرحيل رويدا.. تبتغى ظعنا؟ و كل أهليكم فى أكفانهم ظعنوا!  
عشرون طفت بها الدنيا فلا أمم ضمت جناحيك - أفياء - و لا مدن  
كنت الشريد تجوب الأرض مختنقا و زادك الهم و الأوجاع و المحن  
يا وجهنا المتعب الدامى ائلق فرحا ناداك ربك: إن الجنه السكن

سافر إلى الله و احمل مر غصتنا و قل: إلهى هذا الوجد و الحزن

و ما أفلته روح و هى صابره يكاد ينشق من آهاتها الكفن

يهنى العذابات مجد أن تنوء بها و قبل ناء أبوك المحسن الحسن!

و قال الشيخ محمد رضا صادق مؤرخا وفاته:

وجه العراق الحر بل مهديه و جدى عليه، غيابه أشجاني

قتلته فى السودان غدرا زمره بعثيه.. فمضى فتى الفتان

آل الحكيم له اهتضاما أرخوا (مهدينا قد غيل بالسودان)

(١٤٠٨)

ص: ٢٤١

و وصلنا هذان البيتان و لم نعلم لمن هما، و هما يؤرخان الوفاة أيضا:

من دولة السودان وافانا الأسي يا مسلمون بوجد نعي محزن

خانوا ضيافه ضيفهم أرخت (فه بشهاده المهدي شبل المحسن)

## الشيخ مهدي بن الشيخ جعفر المعروف بأغا ميرزا كوجك بن الشيخ

جعفر بن الشيخ محمد الأشتياني.

ولد في طهران سنة ١٣٠٦ و توفي بها سنة ١٣٧٢ كان من فلاسفه الشيعة و عرفاء الاماميه و أساتذه الفلسفه العاليه المبرزين النابهين في طهران هو من اعلام آل الأشتياني البيت العلمى في طهران و هو ابن أخ و صهر الشيخ حسن الأشتياني على بنته.

قرأ المقدمات على جمع من فضلاء (طهران) ثم حضر على أبيه [و] الشيخ مسيح الطالقاني و السيد عبد الكريم اللاهيجي و الشيخ فضل الله النوري و أخذ الفلسفه العاليه عن الشيخ حسن الكرمانشاهي و المير شهاب الدين النيريزي و الميرزا هاشم الإشكوري و تخرج في الطب على الميرزا أبو القاسم النائيني، و ناظم الأطباء النفيسي و غيرهم حتى سنة ١٣٢٧ حيث قصد العتبات المقدسه في العراق و حضر في النجف الأشرف في الفقه و الأصول على الشيخ محمد كاظم الخراساني صاحب الكفايه و السيد كاظم اليزدي صاحب العروه الوثقى و الميرزا محمد حسين النائيني و آغا ضياء العراقي و السيد أبو الحسن الأصفهاني، ثم رجع إلى موطنه طهران و كان أستاذ الفلسفه الالهيه العاليه في طهران و انحصر به هذا الفن إلى آخر عمره و تخرج عليه كوكبه من فحول الفلاسفه و أكابر العلماء منهم الميرزا أبو الحسن الشعراني و الشيخ مرتضى المطهري و الدكتور جواد الفلاطوري و السيد جلال الدين الأشتياني و الشيخ على محمد الجولستاني و الشيخ محمد رضا الرباني و الدكتور مهدي الحائري و بديع الزمان فروزانفر و الدكتور الآيتي و غيرهم ترك آثارا و مؤلفات هامه في الفلسفه فكان شارح المدرسه الفلسفيه في القرن الأخير الا- أن مذاقه العرفاني قد غلب في مؤلفاته و تحقيقاته على مشربه العقلي في مدرسته الفلسفيه. من مؤلفاته المطبوعه. ١- أساس التوحيد طبعه في طهران. ٢- تعليق على منطق المنظومه طبعه في طهران، ٣- تعليق على حكمه المنظومه طبعه في طهران و له تعليق على الشفاء و تعليق على الأسفار لصدر المتألهين الشيرازي و تعليق على الإشارات لابن سينا، و له شرح الفصوص، و شرح مصباح الأنس و شرح فصوص الحكمه و غير ذلك من التعليقات و الشروح التي يعتبر كل منها كتابا خاصا. (١)

## السيد موسى بن السيد على بن السيد مهدي بن السيد المير بزرگ بن

السيد المير بابا بن السيد المير فاضل الحسيني الزرآبادي القزويني.

ولد في قزوین سنة ٢٩٤ [١٢٩٤] و توفي بها في ٢ ربيع الثاني سنة ١٣٥٣ و دفن في الإيوان الشرقي من صحن الشاه زاده الحسين بن الامام الرضاع بقزوین.

كان من أكابر علماء عصره ماهرا في كثير من الفنون لا سيما في الفلسفه و العرفان الإلهي قرأه في قزوین على جملة من العلماء

منهم الشيخ رضا بن الشيخ عبد الحسين البرغانى القزوينى و الشيخ ملا على أكبر السياه دانى فى المدرسه الصالحيه ثم هاجر إلى طهران و اشتغل فى مدرسه الصدر و مدرسه سبهسالار و أخذ الفلسفه و العرفان من الفيلسوف الشهير السيد أبو الحسن الجلوه المتوفى سنه ١٣١٤ و الميرزا حسن الكرمانشاهى المتوفى سنه ١٣٣٦ و الميرزا شهاب الشيرازى و الشيخ على النورى ثم رجع إلى موطنه قزوین و شغل كرسى التدريس و كان من فحول المدرسين خصوصا فى العلوم العقليه و العرفان الالهى و تخرج عليه جماعه من العلماء أشهرهم الشيخ الميرزا مجتبى القزوينى الخراسانى صاحب كتاب بيان الفرقان و الشيخ على أكبر الالهيان. و المترجم له هو سبط الشيخ آغا كريم الروغنى القزوينى و له مؤلفات شاهدهتها عند نجله العالم الفاضل السيد جليل الزرآبادى فى قزوین منها ١ - حاشيه على الكفايه فى مجلدين، ٢ - حاشيه على منظومه السبزوارى. ٣ - حاشيه على الإشارات قسم الإلهيات و المنطق - ٤ - شرح سلامان و آيسال ٥ - أصول الدين فارسى. ٦ - الاعتقادات بالعربيه. ٧ - المواعظ فارسى و كان المترجم له من رواد مدرسه الشيخ الرئيس ابن سينا و الفيلسوف الشهير المولى عبد الرزاق اللاهيجى صاحب الشوارق المتوفى سنه ١٠٥١ فى إثبات أحد الأصلين اى أصاله الماهيه و ما يترتب عليها و ينكر القول باصاله الوجود التى يقول بها صدر المتألهين ملا صدرا الشيرازى كما رأيت فى رسائله و مؤلفاته الفلسفيه منها حاشيه على المنظومه للسبزوارى. (٢)

## الشيخ موسى العصامى بن محسن.

### إشارة

ولد فى النجف حدود سنه ١٣٠٠ و توفى فى كربلاء سنه ١٣٥٥ و نقل جثمانه إلى النجف فدفن فيها.

العصامى: نسبه إلى العصامات و هم أحد أفخاذ (جليحه) القبيله الفراتيه الشهيره ذات الفروع الكثيره. درس فى النجف و برز فضلا و خطابه و وعظا و إرشادا. و يبدو أنه كانت له نقدرات قاسيه أوجبت نغمه عليه حتى اضطر لترك النجف و التنقل فى العراق من بلد إلى بلد حتى وافاه اجله فى كربلاء.

له من المؤلفات: الدعوه الحسينيه، البيان و التبيان فى الجامعه بين السنه و القرآن، و كتاب فى علم الكلام، و منظومه فى الامامه، و غير ذلك:

### شعره

من شعره قصيده نظمها فى كربلاء فى المرض الذى توفى فيه:

كم ليله سهرت بها عين امرئ سلبته ايدى الظالمين قراره

يطوى الدجى متمللا فى حسره فتت مرارته و أذكت ناره

و جلا كئيب النفس خاطر ليله بحياته فيه و خاف نهاره

لا يعرف الحلوين أيهما له اهدى و أيهما يعز جواره

لا يستغاث و لا يرى من منجد الا دموعا فكثر استعباره  
قعد الزمان و اهله عن نصره و لطالما ملأ الملا أنصاره  
أ تراه فى أطواره اختار البلى فيها أم البارى اليه اختاره  
أم ان أسباب الوجود تراحمت اطوارهن فغيرت أطواره  
و جرى التجارب فى تفاعله له فى الكائنات فبدلت أفكاره  
دعها فتلك سفاسف و زخارف قبلت بذات مثلت إدياره

ص: ٢٤٢

---

١- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.



بالأمس كان و كل طرف طامح لشعوره و يرى الرقى شعاره  
كان المفدى فى النفوس إذا بدا و اليوم تكره نفسه اخباره  
و إذا ترست المحافل خلته بدرا أشاع بصدرها أنواره  
و اليوم غاب النجم عنه و لم يغب الا عفاه فأنكرت آثاره  
اي النفوس ترد عن صرح العلى سقطت و يرقى غيرهن مناره  
و إذا الأمور لها بصرف طباعها حكم فقد عم الورى إجباره  
قف و اترك المسعى فدونك حاجز الا إذا ما بدلت أدواره  
و قال فى يوم الغدير من قصيده:

لك فى الوجود حقيقه لا تكشف تعب الأولى لك حدودا أو عرفوا  
تاهت بمعناك الورى و تحيرت فيك العقول فلم تكن لك تعرف  
و لقد تجلت من علاك أشعه فى الخافقين بها البصائر تخطف  
فعمى بها قوم و أبصر معشر وجه الحقيقه و استهام المدفق  
فقلتك طائفه و اخرى فيك قد غالت و قد هلك الجميع و أسرفوا  
حسبتك أنت الله فى ملكوته الأعلى و أنت الواحد المتصرف  
ما أنت الا عبده و وليه لا سابقا ازلا و لا مستأنف

**الشيخ موسى الهر بن جعفر.**

توفى سنه ١٣٦٩ فى كربلاء.

نشا فى حزن أبية الفقيه الشاعر فشب بعد ان تلقى عنه و عن أساتذه آخرين علوم العربيه و الدين و نظم الشعر فى عدة مناسبات  
قال من قصيده عنوانها (فى البقيع):

مصاب دهى الإسلام و الشرعه الغرا فأمست برغم الدين أعينها عبرى

مصاب له شمس العلوم تكورت و أنجم سعد الدين قد نثرت نثرا

مصاب له عين النبي بكت دما و حيدر و الطهر فاطمه الزهراء

و قامت أصول الدين تنعى فروع بحادثه فقماء زلزلت الغبرا

فاضحت عيون الرشد تهمل بالدماء و أصبح وجه الغي مبتسما ثغرا

فهل نابها من فادح الدهر فادح اسال عقيق الدمع من مضر الحمرا

و عادت لنا الأيام يوم مذله به أصبح الإسلام منقصا ظهرا

أجل جل رزء الدهر هدم قبورهم له انبجست عين الورى أدمعا حمرا

أ ثامن شوال غدوت محرما و قد نصبت فيك المآتم فى الشعرى

و له تقرىض لكتاب "رسالة المعجزه و الإسلام فى أصول الدين و فروع الدين" للسيد محمد هادى الحسينى الخراسانى:

هادى الأنام و مرجع الأحكام نصر الهدى فى معجز الإسلام

قسم له فى العلم أوفر قسمه و العلم كالارزاق بالاقسام

علم التقى الهادى يضيئ كأنه صبح تلبج من خلال ظلام

فخرت شريعتنا بمفخر سيد فخر الشرائع فيه و الأحكام

الله أكبر أنت أكبر آيه ظهرت بأكبر آيه الاعلام

ما أظهر البارى حقيقه فضله الا ليظهر معجز الإسلام

تقف العقول حواسرا من دوله ما بين اقدام إلى احجام

بمباحث للحق فى ميدانها احجام كل سميدع مقدام

ببلاغه مقرونه بفصاحه ترمى فصيح القوم بالاعجام

اقلامه افتخرت على سمر القنا فرأيت كل الفخر للأقلام

لله درك اى در غصت من بحر العلوم زها كبدر تمام

و قال مقرضا كتاب "نهضة الحسين" للعلامة السيد محمد علي هبه الدين الحسيني:

مرشد الحق إلى الرشدها فاهتدى من لنداه استمعا

قائلا سيروا بمنهاج الهدى و اطلبوا سبل المعالى اجمعا

كم له نهضة عز دونها أنجم الخضراء تعنو خضعا

### قادر نادر ميرزا القاجارى.

ابن بديع الزمان صاحب الاختيار ابن محمد على قلى ميرزا بن فتح على

شاه.

مرت ترجمته فى الصفحه ٢٠٠ من المجلد العاشر و نزيد عليها هنا ما يلى:

ورد فى ترجمته انه بدأ تأليف كتابه (تاريخ تبريز) سنة ١٣٠٣ و فرغ منه فى ٢٢ المحرم سنة ١٣١٤.

و لكن جاء فى كتاب فارسى فى تراجم رجال تبريز أن المترجم ولد سنة ١٢٤٢ و توفى سنة ١٣٠٣ و انه جاء تبريز و عمره ١٥ سنة و انه درس النحو و الصرف على ملا محمد على، و العلوم على ملا محمود توجى و أن استاذة هذا كان من أفضل فضلاء عصره. و ان المترجم يقول فى مقدمه كتابه (تاريخ تبريز): كنت أحب تبريز و علماءها و تعرفت فيها على أستاذ أديب متقدم فى السن اسمه محمد على كنت اذهب اليه من الظهر حتى الغروب

ص: ٢٦٣

مع حرص كبير على تعلم النحو و الصرف و اللغه.

و أن للمترجم من المؤلفات عدا كتابه (تاريخ تبريز) كتباً في علوم النجوم و الأمثال العربيه و أنه كان شاعراً، و أن ألف (تاريخ تبريز) في أواخر حياته. و انه كما كان أبوه حاكماً لولاية آذربيجان، فقد حكم هو قسماً من تلك الولاية و أن الحاكم محمد رحيم خان تسقجي حاربه حرباً شديده حتى أدى الأمر إلى ان هدم داره و نهب أمواله و ظل على حربته له حتى مات فاستراح المترجم.

## السيد ناصر بن احمد البحراني

نزير البصره.

مرت ترجمته في الصفحه ٢٠١ من المجلد العاشر، و سقطت في السطر العشرين من العمود الثاني بعد كلمه: (في الجوده) هذه الجملة: "فطلب منى إنشادها و ألح على ذلك، فقلت له: يا مولانا هي من هذا البحر و على هذه القافيه".

كانت بينه و بين السيد جعفر الحلبي مراسلات شعريه، فمن ذلك ما كتبه اليه الحلبي:

برامه أوطان لنا و ربوع سقاهن من فيض السحاب هموع

و روحها غض النسيم بنافح شذا الشيخ و القيصوم منه يצוע

نعمت صباحا يا مرابع رامه و حياك بسام العشى لموع

إلى ان يقول:

عميد بنى الاشراف من آل هاشم يطيب الثنا في ذكره و يצוע

تورث من اهليه ثوب رئاسه به لخلق المكرمات ردوع

كساه به من البس الشمس بهجه و ليس لما يكسو الإله نزوع

تحف به يوم الندى اريحيه تعودها حتى يقال خليع

خصيب حمى و المحل ملق جرانه يطبق وجه الأرض منه هزيع

فلا بمصاب الغيث توجد قطره و لا بحمى المرعى يصاب ضريع

ثراه يطيب الزاد للضيف و الروى إذا الناس طرا اعطشوا و اجيعوا

إذا الضيف وافى تعلم الكوم انه سينهل من اوداجهن نجيع

فيا ناصر الإسلام يا فرع دوحه ضرين لها فوق السماء فروع  
سلمت لنا ابيض نحوك شارع و ما طاب للوراد منك شروع  
و لا زال واديك الخصيب تؤمه رذايا رجاء و خدهن سريع  
تناخ على ارجاء واديك لغبا خماصا فيقريهن منك ربيع  
و جودك غوث للعصاه مروع و جودك غيث للعفاه مربع  
تثقف فى يمناك فى كل معضل يراعا قلوب الشرك فيه تروع  
فاسطره للمشركين سلاسل كما انها للمسلمين دروع

### السيد ناصر بن السيد هاشم بن السيد احمد بن السيد حسين آل السيد

سليمان الموسوى الاحسائى.

ولد فى الإحساء سنة ١٢٩١ و توفى سنة ١٣٥٨ فى الإحساء و دفن فيها.

كان من فقهاء العصر و أكابر علماء الشيعة انتهت اليه المرجعية فى الإحساء. قرأ الصرف و النحو و المنطق و المعانى و البيان و سائر المقدمات إلى شطر من السطوح على والده فى موطنه و فى سنة ١٣٠٩ توفى أبوه الزعيم الرئيس هناك فهاجر المترجم له إلى النجف الأشرف و أخذ الفقه و الأصول عن الشيخ محمد طه نجف و الشيخ محمود ذهب و الشيخ ملا هادى الطهرانى ثم رجع إلى موطنه الإحساء و أخذ الفلسفه هناك على الشيخ محمد بن عيثان و بعد مده رجع ثانيه إلى النجف و تخرج فى الفقه و الأصول على الشيخ ملا محمد كاظم الخراسانى صاحب الكفايه و شيخ الشريعة الاصفهانى و السيد أبو تراب الخونسارى و منها قصد إلى ايران لزياره الامام الرضا (ع) و مكث فى خراسان مده ثم رجع إلى موطنه الإحساء بطلب من أهلها و بقى فيها حتى وفاته و رثاه جماعه منهم الشيخ محمد السماوى بقوله مؤرخا عام وفاته:

قضى ناصر الدين الوحيد بعصره فراح عليه بالشجاء معاصره

فان يبكه الدين الحنيف فإنه على ذمه التاريخ (غيب ناصره)

و قد أرخ وفاته أيضا الشيخ جعفر النقدى بقوله:

اضحت محاريب الهدى تبكى الهدى و منابره

دين النبى الطهر مذ أرخت (غيب ناصره)

و وصفه الشيخ جعفر النقدي فيما جمعه الشيخ محمد حسن الشخص من أقوال قيلت فيه (كان من اجلاء فقهاء الشيعة و من خير الأقطاب الذين تدور بعلمهم و آدابهم رحي الشريعة مثالا للأخلاق الفاضله و الصفات الكريمة و قدوه صالحه للورع و التقوى و الزهد و مكارم الأخلاق و حب العلم و أهله و كان على جانب عظيم من الصراحة في أقواله و أفعاله في معزل عن الدنيا و أهلها و حطامها لم تأخذه في الله لومه لائم و لا يصدده عن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر عذل عاذل و لذلك لاقى في حياته صدمات لا يستهان بها من ذوى الأغراض و الأمراض و أنجاه الله منها بحسن سيرته و صفاء سريره عرفته نور الله مرقده منذ ثلاثين سنه في النجف الأشرف و حضرت مجالسه الموقره و درست أخلاقه الكريمة و شيمه الطاهره فما وجدته في سائر أدواره و أطواره يفتر عن العلم و التحدث به ساعه من الساعات مدرسا و مباحثا و روايا و ناقلا إلى غير ذلك مما يشتغل فيه أساطين العلماء و أعظم المحققين و كان آيه في الفهم و الذكاء و التحقيق و التدقيق...).

و كان إلى ذلك شاعرا فمن شعره قوله في رثاء الحسين ع:

هذى مضاجع فهر أم مغانيها أم السماء تجلت في معانيها

فحط رحل السرى فيها و حى بما يجرى من العين دانيها و قاصيها

قوم على هامه العلياء قد بنيت لهم بيوت تعالى الله بانيها

ص: ٢٦٤

و معشر للمعانى الغر قد شرعوا طرقا بأخلاقهم ما ضل ساريها  
و أسره قد سمت كل الورى شرفا فلم يكن أحد فيه يدانيها  
لووا عن العيش اعطافا أبين لهم مس الدنيه تكريما و تنزيها  
فقاربت بين آجال لهم شيم إذ المنايا طلاب العز يدنيها  
رأوا حياتهم فى بذل أنفسهم فى موقف فيه حفظ العز يحييها  
فى الهام امست تغنى بيضهم طربا و سمرهم تشنى فى الحشا تبيها  
و الخيل من تحتهم فلكك جرى بهم فى موج بحر دم و الله مجراها  
و النقع قام سماء فوق ارؤسهم آفاقها أظلمت منه نواحيها  
لكن أجرامهم قامت بها شها لو لا ضياء شهاها ضل ساريها  
ترمى العدى بشواظ من صواعقها فلا ترى مهريا منه أعاديها  
و شاء أن يجزى البارى فعالهم من الجزاء باوفى ما يجازيها  
دعاهم فاستجابوا إذ قضاوا ظما بأنفس لم تفارق أمر باريها  
فصرعوا فى الوغى يتلو ماثرهم فى كل آن مدى الأيام تاليها  
و له قصيده يرثى بها زيد الشهيد بن الامام زين العابدين ع:  
عج بالكناس و عج بربع لم تزل فيه تحط رحالها الوفاد  
و أقم رويدا موقدا نار الاسى فهنا يحق لناره الإيقاد  
و اندب و قل بعد السلام لمن به بيت المعالى و الحفاظ يشاد  
با [يا] "زيد" زدت علا بخير شهاده هدت لوقع مصابها الأطواد  
و هنالك الذكر الجميل سما له بين الورى علم و قام عماد  
لله درك من غيور للهدى و شديد بأس دونه الآساد

فيك استغاث من العدى مستنجدا إذ كان منحصرًا بك الأنجاد

فأغثته بوغى لكاس حمامها بشبا حسامك تكثر الورد

و بمعرك ملئت بأجساد العدى منه رحاب للفلا و وهاد

القحتها حربا و ولودا للردى و لها القوابل مرهف و صفاد

أفديك من بطل وجود بنفسه فى موقف بخلت به الأجواد

و له قصيده فى رثاء جده أمير المؤمنين على بن أبى طالب و يتخلص برثاء ولده سيد الشهداء الحسين ع:

لا تلمنى فالنفس طال عناها من غموم يذكى الملام لظاها

لست أدرى و لن أرانى أدرى اى ذنب لسيد الرسل طاها

يوم خانت عهوده فى أخيه امه قد غوت و طال عماها

أضمرت حقدها له و هو حى فغدت فى أخيه تشفى جواها

## ناصرى النصارى

### إشارة

مر بحث عنه فى الصفحة ٢٠٥ من المجلد الثالث [العاشر] من الأعيان، كما مر بحث عن تحالفه مع ظاهر العمر و على بك الكبير فى الصفحة ٢٤٣ من المجلد الأول من المستدركات. و نشر هنا عنه بحثا آخر بقلم الدكتور محمد حمود، تتبعه بحث عن احمد باشا الجزائر، ثم بحث عن على بك الكبير لارتباط أمرهما بامر ناصرى ارتباطا متصلا:

الحاله السياسيه فى جبل عامل قبل ناصرى النصارى

عاش جبل عامل قبل ظهور ناصرى النصارى نصف قرن فى صراع دائم و صدام مستمر مع الأمراء الشهابيين. إذ كان يصير هؤلاء، يساعدهم على ذلك والى صيدا العثمانى على السيطره على جبل عامل لأهميته الاقتصادية بالنسبه إليهم. فهو يشكل بنتاجه الزراعى متمما اقتصاديا للشوف الذى تقل فيه زراعه الحبوب. يضاف إلى ذلك بعض الاعتبارات المذهبيه.

و كانت زعامه آل الصغير فى بلاد بشاره تناضل دائما من أجل تحقيق شكل من أشكال الاستقلال الذاتى للجبل. و كانت الزعامه فى هذه المرحله بعد ١٦٩٧ قد انتهت إلى الشيخ مشرف آل الصغير الذى حاول عن طريق مناصرته للزعامه اليمنيه، المناوئه للزعامه القيسيه الجديده ان يضمن استقلال الجبل. و أعلن العصيان على والى صيدا ارسلان باشا سنه ١٦٩٨ و قبض على جماعه من غلماناه.



استنهض الوالى ارسلان باشا الأمير بشير الشهابى الأول على الشيخ مشرف و أطلق للأمير ولايه صفد و مقاطعات جبل عامل.  
زحف الأمير على العاملين و استطاع ان يهزمهم قرب قريه "المزرعه" و قبض على زعيمهم الشيخ مشرف و أخيه الحاج محمد و  
مدبرهما الحاج حسين المرجا و أرسلهم لأرسلان باشا الذى سجن الشيخين و قتل مدبرهما(١) و كان آل صعب و آل منكر  
العاملين حكام مقاطعه الشقيف و اقليمى الشومر و التفاح قد حضروا إلى الأمير و أطاعوه و أظهروا التعصب للقيسيه فقبلهم و  
قررهم على ديارهم و لاه من قبله.(٢)

و هكذا خسر جبل عامل جولته الأولى فى سعيه للاستقلال الذاتى عن الوالى العثمانى و انتهى إلى سيطره الأمير الشهابى حتى  
كانت سنه ١٧٠٥ حين تولى الأمير حيدر الشهابى اماره الشوف و عزل ارسلان ارسلان [ باشا عن ولايه صيدا، و خلفه أخوه بشير  
باشا فأفرد ولايه صفد و ولى عليها ظاهر العمر

ص: ٢٦٥

١- الزين.

٢- حيدر شهاب و طنوس الشدياق.

و أقر آل صعب و آل منكر على مقاطعاتهم و أعاد ال الصغير إلى ولايه بلاد بشاره و لاه من قبله. (١)

و ما ان عاد آل الصغير إلى حكم مقاطعاتهم من قبل والى صيدا حتى بدأ حينهم إلى "الاستقلال" يعود من جديد. فعملوا بإخلاص على توحيد صفوف العاملين فانضم إليهم آل منكر و آل صعب "لما بينهم من الاتحاد بالتشيع و التعصب لليمنيه" (٢).

و لكن الأمير حيدر ما لبث ان تمكن من "شراء" ولايه جبل عامل من والى صيدا. و هكذا أعلن والى صيدا حيدرا الشهابى حاكما على جبل عامل. رفض العامليون هذا الأمر فنهض إليهم الأمير حيدر من دير القمر سنة ١٧٠٧ و بلغ بلده النبطيه التى اجتمع فيها العامليون استعدادا لقتاله و جرت المعركة بين الفريقين خارج البلده و تمكن الأمير حيدر من الانتصار على العاملين و ارتكب بحقهم ايشع المجازر. و أجلى آل الصغير ثانيه عن حكم بلاد بشاره و تولاهما محمود أبو هرموش من قبل الأمير حيدر لجبايه المال المرتب عليها.

و لئن جعل المؤرخون الشهابيون أسباب هذه الحمله مجرد "مخرقه" العاملين فى أطراف بلاد الشوف فان الشيخ على الزين ذهب بعيدا و جعل:

"غزو الأمير حيدر للنبطيه جريا على خطه رسمت للشهابيين فى الخفاء يستشفها الباحث من تاريخ سلفه الأمير بشير الأول سنة ١١١٠/١٦٩٨ و تاريخ خلفه الأمير ملحم ١١٤٤/١٧٣٢ ثم خلفه الأمير يوسف ١١٨٥/١٧٧٠ يوم جعل كل منهم باكوره اعماله فى حكم الشوف غزو بلاد المتاوله و نهبها". (٣)

و من يعد إلى المصادر التاريخيه يلاحظ أن آل الصغير كانوا لا يطمنون إطلاقا للأمرء الشهابيين، و أثبتت الوقائع التاريخيه انهم كانوا على حق فى ذلك - و لم يكن هم الولاة العثمانيين سوى جمع الأموال. اما رفض العاملين لسيطره الأمير الشهابى فكان منسجما مع رغبتهم فى الحفاظ على حريتهم و عاداتهم و عقيدتهم لذلك كان اتحادهم لمواجهة حكام الجور و تسلطهم و ليس "بدافع التشيع و التعصب لليمنيه" فحسب كما علله المؤرخ الشهابى مختزلا دوافع الكرامه الوطنيه:

و بدأت بعد معركة النبطيه حكاياه أخرى مع محمود أبو هرموش الذى جعل جل همه جمع المال من العاملين لإغناء ثروته. و لكنه ما لبث ان تمرد على الأمير حيدر نفسه و فر بالأموال إلى والى صيدا الذى حصل له على لقب باشا من الباب العالى و ولاه ولايه جبل لبنان مكان الأمير حيدر الذى ترك إلى غزير ليعود من جديد إلى دير القمر و يقضى على الحزب اليمنى قضاء نهائيا بعد معركة عين داره ١٧١١ و التى هزم فيها أبو هرموش و ولاه الشام و صيدا مجتمعين.

و هكذا بعد خروج أبى هرموش من جبل عامل و بعد معركة عين داره حضر عثمان باشا أبو طوق و أراد أن يسترضى العاملين فأعاد آل الصغير إلى حكم الجبل مع ذلك لم يسلم الجبل من محاوله "شهابى" آخر التحكم به.

و بالفعل فان أمير حاصبيا هذه المره الأمير قاسم الشهابى سنة ١٧١٢ حاول السيطرة على الجبل و لكنه لم يوفق إذ استطاع المشايخ المحليون ان يعودوا إلى حكم مقاطعاتهم و أن بينوا السرايات فى مراكز حكوماتهم.

أثار ازدهار العاملين حفيظه الأمير حيدر و هاله ما أصبحوا فيه من قوه و استقرار فرحف فى سنه ١٧١٩ باثنى عشر ألف رجل إلى بلاد المتاوله و القبليه و بلاد الشقيف و إقليم الشومر و نهب البلاد و قتل نحو أربعين رجلا و أخذ منهم ألف و حرق البلاد و قطع الأشجار و هدم سرايات الحكومه هدمًا مريعًا و رجع إلى موضعه.(٤)

و بعوده الأمير حيدر إلى موضعه عاد العاملين إلى حكم بلادهم و عمرانها بعيدا عن تهديد الشهابيين لأن صراعا كان قد دب فى الشوف بين أبناء العمومه و الإخوه من الأمراء و استمر حتى تنازل الأمير حيدر إلى الأمير ملحم سنه ١٧١٩.

و كأنه لم يكف جبل عامل ما لقيه على أيدي الشهابيين إذ ما لبث ان ظهر طامع جديد بحكم الجبل و لكن هذه المره من الجنوب أعنى بذلك ظاهر العمر حاكم بلاد صفد و الذى كان "وإدا للأمير حيدر لكونه سنيا قيسيا".(٥)

استغل ظاهر العمر الظروف السيئه للعاملين بعد هزيمتهم امام الأمير حيدر فسار و معه أمراء صفد ١٧٢٢ لقتالهم و لكنهم الحقوا به هزيمه مره(٦) جعلته يحجم عن مقارعتهم ثانيه بل لعلها دفعته إلى السعى لاتخاذهم حلفاء له - كما سنرى فيما بعد - على مناهضيه داخل بلاده.

أما الأمير ملحم فإنه عند ما استتب له الأمر لم يخرج على سنه سابقه:

أمير شهابى جديد يزيد فى مال التزام جبل عامل من والى صيدا فيوليه عليه، فرفض عاملى... فحمله تأديبه شهابيه تنتهى كسابقاتها بقتل و دمار.

ففى سنه ١٧٣٢ التزم الأمير ملحم جبل عامل من أسعد باشا العظم والى صيدا فى ذلك الحين و كان ذلك ردا على ما اسماه شماته آل الصغير بموت والده "و قيل انهم من سرورهم خضبوا ذبول خيولهم بالحناء".(٧)

و رفض العاملين ولايه الأمير ملحم عليهم فقام هذا من دير القمر لقتالهم فمال لجانبه سلمان الصعبى والى مقاطعه الشقيف.. فأطلق له الأمان و بقى سائر أودهم بنى على الصغير للقتال فالتقى بهم فى أرض قريه يارون(٨)... فحصل النصر و الظفر للأمير ملحم و كسرهم و أهلك منهم خلقا و قبض على مقدمهم نصار(٩) و فر إخوته إلى جوياء فسار خلفهم ففروا إلى القنيطره فظفر بجماعه من غلمانهم فاهلكهم. ثم أطلق الغاره على تلك الديار فنهب ما فيها و قفل راجعا إلى ديار لبنان(١٠) و معه نصار الصغيرى و ولى على ديار بشاره حليفه سليمان الصعبى المذكور و بعد أيام عاد اخوه نصار و افتدوا أخاهم بمال وافر فأطلق الأمير ملحم سراحه و أعادهم إلى ديارهم و لاه من قبله.

و ينعم جبل عامل بشيء من الاستقلال الذاتى. لكن عند ما شعر الأمير ما حم بتزايد قوه العاملين قام بعمله كبيره ذهب ضحيتها العشرات من العاملين سنه ١١٥٦/ عرفت فى التاريخ باسم وقعه أنصار و التى يفهم من سكوت المؤرخين عنها و التناقض الذى وقعوا فيه حولها انها ربما كانت لأسباب محض مذهبيه.(١١)

يقول المؤرخ العاملى السببى: "١١٤٧ (١٧٣٣) صارت وقعه أنصار مع الأمير ملحم و أسر من الشيعه ألف و أربعمائه و مات فى الكنيف فى بيروت و مكث الأسرى و كانت الوقعه بفتوى الشيخ نوح.ن.

- ١- لبنان فى عهد الأمراء.
- ٢- ن. م.
- ٣- الزين.
- ٤- لبنان فى عهد الأمراء.
- ٥- ن. م.
- ٦- ن. م.
- ٧- ن. م.
- ٨- لبنان فى عهد الأمراء.
- ٩- هو والد ناصيف النصار.
- ١٠- لعله يقصد قلعه مارون التى كانت مركز آل على الصغير و هى قرب سلعا.
- ١١- العرفان.

و يتعامل بعض المؤرخين مع هذه الحمله بكثير من الريبه و يرون أن العاملين " أخذوا غدرا و اغتيلوا خارج القرية ثم نهبت و أحرقت و قتل جميع من فيها و بلغ عدد القتلى من الطرفين نحو ألف قتيل ".(١)

على الرغم من سلسله الهزائم هذه لم يلبث العامليون ان وحدوا صفوفهم ليحققوا أول انتصار لهم على الأمراء الشهابيين فى سنه ١٧٤٣! " فى سنه ١٧٤٣ كانت الوقعه بين المشايخ بنى متوال و أهالى وادى التيم و معهم دروز جبل الشوف و كانت الكسره على الدرود و عسكر وادى التيم و قتل منهم مقدار ثلاثمائه رجل و أحرقت المتاوله جميع قرى مرجعيون ثم اجتمعت المتاوله فى قرية النبطيه و أرادوا ان يغزوا جبل الدرود فمنعهم وزير صيدا.(٢)

و يشير الشيخ سليمان ظاهر إلى هذه المعركه و يعلق عليها بقوله: " و فى هذه المعركه يقول بعض الزجليين:

يا بنت مردم بك طلى و شوفى دخان مرجعيون غطى الشوفى

(٣) و هكذا مضى نصف قرن على الأقل فى و [ صراع دائم بين العاملين الذين يصرون على استقلالهم الذاتى و بين الأمراء الشهابيين: بشير الأول، حيدر، ملحم، الذين حاولوا اخضاع الجبل و سلبه خيراته بتواطؤ مكشوف مع ولاء الدوله العثمانيه.

و لم يخل هذا النزاع من خلفيات مذهبيه و هذا واضح من خلال حضور قوى لرجال الدين العاملين الذين استشهد عدد منهم فى ساحات المعارك دفاعا عن الكرامه و العقيده و الوجود.

و مع ان العاملين لم يكونوا دائما موحدى الصفوف إلا ان ما ينبغى تسجيله هو عدم حصول صدام مباشر بين الأسر العامليه. كما ان أيا من الأسر العامليه لم يقاتل مع الشهابيين ضد أشقائه من أبناء الجبل. و كان على الوحده الحقيقيه لأبناء جبل عامل ان تترجم نفسها مع ظهور ناصيف النصار كشيخ مشايخ جبل عامل.

## الشيخ ناصيف النصار الإنسان

ذكر الشيخ عبد المحسن الظاهر المعاصر - و هو من سلاله اسره ناصيف - ذكر نسب ناصيف النصار فى مخطوطه له بعنوان: "الدلاله العامليه بتاريخ الأسره الوائليه" نقلا عما ذكر الحاج محمد سهيل، و شبيب باشا الاسود [الأسعد] و حسين بك البندر عن حمد البيك و أقره عدد من شيوخ العائله قال:

ناصر النصار هو ناصيف بن نصار الثالث بن نصار بن أحمد بن نصار بن مشرف بن احمد بن نصار بن حسين بن على الصغير ثم استرسل الشيخ الظاهر فأوصل النسب إلى معد بن عدنان مما لا يعلم حقيقته الا الله. و بعد إيراده النسب قال الشيخ عبد المحسن:

هو أشهر من نار على علم: طائر الصيت عاطر الذكر رأس (رئيس) عامله على الإطلاق، مدبر شئونها و حامى صوتها و مفرج كربتها و معيد حريتها و محطم نير الاستعباد و مبيد الظلم و الجور و الاستبداد. جمع من المآثر الحميده. مواقفه فى الحروب مشهوره و أعلام ذكره بين الأنام منشوره حيث الرجال بالأفعال لا بالأقوال".

السيد محسن الأمين يذكر في ترجمته في "أعيان الشيعة": يقال له الشيخ ناصيف النصار جريا على العاده في إدخال الألف و اللام على اسم الأب حين إرادته نسبه الابن اليه. و لفظ الشيخ أحد ألقاب الأمراء في بلاد الشام. فأمراء جبل عامل و الأمراء الحماديون و غيرهم كانوا يلقبون بالمشايخ و الحرافشه و الشهابيون كانوا يوصفون بالأمراء. و كانت امره جبل عامل لثلاث طوائف: فأمرة بلاد بشاره لآل على الصغير و إمرة بلاد الشقيف للصعبيه و امره إقليم الشومر لآل منكر. و كان يطلق على ناصيف شيخ المشايخ أى أمير الأمراء.

و يذكر السيد محسن فى مخطوط اطلعنا عليه عند نجله السيد حسن الأمين: "زرنا قبره سنة ١٣٤٩ و قرأنا له الفاتحه فوجدناه قبراً بسيطاً قد بنى حوله أساس فقط. و العجب من أقاربه الذين ملكوا البلاد بعده كيف لم يبنوا قبره و يشيدوه مع انه أهل لذلك بما كان فيه من جميل الصفات من الشجاعه و الكرم و حفظ الجوار و جوده الرأى و محاسن الأخلاق و تعظيم العلماء و أهل الدين. و قد قتل شهيداً فى الدفاع عن استقلال بلاده و رد الظالمين الفراعنه عنها رحمه الله رحمه واسعه".

بعض المصادر التاريخيه التى اهتمت بجبل عامل تذهب إلى القول ان الشيخ ناصيف ولد فى قريه مجدل سلم القريه من تبين حيث توفى والده و حيث كانت اقامه الأسره فيما بعد طلوعها من قريه شحور.

و عبثاً نفتش فى المصادر التى بين أيدينا عن ذكر للسنة التى ولد فيها ناصيف النصار. غير أن مصادر الشيخ عبد المحسن الظاهر ذكرت عنه قوله: سمعت من بعض شيوخنا عن سلفهم انه لما قتل ناصيف النصار سنة ١١٩٥/١٧٨٠ كان عمره خمسا و ستين سنة "فتكون سنة ميلاده ١١٣٠/١٧١٥ و كما كان مولده غامضاً كذلك كانت نشأته أكثر غموضاً إلا انه تجدر الإشارة إلى نشأته فى بيئه اجتماعيه تسودها علاقات اقطاعيه تميز فيها الأعيان عن الفلاحين ببعض المميزات الخاصه كتعليم الفروسية و بث روح الشجاعه فى أولادهم لأنها كانت من مؤهلات الرئاسه فى القوم فى ذلك العصر. (٤)

و كان لكل ولد من أولاد الأعيان خادم أو عبد خاص (٥) و من تقاليدهم أيضا التزواج من نساء الأسره. و قد تخلف ناصيف النصار بسته أولاد هم:

نصار و فارس و محمد و عقيل و شبيب و خليل:

المصادر التى بين أيدينا لا تعطينا فكره واضحه عن حقيقه ثقافه الرجل.

و لكننا نستطيع أن نستخلص فكره عنها من الإشارات العرضيه التى ذكرها بعض المؤرخين. فقد سبق و أشرنا إلى ما ذكره السيد محسن الأمين من تقديم الشيخ ناصيف النصار للعلماء و تميزه بجوده الرأى. و الفضل لا يعرفه إلا ذووه على حد ما قالت العرب.

المؤرخون العامليون يرسمون له صورته أقرب إلى الكمال فإذا هو القائد المطاع و الجندى الباسل الفاتح و المصلح المفكر و الأمير الحكيم العليم (٦) هذا و قد عرف عن ناصيف النصار تقديره للشعر و إكرامه للشعراء فقد كان لكل منهم اعطيه لديه. و قد عرف عن أخيه أبى حمد النصار انه كان ينظم الشعر أحياناً و له مساجلات مع على الظاهر بن ظاهر العمر من أكثرها طرافه:

يقول على الظاهر:

- ١- الزين.
- ٢- لبنان فى عهد الأمراء. -
- ٣- الشيخ سليمان ظاهر.
- ٤- جورج لىنى.
- ٥- محمد جابر.
- ٦- الفقيه.

و من عجب الأيام تنكر صحبتى و تلحظنى شزرا بطرف مريع

كانى و إياها صحائف نظمت مديح أبى بكر يقبله شيعى

فأجابه أبو حمد النصار قائلا:

عجبت لدهر كيف أكمه رشده و لم يرع بالعتبى مقاما لصاحب

كانى و إياها صحائف نظمت مدائح أهل البيت فى كف ناصبى

و هناك من يذكر ان ناصيفا كانت تحضره بعض أبيات فى مناسبات معينه.

لم يشر المؤرخون و خاصه العامليون منهم إلى تاريخ توليه الحكم على بلاد بشاره. لكن يبدو انه كان خلال سنه ١١٦٣ / و لم يكن بعد هذه السنه لأن المؤرخ العاملى الركينى الذى عاصره و بدأ تدوين تاريخ "جبل عامل فى قرن" فى هذه السنه لم يشر إلى توليه الحكم قبل هذه السنه أو فى أوائلها.

و كذلك فان المخطوطات العامليه التى تحدثت عن معارك مرجعيون - القليعه التى جرت فى هذه السنه بين العاملين و الأمير ملحم الشهابى لم تشر إلى اشتراك ناصيف فيها انما أشارت إلى اشتراك أخويه ظاهر النصار كحاكم و مراد النصار كقائد.

و من المرجح أن توليه الحكم كان خلال سنه ١١٦٣ هـ أو فى أواسطها بعد المعارك السالفه الذكر لأن المؤرخ السببى العاملى أشار إليه كحاكم عند ما تحدث عن تحصين القلاع العامليه و عن اقتسام مقاطعات بلاد بشاره بين مشايخ آل الصغير فقال: و كانت لناصرى تبين " (١).

لكن الشيخ عبد المحسن الظاهر يزعم أن توليه كان سنه ١١٤٥/١٧٣١ بعد وفاه والده فاتفتت آراء أعيان آل الصغير على " الشيخ ناصيف لأنه أكبر أولاده و عليه سمه الشجاعه و الإباء (و طلبوا من والى صيدا أسعد باشا العظم فى تلك الأثناء) فأجاب الباشا طلبهم و أسند حكم البلاد إلى ناصيف بموجب صك يتعهد فيه بدفع الأموال الأميريه المرتبه على البلاد " (٢).

استشهد ناصيف النصار يوم الاثنين ٥ شوال ١١٩٥/١٧٨٠ قرب بلده يارون فى المعركه التى سميت باسم البلد نفسه بين العاملين و والى عكا أحمد باشا الجزائر و لنا إلى ذلك عوده.

### ناصرى النصار: زعامه الأسره

أو الطريق إلى وحده الجبل كان على الشيخ ناصيف النصار ان يواجه أهله الأقربين لينطلق من أرض صلبه فى محاولته لتوحيد العاملين إزاء المخاطر التى تتهددهم.

و كان أكثر ما يقلقه بادئ ذى بدء الصراع الذى برز بين الشيخ قبلان و الشيخ عباس. فقد أعطيت صور أول الأمر للشيخ قبلان فرفض قبولها بحجه انها بلده خربه لا يوجد فيها إلا مصنع للملح (ملاحه) فأعطيت للشيخ عباس. استلم عباس صور و بنى فيها



دارا للحكومہ لم تزل عامره إلى اليوم و موقعها على باب المدینہ و شاد فیها مسجد [مسجدا] و کنیسه و سوقا و دورا کثیره.

و اسکن فیها عائلات کثیره من المسلمین و المسیحیین من سکان جبل عامل و جبل لبنان. و کان یصرف فیها فصل الشتاء و یصیف فی قلعه مارون الواقعه فی ناحیه شحور بالقرب من دیر دغیا. و لم یمض أربع سنین حتی غدت صور بلده تجاریه و کثر فیها الأخذ و العطاء و أمت إليها السفن الشراعیه لإفراغ شحنها و ابتیاع حاصلات البلاد من حبوب و تبغ و قطن و زیوت. (۳)

و لما رأى قبلان تقدم العمران فی صور ندم على تسليمها لابن عمه الشيخ عباس ففاوضه بإعطائها له فلم يجب طلبه و وقع الخصام بينهما فحدثته نفسه بالاستيلاء عليها قسرا.

اغتم الشيخ قبلان فرصه غياب الشيخ عباس و ولده حسين عن صور فی زیاره للشيخ على الظاهر فی الجش (فلسطين) فهاجم صور و نهب دورها و متاجرها حتى حلى النساء و أسر الشيخ حمزه شقيق الشيخ عباس و سار به إلى هونین.

وصل الخبر إلى الشيخ عباس فأسرع بخيله ليقطع على المهاجمين الطريق و التقاهم فی وادی الحجیر و تمكن من الحاق هزيمه قاسیه بالشيخ قبلان و اقتاده أسيرا إلى قلعه مارون حيث أبقاه عدّه أشهر إلى أن تدخل الشيخ ناصيف.

أدمت هذه الأحداث قلب الشيخ ناصيف و هذا واضح فی موقفه من اخوه الشيخ قبلان الذين جاءوا يطلبون شفاعته لإنقاذ أخيهم فرد طلبهم بادئ الأمر و قال لهم: لقد هتکتتم ستر العشيره باعتدائکم الشائن " (۴) و لكنه أجاب طلبهم و ركب فی شرذمه من رجاله و سار قاصدا قلعه مارون فلقیه الشيخ عباس بالحفاوه و الترحيب.

" وصل ناصيف توا إلى باب القلعه فهب الشيخ عباس لاستقباله و لكن ناصيف و قبل أن ينزل عن جواده قال لعباس: هل جازت يا ابن العم؟ فأجاب عباس: نعم جازت على ما تختار و تريد عدا عمنا الشيخ قبلان.

فقال ناصيف: إياه أردت و لسنا بحاجة إلى طعامك و شرابك و لوى عنان جواده يريد الرجوع و تبعته الخيل. فلحقه عباس و قبض على عنان الجواد و قال نعم نعم جازت على القلعه و من فیها حتى قبلان. و عقد الشيخ ناصيف رايه الصلح بيده و لفظ عليها العبارة المأثوره التي يقولها عاقد الرايه و هي:

" يا أهل المعونه من مكه و المدینہ لیعلم الحاضر و الغائب و الغادی و البادی ان الرايه عقدت بين فلان و فلان بكفاله الزعيم فلان".

و كان الشيخ ناصيف يعرف ان إعاده الأموال المسلوبه غير ممكن و كان من العدل بحيث يعرف ان تركها أمر غير مستحب فقدر الخسائر تقديرا ممكن التنفيذ و كفل ذلك المبلغ بنفسه و انطلق إلى مركزه فی قلعه تبنین.

و عند ما وصل إلى كفر دونین فكر بما حدث و كان يخشى من نكث الشيخ قبلان لالتزاماته، لذلك أمر ولده عقيل بالرجوع إلى قلعه مارون و قال له قل لعمك عباس ان والدى أمرنى أن أبقى رهينه عندك فی القلعه حتى يفى قبلان بما عليه.

رجع عقيل إلى قلعه مارون و أبلغ عمه عباس رساله والده فأجابه عباس قائلا: أو حسبنى أبوك خالى المروءه حتى بعثك و أنت

فلذہ کبده رهینه عندی من أجل دريهمات. و أمر كاتبه بإحضار السندات الأربع فمزقها و ألقاها فى النار و قال لعقيل بعد أن أهدها جوادا عربيا مسروجا بسرج محلى بالذهب و الفضة: عد لأبيك و أخبره بما رأيت و قد سامحت قبلان بهذا المال إكراما له و ساعوض على أصحابها من مالى الخاص.

ص: ٢٤٨

---

١- العرفان.

٢- المخطوط المتقدم ذكره.

٣- محمد جابر.

٤- ن. م.

و عاد عقيل و معه خادماه و وراءهما الحصان يقوده سائسه فلحق بابيه عند "عين المزراب" قرب تبنين فأخبره بما توقع فترنج سرورا و طربا و أنشد متحمسا قول أبي فراس:

انا إذا اشتد الزمان و ناب خطب و أدلهم

ألفيت حول بيوتنا عدد الشجاعه و الكرم

للقا العدى بيض السيوف و للندى حمر النعم

هذا و هذا دأبنا يودى دم و يراق دم

(١) كانت هذه الحادته منطلقا لتسليم أفراد الأسره تسليما شبه مطلق بزعامه الشيخ ناصيف الذى ما لبث ان التزم ميناء صور من والى صيدا و أصبح هذا الميناء خاصا بالعاملين و مهما بالنسبه لتجاره الشيخ ناصيف الذى كان " يتعاطى التجاره و الحرب فى وقت واحد و الذى كان مخيفا كتاجر كما كان مخيفا كجندى....(٢)

و ما أن أحكم الشيخ ناصيف سيطرته على أسرته و عشيرته حتى ضعفت فى وجهه مقاومه سائر الأسر العاملية. و يبدو انه تمكن من إرضاء آل صعب بالمصاهره و اخضع آل منكر.

و الثابت انه بعد ١١٨٠/ لم يظهر أى صراع عائلى فى الجبل و بعد سنه ١٧٦٥ أى صدام عشائرى بدليل أن العاملين ظهروا متفقين فى اتصالاتهم الوديه مع الدرروز ١١٧٩/. فقد ذكر الركينى انه فى شهر رجب المبارك صارت الجمعيه بين الشيخ ناصيف و الشيخ عباس و على فارس و الأمير إسماعيل و الشيخ على جنبلاط فى حاصبيا.(٣)

و يضيف الشيخ عبد المحسن الظاهر فى حديثه عن هذا الاجتماع قائلا: ان الشيخ على جنبلاط لما لم ير أحدا من اصدقائه من آل منكر طلب إلى ناصيف أن يرسل إلى ممثلهم الشيخ حسن المنكرى ان يكون فى الاجتماع. فحضر و قرروا قواعد الاتفاق و المعاهده على عدم الاعتداء و الغدر ببعضهم (أى العاملين و الدرروز).(٤)

بعد إنجاز وحده العاملين كان على ناصيف ان يحمى ما حققه من انجازات و أن يواجه اطماع جيرانه بجبل عامل سواء من الشمال أو من الجنوب و هكذا تبدأ حكايته مع ظاهر العمر.

ناصر النصار و ظاهر العمر ما ان استتب الأمر للشيخ ناصيف النصار فى حكم جبل عامل حتى بدأت التهديدات الخارجيه للعاملين تطل برأسها من جديد.

و لكنها كانت هذه المره من فلسطين و من ظاهر العمر على وجه التحديد. فقد ظن هذا الأخير ان حروب العاملين مع الأمراء الشهابيين قد أرهقتهم فلا بأس ان يجرب حظهم معهم.

و لم يكن ظاهر العمر هذا شخصيه عاديه فى عصره بل كان على ما يبدو رجلا عصاميا و بطالا من أبطال الشرق عظيم الهمه،

شديد البأس واسع الحيله حكيم التدبير علوى النسب. (٥)

يقول [يقول] عنه الرحاله الفرنسى فولنى انه مضى زمن طويل على سوريا لم تر رجلا مثله و كانت أطماعه فوق قدرته. و كانت العداله ضاربه أطنابها فى بلاده لا فارق عنده فى شمولها أهل المذاهب المختلفه.

ولد ظاهر العمر سنه ١٦٨٦ و قتل سنه ١٧٧٦ أى قبل أربع سنوات من استشهاد الشيخ ناصيف و قد تولى حكومه صفد و طبريا و ما يليها بعد أبيه الشيخ عمر بن أبى زيدان.

و كانت عكا من ملحقات صفد و كانت أشبه ما تكون بقريه حقيره غير عامره. و لما استولى عليها ظاهر العمر ١١٦٣/١٧٤٩ بنى ابراجها و شيد حصونها المنيعه و ملاءها بالمدافع و الذخائر و عززها بالسلاح و أحاطها بسور متين. و لم يترك لها إلا بايين. و ازدحم الناس فيها من أنحاء سوريا و قبرص مهاجرين إليها و فيهم المسلم و المسيحي و كان يرعاهم بعنايته و يهتم بشئونهم. و يتساهل بأمور عقائدهم مما لم يكن مألوفاً فى ذلك العصر:

استمر نجمه بالصعود و أحكم سيطرته على أجزاء من فلسطين و سوريا بعد أن تمكن من اخضاع البدو سواء بالقوه أو بالمصاهره.

فى سنه ١٧٦٨ منحه الدوله العثمانيه لقب شيخ عكا. و أمير الأمراء و حاكم الناصره و طبريا و صفد و سائر الجليل و فى سنه ١١٨٨/ ورد الفرمان السلطانى باحاله ولايه صيدا لعهدته. (٦)

و ما ان شعر الشيخ ظاهر العمر بتزايد قوته حتى حول وجهه إلى جبل عامل يريد أن يبسط سلطته عليه. "غير أن جبل عامل فى ذاك الوقت كان أمنع من عقاب الجو". (٧)

تحرش ظاهر العمر بناصيف النصار عميد عشائر جبل عامل " و ناهيك بناصيف النصار بطلا مغوارا و قائدا محنكا جمع إلى الشجاعه و النخوه سخاء الكف و حسن التدبير و الغيره القوميه و المروءه المحضه".

اتخذ الشيخ ناصيف من قلعه تبين مقرا لحكومته و كانت عامره بابراجها الشامخه و حصونها المنيعه. و جدد بناء الحصون و شحنها بالمقاتله و السلاح و بسط العدل فارتاح له العامليون و أخلصوا له الولاء.

فى العام ١٧٦٦ تفجر الخلاف بين الشيخ ناصيف و ابن عمه الشيخ قبلان الذى سبق للشيخ ناصيف أن أنقذه من الأسر فظن ظاهر العمر ان الفرصه مؤاتيه له ليسفر عن اطماعه بالأرض العامليه. فكتب إلى العميد الوائلى يطلب اليه أن يتخلى عن قريتي البصه و مارون بدعوى انهما تابعتان لفلسطين. فرد الشيخ ناصيف رسول ظاهر العمر ردا عنيفا: "و أرسل له الجواب بالرفض و أغلظ له القول و من جمله ذلك قال له: لا- تظن إنا نظير سوانا، فوالله انا عندنا مقابل سيفك سيوف أحد منه، و بإزاء كيدك مكائد كثيره. فالأولى بك ان تدعنا غافلين عنك باعتدائك على جيراننا. و الآن و الله العظيم انك تندم لأننا نحن طالما بغى علينا فانتصفنا من الباغى. و عاهدنا فقمنا بعهدنا. و كنا من أعظم أنصار أصحابك فدونك الآمرين. و أنت و رأيك و نحن نرى فيما يبدو منك و السلام".

و لما وصل هذا الجواب إلى الشيخ ظاهر العمر طار صوابه و أعلن النفير العام و طرد عمال الشيخ ناصيف من القريتين و نهض لاجتياح بلاد عامله.

لم يكن الشيخ ناصيف أقل استعدادا للقاء. فلاقت خيوله ظاهر العمر عند الحدود. و نشبت بين الفريقين عدة معارك أشهرها معركة دولاب - طربخا /.

و في هذه المعركة أكره ظاهر العمر على التراجع فانقض عليه ناصيفم.

ص: ٢٦٩

١- ن. م.

٢- لاكروا.

٣- العرفان.

٤- مخطوط الظاهر المتقدم ذكره.

٥- محمد جابر.

٦- ن. م.

٧- ن. م.

و مكن الرمح من صدره ثم عفا عنه و اكتفى بسلبه فرسه المعروفه "بالبريصه" التي قال فيها ناصيف كلمته المشهوره - و التي ذهبت مثلا - بعد ان استعاد البصه و أعاد البريصه لظاهر: لا بأس أن أعدنا البريصه بعد ان عادت البصيصة (تصغير بصه). و قد أثارت هذه المعركه قرائح العديد من الشعراء العاملين. من أبرز هؤلاء الشيخ إبراهيم الحاريسى الذى أرسل قصيده طويله للشيخ عبد الحليم النابلسى و كانت بينهما مفاخرات و مراسلات أدبيه.

و من أبرز ما جاء فى هذه القصيده قوله:

يا للرجال لمحنه لا يرتجى غير ابن نصار يحل عقالها

ناصيف من يحمى الثغور و من به أبدت سماء المكرمات هلالها

بطل له القى الزمان قياده لو طاولته الشامخات لطالها

و يد مقبله البنان كريمه مدت على المستضعفين ظلالها

(1) و المساجلات بين هذين الشاعرين وارده بتمامها فى أعيان الشيعة "فى ترجمه الشاعر العاملى الشيخ إبراهيم الحاريسى".

أسقط فى يد ظاهر العمر و رأى نفسه أمام قياده جديده فى جبل عامل عليه أن يبدل أسلوبه فى التعامل معها. و فى هذا الوقت حصل حادث مريب و ملفت للنظر فى آن معا. و ذلك أن أحمد آغا الدنكزلى و هو رجل مغربى كان فى خدمه ظاهر تسلل خفيه و هاجم قلعه تبين على حين غره من الحاميه القليله الباقية فيها.

تمكن الدنكزلى فى هذه العمليه من القبض على ولدين صغيرين فى سن المراهقه من أبناء الشيخ ناصيف و فر بهما إلى عكا.

و من غير الواضح من خلال المصادر التى بين أيدينا إذا كانت هذه العمليه تمت بناء لأوامر صادرة عن ظاهر العمر أم أنها تمت بمبادره شخصيه من الدنكزلى هذا. و لكن الثابت ان هذه العمليه جعلت ظاهر العمر فى موقع أقوى للحصول على معاهده سلام بشروط مناسبه و لا سيما انه كان راجح العقل: فقد احتفى احتفاء تاما بابنى ناصيف و انزلهما مكرمين معزين فى جناح خاص من قصره. و كتب ابنا ناصيف إلى والدهما يصفان ما لقياه من إكرام ظاهر العمر و مروءته. و مع ذلك طلبا اليه تجهيز حملته لتخليصهما من الأسر. فأرسل إليهما كتابا يعاهدهما على ذلك و يتوعد ظاهر العمر و يتهدده. فأعاد الكتاب إلى والدهما بعد أن كتبنا عليه:

كتب الزمان عجائبا فى جبهه الأيام سطرًا

هلا سمعتم أو رأيتم ان نهرا صد بحرا

و كان ظاهر واقفا على هذه المراسلات فدعا بالغلامين و سرحهما إلى أبيهما مكرمين بعد ان أهدهما جوادين من خيره خيوله.

ثم توسط الأمر بين العميدىن الشيخ سعد أخو ظاهر العمر فتصالحا و تصافيا و عقدا محالفه هجوم و دفاع وقعت فى عكا يوم

الجمعه الواقع في اليوم الثامن من رجب ١١٨١/ و حلفا اليمين على السيف و المصحف ان يكونا و شعباهما متصافيين متضامنين ما دامت الأرض و السماء و أعيدت البصه و مارون إلى ناصيف و بنى بالقرب من الأولى خانا يعرف للآن بخان ناصيف(٢) و يذكر الصباغ بعضا من تفاصيل المعاهده إضافه إلى عوده القريتين (البصه و مارون) إلى ناصيف فيقول: انه لا يكون للبasha شان مع جميع المتاوله في دفع مال الميرى و على أن يساعدهم ظاهر على كل من ناوهم كما عليهم ان يساعده على من يهاجمه أى تحالفوا معه محالفه هجوميه دفاعيه. و عقد الصلح بين الطرفين على ذلك. و أسقط ظاهر لناصيف من مال الميرى المقرر على بلاد بشاره الربع.

و جدد له ناصيف اليمين على السيف و المصحف و ان يكون هو و قومه معه يدا واحده ففرح المتاوله بذلك لأن البasha كان يكرههم للدين و يعدهم من الروافض.(٣)

و بدأ الرجلاين معا مسيره صعبه في مواجهه الأعداء المشتركين و قد كانا بأمس الحاجه إلى هذا التحالف لأسباب داخلية و خارجيه على حد سواء.

ناصر النصار و الثوره على العثمانيين معركة الحوله - البحره.

كان لتحالف الشيخ ناصيف مع ظاهر العمر أبلغ الأثر في تقويه وضعه الداخلى و الخارجى على حد سواء و قد وصف أحد مؤرخى هذه الفتره الوضع في جبل عامل في / بما نصه: "كان أكبر مشايخ بنى متوال و أقواهم في المال و الرجال الشيخ ناصيف النصار و كان تحت يده حصون و قلع و بلدان و ضيع يركبون فداويه و فرسان و أبطال شجعان و قد راق لهم الزمان و تملكوا في تلك البلدان و هجعت عنهم حكام الدروز و استكنت و رقت حالهم و اطمأنت ".(٤)

و كانت ظروف الدوله العثمانيه تسمح بازدياد تطلعات الشيخ ناصيف الاستقلاليه: إذ كانت في هذه الأثناء واقعه في مرض الضعف الطبيعى الذى لا- ينفع معه دواء و لا- له شفاء و ذلك ان السلطان كان يقيم بسرايه و يترك الحكم لوزرائه و نساؤه و خدامه(٥) فكان من الطبيعى ان تصبح هذه الدوله عرضة لمطامع جيرانها خارجيا و عمالها داخليا.

و كانت روسيا في مقدمه الدول الطامعه باملاك الدوله العثمانيه. و هكذا أعلنت روسيا الحرب على الدوله العثمانيه و أصبح على الآستانه ان تواجه الخطر الدايم من الشمال دون أن توفق. ثم ما لبثت روسيا ان طورت أساليب هجومها و أخذ اسطولها يضرب موانئ الدوله العثمانيه في شرق البحر المتوسط كما أخذت تغرى بعض عمال الدوله بالثوره عليها من مثل على بك الكبير في مصر.(٦)

و كان ظاهر العمر قد اشتد أزره بمحالفته لزعماء الشيعة و اعتر جانب الشيعيين و طمحت نفوس الفريقين للاستقلال الناجز فخلعوا نير السلطنه التركيه و أبوا دفع الضرائب.(٧) و أفلت الزمام من يد السلطان و أطلق الولاه لأنفسهم العنان فعمت الرشوه و انتشر الفساد في الحكم فثارت سوريا كلها تقريبا على الدوله العثمانيه.

خافت الدوله العثمانيه(٨) مغبه التحالف بين ظاهر العمر و ناصيف النصار خاصه و ان هذا التحالف كان مسبوقا بتحالف بين ظاهر العمر و على بك الكبير حاكم مصر فانتدبت عثمان باشا الصادق والى الشام يعاونه والى صيدا على رأس ثلاثين ألف

١- ن. م.

٢- محمد جابر.

٣- ميخائيل الصباغ.

٤- لبنان في عهد الأمراء.

٥- تاريخ الجزائر.

٦- يوسف الدبس.

٧- محمد جابر.

٨- تاريخ الجزائر.



المتاولة و ظاهر العمر.

و هنا يختلط التاريخ بالأسطوره و الوقائع العسكريه بالعقائد الإيمانيه.

فقد أجمعت المصادر على الإشاده بطوله العامليين فى المواجهه التى حصلت مع جيش السلطنه. و بالفعل "فقد عسكر الشيخ ناصيف بجنوده فى جوار النبى يوشع الواقع فى الشرق الجنوبي من جبل عامل. و عقد مشايخ الشيعة ديوان مشوره و رتبوا خطه بالهجوم. و تضرعوا إلى الله ان ينصرهم على العدو الباغى.

و كان مقام النبى يوشع بنايه حقيره فقطع الشيخ ناصيف عهدا على نفسه ان يبنى المقام بناء فخما إذا ظفر بالعدو. ثم كنس المقام بعمامته تواضعا و تبركا. و لما أحرز النصر بناه كما وعد و رفع فوق الضريح قبه شامخه و فى هذا يقول الشيخ إبراهيم يحيى العاملى فى قصيده أوردها صاحب أعيان الشيعة:

مقام شريف أطلع اليوم شمس خليفه نصار المؤيد بالنصر

فلذ بحماه طالبا للذى بنى من الله طول العمر مع وافر الأجر

و قل عند إهداء السلام مؤرخا عليك سلام الله يا ثاوى القبر

و انتدب ناصيف النصار فرقه من أبسل جنوده و أوفرها شجاعه لا تزيد عن خمسمائه فارس فبيت للعدو و زحفت اليه ليلا فأحاطت به من جهات ثلاث و أعملت فيه السيف و لم ينج من القتل إلا من القى نفسه فى البحيره و لم يقتل من المهاجمين جندى واحد. و فر الوالى عثمان باشا منهزما لا يلوى على شيء. (١)

و ينقل محمد جابر آل صفا عن استاذة السيد محمد على إبراهيم الحسينى نادره لطيفه حدثت خلال هذه المعركة "تدل على ما لسلامه الاعتقاد من التأثير" و هى انه لما بدأ ناصيف بالزحف برجاله ليلا بعد الصلاه و الدعاء شاهدوا ظبيا يقفز امامهم بين تلك الروابي و خلفه رجل معمم ينشد أبياتا أولها:

أ يحل لساكنه العلم تفتى فى الحب بسفك دمي

و سرى الخبر بين المهاجمين و نشطهم رؤساؤهم ان الله سبحانه و تعالى قد استجاب دعاءهم ببركه النبى يوشع و أن روحه الشريفه تجسدت هذا الغزال اللطيف و أن الفوز بجانبهم و كان ما أملوا".

كما ينقل المؤرخ نفسه عن الأمير حيدر الشهابى انه كتب فى تاريخه:

ان إبطال المتاوله بعد تلك الكسره الهائله شاهدوا درويش باشا والى صيدا و هو ابن عثمان باشا والى الشام فخاف على نفسه و كان جبانا ففر منها. (٢)

و فى معركة البحيره نظم شعراء جبل عامل قصائد و زجلية نكتفى بذكر أبيات من قصيده للشيخ إبراهيم الحاريسى:

أكرم بالخيال إذا وفدت إذ ذاك بناصيف البطل

بحر يخبوك بلجته و البحر ضنين بالوشل

سل يوم البحره ما فعلت كفاه بفرسان الدول..

و قد أجمع المؤرخون العامليون على اعتبار هذه المعركة معركة عامليه خالصه. و استند هؤلاء في ذلك إلى مؤشرات عده أبرزها ان عثمان باشا كان يقصد بحملته بلاد المتاوله لأنه عند ما اجتاز بعساكره جسر بنات يعقوب جنوب الحوله لم ينحرف بهم نحو بلاد ظاهر العمر في صفد و طبريا بل انحرف بالعسكر إلى شمال الجسر حيث نزل بهم على حدود بلاد المتاوله بين بحيره الحوله و بين الجبال العامليه المطله على البحره و ما حولها من سهل الخيط و سهل الخالصه.(٣)

يضاف إلى هذا أن العاملين جميعا هم وحدهم الذين واجهوا جيش الوالى العثمانى فقد اشترك في هذه المعركة الشيخ حمزه المحمد و الشيخ حمد العباس و الشيخ على الفارس الصعبى تحت قياده ناصيف النصار.(٤)

و قد ترتب على هذه المعركة نتائج مهمه. فقد كان انتصار العاملين البارز عاملا حاسما في ازدياد ثقتهم بأنفسهم و أصبحوا يتطلعون إلى أبعد من الدفاع عن أنفسهم بل أخذوا بالتوجه نحو صيدا لتحريرها من نير الوالى العثمانى.

و بالفعل فان درويش باشا والى صيدا هرب إلى الشام بعد هزيمه والده في الحوله.(٥)

أما النتيجة الثانيه لهذه المعركة فهى اندلاع الصراع فى مصر بين على بك و أبى الذهب الذى ادعى انه تراجع عن دمشق بسبب تخاذل ظاهر و ناصيف فى القتال. فجاءت نتائج هذه المعركة لتفضح تامر أبى الذهب و أرسل على بك حمله للقضاء عليه.

و أخيرا كان من أهم نتائج هذه المعركة فيما يخص جبل عامل زياده خوف الدوله العثمانيه من هذه الزعامات القادره القويه فزادت من ضغولها على الأمير يوسف الشهابى لقتال العاملين. فكانت معركة كفر رمان بينه و بين العاملين بعد خمسين يوما من معركة الحوله.

## معركة كفر رمان

تعامل بعض المؤرخين العاملين مع معركة كفر رمان و كأنها معركة مستقله بذاتها غير مرتبطه بمعركة الحوله - البحره التى سبقتها و لا بالنتائج التى أسفرت عنها تلك المعركة.

و ذهب بعض هؤلاء إلى أن سبب المعركة الحقيقى ان مكاريين من قريه كفر رمان مرا بعنب لهما بقريه نيحا الشوف فاعتدى عليهما بين الكروم بعض اهالى نيحا و سلبوهما و ضربوهما ضربا أليما قضى على حياتهما. فشكا أهل القتيلىن أمرهما إلى الشيخ على بن أحمد الفارس عميد آل صعب و حاكم المقاطعه و كان مقيما فى قلعه الشقيف. فكتب إلى الأمير يوسف الشهابى حاكم جبل لبنان يومئذ يطلب منه إرسال المعتدين لمحاكمتهم و ذكر له أسماءهم. فكتب اليه الشهابى بعدم إمكان القبض على الجناه و عرض عليه ديه القتيلىن توزع على أهالى نيحا. و أصر الصعبى على طلبه و كتب للأمير يوسف كتابا شديد اللهجه قائلا: ان

الشيعه لم تعتد بيع دمائها بمال و نحن نعرف كيف نثار لبني قومنا. و اقتحم بعض الشييعين قريه نيحا فقتلوا أربعة من أهلها بين الكروم فى المكان الذى ضرب فيه الرجلان الشييعان.

ص: ٢٧١

---

١- محمد جابر.

٢- ن. م.

٣- الزين.

٤- العرفان.

٥- لبنان فى عهد الأمراء.

" و اتصل الأمر بالأمير يوسف فاحتدم غيظا و كان الحقد يغلى في صدره لارتفاع شان الشيعة و استفحال أمرهم و تطاولهم على أطراف الشوف و وادي التيم و إنذارهم لدرويش باشا والى صيدا منذ انتصارهم في معركة البحرة و هزيمة عثمان باشا التي تلكا الأمير يوسف عن نصرته فيها. فزحف الأمير يوسف لاكتساح جبل عامل بجيش كثيف يزيد على أربعين ألف مقاتل مؤلف من طوائف شتى كما ثبت من تقارير القناصل. و لما دخلوا البلاد من جهة صيدا بدءوا يحرقون القرى و يدمرون المزارع و يقطعون الأشجار و يقتلون من يقع في أيديهم من السكان الآمنين و لا يعفون عن شيوخ و لا صبيه و لا نساء. (١) و الواقع ان هذه الحادثة على أهميتها لم تكن سبب الحرب بقدر ما كانت شرارتها الأولى. إذ من الثابت ان ناصيف النصار و حليفه ظاهر العمر قد اتفقا على خلع نير الدولة العثمانية عن كاهلها. و قد كان لانتصار الشيخ ناصيف في معركة الحولة أكبر الأثر في دفع عثمان باشا والى دمشق للأمير يوسف الشهابي لقتال الشيخ ناصيف النصار. يضاف إلى ذلك ان ناصيفا نبذ طاعه درويش باشا والى صيدا بعد معركة الحولة و أرسل يهدده طالبا اليه ترك المدينة "فراعه قرب المتاوله منه و فر لدمشق" (٢) لهذه الأسباب، أرسل عثمان باشا ينحى الأمير يوسف على بنى متوال " (٣).

و من ناحيه اخرى فقد كان الأمير يوسف نفسه يرغب في قتال المتاوله الذين أظهروا الشحنة للأمير بسبب توليه مكان عمه الأمير منصور لأنهم كانوا يميلون اليه. و كان أكثرهم هياجا الصغيريه و الصعبيه. (٤)

و إذا كانت الأمور مرهونه بنتائجها فان هذه المعركة تبدو و كأنها جزء من خطه مسبقه لتحرير صيدا من النير العثماني من قبل الشيخ ناصيف كما يبدو أن الأمير يوسف كان في حملته في موقع الهجوم الدفاعي.

لهذه الأسباب جميعا كان لا بد لمعركة كفر رمان ان تقع و كان مقتل "المكاريين" شرارتها الأولى. و كما سبق و أشرنا هجم الأمير يوسف متبعا في هجومه سياسه "الأرض المحروقه" و كتب الشيخ على الفارس إلى الشيخ ناصيف النصار شيخ مشايخ جبل عامل يبسط له القضية و يستنجده للدفاع عن البلاد و حمايه الطائفة. فهب ناصيف للنجده و أرسل (الصوات) لجمع الجنود و كتب إلى حليفه الشيخ ظاهر العمر الزيداني صاحب فلسطين يطلب النجده... كان جيش الأمير يوسف يسير في اربع فرق: الفرقة الأولى و هي المقدمة و فيها الأمير يوسف في أول الجيش. الفرقة الثانية و هي الجناح الأيمن كانت تسير في طريق جباع - حومين حبوش - النبطيه. الفرقة الثالثة و هي الجناح الأيسر كانت تسير في طريق العرقوب - الميذنه - الجرمق - كفر تبنيت - النبطيه.

و أخيرا الفرقة الرابعه و هي القلب كانت تسير في طريق جرجوع - عربصاليم - النبطيه.

و كانت قوى الشيخ على الفارس و أخيه الشيخ حيدر الفارس تعسكر في الضاحيه الشرقيه الشماليه من النبطيه في أرض تسمى (قلادش) و دعيت بعد المعركة "عريض القهوه" لأن جيش الشيعة شرب فيها قهوه النصر و الظفر.

قاوم الصعبيون جحافل الأمير يوسف مقاومه شرسه و كان جيش الشيخ ناصيف المؤلف من ثلاثه آلاف مقاتل يتجه نحو النبطيه من طريق زبددين و دخل البلده من الجهه الغربيه ليدهم مقدمه الجيش المخيمه غربى البلده و سار بخيله إلى ساحه العراك و هجم هجوم المستميت و لم يلبث العدو ان لوى عنانه متقهقرا إلى كفر رمان.

لم يثبت في وجه الشيخ ناصيف سوى بعض الفرق بقيادة المشايخ النكديين و هجم الشيعيون بالسلح الأبيض فانهزم الجيش كله انهزاما تاما يصعدون في جبل العرقوب و روابى سجد المطله على سهل الميذنه و عقبه جرجوع و حراب الشيعه تعمل في أقيتهم... و يقول المؤرخ العاملي الشيخ على رضا ان الشيخ ناصيف النصار تعقب بنفسه الأمير يوسف الشهابي فأدركه في عقبه جرجوع فقع رأسه بالرمح و أنزله عن ظهر بغلته إلى الأرض و ألبسه الفرو مقلوبا و قال له عفوت عنك رأفه بشبابك و احتراماً لأسرتك و أنا ابن نصار! فأجابه الأمير يوسف: "قدها أولاد أم على" اي انكم أهل للعفو. و "أولاد أم على" لقب يطلق على الشيعه و كانوا يفخرون به". (٥)

و قد اختلف المؤرخون في تقدير عدد القتلى فذكر بعضهم انه حوالي ألف و خمسمائه قتيل. (٦) اما مؤرخو جبل عامل فذكروا أن جيش الأمير يوسف ترك في ساحه المعركه ما يزيد على ثلاثه آلاف قتيل. (٧)

و كما اختلفوا في تقدير عدد القتلى اختلفوا في الأسباب التي أدت إلى هزيمة الأمير يوسف على الرغم من تفوق جيشه من الناحيه العدديه تفوقا لا يقبل الشك. فأشار البعض إلى ان جماعه الشيخ على جنبلاط خذلوا الأمير يوسف نتيجة تحالفهم السابق مع الشيخ ناصيف فقد تخلى هؤلاء عن الأمير يوسف مع بدء المعركه " و لما انفصلوا عن العسكر تقلقت الصفوف". (٨)

و كذلك فعل الشيخ عبد السلام العماد "الذي راسل المتاوله سرا" (٩) ان يقدموا على الأمير يوسف و انه متى وقعت الوقعه ينكسر قدامهم فيتبعه العسكر و هكذا كان.

أما أدوار لاكروا فيذكر ان طليعه جيش الأمير يوسف كانت تنحدر بسرعه في أكمه فإذا بها أمام خمسمائه أو ستمائه خيال متواليا لأن المتاوله احتدموا غيظا لنهب قراهم فحملوا على الدرروز حمله شعواء فارتدت طليعه جيش الأمير يوسف تتسلق الأكمه التي نزلت منها و الحراب تعمل في أقيتها.

و لما وصلت إلى القمه التقت بالجيش (جيش الأمير) و هذا رءاها تصل بكل سرعه فظنها العدو... بدأ هو بالركض فكان الانكسار هائلا (١٠) و يبدو أن التعبه العامليه لهذه المعركه كانت عامه و شامله فقد ساهمت المرأه العامليه فيها بشكل أو بآخر، فقد كانت الفتيات تمد عسكر الشيعه بالماء و الزاد و تسير زرافات من فرقه إلى فرقه تثير نخوه المقاتله و حميتهم بالزغاريد و الأغاني الحماسيه كقولهن:

وين راحوا أولاد أم على، وين سياج العذارى، وين بنى متوال يا عز الرجال". (١١)

و كذلك ألهمت هذه المعركه عددا كبيرا من الشعراء و الزجالين قصائد طويله و من أبرز من أشار إلى هذه المعركه الزجال الفلسطيني "شناعه بن مريح" عن شعراء ظاهر العمر:

ص: ٢٧٢

- ٣- لبنان فى عهد الأمراء.
- ٤- اخبار الأعيان.
- ٥- محمد جابر.
- ٦- عيسى المعلوف.
- ٧- محمد جابر.
- ٨- اخبار الأعيان.
- ٩- الزين.
- ١٠- تاريخ الجزائر.
- ١١- محمد جابر.

وين مير الشوف يوسف يوم صال من عرب صالحين على الوادى نزل

فى عساكر عدها تسعون ألف أو تزيد عداد خوفا ان نزل

قادها من حمص لديره حما لقرايا الشام صواتو وصل

من أرض بيروت للشوف العريض من بلاد جليل كم فارس وصل...

و انتخى على لناصيف يقول ان هذا الأمر ما عاد ينهمل ما يخش المير ديرتنا حرام

لو نبت من فوق راياته نخل لبنى متوال ظهر العاديات

من متون الخيل يمضون الصقال قادها ناصيف كساب الثنا

و افترعها قبل ان جازت فحل سيفهم ناصيف يا نعم العقيد

شاهرا للسيف فى أيد و يفل... صاح مير الشوف هاتو لى الحصان

عن عظم ما صار جابولو بغل وين مير الشوف يوسف وين راح

الذى للحرب راكبلو نغل يحسبون الحرب هى شله حرير

ويش يجيب الحرب لغزل الشلل.

(١)

## تحرير صيدا

بعد هزيمة الأمير يوسف فى كفر رمان خاف درويش باشا والى صيدا و الشيخ على جنبلاط "فتزعا بعسكريهما و قاد الواحد حريمه و الآخر جيوشه لكن الدروز قبل براهم للمدينه نهبوا ثم جاءها رجال ظاهر بقياده المغربى دعتزلى... فأعادوا نهبها". (٢)

و ان لم تكن هذه الإشارة تشير إلى دور العاملين فى احتلال صيدا فان المؤرخ الشهابى أوضح دورهم بقوله: ان عثمان باشا الكرجى والى الشام حين بلغه ما أظهر المتاوله من العصاوه أعرب إلى الدوله عن تملكهم صيدا. (٣)

الركينى أكد بدوره اشتراكهم إذ ذكر صراحه انه فى خامس عشر رجب ١١٨٥/ وصل الشيخ ظاهر العمر و الشيخ ناصيف إلى صيدا و نهبوا و أحرقوا إقليم الخروب أجمع و أمروا الغزان يقيموا فيها (أى صيدا). (٤)

كان تحرير صيدا و طرد واليها عباره عن مرحله جديده من تصعيد ظاهر و ناصيف لثورتهم على الدوله العثمانيه و تحديا مباشرا

لها.

و لما كانت الدوله منشغله فى حربها مع روسيا لم تستطع أن تعالج أمرها بقواتها الرسميه لذلك فإنها أوعزت إلى الأمير يوسف القيام بهذه المهمه و حضر منها " خط شريف إلى الأمير يوسف فى القيام إلى الشيخ ظاهر العمر و المتاوله... و إن تكون ميرى مدينه بيروت و مال ميرى الجبل تلك السنه له خرج عسكر ". (٥)

و علم الثوار بهذا الأمر فسار ظاهر بعسكره و جرد ناصيف و معه مشايخ جبل عامل و التقوا جميعا فى رأس العين فى ٦ شعبان ١١٨٥/ و فى هذه الأثناء توفى عثمان باشا صادق و خلفه محمد باشا العظم فى دمشق فقعد الأمير عن القتال و تراجع ظاهر و ناصيف. ثم أرسل عثمان باشا المصرى الدالى خليل و الجزائر و معهم ألف خيال و مدافع و التقاهم الأمير إلى "عين السوق" و حاصروا صيدا بنحو ٢٠ ألفا.

و فى هذه الأثناء كان أبو الذهب يحسم نزاعه مع على بك الكبير فى مصر لصالحه فوصل على بك عند ظاهر العمر و من ثم طلبا المساعدة من الأسطول الروسى لفك الحصار.

و اتجه الأسطول الروسى إلى صيدا بينما اتجه ظاهر و معه ثمانمائه من المماليك و ألف من المغاربه من رجال على بك الكبير إلى الحوله ثم إلى بلاد الشقيف حيث التقوا ناصيفا و ساروا بعشره آلاف نحو صيدا.

و طلب الثوار من يوسف التراجع سلما فرفض عندها زحفوا إلى سهل الصباغ و نظموا قواتهم فكان جناحهم الأيمن مؤلفا من رجال ناصيف و المغاربه و كان عليهم صد الدروز و جعل الجناح الأيسر الذى بقياده على ابن الشيخ ظاهر العمر مقابل العقال... و كان فى الوسط العثمانى مائه مملوك و وراءهم على بك و الشيخ ظاهر ". (٦)

و ضربت السفن الروسيه قنابلها فانسحب المحاصرون إلى "سهل الغازيه" فضربوا عساكر المتاوله و الغز فى المدافع و الزنبركات و راح منهم مائه قتيل و هجم الدالى خليل و الجزائر على المتاوله فانكسر عسكر الدروز من خلف الدوله. (٧)

لأن هؤلاء لم يكن تأييدهم للأتراك عن رغبه كبيره أو نفس طيبه كما يؤكد المؤرخ الشهابى نفسه.

و انهزم الوزراء و تبعهم الآخرون و قتل من الدروز فوق ألف و خمسمائه رجل و كان الوجه "البشاريه (سكان بلاد بشاره) و الشيخ ظاهر و الغز و أخذوا مدافع الدروز و الدوله و الدالى خليل و غنموا منهم غنيمه عظيمه. (٨)

و هكذا انتهت المعركه لصالح الثوار بعد أن فكوا الحصار عن صيدا الذى استمر ٧ أيام و بقيت صيدا فى أيديهم حتى حين قتل ظاهر العمر و جاءها الجزائر واليا.

عاد ظاهر و ناصيف من صيدا لحصار يافا التى وقفت فى وجه على بك الكبير أثناء هروبه من مصر و فى مطلع ربيع الآخر سنه ١١٨٦/ سار الشيخ حمد العباس و الشيخ أبو حمد المحمود النصار أخو ناصيف بصحبه ظاهر و على بك الكبير لحصار يافا و مكثوا هناك شهرا و نصف الشهر. (٩) و ما لبث ان بدأ العامليون يعودون إلى جبلهم لأنهم لم يكونوا معتادين الحصارات فكانوا يركبون خيولهم كل وقت و يعودون إلى منازلهم و لم يكن يرجع أحد منهم للحرب إلا بتعب شديد.



و لما أتى وقت الحصار استحال منعهم عن السفر زرافات. لذلك لم يكن الجيش على أتمه قط. بل كان يتناقص إلى ثلاثه أرباعه و طورا إلى نصفه.. أما المماليك فكانوا بلا فائده تقريبا. (١٠)

ص: ٢٧٣

١- ن. م.

٢- تاريخ الجزائر.

٣- لبنان في عهد الأمراء.

٤- العرفان.

٥- لبنان في عهد الأمراء.

٦- فولنى.

٧- لبنان في عهد الأمراء.

٨- العرفان.

٩- ن. م.

١٠- تاريخ الجزائر.

و استمر الحصار أربعين يوما سقطت بعده يافا فى شباط ١٧٧٢ فى قبضه ظاهر بمؤازره المراكب الروسيه. اما على بك الكبير فقد عاوده حلمه بالعوده إلى مصر فاتجه إليها من يافا بثلاثه آلاف رجل لكن نهايته كانت فى هذه الحمله إذ قتله أبو الذهب فى معركة الصالحيه قرب القاهره.(١)

و لعل فيما ذكر من تفاصيل حصار يافا ما يلقى ضوءا جديدا على دور ناصيف و قواته فى أحداث تلك الفتره. فعند ما كان العامليون يتركون الحصار أحيانا و يعودون إلى بلدهم كان يتناقص الجيش إلى ثلاثه أرباعه و أحيانا إلى نصفه و فى هذا دليل على أن قوه ناصيف كانت دائما تعادل قوه ظاهر. كما ان فى استمرار الحصار بدون العاملين أربعين يوما يعطى صوره عن مدى فعاليه العاملين فى المعارك الأخرى التى لم ينسحبوا منها.

ناصر ناصيف النصار و أحمد باشا الجزائر على الرغم من صدور فرمان سلطاني بالعفو عن ظاهر و ناصيف(٢) فان الدوله العثمانيه كانت تعمل على الخلاص من كل من تمرد عليها أثناء حربها مع روسيا و هكذا فان النهايه المأسويه لظاهر العمر حيث قتل غدرا بيد أحد جنوده أثناء محاولته الهرب و اللجوء إلى جبل عامل من القوى العثمانيه التى حاصرت عكا(٣) ان هذه النهايه ترسم المستقبل الصعب الذى كان على ناصيف النصار أن يواجهه فيما بعد.

لسيد جبل عامل الشيخ ناصيف فى علاقته مع الطاغيه القادم من الجنوب أعنى بذلك أحمد باشا الجزائر والى عكا الجديد.

## ناصر النصار و الجزائر

(مرحله التناصر أو [و] الائتلاف)

كانت سياسه الجزائر تقوم على المبدأ الأساسى الذى يطبقه كل طامع و مستعمر و هو فرق تسد! و لم يحد الجزائر عن هذه السياسه و كانت خطته تقضى بتشتت الخصوم و إثارة التنافس فيما بينهم و مساعدته الواحد منهم على الآخر تمهيدا للقضاء عليهم جميعا.

لذلك قد لا نعجب إذا كانت الظروف قد أجبرت الشيخ ناصيف على ان يكون حليفا للجزار على الأقل فى المرحله الأولى من حكم هذا الطاغيه.

و مما لا شك فيه ان هناك عوامل عديده دفعت للجزار إلى ممالأه الشيخ ناصيف فى بدايه الأمر فقد عملت الغزوات المتكرره التى تعرض لها جبل عامل على جعل العاملين يهتمون بتحسين جبلهم للوقوف فى وجه الطغاه من هنا كان اهتمامهم بتحسين القلاع و تمكين الحصون كالشقيف و ميس و هونين و تبين و مارون و دوييه... و كانت هذه القلاع تستدعى قوه عسكريه كبيره لاحتلالها و هذا ما لم يكن متوفرا للجزار فى بدايه عهده على الأقل.

يضاف إلى هذا طبيعه نظام الحكم الذى كان أقامه ناصيف النصار فى جبل عامل و الذى كان يعتمد على شكل من أشكال اللامركزيه السياسيه خلافا لما كان عليه الأمر فى جبل لبنان. ففى جبل لبنان كانت دير القمر تشكل العاصمه المركزيه حتى إذا سقطت هذه العاصمه سيطر الفاتح على كل جبل لبنان. أما فى جبل عامل فان السلطه السياسيه كانت موزعه على عدد من

المراكز أبرزها تبين، جبع، هونين، الشقيف و سواها من المراكز المهمه. و كان هذا التوزيع يعيق عمليه اجتياح الجبل.

و ربما كان السبب الأبرز ان مبادره الثوره على الدوله العثمانيه كانت من قبل ظاهر العمر و على بك الكبير و أن ناصيفا رأى فيها فرصه مناسبه فشارك فيها.

لم يكن بإمكان ناصيف النصر التفلت من سياسه الجزائر الجديده.

و لكن بالمقابل لم يستطع الجزائر إيقاعه مبكرا فى حباله. شانه مع الأمير يوسف الشهابى و أولاد ظاهر العمر لأن ركيزه ناصيف فى جبل عامل و متانه وضعه العسكرى و السياسى جعله يصمد فتره قصيره بالقياس الزمنى و طويله بالمقياس السياسى أمام خطه الجزائر. فكانت العلاقات تتقلب لفتره فى المواقف المتدرجه فى حداثها من الائتلاف إلى الفتور فالاختلاف و التصادم الذى يقود إلى الاستشهاد.

و من يدرس طبيعه الأوضاع فى تلك المرحله يلاحظ أن الجزائر لم يؤخر صدامه مع الشيخ ناصيف إلا- لأنه كان مضطرا أو مكرها على ذلك بسبب القوه الذاتيه التى امتلكها ناصيف النصر.

فاطراف التجمع العالمى كانوا وحده متماسكه و قد زاد من تماسكهم تحسبهم لأحداث ستطراً على المنطقه من قبل الجزائر.

كما كان لحكمه الشيخ ناصيف أكبر الأثر فى الحرص على تماسك هذه الوحده حفاظا على إبقاء الجبل خارج دائره أطماع الجزائر أطول مده ممكنه.

و ليس أدل على قوه ناصيف من محاوله بعض الأمراء الشهابيين و مشايخ الشوف اللجوء اليه خلال نزاعهم مع الأمير يوسف الشهابى. ففي سنه ١٧٧٦ كان حسن باشا - قائد الحمله التى قضت على ظاهر العمر - و الجزائر من بعده يلح بمطالبه الأمير يوسف عما تأخر عليه من أموال الميرى خلال فتره ولايه ظاهر العمر على صيدا. فوقع الأمير بعجزه مالى عالجه بمصادره أملاك بعض الأمراء الشهابيين. ففر هؤلاء إلى الأمير إسماعيل الشهابى فى حاصبيا. و قد استطاع هذا تسويه الأمور و إقناع الأمراء بالعوده إلى دير القمر باستثناء الأمير سيد أحمد و أفندى اللذين "بقيا تائرين على أخيهم و جعلوا يحزبان الأحزاب و يستميلان إليهما ناصيف النصر كبير المتاوله" (٤).

و تبدو قوه ناصيف أكبر فيما لو عرف ان استرضاء الأمير يوسف لأخويه فى حينه و إعاده املاكهما إليهما يعود ببعض جوانبه إلى خشيه الأمير يوسف من الاصطدام بناصيف. (٥).

و فى سنه ١٧٨٠ جعل الأمير يوسف ينتقم من النكديين و يلحق القهر بهم و خاصه "بالشيخ كليب ففر من دير القمر و أولاده و خواصه هاربا إلى جبل عامل و أقام عند الشيخ ناصيف النصر" (٦). و مكث فى جبل عامل فتره طويله حتى ١٧٨٢.

من كل ما تقدم نلاحظ حرص الأمير يوسف على عدم التورط فى نزاع حقيقى مع ناصيف النصر على الرغم من حرص الشيخ ناصيف على الاستمرار بعلاقه طيبه مع بعض أعيان الشوف. لا سيما مع الذين عرفوا بمناهضتهم للأمير يوسف. و قد تجلى هذا الأمر حتى بالمناسبات الاجتماعيه ففى ذى القعدة ١١٩١/١٧٧٧ حضر الأمير عثمان بن سليمان باشا الشهابى إلى قلعه مارون و

عزى بالشيخ أسعد بن محمد النصار الذى كان قد توفى فى يوم الجمعة ١٣ شوال من السنه نفسها.

و فى ٢١ شعبان ١١٩٢/ ذهب جميع مشايخ جبل عامل إلى بلاد الدروز للتعزیه بالشيخ على جنبلاط الذى كان قد توفى فى ١٨ شعبان. و فى ذى القعدة من السنه نفسها ذهب عقيل بن ناصيف إلى عند أولاد على جنبلاط. (٧)

ص: ٢٧٤

١- العرفان.

٢- لبنان فى عهد الأمراء.

٣- تاريخ ظاهر العمر.

٤- لبنان فى عهد الأمراء.

٥- اخبار الأعيان.

٦- ن. م.

٧- العرفان

و ما هذه الإشارات إلا دليلا على مدى الاستقرار و الطمأنينه التي كان يتمتع بها العاملون.

و يبدو استقرار العاملين و قوتهم و استقلالهم النسبي من طبيعه علاقات ناصيف الخاصه مع آل الحرفوش (شيعه بعلبك) إذ ان أحد امرائهم محمد الحرفوش حضر إلى جبل عامل في أول رمضان ١١٩٣/ و سكن لدى آل الصغير في بلده شحور العامليه. ثم تطورت هذه العلاقات لتزداد عمقا و تصل إلى حد التحالف.

و قد عبر الركينى عن ذلك بقوله: فى محرم ١١٩٥/ صارت الجمعيه بين الشيخ ناصيف و الأمير محمد الحرفوش فى الطيبه. و ركبت خيل الشيخ ناصيف مع الأمير محمد الحرفوش إلى بلاد بعلبك.(١)

و كان ناصيف ككل قائد مجرب يعلم ان الهجوم خير و سيله للدفاع.

و كانت اماره جبل عامل ككل الإمارات فى تلك الأيام تعانى من مشكله غزوات البدو. فلم يهمل الشيخ ناصيف هذا الموضوع. و عرفت تلك الفتره إغارات قام بها العاملون على بعض المناطق المجاوره بقصد الهجوم الدفاعى حينما أو بقصد تقديم المساعدة لقبيله على أخرى: ففى ذى القعدة ١١٩١/ هاجم حيدر فارس مرجعيون و غنم منها عددا من الأبقار و أسر خمسة عشر رجلا.

و فى ١٧٧٩/ ربيع الثانى نهب ناصيف مواشى من الزركشيه و التركمان و فى جمادى الأولى ١١٩٤/ غزا حيدر الفارس عرب الغزيه و قتل منهم رجلا. و فى ٢٩ رمضان ١١٩٥/ غزا ناصيف قريتين فى الحوله و نهب طرشها.(٢)

و أخيرا فى / حصل خصام بين قبائل عربان عنزه و قبيله بنى حسن (المرءوسه بال المزيدي) فحضر آل عنزه إلى تبين و استنجدوا بناصيف. فأرسل ناصيف أخاه أبا حمد بجيش من العاملين و سار قاصدا قبيله آل مزيدي فى الجولان حتى وافى الجيدور من أعمال حوران قرب قريه الحاره حيث التقى بالعربان و اشتبك معهم و انجلت المعركه عن مقتله و مقتل قاسم المراد و مائه فارس من قوات العاملين و دفن أبو حمد فى مكان يعرف بنهر الرقاد.(٣)

عند ما وصل الخبر إلى ناصيف زحف للثار من آل مزيدي فهربوا تاركين أولادهم و نساءهم فى مضاربهم فما كان من ناصيف إلا ان "حملته الشهامه و حركه الناموس لأن أمر قومه بالاعتزال عن تحلل تلك الربوع... و نزل فى بيت كبيرهم (فاضل المهنا) و دعا بأكبر أولاده و كان دون العشر سنوات فألبسه فروا ثمنا ثم دعى بأولاد الشيوخ ذوى الوجاهه من أولئك القوم و ألبس كلا منهم ما لاق به فضجت عموم النساء و الأطفال بالدعاء.. فكانت تلك ماثره تناقلها الركبان جيلا بعد جيل من العربان".(٤)

و كان الشيخ ناصيف كان يدرك أن السياسه تستطيع تحقيق ما قد يعجز السلاح عن تحقيقه.

مع ذلك، و إذا كان القول ان بعض الناس يدفعون ثمن ضعفهم صحيحا. فالصحيح ايضا [أيضا] ان بعضهم الآخر يدفع غاليا ثمن قوته.

و هذا ما سيحدث لناصر الذى و ان شارك فى هذه الثورات إلا انه لم يبادر إليها. لهذه الأسباب جميعا بدأت علاقته الشيخ ناصيف بالجزار بدايه طيبه فى أول الأمر فقد كان الجزار "ينزل برجاله فى جبل عامل (صور و رأس العين) للراحه و

التزود بالمؤن ففى / ليله العشرين من صفر جاء الجزار إلى صور و نام عند حاكمها حمد العباس. كما نزل فى السنه نفسها فى ٢١ جمادى الثانيه فى رأس العين و نام فيها ليله و مره اخرى جاءها فى ٧ شوال ١١٩٤ / و قضى فيها ليله. و كان الشيخ ناصيف يتباحث مع الجزار عند مروره أحيانا فى صور ففى سنه ١١٩٠ فى عشرين ربيع الأول سار ناصيف ببعض رجاله و مرافقيه إلى صور حيث قابل الجزار". (٥)

و لكن هذا الأمر لم يدم طويلا إذ ما أن تمكن الجزار من القضاء على ظاهر العمر حتى شعر الشيخ ناصيف بقوه الجزار المتزايد و رأى من الحكمة أن يتقدم من طور الموده إلى مرحله التحالف على يحول بين جبل عامل و بين شرب الكأس المره لذلك فإنه ساهم بالفعل فى محاربه على ظاهر إلى جانب الجزار. (٦)

و لكنه عند ما رأى ان الجزار يحاول تأديب الأمير يوسف ازدادت شكوكه حول نوايا الجزار التوسعيه لذلك أخذ يعد العده لمحاربه الجزار أن هو حاول الاعتداء على العاملين.

و يروى أحد المؤرخين العاملين نادره تبين لنا شكوك الشيخ ناصيف حول نوايا الجزار: فقد حدث ان ذهب الشيخ ناصيف مع عدد من مرافقيه لزياره الجزار. فقال الشيخ ناصيف لهؤلاء: إذا سمعتم الجزار يوقل لى أنت كشعره من شاربى فثقوا به و اركنوا اليه و إن قال أنت كشعره من لحيتى فيكون قصده الغدر. (٧)

و فى الاجتماع قال الجزار الجملة الثانيه من وصيه ناصيف. عندها انتهز الوفد فرصه انشغال الجزار لمدته وجيزه و ركبوا و عادوا إلى بلادهم طالبين النجاه.

و بدأت العلاقات بالتوتر. و زاد من هذا التوتر ان الجزار طلب من مشايخ العاملين موافاته إلى عكا فرفضوا ذلك قائلين: "انهم يخافون أن يعاملهم كما عامل أبناء ظاهر العمر (غدر بهم بعد أن آمنهم) و ما شذ عنهم إلا الشيخ قبلان الذى كان يتطوع للتوسط بين المختلفين فقدم عكا و دبر المسائل بالنيابه عن الآخرين". (٨)

عملت ظروف عده على تأجيل المواجهه المحتمه بين الزعيمين بسبب عوامل خارجه عن إرادته الجزار من جهه و بسبب محاوله الشيخ ناصيف تحاشيها من جهه ثانيه و ذلك بمنصره الجزار فى كل قضيه لا تمس من وحده العاملين و لا تهدد استقلالهم.

فقد كان محمد باشا العظيم يسيطر على وادى التيم و يتحكم بسياسه الأمير إسماعيل الشهابى و كان الجزار يتطلع إلى الأمير يوسف فى الشوف و يتحكم بسياسته. لذلك كان الصدام يحتدم بين هذين الواليين على توسيع مناطق سيطرتهم. و قد وقف ناصيف مع الجزار و خاض إلى جانبه عده معارك ضد ابن العظم.

و بالفعل فقد ذهب الشيخ ناصيف بجمع من رجاله إلى عكا ليزحف مع الجزار لقتال محمد باشا العظم". (٩) ن.

٢- ن. م.

٣- ن. م.

٤- العقد المنضد و يروى ان ناصيفا بكى فى هذه اللحظه لان مروءته منعته من الاقتصاص من النساء و الأطفال، و بالتالى حالت بينه و بين الثار لأخيه.

٥- العرفان.

٦- ن. م.

٧- مخطوطه الظاهر.

٨- تاريخ الجزائر.

٩- العرفان.

و لما تهدد موقع الأمير يوسف - حليف الجزائر - كحاكم لبلاد الشوف لم يتردد الشيخ ناصيف في تقديم يد المساعدة للأمير. و الوقائع تؤكد أن الأمير يوسف ألمح بعد عودته إلى الحكم إلى رأى ناصيف السديد في كتاب يشكره فيه على مساعدته له في العوده إلى حكم الشوف.

يضاف إلى هذا انه فى محرم ١١٩٥ / كان محمد الحرفوش مجتمعا بناصيف فى الطيبه و منها اتجها إلى بعلبك و فى عشرين محرم وصل محمد الحرفوش إلى دير القمر و منها خرج يوسف إلى صيدا ثم إلى صور حيث التقى بناصيف و كليب أبى نكد فى ٢٨ محرم و منها توجه يوسف إلى عكا عند الجزائر. (١)

و لما حظى الأمير يوسف بدعم الجزائر لقاء مبلغ من المال زوده بقوه من عنده و زحف مع الشيخ ناصيف و حمد العباس لاسترداد امارته. و قد أبلى الشيخ ناصيف بلاء حسنا فى معاركه ضد الدروز المناوئين للأمير يوسف الذى ما أن شعر بخضوع الدروز لحكمه حتى كتب إلى الشيخ ناصيف الرساله التاليه: إلى جناب حضره الشيخ ناصيف المؤيد الموقف المسدد و نطلب من الله العظيم و شعيب النبى الكريم ان لا يعدونا صاحب الهمه العليه و النفس الزكيه الرضيه ان رأيتم لائقا من غيرنا غير مأمور على جنابكم الشريف ان تكفوا العسكر عن القتل و النهب و الحريق. لأن البلاد بلادكم و الرعيه رعيتم و أمر جنابكم ماض علينا فى الرخاء و الضيق و رفيقنا و رفيق جنابكم فرد رفيق و إن شاء الله عز شانه الطريق فرد طريق. لأن غيرتكم و رأيكم السديد الذى بدا معنا و بذلتموه لدينا ما سبقكم عليه لا أخ و لا صديق فيجب علينا حفظه على الدوام على ممر الدهور و الأيام. " (٢)

ظن ناصيف النصار ان موقعه قد تعزز عند الجزائر بعد هذه الحادته فحاول التوسط لبعض الجنبلاطين الذين كانوا على خلاف مع الجزائر فطلب هذا الطاغيه مبلغا كبيرا من المال " حتى نسمح لهم عن دمهم و نسكنهم فى الموضع الذى نريده لا فى الموضع الذى يختارونه هم " (٣) و لم يوفق الشيخ ناصيف فى وساطته هذه. و ربما كان ذلك إشاره من طاغيه عكا إلى انتهاء دور الشيخ ناصيف النصار و الانتقال بالتالى من مرحله التناصر إلى مرحله التناحر!

## ناصيف النصار و الجزائر:

مرحلة التناحر و الاستشهاد

كان الجزائر مطبوعا على الغدر، متنكرا للحلفاء لا يقيم للأخلاق وزنا فى تحالفاته و عداواته لذلك عند ما شعر باحكام قبضته على بعض مناطق فلسطين و أصبح الأمير يوسف الشهابى حاكم جبل لبنان العوبه بين يديه سال لعبه للسيطره على جبل عامل و القضاء على ما كان يتمتع به من استقلال.

و كان يدرك استحاله تحقيق هذا الأمر ما دام الشيخ ناصيف سيد الجبل بلا منازع. و قد عزز هذا الاعتقاد فشله المستمر بتحركاته بقوات الشيخ ناصيف فقد " ساق عليه جنده و كر على جبل عامل الكره بعد الكره فلم يتسن له الفوز. و كان فى كل مره يرجع خائبا و تدور الدائره عليه " (٤). فلما تهاوى زعماء جبل عامل الأشداء الواحد تلو الآخر تحت ضربات السنين. فقد توفى عباس المحمد و على منصور المنكرى سنة ١١٨٧/١٧٧٣ و على الفارسى الصعبى ١١٨٩/١٧٧٥ و محمود النصار و قاسم المراد و هما ساعدا ناصيف النصار سنة ١١٩٣/ (٥) و عند ما تهاوى هؤلاء افتقد جبل عامل تماسكه السابق، فهناك إشاره سريعه و مقتضيه إلى أن الشيخ حيدر الفارس حاكم بلاد الشقيف "كبس... اللزازات فى صور و نهب طرشها فى صفر ١١٩٥ /" فمثل هذه



الحادثه لم تكن تحدث أيام أخيه على الفارس. كما نقل في المخطوطات العامليه عن تواطؤ الشيخ قبلان الحسن حاكم قلعه هونين مع الجزائر على ناصيف ظنا منه أن البلاد ستؤول اليه بعد ذهابه. (٤)

و لكن هذه الخلافات رغم أثرها السلبي على قوه العاملين لم تكن من الحده بحيث تدفع فريقا منهم للقضاء المباشر على فريق آخر. فبالرغم من هاتين الاشارتين لا يمكن الذهاب في تصور واسع لصراعهم لأنه لم ينقل بتاتا في المخطوطات المتوافره عن اشتراك عسكر حيدر الفارس أو عسكر قبلان الحسن مع الجزائر في محاربه ناصيف في معركة يارون / بل نقل انه بعد مقتل ناصيف فر قبلان إلى دمشق بعد أن سقطت قلعه هونين بيد الجزائر و أن حيدر الفارس حوصر في قلعه الشقيف من قبل الجزائر الذي واصل زحفه في جبل عامل. (٧)

و مهما يكن من أمر فقد قرر الجزائر الاستيلاء على الجبل و قرر ناصيف الدفاع عنه مهما كان الثمن غاليا. أرسل الجزائر جماعه من جنده إلى جهات علما للتحرش فهاجم جند الشيخ ناصيف الذين ما لبثوا أن انسحبوا إلى قريه الزيب حيث جرت معركة لمدته ساعتين قتل على أثرها سته من جنود الجزائر و بدأ بعدها الجزائر يضاعف استبداده و يعزز جيوشه في بلاد بشاره (٨) استعدادا لمعركه تقرر نهايه ناصيف النصار.

### معركه يارون الاثنين ٥ شوال ١١٩٥/:

لقد اختلفت الروايات بشأن هذه المعركه و كيفيه حدوثها فمن روايه تفيد انها كانت بين فريقين مهيين مسبقا للقتال. إلى روايه تفيد أنها كانت بتواطؤ من قبلان على ابن عمه ناصيف. و من روايه تزعم أن الجزائر تظاهر بأنه يزحف إلى وادي التيم في حين كان يقصد مباغته جبل عامل، إلى روايه تزعم أن الجزائر كان يقصد حاصبيا فعلا و ليس جبل عامل.

و من ناحيه ثانيه فقد اختلفت الروايات في كيفيه مقتل ناصيف فمن روايه تفيد أن مقتله كان برصاصه في خاصرته إلى روايه تفيد انه كان "بطبنجه" من أحد رجال الجزائر ضرب ناصيفا بها بعد أن زلت قدم جواده.

محمد جابر آل صفا يروي الحادثه كما يلي: هاجم الجزائر جبل عامل بجيش كثيف في سنه ١١٩٥ / من الجبهه الجنوبيه متظاهرا بأنه يريد اجتيازه إلى وادي التيم لتأديب العصاه. فأدرك الشيخ ناصيف قصده فأسرع لعنده بشرذمه من خيله لا تزيد عن سبعمائه فارس كانت ترابط معه دائما في حصن تبينين. و كان الشيخ ناصيف بطلا مقداما تعود خوض المعارك و ممارسه الحروب يهزأ بالمنايا و لا يبالي بالموت. فحملته الجراء و البساله على منازله ذلك الجيش اللجب بخيله القليله و لم ينتظر وصول بقيه الجنود و الأعوان المرابطه في القلاع. و زلت قدم جواده على بلاطه يارون و عاجله بعض الجنود بإطلاق الرصاص فخر قتيلا و تشتت جنوده و طويت صحيفه استقلال جبل عامل بعد ناصيف و سقطت بمقتله الحكومه الأولى بحصونها و قلاعها. (٩)

الشيخ سليمان ظاهر يروي الحادثه معتمدا على الأمير حيدر الشهابي

٢- ن. م.

٣- ن. م.

٤- محمد جابر.

٥- العرفان.

٦- ن. م.

٧- ن. م.

٨- مخطوطه الظاهر.

٩- محمد جابر.

فيذكر تصميم الجزائر الاستيلاء على جبل عامل: "جهز (الجزار) لهم هذه المره عسكرا عظيما و لما بلغ الشيخ ناصيف النصار قدوم العسكر جمع رجاله و نادى لقبائل بنى متوال. فاجتمعوا اليه من القبائل الثلاث (آل الصغير - آل منكر - آل صعب) لأنه كان كبير المشايخ و الجميع ينقادون اليه. و سار بتلك العساكر قاصدا عسكر الجزائر حتى التقوا بهم. فهجم عليهم الجزار و نشبت بينهم الحرب و حمل في مقدمه العسكر الشيخ نصيف النصار و لم يلبث أن أصابت رأسه رصاصة فقتل. فانهمزمت المتاوله و أخلت البلاد و دخل عسكر الجزار إلى بلاد بشاره و تسلموا قلعه تبنين و قلعه هونين و حاصروا قلعه شقيف ارنون و كان فيها الشيخ حيدر الفارس و بعد أيام سلم فأخذها بالأمان ثم قتلوا كل من كان فيها". (١).

أما الشيخ على السبتي فيذكر انه "سنه ١١٩٥ أرسل الجزار عسكرا إلى حاصبيا (؟) فجاء إلى يارون فظن أهل بلاد بشاره ان العسكر يريدهم فحضر ناصيف و صارت وقعه قتل فيها ناصيف و خربت البلاد. و قيل ان عسكر الجزار حضر إلى البلاد بواسطه صاحب قلعه هونين و صار قتل ناصيف بواسطته و ظن أن البلاد تضل (تظل) له. فلم يبق (الجزار) أحدا منهم". (٢).

شبيب باشا الأسعد يروي بان الجزار كان يقصد جبل عامل مباشره و يوافق صفا في كيفية حدوث المعركه و يتابع قائلا: جاء من جانب آخر زنجي و أطلق عليه الرمح فأصابه بجرح ثبت له فانشى كارا عليه و ضربه بالسيف و قتله فجاءه ثلاثه فوارس فأراد أن يميل عنان جواده نحوهم فزلت نعال جواده على بلاطه... فسقطا معا هو و الجواد فحمل أولئك عليه و أطلق أحدهم الطنبجه فأصابته و طعنه الآخر في صدره فغودر عند ذلك قتيلًا و دفن بجانب قريه يارون". (٣).

الشيخ محمد تقى الفقيه يقول: "استشهد ناصيف في يارون على بلاطه واسعه تعرف اليوم باسمه و الظاهر أنها سطح صخره ضخمة مضموره بالأرض سطحها يساوى سطح الأرض متصله بمقبره يارون رأيتها بنفسى في سنه ١٩٦٣ م و رأيت فيها أثرا يشبه تزلق حافر حصان و كنت أظنه مصطنعا.

و رأيت حمرة بسيطه في نفس الصخره يزعمون أنها بقايا لون دمه".

ثم يروي روايه غريبه عن أحد أبناء تبنين مفادها أن ناصيفا أراد أن يستعمل ضربا من ضروب الفروسية فأشار إلى جواده بشاره يعرفها فارتفع به عن الأرض و وقف على رجل واحده و أراد أن يهوى بسيفه على قرنه عند هوى الجواد فتكون الضربه مضاعفه فانزلق به جواده و وقع على الأرض فهجم عليه ثلاثه أو أكثر و تعاونوا على قتله فقتل". (٤).

من خلال جميع الروايات العامليه نلاحظ حرصا على جعل استشهاد الشيخ ناصيف مميزا بل و اسطوريا مما يدل على مدى تعلق العاملين بشخصيه الشيخ ناصيف القائد. كما يبدو لنا الشيخ ناصيف خريجا "لمدرسه كربلاء" بما فيها من معانى القيادة و الإخلاص و الايمان القائد إلى الاستشهاد. و قد أرخ المرحوم الشيخ إبراهيم يحيى العاملى مقتل الشيخ ناصيف النصار بهذه الأبيات:

قتل ابن نصار فيا لله من مولى شهيد بالدماء مخرج

و تداولتنا بعده أيدي العدى من فاجر أو غادر أو أهوج

هى دولة عم البلاد الظلم فى تاريخها الله خير مفرج

(٥) و إذا كانت نتيجته أى عمل تعتبر جزءا لا يتجزأ منه فان النتائج التى ترتبت على استشهاد الشيخ ناصيف و ما ارتكبه الجزائر من فظائع فى جبل عامل تؤكد أن هدف الجزائر كان جبل عامل لا سواه.

### ماسى الجزائر فى جبل عامل

اكتسحت جنود الجزائر البلاد و أحرقت القرى و دمرت المنازل. و شحن ما فى مكاتب جبل عامل من التأليف و المخطوطات النادرة حيث أحرقت فى عكا. و شكاه علماء البلاد إلى الآستانه و لكن حكومه الباب العالى أرسلت إليه الشكوى عينا فانتقم من موقعيها. و أسرف رجاله فى ذلك الشعب قتلا و ذبحا و قبض على فريق من الوجهاء فأماتهم خنقا فى سجون عكا و شرد من بقى منهم إلى البلاد المجاوره. و هاجر العلماء و أهل الفضل للبلاد الإسلاميه النائيه كالهند و العراق و إيران و الأفغان و خدموا فيها الإسلام و الشيعه الاماميه أجل خدمه. و فر من بقى من الحكام و أبناء العشائر إلى جبال حلب و الأناضول و قصد بعضهم "عكار" فأنزلهم حاكمها على بك الأسعد المرعبى فى دار رحبه لم تزل للآن تعرف بدار العشائر... و للعلامه الشيخ إبراهيم يحيى العاملى و كان فيمن فر من العلماء و سكن دمشق متسترا قصيده غراء ألمح فيها لهذه الكوارث:

من لى برد مواسم اللذات و العيش بين فتى و بين فتاه

و رجوع أيام مزين بعامل بين الجبال الشم و الهضبات...

إلى أن قال:

خطب دعانى للخروج عن الحمى فخرجت بعد تلوم و اناه

و تركته خوف الهوان و ربما ترك النمير مخافه الهلكات

و هكذا دامت الحال سنينا و العامليون يقاسون ضروب العسف و الشقاء فحملهم ذلك على الاستبسال و الاستماته فى سبيل الدفاع عن حوزتهم فثار الزعماء و أبناء العشائر و ألقوا العصابات الثوريه ليبدءوا مرحله من حرب العصابات.(٤)

و قد أظن المؤرخون فى وصف ماسى الجزائر التى ألحقها بجبل عامل بعد مقتل زعيمه ناصيف النصار. كما أن العاملين لا يزالون يتناقلون الروايات الفظيحه حول ذلك. فقد قضى الجزائر على الاستقلال الذاتى لجبل عامل الذى كان ينعم به فى ظل مشايخه و تابع انتقامه من العاملين بجيش مؤلف من "الأ-كراد و الأ-تراك و أعمل السيف بهم و استباح أعراضهم و نهب أموالهم... (٧) و لا بدع فهتك العرض و اغتصاب العذارى من شيم اللثام " و صار الأمير إسماعيل يعد النساء و يأخذ عليهم خفرا كما أخذ العداد و الخراج و هدمت الدوله القلع و أخذوا الأولاد و النساء(٨) " و كانوا يبيعون المرأه بعشره مصارى(٩) و كان الرجال يساقون إلى عكا حيث ينتظرهم الموت على الخازوق(١٠) و هرب المشايخ إلى بلاد بعلبك و الشيخ قبلان و اخوته إلى الشام و جعل الأمير إسماعيل يمسك اتباعهم و يبلغهم بامر

١- العرفان

٢- ن. م.

٣- العقد المنضد.

٤- الفقيه.

٥- أعيان الشيعة.

٦- ن. م.

٧- ميخائيل مشاقه.

٨- العرفان

٩- دوانى القطوف.

١٠- مشهد العيان.

الجزار.. و جعلت الدوله تأخذ من الرعيه الأموال و الخيل و السلاح و كانت هذه السنه سنه خوف و جزع و ذعر شديد.(١)

و فر أولاد ناصيف النصار فارس و محمد مع بعض مشايخ آل الصغير إلى عكار حيث نزلوا عند آل المرعبي و قيل عند محمد الأسعد حيث اقطعوا أرضا لا تزال تدعى حتى اليوم "بجبل الأسود".(٢)

أما الشيخ قبلان ففر إلى دمشق حيث كان واليها محمد باشا العظم يكن له احتراماً و صداقه فاقطع من بلاد الهرمل قريتي القاع و رأس بعلبك و منحها له لكن الجزار ما عتم ان أصبح واليا في دمشق ففر قبلان إلى بغداد حيث توفي فيها سنه ١١٩٩ هـ.

و مع غياب السلطه السياسيه بعد مقتل ناصيف آلت القيادة العامه إلى علماء جبل عامل فأخذوا بالتحريض على الجزار و شكوه إلى الآستانه و لكن حكومه الباب العالي أرسلت اليه الشكوى فانتمت من موقعيها: فكانت نكبه كبرى حلت بجبل عامل على الصعيد الثقافى لأن ظلم الجزار بلغ مبلغا عظيما فى الضغط على العلماء و الكبراء حيث تعقبهم قتلا و تعذيبا و مصادره و تشتيت من بقى منهم فى الأقطار و استصفى آثارهم العلميه و كان لأفران عكا من كتب جبل عامل ما أشعلها بالوقود أسبوعا كاملا و كانت هى الضربه الكبرى على العلم و أهله. و ما ظنك ببلاد حرص أهلها على طلب العلم حرصا شديدا و لم ينقطع عنها مدده و جابت علماءها البلاد النائيه فى طلبه و اقتناء كتبه حتى جمعت لديهم تلك الذخائر فى قرون و أجيال كانت بعد ذلك طعما للنار فى مصادرات الجزار.(٣)

## المقاومه العامليه للجزار

بعد سيطره الجزار على جبل عامل و هرب مشايخه و زعمائه و تشتت أهاليه جعل الجزار فيه إبراهيم مشاقه متسلما للإداره و جعل مركزه قلعه مارون و كانت لانتقائه هذا ما يعلله إذ أن إبراهيم مشاقه كان على خبره فى أحوال جبل عامل و نفسه العامليين منذ كان كاتباً لناصر فى صور فنشأت بينه و بينهم علاقات تجاريه زاهره. و قد أحسن هذا اداره الجبل لكن العامليين كانوا لا يرضون عن الاستقلال بديلا(٤) فبدءوا يضطرمون حقدًا على الجزار و ينتظرون سانحه للانقضاض عليه. لجئوا إلى تأليف "عصابات" مقاومه تجوب البرارى و تهاجم قوات الجزار السارحه فى هذا الجبل و تعيث فيهم قتلا و نهبا و هى تقصد إيجاد حاله من البلبله و الفوضى لكى لا يدعوا الجزار يستقر فى جبلهم.(٥)

لكن ثورتهم الكبرى كانت سنه ١١٩٧/١٧٨٣ حين اشتد الخصام بين الأمير يوسف الشهابى و الجزار بسبب تلاعب و تقلب الجزار فى سياسته مع الدرروز بين الأمير يوسف و الأمير إسماعيل الشهابى. عندها أرسل أولاد ناصيف و رجالهم يعربون ليوسف عن استعدادهم لقتال الجزار إذا أمن لهم السلاح اللازم فوافقهم و حضروا إلى بلاد الشوف و منها توجهوا إلى شحور حيث اجتمع العامليون و تدارسوا الأمر فيما بينهم. و كان الشيخ على الزين مدير الاجتماع. و رأسوا عليهم حمزه بن ناصيف النصار و توجهوا بضع مئات و هاجموا قلعه تبنين و قتلوا حاميتها و متسلمها و هددوا إبراهيم مشاقه الذى فر إلى الجزار طالبا اعفاء من مهمته لكن الجزار زحف برجاله إلى العامليين و التقى بهم قرب قريه شحور حيث جرت معركة حامية قتل فيها حمزه الناصيف مع مائه من رجاله.(٦)

و استمر الجزار فى انتقامه من العامليين مما دفعهم لمؤازره نابليون حين حاصر عكا سنه ١٧٩٩ و قدموا المؤن لجيشه حقدًا على الجزار. لكن تراجع نابليون عن عكا جعل الجزار يستمر ثانيه فى انتقامه و عسفه و ظلمه للعامليين.(٧)

و بقى الحال كذلك فى جبل عامل حتى بعد أن خلفه عبد الله باشا فى ولايه عكا، و لم تتغير حاله العالميين هذه إلا بعد أن تولى سليمان باشا سنة ١٨٠٥ على ولايه صيدا حين اعتمد معهم سياسه اللين و العدل فعادوا إلى بلدهم و عاد مشايخهم من آل صعب و آل الصغير (فارس و محمد الناصيف) إلى التزامه بعد أن عوض سليمان باشا عليهم بعضا من أملاكهم.

### جبل عامل فى عهد الشيخ ناصيف النصار

كان جبل عامل قبل المرحله التى نتكلم عليها يشكل جزءا من البلاد الشاميه التى وقعت تحت سيطره العثمانيين اثر معركة مرج دابق ١٥١٦.

و كانت الدوله العثمانيه تقسم البلاد اداريا و عسكريا إلى ايالات و سناجق.

كما كانت تمنح هذه الإيالات و السناجق بطريق "الالتزام" من يدفع أكثر يحصل على الولايه و له أن يجبى الأموال بالطريقه التى تناسبه و غالبا ما كان "الملتزم" يعتمد على الأعيان و المشايخ فى عمله هذا.

فى هذا الإطار كان يحكم جبل عامل فى ظل العهود العثمانيه عدد من الأسر البارزه عن طريق استقلال أحد مشايخ هذه الأسر بالحكم شرط أن يحفظ الأمن و يؤدى الأموال المترتبه لخيرته الوالى.

أما فى عهد ناصيف النصار الذى استطاع ان يوحد العالميين و يبعد الشهابيين عن الجبل فقد تراجعت سلطه الدوله العثمانيه و أصبحت سلطه اسميه فقط و لم يعد بإمكانها التدخل فى شئون البلاد المحليه و لا يهملها إلا قبض الضريبه المفروضه على مقاطعات جبل عامل و مقدارها ستون ألف غرش توزع على المقاطعات الثمانيه. (٨)

و يبدو ان اختيار ناصيف تبين مركزا لقيادته لم يكن وليد الصدفة إذ تشير المصادر التاريخيه إلى انه عند ما جدد الأمراء العالميون الوافر من قلاعهم و أحدثوا بعض الحصون فى منتصف القرن الثانى عشر الهجرى كانت المقاطعات ثمانيه: تبين و هونين و ساحل معركة و ساحل قانا و مرجعيون و الشقيف و إقليم الشومر و جباع و المرجع العام للثمانيه كانت تبين و الحاكم فيها من آل على الصغير. (٩)

ثم انتقل ناصيف النصار بجبل عامل إلى مرحله الاستقلال التام عن الدوله العثمانيه عند ما أعلن الثوره مع ظاهر العمر سنة ١١٩٠ - فكان المشايخ الإقطاعيون العالميون غير ملتزمين " برفع علم الدوله الرسمى فى اجتماعاتهم بل كان لهم اعلام خاصه من نسيج حريرى - أخضر و أحمر - كتب عليها بالنسيج الأبيض ثلاثه سطور: لا إله إلا الله محمد رسول الله و الثانى: لا فتى إلا على لا سيف إلا ذو الفقار. و الثالث: نصر من الله و فتح قريب " (١٠).

أما فيما يختص بالأمور القضائيه فقد كانت الدوله العثمانيه تعين قضاة

٢- لبنان فى عهد الأمراء.

٣- العرفان.

٤- مشهد العيان.

٥- محمد جابر.

٦- ن. م. و لبنان فى عهد الأمراء و مشهد العيان.

٧- العرفان.

٨- جرجى بنى.

٩- دائره المعارف الإسلاميه الشيعيه.

١٠- محمد جابر



من قبلها باسم نائب و نظرا لكون أغلبية العاملين على مذهب الشيعة الإماميه "فقد كان مرجع القضاء و الفتوى الحقيقي في جميع أدوار جبل عامل العلماء و المجتهدون العدول" (١).

و خاصه في قضايا الأحوال الشخصية و الفض في المنازعات و قضايا البيع و الشراء و الميراث و هذا يعنى ان التنظيم القضائى و القوانين التى كانت تطبق فيه لم ترد فى نصوص أخرجتها السلطه التشريعيه كما هى الحال اليوم.

و إنما كانت تتبع التعاليم الإسلاميه المستمده من القرآن الكريم و السنه المطهره على مذهب أئمه آل البيت و الإجماع و الاجتهاد و ان ما نقل عن ناصيف النصار من إكرامه للعلماء و تقديره لهم انعكس تعزيرا لمنصب القضاء الذى كانوا يشغلونه و بالتالى أصبحت فتاواهم "حكما مبرما يوجب على الحاكم الزمنى العمل بنصه و لو كان ضد الحاكم نفسه" (٢).

من الناحيه الاجتماعيه: عرف المجتمع العاملى فئات ثلاث فئه الأعيان التى تمثل الطبقة الحاكمه و كبار الموظفين و تتمتع هذه الفئه بالشأن الرفيع.

و كان الإقطاعى ينفذ فى عامه الشعب أحكامه "و ينظر فى شئونهم على هواه و هم اتبع له من ظله يعضدونه فى تعزيز قوته و إعلاء مكانته" غير انهم "لم يكونوا عبيدا لأصحاب الإقطاعات ارقاء لهم" (٣).

فئه رجال الدين و تضم الساده و الشيوخ المجتهدين. أما الساده فهم العلماء الذين يرجعون بنسبهم إلى النبى من ابنته الزهراء و ينظر إليهم من قبل الشيعة بتقدير و إجلال كبيرين لنسبهم الشريف و أما الشيوخ المجتهدون فهم فى الأصل من عامه الشعب درسوا العلوم الدينيه و الفقهيه. و قد كان لرجال الدين عامه سلطه معنويه على أفراد الشعب و المشايخ الإقطاعيين على حد سواء. و قد عزز هذه السلطه العصبية المذهبيه التى كانت سائده آنذاك إضافه إلى كونهم على مستوى المرحله فقد استشهد عدد منهم دفاعا عن العقيدة و الوجود.

أما الفئه الثالثه فقد كانت عامه الشعب من فلاحين و مزارعين. و معظم هؤلاء كانوا يعانون الفقر لكن أحوالهم تحسنت فى عهد الشيخ ناصيف بعد ان تمركزت السلطه السياسيه فى يد قويه أشاعت الأمن و الاستقرار و قد تحددت الضرائب على جميع مقاطعات جبل عامل بستين ألف غرشا سنويا! "و لم يعودوا يدفعون الضرائب المتنوعه التى فرضها الترك على الأراضى من وىركو و أعشار و رسوم تملكك.. و لم تكن شبانهم تساق إلى الجنديه" (٤) أضف إلى أن التحالف الذى أقامه ناصيف مع ظاهر العمر أعفى العاملين من كثير من المشاكل التى كانوا يتعرضون لها على يد جيرانهم الفلسطينيين. (٥)

و قد تميز العلماء فى عهد ناصيف "بسلطه عليا تفوق كل سلطه تتطأ لها الرؤوس و تحنى الرقاب" (٦).

من الناحيه الاقتصاديه: كانت الحاله الاقتصاديه فى جبل عامل فى ظل الدوله العثمانيه تتصف بالفقر على وجه الإجمال لعدده عوامل أبرزها: موقع جبل عامل المتوسط بين مقاطعات البلاد الشاميه مما جعله ممرا للجيوش و مسرحا لمعارك المتخاصمين، مع ما يقتضى هذا الأمر من نفقات العسكر المار فى الجبل من علائف و مؤن.. فقد كان يرهق الشعب المعدم بمطالبهم حتى أن الفرد أصبح يفر من الغنى لأن هذا سيجعله محط رحال العسكر. و يروى عن أحد التجار ان حاكما وهبه مره قريه لإيقاعه بهذا المأزق الأنف الذكر، فسعى التاجر بعناء حتى تخلى عن ثلاثه أرباع هذه القريه. (٧)

كما ان حاله الجور و الاستبداد التى كان يلقاها العاملون على أيدي حكامه و ملتزميه من غير العاملين ساهمت بدورها فى تردى حاله الاقتصاديه. إضافه إلى حال عدم الاستقرار بفعل هجمات الدمار و الخراب التى كان يتعرض لها العاملون على أيدي الشهابيين و الولاه العثمانيين.

و أخيرا عمليه الإفكار التى كان يعتمدها الولاه فى تحصيل الأموال السلطانيه إذ كانوا يوعزون لرجالهم بنهب البيادر و المحاصيل. (٨)

و من المعروف ان الناس لا يقدمون على الكد فى تحصيل معاشهم إلا إذا كانوا على ثقه من التمتع بما يكسبون "لأنهم يفضلون الاكتفاء بالقليل التافه الذى يحصلونه بالتعب القليل على الكثير إذا جنوه بالكد ذهب طعمه للظالمين. فنشأ عن هذا همال الزراعه و الصناعه و التجاره. (٩)

و من الطبيعى أن تتغير حاله الاقتصاديه للجبل فى عهد ناصيف النصار بعد أن تغيرت الأوضاع السياسيه و الاجتماعيه حيث عرف الجبل مزيدا من الاستقرار السياسى و ابتعادا عن سلطه و لاه الجور.

فقد ازدهرت الزراعه فى الجبل بسبب خصوبه أراضيه و نشاط فلاحيه يدل على ذلك مجموعه الآثار و الظواهر المتوافره فى الجبل: كثره معاصر الزيت و معاصر العنب و الخروب و المطاحن المائيه على مجارى الأنهار و خاصه نهر الليطاني.

كما كثر فى جبل عامل مزارع الزيتون كمزارع البصه و جاليل: التى كان يقلع منها كل سنه جانب عظيم و يصدر لجميع جهات بلاد بشاره و ساحل عكا. (١٠)

كما كثرت كروم التين و العنب فى جميع أنحاء هذا الجبل و قد أطنب الرحاله روبنسون الذى زار البلاد فى تلك الفتره فى وصف لذه عنبها و كبر عناقيدها". (١١)

أما زراعه التبغ فقد كثر على هضاب جبل عامل و خاصه فى ساحل قانا و الجبال المجاوره لصور و كان تبغها " يشابه فى جودته تبغ اللاذقيه و يفوقه أحيانا". (١٢)

كما كانت زراعه قصب السكر منتشره على مجارى المياه فى جبل عامل (١٣) أما زراعه الفواكه فقد كانت بساينها منتشره حول صور و تروى بمياه رأس العين لكن العناية بها كانت ضئيله. (١٤)

فيما يتعلق بالصناعه يبدو أن الجبل لم يعرف فى تاريخه صناعه مزدهره لذلك اقتصرت الصناعات فى جبل عامل على بعض المصنوعات اليدويه كصناعه الآلات الحراثيه و صناعه الحصر من مساكب "البابير" و صناعه الزقاق من الجلود قرب الحوله. (١٥) يوميات فى لبنان.

كما كانت هناك بعض الصناعات التحويليه كتصنيع الزبيب و التينى.

- ١- خطط جبل عامل.
- ٢- محمد جابر.
- ٣- جرجى بنى.
- ٤- محمد جابر.
- ٥- ن. م.
- ٦- ن. م.
- ٧- المقتطف.
- ٨- تاريخ ظاهر العمر.
- ٩- بنى.
- ١٠- المقتطف.
- ١١- إدوار ربنسون.
- ١٢- عارف الزين.
- ١٣- يوميات فى لبنان.
- ١٤- فرنسوا فولنى.

المجفف و استخراج الزيوت من الزيتون و البطم و استخراج الطحين من الحبوب بأنواعها. تدل على ذلك كثره المعاصر و المطاحن المائيه التي ما تزال آثارها ماثله إلى اليوم. و كان العامليون يلبسون ثيابهم من قطن أرضهم منسوجا على انوالهم اليدويه. (١)

هذا بالاضافه إلى تصنيع انتاج المواشى كالألبان و الأسمان و قد استعمل العامليون السمن للإناره. كما قاموا بتربيه النحل و استخراج العسل منه.

و استخراج الملح من مياه البحر على طول الساحل العاملى و خاصه فى صور.

أما التجاره فقد حظيت بعنايه خاصه من ناصيف النصار لأنه كان مشهورا كتاجر كما كان مشهورا كجندى على حد قول أدوار لاکروا. (٢) و قد تمثل ازدهار التجاره الخارجيه بالظواهر التاليه: تعمير ميناء صور فقد جاء على لسان الرحاله الفرنسى فولنى ان المتاوله رمموا هذا المرفا فى سنه ١٧٦٦ و بنوا له سورا بعلو ٢٠ قدما. بحيث يمكن للسفن إيجاد ملجا و هذا المرفا يفضل على مرفا صيدا. (٣)

و قد أصبح مرفا صور مركزا لتصدير المنتجات العامليه من جميع مقاطعات الجبل ما خلا المناطق التي جاورت صيدا. كما هيا هذا المرفا لأهالى صور بصوره خاصه سوقا تجاريه رائجه و أصبحت حالتهم المعيشيه جيده فقد كنت ترى فى بيوتها وسائل الراحة. (٤)

و ساهمت حاله الأمن و الاستقرار التي سادت جبل عامل سواء لانكفاء الشهابيين أو لانحسار غزوات البدو إضافه إلى قطع دابر اللصوصيه فى عهد ناصيف على تحويل جبل عامل إلى طريق للقوافل التجاريه. فقد كانت ثمر البضائع التجاريه من سوريا إلى فلسطين عن طريقين: طريق دمشق طبريا و طريق دمشق - تبين.

يضاف إلى هذا: العلاقات السياسيه الوديه بين ناصيف و الشهابيين و ظاهر العمر و على بك الكبير فقد عززت التبادل التجارى بين جبل عامل و سائر المناطق الشاميه.

و ساعد موقع الجبل المتوسط بين المناطق المجاوره من ناحيه و إشرافه على ساحل البحر المتوسط من جهه ثانيه على ازدهار التجاره. و بالفعل فقد تعززت التجاره بين صور و دمياط فى مصر فقد ذكر ان جرجس مشارقه كان يتعاطى تجاره التبغ و يصدرها إلى مصر و قد تمكنت "صلته بمشايخ آل الصغير حكام بلاد بشاره و الشقيف الشيعيين حيث كان يشتري منهم حاصلات أراضيهم الواسعه من التبغ... و فى اضطرته المصلحه أن يقدم من صيدا إلى صور فانتقل إليها لتسهيل تجارته مع مشايخ المتاوله القاطنين فى جوارها و الذين لهم من أغلالها النصيب الوافر مثل التبغ و الحبوب و الأخشاب. (٥)

أما التجاره المحليه فقد تمثلت فى مجموعه الأسواق المحليه التي كانت تقام فى بعض البلدان الكبرى المتوسطه الموقع بين المقاطعات كسوق تبين، النبطيه، العديسه الطيبه، بدياس، جوياء، بنت جبيل و كان الفلاح العاملى يعرض فى هذه الأسواق منتوجاته الزراعيه و مشتقاتها و صناعاته اليدويه. (٦) فيما يتعلق بالحاله الفكرية فقد عرف جبل عامل منذ القدم بإقبال خاصه من علمائه على نهل العلم و خاصه العلوم الدينيه و الفقهيه نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الشهيد الأول محمد بن مكى ٧٨٦

- ١٣٨٤، الشهيد الثاني زين الدين بن علي ٩٩٦ [٩٦٦] - ١٥٥٩، الحر العاملي الشيخ محمد بن الحسن بن علي ١١٠٤ - ١٦٩٢. السيد جواد المعروف بمحمد الجواد بن محمد ١٢٢٦ - ١٨١١ و سواهم ممن عرفوا شهره واسعه في مختلف ارجاء العالم الإسلامي و لا سيما الشيعي منه.

و في مطلع القرن السادس عشر الميلادي و بعد أن بدأت هجمات الولاة العثمانيين و الملتزمين تتوالى على الجبل فقد شهدت الحاله الفكرية تراجعاً نسبياً و خاصه حركه الشعر و ذلك لسببين: الانشغال في الاهتمامات المعيشيه الصعبه، وجود الحكام الغرباء و الذين لا يمكن أن يكونوا من ممدوحى الشعراء العامليين.

و لكن مع ظهور ناصيف النصار في جبل عامل و مع إكرامه و تقديره للعلماء و الشعراء و مع انتفاء الهجمات الخارجيه و مع بروز الهويه العامليه و مع انطلاقه ناصيف النصار خارج حدود الجبل و مع كثره المعارك و البطولات..

مع كل هذا ظهرت حركه الشعر و اشتهر من شعراء تلك المرحله الشيخ إبراهيم الحاريسى و الشيخ إبراهيم يحيى العاملي. فقد عاصر هذان الشاعران ناصيف النصار و عزفا بطولاته الحانا تفيض بالعزه و الكرامه و العنفوان فكان ناصيف يرد كيد المعتدين و الشعراء يردون أقوالهم.

و لما غيب ناصيف النصار و كانت نكبه جبل عامل على يد الجزائر و كان تشرّد القاده و العلماء و الشعراء جاءت قصائد هؤلاء صوره معبره عن هذه النكبه فكان شعرهم أنينا و قصائدهم حيناً.

و خلاصه القول انه: في أواخر القرن الثاني عشر إلى أوائل القرن الثالث عشر للهجره " تكون النهضه الشعريه في جبل عامل قد تكاملت فتفتحت عن مجموعه من الشعراء الأفذاذ عاشوا أحداث بلادهم بشعرهم و شعورهم فكانوا لسانها الناطق و ضميرها الحى و ذهنها الوقاد ".<sup>(٧)</sup>

و قد استمرت هذه النهضه الشعريه حتى تولى حمد المحمود زعامه الجبل " و هو رجل من أنبغ من أنجبت أسرته كان فارساً مقداماً و كان أديباً شاعراً... و كانت تبين قاعده حكمه و فيها ملتقى وفاده و كان قد جدد بناء قلعتها هذه القلعه التي شهدت ازهى أمجادها أيام سلفه الشيخ ناصيف النصار.... فاجتمع للشعراء: أمير تشوقه المدائح و شاعر يفهم ما يقولون و أمجاد مغريه بالمدح فالتقى في قصر حمد مجموعه من الشعراء لم يلتق مثلها إلا في قصور الملوك السالفين... و يخيل إليك و أنت تراجع شعر تلك الفتره ان حياه مصغره لسيف الدوله الحمداني قد انبعثت في الجبل ".<sup>(٨)</sup>

و مهما يكن من أمر فان الحركه الشعريه ازدهرت في عصر ناصيف النصار و ربما كانت تستحق وقفه خاصه و دراسه مستقلة فكما كان ناصيف النصار يعزف ألحان البطوله بوقائعه و شهامته و دفاعه عن الحق كان الشعراء يخلدون هذه الألحان بترانيم لغويه أغنت التراث العاملي و سجلت مآثر هذه الأقلية التي عاشت في الجبل و دافعت عن نفسها لتستمر بعقيدتها و حررتها و كرامتها.

و كانت و ما زالت تقدم الشهداء من ابنائها و من قادتها و من علمائها على حد سواء و هذا أمر سهل الفهم إذا تذكرنا أن العاملي يرضع مع حليب أمه ما حدث في كربلاء.م.

- ١- المقتطف.
- ٢- تاريخ الجزائر.
- ٣- سوريا و لبنان و فلسطين.
- ٤- يوميات فى لبنان.
- ٥- مشهد العيان.
- ٦- خطط جبل عامل.
- ٧- عصر حمد المحمود.
- ٨- ن. م.

و لا بد لنا بعد ذلك من التعريف بأحمد باشا الجزار الذى جرى ما جرى على يديه من استشهاد ناصيف النصار و خراب جبل عامل و غير ذلك من الأحداث المرتبطه بجبل عامل و غير جبل عامل. و هو تعريف مكتوب بقلم:

قسطنطين خمار:

شهدت البلاد السوریه فى القرن الثامن عشر أحداثا مروعه و انتابتها ضروب من المظالم و صنوف من المآسى، نتيجة لاستقلال بعض الولاة و الحكام الاقطاعيين بالمقاطعات التى دانت لسطانهم فعاثوا بها عتوا و برعاياهم طغيانا.

ذلك أن هؤلاء الولاة الذين كانت اولى واجباتهم فرض القانون و تطبيق النظام كانت كثرتهم من العجز الحربى و السياسى بمكان، و كثيرا ما كانت الدوله العثمانیه تغيرهم باستمرار فمنهم من لم يكن يمكث فى الحكم أكثر من سنه أو سنتين فكان همهم الأكبر و شاغلهم الأوحده أن يجمعوا أكبر مقدار من المال يستطيعون و لذا لجئوا إلى سلب الرعيه ممارسين أشد أنواع الظلم و أدهى صنوف الاستبداد فلا- غرو أن شهدت البلاد فى هذا القرن انهيارا فى الأحوال الأمنیه و الاقتصاديه و انحطاطا فى حياه السكان كما كان من نتائج هذه الأوضاع السائده ازدياد تدريجى فى أهميه الشيوخ المحليين، هذا عدا ان الاستبداد بحد ذاته من طبيعه الإنسان إذا لم يجد رادعا يردعه و حائلا يصدّه.

و قد بلغ (احمد باشا الجزار) حاكم عكا و المسيطر على سائر البلاد السوریه طوال الربع الأخير من القرن الثامن عشر القمه فى ذلك و حلق فيه تحليقا ما عليه مزيد فبز جميع نظرائه قسوه وفاقهم طغيانا مالئا البلاد جورا و الشعب رعبا حتى ضرب به المثل فى القسوه على مر الأجيال التاليه فقيل "أظلم من الجزار".

## المولد و النشأه

كان مولد الجزار فى أوائل العقد الرابع من القرن الثامن عشر فى إحدى قرى البوسنه - و قد نشأ و ترعرع فيها فتى شرس الأخلاق سيئ السلوك و يروى انه ارتكب جرما اخلاقيا، قيل انه اغتصاب امرأه أخيه مما اضطره إلى الفرار من وجه ذويه طريدا شريدا حتى عاصمه السلطنه العثمانیه (الآستانه) حيث عمل حمالا- فى الميناء ثم عاملا فى الزوارق. ملاقيا اسوأ معاملته، فاغتم فرصه سانحه فى رسو المركب الذى كان يعمل فيه فى احدى موانئ الأناضول، و فر منه عائدا إلى التسول آنا و السرقة حيناً، سائرا على غير هدى إلى ان باع نفسه أخيرا إلى نخاس يهودى صادف مروره فى احدى الموانئ فضمه إلى ما كان قد ابتاعه من الأولاد و توجه بالجميع إلى القاهره حيث كانت سوق الرقيق رائجه و حكام مصر كلهم من المماليك. و هناك باعهم إلى تاجر آخر أسلم الجزار على يده و تسمى (أحمد) و كان قد أصبح شابا بهى الطلعه، طويل القامه، قوى العضلات ذا وجه مشرب بالحمرة. و لا ريب أن جميع هذه الأحوال التى قاساها و شظف العيش الذى صبغ حياته السابقه قد ولدت فيه عقدا انعكست فيما بعد، عند ما دانت له السلطه، على تصرفاته من عتو و استبداد و مظالم و كأنه بذلك ينتقم من البشريه جمعا.

كانت مصر فى هذه الفتره مسرحا لنزاعات مستمره بين مماليك معظمهم رقيق مشتري فى صغره، حالهم كحال لا تهدأ بينهم المعارك و لا تفتقر المذابح بغيه الوصول إلى الحكم و الثروه، لا يرعون فى ذلك عهدا و لا ديناً. و قد مكنته شجاعته الفائقه من

الدخول فى خدمه على بك الكبير حاكم مصر و أعظم مماليكها شاننا، فال رتبه (البكويه) و لشده بطشه و فتكه يبدو إقليم (البحيره) الذين أيدوا أحد خصوم على بك أطلق عليه لقب (الجزار) فأصبح يدعى (احمد بك الجزار). و أصبح الجلاذ المفضل لدى سيده ممتهن قطع الرؤوس. و كان هذا اللقب الجديد مدعاه فخر و اعتزاز له و بات يشعر بنشوه هائله كلما رأى رؤوس قتلاه تتدحرج و دماءهم تهرق. و أصبح اسمه عند الناس مرادفا للرعب و لازمه هذا اللقب طوال حياته، و أعدقت عليه الأموال فأصبح يمتلك الخيل و السلاح و الجوارى الحسان و يقيم حفلات الأنايس و الطرب موزعا المآكل الشهيه على فقراء الحى - الا أنه عند ما رفض أمرا بقتل أحد المماليك - و كان له صديقا و تأكد من غضب على بك عليه و عزمه على اعدامه، فر من منزله متخفيا بلباس احدى جواريه حتى وصل احدى الموانئ فاستقل مركبا متوجها إلى الآستانه يعرض خدماته على الباب العالى و كان ذلك عام ١٧٧١ م و سنه آنذاك يقارب الأربعين، إلا أن آماله خابت فى الحصول على ما كانت نفسه تحدثه به من مكانه، فولى وجهه شطر سوريه و نزل فى ضيافه الأمير يوسف الشهابى فى دير القمر - و كانت شهره بطشه و جبروته قد سبقته، فحملة هذا الأمير كتاب توصيه إلى عثمان باشا والى دمشق من قبل الباب العالى، فجعله هذا الأخير قائدا لمفرزه من أربعين رجلا- و سلمه ميناء بيروت فرمم أسوارها بهمه و نشاط فائقين و بنى فيها أبراجا عده حتى منحه الأمير يوسف الشهابى لقب (قائد أعلى) - الا أنه لما كانت شيمته الغدر، تحصن فى بيروت و أغلق أبواب الأسوار دون الأمير يوسف و حرم عليه دخولها، و زياده فى التهديد و الوعيد قبض على رجلين من أتباع الأمير فقطع رأسيهما ثم اجلس كلا من الجثتين على خازوق و نصبهما على الأسوار و أجرى مذابح شنيعه فى المدينه و فتنا طائفيه حتى أهرب القوم لدرجه لم يعد يفكر بعدها أى منهم بالعصيان، و بلغ من سخريته بسيده الأمير يوسف ان أمر بصنع (فزاع) على مثاله و علقه على أحد أبواب المدينه و لما أخذ ببناء سور متين للميناء دفن عشرين رجلا احياء ضمن السور زاعما ان هذا يدعم البناء و مخرجا سواعد هؤلاء الضحايا من بين الأحجار عليها تصلح لربط السفن - الا انه أخذ يغدق الهبات على جنوده مشجعا إياهم على الشراب و العبث و الفحشاء، واهبا إياهم الآلات الموسيقيه مبتهجا بأثامهم، إذ ان معظمهم كان من الأشقياء و المجرمين و بذلك عم خطرهم و امتلأت المدينه منهم رعبا و دانوا له بالطاعه العمياء، و قد نجح فى حكم المدينه مده عام واحد و كان سكانها فى هذه الفتره لا يزيدون عن سته آلاف نسمة.

## الصراع مع ظاهر العمر

و الواقع ان السلطنه العثمانيه كانت بحاجه اليه لتنفيذ خططها باعاده (اياله صيدا) إلى الحكم المركزى الفعلى بعد ان قويت شوكة ظاهر العمر حاكم عكا لدرجه أن نفوذه و سلطانه كانا هما السائدين على هذه الإياله و معظم فلسطين. فوجدت فى الجزار رجلا ذا بأس يمكنها الاعتماد عليه للحد من سيطره ظاهر. و لكن خصوم الجزار تألبوا عليه و حاصر بيروت دروز الجبل بقياده الأمير يوسف و ساندهم فى ذلك الأسطول الروسى بضرب المدينه و جعل فى أسوارها ثغرات كثيره، و لما لم يتلق من الدوله العثمانيه مساعده عمليه و وجد ان المدينه ساقطه لا محاله و أن أيامه باتت معدوده، لجا إلى الدهاء و الخديعه فأرسل من يبلغ ظاهر العمر انه يعترف بخصومته الشريفه و انه على أتم الاستعداد للانضمام اليه ضد قوى السلطنه العثمانيه إذ أمنه و حاشيته، و كان فى أثناء ذلك قد أخرج من بيروت، بطريقه سريه، الأموال و الأمتعه و التحف الثمينه التى كان الأمير يوسف قد ائتمنه عليها.

و لما كان ظاهر العمر قد سمع بشده مراس الجزار و شجاعه جنوده و بأسهم فى القتال أجبر حلفاءه قاده الأسطول الروسى و الجيوش المحاصره على السماح للجزار و حاميته بمغادره بيروت مع المحافظه على شرفها العسكرى، و دخل الأمير يوسف و



الروس المدینه فوجدوها خاويه على عروشها، أما الجزار

ص: ٢٨١

فابحر بجنوده إلى صيدا ثم صور و كان يفترض ان يسير من هناك بجنوده إلى منطقته نابلس لينضم إلى جيش ظاهر العمر ليسانده في محاربه العصاه و إخضاعهم، الا انه كعادته غدر بظاهر، كما غدر سابقا بسيده القديم يوسف. و توجه إلى دمشق منضمًا لجيوش الدوله العثمانيه، و مجدداً بذلك ولاءه و تبعيته للباب العالى الذى ما زال ناقما و مصمما على القضاء على ظاهر العمر الزيدانى المتمرد عليه و المنفرد بالسلطه على مناطق واسعه من البلاد، فرحب بفعله الجزار هذه و عزم على مكافاته فى أول فرصه..

أرسلت الدوله العثمانيه عماره بحريه بقيادة حسن باشا لضرب المقر الرئيسى لظاهر و هى مدينه عكا، من البحر كما تقدمت جيوشها من دمشق و تم لها الاستيلاء على المدينه بعد أن فر منها ظاهر و قتل خارج أسوارها، و عندها استدعى الجزار، ثقه من الدوله العثمانيه انه من أتباعها و ولته عكا عام ١٧٧٥ م فوجدها فى حاله بائسه أثر الحصار البرى و البحرى و قد هجرها معظم سكانها إلى المناطق المجاوره فطلب من الأهالى الفارين العوده لاستعادته أمتعتهم و مقتنياتهم. و لما تأكد من عوده معظمهم حرم عليهم مغادرتها تحت طائله الاعدام و بذلك امتلأت ثانيه بسكانها القدامى، الا أنه بقى فى حاجه ماسه إلى المال فقام بفرض الضرائب الجمركيه على معظم السلع. كما أجبر و كيل القنصليه الفرنسيه و التجار الفرنسيين على اقراضه الأموال و احتكر معظم المرافق التجاريه. و لما وجد أن خزائنه امتلأت بالأموال شرع بإصلاح الأسوار و إتقان البنيان و ذلك بتسخير أهالى القرى المجاوره للعمل ثلاثه أيام فى الأسبوع بالتناوب ثم أنشأ أسطولا صغيرا. كما مكنته موارده الماليه من تأليف فرقه فرسان من أبناء البوسنه و البانيا من (٨٠٠) فارس و من مرتزقه المغاربه ألف جندى من المشاه. ثم أخذ باستقدام اللصوص و الفارين من وجه العداله جاعلا منهم حرس شرف له و بذلك أصبح لديه قوه مقاتله فاعله من مرتزقه البشانقه و الأرناؤوط و الأكراد و المغاربه.

### تسلم ولايه صيدا

و بعد أن فرغ من ذلك و آنس من نفسه القوه العسكريه و الماليه تولى أمر أبناء ظاهر العمر فقضى عليهم جميعا. و بذلك دانت له قطاعات صفد و طبريا التى كانت ما تزال تحت سيطرتهم فسر ذلك الدوله العثمانيه فعينته فى النصف الثانى من تشرين أول (اكتوبر) عام ١٧٧٥ واليا على صيدا و منحه رتبه الباشويه! و فى شباط (فبراير) من عام ١٧٧٦ م منح رتبه (وزير) و أصبحت الدوله العثمانيه تخاطبه فى جميع الفرمانات و المراسلات باللقب الجديد (الوزير احمد باشا الجزار) و زياده فى اعتراف الدوله بفضله برد سلطتها على جميع المقاطعات التى كانت تابعه للزيدانى منحه ما كان يعرف (بالمالكان) أى حق الحكم مدى الحياه و بدا استمرار الحاكم على هذه البلاد حتى وفاته عام ١٨٠٤ م أى ما يزيد على ٢٨ عاما. الا انه على الرغم من ذلك لم يغير مكان إقامته فى عكا، و لم يكن يؤم صيدا (مع أنها كانت المركز الرسمى لليال) أكثر من شهرين فى العام الواحد. و بعد أن دان له معظم الجليل أخذ بمهاجمه الشمال جبل عامل و تسلم بعد معركة بارون و قتل ناصيف النصار قلعه (هونين) و قلعه (الشقيف) و قلعه (جباع) فقتل الكثيرين و سلب الأموال و سبى النساء حتى كانت المرأه تباع بثلاث قرش و بعد ذلك أخضع مدينه صور، كما هاجم جنوده بيروت فهرب معظم سكانها و أحرقوا و قتلوا و باعوا الأسرى و أرسلوا اليه منهم الكثير فقطع رؤوس البعض و أجلس آخرين على الخازوق..

### الحاكم المطلق فى الشام

و بعد ذلك ولى وجهه نحو منطقتى نابلس و جنين فاخضعهما. الا- انه عجز عن الاستيلاء على قلعه (سانور) فى منطقه جنين و

كان يسيطر عليها يوسف الجرار على الرغم من محاصرته لها أربعة أشهر، و على الرغم من تكرار مهاجمته لها بعد ذلك. و بذلك ازداد ايمان الدوله العثمانيه رسوخا به لا سيما انه كان لا يتوانى عن إرسال الأموال لها باستمرار فتسلم منها براه بتعيينه واليا على دمشق عام ١٧٨٠. و كان من مهام والى دمشق اماره الحج فهو الذى يسير بقافله الحجيج إلى مكه و يحميها من هجمات البدو فى الطريق، و قد تولى هذه المهمه و ولايه دمشق أربع مرات فى حياته إذ أن الدوله العثمانيه كانت تمنح الإياله لمن يرسل إليها الأموال الأميريه فى انتظام فتعزل الواحد لتولى الآخر تبعا للمبالغ المرسله. و قد أظهر الجزار سخاء متناهايا بإرسال الهدايا و الذهب إلى السلطان العثماني و حاشيته مما مكنه من الحصول على إياله طرابلس فى تلك الفتره بالاضافه إلى إياله دمشق.

و بذلك خضعت له سوريا بأسرها من أقصاها إلى أقصاها، فانتشر عماله من اللاذقيه شمالا إلى غزه جنوبا كما أتم سيطرته على الشوف و الجبل اللبناى و كان على أمرائهما و شيوخهما أن يرضوه بالأموال لابقائهم فى سده الحكم، مما اضطرهم إلى ظلم رعاياهم و إثقال كاهلهم بالضرائب ليتمكنوا من جمع ما وعدوا به الجزار الذى كان يبقى عنده أبناءهم و مديرى ماليتهم أحيانا رهائن لديه فى عكا حتى إذا تقاعسوا عن إرسال الأموال المطلوبه قام باعدام الرهائن، و كان لهذه الغايه يلقي بذور الشقاق بين أمراء أفراد العائله الواحده الحاكمه فكم من مره فعل ذلك بين الأمير يوسف الشهابى و خاله الأمير إسماعيل ثم بين الأمير يوسف و إخوته كما أخذ فيما بعد يحرض الأمير الفتى بشير الشهابى (الكبير فيما بعد) على الأمير يوسف ثم أبناء الأمير يوسف على الأمير بشير - كل ذلك تبعا للمبالغ التى يستطيع دفعها كل منهم فمن زادها له سانده و تنكر لغيره و هكذا.. و فى احدى المرات طلب من الأمير يوسف الشهابى ستمائه كيس (و كان الكيس يحتوى ٥٠٠ قرش) و هذه مبالغ باهظه إذا ما تذكرنا قيمه النقد الشرائيه فى ذلك العهد، بدليل انه عند ما شح المطر فى احدى السنين و حصل قحط ارتفع سعر مد القمح إلى ثلاثه قروش...

و لما زاد الأمير بشير عما دفعه الأمير يوسف سر الجزار منه كثيرا، و كافاه بوضع الأمير يوسف و خازنه الشيخ غندور و سعد الخورى.

## جنون و صواب و قسوه

و كانت حاجه الجزار إلى الأموال لا- تفتقر ليتمكن من الاحتفاظ بجيش قوى، إذ كان هو عماده الوحيد، فولاء هؤلاء الجنود المرتزقه كان يتوقف على انتظام دفع رواتبهم، و لذا عمد بالاضافه إلى ما كان يجبي من الضرائب و يفرض من المغارم و يصادر من الأموال و الممتلكات إلى احتكار التجاره و كانت أولى خطواته احتكار القطن فحدد اسعاره و منع بيعه أو شراءه من قبل أيه و كاله إلا- هو.. و عند ما حاول التجار الأجانب تذكيره بالاتفاقات المعقوده مع الدوله العثمانيه سخر من ذلك و أفهمهم ان لا سلطان غيره فهو وحده الأمر الناهى، فى الأراضى التى يحكمها، ثم امتد احتكاره إلى الحبوب فأجبر المزارعين على زراعه القمح و منعهم من بيعه أو تخزينه و صدر جميعه إلى مصر و المناطق المجاوره.

و لما امتد حكمه إلى ولايه دمشق فعل مثل ذلك فى غلال حوزان.

و أصبح جميع المحصول يباع إلى و كلالته فى عكا و منهم فقط يستطيع التجار أن يشتروا و لم يجزؤ أى كائن على الاحتياى إذ

كانت سفنه و عيونه تراقب الشواطئ و الموانئ بدقه لا سيما و أنه كان قد حضر على أيه سفينه مغادره

ص: ٢٨٢

الميناء بعد الساعه الثامنه مساء، و بذلك لم يعد هناك أى مجال للتهريب، كما كانت آيه محاوله من قبل التجار الفرنسيين لشراء القمح من الفلاحين يكون الرد عليها دون رحمه. و مثل هذه المحاولات أدت إلى طرده التجار الفرنسيين من عكا و صيدا عام ١٧٩٠ فهو وحده يقرر أى المحاصيل يجب أن تنتج للتصدير. و بذلك كانت موارده الماليه تنمو باضطراد بالاضافه إلى الرسوم الجمركيه الباهظه التي كان يفرضها على جميع الصادرات و الواردات هذا عدا الغرامات الخاصه التي كان يفرضها بين حين و آخر على التجار و السكان المحليين و مصادرتة الأملاك و المقتنيات الخاصه لسبب أو لآخر، الا ان الدخل الأكبر كان يأتيه من الضرائب المباشره التي كان يفرضها على الرعيه.

كل ذلك جعله على جانب كبير من الثراء حتى قدر القنصل الفرنسي فى عكا عام ١٧٩٢ م ثروته بأربعين إلى خمسين مليون قرش بينما كان الباب العالى قدر ثروه سلفه ظاهر العمر الزيدانى عند وفاته عام ١٧٧٥ م بخمسه و عشرين مليون قرش اى أن الجزار استطاع خلال سبعة عشر عاما من حكمه مضاعفه ثروته.

فهذه الثروه مكنته من بناء قوته الحربيه و حملت اليه ولايه دمشق اربع مرات و قد حصلت عليه ثوره من قبل بعض مماليكه فى ٣ أيار (مايو) من عام ١٧٨٩ م فقمعها دون رحمه، و هذا مما زاد رغبته فى جمع الأموال و تقويه جيشه، إذ رأى نفسه وحيدا، غريب الدار، لا جذور شعبيه له، تكتنفه الكراهيه من جميع رعاياه لشده ظلمه و جبروته و لا مكان يلجا اليه إذا انكسرت شوكته لا سيما بعد أن شعر أن الباب العالى قد شجع هذه الثوره عليه سرا للحد من نفوذته بعد أن تعاضمت قوته كثيرا و جعلته يتناول على السلطنه و لا يابه لأوامرها، كما ساعدت فرنسا على ذلك بطريقه خفيه. و لما تأكد من ذلك قام بطرد التجار الفرنسيين من عكا و صيدا كما أسلفنا و منع أى ممثل لفرنسا من العوده إلى عكا ان تمكنه من القضاء على هذه الثوره زاد طغيانه و أصبح يشك حتى فى من يصطفيههم و زاد اهتمامه بمرتزقته.

أما مظالم الجزار التي تحدث بها الركبان فكانت أكثر من أن تحصى، مظالم شملت قطع الرؤوس و الشنق و القتل أفراديا و جماعيا بالخناجر و السيوف و الفئوس و استعمال الخازوق. و قد روى شاهد عيان انه شاهد أربعين رجلا يصطفون أمام الأسوار لاجلاسهم على الخازوق الواحد بعد الآخر، و لم ينج من بطشه حتى رجال حاشيته فكثير منهم فروا خفيه، أمثال الياس إبراهيم اده الذى فر إلى الشوف و يوسف القرداحى الذى فر إلى أوروبا. أما مديرا ماليته مخائيل و بطرس السكروج فقتلها و صادر أموالهما كما أنه جدع انف خازنه حايمم فارحى اليهودى و قلع عينه و أودعه السجن حيث بقى فيه إلى حين وفاه الجزار. كما كان يضع الأحياء ضمن الأسوار و يأمر بالبناء عليهم و قد شوهدت فيما بعد كثير من الهياكل العظميه ضمن الأسوار لدى تساقط بعض حجارتها. و عند عودته من الحج فى احدى المرات و شكه فى خيانه احدى جواريه روى انه نضا عنها ثيابها ثم قطع ثديها و بعد ذلك بقر بطنها و ألقى باحشائها إلى السقف ثم أمر باضرام كومه من الحطب حرق فيها ٣٧ من جواريه إذ كان يقبض على الواحده منهم من شعرها و يلقيها فى النار. و فى روايه أخرى انه جعل كلاله منهن فى كيس وضع فيه ثعبانا و هره ثم أمر بإلقاء الأكياس فى البحر.

و بعد حادثه الخيانه هذه داخله شعور بان الناس يسخرون منه فى قراره نفوسهم و ان لم يستطيعوا إظهار ذلك خوفا و رعبا فتشفى منهم بصلم الآذان و جدع الأنوف و سمل العيون. و يروى انه أمر مره أحد الحلاقين بسمل عين أحدهم فارتجفت يد الحلاق، فقام الجزار بنفسه فى العمل بان وضع إصبغه فى عين المحكوم مقتلعا عينه و ملقيا بها فى وجه الحلاق ليعلمه كيف

يجيد حرفته. و مما يروى انه كان يقتل على هواه جميع طبقات الناس سواء كانوا من العامه أو من الخاصه أو من أرباب الحرف والصناعات كيفما اتفق، ثم يطرحهم خارج الأسوار طعاما للوحوش ثم يأمر المنادين أن يخرج أقرباء القتلى لدفن الموتى دون أن ينبسوا ببنت شفه و أن أیه امرأه تبدى عويلا تقتل فوراً.

عاش الجزار بعد انتصاره على نابليون فى عكا خمس سنوات و كانت وفاته عام ١٢١٩ هـ - ١٨٠٤ م فتبارى الشعراء فى ذمه و تعداد مظالمه مؤرخين ذلك.

## على بك الكبير

و لمشاركه ناصيف النصار بالحلف الذى قام بين على بك الكبير و بين ظاهر العمر مشاركته فعاله كما بيناه فى البحث المنشور عن ناصيف فى المجلد الأول من (المستدركات) لمشاركته هذه ننشر الدراره التالىه عن على بك رأس ذلك الحلف، و عن أبى الذهب و هو المؤثر الكبير فيه و عن وقائع الحلف و نتائجها ليلم القارئ إماما كافيا بذلك الحدث.

و ما ننشره هنا مكتوب بقلم الدكتور محمد فؤاد، على انه لا بد قبل قراءته من الرجوع إلى البحث المنشور فى المجلد الأول من (المستدركات)، لأن الكاتب هنا لم يتطرق إلى ذكر مشاركته ناصيف فى الحلف المصرى الفلسطينى، فى حين أننا ذكرنا ذلك مفصلا هناك:

يسبق مجيء الحمله الفرنسيه إلى مصر، العهد العثماني - المملوكى و هو يبدأ فى الثلث الأول من القرن السادس عشر عند ما فتح العثمانيون هذه البلاد على يد سلطانهم سليم، و منذ أن قرئت الخطبه باسمه فى مساجد القاهره فى ٢٤ يناير سنه ١٥١٧ خضعت الديار المصريه لحكم آل عثمان، فظلت فى حوزتهم مدته الخمسه قرون التالىه تقريبا، و فى سبتمبر من العام نفسه غادر سليم مصر و ترك فى نيابه القاهره خير بك و هو من مماليك السلطان الغورى و نائبه فى حلب، و كان قد انضم إلى العثمانيين، فاستمر خير بك يشغل هذا المنصب حتى وفاته فى نوفمبر ١٥٢٢، ثم تعين باشاوات آخرون كانوا يحضرون من القسطنطينيه.

## ترتيب الديار المصريه:

و فى أثناء إقامته عنى السلطان سليم بوضع القواعد و رسم المبادئ العامه التى قام عليها ترتيب الديار المصريه، و كانت هذه القواعد و المبادئ العامه تستند على أصول قديمه ترجع إلى عهد يوسف ع، ذلك أنها متأثره فى الحقيقه بوقائع الحياه المصريه و ظروفها فى العصور المختلفه. و أما الفضل فى تدعيم هذا الترتيب فيرجع إلى السلطان سليمان القانونى (١٥٢٠ - ١٥٦٦)، إذ حدد قانونه حقوق و واجبات الهيئات المتنوعه التى اضطلعت بشئون الحكم و الاداره.

و كانت الحكومه فى العهد العثماني - المملوكى تتألف من الباشا، و هو الذى يحضر من القسطنطينيه لينوب عن السلطان فى الحكم، و هو أيضا غير الوالى، "زعيم مصر... الذى يتبصر فى القاهره و خدمته إزاله الخواطى و هم النساء الفاحشات و وقوع أولاد الزنا و عليه جرف الخليج الناصرى" فى كل سنه.

و قد رتب السلطان سليم للباشا "جنودا و كتخدا (و هو الوكيل عن الباشا) و مهردارا (أمين خاتمه) و خزندارا (أمين صندوقه)، و

ترجمانا ذا فهم و فصاحه، و رئيس ديوان و اغاوات (و هم الرجال من جند و موسيقيين و رسل في معيه الباشا) و جعل سكنه بالسرايا التي هي داخل قلعه مصر (و رتب له أيضا) ديوان أفندي، (و صحتها ديوان أفنديسي و هو سكرتير

ص: ٢٨٣

و إلى جانب الباشا أقام السلطان سليم ديوانا، استعيز عنه بديوانين في عهد السلطان سليمان القانوني: الديوان الكبير، و الديوان الصغير، و كان الأول يتألف من رؤساء الأوجاقات و هي الفرق العسكريه العثمانيه، و ضباطها الأغوات، و أمير الحج و رؤساء المذاهب الأربعة و القاضي، "نائب عن السلطان في الأحكام الشرعيه، يحضر في كل سنه من اسلامبول إلى مصر و خدمته أن يحكم بين الناس بالوجه الشرعي"، و كان للقاضي التركي نواب في القاهره و في الأقاليم، ثم كبار أصحاب الوظائف و العلماء، و أما الديوان الصغير فكان يتألف من كتحدا الباشا و الدفتردار " و عليه الحضور في كل ديوان لتحصيل الأموال الميريه بموجب دفتر الروزنامجي"، و الروزنامجي "كبير الأفنديه و الحاكم عليهم، و خدمته تحصيل الأموال الأميريه و صرفها في مرتباتها المرتبه بموجب دفتر السلطان سليم"، و كذلك كان يحضر هذا الديوان الصغير مندوبون من الأوجاقات.

و كان الديوان الكبير يفصل في الموضوعات الهامه، و لا يجتمع إلا بامر الباشا و مع ذلك فقد كانت له سلطه نقض أوامر الباشا نفسه، و أما الديوان الصغير فكان ينعقد باستمرار للنظر في شئون البلاد العامه، و على الباشا القيام بتنفيذ قراراته.

و مما هو جدير بالملاحظه أن الباشا كان مسلوب السلطه فعلا في كل من الديوانين، كما أن أصحاب الأثر الفعال في الحكم و الاداره، و العنصر البارز في حكمه مصر في ذلك العهد، كانت الأوجاقات، و هذه كانت سته، بلغ عدد رجالها عند ما ترك سليم البلاد الاثني عشر أو الأربعة عشر ألفا، ثم أضاف إليها السلطان سليمان القانوني أوجاقا سابعا من المماليك الذين طلبوا خدمه السلطان، فكان رجال الأوجاقات "هم أصحاب الكلام و عليهم الاعتماد، و هم المديرون بالقاهره"، و من خدماتهم عدا حضور الديوان، حفظ القلاع في الحدود المصريه و تحصيل الأموال الأميريه، و الاشراف التام في القاهره على الباشا و رجاله سواء بواسطه كبراء الأوجاقات المقيمين في القاهره، أو بواسطه من يقيم منهم في الأقاليم و على الخصوص، الجوربيجه، و كان أوجاق (الانكشاريه) أهم هذه الأوجاقات السبعه (٢) (فالانكشاريه هم أوجاق السلطان) و لآغا الانكشاريه الرئاسه العليا على ضبط القاهره، و منهم كبار أصحاب الوظائف كالتخدا، و الجوربيجه (و يطلق في الاستعمال العثماني على ضباط الانكشاريه و على "مختارى القرى المتقدمين فيها، أو بعبارة أخرى على أعيان الجهات")، و خلافهم.

و كان قوام الأداه الحكوميه في الأقاليم "الصناجق"، (مفردها صنجق، من التركيه سنجاق، و هي العلم و القسم من ولايه كبيره، و الحاكم على قسم من الولايات)، و هم أصحاب الحكم و عددهم متغير، يحتفظ السلطان بتعيين صناجق الثغور الهامه، و هم "قبودان اسكندريه، و قبودان دمياط، و قبودان السويس" ثم كتحدا الوزير أو الباشا و يحضرون من القسطنطينيه، و أما بقية الصناجق فيعينون في مصر، و منهم صنجق الخزنه و أمير الحج، و حكام الولايات أو الأقاليم، و الخفر بالقاهره، و يلاحظ مما تقدم أن الصنجق لم يكن دائما من حكام الأقاليم كما كان تعيين الصناجق و وكلائهم و يعرفون باسم (الكشاف) يحدث من بين البكوات المماليك المتنافسين على هذه الصنجقات، و نتيجة ذلك أن أصبحت الحكومه الإقليميه في الحقيقه في أيدي البكوات المماليك.

## فوضى الحكومه

و على ذلك فقد شاهد العهد العثماني - المملوكي في مصر وجود سلطات ثلاث: الباشا، و الأوجاقات، و المماليك، و لما



كانت حكومه الآستانه تكثر من توليه الباشاوات و عزلهم، و كان هؤلاء فى خلاف مستمر مع رؤساء و ضباط الأوجاقات، و هذا بينما تعود الجند العثمانى و رجالهم الحياه الهادئه فى مصر، فقد انفسح المجال لانفراد المماليك البكوات بالسلطه الفعلية فى البلاد تدريجيا، و بخاصه لأن هؤلاء كانوا أقرب فى الحقيقه إلى المصريين فى حياتهم و أعرف بشئونهم من السلطات الأخرى. و من أواخر القرن السابع عشر استتب للبكوات المماليك الأمر من غير منازع، بسبب انشغال الدوله العثمانيه بحروبها فى أوربا و كذلك استفاد البكوات المماليك من حروب تركيا فى القرن التالى لدرجه أن طغى نفوذهم على كل سلطه للباشا، و صارت لزعيمهم الذى عرف باسم "شيخ البلد" الكلمه العليا، يعزل الباشا و يقيم على حبسه فى القلعه، ثم طمع البكوات المماليك فى الانفراد بكل سلطه و طرد العثمانيين من البلاد و قطع صلاتهم بتركيا.

## البكوات المماليك

على أن العهد الذى حاول فى خلاله هؤلاء البكوات المماليك الاستئثار بالسلطه كان فى الحقيقه عهد فوضى و اضطراب، استمر طيله القرن الثامن عشر. و لعل أهم ما يلاحظ فيه، ذلك النضال المستمر بين البكوات أنفسهم و جماعاتهم فى سبيل التمتع بالحكم مع ما يجره و يسببه هذا النضال من إغفال تام "للباشا" الذى كان يقابل عند تنصيبه و حضوره إلى مصر بكل حفاوه و احترام ظاهرين فى مبدأ الأمر، حتى إذا استقر به المقام قليلا بدت له الحقيقه الواضحه، و هى أنه مسلوب السلطه و النفوذ الفعلى، ثم إنزال صنوف الارهاق بالأهالى الذين قد تربطهم الظروف بساحه هؤلاء المتخاصمين، بينما تظل الأكثرية، ما دامت بعيده عن مناطق النزاع، لا- يحيق بها سوى السوء المترتب على هذه الفوضى عمومًا. و الواقع أنه ما كان يشترك فى هذه المنازعات المملوكيه سوى البكوات و أتباعهم و أهل بيوتهم.

و كان مثار النزاع هو التنافس على "مشيخه البلد".

و أما تتبع هذا النزاع فهو قصه طويله (٣)، تبدأ بظهور المناقشه بين بيتين من بيوت المماليك: القاسميه و كان منهم شيخ البلد، و ذو الفقاريه و كانوا يطمحون إلى المشيخه، و كثيرا ما لجأ المتخاصمون من أهل هذين البيتين إلى فض منازعاتهم خارج القاهره فى المنبسط القريب من (قبه العرب)، حتى إذا استلم مشيخه البلد إسماعيل بك - و هو من القاسميه - استطاع أن يجمع مؤقتا كلمه المماليك فى هدنه على أساس معارضه "الباشا" و بفضل ذلك تمكن إسماعيل بك أن يتمتع بمنصب المشيخه مده الستة عشر عاما، حضر إلى مصر فى أثنائها، ثم غادرها إلى الآستانه، عدد من الباشاوات بلغوا خمسه عشر، و لو أن هذا بطبيعته الحال لم يكن معناه استتباب الهدوء فى القاهره طوال هذه المده. فقد ظلت الاشتباكات بين المماليك و بكواتهم كما كانت، حتى قتل إسماعيل بك نفسه فى عام ١٧٢٣. و قد أثار مقتله النضال الشديد بين القاسميه و الفقاريه حتى استطاع عثمان كاشف، و كان يتبع الفقاريه، أن يصل إلى مشيخه البلد (١٧٤٠). و مع أنه كان إداريا ماهرا، فقد واجهته صعوبات سببها انتشار الوباء، و المجاعه التى تلت ذلك، ثم ما كان يخشاه من ازدياد نفوذ إبراهيم كتحدا الانكشاريه و إسماعيل رضوان كتحدا العرب. و قد استطاع كلاهما الوصول إلى مرتبه

ص: ٢٨٤

٢- و هى: متفرقه، و جاوشان، و جمليان، و تفكشيان، و جراكسه، و مستحفظان، و عزبان. راجع شفيق غربال بك ص ١٧ و ما بعدها.

٣- .PP.٣٢٤-٣٦٣.Delaporte.

البكويه، و عند ما حاول عثمان كاشف التخلص منهما سبقاه إلى العمل و اضطراه إلى الهروب إلى سوريا (١٧٤٢)، ثم اقتسما السلطه فيما بينهما، فاستولى إبراهيم بك على منصب المشيخه، و استأثر رضوان بك باماره الحج، ثم تبادلوا فيما بينهما هذين المنصبين، حتى إذا أسرف إبراهيم في إظهار جبروته انتهز الباشا العثماني فرصه غيابه في الحج، فعضد مكيدته كانت تدبر في الخفاء للتخلص من الصديقين معا، و تمكن المتآمرون فعلا- من حبس إبراهيم و رضوان في القلعه، و لكن لم يلبث أن أخفق المتآمرون فخرجا من الحبس، و عزل الباشا. و عند ما نصب الباشا الجديد (١٧٤٤) و هو راغب محمد، أمره الباب العالي بقتل شيخ البلد و البكوات المناوئين، و تقرير النظام في مصر، و بالفعل قتل جماعه من البكوات، و اضطروا آخرون و منهم إبراهيم إلى الفرار، و لكن راغب محمد باشا لم يلبث أن عزل و استطاع إبراهيم أن يستعيد المشيخه في عام ١٧٤٧ و في عام ١٧٥٤ قتل إبراهيم فخلفه في المشيخه رضوان و لكنه لم يلبث أن لقي حتفه هو الآخر. على أن أهم ما يلاحظ في أثناء هذه الفتره التي كان لإبراهيم و رضوان في خلالها السلطه (١٧٤٧ - ١٧٥٤)، أن اختفت الاضطرابات و استتب الأمن و هدأت الحياه نوعا.

### على بك الكبير

و قد برزت في خلال ما تقدم شخصيه ذات أثر في الحوادث التاليه هي شخصيه على بك، أحد مماليك إبراهيم بك. و الواقع أن على بك بفضل الحكومه القويه التي أقامها في السنوات التي خلصت له فيها السلطه، و الشهره التي تمتع بها بين معاصريه لا يزال يستأثر بانتباه الكتاب و المؤرخين. و ينقسم الرأي و يختلف في تقدير آثار حكومته على البلاد و على أهلها عامه، و لعل السبب في ذلك أن مصر خرجت في عهده، و لفته قصيره، من الدائره الضيقه التي فرضتها المنازعات أو الفوضى الداخليه حولها فاشرأبت بعنقها إلى ما وراء حدودها و مدت سلطانها إلى البلدان المجاوره، و كانت لها صلات سياسيه مع إحدى الدول الأوربيه الكبيره في ذلك الحين و هي روسيا، الأمر الذي دعا جماعه إلى تحديد غرض على بك من نضاله المستمر الطويل بالاستقلال عن تركيا تحقيقا لرغبه " وطنيه " و إرضاء " لشعور قومي "، و قد استند أصحاب هذا الرأي في قولهم على تمجيد صاحب (عجائب الآثار في التراجم و الأخبار) الشيخ عبد الرحمن الجبرتي، لهؤلاء الأمراء المصريين، عموما و ثنائيه على حكومه على بيك خصوصا، و ما ذكره الرحاله الفرنسي (سافاري) في إحدى خطاباته عن عداله البيك الصارمه فقال ما معناه " إن المصريين سعدوا و لا شك عند ما أصبحت النزاهه عنوان الإدارة الحكوميه "، و ظفروا تحت حكومه على بيك بذلك " العصر الذهبي " الذي انتظروه طويلا. (١)

يرون شيئا من " الوطنيه " و " القوميه " في نشاط على بيك، لأن مصر في القرن الثامن عشر ما كانت تعرف شيئا عن الوطنيه و القوميه، و لم يسبب نوع الحكم الذي أنشاه المملوك الكبير انتشار الرخاء في مصر حتى " يسعد " المصريون في هذا " العصر الذهبي " الموهوم، بل إن الرحاله الإنجليزي (جيمس بروس) الذي زار القاهره في أثناء أسفاره مرتين في سنتي ، كتب أنه لا يمكن أن يوجد على ظهر البسيطة حكومه أشد قسوه و ظلما و عدوانا و طغيانا من حكومه أولئك الأشرار الذين تتالف منهم حكومه القاهره. (٢)

و مع ذلك فإن دراسته تاريخ على بيك قد لا تخلو من الأهميه لأنها تبين أولا كيف أن الضعف الذي لحق بالدوله العثمانيه في القرن الثامن عشر من جراء الضربات التي انهالت عليها من الدول الأوربيه و خصوصا روسيا، قد أوهن قبضتها على الأقاليم الآسيويه و الإفريقيه التي تألفت منها إمبراطوريتها، فاضطربت أحوال العراق و الشام، و استفحل أمر الشيخ ظاهر العمر في عكا و

فلسطين، واستقل على بك بملك مصر، و انزوى الباشا العثماني في الحجاز بينما تنازع الشريفيون على الإمارة في مكة. و الحق إن ثوره على بيك في مصر ما كانت إلا مظهرا من مظاهر هذا الضعف الذي ألم بتركيا و من آثار المرض الذي أنهك جثمانها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

و زياده على ذلك، فقد نجحت حركة على بيك الاستقلاليه في تحويل انتباه أوروبا من جديد نحو إحياء الطريق البرى للتجاره بين الشرق و الغرب عبر برزخ السويس، و لو أن الفوضى التي تلت انقضاء عهد هذا المملوك لم تلبث أن جعلت من المتعذر الاستفادة من الطريق البرى فلم يستقم أمره أخيرا إلا في عهد محمد على باشا منشى الدولة المصريه الحديثه.

## تاريخ على بك

(٣):

ولد يوسف بن داود عام ١٧٢٨ في إحدى إمارات الأناضول من أسرهِ طيبه فكان أبوه من قسس الكنيسه الروميه و عنى بتربيته، حتى حدث و هو فى سن الثالثه عشره أن وقع فى أيدي جماعه باعته بعد ذلك إلى أحد التجار فأحضره هذا إلى مصر و باعه بدوره إلى إبراهيم بك، و اعتنق يوسف الإسلام و تسمى باسم (على)، و قد أتاحت لهذا المملوك فرصه الحج إلى مكة مع سيده إبراهيم بك شيخ البلد (١٧٥٠)، فأظهر من ضروب الشجاعه فى النضال ضد البدو ما حبه إلى سيده، فسماه "كاشفا"، و عند ما أوقع الباشا العثمانيراغب محمد ببعض البكوات المماليك على نحو ما تقدم، انتهز إبراهيم بك هذه الفرصه فاستأثر باحدى البكويات الخاليه، و رفع إليها مملوكه على بعد أن حرره، و قد أثار هذا العمل النقمه على إبراهيم من جانب أعدائه و منافسيه و كان ذلك من أسباب قتله فى النهايه. و أما على بيك فقد صمم على الانتقام لسيده، و أخذ من ذلك الحين يتذرع بالصبر و الحيله لبلوغ ماره، فاشترى العدد الوفير من المماليك، و أغدق العطايا على الأصدقاء و الأعوان، حتى قوى شأنه لدرجه أثار عليه حفيظه خليل بك شيخ البلد، فلم يجد على بك مناصا فى تلك الآونه من الهروب إلى الصعيد، و قتل خليل بك جماعه من أتباعه و أصدقائه، و مع ذلك فقد جمع على بك حوله كثيرا من المتذمرين من شياخه خليل بك، و نزل بهم فى النيل و قاتل خليل بك و أرغمه على الانزواء فى طنطا حتى سقطت طنطا فى أيدي على بك، و انتهى المطاف بشيخ البلد إلى الإسكندريه و هناك مات مخوقا، و بموته انفسح المجال لعلى بك، فتسلم الشياخه فى عام ١٧٦٣.

## شياخته

و انكب على بك بمجرد استنثاره بالحكم على الانتقام من قتله سيده، فنفر منه قلوب البكوات المماليك و أوجد له أعداء كثيرين، و اضطر فى النهايه إلى الفرار إلى بيت المقدس، و مع هذا فقد ظل أعداؤه فى مصر يخافونه، و توسطوا لدى الباب العالى فأمر الأخير حاكم القدس. بتدبير قتل على بك. بيد أن أحد أصدقائه فى الاستانه أسرع بإبلاغه ذلك و نصحه بالهروب من القدس، فغادرها على بك إلى عكا، و هناك استقبله حاكمها الشيخ ظاهر العمر بالحفاوه و الإكرام. و فى عكا استطاع على بك إنشاء الصلات مع بعض البكوات الموالين له فى مصر، كما كتب الشيخ ظاهر إلى أصدقائه فى مصر حتى يسعوا لدعوه على بك، و بالفعل رجع على بك،

---

Savary.t.II.LetterXVI.P.۲۲۱ –۱

Bruce.Vol.I.P.۱۰۲. –۲

Lusignans.A History of the Revolt of Ali Bey etc..London .۱۷۸۴ Also Delaporte pp.۳۴۶– –۳

۳۵۵;Lockroy E.Ahmed le Boucher.etc.Chap.I

و استلم مشيخه البلد، و مع ذلك فقد شعر أن مركزه فى الشياخه لا يزال مهددا و وجد أن يعتمد على الاداره الطيبه الهادئه لضمان الاستقرار فى منصبه، على أن أعداءه سرعان ما انتهزوا فرصه وفاه الصدر الأعظم فى الآستانه فى تلك الآونه و كان من أكبر مؤيدى على بك و أصدقائه، فانقلبوا على شيخ البلد، و أرغموه فى عام ١٧٦٥ على الفرار إلى بلاد العرب، ففضى على بك هناك زمنا يستطلع أحوال البلاد و المدن الساحليه على البحر الأحمر، ثم لم يلبث أن ذهب إلى فلسطين فى ضيافه صديقه الشيخ ظاهر، و لبث هناك حتى جاءته الدعوه للمره الثانيه من مصر للعوده إليها فرجع إلى القاهره (١٧٦٦)، و لم يستقر له المقام بها نهائيا إلا فى العام التالى.

و فى مده السنوات الست التاليه استتب الحكم لشيخ البلد، فانزل العقاب ببدا البحيره الذين كانوا قد لجئوا إلى الثوره بمجرد عودته إلى القاهره فنهبوا و عاثوا فسادا فى الوجه البحرى، و عهد على بك بعقابهم إلى أحد مماليكه (أحمد) فقتل من البدو الكثيرين حتى لقب من ذلك الحين (بالجزار)، و هو أحمد باشا الجزار الذى دانت له فيما بعد باشاويه عكا.

ثم طفق على بك يحكم البلاد حكم المستبد المستنير، فهو كما يقول الجبرتي (١): "قد تتبع المفسدين و الذين يتداخلون فى القضايا و الدعاوى و يتحولون على إبطال الحقوق بأخذ الرشوات و الجعالات و عاقبهم بالضرب الشديد و الاهان و القتل و النفى إلى البلاد البعيده، و لم يراع فى ذلك أحدا سواء كان متعمما أو فقيها أو قاضيا أو كاتباً أو غير ذلك بمصر أو غيرها من البنادر و القرى، و كذلك المفسدون و قطاع الطريق من العرب و أهل الخوف، و ألزم أرباب الإدراك و المقدم بحفظ نواحيهم و ما فى حوزتهم و حدودهم و عاقب الكبار بجنايه الصغار، فأمنت السبل و انكفت أولاد الحرام و انكمشوا عن قبائحهم و إيذائهم بحيث أن الشخص كان يسافر بمفرده ليلا راكبا أو ماشيا و معه حمل الدراهم و الدنانير إلى أيه جهه و يبيت فى الغيط أو البريه آمننا مطمئنا لا يرى مكرها أبدا."

و حتى يقوى مركزه أكثر على بك من جمع الأعوان حوله فرفع فى أثناء هذه السنوات الست إلى رتبه البيكويه سته عشر من مماليكه كما رفع أحدهم إلى مركز آغا الانكشاريه، و كان من هؤلاء محمد بك أبو الذهب و إسماعيل بك و طنطاوى بك و غيرهم، كما زاد عدد مماليكه إلى الستة آلاف، و ضم إليهم عشره آلاف مغربى، و قد درب على بك هذه القوه الكبيره من الجند على النظام الصارم، كما عنى بتعليم و تدريب مماليكه بيته، و أغدق النعم على الماهرين منهم و المخلصين له، حتى اشدت بأس جماعته و كذلك لم يغفل على بك "صالح الشعب" - كما يقول (سافارى) - فاخضع العربان المنتشرين فى الصحراء و على الحدود، و اهتم بانعاش الزراعه، و استقر الأمن فى القرى، و اطمان الناس لعدالته الصارمه. و عند ما حاول أعداؤه الوقيعه به (١٧٦٨) كشف مكيدتهم أبو الذهب.

## استقلال على بك:

على أنه سرعان ما حدث من الحوادث ما عكر صفو هذا الهدوء النسبى فى مصر، و أدى بدوره أيضا إلى امتداد نفوذ البك الكبير إلى ما وراء الديار المصريه، فقد حدث فى عام ١٧٦٨ ان قامت الحرب بين روسيا و تركيا و دخلت الأساطيل الروسيه فى البحر الأبيض، و استعد (شيخ البلد) فى مصر - كما جرت العاده - لاعداد قوه من المقاتله لمعاونه الباب العالى فى هذا النضال، و بالفعل جهز على بك حوالى الاثنى عشر ألف مقاتل، و لكن أعداءه انتهزوا هذه الفرصه فوقعوا بينه و بين الباب العالى عند ما أرسلوا بأخبار هذه الاستعدادات إلى الآستانه و ذكروا أن غرض على بك منها إنما هو إرسال الامدادات للقتال فى صفوف

الروس الذين عقد معهم شيخ البلد - على حد قولهم - معاهده تحالف ضد الدوله العثمانيه. و صدق الباب العالي هذا القول فأرسل إلى مصر رسولا لقتل على بك، و لكن أصدقاء شيخ البلد في الآستانه أسرعوا باخباره، فكمّن رجاله لهذا الرسول في الطريق و قتلوه قبل بلوغه القاهره، و استولوا على أوراقه. و عندئذ جمع على بك مماليكه و أعوانه و أطلعهم على كافه ما جرى، كما أراهم الفرمان الذى كان يحمل قتله، ثم أظهر لهم غدر الباب العالي و سوء نيته نحو كافه من تسلموا الشياخه من البكوات المماليك، و حضهم على الالتفاف حوله، و ضم قواتهم إلى روسيا، و تخلص الديار المصريه من ربقه الظلم العثماني بزعامته نهائيا، و هكذا نبت الفكره الاستقلاليه لدى على بك، و لو أن الرأى يتفق على أن شيخ البلد كان دائما صاحب أطماع واسععه منذ أن تسلم الشياخه، فقد كتب الرحاله الفرنسى (فولنى)(٢) الذى زار مصر بعد أن انقضى عهد على بك بسنوات قليله: "أنه بمجرد أن اجتمعت أسباب السلطه باكملها فى أيدي على بك عزم على استخدامها لزياده نفوذه و سلطانه، فان أطماعه ما كانت تقنع بلقب الحاكم أو القائم مقام، لأن سياده الآستانه كانت تجرح كبرياءه، فهو لا يريد أقل من لقب سلطان مصر لنفسه. و على ذلك فقد اتجهت كافه أعماله نحو تحقيق هذا الهدف".

و بالفعل طرد على بك الباشا العثماني، و امتنع عن دفع الجزيه للباب العالي، ثم صك النقود باسمه (١٧٦٨)، و أسرع بأخبار الشيخ ظاهر بما فعل و وعده بإرسال الجند له من مصر للاشتراك مع جند ظاهر فى فتح سوريا.

و لم يلق على بك فى كل ما فعل أیه مقاومه من جانب الدوله العثمانيه، فسمع أن الباب العالي كان ينقم و لا شك على ضياع البقيه الباقيه من مظاهر سلطانه فى مصر، فان مجرد الغضب كان لا يكفى لإرجاع مصر إلى حظيره الدوله، و كان يتحتم عليه خوض غمار الحرب ضد شيخ البلد، الأمر الذى ما كان يستطيعه بسبب ثوره الشيخ ظاهر فى عكا و الشام و مشاغل تركيا بمساله بولنده، و أخيرا بالحرب مع روسيا.

فانتهاز على بك هذه الظروف المؤاتيه و شرع يوطد نفوذه فى الصعيد حتى استتب سلطانه نهائيا فى الوجه القبلى (١٧٦٩)، و صار يستعد لارسال الامدادات لحليفه الشيخ ظاهر فى الأراضى الشاميه.

## الشيخ ظاهر

(٣).

و كان حدوث ثوره الشيخ ظاهر الذى استأثر بالحكم فى عكا بين عامى ١٧٥٠، ١٧٧٦ مثلا آخر من أمثله ضعف الدوله العثمانيه و عجزها، فكما أنها لم تجرؤ على مناصبه شيخ البلد فى مصر العداء، فهى قد اضطرت أيضا إلى التسامح مع ظاهر العمر الزيدانى (أو الظاهر عمر)(٤) من مده طويله، فتركه يقوى موقع عكا و يبنى حولها القلاع، و يتخذ الوسائل التى تكفل له تدعيم نفوذه من غير ممانعه. و كان الباب العالي يعتمد على باشا الشام عثمان (ابن العظم)، فى كسر شوكة ظاهر، و لكن الأخير لم يلبث ان اشتبك مع والى دمشق فى حروب انتصر عليه فيها.

و كان من جراء ما تكلفته هذه الحروب من مال و رجال أن ثارت الرمله ثم غزه لم يافا ضد الباشا، و حوالى عام ١٧٦٨ طلب الشيخ ظاهر من الباب

١- الجبرتي ج ١ صفحات ٣٨٤-٣٨٥.

٢- Volney t.I.p ٩٧:also Delaporte-P٣٤٧.

٣- Volney t.I.I.PP١-١٥;Lammens.La Syrie.t.II.Chap. XV;Lock-roy.pp.٣٣-٧١.

٤- كما سماه الجبرتي. جزء أول. راجع أيضا كتاب خطط الشام لمحمد كرد علي ج ٢: ص ٣٠٠ و ما بعدها.



العالي أن يؤيده في حكمه عكا لمدته حياته، و على أن يكون لأولاده من بعده الحكم فيها، كما زاد على ذلك الرغبة في أن يقيمه الباب العالي حاكما على الناصره، و طبريه و صفد، ثم شيخا على كافه بلاد الجليل إلى جانب شياخته على عكا.

و كان في هذه الظروف أن وعد على بك الكبير من مصر، على نحو ما تقدم، بإرسال الامدادات إلى حليفه في عكا.

## على بك و فتح بلاد العرب

على أنه قبل إرسال الامدادات إلى الشام، تحول انتباه على بك نحو بلاد العرب، فقد رأى في اختلال الأحوال في الحجاز، و عجز الدوله العثمانيه عن تأييد سلطانها في هذه الأضعاف النائيه فرصه سانحه لتوسيع أملاكه. فقد سبق أن زار بلاد العرب و وقف على أهميه جده و مخا التجاريه، كما يبدو أنه كان متأثرا لدرجه ما في مشروع فتح بلاد العرب بآراء التاجر البندقي، كارلو روسيتي CarloRossetti، و كانت له صداقه وثيقه مع على بك و تأثير عليه (١) فأراد على بك أن يجعل جده مقر تجاره الهند فيحول بهذا العمل التجاره الشرقيه من طريق رأس الرجاء الصالح إلى الطريق البري القديم عبر مصر كما ذكر (فولني) (جزء أول ص ٩٨)، و لو أنه من المحتمل أن على بك إنما قصد أيضا من هذه الحمله إحراز المجد و الشهره بالاستيلاء على الحرمين الشريفين، أو مجرد إشباع الرغبة في امتلاك الأقاليم الواسعه و لما كان "غرضه الباطني" كما كتب الجبرتي (ج ١: ص ٢٥٣) "هو طمعه في الاستيلاء على الممالك". و على كل حال فقد جاء إلى مصر في عام ١٧٧٠ الشريف عبد الله، و كان في نزاع مع ابن عمه الشريف أحمد على إماره مكه، يطلب المعونه من على بك، مهينا له الفرصه بذلك لتحقيق مشروعاته. فما أن استتب لعلى بك الأمر في مصر، و اطمان على حليفه الشيخ ظاهر الذي أرسل له الرسل بانتصاراته على والي الشام حتى طفق يستعد لحمله بلاد العرب، و عند ما كملت هذه الاستعدادات، خرجت التجريده في شهر صفر من سنه أربع و ثمانين و مائه و ألف (مايو: ١٧٧٠).

و قد قسم على بك قواته إلى قسمين أحدهما بقياده محمد بك أبو الذهب و مهمته مهاجمه البلاد الداخليه، و الآخر بقياده إسماعيل بك و مهمته مهاجمه المدن الساحليه، كما أعد أسطولا من السفن لنقل المؤن و الذخائر للجيش، و نجحت التجريده فانتصر الفاتحون في يتبع و قتل وزيرها المتولى من طرف شريف مكه، و دخل أبو الذهب مكه و أوقع بالشريف أحمد هزيمه بالغه ففر هاربا، و جلس الشريف عبد الله في إماره مكه و نزل حسن بك إلى بندر جده (و لذلك سمي بالجدادوى) و تولى أمارتها عوضا عن الباشا الذي تولاها من طرف السلطان العثماني.

و رجع القائدان إلى مصر في أكتوبر من السنه نفسها. و قد أعطى الشريف عبد الله، على بك، لقب "سلطان مصر و خاقان البحرين" (٢).

## الحمله على الشام

و هكذا قويت شوكة على بك و شجعه نجاحه في الصعيد ثم في الحجاز على المضي في مشروعاته، و قد أراد الآن بسط سلطانه على "العالم" و بخاصه عند ما كان البك يصغى كثيرا لأفراد حاشيته الذين لمسوا فيه الغرور، فطفقوا يحدثونه عن قوته و جبروته، و كيف أنه يماثل السلطان العثماني في الآستانه في الجاه العريض و السلطنه، حتى أصبح المملوك الكبير يمني نفسه بفتح تركيا ذاتها.

و كان مما سهل عليه الاقتناع بإمكان ذلك "جهله بالجغرافيه" - على حد قول فولنى - ثم العاده التى جرى عليها اتباعه و أعوانه من تشبيه مصر بتركيا، و كان من المنتظر لذلك أن يذكر على بك وعده السابق لحليفه الشيخ ظاهر! و لو أنه على ما يبدو لم يكن غرض على بك مجرد نجده حليفه و مساعدته و إنما الاندفاع فى طريق الفتح لمصلحته، و إخضاع بلاد الشام كخطوه أولى تمهد فى النهايه لغزو تركيا و فتحها، فالشام قريه من مصر، و من شان ثوره حليفه ظاهر و اضطراب الأحوال فى سوريا منذ أن تدمر أهلها خاصه من التكاليف التى فرضتها عليهم حروب والى دمشق مع الشيخ ظاهر، ثم مشغوليه القوات العثمانيه فى النضال المستمر بين الدوله و روسيا! فقد كان من شان ذلك كله أن يجعل غزو بلاد الشام سهلا ميسورا.

و قد وجد على بك و هو مقدم على ذلك الغزو أن ينشئ الصلات السياسيه مع روسيا عدوه العثمانيين الكبرى، و يسعى لمحالفتها.

و كان للعلاقات التى أوجدها على بك مع روسيا بعض الأثر فى الحوادث التاليه. ذلك أنه كان من خطه قيصره روسيا كاترين الثانيه فى حربها مع الدوله العثمانيه إثارة شعوب البحر الأبيض الخاضعه للحكم العثمانى ضد الباب العالى، و تحقيقا لهذا الغرض، خرج الأسطول الروسى إلى البحر الأبيض، و كان للكونت ألكسيس أرلوف (Alexis Arlow) القياده العليا، فاستولى الأسطول على جزر الأرخبيل و تجول فى مياه البحر الأبيض (-)، و كان (أرلوف) ببحريته مستعدا لتلبيه نداء أعداء السلطان العثمانى و معاونتهم، و قد طلب على بك هذه المعاونه فى أثناء حملته على سوريا.

و لم يكن من المتعذر على "سلطان مصر" تلمس الأسباب لارسال الجيوش على الشام، فهو منذ مارس ١٧٦٧ كان قد كتب إلى الباب العالى يشكو من "عثمان بك ابن العظم والى الشام"، و يطلب عزله بسبب انضمام بعض المصريين المطرودين إليه و معاونته لهم، و استطاع على بك بسبب تدمر أهل الشام من ولايه عثمان هذا أن يظهر الآن بمظهر المحرر لهم من طغيان واليهيم. و بالفعل أصدر منشورا فى ديسمبر ١٧٧٠، أعلن فيه أنه لما كان المولى سبحانه و تعالى قد بارك جيشه و أغدق عليه نعماءه - بانتصار جنده و لا شك فى الحجاز و الاستيلاء على الحرمين الشريفين - فهو مضطر إلى استخدام هذه القوات لتخفيف ويلات أهل الشام و القضاء على طغيان عثمان باشا فى سوريا. و أما الجيش الذى أرسله بقياده محمد بك أبى الذهب للزحف على الشام بطريق الصحراء فقد بلغ الأربعين ألفا، بينما رتب فى الوقت ذاته سفنا لنقل الميره من دمياط إلى عكا.

و أحرز جيش المماليك جملة انتصارات، فوصل أبو الذهب أمام غزه فى مارس ١٧٧١ و فتحها، ثم استولى على الرمله بعد حصار شهر تقريبا، ثم حاصر نابلس حتى أنهكتها المجاعه ففتحت أبوابها، ثم تقدم صوب بيت المقدس، فلم يخلصها سوى اتفاق شيوخها و كبرائها على تسليمها له سلما إذا سقطت دمشق فى قبضته، فانصرف عنها و اتجه صوب يافا و استولى عليها، ثم ذهب إلى عكا حيث قوبل بكل حفاوه، و قد لقي أبو الذهب فى أثناء هذه الحمله كل تعضيد و معاونه من الشيخ ظاهر الذى ساعده بالنصح تاره و بالامدادات تاره أخرى، حتى اضطروا العثمانيون إلى القهقرى و وجد عثمان باشا السلامه فى الهرب، و استفاد الشيخ ظاهر بدوره من هذه الانتصارات التى ساهم فيها فائده كبيره فدانت له يافا و الرمله و اللد. و أما أبو الذهب فقد استطاع أن يفتح صيدا أيضا، قبل الزحف بالاشتراك مع جند

.Bruce.volI.P.۱۰۵-۱

Savary.t.II.Lettre XVI.p.۲۳۱-۲

حليفه ظاهر على دمشق نهائيا في ابريل ١٧٧١.

## المحالفه مع روسيا:

بيد أن على بك الذى ظل فى مصر، كان فى أثناء كافه هذه الحوادث يعمل لتأييد مجهوداته العسكريه بالوسائل الدبلوماسيه عن طريق الاتفاق و التفاهم مع أعداء الدوله العثمانيه. فهو منذ ١٧٧٠ قد أرسل (روستى) التاجر البندقى إلى جمهوريه البندقيه حتى يعرض محالفه على بك مع الجمهوريه و يدعوها إلى الاستيلاء على الجزر و البلدان التى كانت للجمهوريه سابقا فى حوض البحر الأبيض، و يعدها بالمساعده بكل ما يملك من القوات فى مصر كما تعهد بتدعيم تجارتها القديمه فى بلاده. و كذلك كتب على بك إلى الأدميرال الروسى الكونت أرلوف فى ليفورته يعرض عليه عقد محالفه مع قيصره روسيا على أساس أن يمدّه على بك بالأموال و المؤن و الجند فى النضال ضد تركيا، فى نظير أن يرسل إليه الروس المهندسين لاستخدامهم فى أعمال الحصار، كما كان على بك فى حاجه شديده إلى الضباط الروس لتنظيم جيشه و تدريب جنده على فنون الحرب الأوربيه. و قد أسفرت هذه المساعى الدبلوماسيه عن فشل و نجاح فى وقت واحد، فاما الفشل فهو لأن البندقيه لم تشا العمل بالمشروع الذى عرضه عليها (سلطان مصر)، و أما النجاح - و كان نسبيا فهو لأن الكونت أرلوف أسرع بالرد على مكاتبات البك و شكره و شجعه على المضى فى خطته. و بذل له الوعود الضخمه العظيمه كما تعهد بإرسال مكاتباته إلى قيصره روسيا.

## سقوط دمشق

و الحق أن موقف والى الشام كان فى غايه الخطوره، بسبب حرج مركز الأتراك الذين استغرقت الحروب الروسيه كافه نشاطهم فى الشمال، فلم يتمكنوا من إرسال النجديات إلى الميادين الشاميه، فكان من واجب عثمان باشا الاعتماد كليه على مواردّه فى الدفاع عن ولايته.

و لكن على بك الذى شاهد مملوكه يحيط به الرجال و الأعوان من كل جانب، لم يلبث أن فضل السكوت خشيه من الاصطدام معه، و طفق من ثم يدبر فى الخفاء وسيله للتخلص منه، و مع ذلك فقد أخفقت هذه المساعى و استطاع أبو الذهب الخروج من القاهره إلى الصعيد، و هناك جمع جيشا انضم إليه كثيرون من المماليك المستائين من كبرياء على بك و سطوته و نزل بهذا الجمع إلى القاهره، بالقرب من الجيزه. و أما على بك فقد أرسل جيشا لمقابلته بقياده إسماعيل بك، غير أن إسماعيل انضم إلى أبى الذهب، و عندئذ لم يجد على بك مناصا من الانسحاب و الالتجاء إلى حليفه القديم فى عكا.

## نهايه على بك

فقد على بك بسبب خيانه أبى الذهب ثمار المجهودات التى بذلها لفتح سوريا. و مع ذلك فإنه لم يفقد الأمل فى استعادته هذه الفتوحات، فاستمر يرسل النجديات إلى الشيخ ظاهر، و عند ما خرج من القاهره مع ثمانمائه من مماليكه، سار توا إلى غزه. بيد أن أهل نابلس و يافا لم يلبثوا أن أغلقوا الطريق دونه، حتى حضر الشيخ ظاهر فأحضره إلى عكا. و قد اشترك جند على بك بعد ذلك فى تخليص صيدا التى كان يحاصرها الأتراك، فانسحب العثمانيون، ثم انهزموا فى معركة حاسمه (يوليه ١٧٧٢)، ثم سلمت صيدا، و انكب الحليفان بعد ذلك على معاقبه أهل يافا فضربوا حولها الحصار حتى سلمت (فبراير ١٧٧٣) ثم فتحت الرمله.

و كان على بك عند ما قرر الخروج من مصر إلى عكا قد أرسل إلى الكونت أرلوف يرجوه إرسال الذخائر و بعض الضباط لانتظاره فى الشام، و قد حمل مكاتبات على بك إلى الأميرال الروسى، الأرمنى يعقوب، و بالفعل ظهر جزء من الأسطول أمام عكا. فأرسل على بك إلى أرلوف ثانيه يطلب مدافع و بعض المهندسين مع جيش من الألبانيين يبلغ الثلاثه آلاف، حتى إذا استطاع العوده إلى مصر و استقر به المقام فى القاهره، أصبحت كافه قواته تحت تصرف الأميرال الروسى. و زياده على ذلك فقد بعث على بك أيضا بخطاب إلى القيصره كاترين يرجو منها المساعدة و يعرض عليها عقد معاهده تجاريه مع مصر، و قد أقلعت السفن الروسيه من عكا فى مايو ١٧٧٢ و معها ذو الفقار بك "سفير" على بك. و قد عاد هذا السفير مع الأرمنى يعقوب من مهمتهما، و أرسل الكونت أرلوف خطابات الصداقه إلى على بك مع ضابطين روسيين و ثلاثه مدافع فقط، استخدمت فى أثناء حصار يافا، كما اشتركت بعض السفن الروسيه فى ضرب يافا أيضا، ولكنها لم تلبث أن انسحبت قبل تسليم يافا. و كانت هذه كل المساعدة التى قدمتها له روسيا.

بيد أن انتصارات على بك لم تلبث أن أنعشت آمال أعوانه فى مصر، و كانت له صلات مع رؤساء انكشاريه و غيرهم من البكوات الذين ساءهم سلوك أبى الذهب و طمعه و جشعه، فكتب له رؤساء الانكشاريه و هم أصحاب السلطه الواسعه فى القاهره، يطلبون عودته، ثم تآثر على بك بأقوال المعلم رزق الذى أكد له أن النجوم كلها تنبئ بانتصاره الحاسم و انهزام غريمه بمجرد عودته، و كان على بك من كبار المعتقدين بصدق المنجمين فقرر العوده إلى مصر، و لم يستمع لنصيحه الشيخ ظاهر الذى كان من رأيه الانتظار حتى تحضر النجدات الروسيه من جهه، و حتى يمهد الطريق لعودته ببذر بذور الشقاق و الانقسام بين البكوات المماليك من جهه أخرى، و التأكد قبل رحيله من ولاء الجند له و الاطمئنان على شخصه من الغدر و الخيانه.

و على ذلك، جمع على بك جنده من المدن التى كانوا فى احتلالها، فوصل بهم إلى غزه فى طريقه إلى مصر فى مارس ١٧٧٣، ثم استأنف السير فى الشهر التالى، و كانت تبلغ قوته حوالى الخمسه آلاف مقاتل و يصحبه من أسره ظاهر ابنه، و زوج ابنته. و أما أبو الذهب فقد أرسل جيشا يبلغ الاثنى عشر ألفا، فتقابل الجيشان بالقرب من الصالحيه و انتصر جماعه على بك فى مبدأ الأمر و انفتح الطريق إلى القاهره و لكن أبى الذهب لم يلبث أن أثار حماس أتباعه من جديد، و اتهم على بك "بالكفر و الإلحاد العميق المستقر فى قلبه" كما رماه بالتحالف مع "الكفار" لاخضاع هذه البلاد حتى "يقضى على دين الرسول و يرغم أهلها على اعتناق المسيحيه"<sup>(١)</sup>. و فى المعركه التاليه حمى و طيس القتال، و سقط من أنصار على بك، كل من طنطاوى، و ابن الشيخ ظاهر، و عبثا حاول الشيخ كريم (زوج ابنه الشيخ) إقناع على بك بالخلاص بنفسه و الذهاب معه إلى عكا، فقد رفض على بك الانسحاب و ظل يقاتل حتى أصيب بجرح فى رأسه و سقط عن جواده<sup>(٢)</sup>، فأسر و حمل إلى مخيم أبى الذهب الذى خرج إليه و تلقاه و قبل يده و حمله من تحت إبطه حتى أجلسه بصيوانه "و قد بكى أبو الذهب من تأثره. و لكن على بك الذى نقل إلى القاهره لم يلبث أن مات بعد أيام (١٥ صفر ١١٨٧ - ٨ مايو ١٧٧٣) متأثرا بجراحه كما يقول البعض، أو مسموما على يد أبى الذهب كما يقول آخرون و بوفاته أسدل الستار على أكبر محاوله عرفتها البلاد للتخلص من سياده العثمانيين قبل عهد محمد على. فلو أن على بك استمع لنصيحه الشيخ ظاهر فانتظر النجدات الروسيه - و قد وصلت هذه فى ابريل -



و بذلت روسيا قبل ذلك مجهودا أكبر مما فعلت، لكان لحركه على بك و لكان للروسيا ذاتها فى الشرق شان آخر. فقد كتب (سافارى)(١) تعليقا على ذلك كله: "فلو أن روسيا عرفت كيف تستفيد من العروض التى عرضها عليها على بك فأرسلت له المهندسين و أمدته بثلاثة أو أربعة آلاف من الجند المدربين، لاستطاع على بك أن يستأثر بالسياده فى الشام و فى مصر، و لانتقلت بفضل ذلك تجاره العرب و الهند إلى أيدى حلفائه الروسين". و قد علل (بروس)(٢) عدم إمكان الاتفاق بين روسيا و على بك بان الروس كانوا من جانب، لا يدركون مدى ما يمكن أن يؤدى إليه اتفاقهم مع المملوك المصرى من نتائج بعيدة، فهم لم يثقوا بعلى بك الثقة التامه، و لم يوثقوا صلاتهم به، و لم يزودوا أمراء البحر الروسين بالتعليمات اللازمه، و هذا بينما لم يوجد لدى على بك، من جانب آخر، المفاوضات الحقيقيون، و الذين يستطيعون التفاهم مع المفاوضات الروسى إذا وجد، و هكذا تلكا الفريقان - أو بالأحرى تلكات روسيا -، حتى إذا كان الاتفاق على وشك النجاح، كانت الفرصه قد ضاعت من أيديهم، و كان أعداؤهم قد انتهزوا ذلك لتعطيل ثمره أيه محالفه روسيه - مملوكيه نهائيا.

### نهايه أبى الذهب

أما أبو الذهب فقد اعترف بالسياده العثمانيه كما كانت قبل ثوره على بك، ثم بر الباب العالى من جانبه بوعده، فأيده فى شياخه البلد، و حضر إلى مصر خليل باشا - الباشا العثماني الجديد - و طلع إلى القلعه "على العاده القديمه"، و "حضر - (لأبى الذهب من الدوله) - المرسومات و الخطابات و وصل إليه سيف و خلعه، فلبس ذلك فى الديوان و نزل فى أبهه عظيمه و عظم شانته و انفرد باماره مصر" كما كتب الجبرتى فى حوادث سنه ١١٨٩ هجرية، و هى السنه التى توفى فيها أبو الذهب. و قد بلغ من حسن علاقته مع الباب العالى أنه استطاع التوسط فى تعيين مصطفى باشا النابلسى لولايه مصر (يونيه ١٧٧٤). - ثم وطد أبو الذهب العزم على الانتقام من الظاهر عمر، صديق على بك القديم و نصيره، و "لاستخلاص ما بيده من البلاد"، و طمعا كما يبدو فى ولايه الشام ذاتها، فاستصدر فرمانا من الباب العالى لمقاتله الشيخ ظاهر، و خرج فى مارس ١٧٧٥، و كان معه مراد بك، و لم يكن أبو الذهب فى هذه الحمله موقفا، فإنه لم يكد ينتصر على جند الشيخ ظاهر فى يافا بعد حصار شاق عسير و فتك بأهلها، و تقدم صوب عكا التى تركها و حصونها الشيخ ظاهر، فاستولى عليها، حتى توفى فجاءه فى ٨ يونيه ١٧٧٥، فى الوقت الذى وافق الباب العالى فيه على تسميته لباشاويه مصر ذاتها. فحنطت جثته و نقلها مراد بك و دفنت فى المدرسه التى أنشأها أبو الذهب تجاه الأزهر.

### الفوضى المملوكيه:

و هكذا كانت وفاه على بك (١٧٧٣)، ثم وفاه أبى الذهب (١٧٧٥) مؤذنه ببدايه عهد من الاضطراب و الفوضى فى البلاد، عند ما تنازع على السلطه كبار المماليك من جماعه على بك و محمد بك أبى الذهب(٣) و كان أظهر هؤلاء البكوات إسماعيل، و مراد و إبراهيم، و قد استطاع الأخيران الاستئثار بالنفوذ كله (١٧٧٩)، فاقسما فيما بينهما مشيخه البلد و إماره الحج، و استوليا على موارد البلاد و إيراداتها. و منذ عام ١٧٨٣ تقريبا امتنع البكوات عن إرسال الجزية إلى تركيا بدعوى أن الإيرادات المتحصله من الضرائب لا تكاد تكفى لنفقات الاداره، ثم كان من أسباب الفوضى و وقوع الخصام من وقت إلى آخر بين إبراهيم و مراد، و فى آخر الأمر قرر الباب العالى إرسال حمله لاختصاصهما و بخاصه عند ما ساد الاعتقاد بأنهما إنما كانا يمعنان فى الخروج على سياده السلطان العثماني بفضل تأييد روسيا لهما.

فقد فرغت تركيا من حربها السابقة مع روسيا من مده، منذ أن عقد صلح قينارجة (١٧٧٤)، و تحولت الآن إلى الاقتصاد من الخارجين على سلطتها، معتمده على مجهودات القبطان حسن باشا الذي أعاد تنظيم البحرية العثمانية فتمكنت تركيا بفضل هذه القوه الجديده من النضال بنجاح ضد الشيخ ظاهر و محاصره عكا، حتى قتل ظاهر و هو يحاول الفرار من وكره الحصين (في أغسطس ١٧٧٥)، (٤) و على ذلك فان الباب العالي لم يلبث أن أرسل الآن الرسل إلى مصر في إبريل ١٧٨٦، يطلب من البكوات "الخزائن المنكسره و تشهيل مرتبات الحرمين من الغلال و الصرر في السنين الماضيه" (٥) و في الشهر التالي وصلت إلى رشيد و الإسكندريه دوتما عثمانيه و جيش عثمانى تحت قياده القبطان حسن باشا لردع البكوات و إخضاع البلاد للسيطره العثمانيه، و قد نزل حسن باشا إلى الإسكندريه في ٢٣ يونيه، ثم زار رشيد، و هناك قابله وفد من العلماء و من الوجاقليه يحملون له الهدايا لمخاطبته و سؤاله "عن مراده و مقصده، و يذكرون له امتثالهم و طاعتهم و عدم مخالفتهم و رجوعهم عما سلف من أفاعيلهم." بيد أن هذه المحاوله أخفقت. و كان البكوات المماليك في أثناء ذلك يحاولون جمع الكلمه على المقاومه عند ما اشتد قلقهم من مسلك القبطان باشا، فقد "كتب عده فرمانات بالعربى و أرسلها إلى مشايخ البلاد و أكابر العربان و المقادم" يستميلهم إليه و يعدهم برفع الظلم عنهم و الانتقام "من خائنى الدين إبراهيم بك و مراد بك و أتباعهما." و قد أثبت الجبرتي صورته من هذه فرمانات. (٤)

و كان مما قوى عزم البكوات المماليك على المقاومه، التحذيرات التى كانت تأتيهم من جانب أحمد باشا الجزائر.

### احمد باشا الجزائر

فقد تقدم كيف أن احمد الجزائر (١٧٥٠ - ١٨٠٤) كان من مماليك على بك، و قد استمر في خدمته حتى إذا استفحل النزاع بين سيده و بين أبى الذهب، و لم يجد في خدمه هذا الأخير طريقا إلى الغنم و الشهره غادر البلاد، ثم حظ به المطاف بعد حياه شاقه في لبنان، فدخل في خدمه الأمير يوسف بن ملحم الثانى الشهابى حاكم لبنان، ثم خرج عليه و ساعد الدوله في نضالها ضد الشيخ ظاهر بعد ذلك، حتى كافاه الباب العالي بولايه صيدا، ثم استولى على أملاك الشهابيين فى البقاع. و منذ عام ١٧٨٢ اتسع سلطانه و اشتد بأسه لدرجه أقضت مضاجع رجال الدوله، حتى إذا عزمت تركيا على معاقبه المماليك فى مصر، طلبت من الجزائر باشا الخروج بحمله ضدهم. بيد أن الجزائر كان لا ينظر بعين الارتياح إلى احتمال وجود القوات المقاتله العظيمه العثمانيه فى أرضه خوفا من انقلاب الدوله عليه، كما كان من جهه أخرى على اتفاق مع البكوات المماليك فى تدبير الثوره و الخروج على سياده العثمانيين. و لذلك فقد ظل يتلمس الأعذار بأحوال لبنان لأرجاء الخروج بحملته، كما صار يحذر البكوات المماليك فى مصر من نيات الباب العالي العدائيه نحوهم. (٧)

ص: ٢٨٩

١- Savary.t.II Lettre XVI pp.٢٤٨-

٢- Bruce.Vol.I.PP.١٠٤-١٠٥.

٣- Savary t II.Lettre XVII.pp.٢٥٨-٢٧٦;Delaporte pp.٣٥٥-٣٦٣.

٤- De La Jonquiere Histoire de l'Empire Ottoman.PP.٣٨٥-٣٨٦.



- ٥- الجبرتی. ج ٢: ص ١١٢-١١٣.
- ٦- الجبرتی. ج ٢: ص ١١٦، ثم بعده صفحات ١١٦، ١١٧.
- ٧- yetseQ-١٧١، ١٦٦. Lockroy.pp. . ثم انظر كذلك محمد كرد علي. ح ٢: ص ٣١٣ و ما بعدها، ثم ج ٣:

و أخيرا خرج مراد بك لمقابله حسن باشا قبطان، و لكنه انهزم، و دخل العثمانيون القاهره فى أول أغسطس ١٧٨٦، و فر المماليك إلى الصعيد و عند ما حاول القبطان باشا إخضاع الصعيد أخفق، ثم لم يطل به المقام فى مصر فاستدعى إلى تركيا بسبب قيام الحرب بينها و بين روسيا (سبتمبر ١٧٨٧). و هكذا استطاع البكوات المماليك استعادته سلطانهم فى القاهره، و كان كل ما حدث بعد ذلك، أن تم الاتفاق بينهم و بين صالح باشا (الوالى العثمانى) فى يونيه ١٧٩٥ "على أن يدفعوا سبعمائه و خمسين كيسا موزعه، و على أن يرسلوا غلال الحرمين، و يصرفوا غلال الشون و أموال الرزق، و يبطلوا رفع المظالم المحدثه و الكشوفيات و التفاريد و المكوس ما عدا ديوان بولاق، و أن يكفوا أتباعهم من امتداد أيديهم إلى أموال الناس، و يرسلوا صره الحرمين و العوائد المقرره من قديم الزمان، و يسيروا فى الناس سيره حسنه". (٢). بيد أن هذا الاتفاق كان نصيبه الإهمال بعد شهر واحد فقط. و هكذا ظلت البلاد ترزح تحت أعباء هذه الفوضى، و خصوصا فى السنوات القليله التى سبقت مجيء الحملة الفرنسيه بين عام ١٧٩٤، ١٧٩٨، فكتب الجبرتى عن سنه تسع و مائتين و ألف "لم يقع بها شىء من الحوادث الخارجيه سوى جور الأمراء و تتابع مظالمهم"، و عن سنه ١٢١٠ هجرية "لم يقع بها شىء من الحوادث التى يعنى بتقيدها سوى فعل ما تقدم من جور الأمراء و المظالم". و عن سنتى ١٢١١، ١٢١٢ هجرية "لم يقع فيهما من الحوادث التى تشوف لها النفوس أو تشتاق إليها الخواطر فتقيد فى بطون الطروس سوى ما تقدمت الإشارة إليه من أسباب نزول النوازل و موجبات ترادف البلاء المتراسل".

### الشيخ نصر الله بن الشيخ هدايه الله الشهير بالحاج مجتهد بن الشيخ

صادق بن الشيخ محمد تقى الشهير بالشهيد الثالث البرغانى القروينى

آل الشهيدى

ولد فى قزوین فى يوم الخامس من شهر رجب سنه ١٣٠٩ كما حدثنى به و توفى بها عصر يوم الاثنين ٢٤ ربيع الثانى سنه ١٣٩٨ هجرية و نقل جثمانه الشريف إلى النجف الأشرف و دفن فى وادى السلام، آل الشهيدى أو آل الشهيد الثالث: فرع من آل البرغانى أحد بيوت كربلاء و قزوین العريقه و أسر العلم الشهيره نبغ فيهم جمع من العلماء و الفقهاء و الفلاسفه و الحكماء و الشعراء و بزغ بدرهم أفق قزوین من القرن الحادى عشر الهجرى منذ عهد جدهم الشيخ محمد كاظم الطالقانى المتوفى سنه ١٠٩٤ ثم اشتهر إلى هذا البيت فى القرن الثالث عشر الهجرى بالبرغانى حتى سنه ١٢٦٣ حين استشهد جدهم الشيخ محمد تقى البرغانى على يد البايه فعرفوا بال شهيد الثالث أو آل الشهيدى و ينتهى نسبهم إلى آل بويه.

أخذ المترجم له المقدمات على جملة من علماء قزوین ثم حضر السطوح فى المدرسه الصالحيه على الشيخ حسين الأنصارى و الشيخ ملا- محمد الطارمى و ملا على الطارمى و فى سنه ١٣٢٦ هاجر إلى أصفهان و التحق بحوزه السيد مهدي الدرجه إى المتوفى سنه ١٣٦٤ فى الفقه و الأصول و أخذ الحكمة و الفلسفه من الآخوند ملا محمد الكاشانى المتوفى سنه ١٣٣٣ و المولى جهانكير خان القشقائى المتوفى سنه ١٣٢٨ و فى سنه ١٣٣٢ توجه إلى العراق قاصدا الحوزه العلميه الكبرى فى كربلاء و النجف ثم سكن كربلاء زمانا و منها استقر فى النجف و حضر على الآخوند الملا محمد كاظم الخراسانى صاحب الكفايه و السيد كاظم

اليزدى و اختص باستاذة السيد اليزدى و أخذ الفقه و الأصول أيضا من آغا ضياء العراقى و شيخ الشريعة الأصفهانى و السيد أبو الحسن الأصفهانى الذى اختاره ضمن حلقة الخاصة المؤلفه من المترجم له و السيد أبو القاسم التقوى القزوينى و السيد هبه الله التلاترى القزوينى و الميرزا أحمد الصالحى القزوينى و السيد على أكبر الخوئى و السيد أبو القاسم الخوئى و الشيخ ميرزا فتاح التبريزى و الشيخ حسين التبريزى.

و قد اشترك فى الثوره العراقيه الكبرى على البريطانيين و فى سنه ١٣٤٠ رجع إلى موطنه قزوین و انتهى اليه كرسى التدريس و الفتيا و الامامه و عند حركه الامام الخمينى الأولى كان المترجم له فى طليعه علماء ايران الناقمين على الشاه فألقى القبض عليه و سجن ثلاثه أشهر ثم نقل إلى طهران لمحاكمته فى محكمه عسكريه خاصه ثم أطلق سراحه و كان ينظم باللغتين الفارسيه و العربيه و له ديوان شعر و من مؤلفاته تقارير استاذة السيد كاظم اليزدى، و حاشيه على العروه الوثقى لاستاذة السيد اليزدى و كتاب نجاه العباد الموجود حاليا فى مكتبه فى داره بقزوین.(٣)

### ملا نظر على بن محسن الكيلانى.

من عرفاء الإسلام و فلاسفه الشيعة فى أواخر القرن الثانى عشر و مطلع القرن الثالث عشر الهجرى.

هاجر من مازندران إلى أصفهان فحضر على جملة من علماء عصره ثم اولع فى الفلسفه و العرفان الإلهى و اختص بالآغا محمد البيدآبادى المتوفى سنه ١١٩٧ و تخرج عليه كما صرح فى مؤلفاته و كان المترجم له من رواد مدرسه صدر المتألهين الشيرازى المتوفى سنه ١٠٥٠ و ممن اهتم بنشر أفكار هذه المدرسه الفلسفيه. و انتهى اليه كرسى التدريس و اشتغل فى حياه استاذة المذكور فى التأليف و التدريس فى كل من أصفهان و مازندران و آذربايجان و غيرهما من المدن الإيرانيه و ترك مؤلفات فلسفيه هامه يظهر منها تعمقه و تحقيقاته العلميه الرصينه و تبحره فى الفلسفه، منها تلخيص كتاب المبدأ و المعاد لصدر المتألهين الشيرازى و تعليق عليه، منه نسخه فى مكتبه المجلس الوطنى بطهران، و له كتاب التحفه بالعربيه طبع سنه ١٣٩٧ بتحقيق السيد جلال الدين الآشتيانى من منشورات (انجمن فلسفه) فى ٢٥٠ صفحه و يبحث الكتاب فى موضوع العلم بصوره مطلقه و بعض مسائل حول الوجود و حقيقه وحده الوجود.(٤)

### السيد هادى الحسينى التبريزى.

ولد سنه ١٣٢٧ فى النجف الأشرف و توفى سنه ١٤٠٦ فى الكاظميه و دفن فى النجف.

هو من أسره علميه هاجرت إلى النجف و أول من هاجر جده لأبيه السيد حسين و ذلك سنه ١٣٥١.

درس فى النجف على الشيخ آقا ضياء العراقى و الشيخ أبو الحسن المشكينى و الشيخ ميرزا على الايروانى ثم على السيد أبى الحسن الأصفهانى. كما درس الفلسفه على السيد حسين البادكوبى و لازم الشيخ مرتضى الطالقانى مده عشرين سنه متتلماذا عليه و مصاحبا له.

انتقل إلى الكاظميه و هو فى الخمسين من عمره و استقر بها مدرسا و إماما للجماعه. طبع من مؤلفاته: أمالى الهادى، و هو

تقريراته و آراءه الفقيهه الاستدلاليه في مباحث الالتزام و المعاملات.

ص: ٢٩٠

---

١- انظر تفصيلات مهمه عن هذه الحمله في كتابي F.charles Roux.Aitour. d"une Route etc;Les

Origines

٢- جبرتي: ج ٢. ص ٢٧٤.

٣- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

٤- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

## السيد هادى بن المير محمد رضا بن المير محمد حسين الحسينى

الرامسرى التنكابنى (المعروف ب بزرگ).

ولد حدود ١١٨٥ فى رامسر، و توفى ١٢٦٥ فى رامسر.

قرأ المقدمات و السطوح فى رامسر ثم ذهب إلى أصفهان و سكن فى مدرسه باب القصر و حضر على أعلامها فى الفقه و الأصول و اختص فى درس الفلسفه بالمولى على النورى ثم رجع إلى موطنه و أسس مدرسه و مسجدا فى رامسر و اشتهر صيته و قام بالتدريس و قضاء حوائج الناس و التأليف حتى وفاته. خلف خمسه أولاد من العلماء و الفضلاء - و هم السيد صادق و السيد مرتضى و السيد أبو الحسن و السيد على و السيد مير عبد الباقي. (١)

## السيد هبه الله بن السيد أبو القاسم بن السيد حسين بن السيد مطهر بن

السيد حسين بن السيد محمد جعفر بن السيد شمس الدين الحسينى

التلاترى القزوينى

من أحفاد السيد مير قوام الدين المشهور ب مير بزرگ المرعشى صاحب المزار المعروف فى مدينه آمل ب مازندران ولد فى قزوینسنه ١٢٩٤ و توفى سنه ١٣٦٧.

أخذ المقدمات و السطوح على جملة من أعلام قزوین منهم الشيخ ملا على أكبر الجلوخانى المتوفى سنه ١٣٣١ و الشيخ ملا على أكبر السياه دانى المتوفى سنه ١٣٤٠ فى المدرسه الصالحيه ثم هاجر إلى العتبات المقدسه فى العراق و استقر فى النجف و انضم إلى حوزة كل من الآخوند محمد كاظم الخراسانى صاحب الكفايه و السيد محمد كاظم اليزدى صاحب العروه الوثقى ثم إلى حوزة السيد أبو الحسن الأصفهانى و أصبح من خواص تلاميذه حتى سنه ١٣٣٩ فرجع إلى موطنه قزوین و تصدر كرسى التدريس و الفتيا و الامامه و التف حوله جمع من الطلاب و الفضلاء تخرجوا عليه و له مؤلفات منها تقارير استاذ الآخوند ملا محمد كاظم الخراسانى فى الفقه و الأصول، تقرير استاذ اليزدى فى الفقه و الأصول، تفسير للقرآن الكريم لم يخرج إلى البياض، رساله فى العلوم الغريبه. (٢)

## الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعه

إشارة

مر حديث عنه فى مكانه من المجلد العاشر، و نضيف هنا إلى ذلك هذه الدارسه مكتوبه بقلم: الدكتور محمد العبد حمود.

كان جده صعصعه عظيم القدر فى الجاهليه، و من أفعاله افتداؤه ثلاثين موءوده.

و أما غالب أبو الفرزدق فكان يكنى أبا الأخطل و كان سيد بادية تميم. و أمه ليلي بنت حابس أخت الأقرع بن حابس. و أستجير بقبر أبيه و هو بكاظمه فى حماله فاحتملها الفرزدق. و كان له اخوه منهم هميم و سمى الفرزدق باسمه.

و كنيته أبو فراس.

فى هذه الأسره الفخور ولد همام فى حدود السنه العشرين للهجره (٢١ كانون الأول ٦٤٠-٩ كانون الأول ٦٤١) على التقريب و ذلك فى البصره على ما فى معجم ياقوت. و كان قومه قد نزلوا أرضها زمن تأسيسها سنه ٦٣٥. إلا- انهم ظلوا على بداوتهم ينتشرون من أرض العراق الأسفل إلى نجد و أطراف اليمامه و على هذه البداوه المحتكه بالحضاره بعض الشىء نشا شاعرنا و عليها بقى طول حياته غير متصل بالحضر إلا لماما.

و كان فى جهامه وجهه و ضخامه قسماته و آثار الجدرى فيه ما لفت نظر معاصريه فلقبوه "بالفرزدق" و معناه "الريغيف الفخم". و لعل أباه سماه الفرزدق باسم دهقان الحيره لأنه كان يشبهه فى "تيهه و أبهته".

و الفرزدق من الفارسيه برازده بالباء الفارسيه أو فرازده بمعنى الريغيف.

نشاته و شبابه

ولد و نشا فى بيت ورث المجد و فعل المكرمات و كان مالف الأشراف يتتدون فيه يتداولون ما يلم بهم و يتحدثون بأخبار أسلافهم و يتذاكرون حياه العرب و أيامها و سير ملوكها و يروون ما قاله شعراؤها. و كان الفرزدق يصغى إلى ما يسمع و يحفظ ما يقال، قد أوتى الفطنه و الذكاء و الموهبه.

كان أبوه يؤثر على البصره الإقامه فى بادية بنى تميم. فنشأ الفرزدق فى مراع كاطمه نشاه فتیان الباديه ورث أخلاقها و فضائلها. و قبل عاداتها راضيا معترا. و فى بادية تميم اتيح له أن ينهل الفصاحه من مناهلها. ففتق لسانه و فصح بيانه و أحاط بسر العرييه و أوتى القدره على تشقيق الكلام فقد كانت تميم من أفصح قبائل العرب.

و قد تركت هذه النشأه البدويه آثارها فى الشاعر فظل طوال حياته و فيا لها يؤثرها و هى مدارج صباه على ما نعم به من مغانى الحضر و يحن إليها و يجهر بتفضيل عاداتها.

و رأى الفرزدق فى أبيه غالب المثل الأعلى فبالغ فى تعظيمه و توقيره و راح يتأثر خطاه و ينهج نهجه: أرسله إلى البصره أيام زياد فى عير له و جلب يبيعه ليمتار له و يشتري لأهله كسى، و لكن الفرزدق نثر الدراهم و أنهبها الناس فى المربرد حين ذكروه فعال أبيه و كرمه، يريد أن يقتدى به. و لما بلغ غالبا فعل ابنه و سمع منه قصته يرويها مزهوا سر به و مسح رأسه و هو يقول له مشجعا فرحا: "و انك لتحسن مثل هذا".

و اعتر الفرزدق بابيه اعزازا قل ان نجد له نظيرا. بكاه فى شعره لما مات أحر بكاء:

أبى الصبر انى لا أرى البدر طالعا و لا الشمس إلا ذكر انى بغالب

و ادعى انه ورث أباه فى أخلاقه و فضائله:

ورث أبى أخلاقه عاجل القرى و عبط المهارى كومها و شوبها

ثم تجاوز الحد فى المباهاه به و بلغ من تعظيمه إياه ان كان يفاخر به الملوک و يتعالى عليهم و جعل قبره مستغاثا يلاذ به من مفضعات النوائب.

و هكذا قدر لغالب أن يؤثر فى حياه ابنه تأثيرا كبيرا و أن يكون احدى الدعائم الكبيره فى بناء شخصيته. و لعل السخاء الذى عرف به الفرزدق حياه كلها، ينفق لا يبقى على شىء و يعطى سائله و لا يخيب رجاء من رجاء أحد أبرز هذه الآثار.

و قد وفد غالب على الإمام على ع و معه ابنه الفرزدق فقال له من أنت؟ قال: أنا غالب بن صعصعه المجاشعى. قال: ذو الإبل الكثيره. قال: نعم قال: فما فعلت إبلک؟ قال: أذهبتها النوائب و دذعتها الحقوق. قال: ذلك خير سبلها. ثم قال له: يا أبا الأخطل من هذا الفتى؟ قال: ابنى الفرزدق و هو شاعر. قال: علمه القرآن فإنه خير له من الشعر. فكان ذلك فى نفس الفرزدق حتى قيد نفسه و آلى ألا يحل قيده حتى يحفظ القرآن.

و ذلك يمكن أن يعنى شيئين اثنين أولهما أن شعر الفرزدق جيد يحسن

ص: ٢٩١

١- الشيخ محمد السامى.

٢- الشيخ عبد الحسين الصالحى.

تثقيفه بلغه القرآن. و ثانيهما أن شعر الفرزدق ردىء فيجب ان يتركه و يشتغل بالقرآن فذلك أعود عليه. و قد أثرت شخصيه الامام على فى الشاعر الناشئ تأثيرا عميقا.

## أزواجه و أولاده

كان الفرزدق مزوجا مطلقا يضطرب فى عاطفته كما يضطرب فى ميله السياسى لا يكاد يخلص لامرأه و لا تكاد امرأه تصبر على أخلاقه. يعيش مع زوجته مده فيملها أو تمله فيطلقها أو تهرب منه فتدفعه إلى طلاقها ذكر من نساءه فى الشعر الذى وصل إلينا اثنتى عشره امرأه.

و لكن أشهر قصه على الإطلاق فى هذا المجال هى قصته مع ابنه عمه النوار ابنه أعين بن ضبيعه المجاشعى و كان على بن أبى طالب (ع) وجه أباهما إلى البصره أيام الحكمين فقتله الخوارج غيله، فخطب النوار رجل من قريش (و أهلها بالشام) فبعثت إلى الفرزدق تسأله أن يكون وليها إذ كان ابن عمها (و كان أقرب من هناك إليها). فقال: ان بالشام من هو أقرب إليك منى و لا آمن ان يقدم قادم منهم فينكر ذلك على. فاشهدى انك قد جعلت أمرى إلى ففعلت، فخرج بالشهود و قال لهم: قد أشهدتكم انها قد جعلت أمرها إلى و انى أشهدكم أنى قد تزوجتها على مائه ناقه حمراء سوداء الحدق، فذعرت من ذلك و استعدت عليه و خرجت إلى عبد الله بن الزبير و الحجاز و العراق يومئذ اليه. و خرج الفرزدق. فاما النوار فنزلت على خوله ابنه منظور بن زبان الفزارى امرأه عبد الله بن الزبير فرقتها و سالتها الشفاعة لها. و أما الفرزدق فنزل على حمزه بن عبد الله بن الزبير و مدحه فوعده الشفاعة له، فتكلمت خوله فى النوار و تكلم حمزه فى الفرزدق فانجحت خوله و خاب حمزه. و أمر عبد الله بن الزبير ان لا يقربها حتى يصيرا إلى البصره فيحتكما إلى عامله فخرج الفرزدق فقال:

أما بنوه فلم تنجح شفاعتهم و شفعت بنت منظور بن زبانا

ليس الشفيح الذى يأتيك مؤتزا مثل الشفيح الذى يأتيك عريانا

و يتنمر الفرزدق و يصمم على الظفر بالنوار لذلك لم يستمع إلى ابن الزبير حين قال له: ما حاجتك بها قد كرهتك كن لها اكره و خل سبيلها.

فخرج و هو يقول: ما أمرنى بطلاقها إلا ليشب.

و خضعت النوار يائسه بعد أن علقته منه بحبل محكم العقد. و مكث الفرزدق زمانا لا يولد له فغيرته النوار بذلك فقال:

قالت: أراه واحدا لا أخا له يؤمله فى الوارثين الأبعاد

لعلك يوما ان ترينى كأنما بنى حوالى الأسود الحوارد

فان تميما قبل أن يلد الحصى أقام زمانا و هو فى الناس واحد

فولد له بعد ذلك: لبطه و سبطه و خبطه و ركضه من النوار و رزق من غيرها خمس أو ست بنات. على انه لم يكن برا بأولاده و



لا يظهر انه أحبهم الحب الوالدى الحق فلم يحبوه. و قد شكوا عقوق كبيرهم فى آخر حياته.

و يجد الباحث صعوبه فى معرفه عدد النساء اللواتى تزوجهن الفرزدق و يذهب عمر فروخ فى ترجمته للفرزدق التى استند فيها إلى ما كتبه المستشرق الألماني يوسف هل عن حياه الفرزدق إلى أن أولى زوجاته كانت فتاه زنجيه رزق منها طفله سماها مكيه.

أما الفحاح فيرى أننا لا نعرف متى تزوج الفرزدق زواجه الأول و لا عدد الأزواج اللاتى رضين به قبل النوار و لكنه يذكر زوجه مفداه تلك الزوج التى أحبها الشاعر فبادلته حبا بحب و راح يتغنى بجمالها معتزا بما تكنه له من حب:

فيا روضه و سميّه رجبىه خلت و تحامتها الرياح تحاميا

بأطيب نشرا من مفداه موهنا إذا ما أرادت للضجيج تعاطيا

و مهما يكن من أمر فان النوار تبقى المرأه الأبرز فى حياه الفرزدق لا يخفى فرحته بمودتها: "خرجنا متباغضين و رجعنا متحابين. و خرجت حائلا و رجعت حاملا.

و بدا له أن يبدل سيرته بعد زواجه منها و أن يقلع عن حياه السباب و الفحش لينهج طريقا لا عوج فيه. فيرضى زوجه و يستجيب لنزعه الخير فيه فحج بالنوار أواخر سنه ٦٥ هـ و لما عاد إلى البصره أعلن توبته و قيد نفسه و حلف ألا يفك قيده حتى يجمع القرآن و هو ما كان يحيك فى صدره منذ مقاله الامام على لأبيه و كان يرى فى ذلك طاعه تقربه إلى ربه و تغسل عنه آثامه:

لعمري لئن قيدت نفسى لطالما سعيت و أوضعت المطيه للجهل

ثلاثين عاما ما أرى من عمايه إذا برقت إلا شددت لها رحلى

و قد نعى جرير على الفرزدق قيده حين نشب بينهما الهجاء و جعله مرأاه و كذبا. و كذلك قال له البعيث:

لعمري لقد ألهى الفرزدق قيده و درج نوار ذو الدهان و ذو الغسل

و كان البعيث صادقا فى تصوير فرحه الفرزدق بالنوار التى طغت عليه و شغلته عن أشياء كثيره. و أخذت تحل فى مطلع قصائده. يحن إليها إذا نأى و يطرقه خيالها فى الصحراء البعيده. و لكن الأمور لا تستقيم له فقد كان صاحب فسوق لا يصبر عن النساء. أما النوار فكانت امرأه صالحه ترضى عنه حيناً لتخاصمه أحيانا و كانت قرعه و تذكره انه تزوجها خدعه و تطالبه بطلاقها. و يصور لنا ما يعانىه إزاء هذا الواقع:

لعمري لقد رققنتى قبل رقتى و أشعلت فى الشيب قبل زمانى

و أفصحت عرضى فى الحياه و شنته و أوقدت لى نارا بكل مكان...

و أراد الفرزدق ان يتغلب على النوار التي كانت تضاره و ان يغيظها و يذلها لتغدو طيعه منقاده تستجيب لرغباته و لكنه لم يسلك إلى ذلك الطريق الصحيح لأن النتيجة لم تكن كما توقع. فقد أقدم على الزواج من حدراء بنت زيق بن بسطام الشيبانيه و كانت أعرابيه نصرانيه سوداء دقيقه الساقين مهزوله أو هكذا كانت في عيني النوار.

و لكن الفرزدق رد عليها كما يرد الرجال فهو سليل المجد يتطلع إلى الشرف فلا يرى مناصا ان يفضلها عليها لأنها ابنه بسطام بن قيس ذي الجدين في بيت الشرف من شيبان ثم يغمز النوار التي كانت أمها أمه:

ص: ٢٩٢

لجاريه بين السليل عروقها و بين أبي الصهباء من آل خالد

أحق باغلاء المهور من التي ربت و هي تنزو في حجور الولايد

و كأنه يريد ان يتشفى منها. فيكرر القول و يبدي فيه و يعيد. و استثيرت نوار و لجات إلى جرير تحفزه ان يهجو الفرزدق و يخزيه لينتقم لها و استجاب جرير و غدت حدراء محور ست نقائص و عده قصائد تقارضها جرير و الفرزدق.

و لكن حدراء ماتت وشيكا و لم يبتس الفرزدق بموتها كما يظهر من رثائه. و رأى جرير في موت حدراء مناسبة ليخاطب الفرزدق بقوله:

فأقسم ما ماتت و لكنما التوى بحدراء قوم لم يروك لها أهلا

بعد موت حدراء تزوج رهيمة بنت غنيم اليربوعيه. و لما استخفت بها النوار أخذ يشيد بنسبها و مكانتها ممعنا في إغاظه النوار و ميينا انها ستكون السبب في استقامتها:

أراك نجوم الليل و الشمس حيه زحام بنات الحارث بن عباد

عدلت بها ميل النوار فأصبحت مقاربه لي بعد طول عباد

و انتقل إلى دارها و دافع عنها و عن أهلها:

لقد حولتني عن تميم و بدلت رهيمة داري وسط بكر بن وائل

و لم تطل بالفرزدق فرحته فما لبثت النمريه ان كرهته و نشرت به و استجابت لأمها التي كانت تثيرها عليه و كانت له مثل الشوكه في القدم فطلقها و أنشأ في هجوها أبياتا يعارض بها أبيات مدحه لأولى:

ثم تزوج الفرزدق جاريه من بني نهشل فحملت منه ثم ماتت بجمع فرثاها و بكى ولده منها.

و لم تنجح كل محاولاته في التقرب من النوار لأنه لم يدرك ان العله في خلقه و مسلكه و أصرت على الطلاق على يد الحسن البصرى فنالته إلا أن الفرزدق ندم بعد ذلك.

و قد عبر عن ندمه بأبيات منها:

ندمت ندامه الكسعى لما غدت منى مطلقه نوار

و كانت جنتي فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار

و كنت كفاقي عينيه عمدا فأصبح ما يضيئ له النهار

و لا يوفى بحب نوار عندى و لا كلفى بها إلا انتحار

و لو رضيت يداى بها و قرت لكان لها على القدر الخيار

و ما فارقتها شبعاً و لكن رأيت الدهر يأخذ ما يعار

و قد ماتت النوار قبل الفرزدق فرثاها، تلك هي قصة الفرزدق و النوار.

و قد تركت هذه القصة فى نفس الشاعر أبعد الآثار و لونت نظرتة إلى المرأة و لم تتح له أن ينعم بالبيت الهادئ المريح و لا أن يرى فى المرأة الشريك الذى يزيد الحياه بهجه و يساعد فى التغلب على صعابها. اما جرير فقد رأى فى قصة النوار موضوع سخرية و تندر فراح يصب عليه سيل التهم و يعنته شر النعوت مستغلاً نفور النوار منه و كرهها إياه.

و أقبل الفرزدق الشيخ يدب إلى بيت الهتهاث المجاشعى و كان قد دلف إلى التسعين فخطب ظبيه بنت حالم و حل اسمها فى مطالع قصائده محل النوار:

و ظبيه دائئى و الشفاء لقاؤها و هل انا مدعو لنفسى طبيها

## شخصيته

كان الفرزدق ضخماً التقاطيع مجهم الوجه مستديره صغير القدمين غليظاً قصيراً أصيب بالصلع فكان جرير يدعوه "القريد الأصلع" و يعيره "قصر القوائم" إلا أن الفرزدق كان يؤمن بجماله فيصور نفسه كالهلال يروق النساء. و كان يحتال على ما بقى من شعره فيجمعه فى ضفيرتين يخضبهما بالحناء كما يخضب لحيته. حتى إذا شمله الشيب ترك الخضاب فكان مهيب المنظر. و كان يلبس اللباس الفاخر من الديباج و الخز عمل أهل اليمن و يعتم بعمامه كبيره ضخمة. و يبدو انه فى الواقع لم يكن على قدر كبير من الجمال بل ربما كان لدينا قبيح الوجه.

و مع ان الفرزدق كان أمياً كأكثر شعراء عصره و لكنه روى أيام العرب و كثيراً من الشعر الجاهلى و قيد نفسه ليحفظ القرآن فكون لنفسه ثقافه لا- بأس بها و قد انفرد بروايه حديث امرئ القيس يوم داره جلجل مما دفع طه حسين إلى اعتباره من ابتكار الفرزدق.

كما جمع فى ثقافته إلى أساطير الجاهليين حكايات المفسرين فاعتلجت كل هذه المواد فى ذاكرته القويه و اندفعت متدفقه فى شعره بترتيب.

و من نتائج ثقافته الواسعه فى ذلك العصر انه كان كثير الأحاديث حلو القصص عذب الأسلوب. قال ابن قتيبه: كان الفرزدق معنا مفنا يقول فى كل شىء و سريع الجواب. و كان إلى ذلك قوى البديهه سريع الجواب حاضر النكته لاذعها أحيانا يروى لنا ابن قتيبه اخباراً تثبت هذه الصفات نكتفى بإيراد واحد منها: جاء عنبسه بن معدان إلى باب بلال فرأى الفرزدق و قد نعس فحركه برجله و قال: بلغت النار يا أبا فراس؟ قال: نعم و رأيت أباك ينتظر ك. و كثيراً ما تتداخل هذه الدعابات ببذاءه اللفظ و فحش

و اشتهر الفرزدق بجبنه. و قد أكثرت كتب الأدب من ذكر نوادره. و لم يحارب قط على كثره فخره و حماسته.

و قد عرف عنه جبنه فكان القوم يداعبونه و يخوفونه ليتنادروا عليه. كان مره عند سليمان بن عبد الملك و أتى سليمان بأسرى من الروم فقال للفرزدق: قم فاضرب أعناق هؤلاء فاستعفاه من ذلك فلم يعفه و دفع اليه سيفا كليلا فقام الفرزدق فضرب به عنق رجل منهم فنبأ السيف فضحك سليمان و من حوله... و كانت هذه الحادثة موضع اهتمام جرير في هجائه للفرزدق.

كما عرف في مجونه و قد تعرض للملاحقه غير مره بسبب تعرضه لنساء كان ينبغي ان لا يتعرض لهن. و مع ذلك فقد ذكر انه صلى و تاب نادما كما ذكر عنه انه بكى في المسجد و تاثر في جنازه النوار بكلام الحسن البصرى.

على ان ابن خلكان "يرجو له الجنه بمكرمه تنسب اليه" و هى مدحه زين العابدين (ع).

و ملفت للنظر ان يكون رجل هذه صفاته يبلغ الدرجه القصوى من الفخر. جده صعصعه أحيا الوئيدات و أبوه غالب معدن الجود يقصد الناس ناره من أقاصى البلاد. حتى إذا مات كان قبره ملاذ العفاه و ملجا الخائفين و أخواله بناه المجد و قبيلته خير القبائل فأبأوه لا يقاربهم آباء الخليفه من عبد شمس:

و ان تغضب قريش ثم تغضب فان الأرض ترعاها تميم

اما هو فخلاصه المفاخر كرما و علو همه و شاعريه.

و على الرغم من كون الفرزدق قد اتصل بالحضر إلا- انه ظل شديد التعصب لبدويته كثير الفخر بمآثر آباءه فى الإسلام و فى الشرك كذلك.

يمدح كبار القوم بمفاخر آباءهم فى الجاهليه و يظهر على كثير من جفاء البدو و خشونه طبعهم و قساوتهم. و يتقيد فى كل شىء بمظاهر البداوه فيدعو إلى الأخذ بالثار و يفتخر بالضيافه. و قد ظهر أثر البداوه واضحا فى معظم نتاجه الشعرى.

## وفاته

رزق الفرزدق عمرا طويلا تجاوز التسعين فى قوله و هو و بلغ السادسة و التسعين فى قول ابن حبيب شارح الديوان و قارب المائة فى قول ابن سلام.

و المشهور ان الفرزدق قد توفى فى سنه ١١٠ هـ - ٨٢٨ [٧٢٨] م و هذا هو التاريخ الذى يذكره بروكلمان.

و لكن الدكتور يوسف هل يرى ان وفاته يجب أن تكون فى سنه ١١٤ هـ ذلك لأنه رثى الجراح بن عبد الله الحكيم الذى استشهد بمرج أربيل فى المشرق سنه ١١٢ هـ كما ذكر الطبرى. ثم ان الأغانى نفسه يتردد فى وفاه الفرزدق بين السنوات ١١٠، ١١٢، ١١٤ و كذلك ابن خلكان يتردد بين السنوات ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٤ و على هذا قبل الدكتور هل التاريخ المتأخر: ١١٤ للهجره - ٧٣٢ م. و يرى البستاني انه ليس من مبرر للحيره عند من يطالع ديوان الفرزدق فيرى فيه قصيده قالها الشاعر فى مدح خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم والى المدينه. و معروف ان خالدا المذكور ولى المدينه مده ثلاث سنوات من السنه ١١٤ إلى السنه ١١٧ و إذا فلا يمكن أن تكون وفاه الفرزدق تقدمت السنه ١١٤ (٣ آذار ٧٣٢ - ٢٠ شباط ٧٣٣) و هى السنه التى توفى فيها جرير كذلك.

## صلته بالحكام

يقول ابن سلام: قيل لابن هبيره من سيد أهل العراق؟ قال:

الفرزدق: هجانى ملكا و مدحنى سوقه.

من هنا علينا ان لا نفاجا كثيرا بمواقف هذا الشاعر الجريئه و المتقلبه من حكام عصره.

لكن القضية الأولى التي تستحق وقفة مميزة هي حقيقة تشيع الفرزدق لذهاب الباحثين فيها - وخاصة المعاصرين منهم مذاهب شتى - إلى حد أن بعضهم جعله "عثمانيا" يقول هذا الباحث: التشيع مذهب أول أركانه اعتقاد امامه على و ابنائه فهي حق لهم موروث لا يشركهم فيه سواهم.

و لم يكن الفرزدق من هذا في شيء و كل ما نعرفه عنه يوحى بخلاف ذلك، فأكثر قومه من مجاشع عثمانيه، و كثره تميم عثمانيه و البصره التي عاش فيها الفرزدق عثمانيه و أشعاره التي قالها تنطق كلها بفضل عثمان خليل النبي و تتمدح برفيع مكانته و تندد بالبغيه الذين قتلوه و تشفى بهم ان قتلوا بكل ثنيه و مدينه و تدافع عن حق بنى أميه فى الخلافه لأنهم ورثه عثمان الذى نال الخلافه عن مشوره و رضا و تنال ممن نازعهم هذا الحق فتشتد فى النيل منه و تثنى على ما قام به مروان و بنو أميه من إطفاء الفتن بصفين و مرج راهط ثم تشيد بهم و تعلى مكانتهم و تفضلهم تفضيل الشيعة لأئمتهم و تجعلهم خيره الله لعباده و أفضل الناس بعد رسول الله و أمناء الله فى أرضه. بل أكاد أقول: ان الفرزدق بالغ فى رفع أقدار الأمويين مبالغه لا أجدها لشاعر اموى آخر و أفرط فى الثناء عليهم و كان و هو يمدحهم يكاد يصفى عليهم صفات الذين اختارهم الله لتبليغ رسالاته.

لن أناقش الدكتور شاکر الفحام فى "عثمانيته" أو فى "أمويته" فله الحق أن يكون "يزيديا" إذا شاء و لا فى الآراء التي أوردها باستثناء قضيه ولاء الفرزدق لآل البيت ع.

فالمصادر القديمه تجمع على تشيع الفرزدق و مولايته لآل الرسول: كان الفرزدق سيدا جوادا و جيهها عند الخلفاء و الأمراء هاشمى الرأى فى أيام بنى أميه يمدح أحياءهم و يؤبن موتاهم و يهجو بنى أميه و امرأهم هجا معاويه بن أبى سفيان و زياد بن أبيه و هشام بن عبد الملك و الحجاج بن يوسف و خالد القسرى و غيرهم (معجم الشعراء ٤٨٧).

و ربما كانت إفاده الدكتور عمر فروخ من الترجمة التي كتبها استاذة المستشرق الألماني جوزيف هل لحياء الفرزدق سببا من أسباب جعل موقفه أكثر موضوعيه إزاء هذه القضية من هنا اختلافه فى الرأى مع الدكتور الفحام. فقد ذكر ان الفرزدق نشأ على حب آل البيت و على الاعتقاد بحقهم فى الخلافه دون سواهم فإنه لم يكن يعلن تشيعه حرصا على أن يتكسب بشعره عند من يهب الجوائز و الأموال من سوى آل البيت أيضا. على ان شعوره هذا كان باديا فى كثير من سلوكه و أشعاره (شعراء البلاد). كما أن الثابت ان الفرزدق لم يتصل بأحد من الخلفاء قبل الامام على فى الحادثه التي سبقت الإشارة إليها.

بروكلمان بدوره الذى يلاحظ ضعف دينه و استخفافه بالمقدسات يستثنى من ذلك ما احتفظ به الشاعر من الوفاء لعلى و أهل بيته فى أحوال غير مواءمه. (تاريخ الأدب العربى).

و لعل أفضل رد على الفحام ما يوضحه البستاني حول هذه القضية إذ يذكر فيه موقف الفرزدق من العلويين فيستدل من حياته و شعره انه كان على إخلاص فاق إخلاصه لغيرهم من أرباب الأحزاب و ان يكن لم يجروا دائما على إظهار عاطفته. هذا إذا جاز لنا ان نتكلم عن الإخلاص بالنسبه إلى الفرزدق. كان قومه من ذوى الميل العلوى فى الخلاف الناشب بين على و عائشه أولا ثم بين على و معاويه. حتى إذا قدم على الكوفه وفد عليه غالب و معه ابنه و هو يافع إذ ذاك. على ان أحوال الفرزدق من بنى ضبه كانوا من حزب عائشه فحاربوا جيش على يوم الجمل. و هو ما استفاد منه الفرزدق فى تزلفه إلى الأمويين. يقول ذلك زلفى و تقربا و لا سيما بعد ان تحقق قومه قوه الأمويين و شعروا بصوله عمالهم فى العراق فأرسلوا إليهم الوفود مبايعين. فمدحهم

الفرزدق و بالغ و أغرق. و لا يخفى ان إغراقه هذا و ايجاسه الدائم من و لاه أميه لمن الأدله على اضطراب ميله و ارتجاج موقفه. اما إذا ابتعد عن مركزه الولاه فاطمان إلى أن يد الأمويين لا تطاله و عرضت فرصه فإنه لا يتردد في إظهار عاطفته لآل البيت من ذلك ما ذكر صاحب الأغاني و ابن خلكان و من نقل عنهما ان الفرزدق كان في مكه عند ما حج هشام بن عبد الملك و هو ولي عهد فاضطره الزحام إلى الانتظار و وصل زين العابدين حفيد على فتنحى له الناس حتى طاف و استلم. فسأل أحد رجالات الشام من هذا؟ فأجاب الفرزدق ذلك الجواب الرائع:

ص: ٢٩٤



هذا الذى تعرف البطحاء وطاته و البيت يعرفه و الحل و الحرم

فغضب هشام و أمر بالفردق فحبس بين المدينة و مكة فقال يهجو:

أ تحبسنى بين المدينة و التى إليها قلوب الناس يهوى منيها

يقلب رأسا لم يكن رأس سعيد و عينا له حواء باد عيوبها

ثم أشفق عليه هشام فاطلقه. فمدحه بقصيده طويله على الروى نفسه.

و ملفت للنظر ان هذا الشاعر الذى أمضى عمره يتعرض للأمرء و الولاه و العمال يمدحهم راغبا و يهجوهم مهددا حتى يشتروا منه اعراضهم أحياء و أمواتا و هو ان لم يوفق إلى الكثير رضى بالقليل فقنع بنحى من سمن مثلا أو بشره سويق إذا كان عطشان. ملفت للنظر ان يرد للإمام زين العابدين ع عشره آلاف درهم أرسلها إليه اثر موقفه و قصيدته قائلا: ما قلت ما كان إلا لله و ما كنت لأرزأه عليه شيئا (تاريخ الأدب العربى) فيجيبه الامام زين العابدين بعد أن يردها اليه: قد رأى الله مكانك فشكرك و لكننا أهل بيت إذا أنفدنا شيئا ما نرجع فيه فأقسم عليه فقبلها (أعيان الشيعة).

بل يرى عمر فروخ ان تشيع الفردق كان من أبرز أسباب ملاحظته من قبل و لاه بنى أميه حيث يلاحظ أن صله الفردق بالولاه الأمويين كانت سيئه جدا لأسباب مختلفه ظاهرها ان الفردق كان فاسقا و لذلك كانوا ينفونه عن حواضرهم. أما الحق فهو أن الفردق كان قيسيا و علويا. و لقد كان الولاه يضطهدونه إذا كانوا هم يمينين أو إذا كانوا امويين متشددين. (1)

و الثابت انه لم يدع مناسبه إلا و عبر فيها عن تعلقه بال البيت. يذكر أبو الفرج لقاءه الامام الحسين (ع) عند ما كان متوجها إلى الكوفه فبادره الامام بالسؤال ما وراءك: قال يا ابن رسول الله أنفس الناس معك و أيديهم عليك أو قلوبهم معك و سيوفهم مع بنى أميه. و لقد عبر الفردق بذلك عن شعوره أيضا! و يتوهم بروكلمان خطأ أن هذا قد حدث بين الفردق و الامام الحسن ع.

و مهما يكن من أمر فان الفردق لم يتردد أن يكون "شاعر بلاط" ينتمى إلى قبيله شانته فى ذلك شان كبار شعراء عصره. و كانت تميم البصره زبيريه الهوى تقاتل عن ابن الزبير و تدعو له. و كان الفردق لسان قبيلته يميل انى مالت فدافع عن مواقف قومه كلها فلا عجب ان نجد فى شعره مدحا لابن الزبير و تأكيدا لحقه.

و لكنه لم يتردد بعد أن تلقى تهديدا من الحكم بن أيوب الثقفى صهر الحجاج و ابن عمه و عامله على البصره من أن يمدح هذا العامل و عبد الملك و أن ينعت ابن الزبير بأنه "كذاب مكه":

فالأرض لله ولاها خليفته و صاحب الله فيها غير مغلوب

بعد الفساد الذى قد كان قام به كذاب مكه من مكر و تخريب

و أول صدام للفردق فى الدوله الأمويه كان مع معاويه. جاء إلى معاويه شخص من بنى مجاشع اسمه الحجاب و كان قريبا

للفرزددق. و أكرم معاويهاالحباب و أعطاه أربعين ألف درهم. و لكن الحباب ما كاد ينفصل عن دمشق حتى مات فجاءه. و عرف معاويه بموت الحباب فى الوقت المناسب فأمر أن ترد عطيته إلى بيت المال و عرف الفرزدق بذلك فجاء إلى دمشق و تعرض لمعاويه بقصيده منها:

أبو ك و عمى يا معاوى أورثا تراثا فأولى بالتراث أقاربه

فما بال ميراث الحتات أكلته و ميراث حرب جامد لك ذائبه

فلو كان هذا الحكم فى جاهليه عرفت من المولى القليل حلائبه

و لو كان هذا الأمر فى غير ملككم لأديته أو غص بالماء شاربه

و لو كان إذ كنا و فى الكف بسطه لصمم غضب فيك ماض مضاربه

و كم من أب لى يا معاوى لم يكن أبو ك الذى من عبد شمس يقاربه

و هذه الحادثه كانت سببا فى ملاحظه زياد بن أبيه للشاعر. كما يلاحظ انه لا يتردد فى رفع الشكوى إلى الوليد و سليمان و يزيد من معاملته بعض عمالهم.

هجا خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد الأموى والى عبد الملك على البصره و مدح بشر بن مروان والى الكوفه الذى قربه و نادمه و أراد أن يوفق بينه و بين جرير و لكن لم يستطع.

و بعد بشر بن مروان جاء الحجاج بن يوسف الثقفى العراق واليا. و هاب الفرزدق الحجاج هيبه شديده امتلأت نفسه لها خوفا فأسرع اليه يمدحه و يشيد به و كثرت مدائحه له و قد أدرك الحجاج تفوق الفرزدق فى أماديه فقال: ما أشعر الفرزدق فى قوله لى:

لا يألف البخل ان النفس باسله و الرأى مجتمع و الجود منتشر

و اتصل الفرزدق بولاه الحجاج على البصره الحكم بن أيوب الثقفى و الجراح بن عبد الله الحكمى. و لما ولى عمر بن عبد العزيز المدينه قصد اليه الفرزدق فيمن قصده من الشعراء و مدحه و هو فى المدينه و مدحه و هو فى مكه. كما تحدث الرواه بما كان يلقى الفرزدق عند عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فى المدينه من البر و الإكرام، بل كانت تأتيه صلوات سكينه بنت الحسين ع و ربما كان فى هذا ما يدعم الرأى بحقيقه مشاعر الفرزدق الصادقه تجاه آل البيت و ينهض دليلا إضافيا على تشيعه.

لكن اقامه الشاعر فى المدينه أيام ولايه عمر بن عبد العزيز لم تطل إذ نفاه منها لثلاثين شهرا فى مسجدها هجاءه المقذع و استغل خصمه جرير الفرصه فقال:

نفاك الأغر ابن عبد العزيز بحقك تنفى عن المسجد

و يبدو ان الفرزدق بقى بعيدا عن ملوك بني أميه فلما استتب الأمر لعبد الملك بن مروان عرض لمديحه و الإشاده به فى مدائح الحجاج بن يوسف و الحكم بن أيوب و هجاء ابن الأشقف. و لما تولى الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ) كثرت مدائح الفرزدق إياه و عرف لديه شيئا منت.

ص: ٢٩٥

---

١- يقول حسن الأمين: من أقوى دلائل تشيع الفرزدق قوله لما سمع أبا بردة بن أبي موسى الأشعري يقول: كيف لا اتبخرت و أنا ابن أحد الحكمين، فقال الفرزدق: أحدهما مائق و الآخر فاسق، فكن ابن أيهما شئت.

الحظوه: ثم اتصل بهشام بن عبد الملك - وهو لا يزال أميراً - ورافقه إلى الحج نحو سنة ٩٠ هـ وفي هذه الحجه وقعت قصه هشام و الامام زين العابدين ع. و مدح الفرزدق زين العابدين بقصيدته الميميه المشهوره فحبه هشام.

ثم جاء سليمان بن عبد الملك و اتصل به الفرزدق و علت منزلته عنده حتى لقد أصبح شاعر الخليفه حقا و وجد الفرصه سانحه لتفجير حقه على الحجاج فانهاه عليه معددا مخازيه مبينا قسوته و طغيانه و مظالمه و الدماء التي هراقها:

و لولا سليمان الخليفه حلقت بهم من يد الحجاج عنقاء مغرب

و ثارت قتيبه بن مسلم الباهلى فى خراسان منتقضا على سليمان و انتصرت تميم للخليفه و قتل قتيبه و بعثوا إلى الشام برأسه فامتلاً الفرزدق زهوا و أخذ يهجو قتيبه و باهله و يتشفى من الحجاج و يشيد بسليمان و بتميم. و عاش الفرزدق أيامه الجميله الحلوه و نعم بصحبه سليمان و كثرت ملازمته إياه. كان يقدم على سليمان اقدام الواثق المطمئن حتى يجاوز المؤلف. و فى عهد سليمان مدح الفرزدق آل المهلب.

و عند ما تولى عمر بن عبد العزيز لم يفلح الفرزدق فى مدحه فتنحى و تنحى معه شعراء كثيرون. فلما تولى الملك يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥) فتح أبوابه للشعراء. و قد بدأ عهده بثوره آل المهلب فانحازت تميم البصره إلى جانب يزيد الذى تمكن من القضاء على ثوره آل المهلب و كان الفرزدق مبالغه منه فى إرضاء يزيد يعيد فى مديحه القول فى يزيد بن المهلب و يتشفى منه و من آل المهلب و كأنه يعلن أن هذه نهايه كل عاص.

و فى عهد يزيد اتصل الفرزدق بمسلمه بن عبد الملك والى العراق و خراسان فمدحه. و اتصل بالعباس بن الوليد و بالغ فى تمجيده و مدح فعاله. و ولى مسلمه بن عبد الملك عبد الرحمن بن سليم الكلبي أمر البصره فجاهه الفرزدق مادحا.

و لم يطل عهد مسلمه على العراق و خراسان و جاء عمر بن هبيرة الفزارى القيسى واليا عليهما (١٠٢ هـ ١٠٥ هـ) فمدحه الفرزدق و لكنه لم يلبث ان تنكر له و راح يهجو و يهجو قبيلته.

و طلب عمر بن هبيرة و ابنه يزيد الفرزدق و أراد أخذه و سجنه و لكن الفرزدق الحذر لا يذ بالفرار و لم يقدر إلا على حبس امرأته النوار و لحق الفرزدق بالبادية ثم لجأ إلى حمى يزيد بن عبد الملك. و فى كنف يزيد لقي الأمن و البر و الصله و كتب يزيد بتخليه النوار و أمان الفرزدق. و أتاح له مقامه بالشام أن يتصل بالوليد بن يزيد يمدحه و يتقرب به إلى أبيه. و تدل الأخبار انه حضر مجالس الوليد و ما كان يدور فيها من غناء و لهو. و لعله وجد فى كنف الوليد ما أمل من خير و نعمه فأكثر من مديحه و الثناء عليه.

و كان من المنتظر ان يكون أشد الولاه عدا للفرزدق بسبب قيسيته و علويته - زياد بن أبيه والى العراق. من أجل ذلك حرص الفرزدق على ألاّ يتعرض لزياد فتغافل زياد عنه و تركه و شانه فاخذ خوف الفرزدق من زياد يتناقص و مغامراته الغراميه تزداد و تتسع. فوجد زياد الفرصه مناسبه فطلبه فهرب منه إلى ان مات زياد.

**الفرزدق و الشعراء:**

تمرس الفرزدق بعدد من الشعراء منذ صباه فكان يهاجى شعراء قومه فى خلافه عثمان. و ظل على هذه النزعه فى شبابه حتى كاد الهجاء يغلب على سائر شعره.

و عند ما تجاوز الأربعين كان الهجاء قد لج إذ ذاك بين جرير و البعث المجاشعى و نالت شظاياها نساء مجاشع فاقبلن على الفرزدق شاكيات مؤنات قائلات: "قبح الله قيدك! (القيد الذى قيد به نفسه ليحفظ القرآن) فقد هتك جرير عورات نسائك فلحيت من شاعر قوم!" فكان نعم المشجعات على ما كان يصبو اليه. ففض قيده و قال قصيده أصاب رشاشها البعث و هدد جريرا. ثم خص جريرا بقصيده بائية أصابت البعث كذلك. و كان هذا فى عهد الحارث بن عبد الله والى البصره لابن الزبير (٦٨٤ - ٦٨٦). ثم توالى النقائص واحده من جرير و اخرى من الفرزدق نحو نصف قرن حتى وفاه الشاعرين سنة ٧٣٢. و الناس من شعراء و متأدين منقسمون قسمين:

فرزدقى و جريرى يتشاحنون حتى العداوه. و قد دخل الأخطل بين الشاعرين فى ولايه بشر بن مروان للبصره بعد ان مر عليهما فى الهجاء بضع سنوات، ساله بشر عنهما فقال: الفرزدق ينحت من صخر و جرير يغرف من بحر فهاج الحكم جريرا فبدأ عهد الهجاء بينه و بين الأخطل. أما الفرزدق فشكر للأخطل حكمه و أخذ يمدحه و قومه و يعاونه على هجاء جرير.

و من الشعراء الذين اتصل بهم الفرزدق قليلا- أو كثيرا الحطيئه و كعب بن جعيل اجتمع بهما فى مجلس سعيد بن العاص والى المدينه فحكم له الحطيئه إذ سمع إنشاده.

و فى المدينه كان يجتمع بكثير و بإبراهيم بن محمد الزهرى فيتناشدون الأشعار.

و من الشعراء الذين أصابهم رشاش من هجائه مسكين الدارمى هجاه لأنه رثى زياد بن أبيه. و الطرماح الطائى هجاه و هجا قومه. و الأصم الباهلى هجاه و قومه أيضا. كما هجا شاعره من فقيم فلم تقصر فى هجائه. و قد اتصل بذى الرمه سمعه ينشد فى المرید فحكم على شعره ثم لم يلبث ان سرق من أبياته كما سرق من شعر الشمردل و ابن مياده و جميل بن معمر. و فى المرید كان للفرزدق حلقه خاصه يجتمع فيها بالراعى و غيره من مریديه.

و اجتمع الفرزدق فى حضره سليمان بن عبد الملك بجرير و كثير عزه و عدى بن الرقاع. ففضله سليمان عليهم جميعا فى الفخر. و اجتمع مره ثانيه بنصيب ففضل سليمان عليه نصيبا فى المدح. فهجا الفرزدق نصيبا. و عرف ليلى الأخيليه فأنشدها و أنشدته. و فى آخر عهده مدح عبد الله بن عبد الأعلى شاعر بنى شيان. فأكثر و أجاد.

## الديوان

كان للفرزدق عده رواه ينشرون شعره فى حياته منتقلين به من حى إلى حى و من مدينه إلى مدينه. و هم أدوات النشر فى عصر الأدب الشفهى.

فبلغوا بشعره أطراف الجزيره حتى عمان بل تجاوزوها إلى مصر. و قد عرفنا منهم أبا شقفل و لعله أشهرهم و عمرو بن عفراء الضبى و هبيرة بن الصلت و الطهوى و عبيدا أحد بنى ربيعه بن حنظله.

و للفرزدق ديوان مطبوع فى جملة الدواوين الخمسه (النابعه و عروه و حاتم و علقمه و الفرزدق) بمصر ١٢٩٣. و طبع على حده فى باريس سنة ١٨٧٠ و ما بعدها مع ترجمه فرنسيه للمسيو بوشر عن نسخه خطيه صورت من مكتبه أيا صوفيا فى الأستانه و طبعت تتمتها فى ميونيخ سنة ١٩٠١. و فى دار الكتب المصريه نسخه خطيه إملاء محمد بن حبيب مشروحه.

و منه نسخ خطيه أيضا فى اكسفورد و ليدن و غوطا و برلين و لندن.

و لكن يبدو ان طبعه بوشيه (بوشر) كانت ناقصه فقام المستشرق

ص: ٢٩٦

الألماني يوسف هيل فآتم هذه الطبعه.

ثم قام عبد الله إسماعيل الصاوى فجمع كل ما ظهر فى هذه الطبعات و أضاف إليها متفرقات وقف عليها فى بعض كتب الأدب و نشر الديوان مع الشرح فى طبعه تحتاج إلى كثير من التدقيق ظهرت بمصر سنه ١٩٣٦ فى مجلدين كبيرين.

و يوجد الديوان مخطوطا بروايه السكرى فى: بودليانا ٢:٣٠٦ قسم ٣ المتحف البريطانى.. كما توجد قصيده الفرزدق فى مدح زين العابدينمخطوطه فى: جوتا ٢٦، ١٤ ليدن ٥٩٠ و طبعت على الحجر فى طهرانسنه ١٢٧٥ هـ. أشعار متفرقه مخطوطه فى برلين. و طبع بشير يموت ديوان الفرزدق طبعه ثانيه منقحه فى بيروت ١٩٣٧. كما طبعته دار بيروت للطباعه و النشر عام ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م فى مجلدين.

## النقائض

"النقيضه" قصيده يرد بها شاعر على قصيده لخصم له فينقض معانيها عليه: يقلب فخر خصمه هجاء و ينسب الفخر الصحيح لنفسه و لئن اكتفى اللغويون فى حد النقيضه بأنها القصيده التى تنقض معانى سابقتها فان رواه الشعر و المتأديين درجوا على أن يعدوا من النقائض ما صدق فيه شرطان:

أولهما ان تتفق القصيدتان بحرا و رويًا.

و الثانى ان يرد اللاحق على السابق معانيه و ينقضها.

قال الأخطل:

خف القطين فراحوا منك أو بكروا و أزعجتهم نوى فى صرفها غير

فأجابه جرير من البحر نفسه (البسيط) و على الروى نفسه (الراء المضمومه):

قل للديار سقى اطلالك المطر قد هجت شوقا و ما ذا تنفع الذكر

و قد تختلف أحيانا حركه الروى فى النقائض كقول الفرزدق (من البحر الكامل على اللام المضمومه):

ان الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز و أطول

فأجابه جرير (من البحر نفسه و لكن على اللام المكسوره):

لمن الديار كأنها لم تحلل بين الكناس و بين طلع الأعرل

فإذا قال أحد الخصمين قصيده جديده - و لو كانت استمرارا لمهاجاه قديمه - فإنه ينظمها عادة من بحر جديد و على روى جديد إلا أن خصمه إذا رد على هذه القصيده تقيد ببحرها و رويها.

و ربما اشترك فى "المناقضه" بضعه شعراء فمن ذلك مثلا قول الفرزدق:

يا ابن المراغه والهجاه إذا التقت أعناقهم و تماحك الخصمان....

فقال جرير يرد على الفرزدق:

لمن الديار ببرقه الروحان إذ لا نبيع زماننا بزمان

و قال الأخطل يرد على جرير أيضا:

بكر العواذل يتدرون ملامتيو العالمون فكلهم يلحاني

و المختار فى "النقائض" ان تكون طوالا- و فيها يفتخر الشاعر بنفسه و بقومه و بفضائل نفسه كالشعر و الكرم و الشجاعه ثم باحساب قومه كالحروب التى انتصروا فيها و العهود التى وفوا بها و المحاسن التى أتوها من الكرم و الدفاع عن الأعراض و القيام بشأن القبيله و ما إلى ذلك.

بعدئذ ينقب الشاعر عن معايب خصمه و قوم خصمه فيذكرهم جميعا بالعى و البخل و الجبن حقا أو باطلا. و يذكر أيضا الحروب التى هزموا فيها و العهود التى نقضوها و المخازى التى عرضت لهم. و إذا أعوزته المخازى أو أعوزه شىء منها لم يتأخر عن اختلاقه.

و فى "النقائض" اقداع شديد و فحش و بداءه. إلا ان المتناقضين تعرضوا دائما للعيوب الخلقية النفسيه كالبلخ و الجبن و الغدر و الزنا و لم يتعرضوا للعيوب الخلقية الجسديه كالعرج و العور و الاحديداب إلا نادرا كالتعير بالفقر و ضعف الجسد عامه و العور إذ لم يكن هذا محمودا عند النقاد.

و قد يمدح الشاعر خليفه أو أميرا بقصيده يعرض فيها أيضا لهجاه خصمه أو للرد عليه فتكون نقيضه.

و قد يرثى الشاعر امرأته ثم يهجو خصومه كما فعل جرير فى قصيدته التى مطلعها:

لولا الحياء لعادنى استصبار و لزرت قبرك و الحبيب يزار

حيث قال يهجو الفرزدق:

أفأم حزره يا فرزدق عبتم؟ غضب المليك عليكم القهار

كذب الفرزدق ان عود مجاشع قصف و ان صليبيهم خوار

قد يؤسرون فما يفك أسيرهم و يقتلون فتسلم الأوتار



و قد يتغزل الشاعر فى قصيده طويله ثم يعطف على خصمه فيهجوه.

بدأت النقائض بين جرير و الفرزدق فى حدود سنه ٦٦هـ و بقيت بينهما زهاء ثمانيه و أربعين عاما لم يزالا يتهاجيان حتى اسكتهما الموت سنه ١١٤هـ.

هذا و تعتبر النقائض فى العصر الأموى استمرارا للهجاء القبلى فى الجاهليه و كان يبعثها عاده خلاف بين قبيلتين أو اسرتين فينتصر شاعر لقومه أو لأحلاف قومه فيرد عليه شاعر من هؤلاء فيعود الأول للرد عليه حتى يلتحم الهجاء و يستطير. و لقد أذكى هذه النزعه فى الشعراء قيام الأحزاب و تقرب هؤلاء الشعراء إلى الخلفاء و الأمراء بهجاء خصومهم طمعا بالمال. إضافة إلى إغراء الحكام الشعراء بتناول بعضهم البعض.

و قد بدأ الهجاء بين الفرزدق و جرير حين لم يستطع البعيث المجاشعى الصمود فى وجه جرير مما غم نساء بنى مجاشع ففزعن إلى الفرزدق ليقوم بالدفاع عنهن. و كان لهن ما أردن.

و استهوت المعركه الشعراء و زين لعدده منهم ان يشاركوا فيها فانضموا فى المعمره اما موازين بين الشعارين أو منحاين إلى تفضيل واحد منهما أو هاجين الاثنين معا. تدفعهم إلى ذلك الشهره و حب الصيت أو حوافر

ص: ٢٩٧

العصبيه و الشرف أو مقاييس الفن و قيمه إلى ضروب من الإغراء شتى.

فاتسعت آفاق المناقضة و جرى فى ميدانها أمثال الصلتان العبدى الذى فضل جريرا فى الشعر و الفرزدق فى الشرف. و المنقرى الذى هجا الفرزدق و جريرا معا و ثلث بالبعث و نال منهم جميعا. و كان هجاء. و سراقه البارقى و الراعى النميرى و الأخطل و عمر بن لجا الذين فضلوا الفرزدق لكرمه و شعره و رفعوه على جرير.

و لكن الشعراء المتصرفين بين جرير و الفرزدق لم يثبتوا فى أرض المعركة و منهم من لم يلتفت اليه احتقارا لشأنه و استصغارا فهووا كما هوى البعث. و لم يبق منهم غير الأخطل.

و كانت فرحه الفرزدق بالأخطل بالغه لقد انضم اليه شاعر فحل يقوى ان يقف امام جرير ليقول:

فان يك أقوام أضاعوا فانى وصلت الذى بينى و بين الفرزدق

و قد عبر الفرزدق عن فرحته بالأخطل فخص تغلب بواحدة من روائع قصائده يشيد فيها بما آثرها و أيامها و وقائعها و نسي فى غمره فرحه ان يفخر بقومه من دارم فإذا هى ثناء على تغلب خالص لا يشوبه مدح لغيرهم. و لم يجد جرير ما يقوله سوى التذكير بنصرانيه تغلب:

فخرت بقيس و افتخرت بتغلب فسوف ترى: أى الفريقين أربح

فاما النصرارى العابدون صليبيهم فخابوا و أما المسلمون فافلحوا

و الحق ان حب الفرزدق للأخطل قد تملك عليه نفسه و كان صادقا فيه كل الصدق، دعاه خليه و أخاه فى حديثه و شعره و أثنى عليه و جعله من شركائه فى وراثه شعر الفحول.

و يبدو أن علاقتهما كانت منذ البدايه تقوم على التقدير المتبادل يبدو هذا إذا أخذنا بالروايه التى تخبر عن لقائهما الأول. فقد نزل الفرزدق على الأخطل ليلا- و هو لا يعرفه فجاءه بعشاء ثم قال له انى نصرانى و أنت حنيف فإى الشراب أحب إليك؟ قال: شرابك ثم جعل الأخطل لا ينشد بيتا إلا أتم الفرزدق القصيده. فقال الأخطل: لقد نزل بى الليله شر من أنت؟ قال: شرابك ثم جعل الأخطل لا ينشد بيتا إلا أتم الفرزدق القصيده. فقال الأخطل: لقد نزل بى الليله شر من أنت؟ [ قال: الفرزدق بن غالب. قال:

فسجد لى و سجدت له. فقيل للفرزدق فى ذلك. فقال: كرهت ان يفضلى.

فنادى الأخطل: يا بنى تغلب هذا الفرزدق. فجمعوا له إبلا كثيره. فلما أصبح فرقها ثم شخص.

و لج الهجاء و تكاوح الشر بين الثلاثه و ظلوا يتصاولون حتى اختطفت الأخطل منيته سنة ٩٢ هـ فكان من آخر كلماته:

اوصى الفرزدق عند الممات بام جرير و أعيارها

فلما بلغ الفرزدق خبره جزع لفقدته و جعل يحن عليه و يقول: سأخذ بوصيه أخى ثم تشمر للدفاع عن تغلب:

أمسى لتغلب من تميم شاعر يرمى القبائل بالقصيد الأثقل

و خلا- الميدان ليجرى فيه الشاعران أشواطا كثيره فما اوقفهما إلا الموت. يهجو جرير الفرزدق بان أهله قيون (حدادون) و أن قومه خانوا الزبير بعد أن كانوا جيرانه و يهجو أيضا بجبنه و ضعفه.

أما الفرزدق فكان هجاؤه شديد الفحش و الأقداع كثير الغريب بعيدا عن أن يسير على الألسن. و كان يعير جريرا بشظف العيش و الفقر و بضعف أبيه عطيه فى المجتمع و بخله ثم يعيره بضعف بنى كليب و يربوع بالإضافه إلى دارم و مجاشع و هو كثير الفخر بنفسه فى معرض ذمه خصمه.

و قد ذكر بعض النقاد أن الفرزدق كان أشعر من جرير فى الهجاء لأنه أقواهما أسر كلام و اجراهما فى أساليب الشعر و أقدرهما على التطويل و أحسنهما قطعا.

و كذلك قدمه البحترى على جرير فى الهجاء أيضا من حيث المعانى و الأ-غراض و كان يقول: و جرير لا- يعدو فى هجائه الفرزدق ذكر القين و قتل الزبير و الفرزدق يرميه بكل آبده".

و من مشهور هجاء الفرزدق لجرير قصيدته:

ان الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعم و أطول

و التى رد عليها جرير بقصيدته:

لمن الديار كأنها لم تحلل بين الكناس و بين طلع الأعزل

هذا و قد مثلت النقائص جانبا من حياه القبائل الاجتماعيه و السياسيه فى العصر الأموى يقوم على المفاخره و التهاجى فاحيت بذلك ما كمن و توارى من نزعات الجاهليه.

و أصبحت بالتالى خير معرض لأيام العرب و أخبارها و مفاخرها و معاييها.

و مع ذلك فإنها تخالف موروث الجاهليه. إذ كان الجاهليون يعبرون عن وقائع قائمه و معارك تراق فيها الدماء و يتنازعون نزاعا هم فيه ألسنه قبائلهم.

أما نقائص جرير و الفرزدق فكانت مفاخره و مهاجاه لا تبلغ أن تثير الأحقاد و تؤجج الأضغان لأنها لم تكن تلبيه لحروب و وقائع بل هى مهاده و مغالبه تروم ان تنتزع الإعجاب و تظفر بالتفوق و تسكت الخصم و كأنها كانت البديل لما كان يقوم فى الجاهليه من أيام و منازعات و خصومه. من هنا كثر فى النقائص الافتراء و الكذب حتى كان النقائص كانت تهدف إلى المغالبه الفنيه و الانتصار فى القول أكثر مما تهدف إلى أى غرض آخر. بل ربما كانت معارك يراد بها اللهو و التسليه.

و خلاصه القول ان النقائص صورت من الناحيه السياسيه النزاع على الخلافه بين الأمويين و خصومهم. و الشعراء الذين دخلوا فى هذا النزاع لم يدخلوه و هم يحملون عقيدته امويه أو زبيريه أو علويه و إنما دخلوه للتكسب فى الدرجه الأولى. حتى ان الشعراء الزبيريين انقلبوا بعد ذلك أمويين (لانتصار هؤلاء). و كذلك لم يتحوب الفرزدق - و كان يمثل العلويين - من أن يمدح بنى أميه. و كذلك الأخطل المسيحي فقد مدح ملوك بنى أميه مدائح اسلاميه الطابع. على ان نفرا قليلا من الشعراء لم يفعلوا ذلك فقد ظل الكميت العلوى على وفائه لآل البيت. و أما عمر بن أبى ربيعه فإنه لم ينغمس فى المناقضات قط.

من الناحيه الاجتماعيه تكشف لنا النقائص ان البداوه ظلت غالبه على المجتمع الأموى. فالشعر الأموى مملوء بالمفاخر الجاهليه و البدويه كالفخر بالأنساب و بأيام العرب و بالكلام على الثار. و ظل شعراء المناقضات حتى أواخر العصر الأموى يعدون الحياه الحضريه فى باب المعائب فالأخطل هجا الأنصار لأنهم زراعون و جرير ظل لآخر حياته يهجو بنى مجاشع لأنهم

قيون (حدادون) ذلك لأن القيانه و سائر الصناعات كان يقوم بها العبيد.

و لكن الشعر الأموى امتلاً أيضا بالألفاظ الإسلاميه و الآراء الإسلاميه بما فى ذلك شعر الأخطل الذى رأى فى عبد الملك:

خليفه الله يستسقى به المطر...

اما ذكر جرير و الفرزدق للصلاه و الحج و اقتباسهما من القرآن الكريم فظاهران. و قد يكون الفرزدق و جرير قد شربا الخمر فعلا و لكنهما لم يصفاهما. بل ان جريرا كان يعير الفرزدق أحيانا بشربها.

من الناحيه اللغويه الخالصه حفظ شعراء النقائض اللغه العربيه صافيه كما كانت فى الجاهليه. فقد قيل لو لا الفرزدق لذهب ثلث اللغه. و قيل بل ثلثاها. و كذلك حفظوا لهذه الألفاظ جزالتها و استعملوا هذه الألفاظ لتدل على معانيها الصحيحه التى لم تكن شوهدت بعد بالاختلاط بغير العرب.

فالألفاظ التى حفظت لنا فى النقائض إذن كانت كثيره و كان أكثرها غريبا متصلا بالمعاني الجاهليه القديمه. بل لعل قسما من ألفاظ النقائض كان أكثر غرابه من ألفاظ المعلقات. و كذلك إذا نظرنا فى التراكيب رأيناها متينه تجرى على الأسلوب العربى القديم حتى ليتمكن القول ان النقائض كانت مزيجا من معان قديمه و جديده و لكن فى لغه قديمه.

من الناحيه الأدبيه كانت النقائض تقليدا واضحا للمعلقات خاصه تقليدا فى شكل القصيده و فى كثره أغراضها و طول نفسها و فى كثير من خصائصها الأخرى كالفخر بالأنساب و الهجاء القبلى و النسب فى مطالع القصائد.

و مع أننا لا نعجب بالنقائض من الناحيه الخلقيه و الاجتماعيه فاننا لا ننكر أن شعراءها قد أضافوا إلى الشعر العربى فنا جديدا هو فن الشعر السياسى أو أنهم على الأصح قد وسعوا هذا الفن الذى ظهرت طلائعه منذ الجاهليه عند النابغه خاصه توسيعا جعله فنا جديدا.

و النقائض قد قامت على التكسب بخلاف أكثر الشعر الجاهلى.

فشعراء النقائض لم يميلوا إلى حزب دون حزب بدافع المبدأ و العقيده - كما هى الحال مع الشعراء العلويين بل مالوا إلى كل حزب كان يفيض عليهم العطايا.

## فنونه الشعريه:

-

## الفخر

الفخر: - لم يدع الفرزدق فنا من فنون الشعر الجاهليه التقليديه إلا تمرس به يافعا و شابا و كهلا بيد أن ما وافق عقلته منها كان الفخر خاصه فكاد يطغى على سائر الفنون و كادت آثاره تظهر فيها جميعا من المدح إلى الرثاء إلى الهجاء إلى الوصف إلى

الغزل...

فخر الفرزدق بكرم أصله و نبل عنصره و تفوق قبيلته. يفتخر بقومه بنى تميم و بمجاشع و دارم ثم بأهله الأقربين: بجده صعصعه محيي الموءودات و بابيه غالب الكريم و بامه و يفتخر بنفسه: بكرمه و بشاعريته.

و هو أفخر من صاحبيه جرير و الأخطل بل أفخر شعراء العصر الأمويكله.

و كأنه لم يكتف بكل هذه المفاخر فقد بلغ منه الزهو و الخيلاء كل مبلغ، و أى عجب أعجب من قصيدته التى فخر فيها على معاويه و لم تتم له ثلاثون سنه. و هى تمثل خيلاء الشاعر و عجبه بنفسه و اعتداده بأبائه:

أ لست أعز الناس قوما و اسره و أمنعهم جارا إذا خيم جانبه

و ما ولدت بعد النبي و أهله كمثلى حصان فى الرجال يقاربه

و بيتى إلى جنب الثريا فناؤه و من دونه البدر المضىء كواكبه

و قد كثر فخره فلم تخل قصيده قالها فى مدح ملوك الأمويين أو ولا-تهم من فخره بنفسه. فلا عجب أن نرى الفخر فنه الأول الذى برز فيه و علا حتى لا يدانيه فيه شاعر فى عصره. كان يفخر بمجاشع و دارم و تميم و كان يفخر ببني ضبه أخواله و أخذ يفخر بعد بخندف و الخلفاء و النبوه و انتهى إلى الفخر بمضر جمعاء: قيس و خندف.

و من أفانين فخر الفرزدق بسخائه ان يسلك طريق الحكايه و القص بخيال جميل مبتكر و أسلوب هادئ سهل تغريك سهولته. انه يصف قوما جياعا لقيهم يصطلون و تبلغ الحكايه ذروتها حين اقبل المصطلون ذوو اللحي:

و قالوا أ و هل من فتى مثل غالب و اياى بالمعروف قائلهم عنى

و يلبي الفرزدق النداء فينحر ناقته و تنتهى الحكايه:

فبات لأصحابى و أرباب منزلى واضيا فهم رسل و دفء و مشتوى

و لون آخر سلكه الشاعر فى التحديث بسخائه هو ما قصه من استضافه الذئب و إطعامه و انه لإحساس انساني رفيع أن يشاطر الشاعر ذئبه مطعمه:

فقاسمته نصفين بينى و بينه بقيه زادى و الركائب نعس

و عدده رفيقه فى سفره و تمنى لو باستطاعته ان يزيد فى إكرامه:

و لو انه إذ جاءنا كان دانيا لألبسته لو انه كان يلبس

و اننا لا نقع كثيرا على أمثال هذا الشعر الجميل بنفحته الإنسانيه.

## الهجاء

أول شعر قاله الفرزدق ربما كان فى الهجاء و يكاد هجاؤه يشارك فخره فى الإخلاص. و له روعه مؤثره فى نتاجه بما يمدده من سمو العاطفه الفخريه و بما يسمو به من الاعتداد بالنفس و بالماثر حتى يصبح طبيعيا ان يتكبر الشاعر على مناظره فيراه دميما صغيرا فيهبط عليه بالأقذاع اللثيم الأليم. و إذا بالهجاء يمتلك شخصيه الشاعر كما امتلكها الفخر فيندغمان.

فلا- يفخر الشاعر بنفسه و بقومه إلا- ازرى بخصومه و بقبائلهم. و لا- يهجو جريرا أو غير جرير إلا جنح إلى الفخر. و قد بلغ من تغلغل الهجاء فى عقلية انه عند ما دفع إلى الإقلاع عنه بعامل التوبه كان مفرعه إلى الهجاء نفسه فانتقل من هجو الناس إلى هجو إبليس. و قد اتى الفرزدق الحسن (البصرى) فقال: انى قد هجوت إبليس فاسمع. فقال لا حاجه لنا بما تقول. قال: لتسمعن أو لأخرجن فأقول ان الحسن ينهى عن هجاء إبليس.

فقال الحسن: اسكت فانك عن لسانه تنطق.

و ملفت للنظر ان قصائد كثيره من هجاء الفرزدق تناولت جريرا و رهطه من كليب و كأنه لم يكتب بالنقائض و ان مضت هذه القصائد على غرار النقائض فى المعانى و ان لم تكن تساويها طويلا. بل ربما قلت أبياتها حتى تبلغ البيت و البيتين و الثلاثه يثبت فيها الشاعر صورته مرت بخاطره فلم يشأ أن يفلتها. و الأقذاع و الفحش فى هجائه جريرا لا يقصران عنهما فى النقائض.

و يبدو ان شاعره كلييه نتصرت لجرير فبالغ الفرزدق فى تعريتها بصور فيها الهزاء و الإضحاك إلى جانب الأقذاع و الفحش.

و قد بلغ غايه الأقذاع فى هجاء خوله الدحاحيه الفقيمييه التى كانت

ترجز به و تعين عليه الأشهب. فما سمعت تشهير الفرزدق بها قالت: لا ارى الرجال يذكرون منى مثل هذا فعاهدت الله ان لا تقول بيت شعر أبدا.

و أكثر اهاجى الفرزدق فى فترته الأولى قصيره فيها البيتان و فيها الثلاثه و قد تبلغ الأربعة و الخمسه. و أهاجيه على قصرها لاذعه تؤدى غرضها و تصيب هدفها. و لوجوده قصار الفرزدق قال فيه الجاحظ: انك لم تر شاعرا قط يجمع التجويد فى القصار و الطوال غيره.

نال الفرزدق من سيد بنى نهشل يزيد بن مسعود و هزئ بالأشهب.

و تبادل الفرزدق و الأشهب النقائض فى تهاجيهما فكانت اولى تجارب الفرزدق فى هذا الفن.

و استعان الفرزدق فى طوال أهاجيه بما وعته حافظته من ذكر المثالب و المآثر و الأيام و كان حافظا واسع الروايه يتتبع الأخبار و يتقصى الآثار و يتثبت من مواعى قدميه و هو ينظم أهاجيه ليتقدم ثابت الخطا لا- تزل به قدم. حتى قال الجاحظ فى وصف الفرزدق: و هو راويه الناس و شاعرهم و صاحب اخبارهم. و قال يونس: لو لا شعر الفرزدق لذهب نصف اخبار الناس.

و قارع الفرزدق مسكين بن عامر أحد بنى عبد الله بن دارم الذى رثى زيادا عند ما مات فانبرى له الفرزدق و عرض به و نال منه و هجا زيادا لطلبه إياه و اخافته له.

ثم نشبت بينه و بين شعراء قيس فى أعقاب مقتل قتيبه بن مسلم الباهليسنه ٩٦ هـ معارك هجائيه و بينه و بين الطرماح بن حكيم الطائى عقب مقتل يزيد بن المهلب ١٠٢ هـ.

و كان الفرزدق يحسن انتقاء اللفظه الداله و الصوره المعبره ليؤدى ما يريد من مبالغه:

إذا لبست قيس ثيابا سمعتها تسبح من لؤم الجلود ثيابها

و قد يرمز الفرزدق إلى ما يريد من فحش رمزا فيه خبث و مهاره كقوله فى هجاء باهله:

ما الباهلى بصادق لك وعدة و متى تعدك الباهليه تصدق

و كانت معركة الفرزدق و الطرماح آخر المعارك و كان الفرزدق قد طعن فى السن و آثر أن ياوى إلى الظل و لعله فى هذه الفتره كان قد أعلن توبته و عاهد ربه:

على قسم لا اشتهم الدهر مسلما و لا خارجا من فى سوء كلام. و لم يقتصر هجاء الفرزدق على الشعراء و قبائلهم بل كان له نوع ثان من الهجاء عرض فيه للولاه و الأمراء و القواد و أشراف الناس فقد عرض بابنى الزبير مصعب و عبد الله تقربا إلى بنى مروان. و هجا المهلب بن أبى صفره و ابنه يزيد و قومهما من الأزد. و هجا خالد بن عبد الله الأموى و الى البصره و أخويه أميه و عبد العزيز. و هجا الحجاج بن يوسف بعد موته و قتيبه بن مسلم الباهلى و عمر بن هبيره الفزارى و خالد بن عبد الله القسرى و اليا



و مالك بن المنذر بن الجارود العبدى والى الشرطه فى البصره.

و قد سلك الفرزدق فى هذا الهجاء طريقين مختلفين سار فى أحدهما على خطى نهجه الأول فهو يهجو ردا لإهانته نالته أو اساءه لحقت به فيتسم هجاؤه بالتعرض للمهجو فى نفسه و فى قبيلته.

أما طريقه الثانى فهو الهجاء السياسى الاجتماعى يندفع اليه الشاعر استجابته لملازمات السياسه. فإذا عرض بابن الزبير نعتة بالكذاب كما كان ينعتة بنو أميه و رماه بالإلحاد كما كانوا يرمونه و بمعان مستمدة من النزاع الذى نشب حول الخلافه و ما كان يحتج به بنو أميه من ثبوت حقهم فى الخلافه.

كما تتراءى الصور الإسلاميه فى هجاء الفرزدق حين يعرض لابن الأشعث و ثورته حيث يتحدث عن الحق و الباطل و الضلال و الهدى و يتمجد بذكر أولياء الله من بنى أميه و اختار الله منهم لعباده و خلافته عبد الملك إماما. و هذا اللون من الهجاء السياسى و الاجتماعى يمثل القيم الجديده التى ثبتها الإسلام و التى غيرت فى حياه الناس و عقائدهم.

## الغزل و النسب

كان فى طبع الفرزدق ميل إلى اللهو و المتعه تستهويه مغازله النساء و مفاكهن و أتاح له الفراغ و الجاه ان يقضى شيئا من ماربه. و كانت قصص امرئ القيس و أحاديثه و أشعاره من أول ما وعاه. و يبدو انه أثر فيه تأثيرا بعيدا و لقي من نفسه استجابته. فقد كان الفرزدق مع طلب المتعه و إثارة اللذنه يحب ان يحدث بذلك و يعلنه فعل امرئ القيس. كان يؤثر الفضيحه و يسعى إليها غير آبه للفروق الكبيره التى فرقت بين عصره و عصر قدوته امرئ القيس.

و عند ما تعرف إلى المرأه الحضريه التى أخذت بضروب الأدب و أتقنت فن الحديث و مطارحه الشعراء أحسن وصف هذه المرأه التى أعجبه و لها و نعمتها و حسن تغنيها.

و على طريقه امرئ القيس يروى لنا مغامرته مع امرأه متزوجه من رجل من أهل المدينه ليبدل على مقدرته فى إغراء المرأه و شده تصببه لها. و لكن حب الشاعر لنفسه و إثارة إيهاها كاد يجعل حديثه مقصورا على ما اتى به.

و لم يضع على لسان المرأه ما يصف عواطفها و شغفها به كما هى الحال مع امرئ القيس و عمر بن أبى ربيعه.

و يصف لنا الفرزدق العديد من مغامراته الغراميه التى كان يخرجها مخرج القصص الغزلى الماجن لا يتأثم من شىء و لا يهمله الأخذ بأدب أو خلق، فيفيض بتلك الأوصاف القصصيه التى لا تخلو من فن على ما فيها من تعهر يحول بين الذوق و قبولها فضلا عن استساغتها و الإعجاب بها.

و نسيب الفرزدق تقليدى اجمالا ياتى فى مطالع القصائد و هو جاف خشن بعيد عن حسن التعبير ذلك لأن الفرزدق ماضى فى شهواته بعيد عن الذوق الشعري و العاطفى و الإنسانى إلا- صوراً لا- ينبو الذوق عنها جمله. و الغريب اننا لا نجد للفرزدق مع

استهتاره بالنساء و كثره مغامراته أبياتا حلوه فى النسيب. و تجدر الإشاره هنا إلى أن خصائص الفرزدق الفنيه من غرابه الكلمات و تعقيد التركيب أحيانا و الميل إلى فخامه الكلام لا تعير نفسها للاجاده فى الغزل و النسيب.

أما غزل الفرزدق خاصه فغزل بدوى يشبه ما يتطلبه طرفه بن العبد لا ما تطمئن به نفس عمر بن أبى ربيعه: انه تعبير عن الحاجه إلى المرأه من غير اهتمام بمحاسنها.

و للفرزدق قصائد فيها شبه قصص كما فى شعر امرئ القيس و عمر و لكن فيها أيضا خلاءه و استهتار و إقذاع. و هذا ما تنبه له ابن سلام الذى قال: من الشعراء من كان و يتعهر فى جاهليته و لا يبقى على نفسه و لا يتستر منهم امرؤ القيس و منهم الأعشى. و كان الفرزدق أقول أهل الإسلام فى هذا الفن.

## الوصف

وصف الفرزدق بدوى قليل فى ديوانه و ان كان هو كثير التشابيه و الاستعارات و وصفه حسى فى الأكثر ففيه قصص قليل.

ص: ٣٠٠

و لم يفرد الفرزدق قصائد خالصة للوصف بل كان وصفه مندرجا في تضاعيف قصائده شانه شان كبار المصورين من أمثال النابغه الذبياني في الجاهليه و ذى الرمه في الإسلام الذين درجوا على أن يكون الوصف جزءا في بنیان القصيده يسلم إلى غايه و يؤدي غرضا من أغراض الشاعر في قصيدته متبعين تقاليد الفن التي رسخت قواعدها و تحدد بها بنیان القصيده و اجزاؤها و وحدتها.

وصف الشاعر ناقته التي تحمله إلى ديار حبيته و كثرت صور الإبل و الخيل و الصحراء و ما يتصل بها من صور واجهته في رحلاته التي تحمل مشاقها و واكبتها صور أخرى تصف البحر و الفرات و الجيوش بفرسانها و الحرب و الأسد و الحيه.

و قد اشتهر الفرزدق بقصيده قالها في وصف الذئب و فيها تصوير جميل معجب يمثل سنه الحياه في الصحراء حيث لا تراحم و لا هدنه و إنما هي المغالبه و التراحم ليفوز الأقوى.

و تغدق الصحراء الشحيحة على الفرزدق صورا غايه في الروعه و الألق لعل من أجملها ما صور به القطا يسعى وراء الماء في الحر اللاهب يريد ان يروى ظمائه و ظمافراخه التي تتقلب على أحر من الجمر و قد كاد الظما يقتلها.

و إذا أنت أمام هذه الصورة الرحيمه تمثل لك القطا تمج ما في حواصلها لتسقى الفراخ العطشى:

و يدعو القطا فيها القطا فيجيبه توائم أطفال من السبب المحل

دوارج اخلفن الشكير كأنما جرى في ماقها مراود من كحل

يسقين بالموماه زغبا نواهضا بقايا نطاف في حواصلها تغلي

تمج اداوى في اداوى بها استقت كما استفرغ الساقى من السجل بالسجل

و استغل الفرزدق فن الوصف للتحديث بجوده و سخائه و انه يعطى المعتفين و يقرى الضيفان و يجبر خله الأرامل.

و يبدو نمطا فريدا في شعر الفرزدق وصفه الدر و الغواص فقد استفتح الفرزدق نقيضته ذات الأكارع في هجاء بنى جعفر بن كلاب متغزلا بجبيره النهشليه و ذكر محاسنها و أسلمه الحديث إلى تشبيهها بالدره ففتح له باب القول يصف الدر و ما لقي غواصها في سبيلها. فقد رمى بنفسه في لجه بحر مهيبه تهول من رآها آملا في الفوز بها. و كان قلبه يضطرب خوفا من أن تناله الحيه الخرساء الموكله بحفظ الدر كما نالت من قبله. و قد عجز المنذرون ان يصدوه. كان مصمما أن يدرك الغنى أو يلاقى الموت و لما رأى الدر اليتيمه زاد تصميمه و أيقن انه الموت أو دنيا ينادى بشيرها.

و أهوى لينتزع الدر التي يحميها نانا الأفعى فلم ينج من عضه سمها زعاف و سريع سورته لا يجدى فيه ترياق فقضى بين يدي اساته و لما أخبرت أمه بموته و رأت الدر التي ظفر بها هان وجدها لما أملت من الغنى:

كدره غواص رمى في مهيبه باجرامه و النفس يخشى ضميرها

موكله بالدر خرساء قد بكى اليه من الغواص منها نذيرها

فقال الآتى الموت أو أدرك الغنى لنفسى و الآجال جاء دجورها

و لما رأى ما دونها خاطرت به على الموت نفس لا ينام فقيرها

فأهوى و نابها حوالى يتيمه هى الموت أو دنيا ينادى بشيرها

فألقت بكفيه المنيه إذ دنا بعضه أنياب سريع سئورها...

فلما أروها أمه هان وجدها رجاء الغنى لما أضاء منيرها

وانه لوصف تخلله القص و الحكايه و هو فن من فنون الفرزدق التى تفوق فيها و أحسن اصطناعها فى الوصف و الغزل و الهجاء فكان فيها عنصرا هاما هيا للشاعر ان يتفوق و يفتن فيما عرض له.

و يجيد الفرزدق وصف البادية بما فيها و لقد اشتهر عنده وصف البرد و الريح و الثلج.

## المدح

اتخذ الفرزدق المدح و سيله إلى التكسب من هنا خرج مديحه عن الإخلاص. مدح الأمويين لكثرة المال لديهم. غالى فى مدح بنى أميه على قدر ما كان ينتظر من نوالهم حتى قال ما خالف مذهبه. فأثبتت حقهم فى الخلافة و بذل ماء وجهه فى سبيل عطايهم. دافعه الأساسى للمديح مصلحته الماديه أو مصلحه قبيلته. و إلى هذا مرد ذاك الاضطراب البادى فى مدائح الفرزدق بين الأمويين و أبناء الزبير، بل بين من تتابع من الولاه على البصره و الكوفه كابناء المهلب و الحجاج و خالد القسرى و غيرهم. و لم يجد غضاضه فى أن يمدح ثم يهجو كما فعل فى شان الحجاج و لا فى ان يهجو ثم يمدح كما فعل فى شان هشام بن عبد الملك.

و إذا كان ديوان الأخطل يدلنا على المناحى العامه فى سياسه الأمويين الداخليه فان فى ديوان الفرزدق دلائل وافره على تأثير هذه السياسه فى ميول الحكام و سكان المدن فوق ما فيه من إشارات إلى بعض الأخلاق الإداريه و الاجتماعيه كانتشار الرشوه بين الحكام و عاده بعض الولاه فى اختلاس اموال الدوله و عنف غيرهم فى جبايه الضرائب. يذكر ذلك شاكيا متوجعا محتجا أحيانا باسم قومه و أبناء عشيرته أو بلدته مطالباً بالإصلاح و التعويض.

و للفرزدق فى آل البيت ع مدحه واحده قالها فى الامام زين العابدين على بن الحسين ع و هى قصيده متينه جميله تفيض رقه و إخلاصا و صدقا.

و لها قصه مؤثره أجمعت المصادر القديمه على روايتها و هى القصيده التى مطلعها:

هذا الذى تعرف البطحاء و طاته و البيت يعرفه و الحل و الحرم

و هي من أشهر قصائد الفرزدق على الإطلاق.

و كان من سيئات مديح الفرزدق عند الممدوحين و بعض النقاد انه كان يدخل الفخر بآبائه في قصائد المديح: و بمثل هذا غضب سليمان بن عبد الملك على الفرزدق. و ذلك انه استنشده لينشده فيه أو في أبيه (عبد الملك) فأنشد مفتخرا عليه.

## الرتاء

الرتاء قليل في ديوان الفرزدق. لأن طبيعه الفرزدق ماديه بعيده عن العاطفه التي تخلقها المعاشره و المساكنه.

ص: ٣٠١

و رثاء الفرزدق نوعان: نوع شخصى يرثى فيه أباه و أبناءه. و لا نبالغ إذا قلنا انه مدرجه للفخر ليس غير. و نوع رسمى يرثى فيه أرباب السلطان كسليمان بن عبد الملك و بشر بن مروان و الحجاج و أخيه و ابنه و لهذا النوع صفه المديح فى أكثره إلا ما نراه فى رثائه لبشر بن مروان. و لمحمد بن العاص من مظاهر العاطفه المخلصه.

أضف إلى ذلك ان صلابه شعره و فخامه ألفاظه لا تعير نفسها للثناء.

و هو و ان أظهر التجلد و التأسى فى رثاء أولاده خاصه فإنه قليل المبالاه بموت النساء و لو كن زوجاته. و لقد اشتهر ان النائحات نحن على امرأته النوار بشعر جرير.

و بعد فانا لا نملك إلا ان نعد الفرزدق متخلفا فى هذا الفن. و لكنه ليس التخلف الذى يبدو فيه بدعا ذلك بان الفحول الثلاثه فى العصر الأموى:

الأخطل و الفرزدق و جريرا لم يبرزوا فى هذا الفن على تفاوت فيما بينهم.

"كان الأخطل أكثرهم تخلفا و كان جرير سابقهم. و الفرزدق بين بين".

## الخصائص العامه

### لشعر الفرزدق

أول ما يبدو لقارئ ديوان الفرزدق سعه معجمه و اثراؤه. و مقدره الشاعر أن يجول فى ميادين شتى لا يعجزه ما طبع عليه من جزاله الكلم و شده أسره: لقد قوى على معجم العرييه فترأت فى أشعاره الألفاظ و الصيغ التى قل استعمالها فبعثها الفرزدق من مرقدتها لتتألق فى شعره.

كان يجد فى إحيائها احياء المعنى نفسه لا يؤديه سواها و لعله كان يرى فى نقل صياغه بعضها أو ضخامه أصواتها و خشونه جرسها معينا لما يريد أن يوحى به من معان أو ما يفيئه من ضلال. و كان يجرؤ على الاشتقاق و التضمين و مغايره المألوف ليؤدى معناه و يضم إلى ذلك جرأه فى اصطناع المجاز يتجاوز به المتعارف الذى درج عليه القول. و تناقلته الألسن. فحفز هذا كله اللغويين ان يسارعوا إلى شعره يستمدون منه الدليل و الشاهد.

و نتيجة لذلك. أطبق النحاه و اللغويون على نعت الفرزدق بالتعقيد و مداخلة الكلام. فهذا الشاعر الفذ كان يلتوى عليه القول أحيانا فيخالف نظام الجمله و يفلت منه النسق المألوف فى ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعانى فيقع له من التقديم و التأخير فى مواضع الكلم ما يفسد المعنى. كان يهجم على المعنى فإذا استقام له لم يبال بصيغه ألفاظه اقتدارا منه على الشعر و اعتدادا بنفسه. فقد كان يحمل فى حناياه من الزهو و الغطرسه و التعالى ما نأى به ان يعود لقوله فيرتب ألفاظه و يقرب بعينه و يقيم مناده.

فكان هذا التمرد فى نظم الجمله صدى لتمررد فى نفس الشاعر و جموح فى طبعه و إحساسه انه وريث الجاهليه فى فضائلها و

خلقها و فى لسانها و بيانها فهو يتعالى ان يعود لما قال فيهدب حواشيه.

و لكن النحاه لم يقصروا اهتمامهم على جانب التعقيد فى شعر الفرزدق بل توفروا على جانب آخر من شعره حظى منهم بعنايه أشد و دراسته أطول فقد استمدوا من شعره شواهد كثيره أيدوا بها ما أصلوه من قواعد، و فسح لهم فى مجال الأخذ أن الفرزدق المحيط باسرار العربيه الخبير بطرائق شتى فى التعبير قد ضمن أشعاره فنونا من القول قل استعمالها و نزر و بدت للنحاه غريبه نادره فانعكس ذلك كله فى شواهدهم التى تدرجت من العام المتعارف المألوف إلى الطريف النادر لا يقوى عليه إلا القله من الفصحاء الأبياء و غصت كتبهم باشعار الفرزدق و أكثروا منها اكثارا لا نجده لشاعر آخر.

و قد كان تعقيد الفرزدق و شذوذه النحوى مثار جدل بين الرواه و الأدباء فمن مدافع عنه رافع لشأنه و من مهجن لشعره. و حفظت لنا كتب الأدب العديد من هذه المجالس الجدليه. فقد تذاكر عامر و مسمع ابني عبد الملك ابن مسمع - و كانا من أشرف بكر بن وائل و رواتهما و نسايبها - الفرزدق و جريرا و كان عامر يقدم جريرا و يفضله و كان مسمع يقدم الفرزدق و يحتج له. فتباحثا فى أمرهما. فأخذ عامر يقدم جريرا و يحتج على الفرزدق بما عقد من شعره. فقال أخوه: أنت يا أخى لا تعقل تسقط الفرزدق بما عقده من شعره شىء تمتحن الرجال فيه عقولها حتى يستخرجوه و سقط جرير عى.

قال الفرزدق الشعر زهاء ثمانين عاما لم تخب قريحته و لم يتوقف.

و ديوانه الباقي لا يوازيه غزاره شعر ديوان شاعر من الجاهليين و الإسلاميين.

و مضى الفرزدق على غلوائه يجرى فرأى انه وريث الشعراء الماضين و الحفيظ على تراثهم الفنى. و دفعه الزهو و خيلاء الشعر ان يتعالى على الأقدمين و يدعى التفوق عليهم:

قصائد لم يقدر زهير و لا ابنه عليها و لا من حولوه المخبلا

و لم يستطع نسج امرئ القيس مثلها و أعيت مراقبيها لييدا و جرولا

و نابغتي قيس بن عيلان و الذى أراه المنايا بعض ما كان قولا

فأول ما يلفت النظر فى شعر الفرزدق خصب معانيه و غزارتها و تنوعها.

عمق المعانى و تدققها و قدره الشاعر على الافتنان فيها و التجديد تدل على سمتين من سمات الشاعر: عمق الفكره و توقد نفسه. عمق الفكره يبسط أمامه رقعه أوسع ينفذ فيها إلى ما لا ينفذ فيه غيره و توقد النفس يرفده فى المقامات و المناقضه حيث يكون للذكاء الكلمه الأولى و للبديهه و الارتجال الموقف الفاصل.

هذا الغنى فى المعانى يتصل به قدره الفرزدق على الإفاضه فى معناه.

انه يتناول المعنى من جوانب عدده حتى يستوفيه. و فى سبيل استيفاء المعنى كثر عند الفرزدق ارتباط الأبيات و هو ما يسميه

العروضيون: التضمين. و قد جعلوه عيبا من عيوب الشعر.

و كان لسعه معارف الشاعر و وفرتها و تنوعها أثر اسعف الفرزدق ان تغزر معانيه و ان يفتن فيها و ينوع و تجلى ذلك فى صور شتى: ظهر فى أشعاره الأمثال و الحكم يستمدّها من معارفه أو يكونان صدى تجاربه و ما عاناه فى هذه الحياه. و قد أوحى له الموت بطائفه من حكمه المتناثره!

ارى كل حى ميتا فمودعاو ان عاش دهرالم تنبه النوائب

و كان للقرآن و الدين و مجالس الفقهاء و الوعاظ أثر فى حكمته بارز فهو يوصى المرء بحسن العمل و التزود للآخره قبل أن يدهمه الموت. و هو يعلنك بقدره الله الشامله و عجز الإنسان الضعيف تجاهها و ما ينتظر الإنسان يوم البعث و الحساب:

ألا كل شىء فى يد الله بالغ له أجلا عن يومه لا يحول

و ان الذى يفتقر بالله ضائع و لكن سينجى الله من يتوكل

و يرضى بالقدر و يستسلم لحكمه و قضائه:

و ليس بمحبوس عن النفس مرسل إليها إذا نفس أتاها حمامها

و من معانيه الدينيه حديثه عن اليمين اللغو و تخليد القاتل فى النار و أن

ص: ٣٠٢



الفتنه أكبر من القتل. وقد استقى صوراً قرآنيه كنسج العنكبوت و أشار إلى قصص القرآن كقصه يونس و بقره موسى و ناقه صالح و غرق فرعون و خروج آدم من الجنة و كثر في شعره القسم بالهدى و بالكعبه و بخليل الرحمن..

و قد كان لهذه الثقافه الدينيه أثرها و تيقظها حيناً بعد حين كما حدث له عند ما مدح الامام زين العابدين ع بقصيدته الرقيقه الصادقه المشبعه بالروح الدينيه الصافيه.

و مع ذلك فان الفرزدق ظل الأمين الحفيظ على تراث الجاهليه و أخلاقها و فضائلها. و كان يجاهر باعرايته و بداوته لا يخفى ذلك و لا يستره:

و انا أهل بادية و لسنا بأهل دراهم حضروا القرارا

و كان من ذلك أن كثر في مدائحه و مفاخره تغنيه بالمثل و الفضائل العرييه الجاهليه. و كان هجاؤه معرضاً لأوصاف الذم التي عابها الجاهليون. فهو يفخر بنيل الثار و يعير من رضى الديه كفاء دمه:

كلوا ما جمعتم من ديات فإنهم بنو محصنات لم تدينس ثيابها

و لقد اوتى الفرزدق قدره على تضمين الأخبار في شعره و قدره على القص حتى قيل: لو لا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس.

و كذلك أوتى براعه في السخرية و مهاره في عرض صور هازله تستثير الضحك و قد مضى في هذا المضممار شوطاً بعيداً يدل على أصاله و موهبه.

و تجلت هذه الموهبه في أهاجيه لجرير بشكل خاص. و ياتى له تشاييه بذئنه غايتها الافحاش المضحك.

و أسلوب الفرزدق جزل قوى شديد التلاحم و ثيق الاتصال بنفسه المتعاليه المزهوه. و له قدره مميزه على الارتجال و التجويد في آن معا كما في قصيدته التي مدح بها الامام زين العابدين و ان كانت الأخبار تدل على أن الشعر لا يواتى الشاعر في كل وقت. يقول الفرزدق: انا أشعر الناس عند الناس و لربما كان قلع ضرس من أضراسى أهون على من قول بيت.

و قد أفتن الفرزدق في استخدام التشبيه و الاستعاره و الكنايه و ان كان يستمد أكثر صورته من حياه الباديه.

و تجلى في أسلوب الفرزدق الجزل المتلاحم مقدره الشاعر على الإيجاز و تضمين المعنى الكثير في اللفظ القليل و لذلك قدر الفرزدق ان يكون أكثر الثلاثة الفحول بيتاً مقلداً. و البيت المقلد: المستغنى بنفسه المشهور الذي يضرب به المثل: فمن ذلك قوله:

فيا عجباً حتى كليب تسنى كان أباهاً نهشل أو مجاشع

و قوله:

و كنا إذا الجبار صعر خده ضربناه حتى تستقيم الأخادع

و يتصل بهذا مقدره الشاعر على اختيار اللفظ الدال على المعنى حتى لا يقع لفظ آخر موقعه.

و يتجلى فى شعر الفرزدق ما يميل اليه الشاعر من إثارة التهويل على سامعه و المبالغه ليبلغ ما يريد له معانيه من التضخيم.

و قال بعض النقاد فى المفاضله بين الفرزدق و جرير و تبيان الوجوه الفنيه التى تفوق فيها الفرزدق: الفرزدق أشعر لأنه أقواهما أسر كلام و اجراهما فى أساليب الشعر و أقدرهما على تطويل و أحسنهما قطعاً" (القطع: القافيه). و قالوا فى الموازنه بينه و بين جرير أيضا: أما ما كان يميل إلى جزاله الشعر و فخامته و شده أسره فيقدم الفرزدق و أما من كان يميل إلى أشعار المطبوعين و إلى الكلام السهل الغزل فيقدم جريرا.

و قد تناثرت فى أشعار الفرزدق ألوان من محسنات البديع دلت على مهاره الشاعر. و كان الطباق أكثر ألوان البديع التى اصطنعها كما اصطنع الجناس و لكن جرى وراء أسهله و أقله كلفه و هو الجناس الذى يعقده المرء بين اسم العلم و مشتق منه بجانسه من مثل قوله:

جفاف أجف الله عنه سحابه و أوسعه من كل ساف و حاصب

و فى كتب البلاغه طائفه من أشعاره هى أمثله لما أتى به الفرزدق من هذين اللونين من ألوان البديع: الطباق و الجناس. كما ذكروا له ألوانا بديعيه اخرى كرد الإعجاز على الصدور و الاستشهاد و الاحتجاج و الاستطراد و الحشو الحسن. و يكفى الفرزدق قول خصمه جرير: نبعه الشعر الفرزدق.

## وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي

مر ذكره فى الصفحه ٢٧٤ من المجلد العاشر، قيل فيها عنه ان ابن رسته عده فى الأعلاق النفيسه من الشيعة.

و قد ترجم له الذهبى فى (سير اعلام النبلاء) ترجمه مفصله قال عنه فى مطلعها بأنه محدث العراق و أحد الاعلام. و ان ممن حدث عنه أحد شيوخه سفيان الثورى، و أن والده كان ناظرا على بيت مال الكوفه و له هيبه و جلاله و أنه من بحور العلم و أئمه الحفظ.

كما نقل عن احمد بن حنبل بان مولده كان سنه ١٢٩.

و كذلك فان مما أورده الذهبى عنه: انه لما مات سفيان الثورى جلس وكيع موضعه، و ان حماد بن زيد رجحه على سفيان. و انه كان يصوم الدهر و يختم القرآن كل ليله، و انه مع هذا كان ملازما لشرب نبيذ الكوفه الذى يسكر الإكثار منه، فكان متأولا فى شربه و لو تركه تورعا لكان اولى.

و انه عرض عليه القضاء فامتنع، و انه حدث بدمشق فاخذ عنه هشام بن عمار و ابن ذكوان، قال احمد بن أبي خيثمه: حدثنا محمد بن يزيد، حدثني حسين أخو زيدان قال: كنت مع وكيع، فأقبلنا جميعا من المصيصة أو طرسوس، فأتينا الشام، فما أتينا بلدا الا استقبلنا واليها، و شهدنا الجمعة بدمشق، فلما سلم الامام أطفوا بوكيع فما انصرف إلى أهله يعنى إلى الليل. قال فحدث به مليحا ابنه، فقال: رأيت في جسد أبي آثار خضره مما زحم ذلك اليوم. و قال محمد بن سعد: كان وكيع ثقة مأمونا عاليا رفيعا كثير الحديث حجه.

و قال محمد بن خلف التيمي: أخبرنا وكيع قال: أتيت الأعمش فقلت: حدثني، قال: ما اسمك؟ قلت: وكيع. قال: اسم نبيل، أين تنزل من الكوفة؟ قلت: في بني رؤاس. قال: أين من منزل الجراح بن مليح؟ قلت: ذاك أبي، و كان على بيت المال، قال لي: اذهب فجنني بعتائي، و تعال حتى أحدثك بخمسه أحاديث. فجئت إلى أبي فأخبرته، قال: خذ نصف العطاء و اذهب، فإذا حدثك بالخمسه فخذ النصف الآخر حتى تكون عشره، فأتيته بنصف عطائه فوضعه في كفه و قال: هكذا؟ ثم سكت. فقلت: حدثني، فاملئ على حديثين، فقلت: وعدتني بخمسه. قال: فأين الدراهم كلها؟ أحسب ان أباك أمرك بهذا، و لم يدر أن الأعمش مدرب و قد شهد الوقائع؟ اذهب فجنني بتمامه، فجننته، فحدثني بخمسه، فكان إذا كان كل شهر جننته بعتائه، فحدثني بخمسه أحاديث.

قال قاسم بن يزيد الجرمي: كان الثوري يدعو وكيعا و هو غلام فيقول:

يا رؤاسي تعال، اى شىء سمعت؟ فيقول: حدثنى فلان بكذا، و سفيان يتبسم و يتعجب من حفظه.

قال ابن عمار: ما كان بالكوفه فى زمان وكيع أفقه و لا أعلم بالحديث من وكيع، و كان جهبذا سمعته يقول: ما نظرت فى كتاب منذ خمس عشره سنه الا فى صحيفه يوماء، فقلت له: عدوا عليك بالبصره اربعة احاديث غلطت فيها. قال: و حدثتهم بعبادان بنحو من ألف و خمسمائه، اربعة احاديث ليست بكثيره فى ذلك.

قال محمد بن عمران الأخنسي: سمعت يحيى بن يمان يقول: نظر سفيان إلى عيني وكيع فقال: لا يموت هذا الرؤاسى حتى يكون له شان، فمات سفيان، و جلس وكيع مكانه. قال الشاذكوني: قال لنا أبو نعيم يوما:

ما دام هذا التنين حيا - يعنى وكيعا - ما يفلح أحد معه.

قال ابن عدى: حدثت عن نوح بن حبيب عن عبد الرزاق، قال: رأيت الثوري و ابن عيينه و معمرا و مالكا، و رأيت و رأيت، فما رأيت عيناى قط مثل وكيع.

و قال بشر بن موسى: سمعت احمد بن حنبل يقول: ما رأيت قط مثل وكيع فى العلم و الحفظ و الاسناد و الأبواب مع خشوع و ورع. قلت: يقول هذا احمد مع تحريه و ورعه، و قد شاهد الكبار مثل هشيم و ابن عيينه و يحيى القطان و أبى يوسف القاضى و أمثالهم.

و قال صالح بن احمد: قلت لأبى: أيما اثبت عندك، و كيع أو يزيد؟ فقال: ما منهما بحمد الله الا ثبت، و ما رأيت أوعى للعلم من وكيع، و لا أشبه من أهل النسك منه، و لم يختلط بالسلطان.

قال قتبيه: سمعت جريرا يقول: جاءنى ابن المبارك فقلت له: يا أبا عبد الرحمن من رجل الكوفه اليوم؟ فسكت عنى ثم قال: رجل المصرينو كيع.

و بعد ان يروى الذهبى عن وكيع جميع ما مر، ينقل عن ابنه سفيان برنامجه اليومى قائلا:

عن سفيان بن وكيع. قال: كان أبى يجلس لأصحاب الحديث من بكره إلى ارتفاع النهار، ثم ينصرف، فيقبل، ثم يصلى الظهر و يقصد الطريق المشرعه التى يصعد منها أصحاب الروايا فيريحون نواضحهم، فيعلمهم من القرآن ما يؤدون به الفرض إلى حدود العصر، ثم يرجع إلى مسجده فيصلى العصر، ثم يجلس يدرس القرآن و يذكر الله إلى آخر النهار، ثم يدخل منزله، فيقدم اليه إفطاره، و كان يفطر على نحو عشره أرتال من الطعام (بالرطل البغدادي الذى وزن ٣٧٥ غراما تقريبا). ثم تقدم اليه قرابه فيها نحو من عشره أرتال من نبيذ، فيشرب منها ما طاب على طعامه، ثم يجعلها بين يديه، ثم يقوم فيصلى و رده من الليل، كلما صلى شيئا شرب منها حتى ينفذها، ثم ينام!! و عن شربه النبيذ يقول الذهبى: و مع هذا فكان ملازما لشرب نبيذ الكوفه الذى يسكر الإكثار منه فكان متأولا فى شربه، و لو تركه تورعا لكان اولى به، فان من توقى الشبهات فقد استبرأ لدينه و عرضه، و قد صح النهى و التحريم للنبيذ المذكور، و ليس هذا موضع هذه الأمور، و كل أحد يؤخذ من قوله و يترك، فلا قدوه فى خطا العالم، نعم، و لا

يؤبخ بما فعله باجتهاد، نسال الله المسامحه.

و عن تشيعة يروى الذهبي: سئل احمد بن حنبل: إذا اختلف وكيع و عبد الرحمن بن مهدي بقول من نأخذ؟ فقال: نوافق عبد الرحمن أكثر و خاصة فى سفیان، كان معنيا بحديثه، و عبد الرحمن يسلم منه السلف، و يجتنب شرب المسكر، و كان لا يرى ان يزرع فى ارض الفرات. (انتهى).

و الشاهد فى قوله: (عبد الرحمن يسلم منه السلف).

ثم يتابع الذهبي قائلا: مر قول احمد: إن عبد الرحمن يسلم منه السلف، و الظاهر ان وكيعا فيه تشيع يسير لا يضر ان شاء الله، فإنه كوفى فى الجملة، و قد صنف كتاب فضائل الصحابه، سمعناه قدم فيه باب مناقب على بن عثمان.

و يروى الذهبي: قال حنبل بن إسحاق: سمعت ابن معين يقول:

رأيت عند مروان بن معاوية لوحا فيه أسماء شيوخ: فلان رافضى، و فلان كذا، و وكيع رافضى. فقلت لمروان: وكيع خير منك، قال: منى؟ قلت نعم، فسكت، و لو قال لى شيئا لو ثب أصحاب الحديث عليه. قال فبلغ ذلك وكيعا، فقال: يحيى صاحبنا، و كان بعد ذلك يعرف لى و يرحب.

و عن تورعه يقول الذهبي: قال محمد بن على الوراق: عرض القضاء على وكيع فامتنع. قال محمد بن عامر المصيصى: سألت احمد:

وكيع أحب إليك أو يحيى بن سعيد؟ فقال: وكيع، قلت كيف فضله على يحيى، و يحيى مكانه من العلم و الحفظ و الإتقان ما قد علمت؟ قال: وكيع كان صديقا لحفص بن غياث، فلما ولى القضاء هجره، و إن يحيى كان صديقا لمعاذ بن معاذ، فلما ولى القضاء لم يهجره يحيى.

و عن منزله وكيع يروى: وكيع فى زمانه كالأوزاعى فى زمانه. و يروى عن احمد بن حنبل: كان وكيع امام المسلمين فى زمانه.

و من طريف ما يرويه عن شربه النبيذ: قال إسحاق بن بهلول: قدم علينا وكيع فنزل فى مسجد الفرات، و سمعت منه، فطلب منى نبيذا فجئته به، و أقبلت اقرأ عليه الحديث، و هو يشرب، فلما نفذ ما جئته به، أطفأ السراج، قلت: ما هذا؟ قال: لو زدتنا، زدناك...

و قال أبو سعيد الأشج: كنت عند وكيع فجاءه رجل يدعوه إلى عرس، فقال: أ ثم نبيذ؟ قال: لا. قال: لا نحضر عرسا ليس فيه نبيذ، قال:

فانى آتيكم به:

"قال جعفر الطيالسى: سمعت يحيى بن معين يقول: سمعت رجلا يسأل وكيعا، فقال: يا أبا سفیان، شربت البارحة نبيذا فرأيت فيما يرى النائم كان رجلا يقول: شربت خمرا. فقال وكيع: ذلك الشيطان!..

و فى مقابل ما رواه الذهبى عن تشييعه فقد روى انه: يفتى بقول أبى حنيفه، و كان قد سمع منه كثيرا، و انه يقول: الجهر بالبسملة بدعه. و انه يقول: من شك أن القرآن غير مخلوق فهو كافر، و انه يقول: من زعم ان القرآن مخلوق فقد زعم انه محدث، و من زعم أن القرآن محدث فقد كفر.

و قد عرض و كيع نفسه مره للموت حين روى ان النبى ترك بعد موته يوما و ليله حتى ربا بطنه و انثت خنصره. فأنكر قوم عليه هذا القول لاین جسد النبى بعد موته لا- يجرى عليه - برأيهم - ما يجرى على أجساد سائر الناس، فرفعوا الأمر إلى والى مكه فحبسه و عزم على قتله، و نصبت خشبه خارج الحرم لصلبه عليها، و لم تنفع شفاعة سفيان بن عيينه فى إنقاذه، لو لا ان سفيان هول على الوالى قائلا: انى لك ناصح، هذا رجل من أهل العلم و له عشيره، و ولده بباب أمير المؤمنين، فتشخص لمناظرتهم.

فعمل فيه كلام سفيان فأمر باطلاقه، فارتحل عن مكه.

فكتب أهل مكه إلى أهل المدينه بالذى كان من و كيع، و قالوا إذا قدم عليكم فلا تتكلوا على الوالى، و ارجموه حتى تقتلوه، فعرض أهل المدينه

ذلك على سعيد بن منصور و بلغه الذى هم عليه، فبعث بريدا إلى وكيع ان لا ياتى المدينه و يمضى من طريق الربذه، و كان قد جاوز مفرق الطريقين، فلما أتاه البريد، رد، و مضى إلى الكوفه.

توفى وكيع سنه ١٩٧ فدفن بفيد راجعا من الحج. و قد عاش ثمانى و ستين سنه. هذا و لا بد من القول: ان ابن رسته فى كتابه (الاعلاق النفيسه) عد و كيعا من الشيعه كما تقدم.

## أبو عباده الوليد بن عبيد الطائى البحتري

### إشاره

مر الحديث عنه فى المجلد العاشر، و نضيف إلى ما هنالك الدراسه الآتية مكتوبه بقلم: الدكتور محمد العبد حمود كانت ولادته فى منبج من أعمال الشام، و فى روايه اخرى فى قريه بالقرب منها اسمها زردفته. و هو يصف منبج إذا تحدث عنها بأنها وطنه و كانت له فيها ضياع و رثها فيما يظهر لابنه ثابت الذى عاصر الإصطخرى.

اختلفت الروايات فى تحديد السنه التى ولد فيها هذا الشاعر ففى بعضها انه ولد فى السنه الخامسه بعد المائتين و فى البعض الآخر انه فى السنه السادسه بعد المائتين و هو ما عليه أكثر الروايات. و قد انفردت دائره المعارف الإسلاميه وحدها بجعل تاريخ ولادته سنه ٢٠٤ هـ.

و كما اختلف المؤرخون فى تحديد عام ولادته اختلفوا كذلك فى تعيين عام وفاته فقول انه عام أربعه و ثمانين و مائتين و قيل عام خمسه و ثمانين و قيل عام ثلاثه و ثمانين و رجح ابن خلكان القول الأول.

و قد اعتمدت هذا التاريخ معظم المراجع الحديثه.

و كما اختلفوا فى عام وفاته اختلفوا فى مكان وفاته فقول يرون انه مات بمنبج و آخرون على انه مات بحلب و رجح ابن خلكان القول الأول.

نسبه و أسرته

البحتري قحطانى من جهه أبيه إذ انه ينتسب إلى طيى الذى ينتهى نسبه بكهلان من قحطان و عدنانى من ناحيه أمه التى تنتسب إلى شيبان و هى قبيله ينتهى نسبها ب بكر بن وائل من ربيعه.

أما ان أباه من طيى فقد عرفناه من التاريخ و من شعره الكثير مثل قوله مفتخرا:

ان قومى قوم الشريف قديما و حديثا: ابوه و جدودا

ذهبت طيى بسابقه المجد على العالمين بأسا و جودا

فهم قوم تبع خير قوم لهم الله بالفخار شهيدا

و أما ان أمه من شيان فلم يحدثنا عنه التاريخ و إنما عرفنا به البحترى حين قال:

أ عمرو بن شيان و شيانكم أبى إذا نسبت أُمى و عمر كم عمرى

و كان الكهلانيون يسكنون بلاد اليمن حتى إذا أصابهم سيل العرم خرجوا من بلادهم يرتادون المواضع التى تصلح لسكنائهم و كان منهم طيى الذين اختاروا النزول بجوار بنى أسد. ثم غلبوا هؤلاء على جبلى أجا و سلمى و استقروا بهما. و هما جبلان فى الشمال الشرقى من المدينة. و ظل الطائيون بجبلى اجا و سلمى حتى كان الإسلام. و كان إسلامهم على يد الامام على بن أبى طالب ع إذ بعثه الرسول (ص) بسريه إليهم.

عاش الطائيون فى منازلهم هذه حتى جاءت الفتوح الإسلاميه فافترقوا فى الحجاز و الشام، و العراق. و كان لهم بطون كثيره منهم بنو بحتر آل شاعرنا البحترى الذين نزلوا سقى الفرات فى منبج.

و قد اشتهر من قبيله طيى طائفه غير قليله حفظ التاريخ أسماءهم فمنهم حاتم الطائى الذى يضرب المثل بجوده إلى اليوم و منهم عدى بن حاتم و زيد الخيل الذى لقبه الرسول زيد الخير. و منهم أوس بن حارثه بن لام الطائى أحد الذين يضرب بهم المثل فى الجود. و منهم أبو تمام الشاعر المشهور و أستاذ البحترى.

أما شيان بن ثعلبه، قبيله أمه فينتهى نسبه بيكر بن وائل أحد بطون ربيعه التى قسمتها العصبية إلى فروع أهمها بكر و تغلب ابنا وائل.

و قد اختار بنو بكر الأرض التى تجاور اليمامة و البحرين إلى كازمه و أطراف العراق مسكنا لهم. فكانوا مجاورين لبنى أسد و طيى. و لكن المنافسه بينهم و بين بنى تغلب كانت على أشدها حتى بعد الإسلام، و ان كانوا يتناسونها أحيانا.

و كان البحترى يتخذ ربيعه كلها أخواله و ياسى ان وقعت الحرب بين بطونها:

أسيت لأخوالى ربيعه إذ عفت مصايفها منها و أقوت ربوعها

انتقل بعض البكرين مع الفتوح الإسلاميه إلى ان استوطنوا سقى الفرات حول منبج و ما جاورها.

هذا و من قبيله شيان جماعه حفظت الروايه العربيه أسماءهم فمنهم حساس بن مره قاتل كليب وائل و بسطام بن قيس فارس بنى شيان فى الجاهليه. و منهم عوف بن محلم الذى يقال فيه: لا حر بوادى عوف.

و مع اننا لا نعرف شيئا عن آبائه المباشرين إلا بعض ما ذكره فى شعره مفتخرا:

و إذا ما عددت يحيى و عمرا و أبانا و عامرا و الوليدا

و عبيدا و مسهرا و جديا و تدولا و بحترا و عتودا



لم أَدع من مناقب المجد ما يقنع من هم ان يكون مجيدا

ذهبت طيئ بسابقه المجد على العالمين بأسا و جودا

و يقول:

جدى الذى رفع الأذان بمنبج و أقام فيها قبله الصلوات

و أبى أبو حيان قائد طيئ للردم تحت لوائه المنصات

و ولى فتح الجسر إذا أغرى به عمرو و فاعل تلکم الفعلات

و خئولتى فالحوفزان و حاتم و الخالدان الرافدان حماتى

إذ لم يكن شرف المناسب يشتري بالمال فى اللأواء و اللزبات

و إذا كان من الجائر أن الشاعر حين يفتخر بأبائه يزيد من قدرهم و يعظم

ص: ٣٠٥

من أمرهم فإنه لا يستطيع أن يخلق شيئاً من لا شيء. وينسب إليهم الشرف من غير أن يكون لهم من الشرف نصيب. و بالتالى فإنه يمكن القول ان أجداد البحترى كان لهم نصيب من المجد فى قومهم هيا للبحترى مجال الفخر بهم. و لعل جده كان من قواد المسلمين يوم فتحوا منبج و أخذوها من أيدي الروم. و لسنا نعرف هذا الجد الذى رفع صوته بالأذان فى منبج.

## اسمه و كنيته و لقبه

سمى بالوليد و اشتقاقه من الولاده ظاهر و إياه عنى المعرى بقوله:

و قال الوليد: النبع ليس بمثمر و أخطأ سرب الوحش من ثمر النبع

و يشير المعرى هنا إلى قول البحترى:

و غيرتنى سجال العدم جاهله و النبع عريان ما فى فرعه ثمر

و للوليد كنيان: أبو عباده و أبو الحسن. و نشك فى انه اكتنى بكنيتين عند ولادته و أغلب الظن ان والده كناه بواحداه فما هى كنيته الأولى؟ و لم رغب فى أن تكون له كنيه ثانيه؟ تقول بعض الروايات انه كان يكنى أبا عباده و لما دخل العراق تكنى أبا الحسن ليزيل العنجهيه و الأعرابيه و يساوى فى مذاهبه أهل الحاضره و يقرب بهذه الكنيه إلى أهل النباهه و الكتاب من الشيعة. فلما اتصل بالمتوكل و هو يكره الشيعة و يضطهدهم أشير على البحترى أن يتكنى بكنيته الأولى و هى أبو عباده ففعل حتى أصبحت أشهر كنيته و بها عرف.

و تقول روايه أخرى ان كنيته الأولى كانت أبا الحسن فلما اتصل بالمتوكل غيرها إلى أبى عباده. و إلى هذا نميل نحن لما عرف من محبه البحترى الصادقه للعلويين. و أبو الحسن كنيه الإمام على بن أبى طالب ع كما هو معروف.

و أما الاسم الذى اشتهر به فى عالم الأدب و استتر تحت شهرته اسمه و كنيته فهو البحترى هذه النسبه التى تدل على انه من عشيره "بحتر" من قبيله طيى التى كثيرا ما فاخر بمحامدها أو نسبه إلى "بحتر" جده الثانى عشر إذا صحت سلسله نسبه أو للسبيين معا. و البحتر فى اللغة معناه: القصير، المجتمع الخلق. و لسنا ندرى مقدار حظ جده من هذه التسميه. فهل كان قصيرا مجتمع الخلق؟ أو كانت التسميه من باب الأضداد؟ أو كانت مطلق تسميه لم يلحظ فيها معنى الوصفيه بل أريد الدلاله على الذات فحسب؟

## نشأته

نشأ البحترى و تعلم فى منبج. و الغالب انه تربى كما كان يتربى نشء المسلمين حينئذ فهم يحفظون القرآن ثم يضيفون اليه حفظ شىء من الشعر و النثر البليغين و تعلم أحكام الدين. ثم إذا ترعرع الفتى اختلف إلى علماء بلده فاخذ عنهم شيئا من علوم اللغه و أخبار الفتوح و المغازى و أيام العرب و أنسابهم. و قد كان للباديه أثر مميز فى نشأه البحترى.

و يبدو أن أول من اتصل به من الشعراء هو أبو تمام. و بعض الروايات التى تتحدث عن أول لقاء لهما أقرب إلى الأساطير منها

إلى الواقع كتلك القصة التي تحدثت عن قصيده قالها البحترى فى مديح محمد بن يوسف الثغرى - و كان أبو تمام حاضرا و البحترى لا يعرفه - فادعاها أبو تمام لنفسه و صدقه الأمير لو لا أن يعود أبو تمام عن قوله.

و العلاقة بين الشاعرين أصبحت أكثر من جيدة إذ خاطبه أبو تمام بعد أن عرف انه من طي: لوددت ان كل طائيه تلد مثلك و قبل ما بين عينيه و ضمه إلى صدره و قال لمحمد بن يوسف: قد جعلت له جائزتى. فأمر الأمير لهما بجائزتين.

و أخبار العلاقة الجيده بين الشاعرين مبثوثة فى حنايا كتاب الأغاني.

و قد يرتاب شاك فى صحه بعض هذه الروايات أو كلها و يرى لأنصار شاعرنا حينا و أنصار أبى تمام حينا آخر إصبعاً فى اختلاقتها و وضعها رغبه فى رفع من يتعصبون له. و لكن ذلك لن يحول بيننا و بين الاعتراف بما كان بين الشاعرين من صادق الحب و الوداد خاصه فى غياب أیه روايه تظهر عكس ذلك.

هذه العلاقة بين البحترى و أبى تمام هى التى جعلته يتبرم بباقي شعراء عصره و يعدهم أصحاب قريحه مضطربه و معان مستحيله فيرثى أبا تمام و دعبلا الخزاعى بقوله:

قد زاد فى حزنى و أوقد لوعتى مثنوى حبيب يوم مات و دعبل

و بقاء ضرب "الخثعمى" و شبهه من كل مضطرب القريحه مهمل

أهل المعانى المستحيله ان هم طلبوا البراعه بالكلام المقفل

اتصل البحترى إذن بدعبل كما يدل عليه هذا الشعر. و لكن اتصاله به لم يكن فى وثاقه اتصاله بأبى تمام. و يبدو ذلك من قله الأخبار التى رويت عن اتصالهما بالنسبه إلى اخبار اتصاله بأبى تمام. و لسنا ندرى أ كانت العلاقة بينهما علاقة استاذيه من دعبل للبحترى أو علاقة صداقه فحسب.

و الواقع ان العلاقة القويه بين الشعراء الثلاثة تقوم على ما كان يربط بينهم من التشيع و الولاء لآل البيت.

## حبه علوه

أثناء رحله قام بها البحترى إلى حلب تعرف على غاده فتن بها اسمها علوه. و يذكر بروكلمان فى معرض التذليل على شهره البحترى و ديوع شعره بين المتأخرين أن أهل حلب فى المائه الخامسة للهجره عرفوا قبر حبيبته علوه.

و قد حفظ لنا البحترى فى شعره بعض أوصاف لها خرجت من قلب مغرم:

هل دين علوه يستطاع فيقتضى أو ظلم علوه يستفيق فيقصر

بيضاء يعطيك القضب قوامها و يربك عينها الغزال الأحور

تمشى فتحكم فى القلوب بدلها و تميس فى ظل الشباب و تخطر

و تميل من لين الصبا فيقيمها قد يؤنث تاره و يذكر..

أحب البحترى علوه و لسنا ندرى السبب الذى من أجله حيل بينه و بين الزواج منها، غير انه من المرجح انه قد نعم معها بأيام سعيدة كان يستريح لذكراها و يستعيدھا فى الحين بعد الحين. و لم تنسه حياه الرفاهيه و النعمه التى عرفھا فى ظلال المتوكل و الفتح بن خاقان أيامه الحلوه معها و بقى حنينه قويا إلى الشام و حلب:

قل للسحاب إذا حدثه الشمال و سرى بليل ركبہ المتجمل

ص: ٣٠٦

عرج على حلب فحيى محله مانوسه فيها لعلوه منزل...

احنو إليك و فى فؤادى لوعه و أصد عنك و وجه ودى مقبل

و إذا هممت بوصل غيرك ردى و له إليك و شافع لك أول

و يقول فى وصف أوقات سعادته بالوصال:

الأم على هواك و ليس عدلا إذا أحببت مثلك ان ألما

لقد حرمت من وصلى حلالا و قد حلت من هجرى حراما

أعبدى فى نظره مستثيب توخى الهجر أو كره الآثما

ترى كبدا محرقه و عينا مؤرقه و قلبا مستهما

تئات دار علوه بعد قرب فهل ركب يبلغها السلاما

و ربت ليله قد بت أسقى بعينها و كفيها المداما

قطعنا الليل لثما و اعتناقا و أفنيناها ضما و التزاما

و قد علمت بانى لم أضيع لها عهدا و لم اخفر ذماما

لئن أضححت محلتنا عراقا مشرقه و حلتها شاما

فلم أحدث لها إلا ودادا و لم ازدد بها إلا غراما

و واضح ما فى هذه الأبيات - و سواها من الأبيات الواردة فى الديوان - من مشاعر حب رقيقه إزاء علوه.

و مع ذلك فاننا إذا رجعنا إلى نسيب البحترى وجدناه يذكر فيه غير علوه، زينب و سعاد و سلمى و ليلى و أغلب ان هذه الأسماء

كان يرمز بها الشاعر إلى حبيبته علوه أو دفعه إلى استخدامها ضرورات القافية و التصريح أو مجرد اقتفاء آثار الأقدمين.

هذا و قد تزوجت علوه من رجل كان صديقا للبحترى يدعى "الذفافي" فقال يهجو:

أبلغ ذفافينا رساله مشتاق أسر الشكوى و أعلنها

رب غداه للقصف فى حلب يجنى ضحى و ردها و سوسنها

لله أزماننا بعلوه ما أطيّب أيامها و أحسنها

نبثها زوجت أخت أخت أخت رطب البنان لينها

تروم إخوانها و يمنعها منهم لقد ساءها و أحزنها

لو شاء لا بوركت مشيته بلغها بالطلاق مأمنا

و إذا تجاوزنا قصه حبه هذه فى محاولة لتلمس الظروف التى طبعت نشاته أمكننا الافتراض بالاستناد إلى المصادر التى بين أيدينا ان البحترى نشا فى ظل أبوين لم يكونا من ذوى اليسار و أن مخايل النجابه قد بدت عليه و هو فى ريعان الصبا فاستهواه الشعر فمال اليه و عالجه و هو فتى و قصد به أول ما قصد باعه البصل و الباذنجان و من لف لفهم يمدحهم و ينشدهم فى ذهابه و إيباه.

كان البحترى فى مطلع حياته كثير الأسفار و التطواف فجاب عددا من المدن السوريه و زار الأهواز و العراق و قيل انه قصد مصر أيضا قام بكل ذلك قبل أن يلقى عصا ترحاله فى الحاضره العباسيه سامراء. و الحق أن البحترى كان دؤوبا شديد العزم قوى الهمه واسع الآمال و فى شعره كثير من الإشارات التى تنبئ عن ذلك:

و قائله و الدمع يصبغ خدها رويدك يا ابن الست عشره كم تسرى

فقلت: أحق الناس بالعزم و السدى طلاب المعالى صاحب الست و العشر

سأخبط وجه الدهر و الليل أو أرى تمزق ثوب الليل فى وضح الفجر

و أوثر عنى فى المهامه و الفلا على قرب عرسى فى "السواجير" أو اثرى

## شخصيته و أخلاقه

ليس لدينا ما يشفى الغليل و يرسم لنا صورته البحترى و أغلب الظن ان وجهه و جسمه لم يكن بهما قبح و لا عاهه ظاهره. يمكننا استنتاج ذلك من هجاء معاصره ابن الرومى و الذى كان بارعا فى التهكم باصحاب الخلق الممسوخه فإنه لم يجد ما يقوله فى البحترى سوى انه كان ذا لحيه طويله:

البحترى ذنوب الوجه نعرفه و ما رأينا ذنوب الوجه ذا أدب

فلو كان به عيب فى وجهه أو جسمه أو مشيته لأكثر ابن الرومى من الهجاء به.

و إذا كان لنا ان نعتمد على شعره فان فيه ما يوحى لنا بأنه كان نحيفا:

فان تلقى نضو العظام فإنها جريره قلبى منذ جرت على جسمى

و يقول:

حملت معالمهن اعباء البلى حتى كان نحولهن نحولى

و تذكر بعض المصادر عن الأغاني انه كان من أوسخ خلق الله ثوبا و آله و أبغضهم انشادا و أكثرهم افتخارا بشعره حتى ليروى عنه أنه كان إذا أنشد شعرا قال لمستمعيه: لم لا تقولون أحسنت؟ هذا و الله و ما لا يقدر أحد أن يقول مثله! و نحن نشك في قضيه ثيابه الوسخه إذا علمنا انه كان يجالس ملوك بنى العباس و كبار الوزراء و الأعيان الذين ينفرون و لا ريب من الثياب الوسخه.

و أبرز ما يميز البحترى عظيمه قويه دفعته إلى التجواب و السفر سعيا وراء المجد و الغنى. فلم يكن للبحترى مدينه واحده يقصدها و لا قطر بعينه يتجول فيه و لكنه يرحل و لا يطمئن به المقام إلا حيث يجد المال الكثير

ص: ٣٠٧

و الحظ الجزيل و هنا تكون تلك البلده حبيبه اليه:

و أحب آفاق البلاد إلى الفتى ارض ينال بها كريم المطلب

عقيدته البحترى هذه فى الرزق جعلته يشرق فى البلاد و يضرب و يجوب أرجاء قسم كبير من المملكه الإسلاميه و كان طموحا لا يرضى بالقليل:

تقاذف بى بلاد عن بلاد كانى بينها جمل شroud

عشرون قصرها الصبا و أطالها ولع العتاب بهائم لم يعتب

امسى زميلا للظلام و اغتدى ردفا على كفل الصباح الأشهب

فأكون طورا مشرقا للمشرق الأقصى و طورا مغربا للمغرب

و إذا الزمان كسائك حله معدم فالبس لها حلال النوى و تضرب

و لقد أبيت مع الكواكب راكبا اعجازها بعزيمه كالكوكب

و الليل فى لون الغراب كأنه هو فى حلوكته و ان لم ينصب

و هو لا يرى القناعه فى المجد و الغنى فضيله بل يرى الفضيله فى الأقدام و مواجهه الصعاب:

ما زال لى من عزمتى و صريمتى سندا يثبت و طاتى أن تدحضا

لست الذى ان عارضته ملمه ألقى إلى حكم الزمان و فوضا

كما كان البحترى متفائلا لا يرى البلاء قدرا لا فكاك منه بل يؤمن بان مع العسر يسرا و أن شده الدهر عما قليل تنجلي:

هل الدهر إلا غمره و انجلاؤها وشيكا و إلا ضيقه و انفراجها

تقضى الهموم لم يلبث طروقها زماعى و لم يغلق على رتاجها

و كان عارفا بقدر نفسه مغرورا بشعره و يظهر ذلك جليا فى معاملته لممدوحيه و فخره بنفسه يقول لأحد ممدوحيه أحمد بن ثوابه:

و اعلم ان السبل ما فاجاتكمو بزور من الأقوام مثلى و لا وفد

يعزز ذلك ما ذكر عنه من تشدقه فى إلقاء شعره و قوله للحاضرين: قولوا أحسنت! قضيه اخرى فى شخصيته كانت مثار جدل



هى بخله فقد ذكر البعض انه من أبخل خلق الله و ذكروا انه كان له أخ و غلام معه فى داره فكان يقتلها جوعا حتى إذا بلغ منهما الجهد أتياه بيكيان فيرمى إليهما بثمان أقواتهما مضيقا مقترا و يقول لهما مع ذلك: كلا- أجاج الله أكبادكما و أطال أجهادكما! و الطريف ان هناك من يذهب إلى ان البحترى لم يكن بخيلا- بل كان مبدرا أحيانا. و أنه لو كان بخيلا لما فاتت هذه الصفه ابن الرومى و لكان ذكرها فى هجائه للشاعر إضافة إلى افتخاره فى شعره بكرمه و جوده.

و كما كان بخله موضع اختلاف كذلك أثرت قضيه مدى وفائه. يقول احمد بن طاهر: ما رأيت أقل وفاء من البحترى و لا أسقط. رأيت قائما ينشد أحمد بن الخصيب مدحا له فيه فحلف ليجلس. ثم وصله، و استرضى له المنتصر و كان غضبان عليه. ثم أوصل له مديحا اليه و أخذ له منه مالا فدفعه اليه. ثم نكب المستعين أحمد بن الخصيب بعد فعله هذا بشهور فلعهدى به قائما ينشده:

لابن الخصيب الويل كيف انبرى بأفكه المردى و إبطاله

يا ناصر الدين انتصر موشكا من كائد و مغتاله

فهو حلال الدم و المال و ان نظرت فى باطن أحواله

ثم قال ابن أبى طاهر: كان ابن العليج كان فقيها يفتى الخلفاء فى قتل الناس نزحه الله ثم ختم القصيده بقوله:

فالرأى كل الرأى فى قتله بالسيف و استصفاء أمواله

فى الوقت الذى يجمع النقاد على اعتبار مراثى البحترى أجود من مدائحه. و يروى ان البحترى سئل فى ذلك لأن عهد الناس ان تفضل المدائح المراثى معللين ذلك بما أجاب به بعض الشعراء و قد سئل عن ضعف مراثيه فقال: كنا نعمل للرجاء و نحن اليوم نعمل للوفاء و بينهما بعد.

أما البحترى عند ما سئل عن جوده مراثيه على مدائحه فقد أجاب بان من تمام الوفاء أن تفضل المراثى المدائح.

و بعد فهل كان البحترى وفيا؟ أما أنا فأؤكد ذلك و الدليل انه كان يذكر النعم التى نالها من ممدوحيه فيجيد رثاءهم و يسجل مآثرهم و ان شئت فقرأ رثاءه لأبى سعيد و ابنه يوسف و آل حميد و المتوكل. و أن قوه اتصاله بالمعتز ابن المتوكل دليل وفاء لأبيه الراحل. و إذا كان البحترى قد اضطر إلى أن يتصل بأناس يبدو أن اتصاله بهم يعارض سمه الوفاء ففى مهنته عذر يدفعه إلى هذا النهج من الحياه.

من أخلاق البحترى أيضا الشجاعه. و قد يشارك فى المعارك كما كان يفعل تحت رايه أبى سعيد الثغرى محمد بن يوسف و ابنه يوسف بن محمد و يصور لنا ذلك فى شعره:

و انا الشجاع و قد بدا لك موقفى "بصقر قس" و المشرفيه شهدي

و رأيتنى فرأيت أعجب منظر رب القصائد فى القنا المتقصد

## أسرته

قضى البحترى طفولته فى منبج. ثم مضى يضرب فى الآفاق باحثا عن حظه حتى استقر أخيرا فى سرمن رأى و ربما كان يختلف إلى منزله بمنبج فى الحين بعد الحين. فلما ولى المعتز استوطن العراق ثانيه و عاش فى حاشيته و يدلنا على ذلك انه طلب مره إلى المعتز أن يأذن له فى الذهاب إلى الشام مده شهرين فقط يزور فيهما أهله و يصلح أمر ضيعته إذ قال:

هل أطلعن على الشام مبعجلا فى عز دولتك الجديد المونق

فارم خله ضيعه تصف اسمها و الم ثم بصيبه لى دردق

شهران ان يسرت اذنى فيهما كفلا بالغه شملى المتفرق

و تزوج البحترى فى سن لا نعرفها و أنجب ولدا سماه يحيى كان شديد

ص: ٣٠٨

التعصب لأبيه و شعر أبيه. و أنجب يحيى هذا ولدين أحدهما عبيد الله و الثانى أبو عباده يقول عنهما ابن خلكان انهما كانا رئيسين فى زمانهما قصدهما المتنبى و مدحهما و لعل الثروه التى آلت إليهما من جدتهما هى التى وضعتهما بمركز الرئاسة.

و استئذان البحترى من المعتز يجعلنا نرجح ان الشاعر لم يكن يصحب زوجه و ولده فى رحلاته.

و كان للشاعر خدم و غلمان. و قد توسل بأحد هؤلاء و يدعى نسيم بطريقه فريده للحصول على المال. فهو يغرى إخوانه بشراء هذا العبد ثم يشكو فراقه بحراره حتى يعاد اليه.

## عقيدته

كان البحترى فى ظاهر أمره يتشيع لبني العباس و يظهر خلافتهم حقا لا مريبه فيه و قد يغالى فى ذلك حتى يعد غير مسلم ذلك الذى لا يعتقد ولايه العباسيين و خلافتهم و لو صام و صلى فالخلافه حق للعباسيين و وراثه ما تنزع و رثوا فخرها و شرفها من عم النبي العباس.

و هو لذلك مبتهج كل البهجه برجوع الأمر إلى العباسيين لأن الحق عاد إلى نصابه بينما استقر الهوان فى بنى مروان:

و أنتم بنو العباس عم محمد يمين قريش إذ سواكم شمالها

و قد سرنى ان الخلافه فيكم مخيمه ما أن يخاف انتقالها

لكم إرثها و الحق منها و لم يكن لغيركم إلا اسمها و انتحالها

و ان بنى حرب و مروان أصبحوا بدار هوان قد عراهم نكالها

يفضون ابصارا مغیظا ضميرها و يخفون الحاظا مينا كلالها

ذلك ظاهر أمره فهل كانت عقيدته مطابقه لهذا الظاهر أو كان يسر غيرها و يظهرها؟ هذا السؤال يطرحه الدكتور أحمد بدوى و يرى مشروعيه طرحه فى كون الكثير من الناس أيام ملك بنى العباس يؤمنون باحقية العلويين فى الخلافه حيث كان كثير من كبار رجال الدوله يؤمنون بخلافه العلويين و يقدمونهم و ان كان الجميع يظهرن التشيع لبني العباس.

أما اجابته على السؤال فتتضمن تأكيدا على أن البحترى كان جادا فى عقيدته العباسيه إذ لو أن الخلفاء عرفوا فيه نزعه علويه لأقصوه عنهم.

و لا يرى حرجا باعتبار مظاهر تشيع البحترى على انه لم يكن "ناصبيا": فانا لم نعثر فى شعر البحترى أيام المتوكل على ما يدلنا انه خاض فى على و سبه... بل لعله يتألم لما أصاب العلويين فى ذلك العهد (أيام المتوكل) من اضطهاد و عنف حتى إذا جاء المنتصر و رد الحقوق مدحه البحترى بذلك و مضى يعدد الأسباب و الدواعى التى توجب عليه تقريبيهم لأنهم قرابته بل أشقاؤه. بل كان يحنو على بنى بنى طالب و يعظمه و يراه أولى الناس بالخلافه بعد رسول الله يدلنا على ذلك روح قصيدته فى

المنتصر.. و انه هجا الحسن بن رجاء الذى ذم على بن أبى طالب فقال له البحتري:

يا سواتا من رأيك العازب و عقلك المستهتر الذاهب

ان وقفت سوقك أو اكسدت بضاعه من شعرك الخائب

أنحيت كى تنفقها زاريا على على بن أبى طالب

و يقول من قصيده لمحمد بن يوسف:

كنا نكفر من اميه عصبه طلبوا الخلافه فجره و فسوقا

و نقول: تيم قربت و عديها امرا بعيدا حيث كان سحيقا

و نلوم طلحه و الزبير كليهما و نصف الصديق و الفاروقا

فأنت تراه يعدد الأمويين عصبه كافره فاجره و يجد أبا بكر و عمر قد ظفرا بما لم يكونا ليظفرا به و يلوم طلحه و الزبير لخروجهما على بيعه على.

و الطريف انه ما من شيعى يستطيع إثبات تشيع البحتري بحجج أبلغ مما تقدم. الطريف هو فى الاستنتاج الذى توصل اليه الدكتور بدوى من أن البحتري يدين بعقيدته أهل السنه التى منها الايمان بالقضاء و القدر - و كان الشيعة لا يؤمنون بذلك! - بل و يراه سنيا يخوض لجه الدفاع عن عقيدته!..

صاحب أعيان الشيعة ينقل عن عبد الجليل الرازى أستاذ ابن شهر آشوب المازندراني: البحتري من شعراء الشيعة و كان خصيصا بدعبل الخزاعي و من اصدقائه كما فى كتاب اكتفاء القنوع و غيره، ذكر ذلك فى ترجمه البحتري. و خلوص دعبل فى التشيع مشهور و إكرام أبى تمام (و كان شيعيا) للبحتري أيضا كذلك. و يظهر من الشيخ أبى عبد الله أحمد بن عياش فى كتابه (مقتضب الأثر فى إمامه الأئمه الاثنى عشر) ان البحتري و أبى الغوث الطهوى كانا فى عصر واحد و كانا من الشيعة الاثنى عشرية لكن البحتري يمدح الملوك و أبى الغوث يمدح آل الرسول. و ذكر قصيده لأبى الغوث فى مدح الأئمه من آل محمد الاثنى عشر قال كان البحتري أبو عباده ينشدها و تلك القصيده لا يمكن أن ينشدها إلا من كان من الاماميه منها:

ينابيع علم الله أطواد دينه فهل من نفاذ ان علمت لأطواد

نجوم متى نجم خبا مثله بدا فصلى على الخابى المهيمن و البادى

هم حجج الله اثنى عشره متى عددت فثنانى عشرهم خلف الهادى

و إذا عدنا إلى شعره وجدنا إشارات تدل على تشيعه رغم الاضطهاد الشديد للشيعة من قبل ملوك بنى العباس و الذى عبر عنه

شاعر شيعى بالقول:

يا ليت ظلم بنى مروان دام لنا و ليت عدل بنى العباس فى النار

على الرغم من جور العباسيين و عسفهم فالبحترى لم يدع متنفسا يستطيع التعبير فيه عن عقيدته المكبوتة إلا و أفاد منه. يهجو  
على بن الجهم الشاعر لا لشيء إلا لأنه كان ناصبيا يعادى آل البيت:

إذا ذكرت قريش للمعالى فلا فى العير أنت و لا النفير

و ما رعتانك الجهم بن بدر من الأقمار ثم و لا البدور

ص: ٣٠٩

لأيه حاله تهجو عليا بما لفقت من كذب و زور

و علي بن الجهم هذا كان من ندماء المتوكل الذى كان البحترى أثيرا لديه و صاحب حظوه عنده و أعتى ملوك بنى العباس  
علي الشيعة إلى حد انه أمر بهدم قبر الحسين ع.

و الذى حرك البحترى علي هجاء هذا الشاعر هو التشيع.

و ما يمكن أن يستدل به علي تشيعه موقفه من المنتصر بن المتوكل.

و المعروف عن المنتصر انه كان ينكر علي أبيه كرهه لعلى بن أبي طالب.

و ربما كان بعض الندمان يفيض فى ثلب علي فينكر المنتصر ذلك و يتهدده و يقول للمتوكل: ان عليا هو كبير بيتنا و شيخ بنى  
هاشم فان كنت لا بد ثالبه فتول ذلك بنفسك و لا تجعل لهؤلاء سيلا إلى ذلك.

و مع ان البحترى بقى و فيا للمتوكل حتى بعد وفاته، و مع ان المنتصر شارك فى مقتل والده فان البحترى مدح المنتصر بقصيده  
واحدة هى أقرب ما تكون فى مدح العلويين منها فى مدح هذا الملك العباسى لا لشيء إلا لأنه أعاد بعضا من حقوق العلويين  
إليهم و رفع عنهم الاضطهاد الذى كان مسلطا عليهم أيام حكم المتوكل. و مما يقوله فى هذه القصيده:

رددت المظالم و استرجعت يداك الحقوق لمن قد قهر

و آل أبي طالب بعد ما اذيع بسر بهم فانذعر

و نالت أذانهم جفوه تكاد السماء لها تنفطر

وصلت شوابك أرحامهم و قد أوشك الحبل ان ينبر

فقربت من حظهم ما نأى و صفيت من شربهم ما كدر

و أين بكم عنهم و اللقاء لا عن تناء و لا عن عفر

قرابتكم بل أشقاؤكم و إخوتكم دون هذا البشر

و من هم و أنتم يدا نصره و حدا حسام قديم الأثر

يشاد بتقديمكم فى الكتاب و تتلى فضائلكم فى السور

و ان عليا لأولى بكم و أزكى يدا عندكم من عمر

أما تألمه على المتوكل بعد موته مع نصبه فلا إحسانه العظيم إليه و عدم عراقه الشعراء فى الدين إلا من قل.

## صلته بالأعيان و الحكام

بدأ البحرى حياته متكسبا بشعره يقصد باعه البصل و الباذنجان و من لف لفهم يمدحهم و ينشدهم فى ذهابه و إياه. و يمدح أبا جعفر القمى يستهديه أضحية فلما وصل إلى سامراء بدأت صلته بالكتاب فاتصل بإسماعيل بن شهاب الذى كان كاتباً للقاضى أحمد بن أبى دؤاد. و ليس هناك ما يدل على اتصاله بالمعتصم أو بالوائق. و ان كانت أول علاقته هامه له كانت بأبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى الذى كان يتتبعه و يقيم فى كنفه حيث يمدحه بقصيده يعزبه فيها بوفاه المعتصم و يهنئه بقيام الواثق. و للبحرى قصائد فى محمد بن راشد الخناق أحد المختصين بالمعتصم. كما له قصائد فى الحسن بن سهل و ولديه إبراهيم و الحسين.

و له فيهم خمس عشره قصيده و مقطوعه. و مدح الكاتب الحسن بن وهب الذى كان يكتب للوزير محمد بن عبد الملك الزيات وزير الواثق. مدحه بقصيدتين و عاتبه بمقطوعه. و قد توسله البحرى للوصول إلى محمد بن عبد الملك الزيات و نجح فى ذلك حيث نجد له قصيده فى مدح الوزير المذكور.

و ممن اتصل بهم فى هذه الأثناء من الكتاب أيضا أبو نوح عيسى بن إبراهيم كاتب الفتح بن خاقان وزير المتوكل و خدينه. و يظهر أن البحرى جهد ان يوطد صلته بهذا الكاتب ليصل بوساطته إلى هدفه البعيد و هو الفتح ابن خاقان و لهذا فقد أنشأ ثمانى قصائد فى مدحه و عتابه و وصف علقته.

و كان البحرى فى سبيل الوصول إلى غايته البعيدة يمدح صغار الكتاب و العمال مشيدا بهم فتراه ينظم المقطعات و القصائد فى أمثال نجاح بن سلمه.

و عند ما اقتيد الثغرى إلى السجن قال البحرى قصيدتين مستنكرا ذلك أحدثتا دويا معينا و أوصلتا الشاعر إلى بلاط الخلفه.

و فى هذه الأثناء اتصل البحرى بعلى بن يحيى المنجم أحد ابرز المقربين من الفتح بن خاقان و كان هذا على ما يبدو كثير الحذب على الأدباء و الشعراء و كثيرا ما كان يوصلهم إلى الخلفاء و الأمراء و يستخرج لهم منهم الصلات و الهبات فكثير أخذانه منهم و كثر مديحهم له فاتصل شاعرنا و مدحه بثلاث قصائد.

و حقق البحرى غايته أخيرا و وصل إلى الفتح بن خاقان و فى أخبار البحرى للوصول لهذا الخبر عن ابن البحرى: حدثنى أبى قال: امتدحت الفتح بن خاقان أول أمرى فامرنى بالمقام و تأخرت جائزته فكتبت اليه:

لك النعماء و الخطر الجليل

- القصيده. فما كان أسرع ما جاءت جائزته و أمرنى بالمقام".

و قد قضى البحرى فى ظل الفتح مده تناهز أربع عشره سنه و ما وصلنا من شعره فيه يبلغ حوالى تسعا و عشرين قصيده و مقطعه

نربو [تربو] على ثلاثين وثمانمائه بيت. و أغلب الظن أن مرد قله هذا التناج نسبة إلى المده الزمنية عائد إلى عدم انقطاع الشاعر إلى الفتح لأنه اتصل في هذه الأثناء برجل السلطه الأول المتوكل و كان يوزع شعره بين الاثنين. هذا إلى انه كان أحيانا يؤم شعره أناسا آخرين.

و بعد ان وطد البحترى صلته بالفتح التمس من ممدوحه أن يقدمه إلى المتوكل و هكذا كان. و قد حظى البحترى لدى المتوكل بما لم يحظ به في أى مكان آخر و أنشأ فيه روائع مدائحه و جميل أوصافه و واكبه في أكثر أعماله. و يظهر أن البحترى أصبح شاعر البلاط لأول مره في عهد المتوكل.

و أصبح نديما له لا- يكاد يفارقه و يبدو انه استهل صلته به بإبدال كنيته القديمه و هى أبو الحسن بأبى عباده لما عرف عن المتوكل من حقد على الشيعة.

و انثالت عليه عطايا المتوكل و هباته حتى أثرى و أفاد و قد سجل الشاعر الكثير من اعمال المتوكل فى خلال الحقبه التى واكبه فيها و التى أربت على اثنتى عشره سنه. و بلغ ما أنشأه البحترى فى هذه الحقبه زهاء تسع و ثلاثين قصيده و مقطعه اشتملت نحو أربع و ستين و ثمانمائه بيت.

بعد المتوكل ولى الأمر ابنه المنتصر. مدحه البحترى بقصيده واحده أشاد فيها بموقف المنتصر المنصف من الطالبين.

و لما ولى من بعده المستعين نظم فيه البحترى أربعة مدائح يبلغ عدد



آياتها ثلاثه و ثمانين بيتا تناول فيها إلى جانب مدحه مدح ابنه العباس و مدح وزيره ابن يزداد كما هجا فيها وزيرين من وزراء المستعين و هما أوتامش و أحمد بن الخطيب.

و لما شب النزاع بين المستعين و المعتز هجا البحرى المستعين و مدح المعتز.

و كان من ممدوحى البحرى فى عهد المستعين أبو صالح عبد الله بن محمد بن يزداد الذى استوزره المستعين بعد مقتل اوتامش سنه ٢٤٩ هـ.

عند ما استقر الأمر للمعتز سنه ٢٥٢ هـ حظى البحرى عنده بمنزله رفيعه فأثقله بالعطايا و المنح فاخلص له الشاعر كما أخلص لأبيه المتوكل من قبل و قد قال فيه مدائح كثيره و طويله على الرغم من اضطراب الحاله السياسيه فى عهده و قصر مده خلافته بالقياس إلى مده خلافه المتوكل. فقد أنشا البحرى فى المعتز الذى بقى فى الحكم ما ينيف على أربع سنوات و نصف احدى و ثلاثين قصيده و مقطعه تربو على خمسين و تسعمائه بيت.

و لم يكن البحرى يكتفى بتسجيل الحوادث السياسيه و الأعمال العمرانيه التى تحدث فى عهود ملوك بنى العباس الذين كان يعيش فى أكنافهم و يتردد على قصورهم. بل كان أحيانا يشير عليهم ان يولوا أولادهم ولايه العهد كما فعل مع المعتز إذ حثه على توليه ابنه عبد الله العهد. بل يقوم أحيانا بتسجيل اعمال أمهات و زوجات الملوك كما فعل عند ما تحدث عما قامت به قبيحه زوجة المتوكل و أم المعتز من إطعام الحجيج و اسقائهم.

و للبحرى فى وصف - مولى مثل دورا سياسيا هاما فى أيام المنتصرو المستعين - قصيدتان و مقطعه.

بعد المعتز جاء محمد بن الواثق الذى لقب بالمهتدى و الذى على الرغم من زهده لم يسلم من النهايه المأساويه التى انتهى إليها اسلافه و قد أنشا فيه البحرى ثلاث قصائد و ارجوزه.

بعد مصرع المهتدى جاء الأتراك بجماعه من أولاد المتوكل كانوا محبوسين فى الجوسق فاخترأوا أحمد و بايعوه بالخلافه و لقب المعتمد على الله و ذلك يوم الثلاثاء لثلاث عشره بقيت من رجب سنه ست و خمسين و مائتين. و قد عانى هذا الملك معاناه شديده من استئثار أخيه الموفق بشئون السلطه. و كان على ما يبدو شديد الضعف فقد روى ان إحدى المغنيات غنته فرام اربعمائه دينار يصلها بها فعزت عليه فطلب نصفها فلم تتوفر فقال:

أليس من العجائب أن مثلى يرى ما قل ممتنعا عليه

و تؤخذ باسمه الدنيا جميعا و ما من ذاك شىء فى يديه

اليه تحمل الأموال طرا و يمنع بعض ما يجبى اليه

و ملفت للنظر ان البحرى لم ينشئ فى المعتمد - على الرغم من المده الطويله التى حكم فيها و هى التى تربو على ثلاث و عشرين سنه - سوى اربع قصائد و مقطعه و أن واحده من هذه القصائد ينازعه فيها المهتدى. و يبدو ان الشاعر لمح ضعف

الخليفه و قله ذات يده فانصرف عنه إلى غيره. كما انه لم يقل فى الموفق سوى قصيدتين ربما لأن هذا الأخير كان قليل العطاء.

و على هذا فلم يكن للشاعر مندوحه من أن يؤم الوزراء و القواد و الولاه بل و حتى الكتاب و عمال الخراج فيمدحهم و يطنب فى مدحهم.

و من ينظر فى ديوان الشاعر منذ استخلاف المعتمد فى سنه ٢٥٦ هـ إلى الحقبه التى غادر فيها العراق قافلا إلى بلده منبج يرى كثره القصائد التى دبجها فى أولئك الممدوحين مما يعيد إلى الأذهان حالته الأولى التى بدأها بالتطواف فى المدن و الأمصار مادحا و منتجعا.

و قد مدح البحترى المعتمد بعده قصائد لا ترتفع إلى مستوى شعره الجيد الذى أنشأه فى المتوكل و الفتح و المعتز. كما مدح عبد الله بن يحيى ابن خاقان وزير المعتمد ابن أخى الفتح بن خاقان بعدد من القصائد.

و ممن اتصل بهم البحترى فى عهد خلفه المعتمد الحسن بن مخلد بن الجراح و هو من أصل فارسى و للبحترى فيه سبع قصائد.

كما اتصل البحترى بعدد من عمال الخلفه و كان فى مقدمتهم أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن المدير الذى أصبح وزيرا للمعتمد و قد أنشأ فيه اثنتين و عشرين قصيده و مقطوعه.

و قد تمكن البحترى من خلال اتصاله بهؤلاء جميعا و بسواهم ان يجمع ثروه ضخمة - على الرغم من شكواه المستمره - كما أمكن ملاحظه شىء من التشابه بين حياه البحترى الأولى و بين السنوات الأخيره منها. و قد مر بنا انه بدأ حياته بامتداح أصحاب البصل و الباذنجان فى أسواق مدينته. ثم ارتأى الرحله و التطواف فأم القواد و العمال و الولاه فى مدنهم يقرظهم و ينال هباتهم و عطاياهم حتى تهيأ له ان يحط رحاله فى ربوع الحاضره العباسيه "سامراء" و أن يصبح بعد لأى شاعر البلاط حقبه من الزمن.

و فى غضون السنوات الأخيره من عمره نراه يعيد ما بدأ به حياته الأولى.

فاخذ يضرب فى الأرض منتجعا للوزراء و القواد و العمال و صغار الكتاب يمدحهم و يلتمس جدواهم. بل نراه يؤم حتى عمال الطاسيج بعد أن ضاق من المقام فى بغداد:

فأصبحت فى بغداد لا الظل واسع و لا العيش غض فى غضارته رطب

أ أمدح عمال الطاسيج راغبا إليهم؟ ولى بالشام مستمتع رغب

## نتاجه

ذكر ابن النديم فى الفهرست أن شعر البحترى كان على غير الحروف إلى أيام الصولى فإنه عمله على الحروف و عمله على بن حمزه الأصفهانى أيضا فجوده على الأنواع و له من الكتب كتاب الحماسه على مثال حماسه أبى تمام و كتاب معانى الشعراء.

و توجد مخطوطات الديوان فى برلين و ميونيخ و فيينا و بطرسبرج (ليننجراد) و باريس. و نشر هذا الديوان فى إستانبول سنه ١٣٠٠

ه و فى بيروت ١٩١١ و فى القاهرة ١٣٢٩ ه و يسمى الديوآن أحيانآ باسم سلاسل الذهب و قد طبعت فقرآت من شرح أبى العلاء لهذا الديوآن و هو الشرح المعروف ب "عبث الوليد" فى اطقتبس (٥٧) ثم طبع شرح أبى العلاء لديوآن البحترى "عبث الوليد" عام ١٩٣٦.

كتاب معانى الشعراء لم يذكر أحد - فيما نعلم - انه أطلع عليه بعكس كتاب الحماسه الذى طبع فى بيروت سنه ١٩١٠ بعنايه الأيب لويس شيخو اليسوعى مذيلا بالفهارس و تمتاز حماسه البحترى عن حماسه أبى تمام من أوجه كثيره: منها كثره الأبواب لأن حماسه أبى تمام مؤلفه من عشره أبواب و حماسه البحترى من ١٧٤ بابا تتضمن معظم المعانى الشعريه و قد رواها عن نحو ستمائه شاعر أكثرهم من الجاهليين و المخضرمين. " و تمتاز على الخصوص بخلوها مما تنبو عنه الأسماع من الألفاظ البديئه حتى الغزل و النسب فقد تحاشاهما. كان البحترى قد جمعها لشبيبه هذه الأيام و أطلعنا فى المكتبه الخديويه على نسخه من الحماسه المذكوره بالتصوير فى ٤٠٠ صفحه عن نسخه خطيه محفوظه فى مكتبه ليدن".

ص: ٣١١

وقد روى حماسه البحترى محمد الأحوال الذى كان من العلماء باللغه و الشعر و قد اختارها للفتح بن خاقان مما يدل على أن وضعه لها كان قبل مقتل الفتح حين كانت سن البحترى حول الأربعين. و طبع كتاب الموازنه بين أبى تمام و البحترى للآمدى فى إستانبول سنه ١٢٨٧ هـ.

## شعره

لم يخرج البحترى فى شعره عن الأغراض التى طرقها من سبقه من الشعراء. فجاء شعره فى المديح و الهجاء و الاستعطاف و الفخر و الرثاء و الحكمه و الوصف و الغزل...

## المدح

أكثر ما شغل به البحترى شعره المديح فهو جل ما فى ديوانه. و كان البحترى يمدح قصدا للمال إذ كان الشعر مهنته التى يعيش على ما ياتى اليه منها. و هنا ينبغى أن نتذكر أيضا أن الشعر آنذاك كان يقوم بدور وسائل الأعلام فى عصرنا هذا فيما يتصل بقضايا السياسه و المجتمع. و إذا أضفنا إلى ذلك أن كثيرا من شعر المدح كان يصور القيم العليا التى يتعين أن يتصف بها السلوك الاجتماعى السليم أمكن لنا أن نخفف شيئا من نظرات النفور الموجهه إلى شعر المديح. و إذا ما نظرنا لشعر المدح هذه النظره الواقعيه المتسامحه فاننا لن نجده شرا محضا كما قر فى عقول الكثيرين و وجداناتهم بل اننا قد نجد فى تضاعيفه كثيرا من الخير و قوه الأسر. و إذا تأملنا ما قاله البحترى فى المدح نجده فى نهايه الأمر يدور على مجموعه من الفضائل النفسيه و السلوكيه و الاجتماعيه تؤدى و لا شك إلى رقى المجتمع لو أنها تحققت بين سائر أفراده و مؤسساته.

و وفقا لمعايير الجوده فى القديم يعتبر البحترى من كبار المادحين بل انه عند أبى هلال العسكري أكبر المداحين جميعا و يورد أبو هلال مدحه للبحترى فى الفتح بن خاقان منها قوله.

اغز لنا من جوده و سماحه ظهير عليه ما يخيب و شافع

و يعقب عليها بقوله: لم يبق وجه من وجوه المدح فى الجود و الشجاعه و ثقوب الرأى و مضاء العزيمه و الدهاء و شده الفكر إلا قد اجتمع ذكره فى هذه الأبيات و لا أعرف أحدا يستوفى هذه المعانى فى أكثر مدائحه إلا البحترى.

و قد مدح البحترى طوائف مختلفه. من الناس فيها الملك و مستشار الملك و فيها الوزير و فيها الكاتب و فيها النديم و فيها القائد و فيها غير أولئك من رجال الدوله و عظمائها و كان لبقا فى مدح هؤلاء جميعا من ناحيه انه يمدح كل من يتصل به بصفاته الخاصه التى تميزه عن سواه.

و هناك ظاهره تسترعى النظر فى شعره المدحى تلك انه لا يطنب فى مدح الملوك و أشباه الملوك و يطيل فى مدح الكتاب و أشباههم و السر فى ذلك ان الملك و من قاربه كانوا يسأمون طوال القصائد و يملونها - و كثير من العظماء يملون المدح الطويل لأنه لا يعلق بالأذان و لا يسير على ألسنه الرواه. و لا ياتى آخره إلا و قد نسى أوله و يفضلون عليه الموجز الذى يعلق بأذهان الرواه.

بقيت دعوى نقلها إلينا صاحب كتاب العمده إذ قال: و من الشعراء من ينقل المديح عن رجل إلى رجل، و كان ذلك دأب البحترى و فعله أبو تمام فى قصائد معدوده.

أما ان البحترى كان ينقل المدح من رجل إلى آخر فلا نستبعده و خاصه فى بدايه حياته الشعريه، و قد يكون فى فعله هذا متشبهها بأبى تمام. و لكنه مع عدم استبعاده عليه لم يرو له أحد قصيده نقلها من ممدوح إلى آخر كما حفظ التاريخ ذلك لأبى تمام. و قد يكون نقل الشعر من ممدوح إلى سواه غير مستغرب بين شعراء ذلك العصر. إذا لم يأخذوا نوالا عليه. و النقاد أنفسهم كانوا لا يرون غضاضه على الشاعر فى ذلك إذا لم ينل الثواب على مدحه و إلا كان ذلك قله و فاء و فرط خيانه.

و من روائع البحترى فى المدح تلك الرائيه التى مدح بها المتوكل و صور فيها خروجه لأداء صلاه عيد الفطر و التى مطلعها:

أخفى هوى لك فى الضلوع و أظهر و ألام فى كمد عليك و اعذر

و كان ابن خلكان من السابقين إلى الإشاده بتلك القصيده إذ يقومها بقوله: و هذا الشعر هو السحر الحلال على الحقيقه و السهل الممتنع فله دره ما أسلس قياده و أعذب ألفاظه و أحسن سبكه و ألطف مقاصده و ليس فيه من الحشو شىء بل جميعه نحب.

و البحترى الفنان المصور يلون الصورة بما يلائمها و يظهر شموخها من عناصر الطبيعه و صور الحضاره فالجبال تكاد تتحرك و الغبار ينعقد و الشمس تتالق و تخبو و الخيول تصهل و الملابس و الأسلحه تلمع و تزدهى.

كما استطاع البحترى أن يضمّن الكثير من مدائحه، الهام و الغزير من وقائع عصره السياسيه و الاجتماعيه و العسكريه فجاء ديوانه تصويرا فنيا رائعا لتلك الأحداث الجليله. يقول الأستاذ محمد مهدى البصير: ان مدائح البحترى تصف الحضاره العباسيه وصفا فائقا و تصور الوقائع السياسيه و الحربيه المهمه بمتنهى الأمانه و المهارة و يعقب عليها بصوره مؤثره و بكثره عجيبه. و لك أن تتصفح ديوانه لترى انه سجل حافل بما حدث للخلافه العباسيه فى أثناء القرن الثالث للهجره من حروب و مشاكل سياسيه فى الداخل و الخارج فبينما هو يحدثك عن فتنه بابك الخرمى التى اشتعلت نارها فى أوائل هذا القرن إذ هو يحدثك عن تمرد آل الصفار و قيام ثوره صاحب الزنج فى أواسطه و بينما هو يحدثك عن فتنه مدينه أو ثوره قبيله إذ هو يحدثك عن خلع خليفه و أبعاده إلى زاويه من زوايا ملكه بالأمس، و بينما هو يحدثك عن هذه الشئون الداخليه المضطربه المعقده أشد التعقيد إذ هو يحدثك عن المعارك الطاحنه التى تدور رحاها فى آسيا الصغرى بين المسلمين و الروم.

و فى الحق أن المدح ليرتفع شأنه و تبرأ الكثير من نماذجه مما يراه البعض من انه كان وسيله متهافته للارتزاق و التملق حينما تقوم بعض نماذجه الممتازه بما سبقت الإشارة اليه. و إذا كانت العواطف و الانفعالات جانبا أساسيا فى حياه الإنسان فالذى لا شك فيه ان الدين و الأخلاق و السياسه و الحرب و السلام هى أيضا عمد رئيسيه لتلك الحياه و تصويرها من خلال الفن - هو فى حقيقته تصوير لما تتبدى به تلك الحياه فى كل زمان و مكان. و الشواهد على هذا النمط الرفيع من شعر المديح و فيره فى ديوان البحترى. و لعل ما أنشأه فى تصوير بطوله محمد بن يوسف الثغرى فى نضاله ضد بابك الخرمى و ضد الروم فى الثغور يدل أوضح الدلاله على ما ذهبنا اليه. و أبرز قصائده فى هذا المجال القصيده التى مطلعها:

زعم الغراب منبئ الأنباء ان الأحبه آذنوا بثناء

و القصيده التي مطلعها:

يا أبا الأزد ما حفظت الإخاء لمحـب ولا رعيت الوفاء

و في الحق ان المدح وجد من فنيه البحتري و حبه الغريزي للوصف و التصوير ما أعطى لكثير من نماذجه قيمه كبرى و خلودا.

ص: ٣١٢

يكاد ينعقد إجماع النقاد على ان البحترى لبث يتلفع بعباءه البداوه بالرغم من إقامته بين زخارف الحضاره العباسيه و قصورها و رياضها. و هم لا ينفكون يرددون مع الأمدى انه: "اعرابى الشعر مطبوع و على مذهب الأوائل ما فارق عمود الشعر المعروف".

و الواقع ان شعره الوصفى لا- يظهره لنا فى تلك الصوره التى حرص النقاد على إظهاره بها فثمه اختلاف بين وصف البحترى و وصف امرئ القيس مثلا و سائر الجاهليين. فهو يعايش بيئه تخالف بيئه هؤلاء و يخضع لواقع اجتماعى يخالف واقعهم.

و قد بدا ذلك خاصه فى ترابط الصور و المعانى خلال بعض قصائده الوصفيه و أحكام التشاييه و الابتعاد عن الاستطراد و الحبو و التراحف على حضيض الواقع. ذلك انه قد تاثر بواقع الحضاره بصوره لا واعيه فتسربت إلى شعره روح العصر بالرغم من أنه لم ينصرف إلى اقتباسها و التوغل بها انصراف أبى تمام و ابن الرومى و المتنبى. فوصفه من هذا القبيل حضرى بدائى كنفسه نشهد فيه ماديه الوصف الجاهلى دون فوضاه، كما أننا نلمح أحيانا وجدانيه الوصف العباسى و سببته دون إسرافه بمظاهر البديع المستفاد من واقع النقوش لزخارف فى عصره و ربما كانت قصيدته التى مطلعها

ميلوا إلى الدار من ليلى نحييها ناعم و نسألها عن بعض أهلها

و التى يصف فيها بركه المتوكل تعطى فكره واضحه عن النوع الأول من وصفه فهو إذ يصف بركه المتوكل يلم بموضوع جديد منقول عن واقع الحضاره و العمران اللذين يعايشهما. لكن جده الموضوع لم تجد لديه جده جذريه فى طبيعه الأسلوب و الصوره بل نراه يعمد إلى التحديق و التبصر الخارجيين و إلى ما رآته عيناه مكثرا مبالغا حتى انه يذكرنا فى أحيان كثيره بالجاهليين و ان لم يكن وصفه كوصفهم.

و مع ذلك فان هذه القصيده عرفت شهره واسعه و وجدت من يبدي لها حماسا شديدا: "الشاعر البحترى فى هذه القصيده قد امتلك موهبه الموسيقى و الرسام إلى جانب رهافه حس الشاعر و سعه خياله و اقتداره على اللغه".

و يذهب البعض الآخر إلى انها تؤلف، قطعه واحده متماسكه هى فى اعتقادنا من خير ما قاله الشعراء على الإطلاق - عرب أو إفرنج - فى وصف منظر من مناظر الطبيعه، وصف البحترى تدفق ماء النهر فى البركه و وصف صفاءها و بياضها و حركه الريح و سطوع الشمس عليها و تهتان المطر و انعكاس الكواكب بالليل كل ذلك فى خمس آيات عدا. و فى كل بيت بل أكاد أقول فى كل كلمه لوحه من التصوير البارع".

و نحن و ان كنا لا- ننكر براعه البحترى فى وصفه هذا. إلا أن هذا الوصف بقى فى الحدود النقليه التصويريه التى تكشف عن نفسه تعجب بحجم الأشياء و تصعق بمظهرها الخارجى.

إلا ان للبحترى فضيله فى الوصف لم تكن تيسر للشاعر الجاهلى.

فهو و ان خطر ببعض فلذات من الوصف النسخى المنقول نراه فى قصائد أخرى يلم بأوصاف و يجسد حركات و حوادث بتتابع و تصميم و تطور مما لم يكن يتيسر للجاهلى الذى يقوم وصفه على فلذات و نبذ من الصور المتباينه المستقله كما فى وصفه لموكب المتوكل فى القصيده التى سبقت الإشارة إليها فى مديحه بمناسبة عيد الفطر.

و فى شعر البحترى بعض الأبيات التى اعترض فيها بالوصف القصصى من ذلك وصفه للعراك بين الفتح بن خاقان و الأسد إذ نراه يقبل على ذكر الحوادث معتمدا الدقه منتخبا منها ما يظهر بطوله أبى الفتح و شدته فى قتال الأسد. و قد عقدت مقارنات عديده بين قصيده البحترى هذه و قصيده المتنبى فى بدر بن عمار و الأسد.

و مع أن القاضى الجرجانى كان سباقا فى هذا المجال و رأى أن البحترى قد استوفى فيه المعنى و أجاد فى الصفه و وصل إلى المراد إلا انه فى حكمه النهائى يفضل وصف المتنبى لتركيزه على إبراز القوه الرهيبه للأسد مما يعلى من شان بدر.

و لقد ذهب النقاد الذين توالوا على نقده إلى انه يتولى المعانى القديمه و يأخذ بتاديتها وفقا لتوليد و توقيع جديدين فيؤثر كما يؤثر سواه من الشعراء بالمعانى و الصور الجديده كما فى وصفه لقصر الفتح بن خاقان فى القصيده التى مطلعها:

حلفت لها بالله يوم التفرق و بالوجد من قلبى بها المتعلق

حيث تمتاز أبياته بالدقه و النغم الشجى المتالف الذى ما برح البحترى يبدع فى توقيع عبر الأبيات جميعا حتى يخيل إلينا فى أحيان كثيره اننا نتأثر بالنغم قبل أن نلج إلى المعنى و هذا ما تنبه له من قال: أراد البحترى أن يشعر فغنى.

و من قصائد البحترى المشهوره فى الوصف قصيدته فى وصف الذئب و التى مطلعها:

سلام عليكم لا وفاء و لا عهد أ ما لكم من هجر احبابكم بد

و هو ذئب لقيه الشاعر فى الفلاه و دارت بينهما معركه انتهت بانتصار الشاعر. و قد بدأ البحترى قصيدته بالغزل و انتقل منه إلى الفخر بشجاعته و بعد همته. ثم وصف الذئب الذى قابله تلك الليله ليقرر بعد ذلك.

كلانا بها ذئب يحدث نفسه بصاحبه و الجد يتعسه الجد

و تنتهى المعركه فيخر الذئب صريعا فيشويه الشاعر على النار و يأكل منه ما شاء و يترك باقيه.

و يرفع الدكتور عبده بدوى قيمه هذه القصيده إلى الذروه و يقول: إذا كانت قريش قد قالت فى قصيده علقمه بن عبده التى يقول فيها:

هل ما علمت و ما استودعت مكتوم

. انها سمط الدهر فاننا نستطيع أن نقول أن هذه القصيده المحكمه سمط العصر الذى عاش فيه البحترى.

و واقع الحال أن مقارنة متانیه بين برکه البحترى و بحيره لأمارتين و بين ذئبه و موت ذئب الفرددى فىنى كافيه لإبعادنا عن بعض الأحكام العامه المتسرعه و كافيه لتبيان الفوارق بين الوصف التقريرى الحافل بالمبالغه و بين الوصف الوجدانى الذى نرى بعضا منه عند البحترى فى وصفه لايوان كسرى و ذلك فى القصيده التى مطلعها:



صنت نفسى عما يدنس نفسى و ترفعت عن جلا كل جيس

فاننا نجد الشاعر و قد اعتراه الأسى المبهم الذى يفيض فيضا من أعماق النفس و يستبد بها دون أن تدرى كنهه أو تقوى على التحرر منه. كما نجد عنده شعورا حادا بالقنوط و البؤس و نعيًا لمصير الإنسان فى الوجود. و على الرغم من الإطار الوصفى الخالص لقصيدته هذه فقد جاءت غناء و تاملًا و اعترافًا بما يخطر له و يعانيه. من هنا تضمينها الكثير من الفلذات الوجدانية و الآراء فى الحياه و الموت. يقول فى وصف الأيوان:

و كان الإيوان من عجب الصنعه جوب فى جنب أرعن جلس

ص: ٣١٣

يتظنى من الكابه أن يبدو لعيني مصبح أو ممسى

مزعجا بالفراق عن انس ألف عز أو مرهقا بتطبيق عرس

عكست حظه الليالى و بات المشتري فيه و هو كوكب نحس

مشمخر تعلق له شرفات رفعت فى رؤوس رضوى و قدس

لابسات من البياض فما تبصر فيها إلا غلائل برس

ليس يدرى أصنع انس لجن سكنوه أم صنع جن لأنس...

فهذا الوصف يمثل لنا الفرق بين الوصف الجاهلى و الوصف فى شعر البحترى. انه أعمق تحسسا و أوغل فى ضمير الأشياء إذ اعترى الأيوان و شخصه فإذا هو إنسان مكمد الوجه، كأنه يعيش فى ماساه البعد و البراح.

و لا- عجب أن يعتبرها البعض: أجل قصيده فى الشعر العربى و تعد بحق من آيات الشعر الخالده. و ان يقول ابن المعتز ليس للعرب سنيه مثلها.

و مما لا- ريب فيه ان البحترى بغير " سنيه " يرقى إلى مصاف فحول الشعراء و لكن سنيته زحزحت ذلك الحد الدقيق الذى يفصل بين الفحوله و العبقريه فأصبح يحمل لواء الشعر بعد الملك الضليل! و للبحترى قصائد و مقطعات فى وصف مظاهر الحضاره العباسيه كالقصور و منها "الجعفرى" و "الصبيح" و "المليح" و "الفرد" و "الساج" و "الكامل".

فقد وصف الكامل فى القصيده التى مطلعها:

لو كان يعتب هاجر فى واصل أو يستقاد لمغرم من ذاهل

و هو قصر بناه المعتز. و يصف قصر الجعفرى الذى بناه المتوكل فى قصيده مطلعها.

ان الطباء غداه سفح محجر هيجن حر جوى و فرط تذكر

كما وصف مجالس المسرات التى عرفتها الحياه العباسيه كما فى القصيده التى مطلعها:

هل فيكم من واقف متفرس يعدى على نظر الطباء الأنس

و أولع البحترى بوصف مظاهر الطبيعه و جمالاتها و ربما كانت أبياته فى وصف الربيع التى جاءت فى قصيدته التى مطلعها:

أ كان الصبا إلا خيالا مسلما أقام كرجع الطرف ثم تصرما

ربما كانت هذه الأبيات أفضل ما يمثل طول باع الشاعر فى هذا المجال.

كما اشتهر البحترى بوصف المعارك و الخيل و تصوير البحترى للحلبه و الخيول و الفرسان و المدرين و المشاهدين تصوير يتسم بالرقه و الدقه و الشمول معا. و نجد وصفا للفرس يجمع بين الدقه و الرقه للفرس فى قصيدته التى مطلعها:

طفقت تلوم و لات حين ملامه لا عند كبرته و لا احجامة

و كان البحترى وصافا قديرا للحرب فى البر و البحر و لأدواتها من سيوف و رماح.

و خلاصه القول ان البحترى ألم بنوعين من الوصف الوصف النقلى التقريرى و الوصف الوجدانى الذى يتجاوز حدود الأشياء و مظاهرها. إلا أن هذين النوعين لا يصفون لديه فهو فى النقلى ليس جاهليا كما انه فى الوجدانى لا يعرف الحلويه. ففى الأول نشهد لديه من الترابط و التماسك ما لم نكن نشهده فى الشعر الجاهلى. و فى الثانى نراه يفترض افتراضا و يتظنى تظنينا.. و هكذا فان شعر البحترى فى الوصف هو كثافته عامه ليس بدويا و لا حضريا يترجح فى منزله بين المنزلتين لا يبلغ وجدانيه ابن الرومى كما لا يرسف فى ماديه امرئ القيس المسرفه.

## الفخر

توفر للبحترى عاملان رئيسيان هيثا له التالى و طول الباع فى الفخر.

أولهما انتماءه الثابت إلى واحده من أعظم القبائل العربيه و هى طيئ و ثانيهما انه كان أعظم شعراء عصره دون منازع أو هو على الأقل واحدا من أبرز شعراء عصره.

على ذلك يمكننا القول بان عناصر الفخر عند البحترى هى تعداد أمجاد قومه و التغنى بمناقبهم و بشرف اليمن موطنهم و كذلك الإدلال بعزته الشخصيه المستمده من أصوله الراسخه و من موهبته الفنيه المتفوقه و هى عناصر وجد البحترى من قوه الحقيقه فيها و من قدره الفنان فى موهبته ما مكنه من صياغتها على وجه رائع فى أشعار فخره.

و قد اشتهر للبحترى قصيدتان فرغ تماما فى كليهما للفخر. مطلع الأولى:

إنما الغى أن يكون رشيدا فانقصا من ملامه أو فريدا

و مطلع الثانية:

أحب إلى بطيف سعدى الآتى و طروقه فى أعجب الأوقات

و الطابع الغالب على فخر البحترى فى قصيدته الأولى هو فخره بقومه بينما يغلب على القصيده الثانيه فخره بنفسه و بما حققه من مجد أدبى و اجتماعى رفيع تمثل فى منادمته للملوک و نفوذه و مكانته عندهم و شفاعته فى جلائل الأمور لديهم. هذا الفخر بالنفس و الاعتداد بقيمه الشاعر نجده أقوى نفسا و أعلى ايقاعا من الفخر القبلى بقومه.

كما نجد أبياتا في الفخر مبنوثة في حنايا قصائده كما في تلك القصيدة التي سبق و أشرنا إليها في وصف معركة مع الذئب حيث يفتخر بما يحمل بين جنبيه من قوة الشكيمه و ما توافر لديه من شجاعه نادره و قدره على القتال فذه.

و البحتري في موضوع الفخر و لم يخرج على المعاني المتداوله في التراث الشعري العربي و ان كان قد طبع هذه المعاني بطابع أسلوبه المميز.

## العتاب

كان للبحتري منافسون و حساد و ذلك أمر طبيعي لشاعر نال حظوه مميزه عند الحكام و الأعيان. و كان يتدارك وقائع هؤلاء في شعره الاستعطافي الذي كان يجيده على ما يبدو حتى عد استاذا فيه.

فالروح السائده في عتابه هي روح الرقه التي تجعل هذا العتاب مقبولا لدى النفس محببا إليها. يصف هو عتابه بقوله:

ص: ٣١٤

البحترى برقته و أنغام موسيقاه و أشجانه رثائي النزعه محزوناً.

و قد لاحظ ابن خلكان من قبل ان البحترى كثيرا ما كان ينشد أبياتا محزونه ملتاغه منها:

حمام الأراك ألا فأخبرنا لمن تنديين و من تعولينا

لشقت بالنوح منا القلوب و أبكيت بالندب منا العيون

تعالى نغم ماتما للهموم و نعول إخواننا الظاعينا

و نسعدكن و تسعدنا فان الحزين يواسى الحزينا

و تعتبر رائيته فى التى قالها فى المتوكل من أهم ما قال فى هذا الغرض الشعرى و التى بدأها بالوقوف على أطلال "الجعفرى" قصر المتوكل و التى مطلعها:

محل على القاطول اخلف دائره و عادت صروف الدهر جيشا تغاوره

حيث يلم البحترى بما يمكن أن نسميه رثاء الحضاره كما فى قصيدته فى رثاء ايوان كسرى و فى قصيده معاصره ابن الرومى فى رثاء البصره و إذا تأملنا قصيدته هذه وجدنا مفرداته قويه جزله و كذلك صورته فإنها قاتمه داميه عنيفه و موسيقى البحر و الألفاظ تتسق مع الموضوع تماما فهى هادره صاحبه و كأنها تحكى صخب الأسلحه التى استخدمت فى مقتل المتوكل و يرى البعض ان هذه القصيده كتبت بعد تسلم المعتز الملك اثر مقتل المنتصر لما فيها من تعريض و اتهام لهذا الأخير بالمشاركه فى قتل والده تقربا للمعتز.

و يذهب البعض الآخر إلى ان القصيده قيلت اثر مقتل المتوكل و أضيفت إليها الأبيات التى تعرض بالمنتصر أيام المعتز.

و من أقوى قصائد الرثاء لدى البحترى رثاؤه فى محمد بن يوسف بن عبد الرحمن المعروف بأبى سعيد الثغرى القائد العسكرى الذى أبدى بطوله كبرى فى حرب بابك الخرمى و ذى المكانه المرموقه لدى المعتصم.

و كذلك رثاؤه فى ولده يوسف الذى خلفه فى ولايه أرمينيه و أذربيجان و قد اكتسبا لقبهما الثغريين لارتباطهما الوثيق بالثغور الإسلاميه و لبلاتهما الحسن فى الدفاع عنها ضد غزوات الروم.

و الثغريان ينتهى نسبهما بنبهان بن عمرو و هو أخو سلامان جد البحترى و معنى ذلك انهما ينتميان كما ينتمى البحترى إلى طيئ. و كان البحترى كثيرا ما يذكر هذه القرابه و انه انما يمدح نفسه عند ما يمدحهما و يعجب منهما كيف يعطيانه على مديحه:

و انى متى اعدد معاليك اعتدد بها شرفا إذ كل فخر ك لي فخر

و لم أر مثلى ظل يمدح نفسه و يأخذ اجرا ان ذا عجب بهر

و كان لما اشتهر به الوالد و الابن من بطوله عسكريه بالإضافة إلى صله القرابه تلك اثر عميق فى الرثاء الذى رثاهما به ف جاء نضاحا بكل الصدق معبرا عن مشاعر الإحساس بالفقد و الحزن الكثيف. و من أبرز قصائده فيهما قصيدته فى رثاء محمد بن يوسف الثغرى و التى مطلعها:

انظر إلى العلياء كيف تضام و ماتم الأحساب كيف تقام

و رثى ولده يوسف بن محمد عند ما قتله الثائرون من أهل أرمينية بقصيدته مطلعها:

أقول لعنسا كالصلاه أمونمغبره فى تسعه و و ضين

حيث ينهى البحترى رثاءه الدامع بأبيات تثير فى النفس عواطف الحزن و تدل أوضح دلالة على مدى صدقه و لوعته:

أ أنساك أم أنسى مصابك بعد ما علقت بحبل من نداك كتين

و لو كنت ذا علم بفطر صبابتي و ما علم تاو بالتراب دفين

تيفنت ان العين جد غزيره عليك و ان القلب جد حزين

إذا انا لم أشكرك نعماك بالبكا فلست على نعمى امرئ بامين

و فى الحق اننا لنبهر بقوه رثاء البحترى خاصه ما رثى به المتوكل و الثغريين و قد لمسنا فى رثائه للثغريين شعرا يتوافر فيه الصياغه و تدفق المشاعر و تالق المعانى جميعا. و نحن نعلم ان الرثاء قد ينصرف إلى تجسيم حزن الشاعر و تصوير مصابه بفقد من يرثيه و يكون هذا الرثاء للبكاء لا لتخليد المرثى و من هذا النمط كان رثاء البحترى للمتوكل، فهول الكارثه قد أذهله إلا عن مشاعره الجريحه الحزينه فإذا ما اهتم الشاعر بمناقب من يرثيه و عنى بتصوير جليل أعماله و عظيم صفاته كان الرثاء للتخليد و الملاحظ ان رثاءه للثغريين قد جمع بين النمطين مما دفع البعض إلى اعتبار رثائه لهما من عيون المراثى فى الشعر العربى.

و لقد ربط البحترى بال حميد عرى و ثيقه من الصداقه و الود و ذكريات السعاده و جل أفراد تلك الأسره من القاده المشاهير الذين دفعوا حياتهم ثمنا للمجد و سقطوا فى ساحات القتال فى الأطراف الشاسعه للدوله. فوقف أبو عباده أمام قصرهم ببغداد و قد خلا من شخوصهم فرثاهم رثاء الدامع الموجه الذى اعتورته مصائب فادحه فى قصيده مطلعها:

أقصر جميل الأجزاء لمغرم و لا قصر عن دمع و ان كان من دم

و بعد أن يعدد مآثرهم و يبكيهم يقرأ السلام على أرواحهم مؤكدا انه لا يقلل من شأنهم أو يرفع من أعدائهم أنهم صرعوا فحمزه و على قد صرعا من قبل وحشى و عبد الرحمن بن ملجم:

فحربه "وحشى" سقت "حمزه" الردى وحتف على "فى حسام ابن ملجم". و فى الرثاء الذى أنشأه البحترى فى سن الشيخوخه  
نجده يمزج رثاءه الموتى برثاء نفسه و البكاء من المشيب و الوهن و يتحسر تحسرا موجعا لضياح الفتوه و الشباب كما فى رثائه  
لغلامه قيصر فى القصيده التى مطلعها:

ملامك انه عهد قريب و رزء ما عفت منه الندوب

حيث نراه يبكى نفسه فيقول:

فان ست و ستون استقلت فلا كرت بطلعتها الخطوب

لقد سر الأعدى فى انى "برأس العين" محزون كئيب

و انى اليوم عن وطنى شريد بلا جرم و من مالى حريب

ص: ٣١٥

عتاب بأطراف القوافي كأنه طعان بأطراف القنا المتكسر

فاجلوه به وجه الإخاء و اجتلى حياء كصبغ الأرجوان المعصفر

و قد أشاد ابن المعتز باعتذارياته فى الفتح كما قرر أبو هلال العسكري للنابعه الذبياني فضل زياده هذا القسم إلى أقسام الشعر الجاهلى ثم قال:

و لا أعرف أحدا من المحدثين بلغ مبلغه فيه إلا البحترى فإنه قد أجاد القول فى صنوفه و أحسن و أبلغ و لم يذر مزيدا حتى قال بعضهم هو فى هذا النوع النابعه الثانى.

أما ابن رشيق فيرى أن البحترى أحسن الناس طريقا فى العتاب و يقول:

و أحسن الناس طريقا فى عتاب الأشراف شيخ الصنائه و سيد الجماعه أبو عباده البحترى.

و قد سلك البحترى طرقا كثيره للعتاب فاحيانا يمزجه بالمدح و هو الغالب عليه. و حينما يلتبس لمن يعاتبه العذر على جفائه و لا ينسى أن يذكر من يعاتبه بسالف الود و ما كان بينهما من صفاء و يحدثه بما يضره له فى قلبه من حب و إجلال. و حينما يهدد بالهزاء المقذع المر حين تشتد ثوره نفسه و عزتها. و لا ينسى فى عتابه الاعتزاز بنفسه و معرفته بقدرها بل يدل بقيمته الادبيه و مكانته السالفه و ما يجب أن يكون له من إجلال و تقدير.

و من جميل أبياته فى هذا الموضوع ما قاله فى قصيده مدح بها المتوكل مطلعها:

شوق إليك تفيض منه الأدمع و جوى عليك تضيق منه الأضلع

ينهيها بقوله:

هل يجلبن إلى عطفك موقف ثبتت لديك أقول فيه و تسمع

ما زال لى من حسن رأيك موئل آوى اليه من الخطوب و مفرع

فعلام أنكرت الصديق و أقبلت نحوى ركاب الكاشحين تطلع

و أقام يطمع فى تهضم جانبى من لم يكن من قبل فيه يطمع

ألا يكن ذنب فعذلك واسع أو كان لى ذنب فعفوك أوسع

و تتميز اعتذارياته و عتايياته بميل قوى إلى التحليل و الاستقصاء و بتعبير رقيق عن الانفعالات و الخلجات النفسيه كما فى قصيده التى يعاتب بها الفتح و يعتذر منه و التى مطلعها:



يهون عليها ان أبيت متيما أعالج وجدا في الضمير مكتما

حيث يصور لنا تردد الفتح بين الرضا و الغضب و انعكاس ذلك عليه. ثم تتملكه عزه نفسه و يشعر بقيمته كشاعر فنان و بقيمه شعره الذى قاله فى الفتح فترتفع حده عتابه و يقترب من إيقاع التهديد ليعود بعدها إلى اللين و الاستعطاف فيقول:

لى الذنب معروف و ان كنت جاهلا به و لك العتبى على و أنعما

و من أرق عتابياته تلك الموجهه إلى الفتح أيضا و التى استند إليها و إلى سابقتها ابن رشيق فى تقديم البحترى على الشعراء المحدثين فى العتاب القصيده التى مطلعها:

لوت بالسلام بنانا خضيبا و لحظا يشوق الفؤاد الطروبا

أما عتاب البحترى لأصدقائه المقربين من غير الحكام فينهج فيه الشاعر نهجا آخر. فهو يعمد أحيانا إلى الشده و التعنيف و الأنداز بالقطيعه و ذلك تعبيراً عن إحساسه بالغضب و الصدمه لتغير ذلك الصديق كما فى قصيدته التى مطلعها:

تعود عوائد الدمع المراق على ما فى الضلوع من احتراق

و خلاصه القول ان البحترى قد تفوق فى العتاب و الاعتذار تفوقا ينبع من تميزه بين شخوص من يوجهه إليهم. و ينبع أيضا من أن التالى فى ذلك الفن يتطلب الرقه و العذوبه فى المشاعر و طرق الأداء جميعا و قد توافر ذلك فى أجلى صورته لدى البحترى.

## الغزل

لقد تغزل البحترى و أنشد للحب شعرا كادت كلماته أن تجنح من فرط الرقه و العذوبه و اتصل غزله فيما يشبه الظاهره المطرده بوصف الخيال و الحبيب فى مرحله من حياته هى العراقيه و السؤال هو هل انشد البحترى للعواطف عن تجربه صادقه و معاناه حقيقه؟ أم ترى غزله كان قياما بتقاليد القصيده العباسيه التى حل وصف الحبيب و التغنى بعاصف الأشواق فى مقدمتها محل الوقوف على الديار و بكاء الأطلال فى مقدمه القصيده القديمه.

لقد اختلفت الآراء فى ذلك على الرغم من أن ارتباط الشاعر العاطفى بعلوه الحلبيه ثابت و متفق عليه و الكثير من مقطوعاته فى الحب ينشده الشاعر فى وصفها أو فى وصفه طيفها الذى يرفرف عبر صحراء الشام ليزوره فى العراق.

فيرى البعض انه على الرغم من ان أكثر ما أنشأه البحترى من الغزل كان مقدمه لأغراض أخرى إلا انه استطاع ان يحدثنا عن كثير من عواطف الحب فى حالتى الرضا و السخط و القرب و البعد.

و رأى البعض الآخر انه إذا قلنا غزل البحترى فقولنا هذا يصدق على كل شاعر من مداحى العصر العباسى و هو على الغالب نوع من الفن الكلامى يصدر عن به قصائدهم تمهيدا لما يقصدون، و مع ما قد تجده فيه من رشاقه لا ينظم عادة بئا لوجد متقد أو تصويرا لخوالج شخصيه صادقه. كان الأقدمون يجعلون لقصائدهم مقدمات من الوقوف على ديار الحبيب و البكاء على آثارها ثم الرحيل عنها إلى حيث يقصدون فحول المولدين ذلك إلى مقدمات غزليه يصفون بها الحبيب و يذكرون أشواقهم ثم

يتخلصون إلى المدح أو سواه. وقد لا يكون بين المقدمه الغزليه و سائر القصيده من رابطه فكريه أو حسن تخلص و على هذا كثير من شعر البحتري و فيه يقول ابن الأثير: انه لم يوفق في التخلص من الغزل إلى المديح بل اقتضبه اقتضابا و لقد حفظت شعره فلم أجد له من ذلك شيئا مرضيا إلا اليسير.

و من ظاهره عدم حسن التخلص هذه عند البحتري ينطلق البعض ليؤكد صدق البحتري في غزله و يرى أن التفسير المقبول لتلك الظاهره هو أن البحتري كان يرضى عواطفه و يعبر عما يعانیه من مشاعر و انفعالات صادقه في مقطوعات مستقله ثم يتخذ بعضا منها مقدمات لقصائده نزولا على تقاليد الشعر آنذاك فكانت القصيده في الواقع كأنها مركبه من قصيدتين واحده يفرغ فيها عواطفه في الغزل و أخرى لغرض المدح أو غيره من الأغراض فكان البحتري كان يضم احدي القصيدتين إلى الأخرى من غير أن يعنى بالربط

ص: ٣١٦

بينهما و لذلك أرجح ان كثيرا من هذا الغزل الذى بدأ به قصائد مدحه كان غزلا صرفا أنشاه البحترى إرضاء لعاطفته الشخصية و إلا- فإنه من غير المعقول ان شاعرا محبا كالبحترى لا يكون له فى الغزل إلا ثلاث قطع صغيرة و لا نستطيع تعليل ذلك إلا بأنه قد أشبع نفسه غزلا بهذا الغزل الذى بدأ به المدح.

و نحن قد لا نبتعد كثيرا عن مثل هذا الرأى إذا عدنا إلى بعض مقدمات قصائد الشاعر الغزليه التى استهل بها مدائحه و لا سيما تلك المقدمات التى يخص بها حبيبته علوه كما فى القصيده التى مطلعها:

خيال يعترينى فى المنام لسكرى اللحظ فاتنه القوام

و القصيده التى مطلعها:

ألا هل أتاها بالمغيب سلامى و هل خبرت وجدى بها و غرامى

و القصيده التى بدأها بقوله:

قل للسحاب إذا حدثه الشمال و سرى بليل ركبه المتحمل

عرج على حلب فحى محله مانوسه فيها لعلوه منزل

و القصيده التى مطلعها:

عهد لعلوه باللوى قد أشكلا ما كان أحسن مبتداه و أجملا

و التى مطلعها:

شوق إليك تفيض منه الأدمع و جوى عليك تضيق منه الأضلع

و التى مطلعها:

بودى لو يهوى العذول و يعشق فيعلم أسباب الهوى كيف تعلق

و سواها من القصائد حيث عرف البحترى كيف يلتقى بالعذاب من مفردات اللغه و يصوغها فى أرق تعبيراتها ليصور مشاعر الحب و هى مشاعر مستسلمه إلا انها نوع من الحب يصوره من خلال الحسن الأسر المستبد و الدلال الطاغى من الحبيب الذى لا يقبل من حبيبه إلا الاستسلام لأهوائه و يحرم عليه الشكوى من العذاب. يقول:

أميرتى! لا تغفرى ذنبى فان ذنبى شده الحب

يا ليتنى كنت انا المبتلى منك بأدنى ذلك الذنب

حدثت قلبى عنكم كاذبا حتى قد استحييت من قلبى

إن كان يرضيكم عذابي و ان أموت بالحسره و الكرب

فالسّمع و الطاعه منى لكم حسبى بما يرضيكم حسبى

و له مطالع غزليه غايه فى الرقه و العذوبه:

لى حبيب قد لِح فى الهجر جدا و أعاد الصدود منه و أبدا

عذيرى فيك من لاح إذا ما شكوت الحب حرقنى ملاما

و قد سبقت الإشاره إلى بعض أبيات هذه القصيده فى كلامنا على حبه لعلوه.

أما مفاهيم البحترى و مقاييسه الجماليه فهى نفسها المأثوره فى الشعر العربى بعامه. يعجبه الجفن الفاتر المريض الساحر الساجى، الأهور الآسر، و القوام المرهف اللين المتشنى و الجسم الأبيض الناصع كأنه اللؤلؤ قد دق منه الخصر و ضخّم العجز و سمت يداه و رجلاه و طال عنقه فى جمال و حسن. أما الفم فايض ذو أسنان دقيقه كأنها الأقحوان و يزين ذلك كله مشيه فيها لين و دلال فيه سحر.

و البحترى فى غزله كان حسيا يتطلب اللذه و المتعه. بل انه فى المواقف التى تثير الحزن ينفعل إذا كان فيها مكان لمتعه.

و قد ضمنا وشك التلاقى و لفنا عناق على أعناقنا ثم ضيق

فلم تر إلا مخبرا عن صبابه بشكوى و إلا عبره تترقرقى

فأحسن بنا و الدمع بالدمع و أشج تمازجه و الخد بالخد ملصق

و من قبل قبل التشاكي و بعده نكاد بها من شده الوجد نشرق

فلو فهم الناس التلاقى و حسنه لحب من أجل التلاقى التفرق

فقد انسته لذه العناق قسوه الفراق! و ربما كان حب اللذه عنده هو السبب الذى غيب مسحه الحزن عن غزله بشكل عام.

هذا إلى عواطف اخرى كثيره حدثنا عنها فى شعره فصور لنا كيف يعشق الحبيب مع هجره و دلاله، بل كيف يتفانى المرء فى حب حبيبه و كيف ان الحبيب فى نظر من يحبه أجمل مخلوق يراه. و كيف يتدلل الحبيب و يغضب ان شكا إليه قسوته و عنف حبه و كيف ان النفس التواقه إلى الجمال يشوقها الجمال دائما فتتلمسه فى كل مكان و كيف يتدلل المحب لحبيبه و يخضع له و يستعطفه و ان كان هو الجانى المذنب و كيف أن الحب للحبيب الأول مهما طال الزمان إلى آخر ما هو هنالك من شئون المحيين و شجونهم.

و يكثر فى غزل البحترى ذكر الطيف و الخيال حتى عرف به بين الشعراء. قال الحصرى: كان البحترى أكثر الناس ابداعا فى الخيال حتى صار لاشتهاره مثلا فيقال: له خيال البحترى.

و للبحترى بضع قطع أنشأها للغزل خاصة و لم يجعلها فاتحه مدح و هى قطع قصيره ذكر فى واحده منها ما لاقاه فى حب علوه. و فى قطعه ثانيه يحدثنا عن موعد ترقبه من علوه قبيل الصبح حتى إذا أقبلت ثم عليها المسك و العنبر. و فى قطعه ثالثه يحدثنا عن تمكن الهوى فى قلبه و ازدياد الحب جده و قوه فى نفسه بعد المشيب.

## الرتاء

اثر عن البحترى قوله: من تمام الوفاء أن تفضل المراثى المدائح و قد رثى البحترى ملكا و وزيرا و جماعه من القواد و جماعه أخرى من ذوى المناصب الكبيره فى الدوله كما رثى غلامه و قومه و شبابه.

و قد اختلفت الآراء فى تقويم رثاء البحترى فذهب البعض إلى أن البحترى ليس من المشهورين فى الرثاء و ان يكن له فيه ما يستطاب. و ذهب البعض الآخر إلى أن الصداقه كانت تقوم مقام الحب عند البحترى و انه كان يتأثر بوحياها فى بكاء أصدقائه و غلمانه و الأمراء الذين أحسنوا اليه و بالجمله فى شعره الرثائى فقد أوسع فى بكاء الصحب و الأيام و الديار. لقد كان

تعاظمت الحوادث حول حظى و شبت دون بغيتى الحروب

على حين استتم الوهن عظمى و أعطى فى ما احتكم المشيب...

أتوب من الاساءه ان ألت و اعرف من يسىء و لا يتوب

و فى مثل هذا الرثاء للنفس ينضاف لعناصر الإجاده فى رثاء الوليد عنصر انساني جديد و هو الإحساس بالكآبه و الحيره و الاضطراب. تلك المشاعر التى تسيطر على الإنسان و قد أخذ يدنو حيثنا من لحظات الغروب فى حياته. فالقرايه و الصداقه و المشاعر القويه و الشيخوخه إذن هى العناصر الإنسانيه المؤثره و الأنغام الشجيه الحزينه التى عزفها البحرى فى سمفونيته الرثائيه.

## الهجاء

و أقل بضاعه البحرى فى ديوانه الهجاء. و هنا يختلف صاحب الأغاني عن المرزبانى. فالأول يقص علينا سببا لذلك القصه التاليه نقلا- عن الأ-خفش عن أبى الغوث (ابن البحرى): ان الشاعر لما حضرته الوفاه دعا ابنه و قال له اجمع كل شىء قلته فى الهجاء ففعل: فأمره باحراقه. ثم قال له: يا بنى هذا شىء قلته فى وقت فشيت به غيظى. و كافات به قبيحا فعل بى. و قد انقضى أربى فى ذلك و ان بقى روى. و للناس أعقاب يورثونهم العداوه و الموده و أخشى ان يعود عليك من هذا شىء فى نفسك أو معاشك لا فائده لك فيه. قال فعلت انه نصحنى و أشفق على فأحرقته.

و يعقب على ذلك الأصفهانى بان: أكثر هجائه ساقط ركيك لا- شاكل طبعه و لا يليق بمذهبه و لا يعرف له هجاء جيد إلا قصيدتين إحداهما فى ابن أبى قماش و الثانيه فى يعقوب بن الفرج.

و قد سبقت الإشاره إلى ان المرزبانى نسب إلى البحرى سوء العهد و خبث الطريقه فى الهجاء لأنه هجا نحوا من أربعين رئيسا ممن مدحهم.

و مهما قلنا فى مذهب الهجائى فالهجاء و لا شك ضئيل فى ديوانه و الذى وصل إلينا منه لا يدل على علو كعب الشاعر فيه.

و مع ذلك فقد وصلنا من هجائه ما يزيد على ستين قطعه تقرؤها جميعها فتخرج بنتيجه واحده تلك هى ان البحرى شاعر غير مطبوع على الهجاء.

إلا فى القليل و ان الهجاء فن لم يجده البحرى و لم يتقن أسبابه إلا نادرا و انك تلمس فى هجائه ظاهرتين: إحداهما قصر نفسه فيه فجعل أهاجيه مقطوعات قصيره لا- تزيد غالبا على خمسه أبيات أو سته و كثيرا لا تزيد على البيتين و الثلاثه. و ليس قصر النفس وحده كافيا للدلاله على ضعف شاعرنا فى الهجاء بل يضاف اليه قله المعانى التى يحويها. و ثانيتهما صراحه هجائه فهو يدعو من يهجوه حمارا تاره و كلبا اخرى و ثورا حينا و ابن كلب حينا آخر.

و الهجاء القوى هو الذى يلجا إلى التهكم الباعث على السخريه بالمهجو فإذا لجا إلى المعانى المألوفه ادخل فيها ما يجعلها طريفه محبوبه.

و ربما كانت للشهره التي عرفها البحترى و للحظوه التي نالها عند الحكام إضافة إلى رغبته فى عدم الرد على الشعراء الذين هجوه كى لا- يتمادوا فى فعل ذلك و إتقانه فن العتاب و الاعتذار و كراهته ان يشهر بالهجاء كلها عوامل حالت بين البحترى و بين طول باعه فى الهجاء و حسنا فعل.

و إذا رجعنا إلى القطع التي أنشأها البحترى للهجاء خاصة وجدنا أسبابها تعود إلى خمسة أولها عدم إعطاء ممدوحيه له نوالا على شعره، ثانيها غيظه من الحجاب و ما كان يناله من تعجرفهم و سوء معاملتهم و ثالثها تعرض بعض الناس لشعره أحيانا بالنقد و أحيانا بالسرقة و رابعها عدم شكران الضيعة التي يؤديها هو إلى صحبه. و خامس الأسباب ألم النفس من حادثه خالفت الخلق و العاده أو أمر شذ عن الإجماع كما فى هجائه لأبى الدردام و المعلم الأعرج.

أما قصيده البحترى فى هجاء ابن أبى قماش و التي أعجب بها القدماء و المحدثون فمطلعها:

مرت على عزمها و لم تقف مبدية للشنان و الشنف

و هى تدور حول سخرية البحترى من الحسن بن أبى قماش لما كان من كلف جاريتيه بأحمد بن صالح بن شيرزاد الذى كان بدوره يعشقها و قد أخذها ابن أبى قماش إلى بيته. و كان ابن أبى قماش يدعى العلم بالتنجيم و قد أدار البحترى سخريته و تهكمه حول هذه العناصر. و اعتمد البحترى على أسلوب التهكم و السخرية و التصوير الكاريكاتورى فى إبراز مساوىء ابن أبى قماش و قبح منظره. و قد وفق فنيا فى هجائه لأنه لم يعمد إلى ما عرف عنه من الشتم الصريح و انما اعتمد على التلميح و السخرية اللادعه.

و هذه السخرية اللادعه المعتمده على الحقائق المتصله بابن أبى قماش فى عمله و ما عرف عنه من هوايه الفلك و الزيج و صداقته لأحمد بن صالح و ما كان من انصراف جاريتيه عنه إلى هذا الأخير كل ذلك اضفى على الهجاء فى تلك القصيده طابعا فنيا لا بأس به.

أما قصيدته الثانيه فهى هجاء يعقوب بن الفرج و مطلعها:

تظن شجونى لم تعتلج و قد خلج البين من قد خلج

و لعل هجاء الشاعر فى بنى ثوابه و بنى عبد الأعلى من هجائه القوى الذى لم يلجا فيه إلى القذف و السب و انما غلبت عليه روح السخرية المؤلمه و يبدو ذلك فى قصيدته التي مطلعها:

قصه التل فاسمعوها عجابه ان فى مثلها تطول الخطابه

و خلاصه القول - و لحسن حظ الشاعر فى الأغلب - انه كان خافت الصوت فى الهجاء. و كان عصره يكفيه روائع ابن الرومى فى هذا الميدان.

"أنا و أبو تمام حكيمان و الشاعر البحتري". عبارته نسبت إلى المتنبي فهل قصد أبو الطيب إلى تجريد نفسه و أبي تمام من الشعاريه و تجريد البحتري من الحكمه. أغلب الظن أن كلهم شاعر و كلهم حكيم و لكننا نقرأ حكمه البحتري عاريه و نقرأ شعر الآخرين حكمه و عللاً.

و كلمات البحتري فى الدنيا و الحياه و الموت كثيره و منتشره فى ثنايا ديوانه الفخم.

و للأستاذ صالح حسن اليزمى "قراءه" مميزه لقصيدتى البحتري فى وصف معركته مع الذئب و فى وصفه ايوان كسرى تستحق الاطلاع عليها فى معرض تبيان الأبعاد الحكيمه لهاتين القصيدتين لا سيما فيما يتعلق بشئون الإنسان و الحياه و الموت.

حيث يصبح الذئب رمزاً للمعوقات و الرعب و الشر فى هذا العالم و يصبح تماسك البحتري أمام ايوان كسرى مظهراً من مظاهر صراع الإنسان مع الدهر.

و على كل حال بالإمكان رؤيه نظرات البحتري الحكيمه المتعمقه مبثوثه

ص: ٣١٨



فى الكثر من قصائد الديوآن. و له آبيآ عرفآ و اشتهرت و آخذها عنه شعراء آآرون من مثل قوله:

ليس يحلو وجودك الشىء تبغيه التماسا حتى يعز طلابه و قوله:

إذا المرء لم تبدهك بالحزم كله قريحته لم تغن عنك تجاربه

و قوله:

و أحب آفاق البلاد إلى الفتى ارض ينال بها كريم المطلب

و قوله:

متى اخرجت ذا كرم تخطى إليك ببعض أخلاق اللئيم

و قوله:

ما كان فى عقلاء الناس لى أمل فكيف أملت خيرا فى المجانين

و قوله:

متى أرت الدنيا نباهه خامل فلا ترتقب إلا خمول نبيه

كما نراه فى قصيده قالها فى صاعد بن مخلد مطلعها:

معاد من الأيام تعذبينا بها و أبعادها بالألف بعد اقترابها

يصور الحياه تصوير معاناه و تجريب:

متى تستزد فضلا من العمر تغترف بجلبك من شهد الخطوب و صابها

تشذ بنا الدنيا بأخفض سعيها و غول الأفاعى بله من لعابها

يسر بعمران الديار مضلل و عمرانها مستأنف من خرابها

و لم ارتض الدنيا أوان مجيئها فكيف ارتضائها أوان ذهابها

و هل أنت فى مرسومه طال آخذها من الأرض إلا حفنه من ترابها

و من يفتش عن الحكمه فى شعر البحترى يجدها و ان لم يكن باعه طويلا فيها كأبى تمام أو المتنبى.

## الخصائص العامة لشعر البحترى

كلفتمونا حدود منطقكم فى الشعر يلغى عن صدقه كذبه

و لم يكن ذو القروح يلهج بالمنطق ما نوعه و ما سببه

و الشعر لمح تكفى إشارته و ليس بالهذر طولت خطبه...

و اللفظ حلى المعنى و ليس يريك الصفر حسنا يريكه ذهبه

هذه الأبيات الواردة فى قصيده البحترى التى مطلعها:

لا الدهر مستنفد و لا عجبه تسومنا الخسف كله نوبه

تبين لنا إلى حد بعيد نظريه البحترى فى الشعر، بخاصه إذا تذكرنا انه كان معاصرا لأبى تمام و ابن الرومى. فقد نشأ البحترى نشأه بسيطه فى عشيره بحتر الطائيه فلم يتثقف بالثقافات الفلسفيه و غير الفلسفيه التى عاصرتة و ظل ذوقه فى جملته لا يابه للتنميق المسرف كما ظل يفهم الشعر على انه طبع و موهبه. و عبر الأمدى عن ذلك بقوله: انه أعرابى الشعر مطبوع و على مذهب الأوائل و ما فارق عمود الشعر المعروف.

و على الرغم من لقاء الشاعر لأبى تمام و روايته لشعره نجده يقف فى الصف المقابل له فى صناعه الشعر و فهمه. فقد كان يقف فى صف "الصانعين" من أمثال بشار و أبى نواس بينما كان يقف أبو تمام فى صف "المصنعين" من أمثال مسلم بن الوليد بل لقد بلغ عنده مذهب التصنيع غايته من التنميق العقلى و التأنق اللفظى. و كان البحترى لم يستطع أن ينهض بما أداه أبو تمام للشعر من صناعه و زخرف.

كان البحترى يستخدم أحيانا بعض أدوات التصنيع و لكن فى يسر و سهوله و دون أن يعقد فيها كما نرى عند جماعه المصنعين فهو من أصحاب الصنعه و هو لذلك لا يستطيع أن ينهض بشعره إلى الغايه التى حققها أصحاب التصنيع.

لقد استخدم البحترى التصوير و الجناس و الطباق و لكنه استخدم ساذج يخالف استخدام أبى تمام له. فقد كان أبو تمام يستخدم الطباق استخداما فلسفيا و هذا ما يفرق بين طباقه و طباق البحترى. لم يكن البحترى يعتمد فى شعره على فلسفه و ثقافه يعقدان فى أدواته و كان يعرف ذلك من نفسه و عبر عنه بالأبيات التى سبق و ذكرناها. و مع ذلك فان دراسه شعر البحترى تثبت انه حاول استيعاب الوسائل الحديثه فى صناعته من الطباق و الجناس و التصوير إلا انه لا يستطيع أن يستخدم الأداة العقليه الخالصه أداه المنطق و الفلسفه لأنه ليس من أهل المنطق و لا من أهل الفلسفه. و نجد دائما شيئا من المنطق ينقص البحترى فى فنه. فإذا نظرنا فى صياغته فاننا نراه لا يعنى بتنسيق أفكاره و ترتيب معانيه ترتيبا منطقيا دقيقا. و بون بعيد جدا بينه و بين شاعر كأبى تمام فى هذا الجانب فانك تحس عند الأخير بوحده القصيده واضحه كما تحس بتسلسل الأفكار. أما عند البحترى فانك ترى دائما خنادق و ممرات بين أبياته. و تتبع الباقلانى عنده هذه الظاهره فى قصيدته:

أهلاً بذكلم الخيال المقبل فعل الذى نهواه أو لم يفعل

و لاحظ أن التسلسل المنطقى فيها مضطرب و أن التفكير فيها غير منتظم و ذكر غيره من النقاد أن البحترى لا يحسن الخروج من موضوع إلى موضوع فى الشعر و انه يجنح دائما إلى ما يسميه ابن رشيق طفرا و انقطاعا.

امتاز البحترى بوجوده المطلع و جوده المنتهى. فمطالعه أول ما تطرق أذن سامعه و أغلب مطالعه فى الغزل و النسيب. و قد يكون المطلع نظرات فى الحياه. و ربما بدأ غرضه من غير مقدمات. و البحترى ياتى بأكثر مطالعه مصرعه يماثل آخر حرف فى الشطر الأول آخر حرف فى الشطر الثانى. و قد ياتى بذلك التصريح مرتين أو أكثر فى القصيده الواحده. و هذا الأمر إضافة إلى حرص شديد على الموسيقى الداخليه فى الشعر. و ما تستتبعه من المشاكلة بين الألفاظ و المعانى و التوافق الصوتى بين الحروف و الحركات و الكلمات حتى لكأنه يوفى وقته جميعه للصوت فهو يطلق الموسيقى و يدعها تؤثر فى أعصابنا كما يريد و يشتهى. هذا كله دفع البعض إلى القول انه "أراد أن يشعر فغنى" أو أن شعره "سلاسل الذهب" أو "...و أما الشاعر فالبحترى".

و إذا كان البحترى مجيدا فى المطلع و مجيدا فى المقطع فإنه غير مجيد

فى انتقاله من الغزل إلى الغرض الذى يقصده من الشعر بل هو على وجه الإجمال مغتصب ينتقل طفره واحده من الغزل إلى غيره فهو لا- يحسن التخلص إلا- نادرا. و لعل كثيرا من سوء التخلص يعود إلى أن كثيرا من غزل البحترى فى مقدمات قصائده كان غزلا- مقصودا لذاته. يرسم فيه عواطفه و احساس نفسه فكانت القصيده فى الواقع كأنها مركبه من قصيدتين. واحده يفرغ فيها عواطفه فى الغزل و أخرى لغرض المدح أو غيره من الأغراض.

و قد اتبع البحترى أبا تمام فى استعمال البديع فى الشعر و لكنه لم يفرط فى هذا الاستعمال و عدل فى أكثر أحواله إلى الصوت و الصنعه فى الموسيقى لأنها الجانب القديم الذى يستطيع أن ينميه دون حاجه إلى ثقافه أو فلسفه. و هو على كل حال مع اقتدائه بأبى تمام لم يكن يتعمد إدخال البديع فى شعره تعمدا. و لكن إذا هيئت له فرصه استعمال البديع استعمله بلا إفراط.

و شعر البحترى متسق فى تركيبه متناسب فى أسلوبه لا نلاحظ فى قصيدته تباينا قويا بين أبياتها فى القوه و الضعف بمعنى انه لا يرتفع ارتفاعا قويا فى بعض أجزاء قصيدته ثم ينحط انحطاطا معيبا فى الأجزاء الأخرى بل يسير على مستوى واحد. و هو مع تناسب أسلوبه جميل فى هذا التناسب.

و البحترى لم يشتهر فى شىء شهرته بجمال الأسلوب و موسيقاه.

كما كان حريصا على الابتعاد عن حوشى اللفظ و غريبه و ان كنا لا ننكر انه استخدم بعض الألفاظ القليله الاستعمال و بعض الألفاظ الوحشيه الثقيله و حتى بعض الكلمات الأعجميه و لكنها قليله نادره لا تكاد تذكر.

و خلاصه القول ان نتاج البحترى هو نتاج بدوى تلفع برداء الحضاره.

فهو بدوى أعرابى رحل إلى المدينه و تحضر. و لكن هذا التحضر لم يتغلغل "فى عقله و لم ينفذ إلى اعماق نفسه فلم يستطيع أن يستخدم الثقافه فى عمله كما انه لم يستطيع التعقيد فى أدوات حرفته.

## البحترى شاعر الأطياف

و نترك الكلام هنا للدكتور حسين عطوان:

لم يكن وصف الطيف من الموضوعات الأساسيه فى الشعر العربى من الجاهليه حتى أواخر العصر العباسى الأول، و انما كان موضوعا ثانويا ياتى لماما فى أوائل القصائد أو فى تضاعيفها، ثم أخذ الشعراء بمعانيه، مرددين أن أطياف صواحبهم تزورهم فى النوم و تؤرقهم، عاجبين من اهتدائها إليهم على بعد ما يفصل بينهم و بين محبوباتهم من المسافات البعيده، و الطرق الوعره و المسالك الخفيه.

و ينهض البحترى فى العصر العباسى الثانى بهذا الوصف نهضه واسع و رائع، إذ أكثر من افتتاح قصائده به، كما بث خطوطا منه فى غير قليل من قصائده. على أن البحترى لم يستكثر من وصف الطيف فحسب بل أفتن افتنانا عظيما فى توليد معانيه، و استنباط اللطيف و الطريف منها، بحيث لفت أنظار القدماء، و جعلهم يسلمون له بأنه السابق فى هذا الميدان، دون منازع.

يقول أبو علي القالى: " هو أحد المحسنين فى القول فى طروق الخيال حتى قيل طيف البحرى".

و يقول الحصرى القيروانى: " كان البحرى أكثر الناس ابداعا فى الخيال، حتى صار لاشتهاره مثلا يقال له طيف البحرى".

و يقول الآمدى: " أما البحرى فإنه أولع بذكر الخيال فقال فيه و أكثر و أجاد و أبدع، و تصرف فى معان لم يأت أحد بمثلها، و استفتح قصائد كثيره بذكر الخيال لشده شغفه به، فأحسن فى ابتداءاته كلها، و زاد على الإحسان".

و يقول ابن رشيق القيروانى: " البحرى أرق الناس نسيبا، و أملحهم طريقه، لا سيما إذا ذكر الطيف، فإنه الباب الذى شهر به".

و يقول الشريف المرتضى: " كان البحرى متيما بالقول فى الطيف، فأكثر فيه، و أغزر منه، مع تجويد و إحسان و افتنان. و تصرف فيه تصرف المالكين، و تمكن القادرين". و يقول مره أخرى: " لأبى عباده فى وصف الخيال الفضل على كل متقدم و متأخر، فإنه تغلغل فى أوصافه، و اهتدى من معانيه إلى ما لا يوجد لغيره. و كان مشغولا بتكرار القول فيه، لهجا بإبدائه و إعادته.

و إذا نظرنا فى قصائده وجدنا فيها خير دليل على ذلك، إذ يلقانا تصويره اللطيف فى مقدماتها، و فى أثنائها، و هو حينما يحافظ فيه على المعانى الجاهليه، و الصور القديمه الموروثة من ذكر الليل و السرى و السهول، و الحزون و الوديان، عاجبا من اهتداء طيف صاحبه اليه، و متمنيا لوزارته على الحقيقه، و هدأت بزيارتها له نفسه التأثره، و أطفات أشواقه المضطرمه، على ما نرى فى قوله بمطلع قصيدته الهمزيه فى مديح عيسى بن إبراهيم.

طيف الحبيب ألم من عدوائه و بعيد موقع أرضه و سمائه

جزع اللوى عجلا و وجه مسرعا من حزن أبرقه إلى جرعائه

يهدى السلام و فى اهتداء خياله من بعده عجب و فى إهدائه

لوزار فى غير الكرى لشفاك من جبل الغرام و من جوى برحائه

فهو يستقصى استقصاء دقيقا الأماكن التى مر بها الطيف حتى انتهى اليه. فقد سرى اليه من مكان بعيد، مجتازا فى سرعه مناطق مختلفه:

كثبانا من الرمل، إلى تلال و مرتفعات تغطيها حجاره صغيره منشوره فوقها، حتى وصل إلى غايته فى أرض مبسوطه مستويه. و يعجب منه كيف قطع تلك الأميال الطويله لكى يلم به و يحييه، و يود لو ألم به فى غير النوم لكى يخفف ما به من الوجد الشديد، و الشوق المتقدم. و من هذا النوع قوله فى صدر مدحته للفتح بن خاقان:

أجدك ما ينفك يسرى لزينبا خيال إذا آب الظلام تأوبا

سرى من أعالى الشام يجلبه الكرى هبوب نسيم الروض تجلبه الصبا

و ما زارنى إلا ولهت صبابه إليه و إلا قلت أهلا و مرحبا

و ليلتنا بالجزع بات مساعفا يرينى أناه الخطو ناعمه الصبا

و لو كان حقا ما أتته لأطفات غليلا و لا فتلت أسيرا معذبا

فقد أصبح ليله شرکه بين الاغفاء و بين طيف محبوبته، إذ لا يكاد الليل يرخى استاره، و لا يكاد هو يأخذ فى النوم حتى يطير إليه طيفها طيرانا، و كأنما الليل قطب يجذبه إليه، و يدنيه منه، كما يقترن النسيم العليل بريح الصبا. فيرحب به، و يسلم عليه، و تهدأ نفسه قليلا. غير أنه سرعان ما ينتبه إلى أنه يعيش فى غرور و زور، و أن خيالها هو الذى ألم به دونها.

ص: ٣٢٠

فالخيال دائما يطيف به، غير انه لا يسد مسد الزياره الحقيقيه، و هو فى الغالب يصف سراه و ما قطع من القفار، و مجاهل الأرض حتى اهتدى اليه، كما يحدد الوقت الذى يزوره فيه، و هو آخر الليل.

و تلك هى بعض المعانى التقليديه، و الصور البدويه التى عنى بها و أذاعها فى كثير من مقدمات قصائده التى وصف فيها الطيف. غير أن له معانى عديده مبتدعه، و صوراً مخترعه، و لعل من أدل الشواهد على ذلك هذه الأبيات التى قدم بها لقصيدهته التائيه فى الافتخار بنفسه، و عتاب قوم من أهل بلده، و التى تناسب على هذا النمط:

أحِبُّ إلى بطيف سعدى الآتى و طروقه فى أعجب الأوقات

أنى اهتديت لمحرمين تصوبوا لسفوح مكه من ربي عرفات

ذكرتنا عهد الشام و عيشنا بين القنان السود و الهضبات

إذ أنت شكل مخالف و موافق و الدهر فيك ممانع و موات

لولا مكائره الهموم و نحتها من جانبي لكنت من حاجاتي

و هذا معنى جديد تتمثل جدته فى متابعه خيال صاحبتة له و ملاحظته إياه حتى فى أيام حجه، و وقت إحرامه، إذ سرى اليه من بلده بالشام و ما زال يجوب الفلوات حتى وقع عليه و هو فى ثياب الإحرام، يؤدى مناسك الحج التى فرغ من أداء بعضها فى عرفات، و انحدر لكى يكمل سائرهما. و لا يتمادى معه فى الوصال و العبث، بل يبعث فى نفسه الحنين إلى موطنه، و إلى أيامه التى قضاها بين سهوله و قلال جباله، و يشغل عنه بالبعد و الغربه و الهموم المطبقه.

و قد أفاض الآمدى فى الثناء على الأبيات، حتى فضلها على أبيات قيس بن الخطيم المشهوره المذكوره التى أولها:

إنى سربت و كنت غير سرور و تقرب الأحلام غير قريب

و مثل ذلك المعنى فى الجده و الطرافه قوله:

قد كان طيفك مره يغرى بى يعتاد ركبي طارقاً و ركابى

فالآن ما يزدار غير مغبه و من الصدود زياره الاغباب

فقد كان خيالها فى أول الأمر يسرى اليه، و لا ينقطع عنه، غير انه لم يلبث ان ابتعد عنه، و لكنه لم يهجره هجراً متصلاً، و إنما أخذ يزوره فى الحين الطويل بعد الحين. أ رأيت اليه كيف يتلاعب بالألفاظ؟ أ رأيت اليه كيف يفتن فى استخراج المعانى؟ أما قوله:

" و من الصدود زياره الاغباب "

. فمن أطف الكلام، و أشده وصولا إلى كل قلب، كما يقول الشريف المرتضى.

و أغرب من هذا المعنى و أطرف قوله:

أما الخيال فإنه لم يطرق إلا بعقب تشوق و تشوق

قد زار من بعد فبرد من حشا ضرم و سكن من فؤاد مقلق

و لربما كان الكرى سببا لنا بعد الفراق إلى اللقاء فنلتقى

فقد فصل بينه و بين صاحبه، و انعدمت الوسائل إلى الوصل بينهما، و لم يعد له حيله الا أن يهيج نفسه لعلها تنام قليلا، فيزوره طيفها، و يظل يغالب نفسه حتى أخذتها سنه من النوم، و إذا خيالها يطيف به، و يبيل صداه. على أن البيت الثالث، هو الذى جود فيه غايه التجويد، إذ جعل النوم سببا للوصل بينه و بين محبوبته بخيالها الذى يزوره و يحقق له اللقاء بها. و من أجل ذلك قال الشريف المرتضى: أن لهذا البيت ما شاء الله من قبول و حلاوه و طلاوه:

و من معانيه المبتكره قوله:

أجدك إن لمات الخيال لمذكرتى بأيام الوصال

تؤرقنى إذا الرقباء ناموا أناه الخطوفاته الدلال

فكثيرا ما صرح الشعراء بان أطياف محبوباتهم تلم بهم، و تذكرهم بالأيام الخاليه، و لكن فى أعماق الصحراء، و بعد نوم الرفاق. أما هو فيزوره طيف صاحبه، لا بعد أن يهجع أصدقاؤه، بل بعد أن يغط فى النوم غطيظا رقباءه.

و لم تقتصر محاولاته على ابتداع المعانى، بل حاول اختراع الصور النادره الغريبه، و من ذلك قوله:

أهلا بذككم الخيال المقبل فعل الذى نهواه أو لم يفعل

برق سرى من بطن وجره فاهتدت بسناه أعناق الركاب الضلل

فقد جعل طيف محبوبته قيسا من نور يتوهج، و بيدد ظلمات الليل، و لا يضىء دروب الصحراء لنفسه فحسب، بل أيضا للقوافل الضاربه فى جوف الصحراء، و السائره على غير هدى، فإذا هى تهتدى بنوره الساطع، و لا تضل طريقها. و إذا أبو بكر الباقلانى على تعصبه ضد الشعراء لا يملك إلا أن يقول مستحسنا لصنيعه هذا و مثنيا عليه: "هذا البيت عظيم الموقع فى البهجه، و بديع المأخذ، حسن الرواء، أنيق المنظر و المسمع، يملأ القلب و الفهم، و يفرح خاطر، و تسرى بشاشته فى العروق، و كان البحترى يسمى نحو هذه الأبيات عروق الذهب".

و لعل من أروع مقدمات قصائده التى تظهر فيها مقدرته على وصف الطيف، و تفريعه فى معانيه، و ابتداعه فى تصويره قوله:



بت أبدى وجدا و أكتم وجدا لخيال من البخيله يهدى  
أقسم الظن فيه أنى تحظى الرمل و من عالج و أنى تهدي  
خطا ما أزارناه طروقا أم توخيه للزياره عمدا  
جاء يسرى فأشرق أرض نجد لسراه و واصل الغيث نجدا  
لا تخيب البلاد تخطر فيها رسل الشوق من خيالات سعدي  
وعدتنا فما وقت بوصول و وقت حين أوعدت أن تصدا  
قرب الطيف متواها فأصبحت حديثا بناقض العهد عهدا

ص: ٣٢١

سكن لى إذا دنا ازداد ليانا و بعدا فازددت بالقرب بعدا

إذ تتضح فيه براعته فى تشقيق المعانى، و عرضه لها باعذب الألفاظ و أسهلها، على قلتها، و على تناوب الشعراء عليها، و على فتنته بها، و كثره ترجيعه لها، دون أن تغمض معانيه، أو يلتوى أسلوبه، فضلا عن المعانى الطريفه التى كان يستخرجها، و الصور اللطيفه التى كان يرسمها، كذلك الضوء الذى نشره طيف صاحبه على أرض نجد لمروره بها، و ذلك المطر الذى انهل عليها لاجتيازه إياها، و ذلك الخيال الذى جعله رسول الشوق يحمل معه الخير و البركه للأماكن التى يسير فيها.

و له بعد ذلك أوصاف كثيره للطيف تفوق فى كثرتها و فى جده معانيها و دقه صورها ما لغيره من الشعراء السابقين و المعاصرين له، بحيث نستطيع أن نسميه شاعر الطيف فى العريبه، فقد حقق لوصفه مجموعه من التقاليد الفنيه، و أصلها، من مثل تحديد الساعه التى يلم الطيف فيها، و المسافه التى يقطعها بين أنجاد و أغوار، إلى مفارز و قفار، و من مثل ترقبه له، و انتظاره إياه، و من مثل وصفه له بأنه يبدل فى النوم ما يضمن به فى اليقظه، و مدحه بأنه يعلل المشتاق، و ذمه بأنه سريع الزوال، و شيك الانتقال، و أنه يهيج الشوق الساكن، و يضرم الوجد الخامد، إلى غير ذلك من المعانى التى ردها و التى وجد الشريف المرتضى فيها ماده غزيره أقام عليها جزءا كبيرا من كتابه: "طيف الخيال".

### أبو تراب يحيى بن إبراهيم بن أبي تراب الكرخى اللوزى

(١).

وصفه الذهبى فى الصفحه ٦٣ من الجزء ٢٢ من كتابه (سير اعلام النبلاء): بالشافعى الرافضى و قال فى ترجمته:

ولد سنه ست و عشرين و خمس مائه و تفقه على أبى الحسن بن الخل و سمع من الارموى و الكروخى و أبى الوقت و جماعه. و حدث بدمشق و بغداد. روى عنه ابن الديبى [الديبى] و ابن خليل و القوصى، فقال القوصى: أخبرنا المفتى قوام الدين يحيى معيد العماد الكاتب، أخبرنا ابن الزاغونى - فذكر حديثا.

و قال ابن نقطه: دخلت عليه سنه سبع و ست مائه فرأيتة مختلا، زعم أن الملائكه تنزل عليه بثياب خضر، فى هذيان طويل، و حدثنى بعض أصحابنا انه كان إذا ضجر لما قرئ عليه الترمذى يشتمهم بفحش.

و حدثنى ابن هلاله قال: دخلت على أبى تراب فقال: من اين أنت؟ قلت من المغرب، فبكى، و قال: لا- رضى الله عن صلاح الدين ذاك فساد الدين، أخرج الخلفاء من مصر، و جعل يسبه فقامت.

مات فى شعبان سنه اربع عشره و ست مائه (انتهى).

و لا ندرى كيف يجمع الذهبى بين صفه (الشافعى) و صفه (الرافضى). و إذا كان مختلا فكيف يجالسونه و يقرءون عليه، و إذا كان يشتم تلاميذه بفحش فكيف يستمرون فى القراءه عليه؟! و ما دام الرجل شيعيا فيجب ان لا نستغرب اى قول يقال فيه لا سيما من الذهبى.

## أبو جعفر يحيى بن أبي زيد العلوي النقيب.

مر الحديث عنه في المجلد العاشر و نزيد هنا على ذلك ما يلي مكتوبا بقلم الدكتور مصطفى جواد.

نبغ بالبصره في القرن السادس للهجره بيت من البيوتات العلويه الحسينيه، كانوا يعرفون بنبي أبي زيد و أبو زيد هذا هو محمد بن أبي عياش أحمد بن أبي علي عبيد الله بن أبي الحسن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع).

اشتهر هؤلاء بالعلم و الفضل و جمعوا إلى شرف السيادة العلويه شرف العلم، و جمال الأدب، و البصره و ان لم تكن مدينه علويه الهوى استطاع أن يثور فيها على المنصور إبراهيم بن عبد الله الحسنى قتيل باخمري(٢) و أن يخرج فيها على بنى العباس باسم العلويين علي بن محمد صاحب الزنج و أول محرر لهم في الشرق، و العلوي بطبيعته و سياسته يندر أن لا يكون متشيعا أو قائلا بالإمامه المنصوصه و الخلافه الموروثة.

و بنو أبي زيد العلويون البصريون كانوا كما يستبين لنا زبيدين، و قد نبغ منهم في أواسط القرن السادس "قطب الدين أبو طالب محمد بن محمد بن محمد بن علي بن أبي زيد المذكور آنفا" و كان مولده بالبصره في خلافه المقتدى بامر الله العباسي و سلطنه ملك شاه السلجوقي، و نشا هناك نشاه الساده الأشراف و كان شيخ الأدب بالبصره أبو محمد القاسم الحريري مؤلف المقامات الخياليه و شيخ الأدب في سواد البصره أبو القاسم عبد الله بن محمد الخوارزمي المعروف بالكامل مؤلف كتاب "الرحل" و هي المقامات الحقيقيه و كتاب "الفصول" في الأدب.

و لعل الشريف أبا طالب محمد بن أبي زيد هذا قرأ المقامات أو سمعها على مؤلفها الحريري، و للقراءه و السماع على المؤلف شان عظيم في دراسه القوم في تلك العصور، و أقبل الشريف على كتب الحديث يسمعها على الشيوخ الثقات، فقد سمع كتاب "سنن أبي داود" سليمان بن أشعث السجستاني، و هو من أمهات كتب السنه، على الشيخ أبي علي محمد بن أحمد التستري، أحد التجار البحريين بالبصره، ممن جمع بين بضاعه الدنيا و الآخره، و ذلك أنه كانت له ثروه و مراكب في البحر و حفظ القرآن الكريم و سمع الحديث النبوي الشريف و كان حسن العقيدته، صحيح السماع موثوقا بروايته - على ما ذكر بعض المؤرخين - توفي سنه "٤٧٩".

كان عمر الشريف أبي طالب بن أبي زيد عشر سنين حين بدأ بسماع كتاب السنن على أبي علي التستري و لعل هذا الشيخ الثقه مرض في أثناء حضور الشريف مجالسه الحديثيه، فقد علمنا أن الشريف المذكور روى عنه الجزء الأول سماعا أى سمعه عليه حضورا و روى الجزء الثاني إجازة فقد أجاز له التستري روايته عنه، و الإجازة عندهم من نوع الهبات العلميه تستدعيها الثقه بالتلميذ قبل كل شىء، و لم يكن الشريف قد بلغ من العمر و الدرايه ما يستحق الثقه، و لذلك ظننا أن خوف الموت هو الذى استخراج هذه الهبه الثمينه، و أن مرض التستري هو الذى رشح الشريف لذلك.

و سمع الحديث أيضا على الشيخ أبي طاهر محمد بن علي بن العلاف من مشهورى المحدثين هو و أبوه و جده، و سمع أيضا على الشيخ أبي طاهر جعفر بن محمد القرشى العباداني، و كان شيخا صالحا إلا أنه كان أميا توفي سنه "٤٩٣" هـ بالبصره، و أهل الحديث في ذلك الزمان ينظرون إلى عمر الشيخ و ما سمعه من الكتب، و الصدق و الاستقامه و لا يلتفتون إلى الأميه و لا إلى

الثقافه و لا إلى غيرهما.

و سمع الشريف أبو طالب على غير هؤلاء الشيوخ و برع فى الفنون الإسلاميه و ظهر فضله و اشتهرت معرفته، و ولى نقابه الطالبين بالبصره، فى أيام نقيب نقبائهم أبى عبد الله أحمد بن على بن المعمر العلوى الحسينى

ص: ٣٢٢

---

١- نسبه إلى محله اللويزيه محله مشهوره كانت بشرقى بغداد.

٢- باخمري قريه كانت قرب الكوفه جرت عندها الوقعه بين الجيشين جيش إبراهيم و جيش المنصور سنه ١٤٤ هـ.

المتوفى سنة "٥٦٩" المدفون بالمدائن "سلمان باك" في مشهد أولاد الحسن بن علي (ع).

كانت الطبقات المتميزه(١) الارسطقراطية في ذلك العصر "ثلاثا:

طبقه العباسيين و طبقه العلويين و من جرى مجراهم من آل أبي طالب و طبقه الأنصار و لكل منها نقيب عام يقيم ببغداد عاصمه الخلافه العباسيه، و لكل من هؤلاء أعوان من النقباء في المدن و البلدان و القرى و المشاهد، فكان الشريف أبو طالب محمد بن أبي زيد يتولى اداره أمور العلويين بالبصره و يرعى مصالحهم، و من يقرأ التوقيع "الأمر الادارى" الذى يكتب لنقيب من النقباء يعلم أن منصب النقباه كان خطيرا كبيرا كثير الشواغل و المهمات، فهو مثل ما سمي بالامتيازات "التميزات" الأجنبيه في الشرق للدول الأجنبيه.

و كان الشريف أبو طالب مع ما يستحقه منصبه العظيم من الزماته و الوقار، ظريفا مطبوعا، خفيف الروح، حسن التصرف بالأحاديث حتى أتهم بالترديد و "ما مالت الأشراف تهجى و تمدح". و قد ذاع صيته بالعلم و الفضل فاستقدمه الوزير الكبير بل سيد الوزراء عون الدين أبو المظفر يحيى بن هبيرة الحنبلى، وزير الخليفه المقتفى لأمر الله و ابنه المستنجد بالله إلى بغداد و سمع عليه كتاب "سنن" السجستاني، و رحل اليه رحله طويله أبو الفتح بن المصرى فسمع عليه سنن السجستاني المذكوره و رواها عنه ببلاده، و طبقت شهرته الآفاق و تلفعت روايته على العراق و غير العراق، و ممن روى عنه الامام برهان الدين نصر بن محمد بن العمري البغدادي الحنبلى المقرئ المحدث المشهور. و منحه الله تعالى عمرا طويلا و روايه المعمرين عند طلاب الحديث هي الإكسير الأكبر في علم الحديث.

و روى عنه الشيخ الصالح أبو منصور سعيد بن أحمد بن علي المعروف بابن محاوش البصرى المالكي سنن أبي داود. و كما برع الشريف أبو طالب في الاداره و النقباه و الروايه و الدرايه فكذلك مهر في الكتابه، و مما وجدنا له من ترسله تهنئه بعث بها إلى بعض الوزراء و لعله عون الدين بن هبيرة المذكور يقول فيها:

"أسعد الله حضرته بهذا الموسم الشريف و لا- زالت كعبه تحجها شفاه التهاني و لا زالت أبوابه الساميه للرعايا مراد الأمانى، و ثغور الإسلام مؤيده محروسه بشريف آرائه، و شرور الأعوام محبوسه بمجدد آلائه، ما سرت نسمة و ما ابتسم الزهر بروض يبكى عليه الغمام".

و في شهر ربيع الأول من سنة "٥٦٠" ه توفى الشريف السيد أبو طالب محمد بن محمد بن أبي زيد بالبصره عن احدى و تسعين، و خلف من الذكور - على ما وصل اليه علمنا - عبد الباقي بن محمد بن أبي زيد و شرف الدين أبا جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد، و هو الذى عقدنا هذه الترجمة في الاعراب عن فضائله و مجمل سيرته، و قد أوأنا إلى ذلك من قبل و لعله كان أسن من أخيه.

ولد أبو جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد هذا بالبصره سنة "٥٤٨" في السنه الأولى من استقلال الدوله العباسيه و خلاصها من كابوس السلطنه السلجوقيه، ولد في عهد الحريه و رجوع دوله العرب إليهم، في بيت ذى سياده عريضه و شرف و طا الله مقاعده و أحصف معاقده، و في كنف النقباه العلويه و الجاه الطالبى، و نشاه والده تنشئه الأشراف، و قرأ الأدب على أديب بصرى يعرف

بأبي محمد بن الأحمر الحماني، لا نعرف من حاله شيئاً كحال كثير من الأدباء الذين قصر التاريخ في أمرهم ولا سيما أدباء البصرة فليس لهذه المدينة العظيمة تاريخ يرجع إليه ولا تسجيل يعتمد عليه ولو لا خروج جماعه من الأدباء منها وخروج متأدين تأدبوا فيها ما وقع إلينا اسم أبي محمد بن الأحمر شيخ مترجمنا ولا غيره من أسماء أدباء البصرة، ولا نغني بذلك النادر كأبي محمد القاسم الحريري البصري، فإنه قد كان اشتهر شهره خرجت عن سلطان خمول البصرة، ومع ذلك قصد بغداد فطار صيته في العالم الإسلامي.

قلنا إن أبا جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد العلوي البصري درس الأدب بالبصرة ولا نستطيع أن نعين للقارئ الكتب التي قرأها أو سمعها تحت سمه "الأدب" فالدواوين الشعرية كديوان امرئ القيس وديوان الأعشى وديوان النابغة الذبياني وديوان الفرزدق وديوان جرير وديوان الأخطلكانت في مقدمه الدواوين التي قرأها أو سمعها هناك. ويدخل في الأدب الأخبار والأنساب، ففي الأخبار أيام العرب ومقاماتهم وأخلاقهم وعاداتهم ومجموع تواريخهم، والأنساب من أول ما يدرس العلوي من الفنون العربية في ذلك الزمان، فشرّف العلويين وجاههم وتميزهم على غيرهم واختصاصهم بعنايه الدوله واحترام الناس قائمه على الأنساب، نضيف إلى ذلك أن التاريخ ذكر أن هذا السيد الشريف درس كتاب "جمهره النسب" لابن الكلبي وسمعه على أحد الشيوخ ولعله ابن الأحمر المذكور، ولا نظننا مبعدين بان نقول إنه درس أدب الكاتب لابن قتيبه وأخبار البصرة لعمر بن شبة، وديوان بشار بن برد الشاعر البصري الرقيق المقتدر ومقامات الحريريفإنها على كونها كتابا بصريا كانت في أيام هذا الشريف قد أصبحت من أمهات كتب الأدب التي يدرسها المستأدب فيكتسب ثروه لغويه من مفرداتها و ثروه إنشائية من عبارتها، وكذلك القول في كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ و "الكامل" لأبي العباس المبرد، فهذان الكتابان إلى كونهما بصريين أيضا لم يؤلف مثلهما في هذا الفن، وكيف يهمل المتأدب البصري تأليفهما الأخرى كالحيوان للجاحظ والروضه للمبرد؟ وفي أيام صباه لمعت شخصيات أدبيه بالبصرة منهم فخر الدين أبو زيد المطهر بن سالار المشاني، أحد كبار الأدباء، وهو من تلاميذ الحريري ولتعليمه صنف المقامات وأخذ كنيته "أبا زيد" فركب المقامات عليها، ولكنه نسبه إلى "سروج" تعميّه لأمره، و ابنا الحريري أبو العباس محمد وأبو القاسم عبد الله ولكن عبد الله ترك البصرة وسكن بغداد، وشهاب الملك أبو المرتجى البصري والدكيشي أبو علي الحسن بن علي من عبد القيس ومحمد بن يحيى القرشي والفضل بن أحمد بن سلمان والكافي سناء الدوله وغيرهم ممن لا نحب الاطاله والإملال بذكر أسمائهم، ولم يذكر التاريخ صله للشريف أبي جعفر بهم، ولعل أكثرهم ماتوا و درجوا والشريف لم يذرف للشانیه عشره سن عمره. أما ابن ماري الطيب الأديب (٢) فقد كان معاصرا له.

و كنا ذكرنا قبل هذا أن للشريف أبي جعفر أخا اسمه عبد الباقي واسترجحنا أن يكون عبد الباقي أصغر من أخيه، والسبب في ذلك الاسترجاح أن أبا جعفر ولي نقابه الطالبين بالبصرة بعد وفاه أبيه سنه "٥٦٠" على عهد الخليفة الهمام المستنجد بالله وقد جرت العاده عند القوم أن يتولى الابن الأكبر ما كان يتولاه الأب ما لم يمنع ذلك مانع كالعنايه والآنه والجنون والفسق المشهود، على أن والده مات وعمره اثنتا عشره سنه.

وعنى أبو جعفر بالشعر وبرع في نظمه ومال إلى الأدب، زياده على ما استعده من آله النقابه كالفقه والخلاف والمقالات والجدل والأحكام".

- 
- ١- استمد هذا التميز من القرب من نسب الرسول (ص) و من الانتماء اليه و من خدمته اى خدمه الإسلام.
  - ٢- هو أبو العباس يحيى بن سعيد النصراني المعروف بابن ماري المسيحي، كان كاتباً أديباً شاعراً طيباً حكيماً مفتاً، يتكسب بالطب و الكتابه و يمدح الأكابر و الأعيان و له كتاب "المقامات الستين" المشهور، توفي بالبصره سنه "٥٨٩".

و الكلام، و ليس من شك في أنه استفاد كثيرا من أبيه أبي طالب محمد بن أبي زيد، فقد جاء في التاريخ أنه روى الحديث عنه و لكننا نستبعد أن يكون باشر النقابه بنفسه بعد أبيه و عمره اثنتا عشره سنه، ففي مثل هذه الحال يجب أن يكون له نائب يابرها بالوكاله.

و في أيام صباه كان أمير البصره كمشتكين أحد المماليك من الأتراك و كان أميرها قبل ذلك منكوبرس من الجنس المذكور، و لكن الخليفه المستنجد بالله أمر بقتله سنه "٥٥٩"، و اشتدت أطماع الأمراء في البصره فان الأمير ابن شنكا التركمانى و هو ابن أخى شمله التركمانى صاحب خوزستان "عربستان" قصد بجيشه البصره سنه "٥٦١" و نهب قراها و قتل كثيرا من جند أمير واسط حظلوبرس مؤسس المدرسه الحظلوبرسيه هناك، و أسر كثيرا، و في سنه "٥٦٢" عاد بجيشه إلى البصره و نهب البلد نفسه و خربه من الجهه الشرقيه، و عاث فسادا في بلدان اخرى من جنوبى العراق و في مثل هذه الأحوال يكون موقف النقباء و الخطباء و العلماء حرجا، فمنهم من ينقلب على دولته و ينصر العدو، فإذا هرب العدو في آخر الأمر فاما الهروب معه و أما التعرض لعقاب شديد، و منهم من يبقى على موالاته بين الأمن و الخوف. و لم يذكر التاريخ شيئا في هذا، فقد كان أبو جعفر صغيرا لا يتجاوز عمره ثلاث عشره سنه.

و كانت سنه "٥٧٥" مبدأ عصر عظيم في الدوله العباسيه، و كان للفرد الحاكم المسيطر في ذلك الزمان أثر بالغ في سيره الأمه و معيشتها و تقدمها أو تأخرها، ففي تلك السنه استخلف الامام أبو العباس احمد بن الحسن الملقب بالناصر لدين الله، ذلك الذى يكاد الباحث يجزم بأنه لم يل الخلافه خليفه عباسى مثله في الذكاء و فى السياسه و فى حقيقه السلطه و رعايه مصالح الدين و الأمه، و لا نريد أن نذكر فى هذه الموازنه غير الخلفاء العباسيين و ان كان لنا مجال فى ذلك.

لقد كانت مبايعته بالخلافه فاتحه العدل و الرخاء و الحكمه و التبرير و خاتمه عهد التعصب الشنيع و الحكم الفظيع، فقد اعترت الأمه فى عهد أبيه المستضىء المستضعف سكره الحيره و تردت بالخنوع و الخضوع و استمر عليها سوط العذاب و الظلم يبرح بظورها تبريحا، و نعم فى الدوله - كما هو الحال فى كل دوله أفلت شمسها و حل تعسها - رجال لا تستطيع أن تجد لهم من الأوصاف المنكره ما يعرب عن حقائقهم الخبيثه و أخلاقهم الشرسه الدنيئه، و هؤلاء و أمثالهم ليس لهم دواء الا التخليد فى السجون و إزاله شخوصهم الرذيله عن العيون، و الا السيف فهو الذى يريح البشريه بأقصر الطرق و أسلمها من النكس و العكس اللذين يريد أولئك المجرمون أن يعرفوها، فيشلاها، فتصبح شلاء بعد أن صحت و برئت من وحشيه الماضى و جفاء القدم. و لم يكد يستخلف هذا الامام الهمام حتى خمدت سوره الظلم و تطامنت الأشباح الهائله الهوله، و نكص الجور على عقبيه و تجددت حياه الأمه و انطلقت الأنفاس المكظومه و النفوس المزمومه و تنفس الحق كما يتنفس الصبح بعد ليله ليلاء، و تباشرت الوجوه بالهناءه و الرخاء، و انتقم الشعب من جماعه من القوم الذين كانوا يسومون خسفا و يحكمون فيه عسفا و يقتلون فيه و يصلبون و يحرقون، كان نيرون روما قد حل فيهم أو كان كلا منهم قد استحج أو استزيد(١)، و تفرعن و طغا و تجبر.

و كان أبو جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد نقيب البصره فى الوفود التى وفدت على الخليفه الجديد، تهنته بالخلافه و تعزیه عن الخليفه الفقيده، و كان أدبه قد ذهب فى البلاد كل مذهب و شرق شعره و غرب، فقال فيما قال من المدحه التى مدح بها الخليفه فى اليوم الثالث من البيعه و قد رخصت الأسعار و هطلت الأمطار:

و ليت و عام الناس أحمر ما حل فجدت و جاد الغيث و انقشع المحل



و كم لك من نعماء ليس بمدرك لها حاسب إلا إذا حسب الرمل؟!

و انما قال ذلك لأن عاده الخلفه و رسومها قد جرت منذ عصور بان يخلع على الوفود و الرسل المهنيين و البطانه و الحاشيه و غيرهم فى أيام المبايعات و المواسم و الأعياد، و يعطوا من المال مبالغ تبلغ آلاف دنانير أحيانا، فهذا تأويل قوله

" و كم لك من نعماء ليس بمدرك كلها حاسب "

لقد كان عمر أبى جعفر النقيب سبعا و عشرين سنه يوم بويج الناصر لدين الله بالخلافه، و كان عمر الناصر لدين الله اثنتين و عشرين سنه، فلم تسمح الرسوم و لا الأحوال و لا أعمارهما بان يجتمعا أو يرى أحدهما الآخر فى مثل تلك الأيام التى يكثُر فيها التقاصف، و تختلط فيها جماهير الناس و تكثُر حركات أرباب الدوله و أعيانها للقيام بالرسوم، و تمشيه أمور البيعه على الوجه الأكمل و فى السبيل الأفضل و أين يقع الشريف أبو جعفر من هذا البحر الطامى من الرجال الذين أصبحوا يتدافنون و يتداهون، و يتنافسون فى السبق إلى السيطرة الجديده على الخليفه الجديد، كما جرت العاده البشرىه بين أرباب السلطان فى كل زمان و مكان، و لكنهم خابت ظنونهم و ساء تقديرهم و حبطت آمالهم و كعت نفوسهم فهذا خليفه تزدان الخلافه به و يليق الحكم باعطافه فكأنه خلق ليكون خليفه.

و لما انتهت الرسوم و ختم الاحتفال و رفعت معالم الزينه انصرفت الوفود و الرسل و كان فى وفد البصره العائدين الشريف أبو جعفر بن أبى زيد، ثم عاد إلى مزاوله شئون النقابه الطالبية هناك، و رئاسه آل أبى طالب و الرئاسه عبء ثقيل لا كما يظن فريق من البعيدين عن معالجه أمورها.

و كان عهد الناصر لدين الله عهد الكفايات و القابليات - كما هو شان كل عهد صالح - فالمجال مفتوح للكفاءه و المجتهدين و الدهاه المقتدرين و الأذكياء المخلصين، و قد يندس بينهم أحد المرائين أو المتمسسين لاصطياد المال و المراتب، و لكن الأيام كفيله بالكشف عنه، فان صلاح رأس الدوله هو رأس كل صلاح فيها، و كان من الرجال الذين توسم فيهم الناصر لدين الله - و تجاربه تزداد حكمه سنه بعد سنه - أبو المعالى سعيد بن على بن احمد الأنصارى الحنبلى المعروف بابن حديده من ولد قطبه بن عامر بن حديده أنصارى رسول الله (ص)، أصله من كرخ سامراء و سكن بغداد منذ صباه و كان أحد الموسرين و ذوى المال و الجاه و المكانه و السيره الحسنه و الزلفى عند الدوله العباسيه مع فضل ظاهر، و لم يزل ملحوظا بعين الإعظام و الإكرام من ديوان الخلافه، مشمولاً بسوايح الإنعام إلى أن اقتضت إرادته الناصر لدين الله تأهيله للوزاره فأمر باستدعائه من داره يوم السبت لسبع خلون من شعبان سنه "٥٨٤" إلى دار الخلافه على شط دجله فى شارع المنتصر الحالى، فمثل بباب حجره الخليفه، و هذه الحجره أشرف موضع يبلغه ذو مرتبه عاليه فى الدوله، و حضر أرباب المناصب و الولايات و الحجاب و اتباع ديوان الخلافه و القضاة و الأعيان، و خرج الأمر من الامام باستيزاره، و خلع عليه هناك خلعه الوزاره - على العاده - و هى قميص من القماش المعروف بالأطلس و فرجيه من النوع (٢) الممزج و عمامه قصب (٣) كحليه ذات أعلامش.

- ١- استحيج: صار حجاجا، و استزيد: صار زيادا، و هما فعلا-ن قياسيان، و الغالب فى قياس الثانى (استزاد) الا اننا حملناه على (استصوب) فى احدى صورتيه. فى قياس الثانى " استزاد "الا أننا حملناه على " استصوب " فى احدى صورتيه.
- ٢- الفرليه منسوبه إلى رجل اسمه "فرج" و هى تشبه الجبه المعروفه فى هذه الأيام باللباده، و الممزج من التمزيج و هو النسيج الصوفى الحريرى.
- ٣- عمامه القصب هى عمامه الكلبدون أى خيوط الذهب و هى تشبه الكشيداه الحاليه فى النقش و الوشى. و الاعلام هى الخطوط العريضه فى القماش.

ذهب، و قلد سيفاً مزينا، و اركب فرسا من خيل الخليفه و سلم اليه عهد الوزراء، و بدل لقبه بان جعل "معز الدين" فركب أبو المعالي من هناك و مشى بين يديه سائر أرباب الولايات حتى وصل إلى الديوان و جلس في دست الوزراء بالايوان الذى يجلس فيه الوزراء.

ولى هذا الوزير الحنبلى بعد وزير حنبلى قبله هو جلال الدين أبو المظفر عبيد الله بن يونس و كان هذا أخفق في وزارته لأن الناصر لدين الله كان قد بعثه بجيش عباسى إلى بلاد العجم لمحاربه السلطان طغرل الثالث بن أرسلان بن طغرل الثانى بن محمد بن ملك شاه السلجوقى، و أمره بأمر لا بد منها للقائد فخالفها و سبب هزيمة الجيش العباسى و سقط هو أسيرا في السنه المذكوره "٥٨٤".

كانت وزاره معز الدين أبى المعالى سعيد بن حديده الأنصارى الحنبلى هذا فاتحه خير و نجاح فقد بعث الناصر في أيام وزارته جيشا ثانيا يقودهم مملوك العباسيين مجاهد الدين خالص الحبشى الذى رآه ابن جبير الرحاله ببغداد أيام قدومه إليها فوجده من عجائب الدنيا، ثم واقع مجاهد الدين خالص ذلك السلطان السلجوقى في بلاد ايران و كسر جيشه و أخرجه من همذان و أصفهان فهرب السلطان إلى قلعه الكرخينى "كر كوك" و استجار بأمر التركمان هناك حسن بن ففجاق و طلب اليه أن يسترضى الناصر لدين الله و يتشفع له عنده، ففعل و تاب السلطان توبه موقوته، ليس من شاننا هنا أن نذكر عاقبتها و نستطرد أكثر من ذلك الاستطراد. و انما يعيننا أن نذكر أن هذا الوزير قام بمراسم الخدمه الناصريه و بسط العدل و قرب أهل العلم و استجلب الأدعيه الكثيره للخليفه. (١)

و في أيام وزاره هذا الوزير قدم الشريف أبو جعفر يحيى بن أبى زيد النقيب إلى بغداد متظلما إليه من ناظر البصره، و حسبك من هذه الشكايه أن الشريف يترك بلده البصره و شئون النقباه و ياتى بغداد ليرفع شكواه بنفسه، فهذا يدل على الظلم الذى أجحف به، و سوء المعامله التى لقيها من ناظر البصره، و لم يمنع الوزير العادل عن حضور مجلسه و بسط شكاته بحضرته، فلما دنا منه أنشده قصيده ضمنها تلك الشكاه، و باح بالمظلمه التى نالته، و هاج عروبه الوزير و نخوته و استعدى ديانتته و أمانته، و من تلك القصيده قوله يشير إلى نسب الوزير الصريح و ما فعله الأنصار لرسل الله (ص) من الإيواء و النصره:

و قبائل الأنصار غير قليله لكن بنو غنم هم الأخيار

منهم أبو أيوب حل محمد فى داره و اختاره المختار

أنا منه فى النسب الصريح و أنت من ذاك القبيل فى ذلك جوار

و لقد نزلت عليك مثل نزوله فى دار جدك و النزيل يجار

فعلام أظلم و النبى محمد أنمى اليه و قومك الأنصار؟

فلما سمع الوزير هذه القصيده التى تستخرج العطف استخراجا و ترقق القلوب القاسيه فضلا عن قلب هذا الوزير النبيل الدين الصين؟ أجل لما سمعها رق له و انحدرت دموعه على خديه و أشكاه و وعده دفع المظلمه عنه، ثم أمر فخلع عليه خلعه، و وصله

بصله و قضى حاجته و أنصفه من ناظر البصره و عزله. و لم نستطع معرفه ذلك الناظر الظالم.

و فى هذه القدمه التى قدم بغداد فيها رأى الخليفه الناصر لدين الله - على ما استرجحت أنا - و كان من رسوم الخلفاء فى تلك الأيام أن لا يواجه الخليفه عظيما من العظماء الزائرين أو ملكا من الملوك الوافدين أو أميرا من الأمراء المتشرفين أو شريفا من الأشراف القاصدين إلا بالليل، و قد توصل الشريف أبو جعفر النقيب أن يتشرف برؤيه الناصر(٢) ليلا، فلما رآه و كلمه وجد نفسه بين يدي خليفه تنقطع الأوصاف دون بلوغ معانيه، و تضطم الامامه منه على خبر إنسان، يقوم بخلافه رسول الله (ص) إذ ذاك فكأنه النبا العظيم، و السيد المنتظر، فلم ينشب و هو بين الدهش و الاعجاب و السرور و الرهب ان أنشأ يقول:

ليلى هذه كليله موسى حين ناجى الاله فوق الطور

لم يكن خوفه كخوفى و لا سر بلقيا الاله مثل سرورى

و لعل القارئ يستغرب هذين البيتين و يعدهما من المبالغه الشنيعه، و لكن المثل السائر هو "فما راء كن [وراء كن] سمعا". و لقد رأى أبو جعفر النقيب ذلك الخليفه العظيم، فامتألت نفسه فرحا و رعبا، و سمع كلامه فرأى آيه من آيات الله - تعالى - تسحر بالايمان و البيان و تستند إلى الدين و الفرقان و تستمد مما لا يتبينه الإنسان، و لم يكن الشريف أول محبور مسحور برؤيه ذلك الخليفه و لا آخر مجذوب مغلوب، فقد سحر الناصر العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه، و أدهش الملوك و الأمراء، و ملأ النفوس اسمه و هيئته و عدله ثم جدد الإسماعيليه الباطنيه إسلامهم على يديه، فلا لوم على الشريف أبى جعفر.

و لم يقتصر انجذاب هذا الشريف نحو الناصر لدين الله على ذلك فقد عزم على ترك البصره موطن أهله و مسقط رأسه و مدرجته الأولى و ملعبه الأول و منشاءه، لمجاوره الخليفه ببغداد، و كيف لا يفعل ذلك و قد شاهد ما شاهد و التاريخ يشهد أن ناسا كثيرا من أنحاء العالم الإسلامى أخذوا يارزون إلى مقر الامامه العباسيه، كما تأرز الحيه إلى مدخلها، ففيها السعاده و العدل و الهناء و حسن المباءه و العيش الرخى. و كيف تكون الهجره من مدينه إلى مدينه لو لا العدل و الهناء و العز و الحرية؟ انتقل الشريف أبو جعفر إلى بغداد قبل سنه "٦٠٥" هـ و كانت حافله بالعلماء و الأدباء و الرواه و الشعراء، و الحكماء و الأطباء، فمن العلماء صفى الدين محمد بن معد العلوى الموسوى و هو حلى علوى مثله ترك الحله و سكن بغداد و أجاز له الناصر لدين الله روايه "مسند احمد بن حنبل" عنه، و منهم فخار بن معد بن فخار العلوى الموسوى الحائرى من أهل كربلاء، و الحسن بن حمدون الكاتب الأديب و يحيى بن زياده الكاتب المقدم ذكره و صفى الدين محمد بن جميل الكاتب اللبيب و محمد بن سليمان بن قتلمش الفيلسوف العجيب و عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر الجبلى الحكيم و يوسف بن إسماعيل اللمغانى الحنفى، مدرس جامع السلطان - و قد ذكرناهما من قبل - و إسماعيل بن على الحنبلى و قد أشرنا اليه، و أبو الخير مصدق بن شبيب النحوى و أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبىرى صاحب اعراب القرآن، و المبارك بن المبارك بن الدهان الضرير، و يحيى بن الربيع الواسطى و يحيى بن القاسم التكريتى و محمد بن يحيى بن فضلان و كل منهم كان مدرس النظاميه، و عبد الرحمن بن شجاع و أحمد بنه.

- ١- مات أبو المعالي ابن حديده الحنبلي الوزير سنة "٦١٠" هـ و دفن بمشهد الامام علي بن أبي طالب.
- ٢- قيل ان الذي سعى له في ذلك فخر الدين أبو علي الحسن بن هبه الله بن الدوامي حاجب الحجاب ثم صدر المخزن "وزير المال" ،توفي سنة "٦١٦" هـ و دفن بمقبره الشونيزي و هي مقبره الشيخ جنيد الحاليه.

مسعود التركستاني و قد كانا يدرسان بمدرسه أبي حنيفة، و على بن على الفارقي مدرس مدرسه السيده زمره خاتون أم الناصر لدين الله قرب مدفنهما المعروف اليوم بقبه الست زييده، و كان شافعيًا، و يعقوب بن صابر المنجنيقي الشاعر و محمد بن عبد الملك الوظائفى و عيسى بن نصر النميرى الشاعر، و أبو على الحسن بن محمد بن عبدوس الواسطى ثم البغدادي الشاعر و أبو القاسم احمد بن على بن بختيار، و أبو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز بن النظرونى الإسكندرى الأديب الشاعر، و قوام الدين نصر بن ناصر بن مكى المدائنى و ياقوت الرومى الشاعر المتسمى بعد الرحمن، و أبو محمد الحسن بن يحيى بن عماره الكاتب الشاعر و أبو عبد الله محمد بن المهنا البشيناى و المؤيد أبو البركات محمد بن زيد التكريتى، و أحمد بن المؤمل بن الحسن البغدادي، و أبو الشكر محمود بن سليمان الموصلى و أبو على الحسن بن محمد بن طوق الكاتب الشاعر و أبو المعالى هبه الله بن الحسين بن المطلب المنبوز بالجرذ.

و ما حظ الشريف أبو جعفر رحله ببغداد حتى قصده طلاب الأدب و أهل الحديث، و رواه الشعر و الأخبار و الأنساب، فقد كان فى كل ذلك علما من الأعلام و إماما من الأئمة، و لم تستغن بغداد عن علمه و أدبه على كثره العلماء و الأدباء فيها، لأنه كان يجمع إلى ذكائه سلامه التفكير و حسن التعليل، و صدق التحليل، فهو فيلسوف الأدب و الأخبار، و كان من أقرب التلاميذ اليه و أكثرهم اختلافا إلى مجلسه عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبه الله المعروف بابن أبى الحديد الشافعى. صاحب شرح نهج البلاغه، فقد قرأ عليه كتاب "جمهره الأنساب" (1) لابن الكلبي و كتب المغازى و أخبار الدول الإسلاميه و كتب الشعر و الأدب و فاتشه فى أمور كثيره، كانت تعتلج فى صدره فلا يرى لها حالا و لا معللا، و رأى الشريف فى عز الدين بن أبى الحديد موضعا للثقه و معدنا للوفاء فأفضى اليه بأحاديث، كانت ضروريه للثقافه الإسلاميه و للتاريخ، و كان من براعه شارح نهج البلاغه أن سجل تلك الأحاديث بألفاظها تاره و بمعانيها تاره أخرى، و هو غير ملیم فى ذلك، فإنه شرع فى تسجيلها بعد أكثر من ثلاثين سنه، و العجب من حافظته القويه كيف حافظت على المعانى فضلا عن العبارات! و لعل الشريف لم يكن يظن أن تلميذه هذا سيثبت آراءه فى كتاب من الكتب، لأن شأنه السماع لا الايداع.

و أثنى ابن أبى الحديد عبد الحميد على استاذه بما يستحق من المدح و ذكر أنه كان ثقه مأمونا متين الديانه جم العلم واسع الفهم و انه و ان كان علويا لم يكن ذا هوى تعصبى و لا ذا جنف و انه لم يكن إماميا حتى يقال انه يذب عن نحلته و يدفع عن مذهبه، و دونك بعض ما قال فى استاذه الشريف العلامه أبى جعفر.

قال فى موضع من شرح نهج البلاغه: "و كان النقيب أبو جعفر - رحمه الله - غزير العلم صحيح العقل منصفًا فى الجدل غير متعصب للمذهب" إلى أن قال "و كان أبو جعفر - رح - لا يجحد الفاضل فضله و الحديث شجون".

و قال فى موضع آخر: "كان أبو جعفر - رح - مع ما يذهب اليه من مذهب العلويين، منصفًا وافر العقل".

و قال فى موضع ثالث: "و قد ذكرت فى هذا الفصل خلاصه ما حفظته عن النقيب أبى جعفر و لم يكن امامى المذهب و لا كان يبرأ من السلف و لا يرتضى قول المسرفين من الشيعة، و لكنه كلام أجراه على لسانه البحث و الجدل بينى و بينه على ان العلوى لو كان كراميا(2) لا بد ان يكون عنده نوع من تعصب و ميل على الصحابه و ان قل "و قال فى موضع رابع "سالت النقيب و كان بعيدا عن الهوى و العصبية".

و هذه الأقوال و غيرها لا تثبت قيمتها الا بما سنذكر من البيئات التي هي من آثار الشريف أبي جعفر بن أبي زيد، و الا فما أسهل ان يدعى مدع لنفسه أو لغيره انه بعيد عن التعصب الذميمة حتى إذا رأيت أعماله و قرأت أقواله و جدته تضح الإنسانية من تعصبه الشديد و تفكيره الباطل البليد، و هذه عادة الاحتراف بالدين، و الاتجار باليقين، و قلما تجد مجرما لا يدعى بين يدي الحاكم انه برىء طاهر الذيل صالح الأعمال، بعيد عن سيره الأزدال.

و لم يكن إقبال الرواه على شعر الشريف أبي جعفر بأقل من إقبالهم على أدبه الأخبارى و مسموعاته، فقد كان شاعرا رقيق الأشعار رائق المعانى، رشيق الألفاظ و قد قدمنا شيئا من شعره. و ذكر أبو المظفر يوسف بن قزأوغلى المعروف بسبط ابن الجوزى ان الشريف أجاز له روايه شعره، و من شعره أوائل قصيده يمدح بها الخليفة الناصر لدين الله و هي:

هذا العقيق و هذا الجزع و البان فأحبس فلى فيه أوطار و أوطان

آليت و الحر لا يلوى أليته ان لا تلذ بطيب النوم أجفان

حتى تعود ليالينا التي سلفت بالأجرعين و جيرانى كما كانوا

يا حبذا شجر الجرعاء من شجر و حبذا روضه المخضل و البان!؟

إذا النسيم سرى سالت ذوائبه كأنما الغصن الممطور سكران

فللنسيم على الأغصان هينمه و للحمام على الأفنان الحان

و بارق لاح و الظلماء داجيه و النجم فى الأفق الغربى حيران

هدءا يذكرنى هيفاء ضاحكه فلم أنم و غدى هم و أحزان(٣)

كتمت حبك و الأجفان تطهره و ليس للحب عند العين كتمان

درت بالغدر فى الأحشاء نار جوى و قد هجرت ففيض العين غدران

و هو من الطبقة الأولى من الشعر الصناعى، و لسنا نطمع من السيد النقيب أن يكون شعره فى النسيب و الغزل صحيحا بعيدا عن الصناعه، فليس ذلك من الإنصاف، و ليس فى الإمكان أبدع مما كان و لكننا يجوز لنا أن نقول: لعل الشريف أحب فى أيام شبابه، و ذكرى الحب لا تبليها السنون الكثيره فهى ألد ما فى الحياه من الذكريات.

و فى شهر رمضان من سنه "٦١٣" توفى الله علامه عصره و فريد دهره و شاعر آل أبى طالب أبا جعفر محمد بن أبى زيد و دفن فى مقابر قریش عند مشهد الامام موسى بن جعفر "الكاظميه" و غاب ذلك العالم الفاضل الأديب الكامل الشاعر البارع، و كانت الحشرات عليه كثيره و الأسف شديدا، فافهن.

- 
- ١- و كان عالما بالنسايين حدث قال " لم يكن تحت السماء أعرف من أبي علي عبد الحميد بن التقي "الأنساب" و كان يحدث عن معرفه هذا النسابه بالعجائب، كذا قال الصفدى فى ترجمه عبد الحميد.
  - ٢- الكراميه بتشديد الرءاء اتباع محمد بن كرام من أصحاب المقالات، كان يعد الله جسما كالأجسام.
  - ٣- فى هذا البيت بعض التصحيف، و لم نجد وجها أقرب للسلامه من هذا الذى هو عليه الآن.



الإنسان هذا الموت الذى يهدم البنيان، و يفسخ التدبير و يبدد الآمال، و لم أعرف من ذريه أبى جعفر الذكور الا تاج الدين أبى زيد إسماعيل، و لعله كان قد ترك له نقابه الطالبين بالبصره و انتقل إلى بغداد، فقد ذكر فى كتب الأدب أن الأمير على بن مقرب العيونى الشاعر مدحه بعد منحدره من بغداد، إلى البصره أما بغداد فقد دخلها العيونى مرتين الأولى سنه "٦١٠" و الأخرى سنه "٦١٤"، و أما البصره فغير مره قال بعض الأدباء:

و كان ابن مقرب قد حضر مجلس الشريف تاج الدين إسماعيل بن أبى زيد هذا للسلام عليه، فخلع عليه ثوبين لهما قيمه ثمينه، قبل أن ينشد المدح بل قبل أن يعلم انه عازم على مدحه، و ذلك من شيم أهل الفضل و الكرم فإنهم ياتى برهم ابتداء لا استدرارا و لا استخراجا، و مما قال فى مدحه:

يخفى الصبايه و الألحاظ تبديها و يظهر الزهد بين الناس تمويها

و يستر الحب كيما لا يقال صبا شيخا فتعلنه الأنفاس تنويها

و أهالها من ليال لو تعود كما كانت و أى ليال عاد ماضيها!!

فاقت جميع الليالى بالبهاء كما فاق البريه "تاج الدين" تشبيها

من يدع يوما أبى زيد لحاجته فقد دعا دعوه ما خاب داعيها

إليك يا ابن رسول الله شارده بكرا يطول رواه الشعر راويها

و هى طويله تجتزئ منها بهذا.

و قد نشأت بين الشريف تاج الدين إسماعيل و الأمير البحرانى الشاعر ألفه و صحبه و اقترح عليه مره، و قد مرض مرضا خفيفا أبياتا من الشعر فقال فيما قال:

أعيذك أن تسمو إليك الحوادث و أن تتغشاك الخطوب الكوارث

سليل العلا لا زلت فى ظل نعمه لك المجد ثان و السلامه ثالث

و حزت المدى فى خفض عيش و عزه يدين لها سام و حام و يافث

لعمري لقد أشبهت فضلا و سؤددا أباك عليا حين تبدو النكاث

جزى الله تاج الدين خيرا فإنه به تدفع الجلى و تكفى الهنابث

فدى لأبى زيد رجال قلوبهم عن الخير غلف و الحبال رثااث

و دونكها يا ابن النبي غريبه تخبر أن العائبيها هلابث

و هي طويله أيضا، أراد بها أن يظهر براعته في الاستكثار من قافيه الثاء و لكنه أسف و أغرب و أبهم و ما أعرب، فليس هذا بالشعر الذى يدخل الآذان بلا استئذان، و تقرأه العيون كما تستقرى زهر الرياض.

و لا يتهيأ لنا أن نقول شيئا فى "بيت أبى زيد" نقباء البصره أكثر مما قلنا، سوى ان ابن أخى الشريف أبى جعفر كان اسمه "عبد الباقي" و يلقب بكمال الدين، فولد له ابن سماه "عليا" و ولد لعلى هذا ابن سماه يحيى و لقبه بعماد الدين، فاخر رجل منهم وقع إلى تاريخه هو "عماد الدين يحيى بن على بن عبد الباقي بن محمد بن محمد بن محمد بن على بن أبى زيد العلوى الحسنى". و قدم هذا بغداد سنه "٦٨٧" على عهد السلطان أرغون بن أباقا بن هولاقو الايلخانى و زاره جماعه من العلماء، و كان نازلا عند السيد غياث الدين أبى المظفر عبد الكريم بن طاوس بالمشهد الكاظمى أو زائرا له.

هذا موجز سيره الشريف أبى جعفر يحيى بن أبى زيد النقيب الذى سنراه واضح الصورة فى آثاره النبيله و ان كانت قليله، و لعل ما جئت به هو أكثر ما عرف من سيرته المجهوله لقله المراجع التاريخيه.

## يوسف اعتصامى

توفى سنه ١٣١٦.

أصل أبيه من آشتيان جاء فى شبابه إلى تبريز فولد له فيها ولده المترجم و درس علوم اللغه العربيه و الأدب و الأصول و المنطق و الحكمه. و كان يجيد اللغه الفرنسيه و اللغه العربيه و التركيه الاصطنبوليه. و كان خطاطا يكتب التعليق و النسخ، و المكسوره، و السياق.

من مؤلفاته:(قلائد الأدب فى شرح أطواق الذهب) طبع فى مصر، و كتاب (ثوره الهند) طبع أيضا فى مصر. كما ان له عدده مؤلفات أخرى.

انتخب نائبا عن تبريز و تولى اداره مكتبه المجلس النيابى و وضع لها فهارس بلغت ثلاثه مجلدات طبع منها اثنان فى حياته، و طبع الثالث بعد وفاته. و آخر آثاره ترجمته لكتاب السياحه لفيثاغورس.

هو والد الشاعره (پروين اعتصامى) صاحبه الديوان المشهور التى كانت من مفاخر الأدب الفارسى المترجمه فى مكانها من هذا الكتاب.

## يحيى بن أبى طى

مرت ترجمته فى الصفحه ٢٨٦ من المجلد العاشر، و مر فى ذكر مؤلفاته ان له أخبار الشعراء الشيعة، و كتاب الحاوى ذكر فيه رجال الشيعة و علماءهم و فقهاءهم و شعراءهم و أئمتهم المصنفين فى مذاهبهم.

و قد رأينا فى الصفحه ١٦٦ من الجزء ٢١ من (سير اعلام النبلاء)للذهبي، قول الذهبي عن أسامه بن منقذ: "قال يحيى بن أبى طيبى فى تاريخه: كان إماميا حسن العقيدة".

و قد علق محققا الكتاب فى الحاشيه على هذا القول بما يلى: "كتابه الذى ينقل الذهبى منه هو تاريخ الشيعة، قال: و هو مسوده فى عده مجلدات نقلت منه كثيرا" (انتهى).

و يبدو لنا أن الكتب الثلاثه هى كتاب واحد و ان ذكرت بأسماء مختلفه.

على ان المهم هو ما ورد عن الذهبي منقولاً عن كتابه (تاريخ الإسلام) من أن الكتاب هو فى عده مجلدات.

و لا شك انها خساره كبرى للتاريخ و العلم و الأدب و للفكر الإنسانى أن يكون هذا الكتاب قد فقد فيما فقد من آثار الماضين.

### يحيى بن زيد بن على بن الحسين

قال جعفر الخليلي:

ان تطور الحوادث السياسيه فى الشام و العراق و انعكاسها على خراسان لتشابه التركيب الاجتماعى بين العراق و خراسان بصورة خاصه فى البينيه و الأوضاع العامه فى السياسه و الاقتصاد، أدت تلك الحوادث إلى انشغال نصر بن سيار عن تكمله خطته الاصلاحيه التى أعلن عنها، بتسويه الأمور و الحوادث الجديده التى حدثت فى خراسان بعد الانفجارات السياسيه التى

ص: ٣٢٧

حدثت في الشام، و أهم تلك الحوادث، هي حركة يحيى بن زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، و حركة الأزديين التي كان يترأسها جديع بن علي الكرمانى (الأزدى).

كان الوضع السياسى العام فى خراسان بعد وفاة هشام بن عبد الملك - حسب ما رأينا - يساعد على ظهور أى اتجاه سياسى معاكس لسياسه الأمويين - و على نمو أیه حركة تطالب بإسقاط الحكم الأموى لها فى خراسان فحسب بل فى أكثر أقاليم الدولة، و على هذا عند ما قتل زيد بن علي بن الحسين فى الكوفة فى عام ١٢٢ هـ - ٧٤٠ هرب ابنه يحيى بن زيد مستترا عن طريق نينوى - المدائن إلى خراسان، و هو طريقها آنذاك، معتمدا على جمع الشيعة هناك و الخروج على بنى اميه فى إقليم يساعده على ذلك، فوصل إلى بلخ و أقام فيها عند الحرشى بن عمر بن داود حتى مات هشام بن عبد الملك و ولى الوليد بن يزيد، الا ان عيون يوسف بن عمر اكتشفت الأمر، فكتب إلى نصر بن سيار "ابعث إلى الحرشى حتى يأخذ بيحى أشد الأخذ فبعث نصر إلى عقيل بن معقل الليثى، و هو عامله على بلخ، أن يأخذ الحرشى فلا يفارقه حتى تزهق نفسه أو يأتيه بيحى بن زيد، فدعا عقيل فضربه ستمائة سوط، و قال: و الله لأزهقن نفسك أو تأتيني به، فقال: و الله لو كان تحت قدمى ما رفعتها عنه فاصنع ما أنت صانع، فوثب ابن الحرشى فقال لعقيل: لا تقتل أبى، و أنا آتيك بيحى فوجه معه جماعه فدلهم عليه"، فوضع يحيى فى الحبوس، و كتب بذلك إلى الوليد بن يزيد، فأمر بإطلاق سراحه و جماعته، فأطلق نصر سراحه و أمر له بالفى درهم، و أن يلحق بالوليد، و قيل "بل احتال يحيى بن زيد حتى هرب من الحبس و صار إلى بيهق من ارض أبرشهر فاجتمع اليه قوم من الشيعة فقالوا حتى متى ترضون بالذله و اجتمع معه نحو مائه و عشرين رجلا-" ربما كان هرب يحيى بن زيد من سجن نصر بن سيار أقرب إلى الحقيقة من منحه التقديده و أمر الوليد ابن يزيد بإطلاق سراحه، الذى أمر بالانتقام من جسد أبيه المعلق على جذع نخله خاويه فى كناسه الكوفة بان يحرق و ينثر مع الريح فوق وجهه نهر الفرات، على كل حال، سار يحيى بن زيد إلى سرخس فأقام بها، و كان نصر بن سيار يراقب حركاته بدقه، حتى وصل إلى الجوزجان و هناك أعلن الثورة على الحكم الأموى، فظهر يحيى مجاهدا زاهدا ورعا يدعو لنفسه بعد ان أذاع فى الناس منهج ثورته و هو منهج ثوره زيد بن علي، و يتلخص ذلك المنهج فى "البيعه على كتاب الله و سنه رسوله، و الدفاع عن الضعفاء و رد العطاء إلى من سلب منهم، و توزيع الفىء بعدل بين مستحقه، و اعاده المجاهدين فى الجهات النائيه إلى بلادهم و الدفاع عن آل الرسول". و يكاد منهج ثوره يحيى بن زيد يتلاقى فى نقاطه الأساسيه مع منهج ثوره الحارث بن سريج، المعتصم فى إقليم ما وراء النهر، و لعل البعد الجغرافى و وعوره المنطقه حالت دون التقاء يحيى بالحارث و مقاومه الأمويين معا فى المرحله الأولى من الثورة على الأقل، و للاختلاف الجذرى فى موضوع الخلافه بين الثورات العلويه على اختلاف فرقها و ثوره الحارث، حيث ان الحارث لم يطرح موضوع الخلافه صراحة فى ثورته فى خراسان.

حاول يحيى بن زيد أن يجمع حول رايته الثوار من كل اتجاه سياسى معاد للأمويين لذلك حاول قبول "المحكمه" من فرق الخوارج، لتحمسهم الشديد ضد الأمويين "فنهاه يزيد بن عمرو و قال: كيف تقاتل بقوم تريد أن تستظهر بهم على عدوك و هم يبرءون من على و أهل بيته، فلم يطمئن إليهم غير انه قال لهم جميلا" و فى "هذا دلالة على ما كان يشعر به الخوارج من اتفاق مع الزيديه فى الخروج على الامام الظالم" و بدأت الحرب بين يحيى و جماعته و جيوش نصر بن سيار بالقرب من نيسابور بقيادة عمرو بن زراره، و كان النصر ليحى بن زيد إلا ان نصر بن سيار سير اليه أشجع قواده سلم بن احوز، فلحقه بالجوزجان فقاتله قتالا شديدا حتى قتل يحيى بن زيد و قيل قاتله سلم بن احوز المازنى (من بنى تميم) دون هراه، فقتله سوره بن محمد بن عزيز الكندى، و وصلبه بالجوزجان فى طاق، و صلب بإزائه رجلا من العرب يقال له مطر بن مطرف، فما زال مصلوبا حتى خرج أبو

مسلم الخراساني فأنزله و واره و تولى الصلاه عليه و دفنه، و أمر بالنياحه عليه فى خراسان، و قيل ان الذى انزل جسم يحيى بن زيد و غسله و كفنه، و حنطه ثم دفنه هو خالد بن إبراهيم أبو داود البكرى و قد جاء فى معجم الأدباء ما نصه " و كان سلم بن احوز والى بلخ و الجوزجان من يده (أى يد نصر بن سيار) و هو الذى قتل يحيى بن زيد بن على بن الحسين و جهم بن صفوان الذى ينسب اليه مذهب جهم و وجه برأسيهما إلى مرو إلى نصر بن سيار، فنصبا على باب تهمذ مرو فكان سلم بن احوز يقول " قتلت خير الناس و شر الناس "، و المتفق عليه فى كتب التراث و بلا- خلاص ان جهم بن صفوان قتله مسلم بن احوز أيام ثوره الحارث بن سريج عام ١٢٨ هـ بينما قتل يحيى بن زيد فى أواخر عام ١٢٥ هـ أو فى أوائل عام ١٢٦ هـ و لما " بلغ الوليد قتل يحيى كتب إلى يوسف بن عمر: خذ عجيل أهل العراق فأنزله من جذعه، يعنى زيده، و أحرقه بالنار ثم انسفه باليم نسفا " . لم تنته حركه يحيى بن زيد بمقتله، لأنها عميقه فى المجتمع الخراسانى و لها جذورها و مواطنها فى هذا الإقليم، و قد تبلورت تلك الجذور و انتشرت بمقتل زيد بن على فى الكوفه، و مبايعه بعض أهل خراسان له عند ما خرج على هشام بن عبد الملك، و لا بد كان ليحيى فى خراسان من الأعوان و الجماعات و القوه مما دفعته إلى إعلان الثوره على الأمويين فى الجوزجان و تحقيق بعض الانتصارات على جيوشهم الكثيره العدد، و المجريه لتلك المواطن الوعره، و المتكامله العده للحرب و المران عليه. و بعد فشل حركه يحيى التف الشيعه بصوره عامه و الزيديه معهم حول رايه علويه اخرى جديده بالرغم من عدم انتساب صاحبها إلى العلويين بخط مستقيم، و هو عبد الله بن معاويه بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، و قد خرج على السلطه عام ١٢٧ هـ، و كان الوضع فى العراق يساعد على الثوره آنذاك، و قد التف الزيديون حول رايه عبد الله بن معاويه و انضموا تحت لوائه يحاربون الأمويين بعقيده راسخه، لأن فى مبادئ الزيديه الخروج على الامام الظالم الجائر، و قد قام الزيديه فى ثوره ابن معاويه بدور فعال، فغلب على ماه الكوفه أولا ثم على ماه البصره (١)، بعد ان فشل فى العراق، و بعد أن اتسع ميدان معاركه و سيطرته، امتدت المناطق التى سيطر عليها إلى همدان و قم و الرى، و أصبهان، و فارس، و جعل قاعدته مدينه أصفهان، ثم كون حكومته و وزع عماله " و استعمل أخاه الحسن على إسطخر، و أخاه يزيد على شيراز، و أخاه عليا على كرمان و أخاه صالحا على قم و نواحيها، و قصدته بنو هاشم جميعا منهم السفاح و المنصور، و من بنى اميه سليمان بن هشام بن عبد الملك، و عمر بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان، فمن أراد منهم عملا- قلده و من أراد صلته وصله " فاستطاع أن يبسط سلطانه على منطقه شاسعه فى شرق الدوله الإسلاميه، و من الخوارج الذين طردهم مروان بن محمد فى الموصل التحقوا به.

قدر مروان بن محمد آخر خلفاء بنى اميه خطوره حركه عبد الله بن معاويه فى العراق و امتدادها فى ايران للاضطرابات السياسيه المعاديه فيها و بصوره خاصه فى إقليم خراسان حيث تجمع الشيعه العلويه و العباسيه و الزيديه و الخوارج لذلك بادر إلى القضاء على حركه ابن معاويه ليحول دون تجمع القوى المعارضه و المناوئه للأمويين تحت قيادته و قد تمكن من طرده من العراق و ثابر على مطاردته فى ايران، بان امر الجيوش المقاتله فى).

الجزيره ان تطارده، فاندحر أمام عامر بن ضباره و هرب إلى خراسان. و قد انهكت الحروب نصر بن سيار مع الحارث بن سريج التميمي و مع جديع بن علي الكرمانى الأزدي و مؤامرات أبي مسلم الخراسانى المستمره تزيد فى تعقيد الوضع السياسى فيها مما أنهك جهاز الدوله بصوره عامه و حكومه خراسان بصوره خاصه. وصل عبد الله بن معاويه فى هذه الأزمه الحاده إلى خراسان، و قد ظهر الحزب الهاشمى يعمل و يدعو لنفسه علنا بقيادة أبى مسلم الخراسانى، و قد سيطر على عاصمه الإقليم مرو، بعد أن هرب عنها نصر بن سيار، و كان عبد الله بن معاويه يطمع فى أن ينحاز اليه شيعه بنى العباس الا ان أبا مسلم القى القبض عليه و قتله خنقا بالأغطيه، أو سمه، و وجه برأسه إلى ابن ضباره، فحملة إلى مروان، و قيل: سلمه حيا إلى ابن ضباره فقتله و حمل رأسه إلى مروان

## الشيخ يعقوب بن محمد بن رحيم بن منصور بن رحيم السامى

الرامسرى.

ولد حدود ١٢٥٠ فى رامسر، و توفى حدود ١٣٠٠.

كان فى رامسر من العلماء المدرسين و كانت أغلب استفاداته العلميه فى النجف الأشرف و أعقب ولدين فاضلين الشيخ محمد و الشيخ على (١).

## الميرزا يوسف آغا المجتهد التبريزى بن الميرزا على بن المولى محمد

على القره داغى.

ولد فى تبريز سنه ١٢٧٩ و توفى فى العراق فى زياره له إلى الأعتاب المقدسه عند الوصول إلى الكاظمين ع و دفن فى الرواق الشريف من ذلك الحرم.

هاجر إلى "النجف الأشرف" سنه ١٢٩٩ هـ و مكث فى هذه الحوزه اثنى عشر عاما و تتلمذ لدى المولى محمد الفاضل الايروانى، الشيخ هادى الطهرانى و غيرهما ثم عاد إلى تبريز سنه ١٣١١.

قال صاحب "علماء معاصرين": "كان شديد الذكاء، طود العلم و الأدب و كان باحثا و مناظرا محجما و استاذا فى الوعظ و التذكير" اه.

و للمترجم له مؤلفات عده مطبوعه و مخطوطه.

و له ديوان شعر، جمعه أحد أحفاده و عندى منه نسخه مصوره.

نموذج من أشعاره فى رثاء السبط الحسين بن على ع:

ما للعيون أبت بغير سهادها و نفت من الأجفان طيب رقادها

مستعبرات ليس يرقى دمعها فكأنها اكتحلت بشعرك قتادها

فلعلها رأت المنازل قد خلت عن أهلها فاستعبرت لبرادها

ذكرت منازل معشر حلوا بها و ترحلوا عنها إلى ميعادها

و له أيضا في هذا الديوان أشعار في مدح الامام علي بن أبي طالب و الامام الثاني عشر و مدائح مختلفه في موارد متفاوتة. (٢)

## ملحق بالمستدركات

يرى القارئ في هذا المجلد بحثا عن الملك الايلخاني محمد خدابنده اولجايتو(٣) الذي كانت عاصمته مدينه (السلطانيه). و قد قمت في شهر نيسان من سنه ١٩٨٩ برحله إلى بقايا هذه المدينه دونت وصفها بما يلي:

خرجنا من مدينه قزوین قاصدين سلطانيه محمد خدابنده أولجايتو" و في الذهن صور شتى من الماضي البعيد الذي انطوى في تلك الأرض بما فيه من صليل السيوف و جلجله الوغى و رهج القتال، إلى جانب ما حفل به من ندوات العلم و اسمار البحث و شروح الفقه و ترتيب الشعر.

فإذا كانت قد مرت من هنا جحافل المغول مدمره مروعه، فقد مر من هنا أيضا العلامه الحلبي الحسن بن المطهر بمدرسته السياره الحاشده...

فما أروع ما تبعث في النفس هذه الأرض و ما يليها من أرض و أرض - ما أروع ما تبعث في النفس من أسس طورا، و من هوى طورا آخر.

و ما أشجى ما يثير نسيمها هذا الذي يتهاوى على وجناتنا و جباهنا - ما أشجى ما يثير من هول الدماء المراقه و ما أحلى ما يهيج من تناجى العقول الخلاقه...

و مضت السياره بين بساتين قزوین، بساتين قزوین التي يتكاثف فيها الشجر مورقا ناضرا، ليخرج بعد حين اللوز و الفستق. كانت البساتين الآن إلى يمين الطريق، و كانت الأرض الزراعيه المديده تترامى باخضرارها إلى أبعد الآماد.

و لم تلبث ان طلعت لنا بلده (ساغارآباد) منتشره بيوتها على جانبي الطريق. أما بساتينها الخضرفكانت إلى يساره. و بعد ساغرآباد لم تكن تلمح العين إلا السهول الزراعيه التي لا حد لها، تتخللها أحيانا دساكر في بضعه بيوت. ثم لاحت لنا من بعيد على يسار الطريق بلده (رحمت آباد) ثم مررنا بقريه (كهل) المكتظه بالبساتين، ثم وصلنا مدينه (تاكستان) التي كان اسمها من قبل (سيادهن) ثم أبدل إلى (تاكستان). و يوم كانت تحل في القديم اسم (سيادهن) كانت تخرج فقهاء ينتسبون إليها، و عند ما كان يمر اسم (السيادهني) في الأوراق أمامي كنت استغرب هذه النسبه و أتساءل إلى أي شيء تنتمي فإذا بي الساعه امام (سيادهن) وجها لوجه، و إذا بها تحل لي الاشكال..

سلام على الفقهاء السیادهنيين الذين انطوت اسمائهم في بطون الماضي، و برزت في ورقات الحاضر. إنني أذكرهم هنا بكل

خير و أبعث إليهم بأطيب التحيات، و لئن أتعبوا بالأمس أناملى بما دونت من أخبارهم، فقد اراحوا اليوم عيني بما شاهدت من حسن مدينتهم...

و بعد تاكستان تتابعت السهول الزراعيه إلى ان وصلنا فى الطريق إلى مكان انشطر فيه هذا الطريق إلى شطرين: شطر يأخذ إلى مدينه (همدان) و منها إلى العراق، و شطر يؤدي إلى مدينه (تبريز) و منها إلى تركيا و أوربا.

مشينا فى الثانى فى سهول زراعيه مديده إلى أن طلعت إلى يسار الطريق قريه (ضياء آباد) المحاطه بالبساتين و المشهوره بالعنب و الجوز، ثم قريه (فارسجين) المغموره هى الاخرى بالبساتين، ثم قريه (قروه) التى تضم معملا كبيرا لصنع الموكيت. ثم مررنا بمجمع بنائى حديث كثير البناءات قيل لنا أنه مكان ضخ النفط إلى مدينه تبريز، ثم وصلنا معملا كبيرا للنسيج ثم إلى قريه شريف آباد التى تقوم على جانبي الطريق محاطه بالبساتين و الزروع، ثم كان بين بساتين مدينه (أبهر)، ثم اخترقنا شارع القسم الحديث منها الذى هو طريقنا المستقيم ماضين بالبساتين على الجانبين.

و إذا كان المرور بمدينه أبهر أثار ذكرى الفقهاء الابهرين، فإنه إلى

ص: ٣٢٩

- 
- ١- الشيخ محمد السامى.
  - ٢- السيد إبراهيم السيد علوى.
  - ٣- بدأ بإنشاء (السلطانيه) ارغون و أتمها ابنه محمد خدابنده أولجايتو سنه ٧٠٤ هـ (١٣٠٥ م) و جعلها قاعده الدوله و هو الذى سماها (سلطانيه).



ذلك آثار ذكرى تاريخيه أخرى. فبخروجنا من أبهر نكون قد اجتزنا ما بين أبهر و قزوین، و هاهنا ما بين المدینتین سفک دم آخر حکام الاسماعیلین التزاریین (خور شاه) فان هولاکو بعد أن استسلمت له (ألموت) قاعده التزاریین، و كان قد استسلم له حاکمها (خور شاه) من قبل - تقدم فی اتجاه قزوین حیث نزل فی ۲۷ ذی الحجه سنه ۵۶۴ ه علی بعد سبعة فراسخ منها. ثم أرسل خور شاه إلی بلاط أخیه منکوقاآن، و قبل أن یصل أرسل منکوقاآن من قتله فی الطریق بین أبهر و قزوین، و قتل معه أسرته رجالا و نساء و أطفالا.

فنحن فی مسیرنا هذا منذ خروجنا من قزوین، إنما نسیر فی أعماق التاریخ، و نوغل فی صمیم القرون الخوالی الی شهدت زحفا من شر ما عرفت الدنیا من زحوف... أنه زحف هولاکو، و حسبک ما اقترن به هذا الاسم من فجائع و فظائع...

و مما ذكرت به أبهر فی کتب الأقدمین ما ذکره ابن حوقل فی المائه الرابعه من أن أبهر ماهوله بالاکراد کثیره المیاه و الأشجار، و یكثر فیها القمح.

أما الأشجار فشهدناها، و إذا کنا لا نر المیاه، فقد رأینا ما یدل علیها و هو البساتین الزاهره. و أما الأکراد فاننا لا ندری ان كانت لا تزال ماهوله بهم أم لا، و ورد ذکر أبهر فی شعر عربی قديم، قال عبد الله بن خلیفه:

کانی لم اربک جوادا لغاره و لم اترك القرن الکمی مقطرا

و لم اعترض بالسيف خیلا مغیره إذا النکس مشی القهقری ثم جرجرا

و لم استحث الرکب فی اثر عصبه میمه علیا (سجاس) و ابهرا

و سجاس بین أبهر و همذان علی قول یاقوت.

و قال بعض أهل قزوین یذكر أبهر:

ندامای من قزوین طوعا لأمرکم فانی فیکم قد عصیت نهاتی

فأحیوا أحاکم من تراکم بشریه تندی عظامی أو تبل لهاتی

اساقیتی من صفو (ابهرا) هاکه و ان یک رفق من هناک فهاتی

و ممن عرفوا أبهر من الماضین: ابن عساكر صاحب تاریخ دمشق فی رحلته إلی خراسان عن طریق آذربيجان حیث اجتاز بخوی و تبریز و مرند و سمع من مشایخها، ثم بزنجان، ثم بابهر، و فیها سمع من الشیخ أبی قاسم الحمامی، كما سمع من هبه الله بن أبی الهیجاء شیئا من الشعر. و من البدیهی أن الشعر الذی سمعه هو شعر عربی مما یدلنا علی مکانه اللغه

العربية و آدابها هناك في ذلك العصر أواسط القرن السادس الهجرى، إذ كانت عودته إلى دمشق سنة ٥٣٣هـ.

و يقول ابن عساكر عن أبهر: (هى مدينة عظيمه مشهوره تقع بين المدن الثلاث: قزوين و زنجان و همذان). ثم كنا نجتاز بساتين بلده (خرم دره)، ثم البلده نفسها بين منازل حديثه على جانبى الطريق.

و هذه المنطقه التى نجتازها الآن هى أكبر مصادر لحوم البقر و الدجاج و الحليب فى إيران. و ظللنا بعد (خرم دره) بين البساتين و الزروع حتى بلغنا قريه (القلعه الحسينيه)، و كانت على يسارنا من بعيد مدينه (هيدج) مغموره بالبساتين، و ظللنا بين الزروع و البساتين حتى قريه (نصيرآباد) ثم قريه (صائن قلعه) و يقول المستوفى أن اسمها (فهود) و أن المغول سموها (صائن)، و أنه يقال لها أيضا (باتو خان) (١) السهول الزراعيه لا تنقضى، و صرنا نرى فيها هنا أحيانا قطعان الماعز و الغنم حتى قريه (سقا) المحاطه بالبساتين و صارت السهول بعد ذلك تتخللها الدساكر أحيانا حتى قريه (عميدآباد). لقد أنستنا هذه السهول الخضراء و تلك البساتين الشجره ما كنا نقصده و هو مدينه (السلطانيه) عاصمه الامبراطوريه الايلخانيه، و شغلنا ما نبصره من نضاره الأرض أمانا و يناعه الدنيا حولنا عن التفكير فيما نحن سائرون اليه حتى لمحنا فجاءه إلى يسارنا من بعيد القبه الشامخه ترتفع إلى أعلى ما يمكن أن ترتفع إليه القباب، فانتقلنا بالذهن حالا من الحاضر الدانى إلى الماضى القاصى. انتقلنا إلى أولجايتو محمد خدابنده أحد أشهر أباطره المغول الايلخانيين و صاحب مدينه (السلطانيه) و مثبت بنيانها و رافع أركانها.

و كان قد صار بيننا و بين السلطانيه مسافه ثمانيه كيلومترات، و لكن هذه المسافه لا تمضى مستقيمه بل أنها بعد أن تستقيم تعود فتتحرف إلى اليسار لتصل إلى الغايه المقصوده، و هكذا بعد أن وازينا السلطانيه و رأيناها، أو بالأحرى رأينا قبتها العاليه من بعيد عدنا فخلفناها وراءنا حتى بلغنا مفترق الطريقين: طريقنا الدولى الذى نسير فيه، و الطريق الفرعى الموصل إلى السلطانيه، فانحرفنا إلى الثانى سائرين فيه إليها فى سهل زراعى مديد ترعى فيه قطعان البقر، ثم كنا فى السلطانيه...

و إذا كانت السلطانيه فيما تقدم من العصور العاصمه التى كان يحكم منها شطر كبير من العالم و كانت قاعده الامبراطوريه المغوليه الايلخانيه، فلا- تحسب أنك ترى من هذا الوصف شيئا فيها اليوم، لا- بمعنى أنها ليست عاصمه، و أنها ليست مقرا للامبراطور. بل بمعنى آخر: هو أنها لم تعد ذات الدور القوراء، و القصور المتعاليه، و لا ذات الشوارع الرحبه و الباحات الواسعه، و لا ذات مئات الألوف من السكان، و عشرات الألوف من العساكر.

إنها اليوم قريه بسيطه تتكون من بيوت طينيه خاييه واطئه لا يزيد عدد سكانها عن ٦٠٠٠ نفس.

و بعد ما كان يحكمها (امبراطور)، عاد يحكمها اليوم من يعرف فى العراق و سوريه بلقب (مدير ناحيه). و الناحيه هى أصغر وحده إداريه تتبعها عدده قري، و هى ما يعرف فى إيران باسم (بخشدارى).

و إذا كانت القريه قد لفتت نظرنا فى شىء فهو: المقاييسه بين الحاضر و الماضى، و إلا فليس فيها ما يلفت النظر، اللهم إلا ما بقى من ذاك الماضى مما يدل على عظمته و روعته، و هو ما نفضل أن نطلق عليه اسم (قبه خدابنده) لا اسما آخر.... و تفضيلنا هذا الاسم كان لأن الناس اختلفوا فى حقيقه ما تحت القبه: فبعضهم زعم بان البناء أقيم فى الأصل لينقل إليه (خدابنده) رفات على ع من النجف الأشرف، فيجعل قبره فى عاصمته، و لكن العلامه الحلى الحسن بن المطهر منعه من ذلك و أصر على منعه فامثل

لهذا المنع.

و بعض قال: إن فيها قبر خدابنده نفسه.

و نحن هنا إذا كنا نفى الافتراض الأول استنتاجا لا استنادا إلى نص، و إذا كنا لا نأخذ بالقول الثانى، بالاستنتاج أيضا لأنه من غير المتصور أن يبنى أحد لأحد بعد موته مثل هذا الضريح المتناهى فى الفخامه إذا كان القائلون بهذا الرأى يرون أن البناء أقيم على قبر خدابنده بعد موته.

كذلك من غير المتصور أن يبنى أحد لنفسه مثل هذا القبر فى حياته انتظارا للموت الذى لا بد منه... هذا فضلا عن أنه لم يظهر أثر لأى قبر داخل البناء، كما أخبرنا بذلك مدير الناحيه الذى صحبتنا فى جولتنا.

و يبقى الافتراض الثالث وحده هو القائم بالرغم مما يعترضه هو الآخر من فجوات...

و نحن هنا سنصف ما رأينا، ثم نترك للقارئ أن يستنتج ما يشاء:

هو بناء عال فوقه قبه يبلغ ارتفاعه فى الداخلى من الأرض إلى نهايه جوف القبه ٥٦ مترا، و هو مدور ذو ثمانية أضلاع يبلغ طول قطره ٢٦ مترا، و عرض كل جدار من جدرانه سبعة أمتار و أربعين سنتيمتر، و يبلغ قطر القبه مترين و عشره سنتيمترات.

و حول البناء بقايا متهدمه بينها بقايا سور محكم بقى قليل من قواعده، و تحوط البناء اليوم البيوت القرويه، و تفصله فى الجانب الغربى عن البيوت بقايا حديقته حديثه، أما فى الجانب الشرقى فهو متصل بالبيوت، و الجدران فى الداخلى متاكله ذهبى نقوشها الا بقايا تدل عليها.ز.

ص: ٣٣١

١- باتو خان: هو حفيد جنكيز.

و فى الجنوب فى الداخل باب مرتفع يفضى إلى قاعه مستطيله يؤكد أحد مرافقينا أنها المكان لذى أعده خدابنده للعلامه الحلى ليلقى فيه دروسه بعد أن كان يلقى هذه الدروس فى مدرسه سياره من الخيام كان يرافق بها خدابنده فى ترحاله. و مما يؤكد هذا الرأى أن هذه القاعه تبدو لمن يراها من الخارج أنها ملحقه بالبناء و لم تكن من أصله، لأنها و إن اتصلت به فهى خارجه عنه، محدثه بعده، و هى و إن كانت تحتوى على محراب عريض عال يبدأ طولاً من أرضها إلى سقفها مما يمكن أن يشير إلى أنها مسجد الحق بالبناء، لا يمكن أن تكون مسجداً لأن فى الجانب الآخر من البناء مسجداً غير كبير ملحقا به مبنياً بعده فلا يمكن أن يكون هناك مسجداً. و هذا المسجد يطلقون عليه اسم مسجد العلامه الحلى.

إذن فنحن أمام أثر بارز من آثار الحسن بن المطهر، العالم العظيم الخالد. و إذا كنا قد دخلنا قاعه تدريس العلامه الحلى و بتركنا [تبركنا] بالمكان الذى كان يجلس فيه ملقياً دروسه، و أصغينا فى الخيال إلى صوته يتدقق بالعلم و الأدب و الحكمه و الفقه و التاريخ، فاننا لم نستطع الوصول إلى داخل مسجده فنتشرف بالسجود فى محرابه حيث كان يسجد، لأن المسجد كان مقفلاً فى تلك الساعه فاكتفينا بالوصول إلى صحنه و التطلع إلى داخله.

و يبدو أن القاعه التى قلنا أنها كانت مكان تدريس العلامه الحلى، كانت مخصصه لطبقه المتقدمين من الطلبة، فان إلى الشرق صفا من الغرف و إلى الغرب صفا آخر و بين الصفيين ساحه مملوءه ببقايا الأحجار، و إلى الجنوب حجره كبيره مهتمد سقفها و أرضها مملوءه بالركام، و ملتصق بها بقايا مسجد صغير مهتمد السقف، و إلى الغرب حجره اخرى كبيره تشبهها.

قيل لنا ان الغرف التى يبلغ عددها ١٢ غرفه كانت غرفاً للطلبه، و هى صغيره مربعه و ان الحجرتين الكبيرتين كانتا مكاناً للتدريس. فنحن هنا فى مدرسه العلامه الحلى التى أصبحت كما قلنا ثابتة بعد ان كانت سياره.

تحت القبه ساحه (مبلطه)، و منها تمشى فى سرداب تنزل اليه فى اربع عشره دركه فتصل إلى مستطيل صغير بجانبه درج آخر ذى ثلاث دركات، و هناك تتشعب سرداب متداخل بعضها فى بعض، يفضى الواحد منها إلى الآخر.

ليس البناء طباقاً واحداً، فعدا الطابق الأرضى فان فيه ثلاثه طوابق.

صعدنا الدرج إلى الطابق الأول، فإذا هو مجموعه اروقه و شرفات تدور مع البناء و بعضها فى صفيين.

و صعدنا الطابق الثانى، و هو كالأول و لكن اروقته و أوانيه و شرفاته أكثر اتساعاً و فخامه. و كنا قد عيننا من الصعود، فلم نصعد إلى الطابق الثالث.

و كان قد بقى من آثار السلطانيه عدا قبه خدابنده قبتان أخريان، تراءتا لنا فى السهول من بعيد فى طرفين مختلفين، هما قبه الصوفى سلطان شلبى، و قبه العالم حسن الكاشى، فكان لا بد من السير إليهما.

أما الأولى فتبعد عن قبه خدابنده نحو مائه متر إلى الجنوب الغربى، و تاريخها سنه ٧٢٨ هـ كانت أولاً خانقاه للصوفيه، ثم أقيم فيها قبر الشلبى و عند ما تصلها تمشى فى حجر إلى باحه (مبلطه) فى وسطها القبر بقبته الآجرية. و تبدو بقايا الخانقاه بجدرانها الحجرية الصلده.

و أما الثانيه فتقع فى الغرب و فيها القبر بقبته المميزه عن قبه الشلبى بأنها لا- من الآجر، بل من الكاشى الأخضر و تحتها غرفه مهمله و تدور حولها أواوين، و يقابلها فى الجانب الآخر بناء ربما كان مدرسه.

هذا كل ما بقى من السلطانيه القديمه، فسبحان من لا يدوم إلا هو.

ص: ٣٣٢

مر في هذا المجلد كلام عن علاقة الكوميديا الالهيه لدانتى برسالة الغفران لأبي العلاء المعري.

وقد ألف الدكتور صلاح فضل كتابا بعنوان (تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الالهيه لدانتى) علق عليه عبد السميع المصرى بعرض هو في صميم ما ذكرناه فيما تقدم من هذا المجلد في موضوع رسالة الغفران و الكوميديا الالهيه، ونحن نأخذ هنا هذا العرض لنرى الآراء المتباينه في هذا الموضوع:

"تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الالهيه لدانتى". دراسته جاده في الأدب المقارن "تعطى لنا دفعه قويه من الثقة المدعمه بالبراهين العلميه في ثقافتنا القوميه و تحفزنا إلى الاعتزاز الواعى بتراثنا و تساعدنا على التخلص من حساسيه المتخلف الذى يخشى عواقب الاتصال الفكرى على أصالته مع أنه شرط جوهرى لتغذيتها و إنمائها.

وليس أدل على ضخامه الجهد الذى بذل فى هذا الكتاب من قول مؤلفه الدكتور صلاح فضل فى مقدمته "من هنا نشبت ضروره هذا البحث الذى حاول أن يستوعب بشكل مباشر ماده العلميه المقارنه التى استخدمت فى الدراسات الأوروبية - على سعتها - و يطلع على نصوصها العرييه الأصيله - على كثرتها - ثم يقدم إعادة ترجمه و عرض لوثيقه المعراج التى أصبحت البرهان الأخير فى القضية. و يبحث عن نماذج لنظائرها فى التراث متفرقه حتى يعثر عليها مجتمعه".

وقد مهد المؤلف لبحثه بفصل عن الأدب المقارن عرف فيه هذا الأدب بقوله أنه "العلم المنهجى الذى ينشئ دراسته روابط التشابه و القرابه و التأثير بين الأدب و مظاهر المعرفه الإنسانيه الأخرى أو بين النصوص الأدبيه نفسها، مما قد يبدو للوهله الأولى متباعدا فى الزمان أو المكان، يشترط أن ينتمى إلى لغات أو ثقافات عديده، حتى و لو كانت تدين لتراث مشترك واحد، و تنحو هذه الدرسته إلى وصف ظواهر الالتقاء الأدبى و فهمها و تذوقها بأكبر قدر من التعمق و الاستبصار، مما يجعلها تتخذ منهج الوصف التحليلى و المقارنه المنظمه التى لا- تلغى الفروق بين الأشياء، بل تبرزها و تتولها كظواهر أدبيه تقوم بين اللغات و الثقافات المختلفه استجابه لعوامل تاريخيه و نقديه و فلسفيه. كل هذا بهدف النفاذ إلى فهم الأدب و وظائفه الحيويه فى خدمه الروح الإنسانى العام".

لكنه يسارع إلى التحذير من البحث عن المكاسب و الانتصارات الفنيه للعمل المؤثر نتيجة لسبقه الزمنى فحسب و يطالبنا بافتراض مجرد التوافق العفوى لا- سيما و نحن نعالج أثر الثقافة الإسلاميه فى واحده من قمم الإبداع الأوروبي فى العصور الوسطى.. فلا نغرق فى البحث عن عوامل الفخر القومى أو الحماس لمؤثراتنا فيه.

ثم يدعونا فى هذا الفصل إلى عدم التخوف أو الاعراض عن التراث الإنسانى و التأثير به الذى يختلف عن التقليد "لأن الشعوب لا تثرى على أساس الفروض الشكليه و إنما اعتمادا على استصفاء المبادئ التى تجدد حياتها الفكرية و امتصاصها برويه و تمهل و عند ما يحدث تماس بين حضارتين مختلفتين و يتبل ريق شعب بحلاوه الآخر فان المزيج الذى يتكون منهما لا يدانيه شىء فى

قوته المخصبه الخلاقه لكن عند ما يقتصر الأمر على مجرد التقليد فإنه لا ينبت من ذلك سوى الأزهار الصناعيه المفتعله".

و إذا أثبتت الدراسه التى بين أيدينا مدى تاثر دانتى بالثقافه العربيه و الإسلاميه.. و دانتى هذا هو الذى تدين له الآداب الأوروبيه فى العصر الوسيط بالشىء الكثير.. لا تضح لنا مدى اتصال التراث الإنسانى و تشابك علاقاته مما يدعونا لأن نكون أكثر حريه فى الأخذ من هذا التراث اليوم دون أدنى حساسيه.

ثم يفرد الدكتور صلاح بعد ذلك فصلا لتاريخ اتصال دانتى بالثقافه الإسلاميه و تأثره بها فيروى كيف أن المستشرق الإسبانى أسين بالاثيوس (١٨٧١ - ١٩٤٤) هو أول من تعرض لهذا الموضوع منذ ستين عاما باعتباره فرضا علميا قضى سنوات عديده يجمع الأدله و البراهين لإثباته، لكنه لا يستطع أن يحسم الأمر لافتقاده الدليل المادى الذى يثبت اطلاع دانتى على التراث العربى لكن بعد وفاته بخمس سنوات ظهرت ترجمه قديمه لروايه مطوله عن معراج الرسول ص ليله أسرى به من مكه إلى بيت المقدس كتبت باللاتينيه و الفرنسيه القديمه مما رجح اطلاع دانتى عليها. و منذ ذلك التاريخ أصبح الموضوع مسلما به فى الأدب المقارن كنموذج واضح للتأثير الإسلامى فى الأدب الأوروبى و أصبحت القضيه كلها مسلما بها و مفروغا منها فى الأوساط العلميه و الأدبيه فى العالم كله.

و فى عام ١٩٤٩ قام كل من الباحث الإسبانى مونيوث سندينو و الباحث الايطالى انريكو تشير ولى بنشر الترجمات اللاتينيه و الفرنسيه لوثيقه "معراج محمد" دون اتفاق مسبق بينهما من مخطوطات مكتبات أكسفورد بانجلترا و المكتبه الوطنيه بباريس و مكتبه الفاتيكان و غيرها من دور الكتب.

كما عرف العالم من هذه الوثيقه أن ملك أسبانيا ألفونسو العاشر كان قد أمر إبراهيم الحكيم الطبيب اليهودى الذى كان يعمل فى بلاطه بترجمه قصه المعراج الإسلاميه من العربيه إلى القشتاليه عام ١٢٦٣ و كانت هذه ترجمه أصلا لترجمه أخرى إلى اللاتينيه و الفرنسيه قام بها بوينا فيتورادى سينا الموثق الايطالى الذى كان يعمل أيضا فى بلاط ألفونسو سنه ١٣٦٤ أى قبل ميلاد دانتى بسنه واحده.

و فى الفصل التالى من الكتاب المعنون "عوامل التأثير و مستوياته" يحاول الدكتور صلاح تقديم المزيد من الأدله ليؤيد قضيته الثقافيه فيمهد لذلك بقوله "إن ثقافه إنما هى كل معقد متشابك يشمل المعارف و المعتقدات و الفنون و الأخلاق و القوانين و العادات و جميع مظاهر الخلق التى يبدعها الإنسان و يكتسبها فى مجتمع من المجتمعات و من هنا فان الآداب سواء كانت رسميه أو شعبيه و المعتقدات سواء كانت دينيه أو اسطوريه.. مسجله كتابه أو متداوله شفاها.. كل ذلك يدخل من باب الثقافه العريض.. و فى ضوء هذا المفهوم نرى بوضوح أن المؤثرات الإسلاميه فى الكوميديا الالهيه ذات طابع ثقافى شامل، فهى لا تقتصر على نصوص أدبيه بذاتها و لا على الأفكار الدينيه المعتد بها، بل تخللتها عناصر فولكلوريه شعبيه، لعب خيال الناس فيها دورا هاما و أشبعها بقدر كبير من المبالغه و التحرر".

و يضيف أن معرفه دانتى للتراث الإسلامى و تصور المسلمين لمجالى العالم الآخر حفزته إلى اتخاذ نموذج الرحله إلى عالم الغيب قالبا فنيا لعمله، خاصه عند ما بهرته المشاهد الإسلاميه بما تحفل به من تنظيم دقيق و صور فنيه و لم تكن محاكاه النماذج القديمه شيئا معيبا فى عصر دانتى بل كانت قانون الكلاسيكيه العام و روحها الغالب.. تكتسب بها الأعمال الفذه لونا من

مشروعيه الوجود و تبرير النهج "

و من المسلم به أن قنوات الاتصال بين أوروبا و العالم الإسلامي التي سهلت التبادل الثقافي بينهما و ساعدت على تاثر الأدب الأوروبي بصفه خاصه بالثقافه الإسلاميه.. هذه القنوات بدأت تتفتح منذ القرن الثامن الميلادي متمثله في الحركه التجاريه المتناميه ثم حركه الحجيج من أوروبا إلى بيت المقدس ثم الحروب الصليبيه و ما أدت إليه من إنشاء إمارات مسيحيه يحكمها أوروبيون في قلب الشرق الأدنى.. ثم منارات العلم الإسلامي في صقلية

ص: ٣٣٣



و الأندلس على سبيل المثال و التي كانت قبله لكل راغب فى العلم من أهل أوروبا.. ثم ذلك الدور المنقطع النظير الذى قامت به الأندلس الإسلاميه سواء فى الترجمة أو احتضان وفود الدارسين من أنحاء أوروبا و نقل التراث الإسلامى إليها مترجما...

و لقد حفظ التاريخ كثيرا من الترجمات التى تمت فى تلك الفتره الثريه لا سيما ما بين القرن الحادى عشر الميلادى و القرن الثالث عشر عند ما بلغت حركه الترجمة قمه ازدهارها فى عهد الفونسو العاشر ملك قشتاله. الذى كان يسمى بالعالم لاهتمامه الشخصى الكبير بترجمه العلوم الإسلاميه و التى كان من بينها مؤلفات الخوارزمى و الفرغانى و ابن سينا و الزرقالى و غيرهم، حتى فاض العلم الإسلامى على أوروبا و مملأها خصبا.

و إذا كان دانتي منذ ولد عام ١٢٦٥ و كتب الجزء الأول من الكوميديا الالهيه عام ١٣٠٧ فى وقت كانت الترجمات اللاتينيه و الفرنسيه لقصه المعراج لها شهرتها فى الأوساط الأدبيه، فلا شك أنه قد وجد الفرصه للاطلاع عليها و دراستها الدراسه التى تركت بصماتها على عمله العظيم و لا- سيما إذا علمنا أن كثيرا من رواد الترجمة كانوا يكثر من التردد على إيطاليا و خاصه فلورنسا موطن دانتي و الحوار و المشافهه كانت و ما زالت من عوامل انتشار الثقافه.

كما أن هناك قسيسا يدعى سان بدرو باسكوال معاصرا لدانتي و عاش فى فلورنسا له مؤلف بعنوان "تفنيد مزاعم الطائفه المحمديه" أورد فيه قصه المعراج بالتفصيل، و قد اشتهر كتابه هذا فى جميع الأوساط المسيحيه الأوربيه و كان فى متناول دانتي مما يرجح لدى بعض الباحثين أن هذا الكتاب كان الوسيله التى تعرف دانتي من خلالها على القصه الإسلاميه.

كل هذه المراجع و الاتصالات الشخصيه بين دانتي و معاصريه من المهتمين بالعلوم الإسلاميه و التوافق التام بين كثير من عناصر الكوميديا و قصه المعراج، جعل المفكرين الايطاليين أنفسهم يؤكدون أنه لم يعد هناك مجال لأى شك فى اطلاع دانتي على قصه المعراج التى كانت مترجمه بثلاث لغات أوروبيه هى لغات العلم فى عصره.. و تأثره بها..

"الكوميديا" و رساله الغفران

و لا يكتفى الدكتور صلاح فضل بهذه الأدله فيقدم لنا مقارنات طريفه ممتعه بين الكوميديا " و رساله الغفران" التى كتبها أبو العلاء المعرى فى أوائل القرن الحادى عشر الميلادى، و التى تعتبر من أنضج نماذج الثقافه الإسلاميه و العالميه.

و رساله الغفران - و كذلك الكوميديا الالهيه - رحله للعالم الآخر تتميز بخلوها من عناصر الخوارق و المعجزات التى تحفل بها روايات الأسراء و المعراج الأخرى.

"فباستثناء الفكره الأساسيه للرحله - التى تقع فى نطاق المعجزات - تمضى الحوادث بعد ذلك على نسق أقرب ما يكون إلى منطق الحياه المألوفه..

فالمسافر عند أبى العلاء ليس نبيا و لا وليا و لا من كبار الأبطال، و لكنه مجرد إنسان عادى يقترف الذنوب و يسعى فى الأرض مثله فى ذلك مثل دانتي بطل الكوميديا. كما أن الشخصيات التى تقوم بالأدوار الثانويه ليست فى معظمها من الأنبياء أو القديسين و إنما هم أناس عاديون منهم المؤمن و الكافر مثل الذين نجدهم أيضا عند الشاعر الايطالى. و على هذا فان الخاصيه

الإنسانيه الواقعيه الأرضيه فى الكوميديا تجد سابقته الأديبه الكبرى عند شاعر المعره العربى".

و يتفق دانتى مع أبى العلاء فى معانى التسامح و سعه الأفق فى معامله الأرواح و فى خروج بعضها إلى الجنه بعد رحله التطهر.

بل إن التشابه فى بعض أجزاء العملين يصل إلى درجه التطابق فنجد فى رساله الغفران قصه لقاء ابن القارح بحوريتين من الحور العين يبهره جمالهما، فيقبل كل واحده منهما و يرتشف رضابها و يتمثل فى حسنها بأبيات لامرئ القيس فتستغرقان فى الضحك و تقول إحداهما "أ تدرى من أنا يا على بن منصور؟ فيقول أنت من حور الجنان اللاتى خلقهن الله جزاء للمتقين..

فتقول، أنا كذلك بانعام الله العظيم، غير أنى كنت فى الدار العاجله أعرف بحمدونه و أسكن فى باب العراق بحلب و أبى صاحب رحي و تزوجنى رجل يبيع السقط فطلقنى لرائحه كرها من فى، و كنت من أقبح نساء حلب فلما عرفت ذلك زهدت فى الدنيا الغراره و توفرت على العباده فصيرنى ذلك إلى ما ترى".

و بعيدا عن أسلوب المعرى الساخر فى هذه القصه نرى الشبه الكبير بينها و بين بعض الوقائع عند دانتى كلقائه مع بياسينا فى المطهر و مع بيكاردا الفلورنسيه فى سماء القمر. و الأولى تنعى حظها التعس و شقاءها مع زوجها مثل حمدونه أما بيكاردا فتبدوا رائعه الحسن رغم دمامتها فى الدنيا و كلاهما تذكر لدانتى قصتها فى الدنيا و موطنها و اسمها الدينوى.

و غير ذلك من التشابه الذى يبلغ درجه التطابق بين الكوميديا و رساله الغفران كثير مما ذكره الدكتور صلاح و لا سيما صور العبور على الصراط يوم القيامه.

و بعد ذلك ينتقل الدكتور صلاح فى رياض كتابه ليحدثنا عن العناصر الصوفيه فى الكوميديا الالهيه فيقول "ان الكوميديا الالهيه - طبقا لهذا الفهم - تعبير مجازى عن حياه دانتى الشخصيه و عن خلاص البشريه. فدانتى نموذج للإنسان الذى أضله الجهل و أعمته الشهوات لكنه يستطيع أن يتحرر من عبوديه الشر بهدايه من عقله و فضل من الله تعالى، و ذلك عن طريق التطهر و التوبه من الذنوب، هذا التطهر الذى يرمز إليه بالرحله إلى الجحيم و المطهر. و عند ما يظفر بهذا الكمال الخلقى يصعد - عن طريق التأمل و بنعمه من الله - إلى السعاده الخالده التى تتمثل فى لذه الاستمتاع برؤيه الذات العليه... فدانتى إذن مثل المتصوفه المسلمين عامه و ابن عربى بصفه خاصه يستخدم معراج الإنسان إلى السماوات، ليرمز به إلى الدراما الصوفيه للتجدد الأخلاقى للأرواح بالايمان و الكمال و الصلاح".

ثم يفرد الدكتور صلاح بعد ذلك أطول فصول الكتاب "للتحليل المقارن لأجزاء الكوميديا الالهيه" و لما كان الكتاب رحله فى العالم الآخر فان دانتى يبدأ رحلته من "الليمبو" أى الأعراف التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم، و يحددها دانتى بأنها منطقه تقع فوق الجحيم مباشره أى أنها البهو المفضى إليه و تنقسم إلى شطرين أولهما ما يلي الجحيم و تسكنه أرواح الأطفال و من ماتوا دون أن يعملوا خيرا أو شرا.

أما الشطر الثانى فهو سهل عميق تحف به الأشجار و يحميه من حوله جدول جميل و فيه تسكن أرواح من ماتوا على الفطره قبل الأديان و أرواح الحكماء و الفلاسفه و الأبطال ممن لم يعتنقوا المسيحيه عند دانتى بالرغم من نبلمهم و حكمتهم. و لا يعانى هؤلاء من العذاب سوى الحرمان من الجنه و الشوق الذى لا يحدوه أمل.

و ظهور الأعراف فى الفكر المسيحى بدأ بدانتى. و معنى ذلك أن المصدر الوحيد له فى تصورها هو الثقافه الإسلاميه، التى تفننت كتبها فى رسم صور شائقه للأعراف و مكانها و نوع العذاب الوحيد الذى يعانیه سكانها و هو شوقهم إلى الجنه و حرمانهم منها إذ لم يدخلوها و هم يطمعون.

كما يجمع الباحثون على أن "كل أوصاف الجحيم الوارده فى العهد القديم - التوراه - و الأدب الكلاسيكى و فى العصور الوسطى الأولى السابقه لدانتى كانت أوصافا بسيطه مبهمه لا لون لها. و لا تشبه بحال تلك الصوره

ص: ٣٣٤

الغنيه المجسمه التشكيليه الواضحه التى رسمها دانتي للجحيم... لذلك أدركوا عند اكتشاف تأثير الثقافه الإسلاميه عند دانتي أنها هى المصدر الحقيقى الذى نهل منه دانتي كثيرا من أوصافه دون أن يطعن ذلك فى مدى أصالته أو يقلل من قيمته..".

و لقد اتبع دانتي أيضا النموذج الإسلامى الذى يقسم الجحيم إلى طبقات عامه تحتوى على تقسيمات فرعيه تخدم الهدف الأخلاقى للقصه.. وقد سمى شراح دانتي هذا التقسيم بالبناء الأخلاقى للجحيم.

كما تتطابق أوصاف " مينوس " خازن النار عند دانتي و حواراه معه مع ما جاء فى قصه المعراج [معراج] الرسول ص عن لقائه مع مالك خازن النار و حديثه معه.

## عن رحله المطهر

ثم يمضى الدكتور صلاح متتبعا فصول الرحله فصلا فصلا و ما فيها من وصف لأنواع العذاب التى يسامها المذنبون و العصاه مظهرا ما فيها من تطابق أو تقارب شديد مع القصه الإسلاميه.. حتى عذاب رجال الدين و العلماء يكاد يتطابق مع ما

جاء فى صحيح البخارى من حديث " يجاء بالرجل يوم القيامة فيطرح فى النار فيدور فيها كما يدور الحمار بالرحى فيطوف به أهل النار فيقولون: أى فلان.. أ لست كنت تامر بالمعروف و تنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت آمر بالمعروف و لا آتية و أنهى عن المنكر و آتية ".

و يختتم الدكتور صلاح هذا الفصل بقوله " بهذا يتضح لنا أن كثيرا من المواد الأوليه التى صاغ منها دانتي صورته و تصوراته عن الجحيم مستقاه من التراث الإسلامى و إذا كانت القدره الشعريه تعتمد أولا على عبقرية الصياغه و السياق الفلسفى و الفكرى الجديد، فان هذا التأثير لا يقلل بحال من قيمه الشاعر الايطالى بل يوضح طبيعه إبداعه و مدى أصالته ".

لكن الدكتور صلاح يعود بعد ذلك ليفرد فصلا شائقا عن رحله المطهر فى الكوميديا و هى الرحله التى يقطعها دانتي بعد خروجه من الجحيم عبر جبل المطهر الذى ينقسم إلى سبع درجات متصله فيما بينها تسكنها أرواح بريئه من الكبائر و ذنوبها مما تسعه رحمه الله تعالى.. و فى هذا الجبل ترعاها الملائكه و تقودها فى دروبه إلى الصعود التدريجى حتى تصل إلى السماء بعد أن تكون قد تطهرت بالصلاه و الابتهاال و الدعاء و

قد روى البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى " يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطره بين الجنة و النار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا و نقوا أذن لهم فى دخول الجنة " و يمضى الدكتور صلاح فى دراسته المقارنه لرحله المطهر حتى يصل إلى لقاء دانتي مع بياتريس حبيبته السابقه فى الدنيا التى تأخذ بيده و ترافقه باقى رحلته.. و هو أمر ترفضه الكنيسه لمجافاته لروحها فى التهوين من شان العلاقات العاطفيه و اتهامها بالماديه.

لذا فالدكتور صلاح يرى " إن هذا الحب الفردوسى المثالى الذى غذى خيال دانتي مدين بدوره للتصور العربى الإسلامى للحب العذرى كما تبلور لدى الشعراء و المفكرين العرب فى المشرق و المغرب و انتقل عن طريق الأندلس و صقلية و الحروب الصليبيه إلى أوروبا ".

ثم يسهب الدكتور صلاح في وصف هذا اللقاء، و ما جاء من أوصاف الحور العين في الروايات الإسلاميه و ما يقابلها أو يشبهها في كوميديه دانتي ليؤكد الحضور القوي لهذا العالم الذي صورته المأثورات الإسلاميه في خيال دانتي عند ما كتب رائعته. و أخيرا فاني أتساءل مع الدكتور صلاح فضل:

لما ذا أثمر هذا التراث الخصب من المأثورات الدينيه و الأدبيه و الشعبيه واحده من أهم الملاحم الدينيه في الآداب الأوربيه و أثمر شيئا قريبا من ذلك في الملاحم الفارسيه من سنائي إلى إقبال ثم عقم الأدب العربى عن احتضان هذه الخمائير و الإفاده منها؟ ثم ألا- سبيل أمامنا للإفاده الرشيده من هذا التراث العظيم بكل طاقاته الروحيه و إمكاناته الشعريه و قدرته الهائله على تجسيد الوجدان الشعبى فى أعمال فيه فذه؟

## عبد الرحمن الكواكبي

مرت ترجمته فى هذا المجلد، و نضيف إلى ما تقدم الدراسه الآتيه، مكتوبه بقلم سامى الكيالى:

نشا الكواكبي فى بيئه ضيقه لا- يتسع نطاقها للعمل الحر. و كان منذ نشاته الأولى ثوره مشتعله. فحاول الإصلاح فى موطنه من طريق الكتابه فى الصحافه... و لكن قيود العهد الحميدى كانت ثقيه. و كان أعوان عبد الحميد و رجاله يحاسبون المرء على الهمس، فما كان منه، بعد أن استفد كل ما يملك لمقاومتهم، إلا أن هجر وطنه إلى مصر و فى نفسه جيش من الآمال الكبيره، و فى فؤاده نزوات ممضه من صلف الحكام، و جراحات داميه من عنت المستبدين. فأطلق فى مصر لأفكاره العنان يكتب فى دك عروش الاستبداد و تقويض سلطه المستبدين، و ما زال إلى أن قضى، بعد أن ترك ذلك الأثر النفيس الذى يقرؤه القارئ اليوم فيجد فيه هذه الصيحات العاليه المنبعثه من قلب ملئ بالايان، و نفس حره تكره العبوديه، و تريد الحريه المطلقه لجميع الأوطان، و للشرق، و وطنه الغالى، بصوره خاصه.

ولد السيد عبد الرحمن الكواكبي من أبوين كريمين فى الثالث و العشرين من شهر شوال سنه ١٢٦٥ هـ - ١٨٤٩ م - و قد تعلم القراءه و الكتابه فى المدارس الابتدائيه - و هى المعروفه بالكتاتيب لذلك العهد، و بعد أن استوفى حظه منها استحضر له والده أستاذا خاصا لتعليمه التركيه و الفارسيه، و كانت التركيه اللغه الرسميه للدولة، فبرع فيها، ثم انتسب إلى المدرسه الكواكبيه - المنسوبه إلى أسرته - حيث درس العلوم العربيه و الفقه و المنطق، و كانت فى نفسه هذه النزعه للاحاطه بشتى العلوم، فعكف على دراسه الرياضه و الطبيعه بالمراجعه و المدرس على بعض الأساتذه، و كان ذكاؤه الحاد من العوامل التى جعلته يحيط إحاطه شامله بالكثير من فروع العلوم و شتى أنماط الثقافه، و عرف منذ صغره بالتفوق، و بالكثير من السجايا الكريمه.

و يصفه الشيخ كامل الغزى، مؤرخ حلب و صديق الفقيد، بأنه كان منذ حدائه سنه تلمع فى محياه مخائل النجابه و الشهامه و علو الجنان، و يزيد على ذلك بقوله: " كان سخي الطبع، لا قيمه عنده للمال، ولو عا بالتفضل على أقرانه و خلانته، لا يرضى أن يسبقه بالبذل عليهم غيره، يأنف من الكذب و التدليس و الغيبه و النميمه، و يرى التلبس بهذه الخلال الذميمه دناءه و غدرا و خورا فى الطبع، و كانت نفسه العزيزه تأبى عليه الخضوع لأهل المجد الباطل، و لا يرى شيئا يطفى نار غضبه منهم أفضل من قهرهم و إذلالهم ". بهذه الكلمات الموجزه، ذات المعانى الكبيره، و وصف لنا الأستاذ الغزى - و هو رفيقه فى الدراسه و خدينه فى الحياه - نشاه السيد الكواكبي و طرفا من خلقه و سجاياه. و نلمس من هذه الكلمات أن الكواكبي كان منذ حدائه سنه، ذا صفات مرموقه.

أخصها أنفته و كرامته و كرمه و حده طبعه، مع نزوع إلى الحريه، و إيمان بالمثلث العلياء، فما كان يتجاوز دور الطفوله إلى عهد الشباب حتى لفتت هذه المواهب أنظار كبار رجال الدوله في حلب، فعين و هو في الثامنه و العشرين من عمره محررا في الجريده الرسميه -

ص: ٣٣٥

جريدة "الفرات" - و كانت تصدر بالعربية و التركي، و إذ كان الكواكبي يجيد اللغتين فقد وقع الاختيار عليه للقيام بهذه المهمة، و حدد راتبه الشهري بثمانى ليرات عثمانيه ذهبيا. و هو مبلغ ضخم بالنسبة لمعدل الرواتب فى ذلك العصر، و كان الدوله أرادت بإسناد هذا العمل الرسمى إلى السيد الكواكبي، أن تشتري قلمه، و أن تكلم فمه، و لكن ظنونها ذهبت بددا.

و لم يطق العمل فى الجريده الرسمىه التى تلزمه أشياء تتنافى و طبعه و منازعه، و سرعان ما ترك العمل فى الجريده الرسمىه و انصرف للأعمال الحره.

و قد كان لاعتزاله العمل الحكومى أثره فى نفوس رجال الحكم، و خشوا أن يفلت من أيديهم، و قدروا ما سيكون لنشاطه، و هو غير مقيد، من أثر فى إلهاب النفوس، فاحتالوا عليه و أعادوه إلى البيئه الرسمىه. فعينوه فى ديوان المعارف، ثم نقلوه إلى كتابه العدل، ثم إلى مديرية التنفيذ، ثم إلى مديرية مطبعه الولايه، ثم رفعوه إلى رئاسه بلديه حلب، فرئاسه كتاب المحكمه الشرعيه، فمفتشيه انحصار الدخان، فرئاسه غرفه التجاره، فرئاسه المصرف الزراعى. و قد يعجب القارئ من هذا التنقل من فرع إلى فرع، و من دائره إلى أخرى. و لكن عجبه سيطل إذا عرف أنه ما يكاد يتسلم دائره من الدوائر حتى يباشر الإصلاح فيقلب عاليها سافلها، و يعمل على تعديل أوضاعها. أى أنه كان فى جميع الرئاسات التى تقلدها ذلك المصلح الثائر على الكثير من القيود و الطرق المعوجه. فكان يصطدم مع أولى الأمر، و كان خلافه معهم على سنن الإصلاح هو الذى يحدوهم إلى نقله من دائره إلى أخرى. و ما زالوا إلى أن قرروا نقله من حلب إلى راشيا، فعينوه قاضيا شرعيا فيها، أى أرادوا نفيه بصوره غير مباشره للتخلص من نزعاته الاصلاحيه و ميوله الحره.

و من يمعن النظر فى الوظائف التى شغلها، و هى ذات اتجاهات مختلفه، من التجاره إلى الشرعيه، و من الكتابه و التحرير إلى أمور التبغ و الدخان مثلا، لا يجد تعليل ذلك إلا أن كفايته الذهنيه كانت قابله لاستيعاب كل عمل. و هذا شان الأذكيا الذين لا يهابون المسئوليات، بل يقدمون على العمل بجان قوى للوصول به إلى أسمى غاياته، و كان الكواكبي من هذا النفر.

و قد كان تمسكه بوجهات نظره، و محاولته التجديد و الإصلاح، من الأمور التى أثارت عليه حفيظه الولاه و رجال الدوله، فناصره العدا و اتهموه بتهم كثيره كادت تودى بحياته.

و من أبرز أعماله فى حلب اشتغاله بالصحافه، و هو أول صحفى مارس هذه المهنة فى حلب: فقد أصدر جريده "الشهباء" سنه ١٢٩٣هـ، و جعلها منبرا عاليا للصيحات الحره... و لكن أنى لهذه الصيحات أن تأخذ طريقها إلى قلوب الجماهير، و الحرية مكبله بالسلاسل، و الكابوس الحميدى يحاسب المرء على الكلمه و الهمسه، لذلك لم تعش الجريده طويلا، فقد عطلتها الحكومه، و استطاع بعد سنوات أن يصدر جريده ثانيه أسماها "الاعتدال"، و لم يكده يصدر منها عدده حتى أفلتتها الحكومه، و قد جعل منهاجها كزميلتها، و هو التنديد بسياسه الدوله العثمانيه، و ظلت الميول الاصلاحيه حبيسه فى نفسه بعد تعطيل الجريدتين، إلى أن أتيح لها أن تنطلق تحت سماء مصر، و التى احتواها كتابه "طبائع الاستبداد" و هو فصول و مقالات نشرت متتابعه على صفحات "المؤيد" كبرى جرائد مصر و الشرق آنذاك.

لقد كان الكواكبي من الأذكيا الذين سبقوا زمهم، فحاول إصلاح الدوله فى بيئه لم تكن لتسمح له أن ييوح بأرائه حره طليقه فوقف الحكام له بالمرصاد، و كانت بينه و بينهم منازعات و خصومات. و لا يتسع المجال ليراد الكثير من هذه الحوادث التى

كانت من أسباب هجرته، و كلها تنتهي عند هذه الغايه التي استهدفها، و هي مناصبته طغاه الولاة الذين كانوا يحافظون على العهد الحميدى بأبشع صورته، و قد اتهم اتهامات باطله و زج فى السجن و حوكم و حكم عليه، و اتهم بالعمل مع الأجنبى ضد الدوله العثمانيه، و كانت جميع هذه التهم باطله، و هي من عمل الوشاه و الجواسيس. و لما ضاق ذرعا بهذا الجو الموبوء بالوشايات قرر النزوح عن حلب. و قبل أن نشير إلى قصه فراره نلخص الحادئه التي اتهم بها، و دخل من أجلها السجن، و كاد يبقى فى ظلماته سنوات طويله، لو لا العنايه الالهيه.

ففى سنه ١٣٠٧ ه عينت الدوله عارف باشا، أحد كبار رجال الدور الحميدى، واليا على حلب، و كان سيى الاداره، منهمكا بالرشا، يقول الشيخ الغزى الذى روى هذه القصة: "إن السيد الكواكبى تسلط عليه - أى على الوالى - جريا على منهاجه الذى كان يسير عليه مع أمثاله من الولاة، فطفق يتتبع سقطاته، و يفضح عوارته، و يندد به فى صحف الاستانه و بيروت، و يكتب بمساوته إلى المراجع العليا، حتى نكد عيشه، و سلب راحته، و صار الوالى يتمنى أن لو ظفر له بسقطه يتسلط بها عليه لينتقم منه، فلم يظفر له بشيء من ذلك.

و حدث فى يوم ما أن قنصل دوله إيطاليا فى حلب السنيور إتريكوويتو بينما كان راكبا عربته، مارا فى محله الجلوم، التي هي محله السيد عبد الرحمن الكواكبى، إذ وقع على ظهره حجر عاثر صدمه صدمه عنيفه تألم منها جدا، بحيث اضطرتة أن يعود إلى منزله و أن يرسل إلى الوالى تقريراً، يطلب فيه منه البحث عن الضارب، و إجراء العقوبه القانونيه "

هذه الحادئه فتحت للوالى بابا يلج منه إلى إصااق هذه الجنايه بالسيد الكواكبى، لا سيما و قد كانت الحادئه فى محلته، و على مقربه من داره.

و فى الحال أوعز إلى بعض شياطينه بان يرفع إليه تقريراً فحواه أن الكواكبى منضم إلى عصابه أرمنييه - و كانت ثورات الأرمن فى تلك الأيام كثيره - و أنه قبل يومين أغرى بعض الناس فرشق على قنصل إيطاليا حجره أصابت ظهره، محاولا بذلك إحداث ثوره بين الأرمن و المسلمين بحلب، و حالما قدمت هذه الاخباريه إلى الوالى أمر رئيس الشرطه بالذهاب إلى منزل السيد عبد الرحمن، و الدخول إليه قسرا، و تفتيش مكتبه و خزانه أوراقه. فتوجه رئيس الشرطه على الفور إلى منزل الكواكبى، و كان غائبا عنه، فدخله قسرا و معه طائفه من أتباعه، و قصدوا خزانه كتبه و خزانه أوراقه. فتوجه رئيس الشرطه على الفور إلى منزل الكواكبى، و كان غائبا عنه، فحرفه بحروف أرمنييه، مضطربه التركيب، يفهم منها أن أحد زعماء الأرمن يعد السيد عبد الرحمن بأنه عما قريب يقوم باحداث ثوره بين المسلمين و بين الأرمن فى حلب!. فقبض الشرطى على هذه الورقه و طار بها إلى الوالى، فتسلمها منه، و فى الحال أصدر أمره بإلقاء القبض على الكواكبى و زجه فى السجن، و ما أسرع ما أخرج من السجن مخفورا، و أجلس على كرسى المحكمه لاصدار الحكم عليه. و كان رئيس المحكمه رجلا- متهالكا بالتقرب إلى الولاة و كبار الموظفين، فحكم على السيد الكواكبى بالاعدام، على أن يكون الحكم قابلا للاستئناف ثم للتمييز، فتلقى السيد الكواكبى الحكم بالرضى، و شرع يطلب من المراجع العليا أن تكون محاكمته الاستثنائيه فى محاكم بيروت لعداوه شخصيه بينه و بين الوالى، فأجيب طلبه، و نقل مع أوراق الدعوى إلى محكمه بيروت، فتحقق لها أن الدعوى مزوره من أساسها، و لا- أصل لها، و قد برأتها، و عاد إلى وطنه و هو أكثر اعتزازا بدعوته إلى الحق و مناصبته العتاه المستبدين.

لقد مل المقام فى وطنه و هو فى هذا الجو الموبوء بالدسائس و الوشايات، فوطن نفسه على الهجره.. و لكن إلى أين؟.





قال لنا الأستاذ الغزى، و هو أوثق من يروى سيرته للصدافه الوثيقه التى كانت بينهما: "...و قبل سفره بيوم واحد زارنى فى منزلى يودعنى، و أخبرنى أنه عازم فى غده على السفر إلى إستانبول لتبديل نيابته - أى نيابه قضاء راشيا - و كنت عالما بكتابه "جمعيه أم القرى"، و قد شعرت منه العزم على طبعه، فوقع فى نفسى أنه سيرج على مصر لطبعه و نشره، إذ لا يمكنه أن يطبعه فى غيرها، فحذرت من ذلك، و قلت له: إياك يا أخى و السفر إلى مصر، فانك متى دخلتها تعذر عليك الرجوع إلى وطنك، لأنك تعد فى الحال من الطائفه المعروفه باسم "جون تورك" لا يتأخر وسمك بهذه السمه قيد لحظه، لما اشتهرت و عرفت به من شده المعارضه، و انتقاد الأحوال الحاضره.. فقال: لم أعزم إلا على السفر إلى إستانبول للغرض الذى ذكرته لك - و قد كتم سر سفره حتى عن أعز أصدقائه - ثم ودعنى و مضى، و أنا أسأل الله تعالى أن يرعاه بعين رعايته، و أن يجعل التوفيق رائده، و النجاح مرشده و قائده. و كانت مبارحته حلب فى أوائل سنه ١٣١٦ هـ، و بعد أن مضى على مبارحته حلب نحو بضعه عشر يوما لم نشعر إلا و صدى مقالاته فى صحف مصر، و أخذت جريده "المؤيد" تنشر تفرقه كتاب "طبائع الاستبداد" الذى لم يطلعنا عليه مطلقا، بخلاف كتاب "جمعيه أم القرى" فقد أطلعنا عليه مرارا.. ثم إنه طبع الكتابين المذكورين، و قام لهما فى "الماءين السلطاني" ضجه عظيمه، و صدرت إداره السلطان بمنع دخولهما إلى الممالك العثمانيه، بيد أنهما رغما عن ذلك كله وصلا إلى حلب على صورته خفيه و قرأناهما فى سمرنا المره بعد المره".

و فى مصر شعر أنه فى وطن عربى حر، فاخذ يرسل صيحاته المدويه التى انتظمها كتابه "طبائع الاستبداد. و مصارع الاستعباد" و هو كما قال:

"كلمات حق و صيحه فى واد، إن ذهب اليوم مع الريح، فقد تذهب غدا بالأوتاد..".

و يصف لنا الصحفى إبراهيم سليم النجار الفتره التى قضاها الكواكبي فى مصر بقوله:

"اتصل المرحوم الكواكبي بالمرحوم الشيخ على يوسف صاحب "المؤيد"، فتمكنت بينهما روابط الصداقه و الود. فكنا نجتمع كل يوم فى حلقتنا المعروفه فى القاهره، فكنت و الكواكبي و رفيق العظم و الأستاذ كرد على نؤلف حلقة مستقله، و لا نفرق ليله إلا لنعود إلى الاجتماع فى الغد.

و حدث أن صدر "المؤيد" ذات يوم يحمل إلى قرائه كتابا غريب الشكل و اللهجه و الأسلوب و الموضوع، لم يسبق للمقظم أو سواه من الصحف التى عرفت يومئذ بكتاباتها الحره أن كتبت مثله، فلفت الكتاب إليه الأنظار، و شغل الخواطر، و أخذت الدعوه الحره تلبس شكلا جديدا، و أخذ الكتاب و القراء و الناس يتساءلون عن صاحب هذا الأثر البديع فى جريده "المؤيد"، التى سلكت مسلك الصحف الحره على رغم اتصالها الشديد بالخدوي عباس الثانى و بالآستانه، و يقولون: ترى من يكون صاحب كتاب "طبائع الاستبداد"؟.. فاعتقد الجمهور - لأول وهله - أنه من نتاج قلم و تفكير الشيخ محمد عبده، لو لا الجفاء الذى كان مستحكما بين صاحب المؤيد و بينه - حتى قبل حادثه الموقوده - و لو لا بعد الشيخ محمد عبده، عن كل من يتصل بالخدوي قريبا و بعيدا، فلم تمض أيام على انتشار ذلك الكتاب فى "المؤيد" حتى عرف الكتاب الكواكبي، فوضعه دفعه واحده فى الدرجه الأولى بين رجال التفكير و القلم، و أنزلوه منزله الشيخ محمد عبده، فعرفوا منزلته و أعلوا قدره".

و لا- يتسع المجال للافاضه بالكلام عن كتاب "طبائع الاستبداد" فهو فى متناول كل يد، و لا تخلو منه مكتبه أديب، و هو آيات

ساميه فى بذر بذور الحريره فى نفوس الناشئه و هد كيان المستبدين. و قد أعلمنى نجله الدكتور أسعد الكواكبي أن والده قد أضاف على الكتاب بعد طبعه إضافات كثيره، و الهوامش التى يحتفظ بها بقلم والده نؤلف كتابا مستقلا بحجم الكتاب المطبوع. و هو يعترم طبع هذه النسخه الجديده قريبا، ليطلع العالم العربى على ثمره أفكار والده فى الحريره و الاستعباد.

و المعروف عند قراء العربيه أن الكواكبي لم يترك غير كتاب "طبائع الاستبداد" و سجل مجموعه "أم القرى" مع أنه كتب كتابا كبيرا عنوانه "صحائف قريش" و هو من أثنى ما جادت به قريحته... و لكن أين هذا الكتاب؟ لقد فقد و لا يعلم أولاده عنه شيئا.. و من يدري فقد تكون الأيدى الأثيمه التى سطت على أوراقه عقب وفاته هى التى أضاعت على العالم العربى هذا الكتاب الثمين.. و إذ نعرف أن السيد الكواكبي بعد مكثه فى مصر، قد قام برحله كبيره إلى بلاد العرب و شرقى إفريقيا و بعض بلاد الهند.. فمما لا شك فيه أنه دون الكثير من آرائه عن هذه الرحله. و هذه الصحائف أيضا قد عبث بها أيدى المستبدين، فخرست العربيه أثنى ما كتبه رحالتنا الكبير بعد أن هجر وطنه إلى بلاد الحريره، و بعد أن طوف فى مختلف أرجاء العالم الإسلامى.

كان الكواكبي يهدف فى جميع اتجاهاته إلى تقويض سلطان الظلم و بذر بذور الحريره و إصلاح العالم الإسلامى، و كان يصرخ من الأعماق:

"الاستبداد داء أشد وطاه من الوباء، أكثر هولاء من الحريق. أعظم تخريبا من السيل، أذل للنفوس من السؤال. داء إذا نزل بقوم سمعت أرواحهم هاتف السماء ينادى: القضاء القضاء. و الأرض تناجى ربها بكشف البلاء. كيف لا تقشعر الجلود من الاستبداد، و عهده عهد أشقى الناس فيه العقلاء و الأغنياء. و أسعدهم بمحياه الجهلاء و الفقراء، بل أسعدهم أولئك الذين يتعجلهم الموت فيحسداهم الأصحاء".

"لو كان الاستبداد رجلا- و أراد أن يحتسب و ينتسب لقال: أنا الشر، و أبى الظلم. و أمى الاساءه، و أخى الغدر، و أختى المسكنه، و عمى الضر. و خالى الذل، و ابنى الفقر، و بنتى البطاله، و وطنى الخراب، و عشيرتى الجهاله".

"يعيش الإنسان فى ظل العداله و الحريره نشيطا على العمل، أما أسير الاستبداد فيعيش خاملا خامدا ضائع القصد، حائرا لا يدري كيف يميت ساعاته و أوقاته، و يدرج أيامه و أعوامه، كأنه حريص على بلوغ أجله ليستتر تحت التراب".

"من طبائع الاستبداد أن الأغنياء أعداؤه فكرا و أوتاده عملا، فهم ربائط المستبد، يذلهم فيأنون، و يستدرهم فيحنون. و لهذا يرسخ الذل فى الأمم التى يكثر أغنياءها. أما الفقراء فيخافهم المستبد خوف النعجه من الذئاب، و يتحبب إليهم ببعض الأعمال التى ظاهرها الرأفه، يقصد بذلك أن يغضب أيضا قلوبهم التى لا يملكون غيرها، و الفقراء كذلك يخافونه خوف دناءه و نذاله، خوف البغاث من العقاب، فهم لا- يجسرون على الافتكار فضلا على الإنكار، كأنهم يتوهمون أن داخل رءوسهم جواسيس عليهم، و قد يبلغ فساد الأخلاق فى الفقراء أن يسرهم فعلا رضاه المستبد عنهم باى وجه كان رضاؤه".

"الاستبداد يقلب الحقائق فى الأذهان، حتى إنه قد مكن بعض القياصره و الملوكة الأولين من التلاعب بالأديان، تأييدا لاستبدادهم.

وقد وضع الناس الحكومات لأجل خدمتهم، والاستبداد قلب الموضوع فجعل الرعيه خادمه للرعااه، وقد قبل الناس من  
الاستبداد ما ساقهم إليه من

ص: ٣٣٧

اعتقاد أن طالب الحق فاجر، و تارك حقه مطيع، و المشتكى المتظلم مفسد، و النبيه المدقق ملحد، و الخامل المسكين هو الصالح الأمين، و قد اتبع الاستبداد فى تسميه النصح فضولا، و الغيره عداوه، و الشهامه عتوا، و الحميه جنونا، و الإنسانيه حماقه، و الرحمه مرضا، كما جاروه على اعتبار أن النفاق سياسه، و التحيل كياسه، و الدناءه لطف، و النذاله دماثه".

"قد يبلغ فعل الاستبداد بالأمه أن يحول ميلها الطبيعى من طلب الترقى إلى طلب التسفل، بحيث لو دفعت إلى الرفعه لأبت و تألمت، كما يتألم الأ-جهر من النور، و إذا ألزمت بالحرية تشقى، و ربما تضنى... يطيب له المقام على امتصاص دم الأمه فلا ينفك عنها حتى تموت و يموت هو بموتها".

و يطول بنا المجال لو رحنا نقتطف هذه الكلمات الذهبيه التى جاءت عرضا فى الفصول التى كتبها محللا طبيعه الاستبداد و طغيان المستبدين. هذه الفصول التى اختتمها بصيحات من الأعماق، أهاب بالشرق أن يستيقظ و أن يثور، لئودى رسالته الساميه التى أداها أسلافه للحضاره، فمن هذه الصيحات قوله:

"يا قوم: هداكم الله، ما هذا الشقاء المديد، و الناس فى نعيم مقيم و عز كريم؟ أ فلا تنظرون! و ما هذا التأخر، و قد سبقتكم الأقوم ألوف مراحل أ فلا تتبعون؟.. و ما هذا الانخفاض، و الناس فى أوج الرفعه، أ فلا تغارون؟.

"يا قوم: وقاكم الله من الشر، أنتم بعيدون عن مفاخر الإبداع، و شرف القدوه، مبتلون بداء التقليد و التبعية فى كل فكر و عمل، و بداء الحرض على كل عتيق، فلما ذا تقلدون أجدادكم فى الخرافات و الأمور السافلات و لا تقلدونهم فى محامدهم؟.. أين الدين؟ أين التريه؟ أين الاحساس؟ أين الغيره؟ أين الجساره؟ أين الثبات؟ أين الرابطه؟ أين المناعه؟ أين الشهامه؟ أين النخوه؟ أين الفضيله؟ أين المواساه؟ هل تسمعون أم أنتم نائمون؟" يا قوم، سامحكم الله! لا تظلموا الأقدار، و خافوا غيره المنعم الجبار، أ لم يخلقكم أحرارا لا يتقلكم غير النور و النسيم، فأبيتم إلا أن تحملوا على عواتقكم ظلم الضعفاء و قهر الأقوياء؟.

"يا قوم، جعلكم الله من المهتدين، كان أجدادكم لا ينحون إلا ركوعا لله، و أنتم تسجدون لتقبل أرجل المنعمين و لو بلقيمه مغموسه بدم الاخوان! و أجدادكم ينامون الآن فى قبورهم مستوين أعزاء، و أنتم أحياء معوجه رقابكم أذلاء! البهائم تود لو تنتصب قامتها، و أنتم من كثره الخضوع كادت تصير أيديكم قوائم!.. النبات يطلب العلو، و أنتم تطلبون الانخفاض! لفظتكم الأرض لتكونوا على ظهرها، و أنتم حريصون على أن تنغرسوا فى جوفها! فان كانت هذه بغيتكم فاصبروا قليلا لتناموا طويلا".

بهذه الصيحات كان ينبه الشرق و يثيره، و يبذر فى حقوله بذوره الصالحه لينشا أفراده على بغض الاستبداد و تقديس الحره و الايمان بالمثل العليا.

و قد ذهب البعض إلى أن كتاب "طبائع الاستبداد" منقول عن الايطاليه، و منهم من قال إنه معرب عن جان جاك روسو، و ذهب غيرهم إلى أن هذه الآراء هى آراء بطل الحره مدحت باشا، إلى آخر ما ذهب إليه المغرضون الذين لا- تهذا نائره ضغائنهم إلا إذا جردوا أصحاب المواهب من مزاياهم و فضائلهم، و قد رد كثيرون على هذه التهم الباطله.

و يقول الأستاذ النجار بهذا الصدد:

"سبق لى أن قرأت فى شبابى كتاب "الكونترا سوسىال" لجان جاك روسو ثم انقطعت عن الرجوع إليه، فلما قرأت كتاب "طبائع الاستبداد" أعاد إلى ذاكرتى كتاب الكاتب الافرنسى العظيم. و لو كان الشيخ العربى يعرف و لو قليلا اللغه الفرنسويه لاعتقدت بأنه أخذ عنه أو احتذى حذوه.

و لكن الحقيقه هى أن العقول النيره، و القلوب الكبيره نيره و كبيره، مهما اختلفت لغاتها و بلادها و أقاليمها. و لو ملكت سلطه فى هذا الشرق العربى لأوجبت تدريس هذا الكتاب فى جميع المدارس، لأنه ينشئ الشباب على حب الحريه و مقاومه الظلم و الاستبداد أنى كان مصدرهما و عمن صدرها، دون تعصب ذميم، و لطبعت ألوف النسخ عنه و وزعتها على الناس فى هذه البلاد الضعيفه الخانعہ المستكنه، ففى بعض الكتب شعاع من أرواح الأنبياء، و قبس روحانى من أقباس السماء".

و الواقع أن الكواكبى كان صاحب رساله حره، فمذ نشأته إلى أن طواه القدر ظل هذا المفكر الحر الذى يرسل صيحاته المدويه فى الحريه و الاستبداد، دون أن يهلع فؤاده أو يضطرب جنانه، و دعوته كدعوه المصلحين الأحرار، لم تذهب صيحه فى واد. لا... فقد كان لها اثرها [أثرها] المدوى. و استيقظ الشرق، و هو يذكر اليوم لهذاته المصلحين يدهم فى هذا التحرر و البعث... و الكواكبى من هؤلاء الهداه الذين عملوا فى سبيل نزع الغشاوه عن عقل الشرق، ليهب و يستيقظ، و يستعيد مجده السالف، ثم ليبدع و يعمل فى بناء دعائم الحضاره من جديد.

و من المؤسف أن الكواكبى لم يعمر طويلا، فقد مات فى نضوج كهولته، أى فى الخمسين من عمره. و لو مد الله فى حياته لترك للجيل العربى الكثير من المؤلفات فى شتى قضايا المجتمع، و لكنه توفى فى ظروف غامضه، اختلف الناس فى تأويلها، و منهم أصدقاؤه و ذووه الذين لا يزالون يعتقدون أن يدا مجرمه هى التى دست إلى طعامه السم، و أن هذه اليد قد امتدت من قصر يلدز، أو ممن يمت بصله إليه من مواطنيه، و يريدون أن يقولوا إن للسيد أبى الهدى الصيادى يدا فى هذه النهايه.

و لا بأس من أن أختتم مقالى هذا بكلمه للأستاذ إبراهيم سليم النجار، قال.

"لقد حدث لى فى حياتى الصحفيه الطويله فى مصر و سوريا و الاستانه و الغرب أن حدثت كثيرين من أهل الرأى و العلم و السياسه فى شئون جمه، فأقول، و أشهد الله على ما أقوله: إننى لم أعرف كثيرين من الذين حدثتهم كانوا فى مثل اطلاع الفقيد على شئون الشرق و سعه علمه، و جلاء رأيه، و قوه حجته، و صلابه يقينه، و لقد كان يصرح لى بأراء أعترف اليوم على رؤوس الأشهاد باننى لا أجراً على الجهر بها".

## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ  
الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع :: [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الالكترونى : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
اصبهان  
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

